
KÖPRÜLÜ KÜT.
128



كشاف

١٢٨

والمعارة ولقائهم دون المناضلة عن احسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه
الشطط ان اتاهم بمفخرة اتوه بمفاخر وان رماهم بماثرة رموه بماثر وقد
جرد لهم الحجة اولا والسيف اخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف القاضب
مخراق لاعب ان لم تمض الحجة حده فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر
قد زخر فطم على الكواكب وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب والصلوة
على خير من اوحي اليه حبيب الله ابي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن
هاشم ذي اللواء المرفوع في بني لؤي ذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي المثبت
بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبي الامي المكتوب في التوراة
وعلى اله الاطهار وخلفائه من الاختان وعلى اله الاصهار وعلى جميع المهاجرين و
الانصار اعلم ان متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية و
اقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطا
يسيرة او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذي تباينت
فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم التفاوت و
التفاضل حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد وترقى الى ان عد الف بواحد ما
في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان فيها مباحث
للفكر ومن غوامض اسرار محتجبة وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة
الا اوحديهم واخصهم والا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك
حقائقها باحداقهم عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم ثم
ان املأ العلوم بما يغمر القرائح وانهضها بما يبهر الالباب القوارح من غرائب نكت
يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه
واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القرآن فالفقيه وان
برز على الاقران في علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بز اهل الدنيا في علم الكلام
وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ وان كان من الحسن
البصري اوعظ والنحوي وان كان انحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة
لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق

الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعاني والبيان وتمهل في ارتيادهما
آونة وتعب في التنقير عنهما ازمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطائف
حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ان يكون
آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات
طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا في علم الاعراب
مقدما في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة
وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شانها منتبها على الرمزة وان خفي
مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر
مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف
طالما دفع الى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه ولقد رايت اخواننا في الدين من
افاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية كلما
رجعوا الي في تفسير آية فابرزت لهم بعض الحقائق من الحجب افاضوا في الاستحسان
والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك حتى اجتمعوا الي مقترحين
ان املي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل فاستعفيت
فابوا الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي
حداني على الاستعفاء على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه كفرض
العين ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى
عدد هذا العلم فضلا ان تترقى الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان فامليت
عليهم مسألة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة وكان كلاما
مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول والاذناب وانما حاولت به التنبيه
على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم
العزم على معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت
في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى
العثور على ذلك المملى متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز ما رايت
من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة

من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام شرف آل رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله تعالى مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم حشا واوفاهم رغبة حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشادة بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت علي المستقيل الحيل وعيت به العلل ورايتني قد اخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فاخذت في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلثين سنة وما هي الا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم اسال الله ان يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني ونورا على الصراط يمشي بين يدي وبيميني ونعم المسؤول

سورة فاتحة الكتاب مكية وقيل مدنية

لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلوة لانها تكون فاضلة او مجزية بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس **بسم الله الرحمن الرحيم** قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست من الفاتحة ولا من غيرها

من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلوة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه رحمهم الله ولذلك يجهرون بها قالوا اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن لما اثبتوها وعن ابن عباس رضي الله عنهما من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله عز وجل **فان قلت** بم تعلقت الباء **قلت** بمحذوف تقديره بسم الله اقرا او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حل او ارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدا في فعله ببسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدا له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عز وجل في تسع آيات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى اعرست او نكحت ومنه قوله شعر

فقلت الى الطعام فقال منهم ... فريق يحسد الانس الطعاما

فان قلت لم قدرت المحذوف متاخرا **قلت** لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤون باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل في قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة الاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجريها ومرسيها **فان قلت** فقد قال اقرا باسم ربك فقدم الفعل **قلت** هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم **فان قلت** ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة **قلت** فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على ان المؤمن لما اعتقد ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله تعالى لقوله عليه وآله السلام كل امر ذي بال لم يبدا فيه باسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق به تعلق الدهن بالانبات في قوله

بالدهن على معنى متبركا باسم الله اقرأ، وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء و
البنين معناه أعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه أعرب وأحسن
فإن قلت فكيف قال الله تبارك وتعالى متبركا باسم الله اقرأ قلت هذا
مقول على ألسنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله
رب العالمين إلى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم
عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه فإن قلت
من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحة التي هي أخت
السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما
بال لام الإضافة وبائها بنيتا على الكسر قلت أما اللام فللفصل بينها
وبين لام الابتداء وأما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم أحد الأسماء العشرة
التي بنوا أوائلها على السكون فإذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع
ابتداؤهم بالساكن إذ كان دأبهم أن يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن
لسلامة لغتهم عن كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الإحكام والرصانة
وإذا وقعت في الدرج لم تفتقر إلى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها
بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة سمه وهو من الأسماء
المحذوفة الأعجاز كيد ودم وأصله سمو بدليل تصريفه كأسماء وسمي وسميت
واشتقاقه من السمو لأن التسمية تنويه بالمسمى وإشادة بذكره ومنه قيل
للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبر قشر النخلة الأعلى فإن قلت
فلم حذفت الألف في الخط وأثبتت في قوله باسم ربك قلت قد اتبعوا في
حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال
وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الألف وعن عمر بن عبد العزيز أنه قال لكاتبه
طول الباء وأظهر السينات ودور الميم والله أصله الإله قال معاذ الإله
أن تكون كظبية ونظيره الناس أصله الأناس قال إن المنايا يطلعـ على الأناس الآ
فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما
يقال يا إله والإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود

وكونه في الأصل مع الهمزة

بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا
وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه
وأما الله فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله
وأله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر فإن قلت أاسم هو
أم صفة قلت بل اسم غير صفة ألا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء إله
كما لا تقول شيء رجل وتقول إله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وأيضا فإن
صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت
غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فإن قلت هل لهذا الاسم اشتقاق
قلت معنى الاشتقاق أن ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا
الاسم وصيغة قولهم أله إذا تحير ومن أخواته وله وعله ينتظمهما معنى التحير
والدهشة وذلك أن الأوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر
الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح فإن قلت هل تفخم لامه قلت نعم وقد ذكر
الزجاج أن تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم وإطباقهم عليه دليل أنهم ورثوه
كابرا عن كابر والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك
الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما
ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون إن الزيادة
في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على أذني
من ملح العرب أنهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل
العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل العراقي فقال أليس ذاك اسمه
الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من
الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وعلا كما أن الله
من الأسماء الغالبة وأما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمان اليمامة وقول شاعرهم فيه
وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا فباب من تعنتهم في كفرهم فإن قلت كيف تقول
الله رحمن أتصرفه أم لا قلت أقيسه على أخواته من بابه أعني نحو عطشان وغرثان
وسكران فلا أصرفه فإن قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان أن يكون فعلان فعلى

حذف الهمزة

واختصاصه بالله يحظر أن يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر ذلك أن يكون له مؤنث على فعلى فقد حظر أن يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فإذن لا عبرة بامتناع التأنيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع إلى الأصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره فإن قلت ما معنى وصف الله بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها قلت هو مجاز عن إنعامه على عباده لأن الملك إذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه وإنعامه كما أنه إذا أدركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه فإن قلت فلم قدم ما هو أبلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس الترقي من الأدنى إلى الأعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها أردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف

الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على إنعامه وحمدته على حسبه وشجاعته وأما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا والحمد باللسان وحده فهو إحدى شعب الشكر ومنه قوله عليه وآله الصلاة الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وإنما جعله رأس الشكر لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أشيع لها وأدل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي عن كل مشتبه والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم بإضمار فعله على أنه من المصادر التي تنصبها العرب بأفعال مضمرة في معنى الإخبار كقولهم شكراً وكفراً وعجباً وما أشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة أفعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدول بها عن النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاماً قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على أن إبراهيم صلوات الله عليه حياهم بتحية أحسن من تحيتهم لأن الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمداً ولذلك قيل إياك نعبد وإياك نستعين لأنه بيان لحمدهم

كأنه قيل كيف تحمدون فقيل إياك نعبد فإن قلت ما معنى التعريف فيه قلت هو نحو التعريف في أرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الإشارة إلى ما يعرفه كل أحد من أن الحمد ما هو والعراك ما هو من بين أجناس الأفعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرأ الحسن البصري الحمدِ لله بكسر الدال لإتباعها اللام وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة الحمدُ لُله بضم اللام لإتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والإتباع إنما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة واحدة لكثرة استعمالهما مقترنتين وأشف القراءتين قراءة إبراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للإعرابية التي هي أقوى بخلاف قراءة الحسن رب العالمين الرب المالك ومنه قول صفوان لأبي سفيان لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب إلا في الله تعالى وحده وهو في غيره على التقييد بالإضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع إلى ربك إنه ربي أحسن مثواي وقرأ زيد بن علي رضي الله عنه رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد كأنه قيل نحمد الله رب العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الأجسام والأعراض فإن قلت لم جمع قلت ليشمل كل جنس مما سمي به فإن قلت فهو اسم غير صفة وإنما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء أو ما في حكمها من الأعلام قلت ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام وقرأ أبو حنيفة ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرأ أبو هريرة مالك بالنصب وقرأ غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرأ مالك بالرفع وملك هو الاختيار لأنه قراءة أهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولأن الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه كما تدين تدان وبيت الحماسة شعر ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا فإن قلت ما هذه الإضافة قلت هي إضافة اسم الفاعل إلى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم يا سارق الليلة أهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الأمر

كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم فإن قلت ما هذه الإضافة اسم الفاعل اضافة غير
حقيقية فلا يكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة قلت
انما يكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في
تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك
هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة
حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز ان يكون
المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف
والدليل عليه قراءة ابي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي اجريت على
الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته
ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلايل والدقايق ومن كونه
مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب ويوم العقاب بعد الدلالة على اختصاص
الحمد به وانه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته
لم يكن احد احق منه بالحمد والثناء عليه بما هو اهله **اياك نعبد واياك**
نستعين ايا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء
في قولهم اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب
كما لا محل للكاف في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه
المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه و
ايا الشواب فشيء شاذ لا يعمل عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى
قل أفغير الله تأمروني اعبد قل أغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك
بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك
بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي فهياك والامر الذي ان تراحبت موارده
ضاقت عليك مصادره والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة
اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله لانه مولى
اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع فإن قلت لم عدل عن لفظ الغيبة
الى لفظ الخطاب قلت هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى

الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين
بهم والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات
في ثلاثة ابيات شعر تطاول ليلك بالاثمد ونام الخلي ولم ترقد وبات وباتت له ليلة
كليلة ذي العاير الارمد وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن ابي الاسود وذلك على عادة
افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل من اسلوب الى اسلوب
كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على
اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر
الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان
حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز
بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد
غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي
لا تحق العبادة الا به فإن قلت لم قرنت العبادة بالاستعانة قلت ليجمع بين ما
يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته فإن قلت
فلم قدمت العبادة على الاستعانة قلت لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة
ليستوجبوا الاجابة اليها فإن قلت لم اطلقت الاستعانة قلت ليتناول كل
مستعان فيه والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة ويكون
قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا وانما كان
احسن لتلاؤم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرا ابن حبيش نستعين بكسر النون
هدى اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم
وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله واختار موسى
قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله
تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا على الهدى وصيغة الامر والدعاء
واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرا عبد الله ارشدنا
الصراط المستقيم السراط الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط

اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء كقولك مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاء وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع صرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام

صراط الذين بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال للذين استضعفوا لمن آمن منهم فان قلت ما فائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه وآكده كما تقول هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل فكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المؤمنون واطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل هم الانبياء وقرا ابن مسعود صراط من انعمت عليهم

غير المغضوب عليهم ولا الضالين بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي يابى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعمر بن الخطاب رض ورويت عن ابن كثير

وذو الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فان قلت ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونساله رضاه ورحمته فان قلت اي فرق بين عليهم الاولى وعليهم الثانية قلت الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية فان قلت لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما قرآ وغير الضالين وقرا ايوب السختياني ولا الضألين بالهمز كما قرا عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من شأبة ودأبة آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويد وحيهل وهلم اصوات سميت بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس رضي الله عنهما سالت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال آمينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقنني جبرئيل آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل انه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة رحمه الله مثله والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعند الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا قرا ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

بسم الله الرحمن الرحيم الم اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها
اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم يسمى به ضه
من ضرب اذا تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية
لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا كاساميها وهي حروف وحدان
والاسامي عدد حروفها مرتق الى الثلثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها
وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان
مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على المعنى
التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة
الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما تقول واحد اثنان ثلثه
فاذا وليتها ادركها الاعراب تقول هذه الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا
كل اسم عمدت الى تاديته فحسب قبل ان تحدث فيه بدخول العوامل شي من تاثيراتها
فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا ليرفع
حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية
ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا فان قلت لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية
وهلا زعمت انها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان
النير انها اسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح وقد وجدناهم
متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا يقدح اشكال في اسميتها كالظروف
وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته
على اوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فصل فيما يرجع الى
التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال

على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك با ها
وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء
المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما و
سال اصحابه كيف تقولون اذا اردتم ان تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب
فقيل نقول باكا فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وذكر
ابو علي في كتاب الحجة في ياسين وامالة يا انهم قالوا يا زيد في النداء فامالوا وان
كان حرفا قال فاذا كانوا قد امالوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فلان يميلوا
الاسم الذي هو ياسين اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسما لما يلفظ بها فان قلت
من اي قبيل هي من الاسماء امعربة ام مبنية قلت بل هي اسماء معربة وانما سكنت
سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه
وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف
واين وهولاء ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها بين الساكنين فان قلت فلم لفظ
المتهجي بما في اخره الف منها مقصورا فلما اعرب مد فقال هذه باء وهاء وياء و
ذلك يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددتها فقلت
كتبت لاء قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب في ان قصرت متهجاة
ومدت حين مسها الاعراب ان حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر فان قلت
قد تبين انها اسماء لحروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكون
اعجازها عند التهجي لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه الصور فواتح السور قلت
فيه اوجه احدها وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم
صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد ما لا ينصرف باب اسماء السور
وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتاتى فيه الاعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما
يتاتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او اسماء عدة
مجموعها على زنة مفرد كحاميم وطاسين وياسين فانها موازنة لهابيل وقابيل وكذلك
طاسين ميم يتاتى فيه ان تفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طاسين فيجعلا اسما واحدا
كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية

قال قائل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن أوفى العبسي: يذكرني حاميم والرمح شاجر
فهلا تلا حاميم قبل التقدم. فأعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما أعرب من أخواتها
لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث. والحكاية أن تجيء بالقول
بعد نقله على استبقاء صورته الأولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله
وقرأت سورة أنزلناها. وقال: وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المعار
وقال ذو الرمة: سمعت الناس ينتجعون غيثاً فقلت لصيدح انتجعي بلالا. وقال:
تنادوا بالرحيل غداً وفي ترحالهم نفسي. وروي منصوباً ومجروراً. ويقول أهل
الحجاز في استفهام من يقول رأيت زيداً: من زيداً. وقال سيبويه: سمعت من العرب
لا من أين يا فتى. فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ صادَ وقافَ ونونَ مفتوحات.
قلت الوجه أن يقال ذلك نصب وليس بفتح وإنما لم يصحبه التنوين لامتناع
الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد أجاز سيبويه مثل ذلك
في حم وطاسين وياسين لو قرئ به. وحكى أبو سعيد السيرافي أن بعضهم قرأ يا
ويجوز أن يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالين. فإن قلت
هلا زعمت أنها مقسم بها وأنها نصبت نصب قولهم نعم الله لأفعلن وأي الله
لأفعلن على حذف حرف الجر وإعمال فعل القسم وقال ذو الرمة: ألا رب من قلبي له الله
وقال الآخر: إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد. قلت إن
القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين
على مقسم عليه واحد وقد استكرهوا ذلك. قال الخليل في قوله والليل إذا يغشى
والنهار إذا تجلى وما خلق الذكر والأنثى: الواوان الأخريان ليستا بمنزلة
الأولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الأسماء إلى الأسماء في قولك مررت
بزيد وعمرو والأولى بمنزلة التاء والباء. قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون
الأخريان بمنزلة الأولى فقال إنما أقسم بهذه الأشياء ولو كان انقضى قسمه
بالأول على شيء لجاز أن يستعمل كلاماً آخر فيكون كقولك بالله لأفعلن بالله
اليوم ولا يقوى أن تقول وحقك وحق زيد والواو الأخيرة واو قسم لا تجوز
إلا مستكرهاً. قال وتقول وحياتي ثم حياتك لأفعلن فثم ههنا بمنزلة الواو

ههنا ولا سبيل فيما نحن بصدده إلى أن تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الأول
في الإعراب. فإن قلت فقدرها مجرورة بإضمار الباء القسمية لا بحذفها
فقد جاء عنهم الله لأفعلن مجروراً ونظيره قولهم لاه أبوك غير أنها فتحت
في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك
المصير إلى نحو ما أشرت إليه. قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما روي
عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال أقسم الله بهذه الحروف. فإن قلت فما وجه
قراءة بعضهم صادِ وقافِ. قلت وجهها ما ذكرت من التحريك لالتقاء
الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك أن الوقف لما استمر بهذه الأسامي شاكل
لذلك ما اجتمع في آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن وأخرى
معاملة هؤلاء. فإن قلت هل تسوغ في المحكية مثل ما سوغت في المعربة من إرادة
معنى القسم. قلت لا عليك في ذلك وأن تقدر حرف القسم مضمراً في نحو قوله
عز وجل حم والكتاب المبين كأنه قيل أقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين إنا
جعلناه. وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم حم لا ينصرون فيصلح أن يكون
بالجر والنصب جميعاً على حذف الجار وإضماره. فإن قلت فما معنى تسمية السور
بهذه الألفاظ خاصة. قلت كأن المعنى في ذلك الإشعار بأن القرآن ليس
إلا كلماً عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ كما قال عز من قائل
قرآناً عربياً. فإن قلت فما بالها مكتوبة على الحروف أنفسها لا على صور أساميها.
قلت لأن الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت
ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت أن يلفظ بالأسماء وتقع في الكتابة الحروف
أنفسها عمل على تلك الشاكلة المألوفة في كتابة هذه الفواتح وأيضاً فإن شهرة
أمرها وإقامة ألسن الأسود والأحمر لها وأن اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى
بطائل منها وأن بعضها مفرداً لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده أمنت
وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي
بني عليها علم الخط ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء
الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف. قال عبد الله بن درستويه

في كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط
المصحف لأنه سنة وخط العروض لأنه يثبت فيه ما أثبته اللفظ ويسقط
عنه ما أسقطه والوجه الثاني أن يكون ورود هذه الأسماء هكذا مسرودة
على نمط التعديد كالإيقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه
وكالتحريك للنظر في أن هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم
من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر إلى أن يستيقنوا أن لم تتساقط
مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن أن يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة
وهم أمراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب
والمتهالكون على الافتنان في القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن
النظم المبالغ التي بذت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز
الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح أعين البصراء إلا لأنه ليس بكلام
البشر وأنه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزل
ولناصر القول الأول أن يقول إن القرآن إنما نزل بلسان العرب مصبوبا في
أساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم أحد منهم
بمجموع ثلاثة أسماء وأربعة وخمسة فالقول بأنها أسماء السور حقيقة يخرج
إلى ما ليس في لغة العرب ويؤدي أيضا إلى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فإن
اعترضت عليه بأنه قول مقول على وجه الدهر وأنه لا سبيل إلى رده أجابك بأن له
محملا سوى ما يذهب إليه وأنه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار
ويقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله
في أولادكم والله نور السموات والأرض وليست هذه الجمل بأسامي هذه القصائد
والآي وإنما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة
التي تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على أسلوب من يقصد التسمية واستفيد
منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة ويجيب
عن الاعتراض على الوجه الأول بأن قول التسمية بثلاثة أسماء فصاعدا مستنكر
لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن إذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت

فأما غير مركبة منثورة نثر أسماء العدد فلا استنكار فيها لأنها من باب
التسمية بما حقه أن يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرا وبرق نحره وشاب قرناها وكما لو
سمي بزيد منطلق أو ببيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت
من الشعر وبين التسمية بطائفة من أسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة
ذلك وأما تسمية السور كلها بفواتحها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا
لأنها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد ألا ترى أنهم جعلوا اسم الحرف
مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين إليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا
حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا والوجه الثالث أن ترد السور مصدرة
بذلك ليكون أول ما يقرع الأسماع مستقلا بوجه من الإغراب وتقدمة من
دلائل الإعجاز وذلك أن النطق بالحروف أنفسها كانت العرب فيه مستوية الأقدام
الأميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق بأسامي الحروف فإنه كان مختصا
بمن خط وقرأ وخالط أهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا
من الأمي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو
من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق
مع اشتهار أنه لم يكن ممن اقتبس شيئا من أهله حكم الأقاصيص المذكورة في
القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الإحاطة بها في أن ذلك حاصل
له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة أن يتكلم بالرطانة من غير أن يسمعها
من أحد واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله تعالى من هذه الأسماء وجدتها
نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء وهي الألف واللام والميم والصاد
والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون
في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم إذا نظرت في هذه الأربعة
عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف بيان ذلك أن فيها من المهموسة
نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الألف
واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة
نصفها الألف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها الصاد و

نصفها الصاد والهاء واللام والميم والراء والكاف والعين والسين والحا
والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها
الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والياء
والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف
واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون
ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها
رأيت الحروف التي الغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة
بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم
الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاره
فكأن الله عز وجل عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم
اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على
انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام
لما تكاثر وقوعها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة
البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف
والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت فهلا عددت
باجمعها في اول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور قلت لان اعادة
التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد
اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك
مذهب كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره
فان قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت
صاد وق ونون على حرف واحد وطه وطس ويس وحم على حرفين والم
والر وطسم على ثلثة احرف والمص والمر على اربعة احرف وكهيعص و
حمعسق على خمسة احرف قلت هذا على اعادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم
فيه على طرق شتى ومذاهب متنوعة وكما ان ابنية كلماتهم على حرف واحد و
الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك

فان قلت فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها اذا كان
الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تادية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه
الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم
خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل ايه سلك
كذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الصوت بالا
القيام ولنقيضه القعود فان قلت ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون
قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اما الم فآية حيث وقعت
من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية وحم وص وق ونون
لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية فان قلت
فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية قلت كما عد الرحمن وحده ومدهامتان
وحدها آيتين على طريق التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف قلت
يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده
وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات او جعلت وحدها
اخبار مبتداء محذوف كقوله الم الله اي هذه الم ثم ابتداء فقال الله لا اله
الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها
اسماء للسور لانها عنده كسائر اسماء الاعلام فان قلت ما محلها قلت يحتمل
الاوجه الثلثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم
بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور
ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعدودة ذلك
الكتاب فان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت
الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمنقضي في حكم المتباعد وهذا في كل
كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول
فذلك كذا وكذا وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما
علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك
وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به

لم يذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة لا خلو
من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه
فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه في التأنيث في قولهم من كانت
امك وان جعلته صفة فانما اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة
مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل
كذا وقال الذبياني شعر نبئت نعما على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري
اخبرني عن تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة
ففي التأليف وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة
خبر المبتدأ الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كأن ما عداه من الكتب
ناقص وانه الذي يستأهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية
الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد
وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ
محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون
هذه الم جملة والكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ
خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر
ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب
وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب **لا ريب فيه** وتأليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني
اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روي
الحسن بن علي عليهما السلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول
دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة اي فان
كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما
تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه
ومنه [illegible] انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء
قلت كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفي ان احدا لا يرتاب
فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع

البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم ولكن عرفهم
الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم
للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة
ولا مدخل للريبة قلت فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول
في قوله لا فيها غول قلت لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب
عنه واثبات انه صدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولي
الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد
في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما
تغتالها هي كأنه قال ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ ابو الشعثاء
لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق
وهذه تجوزه والوقف فيه على ما هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على
لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله لا ضير وقول العرب لا بأس
وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه **هدى** الهدى مصدر على
فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة
في مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال لعلى
هدى او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى
مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو غمه
فاغتم وكسره فانكسر واشباه ذلك قلت فلم قيل هدى للمتقين
والمتقون مهتدون قلت هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك
يريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط
المستقيم ووجه آخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى
متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قتل قتيلا فله سلبه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل
الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا

وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور و
الكفر فهلا قيل هدى للضالين قلت لان الضالين فريقان فريق
علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي
ان يكون لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين
الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرناها
فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى
الزهراوين وسنام القرآن واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من
عباده والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة
ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابها ضلع من غلظ الارض
ورقة الحافر فهو يتقي حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي
نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل
الصحيح انه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل
المؤمن الظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا على خبير كما لا يجوز اطلاق العدل الا على
المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتداء محذوف او خبر مع لا ريب فيه
لذلك او مبتداء اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز ان ينصب على الحال و
العامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ عرقا في البلاغة ان يضرب
عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة برأسها او طائفة من حروف
المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى
للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث
جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق
بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة
بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكلام المنعوت
بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث
به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل مما للحق
واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال

في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى
للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق
ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى
الغرض بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة
ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر موضع الوصف
الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا
على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه الذين يؤمنون بالغيب
اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع بتقدير
اعني الذين يؤمنون او هم الذين واما مقطع عن المتقين مرفوع على الابتداء
مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا
غير تام واذا كان مقطعا كان وقفا تاما فان قلت ما هذه الصفة
اواردة بيانا وكشفا للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها
ام جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا قلت
يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال
المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر
الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلوة والصدقة لان
هاتين اما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما الا ترى كيف سمى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصلوة عماد الدين وجعل الفاصل بينا
الاسلام والكفر ترك الصلوة وسمى الزكوة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى
وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شانهما
استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا وبان
استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم يتوقف
اخواته ان يقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضلها وابانة العبادتين
واما الترك فكذلك الا ترى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر

ويحتمل أن لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويكون التقوى بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل أن تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للإيمان بالغيب وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة بالذكر إظهارا لإنافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات والإيمان افعال من الأمن يقال آمنته وآمنته غيري ثم يقال آمنه إذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة وأما تعديته بالباء فلتضمينه معنى أقر واعترف وأما ما حكى أبو زيد عن العرب ما آمنت أن أجد صحابة أي ما وثقت فحقيقته صرت ذا أمن به أي ذا سكون وطمأنينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب أي يعترفون به أو يثقون بأنه حق ويجوز أن لا يكون بالغيب صلة للإيمان بل أن يكون في موضع الحال أي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم أني لم أخنه بالغيب ويعضده ما روي أن أصحاب عبد الله ذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإيمانهم فقال ابن مسعود إن أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم كان بينا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب ثم قرأ هذه الآية فالمراد بالغيب إن جعلته صلة كان وإن جعلته حالا إن جعلته صلة كان بمعنى الغائب إما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الأرض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الإبل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية إذا بطنت الدابة اسمنت وإما أن يكون فيعلا خفف كما قيل قيل وأصله قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء إلا علم اللطيف الخبير وإنما نعلم منه ما أعلمناه أو نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز أن يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وإن جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء

والإيمان الصحيح أن يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن أخل بالاعتقاد وإن شهد وعمل فهو منافق ومن أخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق ومعنى إقامة الصلوة تعديل أركانها وحفظها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من أقام العود إذا قومه أو الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وعلا والذين هم على صلوتهم دائمون والذين هم على صلوتهم يحافظون من قامت السوق إذا نفقت وأقامها قال أقامت غزالة سوق الضراب لأهل العراقين حولا قميطا لأنها إذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه إليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون وإذا عطلت وأضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه أو التجلد والتشمر لأدائها وأن لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالأمر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الأمر وتقاعد عنه إذا تقاعس وتثبط أو أداؤها فعبر عن الأداء بالإقامة لأن القيام بعض أركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح إذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا أنه كان من المسبحين والصلوة فعلة من صلى كالزكوة من زكى وكتبتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لأن المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي إذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لأنه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد وإسناد الرزق إلى نفسه للإعلام بأنهم ينفقون الحلال الطلق الذي يستأهل أن يضاف إلى الله ويسمى رزقا منه وأدخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الإسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم كأنه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجاز أن يراد به الزكوة المفروضة لاختصاصها بأخت الزكوة وشقيقتها وهي الصلوة وأن يراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح أن يتناول كل منفق وأنفق الشيء وأنفده أخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك إذا تأملت والذين يؤمنون أهم غير الأولين أم هم الأولون وإنما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب يحتمل أن يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام

وأضرابه من الذين آمنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة واجتماعهم على الاقرار بالنشأة الاخرى واعادة الارواح في الاجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال يجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون فزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل ان يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه

فان قلت فاذا اريد بهؤلاء غير اولئك فهل يدخلون في جملة المتقين ام لا

قلت ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة المتقين مشتملة على الزمرتين من مؤمني اهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكأنه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك

فان قلت قوله بما انزل اليك ان عني به القرآن باسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ الماضي وان اريد به المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب

قلت المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ الماضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال انا وانت فعلنا وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كله كأنه قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشيء الا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الآخرة على خلاف حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من آمن بما انزل اليك وما انزل من قبلك والايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تأنيث الآخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة فجعلها وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة الارض وقرأ ابو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كأنها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه

لحب المؤقدان الي مؤسى وجعدة اذا اضاءهما الوقود

اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدأ والا فلا محل لها من الاعراب ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل ان يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته كأنه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم اي الذين هؤلاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره احب رسول الله الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك كأنما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واعلم ان هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته كقولك قد احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستئناف باعادة الصفة احسن وابلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه

فان قلت هل يجوز ان يجري الموصول الاول على المتقين وان ينقطع الثاني على الابتداء واولئك خبره

قلت نعم على

لجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضاً باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم
ينالون الفلاح عند الله وفي اسم الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد
عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من اجل الخصال التي عددت لهم كما قال
حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالاً فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله فذلك ان
وان عاش لم يقعد ضعيفاً مذمما ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من
الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به حيث شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه
ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى
الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه من
قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا به على اعمال الخير والترقي الى الافضل
فالافضل ونكر هدى ليفيد ضرباً مبهماً لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل
على اي هدى كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت رجلا وقال الهذلي شعر
فلا وابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم والنون في من ربهم ادغمت
بغنة وبغير غنة فالكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية والهاشمي عن ابن كثير
لم يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي عنه فيها روايتان و
اولئك هم المفلحون في تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى
فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تمييزهم بها عن غيرهم بالمثابة
التي لو انفردت كفت مميزة على حيالها فان قلت لم جاء مع العاطف وما الفرق
بينه وبين قوله اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون قلت
قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان
لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة
الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل وهم فصل وفائدته الدلالة
على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة
للمسند اليه دون غيره او هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر اولئك
ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم

يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت من هو
فقيل زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته او على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين
وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما
تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر
كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى
وهي ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين
اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا
ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا يقتضيه حكمته
ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة من صدرت
بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه
الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحي
بامرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته
في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم
أم لم تنذرهم لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم
لاصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر
اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم
اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته فان قلت
لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله ان الابرار لفي
نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الآي الكثيرة قلت ليس وزان هاتين القصتين
وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى
للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين في الغرض
والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف فان قلت هذا اذا زعمت ان الذين
يؤمنون جار على المتقين فاما اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته
بكلام آخر في صفة اضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة قلت قد مر لي ان
الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وانه مبني على تقدير سؤال فذلك ادراج

له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وإن كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجاري
عليه والتعريف في الذين كفروا يجوز أن يكون للعهد وأن يراد بهم ناس بأعيانهم كأبي لهب
وأبي جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأن يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره
تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء
الإنذار وتركه عليهم وسواء اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر
ومنه قوله تعالى تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم في أربعة أيام سواء للسائلين
بمعنى مستوية فارتفاعه على أنه خبر لأن وأأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع
المرتفع به على الفاعلية كأنه قيل إن الذين كفروا مستو عليهم إنذارك وعدمه
كما تقول إن زيدا مختصم أخوه وابن عمه أو يكون أأنذرتهم أم لم تنذرهم في موضع
الابتداء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم إنذارك وعدمه والجملة خبر لأن فإن قلت
الفعل خبر لا مخبر عنه فكيف صح الإخبار عنه في هذا الكلام قلت هو من جنس
الكلام المهجور فيه جانب اللفظ إلى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون في مواضع
من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن
معناه لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن وإن كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح
من عطف الاسم على الفعل والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما
معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى
على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعني أن هذا جرى على صورة الاستفهام
ولا استفهام كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما
في علم المستفهم عنهما لأنه قد علم أن أحد الأمرين كائن إما الإنذار وإما عدمه
ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معين وقرئ أأنذرتهم بتحقيق الهمزتين
والتخفيف أعرب وأكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط ألف بينهما محققتين
وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه وإلقاء حركته
على الساكن قبله كما قرئ قد أفلح فإن قلت فما تقول فيمن يقلب الثانية ألفا
قلت هو لاحن خارج من كلام العرب خروجين أحدهما الإقدام على جمع
الساكنين على غير حده وحده أن يكون الأول حرف لين والثاني حرفا مدغما

نحو قوله الضالين وخويصة والثاني إخطاء طريق التخفيف لأن طريق تخفيف الهمزة
المتحركة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس والإنذار التخويف من عقاب الله بالزجر
عن المعاصي فإن قلت ما موقع لا يؤمنون قلت إما أن يكون جملة مؤكدة
للجملة قبلها أو خبرا لأن والجملة قبلها اعتراض ختم الله على قلوبهم وعلى
سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة الختم والكتم أخوان لأن في الاستيثاق
من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل إليه ولا يطلع عليه والغشاوة
فعالة من غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعمامة والعصابة فإن قلت
ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار قلت لا ختم ولا تغشية
ثم على الحقيقة وإنما هو من باب المجاز ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما
الاستعارة والتمثيل أما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها
ولا يخلص إلى ضمائرها من قبل إعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده
وأسماعهم لأنها تمجه وتنبو عن الإصغاء إليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق
منها بالختم وأبصارهم لأنها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة
كما تجتليها أعين المستبصرين كأنما غطي عليها وحجبت وحيل بينها وبين الإدراك
وأما التمثيل فأن تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الأغراض التي كلفوها وخلقوا من
أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل
بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختما عليه فقال ختم الإله على لسان عذافر
ختما فليس على الكلام بقادر وإذا أراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر ناقر فإن قلت
فلم أسند الختم إلى الله وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه
بطرقه وهو قبيح والله تعالى يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه
عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما أنا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا
هم الظالمين إن الله لا يأمر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل قلت
القصد إلى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها وأما إسناد الختم إلى الله تعالى فلينبه
على أن هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي ألا ترى إلى
قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون أنه بليغ في الثبات عليه وكيف

مما خيل اليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة حالهم
ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على
قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطال
الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه
من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي هي في خلوها
عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه
وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز
ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون الختم مسندا الى اسم الله
على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس
الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل
حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى
استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد
في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي
عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم
وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب
بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال اذا رد عافي القدر من يستعيرها
فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه لما كان هو الذي
اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو
انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا
تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام
العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر و
الالجاء واذا لم تبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في
التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى
امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر و
وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه

خامس وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في
الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
منفكين حتى تاتيهم البينة اللفظ يحتمل ان تكون
الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول على دخولها في
حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم
على سمعهم دون قلوبهم اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى
سمعهم لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة
وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين
وحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك
اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه
ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه
جمع الاذن وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس
سمعهم وقرا ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم هل منع ابا عمرو
والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد
لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كان فيها كسرتين وذلك
اعون شيء على الامالة وان يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به
الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتامل وكانهما
جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة
بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشوة بالفتح والنصب والرفع وعشاوة
بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول
اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش
ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه
ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم
فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق

بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم
فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا
تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم
نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله تعالى
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين افتتح
سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم
ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا
قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا
خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا
الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم اليه وامقتهم
عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك
انزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا
في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم
وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل
بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة
وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة
على الجملة واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وحذف
التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان واناسي وانا
وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي الجن لاجتنانهم
ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول الا ترى انك تقول في
قه افعل وليس معك الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع كرخال واما نويس
فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كانيسيان ورويجل ولام التعريف فيه
للجنس ويجوز ان يكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه
قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن في حالهم من اهل
التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني

والقوم لئام ومن في من يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا
كقوله من المؤمنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة
كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي فان قلت كيف يجعلون بعض اولئك والمنافقون
غير المختوم على قلوبهم قلت الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا
وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها
على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا بعضا
من الجنس فان الاجناس انما تتنوع لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك
المغايرات انما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية فان قلت لم اختص
بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر قلت اختصاصهما بالذكر كشف
عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود
بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه
على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها
لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وخديعة للمسلمين واستهزاء بهم
وتمويههم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا
فقد اوهموا في هذا المقال انهم اختاروا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه
واحاطوا باوله وآخره وفي تكرير الباء انهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة
الصحة والاستحكام فان قلت كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله
وباليوم الآخر والاول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل
قلت القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق ادى الى الغرض
وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان
تكون طائفة من المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم
في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته
لانفسهم على سبيل البت والقطع ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار
وما هم بخارجين منها هو ابلغ من قولك وما يخرجون منها فان قلت لم اطلق
الايمان في الثاني وهو مقيد في الاول قلت يحتمل ان يراد التقييد

وما هم بمؤمنين بالايمان بالله واليوم الآخر

الدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في شيء قط
لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما فان قلت ما المراد
باليوم الآخر قلت يجوز ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم
الذي لا ينقطع لتأخره عن الاوقات المنقضية وان يراد الوقت المحدود من النشور
الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة
الذي لا حد للوقت بعده يخادعون الله والذين آمنوا والخدع ان يوهم
صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع
اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب آخر
فان قلت كيف ذلك ومخادعة الله تعالى والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي
لا تخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون
وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله واستمطروا من قريش
وقول ذي الرمة ان الحليم وذا الاسلام يختلب وقد جاء النعت بالانخداع ولم
يأت بالخدع قلت فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله
حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع
الله معهم حيث امر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد الكفرة
واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين
معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم والثاني ان
يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من
كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان
لذاته تعلقا بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز ان
يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس
على عباده ويخدعهم والثالث ان يذكر الله ويراد الرسول لانه خليفته في
ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا و
كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم
رسمه قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع

الرسول فقد اطاع الله والرابع ان يكون من قولك اعجبني زيد وكرمه فيكون
المعنى يخادعون الذين آمنوا وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان
المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله
ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في
كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه
لانه كان معلوما له قديما كأنه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد
لذكر فضله فان قلت هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح قلت
وجهه ان يقال عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها
للمغالبة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله
وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرأ
يخدعون الله والذين آمنوا وهو ابو حيوة ويخادعون بيان ليقول ويجوز
ان يكون استئنافا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين وما رفقهم في ذلك فقيل
يخادعون فان قلت وعمّ كانوا يخادعون قلت كانوا يخادعون عن اغراض لهم
منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما يطرقون به من سواهم من الكفار
ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم
واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم
بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم فان قلت
فلو اظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم قلت لم يظهر
عليهم لما احاط به علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء
ابليس وذريته وامهالهم وما هم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم
النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة فان قلت
ما المراد بقوله وما يخدعون الا انفسهم قلت يجوز ان يراد وما يعاملون
تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لان ضررها يلحقهم و
مكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اي دائرة
الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في

ذلك يخدعون انفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون
من خدع فجي به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من
خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون بلفظ ما
لم يسم فاعله والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندي كذا نفسا ثم
قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الى قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى الروح
وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من
الماء كل شيء حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين اصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل
وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد في الامر واتجه له رايان وداعيان
على ايهما يعرج كانهم ارادوا داعيي النفس وهاجسي النفس فسموهما نفسين
اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين
له شبهوهما بذاتين والمراد بالانفس هاهنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم
ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز
ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم **وما يشعرون** والشعور علم الشيء علم حس
من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس
وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له **في قلوبهم مرض** واستعمال المرض في القلب
يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في جوفه
مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد
والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك
مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقائض
ذلك والمراد هنا ما في قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد
والبغضاء لان صدورهم كانت تغلي على رسول الله والمؤمنين غلا وحنقا
ويبغضونهم البغضاء التي وصفها الله تعالى في قوله قد بدت البغضاء من افواههم
وما تخفي صدورهم اكبر ويحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم
وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه
وآله وبارك وسلم اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله

الذي اعطاك ولقد اصطلح اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله
ذلك بالحق الذي اعطاكه شرق بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف
والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يتحدثون به
ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق اياما ثم يقر فضعفت
حين ملكها اليأس عندما انزل الله على رسوله النصر واظهار دين الله الحق
على الدين كله واما لجراءتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا
حين قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا نصرة الله المسلمين وامداد الله
لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصرت بالرعب مسيرة
شهر **فزادهم الله مرضا** ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل الله
على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى كفرهم فكان الله
الذي زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب له كما اسنده الى السورة
في قوله فزادتهم رجسا لكونها سببا او كلما زاد رسوله نصرة وتبسطا
في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت
قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل
ان يراد بزيادة المرض الطبع وقرأ ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض فمرضا
بسكون الراء **ولهم عذاب اليم** يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع و
على طريقة قولهم جد جده والالم في الحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد **بما**
كانوا يكذبون والمراد بكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز
الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم
ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا والقوم كفرة وانما خصت
الخطيئات استعظاما وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشيء على
خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما يروى عن ابراهيم صلوات الله عليه
انه كذب ثلث كذبات فالمراد التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب
سمي به وعن ابي بكر رض وروي مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان
وقرئ يكذبون من كذبه الذي هو نقيض صدقه ومن كذب الذي هو مبالغة في كذب

كما بولغ في صدّق ونظيرهما بان الشيء وبيّن وقلص الثوب وقلّص او بمعنى
الكثرة كقولك موّتت البهائم وبرّكت الابل ومن قولهم كذب الوحشي اذا
جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد في امره
ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العائرة
بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة **واذا قيل لهم** معطوف على يكذبون او
على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم **لا تفسدوا
في الارض** كان صحيحا والاول اوجه والفساد خروج الشيء عن حال الاستقامة
وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة
والفساد في الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك فساد ما في الارض وانتفاء
الاستقامة عن احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله
تعالى اذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل وقال أتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طي
حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمايلون الكفار
ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما
يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل
لهم لا تفسدوا كما تقول للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك في النار
اذا اقدم على ما هذه عاقبته **قالوا انما نحن مصلحون** انما لقصر الحكم على شيء
كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى انما
نحن مصلحون ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من
وجه من وجوه الفساد **ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** ألا مركبة
من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها
والاستفهام اذا دخل على النفي افاد تحقيقا كقوله أليس ذلك بقادر ولكونها
في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقى
به القسم واختها التي اما من مقدمات اليمين وطلائعها اما والذي ابكى
واضحك رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين ابلغ رد وادله على

سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستئناف وما في كلتا الكلمتين الا وان
من التأكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون **واذا قيل
لهم آمنوا كما آمن الناس** اتوهم في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح
ما كانوا عليه لبعده عن الصواب وجرّه الى الفساد والفتنة والثاني
تبصيرهم الطريق الاسدّ من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم
فكان من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم وجهّلوهم لتمادي جهلهم
وفي ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة **فان قلت** كيف صح ان يسند قيل
الى لا تفسدوا وآمنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح **قلت** الذي
لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كأنه قيل
واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام فهو نحو قولك الف ضرب من ثلاثة احرف
ومنه زعموا مطية الكذب وما يجوز ان تكون كافة مثلها في ربما ومصدرية
مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما آمن رسول الله ومن معه
وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم
وابناء جنسهم اي كما آمن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما آمن الكاملون
في الانسانية او جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم
في فقد التمييز بين الحق والباطل **قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء** الهمزة
فيه للانكار واللام في السفهاء مشار بها الى الناس كما تقول لصاحبك
ان زيدا قد سعى بك فيقول او قد فعل السفيه ويجوز ان تكون للجنس وينطوي
تحته الجاري ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانه عندهم اعرق الناس في السفه
فان قلت لم سفهوهم واستركّوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح **قلت**
لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه هو الحق
وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولانهم كانوا في رياسة
وبسطة في قومهم ويسار وكان اكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب
وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم او ارادوا عبد الله بن سلام
واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم

قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم بانهم من السفهاء
والسفه سخافة العقل وخفة الحلم **ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون**
فلم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتي قبلها بلا يشعرون قلت
لان امر الديانة والوقوف على ان المؤمنين على الحق وهم على الباطل
يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة واما النفاق وما فيه من
البغي المؤدي الى الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي مبني على العادات
معلوم عند الناس خصوصا عند العرب في جاهليتهم وما كان قائما بينهم من
التغاور والتناحر والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو
جهل فكان ذكر العلم معه احسن طباقا له **وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا
آمنا** صفاقهم هذه الآية بخلاف ما سيقت له اول قصة المنافقين فليس
بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه في بيان
ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم
بوجوه المصادقين وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم
صدقوهم ما في قلوبهم وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم
فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عبد الله
انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر رض فقال مرحبا بالصديق
سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله
لرسول الله ثم اخذ بيد عمر رض فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في
دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم اخذ بيد
علي رض فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف فعلت فاثنوا عليه خيرا
فنزلت ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جاري ملاقي
ومراوي وقرأ ابو حنيفة واذا لاقوا **واذا خلوا الى شياطينهم** خلوت
بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك
ذم اي عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه

وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية
بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانا واذمه
اليك وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون
الشياطين في موضع من كتابه اصلية وفي آخر زائدة والدليل على اصالتها قولهم
تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط
اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن اسمائه الباطل **قالوا انا معكم**
وموافقوكم على دينكم **ان قلت** لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية
وشياطينهم بالاسمية محققة بان **قلت** ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا
باقوى الكلامين واوكدهما لانهم في ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه
من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم
وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث
ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما
لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه
ويطمعون في رواجه وهم بين ظهراني المهاجرين والانصار الذين مثلهم في
الانجيل الا ترى الى حكاية الله تعالى قول المؤمنين ربنا اننا آمنا واما مخاطبة
اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على
الكفر والبعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما
قالوه من ذلك فهو رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد
ان قلت انى تعلق قوله **انما نحن مستهزءون** بقوله انا معكم **قلت**
هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن
مستهزءون رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر
له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تاكيد لثباته او بدل منه لان
من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استئناف كانهم اعترضوا عليهم حين قالوا
لهم انا معكم فقالوا فما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا
انما نحن مستهزءون والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من

الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت
فظننت لاهزأن على مكاني وناقته تهزأ به اي تسرع وتخف **يستهزئ بهم**
فان قلت لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية
من باب العيب والجهل الا ترى الى قوله قالوا أتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان
اكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم قلت معناه انزال الهوان والحقارة
بهم لان المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به و
ادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر
التهكم في كلام الله تعالى بالكفرة والمراد تحقير شأنهم وازدراء امرهم والدلالة
على ان مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز
ان يراد به ما مر في يخادعون من انه يجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو
مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فان قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ
بهم ولم يعطف على الكلام قلت هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة و
فيه ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم
اليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان
والذل وفيه ان الله تعالى هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما
للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله فان قلت فهلا
قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزئون قلت لان
يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات
الله فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين
وما كانوا يخلون في اكثر اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار و
نزول في شأنهم واستشعار حذر من ان تنزل فيهم يحذر المنافقون ان
تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا ان الله مخرج ما تحذرون
ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه و
يكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض

اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله
بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت انه
من المدد دون المد في العمر والاملاء والامهال قلت كفاك دليلا على
انه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع
واخوانهم يمدونهم على ان الذي بمعنى امهله انما هو مد له مع اللام كاملى
له فان قلت فكيف جاز ان يولي الله تعالى مددا في الطغيان وهو فعل
الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي قلت اما
ان يحمل على انهم لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب
كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح
والنور في قلوب المؤمنين فسمي ذلك التزايد مددا واسند الى الله سبحانه لانه
مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما على ان
يسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين
اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال
وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف
الاقدام على ان يسندوا الى الله تعالى ما اسند الى الشياطين ولكن المعنى
الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد بصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام
ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد في مذاهبه بقاء
النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح
فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل
ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وان هؤلاء
من اهل الطبع والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرأ زيد بن
علي رضي الله عنهما في طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان و
غنيان فان قلت اي نكتة في اضافته اليهم قلت فيها ان الطغيان والتمادي
في الضلالة مما اقترفته انفسهم واجترحته ايديهم وان الله بريء منه ردا
لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند

اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم ان الطغيان فعله فلما اسند اليه
المد على الطريق الذي ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع
في صدره من يتحدث في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين اطلق
الغي ولم يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي **يعمهون**
اي تلقه في اضافة اليهم والعمه مثل العمى الا ان العمى عام في البصر والرأي
والعمه في الرأي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه ومنه
قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا رأي لهم ولا دراية بالطرق وسلك ارضا
عمهاء لا منار بها **اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى** ومعنى اشتراء
الضلالة بالهدى اختيارها واستبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء
فيه اعطاء بدل واخذ آخر ومنه احدث بالجمة راسا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدردا

ذاله لم يصح هب ان شري الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال
فما معنى الربح والتجارة كان ثم مبايعة على الحقيقة هذا من الصنعة البديعية
التي تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة المجاز ثم تقفى باشكال
لها واخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن ديباجة واكثر ماء ورونقا منه وهو
المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب في البليد كان اذني قلبه خطلا وان جعلوه
تمثيلا ذلك رومًا لتحقيق البلادة فادعوا للقلبه اذنين وادعوا لهما الخطل
ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه
ولما رأيت النسر عز ابن دأية وعشش في وكريه جاش له صدري لما شبه الشيب بالنسر
والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم في امه
وانا دلت بعالمة باخلاق الكرام اذا الشيطان قصع في قفاها تنفقناه بالحبل التوام

الآتي ولا مرما اكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه امثاله وفشت في كلام
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلام الانبياء والحكماء وتلك الامثال نضربها
للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في
اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه و
شبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا راوه
اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه
ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير ما معنى مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه احد المثلين
بصاحبه قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة
او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان كحال
الذي استوقد نارا وكذلك قوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اي فيما قصصنا
عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجائبها ولله المثل الاعلى
اي الوصف الذي له شان من العظمة والجلالة مثلهم في التورية اي صفتهم و
شانهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر
فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان كيف مثلت الجماعة بالواحد
وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ وضع
الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات
امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر
وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه
بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في اسماء
الفاعلين والمفعولين والثاني ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون انما
ذاك علامة لزيادة الا ترى ان سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن
واحد او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على
ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد حتى يلزم منه تشبيه
الجماعة بالواحد وانما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين

حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك
نظر المغشي عليه من الموت ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواته
وقد في الجبل اذا صعد وعلا والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق والنور ضوؤها
وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة
واضطرابا والنور مشتق منها **فلما اضاءت ما حوله** والاضاءة فرط الانارة
ومصداق ذلك قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية
متعدية ويحتمل ان يكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى
لان ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت
وفيه وجه آخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله
بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة وحوله
نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور
اين جواب لما فيه وجهان احدهما ان جوابه **ذهب الله بنورهم**
والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز حذفه لاستطالة
الكلام مع امن الالباس للدال عليه وكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من
الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من اللفظ
في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين
متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار
فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم يكون كلاما مستانفا
كانهم لما شبهت حالهم بحال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم او يكون
بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان قد رجع الضمير في هذا الوجه
الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني مرجعه الذي استوقد ولانه في معنى
الجمع واما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى
اخرى فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم
اذا طفئت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور
المستوقد ووجه آخر وهو ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك

الذي طفئت ناره ثم عرض سائل فقال ما بالهم
قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد

للنار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب
اطفاها الله واما نارا حقيقة اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة الى بعض
المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث اطفاها الله تعالى وخيب امانيهم
كيف صح في النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد هو خارج على
المجاز المرشح فاحسن تدبره هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت
ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم
لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا و
طمسه اصلا الا ترى ذكر عقيبه والظلمة عبارة عن عدم
النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على
انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون
فلم وصفت بالاضاءة هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل و
لريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل نزوة كل طماح والفرق بين
اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه
ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به اذن لذهب كل اله بما
خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وامسكه وما يمسك الله
فلا مرسل له فهو ابلغ من الاذهاب وقرا اليماني اذهب الله نورهم وترك
بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فاذا علق بشيئين
كان مضمنا معنى صير فجرى مجرى افعال القلوب كقول عنترة شعر
فتركته جزر السباع ينشنه ومنه قوله وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات
ثم دخل ترك فنصب الجزئين فالظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور و
اشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد
البصر وتمنع الروية وقرا الحسن ظلمات بسكون اللام وقرا اليماني في ظلمة
على التوحيد والمفعول الساقط لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا
يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد اصلا
نحو يعمهون في قوله ويمدهم في طغيانهم يعمهون فيم شبهت

حالهم بحال المستوقد في انهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا
في حيرة واين الاضاءة في حال المنافق وهل هو الا حائر خابط
في ظلمات الكفر المراد ما استضاءوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة
المجراة على السنتهم ووراء استضائتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي
ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله
بنور المستوقد اطلاع الله تعالى على اسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا
به من سمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع لقوله صم بكم عمي وفي الاية تفسير اخر
وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل
هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع
بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم
صم بكم عمي كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة
الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا بعيونهم
جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك
كقوله شعر صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا اصم عما ساءه
اصم عن الشيء الذي لا اريده واسمع خلق الله حين اريد فاصممت عمرا واعميته
عن الجود والفخر يوم الفخار كيف طريقته عند علماء البيان
وذاك في الاسماء طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا
في الصفات وذاك في الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات والافعال
جميعا تقول رايت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق
هل يسمى ما في الاية استعارة مختلف فيه والمحققون على تسميته
تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة
انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به
المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير شعر
لدى اسد شاكي السلاح مقذف له لبد اظفاره لم تقلم ومن ثم ترى المفلقين السحرة
منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام

وصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة في السماء ولبعضهم لا تحسبوا ان في سرباله
رجلاً ففيه غيث وليث مسبل مشبل وليس لقائل ان يقول طوي ذكرهم عن الجملة بحذف
المبتدأ فأتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به ونظيره
قول من يخاطب الحجاج شعر اسد علي وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر
ومعنى فهم لا يرجعون انهم لا يعودون الى الهدى بعد ان باعوه او عن الضلالة
بعد ان اشتروها تسجيلاً عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين
بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتأخرون والى
كيف يرجعون الى حيث ابتدؤا منه أو كصيب من السماء فيه ظلمات
ورعد وبرق ثنى الله سبحانه وتعالى في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفاً لحالهم
بعد كشف وايضاحاً غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز
ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل و
يشبع انشد الجاحظ يرمون بالخطب الطوال وتارة وحي الملاحظ خيفة الرقباء
ومما ثنى من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات و
لا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات الا ترى الى ذي الرمة
كيف صنع في قصيدته اذاك ام نمش بالوشي اكرعه اذاك ام خاضب بالسي مرتعه
قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد ناراً واظهاره الايمان
بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب
وبالظلمات وبالرعد والبرق وبالصواعق لقائل ان يقول شبه دين الاسلام
بالصيب لان القلوب تحيى به حيوة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار
بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع
والبلايا والفتن من جهة اهل الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد
كمثل قوم اخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا هذا
تشبيه اشياء باشياء فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي
الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرء القيس
كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي
كان

ذلك صريحاً فقد جاء مطوياً ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران
هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء
متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل والصحيح الذي عليه علماء البيان لا يتخطونه ان
التمثيلين جميعاً من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شيء
يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب تأخذ اشياء فرادى
معزولاً بعضها من بعض لم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس
وجاء في القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى
عادت شيئاً واحداً باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التورية الآية الغرض
تمثيل حال اليهود في جهلها بما معها من التورية وآياتها الباهرة بحال الحمار في جهله
بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما
سواها من الاوقار ولا يشعر من ذلك الا بما يمر به فيه من الكد والتعب وكقوله
واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا
كقلة بقاء الخضر فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض
ومصيرة شيئاً واحداً فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين في ضلالتهم وما
خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد
من طفئت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السماء في
الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق الذي كنت تقدر
في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيب هل
تقدر مثله في المركب منه لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم
في آذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنياً عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة
من مجموع الكلام فلا علي اولي حرف التشبيه مفرداً يتأتى التشبيه به ام لم يله
الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الآية كيف ولي الماء الكاف وليس الغرض تشبيه
الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد وما الناس الا كالديار واهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا
وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم وتركها خلاء

اي التمثيلين ابلغ الثاني لانه ادل على فرط الحيرة
وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخر وهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون
الى الاغلظ لم عطف احد التمثيلين على الآخر بحرف الشك او في
اصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي
في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان
في استصواب ان تجالسا ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا
اي الآثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه
ان كيفية قصة المنافقين مشبهة بكيفيتي هاتين القصتين وان القصتين سواء
في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان
مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال
للسحاب ايضا صيب قال الشماخ واسحم دان صادق الرعد صيب
وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار في التمثيل
وقرئ كصائب والصيب ابلغ والسماء هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف
قوله من السماء ما الفائدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السماء
الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى ان يتصوب من افق واحد من
بين سائر الآفاق لان كل افق من آفاقها سماء كما ان كل طبقة من الطباق سماء
في كل سماء امرها والدليل عليه قوله ومن بعد ارض بيننا وسماء والمعنى انه
غمام مطبق آخذ بآفاق السماء وكما جاء بصيب وفيه مبالغات من جهة
التركيب والبناء والتنكير امد ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من
السماء ومنها ياخذ ماءه لا كزعم من يزعم انه ياخذ من البحر ويؤيده قوله
وينزل من السماء من جبال فيها من برد بم ارتفع ظلمات
بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من السحاب
كان اجرام السحاب تضطرب وتنتقض اذا اخذتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد
والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا اذا لمع قد جعل
الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو من ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما

ظلماته اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته و
تطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانسجامه
بتتابع القطر فظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل كيف يكون المطر مكانا
للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب اذا كانا للبرق والرعد وانهما كانا
في اعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة به فهما فيه الا تراك تقول فلان في البلد
وما هو الا في حيز يشغله جرمه هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ
كقول البحتري يا عارضا متلفعا ببروده يختال بين بروقه ورعوده وكما
قيل ظلمات فيه وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين
في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما
وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما
جاءت هذه الاشياء منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية
ورعد قاصف وبرق خاطف يجعلون اصابعهم في آذانهم وجاز رجوع الضمير
في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال او هم
قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عول
على بقاء معناه في قوله يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا لانه
لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكان قائلا قال فكيف حالهم مع
مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك
البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم رؤوس الاصابع هي التي
تجعل في الآذان فهلا قيل اناملهم هذا من الاتساعات في اللغة التي
لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم وقال فاقطعوا
ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا ففي ذكر الاصابع
من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل فالاصبع التي تسد بها الاذن اصبع
خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص لان السبابة فعالة من السب
فكان اجتنابها اولى بآداب القرآن الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة

والسباحة والمهللة والدعاءة فهلا ذكر بعض هذه الكنايات
هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها
بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم
في اذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة
من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا
تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على
نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته
اي اماتته اما بشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا
وقرا الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البنائين سواء في التصرف
واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول صقعه على رأسه
وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه
لاستوائهما في التصرف وبناؤهما اما ان تكون صفة لقصفة الرعد او للرعد
والتاء مبالغة كما في الراوية او مصدرا كالكاذبة والعافية حذر الموت
وقرا ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره
واعرض عن شتم اللئيم تكرما والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه
احساس معاقب للحيوة والله محيط بالكافرين واحاطة الله بالكافرين
مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه
الجملة اعتراض لا محل لها من الاعراب يكاد البرق يخطف ابصارهم والخطف
الاخذ بسرعة وقرا مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح افصح وعن علي وعن ابن
مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف
وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف من
خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم
مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا استيناف ثالث كانه جواب لمن يقول
كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على
المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما ياتون

وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا
تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا
واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في
ضوء البرق فاعماهم واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا
اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح
نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة
المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي واذا ازداد فهو عدو فان قلت كيف قال مع
الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا قلت لانهم حراص على وجود ما همهم
به معقود من امكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس
كذلك التوقف والتحبس وليس يحتمل ان يكون غير متعد وهو اظلم وان
يكون متعديا منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة يزيد بن قطيب اظلم على
ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن اوس شعر هما اظلما حالي ثمت اجليا
ظلاميهما عن وجه امرد اشيب وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة
فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء
الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى
قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد
ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ومفعول شاء محذوف لان
الجواب يدل عليه والمعنى لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها
ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء
المستغرب كنحو قوله شعر ولو شئت ان ابكي دما لبكيته وقوله لو اردنا ان نتخذ
لهوا ولو اراد الله ان يتخذ ولدا ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد
وابصارهم بوميض البرق وقرا ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة
الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم ان الله على كل شيء قدير والشيء ما صح
ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري اواخر
الكلم من العربية وانما يخرج التانيث من التذكير الا ترى ان الشيء يقع
على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم

العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء
لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر الاشياء المعلومات وعلى المعدوم والمحال
كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل
وفعل قادر آخر … مشروط في حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا
فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكانه قيل
على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه
منهم ولم تدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين
فمختلف فيه … ومن اشتقاق القدير … من التقدير لانه يوقع
فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز يا ايها الناس
اعبدوا ربكم لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار
والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت
به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم
بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين
وهو فن من الكلام جزل فيه هزة وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك
حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت
عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان
تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد في
مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه
الى ارشادك زيادة استدعاء واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة
هازا من طبعه ما لا يجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث
والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الانفس
للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابرهيم عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها
الناس فهو مكي ويا ايها الذين آمنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا
ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد هيا صوت يهتف
به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله اي والهمزة ثم استعمل في مناداة
من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المفاطن

فذلك التأكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معنى به جدا … فما بال
الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر
هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله تعالى
ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله تعالى مع فرط التهالك
على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله واي وصلة الى نداء ما فيه الالف
واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف
بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس
او ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف
النداء هو اي والاسم التابع له صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان اي لا يستقل بنفسه
استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح
ضرب من التاكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها
لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما
يستحقه اي من الاضافة … وكثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة
ما لم يكثر في غيره … لاستقلاله باوجه من التاكيد واسباب من المبالغة
لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه وعظاته وزواجره
ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما انطق
به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم
وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا بالآكد الابلغ
… الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين
جميعا او الى كفار مكة خاصة على ما روي عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون
ربهم فكيف امروا بما هم ملتبسون به وهل هو الا كقول القائل …
يسئله وهو قائم ان يقوم واما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف
يعبدونه … المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم
عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط
على المأمور بالصلاة والزكوة شرائطهما من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد

للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به فان لم يذكر حيث لم ينفصل الا به وكان من لوازم
على ان مشركي مكة كانوا يعرفون الله تعالى ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله
فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا لشيئين معا الامر بالعبادة والامر بالازدياد
الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا آخر ربكم ما المراد
كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم
فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم مشترك فيه رب السموات والارض والآلهة
التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة
مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فربكم على الحقيقة والذي خلقكم
جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة
خاصة الا ان الاول اوضح واصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء
يقال خلق النعل اذا قدرها بالمقياس وقرأ ابو عمرو خلقكم بالادغام والذين
من قبلكم وقرأ ابو السميفع وخلق من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها
على اشكالها ان يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم
جرير في قوله يا تيم تيم عدي لا ابا لكم تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه
وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا ابا لك لعلكم
تتقون ولعل للترجي والاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال
الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين
آمنوا مشفقون منها على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع
من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه لا محالة لجري اطماعه مجرى وعده
المحتوم وفائه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولكن الحقيقة ما القيت اليك
وايضا فمن ديدن الملوك وما عليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا
في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم على انجازها ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما
من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة او الابتسامة او النظرة
الحلوة فاذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب لما عندهم شك في النجاح
والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك بالعز والكبرياء او يجيء

على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا ايها الذين آمنوا توبوا
الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم فلعل التي
في الآية ما معناها وموقعها ليست مما ذكرناه في شيء لان قوله خلقكم
لعلكم تتقون لا يجوز ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل
واقعة في المجاز لا الحقيقة لان الله تعالى خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب
فيهم العقول والشهوات وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين
ووضع في ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة
المرجو منهم ان يتقوا ليترجح امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان
كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وبين ان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل
ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن
شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار كما خلق المخاطبين لعلهم
يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون
قبلهم لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ
والمعنى على ارادتهم جميعا فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او
اتقوا ليتجاوب طرفا النظم ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي
ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا
قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان
ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت لها في النفوس ونحوه ان تقول
لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني الا لجر الاثقال ولو قلت
لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع الذي جعل لكم الارض
فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون قدم سبحانه من
موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه
سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة والشكر وغيرهما
ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن

ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا
القرار ثم ما سوّاه من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء
عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار
رزقا لبني آدم ليكون لهم معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف
ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم و
ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد
شيء فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوق
له اندادا وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو قادر عليه والموصول
مع صلته اما ان يكون في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح و
التعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرأ يزيد
الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا
ومعنى جعلها للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احد
على فراشه وبساطه ومهاده هل فيه دليل على ان الارض مسطحة
وليست بكرية ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش
وسواء كانت على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا
مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا في
الجبل وهو وتد من اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض
اسهل والبناء مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء او طرافا وابنية
العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها
خباء جديدا ما معنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته
ومشيته المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها ومادة لها كماء الفحل
في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب ولا مواد كما
انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها من حال
الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار
بعيون الاستبصار من عباده عبرا وافكارا وزيادة طمأنينة وسكون الى

عظيم قدرته وغرائب حكمته ولينشئ لك في انشائها بغتة من غير تدريج ومن
ومن في الثمرات للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله
فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين اعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما
معنى البعضية كانه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض
رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج
بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق في الثمرات ويجوز ان تكون للبيان كقولك
انفقت من الدراهم الفا بم انتصب رزقا ان كانت من
للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج
فان قلت فالثمر المخرج من ماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر او
الثمار فيه وجهان ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان
ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره كلمة الحويدرة لقصيدته
وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها
موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلثة قروء ويعضد
الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد ولكم صفة
جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل
رزقا اياكم بم تعلق فلا تجعلوا فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق
بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا اندادا لان اصل العبادة واساسها التوحيد
وان لا يجعل لله ند ولا شريك او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فاطلع في
قوله لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص
عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل
جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي حفظكم بهذه الآيات العظيمة و
الدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا
يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير اتيما تجعلون الي ندا وما تيم لذي حسب نديد
ونادت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند
ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه كانوا يسمون اصنامهم

بعض

اصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب ويزعمون انها تخالف الله
تعالى وتناويه لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حال
من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على
سبيل التهكم كما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع
شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك
قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه شعر اربا واحدا ام الف رب
ادين اذا تقسمت الامور وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا
ما معنى وانتم تعلمون معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة التمييز بين
الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة
في التدابير والدهاء والفطنة بمنزلة لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا
ساكنوا الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة
بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كانه قيل وانتم من اهل
العلم والمعرفة والتوبيخ فيه آكد اي انتم العارفون المميزون ثم ان ما انتم عليه في
امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة
العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها
من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا
بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك
ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك
فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو
الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما يدحض الشبهة في
كون القرآن معجزة وأراهم كيف يتعرفون أهو من عند الله كما يدعي ام هو من
نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم
ابناء جنسه واهل جلدته لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون
الانزال لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه

لمكان التحدي وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله لكان مخالفا لما
يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل
وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد
منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة و
الحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه
او رسائله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة
قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل
ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا انتم نوبة
واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور او آيات
شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا
يريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وامته والسورة الطائفة من القرآن
المترجمة محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون
من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما التي
بالسورة لانها التي هي الرتبة قال النابغة شعر ولرهط حراب وقد سورة
في المجد ليس غرابها بمطار لان السور بمنزلة المنازل والمراتب
يترقى فيها القارئ وهي ايضا في انفسها مترتبة طوال واوساط وقصار
او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة
فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التي هي البقية من الشيء والفضلة
منه ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا ليست الفائدة
واحدة ولامر ما انزل الله التوراة والانجيل والزبور وسائر ما اوحاه
الى انبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون
في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس
اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم من
ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم
اخذ في آخر كان انشط له واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه

لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزئ القرآن اسباعا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة افضل ومنها ان التفصيل بسبب تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها بالبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع من مثله متعلق بسورة صفة لها اي بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد فان قلت وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل قلت معناه فأتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة في حسن النظم او فأتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا اميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل اوجه لقوله فأتوا بسورة من مثله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولأن القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا يفك عنه برد الضمير الى غيره الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله ان يقال وان ارتبتم في ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانه اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما اتى واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت واحد آخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان

واجزاء وعشورا واخماسا

هذا التفسير هو المناسب لقوله **وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين** والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذلك اذا كان احط منه قليلا ودونك هذا اصله خذه من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه قول من قال لعدوه وقد راءاه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية يا نفس ما لك دون الله من واق اي اذا تجاوزت وقاية الله فلم يقك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيمة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تأبى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال في عقولهم احالته وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقول العاجز عن اقامة البينة

وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصح بها الدعاوى عند الحكام
وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق
لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على
انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال
قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة او ادعوا من
دون الله شهداء يعني ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو
بينكم وبين اعناقكم والجن والانس شاهدكم فادعوا كل من تستشهدونه
واستظهروا به من الجن والانس الا الله لانه القادر وحده على
ان يأتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت
الانس والجن الآية فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار لما ارشدهم
الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به
حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله قال فاذا لم تعارضوه
ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه
ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على
اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو
غيب لا يعلمه الا الله فان قلت انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا
جيء باذا الذي للوجوب دون ان الذي للشك قلت فيه وجهان
احدهما ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم
وان العجز عن المعارضة كان قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على
فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف
بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو
يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واي
فائدة في تركه اليه قلت لانه فعل من الافعال يقال اتيت فلانا فيقال لك
نعم ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى الكناية التي تعطيك اختصارا و
وجازة تغنيك عن طول المكنى عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في

موضع كذا على صفة كذا او شتمته ونكلت به وتعد كيفيات وافعالا فتقول بئس ما
فعلت ولو ذكرت ما انبته عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ
الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تأتوا بسورة من مثله ولن تأتوا بسورة من مثله
فان قلت ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل لها لانها جملة اعتراضية
فان قلت ما حقيقة لن في باب النفي قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل
الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن
اقيم غدا كما تفعل في انا مقيم واني مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين
عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه واحدى
الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل فان قلت من اين لك
انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة قلت لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع
ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال
لا سيما والطاعنون فيه اكثر عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب
على ما هو به فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء
اتيانهم بسورة من مثله قلت انهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة
صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واذا صح عندهم صدقه
ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم
ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار
لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة
ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد
فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة السخط وهو من باب الكناية التي
هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل
شأن العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل
صفة النار وتفظيع امرها التي وقودها الناس والحجارة والوقود ما ترفع
به النار واما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب
من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود الحطب وقرأ عيسى بن

الكثر والوقود

الهمزتان بالضم تسمية بالمصدر كما تقول فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون
مثل قولك حيوة المصباح السليط اى ليست حيوته الا به فكان نفس السليط
حيوته فان قلت صلة التي والذي يجب ان يكون قصة معلومة للمخاطب
فكيف علم اولئك ان نار الآخرة توقد بالناس والحجارة قلت لا يمتنع ان تقدم
لهم بذلك سماع من اهل الكتاب وسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم او سمعوا قبل هذه الآية قوله في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة
فان قلت فلم جاءت الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا
معرفة قلت تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة
ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا فان قلت ما معنى قوله
الناس والحجارة قلت معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها
لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء
الحجارة اوقدت اولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك
اعاذنا الله تعالى منه برحمته الواسعة توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار وانها
لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا يشتعل به نار اشتعلت وارتفع
لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هي نيران شتى
منها نار بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة
يدل على ذلك تنكيرها في قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة
فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين
كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب
فان قلت لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا
قلت لانهم قرنوا بها انفسهم حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا و
عبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون الله
في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار
في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون

بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانتهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها
محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكانزين
الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق
حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة
الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود
له بمعاني التنزيل اعدت للكافرين هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ
عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة وبشر الذين آمنوا من عادته عز و
علا في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار
ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر
الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا
بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها
عن الاحباط بالكفر والكبائر فان قلت من المامور بقوله وبشر قلت
يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان يكون كل احد كما قال
النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام
يوم القيمة لم يامر بذلك واحدا بعينه وانما كل واحد مامور به وهذا الوجه
احسن واجزل لانه يؤذن بان الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر به
كل من قدر على البشارة فان قلت علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا
نهي يصح عطفه عليه قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر ولم يسبق
حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة
وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول
زيد يعاقب بالقيد وبشر عمرا بالعفو ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا
كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني
اليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي عنهما وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على اعدت
والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال
لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق اولهم لانه هو

الذي اظهر سرور المخبر به دون الباقين ولو قال مكان بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم

عملوا الصالحات الصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة

كيف الهجاء وما تنفك صالحة ... من آل لأم بظهر الغيب تأتيني

والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان قلت اي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع قلت اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه لا الى الواحد لان وزانه في تناول الجمعية في الجنس لا في وحدانه فان قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف ان لهم جنات والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان فان قلت الجنة مخلوقة ام لا قلت قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة ومجيئها في القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنات كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فان قلت اما يشترط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا

بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول ان الاحسان انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يعقبه بما يفسده ويهدمه ويحبطه وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا واعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر تجري من تحتها الانهار كيف صورة جري الانهار من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولا ان الماء الجاري من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنان والرياض وان كانت آنق شيء واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء والا كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح لها وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنات البتة الا مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية نهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان فان قلت لم نكرت الجنات وعرفت الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فان يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الرأس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الآية وقوله كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل لا ع

اما ان تكون صفة ثانية لجنات او خبر مبتداء محذوف او جملة مستانفة لانه
لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات
الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار
الدنيا اى اجناسها اجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله
فان قلت ما موقع من ثمرة   هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان شيئا حمدتك
فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من
اى ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا ذلك
فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات
والرزق من الجنات ابتداء من ثمرة وتنزيله تنزيل ان يقول رزقنى فلان فيقال
لك من اين فتقول من بستانه فيقال من اى ثمرة رزقك من بستانه فتقول
من الرمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتداء من ضمير الجنات ثم
جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتديا من ثمرة وليس المراد بالثمرة
التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من
الثمار ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك اسدا
تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة
فان قلت كيف قيل هذا الذى رزقنا من قبل وكيف تكون ذات الحاضر عندهم
فى الجنة هى ذات الذى رزقوه فى الدنيا   معناه هذا مثل الذى رزقنا
من قبل وشبهه بدليل قوله وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة
تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته فان قلت الام يرجع الضمير فى قوله
واتوا به   الى المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذى رزقنا
من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه فى الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او
فقيرا فالله اولى بهما اى بجنسى الغنى والفقير لدلالة قوله تعالى غنيا او فقيرا
على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد فان قلت
لاى غرض تتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم تكن اجناسا اخر
لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود اميل واذا راى ما لم يألفه

نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشيء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم
معه الف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا
افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة
فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهد وان كان فائقا
حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق
التبين فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها فى الحجم وان الكبرى
لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن
والنبقة من نبق الدنيا فى حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما
راوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة فى الجنة يسير
الراكب فى ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين للفضل واظهر للمزية و
اجلب للسرور وازيد فى التعجب من ان يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق
من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة
يرزقونها دليل على تناهى الامر وتمادى الحال فى ظهور المزية وتمام الفضيلة
وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذى يستملى تعجبهم ويستدعى تبجحهم فى
كل اوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال
القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وانهارها تجرى فى غير
اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير فى اتوا به الى
الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه من ثمرات الجنة
يأتيهم متجانسا فى نفسه كما يحكى عن الحسن يؤتى احدهم بالصحفة فياكل منها
ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذى اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون
واحد والطعم مختلف وعنه صلى الله عليه وآله وسلم والذى نفس محمد بيده
ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هى بواصلة الى فيه حتى
يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا
ذلك والتفسير الاول هو هو فان قلت كيف موقع قوله واتوا به متشابها
من نظم الكلام   هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل ورأى

من الراي كذا وكان نصوا با ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك
يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير
ولهم فيها ازواج مطهرة والمراد بتطهير الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء
من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز
لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه
نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما ياخذنه من اعراق السوء والمناكح
الردية والمناشي المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن
فان قلت فهلا جاءت الصفة مجموعة كما الموصوف **قلت** هما لغتان فصيحتان
يقال النساء فعلن وهن فاعلات والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت
الحماسة شعر واذا العذارى بالدخان تقنعت واستعجلت نصب القدور فملت
والمعنى وجماعة ازواج مطهرة وقرأ زيد بن علي مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة
بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهر به اطهرة
اي فاتطهر به تطهرة **فان قلت** هلا قيل طاهرة **قلت** في مطهرة فخامة لصفتهن
ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل
المريد بعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعد لهم **وهم فيها خالدون**
والخلد الثبات الدايم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس شعر
الا انعم صباحا ايها الطلل البالي وهل ينعمن من كان في العصر الخالي وهل ينعمن الا
قليل الهموم ما يبيت باوجال **ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا**
ما بعوضة سيقت هذه الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء و
اهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء
مضروبا به المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل ان التمثيل
انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم
من الشاهد فان كان المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على تلك
القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى

عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذن الا امرا تستدعيه حال المتمثل له

الباطل

الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها
الكفار اندادا لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في
الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي
دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة
لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال
ما يحتكم ويستدعيه وليريان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على
العدل والسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا
انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطاء حوله وان
ان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغضبهم على بصائرهم فلا يتفطنون
ولا يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف و
العادة لا يخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان
وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين
في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال
بالبهائم والطيور واحناش الارض والحشرات والطير والهوام وهذه امثال
العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا باحقر الاشياء
فقالوا اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واصرد من جرادة
واضعف من فراشة واكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من بعوضة
واعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء
المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير
والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر منها مما لا تغني استقامته وصحته على من به
ادنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا
متشبث بامارة ولا اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع
الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى
ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله تعالى الذباب والعنكبوت في
كتابه وضرب به للمشركين المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام
الله فانزل الله عز وجل هذه الآية والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان

من تخوف ما يُعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال حيي الرجل كما يقال نسي
وخشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار
والتغير منتكس القوة منتقص الحيوة كما قالوا هلك فلان حياءً من كذا و
مات حياءً ورايت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حيا وجمد في
مكانه خجلا فان قلت كيف جاز وصف الله القديم سبحانه به ولا يجوز
عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه
ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيراً قلت هو جار على سبيل التمثيل مثل
تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد
المحتاج اليه حياءً منه وكذلك معنى قوله ان الله لا يستحيي اي لا يترك ضرب
المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها ويجوز ان تقع هذه العبارة
في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت
فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن كلامهم بديع وطراز
عجيب منه قول ابي تمام من مبلغ افناء يعرب كلها اني بنيت الجار قبل المنزل
وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عني
فقال لله بلادك وقبل الشهادة فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو
مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة
لامتنع تجعيدها ولله در امر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب
منها فنا الا عثرت عليه فيه على اقوم مناهجه واسد مدارجه وقد استعير
الحياء فيما لا يصح فيه شعر اذا ما استحين الماء يعرض نفسه كرعن بسبت في اناء من الورد
وقرا ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار و
بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان ههنا وضرب المثل
اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم خاتما من ذهب وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت
باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد
اي كتاب كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي

ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا نصبت بعوضة فان رفعتها فهي موصولة
صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما
على الذي احسن ووجه آخر حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام
لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي ان
يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما
يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار ودينارين والمعنى ان الله تعالى يتمثل
للانداد لحقارة شانها بما لا شيء اصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزي
وبما لا يدرك لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما تقول العرب
فلان اقل من لا شيء في العدد ولقد الم به قوله تعالى ان الله يعلم ما تدعون من
دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امضغ العرب للشيح
والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب
في هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة
بانها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او
انتصبا مفعولين فجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع
كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وانشد شعر لنعم البيت بيت ابي دثار
اذا ما خاف بعض القوم بعضا ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض في اصله
صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش فما فوقها فيه معنيان احدهما
فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة
نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس وانذلهم هو فوق ذلك تريد هو ابلغ
واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد عليها في الحجم كانه
قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما اكبر
من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بادنى شيء فقال فلان
يبخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه
ما يبخل به وهو الدرهم والدرهمان ونحوه في الاحتمالين ما سمعناه في صحيح مسلم
عن ابرهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عائشة وهي بمنى وهم

يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه او
عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه
بها خطيئة يحتمل ما عدا الشوكة وما فوقها في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله
عليه وآله الصلوة والسلام وما اصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة
النملة وهي عضتها ويحتمل ما هو اشد من الشوكة واوجع كالخرور على طنب
الفسطاط فان قلت كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية في
الصغر قلت ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر بدرجات
وقد ضرب به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثلا وفي خلق الله حيوان
اصغر منها ومن جناحها ربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا
يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت
لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك و
اعضائها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها
ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي خلق الازواج كلها مما
تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وانشد لبعضهم شعر يا من يرى مد البعوض
في ظلمة الليل البهيم الاليل ۞ ويرى عروق نياطها في نحرها ۞ والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ۞ ما كان منه في الزمان الاول ۞ **فاما الذين آمنوا**
فيعلمون انه الحق من ربهم اما حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء و
فائدته في الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد
ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد
فذاهب ولذلك قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا
التفسير مدل بفائدتين بيان كونه توكيدا وانه في معنى الشرط ففي ايراد الجملتين
مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد
عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعي على الكافرين اغفالهم حظهم
وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال

حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج **واما
الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا** وماذا فيه وجهان
ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذي فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبة مع
ما مجعولتين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع
المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثاني منصوب المحل في حكم ما
لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجيء على الاول مرفوعا وعلى الثاني
منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد يجوز عكس ذلك كما تقول في جواب من
قال ما رأيت خيرا اي رأيت خيرا وفي قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون
قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين والارادة نقيض الكراهة وهي مصدر
اردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود المتكلمين الارادة
معنى يوجب للحي حالا لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا
في ارادة الله فبعضهم على ان للباري تعالى مثل صفة المريد منا التي هي القصد
وهو امر زائد على كونه عالما غير ساه ولا مكره وسمى ارادته لافعال غيره
انه امر بها والضمير في انه الحق للمثل او لان يضرب وفي قولهم ماذا اراد
الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عائشة في عبد الله بن
عمرو بن العاص يا عجبا لابن عمرو هذا ومثلا نصب على التمييز كقولك لمن
اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف
تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية وقوله
يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجرى التفسير والبيان للجملتين
المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلا الفريقين
موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذي ازداد به
المؤمنون نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي تزداد الجهلة
خبطا في ظلماتهم فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم
وقليل من عبادي الشكور وقليل ما هم كابل مائة لا تجد فيها راحلة وتجد الناس
اهل الهدى كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها

وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله هو انه فعلها وهو غير ساه

هما

اجبر ثقله

بالقياس الى اهل الضلال وايضا فان القليل من المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا
في الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا شعر ان الكرام كثير في البلاد وان قلوا
كما غيرهم قل وان كثر ملأ واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى
السبب لانه لما ضرب به المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم
وعن مالك بن دينار انه دخل على محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيى
اما ترى ما نحن فيه من القيود فرفع مالك راسه فراى سلة فقال لمن هذه السلة
فقال لي فامر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود
على رجلك وقرأ زيد بن علي يضل به كثير وكذلك **وما يضل به الا الفاسقين**
والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا و
الفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله تعالى بارتكاب الكبيرة وهو النازل
بين المنزلتين اي بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا اول من حد له هذا الحد
ابو حذيفة واصل بن عطاء وكونه بين بين ان حكمه حكم المؤمن فانه يناكح و
يوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن
والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا يقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس
والزيدية ان الصلوة لا تجزئ خلفه ويقال للخلفاء المردة من الكفار الفسقة
وقد جاء الاستعمالان في كتاب الله تعالى بئس الاسم الفسوق بعد الايمان
يريد اللمز والتنابز وان المنافقين هم الفاسقون **الذين ينقضون عهد**
من بعد ميثاقه النقض الفسخ وفك التركيب **فان قلت** من اين
ساغ استعمال النقض في ابطال العهد من حيث تسميتهم العهد
بالحبل على الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه قول
ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن
قاطعوها فنخشى ان الله تعالى اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من
اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه
بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع
يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فاذا لم تجد امراة فاستترها

لم تقل هنا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المراءة
بانها فراش والعهد اليه في كذا اذا وصاه به ووثقه عليه واستعهد منه
اذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهولاء الناقضين لعهد الله احبار
اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار جميعا **فان قلت** فما المراد بعهد
الله ماذكر في عقولهم من الحجة على التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه
عليهم وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او اخذ الميثاق
عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله تعالى بمعجزاته صدقوه واتبعوه
ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله واوفوا
بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل لعيسى صلوات الله عليه سانزل اليك
كتابا فيه نبأ بني اسرائيل وما اريته اياهم من الآيات وما انعمت عليهم وما نقضوا
من ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهدي اليهم وحسن صنيعه لله
قاموا بميثاق الله واوفوا بعهده ونصره اياهم وكيف انزل باسه ونقمته
بالذين غدروا ونقضوا ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى
باسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا
بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو اخذ الله العهد عليهم ان لا يسفكوا
دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم وقيل عهد الله
الى خلقه ثلثة عهود العهد الاول الذي اخذه على جميع ذرية آدم
الاقرار بربوبيته وهو قوله تعالى واذ اخذ ربك وعهد خص به النبيين
ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذ
الله من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ اخذ الله
ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه والضمير في ميثاقه
للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون
بمعنى توثقته كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز ان
يرجع الضمير الى الله اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده
من آياته وكتبه وانذار رسله ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم

ما امر الله به من صلة الارحام وموالاة المومنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة
والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض فان قلت
ما الامر طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمي الامر الذي
هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعوا اليه من يتولاه شبه بامر من امره
به كما قيل له شان والشان الطلب والقصد يقال شانت شانه اي قصدت
قصده ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون لانهم استبدلوا
النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها كيف
تكفرون معنى الهمزة التي في كيف مثله في قولك اتكفرون بالله ومعكم
ما يصرف عن الكفر ويدعوا الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره قولك
اتطير بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه
مستحيل بغير جناح واما الكفر فمستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحيا
قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان فان قلت
فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان باستحالته
في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول في كيف حيث كان انكارا للحال
التي يقع عليها كفرهم حال الشي تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت
الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار الحال الكفر لانها تبيع ذات
الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى
لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها
وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد
عليها بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهاني والواو
في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف يصح ان يكون حالا وهو
ماض ولا يقال جيت وقام الامير ولكن وقد قام الامير الا ان يضمر قد
لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى
ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا
نطفا في اصلاب آبائكم ثم يحييكم بعد الموت ثم اليه ترجعون ثم يحاسبكم

فاحياكم فجعلكم احيا ... ثم يميتكم بعد هذه الحيوة ص

فان قلت بعض القضية ماض وبعضه مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما
لا يصح ان يكون حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا
هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة باولها
وآخرها فان قلت فقد آل المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم
بهذه القصة فما وجه صحته قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف
الانكار وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما
اعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا
امواتا فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع قد
تمكنوا من العلم بهما بالدلايل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم
وكثير منهم علموا ثم عاندوا والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل فان قلت
كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحيوة
من البنى بل يقال ذلك لعادم الحيوة كقوله بلدة ميتا واية لهم الارض
الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما في ان لا روح
ولا احساس فان قلت فما المراد بالاحياء الثاني يجوز ان يراد به الاحيا
في القبر وبالرجوع النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت لم كان
العطف الاول بالفاء والاعقاب بثم لان الاحياء الاول قد تعقب الموت
بغير تراخ واما الموت فقد تراخي عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك
متراخ عن الموت ان اريد النشور تراخيا ظاهرا فان اريد به احياء القبر فمنه
يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ فان قلت من اين انكر
اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها لانها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر
ام على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر يحتمل الامرين جميعا لانه
عدد آيات وهي مع كونها آيات من اعظم النعم هو الذي خلق لكم ما
في الارض لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم اما الانتفاع الدنيوي فظاهر
واما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجايب الصنع الدالة على الصانع
القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله

على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح
والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع
المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف
وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها ولم تجر
مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها
ويستنفع بها فان قلت هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما
فيها وجه صحة ان اراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما
يذكر السماء ويراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة
في الجهات السفلية وجميعا نصب الحال من الموصول الثاني والاستواء الاعتدال
والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى
اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه
استعير قوله ثم استوى الى السماء اي قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق
ما في الارض من غير ان يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر والمراد
بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق والضمير فسويهن ضمير
مبهم وسبع سماوات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع
الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي
هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج
والفطور او اتمام خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا
مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات اهلها
ومنافعهم ومصالحهم فان قلت ما فسرت به معنى الاستواء الى السماء
يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة ثم ههنا لما بين الخلقين
من التفاوت وفضل خلق السماوات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله
ثم كان من الذين آمنوا على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترض
به لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد
اليها خلقا آخر فان قلت اما ينافي هذا قوله والارض بعد ذلك دحيها

ثم استوى الى السماء

لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتأخر وعن
الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق
بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السماوات وامسك الفهر في موضعها وبسط
منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق واذ قال ربك اذ نصب
باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا للملائكة الملائك جمع ملأك على
الاصل كالشمائل في جمع شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع اني جاعل من جعل
الذي له مفعولان دخل على المبتدأ والخبر وهما قوله في الارض خليفة
فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره
والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته
فان قلت فهلا قيل خلائف او خلفاء اريد بالخليفة آدم و
استغني بذكره عن ذكر بنيه كما يستغني بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم
او اريد من يخلفكم او خلقا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز ان
يريد خليفة مني لان آدم كان خليفة الله في الارض وكذلك كل نبي انا جعلناك
خليفة في الارض فان قلت لاي غرض اخبرهم بذلك ليسألوا
ذلك السؤال فيجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونه
صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده
المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم
وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها تعجب من ان يستخلف مكان اهل الطاعة اهل المعصية وهو
الحكيم الذي لا يفعل الا الخير فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا
منه وهو غيب عرفوه باخبار من الله تعالى او من جهة اللوح او ثبت
في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم
ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الآخر حيث اسكنوا الارض
فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة ويسفك الدماء وقرئ ويسفك بضم
الفاء ويسفك ويسفّك من اسفك وسفّك والواو في ونحن نسبح

نحمدك ونقدس لك للحال كما تقول اتحسن الي فلان وانا احوج الاحسان منه والتسبيح تبعيد الله تعالي من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك قال اني اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم فان قلت هلا بين لهم تلك المصالح قلت كفي العباد ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة علي انه قد بين لهم بعض ذلك فيما اتبعه من قوله وعلم آدم واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون علي فاعل كآذر وعازر وعابر وشالح وفالغ واشباه ذلك الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمي وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس شيبا فان قلت هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم آدم مسميات الاسماء قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبئوني باسماء هؤلاء انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم ولما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبئوني بهؤلاء وانبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها فان قلت فما معني تعليمه اسماء المسميات قلت اراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ثم عرضهم اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم علي الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء علي سبيل التبكيت ان كنتم صادقين يعني في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله ان يستخلفوا فاراهم وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح

في قوله اني اعلم ما لا تعلمون قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون استحضار لقوله لهم اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به علي وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعلم آدم علي البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ اي عرضها والمعني عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم السجود لله تعالي علي سبيل العبادة ولغيره علي وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم عليه الصلوة والسلم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاتباعية الا في لغة ضعيفة كقوله الحمد لله فسجدوا الا ابليس استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا ابي امتنع مما امر به واستكبر وكان من الكافرين من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابي واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن امر ربه وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة السكني من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه وكلا منها رغدا وصف للمصدر اي كلا رغدا واسعا رافها وحيث شئتما للمكان المبهم اي اي مكان من الجنة شئتما اطلق لهما الاكل من الجنة علي وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حيث لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتي لا يبقي لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها الفائتة للحصر ولا تقربا هذه الشجرة وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرهها وقال يقرأ بها برابر مكة وسودانها

فتكونا من الظالمين من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب النهي فازلهما الشيطان عنها الضمير في عنها للشجرة اي حملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وقيل فازالهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها وابعدهما كما تقول زل عني ذلك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا وقرئ فازالهما فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقراء عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها فان قلت كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحوا وقيل كان يدنوا من السما فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون قيل وقلنا اهبطوا خطاب لآدم وحوا وابليس وقيل والحية والصحيح انه لآدم وحوا والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله تعالى اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض ويدل على ذلك قوله تعالى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم الناس كلهم ومعنى بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض ولكم في الارض مستقر موضع استقرار او استقرار ومتاع تمتع بالعيش الى حين يريد الى يوم القيمة وقيل الى الموت فتلقى آدم من ربه كلمات معنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به وهن قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وعن ابن مسعود ان احب الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت واصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون حوا لانها كانت تبعا له كما طوي ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا تكرير للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون فان قلت ما جواب الشرط الاول قلت الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما ياتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون بمقابلة قوله تعالى فمن تبع هداي فان قلت فلم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه قلت للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتاب وانه ان لم ينزل كتابا ولم يبعث رسولا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال فان قلت الخطيئة التي اهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة قلت ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات وانما جرى عليه ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف بالفتح يا بني اسرائيل هو يعقوب عليه السلم

قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى

ى واو بعوره

لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو [illegible] ابرهيم و اسمعيل
غير منصرف مثلهما لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرايل واسرال اذكروا
نعمتي التي عليكم وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها
ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم به على آبائهم مما عدد
عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل
والتوبة عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله
عليه وآله وسلم المبشر في التورية والانجيل واوفوا بعهدي والعهد يضاف
الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت عليه كقوله
ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي بما عاهدتك عليه ومعنى
واوفوا بعهدي واوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان والطاعة كقوله ومن اوفى
بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه اوف
بعهدكم بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم واياي فارهبون
فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص
من اياك نعبد وقرئ اوف بالتشديد اي ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله
من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي ما عاهد
عليه وعدوهم من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله وآمنوا
بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به اول من كفر
به او اول فريق او فوج كافر به او ولا يكن كل واحد منكم اول كافر به كقولك
كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان يجب ان يكونوا اول من يؤمن به
لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه والمستفتحين
على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان
امرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين
حتى تاتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم
البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به
يعني من اشرك به من اهل مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التورية

موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم
لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا و
اياي فاتقون والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله اشتروا الضلالة
بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا وقوله فاني شريت الحلم بعدك بالجهل
يعني ولا تستبدلوا باياتي ثمنا قليلا والا فالثمن هو المشترى به والثمن القليل الرياسة
التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو اصبحوا اتباعا لرسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فاستبدلوها بها فهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله تعالى
الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير لديه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانوا
عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم
على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم
يدرون عليهم الاموال ليكتموا ويحرفوا ولا تلبسوا الحق بالباطل الباء في الباطل
ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء وخلطته به كان المعنى
لا تكتبوا في التورية ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى
لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم
كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا بباطلكم وتكتموا الحق جزم داخل تحت
حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب باضمار ان والواو بمعنى الجمع ولا تجمعوا
لبس الحق بالباطل وكتمانه كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن
لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا
لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل
ما ذكرنا من كتبتهم في التورية ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا لا نجد
في التورية صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم او حكم كذا او يمحوا ذلك او يكتبوه
على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين وانتم تعلمون
في حال علمكم انكم لابسون كاتمون وهو اقبح لهم لان الجاهل بالقبيح ربما عذر
اقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعني صلوة المسلمين وزكوتهم
واركعوا مع الراكعين منهم لان اليهود لا ركوع في صلوتهم وقيل

الركوع في صلوتهم الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان يراد
بالركوع الصلوة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان يصلوا مع المصلين يعني
في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلوة وصلوها اي الصلوة مع المصلين لا منفردين
أتأمرون الناس بالبر الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم والبر
سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت
وكان الاحبار يأمرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد
صلى الله عليه وآله وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون
فاذا اتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من
اهل الجنة اطلعوا على ناس من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تأمروننا باشياء
عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نأمركم بها ونخالف الى غيرها وتنسون
أنفسكم وتتركونها من البر كالمنسيات وأنتم تتلون الكتاب تبكيت مثل
قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التورية وفيها نعت محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفيها
الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل أفلا تعقلون توبيخ عظيم
بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه
وكانكم في ذلك مسلوبو العقول لان العقول تأباه وتدفعه ونحوه أف لكم
ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون واستعينوا على حوائجكم الى الله تعالى
بالصبر والصلوة اي بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلوة
محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس
ومراعاة الاداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخضوع واستحضار
العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسال فك الرقاب عن سخطه وعذابه
ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها والالتجاء الى الصلوة
لها عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا حزبه امر
فزع الى الصلوة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع
وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيها الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو
يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات

ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلوة وان يستعان على
البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله في دفعه وانها الضمير للصلوة
او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع الامور التي امر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها
من قوله تعالى اذكروا نعمتي الى قوله واستعينوا لكبيرة لشاقة ثقيلة
من قولك كبر على هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين
ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل
لانهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله
الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي يتوقعون لقاء
ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون ان لا بد
من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من
لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب لم يوقن كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه
كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع اجرة
زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة
لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره ببذل الطلبة ومن ثم
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول
يا بلال روحنا والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة الرملة المتطامنة
واما الخضوع فاللين والانقياد ولذلك يقال خضعت بقولها اذا لينته يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم نصب عطف على اذكروا
نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي على العالمين على الجم الغفير من الناس كقوله باركنا
فيها للعالمين يقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة واتقوا يوما يريد يوم
القيمة لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي عنها شيئا من الحقوق ومنه الحديث
في جذعة بن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان
يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا يظلمون شيئا ومن قرأ لا تجزئ
من اجزأ عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء وقرأ
ابو السرار الغنوي لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل

صح النقل والادغام للاخفش
والنقل فقط لابي الحسن

صفة ليوما فاين العايد منها الى الموصوف هو محذوف تقديره
لا تجزي فيه ونحوه ما انشده ابو علي تروحي اجدر ان تقيلي اي اجدر بان تقيلي فيه
ومنهم من يقول اتسع فيه فاجري مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير
كما حذف من قوله ام مال اصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزي عن
نفس شيئا من الاشياء وهو الاقناط الكلي القطاع للمطامع وكذلك ولا يقبل
منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فدية لانها معادلة للمفدى ومنه
الحديث لا يقبل منها صرف ولا عدل اي توبة ولا فدية وقرا قتادة ولا يقبل
منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كا
اليهود تزعم ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم فاويسوا هو فيه
دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة نعم لانه نفي يقتضي نفس عن نفس
حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفي ان تقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل
للعصاة لا الضمير في ولا تقبل منها الى النفسين يرجع الى الثانية
العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا تقبل منها شفاعة
ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على انها
لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا عنها
لم يؤخذ منها ولا هم ينصرون يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس
الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلاثة انفس واذ نجيناكم
من آل فرعون اصل آل اهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه الفا وخص
استعماله باولي الخطر والشان كالملوك واشباههم فلا يقال آل الاسكاف
والحجام وفرعون علم لمن ملك من العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك
الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي ملحهم
قد جاء الموسى الكلوم فزاد في اقصى تفرعنه وفرط عرامه وقرئ انجيتكم
ونجيتكم يسومونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم اذا ما
الملك سام الناس خسفا ابينا ان نقر الخسف فينا واصله من سام السلعة اذا طلبها
كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه والسوء مصدر ساء يقال اعوذ بالله

من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيئ
اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره يذبحون ابناءكم ويستحيون
نساءكم بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله يضاهون
قول الذين كفروا وقرا الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها
وقرا عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا فرعون بانه يولد
مولود يكون على يده هلاكه كما انذر نمرود فلم يغن عنهما اجتهادهما في التحفظ
وكان ما شاء الله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم البلاء المحنة ان اشير
بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير الى الانجاء واذ فرقنا بكم البحر
فانجيناكم واغرقنا آل فرعون فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت
به مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء
لان المسالك كانت اثني عشر على عدد الاسباط ما معنى بكم فيه
اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم
كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان
يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا
اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا فانا
لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم
فقال اللهم اعني على اخلاقهم السيئة فاوحي اليه ان قل بعصاك هكذا فقال
بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا وانتم تنظرون الى ذلك و
تشاهدونه لا تشكون فيه واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما دخل بنو اسرائيل
مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل
عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين لان
الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا لان الله تعالى وعده الوحي ووعد
المجيء للميقات الى الطور ثم اتخذتم العجل من بعده من بعد مضيه الى الطور
وانتم ظالمون باشراككم ثم عفونا عنكم حين تبتم من بعد ذلك
من بعد ذلك من بعد ارتكابكم للامر العظيم وهو اتخاذكم العجل لعلكم تشكرون

تظللكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم تظللهم من الشمس
وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل
عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل
انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى فيذبح الرجل منها
ما يكفيه كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا
يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه واذ قلنا ادخلوا هذه
القرية بيت المقدس وقيل اريحا من قرى الشام امروا بدخولها
بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم وادخلوا الباب باب القرية وقيل
هو باب القبة التي كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس
في حيوة موسى سجدا امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا
وتواضعا وقيل السجود ويطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع و
اخبات وقيل طوطي لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوها
متزحفين على اوراكهم وقولوا حطة فعلة كالجلسة والركبة وهي خبر
مبتدأ محذوف اي مسئلتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى
حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله صبر جميل
فكلانا مبتلى والاصل صبر علي صبرا وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب على
الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي نحط في هذه القرية ونستقر فيها
هل يجوز ان ينتصب حطة في قراءة من نصبها بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة
لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وينتصب محلها بذلك المضمر بقولوا نغفر
لكم خطاياكم وقرئ يغفر لكم على البناء للمفعول بالياء والتاء
سنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة
ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا قولا
غير الذي قيل لهم اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني انهم امروا
بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا

نغفر يغفر

به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة
فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا لم يؤاخذوا
به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه
ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة حمر وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اي
حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما
يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا
يفسقون وفي تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز
عليهم لظلمهم وقد جاء في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز
العذاب وقرئ بضم الراء وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون
الفا واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر عطشوا في التيه
فدعا لهم موسى بالسقيا فقيل اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة
الى معلوم فقد روي انه حجر مربع له اربعة اوجه كانت تنبع من كل وجه
ثلثة اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان يسقيهم وكانوا
ستماية الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه
حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي وضع عليه ثوبه حين
اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول الله تعالى ارفع هذا الحجر
فان لي فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب الشيء
الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا
اظهر في الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض
ليس فيها حجارة فحمل حجرا في مخلاته فحيثما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه
فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى الله
لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا
في ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع
على طول موسى وله شعبتان تتقدان في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت
منه اثنتا عشرة عينا الفاء متعلقة بمحذوف اي فضربت فانفجرت او فان

ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على هذا فاء فصيحة لا تقع
الا في كلام بليغ وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما لغتان قد علم كل
اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون منها كلوا واشربوا على ارادة
القول من رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون
وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل ويشرب ولا تعثوا في الارض
مفسدين والعثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال افسادكم
لانهم كانوا متمادين فيه واذ قلتم يا موسى لن نصبر كانوا فلاحة فنزعوا
الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقاء على طعام
واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى هما طعامان
فما لهم قالوا على طعام واحد ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل
ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل لا ياكل
فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان
يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف ونحن قوم
فلاحة اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة
كالبقول والحبوب ونحو ذلك فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض
من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ومعنى يخرج لنا يظهر
لنا ويوجد والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايب البقول التي
ياكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وقرئ قثائها
بالضم ومنه فوموا لنا اي اختبزوا وقيل الثوم ويدل عليه قراءة ابن مسعود
وثومها وهو للعدس والبصل اوفق قال اتستبدلون الذي هو ادنى اقرب
منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو
داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد
الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرا زهير الفرقبي ادنا بالهمزة من الدناءة
بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وقرئ اهبطوا
بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط

اذا خرج وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية
فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتانيث
لسكون وسطه كقوله نوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد
فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقرا
به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرايم فعرب
وضربت عليهم الذلة والمسكنة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها
كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب
الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة
واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية وباءوا بغضب من الله
من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي
صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة
والخلافة بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين اي ذلك بسبب
كفرهم وقتلهم الانبياء بغير حق وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا ويحيى
وغيرهم بغير الحق قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره
معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا
وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم ~~ولا افسدوا في الارض فيقتلوا~~ فقتلوهم
فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل
عندهم وقرا علي رضي الله عنه ويقتلون بالتشديد بما عصوا وكانوا يعتدون
بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم
بايات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان
يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم
لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الايات وقتل
الانبياء او ذلك القتل والكفر مع ما عصوا ان الذين امنوا بالسنتهم من غير مواطاة
القلوب وهم المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود
اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى جمع نصران يقال

نصران وامرأة نصرانة قال نصرانة لم تحنف واليا في نصراني للمبالغة كالتي في
الأحمري لأنهم نصروا المسيح والصابئين وهو من صبأ اذا خرج من الدين وهم
قوم عدلوا عن دين اليهود والنصارى وعبدوا الملائكة من آمن بالله واليوم
الآخر من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا اصيلا
وعمل صالحا فلهم اجرهم الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم عند ربهم
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ما محل من آمن الرفع ان
جعلته مبتدأ خبره فلهم اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان و
المعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول كما هي وفي الثاني فلهم اجرهم والفاء
لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل على ما في التورية
ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان موسى
عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبر
عليهم وابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام فقلع الطور من اصله ورفعه فظلله
فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى ارادوه القول ما
آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب
وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا
متقين او قلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم من بعد ذلك
ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة
لكنتم من الخاسرين لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيناكم بقوة وتذكروا واد
اذكروا ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت السبت مصدر سبت
اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه اي جاوزوا ما
حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلا
هم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت
كما قال تعالى تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم
كذلك فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها
فيه فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم فقلنا

لهم كونوا قردة خاسئين خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء
وهو الصغار والطرد فجعلناها يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه
ومنه النكل القيد لما بين يديها لما قبلها وما خلفها وما بعدها من القرون والامم
لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين
او اريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما
بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين الذين
نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل متق سمعها واذ قال موسى لقومه
ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله
بنو عمه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤوا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى
ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله قالوا اتتخذنا هزوا اتجعلنا
مكان هزء او اهل هزء او مهزوءا بنا او الهزء في مثل هذا من باب الجهل والسفه قرئ
هزوا بضمتين والواو وكذلك كفوا والعباد والباقون من واد واحد قالوا ادع
لنا ربك في قراءة عبد الله سل لنا ربك يبين لنا ما هي سؤال عن حالها وصفتها
وذلك انهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسألوا عن صفة
تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر قال انه يقول انها بقرة
لا فارض ولا بكر الفارض المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة
لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضا تساق اليه ما تقوم على رجل وكأنها سميت فارضا لانها
فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها والبكر الفتية عوان بين ذلك والعوان النصف
وقال نواعم بين ابكار وعون وقد عونت بين يقتضي شيئين فصاعدا
فمن اين جاز دخوله على ذلك لانه في معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى
ما ذكر من الفارض والبكر كيف جاز ان يشار به الى مؤنثين وانما
هو للاشارة الى واحد مذكر جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم
للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم
ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذلك وقد
يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة لرؤبة في قوله

فيها خطوط من سواد وبلق كأنه في الجلد توليع البهق إن أردت الخطوط فقل
كأنها وإن أردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال أردت كأن ذاك ويلك
والذي حسّن منه أن أسماء الإشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة
وكذلك الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع «فافعلوا ما تؤمرون» أي ما تؤمرونه
بمعنى تؤمرون به من قوله أمرتك الخير أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول
بالمصدر كضرب الأمير «قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول
إنها بقرة صفراء فاقع لونها» الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال
في التوكيد أصفر فاقع ووارس كما يقال أسود حالك وحانك وأبيض يقق
ولهق وأحمر قانئ وذريحي وأخضر ناضر ومدهامّ وأورق خطباني وأرمك
رداني فإن قلت فاقع هاهنا واقع خبراً عن اللون فلم يقع توكيداً لصفراء
قلت لم يقع خبراً عن اللون إنما وقع توكيداً لصفراء إلا أنه ارتفع اللون به ارتفاع
الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة
وصفراء فاقع لونها فإن قلت فهلا قيل صفراء فاقعة وأي فائدة في ذكر
اللون قلت الفائدة فيه التوكيد لأن اللون اسم للهيئة وهي الصفرة فكأنه
قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جدّ جدّه
وجنونك مجنون وعن وهب إذا نظرت إليها
خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها «تسر الناظرين» والسرور لذة في
القلب عند حصول نفع أو توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلاً صفراء قلّ همه
لقوله تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد
ولعله مستعار من صفة الإبل لأن سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله
جمالات صفر وقال الأعشى تلك خيلي منه وتلك ركابي هن صفر أولادها كالزبيب
«قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي» مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها
واستكشاف زائد ليزدادوا بياناً لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم
والاستقصاء شؤم وعن بعض الخلفاء أنه كتب إلى عامله بأن يذهب إلى قوم

فيقطع أشجارهم ويهدم دورهم فكتب إليه بأيهما أبدأ فقال إن قلت لك اقطع
الشجر سألتني بأي نوع منها أبدأ وعن عمر بن عبد العزيز إذا أمرتك أن تعطي فلاناً
شاة سألتني أضائن أم ماعز فإن بينت لك قلت أذكر أم أنثى فإن أخبرتك قلت أسوداء
أم بيضاء فإذا أمرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث أعظم الناس جرماً من سأل
عن شيء لم يحرم فحرم لأجل مسألته «إن البقر تشابه علينا» إن البقر الموصوف
بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا أيها نذبح وقرئ تشّابه بمعنى تتشابه بطرح
التاء وإدغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشبهة وقرأ محمد ذو الشامة
إن الباقر يشّابه بالياء والتشديد «وإنا إن شاء الله لمهتدون» جاء في الحديث
لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد أي لو لم يقولوا إن شاء الله والمعنى إنا
لمهتدون إلى البقرة المراد ذبحها أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل «قال إنه يقول
إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث» لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة
غير ذلول يعني لم تذلل للكراب وإثارة الأرض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها
لسقي الحرث ولا الأولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الأولى لأن المعنى لا ذلول تثير
وتسقي على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرأ أبو عبد الرحمن
السلمي لا ذلول بالفتح أي حيث هي وهو نفي لذلها ولأن توصف به فيقال هي ذلول
ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان أي فيهم وحيثهم وقرئ تسقي
بضم التاء من أسقى «مسلّمة» سلمها الله تعالى من العيوب أو معفاة من العمل سلمها
أهلها منه كقوله أو معبر الظهر ينبي عن وليته ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا
أو مخلّصة اللون من سلم له كذا إذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من الألوان
«لا شية فيها» لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى
قرنها وظلفها وهي في الأصل مصدر وشاه وشياً وشية إذا خلط بلونه لوناً آخر
ومنه ثور موشّى القوائم «قالوا الآن جئت بالحق» أي بحقيقة وصف البقرة
وما بقي إشكال في أمرها «فذبحوها» أي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الأوصاف
كلها فذبحوها وقوله «وما كادوا يفعلون» استثقال لاستقصائهم
واستبطاء لهم وأنهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها

وما كادت تنتهي سوالاتهم وما كادوا ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل
وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي انه
كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها
لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه
فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة
اذ ذاك بثلثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة اربعين سنة
كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت
مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول
رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل جائز على
ان الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو
وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع
عليها بعد التخصيص واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم فادارأتم
فيها فاختلفتم واختصمتم فيها في شانها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا
اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح
عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة و
التهمة والله مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل
لا يتركه مكتوما كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي
قد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكى الحاضر في قوله باسط
ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم
و فقلنا اضربوه والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على
تاويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون
ببعضها ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل
فخذها اليمنى وعجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل
الاذن وقيل البضعة بين الكتفين والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة
قوله تعالى كذلك يحيي الله الموتى لما روي انهم لما ضربوه قام باذن الله واوداجه

تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا
ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الموتى اما ان يكون خطابا
للذين حضروا حيوة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيمة
ويريكم آياته ودلائله على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون
على قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس
كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين
في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هلا احياه ابتداء و
لم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها في الاسباب والشروط
حكم وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكليف و
اكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد
عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة
الى امتثال اوامر الله وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال
ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالوالدين والشفقة
على الاولاد وتجهيل الهاذي بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على كلام الحكماء وبيان
ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختاره فتي السن
غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريا من العيوب يونق من ينظر اليه وان يغالي بثمنه
كما روي عن عمر رض انه ضحى بنجيبة بثلثمائة دينار وان الزيادة في الخطاب نسخ
له وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه الى البداء
وليعلم بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحيوة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا
الاسباب لان الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة
فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يتقدم ذكر القتيل والضرب
ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا
اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها كلما قص من قصص بني اسرائيل انما قص
تعديدا لما وجد فيهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات
العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا

لما اجتمع فيه الامالة والمد
تقصر اربعة اوجه لعدم المد
والتوسط مع الامالة والمد
والقصر مع الفتح تامل

متصلتين متحدتين فالاولى منهما لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استيناف قصة براسها ان وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين انهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستيناف مع تاخيرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة معنى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر فيها وذلك اشارة الى احياء القتيل او الى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة فهي كالحجارة وهي في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة منها واشد معطوف على الكاف اما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي في انفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه آخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله وان من الحجارة بيان لفضل قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ ان بالتخفيف وهي المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله عز وجل وان كل لما جميع لدينا محضرون لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق

فيخرج منه الماء التفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر بالنون وبه قراءة الاعمش والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ما يشقق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منه الماء ايضا وان منها لما يهبط يتردى من اعلى الجبل وقرئ بضم الباء من خشية الله والخشية مجاز عن انقيادها لامره وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به وما الله بغافل عما تعملون وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد افتطمعون الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طائفة فيمن سلف منهم يسمعون كلام الله ما يتلونه من التورية ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله تعالى حين كلم موسى بالطور وما امر ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول في آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا يعني اليهود الذين آمنوا قالوا قال منافقوهم آمنا بانكم على الحق وان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم هو المبشر به واذا خلا بعضهم الى بعض الذين لم ينافقوا الى الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم او قال المنافقون لاعقابهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا في كتابهم فيقول المؤمنون [illegible] ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم بقوله هو في كتابكم هكذا محاجة عند الله تعالى الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد افلا تعقلون او لا يعلمون ان الله

يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر و
اعلانهم الايمان ومنهم اميون لا يحسنون الكتاب فيطالعوا التورية و
يتحققوا ما فيها لا يعلمون الكتاب التورية الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم
وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يواخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبيا
يشفعون لهم وما يمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة
وقيل الا اكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابي
لابن داب في شي حدث به اهذا شي رويته ام تمنيته اي اختلقته وقيل
الا ما يقرؤن من قوله تمنى كتاب الله اول ليله وآخرها لاقى حمام المقادر والاشتقاق
من مني اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحرر ما يتمناه وكذلك المختلق والقاري
يقدر ان كلمة كذا بعد كذا والا اماني من الاستثناء المنقطع وقري اماني
بالتخفيف ذلك العلماء عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين
قلدوهم ونبه على انهم في الضلال لان العالم عليه ان يعمل بعلمه وعلى العامي
ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم وان هم الا يظنون
فويل للذين يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من مجاز التاكيد كما
تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه ثم يقولون هذا
من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم
وويل لهم مما يكسبونه من الرشى وقالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون
مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان الف سنة يوما قل اتخذتم عند
الله عهدا فلن يخلف الله عهده متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله
عهدا ام تقولون على الله ما لا تعلمون وام اما ان تكون معادلة بمعنى اي
الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما ويجوز ان تكون
منقطعة بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى تمسكم
ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيآت يعني كبيرة من
الكبائر واحاطت به خطيئته ملكته واستولت عليه كما يحيط العدو ولم ينفصل عنها

بالتوبة وقري خطاياه وخطيئاته وقيل في الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته
وسال رجل الحسن فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية وما ادريك ما الخطيئة
انظر في المصحف فكل آية نهى الله تعالى عنها واخبرك انه من عمل بها ادخله
النار فهي الخطيئة المحيطة فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله لا تعبدون اخبار
في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر والنهي لانه
كان سورع الى الامتثال والانتها فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله و
ابي لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه ايضا قوله وقولوا وقوله
وبالوالدين احسانا اما ان تقدر وتحسنون بالوالدين او واحسنوا وقيل
جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كانه قيل واذ
اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه الا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا فيحتمل
ان لا تعبدوا ان تكون ان فيه مفسرة وان تكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه
قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقري بالتاء حكاية ما خوطبوا به وبالياء
لانهم غيب وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا قولا هو
حسن في نفسه لافراط حسنه وقري حسنا وحسنى على المصدر كالبشرى واقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم على طريقة الالتفات اي توليتم عن
الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وانتم
معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية واذ اخذنا
ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم على نحو ما سبق
لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به اصلا او دينا
وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه ثم اقررتم بالميثاق واعترفتم
على انفسكم بلزومه وانتم تشهدون عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد
عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم فلم هذا

الامر وهو ابلغ من صريح الامر

ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم
واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني
انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الذات كما رجعت بغير الوجه
الذي خرجت منه وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم موصول بمعنى الذين تظاهرون
عليهم بالاثم والعدوان وقرئ تظاهرون بحذف التاء وبادغامها وتظاهرون
باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون اي تتعاونون عليهم وان يأتوكم اسارى
تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم وقرئ تفدوهم واسرى
واسارى وهو ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم أ
فتؤمنون ببعض الكتاب اي الفداء وتكفرون ببعض اي بالقتال
والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج
فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم واذا
اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب فقالت كيف
تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم
ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا
خزي في الحيوة الدنيا والخزي قتل بني قريظة وقيل الجزية ويوم القيمة
يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون وانما رد من
فعل ذلك منهم الى اشد العذاب لان عصيانه اشد وقرئ يردون وتعملون
بالياء والتاء اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم
العذاب عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم ولا
عذاب الآخرة ولقد آتينا موسى الكتاب التورية آتاه اياه جملة واحدة و
قفينا من بعده بالرسل ويقال قفاه اذا اتبعه وقفاه به
اذا اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره الكثير من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا
تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم و
آتينا عيسى ابن مريم وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم

الصفات منزلة تغير

وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة
قلت لزير لم تصله مريمه ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم
يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب بالبينات المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى
وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات وايدناه وقرئ آيدناه ومنه آجده
بالحيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف واوجدني بعد فقر بروح
القدس بالروح المقدسة كما قال وروح منه وصفه بالاختصاص والتقريب
للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل
بالانجيل كما قال في القرآن روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان
يحيي الموتى بذكره افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم
استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل
انبياءكم ما آتيناهم فكلما جاءكم رسول بالحق استكبرتم عن الايمان به فوسط
بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شأنهم ويجوز ان يريد ولقد آتينا
ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر
هو فعلتم هلا قيل وفريقا قتلتم هو على الوجهين ان يراد
الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب
وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وآله
لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلم عند موته
ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا قلوبنا غلف
جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء محمد صلى
الله عليه وآله وسلم ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه بل لعنهم الله بكفرهم رد الله ان تكون
قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله تعالى
لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما احدثوا من الكفر
الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للتوقع ايمانهم ولكن
فقليلا ما يؤمنون فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض

الكتاب ويجوز ان يكون القلة بمعنى العيثم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف
اي قلوبنا اوعية العلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي عن ابي عمرو
قلوبنا غلف بضمتين ولما جاءهم كتاب من عند هو القرآن
مصدق لما معهم من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال
كيف جاز نصبها عن النكرة اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب
الحال عنه وقد وصف الكتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو
نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا
اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التورية
ويقولون لاعدائهم من المشركين اذا قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما
قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل اخبر به كقوله ولن تفعلوا
ما ادريك انهم لن يتمنوه لانهم لو تمنوه لنقل ذلك كما نقل سائر الحوادث
ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولى المطاعن في الاسلام اكثر من ان
وليس منهم احد نقل ذلك التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه
احد فمن اين علمت انهم لن يتمنوا الموت قلنا ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول
الانسان بلسانه ليت كذا اذا قاله قالوا تمني وليت كلمة التمني ومحال ان يقع
التحدي بما في الضمائر والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا
الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك لم يقولوه لانهم علموا
انهم لا يصدقون كم حكي عنهم من اشياء قالوها للمسلمين من الافتراء
على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه ومحامل
له الا الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال
القلوب وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمائرهم
وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه
امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم
احرص الناس هو من باب وجد بمعنى علم المتعدي الى مفعولين

هنا سقط

في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم واحرص
وانما قال على حيوة بالتنكير لانه اراد حيوة مخصوصة وهي الحيوة
المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من قراءة ابي على الحيوة ومن
الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس احرص من
الناس ام يدخل الذين اشركوا تحت الناس بلى وقد
لكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز ان يراد واحرص من الذين
اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا
لا يؤمنون بعاقبة وما يعرفون الا الحيوة الدنيا فحرصهم لا يستبعد لانها
جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم
التوبيخ وانما زاد في حرصهم على حرص المشركين لانهم علموا
لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل
اراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز
والف مهرجان وعن ابن عباس رضعهما هو قول الاعاجم زي هزار سال وذكر
ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ اي ومنهم ناس يود احدهم لو يعمر
الف سنة على حذف الموصوف كقوله وما منا اي وما احد منا الا له مقام
معلوم والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن
الله والضمير في وما هو بمزحزحه من العذاب لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه
اي وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه
يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه
والزحزحة التبعيد والانجاء يود احدهم ما موقعه قلت هو
لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم
هي حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وكان القياس لو اعمر
الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن
والله بصير بما يعملون قل من كان عدوا لجبريل روي ان عبد الله بن صوريا
من احبار اليهود فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وساله عمن

يهبط عليه بالوحي فقال جبرئيل قال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد
قد عادانا مرارا واشدها انه نزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر
فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان
ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه
وقيل امره الله تعالى ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروي انه كان لعمر
ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع
كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم
لحبكم ولا اسئلكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة
في امر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وارى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل
فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا صلى الله عليه وآله وسلم على اسرارنا وهو صاحب
كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما
من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عدو لجبريل فقال
عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن
كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا
لله تعالى ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلى الله عليه
وآله وسلم لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رايتني في دين الله بعد ذلك
اصلب من الحجر وقرئ جبريل بوزن قنديل وجبرئل بحذف الياء وجبريل
بحذفها الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام مشددة وجبرائيل بوزن
جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل
معناه عبد الله فانه نزله الضمير في نزله للقرآن ونحو هذا الاضمار اعني اضمار
ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشان صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه
يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء على قلبك اي حفظه اياه
وفهمك باذن بتيسيره وتسهيله كان حق الكلام
ان يقول على قلبي جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كأنه قيل
قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك مصدقا

دینی صح

وميكاييل عن يساره

لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين كيف استقام قوله
فانه نزله جزاء للشرط فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل احد
من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه
فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم
والثاني ان عاداه احد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القرآن مصدقا
لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا
يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد آذيته واسأت
اليه من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل
وميكال افرد الملكان بالذكر لفضلهما كأنهما من جنس آخر وجها ما ذكر
ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار
وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال
ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه فان الله عدو للكافرين
اراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة
الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف
ومن عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد العقاب ولقد انزلنا اليك آيات
بينات وما يكفر بها الا الفاسقون الا المتمردون من الكفرة والحسن
اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي دل على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره
وعن ابن عباس قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما جئتنا
بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام في الفاسقون
للجنس والاحسن ان يكون اشارة الى اهل الكتاب اوكلما عاهدوا
عهدا الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا
وقرأ ابو السماك بسكون الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكأنه
قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا
واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم
ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يفوا

جبريل وجبرئيل وميكاول وميكائيل

الذين ينقضون عهدهم في كل مرة **نبذه** والنبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرأ عبد الله نقضه **بل أكثرهم لا يؤمنون** بالتورية وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به **ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب** يعني التورية لانهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعد ما لزمهم تلقيه بالقبول **وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون** انه كتاب الله لا يداخله شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرؤنه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان ادرجوه في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه **واتبعوا** اي نبذوا كتاب الله واتبعوا **ما تتلوا الشياطين** يعني واتبعوا كتاب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها **على ملك سليمان** اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها في كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك في زمان سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الانس والجن والريح التي تجري بامره **وما كفر سليمان** تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا **ولكن الشياطين** هم الذين **كفروا** باستعمال السحر وتدوينه **يعلمون الناس السحر** يقصدون به اغواءهم واضلالهم **وما أنزل على الملكين ببابل** عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل **هاروت وماروت** عطف بيان للملكين علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله تعالى للناس من تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه او تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان

مؤمنا عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني وقرأ الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما السحر كانا ملكين ببابل **وما يعلمان من أحد** وما يعلم الملكان احدا **حتى يقولا** حتى ينبهاه وينصحاه ويقولا له **إنما نحن فتنة** اي ابتلاء واختبار من الله تعالى **فلا تكفر** فلا تتعلم معتقدا انه حق فتكفر **فيتعلمون منهما** الضمير لما دل عليه من احد اي فيتعلم الناس من الملكين **ما يفرقون به بين المرء وزوجه** اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده البغض والنشوز والخلاف ابتلاء منه لا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله **وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن** لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث **ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم** لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية **ولقد علموا لمن اشتراه** ولقد علم هؤلاء اليهود ان من اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين من كتاب الله **ما له في الآخرة من خلاق** من نصيب **ولبئس ما شروا به أنفسهم** اي باعوها وقرأ الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما بعد وقرأ الزهري هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة وما يعلمان من اعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسره مع الهمز والمر بالتشديد على تقدير التخفيف كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ الاعمش وما هم بضاري بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن جعل الجار جزء من المجرور كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي ثم نفاه عنهم في قوله **لو كانوا يعلمون** ان ثواب الله تعالى خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل

مقطوع اتفاقا

بالعلم كيف اوثرت الجملة الفعلية في جواب لو لما في ذلك من
الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في سلام
عليكم كذلك هلا قيل لمثوبة الله خير لان المعنى لشيء من الثواب
خير لهم ويجوز ان يكون قوله ولو انهم آمنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن
ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدي لمثوبة
من عند الله خير يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا كان
المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا القى عليهم شيئا
من العلم راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه
وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية فلما سمعوا بقول المؤمنين
افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها
وامروا بمعناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرأ ابي انظرنا من النظرة
اي امهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على انهم كانوا يخاطبونه
بلفظ الجمع للتوقير وقرأ راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي لا تقولوا قولا
منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا
في السب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع ما يكلمكم به رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى
لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع القبول والطاعة
ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما
امرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم ترك تلك الكلمة
وروي ان سعدا سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله لئن سمعتها
من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاضربن عنقه فقالوا
اولستم تقولونها فنزلت وللكافرين ولليهود الذين تهاونوا برسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وسبوه عذاب اليم ما يود الذين كفروا من
اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم من
من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون

كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق
الخير والثالثة لابتداء الغاية والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله اهم يقسمون
رحمة ربك والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون
ان ينزل عليكم شيء من الوحي والله يختص برحمته بالنبوة من يشاء ولا يشاء
الا ما تقتضيه الحكمة والله ذو الفضل العظيم اشعار بان ايتاء النبوة من
الفضل العظيم كقوله ان فضله كان عليك كبيرا ما ننسخ من آية او ننسها
روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم يأمر
اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه
غدا فنزلت وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من انسخ او ننساها وننسها
ننسها وننسها على خطاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
وقرأ عبد الله ما ننسك من آية او ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية او
ننسكها ونسخ الآية ازالتها بابدال الاخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها
وهو ان يأمر جبرئيل بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تاخيرها
واذهابها لا الى بدل وانساؤها عن القلوب والمعنى ان كل آية تذهب بها
على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا او من ازالة احدهما الى
بدل او غير بدل نأت بخير منها باية خير منها للعباد اي باية العمل بها اكثر
للثواب او مثلها في ذلك الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض
وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير فهو يملك اموركم ويدبرها
ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ ام
تريدون ان تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل لما بين لهم انه مالك
امورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك
بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به و
ينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحته آباء اليهود على موسى من
الاشياء التي كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها ارنا الله جهرة
وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل نوع

وهي راعينا

ان يذهب بحفظها

على كل شيء قدير فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله في الخير الم تعلم ان

ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان
وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما
هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا
فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا
اكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ما عشت فقالت اليهود اما هذا
فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا و
بمحمد نبيا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت
وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا
حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ
من عند انفسهم فيه وجهان احدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا
ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا
من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اي حسدا متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم
فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم
من الجهل والعداوة حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ الذي هو قتل بني قريظة واجلاء
النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
فهو يقدر على الانتقام وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا
لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ من حسنة صلوة او صدقة او غيرهما تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ
تجدوا ثوابه عنده إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ عالم لا يضيع عنده عمل
عامل وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى
الضمير في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود
لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان
نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وأمنا من
الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه
ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا والهود جمع هائد كعائذ وعوذ

وبازل وبزل كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر
حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالوا الجحيم
وقوله فان له نار جهنم خالدين فيها وقرأ ابي بن كعب الا من كان يهوديا او
نصرانيا لم قيل تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ وقوله لن يدخل الجنة امنية واحدة
اشير بها الى الاماني المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل على المؤمنين
خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم كفارا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم
اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن
يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتلك امانيهم اعتراض او اريد
امثال تلك الامنية امانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية افعولة من التمني
مثل الاضحوكة والاعجوبة قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هلموا حجتكم على اختصاصكم
بدخول الجنة إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين
وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء في معنى احضر
بَلَى اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ من
اخلص نفسه له لا يشرك به غيره وَهُوَ مُحْسِنٌ في عمله فَلَهُ أَجْرُهُ الذي
يستوجبه عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
من اسلم وجهه كيف موقعه يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع
من اسلم كلاما مبتدأ ويكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان
يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلى يدخلها من اسلم وان يكون قوله فله
اجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى
عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ يصح ويعتد به وهذه مبالغة
عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفي اطلاق اسم الشيء عنه
فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم اقل من لا شيء
وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا ذلك وحالهم
انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة او الانجيل او

غيرها من كتب الله تعالى وآمن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين
مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة في تصديق
بعضها بعضا **كذلك** اي مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج **قال
الذين لا يعلمون مثل قولهم** قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة
الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ
عظيم لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي ان وفد
نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتاهم احبار اليهود
فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم على شيء من الدين وكفروا
بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتورية
فالله يحكم بينهم بين اليهود والنصارى **يوم القيمة فيما كانوا فيه
يختلفون** بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم
الله بينهم ان يكذبهم ويدخلهم النار **ومن اظلم ممن منع مساجد الله
ان يذكر فيها اسمه** ثاني مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله
وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان يؤمنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان
ولك ان تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد
الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه ان النصارى كانوا
يطرحون في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا
اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
كيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس
او المسجد الحرام   لا باس ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول
لمن اذى الصالحين وكما قال الله تعالى ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس
بن شريق **وسعى في خرابها** بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد
بمن منع العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا بأعيانهم
من اولئك النصارى او المشركين **اولئك ما كان لهم ان يدخلوها**

صالحا ومن اظلم ممن اذى صح

الا ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله **الا خائفين** على حال التهيب وارتعاد
الفرائص من المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا
المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم
وقيل ما كان لهم في حكم الله تعالى يعني ان الله قد حكم وكتب في اللوح
انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين **لهم في الدنيا خزي
ولهم في الاخرة عذاب عظيم** روي انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى
الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني في بيت المقدس الا انهك
ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله
الا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف العلماء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة
ولم يجوزه مالك وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم
من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله
خزي قتل وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح قسطنطنية ورومية وعمورية
ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها و
متوليها **فاينما تولوا** ففي اي مكان فعلتم التولية يعني تولية وجوهكم
شطر القبلة بدليل قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا
وجوهكم شطره **فثم وجه الله** اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا
منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا
فصلوا في اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية
ممكنة في كل مكان لا يختص امكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون
مكان **ان الله واسع** الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم **عليم**
بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن
عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم
فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلوة وقرأ
الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة **وقالوا**

ي

الثاني

قرئ بغير واو وقالوا اتخذ الله ولدا يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله
والملائكة بنات الله سبحانه تنزيه عن ذلك وتبعيد بل له ما في السموات
والارض هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة ومن جملته الملائكة
وعزير والمسيح كل له قانتون منقادون لا يمتنع شيء منهم على تكوينه و
تقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم تجانس ومن حق الولد ان يكون
من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اي كل ما في السموات و
الارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقـ
ـرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم كيف جاء بما الذي
لغير اولي العلم مع قوله قانتون هو كقولهم سبحان ما سخركن لنا وكأنه
جاء بما دون من تحقيرا لشأنهم وتصغيرا لشأنهم كقوله وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا بديع السموات والارض يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك برع
الشيء فهو بريع وبديع السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها بديع
سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما ان السميع في قول عمرو
امن ريحانة الداعي السميع وفيه نظر واذا قضى امرا فانما يقول له
كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام
وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله اذا قالت الانساع للبطن الحق
وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت
الوجود من غير امتناع ولا توقف كالمأمور المطيع الذي يؤمر فيمتثل
لا يتوقف ولا يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان
بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام في توالدها
وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير في له وقرئ المنصوب بالنصب
على المدح وقال الذين لا يعلمون وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل
الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به لولا يكلمنا الله هلا يكلمنا
الله كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا وعتوا او تأتينا آية جحودا
لان يكون ما اتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها كذلك قال

الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم
في العمى كقوله اتواصوا به قد بينا الآيات لقوم يوقنون ينصفون فيوقنون انها
آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها انا
ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق
صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ما لهم
لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ
وعلينا الحساب وقرئ ولا تسئل على النهي عن اصحاب الجحيم روي انه قال ليت شعري
ما فعل ابواي فنهي عن السؤال عن الكفرة والاهتمام باعداء الله تعالى وقيل معناه
تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن بلية
فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما
هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر
على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل وقراءة ابي وما
تسأل ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم كأنهم
قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن دخولهم في الاسلام فحكى الله
عز وجل كلامهم ولذلك قال قل ان هدى الله هو الهدى على طريقة اجابتهم
عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح
ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو
بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله ولئن اتبعت اهواءهم اي اقوالهم التي
هي اهواء وبدع بعد الذي جاءك من العلم اي من الدين المعلوم صحته بالبراهين
الصحيحة ما لك من الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب
هم مؤمنوا اهل الكتاب يتلونه حق تلاوته لا يحرفونه ولا يغيرون ما
فيه من نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اولئك يؤمنون به بكتابهم
دون المحرفين فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الضلالة بالهدى يا بني

اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين و
اتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون وإذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات اختبره باوامر
ونواهي واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله
وما يشتهيه العبد كانه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرا
ابو حنيفة وهي قراءة ابن عباس ابرهيم ربه رفع ابرهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعا
فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا
الفاعل في القراءة المشهورة
يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر
الاضمار قبل
الذكر ان يقال ابتلى ربه ابرهيم فاما ابتلى ابرهيم ربه او ابتلى ربه ابرهيم
فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير
قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني فابرهيم فيه مقدم في المعنى وليس
كذلك ابتلى ربه ابرهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى
صحته والمستكن في فاتمهن في احدى القراءتين لابرهيم بمعنى فقام بهن
حق القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان ونحوه وابرهيم
الذي وفى وفي الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا
ويعضده ما روي عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سال ابرهيم ربه في قوله
رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا
ما العامل في اذ
اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى او واذ ابتليه
كان كيت وكيت واما قال اني جاعلك
فما موقع قال
هو على الاول استيناف كانه قيل فماذا قال ربه حين اتم الكلمات فقيل قال اني
جاعلك للناس اماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان يكون
بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت
ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك اذ قال له ربه اسلم وقيل في الكلمات هي خمس
في الراس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان
والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف الابط وقيل ابتلاه من شرائع

الاسلام ثلاثين سهما عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الاحزاب ان المسلمين
والمسلمات وعشر في المؤمنون وسال سائل الى قوله والذين هم على صلوتهم يحافظون
وقيل من مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل
ابتلاه بالكواكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار والهجرة والامام
اسم من يؤتم به على زنة الاله كالازار لما يؤتزر به اي يأتمون بك في دينهم
قال ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك
سأكرمك فتقول وزيدا قال لا ينال عهدي الظالمين وقرئ الظالمون
اي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما
ينال من كان عادلا بريا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة
وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا
يقدم للصلوة وكان ابو حنيفة يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي
رضوان الله عليهما وحمل المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمى بالامام
والخليفة كالدوانيقي واشباهه وقالت له امراة اشرت على ابني بالخروج
مع ابرهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان
يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادوني على عد آجره لما فعلت
وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة
والامام انما هو لكف الظلمة فاذا كان ظالما في نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى
الذئب فقد ظلم وإذ جعلنا البيت والبيت اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا
مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه
اعيان الذين يزورونه او امثالهم وامنا وموضع امن كقوله حرما آمنا ويتخطف
الناس من حولهم ولان الجاني ياوي اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ
مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه و
البادي واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وانخذوا على ارادة القول اي
وقلنا اتخذوا منه موضع صلوة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب
دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه اخذ بيد عمر فقال هذا

مقام ابرهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى يريد افلا نؤثره لفضله بالصلوة فيه
تبركا به وتيمنا بموطي قدم ابرهيم فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت
وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استلم الحجر ورمل
ثلثة اشواط ومشي اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابرهيم فصلى خلفه ركعتين
وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابرهيم الحجر
الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذي يسمى مقام ابرهيم
وعن عمر رض انه سال المطلب بن ابي وداعة هل تدري اين كان موضعه
الاول قال نعم فاراه موضعه الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم وعن
عطاء مقام ابرهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام في هذا المواضع ودعا
فيها وعن النخعي الحرم كله مقام ابرهيم وقرى واتخذوا بلفظ الماضي
عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابرهيم الذي وسم به لاهتمامه
به واسكان ذريته عنده قبله يصلون اليها **وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل**
امرناهما **ان طهرا بيتي للطائفين** بان طهرا بيتي او اي طهرا والمعنى طهرا
من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحايض والخبائث كلها او اخلصا
لهؤلاء لا يغشيه غيرهم **والعاكفين** المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا
لا يبرحون او المعتكفين ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القائمين
في الصلوة كما قال للطائفين والقائمين **والركع السجود** والمعنى للطائفين
والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيات المصلي **واذ قال ابرهيم رب
اجعل هذا** اي اجعل هذا البلد او هذا المكان **بلدا آمنا** ذا امن كقوله
راضية او آمنا من فيه كقولك ليل نايم **وارزق اهله من الثمرات من
آمن منهم بالله واليوم الآخر** ومن آمن منهم بدل من اهله يعني وارزق
المؤمنين منهم بدل من اهله خاصة **قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم
اضطره الى عذاب النار وبئس المصير** ومن كفر عطف على من آمن كما عطف
ومن ذريتي على الكاف في جاعلك لم خص ابرهيم صلوات الله عليه الى
حتى رد عليه قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف

استرعاء يختص بمن ينصح للمرعي وابعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق
فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر
فانا امتعه فاضطره فالزه الى عذاب النار ولن المضطر الذي لا يملك الامتناع
مما اضطر اليه وقرا ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرا يحيى بن وثاب فاضطره
بكسر الهمزة وقرا ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره وقرا ابن محيصن فاطره
على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابرهيم دعا ربه بذلك فكيف
تقدير الكلام على هذه القراءة في قال ضمير ابرهيم اي قال ابرهيم بعد
مسالته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره وقرا
ابن محيصن فاطره بادغام الضاد في الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لان
الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها
وهي حروف ضم شفر **واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل**
يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل
لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اي اسال الله
تعالى ان يقعدك اي يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بني عليها
نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر
ويجوز ان يكون المراد بها ساقات البناء لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه
ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق
ساف فقد رفع الساقات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابرهيم ما قعد من
البيت اي استوطاء يعني جعل هيئة القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية
بالبناء وروي انه كان مؤسسا قبل ابرهيم فبنى على الاساس وروي ان الله
تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي و
غربي وقال اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض
الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة وقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا
البيت قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة فكان
على ذلك الى ان رفعه الله تعالى ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت

المعهود ثم ان الله تعالى امر ابرهيم ببنائه وعرفه جبرئيل مكانه وقيل بعث الله
سبحانه سحابة اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل
بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتاء ولبنان والجودي واسسه
من حراء وجاءه جبرئيل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق
عنه وقد خبي فيه في ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما مسته
الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان ابرهيم يبني واسمعيل يناوله الحجارة
ربنا تقبل منا اي يقولان ربنا وهذا الفعل في محل النصب على الحال وقد اظهره
عبد الله في قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا انك انت السميع لدعائنا
العليم بضمائرنا ونياتنا هلا قيل قواعد البيت واي فرق بين
العبارتين في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس في ايضاحها
لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشان المبين ربنا واجعلنا مسلمين
لك مخلصين لك او وجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم
له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا او اذعانا
لك وقرئ مسلمين لك على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر او اجريا
التثنية على الجمع لانها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة
لك ومن للتبعيض او للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم
وانما خصا ذريتهما بالدعاء لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا
انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء عليهم السلام اذا صلحوا صلح بهم غيرهم
وشايعوهم على الخير الا ترى ان المتقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا
على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة امة محمد صلى
الله عليه وآله وسلم وارنا من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم
يتجاوز مفعولين اي وبصرنا مناسكنا متعبداتنا في الحج او وعرفناها وقيل
مذابحنا وقرئ وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذل لان
الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرأ
ابو عمرو باشمام الكسرة وقرأ عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا

لما فرطنا من الصغائر واستتابا لذريتهما انك انت التواب الرحيم
ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم من انفسهم روي انه قيل له
قد استجيب لك وهو في آخر الزمان فبعث الله تعالى فيهم محمدا صلى الله عليه وآله
وسلم قال عليه السلام انا دعوة ابرهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلو عليهم
آياتك يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليهم من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك
ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة والشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم
ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث انك انت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من
سفه نفسه انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح
الذي هو ملة ابرهيم ومن سفه نفسه في محل الرفع على البدل من الضمير في يرغب
وصح البدل لان الكلام غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه نفسه
امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب
النفس على التمييز نحو غبن رأيه والم رأسه ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز
نحو قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا اجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه
في نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظني انه مقيم اي في ظني والوجه هو الاول وكفى
شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا
رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها
كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين
بيان لخطاء رأي من يرغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين
بان كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير
في الآخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال ظرف لاصطفيناه
اي اخترناه في ذلك الوقت ليعلم انه المصطفى الصالح الذي لا يرغب عن ملة
مثله ومعنى قال له ربه اسلم اخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة
والاسلام قال اسلمت لرب العالمين اي فنظر وعرف وقيل اسلم اي اذعن
واطع وروي ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام

فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا
اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يومن به فهو ملعون فاسلم
سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت ﴿ووصى بها ابرهيم بنيه﴾ وقرئ واوصى وهي
في مصاحف اهل الحجاز والشام والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين
على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى
قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله كلمة باقية دليل على
التانيث على تاويل الكلمة ﴿ويعقوب﴾ عطف على ابرهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى
بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ونافلة يعقوب
﴿يا بني﴾ على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى
القول ونحوه قول القائل رجلان من ضبة اخبرانا انا راينا رجلا عريانا
بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفي
قراءة ابي وابن مسعود ان يا بني ﴿ان الله اصطفى لكم الدين﴾ اعطاكم
الدين الذي هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به
﴿فلا تموتن الا وانتم مسلمون﴾ معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين
على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا
كقولك لا تصل الا وانت خاشع ولا تنهاه عن الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في الصلوة
فاي نكتة في ادخال حرف النهي على الصلوة وليس بمنهي عنها
النكتة فيه اظهار ان الصلوة التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انهاك
عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلوة لجار
المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك
المعنى في الآية اظهار ان موتهم لا على حال الاسلام موت لا خير فيه وانه
موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان من حق هذا الموت ان لا
يحل فيهم وتقول في الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك الامر بالموت
ولكن الكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا منك
بميتته واظهارا لفضلها وانها حقيقة بان يحث عليها ﴿ام كنتم شهداء﴾

اي ٥

الخشوع ٥

﴿اذ حضر يعقوب الموت﴾ هي ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء
جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب بالموت اي حين احتضر و
الخطاب للمؤمنين بمعنى ما شهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي
وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على اليهودية الا انهم
لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام
ولما ادعوا عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم
شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا مشاهدين
له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون
على الانبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد ﴿اذ قال لبنيه ما تعبدون
من بعدي﴾ اي شيء تعبدون وما عام في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن و
كفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم
وحدهم ويجوز ان يقال ما تعبدون سوال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد
افقيه ام طبيب ام غير ذلك من الصفات ﴿قالوا نعبد الهك واله آبائك
ابرهيم واسمعيل واسحق﴾ عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة
آبائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة
لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه الصلوة والسلام عم الرجل صنو ابيه اي لا تفاوت بينهما
كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال في العباس وقال في العباس هذا
بقية آبائي وقال ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به ثقيف ما فعلت ثقيف
بعروة بن مسعود وقرأ ابي واله ابرهيم وطرح آبائك وقرئ ابيك وفيه وجهان
ان يكون واحدا وابرهيم وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو والنون
قال وفدّيننا بالابينا ﴿الها واحدا﴾ بدل من اله آبائك كقولك بالناصية ناصية
كاذبة او على الاختصاص اي نريد باله آبائك الها واحدا ﴿ونحن له مسلمون﴾
والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متاخرا حال من فاعل نعبد او
من مفعوله لرجوع الهاء اليه في له ويجوز ان يكون جملة معطوفة على نعبد وان يكون
جملة اعتراضية مؤكدة اي ومن حالنا انا له مسلمون مخلصون التوحيد او

اذ حضر ٥

ابيه اي

مذعنون ﴿تلك﴾ إشارة الى الامة المذكورة التي هي ابرهيم ويعقوب وبنوهما
الموحدون ﴿أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ والمعنى ان
احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متاخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم الا
ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا بآبائهم
ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم
وتأتوني بانسابكم ﴿ولا تسئلون عما كانوا يعملون﴾ لا تؤاخذون بسيئاتهم
كما لا تنفعكم حسناتهم ﴿وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل
بل ملة ابرهيم﴾ بل نكون ملة ابرهيم اي اهل ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين
يريد من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابرهيم وقرئ ملة ابرهيم بالرفع اي ملته
ملتنا او امرنا ملته ونحن ملته بمعنى اهل ملته ﴿حنيفا﴾ حال من المضاف اليه كقولك
رأيت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف
الميل في القدمين وتحنف اذا مال وانشد شعر ولكنا خلقنا اذ خلقنا
حنيفا ديننا عن كل دين ﴿وما كان من المشركين﴾ تعريض باهل الكتاب و
غيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابرهيم وهو على الشرك ﴿قولوا آمنا بالله
وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد
منهم ونحن له مسلمون﴾ قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين
اي قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابرهيم يجوز
ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابرهيم او كونوا اهل ملته والسبط الحافد
وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والاسباط
حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن
ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك صح
دخول بين عليه ﴿فان آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾ من باب التبكيت لان دين الحق واحد
لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد
اذن دين آخر يماثل دين الاسلام في كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل

له كانوا مهتدين وقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير اي فان حصلوا
دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد ﴿فقد اهتدوا﴾ وفيه ان
دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما
سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب
فان كان عندك رأي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رأيك ولكنك
تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي وراءه ويجوز ان تكون الباء
صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي فان دخلوا
في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود
بما آمنتم به وقرأ ابي بالذي آمنتم به ﴿وان تولوا﴾ عما تقولون لهم ولم ينصفوا
﴿فانما هم في شقاق﴾ فما هم الا في شقاق اي في مناواة ومعاندة لا غير و
ليسوا من طلب الحق في شيء او وان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها
﴿فسيكفيكهم الله﴾ ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم عليهم وقد انجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى
السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين ﴿وهو السميع العليم﴾ وعيد لهم
اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه
او وعد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده
من دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك ﴿صبغة﴾ مصدر مؤكد
منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من
صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله
لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم
في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فاذا فعل الواحد منهم
بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا
وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا او يقول المسلمون
صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة
المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام

وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ صِبْغَةً يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من
اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته وقوله وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ عطف على آمنا بالله
وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابرهيم او نصب على
الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التئامه
واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما
قالت حذام قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي وقرأ زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون
بادغام النون والمعنى اتجادلوننا في شان الله واصطفائه النبي من العرب دونكم
وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا وَهُوَ رَبُّنَا
وَرَبُّكُمْ نشترك جميعا في انا عباده وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء
من عباده هم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة وَ
لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما
ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم قال وَنَحْنُ
لَهُ مُخْلِصُونَ فجاء بما هو سبب الكرامة اي ونحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا
يستبعد وان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان
يكون النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة اوثان أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى يحتمل
فيمن قرأ بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون
المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام
عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل ا تقولون والهمزة للانكار
ايضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ يعني
ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اي كتم شهادة الله تعالى
التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابرهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما
ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها
والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض

ءانتم ءانتم ءانتم

بكتمانهم شهادة الله لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنبوة في كتبهم وسائر
شهاداته ومن في قوله شهادة من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان
اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله وَمَا بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وعيد
تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ
الخفاف الاحلام وهم
اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون
لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه
ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم اي فائدة في الاخبار بقولهم
قبل وقوعه فائدته ان مفاجاة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه
ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد
قبل الحاجة اليه اقطع للخصم وارد لشغبه وقيل الرمي يراش السهم مَا وَلَّاهُمْ
ما صرفهم عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا وهي بيت المقدس قُلْ الْمَشْرِقُ
وَالْمَغْرِبُ اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ من اهلها
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت
المقدس واخرى الى الكعبة وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ ومثل ذلك الجعل
العجيب جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط
ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه الصلاة
وانطوا الثبجة يريد الوسطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط
الظهر الا انه الحق تاء التانيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان
الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول
الطائي يصف عمورية كانت هي الوسط فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا
وقد اكتريت بمكة جمل اعرابي للحج فقال اعطني من سطا تهنه اراد من خيار
الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب
من بعض لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ
شَهِيدًا روي ان الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب

الله تعالى الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله
عليه وآله وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار
الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم
فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل
امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فهلا قيل لكم شهيدا وشهيدا
لهم لا عليهم لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة
الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت
على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة
العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلم بعدالتكم
لم أخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا لان الغرض في الاول
اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم
وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا التي كنت عليها ليست بصفة للقبلة
وانما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي
الكعبة لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة
ثم امر بالصلوة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة
فيقول وما جعلنا القبلة التي يجب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا
بمكة **الا لنعلم من يتبع الرسول** يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس
وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه **ممن ينقلب على عقبيه**
ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا
فتنة للذين كفروا الآية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته
يعني اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا
لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس
لنمتحن الناس وننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس
كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه
كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك معناه لنعلم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه
موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل
ليعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته
لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال الله تعالى
ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز
وان كانت لكبيرة هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت
لما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او
الجعلة ويجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة **الا على الذين هدى**
على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله تعالى بهم وكانوا اهلا
للطفه **وما كان الله ليضيع ايمانكم** اي ثباتكم على الايمان وانكم
لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد
وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل
من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضايعة وعن ابن عباس لما وجه
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا
فنزلت **ان الله بالناس لرؤف رحيم** لا يضيع اجورهم ولا يترك ما
يصلحهم ويحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رأيك في ابي تراب فقرأ الا على
الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم ومعنى لا ليعلم على الناقصين
ومعنى العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها
العلم كقولك علمت ازيد في الدار ام عمرو وقرأ ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون
القاف وقرأ اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهه ان تكون كان مزيدة كما في قوله
وجيران لنا كانوا كرام والاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت
لكبيرة وقرئ ليضيع بالتشديد **قد نرى** ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية
كقوله قد اترك القرن مصفرا انامله **تقلب وجهك** تردد وجهك وتصرف
نظرك **في جهة السماء** وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتوقع من
ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابرهيم وادعى للعرب الى الايمان لانها مفخرهم

بقصد الوجوه المذكورة ... الابدال بالالف ... المد والتوسط والقصر والتسهيل ... مع الروم ... المد والقصر ...

ومراده ومطا فهم ولمخالفة اليهود وكان يراعي نزول جبرئيل والوحي بالتحويل
فلنولينك قبلة فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا
جعلته واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس **ترضيها**
تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشية الله
وحكمته **فول وجهك شطر المسجد الحرام** نحوه قال واطعن بالقوم شطر الملوك
حتى اذا خفق المجدح وقال اي تلقاءه المسجد الحرام عن البراء بن عازب قدم
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر
شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر
بشهرين وقد رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى
باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وتحول الرجال
مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على
الظرف اي اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال
عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على
ان الواجب مراعاة الجهة دون العين **وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره**
وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم اي التحويل الى الكعبة
هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه يصلي
الى القبلتين **وما الله بغافل عما يعملون** قرئ بالياء والتاء **ولئن اتيت الذين**
اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد
مسد الجواب الشرط بكل آية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما
تبعوا قبلتك لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو
مكابرة وعناد مع علمهم لما في كتبهم من نعتك انك على الحق **وما انت بتابع**
قبلتهم حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا في ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا
نرجوا ان تكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا في رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع
قبلتهم على الاضافة **وما بعضهم بتابع قبلة بعض** يعني انهم مع اتفاقهم على
مخالفتك مختلفون في شان القبلة لا يرجى اتفاقهم كما لا يرجى موافقتهم لك

وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر عز وجل
عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه
لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده
ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين
وقوله ولئن اتبعت اهواءهم بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده
في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن
اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر انك اذا لمن المرتكبين
الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من
يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق
كيف قال وما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى
قبلة كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في
البطلان قبلة واحدة **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه** يعرفون رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص
كما يعرفون ابناءهم لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر رض
انه سال عبد الله بن سلام رض عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال انا
اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لست اشك في محمد صلى الله عليه وآله وسلم
انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل راسه وجاز الاضمار وان لم يسبق
له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم
واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوم بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القرآن
او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث عن
عبد الله بن سلام وانما خص الابناء لان الذكور اشهر
واعرف وهم بصحبة الآباء الزم وبقلوبهم الصق **وان فريقا منهم ليكتمون**
الحق وهم يعلمون وقال فريقا منهم استثناء لمن آمن منهم او لجهالهم الذين قال
فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب **الحق من ربك** يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدأ
محذوف اي هو الحق او مبتدأ خبره من ربك وفيه وجهان ان يكون اللام للعهد

والاشارة الى الحق الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو الحق من ربك وان يكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب وهو اذا جعلت الحق خبر مبتدا فما محل من ربك يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا وقرا علي رضي الله عنه الحق من ربك على الاول اي الحق الحق من ربك **فلا تكونن من الممترين** الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في انه من ربك **ولكل** من اهل الاديان المختلفة **وجهة** قبلة وفي قراءة ابي **هو موليها** وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو الله تعالى اي الله تعالى موليها اياه وقرئت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربه وقرئ هو موليها اي هو مولى تلك الجهة وقد وليها **فاستبقوا الخيرات** والمعنى لكل امة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم فاستبقوا انتم الخيرات و استبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره ومعنى اخر وهو ان يراد ولكل منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات **اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا** للجزاء من موافق او مخالف لا تعجزونه ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأتكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة فكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام **ان الله على كل شيء قدير ومن حيث خرجت** ومن اي بلد خرجت للسفر **فول وجهك شطر المسجد الحرام** اذا صليت **وانه** وان هذا المامور به **للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون** وقرئ يعملون بالياء والتاء **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره** وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة و الشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى الفصل بينه وبين البدا فكرر عليهم ليثبتوا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخر فاختلفت فوائدها **لئلا**

يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا المعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق للزم قبلة الانبياء اي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين كانوا يقولون ما له لا يحول الى قبلة ابيه ابرهيم صلوات الله عليه كما هو مذكور في نعته في التورية كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين لانهم يسوقونه سياق الحجة على قول المعاندين ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابرهيم واسمعيل الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف منها **فلا تخشوهم** فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم **واخشوني** فلا تخالفوا امري وما رايته مصلحة لكم **ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون** متعلق اللام محذوف معناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي عليه السلام تمام النعمة الموت على الاسلام **كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** كما ارسلنا اما ان يتعلق بما قبله اي ولاتم نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول **فاذكروني** بالطاعة **اذكركم** بالثواب **واشكروا لي** ما انعمت به عليكم **ولا تكفرون** ولا تجحدوا نعمائي **يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء** هم اموات بل هم احياء **ولكن لا تشعرون** كيف حالهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار

على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون
ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد
فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر
وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر
لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله
وحكمه ام لا بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس و
الثمرات بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه وبشر الصابرين الذين
اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون وبشر الصابرين
المسترجعين عند المصيبة جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفا
صالحا يرضاه وروي انه طفي سراج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقالوا انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المؤمن
فهو له مصيبة وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان
جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال
لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على
شيء او على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله
صلى الله عليه وعلى آله وسلم او لكل من يتأتى منه البشارة وعن الشافعي رحمه الله الخوف
خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال والصدقات ومن الا
الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا مات
ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي فيقولون حمدك واسترجع
فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع
بينها وبين الرحمة كقوله رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة
ورحمة اي رحمة واولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا و
سلموا لامر الله تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله الصفا والمروة
علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة من اعلام

مناسكه ومتعبداته فمن حج البيت او اعتمر الحج القصد والاعتمار الزيارة
فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم والبيت
في الاعيان فلا جناح عليه ان يطوف بهما اصل يطوف يتطوف فادغم
وقرئ ان يطوف من طاف كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا
جناح عليه بهما كان على الصفا اساف وعلى الصفا نائلة صنمان يروى انهما
كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما
طالت المدة عبدا وكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام و
كسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون
عليهم جناح في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل
رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح
عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله ومن تطوع خيرا فان الله شاكر
عليم كقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير
وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة انه واجب
وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه
الصلوة والسلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن
يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير ان الذين يكتمون من احبار
اليهود ما انزلنا في التورية من البينات من الآيات الشاهدة على امر محمد صلى
الله عليه وآله وسلم والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به من بعد ما
بيناه ولخصناه للناس في الكتاب في التورية لم ندع فيه موضع اشكال ولا
اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس
اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الذين يتأتى منهم اللعن عليهم وهم
الملائكة والمؤمنون من الثقلين الا الذين تابوا واصلحوا ما افسدوا من احوالهم
وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه وبينوا للناس
ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به و
يقتدي بهم غيرهم من المفسدين فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين

كفروا وماتوا وهم كفار يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا اولئك عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقرأ الحسن والملئكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو وكانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملئكة
ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر اراد بالناس من يعتد بلعنته وهم المؤمنون وقيل يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا خالدين فيها في اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون ولا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولي لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه بصفة الصفة اما نعمة واما منعم عليه ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الاخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة
وبث فيها عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة به لانهم ينمون بالخصب ويعيشون وتصريف الرياح في كل مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقيما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب والسحاب المسخر بين السماء والارض سخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله يمطر حيث شاء لآيات لقوم يعقلون

عطف على انزل او احيا
الظاهر انه

ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا امثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم وينزلون على اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اي كما يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والذين امنوا اشد حبا لله لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهلة الهها من حيس عام المجاعة ولو يرى الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد اي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب ان القدرة كلها لله على كل شيء من الثواب والعقاب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رايت فلانا والسياط تاخذه وقرئ ولو ترى على خطاب الرسول او كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا اذ بدل من اذ يرون العذاب اي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع وقرأ مجاهد الاول على البناء للفاعل والثاني على البناء للمفعول اي تبرأ الاتباع من الرؤساء

ورأوا العذاب الواو للحال اي تبرؤا في حال رؤيتهم العذاب وتقطعت بهم الأسباب عطف على تبرأ المتبوعون والأسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الأنساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة لو في معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء الذي يجاب به التمني كأنه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك مثل ذلك الأراء الفظيع يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل اري ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار هم بمنزلته في قوله هم يفرشون اللبد كل طمرة في دلالته على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا مفعول كلوا او حال من ما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض ليس بماكول وفي خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبيه اذا اقتدى به واستن بسنته إنه لكم عدو مبين ظاهر العداوة لا خفاء به إنما يأمركم بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يأمركم بخير قط انما يأمركم بالسوء بالقبيح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظائم وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز عليه كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الآمر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المأمورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه

فلذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى إن النفس لأمارة بالسوء لما كان الانسان بطبعها يعطيها ما اشتهت وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا لهم الضمير للناس وعدل عن الخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالتهم لانه لا ضال اضل من المقلد كأنه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم وما ألفينا بمعنى وجدنا لقوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجب معناه ايتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق او ومثل الذين كفروا كالبهائم الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التي لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيئا آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون اهم على حق ام باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيئا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال الاخطل فانعق بضأنك يا جرير فانما منتك نفسك في الخلاء ضلالا واما نعق الغراب

وأولو كان الخ [illegible] ولفظ شيئا مفعول [illegible] فيه البدل ستة اوجه [illegible] الاوجه [illegible] الوجهين [illegible] الاربعة اوجه [illegible] التوسط [illegible] والمتوسط [illegible] والله اعلم

فالعير المعجمة صم بكم عمي فهم لا يعقلون هم صم بكم رفع على الذم يا
ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته
لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها ان
كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى
النعم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى اني والجن والانس
في نبأ عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم
الميتة والدم ولحم الخنزير وقرئ حرم على البناء للفاعل وحُرّم على البناء
للمفعول وحرم بوزن كرم وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت للصنم
وذلك قول الجاهلية باسم اللات والعزى فمن اضطر غير باغ على مضطر
آخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فلا اثم عليه ان الله غفور
رحيم ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم لنا ميتتان ودمان قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة
الا ترى ان القائل اذا قال اكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد
كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف
قالوا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما
في الحقيقة قال الله تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة
فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله تعالى دابة في قوله ان شر الدواب
عند الله الذين كفروا وانما ذكر لحم الخنزير دون شحمه
لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل
قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم ان الذين يكتمون ما انزل الله من
الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم
ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس
بالنار لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم
اذا اكل الدية التي هي بدل منه قال اكلت دما ان لم ارعك بضرة وقال
ان لنا احمرة عجافا ياكلن كل ليلة اكافا اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا

والنبات

لتلبسه به بكونه ثمنا ولا يكلمهم الله يوم القيمة تعريض لحرمانهم حال اهل
الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب
اليم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه
وقطع كلامه لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسئوا فيها ولا تكلمون
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم
على النار تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما
تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد
انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي
شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا اصل معنى فعل التعجب والذي
روي عن الكسائي انه قال قال قاضي اليمن بمكة اختصم الي رجلان من العرب
فحلف احدهما على حق صاحبه فقال ما اصبرك على الله فمعناه ما اصبرك
على عذاب الله ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اي ذلك بسبب ان الله نزل
من الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد
عن الحق والكتاب للجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله تعالى نزل القرآن بالحق كما
يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم
شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم
يتاقوا لما جسر هؤلاء ان يكفروا ليس البر اسم للخير ولكل فعل مرضي ان
تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود
تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم اكثروا
الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الكعبة
وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس
البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض
المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام به وصرف
الهمة اليه بر من امن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر
مقدم وقرأ عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك

فقيل ليس البر العظيم الذي يحسن ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة

ليس المطلوب بيد ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والمليكة﴾
﴿والنبيين﴾ على تأويل حذف المضاف أي بر من آمن أو بتأويل البر بمعنى ذي البر كما
قالت فإنما هي إقبال وإدبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر
بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف ورفع البر
والكتاب جنس كتب الله أو القرآن ﴿وآتى المال على حبه﴾ مع حب المال والشح
به كما قال ابن مسعود أن تؤتيه وأنت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى
الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل
على حب الله وقيل على حب الإيتاء يريد أن يعطيه وهو طيب النفس بإعطائه
وقدم ﴿ذوي القربى﴾ لأنهم أحق قال عليه السلم صدقتك على المسكين
صدقة وعلى ذي رحمك اثنتان لأنها صدقة وصلة وقال أفضل الصدقة
على ذي الرحم الكاشح ﴿واليتامى﴾ وأطلق ذوي القربى واليتامى والمراد الفقراء
منهم لعدم الالتباس ﴿والمساكين﴾ والمسكين الدائم السكون إلى الناس لأنه لا شيء له
كالمسكير للدائم السكر ﴿وابن السبيل﴾ المسافر المنقطع وجعل ابناً للسبيل لملازمته
له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لأن السبيل يرعف به
﴿والسائلين﴾ المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حق على
ظهر فرسه ﴿وفي الرقاب﴾ وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل
في ابتياع الرقاب وإعتاقها وقيل في فك الأسارى ﴿وأقام الصلوة﴾
﴿وآتى الزكوة﴾ قد ذكر إيتاء المال في هذه الوجوه ثم
قفاه بإيتاء الزكوة فهل دل ذلك على أن في المال سوى الزكوة حقاً
يحتمل ذلك وعن الشعبي أن في المال حقاً سوى الزكوة وتلا هذه الآية ويحتمل
أن يكون ذلك بيان مصارف الزكوة أو يكون حثاً على نوافل الصدقات و
المبار وفي الحديث نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال
حق سوى الزكوة ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ عطف على من آمن
﴿والصابرين﴾ أخرج الصابرين منصوباً على الاختصاص والمدح إظهاراً لفضل
الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال وقرئ والموفين والصابرين

﴿في البأساء﴾ الفقر والشدة ﴿والضراء﴾ المرض والزمانة ﴿وحين البأس أولئك﴾
﴿الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ كانوا صادقين جادين في الدين
﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد﴾
﴿بالعبد والأنثى بالأنثى﴾ عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء
وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعي رضي أن الحر لا يقتل بالعبد والذكر
لا يقتل بالأنثى أخذاً بهذه الآية ويقولون هي مفسرة لما أبهم في قوله النفس
بالنفس ولأن تلك واردة لحكاية ما كتب في التورية على أهلها وهذه خوطب
بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة
والثوري وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس
والقصاص ثابت بين الحر والعبد والذكر والأنثى ويستدلون بقوله صلى الله عليه و
وسلم تتكافأ دماؤهم وبأن التفاضل غير معتبر في الأنفس بدليل أن جماعة لو
قتلوا واحداً قتلوا به وروي أنه كان بين حيين من أحياء العرب دماء في الجاهلية
وكان لأحدهما طول على الآخر فأقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالأنثى
والاثنين بالواحد فتحاكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين جاء
الله بالإسلام فنزلت وأمرهم أن يتباوؤا ﴿فمن عفي له من أخيه شيء﴾
معناه فمن عفي له من جهة أخيه شيء من العفو على أنه كقولك سير بزيد بعض
السير وطائفة من السير ولا يصح أن يكون شيء بمعنى المفعول به لأن عفا لا
يتعدى إلى مفعول به إلا بواسطة وأخوه هو ولي المقتول وقيل له أخوه لأنه
لابسه من قبل أنه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا
لما بينه وبينه أدنى ملابسة أو ذكره بلفظ الأخوة ليعطف أحدهما على
الآخر بذكر ما هو ثابت بينهما من الجنسية والإسلام إن عفي يتعدى بعن
لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له يتعدى بعن إلى الجاني وإلى الذنب
قيل عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله
عنها فإذا تعدى إلى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له
ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الآية كأنه قيل فمن عفي له عن جنايته

فاستغني عن ذكر الجناية هلا فسرت عفي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به لان عفي الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن اعفاه ومنه قوله عليه السلم واعفوا اللحي فقد ثبت قولهم عفا اثره اذا محاه و ازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه شيء عبارة قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب و السنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجتري اذا اعضل عليه تخريج وجه المشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جراة يستعاذ بالله منها لم قيل شيء من العفو للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفي عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان فليكن اتباع اوفالامر اتباع وهذه وصية للمعفو عنه والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بدل الدم اداء اليه باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف من ربكم ورحمة لان اهل التورية كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلث القصاص والدية والتوسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية يؤمن القاتل بقبول الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب شديد الالم في الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلم لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم في القصاص حيوة كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل مكانا وظرفا للحيوة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا

يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفني بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرا ابو الجوزاء ولكم في القصص حيوة اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اي لكم في القرآن حيوة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيى من حي عن بينة يا اولي الالباب لعلكم تتقون اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوى في المحافظة والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت اذا دنا منه وظهرت اماراته ان ترك خيرا مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلثة آلاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لذلك مال هو المال وليس لك مال الوصية للوالدين والاقربين والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعدما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وبتلقي الامة اياه بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين وقيل ما هي بمخالفة لآية المواريث ومعناها كتب عليكم ما او[صى] به الله من توريث الوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم بالمعروف بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير

ولا يتجاوز الثلث حقا على المتقين مصدر مؤكد اي حق ذلك حقا فمن بدله
غيره من الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود
بعدما سمعه وصل اليه وتحققه فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم الايصاء المغير
او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريان
من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف من موص فمن توقع
وعلم وهذا في كلامهم شايع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع
والظن الغالب الجاري مجرى العلم جنفا ميلا عن الحق بالخطاء في الوصية
او اثما او تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون
باجرائهم على طريق الشرع فلا اثم عليه ح لان تبديله تبديل باطل الى حق
ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم ان
الله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين
من قبلكم على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي رضي الله عنه
اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة اصلية قديمة ما اخلى الله امة من افتراضها
عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها
لاصالتها وقدمها او لعلكم تتقون المعاصي لان الصايم اظلف لنفسه واردع
لها من مواقعة السوء قال عليه السلم فعليه بالصوم فان الصوم وجاء او لعلكم
تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في
عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا
عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد
والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع
وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته وقيل الايام المعدودات عاشورا
وثلثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صيامها
حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا
المفطر بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة
الصيام الآية اياما معدودات موقتات بعدد معلوم او قلايل كقوله

دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال
هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة فمن
كان منكم مريضا او على سفر او راكب سفر فعدة من ايام اخر فعليه
عدة وقرئ بالنصب اي فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان
يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قال كل مرض
لان الله تعالى لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان
يفطر فكذلك لكل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو ياكل فاعتل
بوجع اصبعه وسيل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر
وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقايل هو المرض الذي يعسر معه
الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده
الجهد غير المحتمل واختلف في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن
الجراح ان الله تعالى لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه
ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم انه
يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات
كيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات
قلنا لما قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم اياما معدودة مكانها
علم انه لا يؤثر عدد على عددها فاغنى ذلك عن التعريف بالاضافة وعلى
الذين يطيقونه وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم ان افطروا فدية
طعام مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل
الحجاز مد وكان ذلك في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه
فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرأ ابن عباس يطوقونه
تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه
ويقال لهم صوموا وعنه يتطوقونه بمعنى يتكلفونه او يتقلدونه و
يطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطيقونه
واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه على انهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت

الياء في الواو وبعد قلبها ياء كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان احد
هما بمعنى يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ
والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ
ويجوز ان يكون هذا بمعنى يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ
وسعهم **فمن تطوع خيرا** فزاد على مقدار الفدية **فهو خير له** فالتطوع الخير
له او الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع **وان تصوموا** ايها المطيقون
او المطوقون وجهدتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم **خير لكم** من الفدية
وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض والمسافر ايضا وفي قراءة ابي
والصيام خير لكم **ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن**
الرمضان مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل
علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة
الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت   لم سمي شهر
رمضان   الصوم فيه عبادة قديمة فكأنهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من
حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا
للشدة عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة
التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر   فاذا كانت التسمية
واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء في الاحاديث من نحو قوله
عليه السلام من صام رمضان ايمانا واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له
هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال كما اعيا النطاسي حذيما اراد
ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدأ خبره الذي انزل فيه القرآن او على انه بدل
من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدأ محذوف وقرئ
بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على
انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك
في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل
انزل في شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي

كذا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان
وانزلت التورية لست مضين والانجيل لثلث عشرة والقرآن لاربع وعشرين
هدى للناس وبينات نصب على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق و
يفرق بين الحق والباطل   ما معنى قوله وبينات **من الهدى والفرقان**
بعد قوله هدى للناس   ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من
جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية
الهادية الفارقة بين الهدى والضلال **فمن شهد منكم الشهر**
فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر فعليه عدة
وقرئ بالنصب فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا
يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذا الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به
كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر **يريد الله**
بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم
الحرج في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة
ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من
فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه
الاعادة وقرئ اليسر والعسر بضمتين الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق
تقديره **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم**
تشكرون شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر
المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله
لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء و
الخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا
نوع من اللف لطيف المسلك لا يهتدي الى تبيينه الا النقاب المحدث من علماء
البيان وانما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه متضمنا معنى الحمد كأنه
قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون علة الترخيص
والتيسير وارادة ان تشكروا وقرئ ولتكملوا بالتشديد
هل يح

هو آيات واضحات مكشوفات مما يهدي الى الحق صح

ان يكون ولتكملوا معطوفة على علة مقدرة كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة
او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا العدة كقوله يريدون
ليطفئوا نور الله لا يبعد ذلك والاول اوجه
بالتكبير تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير
عند الاهلال وإذا سألك عبادي عني فاني قريب تمثيل لحاله في سهولة
اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من سأله بحال من قرب
مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله
عليه السلم هو بينكم وبين اعناق رواحلكم روي ان اعرابيا قال لرسول الله
صلى الله عليه وآله اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة
الداع اذا دعان فليستجيبوا لي اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اني اجيبهم
اذا دعوني لحوائجهم وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون وقرئ يرشدون و
يرشدون بفتح الشين وكسرها احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم
كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة
او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء
الى القابلة ثم ان عمر واقع اهله بعد صلوة العشاء الاخيرة فلما اغتسل
اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال يا رسول الله
اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة واخبره بما فعل فقال عليه السلام
ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء
فنزلت وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم اي احل الله وقرئ
الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد ارفث الرجل
وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير
فقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث
ولا فسوق فكني به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك
لم يكنى عنه بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم
الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم

من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن استهجانا
لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم وعدي
الرفث بالى لتضمنه معنى الافضاء هن لباس لكم وانتم لباس
لهن لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه
في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي اذا ما الضجيع ثنى عطفها
تثنت فكانت عليه لباسا ما موقع قوله هن لباس لكم
هو استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه
المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص
لكم في مباشرتهن علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم تظلمونها
وتنقصونها حظها من الخير والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب
فيه زيادة وشدة فتاب عليكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور وعفا
عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا
ما قسم الله لكم واثبت في اللوح المحفوظ من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا
لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل
وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذي كتبه الله لكم
وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله
لكم من الاباحة بعد الحظر وقرأ ابن عباس واتبعوا وقرأ الاعمش وأتوا
وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان [illegible]
وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير وكلوا واشربوا حتى يتبين
لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر الخيط الابيض
اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود والخيط الاسود
ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض واسود قال ابو دواد
فلما اضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط انارا وقوله من الفجر بيان
للخيط الابيض واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان
للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله

أهذا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه قوله من الفجر أخرجه
من باب الاستعارة كما أن قولك رأيت أسداً مجاز فإذا زدت من فلان رجع
تشبيهاً فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيهاً وهلا اقتصر به على
الاستعارة التي هي أبلغ من التشبيه وأدخل في الفصاحة لأن من شرط
المستعار أن تدل عليه الحال أو الكلام ولو لم يذكر من الفجر فكان تشبيهاً
بليغاً وخرج عن أن يكون استعارة فكيف التبس على عدي بن حاتم
مع هذا البيان حتى قال عمدت إلى عقالين أبيض وأسود فجعلتهما تحت وسادي
فكنت أقوم من الليل فأنظر إليهما فلا يتبين لي الأبيض من الأسود فلما أصبحت
غدوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته فضحك وقال إن كان
وسادك لعريضاً وروي إنك لعريض القفا إنما ذاك بياض النهار وسواد الليل
غفل عن البيان ولذلك عرّض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقفاه
لأنه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وأنشد بعض البدويين
عريض القفا ميزانه في شماله قد انحص من حسب القراريط شاربه
فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي أنها نزلت ولم ينزل من الفجر
فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط
الأسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا أنما
إنما يعني بذلك الليل والنهار وكيف جاز تأخير البيان وهو يشبه العبث حيث
لا يفهم منه المراد إذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر
فلا يفهم منه إذن إلا الحقيقة وهي غير مرادة أما من لا يجوز تأخير
البيان وهم أكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب أبي علي وأبي هاشم فلم يصح
عندهم هذا الحديث وأما من يجوزه فيقول ليس بعبث لأن المخاطب يستفيد
منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله إذا استوضح المراد منه ثم أتموا الصيام
إلى الليل قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار في صوم رمضان وعلى جواز تأخير
الغسل إلى الفجر وعلى نفي صوم الوصال ولا تباشروهن وأنتم عاكفون
في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف أن يحبس نفسه في المسجد يتعبد فيه

والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى
نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد
الاعتكاف وكذلك إذا لمس أو قبل فأنزل وعن قتادة كان الرجل إذا اعتكف
خرج فباشر امرأته ثم رجع إلى المسجد فنهاهم الله تعالى وقالوا فيه دليل
على أن الاعتكاف لا يكون إلا في مسجد وأنه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل
لا يجوز إلا في مسجد نبي وهو أحد المساجد الثلثة وقيل في مسجد جامع والعامة
على أنه في مسجد جماعة وقرأ مجاهد في المسجد تلك الأحكام التي ذكرت حدود الله
فلا تقربوها فلا تغشوها كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها
ومن يتعد حدود الله من كان في طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف
في حيز الحق فنهي أن يتعدى لأن من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي
أن يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل وأن
يكون في الواسطة متباعداً عن الطرف فضلاً أن يتخطاه كما قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم إن لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول
الحمى يوشك أن يقع فيه فالرتع حول الحمى وقربان حيزه واحد ويجوز أن يريد
بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصاً لقوله ولا تباشروهن وهي حدود
لا تقرب كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ولا تأكلوا
أموالكم بينكم ولا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل بالوجه الذي لم
يبحه الله ولم يشرعه وتدلوا بها ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها إلى الحكام
لتأكلوا بالتحاكم فريقاً طائفة من أموال الناس بالإثم بشهادة الزور أو
باليمين الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم أنه قال للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي ولعل
بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء
من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئاً فإنما أقضي له قطعة من نار فبكيا وقال
كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل
واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه

المشوه وتدلوا مجزوم وداخل في حكم النهي او منصوب باضمار ان كقوله وتكتموا
الحق وانتم تعلمون انكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها اقبح
وصاحبه احق بالتوبيخ يسألونك عن الاهلة روي ان معاذ بن جبل وثعلبة
ابن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط
ثم يزيد حتى يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا لا يكون
على حالة واحدة فنزلت قل هي مواقيت للناس معالم يوقت بها الناس
مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم
وايام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك والحج ومعالم للحج يعرف بها وقته
وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى
وكان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حائطا ولا دارا
ولا فسطاطا من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل
ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء
ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ولكن البر بر من اتقى ما حرم الله
ما وجه اتصاله بما قبله كانه قيل لهم عند سؤالهم عن الاهلة
وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله الله عز وعلا لا
يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة
مما تفعلونها انتم مما ليس من البر في شيء وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري
ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في
الحج ويحتمل ان يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وان مثلهم فيه كمثل
من يترك باب الدار ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي ان
يكونوا عليه بان تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه
ولم يجسر على مثله ثم قال واتوا البيوت من ابوابها اي وباشروا الامور
على وجوهها التي يجب ان تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين
النفوس وربط القلوب على ان جميع افعال الله حكمة وصواب من غير
اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسال عنه لما في السؤال

الاتهام بمقارفة الشك لا يسال عما يفعل وهم يسالون واتقوا الله لعلكم
تفلحون وقاتلوا في سبيل الله المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة
الله واعزاز الدين الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون
المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع
بن انس هي اول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين يناصبونكم القتال دون
من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء او الكفرة
كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة
قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلثة ايام فرجع
لعمرة القضاء خاف المسلمون ان لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم
والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال
من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد
او بالمثلة او بالمفاجاة من غير دعوة ان الله لا يحب المعتدين واقتلوهم
حيث ثقفتموهم حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف وجود على وجه
الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال فاما تثقفوني فاقتلوني
فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة
وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح
والفتنة اشد من القتل اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب
به اشد عليه من القتل وقيل ما اشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل
الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت ومنه قول القائل
الموت بقتل بحد السيف اهون موقعا على النفس من قتل بحد فراق وقيل الفتنة
عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل في الحرم وذلك
انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم
عليه اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد فتنتهم اياكم بصدكم

مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع
فقد روي عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رض ان رجلا
قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا فقال هديت
لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج
كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر فيقال
حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك
علي كونها قرينة له في الوجوب واما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما
مكتوبين بقوله اهللت بهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر
بالتطوع من الصلوة والدليل الذي ذكرنا اخرج العمرة من صفة الوجوب
فبقي الحج وحده فيها فهما واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع
من الصلوة بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في انك تامر
بفرض وتطوع وقراء علي وابن مسعود والشعبي والعمرة لله بالرفع كانهم
قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب **فان احصرتم** يقال
احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين
احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة شعر وما هجر ليلى ان تكون تباعدت
عليك ولا ان احصرتك شغول وحصر اذا حبسه العدو عن المضي
او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الا
في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده واصده وكذلك
قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعليه قول ابي حنيفة كل منع عنده من عدو
كان او مرضا وغيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي
منع العدو وحده وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كسر او عرج
فقد حل وعليه الحج من قابل **فما استيسر من الهدي** فما تيسر منه يقال يسر
الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية كما يقال
في جدية السرج جدي وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كما يقال مطية
ومطي يعني فان منعتم من المضي الى البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم

اذا اردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة
اين ومتى ينحر هدي المحصر ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة
يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم امار وعندهما في ايام النحر وان كان
معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا وما استيسر رفع بالابتداء اي فعليه
ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر **ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ
الهدي محله** الخطاب للمحصرين اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه
الى الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه
وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحر
هديه حيث احصر كان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل مكة وهو
من الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة
فمن كان منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق **او به اذى
من راسه** وهو القمل او الجراحة فعليه اذا احتلق **فدية من صيام** ثلثة ايام **او
صدقة** على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر **او نسك** وهو شاة وعن
كعب بن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له لعلك اذاك هوامك
قال نعم يا رسول الله قال احلق راسك وصم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين
او انسك شاة وكان كعب يقول فيّ نزلت هذه الآية وروي انه مر به وقد قرح
راسه فقال كفى بهذا اذى وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك مصدر وقيل
جمع نسيكة وقراء الحسن او نسك بالتخفيف **فاذا امنتم** الاحصار يعني فاذا
لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة **فمن تمتع** اي استمتع **بالعمرة الى الحج**
واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله تعالى قبل انتفاعه بتقربه
بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم
بالحج **فما استيسر من الهدي** هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة ويأكل
منه وعند الشافعي ولا ياكل منه ويذبحه عندنا يوم النحر وعنده يجوز ذبحه
اذا احرم بحجته **فمن لم يجد** الهدي **فصيام** فعليه صيام **ثلثة ايام في الحج**
اي في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب

فدية

ابي حنيفة والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا
الوقت لم يجزئه الا الدم وعند الشافعي لا تصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا
بظاهر قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم يعني اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج
عند ابي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع الى اهاليهم وقرا ابن ابي عبلة وسبعة
بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام كانه قيل فصيام ثلثة ايام كقوله او اطعام في يوم
ذي مسغبة يتيما تلك عشرة كاملة   فما فائدة الفذلكة
الواو تجي للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو
جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة و
ايضا ففائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به
من جهتين فيتاكد العلم وفي امثال العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تاكيد
آخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها
كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تامره به وكان منك بمنزلة الله الله
لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وفي قراءة ابي فصيام ثلثة ايام
متتابعات ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام اشارة الى
التمتع عند ابي حنيفة واصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم
ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا ياكل منه واما القارن
والمتمتع من اهل الآفاق فدمهما دم نسك وعند الشافعي اشارة الى الحكم الذي
هو وجوب الهدي والصيام ولم يوجب عليهم شيئا وحاضرو المسجد اهل المواقيت
فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة وعند الشافعي اهل الحرم ومن كان من
الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلوة واتقوا   في المحافظة على حدوده
وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب
لمن خالفه ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى الحج اشهر معلومات
اي وقت الحج اشهر كقولك البرد شهران والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة
وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة النحر وعند مالك
ذو الحجة كله   ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر   فائدته

ان شيا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي في
غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه   فكيف كان الشهران و
بعض الثالث اشهرا   اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله
تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل
ثلثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رايتك سنة كذا
او على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما رآه في ساعة منها
ما وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير   قالوا
وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكانها مخلصة للحج لا مجال فيها
للعمرة وعن عمر انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن
عمر انه قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات عرق
فاهللت منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب عروة تاخير طواف الزيارة الى آخر
معلومات عند الناس لا يشكل عليهم وفيه ان الشرع لم يات على خلاف ما عرفوه
وانما جاء مقررا له فمن فرض فيهن الحج فمن اوجبه نفسه بالتلبية او بتقليد
الهدي وسوقه عند ابي حنيفة وعند الشافعي بالنية فلا رفث فلا جماع لانه
يفسده او فلا فحش من الكلام ولا فسوق ولا خروج عن حدود الشريعة
وقيل السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين
في الحج وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل حال لانه مع الحج
اسمج كلبس الحرير في الصلوة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها
وانها حقيقة بان لا تكون وقرئ المنفيات الثلث بالرفع والنصب وقرا ابو عمرو
وابن كثير الاولين بالرفع والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي
كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه
قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف
عند المشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه
سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى انه
قد ارتفع الجدال في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون

الجدال بقوله من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئته يوم ولدته امه وان لم يذكر
الجدال ﴿وما تفعلوا من خير يعلمه﴾ حث على الخير عقيب النهي عن الشر وان
يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان
الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة او جعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم
حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه ويعضده قوله ﴿وتزودوا فان خير الزاد التقوى﴾
اي اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل
كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله تعالى افلا يطعمنا
فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام
وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى ﴿واتقون﴾ وخافوا عقابي
﴿يا اولي الالباب﴾ فان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء
فكانه لا لب له ﴿ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم﴾
عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون
ان يتجروا ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم يقم لهم سوق
ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل
كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها ايام
الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح
في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال
له انا قوم نكري في هذا الوجه وان قوما يزعمون ان لا حج لنا فقال سأل رجل
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم
جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر رض انه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة
في الحج وهو قراءة ابن عباس فضلا من ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا في ان تبتغوا
﴿فاذا افضتم من عرفات﴾ دفعتم منها بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر
المفعول كما ترك في دفعوا موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رض صب
في دفعان وهو تحريض بعير المحنة ويقال افاضوا في الحديث وهضبوا فيه وعرفة
علم للموقف سمي بجمع كاذرعات هلا منع الصرف وفيه السببان

التعريف والتأنيث لان التأنيث اما بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة
كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتأنيث وانما هي مع الالف علامة لجمع المؤنث ولا
يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من
تقديرها كما لا يقدر تاء التأنيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها
بالمؤنث كتاء التأنيث فابت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت
لابرهيم عليه الصلوة والسلم فلما ابصرها عرفها وقيل التقى فيها آدم وحوا
فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من
الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في اسماء الاجناس الا ان تكون جمع
عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون
الا بعده وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحج عرفة فمن ادرك العرفة فقد
ادرك الحج ﴿فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ بالتلبية والتهليل و
التكبير والثناء والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشاء والمشعر الحرام قزح
وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وعليه المشعر الحرام ما بين
جبلي المزدلفة من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي
محسر من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روى جابر ان النبي صلى الله عليه
وآله وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام
فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وقوله عند المشعر الحرام معناه
مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا
فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر وجعلت اعقاب المزدلفة لكونها
في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم العبادة
ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه نظر الى الناس ليلة جمع
فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة
وجمعا لان آدم اجتمع فيها مع حوا وازدلف اليها اي دنا منها وعن
قتادة لانه يجمع فيها بين الصلوتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل اهلها
لانهم يزدلفون الى الله اي يتقربون بالوقوف فيه ﴿واذكروه كما﴾

هديكم ما مصدرية او كافة والمعنى واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم
هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه ذكرا حسنا لا تعدلوا عنه
وان كنتم من قبله من قبل الهدى لمن الضالين الجاهلين لا تعرفون كيف
تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة ثم
افيضوا من حيث افاض الناس ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس
ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة وذلك
لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان
يساووهم وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون
بجمع وسائر الناس بعرفات فكيف موقع ثم
في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم ياتي بثم لتفاوت ما بين
الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين
امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين
وان احديهما صواب والثانية خطاء وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس
وهم الحمس اي من المزدلفة الى منا بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث
افاض الناس بكسر السين اي الناسي وهو آدم من قوله ولقد عهدنا الى آدم
فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله
من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم ان الله غفور رحيم
فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله
كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون
في ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا
بين المسجد بمنا وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم
او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر في قوله كذكركم
كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب عطف
على آباءكم بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكرا من فعل المذكور فمن الناس
من يقول معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس بين مقل لا يطلب

حيث م

بذكر الله الا اغراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين ربنا
آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا اي اعطاءنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة
من خلاق اي من طلب خلاق وهو النصيب او لهذا الداعي في الآخرة من
نصيب لان همه مقصور على الدنيا ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار والحسنتان ما هو طلبة الصالحين
في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب
وعن علي رض الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب
النار امرأة السوء اولئك لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من جنس ما
كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل
ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه
ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعا
كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز
ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا والله
سريع الحساب يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب العباد فبادروا الى اكثار الذكر
وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة
اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي انه يحاسب الخلق
في قدر حلب شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة واذكروا الله
في ايام معدودات الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها
التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رض انه كان يكبر في فسطاطه
بمنا فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل في
النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في
الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة
اوفق لقوله ومن تاخر كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتاني بعض حاجته
وقد يكون مع المستعجل الزلل لاجل المتاني في يومين بعد يوم النحر يوم القر
الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤوس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار

الداعون بالحسنيين

كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروي عن قتادة وعند ابي حنيفة ر
اصحابه ينفر قبل طلوع الفجر فلا اثم عليه ومن تاخر حتي رمي في اليوم الثالث
فلا اثم عليه والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه علي الزوال عند ابي حنيفة
وعند الشافعي لا يجوز كيف قيل فلا اثم عليه عند التعجل والتاخر جميعا
دلالة علي ان التعجل والتاخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تاخروا
اليس التاخر بافضل بلي ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما
خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية
كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتاخر آثما فورد القرآن
بنفي المأثم عنهما جميعا لمن اتقي اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل
الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثام
الاقدام عليه لان ذا التقوي حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج علي الحقيقة
عند الله ثم قال واتقوا ليعبأ بكم ويجوز ان يراد ذلك الذي مر ذكره
من احكام الحج وغيره لمن اتقي لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير
للذين يريدون وجه الله واعلموا انكم اليه تحشرون ومن الناس
من يعجبك قوله يروقك ويعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في
النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله
صلي الله عليه وآله وسلم الان له القول وادعي انه يحبه وانه مسلم
وقال يعلم الله اني صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلولي السنتهم
وقلوبهم امر من الصبر بم يتعلق قوله في الحيوة الدنيا
بالقول اي يعجبك ما يقوله في معني الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل
يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك
اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك في الآخرة لما يرهقه
في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا يتكلم حتي
يعجبك كلامه ويشهد الله علي ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شاهد
علي ما في قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي

فيستشهد الله وهو الد الخصام شديد الجدال والعداوة للمسلمين
وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق
زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعني في كقولهم ثبت الغدر و
جعل الخصام الدا علي المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعني
وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولي عنك وذهب بعد الالانة القول واحلاء
المنطق سعي في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله بثقيف
وقيل واذا تولي واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض
بالهلاك وقيل يظهر الظلم حتي يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث
والنسل علي ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف علي سعي وقرأ الحسن بفتح
اللام وهو لغة نحو ابي يابي وروي عنه ويهلك علي البناء للمفعول و
اذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم من قولك
اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اي حملته العزة التي فيه وحمية
الجاهلية علي الاثم الذي ينهي عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلي عنه ضرارا
ولجاجا او علي رد قول الواعظ فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن
الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله يبيعها اي يبذلها في
الجهاد وقيل يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر حتي يقتل وقيل نزلت في صهيب بن
سنان اراده المشركون علي ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا
شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما
انا عليه وخذوا مالي فقبلوا منه ماله واتي المدينة والله رءوف بالعباد
حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء يا ايها الذين آمنوا ادخلوا
في السلم بكسر السين وفتحها وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله
واطيعوه كافة لا يخرج منكم احد يده عن طاعته وقيل هو الاسلام
والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم
آمنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث
الحرب قال السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع

على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة ...
او في شعب الاسلام وشرايعه كلها وان لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن
سلام انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يقيم على السبت
وان يقرا من التورية في صلواته من الليل وكافة من الكف كانهم كفوا
ان يخرج منهم احد باجتماعهم ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم
عدو مبين فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات
اي الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله
عزيز غالب لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا بحق وروي
ان قاريا قرا غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرا القرآن وقال ان
كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء
عليه وقرا ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ضللت وضللت هل
ينظرون الا ان ياتيهم الله اي يأتيهم امره وبأسه كقوله او يأتي امر
ربك فجاءهم بأسنا ويجوز ان يكون المأتي به محذوفا بمعنى ان يأتيهم الله ببأسه
او بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز في ظلل من الغمام جمع ظلة
وهي ما اظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال والملئكة وقرئ
الملئكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة وبالجر عطفا
على ظلل وعلى الغمام لم يأتهم العذاب في الغمام
لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان
الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا
يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت
الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ذلك
اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم
يكونوا يحتسبون وقضي الامر اتم امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه و
قرا معاذ بن جبل وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملئكة والى الله
ترجع الامور من رجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول ...

والتذكير فيهما سل بني اسرائيل امر للرسول صلى الله عليه وآله وسلم
او لكل واحد وهذا السؤال سؤال تقريع كما يسأل الكفرة يوم القيمة كم
آتيناهم من آية بينة على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من آية في الكتب
شاهدة على دين الاسلام ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله
شديد العقاب ونعمة الله آياته وهي اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى و
النجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها لتكون اسباب هدايتهم
فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم او حرفوا آيات
الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم كم استفهامية
او خبرية تحتمل الامرين ومعنى الاستفهام التقرير
من بعد ما جاءته معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله ثم
يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها
غائبة عنها وقرئ ومن يبدل بالتخفيف زين للذين كفروا الحيوة الدنيا
المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها
اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم
حتى استحسنوها واحبوها او جعل امهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة
زين للذين كفروا على البناء للفاعل ويسخرون من الذين آمنوا كابن مسعود وعمار
وصهيب وغيرهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ لهم فيها
او ممن يطلب غيرها والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة لانهم في عليين
من السماء وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في
كرامة وهم في هوان او لانهم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما تطاول
هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار
يضحكون والله يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير يعني انه يوسع
على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه
التوسعة عليكم من جهة الدنيا لما فيها من الحكمة وهي استدراجهم بالنعمة

قوله زين للذين الى اخر الاي ... الوقف التام ما اجتمع فيه الامالة ... والمبدل ... والوسط ... في رواية ... مع الامالة ... مع عدم الامالة

ولو كانت كرامة لكان اولياؤه المؤمنون بها منكم لم قال من الذين
آمنوا ثم قال من الذين اتقوا ليريك الله لا يسعد عنده الا المؤمن
المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك كان الناس امة
واحدة متفقين على دين الاسلام فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
يريد فاختلفوا فبعث الله فاما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما
اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس امة واحدة فاختلفوا فبعث
الله النبيين والدليل عليه قوله عز وجل وما كان الناس الا امة واحدة
فاختلفوا وقيل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا
عليهم والاول الوجه متى كان الناس امة واحدة متفقين
على الحق عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون
على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة وانزل
معهم الكتاب يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه بالحق ليحكم
الله او الكتاب المنزل عليه بين الناس فيما اختلفوا فيه في الحق ودين
الاسلام الذي اختلفوا فيه بعد الاتفاق وما اختلف فيه في الحق الا
الذين اوتوه الا الذين اوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف اي عكسوا
الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف
واستحكامه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم حسدا بينهم
وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم فهدى الله الذين آمنوا
لما اختلفوا فيه من الحق باذنه من الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى
الله الذين آمنوا للحق الذي اختلف فيه من اختلف والله يهدي من يشاء
الى صراط مستقيم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ام منقطعة ومعنى الهمزة
فيها التقرير وانكار الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف
على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين
على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم
لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي ابلغ ام حسبتم ولما

يأتكم ولما فيها معنى التوقع وهي في النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان
اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التي هي مثل في
الشدة مستهم البأساء والضراء وزلزلوا بيان للمثل وهو استئناف
كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء والضراء وزلزلوا وازعجوا
ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع حتى يقول
الرسول والذين آمنوا معه الى الغاية التي قال الرسول ومن معه فيها متى
نصر الله اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب النصر
وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على تناهي الامر في الشدة
وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم
فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان الغاية في الشدة التي لا مطمح وراءها الا ان
نصر الله قريب على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من
عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال والنصب
وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه
الا انها حال ماضية محكية يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من
خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما
تفعلوا من خير فان الله به عليم كيف طابق الجواب السؤال
في قوله قل ما انفقتم وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون واجيبوا ببيان المصرف
قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام
على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها
الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع وعن ابن عباس انه جاء
عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين
نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكاة وعن الحسن هي في التطوع
كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم ثم اما ان يكون
بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال و

ادبار كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى المفعول كا
بمعنى الخبز اي وهو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى الضم
كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على طريق المجاز كانهم
اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه
كرها ووضعته كرها وعلى قوله وعسى ان تكرهوا شيئا جميع ما كلفوه
النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه والله يعلم ما يصلحكم وما هو خير
لكم وانتم لا تعلمون ذلك يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال
فيه قل قتال فيه كبير بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله
بن جحش على سرية في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها
عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا
العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك في اول يوم من رجب وهم يظنونه
من جمادى الآخرة فقالت قريش استحل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الشهر الحرام
شهرا يامن الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فشق على رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا لا نبرح حتى تنزل
توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العير والاسارى وعن ابن
عباس لما نزلت التوبة اخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الغنيمة و
المعنى يسألك الكفار او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام وقتال فيه بدل
الاشتمال من الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه على تكرير العامل
كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل قل قتل فيه كبير
اي امر كبير وعن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل
للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت
والاكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه وصد
مبتداء اكبر عند الله خبره يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله
وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام وهم رسول الله

والمؤمنون اكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ
والبناء على الظن والفتنة الاخراج او الشرك اكبر من القتل والمسجد الحرام
عطف على سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على الهاء لانه لا يجيء [illegible]
وعمرو [illegible] كيف صح العطف قبل الفراغ من المعطوف عليه وقد فصل بينهما بذلك
وكفر به في معنى الصد عن سبيل الله فلاتحادهما [illegible] كانه لا فصل
وكانه قيل وصد عن سبيل الله والمسجد الحرام الا انه قدم لفرط العناية عليه كقوله
قوله ولم يكن له كفوا احد كان من حق الكلام ان يقول ولم يكن احد كفوا له الا
انه قيل ولم يكن له فقدم لفرط العناية فكذلك ههنا ولا يزالون يقاتلونكم
حتى يردوكم عن دينكم اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون
عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك اعبد الله حتى تدخل الجنة
اي يقاتلونكم كي يردوكم ان استطاعوا استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل
لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه لا يظفر به ومن يرتدد منكم
عن دينه فيمت وهو كافر ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على رده
اليه فيموت على الارتداد فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لما يفوتهم
باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها و
الموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي على ان الردة لا تحبط الاعمال
حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة انها تحبطها وان رجع مسلما واولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله روي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم
انهم وان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمت
الله والله غفور رحيم عن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل
رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب نزلت في الخمر اربع آيات
نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا وكان المسلمون يشربونها
وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا افتنا في الخمر
فانه مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما

إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما فتركها قوم وشربها
آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناساً منهم فشربوا وسكروا فأمّ بعضهم فقرأ
قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى
فقلّ من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوماً فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا
افتخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعراً فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحي بعير
فشجّه موضحة فشكا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عمر اللهم
بيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت إنما الخمر والميسر إلى فهل أنتم منتهون فقال
عمر انتهينا يا ربّ وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم
أؤذّن عليها ولو وقعت في بحر ثم جفّ ونبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن
عمر لو أدخلت أصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الإيمان حقاً وهم الذين اتقوا الله
حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام
وكذلك نقيع الزبيب والتمر الذي لم يطبخ فإن طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد
ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحلّ شربه ما دون السكر إذا لم يقصد بشربه
اللهو والطرب عند أبي حنيفة وعن بعض لأن أقول مراراً هو حلال أحبّ إليّ من أن أقول
مرة هو حرام ولأن أخرّ من السماء فأتقطع قطعاً أحبّ إليّ من أن أتناول منه
قطرة وعند أكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما أسكر من كل شراب
وسميت خمراً لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكراً لأنها تسكرها أي تحجزها
وكأنها سميت بالمصدر من خمره خمراً إذا ستره للمبالغة والميسر القمار
مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته إذا قمرته واشتقاقه
من اليسر لأنه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كدّ ولا تعب أو من اليسار
لأنه سلب يساره وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله
وماله قال أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني أي يفعلون بي ما يفعل الياسرون
بالميسر

كيف صفة الميسر

كانت لهم عشرة أقداح وهي
الأزلام والأقلام الفذّ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلّى والمنيح
والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزئونها

عشرة أجزاء وقيل ثمانية وعشرين إلا الثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم
لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح وأسماؤهن وغد وسفيح ومنيح للفذ سهم وللتوأم
سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس أربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلّى
سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها و
يدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحاً منها فمن خرج له قدح من ذوات
الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له
لم يأخذ شيئاً وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الأنصباء إلى الفقراء
ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي
حكم الميسر أنواع القمار من النرد والشطرنج وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
إياكم وهاتين الكعبتين الموسومتين فإنهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه
أن النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر
والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل قوله فيهما إثم كبير وإثمهما وعقاب الإثم
في تعاطيهما أكبر من نفعهما وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما
والتوصل بهما إلى مصادقات الفتيان ومعاشرتهم والنيل من مطاعمهم و
وأعطياتهم وسلب الأموال بالقمار والافتخار على الأبرام وقرئ إثم
كثير بالثاء وفي قراءة أبي وإثمهما أقرب ومعنى الكثرة أن أصحاب الشرب والقمار
يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو
العفو نقيض الجهد وهو أن ينفق ما لا يبلغ إنفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع
قال خذي العفو مني تستديمي مودتي ويقال للأرض السهلة العفو
وقرئ بالرفع والنصب وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن رجلاً أتاه ببيضة من
ذهب أصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فأعرض عنه رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فأتاه من الجانب الأيمن فقال مثله فأعرض عنه ثم أتاه من الجانب
الأيسر فأعرض عنه فقال هاتها مغضباً فأخذها فحذفه بها حذفاً لو أصابه لشجه
أو عقره ثم قال يجيء أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس إنما الصدقة
عن ظهر غنى كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا

والآخرة اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين
فتاخذون بما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او تتفكرون
في الدارين فتؤثرون ابقاءهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى
وان اثمهما اكبر من نفعهما لتتفكروا في عقاب الاثم في الآخرة والنفع في الدنيا حتى
لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب الاليم واما ان يتعلق بيبين على
معنى يبين لكم الآيات في امر الدارين وفيما يتعلق بهما تتفكرون ويسئلونك عن
اليتامى قل اصلاح لهم خير لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى
وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق
ذلك عليهم وكاد يوقعهم في الحرج فقيل اصلاح لهم خير اي مداخلتهم
على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم وان تخالطوهم
وتعاشروهم ولم تجانبوهم فاخوانكم فهم اخوانكم في الدين ومن
حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة والله يعلم
المفسد من المصلح اي لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه
على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح ولو شاء الله
لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلم يطلق لكم
مداخلتهم ومخالطتهم وقيل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح اليهم
وقرئ لاعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام ولذلك فلا اثم عليه
ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه حكيم
لا يكلف الا ما تتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
وقرئ بضم التاء اي لا تتزوجوهن والمشركات الحربيات والآية ثابتة وقيل
المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان اهل الكتاب من اهل الشرك
لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
الى قوله سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط
وهو قول ابن عباس والاوزاعي وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها اناسا من المسلمين وكان
يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا نخلو فقال ويحك ان
الاسلام قد حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة حرة
كانت او مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لان الناس عباده واماؤه خير
من مشركة ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها
المؤمنة خير منها ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير
من مشرك ولو اعجبكم اولئك اشارة الى المشركين والمشركات يدعون
الى النار اي يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم
وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال والله يدعوا الى الجنة والمغفرة يعني
واولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة وما يوصل اليهما فهم
الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه وتيسير الله
وتوفيقه للعمل الذي يستحق به المغفرة والجنة وقرأ الحسن والمغفرة بالرفع
اي والمغفرة حاصلة ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ويسئلونك
عن المحيض مصدر ميمي يقال حاض محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا
قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة
له فاعتزلوا النساء في المحيض فاجتنبوهن اي فاجتنبوا مجامعتهن ولا
تقربوهن روي ان اهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يواكلوها ولم
يجالسوها ولم يشاربوها على فرش ولم يساكنوها في بيت كفعل اليهود والمجوس
فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس
من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب
هلك سائر اهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه الصلوة
والسلام انما امرتكم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم آمركم باخراجهن
من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض
واليهود كانوا يعتزلونهن في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وتبين

الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة وابو يوسف يوجبان الاعتزال عما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عايشة ان عبد الله بن عمر سالها هل يباشر الرجل امراته وهي حايض فقالت لتشد ازارها على اسفلها ثم ليباشرها ان شاء وما روى زيد بن اسلم ان رجلا سال النبي صلى الله عليه واله وسلم ما يحل لي من امراتي وهي حايض قال لتشد عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال محمد وهذا قول ابي حنيفة وقد جاء ما هو ارخص من هذا عن عايشة انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك **حتى يطهرن** وقرئ يطهرن بالتشديد اي يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل او يمضي عليها وقت صلوة وذهب الشافعي الى انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر ليجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله **فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم الله** من المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل **ان الله يحب التوابين** مما عسى يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك **ويحب المتطهرين** المتنزهين عن الفواحش او ان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهر التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحايض والطاهر قبل الغسل واتيان ما ليس بمأتى وغير ذلك **نساؤكم حرث لكم** مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذر وقوله **فاتوا حرثكم انى شئتم** تمثيل اي فاتوهن كما تاتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها من اي جهة شئتم لا يحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من اي شق اردتم بعد ان يكون المأتى واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو اذى فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فاتوا حرثكم انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه وامثالها في كلام الله اداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتادبوا بها ويتكلفوا مثلها

في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت **وقدموا لانفسكم** ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطي **واتقوا الله** ولا تجترئوا على المناهي **واعلموا انكم ملاقوه** فتزودوا ما لا تفتضحون به **وبشر المؤمنين** المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات ما موقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتى الذي امركم به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصلي في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتى الذي يتعلق به هذا الغرض ما بال يسألونك بغير واو ثلث مرات ثم مع الواو ثلثا كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسالوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف العطف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وكذا **ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم** العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهو اسم ما تعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه يقول فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضا المعرض للامر قال فلا تجعلوني للعوايم ومعنى الاية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح ذات بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه واله وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين ورايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك اي على شيء مما تحلف عليه وقوله **ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس** عطف بيان لايمانكم اي

للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس
ويتعلق اللام في لايمانكم بالفعل اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحاجزا
ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر
من اعترضني كذا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة
اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به عرضة لان تبروا ومعناه على الاخرى ولا تجعلوه
معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل
حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي
ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا
ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطاتهم واصلاح ذات بينهم والله سميع
عليم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو الساقط الذي لا
يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من اولاد الابل لغو واللغو من اليمين
الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الايمان ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم
واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه هو ان يحلف على الشيء يظنه على ما حلف
عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم
الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك
ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم
بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم اي اقترفته
من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم انه خلاف ما يقوله وهي
اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه
ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان
ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لا يؤاخذكم باللغو في ايمانكم
للذين يؤلون من نسائهم قرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس
يقسمون من نسائهم كيف عدي بمن وهو معدى بعلى
قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم مولين او

مقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك
لي منك كذا والايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا
على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا
ما يحكى عن ابراهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان امكنه او بالقول
ان عجز فهو الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت
الاربعة بانت بتطليقة عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا في اكثر
من اربعة اشهر ثم يوقف المولى فاما ان يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم
ومعنى قوله فان فاءوا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاءوا فيهن فان الله
غفور رحيم يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو
الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضا منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل
او لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة وان عزموا الطلاق فتربصوا الى
مضي المدة فان الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول
الشافعي معناه فان فاءوا وان عزموا بعد مضي المدة كيف موقع الفاء
اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص موقع صحيح لان قوله فان فاءوا
وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا
نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما اتحول
ما تقول في قوله فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع
الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة
ودمدمة ولا بد له من ان يحدث نفسه ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه
الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات يتربصن بانفسهن
ثلاثة قروء اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء كيف جازت ارادتهن
خاصة واللفظ يقتضي العموم بل اللفظ مطلق في تناول الجنس صالح
لكله وبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك فما معنى الاخبار
عنهن بالتربص هو خبر في معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات
واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة

الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم في
الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة
فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما زاده ايضا فضل تاكيد ولو قيل ويتربص
المطلقات لم يكن بتلك الوكادة   هلا قيل يتربصن ثلثة قروء كما قيل
تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس   في ذكر الانفس تهييج لهن على
التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك
ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على الطموح
ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه الصلوة والسلام
دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان
ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن
ثلثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصلي في العدة
استبراء الرحم والحيض هو الذي يستبرا به الارحام دون الطهر ولذلك كان
الاستبراء من الامة بالحيضة ويقال اقرات المراة اذا حاضت وامراة مقرئ
وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها اي تمسكها عندها حتى تحيض
للاستبراء   فما تقول في قوله فطلقوهن لعدتهن والطلاق المشروع
انما هو في الطهر   معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلث بقين
من الشهر تريد مستقبلا لثلث وعدتهن الحيض الثلث   فما تقول في قول
الاعشى لما ضاع فيها من قروء نسائكا   اراد لما ضاع فيها من عدة نسائك
لشهرة القروء عندهم في الاعتداد بهن اي من مدة طويلة كالمدة التي يعتد فيها
النساء استطال مدة غيبته عن اهله كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات
وانه يمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعهن فيها او اراد من اوقات
نسائك فان القرء والقارئ جاء في معنى الوقت لا حيضا ولا طهرا
فعلام انتصب ثلثة   على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اي
يتربصن مضي ثلثة قروء او على انه ظرف اي يتربصن مدة ثلثة قروء
يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية

الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا
في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل
قولهم ثلثة شسوع وقراءة الزهري ثلثة قرو بغير همزة ولا يحل لهن ان يكتمن
ما خلق الله في ارحامهن من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت المراة
فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد
فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق
ويجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به
ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يؤمن
بالله واليوم الآخر تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على
مثله من العظائم وبعولتهن والبعول جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع كما في
الحزونة والسهولة ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة
يعني واهل بعولتهن احق بردهن برجعتهن وفي قراءة ابي بردتهن في ذلك
في مدة ذلك التربص   كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا
فيها   المعنى ان الرجل ان اراد الرجعة وابتها المراة وجب ايثار قوله
على قولها وكان هو احق منها لا ان لها حقا في الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا
لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي
عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذي لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي
لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ما ليس لهن من الحق على الرجال
مثله ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة
مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت
ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال وللرجال
عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل المراة تنال من اللذة ما ينال الرجل
وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه في مصالحها والله عزيز حكيم الطلاق
بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم اي التطليق الشرعي مرتان تطليقة بعد تطليقة
على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن

التكرير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين
ونحو ذلك من التثنية التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك و
دواليك وقوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان
علمهم كيف يطلقون بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن و
بين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي علمهم وقيل معناه والطلاق الرجعي مرتان
لانه لا رجعة بعد الثلث فامساك بمعروف اي برجعة او تسريح باحسان اي بان لا
يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها
مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة في الطهر
الثالث وروي ان سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اين الثالثة
فقال عليه السلام او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة واصحابه الجمع بين التطليقتين
والثلث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه
لما روي في حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له انما
السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعي
لا بأس بارسال الثلث لحديث العجلاني الذي لاعن امرأته فطلقها ثلثا بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم ينكر عليه روي ان جميلة بنت عبد الله
بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فأتت
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع
راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر بعد الاسلام
في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته اقبل في عدة فاذا هو
اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت وكان قد اصدقها حديقة
فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان في الاسلام لمن الخطاب في
ولا يحل لكم ان تأخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم الا
يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا
بمؤتيهن يجوز الامران جميعا ان يكون اول الخطاب للازواج وآخره
للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز في القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله

للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا بمؤتيهن لانهم الذين يأمرون
بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون **مما آتيتموهن**
شيئا من الصدقات **الا ان يخافا الا يقيما حدود الله** الا ان يخاف
الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث
من نشوز المرأة وسوء خلقها **فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح**
عليهما على الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت **فيما افتدت به** نفسها
واختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو
جائز في الحكم وروي ان امرأة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها
في بيت الزبل ثلث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت
منذ كنت عنده اقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة
يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها وقرئ الا ان يخافا على البناء للمفعول
وابدال ان يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد
تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا وتعضده قراءة
الا ان تخافوا وفي قراءة ابي الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن
يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون يريدون اظن **تلك حدود الله**
فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون فان طلقها
الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفى نصابه
او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين **فلا تحل له من بعد** من بعد ذلك
التطليق **حتى تنكح زوجا غيره** حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى
المرأة كما الى الرجل كما التزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان ومن تعلق
من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه
الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عائشة رضي الله عنها ان امرأة رفاعة
جاءت الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي
وان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى
تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروي انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت

عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب فقال

فقالت انه قد مسني فقال كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في قولك الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم اتت ابا بكر فقالت ارجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها واتفق في النكاح المعقود بشرط التحليل ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وهو جائز عند ابي حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا التحليل ولم يصرحا به وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رض لا اوتى بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان لا الا نكاح رغبة غير مدالسة فان طلقها الزوج الثاني فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج ان ظنا ان يقيما حدود الله ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله ومن فسر الظن هاهنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن اي آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال اذا انتهى ويتسع في البلوغ ايضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه ودانا منه ويقال قد وصل ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها فامسكوهن بمعروف فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة او سرحوهن بمعروف واما ان يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار ولا تمسكوهن ضرارا كان الرجل يطلق المراة ويتركها حتى يقرب انقضاء

عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا لتعتدوا لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها لعقاب الله ولا تتخذوا آيات الله هزوا اي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازي ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة واذكروا نعمة الله عليكم بالاسلام وبنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها يعظكم به بما انزل عليكم واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن اما ان يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركوهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب به الاولياء في عضلهن ان يرجعن الى ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الى الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه ان يكون خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وانشد لابن هرمة وابن مصابح فاطعنني عقابا قد عضلن عن النكاح وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشافعي رض دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين اذا تراضوا بينهم اذا تراضى الخطاب والنساء بالمعروف بما يحسن في الدين والمروة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة انها اذا زوجت نفسها باقل من مهر مثلها فللاولياء ان يعترضوا والخطاب في قوله ذلك يوعظ به يجوز ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكل احد ونحوه ذلكم خير لكم واطهر

مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى
لَكُمْ وَأَطْهَرُ من ادناس الآثام وقيل ازكى لكم واطهر افضل واطيب
يَعْلَمُ ما في ذلك من الزكاء والطهر وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ او والله يعلم ما
تستصلحون به من الاحكام والشرائع وانتم تجهلونه وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ
مثل يتربصن في انه خبر في معنى الامر المؤكد أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ
توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه فتقول اقمت عند فلان
حولين ولم تستكملهما لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وقراءة ابن عباس ان
يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان تتم الرضاعة وان
يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتآخيهما في التأويل
كيف اتصل قوله لمن اراد بما قبله   هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله
هيت لك بيان للمهيت به اي هذا الحكم لمن اراد اتمام الرضاع وعن قتادة
حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة
اراد انه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد ان لا
يكون في الفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول ارضعت فلانة
لفلان ولده اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان
الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت
الام بارضاعه وهي مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام
عند ابي حنيفة ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز
فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق   فما بال الوالدات مأمورات
بان يرضعن اولادهن   اما ان يكون امرا على وجه الندب واما
على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم يوجد له ظئر او كان
الاب عاجزا عن الاستئجار وقيل اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة و
الكسوة لاجل الرضاع وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ وعلى
الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم في المغضوب
عليهم   لم قيل المولود له دون الوالد   ليعلم ان الوالدات

انما ولدن لهم لان الاولاد للآباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وانشد
للمأمون بن الرشيد   فانما امهات الناس اوعية مستودعات وللابناء آباء
فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظئار الا ترى
انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله واخشوا يوما
لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بِالْمَعْرُوفِ تفسيره
بعقبه وهو ان لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا
وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ لا يكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضارا
وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون وقرئ لا تضار برفع الراء والرفع
على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر
الراء وتضارر بفتحها وقرئ لا تضار بالفتح اكثر القراء وقراءة الحسن بالكسر
على النهي وهو محتمل للبناءين ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح
الراء الاولى وكسرها وقراءة ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على
نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره
ونوى الوقف كما نواه ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وفي
كتاب عمر بن الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو
ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه
بالتفريط في شأن الولد وان تقول بعدما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما
اشبه ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من
رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع
وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج
وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى
تضر وان تكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده
ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعدما الفها ولا يضر الوالد به بان
ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد
كيف قيل بولدها وبولده   لما نهيت المرأة عن المضارة اضيف اليها

الولد استعطافا عليه وانه ليس باجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذا الوالد **وعلى الوارث مثل ذلك** عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابي ليلى كل من ورثه وعند ابي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام على ارضاعها وقيل على الوارث على الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا **فان ارادا فصالا** صادرا **عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما** في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فانها احق بالتربية وهي اعلم بحال الصبي وقرئ فان اراد **وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم** استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول **فلا جناح عليكم اذا سلمتم** الى المراضع **ما آتيتم بالمعروف** ما آتيتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده ماتيا اي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما اوتيتم اي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى

ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من اهنأ ما يكون لتطيب النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشأن الصبي واحتياطا في امره فامرنا بان تكون يدا بيد كانه قيل اذا ادیتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن بالمعروف ويتعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن من تفريطهن بقطع معاذيرهن **واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم** على تقدير حذف المضاف اي وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة لعلي عليه السلم على ان امره بان يضع كتابا في النحو تناقضه هذه القراءة **ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا** يعتددن بهذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما **فاذا بلغن اجلهن** فاذا انقضت عدتهن **فلا جناح عليكم** ايها الائمة وجماعة المسلمين **فيما فعلن في انفسهن** من التعرض للخطاب **بالمعروف** بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح **والله بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء** هو ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن علي عليهما السلم وانا في عدتي فقال لقد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله

وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضعي وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ام سلمة وكانت عند ابن عمها ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة

اي فرق بين الكناية والتعريض قلت الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا وحسبك بالتسليم مني تقاضيا وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريده

او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين ولا مصرحين **علم الله انكم ستذكرونهن** لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فان قلت اين المستدرك بلكن

ولكن لا تواعدوهن سرا قلت هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى ولا تقربن جارة ان سرها عليك حرام فانكحن او تأبدا ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح **الا ان تقولوا قولا معروفا** وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا فان قلت بم يتعلق حرف الاستثناء قلت بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث ولا افحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن

المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب بما يستحيى من المجاهرة به وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان يتواثقا على ان لا تتزوج غيره **ولا تعزموا عقدة النكاح** من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقدة النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام **حتى يبلغ الكتاب اجله** يعني ما كتب وفرض من العدة **واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم** من العزم على ما لا يجوز **فاحذروه** ولا تعزموا عليه **واعلموا ان الله غفور حليم** لا يعاجلكم بالعقوبة **لا جناح عليكم** لا تبعة عليكم من ايجاب مهر **ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن** ما لم تجامعوهن **او تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن** فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها مهر فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها **على الموسع قدره وعلى المقتر قدره** الموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب **متاعا** تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا **بالمعروف** بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروءة **حقا** صفة لمتاعا اي متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا

والتعريض الكناية

المقتر

حقا على المحسنين على الذين يحسنون الى المطلقات بالمتع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون يريد المطلقات اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون الواو في الاول ضمير هم والنون علامة الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضمير هن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب او يعفو عطف على محله الذي بيده عقدة النكاح الولي يعني الا ان تعفو المطلقات عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المراة ما راني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيئا او يعفو الذي يلي عقدة نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وهو مذهب ابي حنيفة والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان يقال كان الغالب على الحق عفوا عندهم ان يسوق اليها فاذا نزل المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق قال فاين الفضل وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير ما الفضل التفضل اي ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض وتمراوا ولا تستقصوا وقرا الحسن او يعفوا الذي بسكون الواو والياء في موضع النصب تشبيها لهما بالالف لانهما اختاها وقرا ابو نهيك وان يعفوا بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بينكم بكسر الواو حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى اي الوسطى بين الصلوات او الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها بالفضل وهي صلوة العصر وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التي شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتى املها عليك

الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو ص

كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقراها فاملت عليه والصلوة الوسطى صلوة العصر وروي عن عائشة وابن عباس والصلوة الوسطى وصلوة العصر فعلى هذا القراة يكون التخصيص لصلوتين احديهما الصلوة الوسطى اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصليها بالهاجرة ولم يكن صلوة على اصحابه اشد منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلوتي النهار وصلوتي الليل وعن قبيصة بن ذويب هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص في السفر من ثلث وقرا عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقرات عائشة والصلوة الوسطى بالنصب على الاختصاص وقرا نافع الوسطى وقوموا لله في الصلوة قانتين ذاكرين الله في قيامكم والقنوت ان يذكر الله قائما وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر وروي انهم كانوا اذا قام احدهم الى الصلوة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا فان خفتم فان كان بكم خوف من عدو او غيره فرجالا فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او رجل فيقال رجل يرجل اي راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بتشديد الجيم ورجلا وعند ابي حنيفة لا يصلون في حال المشي ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل حال او ركبانا والراكب يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة فاذا امنتم فاذا زال الخوف فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلوة الامن او فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما احسن اليكم بما علمكم من الشرايع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول تقديره فيمن قرا وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون او وحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم وفيمن قرا بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك انما انت سيرا البريد باضمار تسير او والزم الذين يتوفون وصية

ويدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان
قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا
الى الحول وقرئ متاع لازواجهم متاعا وروي عنه فمتاع لازواجهم
ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة ابي متاعا
نصب لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضربك زيدا ضربا
شديدا **غير اخراج** مصدر موكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل
من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات والمعنى انه يجب على الذين يتوفون
عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا
اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول الاسلام ثم نسخت
المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت
النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى فعند ابي حنيفة واصحابه
لا سكنى لهن **فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن** من التزين
والتعرض للخطاب **من معروف** مما ليس بمنكر شرعا   كيف نسخت
الآيات المتقدمة المتاخرة   قد تكون متقدمة في التلاوة وهي متاخرة
في التنزيل كقوله سيقول السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء
والله عزيز حكيم وللمطلقات متاع بالمعروف عمم المطلقات بايجاب المتعة
لهن بعد ما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال **حقا
على المتقين** كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية و
الزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا
وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة **كذلك يبين لكم آياته لعلكم
تعقلون الم تر** تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب
من شانهم ويجوز ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى
في معنى التعجب **الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت
فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن
اكثر الناس لا يشكرون** روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع

فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا
انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت
عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما راى فاوحي اليه
ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك
اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد
ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم الوف فيه
دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون
ومن بدع التفاسير الوف متالفون جمع آلف كقاعد وقعود
ما معنى قوله فقال لهم موتوا   معناه فاماتهم وانما جيء به على
هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيته
وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوا امتثالا من غير
اباء ولا توقف كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا
تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد
ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون في سبيل الله **ان الله لذو فضل على الناس** حيث يبصرهم ما
يعتبرون به ويستبصرون كما بصر اولئك وكما قص عليهم او لذو فضل على
الناس حيث احيى اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء
لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على
الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله **وقاتلوا في سبيل الله
واعلموا ان الله سميع** لما يقوله المتخلف والسابق **عليم**
بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء **من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا** اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن
اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله **فيضاعفه له اضعافا
كثيرة** قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله
والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع الله
عليكم لا يبدل لكم الضيقة بالسعة **واليه ترجعون** فيجازيكم على ما قدمتم **الم تر**

الى الملإ من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم وهو يوشع او شمعون او شمويل
ابعث لنا ملكا انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه
وننتهي الى امره وطلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله
من التامير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره
وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم نقاتل في سبيل الله
قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على الحال اي ابعثه لنا
مقدرين القتال او استئناف كانه قال ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ
يقاتل بالياء والجزم على الجواب والرفع على انه صفة لملكا قال هل عسيتم
ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا وخبر عسيتم ان لا تقاتلوا والشرط
فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم
لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا اتوقع جبنكم عن القتال فادخل
هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير
تثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله تعالى هل اتى على الانسان
معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة قالوا وما لنا الا
نقاتل في سبيل الله واي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه
وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون
ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة
واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم قيل كان القليل
منهم ثلثمائة وثلثة عشر على عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد
على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد وقال لهم نبيهم ان الله
قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق
بالملك منه ولم يؤت سعة من المال طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود
وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف به من
البسطة في الجسم ووزنه ان كان من الطول فعلوت منه اصله طولوت الا ان
امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال انه اسم عبراني وافق عربيا كما وافق

من بني اسرائيل

حطة حنطة وبسملا اهاثا رحمانا رحيما بسم الله الرحمن الرحيم كما لو كان عربيا
بكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا انى كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم
واستبعاد له والفرق بين الواوين في ونحن احق ولم يؤت
الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معا في
حكم واحد والحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو
احق منه بالملك وانه فقير ولا بد للملك من المال يعتضد به وانما قالوا ذلك
لان النبوة كانت في سبط لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن
طالوت من احد السبطين ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم
دعا الله تعالى حين طلبوا منه ملكا فاتى بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها
الا طالوت قال ان الله اصطفيه عليكم وزاده بسطة في العلم
والجسم بيد ان الله تعالى اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض
على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط
والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوا لاجله من امر الحرب ويجوز ان
يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل اوحي اليه ونبئ وذلك لان الملك لا بد
ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملا العين
جهارة لانه اعظم في النفوس واهيب في القلوب والبسطة السعة والامتداد
وروي ان الرجل القائم يمد يده فينال راسه والله يؤتي ملكه من يشاء
اي الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله
واسع الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة ويغنيه بعد الفقر عليم
بمن يصطفيه للملك وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان ياتيكم التابوت
فيه سكينة من ربكم التابوت صندوق التورية وكان موسى عليه السلام
اذا قاتل قدمه فكان يسكن نفوس بني اسرائيل ولا يفرون والسكينة السكون
والطمانينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس
كراس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم
يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي رضي الله عنه

والوجه الحسنة في قوله تعالى هو الابدال بالالف مع المد والقصر والتسهيل مع الروم وفيه المد والقصر والله اعلم

كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية مما ترك آل موسى
وآل هارون هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التورية
وكان رفعه الله بعد موسى تحمله الملائكة فنزلت به الملائكة تحمله
وهم ينظرون اليه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وكان ذلك
آية لاصطفاء الله تعالى طالوت وقيل كان ذلك آية لاصطفاء الله تعالى
طالوت وقيل كان مع موسى ومع انبياء بني اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غير
بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار وكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك
طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا هذا بسبب التابوت بين
اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقتهما الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب
الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين وقرأ ابي وزيد بن ثابت
التابوه بالهاء وهي لغة الانصار ووزن التابوت لا يخلو
من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلة نحو سلس وقلق ولانه تركيب
غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو
الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما
يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرأ
بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما في
الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التانيث وقرأ ابو
السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء
من آل موسى وآل هارون الانبياء من بني يعقوب بعدهما لان
عمران هو ابن قاهث بن لاوي بن يعقوب فكان اولاد يعقوب آلهما ويجوز
ان يراد مما تركه موسى وهارون والآل مقحم لتفخيم شأنهما فلما فصل
طالوت بالجنود فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله
فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار في حكم غير المتعدي كانفصل
وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف
وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج

معي رجل بنى بناء لا يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامرأة لم
يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه وكان الوقت
قيظا وسلكوا مفازة فسألوه ان يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم
بنهر بما اقترحتموه من النهر فمن شرب منه فمن ابتداء شربه من النهر بان
كرع فيه فليس مني فليس بمتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما
واتحادهما ويجوز ان يراد فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه فانه مني
ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال وان شئت
لم اطعم نقاخا ولا بردا الا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ما
ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان
الحيتان شرعا بل هو اشد منه واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من
النبي وان كان نبيا كما روي عن بعضهم فبالوحي وقرئ بنهر بالسكون
ثم استثنى قوله الا من اغترف غرفة بيده من قوله فمن شرب منه
فليس مني والجملة الثانية في حكم المتاخرة الا انها قدمت للعناية كما قدم
والصابئون في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة
في اغتراف الغرفة باليد والدليل عليه قوله فشربوا منه اي فكرعوا فيه الا
قليلا منهم وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ ابي
والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ
جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه
حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق
لم يدع من المال الا مسحتا او مجلف كانه لم يبق من المال الا مسحت او مجلف
وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا والذين آمنوا يعني القليل
قال الذين يظنون قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده يعني الخلص منهم
الذين نصبوا بين اعينهم لقاء الله وايقنوه او الذين تيقنوا انهم يستشهدون
عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة
وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل

فلما جاوزه هو

انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين

الذين يختلط معه كأنهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما نظهروا ولك عذرهم في الا
ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروي ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه و
اداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش وجالوت جبار
في الارض من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثماية رطل
ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدا
هب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلب والقاء الرعب في قلوب
العدو ونحو ذلك من الاسباب فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت
كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم
وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الى شمويل ان داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت
وطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلثة احجار دعاه كل واحد منها ان احمله
وقالت انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها الى جالوت فقتله و
طالوت ابنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب وآتاه الله الملك في مشا
الارض ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود والحكمة
والنبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب و
غير ذلك ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله
ذو فضل على العالمين ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم
فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصا
من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكفا
لفسدت الارض بعيث الكفار وقتل الكفار المسلمين اذ لو لم يدفعهم بهم لعم
الكفر ونزلت السخطة فاستوصل اهل الارض آيات يعني القصص التي
اقتصها من حديث الالوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره
بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي نتلوها
عليك بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك
وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع
اخبار تلك الرسل اشارة الى جماعة الرسل التي ذكرت قصصها في السورة

وانصرنا على القوم الكافرين رص

تلك م

او التي ثبت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلنا بعضهم على
بعض لما اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله
منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلم ويدل
عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه ورفع بعضهم درجات اي ومنهم
من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات
كثيرة والظاهر انه اراد محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لانه هو المفضل عليهم
حيث اوتي ما لم يؤته احد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى ثلثة الاف آية
ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي الانبياء لانه
المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم
فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه
والمتميز الذي لا يلتبس ويقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به
الذي تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون افخم من التصريح وانه سئل
الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت
الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد
ابرهيم ومحمدا وغيرهما من اولي العزم من الرسل عليهم الصلوة والسلم وآتينا
عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس وعن ابن عباس كنا
في المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابرهيم بخلته
وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم افضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما
تأخر وهو خاتم الانبياء فدخل فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد
ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها
فلم خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر لما اوتيا من الآيات
العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من
الفضل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فخصا بالذكر في باب
التفضيل وهذا دليل بين ان من يزيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره

فلما كان نبينا صلى الله عليه وآله هو الذي أوتي منها ما لم يؤت أحد في كثرتها و
عظمها كان هو المشهود له بإحراز قصب الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا
شفاعته يوم ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد الرسل لاختلافهم
في الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا من بعد ما جاءتهم البينات
ولكن اختلفوا فمنهم من آمن لالتزامه دين الأنبياء ومنهم من كفر
لإعراضه عنه ولو شاء الله ما اقتتلوا كرره للتأكيد ولكن الله يفعل
ما يريد من الخذلان والعصمة يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم أراد
الإنفاق الواجب لاتصال الوعيد به من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة
ولا شفاعة لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق لأنه لا بيع فيه
تبتاعون ما تنفقونه ولا خلة حتى يسامحكم أخلاؤكم به وإن أردتم أن
يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات
لأن الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير والكافرون هم الظالمون
أراد والتاركون الزكوة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في
آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولأنه جعل ترك الزكوة من صفات الكفار
في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة من صفات الكفار وقرئ
لا بيع ولا خلة ولا شفاعة بالرفع الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه
سنة ولا نوم السنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع
العاملي شعر وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنائم أي لا يأخذه
نعاس ولا نوم فهو تأكيد للقيوم لأن من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوما
ومنه حديث موسى أنه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية
أينام ربنا فأوحى الله إليهم أن يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ
بيدك قارورتين فأخذهما وألقى الله عليه النعاس فضرب إحداهما على الأخرى
فانكسرتا ثم أوحى الله إليه قل لهؤلاء إني أمسك السموات والأرض بقدرتي
فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي
يشفع عنده إلا بإذنه بيان لملكوته وكبريائه وأن أحدا لا يتمالك أن يتكلم

يوم القيمة إلا إذا أذن له الرحمن في الكلام كقوله لا يتكلمون إلا من أذن له
الرحمن يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير
لما في السموات والأرض لأن فيهم العقلاء أو لما دل عليه من ذا من الملائكة و
الأنبياء ولا يحيطون بشيء من علمه من معلوماته إلا بما شاء إلا بما علم وسع
كرسيه السموات والأرض الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد
القاعد وفي قوله وسع كرسيه أربعة أوجه أحدها أن كرسيه لم يضق عن السموات و
الأرض لبسطته وسعته وما هو إلا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي
ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته
يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وإنما
هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي ألا ترى إلى قوله وما قدروا الله حق
قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي
الملك والرابع ما روي أنه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه السموات و
الأرض وهو إلى العرش كأصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش ولا يؤده ولا
يثقله ولا يشق عليه حفظهما حفظ السموات والأرض وهو العلي
العظيم الشأن العظيم الملك والقدرة كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي
وآية الكرسي من غير حرف عطف ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل
البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان
كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق و
كونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة
لكبرياء شأنه والرابعة لإحاطته بأحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم
المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات
كلها أو لجلاله وعظم قدره لم فضلت هذه الآية حتى ورد
في فضلها ما ورد منه قوله عليه السلم ما قرئت هذه الآية في دار إلا هجرتها
الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين يوما يا علي
علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها وعن علي رضي الله عنه

العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي

سمعت نبيكم على أعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلوة
مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او
عابد ومن قرأها اذا اخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره
والابيات حوله وتذاكر الصحابة رضوان الله عليهم افضل ما في القرآن
فقال لهم علي اين انتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد صلى الله عليه وآله وسلم
ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال
وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد
البقرة آية الكرسي لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على
توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة
فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف العلوم
واعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة
اعدائه ان العرانين تلقاه محسدة ولن ترى للئام الناس حسادا لا اكراه
في الدين اي لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين و
الاختيار ونحوه قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا
افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لو شاء لقسرهم على الايمان
ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار قد تبين الرشد من الغي قد
تميز الكفر بالدلائل الواضحة فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فمن اختار
الكفر بالشيطان او الاصنام فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام
لها من الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها اي انقطاعها والله سميع
عليم وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره
السامع كأنه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار
في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد
الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب خاصة لانهم
حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف

وسيد القرآن البقرة صح

الايمان من صح

ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قدما
المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل
بعضي النار وانا انظر فنزلت فخلاهما الله ولي الذين آمنوا يخرجهم
من الظلمات الى النور اي ارادوا ان يؤمنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه و
تأييده من الكفر الى الايمان والذين كفروا اي صمموا على الكفر اولياؤهم
الطاغوت امرهم على عكس ذلك او الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه في الدين
الى النور ان وقعت بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها
الى نور اليقين والطاغوت الشياطين يخرجونهم من النور من نور البينات
الذي يظهر لهم الى الظلمات الى ظلمات الشك والشبهة اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه تعجيب
من محاجة نمروذ في الله وكفره به ان آتاه الله الملك متعلق بحاج على
وجهين احدهما حاج لان آتاه الله الملك على ان ايتاء الملك ابطره واورثه
الكبر والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني
فلان لاني احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان
ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان آتاه الله الملك
كيف جاز ان يؤتي الله الملك الكافر قلت فيه قولان آتاه ما غلب
وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده
اذ قال نصب بحاج او بدل من ان آتاه اذا جعل بمعنى الوقت ابراهيم ربي
الذي يحيي ويميت قال انا احيي واميت يريد اعفو عن القتل واقتل
قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت
الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين وكان الاعتراض عتيدا ولكن
ابراهيم عليه السلام لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر
فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شيء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل
من حجة الى حجة وقرئ فبهت الذي كفر اي فغلب ابراهيم الكافر وقرأ ابو حيوة

الذين كفروا اولياؤهم

فبهت نمرود وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمرود ثم
اخرجه من السجن ليحرقه فقال له من ربك الذي تدعوا اليه فقال ربي الذي
يحيي ويميت معناه او رايت مثل الذي فحذف لدلالة الم تر عليه لان
كلتيهما كلمة تعجب ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل ارأيت كالذي حاج
ابرهيم او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه
مع نمرود في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي وقيل هو عزير او الخضر اراد ان
يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابرهيم عليه السلم وقوله انى يحيي اعتراف
بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية بيت المقدس
حين خربه بخت نصر وقيل هي الالوف وهي خاوية على عروشها تفسيره مما
قال انى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام قال كم لبثت
قال لبثت يوما او بعض يوم بناء على الظن روي انه مات ضحى وبعث بعد
مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية
من الشمس فقال او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك
وشرابك روي ان طعامه كان تينا او عنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد
التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله لم يتسنه اي لم يتغير والهاء اصلية
او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو وذلك
ان الشي يتغير بمرور الزمان وقيل اصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلب نونه حرف
علة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التي مرت
عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى
طعامك هذا وشرابك لم يتسن وقرأ ابي لم يسنه بادغام التاء في السين و
انظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان
يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم الآيات وان يعيشه
مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير ولنجعلك
آية للناس فعلنا ذلك ربنا احياك بعد الموت وحفظ ما معه وقيل اتى قومه
راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التورية فاخذ يهذها هذا

عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا ابن الله ولم
يقرأ التورية ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله
اولاده وهو حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام هي
عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها ثم
نكسوها لحما كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى
انشرهم فنشروا وقرئ بالزاي بمعنى نحركها او نرفع بعضها الى بعض
للتركيب وفاعل فلما تبين له مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير
قال اعلم ان الله على كل شيء قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في
قوله ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى
وقرأ ابن عباس فلما تبين له على البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الامر
وقرأ عبد الله قيل اعلم فان كان المار كافرا فكيف يسوغ ان يكلمه الله
كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا واذ قال ابرهيم رب
ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى كيف قال له او
لم تؤمن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا ليجيب بما اجاب به لما فيه من
الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى آمنت ولكن
ليطمئن قلبي ليزيد سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال
معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فاراد بطمانينة القلب العلم الذي لا مجال
فيه للتشكيك بم تتعلق اللام في ليطمئن بمحذوف تقديره
ولكن سألت ذلك ارادة طمانينة القلب قال فخذ اربعة من الطير قيل
طاوسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن اليك بضم الصاد وكسرها بمعنى فاملهن
واضممهن اليك قال ولكن اطراف الرماح تصورها وقال
وفرع يصير الجيد وحف كانه على الليت قنوان الكروم الدوالح وقرأ حمزة ويعقوب
فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا
جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع ايضا ثم
اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال

والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت كل اربعة اجبل
وعن السدي سبعة ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله يأتينك سعيا
واعلم ان الله عزيز حكيم ساعيات مسرعات في طيرانهن او في مشيهن
على ارجلهن ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان ياخذها
ليتأملها ويعرف اشكالها وهيآتها وحلاها لئلا يلتبس عليه بعد الاحياء ولا
يتوهم انها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعيا وروي انه امر بان يذبحها وينتف
ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط دماءها ولحومها وان يمسك
رؤسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طير ثم
يصيح بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم
اقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها وقرئ جزءا بضمتين وجزا بالتشديد
ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء للوصل
مجرى الوقف مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة
انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة لا بد من حذف المضاف
اي مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة
لما كانت سببا اسند اليه الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع
سنابل ان يخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا
التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر كيف صح هذا
التمثيل والممثل غير موجود بل هو موجود في الدخن والذرة وربما
يفرخ ساق البر في الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم
يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير هلا قيل سبع
سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قال وسبع سنبلات خضر
هنا كما قدمت عند قوله ثلثة قروء من وقوع امثلة الجمع متعاورة مواقعها
والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم اي يضاعف تلك
المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف
سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك الذين ينفقون

اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا المن ان يعتد على
من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا له وكانوا
يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم وان امرأ اسدى الي صنيعة
وذكرنيها مرة لبخيل وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله
وفيها طعم الآلاء احلى من المن وهي امر من الآلاء مع المن ولا اذى الاذى ان يتطاول
عليه بسبب ما ازل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن كما جعل الاستقامة
على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا اي لو
من قوله لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله
فيما بعد فلهم اجرهم الموصول لم يضمن ههنا معنى الشرط وضمنه ثمة
والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر
وطرحها عار عن تلك الدلالة قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل
اذا وجد منه ما يثقل على المسئول او نيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او
وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره خير من صدقة يتبعها
اذى وصح الاخبار عن المبتدأ النكرة لاختصاصه بالصفة والله غني
لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط
منه ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا
صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس و
لا يؤمن بالله واليوم الآخر اي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال
المنافق الذي ينفق ماله رئاء الناس لا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة
فمثله كمثل صفوان مثله ونفقته التي لا ينتفع بها البتة بحجر املس عليه
تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان فاصابه وابل مطر
عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي كان عليه ومنه
رأس صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا و
الله لا يهدي القوم الكافرين كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان
يكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق

كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق اراد بالذي
ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكانه قيل
مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم
وليثبتوا منها ببذل المال الذي شقيق روحه وبذله اشق شيء على النفس على
سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها
وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها
وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا
للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل
الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه واخلاص قلبه ومن
على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه
وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون
المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه
ويعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم فما معنى التبعيض
معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله و
روحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان
بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها ازكى واحسن ثمرا اصابها وابل
مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها ضعفين مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل
فان لم يصبها وابل فطل فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها او مثل حالهم
عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما
ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت او قليلة
بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم
وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلاث واكلها بضمتين
والله بما تعملون بصير ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل
واعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات واصابه

اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم
تتفكرون الهمزة في ايود للانكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف
والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل
لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيمة وجدها
محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها للثمار
فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة
وعن عمر رضي الله عنه انه سال عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا
نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين فقال قل يا ابن اخي ولا تحقر
نفسك قال ضرب مثلا لعمل قال لاي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله
له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن مثل قل والله من
يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم
والله افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا كيف قال
جنة من نخيل واعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات النخيل والاعناب لما
كانا اكرم الشجر واكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت
محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم اردفهما ذكر كل الثمرات
ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله
جنتين من اعناب وحففناهما بنخل علام عطف قوله واصابه الكبر
الواو للحال لا للعطف ومعناه ان تكون له جنة وقيل يقال وددت ان يكون
كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة
واصابه الكبر يا ايها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم من جياد
مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الارض من الحب والثمر والمعادن و
غيرها هلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب
على المكسوب والمخرج من الارض معناه ومن طيبات ما اخرجنا لكم الا انه
حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الردي منه
تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال وقرا عبد الله ولا تامموا وقرا

ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء في معنى قصده ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم الا
ان تغمضوا فيه الا بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا فيه من قولك اغمض فلان
عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبايع اغمض اي لا تستقص كانك لا تبصر
وقال الطرماح شعر لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم رجال يرضون بالاغماض
وقراءة الزهري تغمضوا فاغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضون بضم الميم وكسرها
من غمض يغمض ويغمض وقراءة قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان
تجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في
السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم عن ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون
بحشف التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني حميد الشيطان
يعدكم الفقر اي يخوفكم من الانفاق الفقر ويقول لكم ان عاقبة امركم
انفاقكم ان تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل
في الخير والشر قال الله تعالى وعدها الله الذين كفروا ويأمركم
بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمأمور والفاحش
عند العرب البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة منه لذنوبكم وكفارة لها
وفضلا وان يخلف عليكم افضل مما اعطيتم وانفقتم او ثوابا عليه في
الآخرة والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء يوفق للعلم والعمل به
والحكيم عند الله هو العالم العامل ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى يؤته الله الحكمة وهكذا قرأ الاعمش
وخيرا كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتي اي خير كثير وما يذكر الا اولوا
الالباب يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي
في الانفاق وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان او
نذرتم من نذر في طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه
وهو مجازيكم عليه وما للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون
اموالهم في المعاصي او لا يوفون بالنذور او ينذرون في المعاصي من انصار

من ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا الصدقات فنعما هي
ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي فنعم شيئا ابداؤها وقرئ
بكسر النون وفتحها وان تخفوها وتؤتوها الفقراء وتصيبوا بها مصارفها
مع الاخفاء فهو خير لكم فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع
بها فان الافضل في الفرائض ان يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات السر في
التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من
سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة افضل لنفي التهمة حتى اذا
كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى
به فان اظهاره افضل ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون
خبير نكفر بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدأ محذوف
اي ونحن نكفر او على انه جملة من فعل وفاعل مبتدأة ومجزوما عطفا على محل الفاء
وقرأ الحسن بالياء والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان
يكفر عنكم ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء
عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك
الا ان تبلغهم النواهي فحسب ولكن الله يهدي من يشاء يلطف بمن
يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه وما تنفقوا من خير من مال
فلانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول
عليهم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وليست نفقتكم الا لابتغاء وجه الله
او لطلب ما عنده فما لكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله
الى الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة
وانتم لا تظلمون فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن
الوجوه واجملها وقيل حجت اسماء بنت ابي بكر فاتتها امها تسألها وهي مشركة
فابت ان تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم
من المشركين وروي ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع
وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوا عليهم

بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز
ابو حنيفة رض صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وأباه غيره للفقراء الجار
متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء واجعلوا ما تنفقون للفقراء الذين
أحصروا في سبيل والذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به
ضربا في الارض للكسب وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة رجل
مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة
المسجد وهي سقيفة يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا
يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما على
اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا
يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه
فانه من رفقائي يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف مستغنين من اجل تعففهم
عن المسألة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال لا يسألون
الناس الحافا والالحاف الالحاح وهو ان لا يفارق الا بشيء يعطاه من
قولهم لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله
وآله وسلم ان الله يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السائل الملحف ومعناه
انهم ان سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا
كقوله على لاحب لا يهتدى بمناره يريد نفي المنار والاهتداء به وما تنفقوا
من خير فان الله به عليم الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا
وعلانية يعمون الاوقات والاحوال بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما
نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت
ولا حال وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رض حين تصدق باربعين الف
دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة بالسر وعشرة في العلانية
وعن ابن عباس نزلت في علي رض لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق
بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل
وارتباطها في سبيل الله وعن ابي هريرة كان اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية

فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين
يأكلون الربوا الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة و
الزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من
قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس اي المصروع
وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان الشيطان يخبط الانسان
فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون
والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم وان الجني يمسه فيختلط
عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربه الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص
واخبار وعجائب وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات
يتعلق من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اي كما
يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيمة مخبلين كالمصروعين
تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث
يوفضون الا آكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم
اكلوا الربوا فارباه الله تعالى في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على
الايفاض ذلك العقاب بانهم قالوا بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا
هلا قيل انما الربوا مثل البيع لان الكلام في الربوا لا في البيع فوجب
ان يقال انهم شبهوا الربوا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا
لو اشترى الرجل ما لا يساوي الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما
جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربوا
انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله واحل
البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه
النص لانه جعلوه اصلا وقانونا في الحل على بطلان قياسهم احلال الله
وتحريمه فمن جاءه موعظة من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي
عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع فله ما سلف فلا يؤاخذ بما مضى منه لانه
اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم في شانه يوم القيمة وليس من امره

اليكم شيء فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربوا فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون وهذا دليل على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تانيثها غير حقيقي
ولانها في معنى الوعظ وقراء ابي والحسن فمن جائته يمحق الله الربوا يذهب
بركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وان كثر الى قل
ويربي الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي
اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكوة من مال قط
والله لا يحب كل كفار اثيم تغليظ في امر الربوا وايذان بانه من فعل الكفار
لا من فعل المسلمين ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا اتركوا ما
شرطوا على الناس من الربوا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا يطالبوا
بها روي انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل
بالمال والربوا وقراء الحسن ما بقي بقلب الياء الفا على لغة طي وعنه ما بقي
بياء ساكنة ومنه قول جرير فارضوا ما رضي لكم ماضي العزيمة ما في حكمه جنف
ان كنتم مؤمنين ان صح ايمانكم فان دليل صحة الايمان وشانه امتثال
ما امرتم به من ذلك فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فاعلموا
بها غيركم وهو من اذن بالشيء اذا علم وقرئ فاذنوا فاعلموا بها غيركم
وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقراء الحسن فايقنوا وهو
دليل لقراءة العامة هلا قيل بحرب الله ورسوله هذا ابلغ
لان المعنى فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروي انها لما نزلت
قالت ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء فلكم
رؤوس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون
بالنقصان منها هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا
قالوا يكون فيا للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وان
كان ذو عسرة وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وقرئ

شعر هو الخليفة ص

فيمان ذا عسرة على ان كان الناقصة ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة
فنظرة فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرا
عطاء فناظرة بمعنى فصاحب الحق ناظره اي منتظره او صاحب نظرة على طريق
النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعنى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على
الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وباشره الى ميسرة الى يسار وقرئ بضم السين
كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة
كقوله واخلفوك عد الامر الذي وعدوا وقوله تعالى واقام الصلوة وان
تصدقوا خير لكم ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم على من اعسر من
غرمائهم او ببعضها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل يريد بالتصدق
الانظار لقوله عليه السلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة
ان كنتم تعلمون انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كانه لا
يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء واتقوا يوما ترجعون فيه
الى الله قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات
وقراء عبد الله تردون وقراء ابي تصيرون ثم توفى كل نفس ما كسبت
وهم لا يظلمون وعن ابن عباس انها اخر اية نزل بها جبرئيل وقال ضعها
في راس المائتين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدها
احدى وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين يوما وقيل سبعة ايام يا ايها الذين
امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت
الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك
قال رؤبة داينت اروى والديون تقضى فمطلت بعضا وادت بعضا والمعنى
اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه هلا قيل اذا تداينتم الى اجل
مسمى واي حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت اروى ولم يقل بدين ذكر
ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا
الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال
ما فائدة قوله مسمى ليعلم ان من حق الدين ان يكون معلوما

كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الدياس او رجوع
الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما امر بكتبة الدين لانه اوثق وآمن من النسيان
وابعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم
الله الربوا اباح السلف وعنه اشهد ان الله اباح السلم المضمون الى اجل
معلوم في كتابه وانزل فيه اطول آية وليكتب بينكم كاتب بالعدل متعلق بكاتب
صفة له اي كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما
يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجيء
مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا
فقيها دينا ولا يأب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب ان
يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير
وقيل هو كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك اي ينفع الناس بكتابته
كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هي فرض كفاية وكما علمه الله يجوز
ان يتعلق بان يكتب وبقوله فليكتب [illegible] اي فرق
ان علقته بان يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له فليكتب
يعني فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب
فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة و
ليملل الذي عليه الحق ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود
على ثباته في ذمته واقراره به والاملاء والاملال لغتان قد نطق بهما القرآن
فهو عليه وليتق الله ربه ولا يبخس منه من الحق شيئا والبخس النقص
وقرئ شيئا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد فان كان الذي عليه الحق
سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا صبيا او شيخا
مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لعي به او
خرس فليملل وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها او صبيا
او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله ان يمل هو
فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه واستشهدوا

شهيدين واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان على الدين من رجالكم من رجال
المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه
لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جائزة
وتجوز عند ابي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل ممن
ترضون من الشهداء ممن ترضون عدالتهم ان تضل احديهما فتذكر احديهما
الاخرى ان لا تهتدي للشهادة بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه
على انه مفعول له اي ارادة ان تضل كيف يكون ضلالها مرادا لله تعالى
لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل
واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال
المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكانه قيل ارادة ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت
ونظيره قولهم اعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء
العدو فادفعه وقرئ فتذكر بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وقرأ حمزة
ان تضل احديهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم
الله منه وقرئ ان تضل احديهما على البناء للمفعول والتانيث ومن بدع التفاسير
فتذكر فتجعل احديهما الاخرى ذكرا يعني انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر
ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل
لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل
يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت ولا تسأموا
كني بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن
كسلت ويجوز ان يراد من كثرت مداينته فاحتاج ان يكتب لكل دين صغير او
كبير كتابا مل من كثرة الكتب والضمير في ان تكتبوه للدين او الحق
صغيرا او كبيرا على اي حال كان الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون
الضمير للكتاب وان تكتبوه مختصرا او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الى اجله الى وقته
الذي اتفق فيه الغريمان على تسميته ذلكم اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر اي
ذلكم الكتب اقسط اعدل من القسط عند الله واقوم للشهادة واعون على

اقامة الشهادة وادنى الا ترتابوا واقرب من انتفاء الريب
افعلا التفضيل اعني اقوم واقسط يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين
من اقسط واقام وان يكون اقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط
واقوم من قويم وقرئ ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما الا ان تكون
تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها
ما معنى تجارة حاضرة وسواء كانت المبايعة بدين او بعين فالتجارة
حاضرة وما معنى ادارتها بينهم اريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال
ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا
ناجزا يدا بيد والمعنى فلا باس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين
وقرئ تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل على الناقصة على ان الاسم تجارة
حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على ان يكون التجارة تجارة حاضرة كقوله
بني اسد هل تعلمون بلاءنا اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اي اذا كان اليوم
يوما واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا او كالئا
لانه احوط وابعد مما عسى ان يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا
تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة
وعن الحسن ان شاء اشهد وان لم يشأ لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله
ولو على باقة بقل ولا يضار كاتب ولا شهيد يحتمل البناء للفاعل والمفعول
والدليل عليه ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر
والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن
التحريف والزيادة والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم
ويلزا او لا يعطى الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد
وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر وان تفعلوا وان تضاروا فانه فان الضرار فسوق
بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم عنه واتقوا الله ويعلمكم
الله والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر مسافرين ولم تجدوا
كاتبا وقرأ ابن عباس ولم تجدوا كتابا وقال ابن عباس ارأيت ان وجدت الكاتب

ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ ابو العالية كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب
فرهان مقبوضة فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وهو جمع رهن
كسقف وسقف وفرهان لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر
دون حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم درعه في غير سفر
ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب
والاشهاد امر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثق
بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه
الا في حال السفر اخذا بظاهر الآية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك
يصح الارتهان بالايجاب والقبول دون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن
بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به وقرأ ابي فان اومن اي آمنه الناس
ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد
الذي اؤتمن امانته حث للمديون على ان يكون عند ظن الدائن به وامنه منه
وائتمانه له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين
امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة
بعد الذال او ياء فتقول الذي اؤتمن او الذي يتمن وعن عاصم انه قرأ الذي اتمن
بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان
الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا
وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم خبر ان
قلبه رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه والله بما تعملون عليم
ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان
هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب وحده كتمان الشهادة
هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان آثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد
الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا
مما ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء
والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل

فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان منه ولئلا يظن ان كتمان
الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن
اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلب اعظم من افعال سائر الجوارح
وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيآت الايمان
والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب
فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما اكبر الكبائر الاشراك
بالله لقوله فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة
وقرئ قلبه بالفتح كقوله سفه نفسه وقرأ ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله
آثما لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او
تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء استوجب المغفرة
مما اظهر منه واضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا تدخل
فيما يخفيه الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه
لكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بهذا
لنهلكن ثم بكا حتى سمع نشيجه فذكر ذلك لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن
قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب
مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب فان قلت
كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن
مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم
الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط
الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرأ
الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا
تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان
التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال
كقولك ضربت زيدا راسه واحببت زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه
في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان والله على كل شيء قدير آمن الرسول

بما انزل اليه من ربه والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين
نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين
ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل
اتوه داخرين وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب
فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد بالواحد الجنس
والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء فاما الجمع فلا يدخل تحته
الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق بين احد من رسله يقولون لا نفرق
وعن ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون واحد في معنى الجمع
كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين وقالوا سمعنا اجبنا
واطعنا غفرانك منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك
ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون ربنا واليك المصير لا يكلف الله
نفسا الا وسعها الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اي لا
يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا
اخبار عن عدله ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان
وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرأ
ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ينفعها ما كسبت
من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها
فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب اعتمال فلما
كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله
اعمل واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت
بما لا دلالة فيه على الاعتمال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا
تؤاخذنا بالنسيان والخطأ ان فرط منا فان قلت النسيان والخطأ متجاوز
عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما قلت ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما
ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته

بالمعصية فيه ربنا ولا تحمل علينا اصرًا كما حملته على الذين من قبلنا الصر
الثقل الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق
من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرأ اصارا
على الجمع وفي قراءة ابي ولا تحمّل علينا بالتشديد فان قلت اي فرق بين هذه
التشديدة والتي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك للنقل
حمله من مفعول واحد الى مفعولين ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من
العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها
من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل
المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل
علينا واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولينا سيدنا ونحن عبيدك
او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين من حق المولى
ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك يعتمد امورنا التي عليها تولها وعن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له
عند كل كلمة قد فعلت وعنه من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة من كنز تحت
العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه انزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبها الرحمن
بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة اجزأتاه
عن قيام الليل فان قلت هل يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة او قرأت البقرة قلت
لا بأس بذلك وقد جاء في حديث النبي من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة
وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن ابن مسعود انه رمى الجمرة
ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة ولا فرق
بين قولك سورة الكهف وسورة الممتحنة وسورة المجادلة واذا قيل قرأت البقرة
لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله واسئل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك
وقال يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله
السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها
حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

ميم حقها ان يوقف عليها كما يوقف على الف ولام وان يبدأ
ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة
القيت عليها حين اسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز القاء حركتها عليها وهي
همزة وصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها
قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم
الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن
قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال
فان قلت هلا زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين
لا يبالى به في باب الوقف وذلك قولهم هذا ابرهيم وداود واسحق ولو كان
التقاء الساكنين في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في الف لام ميم
لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء
الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن
ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا قلت الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة
الساكن انه يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا
بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق صغير اصم ومدق فلما حركوا الدال علم
ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين
فان قلت فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك
لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما
بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل والتورية والانجيل اسمان

اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما
يصح بعد كونهما عربيين وقرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة
لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب لم قيل نزل الكتاب
وانزل التورية والانجيل لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة وقرئ
نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس اى لقوم موسى وعيسى
ومن قال انا متعبدون بشرايع من قبلنا فسره على العموم وانزل الفرقان
ثم المراد بالفرقان جنس الكتب السماوية لانها كلها فرقان
يفرق بين الحق والباطل او الكتب التي ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة
وانزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب او اراد
الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر او كرر ذكر
القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره
باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا لفضله ان الذين كفروا بآيات الله
من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام له انتقام
شديد لا ينقم على مثله منتقم ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا
في السماء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر
وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه هو الذي يصوركم في الارحام
كيف يشاء من الصور المختلفة المتفاوتة وقرئ تصوركم اي صوركم
لنفسه ولتعبده من قوله اثلث مالا اذا جعلته اثلة اي اصلا وتاثلته اذا
اثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا احتجاج على من زعم ان عيسى كان ربا
فنبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله
لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات
محكمات هن ام الكتاب احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال
والاشتباه واخر متشابهات محتملات هن ام الكتاب اي اصل الكتاب تحمل
المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة
لا يامر بالفحشاء امرنا مترفيها فهلا كان القرآن كله محكما

لو كان القرآن كله محكما لتعلق الناس به لسهولة ماخذه ولاعرضوا عما يحتاجون
فيه الى الفحص والتامل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق
الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء
والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم
القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة
ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد لما علم ان لا مناقضة في كتاب الله
ولا اختلاف اذا راى ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على
سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله وتبين مطابقة المتشابه المحكم
ازداد طمانينة الى معتقده وقوة في ايقانه فاما الذين في قلوبهم زيغ
اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بمتشابهه الذي يحتمل ما يذهب
اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة
طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تاويله وطلب ان يأولوه
التاويل الذي يشتهونه وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم اي
يهتدي الى الحق الذي يجب ان يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم اي
ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله
ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استاثر الله بعلمه
بمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون كلام
مستانف موضح لحال الراسخين يعني هؤلاء العالمون بالتاويل يقولون آمنا به
اي بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد منه ومن المحكم من عنده او الكتاب
كله من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كتابه وما يذكر
الا اولوا الالباب مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التامل ويجوز ان
يكون يقولون حالا من الراسخين وقرأ عبد الله ان تاويله الا عند الله وقرأ ابي
ويقول الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا لا تبتلنا ببلاء تزيغ فيها قلوبنا بعد
اذ هديتنا وارشدتنا لدينك ولا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا وهب
لنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء

والباء ودفع القلوب إنك أنت الوهاب ربنا إنك جامع الناس ليوم
لا ريب فيه اي تجمعهم للحساب يوم الجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع
وقرئ جامع الناس على الاصل إن الله لا يخلف الميعاد معناه ان الالهية
تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله والميعاد الموعد إن الذين
كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم قرأ علي كرم الله وجهه
لن تغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حرف اللين ومن في
قوله من مثله في قوله إن الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لا تغني عنهم
من رحمة الله او من طاعة الله شيئا اي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق
ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بذلك اي بدل
طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم
بالتي تقربكم عندنا زلفى وأولئك هم وقود النار وقرئ وقود بالضم بمعنى
أهل وقودها والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وآله
وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم قريظة والنضير كدأب آل فرعون والذين
من قبلهم والدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه
الانسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب
من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني او
بالوقود اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد
بهم كما تقول انك لتظلم الناس كدأب ابيك تريد كظلم ابيك ومثل ما كان
يظلمهم وان فلانا لمحارف كدأب ابيه تريد كما حورف ابوه كذبوا بآياتنا
تفسير لدأبهم مما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم
فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا
هم مشركو مكة ستغلبون يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا
به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما
كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد

سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا ما نزل بقريش واسلموا قبل ان
ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا
لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وتحشرون
إلى جهنم وبئس المهاد وقرئ سيغلبون ويحشرون بالياء كقوله قل للذين كفروا
ان ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك سيغلبون اي فرق بين القراءتين
من حيث المعنى معنى القراءة بالتاء الامر بان يخبرهم بما سيجري عليهم من
الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون وهو الكائن من
المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم
ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كانه قال اد اليهم هذا القول الذي هو قولي
لك سيغلبون ويحشرون قد كان لكم آية الخطاب لمشركي قريش في فئتين
التقتا يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم
يرى المشركون المسلمين المؤمنين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد
المسلمين ستمائة وستة وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم
ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله تعالى كما امدهم بالملائكة و
الدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اي ترون يا مشركي قريش مثلي
عسكر الكافر او مثلي انفسهم فهذا مناقض لقوله في سورة
الانفال ويقللكم في اعينهم قللوا في اعينهم حتى اجترؤوا عليهم
فلما لاقوهم كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين
ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه
انس ولا جان وقوله وقفوهم انهم مسؤولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى
في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلي
المسلمين على ما قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في قوله ان يكن منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة
الى عشرة الاضعاف وكان المشركون ثلاثة امثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه
وقرأ ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء اي يريهم الله ذلك بقدرته

واخرى فئة تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص
او على الحال من الضمير في التقتا **رأي العين** يعني رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس
فيها معاينة كسائر المعاينات **والله يؤيد بنصره من يشاء** كما ايد اهل بدر
وتكثيرهم في عين العدو **ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار زين للناس**
المزين الله سبحانه للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم
ويدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان
والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا اذم لها من خالقها **حب الشهوات من النساء**
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والحرث جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة
محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات
لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية
وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر اولا في النفوس ان
المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون اقوى
لتخسيسها وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب
ما عند الله والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير
مائة الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا
والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة وبدرة مبدرة
والمسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المطهمة او المرعية من اسام
الدابة والانعام الازواج الثمانية **ذلك** المذكور **متاع الحيوة الدنيا**
والله عنده حسن المآب قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين
اتقوا عند ربهم جنات كلام مستانف فيه على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول
هل ادلك على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان يتعلق اللام
بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به وترتفع جنات على هو جنات وينصره
قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير **تجري من تحتها الانهار**
خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من … **بصير**

بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا وباحوالهم
فلذلك اعد لهم الجنات **الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا**
وقنا عذاب النار نصب على المدح او جر صفة للمتقين او للعباد **الصابرين**
والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار وادخل الواو
بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة وتقدم الكلام في ذلك وخص
الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في
اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم
وهذا ليلهم **شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم**
شبهت دلالته على وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره
وبما اوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص وآية الكرسي
وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك الملائكة واولو
العلم بذلك واحتجاجهم عليه **قائما بالقسط** مقيما للعدل فيما يقسم من
الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يامر به عباده من انصاف بعضهم
لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله
وهو الحق مصدقا … وانما جاز افراده بنصب الحال دون المعطوف
عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز … انما جاز هذا لعدم
اللبس كما جاء في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة
حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او
المدح … وليس من شرط المنصوب على المدح ان يكون معرفة كقولك
الحمد لله الحميد انا معاشر الانبياء لا نورث انا بني نهشل لا ندعي لاب
قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول
الهذلي ويأوي الى نسوة عطل وشعثا مراضيع مثل السعالي
هل يجوز ان يكون صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو
لا يبعد فقد رايناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف

فقد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله
الا هو قلت نعم لانها حال مؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي
زيادة في فائدتها عاملا فيها كقولك انا عبد الله شجاعا وهو اوجه من انتصابه
عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح فان قلت هل دخل قيامه بالقسط
في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية قلت نعم
اذا جعلته حالا من هو او نصبا على المدح منه او صفة للمنفي كانه قيل شهد
الله والملائكة واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط وقرأ
عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من هو او خبر مبتدأ محذوف وقرأ
ابو حنيفة قيما بالقسط **لا اله الا هو العزيز الحكيم** صفتان مقررتان
لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه
اله آخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله فان قلت ما المراد باولي العلم
الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على
وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة
والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه بالفتح وان
بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله **ان
الدين عند الله الاسلام** جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى
فان قلت ما فائدة هذا التوكيد قلت فائدتها ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله
قائما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد آذن
ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده
في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية
او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام
وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحتين على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل
شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان
صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح
على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد على

ان الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراآت كلها متعاضدة على ذلك وقرأ
عبد الله ان لا اله الا هو وقرأ ابي ان الدين عند الله وهي معضدة لقراءة من فتح
الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين
وبالرفع على هم شهداء لله فان قلت علام عطف على هذه القراءة والملائكة
واولوا العلم قلت على الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما
فان قلت لم كرر قوله لا اله الا هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية
وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية
اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا الموصوف
بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل
وما اختلف الذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب من اليهود والنصارى **الا من بعد
ما جاءهم العلم** واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل
من بعد ما جاءهم العلم انه الحق الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود
عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان تكون النبوة فينا من قريش لانهم اميون
ونحن اهل الكتاب وهذا الحق من الله **بغيا بينهم** اي ما كان ذلك الاختلاف و
تظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة
وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطؤن اعقابهم لا شبهة في
الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم حيث آمن به
بعض وكفر بعض وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلم حين احتضر
استودع التورية سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف
يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التورية
بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم
في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله ورسوله **ومن يكفر بآيات الله
فان الله سريع الحساب فان حاجوك** فان جادلوك في الدين
فقل اسلمت وجهي اي اخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل
فيها لغيره شركا بان اعبده وادعو الها معه يعني ان ديني التوحيد

وهو الدين القديم الذي ثبت عندكم صحته كما ثبتت عندي وما جئت بشيء
بديع حتى تجادلوني فيه ونحوه قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا وهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه
ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة ومن
اتبعن عطف على التاء في اسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان تكون الواو
بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى
والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم يعني انه قد اتاكم
من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم
بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق
البيان والكشف طريقا الا سلكته فهل فهمتها لا ام لك ومنه قوله عز وعلا فهل
انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام
استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة
لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين
الاذعان وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل
انتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه
فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال
الى الهدى ومن الظلمة الى النور وان تولوا لم يضروك فانما عليك البلاغ
والله بصير بالعباد فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة
وتنبه على طريق الهدى ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون
النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس
فبشرهم بعذاب اليم قرأ الحسن يقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون
الذين يأمرون وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ ابي يقتلون النبيين و
الذين يأمرون وهم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم
وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله صلى الله عليه وآله
والمؤمنين لولا عصمة الله تعالى وعن ابي عبيدة قلت يا رسول الله اي الناس

١٢٦

اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او قتل رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها
ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة
فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل وامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم
عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا
والآخرة وما لهم من ناصرين لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في
الآخرة لم دخلت الفاء في خبر ان لتضمن اسمها معنى الجزاء
كأنه قيل الذين يكفرون فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء فكأن دخولها
كلا دخوله ولو كان مكانها ليت او لعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء
ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود وانهم
حصلوا نصيبا وافرا من التورية ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من
جنس الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله
وهو التورية ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل
مدارسهم فدعاهم فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي دين انت
قال على ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التورية
فهلموا اليها فأبيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه ثم يتولى فريق منهم
استبعاد لتوليهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب وهم معرضون وهم قوم
لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد ما
وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم
دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين
المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله
ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا واقعا فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ذلك التولي والاعراض بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما
معدودات بتسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار
بعد ايام قلائل كما طمعت المجبرة وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون من ان
آباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله

في كتابهم **فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه** فكيف يصنعون فكيف تكون حالهم وهو
استعظام لما أعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة في دفعه والتخلص
منه وأن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون
وروي أن أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات الكفار راية
اليهود فيفضحهم الله على رؤوس الأشهاد ثم يأمر بهم إلى النار **ووفيت
كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** يرجع إلى كل نفس على المعنى لأنه
في معنى كل الناس **قل اللهم** الميم في اللهم عوض
من ياء ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء
في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله
وبغير ذلك **مالك الملك** أي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك
فيما يملكون **تؤتي الملك من تشاء** تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له
واقتضته حكمتك من الملك **وتنزع الملك ممن تشاء** النصيب الذي أعطيته
منه فالملك الأول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من
الكل روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين افتتح مكة وعد أمته
ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد صلى
الله عليه وآله وسلم ملك فارس والروم هم أعز وأمنع من ذلك وروي
أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما خط الخندق عام الأحزاب وقطع
لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم
لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم يخبره فأخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها
برق أضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون
وقال أضاءت لي منها قصور الحيرة كأنها أنياب الكلاب ثم ضرب الثانية
فقال أضاءت منها القصور الحمر من أرض الروم ثم ضرب الثالثة فقال أضاءت
لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة على كلها فأبشروا فقال المنافقون
ألا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة

ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا
تستطيعون أن تبرزوا فنزلت **وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير
إنك على كل شيء قدير** كيف قال بيدك الخير فلكي الخير دون الشر
لأن الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه إلى المؤمنين وهو الذي
أنكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم من أعدائك ولأن
كل أفعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله
كإيتاء الملك ونزعه **تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج
الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب**
ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما وحال
الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب
دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة الباهرة المحيرة للأفهام
ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على أن ينزع الملك
من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب أنا الله ملك الملوك
ونواصيهم بيدي فإن العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب
الملوك ولكن توبوا إلي أعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى
عليكم **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء** نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة
بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها
ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فإنه منهم لا تتخذوا
اليهود والنصارى أولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الآية والمحبة في الله والبغض
في الله باب عظيم من أصول الإيمان **من دون المؤمنين** يعني أن لكم في موالاة
المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم **ومن يفعل ذلك
فليس من الله في شيء** ومن يوال الكفرة فليس من الله في شيء يقع عليه اسم الولاية
يعني أنه منسلخ عن ولاية الله رأسا وهذا أمر معقول فإن موالاة الولي
وموالاة عدوه متنافيان قال تود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النوك عنك
إلا أن تتقوا منهم تقاة إلا أن تخافوا من جهتهم أمرا يجب اتقاؤه

بعازب

تقية قيل للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصي كقول عيسى عليه السلم كن وسطا وامش جانبا **ويحذركم الله نفسه والى الله المصير** فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة وتقية على المصدر كقوله اتقوا الله حق تقاته **قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه** من ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضى الله **يعلمه الله** ولم يخف عليه **ويعلم ما في السموات وما في الارض** لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم **والله على كل شيء قدير** فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهي ذاته المميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم بل متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور وهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به من العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ في امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم ان العالم بالذات الذي يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترار بسترك **يوم تجد** منصوب بتود والضمير في بينه لليوم اي يوم القيمة حين تجد **كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء** خيرها وشرها حاضرين **تود** تتمنى **لو ان بينها وبينه** وبين ذلك اليوم وهوله **امدا بعيدا** ويجوز ان ينتصب يوم بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره اي والذي عملته من سوء تود لو تباعد ما بينها وبينه ولا يصح ان تكون ما شرطية لارتفاع تود فلا يصح ان تكون شرطية جوابها

قراءة عبد الله ودت لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت وتكون تود حالا اي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها وبين اليوم او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤنه ونحوه فينبئهم بما عملوا احصيه الله ونسوه والامد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين وكرر قوله **ويحذركم الله نفسه** ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه **والله رؤف بالعباد** يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرافة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رافته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرض عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم اقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رايت من يذكر محبة الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف ما الله ولا ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رايت المني قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة حواليه قد ملأوا اردانهم بالدموع لما رققهم من حاله وقرئ تحبون ويحببكم الله من حبه يحبه قال شعر

احب ابا مروان من حب تمره ... واعلم ان الرفق بالجار ارفق ... ووالله لولا تمره ما حببته

ولا كان زادني من عبيد ومشرق قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا يحتمل أن
يكون ماضيا وأن يكون مضارعا بمعنى فإن تتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول
لهم فإن الله لا يحب الكافرين إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم
إسمعيل وإسحق وأولادهما وآل عمران موسى وهارون ابنا عمران
بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة
على العالمين ذرية بدل من آل إبراهيم وآل عمران بعضها من بعض يعني أن
الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهارون من عمران
وعمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب و
يعقوب من إسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود
بن ايشي بن يهوذا بن يعقوب بن إسحق وقد دخل في آل إبراهيم رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وقيل بعضها من بعض في الدين لقوله تعالى المنافقون و
المنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء أو
أن بعضهم من بعض في الدين أو سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها إذ قالت
امرأة عمران رب إني نذرت لك ما في بطني وإذ منصوب به وقيل بإضمار
اذكر وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان أم مريم البتول جدة عيسى عليه السلام
وهي حنة بنت فاقوذ وقوله إذ قالت امرأة عمران على أثر قوله وآل عمران
مما يرجح أن عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى عليه السلام والقول الآخر يرجحه
أن موسى يقرن بإبراهيم كثيرا في الذكر كانت لعمران بن يصهر بنت
اسمها مريم أكبر من موسى وهارون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما
أدراك أن عمران هذا هو أبو مريم البتول دون عمران أبي مريم التي هي أخت موسى و
هارون كفى بكفالة زكريا دليلا على أنه عمران أبو البتول لأن زكريا
بن آذن وعمران بن ماثان في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته إيشاع أخت
مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة روي أنها كانت عاقرا لم تلد إلى أن عجزت فبينا
هي في ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم
إن لك علي نذرا شكرا إن رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته

وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة بيت المقدس
لا يد لي عليه ولا أستخدمه ولا أشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا
عندهم وروي أنهم كانوا ينذرون هذا النذر فإذا بلغ الغلام خير بين أن
يفعل وبين أن لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير إلا للغلمان
وإنما بنت الأمر على التقدير أو طلبت أن ترزق ذكرا فتقبل مني إنك أنت السميع
العليم فلما وضعتها الضمير لما في بطني وإنما أنث على المعنى لأن ما في بطنها كان
أنثى في علم الله أو على تأويل الجبلة أو النفس أو النسمة قالت رب إني وضعتها
أنثى كيف جاز انتصاب أنثى حالا من الضمير في وضعتها وهو
كقولك وضعت الأنثى أنثى الأصل وضعته أنثى وإنما أنث لتأنيث الحال
لأن الحال وذا الحال لشيء واحد كما أنث الاسم في من كانت أمك لتأنيث
الخبر ونظيره قوله تعالى فإن كانتا اثنتين وأما على تأويل الجبلة أو النسمة
فهو ظاهر كأنه قيل وضعت الجبلة أو النسمة أنثى فلم قالت إني
وضعتها أنثى وما أرادت إلى هذا القول قالته تحسرا على ما رأت من
خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت إلى ربها لأنها كانت ترجو وتقدر أن
تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحزن قال
الله تعالى والله أعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما
وهب لها منه والله أعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الأمور
وأن يجعله وولده آية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك
تحسرت وفي قراءة ابن عباس والله أعلم بما وضعت على خطاب الله لها أي
لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شأنه وعلو قدره وقرئ
وضعت بمعنى ولعل لله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الأنثى خير من الذكر
تسلية لنفسها فما معنى قوله وليس الذكر كالأنثى
هو بيان لما في قوله والله أعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع
والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذي طلبت كالأنثى التي وهبت لها و
اللام فيهما علام عطف قوله وإني سميتها مريم وإني أعيذها

وذريتها من الشيطان الرجيم هو عطف على اني وضعتها انثى
وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم
فلم ذكرت تسميتها مريم لربها لان مريم في لغتهم العابدة فارادت
بذلك التقرب والطلب اليه وان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها
وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها
من الشيطان الرجيم واغوائه وما روي من الحديث ما من مولود يولد الا
والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم
وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه
الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله
لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه
تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه
ونحوه من التخييل قول ابن الرومي لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل
فاما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس
على الناس ينخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها
ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما
ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو
اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم تقبل قبلها انثى في ذلك او
بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان حنة
حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء
هارون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة
فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان
رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي
خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه
اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان
يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فقبلها فاستقبلها كقولك تعجله

بمعنى استعجله وتقضاه بمعنى استقضاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه
باوله وعنفوانه وقال القطامي وخير الامر ما استقبلت منه وليس بان تتبعه اتباعا
ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن
وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في
جميع احوالها وكفلها زكريا وقرئ وكفلها زكريا بوزن عملها
وكفلها زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا والفعل
لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها كلما دخل عليها زكريا
المحراب قيل بنى لها زكريا عليه السلام محرابا في المسجد اي غرفة تصعد اليها بسلم
وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع من
بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها
الا هو وحده وكان اذا خرج اغلق عليها سبعة ابواب وجد عندها رزقا
كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط وكان يجد عندها فاكهة
الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء قال يا مريم انى لك هذا
من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه
والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله فلا
تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة عليها وعلى ابيها الصلوة
والسلم رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت
عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما وعلمت انها نزلت من عند الله ان الله يرزق
من يشاء بغير حساب فقال عليه السلم الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة
نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن ابي
طالب والحسن والحسين عليهم السلم وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي
الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها ان الله يرزق من يشاء من جملة
كلام مريم عليها السلم او من كلام رب العزة عز من قائل بغير حساب بغير تقدير
لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك

ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار
هنا وثم وحيث للزمان هنالك دعا زكريا ربه لما راى حال مريم في كرامتها على
الله ومنزلتها رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة والكرامة
على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت اختها كذلك وقيل لما راى الفواكه
في غير وقتها انتبه على جواز الولادة من العاقر قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة
ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع انك سميع الدعاء مجيبه فنادته
الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب وقرئ فناداه الملائكة وقيل ناداه
جبرئيل وانما قيل الملائكة على ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقرئ
يبشرك ويبشرك من بشره وابشره ويبشرك بفتح الياء من بشره ويحيى ان كان
اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى وعيسى وان كان عربيا فللتعريف
ووزن الفعل كيعمر مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا مصدقا
بعيسى مؤمنا به قيل هو اول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله
وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب
منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته والسيد الذي يسود
قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في انه
لم يركب سيئة قط ويا لها من سيادة والحصور الذي لا يقرب النساء حصرا
لنفسه اي منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الامر
وشارب مربح نادمني لا بالحصور ولا فيها بسآر واستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو
وقد روي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين
ناشيا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين
كقوله وانه في الآخرة لمن الصالحين قال رب انى يكون لي غلام
من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر وقد
ادركته السن العالية والمعنى اثر في الكبر واضعفني وكانت له تسع وتسعون
تسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون سنة قال كذلك الله يفعل ما يشاء
اي يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو قلبا لقوله

فقال ما للعب خلقت

من الشيخ الفاني والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدا وخبر اي على نحو هذه الصفة
الله ويفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات قال
رب اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لاتلقى النعمة بالشكر اذا جاءت بالكلم
قال آيتك الا تكلم الناس ان لا تقدر على تكليم الناس ثلاثة ايام وانما
خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته
على التكلم بذكر الله تعالى ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار
يعني في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة وانما حبس
لسانه عن كلام الناس ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل بغيره توفرا
منه على حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من اجله كانه
لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن
الجواب ما اوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه الا رمزا الا اشارة
او راس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز
وقرئ رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل ورمزا
بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله
متى ما تلقني فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا بمعنى الامر امر من كا
يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم واذكر ربك كثيرا وسبح
بالعشي والابكار العشي من حين تزول الشمس الى ان تغيب والابكار من
حين طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كالسحر
والاسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين فالرمز ليس من جنس الكلام
استثني منه لما ادى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما
ويجوز ان يكون استثناء منقطعا واذ قالت الملائكة يا مريم روي
انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى ان الله
اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة السنية
وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قرفك به اليهود واصطفاك آخرا
على نساء العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء

يا مريم اقنتي لربك واسجدي أمرت بالصلوة بذكر القنوت والسجود لكونهما
من هيئات الصلوة واركانها ثم قيل لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلوتك
مع المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون
في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلوته ولا يركع وفيه من يركع فامرت
بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع ذلك من انباء الغيب
نوحيه اليك اشارة الى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى يعني
ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي وما كنت لديهم
لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الانباء
من حفاظها وهو موهوم كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل
السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية
الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم
لا سماعه له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور
كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم اذ يلقون اقلامهم ما زلامهم وهي قداحهم
التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التورية
اختاروها للقرعة تبركا بها ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ
يختصمون في تنافسا في التكفل بها
ايهم يكفل بم يتعلق بمحذوف
دل عليه يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او
يقولون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه
اسمه المسيح عيسى ابن مريم المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق و
الفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا
اينما كنت وكذلك عيسى معرب ايشوع واشتقاقهما من المسح والعيس كالرقم في
الماء بم يتعلق هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل
من واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام و
البشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا لم قيل
عيسى ابن مريم والخطاب لمريم لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات

فاعلمت بسبقها اليها انه يولد من غير اب ولا ينسب الا الى امه وبذلك فضلت و
واصطفيت على نساء العالمين لم ذكر الضمير الكلمة لان المسمى
بها مذكر لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلثة اشياء الاسم
منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة الاسم للمسمى علامة يعرف
بها ويتميز عن غيره فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز عمن سواه مجموع هذه
الثلثة وجيها في الدنيا والآخرة حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين
ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا
بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة
في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة في
الجنة وكونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته الملائكة والمهد ما يمهد للصبي
من مضجعه سمي بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه
ويكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولية
وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء قالت رب
انى يكون لي غلام ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء
اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ومن بدع التفاسير ان قولها
رب نداء لجبرئيل بمعنى يا سيدي ويعلمه الكتاب والحكمة والتورية و
الانجيل ويعلمه عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام
مبتدأ وقرئ عاصم ونافع ويعلمه بالياء ورسولا الى بني اسرائيل
علام يحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة لان اني يستدعي ان يتعلق
بفعل قبله وقوله اني قد جئتكم ولما بين يدي يأبى حمله عليها هو من
المضائق وفيه وجهان احدهما ان يضمر له وارسلت على ارادة القول تقديره
ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد جئتكم ومصدقا لما
لما بين يدي والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا باني
اصدق ما بين يدي وقرأ اليزيدي ورسولا عطفا على كلمة اني قد جئتكم
باية من ربكم واصله ارسلت باني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل

وأني أخلق لكم من الطين نصب بدل من أني قد جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على هي أني أخلق لكم وقرئ إني بالكسر على الاستئناف أي أقدر لكم شيئا كهيئة الطير مثل صورة الطير فأنفخ فيه الضمير للكاف أي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا بإذن الله فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا وقرأ عبد الله فأنفخها قال كان لهم في تخير سنخ الخفاش وقيل لم يخلق غير الخفاش وأبرئ الأكمه الذي ولد أعمى وقيل هو ممسوح العين قيل لم يكن في هذه الأمة أكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي أنه اجتمع عليه خمسون ألفا من المرضى من أطاق منهم أطاق ومن لم يطق أتاه عيسى وما كانت مداواته إلا بالدعاء وحده والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله كرر بإذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي أنه أحيى سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا إن هذا سحر فأرنا آية فقال يا فلان أكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم رد على قوله بآية من ربكم ولأحل لكم ويجوز أن يكون مصدقا مردودا عليه أي جئتكم بآية وجئتكم مصدقا وما حرم الله عليهم في شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الإبل والسمك وكل ذي ظفر فأحل لهم عيسى بعض ذلك أحل لهم من السمك والطير ما لا صيصة له واختلفوا في إحلاله لهم السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التوراة أو الله عز وجل أو موسى عليه السلام لأن ذكر التوراة دل عليه ولأنه كان معلوما عندهم وقرئ حرم بوزن كرم وجئتكم بآية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قولي إن الله ربي وربكم لأن جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرئ بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله وأطيعون اعتراض

كيف جعل هذا القول آية من ربه

لأن الله تعالى جعله له علامة يعرف بها أنه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في أدلة العقل والاستدلال ويجوز أن يكون تكريرا لقوله جئتكم

وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين

بآية من ربكم أي جئتكم بآية بعد أخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والإبراء والإحياء والإنباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير أب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك فاتقوا الله في المخالفة وأطيعون فيما أدعوكم إليه ثم ابتدأ فقال إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ومعنى من قرأ ولأن الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لإيلاف قريش فليعبدوا ويجوز أن يكون المعنى وجئتكم بآية على أن الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما أحس عيسى منهم الكفر فلما علم منهم كفرا لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس قال من أنصاري إلى الله في موضع الحال متضمنا معنى الإضافة كأنه قيل من الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ينصرونني كما ينصرني أو يتعلق بمحذوف حالا من الياء أي من أنصاري ذاهبا إلى الله ملتجئا إليه قال الحواريون نحن أنصار الله أي أنصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص ألوانهن ونظافتهن قال الحماسي فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا تبكنا إلا الكلاب النوابح وقيل هو من الحور وهو البياض الخالص آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون لما طلبوا شهادته بالإسلام لأنهم تكمدوا الإيمان لأن الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين مع الأنبياء الذين يشهدون لأتباعهم أو مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم شهداء على الناس ومكروا ومكر الله الواو للكفار بني إسرائيل الذين أحس منهم الكفر ومكرهم أنهم وكلوا به من يقتله غيلة ومكر الله أن رفع عيسى إلى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل والله خير الماكرين أقواهم مكرا وأنفذهم كيدا وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب إذ قال الله ظرف لخير الماكرين أو لمكر الله يا عيسى إني متوفيك أي مستوفي أجلك ومعناه إني عاصمك من أن يقتلك الكفار ومؤخرك إلى أجل كتبته لك ومميتك حتف أنفك لا قتلا بأيديهم ورافعك إلي إلى محل كرامتي ومقر ملائكتي

ومطهرك من الذين كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل متوفي نفسك بالنوم من قوله و التي لم تمت في منامها ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وانت في السماء آمن مقرب وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة يعلونهم بالحجة في اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرايع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى ثم الي مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين تفسير الحكم قوله فاعذبهم واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين وقرئ فيوفيهم بالياء ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم اشارة الى ما سبق من نبإ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه ومن الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن وصفه بصفة من هو سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ان شان عيسى وحال الغريبة كشان آدم وقوله خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبهه بآدم اي خلق آدم من تراب ولم يكن له اب ولا ام فكذلك حال عيسى فكيف شبه به وقد وجد هو بغير اب ولا ام هو مثله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم

لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر واحيى حزقيل ثمانية الاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما خلقه من تراب قدر جسدا من طين ثم قال له كن اي انشأه بشرا كقوله ثم انشأناه خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية الحق من ربك خبر مبتدإ محذوف اي هو الحق لقول اهل خيبر محمد والخميس فلا تكن من الممترين ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة وان يكون لطفا لغيره فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى عليه السلم من بعد ما جاءك من العلم اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا والمراد المجيء بالراي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسألة ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع كل منا ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم يستعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروي انه لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رايهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن وان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك

وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا فقال اذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم
ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا فقال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب
طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي
اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلثين درعا عادية من حديد
فصالحهم على ذلك وقال والذي نفس محمد بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل
نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا و
لاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على روس الشجر ولما حال الحول على النصارى
كلهم حتى يهلكوا وعن عايشة رضها ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله
ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر
يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء   ذلك آكد
في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته
وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى
ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستيصال
ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم
بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن
ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعاين في الحروب لتمنعهم من الهرب
ويسمون الذادة عنها بارواحهم حماة الحقايق وقدمهم في الذكر على
الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على
الانفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم
السلم وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي لانه لم يرو احد من موافق
ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك ان هذا الذي قص عليك من نبأ عيسى لهو
القصص الحق وهي بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من
هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو ما فصل بين اسم ان وخبرها

او مبتداء والقصص الحق خبره والجملة خبر ان   لم جاز دخول اللام
على الفصل   اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه اقرب
الى المبتدأ منه واصلها ان تدخل على المبتدأ ومن في قوله وما من اله الا الله
بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد
على النصارى في تثليثهم وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم
بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة قيل هم اهل الكتابين وقيل
وفد نجران وقيل يهود المدينة سواء بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم
لا يختلف فيه القران والتورية والانجيل وتفسير الكلمة الا نعبد الا الله
ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني
تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما
بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير
رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم
ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون
بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية
الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرأ الحسن سواء بالنصب
بمعنى استوت استواء فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم
الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب
في جدال او صراع او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان
يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم
عن الحق بعد ظهوره يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابرهيم وما انزلت
التورية والانجيل الا من بعده زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابرهيم كان منهم
وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية
انما حدثت بعد نزول التورية والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابرهيم وموسى

الف سنة وبينه وبين عيسى عليهما الصلوة والسلام الفان فكيف يكون ابرهيم على دين الحادث
بعد عهده بازمنة متطاولة ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتدأ
وهؤلاء خبره و حاججتم جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم
هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به
علم مما نطق به التورية والانجيل والله يعلم علم ما حاججتم فيه وانتم
لا تعلمون جاهلون به ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان
حنيفا مسلما وما كان من المشركين ثم اعلمهم بانه بريء من دينكم وما كان
الا حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن منكم او اراد بالمشركين اليهود والنصارى
لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه في
زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين آمنوا من امته وقرئ وهذا النبي
بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اي اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على ابرهيم
والله ولي المؤمنين ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود
دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية وما يضلون الا انفسهم وما
يشعرون وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف
بضلالهم واضلالهم او وما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم
من اشياعهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات بالتورية والانجيل وكتم
بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة النبوة وشهادتهم اعترافهم بها
آيات الله او تكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول وانتم تشهدون نعته
في الكتابين او تكفرون بآيات الله جميعا وانتم تعلمون انه حق يا اهل الكتاب
لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون وقرئ تلبسون
بالتشديد وقرأ يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء اي تلبسون الحق مع الباطل
كقوله كلابس ثوبي زور وقوله اذا هو بالمجد ارتدى وتأزرا وقالت طائفة
من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار اوله
قال من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار والمعنى اظهروا
الايمان بما انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا به آخره في آخره لعلهم

انا خصهم به وانهم منه من الولي وهو العزيز

يرجعون يشكون في دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الا لامر
قد تبين لهم فيرجعون برجوعهم وقيل تواطأ اثنا عشر رجلا من احبار يهود
خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم اول النهار
من غير اعتقاد واكفروا آخره وقولوا انا نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا
فوجدنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان
دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم وقيل هذا في شأن القبلة لما صرفت
الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة
وصلوا اليها في اول النهار ثم اكفروا به في آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم
يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم
قل ان الهدى هدى الله متعلق بقوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم وما بينهما
اعتراض اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون
غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم ان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم
ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين
لئلا يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير
في يحاجوكم لاحد لانه في معنى الجمع يعني ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم
يوم القيمة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة واما معنى الاعتراض
فمعناه ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد
ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم
عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من
يشاء يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى
ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانكم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا
لمن كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم ارجى عندهم من رجوع
سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى احد معناه لان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشيء آخر يعني ان ما بكم من الحسد ان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة

قرأه ابن كثير أأن يؤتى بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ
ألأن يؤتى أحد ... فما معنى قوله او يحاجوكم على هذا
ما اوتيتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم
لكم عند ربكم فيجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان يؤتى خبر ان على
معنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم حتى يحاجوكم
عند ربكم فيدحضوا حجتكم وقرئ ان يؤتى احد على ان النافية وهو
متصل بكلام اهل الكتاب اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان
الهدى وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون
مثله فلا يحاجونكم ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا
لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم لان قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى احد مثل
ما اوتوا والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء و
الله ذو الفضل العظيم ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار
يؤده اليك عن ابن عباس رضي الله عنهما من ان تامنه بقنطار هو عبد الله بن سلام
استودعه رجل من قريش الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من
ان تامنه بدينار لا يؤده اليك فنحاص بن عازوراء استودعه رجل
من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المامونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم
والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما
الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه متوكلا عليه بالمطالبة والتقاضي
او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها
بغير وصل وسكونها وقرأ يحيى بن وثاب بكسر التاء و دمت بكسر الدال من دام
يدام ذلك اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي تركهم اداء الحقوق
بانهم قالوا بسبب قولهم ليس علينا في الاميين سبيل اي لا سلطان علينا وعتاب
في شان الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم
والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون

ليس لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا
ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء
في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن
ابن عباس انه سأله رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة
والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس قال هذا كما قال
اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا ادوا الجزية لم تحل لكم اموالهم الا بطيبة انفسهم
ويقولون على الله الكذب بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم
كاذبون بلى اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم
وقوله من اوفى بعهده واتقى جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى
مسدها والضمير في بعهده راجع الى من على ان كل من وفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك
الخيانة والغدر فان الله يحب المتقين فهذا عام يتخيل انه لو وفى
اهل الكتاب بعهدهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله
وفوا بالعهود ووفوا اولا بكل شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من
الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك
الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى على ان كل من وفى
بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في الايمان وغيره من الصالحات وما وجب
اتقاؤه من الكفر واعمال السوء فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من
عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في عبد الله
بن سلام وبحيرا الراهب ونظيرهما من مسلمي اهل الكتاب ان الذين يشترون
يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم
وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا
متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء وقيل نزلت في ابي رافع ورفاعة بن الحقيق
وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله
وسلم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف

في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا
نعم قال قد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه
علينا فرويدا حتى نلقاه فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا
وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت فيّ
كان بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين
يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام
سلعة في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب
وقوله بعهد الله يغني عن رجوع الضمير في بعهده الى الله **اولئك لا خلاق لهم**
في الآخرة ولا يكلمهم **ولا ينظر اليهم يوم القيمة** مجاز عن الاستهانة
بهم والسخط تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليهم
ولا يزكيهم ولا يثني عليهم **ولهم عذاب اليم**
اي يفرق بين استعماله
فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز لانه اصله فيمن يجوز عليه ثم كني به عن
الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا
لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر **وان منهم لفريقا**
هو كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم **يلوون السنتهم**
بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرأ اهل المدينة يلوّون
كقوله لوّوا رؤسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهم قلبوا الواو
المضمومة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها
رجع الضمير في **لتحسبوه** الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو
المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من
الكتاب وما هو من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء يعني يفعلون ذلك ليحسبه
المسلمون من الكتاب **ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله** **ويقولون**
على الله الكذب وهم يعلمون تاكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم
وتسجيل عليهم بالكذب دلالة على انهم لا يعرضون ولا يورون وانما يصرحون

بانه في التورية هكذا وقد انزله الله تعالى على موسى كذلك لفرط جرائتهم على
الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود الذين
قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله
ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم **ما كان لبشر ان**
يؤتيه الله الكتاب تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي و
السيد من النصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتريد ان
نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بعبادة غير الله
فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك
كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله
ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله **والحكم** والحكمة وهي السنة **والنبوة ثم**
يقول للناس كونوا عبادا لي من دون **ولكن كونوا ربانيين**
ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال
رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه
قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء
فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يطلقون الرباني على العالم العامل المعلم **بما**
كنتم تعلمون الكتاب بسبب كونكم عالمين او بسبب كونكم دارسين للعلم او
ان كون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة
وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله
ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه
بثمرها وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من التعلم **وبما كنتم تدرسون**
وقرئ تدرسون من التدريس على ان ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم وانزل
ونزل وتدرسون من التدريس ويجوز ان يكون معناه ومعنى تدرسون
بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقراه على الناس فيكون معناهما معنى
تدرسون من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله
في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا التمسك

يطاعته وقرئ ولا يأمركم بالنصب عطفا علي ثم يقول وفيه وجهان احدهما
ان تجعل لا مزيدة لتأكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما
كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الي اختصاص الله بالعبادة وترك
الانداد ثم يأمر الناس بان يكونوا عبادا له ويأمركم ان تتخذوا الملائكة
والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي
والثاني ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم كان
ينهي قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح
فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يأمر الناس
بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع علي ابتداء
الكلام اظهر وينصرها قراءة عبد الله ولن يأمركم والضمير في ولا يأمركم
ويأمركم للبشر وقيل لله والهمزة في أيأمركم بالكفر للانكار بعد اذ
انتم مسلمون دليل علي ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استأذنوه ان
يسجدوا له وإذ أخذ الله ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها ان يكون
علي ظاهره من اخذ الميثاق علي النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الي
النبيين اضافة الي الموثق لا الي الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله
كأنه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء علي اممهم والثالث ان
يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل علي حذف المضاف والرابع ان يراد
اهل الكتاب وان يرد علي زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولي
بالنبوة من محمد صلي الله عليه وآله وسلم لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون
ويدل عليه قراءة أبي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
واللام في لما آتيتكم من كتاب وحكمة لام التوطئة لان اخذ الميثاق
في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يحتمل ان تكون المتضمنة
لمعنى الشرط ولتؤمنن به ساد مسد جواب الشرط جميعا وان تكون موصولة
بمعنى الذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر
اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم

الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به علي ان ما مصدرية
والفعلان معها اعني آتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل
علي معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل اني آتيتكم الحكمة وان
الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان يكون
ما موصولة   كيف يجوز ذلك والعطف علي آتيناكم وهو قوله ثم جاءكم
رسول مصدق لما معكم   بلي لان ما معكم في معنى ما آتيناكم فكأنه قيل
للذي آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لما بالتشديد
بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب
عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات
وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احديها فصارت لما
ومعناه لمن اجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى قال أأقررتم
وأخذتم علي ذلكم إصري عهدي وقرئ أصري بالضم وسمي اصرا لانه مما
يؤصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز ان يكون المضموم لغة
في اصر كعبر وعبر وان يكون جمع اصار قالوا أقررنا قال فاشهدوا فليشهد
بعضكم علي بعض في الاقرار وأنا معكم وانا علي ذلكم من اقراركم وتشاهدكم
من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله
وشهادة بعضهم علي بعض وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك الميثاق
والتوكيد فأولئك هم الفاسقون اي المتمردون من الكفار أفغير دين الله يبغون
وله أسلم من في السموات والأرض دخلت همزة الانكار علي الفاء العاطفة
جملة علي جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت
الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف علي محذوف تقديره أيتولون فغير دين الله يبغون
وقدم المفعول الذي هو غير دين الله علي فعله لانه اهم من حيث ان الانكار الذي هو
معنى الهمزة متوجه الي المعبود بالباطل وروي ان اهل الكتاب اختصموا الي رسول
الله صلي الله عليه وآله وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابرهيم عليه السلام وكل واحد من
الفريقين ادعي انه اولي به فقال صلي الله عليه وآله وسلم كلا الفريقين بريء من

كيف يجوز ان يدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول للذي جاءكم

دين ابرهيم فقال الله لا ارضى بقضائك ولا آخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء
وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع
الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من
نفسه وكرها بالسيف وبمعاينة ما يلجئ كنتق الجبل على بني اسرائيل وادراك
الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده
وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين واليه ترجعون
قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد
امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بان يخبر عن نفسه وعمن معه
بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في آمنا ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن
نفسه وعمن معه بالايمان كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه
لم عدي انزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف
الانتهاء لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل
فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل و
الينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول يأتيه الوحي على طريق
الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله بما انزل
اليك وانزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذي انزل على الذين ونحن له مسلمون
موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتها ومن يبتغ غير
الاسلام يعني التوحيد واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل منه وهو في
الآخرة من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع
وقرئ ومن يبتغ غير بالادغام كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم
وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات كيف يلطف بهم وليسوا من
اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم بانهم
كفروا بعد ايمانهم وشهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر
المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد

كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت
في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق
ووحوح بن الاسلت والحارث بن سويد بن الصامت
قوله وشهدوا فيه وجهان ان يعطف على ما في ايمانهم من معنى الفعل لان
معناه بعد ان آمنوا كقوله فاصدق واكن وقول الشاعر ليسوا مصلحين عشيرة
ويجوز ان يكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول
حق والله لا يهدي القوم الظالمين لا يلطف المعاندين الذين لا ينفعهم
اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها
لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك
الكفر العظيم والارتداد واصلحوا ما افسدوا او دخلوا في الصلاح فان
الله غفور رحيم قيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل اليه
الجلاس بالآية فاقبل الى المدينة وتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم توبته ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا هم اليهود
كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم
بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن او كفروا برسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم بعدما كانوا مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على
ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين
وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا
ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد صلى الله عليه
وآله وسلم ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة
قد علم ان المرتد كيف ما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى قوله
لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون جعلت عبارة عن الموت على
الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كأنه
قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في
جملة من لا تقبل توبتهم فلم قيل في احدى الآيتين لن تقبل بغير

في الاخرى فلن تقبل قد اوذن بالفاء ان الكلام بني على الشرط والجزاء
وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ
وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا
في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم فحين كان المعنى لن
تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ازدياد
الكفر وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى
الموت على الكفر لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت
على الكفر فاي فائدة في هذه الكناية اعني ان كنى عن الموت على الكفر
بامتناع قبول التوبة الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شان اولئك الفريق
من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي اغلظ الاحوال
واشدها الا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من اجل اليأس من الرحمة ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا
نصب على التمييز وقرأ الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا
رجال كيف موقع قوله ولو افتدى به هو كلام محمول على المعنى
كأنه قيل فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان
يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضرب زيد وابو
يوسف ابو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا ابا حسن لها
تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن كما انه يزاد في مثل قولهم مثلك لا يفعل
كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الآخر فكانا في حكم
شيء واحد وان يراد فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق
به ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقرئ فلن يقبل من احدهم ملء الارض
ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به ايضا لم يقبل منه وقرئ فلن نقبل من
احدهم ملء الارض ذهبا على البناء للفاعل وهو الله عز وعلا ونصب
ملء ومل الارض بتخفيف الهمزة اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين

لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو
ثوابه حتى تنفقوا مما تحبون حتى يكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها و
تؤثرونها كقوله انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف اذا احبوا شيئا جعلوه لله
وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء
فضعها يا رسول الله حيث اراك الله تعالى فقال صلى الله عليه وآله وسلم بخ بخ ذاك
مال رابح او مال رايح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول
الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في
سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسامة بن زيد فكأن
زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم اما ان الله قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى
ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته
فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر
ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني فقال وجدت خير
الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في
حفرتي وفي قراءة عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون
للتبعيض ونحوه اخذت من المال وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم
من اي شيء كان طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله
به عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه كل الطعام كل المطعومات او كل انواع
الطعام كان حلا لبني اسرائيل والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك
ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وعن عائشة رضي الله عنها كنت اطيبه لحله وحرمه
ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى
لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التورية
والذي حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الابل والبانها وقيل
العروق كان به عرق النساء فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه
وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشار عليه الاطباء باجتنابه ففعل ذلك باذن

من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل
من قبل انزال التورية وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها
شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه
على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعي
عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله
عذابا اليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا
عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وبجحود ما غاظهم واشمأزوا منه
وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا
باول من حرمت عليه وما هو الا امر قديم كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن
بعدهما من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت
على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل
الله واكل الربوا واخذ اموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما
ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم **قل فأتوا
بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين** امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم
بما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم
لا تحريم قديم كما يدعونه فروي انهم لم يجسروا على اخراج التورية وبهتوا
وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وآله
وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه **فمن افترى على الله الكذب** بان زعم انه
كان محرما على بني اسرائيل قبل انزال التورية **من بعد ذلك** من بعد ما لزمتهم
الحجة القاطعة **فاولئك هم الظالمون** المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم
ولا يلتفتون الى البينات **قل صدق الله** تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم
ببغيهم وانا لصادقون اي ثبت ان الله صادق فيما انزل وانتم الكاذبون
فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وهي ملة الاسلام التي عليها محمد صلى الله عليه وآله
وسلم ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم
ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم

الطيبات التي احلها الله لابرهيم ولمن تبعه **وما كان من المشركين ان
اول بيت وضع للناس** صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل يدل عليه قراءة
من قرأ وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس
انه جعله متعبدا لهم فكأنه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام
ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وعن علي عليه السلم ان رجلا
قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع للناس مباركا
فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابرهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم
ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان
وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض
بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه
آدم في الارض وقيل لما اهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد
طفنا قبلك بالفي عام وكان في موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في
الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات **للذي ببكة** للبيت الذي
ببكة وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط في اسم
موضع بالدهناء ونحو من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة
وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام
الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم
بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كأنها سميت ببكة وهي الزحمة قال اذا الشريب
اخذته الاكه فخله حتى يبك بكه وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها
جبار الا قصمه الله **مباركا** كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده
وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن في
الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار
وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم **فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن
دخله كان آمنا** عطف بيان لقوله آيات بينات

كيف صح بيان الجمع

بالواحد فيه وجهان ان يجعل وحده بمنزلة ايات كثيرة لظهور شانه
وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابرهيم عليه السلم من تاثير قدمه في حجر صلد كقوله
ان ابرهيم كان امة والثاني اشتماله على آيات بينات لان اثر القدم في الصخرة الصماء
آية وغوصه فيها الى الكعبين آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء آية لابرهيم
خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف
سنة آية ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام وامن من دخله لان الاثنين
من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز ان يذكر هاتان الايتان ويطوي ذكر غيرهما
دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن من دخله وكثير
سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها
ومنه قوله عليه السلم حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني في
الصلوة وقرأ ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية قتيبة آية بينة
على التوحيد وفيها دليل على ان مقام ابرهيم وحده عطف بيان للايات
كيف اجزت ان يكون مقام ابرهيم والامن عطف بيان للايات وقوله
ومن دخله كان آمنا جملة مستأنفة اما ابتدائية واما شرطية اجزت
ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان آمنا دل على امن داخله فكانه قيل
فيه آيات بينات مقام ابرهيم وامن داخله الا ترى
انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى قولك فيه آية بينة
امن من دخله كيف كان سبب هذا الاثر فيه قولان احدهما انه
لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابرهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت
فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقال له امرأة اسمعيل
انزل حتى يغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن
فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر
حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله
اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرهيم عليه
الصلوة والسلم رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب

وعن عمر رض لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة
من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا
انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة آمنا
وعنه الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة
وعن ابن مسعود رض وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ثنية الحجون
وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين
الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم
في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صبر
على حر مكة ساعة من نهار تباعدت عنه جهنم مسيرة مائتي عام **ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن
العالمين** بدل من الناس وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسر الاستطاعة
بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه اكثر العلماء وعن ابن الزبير
هو على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على
قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا
راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع فقيل له في
ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة اكان يتركه بل كان ينطلق اليه
ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج والضمير في اليه للبيت او للحج وكل مأتى الى
الشيء فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام انواع من التاكيد والتشديد منها قوله ولله
على الناس حج البيت يعني انه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه
والخروج عن عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا
وفيه ضربان من التاكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان
الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها
قوله ومن كفر مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه

من التغليظ من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ولمنها ذكر الاستغناء عنه برهان لانه
اذا استغني عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل
فكان ادل على عظم السخط الذي وقع عبارة وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود
فانهم قالوا الحج الى غير مكة غير واجب وروي انه لما نزل ولله على الناس حج
البيت اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة
واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل
ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد
هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل ان لا تحجوا قبل ان يمنع البر
جانبه وعن ابن مسعود رضه حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا
تاكل منها دابة نفقت وعن عمر رضه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا
ذو تحج البيت الكسي **قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات** الله والله
شهيد على ما تعملون الواو للحال والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم
على صدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم
عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر باياته **قل يا اهل الكتاب لم**
تصدون وقراء الحسن يصدون من اصده **عن سبيل** الله **من آمن** عن دين
حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين و
يحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس
والخزرج فذكروهم ما بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله
تبغونها عوجا تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة
كيف تبغونها عوجا وهو محال فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس
حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون
انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو
اقوم من كل مستقيم **وانتم شهداء** انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا
ضال مضل او وانتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون باقوالكم ويستشهدونكم

في عظائم امورهم وهم الاحبار **وما الله بغافل عما تعملون** وعيد ومحل
تبغونها نصب على الحال **يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا**
الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين قيل مر شاس بن قيس اليهودي وكان
عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من
الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان
بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا
من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار
وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم
عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه
وآله وسلم فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم **وكيف تكفرون**
معنى التعجب فيه الانكار والتعجيب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر **وانتم تتلى**
عليكم آيات الله وفيكم رسوله والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز
تتلى عليكم على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غضة طرية وبين اظهركم رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم **ومن يعتصم** بالله ومن
يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار و
مكايدهم **فقد هدي الى صراط مستقيم** فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول
اذا جئت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل فهو يخبر به حاصلا ومعنى التوقع
في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام
بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى
حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيئا وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر
فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا تاخذه في الله لومة لائم
ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى
يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتاد **ولا تموتن الا وانتم مسلمون**
معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم الموت كما تقول لمن

به على لقاء العدو لا تأمنني الا وانت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه
عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان واعتصموا بحبل الله جميعا
قوله اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بامساك المتدلي
من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة للعهد
والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى اجتمعوا
على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي صلى الله
عليه وآله وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال
به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم ولا تفرقوا ولا تتفرقوا
عن الحق لوقوع الاختلاف كما اختلف اليهود او كما كنتم متفرقين في الجاهلية
متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول
معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما يأباه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع
الحق والتمسك بالاسلام واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف
بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات
والحروب المتواصلة فألف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا
وتوافقوا وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم
بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا
اخوين لاب وام فوقع بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة
الى ان اطفأها الله ذلك بالاسلام وألف بينهم برسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم على ان تقعوا في نار جهنم لما
كنتم عليه من الكفر فأنقذكم منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا
وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم
وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ولامهما واو الا انها في المذكر
مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة
كيف جعلوا على حفرة من النار   لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار
حيوتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع

فيها كذلك مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون
ارادة ان تزدادوا هدى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض
الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته
وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه
وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة
وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على
اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تأمرون كقوله
كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون واولئك هم المفلحون هم الاخصاء بالفلاح
دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه سئل وهو على المنبر من خير
الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه عليه السلام
من امر بالمعروف ونهى عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له
وعن حذيفة يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم
بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه
محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للمأمور به ان كان
واجبا فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع
المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح   ما طريق الوجوب   قد اختلف
فيه الشيخان فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده
ما شرائط النهي   ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يأمن ان
ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما
يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث
فما شروط الوجوب   ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد
تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة
كيف يباشر الانكار   يبتدأ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب
لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا

فمن يباشره كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من رأى غيره
تاركا للصلوة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل واحد واما الانكار الذي بالقتال
فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها
فمن يؤمر وينهى كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره يمنع كالصبيان
والمجانين وينهى الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤمرون بالصلوة ليمرنوا
عليها هل يجب على مرتكب ان ينهى عما يرتكبه نعم يجب عليه لان
ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب
الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله
الشخير يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر
بهذه منكم فلا يأمر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر كيف قيل يدعون
الى الخير ويأمرون الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال والتروك
والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله
كقوله والصلوة الوسطى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وهم اليهود
والنصارى من بعد ما جاءهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهي
كلمة الحق وقيل هم مبتدعوا هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية و
اشباههم واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه
نصب بالظرف وهو لهم او باضمار اذكر وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة
وتسواد وتبياض والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم
ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت به وسعى النور
بين يديه وعينيه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد الليل وكسوفه
وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله
وبسعة رحمته من ظلمات الباطل فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم
بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فيقال لهم اكفرتم بعد ايمانكم
والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان
تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه

تبياض وجوه

عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير وقيل
هم المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء وعن ابي امامة هم الخوارج ولما
رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم
السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب اشيء
تقوله برايك ام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال بل سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير مرة قال فما شانك دمعت عيناك
قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم
قرأ هذه الآية ثم اخذ بيدي فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم
وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله ففي نعمة الله
وهو الثواب المخلد هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله موقع
الاستيناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها
ولا يموتون تلك آيات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك بالحق
والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه وما الله يريد ظلما فيأخذ
احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما
وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان من يحلم
عمن يجهل عن ان يصفه بارادة القبائح والرضا بها ولله ما في السموات وما
في الارض والى الله ترجع الامور كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض
على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه
قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله كنتم خير امة كانه قيل وجدتم
خير امة وقيل كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم
خير موصوفين به اخرجت للناس اظهرت وقوله تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر كلام مستانف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم
الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان
به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسله وكتبه لم يعتد بايمانه عليه

كيف موقع قوله

ملتبسة

او كتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكأنه
غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك
سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله ولو آمن اهل الكتاب
لكان خيرا لهم لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم
على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباعا للعوام ولو آمنوا لكان لهم من
الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع
الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله بن
سلام واكثرهم الفاسقون المتمردون لن يضروكم الا اذى الا
ضررا مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك وان
يقاتلوكم يولوكم الادبار منهزمين ولا يضروكم بقتل او اسر ثم لا
ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم
لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم
يقدرون ان يجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالي به مع انه وعدهم
الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل
هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون عدل به عن حكم الجزاء الى حكم
الاخبار ابتداء كانه قيل ثم اخبركم انهم لا ينصرون اي فرق بين
رفعه وجزمه في المعنى لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتوليه
وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شانهم وقصتهم التي اخبركم
عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة
لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من حال بني قريظة
والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فما الذي عطف عليه هذا الخبر
جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم
انهم لا ينصرون فما معنى التراخي في ثم التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط
الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليهم الادبار ما موقع الجملتين
اعني منهم المؤمنون ولن يضروكم كلاهما وارد على سبيل الاستطراد

عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من شانه كيت وكيت
ولذلك جاء امن غير عاطف ضربت عليهم الذلة اين ما ثقفوا الا بحبل من
في محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين بحبل الله وحبل من الناس وهو استثناء
من اعم الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم
منهم بحبل الله وحبل من الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط
الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية وباءوا بغضب
من استوجبوه وضربت عليهم المسكنة كما يضرب البيت على اهله
فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة ذلك بانهم
كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق اشارة الى ما ذكر
من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات
الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك كائن
بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في
استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر
ونحوه مما خطيئاتهم اغرقوا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال
الناس بالباطل الضمير في ليسوا سواء لاهل الكتاب اي ليس اهل الكتاب مستوين
وقوله من اهل الكتاب كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله
تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة امة قائمة مستقيمة عادلة من
اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم يتلون آيات الله آناء
الليل وهم يسجدون عبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع
السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم وقيل عنى صلوة العشاء
لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود اخر رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم صلوة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما
انه ليس من اهل الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية
وقوله يتلون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر ويسارعون في الخيرات في محل الرفع صفتان لامة اي امة

او متمسكين او ملتبسين

الله وغضبه

قائمة تالون مومنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله
بالليل ساجدين ومن الايمان باليوم لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات
لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من
رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي واولئك هم الموصوفون
بما وصفوا به من الصالحين من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا
ثناءه عليهم ويجوز ان يريد بالصالحين المسلمين وما تفعلوا من خير فلن يكفروه
لما جاء وصف الله عز وجل بالشكر في قوله والله شكور حليم في توفية الثواب نفي عنه نقيض
ذلك لم عدي الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر
النعمة وكفرها ضمن معنى الحرمان فكانه قيل فلن تحرموا جزاءه وقرئ تفعلوا وتكفروه
بالتاء والياء والله عليم بالمتقين بشارة بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده
الا اهل التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله
شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه
الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال
لا تعدلن اتاويين تضربهم نكباء صر باصحاب المحلات كما قالت ليلى الاخيلية ولم تغلب الخصم الالد
الجفان سديفا يوم نكباء صرصر فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر
فيه اوجه احدها ان الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى
فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني ان يكون الصر مصدرا في الاصل
بمعنى البرد فجيء به على اصله والثالث ان يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني فلان ففي الله كاف كما قال وفي الرحمن للضعفاء
كاف اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم في
المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله
بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون الى الله مع كفرهم وقيل ما
انفقوا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه
ما انفقوه لاجله فاهلكته وشبه بحرث قوم ظلموا انفسهم فاهلك عقوبة لهم

على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ الغرض تشبيه ما
انفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض
حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح هو من التشبيه المركب الذي مر في تفسير
قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل
مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين
على معنى وما ظلمهم الله بان لم يقبل نفقاتهم ولكن انفسهم يظلمون
ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث الذين ظلموا انفسهم
بارتكاب ما استحقوا به العقوبة وقرئ ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يراد
ولكنه انفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشأن لانه انما يجوز في الشعر كقوله ولكن من بصره
اي ولكنه يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل ووليجته خصيصه
وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان
شعاري وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الانصار شعار والناس دثار
من دونكم من دون ابنائكم وهم المسلمون ويجوز ان يتعلق بلا تتخذوا وان يكون
بطانة على الوصف اي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يالونكم خبالا
يقال الا في الامر يالو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم
لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه
والخبال الفساد ودوا ما عنتم ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر
والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره اي تمنوا ان يضروكم في دينكم
ودنياكم اشد الضرر وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم
انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين
وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم
بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء وما تخفي صدورهم اكبر
قد بينا لكم الآيات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء
الله ومعاداة اعدائه ان كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به
كيف موقع هذه الجمل يجوز ان يكون لا يالونكم صفة للبطانة وكذلك قد

بدت البغضاء كانه قيل بطانة غير آلكم خبالا بادية بغضاؤهم واما قد بينا
فكلام مستانف واحسن منه وابلغ ان تكون مستانفات كلها على وجه التعليل للنهي
على اتخاذهم بطانة ها انتم اولاء ها للتنبيه وانتم مبتدا واولاء خبره
اي انتم اولاء الخاطئون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم
ولا يحبونكم بيان لخطائهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل
البغضاء وقيل هؤلاء موصول تحبونهم صلته والواو في وتؤمنون بالكتاب
كله للحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون
كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه
توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يالمون كما تالمون
وترجون من الله ما لا يرجون واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا
عليكم الانامل من الغيظ ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان
والابهام قال الحارث بن ظالم المري شعر واقبل اقوام لئام اذلة يعضون من غيظ
قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة
الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الذل
والخزي والتبار ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدورهم
من الحنق وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة
المقول او خارج منها فكيف معناه على الوجهين اذا كان داخلا
في جملة المقول فمعناه اخبرهم بما يسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور ولا
تظنوا ان شيئا من اعمالكم يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد
ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم بما هو اخفى من ذلك وهو ما
اضمروه في صدورهم لم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون
قوله قل موتوا بغيظكم امرا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بطيب النفس وقوة
الرجاء والاستبشار بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كانه
قيل حدث نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع و

من غيظكم الانامل عضوا
اذا خلوا وقل لهم ان الله
عليم بما هو اخفى مما تسرونه

والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم
من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة كيف وصف الحسنة
بالمس والسيئة بالاصابة المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا
ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير
منوعا وان تصبروا على عداوتهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم لا يضركم
كيدهم شيئا او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتناب
محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره
ويضركم على ان الضمة في الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى
المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان
على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك
فازدد فضلا في نفسك ان الله بما يعملون من الصبر والتقوى وغيرهما محيط
ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم
عليه واذ غدوت واذكر اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه الى احد من حجرة
عائشة رضها روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها
فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج
اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا
اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر مجلس وان دخلوا
قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا
رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون
انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي
فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت
يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعهم فقال
رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج

بكم
فيهم
ج

بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما رأوه قد لبس لامته ندموا
وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والوحي يأتيه
وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها
حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت
من نصف شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم
القدح ان رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره و
عسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال انضحوا عنا
بالنبل لا يأتونا من ورائنا **تبوئ المؤمنين** تنزلهم وقرئ عبد الله للمؤمنين تهيئ
تسوي لهم وتهيئ **مقاعد للقتال** مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد و
حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله
في مقعد صدق وقبل ان تقوم من مقامك من مجلسك او موضع حكمك **و**
سميع لاقوالكم **عليم** بنياتكم وضمائركم **اذ همت طائفتان منكم ان**
تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون بدل من اذ غدوت
او عمل فيه سميع عليم والطائفتان حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج و
بنو حارثة من الخزرج وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة الاف ووعدهم الفتح
ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل
انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم بالله في نبيكم
وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله
فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن عباس
اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا
همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها
الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة
اقول لها اذا جشأت وجاشت مكانك تحمدي او تستريحي حتى قال معوية عليكم
بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو

بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله يقول والله وليهما
والجور ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما تفشلان ويجوز ان يراد والله
ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما تفشلان ولا تتوكلان على الله تعالى
فما معنى ما روي ان بعضهم حين نزول الآية والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي هممنا
به وقد اخبرنا الله تعالى بانه ولينا معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل
لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وان تلك
الهمة غير المأخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها و
الفشل الجبن والخور وقرأ عبد الله والله وليهم كقوله من المؤمنين اقتتلوا
بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه **و**
لقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة ثم ذكرهم ما يوجب عليهم التوكل مما يسر
لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة والاذلة جمع قلة والذلان جمع
الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم
من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا على النواضح
يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم انهم كانوا
ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء الف مقاتل ومعهم مائة
فرس والشكة والشوكة وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به
فاتقوا الله في الثبات مع رسوله **لعلكم تشكرون** بتقواكم ما انعم به
عليكم من نصرته او لعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع
الانعام لانه سبب له **اذ تقول للمؤمنين** ظرف لنصركم على ان يقول لهم ذلك يوم
بدر او بدل ثان من اذ غدوت على ان يقول لهم ذلك يوم احد كيف صح
ان يقوله يوم احد ولم تنزل فيه الملائكة قاله لهم مع اشتراط الصبر
والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا امر رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فلذلك لم تنزل فيه الملائكة ولو تموا على ما شرط عليهم
لنزلت وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة ليقوي قلوبهم ويعزموا على الثبات
ويثقوا بنصر الله ومعنى **الن يكفيكم ان يمدكم ربكم** انكار ان لا يكفيهم

هم وان طائفتان

الامداد بثلثة آلاف من الملئكة منزلين فانما جيء بلن الذي هو لتاكيد النفي
للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من
النصر بلى ايجاب لما بعد لن يعني بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان
تصبروا وتتقوا يمددكم باكثر من ذلك العدد مسومين للقتال ويأتوكم
من فورهم هذا من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره الى غزوة اخرى
وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول ابي حنيفة الامر على الفور لا على التراخي وهو
مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التي لا ريث
ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث
يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملئكة والمعنى انهم ان ياتوكم من
ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملئكة في حال اتيانهم لا يتاخر نزولهم عن اتيانهم
يريد ان الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم وقرئ منزّلين بالتشديد و
منزِلين بكسر الزاء بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلَّمين
ومعلِّمين انفسهم او خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على اكتافهم
وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب واذنابها وعن مجاهد مجززة
اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير
يوم بدر صفراء فنزلت الملئكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه
قال لاصحابه تسوموا فان الملئكة قد تسومت وما جعله الهاء لان يمددكم اي وما
جعل الله امدادكم بالملئكة الا بشرى لكم الا بشارة لكم بانكم تنصرون ولتطمئن
قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم و
ما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكثروا ولا من عند الملائكة
والسكينة ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة ويربط به
على قلوب المجاهدين العزيز لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما
من المصلحة ليقطع طرفا من الذين كفروا ليهلك طائفة منهم بالقتل و
الاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين من رؤساء قريش و
او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه

قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ويقال كبته بمعنى كبده
اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب لاكبت حاسدا واري عدو
هو الكبد والرية واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا
من عند الله ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم عطف على ما قبله وليس لك من
الامر شيء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم
او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر فانهم ظالمون وليس لك
من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل او يتوب عليهم
منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف باو على الامر او على شيء اي
ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك من امرهم شيء او
التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي على
معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى
منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يسلت الدم عن وجهه
وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه
نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى
لعلمه ان فيهم من يؤمن ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء و
يعذب من يشاء والله غفور رحيم عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء
ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب
وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم
او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون
ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامون ويتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء
ويطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس رضي الله عنهما من قولهم يهب الذنب الكبير لمن
يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا
اضعافا مضاعفة نهي عن الربوا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان
الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال
المديون واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي اعدت للكافرين

كان ابو حنيفة يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة
للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه واطيعوا الله والرسول لعلكم
ترحمون وقد اتبع ذلك بما اتبعه من تعليق المؤمنين برحمته بتوفرهم على
طاعته وطاعة رسوله ومن تامل هذه الآيات وامثالها لم يحدث نفسه
بالاطماع الفارغة والتمني على الله تعالى وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذا
الموضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك
التقوى وصعوبة اصابة رضا الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه وسارعوا
الى مغفرة من ربكم وجنة في مصاحف اهل المدينة والشام سارعوا بغير
واو وقراءة الباقون بالواو ويعضده قراءة ابي وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة
الى المغفرة والجنة الاقبال الى ما يوجبها عرضها السموات والارض اعدت
للمتقين اي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء
والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس
من خلقه وابسطه وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل
بعضها ببعض الذين ينفقون في السراء والضراء في حال الرخاء واليسر
لا يخلون بان ينفقوا في كلتي الحالتين ما قدروا عليه من كثير او قليل كما يحكى
عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضها انها تصدقت بحبة
عنب او في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم
حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد
منهم في عرس او في حبس فانه لا يدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه
اشق شيء على النفس وادله على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال
للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين
كظم القربة اذا ملأها وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ
وهو ان يمسك على ما في نفسه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا وعن عائشة
ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين

عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذه وروي ينادي مناد يوم القيمة
اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفى وعن ابن عيينة انه رواه
للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان هؤلاء
في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب
المحسنين يجوز ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون
وان تكون للعهد فتكون اشارة الى هؤلاء والذين اذا فعلوا عطف على المتقين
اي اعدت للمتقين وللتائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين ويجوز ان يكون
والذين مبتدأ وخبره اولئك فاحشة فعلة متزايدة القبح او ظلموا انفسهم
او اذنبوا اي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس الصغيرة
ذكروا الله تذكروا عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله
الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين
عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة
وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه
وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى
ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة
وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفوه
اجل وكرمه اعظم والمعنى انه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة
بين المعطوف والمعطوف عليه ولم يصروا على ما فعلوا ولم يقيموا على قبيح فعلهم
غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما اصر من استغفر ولو
عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة
مع الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب
وهم العالمون بقبحها وبالنهي عنها وبالوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم
قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع ان الذين آمنوا على ثلث طبقات متقون
وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف
في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات

تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ قال اجر العاملين
بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه
على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي
ان الله تعالى اوحى الى موسى ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود
برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب
وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق و
جهالة وعن الحسن يقول الله يوم القيمة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا
الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية انها كانت تنشد
ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ان السفينة لا تجري على اليبس والمخصوص بالمدح
محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ
سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ يريد ما سنه
الله في الامم المكذبين من وقائعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا
من قبل وقوله لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل هَذَا
بَيَانٌ لِلنَّاسِ ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر
في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم هذا بيان
للناس وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين
فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون قوله قد
خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين و
يكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين من امر المتقين والتائبين والمصرين
وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا تسلية من الله لرسوله وللمؤمنين عما اصابهم يوم
احد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم ان لا يورثنكم
ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وَأَنْتُمُ
الْأَعْلَوْنَ شأنا لان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء
كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار او هي بشارة لهم بالعلو
والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ

متعلق بالنهي بمعنى ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب
والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه او بالاعلون اي ان كنتم مصدقين
بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ
مِثْلُهُ قرئ بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح
وبالضم المها وقرأ ابو السماك قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد و
الطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف
ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا ونحوه
فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل كان ذلك يوم احد
فقد نالوا منه قبل ان يخالفوا امر رسول الله فكيف قيل قرح
مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت بلى كان مثله ولقد
قتل يومئذ خلق من الكفار الا ترى الى قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم
باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وَ
تِلْكَ الْأَيَّامُ صفته ونداولها بَيْنَ النَّاسِ خبره ويجوز ان يكون تلك الايام
مبتدأ وخبرا كما تقول هي الايام تبلي كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر
والغلبة نداولها بين الناس نصرفها فنديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله
وهو من ابيات الكتاب فيوما علينا ويوما لنا ويوما نساء ويوما نسر وفي امثالهم
الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة فقال اين ابن
ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله وهذا
ابو بكر وهذا انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال
فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك
فقد خبنا اذن وخسرنا والمداولة مثل المعاودة قال يرد المياه فلا يزال مداولا
في الناس بين تمثل وسماع يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون
على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك
فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا فالله

عز وجل لم يزل عالماً بالأشياء قبل كونها وقيل معناه وليعلمهم علماً يتعلق به الجزاء
وهو أن يعلمهم موجوداً منهم الثبات والثاني أن يكون العلة محذوفة وهذا عطف
عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وإنما حذف للإيذان
بأن المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم أن العبد
يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر أن لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه
ويتخذ منكم شهداء وليكرم ناساً منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم
أحد او وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الأمم يوم القيمة بما يبتلي به صبركم
من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس والله لا يحب الظالمين
اعتراض بين بعض التعليل وبعض معناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين
على الإيمان المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب وليمحص الله الذين
آمنوا والتمحيص التطهير والتصفية ويمحق الكافرين ويهلكهم يعني
إن كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك
مما هو أصلح لهم وإن كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم أم حسبتم
أن تدخلوا الجنة أم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الإنكار ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم بمعنى ولما تجاهدوا لأن العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم
منزلة نفي متعلقه لأنه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيراً
يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم إلا أن فيها ضرباً من التوقع فدل على
نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني أن يفعل كذا
ولما يفعل تريد ولم يفعل وأنا أتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل
أراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها ويعلم الصابرين نصب بإضمار
أن والواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن
بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن أبي عمرو ويعلم بالرفع على أن
الواو للحال كأنه ولما تجاهدوا وأنتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت
من قبل أن تلقوه خوطب به الذين لم يشهدوا بدراً وكانوا يتمنون أن يحضروا
مشهداً مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة

ما نال شهداء بدر وهم الذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في
الخروج إلى المشركين وكان رأيه في الإقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت
قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته فقد رأيتموه وأنتم تنظرون
أي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين أيديكم من قتل من إخوانكم وأقاربكم
وشارفتم أن تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بإلحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم
عنده كيف يجوز تمني الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب
وهمه إلى ذلك المتضمن كما أن من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصداً إلى حصول
المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة وإحسان إلى عدو الله وتنفيقاً
لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة حين نهض إلى مؤتة وقيل له ردكم الله
لكنني أسأل الرحمن مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا أو طعنة بيدي حران مجهزة
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا حتى يقولوا إذا مروا على جدثي أرشده الله من غاز وقد رشدا
لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحجر فكسر
رباعيته وشج وجهه أقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب
الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فقال قد قتلت محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وصرخ صارخ
ألا إن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا
في الناس خبر قتله فانكفأوا وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يدعو
إلي عباد الله حتى انحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا
يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا
مدبرين فنزلت وما محمد إلا رسول وروي أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين
ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أماناً من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان
نبياً لما قتل ارجعوا إلى إخوانكم وإلى دينكم فقال أنس بن مالك يا قوم إن كان
قتل محمد فإن رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقاتلوا على ما قاتل وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما

وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم قصد متمني الشهادة

أنس بن النضر عم ه

يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض
المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا صلى الله
عليه وآله وسلم قد قتل فقال ان كان قد قتل فقد بلغ فقاتلوا على دينكم
والمعنى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم
بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض
من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه افإن
مات او قتل انقلبتم على اعقابكم والفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها
على معنى التسبب والهمزة للانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم
على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم
متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا للانقلاب
عنه لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل لكونه مجوزا عند المخاطبين
اما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس هذا مما يختص
بالعلماء منهم وذوي البصيرة الا ترى الى قوله انهم سمعوا بخبر قتله فهربوا على
على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم والانقلاب على الاعقاب الادبار
عما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل
الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز
ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم واسلامه ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا
يعني فما ضر الا نفسه لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع وسيجزي الله الشاكرين
الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام
فيما فعلوا وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله المعنى ان موت الانفس محال
ان يكون الا بمشية الله فاخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا
باذن الله فيه تمثيلا ولان ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض
نفسا الا باذن من الله وهو على معنيين احدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على
لقاء العدو باعلامهم ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان

خوض المهالك واقتحام المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو
والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتأخير
الاجل كتابا مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له اجل معلوم
لا يتقدم ولا يتأخر ومن يرد ثواب الدنيا تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم احد
نؤته منها اي من ثوابها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي
البهم الشاكرين الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد يؤتيه ويجزي
بالياء فيهما وكأين من نبي قاتل والفاعل ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون
حال بمعنى قتل ومعه كائنا معه ربيون كثير والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول
وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ
بالحركات الثلاث فالفتح بالقياس والضم والكسر من تغييرات النسب فما وهنوا
لما اصابهم في سبيل الله وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى فما وهنوا عند
قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو وهذا تعريض
بما اصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا
ان يعتضدوا بالمنافقين الى في طلب الامان من ابي سفيان والله يحب الصابرين
وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت
اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين الا هذا القول وهو اضافة الذنوب
والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار
منها مقدما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم
الى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع اقرب الى الاستجابة فآتاهم الله ثواب
الدنيا من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وحسن ثواب الآخرة والله
يحب المحسنين وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد
عنده يريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا
الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين قال علي عليه السلام
نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم

الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم
ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه
ما اصابهم وانما اصابهم هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه
وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستامنوهم يردوكم الى دينهم
وقيل هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين ان لا يجالسوهم ولا يطيعوهم في شيء
ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم بل
الله مولىكم اي ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة احد وولايته وقرئ بالنصب على
بل اطيعوا الله مولىكم وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا
الرعب قرئ بالنون والياء والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في
قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة
وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلناهم
ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك القى
الرعب في قلوبهم فامسكوا بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم اي كان السبب
في القاء الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم ينزل به سلطانا الهة لم ينزل
باشراكها حجة كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك
لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان يقوم عليه
حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر وماويهم
النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله وعده اي وعدهم الله النصر
بشرط الصبر والتقوى في قوله ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا الآية
ويجوز ان يكون الوعد في قوله سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما قتلوا او
تنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا
هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعل
جبل احد خلف ظهره واقام الرماة عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا
يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون
خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم اذ تحسونهم

اي تقتلونهم قتلا ذريعا باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم
من بعد ما اريكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا حتى اذا فشلتم والفشل
الجبن وضعف الراي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا
وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فممن ثبت مكانه
عبد الله بن جبير امير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم
من يريد الاخرة ونفر اعقابهم ينهبون وهم الذين ارادوا الدنيا فكر المشركون
على الرماة فقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا على المسلمين حتى هزموهم
وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على
المصائب وثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم
على ما فرط منكم من عصيان امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
والله ذو فضل على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع
احوالهم سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة
رحمة ... متعلق حتى اذا محذوف تقديره حتى اذا فشلتم منعكم
نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم اذ تصعدون
نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر والاصعاد الذهاب
في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا
من مكة الى المدينة وقرأ الحسن تصعدون بفتح التاء يعني في الجبل وتعضده
قراءة ابي اذ تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة اذ تصعدون بفتح التاء
من تصعد في السلم ولا تلوون على احد وقرأ الحسن تلون بواو واحدة وقد
ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلون بالياء والرسول يدعوكم كان
يقول الي عباد الله من يكر فله الجنة في اخريكم في ساقتكم وجماعتكم
الاخرى وهي المتاخرة يقال جئت في آخر الناس واخراهم كما تقول في اولهم
واولاهم بتاويل مقدمتهم وجماعتهم فاثابكم عطف على صرفكم اي فجازاكم
الله غما حين صرفكم عنهم وابتلاكم بغم بسبب غم اذقتموه رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم بعصيانكم له او غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا

مولىكم — الرعب — ينزل — صدقكم — الدنيا — اريكم — اذ تصعدون بالادغام — اخريكم

بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا
على ما فاتكم ولا ما اصابكم ولتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا
باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب
من المضار ويجوز ان يكون الضمير في فاثابكم للرسول اي فآساكم
في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل
بكم فاثابكم غما اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره
وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على
ما اصابكم من غلبة العدو والله خبير بما تعملون ثم انزل عليكم من بعد
الغم امنة نعاسا انزل الله الامن على المؤمنين فازال عنهم الخوف الذي
كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وعن ابي طلحة غشينا النعاس ونحن في مصافنا
وكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط وما احد الا ويميل تحت
حجفته وعن ابن الزبير لقد رايتني وانا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
حين اشتد علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب
بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا والامنة
الامن وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن ونعاسا بدل من امنة
ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حالا منه مقدمة عليه كقولك رايت راكبا
رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم امنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين بمعنى
ذوي امنة او على انه جمع آمن كبار وبررة يغشى قرئ بالياء والتاء ردا على
النعاس او على الامنة طائفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون
قد اهمتهم انفسهم ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما حل بهم في الهموم
والاشجان فهم في التشاكي والبث يظنون بالله غير الحق في حكم المصدر ومعناه
يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز
ان يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تاكيد ليظنون كقولك

هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم
الجود ورجل صدق تريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز ان يراد ظن اهل الجاهلية
اي لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يسالونه هل لنا من الامر من شيء معناه هل
لنا معاشر المسلمين من الله نصيب قط يعنون النصر والغلبة والاظهار
على العدو قل ان الامر كله لله ولاوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة
كتب الله لاغلبن انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون يخفون في انفسهم
ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر من شيء
سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون في انفسهم
او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله لو كان لنا من الامر شيء
ما قتلنا ههنا اي لو كان الامر كما قال محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان
الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين
من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم يعني من علم الله تعالى انه يقتل
ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم
في بيوتكم لبرز من بينكم الذين كتب عليهم القتل علم الله انهم يقتلون
الى مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم انه يكون والمعنى ان الله كتب في
اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة
في الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به في بعض
الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم
على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شيء يعنون لم نملك
شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد وكان الراي ان نقيم ولا نبرح
كما كان راي عبد الله بن ابي وغيره ولو كان ملكنا من التدبير شيئا لما قتلنا في
هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان الله عز وجل قد دبر الامر كما جرى ولو
اقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم
القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل وقرئ لبرز بالتشديد وضم الباء

وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم وليمتحن ما في صدوركم
من الاخلاص ويمحص ما في قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك لمصالح
جمة وللابتلاء والتمحيص كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطائفة
قد اهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة اخرى او حال بمعنى قد اهمتهم
انفسهم ظانين او استيناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من
يظنون كيف يصح ان يقع ما هو مسالتهم صادرة عن الظن
جانا بداله منه ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين
الحال وذي الحال ويقولون بدل من يخفون والاجود ان يكون استينافا
والله عليم بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان
انما استزلهم الشيطان طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا
من ذنوبهم ومعناه ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم
انهم كانوا اطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التاييد وتقوية القلوب
حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولية وانما دعاهم اليه
بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة وتكون
لطفا فيها وقال استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل ببعض ما كسبوا
هو تركهم المركز الذي امرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالثبات فيه فجرهم
ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد
حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية ثم قيل ببعض ما كسبوا
هو كقوله ويعفو عن كثير ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم
ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا
كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله وقال الذين
كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاقهم في
النسب او المذهب اذا ضربوا في الارض اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها
او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا جمع غاز كعاف وعفى
في قوله عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاء على حذف التاء من غزاة

سالة عن الامر بدلا من الاحيان بالكلية كانت حيا

كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا هو على حكاية الحال الماضية كقولك
حين يضربون في الارض ما متعلق ليجعل ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم
قالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم على ان اللام
مثلها في ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا بمعنى لا تكونوا امثالهم في النطق بذلك
القول واعتقاده ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم
ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى معناه ان الله عز وجل عند
اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم
عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدر فعل
الله عز وعلا كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ويجوز ان يكون
ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم
مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم
مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي الامر بيده قد يحيي المسافر
والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد انه قال عند
موته ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت كما يموت العير
فلا نامت اعين الجبناء والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء
على الذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة
جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين
اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزا لو كان بالمدينة لما مات ونهى
المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه
من الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة
بالموت في سبيل الله خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن
ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء اي مما يجمع الكفار
ولئن متم او قتلتم لالى الله لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب
تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف
المتصل به شان ليس بالخفي وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات

فبما رحمة من الله لنت لهم ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان
الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم ومعنى الرحمة ربطه على جاشه
وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حين اثابهم غما بغم واساهم بالمباثة بعد ما خالفوه
وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ القلب قاسيه
لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتى لا يبقى احد منهم فاعف عنهم فيما يختص بك
واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر
يعني في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برايهم ولما فيه من
تطييب نفوسهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم
حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم ما تشاور
قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة ما رايت احدا اكثر مشاورة
من اصحاب النبي صلى الله عليه واله وسلم وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر
شق عليهم فامر الله تعالى رسوله بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده
بالراي دونهم وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت فاذا قطعت الراي
على شيء بعد الشورى فتوكل على الله في امضاء امرك على الارشد الاصلح
فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاور وقرئ فاذا عزمت بضم
التاء بمعنى فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا
ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم
فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن ذا الذي ينصركم
من بعده وهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله
للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعد
خذلانه او هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته
وقرأ عبيد بن عمير وان يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وقوله رغبهم في
الطاعة وفيما يستحقون به النصر من الله والتاييد وتحذير من المعصية
ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان وعلى الله فليتوكل المؤمنون
وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان

ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه وما كان لنبي ان يغل يقال غل شيئا من المغنم
غلولا واغل اغلالا اذا اخذه في خفية يقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم
شيئا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر ومنه قوله عليه السلام من بعثناه على
عمل فغل شيئا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقوله هدايا الولاة غلول وعنه
ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال اغله وجده
غالا كقولك ابخلته واجبنته ومعنى وما كان لنبي ان يغل وما صح له ذلك يعني ان
النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول
لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه
وجهان احدهما ان يبرئ رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من ذلك وينزهه
وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيئا منه والا
يرتاب به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين
لعل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اخذها وروي انها نزلت في غنائم احد حين ترك
الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه و
اله وسلم فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله
عليه واله وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري فقالوا تركنا
بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون
مبالغة في النهي لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنم
غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع
اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا
لصورة الامر ولو قرئ ان يغل من اغل بمعنى غل لجاز ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة
بالشيء الذي غله بعينه يحمله كما جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وروي الا لا اعرفن
احدكم ياتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد
فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك وعن بعض جفاة العرب انه سرق
نافجة مسك فتليت عليه الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة المحمل وقد يجوز
ان يراد يات بما احتمل من وباله وتبعته واثمه ثم توفى كل نفس ما كسبت

هلا قيل ثم يوفي ما كسب ليتصل به حتى يعلم دخل تحته كل كاسب
من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو ابلغ واثبت لانه اذا علم الغال
ان كل كاسب خيرا او شرا مجزي موفي جزاءه علم انه غير متخلص من تبعتها مع عظم ما
اكتسب وهم لا يظلمون اي يعدل بينهم في الجزاء كل جزاءه على قدر كسبه افمن اتبع
رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم
درجات عند الله اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله انصت المنية
رجالا ام هم درج السيول وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين
منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب والله بصير بما
يعملون عالم باحوالهم ودرجاتها فيجازيهم على حسبها لقد من الله على
المؤمنين على من آمن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قومه وخص
المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون ببعثته اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده
فما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم اذا كان منهم كان اللسان واحدا
فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة
فكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم
كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وقراءة فاطمة عليها السلام من انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد
اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة
ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش
محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة عليها السلام
وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا حضنة بيته
وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم
ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو
والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث
فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم

بحذف القيام لدلالة اذ عليه او يكون اذ في محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون
الامير قائما اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثته يتلوا عليهم آياته
بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي ويزكيهم ويطهرهم
من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والجنايات
وقيل يأخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا
اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل بعثة الرسول
لفي ضلال ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
وتقديره وان الشان والحديث كانوا من قبل لفي ضلال مبين
ظاهر لا شبهة فيه اولما اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من
قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين قلتم انى هذا
قل هو من عند انفسكم ولما نصب بقلتم واصابتكم في محل الجر باضافة لما
اليه وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا نصب لانه مقول والهمزة
للتقرير والتقريع فان قلت علام عطفت الواو هذه الجملة قلت على ما مضى
من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه
ويجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى
من اين هذا كقوله انى لك هذا هو من عند انفسكم وقوله من عند الله
والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم الخروج من المدينة او
لتخليتكم المراكز وعن علي عليه السلام لاخذكم الفداء من اسارى بدر قبل
ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه و
على ان يصيب بكم تارة ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم التقى الجمعان
جمعكم وجمع المشركين فباذن الله فهو كائن باذن الله اي بتخليته
استعار الاذن لتخليته الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الاذن
مخل بين المأذون له ومراده وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا
وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء
وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا من جملة الصلة عطف

على ما فعلوا **قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم** وانما لم يقل فقالوا لانه جواب
لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل
قالوا لو نعلم ويجوز ان يقتصر الصلة على نافقوا ويكون قيل لهم كلاما مبتدأ
قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون وبين ان يقاتلوا
عن الآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة
عليه رأسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل مع
حلفائه فقيل له تعال ادع وقيل او ادفعوا العدو بتكثير سواد المجاهدين وان لم
تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو ويكسر منه وعن سهل بن سعد
الساعدي وقد كف بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين
فكنت بينهم وبين عدوهم قيل وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد اكثر
سوادهم ووجه آخر وهو ان يكون المعنى قولهم لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان
يسمى قتالا لاتبعناكم يعنون ان ما انتم فيه لخطاء رأيكم وزللكم عن الصواب
ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال وانما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان
رأي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج **هم للكفر**
يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان
وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما
قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل
الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال
تقوية للمشركين **يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم** ولا يجاوز ايمانهم افواههم
ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير
لنفاقهم وان ايمانهم موجود في افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة
المؤمنين في مواطأة قلوبهم لافواههم **والله اعلم بما يكتمون** من النفاق
ومما يجري بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة
بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة
بتفاصيله وكيفياته **الذين قالوا** في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على الرد

على الذين نافقوا او رفعا على هم الذين قالوا او على الابدال من واو
يكتمون ويجوز ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله
على جوده لضن بالماء حاتم **لاخوانهم** لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم
احد او اخوانهم في النسب وفي سكنى الدار **وقعدوا** اي قالوا وقد قعدوا عن القتال **لو**
اطاعونا ما قتلوا لو اطاعنا اخواننا فيما امرناهم به من القعود ووافقونا فيه
لما قتلوا كما لم نقتل **قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين** معناه قل
ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا
الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل
الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد
لكم من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا
فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله
ان كنتم صادقين قلت معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود
عن القتال وان يكون غيره لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته
ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون في مقالتكم وما
انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه آخر ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا
وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين
وقوله فادرؤا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب
الموت فادرؤا جميع اسبابه حتى لا تموتوا **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل**
الله امواتا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على
ولا يحسبن رسول الله او ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير
ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا
كيف جاز حذف المفعول الاول قلت هو في الاصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ
في قوله **بل احياء** والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا تحسبن بفتح السين
وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء **عند ربهم** مقربون
عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك **يرزقون** مثل ما يرزق سائر الاحياء

يأكلون ولا يبلى بدنها وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف لحالهم التي هم عليها من
التنعم برزق الله فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة
وما ساق إليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم أحياء مقربين معجلا
لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما أصيب إخوانكم بأحد جعل
الله أرواحهم في أجواف طير خضر تدور في أنهار الجنة وتأكل من ثمارها و
تأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ويستبشرون بالذين بإخوانهم
المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم أي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم أي
الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم
يدركوا فضلهم ومنزلتهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من الذين
والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو
أنهم يبعثون آمنين يوم القيمة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفي
ذكر حال الشهداء واستبشارهم عن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد
الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء وإصابة فضلهم
وإحماد لحال من يرى نفسه في خير فتمنى مثله لإخوانه في الله وبشرى للمؤمنين
بالفوز في المآب يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع
أجر المؤمنين كرر ليستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ألا خوف عليهم
ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وأن ذلك أجر لهم على إيمانهم يجب في
عدل الله وحكمته أن يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وأن الله بالفتح عطفا على
النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى أن الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي
ويعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع الذين استجابوا لله والرسول
من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم
صفة للمؤمنين أو نصب على المدح روي أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا
من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فأراد أن يرهبهم ويريهم من نفسه قوة فندب أصحابه
للخروج في طلب أبي سفيان وقال لا يخرجن معنا إلا من حضر يومنا

بالأمس فخرج صلى الله عليه وآله وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من
المدينة على ثمانية أميال وكان بأصحابه القرح فتحاملوا على أنفسهم لا يفوتهم الأجر
وألقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين أحسنوا منهم للتبيين
مثلها في قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة لأن الذين استجابوا لله
والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة إن
أبويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني أبا بكر والزبير رضي الله عنهما الذين قال لهم الناس
إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا روي أن أبا سفيان نادى عند انصرافه
من أحد يا محمد موعدنا موسم بدر لقابل إن شئت فقال صلى الله عليه وآله وسلم إن شاء
الله فلما كان القابل خرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مر الظهران فألقى الله الرعب
في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم
إني واعدت محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أن نلتقي بموسم بدر وإن هذا عام جدب
ولا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن إن خرج محمد صلى الله
عليه وآله وسلم ولم أخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك
عندي عشر من الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي
أتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم أحد إلا شريد أفتريدون أن تخرجوا
وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم أحد وقيل مر أبو سفيان بركب من
عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب إن ثبطوهم فكره المسلمون
الخروج فقال عليه الصلوة والسلام والذي نفسي بيده لأخرجن ولو لم يخرج معي أحد
فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي
قالها إبرهيم حين ألقي في النار حتى وافوا بدرا وأقاموا بها ثماني ليال وكانت معهم
تجارات فباعوها وأصابوا خيرا ثم انصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين ورجع أبو سفيان
إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق قالوا إنما خرجتم لتشربوا السويق فالناس
الأولون المثبطون والآخرون أبو سفيان وأصحابه كيف قيل الناس إن كان
نعيم هو المثبط وحده قيل ذلك لأنه من جنس الناس كما يقال فلان يركب
الخيل ويلبس البرود وما له إلا فرس واحد وبرد فرد ولأنه حين قال ذلك لم يخل

من ناس من اهل المدينة يضامنونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه
الا ام رجع المستكن في فزادهم الى المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قالوا كقوله
من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده كيف زادهم نعيم
او مقوله ايمانا لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا
حمية الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر
الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة
الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر رضي الله عنهما قلنا يا رسول الله ان الايمان
قال يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر رضي الله عنه انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد
ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان هذه الامة لرجح به وقالوا حسبنا
حسبنا الله اي كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب
تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية
ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو
منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من
ربكم لم يمسسهم سوء لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله
بجراتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي
ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطاء رايهم حيث حرموا انفسهم ما فازوا به
روي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم
انما ذلكم الشيطان الشيطان خبر ذلكم يعني انما ذلكم المثبط هو الشيطان
يخوف اولياءه جملة مستانفة بيان لتثبيطه او الشيطان صفة لاسم الاشارة و
يخوف الخبر والمراد نعيم او ابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف
بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اي قول ابليس يخوف اولياءه يخوفكم اولياءه الذين هم
ابو سفيان واصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم اولياءه وقوله
فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه
وعلى اله وسلم فلا م يرجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا التفسير

الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال و
تجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يامركم به ان كنتم
مؤمنين فان الايمان يقتضي ان يؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا
تخشون احدا الا الله ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر يقعون فيه
سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم المنافقون من المتخلفين وقيل هم قوم
ارتدوا عن الاسلام فما معنى ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن
لنفاق من نافق وارتداد من ارتد معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك
ويعينوا عليك الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم
في الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم
بقوله يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة اي نصيبا من الثواب ولهم بدل
عذاب عظيم وذلك ابلغ ما ضر به الانسان نفسه هلا قيل لا يجعل
لهم حظا في الاخرة واي فائدة في ذكر الارادة فائدته الاشعار بان الداعي
الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا في
الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين
يريد ان لا يرحمهم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا و
لهم عذاب اليم اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتاكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم
واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام
او على العكس وشيئا نصب على المصدر لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر ولا
يحسبن الذين كفروا فيمن قرا بالتاء نصب و انما نملي لهم خير لانفسهم
بدل منه اي ولا تحسبن انما نملي للكافرين خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين
كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان املاءنا لهم
خير وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت في الامام متصلة
فلا تخالف وتتبع سنة الامام في خط المصاحف كيف صح مجيء البدل ولم
يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد
صح ذلك من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت

متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وهو فيمن قرا بالياء دقيق والفعل متعلق بان في حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشانهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن الاملاء خيرا لهم من منعهم او قطع آجالهم **انما نملي لهم** ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم **ليزدادوا اثما** فان قلت كيف جاز ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وانما هي علل واسباب ولذلك الازدياد جعل علة للاملاء وسببا فيه فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت لما كان في علم الله المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه على طريق المجاز وقرا يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فان قلت فما معنى قوله **ولهم عذاب مهين** على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه** من اختلاط المؤمنين المخلصين والمنافقين **حتى يميز الخبيث من الطيب** حتى يعزل المنافقين عن المخلصين وقرئ يميز من ميز وفي رواية عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم

على الحال التي انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال **وما كان الله ليطلعكم على الغيب** اي وما كان الله ليعطي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول عليه الصلوة والسلام بنفاق الرجل واخلاص الآخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله تعالى لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استاثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها **ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء** فيخبره ببعض المغيبات **فآمنوا بالله ورسله** بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شيء وعن السدي قال الكافرون ان كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم صادقا فليخبرنا من يؤمن ومن يكفر فنزلت **وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم** ولا تحسبن من قرا بالتاء قدر مضافا محذوفا اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرا بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرا الاعمش بغير هو **سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة** تفسير لقوله

هو شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق
الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية يطوقها في
عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك
وعن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في مانع الزكوة يطوق شجاعا اقرع وروي
اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والارض
اي وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا
ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والله بما تعملون خبير
بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والياء على الظاهر
لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قال ذلك اليهود حين
سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلوا اما ان يقولوه
اعتقادا لذلك او عن استهزاء بالقرآن وايهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا
عن متمردين في كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من
العقاب سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق في صحائف الحفظة او
سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب كيف قال لقد سمع الله
ثم قال سنكتب ما قالوا وهلا قيل ولقد كتبنا ذكر وجود السماع اولا
مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه
كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما في العظم
اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم وانهم اصلاء في الكفر
ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا
القول وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كتب مع ابي بكر رضي الله عنه
الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله
قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه
ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله
مغلولة ونقول لهم ذوقوا اي ننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب

الانبياء ١

الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم منه احس وذق وقال ابو سفيان
لحمزة ذق عقق وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء
وقرأ الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود
ويقال ذوقوا ذلك بما قدمت ايديكم اشارة الى ما تقدم من عقابهم
وذكر الايدي لان اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي
على سبيل التغليب وان الله ليس بظلام للعبيد فلم عطف قوله
على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجترامهم السيئات
في استحقاق التعذيب معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن
العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن الذين قالوا ان الله عهد الينا امرنا
في التورية واوصانا ان لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله
النار بهذه الآية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتاكله كما
كان انبياء بني اسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو
فتنزل نار من السماء فتاكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان اكل النار
القربان لم يوجب الايمان للرسول الآتي به الا لكونه آية فهو اذن وسائر الآيات
سواء فلا يجوز ان يعينه الله من بين الآيات قل قد جاءكم رسل من قبلي
بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين وقد الزمهم الله
ان انبياءهم جاؤا بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق وجاؤهم ايضا
بهذه التي اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين في ان الايمان يلزمهم باتيانها
وروي بقربان بضمتين ونظيره السلطان ما معنى قوله وبالذي قلتم
معناه وبمعنى الذي قلتموه من قولكم قربان تأكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون
لما قالوا اي لمعنى ما قالوا فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤ
بالبينات والزبر في مصاحف اهل الشام بالزبر وهي الصحف والكتاب المنير
التورية والانجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من تكذيب قومه وتكذيب اليهود كل نفس ذائقة الموت قرأ اليزيدي ذائقة
الموت على الاصل وقرأ الاعمش ذائقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله

ذاكر الله الا قليلا كيف اتصل به قوله وانما توفون اجوركم يوم
القيمة اتصاله به على ان كلكم تموتون لا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم
على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم من القبور
هذا يوهم نفي ما يروى ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من
حفر النار كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها
يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور فمن زحزح عن النار
التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز
حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط
الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك
عندك الفوز في المآب وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من احب ان يزحزح
عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ويأتي
الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وهذا شامل للمحافظة على حقوق الله وما
الحيوة الدنيا الا متاع الغرور شبه الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على
المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس
الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة
فانها متاع بلاغ لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا خوطب المؤمنون
بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها
حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما تصيبه الشدة بغتة تنكر
وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها
من انواع المخاوف والمصائب وفي الاموال الانفاق في سبل الخير وما يقع
من الآفات وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن في الدين الحنيف وصد من
اراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بني قريظة والنضير
وان تصبروا وتتقوا فان ذلك فان الصبر والتقوى من عزم الامور

الدنيا

من معزومات الامور ومما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله
لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه
للناس ولا تكتمونه واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب لتبيننه
اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه
وقيل له آلله لتفعلن فنبذوه وراء ظهورهم نبذوا الميثاق وتأكيده عليهم
لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه
جعله نصب عينيه والقاؤه بين عينيه وكفى به دليلا على انه ماخوذ على العلماء ان
الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة
وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية
مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال
لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت
العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من
العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله حتى يسأل وعن
علي كرم الله وجهه ما اخذ الله على ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا
وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم
وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض واشتروا به ثمنا
قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن خطاب لرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم
تأكيد وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا
يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول وقرأ
ابو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون
والمفعول الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن
انفسهم الذين يفرحون بمفازة يعني لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين
فلا يحسبنهم تأكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا وأتى وجاء يستعملان بمعنى فعل

ليبيننه للناس ولا يكتمونه

لا يحسبن لا تحسبن

قال الله تعالى ان كان ... ما اتيا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة ابي
يفرحون بما فعلوا وقرئ اتوا بمعنى اعطوا وعن علي عليه السلام بما اوتوا
ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
ولهم عذاب اليم ومعنى بمفازة بنجاة منه روي ان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم سال اليهود عن شيء مما في التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه
واروه انهم قد صدقوا واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله
رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا يحسبن اليهود الذين
يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من
اخبارك بالصدق وعما سالتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اتوا بما اوتوا
من علم التورية فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوا واستحمدوا
اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله ورسوله عليه وقيل يفرحون بما فعلوا من
نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
من اتباع دين ابرهيم حيث ادعوا ان ابرهيم كان على اليهودية وانهم على
دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فلما قفل اعتذروا اليه بانهم راوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك
الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما اتوا من اظهار الايمان للمؤمنين
ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان
الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من اتى
بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد
وبما ليس فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل
شيء قدير فهو يقدر على عقابهم ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لآيات لادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته لاولي الالباب
الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر
البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املا عينيك
زينة هذه الكواكب واجلها في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها

يحسبنهم ... دح

يقدر على عقابهم

والنهار ح ساج

وحكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر
قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده
جلده بجلدي ثم قال هل لك ان تاذني لي في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني
احب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضا
ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرا من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع
حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت
الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلوة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله
اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال له يا بلال افلا
اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا ابكي وقد انزل علي في هذه الليلة ان في خلق السموات
والارض ... ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروي ويل لمن لاكها
بين فكيه ولم يتاملها وعن علي عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا
قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض
وحكي ان الرجل من بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلثين سنة اظلته سحابة فعبد
فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه لعل فرطة فرطت منك في مدتك فقال
ما اذكر قال لعلك نظرت مرة الى السماء فلم تعتبر قال لعل قالت فما اتيت الا من
ذاك الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ذكرا دائبا على
كل حال على اي حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في
احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الى
المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم من احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله
وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم
تستطع فعلى جنب تومئ ايماء وهذه حجة للشافعي في اضطجاع المريض على جنبه
كما في اللحد وعند ابي حنيفة انه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد وعن على جنوبهم

كما

نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين **ويتفكرون**
في خلق السموات والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام
وابداع صنعتها وما دبر فيها مما يكل الافهام عن ادراك بعض عجايبه على
شان الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى خلف المقام ركعتين
ثم رفع راسه الى السماء فلما راى الكواكب غشي عليه
وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم بينما
رجل مستلق على فراشه فنظر الى النجوم والى السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا
اللهم اغفر لي فنظر الله تعالى اليه فغفر له وقال النبي صلى الله عليه واله وسلم
لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث
الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل
الفكرة وروي عن النبي انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع
له في كل يوم مثل عمل اهل الارض **ربنا ما خلقت هذا باطلا** على ارادة القول
اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى يتفكرون والمعنى ما خلقته خلقا باطلا
بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان يجعلها مساكن للمكلفين وادلة
لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله
سبحانك فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع هذا اشارة
الى ماذا الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق
السموات والارض اي فيما خلق منها ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها
في معنى المخلوق العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القران
يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا وسبحانك اعتراض للتنزيه
من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة **ربنا ما خلقت هذا باطلا انك**
من تدخل النار فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله تعالى
ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الضمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد
سبق **وما للظالمين من انصار** اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان
من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها **ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي**
للايمان تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل
وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره
ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله
فاي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي ذكر النداء
مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادي لانه لا منادي اعظم من منادٍ
ينادي للايمان ونحوه قولك مررت بهادٍ يهدي للاسلام وذلك ان المنادي
اذا اطلق ذهب الوهم الى منادٍ للحرب او لاطفاء النائرة او لاغاثة المكروب
او لكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على
من يهدي للطريق ويهدي لسداد الراي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان
ويهدي للاسلام فقد رفعت من شان المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه
لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه واليه ونحوه هداه للطريق واليه
وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو
الرسول ادعوا الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القران **ان امنوا**
اي امنوا او بان امنوا **بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا** كبائرنا **وكفر**
عنا سيئاتنا صغائرنا **وتوفنا مع الابرار** مخصوصين بصحبتهم معدودين
في جملتهم والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب **ربنا و**
اتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد
على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا
على تصديق رسلك الا تراه كيف اتبع ذكر المنادي للايمان وهو الرسول
ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا
على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على السنة رسلك
والموعود هو الثواب او النصرة على الاعداء كيف دعوا الله بانجاز
ما وعد الله لا يخلف الميعاد معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب
انجاز الميعاد وهو باب من اللجاء الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم
السلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم

كانه قيل ما خلقت هذا الخلق

النار ح نسخ

والتضرع اليه والالحاح الذي هو سيماء العبودية **فاستجاب لهم ربهم**
يقال استجاب له واستجابه فلم يستجبه عند ذلك مجيب **أني لا أضيع**
عمل عامل منكم وقرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة
القول وقرئ لا اضيّع بالتشديد **من ذكر او انثى** بيان لعامل
بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل واحد منكم من
الآخر اي من اصله او كأنه منه لفرط اتصالكما واتحادكما وقيل المراد وصلة
الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة الرجال مع النساء فيما وعد
الله عباده العاملين وروي ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني اسمع الله
لا يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت **فالذين هاجروا واخرجوا
من ديارهم** تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم والتفخيم كأنه قال
فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن اوطانهم
فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم
التي ولدوا فيها ونشؤوا بما سامهم المشركون من الخسف **واوذوا في سبيلي**
من اجله وبسببه يريد سبيل الدين **وقاتلوا وقتلوا** وغزوا المشركين واستشهدوا
وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول
وقتلوا وقاتلوا على بناء للفاعل **لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم
جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا** في موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او
تثويبا **من عند الله** لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم
والله عنده حسن الثواب وعنده مثل اي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه
غيره ولا يقدر عليه كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وتملكه
وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع
وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاثابة من احتمال المشاق
في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى والمتمنين عليه وتسجيل على
من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق
عليه السلام من حزنه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله تعالى واعطاه ما اراد
وقرأ هذه الآية وعن الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر
انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما يستجاب به فلا بد من
تقديمه بين يدي الدعاء **لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد** الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم عليه
من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولا تغتر
بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون
ويتدهقنون وعن ابن عباس هم اهل مكة وقيل هم اليهود وروي ان ناسا
من المؤمنين كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون
ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد
كيف جاز ان يغتر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك حتى ينهى عن
الاغترار به فيه وجهان احدهما ان مدره القوم ومتقدمهم يخاطب
بشيء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكأنه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم كان غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على
التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين فلا تطع المكذبين
وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين آمنوا
آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من قبيل
تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب
وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة **متاع قليل** خبر مبتدأ محذوف اي ذلك متاع
قليل وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الآخرة او في
جنب ما اعد الله للمؤمنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه
وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الدنيا في الآخرة
الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع **ثم مأواهم جهنم وبئس
المهاد** وساء ما مهدوا لانفسهم **لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله** النزل والنزال ما يقام للنازل
قال ابو الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له

وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون
بمعنى مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله من الكثير
الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرا مسلمة بن محارب
والاعمش نزلا بالسكون وقرا يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد وان
من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره
من مسلمة اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلثين من الحبشة
وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلم فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي
ملك الحبشة ومعنى اصحمة عطية بالعربية وذلك انه لما مات نعاه جبرئيل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات
بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى
عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم
يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على الاسم لفصل الظرف
بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما
انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من في معنى الجمع
لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله المحرفون من احبارهم وكبارهم
اولئك لهم اجرهم عند ربهم اي ما خص بهم من الاجر وهو ما وعدوه
في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب
لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز ان يراد
انما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد يا ايها الذين آمنوا اصبروا على
تكاليفه وصابروا اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب
لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب
الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون
الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو عن رسول الله صلى الله
وآله وسلم من قرأ سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على جسر جهنم وعنه
السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

يا ايها الناس يا بني آدم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس
واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس آدم ابيكم
وخلق منها زوجها فيه وجهان احدهما ان يعطف على
محذوف وكانه قيل من نفس واحدة انشاها او ابتداها وخلق منها زوجها و
حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه
انشاها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وبث منهما رجالا
كثيرا ونساء نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة
هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم منها والثاني ان يعطف على خلقكم ويكون الخطاب
في يا ايها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى
من نفس آدم لانهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما
رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر والنعت
تعالى نظم الكلام وامر التقوى عقيب الامر بالتقوى بما يوجبها او يدعو
اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل
المذكور موجبا للتقوى وداعيا اليها لان ذلك مما يدل على القدرة
العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب
العصاة فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على
النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم
من القيام بشكرها او المراد بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ
الحقوق فيما بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل

بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض
فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة وقرئ وخالق
منها زوجها وباث منها بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره
وهو خالق **واتقوا الله الذي تساءلون به** تتساءلون به فادغمت التاء الثانية في
السين وقرئ تسالون بطرح التاء الثانية اي يسال بالله وبالرحم فيقول
بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وانا شدك الله والرحم
او تسالون غيركم بالله وبالرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك
رايت الهلال وترائيناه وينصره قراءة من قرأ تسالون مهموزا او غير مهموز
والارحام بالحركات الثلث فالنصب على الوجهين اما على واتقوا الله والارحام
او ان تعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة
ابن مسعود تسالون به وبالارحام والجر على عطف
على المضمر وليس بسديد لان الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء
واحد فكانا في حكم قولك مررت به وهذا غلامه وزيد فشديد الاتصال فلما
اشتد الاتصال لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة فلم يجز ووجب تكرير العامل
كقولك رايتك وزيدا ومررت بزيد وعمرو ولهذا لم يجوزوا الانفصال لانه لم يتكرر
وقد تمحل لصحة هذه القراءة بانها على تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر
فاذهب فما بك والايام من عجب او الرفع على انه مبتدأ محذوف كانه قيل والارحام
كذلك على معنى والارحام مما يتقى او والارحام مما يتساءل به والمعنى انهم كانوا
يقرون بان لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الذي
خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها واتقوا الله الذي
تتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم وقد آذن عز وجل اذ قرن الارحام باسمه
ان صلتها منه بمكان كما قال الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اذا
بالله فاعطه واذا سالك بالرحم فاعطه وللرحم حجنة عند العرش ومعناه
ما روي عن ابن عباس الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به
واذا اتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلم تخيروا

لنطفكم فقال بقول لا ولادلهم وذلك ان يضع ولدك في الحلال الم تسمع قوله
واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام واول صلته ان يختار له الموضع الحلال
فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا
يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله **ان الله كان عليكم
رقيبا وآتوا اليتامى اموالهم** والذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم
الانفراد ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل
الآباء وفي البهائم من قبل الامهات   كيف جمع اليتيم في الاناسي وهو فعيل
كمريض على يتامى   فيه وجهان ان يجمع على يتمى كاسرى لان اليتم من واد
الآفات والاوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كاسارى ويجوز ان يجمع على فعائل
لجري اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فيقال ايائم ثم يتامى على القلب وحق
هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه
قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل
وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا
الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتيم ابي طالب اما
على القياس واما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشيا في حجر عمه توضيعا له
واما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لا لغة يعني انه اذا
احتلم لم يجر عليه احكام الصغار   فما معنى قوله وآتوا اليتامى اموالهم
اما ان يراد باليتامى الصغار وبايتائهم الاموال ان لا تطمع فيها الاولياء
والاوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تأتي اليتامى
اذا بلغوا سالمة غير محذوفة واما ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس
او لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على ان فيه
اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان اونس
منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي
في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه
فترافعا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال اطعنا الله

واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال النبي عليه السلام
ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى
ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثبت الاجر وبقي
الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في
سبيل الله فقال ثبت اجر الغلام وبقي الوزر على والده **ولا تتبدلوا الخبيث
بالطيب** ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح
لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتاكلوه مكانه او لا تستبدلوا الامر
الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها
والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتاخر بمعنى
الاستيخار قال ذو الرمة فيا كرم السكن الذين تحملوا عن الدار والمستخلف المتبدل
اراد ويا لوم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان ياخذ جيدا ويعطي
رديا وعن السدي ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل الا
ان يكارم صديقا له فياخذ منه عجفا مكان سمينة من مال الصبي **ولا
تاكلوا اموالهم الى اموالكم** ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها
اليها حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية
بينه وبين الحلال   قد حرم عليهم اكل مال اليتيم وحده ومع اموالهم
فلم ورد النهي عن اكله معها   لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى
بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ
والذم احق ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم
انه كان حوبا كبيرا والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام
ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه قيل انه كان ذنبا كبيرا عظيما وقرا الحسن حوبا
بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وحابا ونظيره الحوب والحاب القول والقال
والطرد والطرد **وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى** ولما نزلت الآية
في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب
بترك الاقساط في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل

تأكلوا

اليتامى

ربما كانت تحته العشر من الازواج والثماني والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل
بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك
العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو
مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لانه انما وجب ان يتحرج من الزنا وهم يتحرجون
من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم
من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال
او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف
لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم
ان خفتم ان لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث
اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل ايامى والاصل ايايم
ويتايم وقرا النخعي تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد
وان خفتم ان تجوروا **فانكحوا ما طاب لكم** ما حل لكم **من النساء** لان
منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا الى الصفة ولان الاناث
من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى وما ملكت ايمانكم **مثنى
وثلاث ورباع** معدولة عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين
عدلها عن صيغتها وعدلها عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف تقول
فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره
فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا
اربعا   الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث او
اربع فما معنى التكرير في مثنى وثلاث ورباع   الخطاب للجميع فوجب
التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول
للجماعة اقتسموا هذا المال وهو الف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة واربعة
اربعة ولو افردت لم يكن له معنى   فلم جاء العطف بالواو دون او
كما جاء بالواو في المثال الذي حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا
هذا المال درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة اعلمت انه لا يسوغ لهم ان

يقسموه الا على انواع هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم
على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع
القسمة التي دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان يأخذ الناكح
من اراد نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤا مختلفين في تلك الاعداد
وان شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرأ ابرهيم وثلث وربع
على القصر من ثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا بين هذه الاعداد كما خفتم
ترك العدل فيما فوقها فواحدة فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا
فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة
بالرفع على فالمقنع واحدة او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة او ما ملكت
ايمانكم سوى في السهولة واليسر بين الحرة وبين الاماء من غير حصر
ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واقصر شغبا واخف مؤنة من المهائر
لا عليك اكثرت منهن ام اقللت عدلت بينهن في القسم او لم تعدل عزلت عنهن
او لم تعزل وقرأ ابن ابي عبلة من ملكت ادنى الا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا من قولهم
عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم في حكمه اذا جار و
روي ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي وقد روت عائشة رضي الله عنها عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لا تعولوا ان لا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي
انه فسر ان لا تعولوا ان لا يكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله
يعولهم كقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم
وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق
الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق
بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روي عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير
محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه كان اعلى
كعبا واطول باعا في كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب
فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات كيف يقل عيال من تسرى

وفي السراري نحو ما في المهائر ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل
بخلاف التسري ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن فكان التسري مظنة
لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع
وقرأ طاوس الا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير
الشافعي من حيث المعنى الذي قصده وآتوا النساء صدقاتهن مهورهن وفي
حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون
الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد
وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة ظلمة نحلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه
له عن طيبة نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث ابي بكر رضي الله عنه اني كنت نحلتك جداد
عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء
فكانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن عن طيبة
انفسكم او على الحال من المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس
او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية
من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الاسلام خير النحل وفلان
ينتحل بكذا اي يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على انه مفعول له ويجوز
ان تكون نحلة حالا من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج
وقيل للاولياء لانهم كانوا يأخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك
النافجة لمن يولد له بنت يعنون تأخذ مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه الضمير
في منه جار مجرى اسم الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما قال تعالى قل اؤنبئكم
بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه العرب ما روي
عن رؤبة انه قيل له في قوله كانه في الجلد توليع البهق فقال اردت كان ذاك
او يرجع الى ما هو في معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء
صداقهن لم يخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق واكن من الصالحين كانه قيل اصدق
ونفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى
فان وهبن لكم شيئا من الصداق ~~واكن من الصالحين كانه قيل اصدق~~ وتجافت عنه

فان طبن لكم عن شيء منه

نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء
معاشرتكم فكلوه فانفقوه قالوا فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها
لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا اتى مع امراته شريحا في عطية اعطتها اياه
وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى فان
طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه اقيلها فيما وهبت ولا
اقيله لانهن يخدعن وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته امراته الف
صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك فاين
التي بعدها فلا تاخذوا منه شيئا اردد عليها وعن عمر رضي الله عنه انه كتب الى قضاته
النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امراة اعطت ثم ارادت ان ترجع فلها ذلك
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن هذه الآية
فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان
ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة وروي ان ناسا كانوا يتاثمون ان يرجع احدهم في شيء
مما ساق الى امراته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة
فكلوه هنيئا مريئا وفي الآية دليل على ضيق المسلك في ذلك ووجوب الاحتياط
حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما
بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شيء منه ولم
يقل فان طبن لكم عنه بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها
الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة
ويجوز ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولا غير
ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا
هنيئا مريئا الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص
فيه وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه
وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المريء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه
وهما وصف للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء
وقد يوقف على فكلوه ويبتدا هنيئا مريئا وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في

هنيئا مريئا

الاباحة وازالة التبعة ولا تؤتوا السفهاء اموالكم المبذرون اموالهم
الذين ينفقونها فيما لا ينبغي ولا يدي لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها
والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس
معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات
والدليل على انه خطاب للاولياء في اموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها
واكسوهم التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها
لضعتم فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وروي قيما بمعنى قياما كما جاء
عوذا بمعنى عياذا وقرا عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به
كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن
ولان اترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان
وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له انها
تدنيك من الدنيا لئن ادنتني من الدنيا فقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا
واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما ياكل دينه وربما
راوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك وارزقوهم فيها واجعلوها
مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من
اصل المال فلا ياكلها الانفاق وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد
من السفهاء قريب او اجنبي رجل او امراة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده
واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج عدة جميلة ان
صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطاء اذا ربحت اعطيتك وان غنمت
في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله
واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا
من قول او عمل فهو معروف وما انكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر وابتلوا
اليتامى واختبروا عقولهم وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ
حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم اذا
تبينتم منهم رشدا اي هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ

وبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد
والايناس الاستيضاح فاستعير للتبيين واختلف في الابتلاء والرشد فالابتلاء
عند ابي حنيفة واصحابه ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجي منه
والرشد التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح في العقل والحفظ للمال
وعند مالك والشافعي الابتلاء ان تتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر
مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال
و فلو لم يونس منه رشد الى حد البلوغ عند ابي حنيفة ينتظر الى
خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة فاذا زاد
عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله عليه السلام
بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس وعند اصحابه لا يدفع
اليه ابدا الا بايناس الرشد ما معنى تنكير الرشد معناه نوع
من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله
حتى لا ينتظر به تمام الرشد كيف نظم هذا الكلام ما بعد حتى
الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي التي بعدها الجمل كالتي في
فما زالت القتلى تمج دماءها بدجلة حتى ماء دجلة اشكل والجملة الواقعة
بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح
وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء
واقعة جوابا للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى
الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد
وقرأ ابن مسعود فان احستم بمعنى احسستم قال احس به فهو اليه سوى
وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين ولا تأكلوها اسرافا وبدارا
ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم
تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا
ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف
الامر بين ان يكون الوصي غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف من اكلها

ولا يطمع ويقنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله
والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على
ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان
للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان رجلا قال له ان في حجري
يتيما افآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله فقال افاضربه
قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن
ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها
فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فليأكل
بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابرهيم ولا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد
الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة
الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول
عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير
ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت
ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني
انزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت
اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعف ابلغ من عف كانه طالب زيادة
العفة فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها و
قبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد وادخل في الامانة
وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعى عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة
واصحابه وعند مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة فكان في الاشهاد الاستحراز
من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله
حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق
واياكم والتكاذب للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء
نصيب مما ترك الوالدان والاقربون يريد بهم المتوارثين من ذوي القرابات
منهم مما قل منه او كثر بدل من مما ترك باعادة العامل نصيبا مفروضا

نصب به على الاختصاص بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه
ولا يستأثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كأنه
قيل قسمة مفروضة روي ان اوس بن صامت الانصاري ترك امراته ام كجة وثلث
بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل
الجاهلية لا يورثون الاطفال والنساء ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح و
ذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كجة الى رسول الله صلى الله عليه وآله في مسجد
الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا
من مال اوس شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كجة الثمن
والبنات الثلثين والباقي ابني العم **واذا حضر القسمة** اي قسمة التركة **اولوا
القربى** ممن لا يرث **واليتامى والمساكين فارزقوهم منه** الضمير لما
ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب كان المؤمنون يفعلون ذلك
اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله
تعالى على ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد
ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي ان عبد الله بن عمر قسم ميراث ابيه وعائشة حية
فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب وقيل هو
منسوخ بآية الميراث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله
ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس **وقولوا لهم قولا معروفا** والقول المعروف
ان يلطفوا لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا
ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم
يقسمون على الاقارب واليتامى والمساكين من العين يعنيان الورق والذهب فاذا
قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا
لهم قولا معروفا وكانوا يقولون لهم بورك فيكم **وليخش الذين لو تركوا من
خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم** لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد
بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم من اليتامى ويشفقوا
عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم وان يقدروا ذلك في انفسهم

ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى وليخشوا
على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض ويقولون ان ذريتك
لا يغنون من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم
ويخشوا على اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم لو كان
اولادهم بقوا خلفهم ضعافا يعني مخاطبين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة
ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين
صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم
خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل
لقد زاد الحياة الي حبا ... بناتي انهن من الضعاف ... احاذر ان يرين البؤس بعدي
وان يشربن رنقا بعد صاف وقرئ ضعفا وضعفا وضعافا وضعافى نحو سكارى وسكارى
فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا القول السديد من الاوصياء ان لا يؤذوا
اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن ويدعوهم بيا بني ويا ولدي
ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك
فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسعد انك ان تترك
ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون
ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع افضل من الثلث ومن
المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوا للحاضرين **ان الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما** ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته **انما ياكلون
في بطونهم نارا** ملء بطونهم يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال كلوا
في بعض بطنكم تعفوا ومعنى ياكلون نارا ياكلون ما يجر الى النار فكأنه نار في الحقيقة
وروي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه
وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم في الدنيا **وسيصلون**
وقرئ سيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها **سعيرا** نارا من النيران
مبهمة الوصف **يوصيكم الله** يعهد اليكم ويامركم **في اولادكم** في شان
ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله **للذكر مثل حظ**

الانثيين فهلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر
ليبداء ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر
مثل حظ الانثيين قصد الى بيان حظ الذكر للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى
نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان
نقص غيره عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود
الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع
ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به فان حظ الانثيين الثلثان
فكانه قيل للذكر الثلثان اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر
والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد
فالابن يأخذ المال كله والبنتان تاخذان الثلثين والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع
انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا
ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه
مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم فان كن نساء فان كانت البنات
او المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن
فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون صفة لنساء اي نساء زائدات
على اثنتين وان كانت واحدة وان كانت البنت او المولودة منفردة
فذة ليس معها اخرى فلها النصف وقرى واحدة على كان التامة والقراءة
بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء وقرأ زيد بن ثابت النصف بالضم والضمير
في ترك للميت لان الآية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت
قوله للذكر مثل حظ الانثيين فكيف صح ان يردف قوله فان كن نساء وهو
لبيان حظ الاناث وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما فقه
منه حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان
يقال فان كن نساء هل يصح ان يكون الضميران في كن وكانت
مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة لا ابعد
ذلك لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان كانت امراة

الغرض ثمة خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور
في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن فاريد ههنا ان يميز بين
كون البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فقد ذكر حكم
البنتين في حال اجتماعهما مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم
يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر اما حكمهما
فمختلف فيه فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله فان كن نساء فوق اثنتين
فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما سائر الصحابة فقد اعطوهما
حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل
على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان الذكر كما يحوز الثلثين فلما ذكر ما دل
على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ما للانثيين وهو الثلثان
لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل ان البنتين
امس رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين ولم يروا ان
يقصروا بهما عن حظ من هو ابعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها
الثلث كانت احرى ان يجب لها الثلث اذا كانت مع اخت مثلها ويكون لاختها
مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولابويه
الضمير للميت ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة هذا
البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ~~ولابويه السدس~~
~~لكان ظاهره اشتراكهما فيه~~ ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين
عليهما على السوية وعلى خلافها فهلا قيل ولكل واحد من ابويه
السدس واي فائدة في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما لان في
الابدال والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر
والتفسير والسدس مبتدا وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرا الحسن
ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن مما ترك
ان كان له ولد والولد يقع على الذكر والانثى ويختلف حكم الاب في ذلك
فان كان ذكرا اقتصر الاب على السدس وان كان انثى عصب مع اعطاء السدس فان

لم يكن له ولد وورثه ابواه فلامه الثلث قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين ما العلة في ان كان لها ثلث ما بقي دون ثلث فيه وجهان احدهما ان الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني ان الاب اقوى في الارث من الام بدليل انه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها الا ترى ان امراة لو تركت زوجا وابوين فلو صار للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين فان كان له اخوة فلامه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس وعنه انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وامه آية من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصباء من بعد وصية يوصي بها او دين ما معنى او معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم في الشريعة لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها ماخوذة من غير عوض كان

اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين فلذلك جيء بكلمة او للتسوية بينهما في الوجوب ثم اكده ورغب فيه بقوله آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اي لا تدرون من انفع لكم من آبائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم او من لم يوص يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا واحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة اقرب واحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا انه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سال ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في الدنيا ايهم اقرب اليكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب يجب له النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدري ايهما اقرب لكم نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة من الله نصبت نصب المصدر المؤكد اي فرض ذلك فرضا ان الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد منكم او من غيركم فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين جعلت المراة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن وان كان رجل يعني الميت يورث كلالة او امراة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس يورث من ورث اي يورث منه

منه وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة او
يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورّث
بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال او مفعول به
ما الكلالة ينطلق على ثلثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من
ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه
قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة
في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى
فاليت لا ارثي لها من كلالة فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد
لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة للموروث او الوارث
فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي ويجوز ان يكون صفة كالهجاجة والفقاقة
للاحمق فان جعلتها اسما للقرابة في الآية فعلام تنصبها
على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او يورث غيره لاجلها
فان جعلت يورث على البناء للمفعول من اورثت فما وجهه الرجل حينئذ الوارث
لا الموروث فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ
الى الرجل والى اخيه او اخته وعلى الاول اليهما اذا رجع الضمير اليهما
افاد استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل تبقى هذه
الفائدة قائمة في هذا الوجه نعم لانك تقول اذا قلت السدس له او لواحد
من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى وعن ابي بكر الصديق
انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان
خطأ فمني ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الوالد والولد
وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث
وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام وتدل عليه قراءة ابي وله اخ او اخت من
الام وقراءة سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من ام وقيل انما استدل على ان
الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في آخر السورة من ان للاختين الثلثين
وان للاخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا

على الثلث شيئا لانه يسمى بهم الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات
فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية
يوصى بها او دين غير مضار حال اي يوصي بها وهو غير مضار لورثته
وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته مضارة
ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله وعن قتادة كره الله الضرار في الحيوة
وعند الممات ونهى عنه وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه
ومعناه الاقرار وصية من الله مصدر اي يوصيكم بذلك وصية فهو كقوله
فريضة من الله ويجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اي لا يضار وصية من الله
بالاولاد وان لا يدعهم عالة باسرافه في الوصية وينصر هذا الوجه قراءة
الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة والله عليم بمن جار او عدل في وصيته
حليم عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد في يوصي ضمير الرجل اذا جعلته
الموروث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث كما عملت في قوله فلهن ثلثا ما ترك
لانه علم ان التارك والموصي هو الميت فاين ذو الحال فيمن قرأ
يوصى بها على ما لم يسم فاعله يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل
يوصي فينتصب عن فاعله فعلم ان ثم موصيا فاضمر يسبح فكان رجال فاعلا لما
يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها تلك حدود
الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد
حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين اشارة الى الاحكام
التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الشرائع
كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها
الى ما ليس لهم بحق يدخله قرئ بالياء والنون وكذلك ندخله نارا وقيل
يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال
هل يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا لا لانهما جريا على غير من هما
له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها واللاتي

واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم يرهقنها يقال أتى الفاحشة وجاءها
وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود يأتين بالفاحشة والفاحشة
الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبائح فاستشهدوا عليهن أربعة
منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت قيل معناه
فخلدوهن محبوسات في بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن في أول الإسلام ثم
نسخ بقوله تعالى الزانية والزاني الآية ويجوز أن تكون غير منسوخة بأن يترك
ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بإمساكهن في البيوت بعد أن
يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض
للرجال أو يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين به عن السفاح
وقيل السبيل هو الحد لأنه لم يكن مشروعا في ذلك الوقت
يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كأنه قيل يتوفاهن
يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة أو الذين
الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت أو حتى يأخذهن الموت ويستوفي أرواحهن
واللذان يأتيانها منكم يريد الزاني والزانية فآذوهما فوبخوهما وذموهما
وقولوا لهما أما استحييتما أما خفتما الله فإن تابا وأصلحا وغيرا الحال
فأعرضوا عنهما فاقطعوا التوبيخ والمذمة فإن التوبة تمنع استحقاق الذم
والعقاب ويحتمل أن يكون خطابا للشهود العاثرين على سوءهما ويراد بالإيذاء
ذمهما وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع إلى الإمام والحد فإن تابا قبل الرفع
إلى الإمام فأعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الأولى في السحاقات
وهذه في اللواطين وقرئ واللذان بتشديد النون واللذأن بالهمزة وتشديد النون
إن الله كان توابا رحيما إنما التوبة على الله التوبة من تاب الله عليه
إذا قبل توبته وغفر له يعني إنما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء
للذين يعملون السوء بجهالة في موضع الحال أي يعملون السوء جاهلين سفهاء
لأن ارتكاب القبيح مما يدعو إليه السفه والشهوة لا مما تدعو إليه الحكمة
والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته ثم يتوبون

من قريب أي من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت ألا ترى إلى قوله
حتى إذا حضر أحدهم الموت فبين أن وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه
التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس قبل أن ينزل به سلطان
الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يؤخذ بكظمه
وروى أبو أيوب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن الله يقبل توبة العبد
ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن أن إبليس قال حين
أهبط إلى الأرض وعزتك لا أفارق ابن آدم ما دام روحه في جسده فقال وعزتي
لا أغلق باب التوبة ما لم يغرغر ما معنى من في قوله من قريب معناه
التبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمى ما بين وجود المعصية وبين
حضرة الموت زمانا قريبا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب
من قريب ما فائدة قوله فأولئك يتوب الله عليهم بعد قوله إنما
التوبة على الله لهم قوله إنما التوبة على الله إعلام بوجوبها عليه كما يجب
على العبد بعض الطاعات وقوله فأولئك يتوب الله عليهم عدة بأنه يفي
بما وجب عليه وإعلام بأن الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب
وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا
حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون عطف على الذين
يعملون السيئات وهم كفار سوى بين الذين سوفوا توبتهم إلى حضرة
الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه لا توبة لهم لأن حضرة الموت أول أحوال
الآخرة فكما أن المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف
إلى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما أوان التكليف والاختيار أولئك
أعتدنا لهم عذابا أليما في الوعيد نظير قوله فأولئك يتوب الله عليهم في
الوعد ليتبين أن الأمرين كائنان لا محالة من المراد بالذين يعملون السيئات
أهم الفساق من أهل القبلة أم الكفار فيه وجهان أحدهما أن يراد الكفار
لظاهر قوله وهم كفار وأن يراد الفساق لأن الكلام إنما وقع في الزانيين والإعراض
عنهما إن تابا وأصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله

ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا
وترك الصلوة فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله
قريبة من حال الكافر ولانه لا يجترئ على ذلك الا قلب مصمت يا ايها الذين آمنوا
كانوا يبلون النساء بضروب من البلاء ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا
عن ذلك كان الرجل اذا مات له قريب من اب او اخ او حميم عن امرأة القى
ثوبه عليها وقال انا احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها اي لا تأخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن
كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لا يحل لكم ان
ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امرأة
ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع
فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق
ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه
الا ان يأتين بفاحشة مبينة وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج
واهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن وقد عذرتم
في طلب الخلع ويدل عليه قراءة الا ان يفحش عليكم وعن الحسن الفاحشة
الزنا فان فعلت حل لزوجها ان يسألها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امرأة فاحشة
اخذوا منها ما ساق اليها واخرجوها وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع
ويدل عليه قراءة الا ان يفحشن حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لا يحل
له ان يحبسها ضرارا حتى تفتدي منه يعني وان زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود
وكانوا يسيئون معاشرة النساء فقيل لهم وعاشروهن بالمعروف وهو
النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول فان كرهتموهن فلا
تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل
الله فيه خيرا كثيرا فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين واحمد وادنى الى
الخير واحبت ما هو بضده ولكن النظر في اسباب الصلاح وكان الرجل
اذا طمحت عينه الى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة

حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل وان
اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا
منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا والقنطار المال العظيم من قنطرت
الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة لانها بناء مشيد قال كقنطرة الرومي اقسم ربها
لتكتنفن حتى تشاد بقرمد وعن عمر رضي الله عنه انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا
بصدق النساء فلو كانت مكرمة في الدنيا او تقوى عند الله لكان اولاهم بها
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اصدق امرأة من نسائه اكثر من اثنتي
عشرة اوقية فقامت اليه امرأة فقالت له يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله
لنا والله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من عمر ثم قال
لاصحابه تسمعونني اقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتى ترد علي امرأة ليست من اعلم النساء
والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو بريء منه لانه يبهت
عند ذلك اي يتحير وانتصب بهتانا على الحال اي باهتين وآثمين او على المفعول
له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا وكيف تأخذونه وقد افضى
بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا والميثاق الغليظ حق الصحبة
والمضاجعة كانه قيل وأخذن به منكم ميثاقا غليظا اي بافضاء بعضكم الى بعض
ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري
بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولي عند العقد انكحتك
على ما في كتاب الله تعالى من امساك بمعروف او تسريح باحسان وعن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم
من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا
كانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مروءاتهم ويسمونه
نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل ومقتا كانه قيل
هو فاحشة في دين الله بالغة في القبح قبيح ممقوت في المروءة ولا مزيد
على ما يجمع القبحين وقيل لا يحل لكم بالتأويل على ان ان ترثوا بمعنى الوراثة وكرها

بالفتح والضم من الكراهة والاكراه وقرئ بفاحشة مبينة من ابانت بمعنى
بينت او بينت كما قرئ بمبينة بكسر الياء وفتحها ويجعل الله بالرفع على انه في
موضع الحال وآتيتم احديهن قنطارا بوصل همزة احديهن كما قرئ فلا اثم
عليه   ولا تعضلوهن ما وجه اعرابه   النصب عطفا على ان ترثوا
ولا لتاكيد النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النساء ولا ان تعضلوهن
اي فرق بين تعدية ذهب بالباء وبينها بالهمزة   اذا عدي بالباء فمعناه
الاخذ والاستصحاب كقوله فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة
الا ان ياتين ما هذا الاستثناء   هو استثناء من اعم عام الظرف او
المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن للعلة من العلل الا لان ياتين بفاحشة
من اي وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا شيئا جزاء للشرط   من حيث ان المعنى
فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا
ليس فيما تحبونه   كيف قد استثنى ما قد سلف مما نكح آباؤكم
كما استثنى غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا
ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه
وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالمحال في التابيد في نحو قولهم حتى يبيض القار
وحتى يلج الجمل في سم الخياط حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ
وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ
اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ
اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا
دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ   معنى حرمت تحريم نكاحهن لقوله
لقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ولان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم
من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم اكله
وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة وقد نزل الله تعالى الرضاعة منزلة
النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذلك زوج المرضعة
ابوه وابواه جداه واخته وكل ولد ولد له من غير المراضعة قبل الرضاع او بعده

فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها
من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته
واخواته لامه ومنه قوله عليه السلام يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا
تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احديهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج
اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المعنى
في النسب وطيه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز
ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع وطي الاب اياها
وهذا المعنى غير موجود في الرضاع من نسائكم متعلق بربائبكم ومعناه ان
الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها
هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات نسائكم   لا يخلو اما ان يتعلق
بهن وبالربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا
يجوز الاول لان من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر الا ترى انك اذا
قلت وامهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء
وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم
اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من خديجة وليس بصحيح ان يعني بالكلمة الواحدة
في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لان الذي يليه هو الذي يستوجب
التعليق به ما لم يعترض امر لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنساء والربائب واجعل من
للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فاني لست
منك ولست مني ما انا من دد ولا الدد مني وامهات النساء متصلات بالنساء
لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا
وقد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر
كلام الله وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رجل تزوج امرأة ثم
طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج
امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة

فان سئلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله الا ما روي عن علي وابن
وزيد وابن عمر وابن الزبير انهم قرأوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن
وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب
عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان
يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر
وسمي ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده في غالب
الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما ما فائدة قوله في حجوركم
فائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم
وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج
وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال
خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون
على بناتكم وعن علي رضي الله عنه انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود
ما معنى دخلتم بهن هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب
عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام
الدخول عند ابي حنيفة وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها
ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته
وقال اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن
في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال
وعن عطاء وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج امرأة فلا ينكح امها ولا
بنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى
الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم
لا يقع الا بالجماع وحده **وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم**
دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زينب بنت
جحش الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة
وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم

وان تجمعوا في موضع الرفع عطف على المحرمات اي وحرم عليكم الجمع **بين الاختين**
والمراد حرمة النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما
احلتهما آية وحرمتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم
فرجح علي التحريم وعثمان التحليل **الا ما قد سلف** ولكن ما مضى مغفور بدليل
قوله **ان الله كان غفورا رحيما** القراءة بفتح الصاد وعن طلحة
بن مصرف انه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن
بالتزويج فهن محصنات ومحصنات **الا ما ملكت ايمانكم** يريد ما ملكت
ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة
المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق وذات حليل انكحتها رماحنا
حلال لمن يبني بها لم تطلق **كتاب الله عليكم** مصدر مؤكد اي كتب الله
عليكم تحريم ذلك كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم
علام عطف قوله **واحل لكم** على الفعل المضمر الذي نصب
كتاب الله اي كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم **ما وراء ذلكم**
ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروي عن اليماني كتب الله عليكم
على الجمع والرفع اي هذه فرائض الله ومن قرأ واحل لكم على البناء للمفعول فقد عطفه
على حرمت **ان تبتغوا** مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل لكم مما يحرم ارادة ان يكون
ابتغاؤكم **باموالكم** التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم **محصنين غير
مسافحين** لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم
ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين
النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح
اين مفعول تبتغوا يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر
وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا من وراء ذلكم
والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني
من المذي **فما استمتعتم به منهن** فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع او خلوة
صحيحة او عقد عليهن **فآتوهن اجورهن** عليه الراجع الى ما لانه لا يلبس

من النساء الا ... وفيه الكبر والعصر ... الثانية او ... الا ... وفيه العصر ... واحل

كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في معنى النساء
ومن للتبعيض او للبيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن
اجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى
مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض وصعب موضع
ايتاء لان الايتاء مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة ولا جناح عليكم
فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من
كله او يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة
التي كانت ثلثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت كان الرجل ينكح
المرأة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها
وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن
عمر رض لا اوتى برجل تزوج امرأة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه
النساء الا ان الله تعالى حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين
وعن ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل
مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي في المتعة وقولي
في الصرف ان الله كان عليما حكيما ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات
المؤمنات فمما ملكت ايمانكم الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول اي زيادة
وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال الطرماح شعر لقد زادني حبا لنفسي انني
بغيض الى كل امرئ غير طائل ومنه قولهم ما خلا منه بطائل اي بشيء يعتد به مما
له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه و
نقصان ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة
قال ابن عباس من ملك ثلثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح
الاماء وهو الظ وعليه مذهب الشافعي رح واما ابو حنيفة فيقول الغني والفقير
سواء في نكاح الامة ويفسر الآية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو
الوطء فله ان ينكح امة وفي رواية عن ابن عباس رضهما انه قال ومما وسع الله على هذه

التوبة الليل منه

الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله من
فتياتكم المؤمنات الظاهر انه لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل
الحجاز وعند اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة افضل فحملوه على الفضل
لا على الوجوب واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر
به مع علمنا انه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه افضل لو كان
نكاح الامة ساقطا عن نكاح الحرة لما فيه من اتباع الولد الام في الرق
وثبوت حق المولى فيه عن تراض وكون غارة عن تراض وتحصين الجارية بالكد
لان اسباب الرزق اكثرها يتعلق بها التراضي رضا المتبايعين بما تعاقدوا
عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة وعند الشافعي
تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم
من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او لا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض
الجهلة وعن عمرو بن العاص انه تأوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول
صلى الله عليه وآله وسلم وقرأ علي رضي الله عنه ولا تقتّلوا بالتشديد ان الله
كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر
بني اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة
محمد صلى الله عليه وآله وسلم رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة
ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل اي ومن يقدم على قتل الانفس عدوانا وظلما لا
خطاء ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر فسوف نصليه وقرئ بتخفيف اللام
وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية و
يصليه بالياء والضمير لله عز وجل او لذلك لكونه سببا للصلي نارا مخصوصة
شديدة العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لان الحكمة تدعو اليه
ولا صارف عنه من ظلم او نحوه ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه
نكفر عنكم سيئاتكم نغط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت على صغائركم
ونجعلها كان لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم
عنها على عقاب السيئات والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافة

اي الجلي طاعة او معصية او ثواب فاعلهما والتكفير اماطة المستحق من العقاب
بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب
ازيد او بندم على الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك
والقتل والقذف والزنا واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد
الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس ان رجلا
قال له الكبائر سبع فقال هي الى سبعماية اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار
ولا كبيرة مع الاستغفار وروي الى سبعين وفيه نكفر بالياء وندخلكم
مدخلا كريما ومدخلا بضم الميم وفتحها يعني المكان والمصدر فيهما
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل
الله به بعض الناس على بعض من المال والجاه لان ذلك التفضيل قسمة من الله
صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط
في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلى كل واحد
ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة
له ولا يحسد اخاه على حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء
نصيب مما اكتسبن جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف
الله من حاله الموجبة للقبض او البسط كسبا له واسئلوا الله من فضله
ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التي لا تنفد
وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء في الدنيا لنا سهمان ولهن
سهم واحد فنرجو ان يكون لنا اجران في الآخرة على الاعمال ولهن اجر
واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه
على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت ان الله كان بكل شيء
عليما ولكل جعلنا موالي مما ترك تبيين لكل اي ولكل شيء مما ترك
الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي وراثا يلونه ويحوزونه
او ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون والذين
عقدت ايمانكم مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو

قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه
ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين
عاقدت ايمانكم موالي الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمي دمك
وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك و
تطلب بي واطلب بك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن
وتعقل عني واعقل عنك
النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في
الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في
الاسلام وعند ابي حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا
ويتوارثا صح عنده ويرث بحق الموالاة خلافا للشافعي رحمه الله وقيل المعاقدة
التبني ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت
بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم ان الله كان على كل
شيء شهيدا الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن آمرين ناهين
كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قواما لذلك بما فضل الله بعضهم على
بعض الضمير في بعضهم للرجال والنساء جميعا يعني انما كانوا مسيطرين عليهن
بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان
الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا
في فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة في الغالب و
الفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى
والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق
عند ابي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب
في الميراث والحمالة والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد
الازواج واليهم الانتساب وهم اصحاب اللحى والعمائم وبما انفقوا وبسبب
ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات روي ان سعد
بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت
زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وآله

وقال اقرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد
الله تعالى امرا والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل
لا قصاص بين الرجل وامرأته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل
وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا فالصالحات
قانتات مطيعات قائمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب الغيب
خلاف الشهادة اي حافظات لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين
لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك
وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها وتلا الاية
وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج
في كتابه وامر رسوله صلى الله عليه وسلم فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله
وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم
على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد وهو التعفف والتحصن والشفقة
على الرجال والنصيحة لهم وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب
بما حفظ الله فاصلحوا اليهن واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن
واهجروهن في المضاجع واضربوهن نشوزها ونشوصها ان تعصي زوجها
ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج في المضاجع في المراقد اي لا تدخلوهن
تحت اللحف وهي كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في
في بيوتهن التي يبتن فيها اي لا تبايتوهن وقرئ في المضاجع وفي المضجع وذلك
لتتعرفوا احوالهن وتحققوا امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع
ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع
او اربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء قالوا
يجب ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك وعن اسماء بنت ابي بكر
الصديق رضي الله عنهما كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على

احدانا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات ولولا بنوها حولها
لخبطتها
فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى
والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن
الى الطاعة والانقياد وترك النشوز ان الله كان عليا كبيرا فاحذروه
واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم ويروى ان ابا مسعود
الانصاري رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله صلى الله عليه
وسلم فصاح به ابا مسعود لله اقدر عليك منك عليه فرمى السوط واعتق
الغلام او ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبرياء سلطانه
ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع وان
خفتم شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على
طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار او على
ان جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولك نهارك صائم والضمير
للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء
فابعثوا حكما من اهله رجلا مقنعا رضيا يصلح لحكومة العدل والاصلاح
بينهما وحكما من اهلها وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب
اعرف ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وانما يسكن اليهم نفوس الزوجين
ويبرز اليهم ما في ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة وموجبات
ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه
هل يليا الجمع بينهما والتفريق ان رايا ذلك اختلف فيه فقيل ليس اليهما
ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا واليهما بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما
وعن عبيدة السلماني شهدت عليا عليه السلام وقد جاءته امرأة وزوجها ومع كل
واحد فئام من الناس فاخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي رضي الله عنه للحكمين
اتدريان ما عليكما ان عليكما ان رأيتما ان تفرقا فرقتما وان رأيتما ان تجمعا جمعتما
فقال الزوج اما الفرقة فلا فقال علي كرم الله وجهه كذبت والله لا تبرح حتى ترضى
بكتاب الله لي وعلي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز

والالف فيه إن يريدا إصلاحا ضمير الحكمين وفي يوفق الله بينهما للزوجين
اي ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه
الله بورك في وساطتهما واوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين
الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضمير ان للحكمين
اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقا
على الكلمة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد وقيل
للزوجين اي ان يريدا اصلاحا ما بينهما وطلب الخير وان يزول عنهما
الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة
إن الله كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المتفرقين
لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا واحسنوا بهما احسانا و
بذي القربى وبكل من بينكم وبينه قرابة من اخ او عم او غيرهما واليتامى
والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب الذي
جواره بعيد وقيل الجار القريب النسب والجار الجنب الاجنبي وانشد للطرماح
لا يجتوينا المجاور ابدا ذو رحم او مجاور جنيب وقرئ والجار ذا القربى نصبا على
الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى تنبيها على عظم
حقه لادلائه بحقي الجوار والقربى والصاحب بالجنب هو الذي صحبك بان حصل
بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم او حرفة
واما قاعدا الى جنبك في مجلس او مسجد او غير ذلك من ادنى صحبة التامت بينك
وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل
الصاحب بالجنب المرأة وابن السبيل المسافر المنقطع وقيل الضيف وما ملكت أيمانكم
إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا والمختال التياه الجهول الذي يتكبر
عن اكرام اقاربه واصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم وقرئ
والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون الذين يبخلون بدل من قوله من كان مختالا
فخورا او نصب على الذم ويجوز ان يكون رفعا عليه وان يكون مبتدأ خبره محذوف

كانه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة وقرئ بالبخل
بضم الباء وفتحها وبفتحتين وبضمتين ويأمرون الناس بالبخل اي يبخلون بذات
ايديهم وبما في ايدي غيرهم فيأمرونهم بان يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد
وفي امثال العرب البخيل ابخل من الضنين بمال غيره وان آمرا ضنت يداه على امرئ
بنيل يد من غيره لبخيل ولقد رأينا ممن بلي بداء البخل من اذا طرق سمعه ان
احدا جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب ودارت عيناه في رأسه كانما
نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود
كانوا يأتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم فانا
نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون ويكتمون ما آتاهم الله
من فضله وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر
الى الناس وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة احب
ان يرى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره فنم به عنده
فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى نعمته فاحببت ان تسر
بالنظر الى آثار نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت في شأن اليهود الذين كتموا
صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأعتدنا للكافرين عذابا
مهينا والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الآخر للفخار وليقال ما اسخاهم ما اجودهم لا لابتغاء وجه الله
وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا حيث
حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان
يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا
مما رزقهم الله واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله
والمراد الذم والتوبيخ والا فلا تبعة ومضرة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم
ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يضرك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة
ولا منقصة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة وكان

بهم عليما ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ الذرة النملة الصغيرة
وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب ثم رفعها ثم
نفخ فيه فقال كل واحد من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في
الكوة ذرة وفيه دليل على انه لو نقص من الاجر ادنى شيء او زاد في
العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في
القدرة ﴿وإن تك حسنة﴾ وان يكن مثقال الذرة حسنة وانما انث ضمير
المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة ﴿يضاعفها﴾
يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة
غير المتناهية وعن عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله يعطي عبده المؤمن
الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله يعطيه الفي الف
حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد ﴿ويؤت من لدنه
أجرا عظيما﴾ ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه
اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف
من اضعف وضعف وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون ﴿فكيف إذا جئنا
من كل أمة بشهيد﴾ يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت
عليهم شهيدا ما دمت فيهم ﴿وجئنا بك على هؤلاء﴾ المكذبين شهيدا
وعن ابن مسعود انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وآله
حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وقال حسبنا ﴿يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو
تسوى بهم الأرض﴾ لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل
يودون انهم لم يبعثوا وانهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون
حالها ﴿ولا يكتمون حديثا﴾ ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم
تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون
الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا

ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم
وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون
ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال
سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسوى بادغام التاء في السين كقوله
يسمعون ونحو اسوى كما زكى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة
وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ روى ان عبد الرحمن بن عوف
صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب
قدموا احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما اعبد
فنزلت وكانوا لا يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا
يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى
لا تقربوا الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا
ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد كقوله عليه
السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل سكارى من النعاس وغلبة النوم
كقوله ورنوا بكم سناتهم كل الرنوث وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على
ان يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم جماعة
سكرى كقولك امرأة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على انه نعت وحكي
جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم ﴿ولا جنبا﴾ عطف على قوله وانتم سكارى
لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا
جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر
الذي هو الاجناب ﴿إلا عابري سبيل﴾ استثناء من عامة احوال المخاطبين
وانتصابه على الحال كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها
قلت كانه قيل لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون
فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة
لقوله جنبا اي ولا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل اي جنبا مقيمين غير

عنه كيف تصح صلوتهم على الجنابة لعذر السفر اريد بالجنب
الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين **حتى تغتسلوا**
الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلوة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا
الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه او احتلمتم فيه
وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجد
ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروي انه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لم يأذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي رضي الله عنه لان بيته
كان في المسجد **وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط**
او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم
وايديكم ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون
واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم
الظ انه متعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم
عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه لبعده والمحدثون
واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب وقال الزجاج الصعيد وجه
الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده
عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة فما تصنع بقوله
في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتأتى في الصخر
الذي لا تراب عليه قالوا ان من لابتداء الغاية قولهم
انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم احد من العرب من قول القائل
مسحت براسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض
كما تقول والاذعان للحق احق من المراء **ان الله كان عفوا غفورا**
كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطائين
ويغفر لهم آثر ان يكون ميسرا غير معسر كيف نظم في سلك واحد
المرضى والمسافرين وبين المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من اسباب
الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل

بوجوهكم

اراد سبحانه وتعالى ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون للماء
في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون
في بيان استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر
الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف
عدو او سبع او عدم آلة استقاء او ارهاق في مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما
لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من الغيط فيه وجهان هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط
بمعنى الغائط **ألم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب** حظا من علم التورية
وهم احبار اليهود **يشترون الضلالة** يستبدلونها بالهدى وهو البقاء
على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وانه هو النبي العربي المبشر به في التورية والانجيل **ويريدون**
ان تضلوا انتم ايها المؤمنون **السبيل** سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم
لا يكفيهم ان ضلوا بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بالياء
بفتح الضاد وكسرها **والله اعلم باعدائكم** وقد اخبركم بعداوة هؤلاء
واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في اموركم
ولا تستشيروهم **وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا** فثقوا بولايته ونصرته
دونهم او ولا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم **من الذين**
هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله
والله اعلم وكفى بالله وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل
الاعتراض او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم
من الذين هادوا كقوله من القوم الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ
على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون
كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح اي فمنهما تارة
اموت **يحرفون الكلم عن مواضعه** يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه
ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اماله عن مواضعه التي وضعه الله فيها
وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التورية بوضعهم

آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله كيف قيل
ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه أما عن مواضعه
فعلى ما فسرناه من إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها
بما اقتضت شهواتهم من إبدال غيره مكانه وأما من بعد مواضعه فالمعنى
أنه كانت له مواضع هو قمن بأن يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي
لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلم
والكلم بسكون اللام وكسر الكاف جمع كلمة تخفيف كلمة ويقولون
سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا قولهم غير مسمع حال من
المخاطب أي اسمع وأنت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم أي اسمع
منا مدعوا عليك بلا سمعت لأنه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع شيئا فكان
أصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على أن قولهم لا سمعت دعوة مستجابة أو
اسمع غير مجاب إلى ما تدعو إليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكأنك
لم تسمع شيئا أو اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا
أن يكون غير مسمع مفعول اسمع أي اسمع كلاما غير مسمع إياك لأن أذنك لا تعيه نبوا
عنه ويحتمل المدح أي اسمع غير مسمع مكروها من قولك أسمع فلان فلانا إذا
سبه وكذلك قولهم راعنا يحتمل راعنا نكلمك أي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل
شبه كلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية
بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكلمونه بمحتمل ينوون به
الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والإكرام ليا بألسنتهم و
طعنا في الدين فتلا بها وتحريفا أي يفتلون بألسنتهم الحق إلى الباطل ما يضمرونه
من التوقير نفاقا كيف جاؤوا بالقول المحتمل ذي الوجهين بعدما صرحوا
وقالوا سمعنا وعصينا جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان
ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز أن يقولوه فيما بينهم ويجوز أن لا
ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كأنهم نطقوا به ولو أنهم قالوا
سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا وقراءة أبي وأنظرنا من الإنظار وهو الإمهال

إلى أنهم قالوا لا لكان خيرا لهم الأم يرجع الضمير في قوله
المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا وأطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم وأقوم وأعدل
أسد ولكن لعنهم الله بكفرهم أي خذلهم بسبب كفرهم وأبعدهم
عن ألطافه فلا يؤمنون إلا قليلا إلا إيمانا قليلا أي ضعيفا ركيكا لا يعبأ
به وهو إيمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره أراد الأنبياء أو أراد بالقلة العدم
كقوله قليل التشكي للمهم يصيبه أي عديم التشكي أو إلا قليلا منهم قد آمنوا
يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل
أن نطمس وجوها أي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وأنف وفم
فنردها على أدبارها فنجعلها على هيئة أدبارها بعد طمسها والمعنى أن
نطمس وجوها فننكسها الوجوه إلى خلف والأقفاء إلى قدام ووجه آخر وهو
أن يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس أموال القبط فقلبها حجارة أو الوجوه
رؤساؤهم ووجهاؤهم أي من قبل أن نغير أحوال وجهائهم فنسلبهم إقبالهم
ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وإدبارهم أو نردهم إلى حيث جاؤوا منه
وهي أذرعات الشام يريد إجلاء بني النضير لمن الراجع في قوله
أو نلعنهم للوجوه إن أريد الوجهاء أو لأصحاب الوجوه لأن المعنى
من قبل أن نطمس وجوه قوم أو يرجع إلى الذين أوتوا الكتاب على طريقة الالتفات
أو نلعنهم أو نخزيهم بالمسخ كما لعنا أصحاب السبت
كان وقوع الوعيد هو مشروط بالإيمان وقد آمن منهم ناس وقيل
هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولأن الله تعالى أوعدهم
بأحد الأمرين بطمس وجوه منهم أو بلعنهم فإن كان الطمس تبديل أحوال
رؤسائهم أو إجلاءهم إلى الشام فقد كان أحد الأمرين وإن كان غيره فقد
حصل اللعن فإنهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المعتاد دون المسخ
ألا ترى إلى قوله قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله و
غضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان أمر الله مفعولا فلا بد
أن يقع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا قد ثبت أن الله عز وجل يغفر

الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر ما دون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فالوجه
قوله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين الى قوله لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر
لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب
وبالثاني من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن
يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله
ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما اي ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح
كونه ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله
واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال
من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب
قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه
بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل
وزيادة التقوى والطاعة والزلفى عند الله تعالى اما قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض
انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه
بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه
او شهد له من لا يعلم بل الله يزكي من يشاء اعلام بان تزكية الله هي التي
يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكي من يشاء
يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون
فتيلا اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او
من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا انفسكم
هو اعلم بمن اتقى انظر كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم انهم
عند الله ازكياء وكفى به اثما مبينا من بين سائر آثامهم
ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا الجبت

موجهين الى قوله

الذين

الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان
وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة
مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا
فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم
بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال
ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا
يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن
ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم
فقال انتم اهدى سبيلا أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله
فلن تجد له نصيرا وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين
يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان يكون لهم نعمة غيرهم فقال
أم لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة لانكار
ان يكون لهم من الملك ثم قال فإذا لا يؤتون الناس نقيرا اي لو كان
لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم
والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل للقلة كالفتيل والقطمير والمراد
بالملك اما ملك الدنيا واما ملك الله كقوله قل لو انتم تملكون خزائن
رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وهذا اوصف بالشح واحسن
طباقا لنظيره من القرآن ويجوز ان يكون معنى الهمزة في ام لانكار انهم
قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة
كما تكون احوال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيئا وقرأ ابن
مسعود فاذا لا يؤتوا على اعمال اذن عملها الذي هو النصب وهي
ملغاة في قراءة العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذن أم يحسدون
الناس بل ايحسدون رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه
وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله من النصرة والغلبة

وازديادا للعزة والتقدم كل يوم **فقد آتينا آل ابرهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما** بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما اوتي اسلافه وعن ابن عباس الملك في آل ابرهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وكان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية **فمنهم** من اليهود **من آمن به** اي بما ذكر من حديث آل ابرهيم **ومنهم من صد عنه** وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنهم من انكر نبوته او آل ابرهيم من آمن بابرهيم ومنهم من كفر لقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون **وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها** ابدلناهم اياها كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل الجمل النضيح غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين الف مرة بدلوا جلودا بيضاء كالقراطيس **ليذوقوا العذاب** ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك فيه **ان الله كان عزيزا** لا يمتنع عليه مما يريده بالمجرمين **حكيما** لا يعذب الا بعدل من يستحقه **والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا** ظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم ايوم وما اشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه وداءما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه

لا يرتقي اليه البقوء به تحت ذلك الظل وفي قراءة عبد الله سندخلهم بالياء **ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل** الخطاب عام لكل احد في كل امانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين دخل مكة اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا رضي الله عنه ان يرده الى عثمان ويعتذر عليه فقال عثمان لعلي رضي الله عنهما اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرآنا وقرا عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فنزل جبرئيل واخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقيل هو خطاب للولاة باداء الامانات والحكم بالعدل وقرئ الامانة بالتوحيد **ان الله نعما يعظكم به** ما اما ان يكون منصوبة موصوفة بيعظكم به واما ان تكون مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم به ذلك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون **ان الله كان سميعا بصيرا يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم** لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس ان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولي الامر منكم امراء الحق لان امراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون اطيعوني

ما عدلت فيكم فإن خالفت فلا طاعة لي عليكم. وعن أبي حازم ان مسلمة
بن عبد الملك قال له ألستم أمرتم بطاعتنا في قوله واولي الامر منكم قال أليس
قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله
والرسول وقيل هم امراء السرايا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اطاعني
فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميري فقد اطاعني ومن
يعص اميري فقد عصاني وقيل هم العلماء الدين الذين يعلمون الناس الدين
ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فإن تنازعتم في شيء
فإن اختلفتم انتم واولو الامر منكم في شيء من امور الدين فردوه الى
الله والرسول اي ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة إن كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر وكيف تلزم طاعة امراء الجور وقد جنح الله الامر
بطاعة اولي الامر بما لا يبقى معه شك وهو ان امرهم اولا باداء الامانات
وبالعدل في الحكم وامرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل وامراء
الجور لا يؤدون امانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيئا الى كتاب الله
ولا الى سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما يتبعون شهواتهم
حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم اولو الامر عند الله
ورسوله واحق اسمائهم اللصوص المتغلبة ذلك اشارة الى الرد اي
الرد الى الكتاب والسنة خير لكم واصلح وأحسن تأويلا واحسن عاقبة
وقيل احسن تاويلا من تاويلكم ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما
أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى
الطاغوت روي ان بشرا المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي
الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما
احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقضى لليهودي فلم يرض
المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى
لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يرض بقضائه فقال للمنافق
اكذلك قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر واشتمل

على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد فقال هكذا اقضي لمن
لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل
فقال له رسول الله انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله
طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل التحاكم الى غير رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه
او جعل على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله وقد امروا
ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا وقرئ
بما انزل وما انزل على البناء للفاعل وقرأ عباس بن الفضل ان يكفروا بها
ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم وإذا
قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون
عنك صدودا وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف اللام من تعاليت
تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة واصلها بالية كعافية وكما قال الكسائي
في آية اصلها آيية فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت اللام وقعت واو الجمع
بعد اللام من تعالى فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة
تعالي بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمداني تعالي اقاسمك الهموم تعالي
والوجه فتح اللام فكيف يكون حالهم وكيف يصنعون يعني انهم يعجزون
عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه إذا أصابتهم مصيبة
بما قدمت أيديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم
ثم جاؤك حين يصابون فيعتذرون اليك يحلفون بالله إن أردنا
ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك إلا إحسانا لا اساءة وتوفيقا ولم نرد مخالفة
لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم
وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار
عند حلول بأس الله وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره
الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكو

للعدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم له بما حكم به
أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم
ولا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد في كفهم بالموعظة والنصيحة
عما هم عليه وقل لهم في انفسهم قولا بليغا بالغ في وعظهم بالترغيب
والانذار وفي انفسهم متعلق بقوله بليغا اي قل
لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون
منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان نجم منهم
النفاق واطلع قرنه واخبرهم ان ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم
عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه الكافة الا لاظهاركم
الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم
يبق الا السيف او يتعلق بقوله قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم
المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه
عنكم ابطانه فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض
النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا
من ذلك واغلظ او قل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا
لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولا بليغا يبلغ منهم
ويؤثر فيهم وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذن
الله في طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن
الله فطاعته طاعة الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد
بتيسير الله وتوفيقه في طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت
واستغفر لهم الرسول وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد
قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله ومستغفرا لوجدوا الله توابا
رحيما لعلموه توابا اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه
الى طريقة الالتفات تفخيما لشان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيما لاستغفاره
وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك معناه

فوربك كقوله فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم كما زيدت
في لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم ولا يؤمنون جواب
القسم انها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون يابى ذلك استووا والنفي
اذ ات فيه وذلك قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول
كريم حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل
اغصانه ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت اي لا تضيق صدورهم
من حكمك وقيل شكا لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين
ويسلموا وينقادوا ويذعنوا لما تاتي به من قضائك لا يعارضونه بشيء من
قولك سلم لامر الله واسلم له وحقيقته سلم له نفسه واسلمها اذا جعلها
سالمة له خالصة وتسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمه
انقيادا لا شبهة بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي
وقيل في شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال
اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن عمتك
فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس
الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد
اشار على الزبير براي فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد
فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي
فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي
بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى صلوات الله عليه
فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا
في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله
ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي عن عمر بن الخطاب
انه قال لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الآية في
شان حاطب ونزلت في شان هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا

ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا عليهم
مثل ما اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من
ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه الا قليل منهم
وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو وقرئ الا قليلا
بالنصب على اصل الاستثناء او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما
يوعظون به من اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطاعته والانقياد
لما يراه ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى لكان
خيرا لهم في عاجلهم وآجلهم واشد تثبيتا لايمانهم وابعد من الاضطراب
فيه واذا جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت
فقيل واذن لو ثبتوا لآتيناهم لان اذن جواب وجزاء من لدنا اجرا عظيما
كقوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما في ان المراد العطاء المتفضل به من عنده
وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته ولهديناهم صراطا مستقيما
ولطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات ومن يطع الله والرسول
فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين و
الشهداء والصالحين الصديقون افاضل صحابة الانبياء الذين تقدموا
في تصديقهم كابي بكر رض وصدقوا في اقوالهم وافعالهم وهذا ترغيب
للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد الله الى الله وارفعهم
درجات عنده وحسن اولئك رفيقا فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن
اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين
يقول المتعجب حسن الوجه وحسن وجهك بالفتح والضم مع التسكين
والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه ويجوز ان يكون
مفردا بين به الجنس في باب التمييز وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن
في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن حاله فقال يا رسول

سراطا وبالاشمام ض

وجهك م

ما بي وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة
حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك
ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل
فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي
نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده
والناس اجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة ذلك مبتدأ والفضل صفته
ومن الله الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره والمعنى
ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من
الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه
او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه
وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب احوالهم يا ايها الذين آمنوا
خذوا حذركم تيقظوا واستعدوا للحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا
تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم
بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم
فانفروا ثبات او انفروا جميعا اذا نفرتم الى العدو واما ثبات جماعات
متفرقة سرية بعد سرية واما جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا
فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وقرئ فانفروا بضم الفاء وان منكم
لمن ليبطئن اللام في لمن للابتداء بمنزلتها في قوله ان الله لغفور وفي
ليبطئن جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم
وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن في ليبطئن والخطاب
لعسكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمبطئون منهم المنافقون لانهم
كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ
بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم اذا ابطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال
بطأ على فلان وابطأ علي وبطؤ نحو ثقل ويقال ما بطأ بك فيعدى
بالباء ويجوز ان يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره

وليبطئنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله وهو الذي ثبط الناس
يوم احد فان اصابتكم مصيبة من قتل او هزيمة قال قد انعم الله على
اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله من فتح او غنيمة
ليقولن وقرا الحسن ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن
في معنى الجماعة وقوله كان لم تكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين
الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو يا ليتني كنت معهم فافوز
فوزا عظيما والمعنى كان لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا
يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل
في الباطن والظاهر انه تهكم لانهم كانوا اعدا عدو للمؤمنين واشدهم حسدا
لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم وقرى
فافوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز في معنى التمني
فيكونان متمنيين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف بمعنى فانا افوز
في ذلك الوقت فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا
بالاخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه
اجرا عظيما يشرون بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ
وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه فالذين يشترون الحيوة الدنيا بالاخرة
هم المبطئون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله
ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين
يستحبون الحيوة الاجلة على العاجلة ويستبدلونها بها ان صد الذين مرضت
قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون ووعد المقاتل
في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده في اعزاز دين
الله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين فيه وجهان ان
يكون مجرورا عطفا على سبيل الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين
ومنصوبا على الاختصاص يعني واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان
سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين من المؤمنين من ايدي

الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم
المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى
الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج
الى المدينة وبقي بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو
محمد صلى الله عليه واله وسلم فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوى النصر ولما خرج
استعمل على اهل مكة عتاب بن اسيد فراوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا
قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتى كانوا اعز بها من الظلمة من
الرجال والنساء والولدان لم ذكر الولدان تسجيلا بافراط ظلمهم
حتى بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لابائهم وامهاتهم ومبغضة لهم
لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم في دعائهم استنزالا لرحمة
الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم
في الاستسقاء وعن ابن عباس كنت انا وامي من المستضعفين من النساء والولدان
ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء
لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان للتغليب
الذكور على الاناث كما يقال الاباء والاخوة الذين يقولون ربنا اخرجنا من
هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك
نصيرا لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث هو وصف للقرية الا
انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية التي ظلم اهلها فلو انث فقيل الظالمة
اهلها لجاز لتانيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث هل يجوز
من هذه القرية الظالمين اهلها نعم كما تقول التي ظلموا اهلها على لغة من يقول
اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين ظلموا الذين امنوا يقاتلون في
سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء
الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم
تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم
يقاتلون في سبيل الطاغوت فلا ولي لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين

الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واوهنه ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا
أيديكم أي كفوها عن القتال وذلك أن المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة
الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون أن يؤذن لهم فيه فلما كتب عليهم القتال بالمدينة
كع فريق منهم لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح
وخوفا من الموت وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال
إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله من اضافة المصدر الى المفعول
ما محل كخشية الله من الاعراب محله النصب على الحال من الضمير
في يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين لاهل خشية
الله أو أشد خشية يعني او اشد خشية من اهل خشية الله معطوف على الحال
لم عدل عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم يقدر يخشون خشية مثل
خشية الله اي مثل ما يخشى الله ابى ذلك قوله او اشد خشية لانه وما
عطف عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس اشد خشية لم تكن الا حالا
عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول يخشى فلان اشد خشية
فتنصب خشية وانت تريد المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها
لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية
خاشية وذات خشية على قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون الناس
خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من الله ويجوز على هذا ان
يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله يريد كخشية الله او كخشية اشد
خشية منها وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل
قريب استزادة في مدة الكف واستمهال الى وقت آخر كقوله لولا اخرتني الى اجل
قريب فاصدق قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا
ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون
بالياء أينما تكونوا يدرككم الموت وقرئ يدرككم الموت بالرفع
وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل
من يفعل الحسنات الله يشكرها ويجوز ان يقال على ما يقع موقع أينما تكونوا

وهو أينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو
ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول لا غائب مالي ولا حرم وهو قول نحوي سيبويه
ويجوز ان يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون شيئا من آجالكم أينما
تكونوا في ملاحم حروب او غيرها ثم ابتدأ بقوله يدرككم الموت ولو كنتم
في بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على أينما تكونوا والبروج الحصون
مرتفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص
وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا
قصيدة شاعرة وانما الشاعر قارضها وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من
عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك السيئة تقع
على البلية والمعصية والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم
بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن السيئات والمعنى
وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوه الى الله وان تصبهم بلية من
قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما هي الا بشؤمك كما حكى الله
عن قوم موسى عليه السلام وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم
صالح اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهود لعنت انها تشاءمت برسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها
فرد الله تعالى عليهم قل كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبضها على حسب
المصالح فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا فيعلمون ان الله هو القابض
الباسط وكل ذلك صادر عن حكمة وصواب ثم قال ما أصابك يا انسان خطابا
عاما من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا وامتنانا
وامتحانا وما أصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن نفسك فمن عندك
لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
ويعفو عن كثير وعن عائشة رضها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى
الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر
وأرسلناك للناس رسولا اي رسولا للناس جميعا لست برسول للعرب وحدهم انت

ولا يظلمون

يفقهون

رسول للعرب والعجم كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس اني
رسول الله اليكم جميعا وكفى بالله شهيدا على ذلك فما ينبغي لاحد ان
يخرج عن طاعتك واتباعك من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا امر
الا بما امر الله تعالى به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته في امتثال ما امر
به والانتهاء عما نهى عنه طاعة الله تعالى وروي انه قال من احبني فقد احب الله
ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل
لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه
ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت ومن تولى عن الطاعة فاعرض عنه فما
ارسلناك عليهم حفيظا فما ارسلناك الا نذيرا لا حفيظا ومهيمنا عليهم
اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل ويقولون اذا
امرتهم بشيء طاعة بالرفع اي امرنا وشاننا طاعة ويجوز النصب بمعنى
اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه
وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء
عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها فاذا برزوا
من عندك بيت طائفة منهم زورت طائفة وسوت غير الذي تقول خلاف
ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا
الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون
والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر
بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها والله يكتب
ما يبيتون يثبته في صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد او يكتبه
في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا تحسب ان ابطانهم يغني عنهم
فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل على الله
وكفى بالله وكيلا فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي
امر الاسلام وعز انصاره وقرئ بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل لان
تانيث الطائفة غير حقيقي ولانها في معنى الفريق والفوج افلا يتدبرون

تدبر الامر تأمله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل
في كل تأمل فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت
نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه
يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا
للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه دالا على معنى
فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة
معان وصدق اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم
بما لا يعلمه احد سواه واما نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين كانها جان
فوربك لنسألنهم اجمعين فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان
ليس من الاختلاف عند المتدبرين واذا جاءهم امر من الامن او الخوف هم ناس
من ضعفة لم يكن فيه خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم
خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من امن وسلامة او خوف
وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوه اي ذلك الخبر الى الرسول
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والى اولي الامر منهم وهم كبار
الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم لعلمه لعلم تدبير ما
اخبروا به الذين يستنبطونه منهم الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم
وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يسمعون من
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن اولي الامر امرا من امن او وثوق بالظهور على
بعض الاعداء او خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود
اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم
وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون
وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا
مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى
الرسول والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه

ثم يبيتون كيف يبيتونه وما يأتون وما يذرون من خير وقيل كانوا يسمعون من افواه
المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة وقالوا أفشيت حتى
تسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع اولا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه
منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع اولا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه
من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم
يقال اذاع السر واذاع به قال اذاع به في الناس حتى كانه بعلياء نار
اوقدت بثقوب ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعه
وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله كأن مجرا ازل من الادم دبرت صفحاته وغاربه
والنبط الماء يخرج من البئر اول ما يحفر وانباطه واستنباطه اخراجه
استخراجه واستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني بفضل ذهنه
من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان
لبقيتم على الكفر الا قليلا منكم او الا اتباعا قليلا لما ذكر في الاي
قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال
فقاتل في سبيل الله ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك
غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود
فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس
في بدر الصغرى الى الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما
معه الا سبعون لم يلو على احد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرئ لا
تكلف بالجزم على النهي ولا نكلف بالنون وكسر اللام اي لا نكلف نحن الا
نفسك وحدها وحرض المؤمنين وما عليك في شانهم الا التحريض فحسب لا
التعنيف بهم عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا وهم قريش
وقد كف بأسهم فقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد
الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع بهم والله اشد بأسا

من قريش واشد تنكيلا تعذيبا من يشفع شفاعة حسنة يكن له
نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها
الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها شر او جلب اليه خير
وابتغي بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت في امر جائز لا في حد من حدود
الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه
شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما
في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا اتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة
هي الدعوة للمسلم لانها في معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك
فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك وكان الله على كل شيء
مقيتا شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب
وذي ضغن كففت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا وقال السموأل الى الفضل ام
علي اذا حوسبت اني على الحساب مقيت واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها
واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها الاحسن منها ان يقول وعليكم السلام
ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان يزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله
فقد روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السلام
عليك قال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال
وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة
الله وبركاته فقال وعليك فقال نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا
الآية فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله او ردوها
او اجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لان المحيي يرد
قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين
الزيادة وتركها وعن ابي يوسف من قال لآخر اقرئ فلانا السلام وجب
عليه ان يفعل وعن النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد
واجب وما من رجل يمر على قوم من المسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه

عنه

ل

اذا حوسب

ورحمة الله

الا نزع عنهم روح القدس وردّت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث ومذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ولا على الحمام والعاري من غير عذر في حمام وغيره وذكر الطحاوي ان المستحب رد السلام على الطهارة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته ولا يسلم على اجنبية ويسلم القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروي لا تبتدئ اليهودي بالسلم وان بدأ فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان تقول وعليك السلم ولا تقل رحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلم ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء في ان يبدأ اهل الذمة بالسلم اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروي ذلك عن النخعي وعن ابي حنيفة لا تبتدئه بالسلم في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلم على من اتبع الهدى ولا بأس بالدعاء له بما يصلحه في دنياه ان الله كان على كل شيء حسيبا اي حاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها الله لا اله الا هو مبتدأ واما اعتراض والخبر ليجمعنكم فقسم ومعناه والله الله والله ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه اي ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه وهو وجه قبحه الذي هو كونه كذبا واخبارا على خلاف ما هو عليه فمن يكذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر

منفعة او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو لا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح فما لكم في المنافقين فئتين نصب على الحال كقولك ما لك قائما روي ان قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه او اركسهم في الكفر بان خذلهم حتى ارتكسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا من اضل الله ان تجعلوه من جملة المهتدين من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك او خذله حتى ضل وقرئ ركسهم وركسوا فيها ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم وكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فلا توالوهم وان آمنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة

هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء ولا
تعرب فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فخذوهم
واقتلوهم حيث وجدتموهم فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا
في الحل والحرام وجانبوهم مجانبة كلية ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا
وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون
الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون
الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن ابي عبيدة هو الانتساب
وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه وقيل ان الانتساب لا
اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من انتسبا بهم والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم يوم احد عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة
هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى
هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد
مناة كانوا في الصلح او جاءوكم لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة
قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال
لا لكم ولا عليكم وعلى صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين
او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم
فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله
فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد
سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم
من الاتصال ليس له تاثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال
بالمعاهدين فالاتصال بالكافين لان الاتصال بهؤلاء او هؤلاء دخول في حكمهم
فهلا جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم
تقريرا لحكم اتصالهم بالكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم
هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة ابي بينكم

وبينهم ميثاق جاءوكم حصرت صدورهم بغير واو ووجهه ان يكون جاءوكم
بيانا ليصلون او بدلا او استئنافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم
في موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم و
حصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على او جاءوكم قوما
حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاءوكم وهم بنو مدلج جاءوا رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم عن
ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله
لسلطهم عليكم فلقاتلوكم كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على
المسلمين ما كانت مكافتهم الا لقذف الله تعالى الرعب في قلوبهم ولو
شاء الله لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين
غير كافين فذلك معنى التسليط وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان
اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم
السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما
جعل الله لكم عليهم سبيلا فما اذن الله لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون
آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم وهم قوم من اسد و
غطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين فاذا رجعوا
الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم
قومهم الى قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا
شرا فيها من كل عدو فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم
ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم تمكنتم منهم
واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم
وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا
ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن وما صح له ولا استقام
ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي ان يغل وما كان لنا ان نعود فيها
ان يقتل مؤمنا ابتداء غير قصاص الا خطأ الا على وجه الخطأ

بم انتصب خطاء بانه مفعول له اي ما ينبغي له ان يقتله لعلة من
العلل الا للخطاء وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الاحوال
الا في حال الخطا او ان يكون صفة للمصدر الا قتلا خطاء والمعنى ان من شان
المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطا
من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو
مسلم وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمى بتخفيف الهمزة روي ان عياش
ابن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى
المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاقسمت امه
لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل في اثره
ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة
والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك وانت على
دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد
مائة جلدة فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا
ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد
ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه
فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت ومن قتل ~~مظلوما فقد
جعلنا لوليه~~ مؤمنا خطاء فتحرير رقبة مؤمنة التحرير الاعتاق
والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللؤم في العبيد
ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع
منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل اي لئيم الفعل والرقبة عبارة
عن النسمة كما عبر عنها بالراس في قولهم فلان يملك كذا راسا من الرقيق
والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء
وعن الحسن لا تجزئ الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس
عليها الشافعي كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة

من جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها
من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار ودية
مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق
بينها وبين سائر التركة في كل شيء يقضى منها الدين وتنفذ الوصية و
اذا لم يبق وارث فهي لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا وارث من لا وارث له وعن عمر
انه قضى بدية المقتول فجاءت امراته تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك
شيئا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن سفيان الكلابي
كتب الي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي
من عقل زوجها اشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية
غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة
الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة على من تجب
والدية على القاتل الا ان الرقبة في ماله والدية تتحملها عنه العاقلة
فان لم تكن له عاقلة فهي في بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا
ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو لقوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا
خير لكم وعن النبي كل معروف صدقة وقرا ابي الا ان يتصدقوا
بم تعلق ان يصدقوا وما محله تعلق عليه او بمسلمة كانه قيل وتجب عليه
الدية او يسلمها الا ان يتصدقوا عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف
الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من اهله بمعنى
الا متصدقين فان كان من قوم عدو لكم من قوم كفار اهل الحرب وهو مؤمن
وذلك نحو رجل اسلم في قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فتحرير
رقبة مؤمنة فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطاء وليس على عاقلته لاهله
شيء لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم ياتي قومه وهم مشركون
فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطاء لانهم يظنونه كافرا مثلهم وان
كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين

الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فدية مسلمة الى اهله و
تحرير رقبة مؤمنة فحكمه حكم مسلم من المسلمين فمن لم يجد رقبة بمعنى
لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها فصيام فعليه صيام شهرين متتابعين
توبة قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع
ذلك توبة منه او نقلكم من الرقبة الى الصيام توبة منه وكان
عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها و
غضب عليه ولعنه واعد له عذابا هذه الآية فيها من التهديد و
الايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روي عن ابن عباس
ما روي ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا
سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ
والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث
لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق و
رضي آخر بالمغرب لاشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون
من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب
بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤون هذه الآية ويرون
ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة
ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم اهواءهم و
ما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة
افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله سبحانه
التوبة في قتل الخطاء لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط
والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي
هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر
ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم
او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى
اخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله يا ايها الذين آمنوا

عظيما

اذا ضربتم في سبيل فتبينوا وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى
الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير
روية ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم وقرئ السلم والسلام و
هما من الاستسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست
مؤمنا وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه اي لا نؤمنك واصله ان مرداس
بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا
وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل
وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله
السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما
معه ثم قرأ الآية على اسامة فقال استغفر لي وقال فكيف بلا اله الا الله
قال اسامة فما زالت يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ
ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون
الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت
وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند مغانم كثيرة تغنيكم
عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله
كذلك كنتم من قبل اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من
افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار
الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن عليكم بالاستقامة
والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان
تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام
في المكافاة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه
سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير
للامر بالتبيين ليؤكد عليهم ان كان بما تعملون خبيرا

فتثبتوا س

فتثبتوا س

فلا تتهاونوا في القتال وكونوا مجتهدين محتاطين ﴿لا يستوي القاعدون
من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم
وأنفسهم﴾ غير أولي الضرر قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون
والنصب استثناء منهم أو حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض
والعاهة من عمى أو عرج أو زمانة أو نحوها وعن زيد بن ثابت كنت إلى جنب
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي
حتى خشيت أن ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي
القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن أم مكتوم وكان أعمى يا
رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة
كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير
أولي الضرر فقال زيد أنزلها الله وحدها فألحقتها والذي نفسي بيده
لكأني أنظر إلى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي
القاعدون عن بدر والخارجون إليها وعن مقاتل إلى تبوك
معلوم أن القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء
معناه الإذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد
ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه
وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
أريد به التحريك من حمية الجاهل وأنفته ليهاب به إلى التعلم ولينهض
بنفسه عن صنعة الجهل إلى شرف العلم ﴿فضل الله المجاهدين بأموالهم
وأنفسهم على القاعدين درجة﴾ جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين
والمجاهدين كأنه قيل ما لهم لا يستوون فأجيب بذلك والمعنى على القاعدين
غير أولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الأولى المتضمنة لهذا الوصف ﴿و
كلا﴾ وكل فريق من القاعدين والمجاهدين ﴿وعد الله الحسنى﴾ أي المثوبة
الحسنى وهي الجنة وإن كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقد خلفتم بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا

قطعتم واديا إلا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم
وكانت أفئدتهم إلى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر أو
غيره ﴿وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما
درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما﴾
قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم
أما المفضلون درجة واحدة فهم المفضلون الذين فضلوا على القاعدين
الأضراء وأما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين أذن لهم في التخلف
اكتفاء بغيرهم لأن الغزو فرض كفاية لم نصب درجة وأجرا
ودرجات نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل
كأنه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة
وأما أجرا فقد انتصب بفضل لأنه في معنى أجرهم أجرا ودرجات
ومغفرة ورحمة بدل من أجرا ويجوز أن ينتصب درجات نصب درجة
كما تقول ضربه أسواطا بمعنى ضربات كأنه قيل وفضلهم تفضيلات و
نصب أجرا عظيما على أنه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها
وانتصب مغفرة ورحمة بإضمار فعليهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة
ورحمة ﴿إن الذين توفاهم الملائكة﴾ يجوز أن يكون ماضيا كقراءة
من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على
مضارع وفيت بمعنى أن الله يوفي الملائكة أنفسهم فيتوفونها أي يمكنهم
من استيفائها فيستوفونها ﴿ظالمي أنفسهم﴾ في حال ظلمهم أنفسهم ﴿قالوا﴾
قال الملائكة للمتوفين ﴿فيم كنتم﴾ في أي شيء كنتم من أمر دينكم وهم
ناس من أهل مكة أسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة ﴿قالوا
كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة
فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾
كيف صح وقوع قوله كنا مستضعفين في الأرض جوابا عن قولهم فيم كنتم
وكان حق الجواب أن يقولوا كنا في كذا أو لم نكن في شيء

بهم

درجات فالذين

معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من حيث قدروا على المهاجرة
ولم يهاجروا قالوا كنا مستضعفين اعتذار مما وبخوا به واعتلال بالاستضعاف
وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم الم
تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا انكم كنتم قادرين على
الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم
ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما فعل المهاجرون
الى ارض الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه
من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة الدين
لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت
عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من فر بدينه من ارض
الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق
ابيه ابراهيم ونبيه محمد اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار
بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى
من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك
يا واسع المغفرة الا المستضعفين من الرجال والنساء و
الولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ثم استثنى
من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم
وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم بعث بهذه الآية الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب
لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله
لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا
فمات في التنعيم كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من اهل
الوعيد كأنهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء والولدان لو
استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين
مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما الولدان فلا يكونون الا عاجزين فاذا كان

العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم حتى وقع هذا
اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما
يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان اريد العبيد والاماء
البالغون فلا سؤال الحيلة التي هم لا يستطيعون ما موقعها
هي صفة المستضعفين او الرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان
الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني
فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا
لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع للدلالة على ان ترك الهجرة
امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله
ان يعفو عني فكيف بغيره ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما
كثيرا وسعة مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم
على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو
التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك
قال النابغة الجعدي كطود يلاذ باركانه عزيز المراغم والمهرب وقرئ مرغما
ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت وقرئ ثم
يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ثم هو يدركه وقيل رفع الكاف منقول
من الهاء كأنه اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله
من عنزي سبني لم اضربه وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله والحق بالحجاز
فقد وقع اجره على الله فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط
فاذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف
يثيبه وذلك واجب عليه وروي في قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت
اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على
ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم
يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم

او حج او جهاد او فرارا الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة او زهدا في الدنيا او
ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان من ادركه الموت في طريقه
فاجره واقع على الله **وكان الله غفورا رحيما واذا ضربتم في الارض**
الضرب في الارض هو السفر الذي يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة مسيرة ايام
ولياليهن بسير الابل ومشي الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء الضرب
واسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة ايام لم يقصر وعند الشافعي ادنى مدة
السفر اربعة برد مسيرة يومين وقوله **فليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلوة** ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل والى
التخيير ذهب الشافعي وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه اتم في السفر
وعن عائشة رضها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة
الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بابي
انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة
وكان عثمان رضه يتم ويقصر وعند ابي حنيفة القصر في السفر عزيمة غير رخصة
لا يجوز غيره وعن عمر رضه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان
نبيكم وعن عائشة رضها اول ما فرضت الصلوة ركعتين ركعتين فاقرت
في السفر وزيدت في الحضر فما قلت تصنع بقوله فليس عليكم
جناح ان تقصروا كانهم الفوا الاتمام وكانوا مظنة لان يخطر ببالهم
ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا
اليه وقرئ تقصروا من اقصر وجاء في الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها
وقرأ الزهري تقصروا بالتشديد والقصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف
خاصة وهو قوله **ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين
كانوا لكم عدوا مبينا** واما في حال الامن فبالسنة وفي قراءة عبد الله
من الصلوة ان يفتنكم لم يثبت فيها ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة
ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض لما يكره **واذا كنت فيهم
فاقمت لهم الصلوة** تعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف بعد رسول الله

حيث كونه فيهم وقال من رآها ان الائمة نواب عن رسول الله صلى الله
عليه وآله وبارك وسلم في كل عصر قوام بما كان يقوم به وكان الخطاب
له شاملا لكل امام يكون حاضرا بالجماعة في حال الخوف عليه ان يؤمهم
كامّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجماعات التي كان يحضرها والضمير
في فيهم للخائفين **فلتقم طائفة منهم معك** فاجعلهم طائفتين فلتقم احدهما
معك فصل بهم **وليأخذوا اسلحتهم** الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان
كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح ما لا يشغلهم كالسيف والخنجر
ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه **فاذا سجدوا فليكونوا** يعني
غير المصلين **من ورائكم** يحرسونكم وصفة الخوف عند ابي حنيفة ان يصلي
الامام باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلوة ركعتين والاخرى بازاء
العدو وتاتي الاولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلوتها ثم تحرس و
تاتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلوتها والسجود على ظاهره عند
ابي حنيفة وعند مالك بمعنى الصلوة لان الامام يصلي عنده بطائفة ركعة
ويقف قائما حتى تتم صلوتها وتسلم بهم وتمضي **ولتات طائفة اخرى لم
يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين
كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم** وامتعاتكم
كيف جمع بين الاسلحة والحذر في الاخذ جعل الحذر وهو التحذر والتيقظ
آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ وجعلا ماخوذين
ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لهم و
متبوأ لتمكنهم فيه ولذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء **فيميلون عليكم
ميلة واحدة** فيشدون عليكم شدة واحدة **ولا جناح عليكم ان كان
بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم و
خذوا حذركم** ورخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب
ما يبلهم من مطر او يضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا
يغفلوا فيهجم عليهم العدو كيف طابق الامر بالحذر قوله ان

أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا الأمر بالحذر من العدو
يوهم غلبة واعتراه ثم نفي عنهم ذلك الايهام باخبارهم ان الله يهين
عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر
ليس لذلك وانما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فاذا صليتم في حال الخوف والقتال فَاذْكُرُوا اللَّهَ
فصلوها قِيَامًا مسايفين ومقارعين وَقُعُودًا جاثين على الركب مرامين وَعَلَى جُنُوبِكُمْ
مثخنين بالجراح فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ حين تضع الحرب اوزارها وامنتم فَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال القلق و
الانزعاج إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا محدودا بالاوقات
لا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اي حال كنتم خوف او امن وهذا ظاهر على
مذهب الشافعي في ايجاب الصلاة على المحارب في حالة المسايفة والمشي و
الاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها فاذا اطمأن فعليه القضاء واما
عند ابي حنيفة فهو معذور في تركها الى ان تطمئن وقيل معناه فاذا
قضيتم صلاة الخوف فاديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين
بالنصرة والتاييد في كافة احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما
انتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجاء اليه فاذا
اطمأننتم فاذا اقمتم فاقيموا الصلاة فاتموها وَلَا تَهِنُوا ولا تضعفوا ولا
تتوانوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم الزمهم
الحجة بقوله إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَ
تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ اي ليس ما تكابدون من الالم بالجرح
والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك بينهم وبينكم يصيبهم كما يصيبكم
ثم انهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم
اولى منهم بالصبر لانكم ترجون من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم
على سائر الاديان ومن الثواب العظيم في الآخرة وقرأ الاعرج ان تكونوا
بالفتح بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تالمون وقوله فانهم يالمون

تالمون تعليل وقرئ تيلمون كما تيلمون وروي ان هذا في بدر الصغرى كان
بهم جراح فتواكلوا وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا لا يكلفكم شيئا
ولا يامركم ولا ينهاكم الا لما هو عالم به مما يصلح لكم إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ يروى ان طعمة بن ابيرق احد
بني ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان في جراب دقيق فجعل
الدقيق ينتثر من خرق فيه حتى انتهى الى الدار وفيها اثر الدقيق ثم خباها عند
زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف
ما اخذها وما له بها من علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى
اليهودي فاخذها فقال دفعها الي طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت
بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا ان لم تفعل
هلك صاحبنا وافتضح وبرئ اليهودي فهم ان يقطع يده فنزلت
وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله
فسقط الحائط عليه فقتله بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ بما عرفك واوحي به اليك وعن عمر
لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه و
لكن ليجتهد رايه لان الراي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان مصيبا
لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ
خَصِيمًا ولا تكن لاجل الخائنين مخاصما للبراء يعني لا تخاصم اليهود لاجل
بني ظفر وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ مما هممت به من عقاب اليهودي إِنَّ اللَّهَ كَانَ
غَفُورًا رَحِيمًا وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ يخونونها
بالمعصية كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت ظلما لها
لان الضرر راجع اليهم لم قيل للخائنين ويختانون انفسهم
لان السارق طعمة وحده لوجهين احدهما ان بني ظفر شهدوا له
بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له في الاثم والثاني انه جمع ليتناول طعمة وكل
من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ
خَوَّانًا أَثِيمًا لم قيل خوانا اثيما على المبالغة كان الله عالما من طعمة

بالافراط في الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة امره لم يشك في حاله
وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضي الله عنه انه
امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه
فقال كذبت ان الله لا يواخذ عبده في اول مرة يستخفون يستترون
من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا
يستحيون منه وهو معهم وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خافٍ
من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية
من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم في حضرته لا سترة ولا
غفلة ولا غيبة وليس الا الكشف الصريح والافتضاح اذ يبيتون
يدبرون وأصله ان يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة
ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق دونه ويحلف انه برئ منه فان قلت
كيف سمي التدبير قولا وانما هو معنى في النفس قلت لما حدث بذلك نفسه
سمي قولا على المجاز ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به
بعد ان بيته وتوركه الذنب على اليهودي وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم هؤلاء ها للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدأ وخبر
جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا كما
تقول لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتوثر على نفسك ويجوز ان
يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم
خاصمتم عن طعمة وقومه في الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة
فمن يخاصم عنهم في الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرأ عبد الله
عنه عن طعمة ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من بأس الله و
انتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة
واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوءا
من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك ثم يستغفر الله يجد
الله غفورا رحيما وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة ليلزمه الحجة

مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه ومن يكسب
اثما فانما يكسبه على نفسه اي لا يتعداه ضرره الى غيره فليبق
على نفسه من كسب السوء وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة
صغيرة او اثما او كبيرة ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد
احتمل بهتانا واثما مبينا لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البريء باهت فهو
جامع بين الامرين وقرأ معاذ بن جبل ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة
واصله يكتسب ولولا فضل الله عليك ورحمته اي عصمته
والطافه وما اوحي اليك من الاطلاع على سرهم لهمت طائفة منهم
من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني
هو صاحبهم فقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون
الا انفسهم لان وباله عليهم وما يضرونك من شيء لانك انما عملت بظاهر الحال
وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب
والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم من خفيات الامور وضمائر القلوب
او من امور الدين والشرائع ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير في
منهم الى الناس وقيل الآية في المنافقين وكان فضل الله عليك عظيما
لا خير في كثير من نجواهم من تناجي الناس الا من امر بصدقة او معروف
او اصلاح بين الناس الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما
تقول لا خير في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع
بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي نجواه الخير وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة
الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف
ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلام ابن
آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالى
وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير
في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه او ما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي
خسر فهذا بعينه وشرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة الله

والتقرب اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات
قال الامر ثم قال ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات
الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا الآمر به في زمرة الخيرين كان الفاعل
فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم
ويجوز ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن سائر الافعال
فسوف نؤتيه اجرا عظيما وقرأ يؤتيه بالياء ومن يشاقق الرسول
من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين وهو السبيل الذي
هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا يجوز مخالفتها
كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله تعالى جمع بين اتباع سبيل
غير المؤمنين وبين مشاقة الرسول في الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد
وكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى نجعله واليا لما تولى
من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وقرئ و
نصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة
وساءت مصيرا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء كرر للتاكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل
جاء شيخ من العرب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اني شيخ
منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم
اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراءة على الله ولا مكابرة له وما
توهمت طرفة عين اني اعجز الله هربا واني لنادم تائب مستغفر فما حالي
عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من
ذنبه ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان يدعون من
دونه الا اناثا هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حي من احياء
العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى فلان وقيل كانوا يقولون في
اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله
اناثا جمع انيث او اناث ووثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد

والسد وقلب الواو الفا نحو وجوه واجوه وقرأت عائشة رضها وثنا
وان يدعون وان يعبدون بعبادة الاصنام الا شيطانا مريدا لانه هو
الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة ومريدا خارجا عن الطاعة لعنه
الله وقال لاتخذن صفتان يعني شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا
القول الشنيع من عبادك نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي
من قولهم فرض له في العطاء وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل الف تسعمائة
وتسعين في النار ولاضلنهم ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار
وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة من النار بعد دخولها بالشفاعة
ونحو ذلك ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام وتبتيكهم الآذان فعلهم
بالبحاير كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس
ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها ولآمرنهم فليغيرن خلق
الله بفقء عين الحامي واعفائه عن الركوب وقيل الخصاء وهو قول عامة
العلماء مباح في البهائم واما في بني آدم فمحظور وعند ابي حنيفة يكره شرى
الخصيان واستخدامهم وامساكهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقيل
فطرة الله التي هي دين الاسلام وقيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصاء فقال
كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه لعن الله الواشمات
والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله ومن يتخذ الشيطان
وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم
وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك مأواهم جهنم ولا يجدون
عنها محيصا والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا
مصدران الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره ومن اصدق من الله
قيلا توكيد ثالث بليغ ما فائدة هذه التوكيدات
معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وامانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله
الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد في ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون

في عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان في ليس ضمير وعد الله اي ليس ينال
ما وعد الله من الثواب بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب والخطاب
للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به وكذلك ذكر اهل الكتاب
معهم لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد الله وعن مسروق والسدي
هي في المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل
ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا
نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان
المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم
وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي
كانت قبله فنزلت ويحتمل ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر
كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا لاوتين مالا وولدا ان
لي عنده للحسنى وكان اهل الكتاب يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ولن
تمسنا النار الا اياما معدودة ويعضده تقدم ذكر اهل الشرك قبله وعن
مجاهد ان الخطاب للمشركين قوله من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من
دون الله وليا ولا نصيرا وقوله ومن يعمل من الصالحات من ذكر
او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة بعد ذكر تمني اهل الكتاب
نحو من قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا
وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة
واذا ابطل الاماني واثبت ان الامر كله معقود بالعمل وان من اصلح عمله
فهو الفائز ومن اساء عمله فهو الهالك تبين الامر ووضح ووجب قطع الاماني
وحسم المطامع والاقبال على العمل الصالح ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا
تلقى اليه الاذهان ما الفرق بين من الاولى والثانية الاولى
للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات
لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو في تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا
حج عليه ولا جهاد ولا زكوة وتسقط عنه في بعض الاحوال والثانية لتبيين

الابهام في ومن يعمل ولا يظلمون نقيرا كيف خص الصالحين
وغيرهم مثلهم في ذلك فيه وجهان احدهما ان يكون الراجع
في لا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني ان يكون ذكره
عند احد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لان كلا الفريقين مجزيون باعمالهم
لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء ان يزاد عقابه وارحم الراحمين معلوم
انه لا يزيد في عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثواب
وتوابع الثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل لانه
ليس بواجب فكان نفي الظلم دالا على انه لا يقع نقصان في الفضل ومن
احسن دينا ممن اسلم وجهه اخلص نفسه لله وجعلها سالمة
له لا يعرف لها ربا ولا معبودا سواه وهو محسن وهو عامل للحسنات تارك
للسيئات واتبع ملة ابرهيم حنيفا حال من المتبع او من ابرهيم كقوله بل ملة
ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان
كلها الى دين الاسلام واتخذ الله ابرهيم خليلا مجاز عن اصطفائه و
اختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذي
يخالك اي يوافقك في خلالك او يسايرك في طريقك من الخل وهو الطريق
في الرمل او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك
ما موقع هذه الجملة هي جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب
كنحو ما يجيء في الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تأكيد وجوب اتباع
ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان
ابرهيم بعث الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان
ابرهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه
ببطحاء لينة فملؤوا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابرهيم ساءه
الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت احسن حواري
واختبزت فاستيقظ ابرهيم فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت
امرأته من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله خليلا

لان من بلغ منزلة القرب عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان يتبع ملته

ما في السموات وما في الارض متصل بذكر العمال الصالحين والطالحين و
معناه ان له ملك اهل السموات والارض فطاعته واجبة عليهم وكان
بكل شيء محيطا وكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا
لانفسهم ما هو اصلح لها ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن
وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء ما يتلى في محل الرفع
اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامى يعني قوله وان خفتم
الا تقسطوا في اليتامى وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان يكون ما
يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على انها جملة معترضة والمراد بالكتاب
اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق اليتامى
من عظائم الامور التي فوقها الدرجات عند الله التي يجب مراعاتها والمحافظة
عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله تعالى ونحوه في تعظيم القرآن
وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كأنه
قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا لمعنى
التعظيم وليس بسديد ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى
في الوجه الاول وهو صلة يتلى بم يتعلق قوله في يتامى النساء
اي يتلى عليكم في معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن
واما في الوجهين الآخرين فبدل لا غير والاضافة في يتامى النساء
اضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة وقرئ في ييامى النساء
بيائين على قلب همزة ايامى ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وقرئ
ما كتب الله لهن اي ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة
الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها واكل المال وان كانت دميمة عضلها
عن التزوج حتى تموت فيرثها وترغبون ان تنكحوهن يحتمل في ان تنكحوهن
لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن وروي ان عمر بن الخطاب كان اذا جاءه
ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها
من هو خير منك وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها وانت احق بها

والمستضعفين من الولدان مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في
الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء و
يجوز ان يكون خطابا للاوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب وان
تقوموا لليتامى بالقسط مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء
وفي ان تقوموا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويأمركم ان تقوموا وهو خطاب
للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم
وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وان امرأة خافت
من بعلها توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وامارته نشوزا والنشوز ان
يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة
وان يؤذيها بسب او ضرب او اعراضا والاعراض ان يعرض عنها بان يقل
محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة او شين
في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك فلا جناح عليهما
فلا بأس بهما في ان يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا
ويصطلحا ونحو اصلح اصبر في اصطبر صلحا في معنى مصدر كل واحد من الافعال
الثلاثة ومعنى الصلح ان تطيب له نفسا عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة
بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي ان امرأة اراد
ان يطلقها زوجها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني
ودعني اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح
فهو احب الي فاقرها او تهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم
تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها والصلح خير من الفرقة
او من النشوز والاعراض وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل شيء
او والصلح خير من الخيور كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة
اعتراض وكذلك قوله واحضرت الانفس الشح ومعنى احضار الانفس
الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا تنفك عنه يعني انها

مطبوعة عليه والغرض ان المراة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل
لا يكاد يسمح بنفسه بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها
وان تحسنوا بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا
على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى
والخصومة فان الله كان بما تعملون من الاحسان والتقوى خبيرا وهو يثيبكم
وكان عمران بن حطان الخارجي من ادم بني آدم وامراته من اجملهم فاجالت
في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال مالك فقالت حمدت الله على اني
واياك من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت
مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة للشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ومحال ان تستطيعوا العدل بين النساء
والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع
لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط
ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع داخل
في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وعن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول هذه قسمتي
فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها
كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ من الصعوبة حدا
يوهم انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد و
والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد
الحصر يأتي من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات
كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل فلا تجوروا
على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضا منها يعني ان
اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع
منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ فتذروها كالمعلقة
وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال هل هي الا حظة او تطليق او صلف

او بين ذلك تعليق وفي قراءة ابي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت
له امراتان يميل مع احديهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل وروي ان
عمر بن الخطاب رض بعث الى ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمال
فقالت عائشة رضي الله عنها الى كل ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بعث بمثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت
ارفع راسك فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعدل بيننا في
القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ
امراتان فاذا كان عند احديهما لم يتوضأ في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون
فدفنهما في قبر واحد وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة و
تتقوا فيما يستقبل غفر الله لكم فان الله كان غفورا رحيما وان
يتفرقا وقرئ وان يتفارقا بمعنى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه يغن
الله كلا يرزقه زوجا من زوجه وعيشا اهنأ من عيشه من سعته
والسعة المقدرة والغنى وكان الله واسعا حكيما والواسع
الغني المقتدر ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين اوتوا
الكتاب من قبلكم متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على
الذين اوتوا الكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية ان اتقوا
بان اتقوا او يكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله و
ان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض عطف على اتقوا
لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان
لله والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم
باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه
ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من الامم السالفة و
وصيناكم ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها
عباده لستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة
في العاقبة وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله ما في سمواته وارضه من

الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه وكان الله
غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا حميدا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان
لم يحمده احد منهم وتكرير قوله ولله ما في السموات وما في الارض
وكفى بالله وكيلا تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا
يعصوه لان الخشية والتقوى اصل الخير كله ان يشأ يذهبكم
ايها الناس يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشأكم ويأت بآخرين ويوجد
انشاء آخرين مكانكم او خلقا آخر غير الانس وكان الله على ذلك
من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده وهذا غضب
عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من العرب اي ان يشأ يفنكم ويأت بناس آخرين
يوالونه ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس وكان الله
سميعا بصيرا يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مجتهدين
في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء لله يقيمون شهاداتكم لوجه الله كما
امرتم باقامتها ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين او آبائكم او اقاربكم
الشهادة على الوالدين والاقربين ان يقول اشهد ان لفلان على
والدي كذا او على اقاربي فاما معنى الشهادة على نفسه
نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى و
ان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او آبائكم او اقاربكم وذلك ان يشهد
على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا
فلا يمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا يمنعها ترحما عليه
فالله اولى بهما بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا
ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه اعلم بعباده من كل ناظر
لم يثن الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله ان
يكن غنيا او فقيرا في معنى احد هذين وقد رجع الضمير الى ما دل قوله ان

يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور فلذلك ثني ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس
الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء وفي
قراءة عبد الله ان يكن غني او فقير على كان التامة فلا تتبعوا الهوى
ان تعدلوا يحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا
بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا او تعرضوا وان تلووا السنتكم
عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها
وقرأ ان تلوا وتعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها
فان الله كان بما تعملون خبيرا فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا
آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله خطاب للمسلمين ومعنى
آمنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوا فيه والكتاب الذي
انزل من قبل والمراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل
عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرأ ونزل وانزل على البناء
للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا
ببعض وروي انه لعبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن
قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن اخيه ويامين بن يامين
اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن
بك وبكتابك وموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل
فقال بل آمنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكتابه القرآن
وبكل كتاب كان قبله قالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين
كانه قيل يا ايها الذين آمنوا نفاقا آمنوا بالله اخلاصا كيف قيل
لاهل الكتاب والكتاب الذي من قبل وكانوا مؤمنين بالتورية والانجيل
كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من الكتب فامروا ان يؤمنوا
بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتاب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان به
هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا
به لاجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم

يكن إيمانهم إيمانا وهو الذي أراده عز وجل في قوله نؤمن ببعض ونكفر ببعض
ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا
لم قيل نزل على رسوله وأنزل من قبل   لأن القرآن نزل مفرقا منجما في
عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله وملائكته
وكتبه ورسله واليوم الآخر بشيء من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا
لأن الكفر ببعضه كفر ألا ترى كيف قدم الأمر بالإيمان به جميعا إن الذين
آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم
سبيلا نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام
والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الإيمان الخالص الثابت والمعنى أن الذين
تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والإصرار عليه يستبعد منهم
أن يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من إيمان صحيح ثابت يرضاه
الله لأن قلوب أولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضربت بالكفر ومرنت على
الردة وكان الإيمان أهون شيء عندهم وأدونه حيث يبدو لهم فيه كرة
بعد أخرى وليس المعنى أنهم لو أخلصوا الإيمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم
لم تقبل ولم يغفر لهم لأن ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع
ولكنه استبعاد له واستغراب وأنه أمر لا يكاد يكون وهكذا نرى الفاسق
الذي يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب أنه يموت على شر حال
وأسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالإنجيل و
بعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بشر المنافقين
بأن لهم عذابا أليما وضع بشر مكان أخبر تهكما بهم الذين نصب على الذم
أو رفع بمعنى أريد الذين أو هم الذين يتخذون الكافرين أولياء من
دون المؤمنين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض
لا يتم أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتولوا اليهود أيبتغون عندهم العزة
فإن العزة لله جميعا يريد لأوليائه الذين كتب لهم العزة والغلبة على اليهود
وغيرهم قال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم في

الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها
فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره هي أن المخففة من
الثقيلة والمعنى أنه إذا سمعتم أي نزل عليكم أن الشأن كذا والشأن ما
أفادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما في حيزها في موضع الرفع
بنزل أو في موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب
هو ما نزل عليهم بمكة من قوله وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض
عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك أن المشركين كانوا يخوضون في
ذكر القرآن في مجالسهم فيستهزئون به فنهي المسلمون عن القعود معهم ما داموا
خائضين فيه فكان أحبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا
أن يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين
في القرآن من الأحبار هم المنافقون فقيل لهم إنكم إذا مثلهم في الكفر
إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين
والمقعود معهم   الضمير في قوله فلا تقعدوا معهم إلى من يرجع
إلى ما دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كأنه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين
بها والمستهزئين بها   لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهود في وقت الخوض
لأنهم إذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر
فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين
منافقين   لا لأنهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم
فكان ترك الإنكار لرضاهم الذين يتربصون إما بدل من الذين يتخذون وإما
صفة للمنافقين أو نصب على الذم منهم يتربصون   أي ينتظرون بكم ما يتجدد
لكم من ظفر أو إخفاق فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن
معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم
نستحوذ عليكم ألم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فأبقينا
عليكم ونمنعكم من المؤمنين من المسلمين بأن ثبطناهم عنكم وخيلنا
لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في مظاهرتهم

عليكم فهما نوا نصيبًا لنا مما أصبتم وقرئ نمنعكم بالنصب بإضمار أن قال الحطيئة
ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء لم يسم ظفر
المسلمين فتحًا وظفر الكافرين نصيبًا تعظيمًا لشأن المسلمين وتخسيسًا لحظ
الكافرين لأن ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتى ينزل على أو
وأما ظفر الكافرين فما هو إلا حظ دنيء ولمظة من الدنيا يصيبونها
فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلًا
إن المنافقين يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان
وإبطان الكفر وهو خادعهم وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب
الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والأموال في الدنيا وأعد
لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة
وإحلال بأس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته
إذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورًا كما يعطى المؤمنون
فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا
نقتبس من نوركم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى أي بضم
الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران أي يقومون متثاقلين
كما ترى من يفعل شيئًا على كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراءون الناس
يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة ولا يذكرون الله إلا قليلًا
ولا يصلون إلا قليلًا لأنهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس إلا
ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل أيضًا لأنهم ما وجدوا مندوحة
من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه أو لا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل
إلا ذكرًا قليلًا في الندرة وهكذا ترى كثيرًا من المتظاهرين بالإسلام
لو صحبته الأيام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة
لكن حديث الدنيا يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه ويجوز أن يراد بالقلة
العدم ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية فيه
وجهان أحدهما أن المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثاني

أن يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال رأى الناس بمعنى راءاهم كقولك
نعّمه وناعمه وفنّقه وفانقه وعيش مفانق روى أبو زيد رأت المرأة
المرآة الرجل إذا أمسكتها لترى وجهه وتدل عليه قراءة ابن أبي إسحق
يرؤونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم أي يبصرونهم أعمالهم ويراؤونهم
كذلك مذبذبين أما حال نحو قوله ولا يذكرون الراؤون أي يراءونهم غير
ذاكرين مذبذبين أو منصوب على الذم مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى
بين ذلك بين ذلك الإيمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة
المذبذب الذي يذب عن كلا الجانبين أي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما
قيل فلان يرمى به الرحوان إلا أن الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كأن المعنى
كلما مال إلى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى
يذبذبون قلوبهم أو دينهم أو ورائهم أو بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل
وتصلصل بمعنى وفي مصحف عبد الله متذبذبين وعن أبي جعفر مدبدبين بالدال
غير المعجمة وكأن المعنى أخذ بهم تارة في دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة
والدبة الطريقة ومنها دبة قريش وذلك إشارة إلى الكفر والإيمان
لا إلى هؤلاء إلى هؤلاء فيكونوا مؤمنين ولا إلى هؤلاء ولا منسوبين إلى هؤلاء
فيسموا مشركين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلًا يا أيها الذين
آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين لا تتشبهوا
بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام أولياء
أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانًا مبينًا حجة بينة يعني
أن موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان أنه قال
لابن أخ له خالق الفاجر والكافر وخالص المؤمن إن المنافقين في
الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرًا الطبق الذي في
قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لأنها متداركة متتابعة
بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم أدراك
جهنم لم كان المنافق أشد عذابًا من الكافر لأنه

مثله في الكفر وضم الى الكفر الاستهزاء بالاسلام واهله ومدار
الا الذين تابوا واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال
النفاق واعتصموا ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص واخلصوا
دينهم لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين فهم اصحاب
المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا
عظيما فيشاركونهم فيه ويساهمونه
من المنافق
في الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية من ارتكب ما يفسق
به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر ومنه قوله
صلى الله عليه وآله وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم
انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقيل لحذيفة
من المنافق قال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل
على السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده
من النفاق وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح وقد
عمم وقلد واعطي سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وآمنتم ايتشفى من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب
به نفعا او يستدفع به ضررا كما في حقكم وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء فان
قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب
مثيبا موفيا اجوركم
بحق شكركم وايمانكم
لم تقدم الشكر على الايمان لان العاقل ينظر الى ما عليه
من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا
انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر
متقدما على الايمان وكأنه اصل التكليف ومداره
لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم استثني من الجهر
الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما
فيه من السوء وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد

واصلحوا
كما في نسخة

فاولئك

كما يفعل الملوك بعداتهم
وهو الغني الذي لا يجوز
عليه شيء من ذلك

ظلمه وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية
فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع اي ولكن الظالم
راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا كانه
قيل لا يحب الله بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو
بمعنى ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا
الله وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا
عن سوء ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على
وجه الانتصار بعد ما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه
والافضل عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير
واخفاءه تشبيها للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على
منزلته وان له مكانا في الخير وسيطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود
بذكر ابداء الخير واخفائه قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يعفو
عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله
ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله
ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان
يتخذوا بين ذلك سبيلا جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله او
آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا
لما ذكرنا من العلة ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا
وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ
بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة
وقد اخطأوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال اولئك هم
الكافرون حقا اي هم الكاملون في الكفر وحقا تأكيد لمضمون الجملة
كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او
صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك
واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله و

للكافرين

يفرقوا بين احد منهم كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي
شيئين فصاعدا ان احدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما
وجمعهما تقول ما رايت احدا فتقصد العموم الا تراك تقول الا بني فلان
والا بنات فلان والمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة
ومنه قوله تعالى لستن كاحد من النساء سوف نؤتيهم
اجورهم معناه ان ايتاءها كائن لا محالة وان تاخر فالغرض به توكيد
الوعد وتثبيته لا كونه متاخرا وكان الله غفورا رحيما يسألك
اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء روي ان كعب
بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ان كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما
اتى به موسى فنزلت وقيل كتابا الى فلان وكتابا الى فلان بانك رسول الله
وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال
الحسن ولو سألوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية فقد
سألوا موسى جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما سألوه منك
فقد سألوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد
من آبائهم في ايام موسى وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم
وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت فقالوا ارنا الله جهرة
عيانا بمعنى ارناه نره جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم بسبب سؤالهم
الرؤية ولو طلبوا امرا جائزا لما سموا ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة
كما سأل ابرهيم صلوات الله عليه ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما
ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق ثم اتخذوا
العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك
وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين
امرهم بان يقتلوا انفسهم حتى تاب عليهم فاطاعوه واحتبوا
بافنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين ورفعنا

فوقهم الطور بميثاقهم بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم
ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا
في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا وقد اخذ منهم الميثاق
على ذلك وقولهم سمعنا واطعنا ومعاهدتهم على ان يتموا عليه ثم
نقضوه بعد ولا تعتدوا ولا تعدّوا بادغام التاء في الدال فبما
نقضهم فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد بم تعلقت الباء وما
معنى التوكيد اما ان تتعلق بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم
وكفرهم بآيات الله
وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف فعلنا بهم ما
فعلنا واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين
هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق
ان العقاب او تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه
من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك هلا زعمت ان المحذوف
الذي تعلقت به الباء ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها بكفرهم
فلا يؤمنون الا قليلا فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع
الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم لم يصح هذا التقدير
لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا
غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا اي في اكنة لا يتوصل اليها شيء من
الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لو شاء الرحمن
ما عبدناهم وكمذهب المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها
الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا
ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله وبكفرهم و
قولهم على مريم بهتانا عظيما علام عطف قوله وبكفرهم
الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها
بكفرهم كلاما تبع قوله وقولهم قلوبنا غلف على وجه الاستطراد

ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم
معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب او على
بعده وهو قوله وبكفرهم بايات الله وقوله بكفرهم
منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلى الله عليهم اجمعين
فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على المعطوف عليه كانه
قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بايات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا
غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى
عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا
كذا والبهتان العظيم هو التزنية وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم
رسول الله كانوا كافرين بعيسى عليه السلام اعداء له عامدين
لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقوله
قالوا انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله قالوه على وجه
الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
ويجوز ان يكون من وضع الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا
لعيسى عليه السلم عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا بمثله كقوله
ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا وما قتلوه
وما صلبوه ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه
وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم
العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير
فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره
من صحبة اليهود فقال رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه
وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل
بيت عيسى ورفع عيسى والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه وقتلوه وهم
يظنون انه عيسى وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ثم اختلفوا
فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه قد قتل وصلب وقال

لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى الله عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم

بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا
فاين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن
بدن صاحبنا وشبه مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح
فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وان اسندته الى المقتول فالمقتول
لم يجر ذكره قلت هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل
اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول
لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه ما لهم به من علم الا اتباع الظن
استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس
العلم اي ولكنهم يتبعون الظن وقد وصفوا بالشك والشك
ان لا يترجح احدهما فكيف يكونون شاكين ظانين اريد انهم
شاكون ما لهم به من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك
وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما
وما قتلوه قتلا يقينا او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم
انا قتلنا المسيح او يجعل يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه كقولك وما قتلوه حقا
اي حق انتفاء قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما
اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف
الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم
وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته جملة قسمية
واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا
ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها
والمعنى وما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه
عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه
لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج اية ما قراتها الا تخالج في نفسي
شيء منها يعني هذه الاية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب
عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة

الظن
وقت التكليف

دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله
فيؤمن به انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا
فاستوى جالسا ونظر الي وقال ممن قلت قلت حدثني محمد بن علي ابن الحنفية
فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من
معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الى ان تقول حدثني محمد بن علي ابن
الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية
وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه
قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال ~~فان اتاه رجل فضرب عنقه~~ قال
وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهواء
ولا تخرج روحه حتى يؤمن به ويدل عليه قراءة ابي الا ليؤمنن به قبل موتهم
لان احدا لا يصلح للجمع ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل
موتهم بضم النون على معنى وان منهم احد الا سيؤمنون به قبل موتهم
فائدة الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند
المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به في
اوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله ويوم القيمة
يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى
بانهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم الا ليؤمنن
بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله
روي انه ينزل من السماء في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب
الا ليؤمنن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله
في [زمانه] المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور
مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض
اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويحتمل ان يراد انه
لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم
في ذلك ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم

وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه واله وسلم
فبظلم من الذين هادوا فباي ظلم منهم حرمنا عليهم طيبات احلت
لهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم
من الكفر والكبائر العظيمة والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكر في قوله
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما
اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم و
غيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم
الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة التي
كانوا ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب واعتدنا للكافرين
منهم عذابا اليما لكن الراسخون في العلم منهم يريد من آمن منهم
كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتبصرون
والمؤمنون يعني المؤمنين منهم او المؤمنون من المهاجرين و
الانصار وارتفع الراسخون على الابتداء ويؤمنون خبره يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة نصب على
المدح لبيان فضل الصلوة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة
وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما
التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في
النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه ان السابقين الاولين الذين
مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام
وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم
وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على ما انزل اليك اي يؤمنون
بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبياء وفي مصحف عبد الله والمقيمون
بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي والمؤتون
الزكوة والمؤمنون واليوم الاخر اولئك سنؤتيهم
اجرا عظيما انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسولا

الله صلى الله عليه واله وسلم

ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه
كشان سائر الانبياء الذين سلفوا كما اوحينا الى نوح والنبيين
من بعده واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمن
وآتينا داود زبورا ورسلا نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا
ونبانا وما اشبه ذلك او بما فسره قد قصصناهم عليك ورسلا لم
نقصصهم عليك وفي قراءة ابي ورسل قد قصصناهم عليك من قبل و
رسل وكلم الله موسى تكليما وعن ابرهيم ويحيى بن وثاب انهما قرءا وكلم
الله بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله
موسى باظفار المحن ومخالب الفتن رسلا مبشرين ومنذرين الاوجه ان ينتصب
على المدح ويجوز انتصابه على التكرير لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل كيف يكون للناس قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه
الله من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة الا بالنظر في تلك ولا عرف
انهم رسل الله الا بالنظر الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على
النظر كما ترى علماء اهل العدل والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من تفصيل امور
الدين وساير احوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعلة
وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة
الغفلة وينبهنا لما وجب الانتباه له وكان الله عزيزا حكيما لكن الله
يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون
قرأ السلمي لكن الله يشهد بالتشديد الاستدراك لا بد له من مستدرك
فما هو في قوله لكن الله يشهد لما سال اهل الكتاب انزال الكتاب من
السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله
يشهد بمعنى انهم لا يشهدون لكن الله يشهد وقيل لما نزل انا اوحينا اليك
قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل
اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات وشهادة

الملائكة شهادتهم بانه حق وصدق يجابون لو قالوا بم
يعلم ان الملائكة يشهدون بذلك يجابون بانه يعلم بشهادة
الله لانه لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته لان شهادتهم تبع
لشهادته ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله
معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه على
نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة
لانه بيان للشهادة وان شهادته لصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت للقدر
وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل انزله وهو
عالم بانه حقيق به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة
يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن اي قوله [illegible] رصدا الاية
الى قوله واحاط بما لديهم والاحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وان
لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا قل اي شيء اكبر شهادة
قل الله شهيد ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا
بعيدا ان الذين كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي او كان بعضهم
كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب الكبائر لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا
لهما الا بالتوبة لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق
جهنم خالدين فيها ابدا لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى
الى جهنم او لا يهديهم يوم القيامة الا طريقها وكان ذلك على الله يسيرا
اي لا صارف له عنه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم
فآمنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم
على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم
اي اقصدوا او ايتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو
الايمان والتوحيد وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض
وكان الله عليما حكيما يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم
غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت

النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها ولا تقولوا على الله الا
الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله
وكلمته القاها الى مريم وروح منه وقرأ جعفر بن محمد
المسيح بوزن السكيت وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته
وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح
لذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة
من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة ومعنى القاها
الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا
ثلثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد ثلثة خبر مبتدأ محذوف
فان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم
الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب
الذات وباقنوم الابن العلم وباقنوم روح القدس الحيوة فتقديره الله
ثلثة والا فتقديره الالهة ثلثة والذي يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله
والمسيح ومريم ثلثة آلهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى الى قوله
أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح
ابن الله والمستفيض عنهم انهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من
الام ويدل عليه قوله انما المسيح بن مريم فاثبت انه ولد مريم اتصل بها
اتصال الاولاد بامهاتهم وان اتصاله بالله عز وجل من حيث انه رسوله
وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير اب فنفى ان يتصل به
اتصال الابناء بالآباء وقوله سبحانه ان يكون له ولد وحكاية
الله اوثق من حكاية غيره ومعنى سبحانه ان يكون له ولد اسبحه تسبيحا
من ان يكون له وقرأ الحسن إن يكون بكسر الهمزة ورفع النون اي سبحانه
ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان له ما في السموات وما في الارض
بيان لتنزهه عما ينسب اليه يعني ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون
بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو متعال عن

الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح لن يأنف
ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك
ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا
واعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل
وميكائيل واسرافيل ومن في طبقتهم من اين دل قوله ولا الملائكة
المقربون على ان المعنى ولا من فوقه من حيث ان علم المعاني لا يقتضي
غير ذلك وذلك ان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في
رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية
ولا من هو ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من
العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم
ارفع الملائكة درجة واعلاهم منزلة ومثاله قول القائل وما مثله ممن يجاود
ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره لا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو
فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن
ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرأ علي رضي الله
عنه عبيدا لله على التصغير وروي ان وفد نجران قالوا يا رسول الله لم
تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول
انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار ان يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت اي
لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف
لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به علام عطف قوله
ولا الملائكة لا يخلو اما ان يعطف على المسيح او على اسم يكون او على المستتر
في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك مررت برجل
عبد ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف
عن الغرض وهو ان المسيح لا يأنف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين
بالعبودية وان يعبد الله هو ومن فوقه قد جعلت الملائكة وهم
جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه فيه وجهان احدهما ان

اي ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادًا لله فحذف ذلك لدلالة عبدًا لله عليه اختصارًا واما اذا عطفتهم على الضمير في عبدًا فقد طاح هذا السوال **وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا** وقرئ فسنحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا**

التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان حذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلًا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيعذب بالحسرة اذا راى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله **يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا** البرهان والنور المبين القرآن او اراد بالبرهان دين الحق او رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ** في ثواب مستحق وتفضل **وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ** الى عبادته **صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا** وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم **يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ** روي ان آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختًا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضًا فعاده رسول الله صلى الله عليه وآله

فكيف اصنع في مالي فنزلت **إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ** ارتفع امرؤ بفعل يفسره الظاهر ومحل **لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ** الرفع على الصفة لا النصب على الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد **وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ** والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت دون البنت لا في مذهب ابن عباس وبالاخت التي هي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله تعالى فرض لها النصف وجعل اخاها العصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للام فلها السدس في آية المواريث يسوي بينها وبين اخيها **وَهُوَ يَرِثُهَا** واخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها **إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ** اي ابن لان الابن يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز ان يدل عليه حكم انتفاء الولد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعًا فكان ذكر انتفاء احدهما دالًا على انتفاء الآخر **فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ** الى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة اصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورًا واناثًا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك فكما انث ضمير من لمكان تانيث الخبر كذلك ثني وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبًا لحكم الذكور **يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا** مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا **وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرا

سورة النساء فكانما تصدق على كل مومن ومومنة وورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم وبرئ من الشرك

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود يقال وفى بالعهد واوفى به ومنه والموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا وهي عقود الله التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يتعاقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله احلت لكم وما بعده بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع في البحر والبر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كانهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه غير محلي الصيد نصب على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود وقوله وانتم حرم حال عن محلي الصيد كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا يحرج عليكم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة

ومصلحة والحرم جمع حرام وهو المحرم يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام الشهر الحرام شهر الحج والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله تعالى من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدي في جمع جدية السرج والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر او غيره وآمين المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون به الناس عن الحج وان يتعرض للهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كقوله وجبريل وميكال كانه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني ان ينهى عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواقعها ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو الثواب ورضوانا وان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا

للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا محلوا نسخ بقوله
واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسّر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان
بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على سداد من دينهم وان
الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقراءة عبد الله ولا آمّي البيت
الحرام على الاضافة وقرا حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب
المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم
كانه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء
وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ واذا احللتم يقال
حلّ المحرم واحلّ المحرم ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن
المسجد الحرام ان تعتدوا جرم يجري مجرى كسب في تعديه الى مفعول
واحد واثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته
واجرمته ذنبا على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم
اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء واول المفعولين
على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا وان صدوكم بفتح
الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض وقرئ بسكون
النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم
عليه وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم
ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء
الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على
العفو والاغضاء ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام و
التشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى كل اثم وعدوان فيتناول
بعمومه والانتصار واتقوا الله ان الله شديد العقاب حرمت
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير كان اهل الجاهلية يأكلون
هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف انفها والفصيد وهو الدم في المباعر

يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما اهل لغير الله به وهو
قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة التي خنقوها حتى ماتت
او انخنقت بسبب والموقوذة التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى ماتت
والمتردية والتي تردت من جبل او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها
اخرى فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه الا ما ذكيتم الا ما
ادركتم ذكوته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب اوداجه وقراءة
عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن ابي عمرو السبْع بسكون الباء وقراءة
ابن عباس واكيل السبع وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت
يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها
تسمى الانصاب والنصب واحد قال الاعشى وذا النصب المنصوب لا تنسكنه
وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصْب بسكون وان تستقسموا بالازلام
وحرم عليكم الاستقسام بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا
او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب
على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل فان خرج الامر
مضى لطيته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا
فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لم يقسم له بالازلام
وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة ذلكم فسق
الاشارة الى الاستقسام او الى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم
تناول الميتة وكذا وكذا … لم كان استقسام المسافر وغيره
بالازلام ليعرف الحال فسقا … لانه دخول في علم الغيب الذي استأثر
به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله
واعتقاد ان اليه طريقا والى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني ربي افتراء
على الله وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة و
ان كان اراد بالرب الصنم فقد كانوا يجيلونها عند انصابهم فامره
ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل

به وبدانيه من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وانت
اليوم اشيب ولا يريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم يومك
ونحوه الآن لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على جذم وقيل اراد يوم
نزولها نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع يئس
الذين كفروا من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه وان يرجعوا
محللين لهذه الخبائث بعد ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه
لان الله تعالى وفى بوعده من اظهاره على الدين كله فلا تخشوهم بعد
اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين
بعد ما كانوا غالبين واخشون واخلصوا الخشية لي اليوم اكملت لكم
دينكم وكفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول
الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم
الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او اكملت لكم ما تحتاجون اليه
في تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس
واصول الاجتهاد وأتممت عليكم نعمتي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين
وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف
بالبيت عريان واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام
ورضيت لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم من بين الاديان واذنتكم بانه
هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا ان هذه استكمال
عن الفصل قوله فمن اضطر متصل بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق
اعتراض اكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم الخبائث من جملة الدين
الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل
ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها في مخمصة في مجاعة غير متجانف
لاثم غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم
لا يؤاخذه بذلك
يسألونك ماذا احل لهم في السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده
كانه قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا

احل لنا حكاية لما قالوه ولان يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد
ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدأ واحل لهم خبره
كقولك اي شيء احل لهم من المطاعم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم
من خبيثات المطاعم والماكل سألوا عما احل لهم منها فقيل قل احل لكم
الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه في كتاب او سنة
او قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات
وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح
الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر و
البازي والشاهين مكلبين والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها
للصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التأديب والتثقيف
واشتقاقه من الكلب لان التأديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته
في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم
سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة
يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم
فما فائدة هذه الحال وقد استغني عنها بعلمتم فائدتها ان
يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب تعلمونهن حال
ثانية او استئناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ علما ان لا يأخذه الا من
اقتل اهله علما وانحرهم دراية واغوصهم على لطائفه وحقائقه وان
احتاج الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع
ايامه وعض عند لقاء النحارير انامله مما علمكم الله من علم التكليب
لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد
بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد
عليه وان لا يأكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف وافعل وفعل يشتركان كثيرا
فكلوا مما امسكن عليكم وهو الامساك على صاحبه ان لا يأكل منه
لقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعدي بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما

الدواب

امسك على نفسه وعن علي رضي الله عنه اذا اكل البازي فلا تاكل منه و
فرق العلماء فاشترطوا في سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترط
في سباع الطير ومنهم من لم يشترط ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين ا
الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة واذا اكل
ثلثيه وبقي ثلثه وقد ذكرت اسم الله فكل   الام رجع الضمير في قوله
واذكروا اسم الله عليه   اما ان يرجع الى مما امسكن على
معنى وسموا عليه اذا ادركتم ذكوته او الى ما علمتم من الجوارح اي
سموا عليه عند ارساله   واتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم احل
لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم
وهي الذبائح وقيل جميع مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى
وعن علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى بني تغلب وقال ليسوا على النصرانية
ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي وعن ابن عباس
انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين
وبه اخذ ابو حنيفة واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب في اخذ
الجزية عند ابي حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن الزبور
ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن الزبور ويعبدون النجوم فهؤلاء
ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في
اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روي عن
ابن المسيب انه قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر الله
ويذبح فلا باس وقد اساء   وطعامكم حل لهم   فلا عليكم ان تطعموهم
لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم   والمحصنات
من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا
آتيتموهن اجورهن   الحرائر او العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين
لنطفهم والاماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح
غير العفائف منهن واما الاماء من الكتابيات فعند ابي حنيفة كالمسلمات

المؤمنات

خالفه الشافعي وكان لا يرى الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات
حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء
قد اكثر الله المسلمات وانما رخص لهم يومئذ   محصنين   اعفاء   غير مسافحين
ولا متخذي اخدان   صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى   ومن يكفر بالايمان
بشرائع الاسلام وبما احل الله وحرم   فقد حبط عمله وهو في الآخرة
من الخاسرين   يا ايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا
وجوهكم   كقوله فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله وكقولك
اذا ضربت غلامك فهون عليه في ان المراد ارادة الفعل   لم جاز
ان يعبر عن ارادة الفعل بالفعل   لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل
عليه وارادته له وهي قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة
على الفعل بالفعل في قولهم لا يطير والاعمى لا يبصر اي لا يقدران على الطيران
والابصار ومنه قوله تعالى وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين
على الاعادة كذلك عبر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل مسبب
عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز
الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر
عن الفعل المبتدا الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب
عنه وقيل معنى قمتم الى الصلوة قصدتموها لان من توجه الى الشيء
وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه
ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلوة محدث او غير محدث
فما وجهه   يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وان يكون
للندب وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء بعده انهم
يتوضؤن لكل صلوة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من توضا على طهر
كتب الله له عشر حسنات وعنه صلى الله عليه وآله وسلم انه يتوضا
لكل صلوة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء
واحد فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يعني بيانا

للجواز هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء
على وجه الايجاب ولهؤلاء على وجه الندب لا لان تناول الكلمة لمعنيين
مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا
اول ما فرض ثم نسخ وايديكم الى المرافق الى تفيد الغاية مطلقا واما دخولها في الحكم
وخروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى
ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت
الميسرة فيه لكان منظرا في كلتا الحالتين معسرا وموسرا وكذلك ثم اتموا
الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك
حفظت القرآن من اوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله و
قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه لا يسرى
به الى بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله الى المرافق والى الكعبين لا دليل فيه
على احد الامرين فاخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولهما في الغسل
واخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاهما وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه كان يدير الماء على مرفقيه وامسحوا برؤسكم المراد الصاق المسح بالراس
وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه
وقد اخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف الرواية
واخذ الشافعي باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة
ببيان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو ما روي انه مسح على ناصيته
وقدر الناصية بربع الراس وارجلكم قرأ جماعة وارجلكم بالنصب فدل
على ان الارجل مغسولة فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح
الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها
فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا
لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل الى
الكعبين فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب
له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه انه اشرف على فتية من قريش فرا

في وضوءهم تجوز فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا ي
غسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن عمر رض انه رأى رجلا يتوضأ فترك
باطن قدميه فامره ان يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن ابن عمر
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتوضأوا وعقابهم بيض
تلوح فقال ويل للاعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب
وعن عائشة رض لان تقطعا احب الي من ان امسح على القدمين بغير
خفين وعن عطاء والله ما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس مسح على
القدمين وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فاوجب المسح وعن
الحسن انه جمع بين الامرين وروي عن الشعبي نزل القرآن بالمسح والغسل
سنة وقرأ الحسن وارجلكم بالرفع بمعنى وارجلكم مغسولة الى
الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى
او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء
فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
منه وقرئ فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وكذلك ليطهركم وفي
قراءة عبد الله رض فأموا صعيدا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج
في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم ولكن يريد ليطهركم
بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء وليتم نعمته عليكم برخصه
انعامه عليكم بعزائمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم واذكروا
نعمة الله عليكم وهي نعمة الاسلام وميثاقه الذي واثقكم
به اذ قلتم سمعنا واطعنا اي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق
الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وآله
على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا و
قالوا سمعنا واطعنا وقيل هو ميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان
واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور يا ايها الذين آمنوا

كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا عدي يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كأنه قيل ولا يحملنكم ويجوز أن يكون قوله أن تعتدوا بمعنى على أن تعتدوا فحذف مع أن وتحوه قوله صلى الله عليه وآله وسلم من اتبع على ملي فليتبع لأنه بمعنى أحيل وقرئ شنآن بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى ولا يحملنكم بغضكم للمشركين على أن تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بأن تنتصروا منهم وتتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة أو قذف أو قتل أولاد أو نساء أو نقض عهد وما أشبه ذلك اعدلوا هو أقرب للتقوى نهاهم أولا أن تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استأنف فصرح لهم بالأمر بالعدل تأكيدا وتشديدا ثم استأنف فذكر لهم وجه الأمر بالعدل وهو قوله أقرب للتقوى أي العدل أقرب إلى التقوى وأدخل في مناسبتها أو أقرب للتقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على أن وجوب العدل مع الكفار الذين هم أعداء الله إذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه وأحباؤه واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كأنه قيل قدم لهم وعدا فقيل أي شيء وعده لهم فقيل لهم مغفرة وأجر عظيم أو يكون على إرادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة أو على إجراء وعد مجرى قال لأنه ضرب من القول أو يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كأنه قيل وعدهم هذا القول وإذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والأجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيامة فيسرون به ويستروحون إليه ويهون عليهم السكرات والأهوال قبل الوصول إلى الثواب والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم

للتقوى

روي أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه قاموا إلى صلاة الظهر يصلون معا بعسفان في غزوة ذي أنمار فلما صلوا ندموا ألا كانوا أكبوا عليهم فقالوا إن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم يعنون صلاة العصر وهموا بأن يوقعوا بهم إذا قاموا لها فنزل جبريل بصلاة الخوف وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنه يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن أمية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا أبا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فأجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش إلى رحى عظيمة يطرحها عليه فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلاحه بشجرة فجاء أعرابي فسل سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم أقبل عليه فقال من يمنعك مني فقال الله ثلاثا فشام الأعرابي السيف فصاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه فأخبرهم وأبى أن يعاقبه أن يبسطوا إليكم أيديهم يقال بسط لسانه إذا شتمه وبسط إليه يده إذا بطش به ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها إلى المبطوش به ألا ترى إلى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف أيديهم عنكم فمنعها أن تمد إليكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا لما استقر بنو إسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون أمرهم الله بالمسير إلى أريحا أرض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم إني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا إليها وجاهدوا من فيها فإني ناصركم وأمر موسى بأن يأخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني إسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون

قالهام

فرأوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم
موسى عليه السلام ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط
يهودا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف وكانا من النقباء و
النقيب الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه
يتعرفها وقال الله اني معكم اي ناصركم ومعينكم لئن اقمتم الصلوة و
آتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم نصرتموهم وقويتموهم ومنعتموهم
من ايدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد
وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والعزر والتأزير من
واد واحد ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا اي قويا وقيل معناه ولقد اخذ
ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل
ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم
وفي لاكفرن جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا
بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم واقرضتم الله قرضا حسنا
لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من
تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل
من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سواء السبيل اجل ولكن
الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة
فاذا ازدادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى فبما نقضهم ميثاقهم
لعناهم طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل
ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم
الالطاف حتى قست قلوبهم او امهلناهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى
قست وقرأ عبد الله قسية اي رديئة مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو
من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه
يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء اخوان في الدلالة على اليبس
وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع يحرفون الكلم عن مواضعه بيان لقسوة

قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه ونسوا
حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به من التورية
يعني ان تركهم واعراضهم عن التورية اغفال لحظ او قست قلوبهم و
بدت فحرفوا التورية وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد
ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب انفسهم
مما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبيان نعته ولا
تزال تطلع اي هذه عادتهم وهجيراهم وكان عليها اسلافهم كانوا
يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين
على حربك ويهمون بالفتك بك وان يسموك على خائنة منهم اي خيانة او
فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خائنة يقال رجل خائنة كقولهم رجل
راوية للشعر للمبالغة قال حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل
الاصبع وقرئ على خيانة منهم الا قليلا منهم وهم الذين آمنوا منهم فاعف
عنهم واصفح بعث على متاركتهم وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما
سلف منهم ان الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا انا نصارى
اخذنا ميثاقهم من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى اي
مثل ميثاقهم ممن ذكر قبلهم من قوم موسى اي مثل ميثاقهم بالايمان بالله و
بالرسل وبافعال الخير واخذنا من النصارى ميثاق انفسهم بذلك
وهلا قيل من النصارى لانهم انما سموا انفسهم بذلك
ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا
بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان فنسوا حظا
مما ذكروا به فاغرينا فالصقنا والزمنا من غري بالشيء اذا لزمه
ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيمة بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم و
بين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا او يلبسكم شيعا
ويذيق بعضكم بأس بعض وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون

ينبئهم [illegible]

يا أهل الكتاب خطاب لليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب من نحو صفة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن نحو الرجم ويعفوا عن كثير
مما تخفونه لا تبينه اذا لم تضطر اليه مصلحة دينية ولم تكن فيه فائدة و
لم تكن فيه فايدة الا اقتضاء حكم وصفته مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم
وما فيه احياء شريعة او اماتة بدعة ويعفوا عن كثير منكم لا يؤاخذه
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يريد القرآن لكشفه ظلمات
الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه ظاهر
الاعجاز يهدي به الله من اتبع رضوانه من آمن منهم سبل السلام طرق
السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله ويخرجهم من الظلمات
الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر
الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم معناه بت القول على ان
حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل
ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدي اليه حيث اعتقد وانه يخلق ويحيي
ويميت ويدبر امر العالم قل فمن يملك من الله شيئا فمن يمنع من قدرته
ومشيته شيئا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه من دعوى
الها من المسيح وامه دلالة على ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد ومن
في الارض جميعا واراد بعطف من في الارض على المسيح وامه لانهما من
جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم في البشرية يخلق ما يشاء اي من ذكر
وانثى ويخلق من انثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى
كما خلق آدم او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يدي عيسى معجزة له وكاحياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب اليه ولا
الى البشر المجري على يده ولله ملك السموات والارض وما بينهما
يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله اشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابن خبيب

وهو عبدالله بن الزبير الخبيبون كما قيل رهط مسيلمة نحن ابناء الله
ويقول اقرباء الملك ذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال
المؤمنون من آل فرعون لكم الملك اليوم واحباؤه قل فلم يعذبكم
بذنوبكم فان صح انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون ذنوبكم
وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار اياما معدودة على
زعمكم ولو كنتم ابناء الله لكنتم من جنس الاب غير فاعلين للقبائح
ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم احباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم
بل انتم بشر ممن خلق من جملة من خلقه من البشر يغفر لمن يشاء وهم اهل الطاعة
ويعذب من يشاء وهم اهل الطاعة ولله ملك السموات والارض وما
بينهما واليه المصير يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين
لكم اما ان يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهوره او
ما ورد الرسول لتبيينه او يقدر مما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره
او لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال اي مبينا
لكم على فترة من الرسل متعلق بجاءكم اي جاءكم على حين فتور من
ارسال الرسل وانقطاع من الوحي ان تقولوا ما جاءنا من بشير
ولا نذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان بين عيسى
ومحمد صلى الله عليهما وسلم خمسمائة وستون وقيل ستمائة وقيل اربعمائة
ونيف وستون وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى عليهما السلام الف
وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام اربعة
ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي والمعنى الا
عليهم وان الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي احوج ما يكونون
اليه ليهشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب الى الرحمة و
تلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم
والله على كل شيء قدير واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في امة

ما بعث في بني اسرائيل **وجعلكم ملوكا** لانه ملّكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق **وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين** من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور وقيل اراد عالمي زمانهم **يا قوم ادخلوا الارض المقدسة** ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن وقيل سماها الله لابرهيم عليه السلام ميراثا لولده حين رفع ابرهيم على الجبل فقيل له انظر فلك ما ادرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المومنين **التي كتب الله لكم** قسمها لكم وسماها او خط في اللوح انها لكم **ولا ترتدوا على ادباركم** ولا تنكصوا على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا قيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز ان يراد لا ترتدوا على دينكم بمخالفتكم امر ربكم وعصيانكم نبيكم **فتنقلبوا خاسرين** فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة **قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون** الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد **قال رجلان** هما كالب ويوشع **من الذين يخافون** الله ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين ويجوز ان يكون الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم **انعم** … **عليهما** بالايمان فآمنا **ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون**

قالا لهم ان العمالقة اجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا اليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرأ يُخافون بالضم شاهدة له وكذلك انعم الله عليهما كانه قيل من المخوفين وقيل هو من الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة او يخوفهم وعيد الله بالعقاب ما محل انعم الله عليهما … ان انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان فرفع وان جعل كلاما معترضا فلا محل له من اين علما انهم غالبون … من جهة اخبار موسى بذلك وقوله كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة وما تبينا من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر اعدائه وما عرفا من حال الجبابرة والكاف باب قريتهم **وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مومنين قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها** بيان للابد **فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون** يحتمل ان لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني يريد مجرد الارادة والقصد للجواب كانهم قالوا اريدا قتالهم والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة لجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسالوا بها روية الله جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكى ان موسى وهارون خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولامر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا العصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به الا هارون **قال رب اني لا املك** لنصرة دينك **الا نفسي واخي** وهذا من البث والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وعن علي رضي الله عنه انه يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما اجابه الا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال اين تقعان

مما أريد ذكره إعراب أخي وجوه أن يكون منصوبا عطفا على نفسي وعلى الضمير في
إني بمعنى ولا أملك إلا أخي نفسي وأخي لا يملك إلا نفسه ومرفوعا عطفا على نفسي
وهو ضعيف لقبح العطف على الضمير المجرور إلا بتكرير الجار   أما كان معه الرجلان
المذكوران   كأنه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن إلى ثباتهما لما ذاق
على طول الزمان واتصال الصحبة من أحوال قومه وتلونهم فلم يذكر إلا النبي المعصوم
الذي لا شبهة في أمره ويجوز أن يقول ذلك لفرط ضجره عندما سمع منهم تقليلا
لمن يوافقه ويجوز أن يريد ومن يؤاخيني على ديني فافرق بيننا وبين القوم
الفاسقين فافصل بيننا وبينهم بأن تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون
وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فإنها محرمة على وجه التسبيب أو فباعد
بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين قال فإنها فإن
الأرض المقدسة محرمة عليهم أربعين سنة لا يدخلونها ولا يملكونها
كيف يوفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم   فيه وجهان أحدهما أن
يراد كتبها لكم بشرط أن تجاهدوا أهلها فلما أبوا الجهاد قيل فإنها محرمة عليهم
والثاني أن يراد فإنها محرمة عليهم أربعين سنة فإذا مضت الأربعون كان ما كتب
فقد روي أن موسى عليه السلام سار بمن بقي من بني إسرائيل وكان يوشع على مقدمته
ففتح فيها ما شاء الله ثم قبض وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فأخبرهم بأنه نبي الله
وأن الله أمره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم إلى أريحا وقتل الجبابرة
وأخرجهم وصار الشام كله لبني إسرائيل وقيل لم يدخل الأرض المقدسة أحد
ممن قال إنا لن ندخلها هلكوا في التيه ونشأت نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا
الجبارين ودخلوها والعامل في الظرف وهو قوله إما محرمة وإما يتيهون
والمعنى يتيهون في الأرض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة
التي يتاه فيها روي أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين
حتى إذا سئموا وأمسوا إذا هم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من حر
الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم ثوب كالظفر يطول
بطوله   فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغير ذلك وهم معاقبون

كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة
ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتأدب ويتثقف ولا يقطع
عنه معروفه وإحسانه   هل كان معهم في التيه موسى وهارون
عليهما السلام   اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لأنه كان عقابا وقد
طلب موسى إلى ربه أن يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم إلا أنه
كان ذلك روحا لهما وسلامة لا عقوبة كالنار لإبراهيم وملائكة العذاب
وروي أن هارون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع
أريحا بعد موته بثلاثة أشهر ومات النقباء في التيه بغتة إلا كالب ويوشع
فلا تأس على القوم الفاسقين فلا تحزن عليهم لأنه ندم على الدعاء عليهم
وقيل إنهم أحقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم   واتل عليهم نبأ
ابني آدم هما ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل أوحى الله إلى آدم أن يزوج
كل واحد منهما توأمة الآخر كانت توأمة قابيل أجمل واسمها إقليما فحسد
عليها أخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن أيكما قبل تزوجها فقبل قربان
هابيل بأن نزلت نار فأكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل
وقيل هما رجلان من بني إسرائيل بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة أو اتله
نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الأولين أو بالغرض الصحيح وهو تقبيح
الحسد لأن المشركين وأهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويبغون عليه أو واتل عليهم وأنت محق صادق   إذ قربا نصب بالنبأ
أي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز أن يكون بدلا من النبأ
أي اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف قربانا
القربان اسم ما يتقرب به إلى الله من نسيكة أو صدقة كما أن الحلوان
اسم ما يحلى أي يعطى ويقال قرب صدقة وتقرب بها لأن تقرب مطاوع
قرب قال الأصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب فتقبل
من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل
الله من المتقين   كيف كان قوله إنما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله

لاقتلنك لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل
قال انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني
وما لك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي السبب في القبول
فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله تعالى لا يقبل
الا من مؤمن متق فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن
عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت
قال اني اسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك
لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب
العالمين قيل كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم
له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره
اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار ان تحتمل اثم قتلي
لك لو قتلتك واثم قتلك لي كيف تحتمل اثم قتله له ولا تزر وازرة وزر
اخرى اراد بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قراءة فلان وكتبت
كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله
عليه السلام المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم على ان البادي
اثمه ومثل اثم صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان الاثم محطوط عن صاحبه
معفو عنه لانه مكافئ دافع عن عرضه الاترى الى قوله ما لم يعتد المظلوم
لانه اذا خرج عن حد المكافاة واعتدى لم يسلم فحين كف هابيل عن
قتل اخيه فلم يخرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فاين الاثم حتى
يحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان هو معتد فهو يحمل مثل الاثم
المقدر كانه قال اني اريد تحمل اثمي لو بسطت اليك يدي وقيل باثم قتلي
الذي من اجله لم يتقبل قربانك فكيف جاز ان يريد شقاوة اخيه
وتعذيبه بالنار كان ظالما وجزاء الظالم حسن جاز ان يراد الاترى
الى قوله وذلك جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله جاز ان يريده
لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق

لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت
ما انا بباسط ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف ولذلك اكده
بالباء المؤكدة للنفي فطوعت له نفسه قتل اخيه فوسعته له ويسرته من
طاع له المرتع اذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان ان يكون مما جاء
به من فاعل بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه
فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله فاصبح
من الخاسرين قيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء
وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم فبعث الله غرابا يبحث في الارض روي
انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني آدم ولما قتله تركه لا يدري ما يصنع
به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره حتى اروح وعكفت عليه السباع
فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة
فقال يا ويلتى اعجزت ويروى انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن
اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروي
ان آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت
وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون من الشعر ليريه الله
او ليريه الغراب اي ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل
المجاز كيف يواري سوأة اخيه عورته وما لا يجوز ان ينكشف من جسده
والسوأة الفضيحة لقبحها قال يا قوم للسوأة السوآء اي للفضيحة العظيمة
فكنى بها عنها قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري
بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فانا اواري او التسكين
في موضع النصب للتخفيف سوأة اخي فاصبح من النادمين على قتله لما تعب
فيه من حمله وتحيره في امره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه
وسخط ابيه ولم يندم ندم التائبين من اجل ذلك بسبب ذلك وبعلته
قيل اصله من اجل شرا اذا جناه يأجله اجلا ومنه قوله واهل خباء صالح
ذات بينهم قد احتربوا في عاجل انا آجله كانك اذا قلت من اجلك فعلت

كذا اردت من ان جنيت فعله واوجبته ويدل عليه قولهم من جراك فعلته
اي من ان جررته بمعنى جنيته وذلك اشارة الى القتل المذكور اي من اجل
ذلك القتل الكبير وجره كتبنا على بني اسرائيل ومن لابتداء الغاية اي
ابتداء الكتب ونشاؤه من اجل ذلك ويقال فعلت كذا لاجل كذا وقد يقال اجل
كذا بحذف الجار وايصال الفعل قال اجل ان الله قد فضلكم وقرئ من اجل ذلك
بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها وقرأ ابو جعفر من اجل ذلك
بكسر الهمزة وهي لغة فاذا خفف كسر النون ملقيا لكسر الهمزة عليها انه من
قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص او فساد عطف
على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض وهو الشرك وقيل قطع الطريق فكأنما قتل الناس
جميعا ومن احياها ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة قتل او غرق
او حرق او هدم او غير ذلك فكأنما احيا الناس جميعا كيف شبه
الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم لان كل انسان يدلي بما يدلي به الآخر
من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله و
هتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق اذن بين الواحد والجميع في ذلك
فما الفائدة في ذكر ذلك تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ليشمئز
الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لان المتعرض
لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه
وكذلك الذي اراد احياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب
الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن
آدم ارأيت لو قتلت الناس جميعا لم يزد على ذلك [illegible] عن الحسن اكنت تطمع
ان يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به كلا انه شيء سولته لك نفسك
والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا بعد ذلك بعد ما كتبنا عليهم وبعد
مجيء الرسل بالآيات ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا
منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون يعني في القتل لا يبالون بعظمته
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول الله صلى الله عليه

ومحاربة المسلمين في حكم محاربته ويسعون في الارض فسادا مفسدين
او لان سعيهم في الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون
في الارض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له اي للفساد
ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا
من الارض نزلت في قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله صلى الله عليه وآله
فقطعوا عليهم وقيل في العرنيين فاوحى الله اليه ان من جمع بين القتل واخذ
المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ
المال ورجله لاخافة السبيل ومن افرد الاخافة نفي من الارض وقيل هذا
حكم كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا
القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ قال ابو حنيفة ومحمد
يصلب حيا ويطعن حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان
اخذوا المال او ينفوا من الارض اذا لم يزيدوا على الاخافة وعن جماعة
منهم الحسن والنخعي ان الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق
من غير تفصيل والنفي الحبس عند ابي حنيفة وعند الشافعي النفي من بلد الى بلد
لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك
وهو بلد في اقصى تهامة وناصع وهو من بلاد الحبشة ذلك لهم خزي
في الدنيا ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا
من قبل ان تقدروا عليهم استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق
خاصة واما حكم القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء ان شاؤوا عفوا
وان شاؤوا استوفوا وعن علي رضي الله عنه ان الحارث بن بدر جاءه تائبا بعد
ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة فاعلموا ان الله غفور
رحيم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة الوسيلة
كل ما يتوسل به اي يتقرب به من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعيرت
لما يتوسل به الى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي وانشد للبيد

اي الناس لا يدرون ما قدر امرهم الا كل ذي لب الى الله وسيل وجاهدوا
في سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض
جميعا ومثله معه ليفتدوا به ليجعلوه فدية لانفسهم من عذاب يوم
القيمة ما تقبل منهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم
الى النجاة منه بوجه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقال للكافر
يوم القيمة ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول
نعم فيقال قد سئلت ايسر من ذلك ولو مع ما في حيزه خبر ان
الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان هو نحو قوله هو وقيار بها
او على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز
ان يكون الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه فبم ينصب
المفعول معه لا تستدعيه لو من الفعل لان التقدير لو ثبت ان لهم ما في
الارض ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار قرا ابو واقد
ان يُخرجوا بضم الياء من اخرج ويشهد لقراءة العامة قوله وما هم بخارجين
منها وما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس يا اعمى البصر
اعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين
منها فقال ويحك اقرا ما فوقها هذا للكفار فمما لفقته المجبرة وليس باول
تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول الله
وهو بين اظهر اعضاده من قريش وانضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الامة
وبحرها بالخطاب الذي لا يجسر على مثله احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة
دليلين ناصعين ان الحديث فرية ما فيها مرية ولهم عذاب مقيم والسارق
والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كانه قيل وفيما
فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما ووجه آخر وهو ان يرتفعا بالابتداء
والخبر فاقطعوا ايديهما ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى
والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول
يضمن معنى الشرط وقرا عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة

العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه احسن من زيد فاضربه ايديهما
يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف
واريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا
ايمانهم والسارق في الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج
المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند ابي حنيفة وعند مالك والشافعي
ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه احذر من قطع يدك في درهم
جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من السارقين
من بعد ظلمه من بعد سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات فان الله يتوب
عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة واما القطع فلا تسقطه التوبة عند ابي حنيفة و
اصحابه وعند الشافعي في احد قوليه تسقطه ان الله غفور رحيم الم تعلم ان
الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله
على كل شيء قدير من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين
وقيل يسقط حد الحربي اذا سرق بالتوبة ليكون ادعى له الى الاسلام وابعد من
التنفير عنه ولا تسقطه عن المسلم لان في اقامته الصلاح للمؤمنين والحيوة ولكم
في القصاص حيوة لم قدم التعذيب على المغفرة لانه قوبل بذلك تقدم
السرقة على التوبة يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين
قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وقرئ لا يحزنك بضم الياء و
يسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في الكفر اي في اظهاره
بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك
عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب واسرع فيه الفساد بمعنى وقع
فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه اسرع شيء اذا
وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنا متعلق بقالوا وبافواههم متعلق بقالوا لا
بآمنا ومن الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون اي ومن اليهود
قوم سماعون ويجوز ان يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم
سماعون والضمير للفريقين او للذين هادوا ومعنى سماعون للكذب قابلون

لما يفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله تعالى وتحريف كتابه من قولك
الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم آخرين
لم يأتوك يعني اليهود والذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وتجافوا عنه
لما افرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة اي قابلون من الاحبار
ومن اولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك وقيل سماعون
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاجل ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا
منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه
وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر يحرفون الكلم
من بعد مواضعه يميلونه ويزيلونه عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها
فيهملونه بغير مواضع بعد اذ كان ذا مواضع يقولون ان اوتيتم هذا المحرف المزال
عن مواضعه واعلموا انه الحق واعملوا به وافتاكم محمد صلى الله
عليه وآله وسلم بخلافه واياكم واياه فهو الباطل والضلال روي
ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التورية فكرهوا
رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم
بالرجم فلا تقبلوا فامرهم بالرجم فابوا ان يأخذوا به فقال له جبرئيل اجعل بينك
وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له
ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما فقال
له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق
البحر ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه
حلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود
فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه

بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه
فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا اولئك
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم ان يمنحهم من الطافه ما يطهر به
قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون
بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما لهم في الدنيا بعد ايمانهم
لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب
اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم السحت كل
ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق
الله الربوا والربوا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين
على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا
يأخذون الرشى على الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل
اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه فاراه اياها وتكلم بحاجته فيسمع منه
ولا ينظر الى خصمه فيأكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي ان عاملا قدم من عمله
فجاءه قوم فقدم اليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له في عمله فقال اعرابي
من القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت وعن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به قيل كان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين
ان لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي انهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين فان
شاؤا حكموا وان شاؤا اعرضوا وقيل هو منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما
انزل الله وعند ابي حنيفة ان احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام فان زنى
رجل منهم بمسلمة او سرق من مسلم شيئا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم
لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو
من اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجم
اليهود قبل نزول الجزية وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا لانهم كانوا
لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم

فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة لهم شق عليهم وتكبروا اعراضه عنهم خلافا
بان يعادوه ويضاروه فامن الله سربه وان حكمت فاحكم بينهم
بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكمت بالرجم ان الله يحب المقسطين و
كيف يحكمونك وعندهم التورية فيها حكم الله تعجب من تحكيمهم لمن
لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذين يدعون
الايمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون عن حكمك
الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم
يدعون او وما اولئك بالكاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم
فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب اما ان ينتصب حالا من التورية
وهي مبتداء خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التورية
ناطقة بحكم الله واما ان لا يكون محل وتكون جملة مبنية لان عندهم ما
يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندكم بالصواب فما تصنع بغيره
انثت التورية لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوها في كلام العرب
علام عطف يحكمونك انا انزلنا التورية فيها هدى يهدي الى الحق و
العدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون الذين
اسلموا للذين هادوا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات
الجارية على القديم سبحانه لا للتفصيلة والتوضيح واريد باجرائها التعريض
باليهود وانهم بعداء من ملة الاسلام التي هي دين الانبيا كلهم في القديم
والحديث وان اليهودية بمعزل منها وقوله الذين اسلموا للذين هادوا منا على ذلك
والربانيون والاحبار والزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة
النبيين وجانبوا دين اليهود بما استحفظوا من كتاب
الله بما سالهم انبياءهم حفظه من التورية اي بسبب سؤال انبيائهم اياهم ان يحفظوه
من التغيير والتبديل ومن في كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء
لئلا يبدل والمعنى يحكم باحكام التورية النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما
الف نبي وعيسى للذين هادوا ويحملونهم على احكام التورية لا يتركونهم ان يعدلوا

عنها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حملهم على حكم الرجم وارغام
انوفهم وآبائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والاحبار
السلمون بسبب ما استحفظهم انبياءهم من كتاب الله والقضاء باحكامه
وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز ان يكون الضمير في استحفظوا للانبياء
والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله اي كلفهم الله حفظه
وان يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام عن خشيتهم
غير الله في حكومتهم وادهانهم فيها وامضائها على خلاف ما امروا به من
العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة اذية احد من القرباء والاصدقاء و
لا تشتروا بآياتي ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآيات الله واحكامه ثمنا
قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس كما حرف احبار اليهود كتاب الله
وغيروا احكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما انزل الله
مستهينا به فاولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون وصفهم بالكفر
في كفرهم حين ظلموا آيات الله استهانة وتمردوا بان حكموا بغيرها وعن ابن عباس
ان الظالمين والكافرين والفاسقين اهل الكتاب وعنه نعم القوم انتم ما كان
من حلو فلكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم
به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في اهل الاسلام والظالمون
في اهل الاسلام اليهود في غيرهم وعن حذيفة انتم اشبه الامم سمتا ببني اسرائيل
لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون
العجل ام لا وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين
والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن في مصحف ابي وانزل
الله على بني اسرائيل فيها وفيه وان الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئ
مرفوعة ومنصوبة والرفع للعطف على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم
النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة تقول كتبت
الحمد لله وقرأت سورة انزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ ان النفس بالكسر
لكان صحيحا او للاستيناف والمعنى وفرضنا عليهم فيها ان النفس مأخوذة

بالنفس مقتولة بها اذا قتلها بغير نفس وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف
مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح
قصاص ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص ويعرف
المساواة وعن ابن عباس كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت فمن تصدق
من اصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة
للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله
بن عمرو يهدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني
اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة ابي فهو كفارته له يعني
فالمتصدق كفارته اي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم
لما فعل كقوله فاجره على الله وترغيب في العفو ومن لم يحكم بما انزل
فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا
لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور قفيته مثل
عقبته اذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه الى الثاني بزيادة
الباء فان قلت فاين المفعول الاول في الاية قلت هو محذوف والظرف الذي
هو على آثارهم كالساد مسده لانه اذا قفى به على اثره فقد قفى به اياه والضمير
في على آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا وقرأ الانجيل بفتح
الهمزة فان صح عنه فلانه اعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل
وآجر ومصدقا لما بين يديه من التوراة عطف على محل فيه هدى ومحله
النصب على الحال وهدى وموعظة للمتقين يجوز ان ينتصبا على الحال كقوله مصدقا
وان ينتصبا مفعولا لهما لقوله وليحكم اهل الانجيل كانه قيل وللهدى
والموعظة آتيناه الانجيل وللحكم بما انزل فيه من الاحكام
فان قلت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم
اصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فاقدر وليحكم
اهل الانجيل بما انزل الله آتيناه اياه وقرئ وليحكم على لفظ الامر بمعنى وقلنا
وقلنا ليحكم وفي قراءة ابي وان ليحكم بزيادة ان مع الامر على ان ان موصولة

بالامر كقولك امرته بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل
وقيل ان عيسى كان متعبدا بما في التوراة من الاحكام لان الانجيل مواعظ وزواجر
والاحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه يرد
ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وان ساغ لقائل ان يقول
معناه وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة ومن لم يحكم
بما انزل فاولئك هم الفاسقون وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا
لما بين يديه من الكتاب اي فرق بين التعريفين في قوله وانزلنا اليك
الكتاب وقوله لما بين يديه من الكتاب الاول تعريف العهد لانه عنى
به القرآن والثاني تعريف الجنس لانه عنى به جنس الكتب المنزلة ويجوز ان
يقال هو للعهد لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق وانما اريد
نوع معلوم منه وهو ما انزل من السماء سوى القرآن ومهيمنا عليه ورقيبا
على سائر الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اي
هومن عليه بان حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل او الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه او
حركة او سكون لتنبه عليه كل احد ولاشمأزوا رادين ومنكرين فاحكم
بينهم بما انزل ولا تتبع اهواءهم ضمن ولا تتبع معنى ولا تنحرف فلذلك
عدي بعن كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم لكل جعلنا
منكم شرعة شريعة وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين ومنهاجا وطريقا واضحا في
الدين يجرون عليه وقيل هذا دليل على انا غير متعبدين بشرائع من قبلنا ولو شاء
لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة او ذوي امة واحدة
اي دين واحد لا اختلاف فيه ولكن اراد ليبلوكم في ما آتاكم من الشرائع
المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين انها مصالح قد اختلفت على حسب الاحوال
والاوقات معترفين بان الله لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة ام تتبعون
الشبه وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها الى
مرجعكم جميعا فابتدروها استينافا في معنى التعليل لاستباق الخيرات

فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل وان احكم بينهم معطوف علي ماذا علي الكتاب في قوله وانزلنا اليك الكتاب ان احكم علي ان ان وصلت بالامر لانه فعل كسائر الافعال ويجوز ان يكون معطوفا علي بالحق اي انزلنا بالحق وبان احكم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ان يضلوك عنه ويستنزلوك وذلك ان كعب بن أسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم نفتنه عن دينه فقالوا له يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابي ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام لتعظيم التولي واسترافهم في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة ونفسا اي نفس فكما ان التنكير يعطي معنى التكبير وهو معنى البعضية فكذلك اذا صرح بالبعض وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعني ان التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر أفحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان احدهما ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى والثاني ان يكون تعييرا لليهود بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الجاهلية التي هي هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع الى وحي من الله

وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرا هذه الاية وقرئ يبغون بالياء والتاء وقرا السلمي افحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه عن الصلة في اهذا الذي بعث الله وعن الصفة في الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن الحال في مررت بهند يضرب زيد وقرا قتادة افحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذي يبغونه انما يحكم به افعى نجران او نظيره من حكام الجاهلية فارادوا بسفههم ان يكون محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين حكما كاولئك الحكام ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اللام للبيان كاللام في قوله هيت لك اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتبينون ان لا اعدل من الله ولا احسن حكما منه يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله بعضهم اولياء بعض اي انما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم ومن يتولهم منكم فانه منهم من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تراءى ناراهما ومنه قول عمر رضي الله عنه لابي موسى في كاتبه النصراني لا تكرموهم اذ اهانهم الله ولا تامنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله وروي انه قال له ابو موسى لا قوام للبصرة الا به فقال عمر مات النصراني والسلام يعني هب انه مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله الطافه ويخذلهم مقتا لهم فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة يسارعون فيهم ينكمشون في موالاتهم ويرغبون

فيها ويعتذرون بانهم لا يامنون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان اي
صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجون اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن
الصامت رض انه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لي موالي من يهود
كثيرا عددهم واني ابرا الى الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله
فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدوائر لا ابرا من ولاية موالي وهم
يهود بني قينقاع **فعسى الله ان ياتي بالفتح** لرسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم على اعدائه واظهار المسلمين **فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم**
فيصبح المنافقون نادمين على ما حدثوا به انفسهم وذلك انهم كانوا يشكون
في امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويقولون ما نظن ان يتم له امر
وبالحري ان تكون الغلبة والدولة لهؤلاء وقيل او امر من عنده وان يؤمر النبي صلى
الله عليه وآله وسلم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل
او امر من عند الله لا يكون للناس فيه فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم
الرعب فاعطوا بايديهم من غير ان يوجف عليهم بخيل ولا ركاب **ويقول الذين آمنوا**
قرئ بالنصب عطفا على قوله ان ياتي وبالرفع على انه كلام مبتدا اي ويقول الذين
آمنوا في ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهي في مصاحف مكة والمدينة والشام
كذلك على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون ح فقيل يقول الذين آمنوا
اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم
يقولون هذا القول اما ان يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا
بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ
الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار واما ان يقولوه لليهود
لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله تعالى عنهم وان قوتلتم لننصرنكم
حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين من جملة قول المؤمنين اي بطلت اعمالهم التي
تكلفوها في رأي اعين الناس وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما
اخسرهم او من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجيبا من سوء حالهم
يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه قرئ من يرتدد بالفك

وهو في الامام بدالين وهو من الكائنات التي اخبر عنها في القرآن قبل كونها قيل
كان اهل الردة احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على
بلاده واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات
اليمن على يدي فيروز الديلمي بيّته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الغد
واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان
الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب
اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر
بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في
الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد في جاهليتي واسلامي وبنو اسد قوم طليحة
بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خالدا فانهزم بعد
القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر فزارة قوم
عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة
بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر
المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري في
كتاب استغفر واستغفري امت سجاح ووالاها مسيلمة كذابة في بني الدنيا وكذاب
وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله
امرهم على يدي ابي بكر وفرقة في عهد عمر غسان قوم جبلة بن الايهم نصّرته
اللطمة وسيّرته الى بلاد الروم بعد اسلامه **فسوف ياتي الله بقوم**
وقيل لما نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى ابي موسى الاشعري فقال قوم هذا
وقيل هم الفان من النخع وخمسة آلاف من كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من افناء
الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الانصار وقيل سئل رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان فقال هذا وذووه ثم قال

لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس **يحبهم ويحبونه**
محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه
ومحبة الله لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم
ويرضى عنهم واما ما يعتقد اجهل الناس واعداهم للعلم واهله وامقتهم
للشرع واسوؤهم طريقة وان كانت طريقتهم عند امثالهم من الجهلة والسفهاء
شيئا وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة
والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله
بابيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي
اين موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما انه بذاته
يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات
ومنها ان الذات الحب شرطه ان يلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم تكن
فيه حقيقة   اين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط
هو محذوف معناه فسوف ياتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم او ما
اشبه ذلك **اذلة على المؤمنين** جمع ذليل واما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم
انه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه ان ذلولا لا يجمع على اذلة
اعزة على الكافرين   هلا قيل اذلة للمؤمنين اعزة للكافرين
فيه وجهان احدهما ان يضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين
عليهم على وجه التذلل والتواضع والثاني انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم و
فضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ونحوه قوله تعالى اشداء على
الكفار رحماء بينهم وقرئ اذلة واعزة بالنصب على الحال **يجاهدون**
في سبيل **ولا يخافون لومة لائم** يحتمل ان يكون الواو للحال على انهم
يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين
لليهود لعنت فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون
شيئا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون فكانوا يجاهدون
لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط وان يكون للعطف على ان من صفتهم المجاهدة

عنها صعقة م

في سبيل الله وانهم صلاب في دينهم اذا شرعوا في امر من امور الدين انكار منكر
او امر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض
ولا لومة لائم يشق عليه جدهم في انكارهم وصلابتهم في امرهم واللومة
المرة من اللوم وفيها وفي التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم
احد من اللوام **ذلك** اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة
والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة **فضل الله يؤتيه من يشاء** يوفق له من
يعلم ان له لطفا **والله واسع** كثير الفواضل والالطاف **عليم** بمن هو من اهلها
عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله **انما**
وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة
قد ذكرت جماعة فهلا قيل انما اولياؤكم   اصل الكلام انما وليكم
الله فجعلت الولاية لله على طريق الاصالة ثم نظم في سلك اثباتها له رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل انما اولياؤكم الله
ورسوله والذين آمنوا لم يكن في الكلام اصل وتبع وفي قراءة عبد الله انما مولاكم
الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ما محله   الرفع
على البدل من الذين آمنوا او على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه تمييز
للخلص من الذين آمنوا نفاقا او واطات قلوبهم السنتهم الا انهم مفرطون
في العمل **وهم راكعون** الواو فيه للحال اي يعملون ذلك في حال الركوع وهو
الخشوع والاخبات والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون
الزكوة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلوة وانها نزلت في علي رضي الله عنه
حين ساله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه كانه كان مرجا في خنصره
فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلوته   كيف صح ان يكون لعلي
رضي الله عنه واللفظ لفظ جماعة   جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب
فيه رجلا واحدا ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان
سجية المؤمنين يجب ان يكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان
وتفقد الفقراء حتى ان لزهم امر لا يقبل التاخير وهم في الصلوة لم يؤخروه

الى العام منها ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب
الله﴾ من اقامة الظاهر مقام الضمير ومعناه فانهم ﴿هم الغالبون﴾ ولكنهم بذلك
جعلوا اعلاما لكونهم حزب الله واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم
ويحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم
فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم والكفار اولياء﴾ روي ان رفاعة بن زيد بن الحارث وسويد
بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما
فنزلت يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم
اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل المستهزئين باهل
الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار اطلاقا للكفار على المشركين
خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين اشركوا وقرئ والكفار بال
جر وتعضده قراءة ابي ومن الكفار ﴿واتقوا الله﴾ بترك موالاة الكفار ونحوها ﴿ان
كنتم مؤمنين﴾ حقا لان الايمان حقا يأبى موالاة اعداء الدين ﴿واذا
ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا﴾ الضمير للصلوة او للمناداة قيل
كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله
قال احرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها
شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل فيه دليل على ثبوت
الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده ﴿ذلك بانهم قوم لا يعقلون﴾ فان
لعبهم وهزؤهم من افعال السفهاء والجهلة فكأنه لا عقل لهم ﴿قل يا اهل
الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل
من قبل﴾ قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون
وتنكرون منا الا الايمان بالكتب المنزلة كلها ﴿وان اكثركم فاسقون﴾
علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون فيه وجوه منها ان
يعني وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان

كأنه قيل وما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وانتم
خارجون منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف اي واعتقاد انكم فاسقون
ومنها ان يعطف على المجرور اي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم
فاسقون ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي وما تنقمون منا الا الايمان مع انكم فاسقون
ويجوز ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كأنه قيل وما تنقمون منا الا الايمان
لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم
ذلك علينا وروي انه اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفر من اليهود
فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون
فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم
ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وان اكثركم بالكسر ويحتمل ان
وان اكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم
فاسقون او يرتفع على الابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم
علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا ان حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم
تنصفوا ﴿قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه
الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير﴾ اشارة الى المنقوم ولا بد
من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله
ومن لعنه الله في محل الرفع على هو من لعنه الله كقوله قل افانبئكم بشر من
ذلكم النار او في محل الجر على البدل من شر وقرئ مثوبة ومثوبة ومثالها
ومشورة المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة
وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع ومنه
فبشرهم بعذاب اليم المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك
بينهم في العقوبة كان اليهود لعنوا زعموا ان المسلمين ضالون مستوجبون
العقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام
في زعمكم ودعواكم ﴿وعبد الطاغوت﴾ عطف على صلة من كأنه قيل ومن
عبد الطاغوت وفي قراءة ابي وعبدوا الطاغوت على المعنى وقرأ ابن مسعود

ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعبد وعبد وعُبُد
العلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال
أبني لبيني إن أمكم أمة وإن أباكم عبد وعبد بوزن حطم وعبيد وعُبُد
بضمتين جمع عبيد وعَبَدة بوزن كفرة وعبد وأصله عبدة فحذفت التاء
للإضافة أو هو كخدم في جمع خادم وعُبّد وعُبّاد وأعبد وعُبد الطاغوت
على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعُبد الطاغوت فيهم أو بينهم وعَبُد
الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك أمُر إذا صار
أميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله كيف جاز أن
يجعل الله منهم عباد الطاغوت فيه وجهان أحدهما أنه خذلهم حتى
عبدوها والثاني أنه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة
الذين هم عباد الرحمن إناثا وقيل الطاغوت لأنه معبود من دون الله ولأن
عبادتهم العجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان
وهو الطاغوت وعن ابن عباس أطاعوا الكهنة وكل من أطاع أحدا في معصية
الله فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة أصحاب
السبت والخنازير كفار أهل مائدة عيسى صلوات الله عليه وقيل كلا
المسخين من أصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير
وروي أنها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا إخوة القردة
والخنازير فينكسون رؤوسهم أولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا
وأضل عن سواء السبيل جعلت الشرارة للمكان وهي لأهله وفيه مبالغة
ليست في قوله أولئك شر وأضل لدخوله في باب الكناية التي هي أخت المجاز
وإذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله
أعلم بما كانوا يكتمون نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون على
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يظهرون له الإيمان نفاقا فأخبره الله
بشأنهم وأنهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا
به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك وقوله بالكفر وبه حالان أي دخلوا

كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله وقد دخلوا
وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال ولمعنى آخر وهو أن أمارات
النفاق كانت لائحة عليهم فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متوقعا لإظهار
الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا أي قالوا ذلك وهذه
حالهم وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم
السحت الإثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الإثم والعدوان الظلم وقيل الإثم
كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الإثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى
إلى غيرهم والمسارعة في الشيء الشروع فيه بسرعة لبئس ما كانوا يعملون
لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت
لبئس ما كانوا يصنعون كأنهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لأن كل عامل لا يسمى
صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب إليه وكأن المعنى
في ذلك أن مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه إليها وتحمله على ارتكابها
وأما الذي ينهاه فلا شهوة معه في فعل غيره فإذا فرط في الإنكار كان أشد
حالا من المواقع ولعمري إن هذه الآية مما يقد السامع وينعى على العلماء توانيهم
وعن ابن عباس هي أشد آية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن آية أخوف عندي
منها وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا
بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء غل اليد وبسطها مجاز عن
البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل
البسط ولا يقصد من يتكلم به إثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين
هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لأنهما كلامان متعاقبان على حقيقة واحدة
حتى أنه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه إلا بإشارته من غير
استعمال يد وبسطها وقبضها ولو أعطى الأقطع إلى المنكب عطاء جزلا لقالوا
ما أبسط يده بالنوال لأن بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل
والجود وقد استعملوها حيث لا تصح اليد كقوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت
نداه تلاعه ووهاده ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله إذا أصبحت بيد الشمال زمامها

ويقال بسط اليأس كفيه في صدري فجعلت لليأس الذي هو من المعاني لا من الأعيان كفان ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تأويل امثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبثت به
ان صح ان قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدمه والا تنافر وزل عن سننه يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر بقيت وفري وانحرفت عن العلى ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة يغللون في الدنيا اسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق اعراضهم لم ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وادل على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك وقرئ ولعنوا بسكون العين وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة سرح ينفق كيف يشاء تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روي ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكذبوه كف الله ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فاشركوا فيه وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ

وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فكلمهم ابدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التورية فبعث الله عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصر عليهم وعن قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل الناس وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كتبهم وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مع ما عددنا من سيئاتهم آمَنُوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به وَاتَّقَوْا وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشريطة في الفوز بالايمان لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ تلك ولم نؤاخذهم بها وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ولادخلناهم مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغ مبالغ سيئات اليهود والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ اقاموا احكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم وكانوا قد قحطوا وقوله لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة اوجه ان يفيض عليهم بركات السماء وبركات الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤوس الاشجار ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت ارجلهم مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ طائفة حالها امم في عداوة رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هي الطائفة المؤمنة عبد الله بن سلام واصحابه
وثمانية واربعون من النصارى وكثير منهم ساء ما يعملون فيه معنى التعجب
كأنه قيل وكثير منهم ما اسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك واي
شيء انزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه وان
لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته
فلم تبلغ اذن ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد منها شيئا قط وذلك
ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداها
جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لا يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما
يدليه غيرها وكونها كذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا
غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثني الله برسالاته فضقت
بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت
ووقوع قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما وجه صحته
فيه وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل امر الله في تبليغ الرسالات وكتمها
كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لا خفاء لشناعته فقيل ان لم تبلغ
منها ادنى شيء وان كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمانها
كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد فان
لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده
قوله عليه وآله الصلوة والسلام فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك والله
يعصمك من الناس عدة من الله بالحفظ والكلاءة والله يضمن لك العصمة من
اعدائك فما عذرك في مراقبتهم ... اين ضمان العصمة وقد شج في وجهه
يوم احد وكسرت رباعيته ... المراد انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان
يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء عليهم السلام
وقيل نزلت بعد يوم احد والناس الكفار بدليل ان الله لا يهدي القوم الكافرين

رسالاته — الناس — الكافرين

ومعناه انه لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك وعن انس رضي كان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة
آدم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس قل يا اهل الكتاب
لستم على شيء اي على دين يعتد به حتى يسمى شيئا لفساده وبطلانه كما تقول
هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شانه وفي امثالهم اقل من لا شيء حتى تقيموا
التورية والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس على القوم
الكافرين فلا تتاسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك
يرجع اليهم لا اليك وفي المؤمنين غنى عنهم ان الذين آمنوا والذين هادوا
والصابئون والنصارى من آمن ... واليوم الآخر وعمل صالحا فلا
خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف
والنية به التاخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين آمنوا
والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وانشد سيبويه
شاهدا له والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق اي فاعلموا انا بغاة
وانتم كذلك ... هلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها
لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان
لم لا يصح ذلك والنية به التاخير فكانك قلت ان زيدا منطلق وعمرو
لاني اذا رفعته عطفا على محل ان واسمها والعامل في محلها هو الابتداء وجب
ان يكون هو العامل في الخبر لان الابتداء ينتظم الجزئين في عمله كما ينتظمهما
ان في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التاخير بالابتداء وقد رفعت
الخبر بان لاعملت فيهما رافعين مختلفين ... فقوله والصابئون معطوف
لا بد له من معطوف عليه فما هو ... هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة
على جملة قوله ان الذين آمنوا الى آخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها
ما التقديم والتاخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم
فائدته التنبيه على ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل

الصالح فما الظن بغيرهم وذلك ان الصابئين ابين هؤلاء المعدودين ضلالا
واشدهم غيا وما سموا صابئين الا لانهم صبأوا عن الاديان كلها اي خرجوا
كما ان الشاعر قدم وانتم تنبيها على ان المخاطبين اوغل في الوصف بالبغاة من
قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم
مع كونهم اوغل فيه منهم واثبت قدما فلو قيل والصابئين وإياكم
لكان التقديم حاصلا لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لانه
لا ازالة فيه عن موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه
ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام كيف قيل الذين آمنوا
ثم قيل من آمن فيه وجهان ان يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بالسنتهم
وهم المنافقون وان يراد بمن آمن من ثبت على الايمان ولم يخالجه ريبة فيه
ما محل من آمن اما الرفع على الابتداء وخبره فلا خوف عليهم
والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر ان واما النصب على البدل
من اسم ان وما عطف عليه او من المعطوف عليه فاين الراجع الى اسم ان
محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون
بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرأ يستهزيون والصابون من
صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا ادلة
العقل والسمع وقرأ ابي والصابئين بالنصب وبها قرأ ابن كثير وقرأ عبد الله
يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل
وارسلنا اليهم رسلا ميثاقهم بالتوحيد وارسلنا اليهم ليقفوهم على
ما يأتون وما يذرون في دينهم كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة
لرسلا والراجع محذوف اي رسول منهم بما لا تهوى انفسهم بما يخالف
هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع
اين جواب الشرط فان قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لان
الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن ان تقول ان اكرمت اخي اخاك
اكرمت هو محذوف يدل عليه فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كانه قيل كلما

جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كانه قيل كلما
جاءهم رسول جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم لم جيء باحد
الفعلين ماضيا وبالآخر مضارعا جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية
استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحالة الشنيعة للتعجيب منها وحسبوا
الا تكون فتنة وقرئ ان لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على ان ان هي المخففة
من الثقيلة اصله انه لا تكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشان كيف دخل
فعل الحسبان على ان التي هي للتحقيق نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة
العلم فاين مفعولا حسب سد ما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند
والمسند اليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله فتنة
اي بلاء وعذاب في الدنيا والآخرة فعموا عن الدين وصموا حين عبدوا العجل ثم
تاب الله عليهم ثم تابوا عن عبادة العجل فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا
كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول في صفات الله تعالى وهو الرؤية وقرئ عموا
وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اي رماهم وضربهم بالعمى و
الصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك
كثير منهم بدل من الضمير او على قولهم اكلوني البراغيث او هو خبر مبتدأ
محذوف اي اولئك كثير منهم والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين
قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله
ربي وربكم اي لم يفرق عيسى صلوات الله عليه بينه وبينهم في انه عبد
مربوب مثلهم وهو احتجاج على النصارى انه من يشرك بالله في عبادته
او فيما هو مختص به من صفاته او افعاله فقد حرم الله عليه الجنة التي هي
دار الموحدين اي حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه
ومأواه النار وما للظالمين من انصار من كلام الله على انهم ظلموا وعدلوا
عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم
ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول
عيسى على معنى ولا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته

وبعده عن العقول أو ولا ينصركم ناصر في الآخرة من عذاب الله لقد كفر
الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد للاستغراق
وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في قولك لا إله إلا الله والمعنى وما إله قط
في الوجود إلا إله موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك
له ومن في قوله وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم
للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان فهلا قيل ليمسنهم
عذاب أليم في إقامة الظاهر مقام المضمر فائدة أخرى وهي تكرير الشهادة
عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة أخرى
وهي الإعلام في تفسير الذين كفروا بهم أنهم بمكان من الكفر والمعنى
ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة عذاب أليم أي نوع شديد الألم
من العذاب كما تقول أعطني عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من
غيرها من الأجناس التي يجوز أن يتناولها عشرون ويجوز أن يكون للتبعيض على
معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لأن كثيرا منهم تابوا من النصرانية أفلا
يتوبون إلى الله ويستغفرونه ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة
عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من إصرارهم
والله غفور رحيم يغفر لهؤلاء إن تابوا ولغيرهم ما المسيح ابن مريم
إلا رسول قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم أي ما هو إلا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات الله
كما أتوا إن أبرأ الله الأبرص وأحيى الموتى على يده فقد أحيى العصا وجعلها
حية تسعى وفلق البحر وطمس على يد موسى وإن خلقه من غير ذكر فقد خلق
آدم من غير ذكر وأمه صديقة وما أمه أيضا إلا كبعض النساء المصدقات
للأنبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما إلا منزلة بشرين أحدهما نبي والآخر صحابي
فمن أين اشتبه عليكم أمرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الأنبياء
وصحابتهم مع أنه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم بوجه من الوجوه ثم صرح
ببعدهما عما نسب إليهما في قوله كانا يأكلان الطعام لأن من احتاج

إلى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن إلا جسما مركبا من عظم
ولحم وعروق وأعصاب وأخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل
على أنه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الأجسام انظر كيف نبين لهم الآيات
أي الأعلام من الأدلة الظاهرة على بطلان قولهم ثم انظر أنى يؤفكون
كيف يصرفون عن استماع الحق وتأمله فإن قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر
قلت معناه ما بين العجبين يعني أنه بين لهم الآيات بيانا عجيبا وأن إعراضهم
عنها أعجب منه قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا
هو عيسى أي شيئا لا يستطيع أن يضركم بمثل ما يضركم به من البلايا
والمصائب في الأنفس والأموال ولا أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة
الأبدان والسعة والخصب لأن كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبإقدار
الله وتمكينه فكأنه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على أن أمره مناف للربوبية
حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب أن يكون قادرا على كل شيء
لا يخرج مقدور عن قدرته والله هو السميع العليم متعلق بأتعبدون أي أتشركون
بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون ويعلم ما تعتقدون أو أتعبدون العاجز
والله هو السميع العليم الذي يصح منه أن يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولن
يكون كذلك إلا وهو حي قادر قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير
الحق صفة للمصدر أي لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق أي غلوا باطلا لأن الغلو في الدين
غلوان غلو حق وهو أن يفحص عن حقائقه ويفتش عن أباعد معانيه ويجتهد
في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من أهل العدل والتوحيد وغلو باطل وهو أن
يتجاوز الحق ويتخطاه بالإعراض عن الأدلة واتباع الشبه كما يفعل أهل الأهواء
والبدع ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل من قبلهم أئمتهم في النصرانية
كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأضلوا كثيرا
ممن شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عن سواء السبيل حين كذبوه وبغوا عليه لعن الذين كفروا من بني
إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم نزل الله لعنهم في الزبور

على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى وقيل ان ايلة لما اعتدوا في السبت
قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى
عليه السلم بعد المائدة قال عيسى اللهم العنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا
خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امراة ولا صبي ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون اي لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ الا لاجل المعصية
والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لا ينهى بعضهم
بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون للتعجيب من سوء فعلهم
مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن
المناكير وقلة عبائهم به كانه ليس من ملة الاسلام في شيء مع ما يتلون من
كلام الله وما فيه من المبالغات في هذا الباب كيف وقع ترك التناهي
عن المنكر تفسيرا عن المعصية والاعتداء من قبل ان الله عز وجل امر بالتناهي
فكان الاخلال به معصية وهو الاعتداء لان في التناهي حسما للفساد فكان تركه
على عكسه ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي بعد الفعل
معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا
فعله كما ترى امارات الخوض في الفسق والآلة تسوى وتهيأ فتنكر ويجوز ان يراد
لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى
عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ترى كثيرا منهم يتولون
الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم منافقو اهل الكتاب كانوا
يوالون المشركين ويصافونهم ان سخط الله عليهم وفي العذاب هم
خالدون هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط
الله عليهم والمعنى موجب سخط الله ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل
اليه ايمانا خالصا غير نفاق ما اتخذوهم اولياء يعني ان اتخذوا المشركين
ان موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وان ايمانهم ليس بايمان ولكن
كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا
يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون

عن من يكفر بعد منكم اكل المائدة عذابا لم نعذبه احدا من العالمين

لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا
ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى وصف الله
شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة
ارعوائهم وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة
للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك
فعل في قوله ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ولعمري
انهم لكذلك واشد وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما خلا يهوديان بمسلم
الا هما بقتله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون
علل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين بان منهم قسيسين ورهبانا
اي علماء وعبادا وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود
على خلاف ذلك وفيه دليل بين على ان العلم انفع شيء واهداه الى الخير وادله
على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك علم الآخرة والتحدث بالعاقبة وان كان في
راهب والبراءة من الكبر وان كانت في نصراني ووصفهم برقة القلوب وانهم
يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي انه قال لجعفر بن ابي طالب
حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم
عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله
ذلك عيسى بن مريم وقرأ سورة طه الى قوله وهل اتاك حديث موسى فبكى النجاشي
وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم سبعون
رجلا حين قرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سورة يس فبكوا
بم تعلقت اللام في للذين آمنوا بعداوة ومودة على ان عداوة
اليهود التي اختصت المؤمنين اشد العداوات واظهرها وان مودة النصارى التي
اختصت المؤمنين اقرب المودات وادناها وجودا واسهلها حصولا ووصف اليهود
بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف المودة والعداوة
بالاقرب والاشد واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض
من الدمع مما عرفوا من الحق ما معنى تفيض من الدمع

نصري ا خ س ح

شيء

قري ا خ س ح

معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى يطلع ماؤه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب او قصد المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها اي تسيل من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا
اي فرق بين من ومن في قوله مما عرفوا من الحق الاولى لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتداء ونشا من معرفة الحق وكان من اجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا وتحتمل معنى التبعيض على انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرؤوا القرآن واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على البناء للمفعول يقولون ربنا آمنا المراد به انشاء الايمان والدخول فيه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيمة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع في انعام الله تعالى عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك او ارادوا وما لنا لا نؤمن بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو في ونطمع واو الحال ما العامل في الحال الاولى والثانية العامل في الاولى ما في اللام من معنى الفعل كانه قيل اي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على انهم انكروا على انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين وان يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول في الاسلام لان الكافر ما ينبغي له ان يطمع في صحبة الصالحين فاثابهم قراءة الحسن فآتاهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد واخلاص من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده وما يذهب اليه جنات تجري من تحتها الانهار خالدين

فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا ويجبوا مذاكيرهم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتي النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني فنزلت وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود ان رجلا قال له اني حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن انه دعي الى طعام ومعه فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسال الحسن اهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد اترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا ياكل الفالوذ ويقول لا اؤدي شكره قال افيشرب الماء البارد قال نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه في الماء البارد اكثر من نعمة الله عليه في الفالوذ وعنه ان الله تعالى ادب عباده فاحسن ادبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا واطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا ولا تعتدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده على عقبه او اراد ولا تعتدوا بذلك ان

لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله أي من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا حلالا طيبا حال مما رزقكم الله واتقوا الله تأكيد للتوصية بما أمر به وزاده تأكيدا بقوله الذي أنتم به مؤمنون لأن الإيمان به يوجب التقوى في الانتهاء إلى ما أمر به وعما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك وليس كما ظن وهو قول أبي حنيفة ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان بتعقيدكم الأيمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروي أن الحسن سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا أبا سعيد دعني أجب عنك فقال

ولست بمأخوذ بلغو تقوله إذا لم تعمد عاقدات العزائم

وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم إذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لأنه كان معلوما عندهم أو بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة أي تسترها إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم من أقصده لأن منهم من يسرف في إطعام أهله ومنهم من يقتر وهو عند أبي حنيفة نصف صاع من بر أو صاع من غيره لكل مسكين أو يغديهم ويعشيهم وعند الشافعي لكل مسكين وقرأ جعفر بن محمد أهاليكم بسكون الياء والأهالي اسم جمع لأهل كالليالي في جمع ليلة والأراضي في جمع أرض وقولهم أهلون كقولهم أرضون بسكون الراء وأما تسكين الياء في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رأيت معدي كرب تشبيها بالألف أو كسوتهم عطف على محل من أوسط وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة وأسوة في أسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت العباءة تجزي يومئذ وعن ابن عمر إزار أو قميص أو كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان أبيضان وقرأ سعيد بن المسيب واليماني أو كأسوتهم بمعنى أو مثل ما تطعمون أهليكم إسرافا كان أو تقتيرا لا تنقصون عن مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم ما محل الكاف

الرفع بتقدير أو طعامهم كأسوتهم بمعنى كمثل طعامهم إن لم يطعموهم الأوسط أو تحرير رقبة شرط الشافعي الإيمان فيها قياسا على كفارة القتل وأما أبو حنيفة وأصحابه فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة سوى القتل ومعنى أو التخيير وإيجاب إحدى الكفارات الثلاث على الإطلاق وبأيتها أخذ المكفر فقد أصاب فمن لم يجد أحدها فصيام ثلاثة أيام متتابعات عند أبي حنيفة تمسكا بقراءة أبي وابن مسعود فصيام ثلاثة أيام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع إلا قضاء رمضان ويخير في كفارة اليمين ذلك المذكور كفارة أيمانكم إذا حلفتم ولو قيل تلك كفارة أيمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الأشياء أو لتأنيث الكفارة والمعنى إذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بأن الكفارة إنما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند أبي حنيفة وأصحابه ويجوز عند الشافعي بالمال إذا لم يعص الحانث واحفظوا أيمانكم من أن تحنثوا ولا تحنثوا أراد الأيمان التي الحنث فيها معصية لأن الأيمان اسم جنس يجوز إطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بأن تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم آياته أعلام شريعته وأحكامه لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة أكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد منها تصدير الجملة بإنما ومنها أنه قرنهما بعبادة الأصنام ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم شارب الخمر كعابد الوثن ومنها أنه جعلهما رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الأوثان ومنها أنه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا يأتي منه إلا الشر البحت ومنها أنه أمر بالاجتناب ومنها أنه جعل الاجتناب من الفلاح وإذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها أنه ذكر ما ينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي

والتباغض بين أصحاب الخمر والقمر وبما يؤديان إليه من الصد عن ذكر الله
وعن مراعاة أوقات الصلوة وقوله فهل أنتم منتهون من أبلغ ما ينهى
به كأنه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم
مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كأن لم توعظوا ولم تزجروا
الا ام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه الى المضاف المحذوف كأنه قيل
إنما شأن الخمر والميسر وتعاطيهما او ما أشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل
الشيطان لم جمع الخمر والميسر مع الأنصاب والأزلام ثم أفردهما آخرا
لأن الخطاب مع المؤمنين وإنما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب
الخمر واللعب بالميسر في ذكر الأنصاب والأزلام لتأكيد الخمر والميسر و
أظهار أن ذلك جميعا من أعمال الجاهلية وأهل الشرك فوجب اجتنابه بأسره وكأنه
لا مباينة بين من عبد صنما وأشرك بالله في علم الغيب وبين من أشرك بالله في
شرب الخمر وقامر ثم أفردهما بالذكر ليرى أن المقصود بالذكر الخمر والميسر
وقوله وعن الصلوة اختصاص للصلوة من بين الذكر كأنه قيل وعن الصلوة خصوصا
وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا وكونوا حذرين خاشين لأنهم إذا
حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة ويجوز أن يراد واحذروا
ما عليكم في الخمر والميسر أو في ترك طاعة الله والرسول فإن توليتم فاعلموا
أنما على رسولنا البلاغ المبين فاعلموا أنكم لن تضروا بتوليكم الرسول لأن الرسول
ما كلف الا البلاغ المبين بالآيات وإنما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتم
ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا رفع الجناح عن
المؤمنين في أي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها إذا ما اتقوا
ما حرم عليهم منها وآمنوا وعملوا الصالحات وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح
وازدادوا ثم اتقوا وآمنوا ثم ثبتوا على التقوى والإيمان ثم اتقوا وأحسنوا
ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم أو أحسنوا الى الناس وواسوهم مما
رزقهم الله من الطيبات والله يحب المحسنين وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت
الصحابة يا رسول الله فكيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون

مال الميسر فنزلت يعني أن المؤمنين لا جناح عليهم في أي شيء طعموه من المباحات
إذا اتقوا المحارم ثم اتقوا وأحسنوا على معنى أن أولئك كانوا على هذه الصفة ثناء
عليهم وحمدا لأحوالهم في الإيمان والتقوى والإحسان ومثاله أن يقال لك هل على
زيد فيما فعل جناح وقد علمت أن ذلك أمر مباح فتقول ليس على أحد جناح في المباح
إذا اتقى المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد أن زيدا تقي مؤمن محسن وأنه غير مؤاخذ
بما فعل يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله
أيديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون
وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيتمكنون من صيده أخذا بأيديهم
وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله وهو
غائب منتظر في الآخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيتقدم عليه فمن اعتدى
فصاد بعد ذلك الابتلاء فله عذاب أليم فالوعيد لاحق به ما معنى
التقليل والتصغير في قوله بشيء من الصيد قال وضع ليعلم أنه ليس بفتنة
من الفتن العظام التي تدحض عندها أقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الأرواح
والأموال وإنما هو شبيه بما ابتلي به أهل أيلة من صيد السمك وأنهم إذا لم
يثبتوا عنده فكيف شأنهم عندما هو أشد منه وقرأ إبراهيم يناله بالياء يا أيها
الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم محرمون جمع حرام كردح في رداح
ومن قتله منكم متعمدا والتعمد أن يقتله وهو ذاكر لإحرامه أو عالم
أن ما يقتله مما يحرم عليه قتله وهو ناس لإحرامه أو رمى صيدا وهو يظن
أنه ليس بصيد فإذا هو صيد أو قصد برميه غير صيد فإذا هو صيد أو قصد
برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فأصاب صيدا فهو مخطئ
محظورات الإحرام يستوي فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا
في الآية لأن مورد الآية فيمن تعمد فقد روي أنه عن لهم في عمرة
الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له إنك قتلت
الصيد وأنت محرم فنزلت ولأن الأصل فعل المتعمد والخطأ لاحق به للتغليظ
ويدل عليه قوله ليذوق وبال أمره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهري

نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطاء وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطاء
شيئاً آخذاً باشتراط العمد في الآية وعن الحسن روايتان **فجزاء مثل ما قتل**
من النعم برفع ومثل جميعاً بمعنى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد وهو عند ابي حنيفة
قيمة المصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي يخير بين ان يهدي من
النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاماً فيعطي كل مسكين نصف
صاع من بر او صاعاً من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوماً فان فضل
ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوماً او تصدق به وعند محمد والشافعي مثله
نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير في النعم عدل الى قول ابي حنيفة
فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هدياً
بالغ الكعبة قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هدياً او طعاماً
او يصوم كما خير الله تعالى في الآية فكان قوله من النعم بياناً للهدي المشترى
بالقيمة في احد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هدياً فاهداه
فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الآية بين ان يجزي بالهدي
او يكفر بالاطعام او بالصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا
قوم ونظر بعد التقويم اي الثلثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب
وحده من غير تخيير فاذا كان شيئاً لا نظير له قوم ثم يخير بين الاطعام
والصوم ففيه نبوّ عما في الآية الا ترى الى قوله او كفارة طعام مساكين
او عدل ذلك صياماً كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا
بالتقويم وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضا
واصله فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب مثل بمعنى
فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيد ثم من ضرب
زيد وقرأ السلمي على الاصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى
فليجز جزاء مثل ما قتل وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف
الحلق فسكنه **يحكم به** بمثل ما قتل **ذوا عدل منكم** حكمان عادلان
من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى

فجزاء مثل
ادح ك

النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبياً وهو محرم
فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه
والله ما علم امير المؤمنين حتى سأل غيره فاقبل عليه ضرباً بالدرة فقال اتغمص
الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر
وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم
ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام **هدياً** حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة
خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله حالاً لان
المثل مجرور لفظاً منصوب محلاً فيمن جره ويجوز ان ينتصب حالاً عن الضمير في
به ووصف هدياً ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى **بالغ الكعبة**
بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابي حنيفة وعند
الشافعي في الحرم **او كفارة طعام مساكين** فيمن رفع كفارة من
نصب جزاء جعلها خبر مبتدأ محذوف كانه قيل او الواجب عليه كفارة
او يقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزي وقرئ او كفارة
طعام مسكين واما وحده لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس
او عدل ذلك وقرئ او عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما ان العدل
ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار
ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كان
المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوهما
الحمل والحمل وذلك اشارة الى الطعام **صياماً** تمييز للعدل كقولك لي
مثله رجلاً والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وابي يوسف وعند
محمد الى الحكمين **ليذوق وبال امره** متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او
يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال المكروه والضرر الذي
ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى فاخذناه اخذاً وبيلاً
ثقيلاً والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرئ **عفا الله عما سلف**
لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

او كفارة طعام
اك

فسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منهم لانهم كانوا متعبدين
بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل الصيد وهو محرم
بعد نزول النهي فينتقم الله منه خبر مبتدأ محذوف تقديره فهو ينتقم
منه ولذلك دخلت الفاء ولخروج فهو يوم من ربه فلا يخاف يعني ينتقم منه
في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن عطاء وابرهيم وسعيد
بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح انه
لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة والله عزيز
ذو انتقام احل لكم صيد البحر مصيدات البحر مما يؤكل وطعامه وما
يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم
اكل المأكول منه وهو السمك وحده عند ابي حنيفة وعند ابن ابي ليلى جميع ما
يصطاد فيه احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه متاعا لكم مفعول
له اي احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له
اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لان قوله تعالى متاعا لكم مفعول له مختص
بالطعام كما ان نافلة حال مختصة بيعقوب يعني احل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم
يأكلونه طريا وللسيارة ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه
الحوت في مسيره الى الخضر وقرئ وطعمه وحرم عليكم صيد البر ما
دمتم حرما وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش
في الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند ابي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم
على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن ابي هريرة
وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انهم اجازوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان
صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب
ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي واحمد لا يباح له ما صيد لاجله
ما يصنع ابو حنيفة بعموم قوله صيد البر قد اخذ ابو حنيفة بالمفهوم
من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما لان ظاهره ان صيد المحرمين
دون صيد غيرهم لانهم هم المخاطبون فكأنه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر

فيخرج منه صيد غيرهم وصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل
عليه قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقوله عز وعلا
وحرم عليكم صيد البر اي الله عز وجل وقرئ ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول
دام يدام واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة البيت الحرام
عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك قياما
للناس انتعاشا لهم في امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم
ومعادهم لما يتم لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم
وعن عطاء بن ابي رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر
الحرام الذي يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان لاختصاصه من بين الاشهر
باقامة موسم الحج فيه شانا قد عرفه الله وقيل عنى به الاشهر الحرم والهدي
والقلائد والمقلد منه خصوصا وهو البدن لان الثواب فيه اكثر وبهاء الحج
معه اظهر ذلك اشارة الى جعل الكعبة قياما للناس او الى ما ذكر من حفظ
حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات
وما في الارض وان الله بكل شيء عليم يعلم كل شيء وهو عالم بما يصلحكم و
ينعشكم مما امركم به وكلفكم اعلموا ان الله شديد العقاب لمن
انتهك محارمه ما على الرسول الا البلاغ تشديد في ايجاب القيام بما امر به
وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم
الطاعة فلا عذر لكم في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون
قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث البون بين
الخبيث والطيب بعيد عند الله وان كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث
حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فان ما تتوهمونه في الكثرة من الفضل
دون ما في الطيب من النقصان في الخبيث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال وحرامه وصالح
العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا
الله يا اولي الالباب وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر
لعلكم تفلحون ومن حق هذه الآية ان تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا

ا الكثير كما تبتعد ان سعدا كثيرة ولا ترج من سعيد وفاء ولا نصيحة ولا
فان نجلهم بل كلهم بقرة وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين اراد المسلمون ان يوقعوا
بهم فنهوا عن الايقاع بهم وان كانوا مشركين يا ايها الذين آمنوا لا
تسألوا عن اشياء الجملة الشرطية المعطوفة عليها اعني قوله تعالى ان تبد
لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم
صفة لاشياء والمعنى لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تسألوه
عن تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها تغمكم وتشق عليكم
وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ما روي ان سراقة بن مالك او عكاشة
بن محصن قالوا يا رسول الله الحج علينا كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم حتى اعاد مسألته ثلث مرات فقال ويحك وما يؤمنك ان اقول
نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني
ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم
فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وان
تسألوا عنها حين ينزل القرآن وان تسألوا عن هذه التكاليف في زمان الوحي
وهو ما دام الرسول بين اظهركم يوحى اليه تبد لكم تلك التكاليف الصعبة
التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضوا انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها عفا
الله عنها عفا الله عما سلف من مسألتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور
حليم لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته قد سألها قوم من قبلكم
كيف قال لا تسألوا عن اشياء ثم قال قد سألها ولم يقل قد سأل عنها
الضمير في سألها ليس براجع الى اشياء حتى يجب تعديته بعن وانما هو راجع
الى المسألة التي دل عليها لا تسألوا يعني قد سأل هذه المسألة قوم من الاولين
ثم اصبحوا بها اي برجوعها او بسببها كافرين وذلك ان بني اسرائيل كانوا
يستفتون انبياءهم عن اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا ما جعل الله
من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام كان اهل الجاهلية اذا انتجت
الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها

ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة و
كان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها
كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة
فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا
فهو لآلهتهم واذا نتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا
يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما شرع ذلك ولا
امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكن الذين كفروا ولكنهم
بتحريمهم ما حرموا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون
فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون في كبارهم واذا
قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا
عليه آباءنا الواو في قوله أولو كان آباؤهم واو الحال قد دخلت عليها همزة
الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا
ولا يهتدون والمعنى ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه
بالحجة كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة
يتمنون دخولهم في الاسلام فقيل لهم يا ايها الذين آمنوا عليكم
انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طرق الهدى لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين
كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف
على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم
فهو مخاطب به وليس المراد ترك الامر والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة
عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذي فصلت الاية بينهم و
وعن ابن مسعود رضي انها قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم
مقبولة ولكن يوشك ان يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم
انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه
ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن

وعن أبي ثعلبة الخشني أنه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا ما
رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه
فعليك نفسك ودع أمر العوام وإن من ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض على الجمر
للعامل منهم مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل إذا أسلم قالوا له
سفهت آباءك ولاموه فنزلت عليكم أنفسكم عليكم من أسماء الفعل بمعنى الزموا
إصلاح أنفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم أنفسكم بالرفع وقرئ
لا يضركم وفيه وجهان أن يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة أبي حيوة لا يضيركم
وأن يكون جوابا للأمر مجزوما وإنما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة إليها
من الراء المدغمة والأصل لا يضرركم ويجوز أن يكون نهيا ولا يضركم
بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم
بما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم
الموت حين الوصية ارتفع اثنان على أنه خبر للمبتدأ الذي هو شهادة بينكم
على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين أو على أنه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم أن يشهد
اثنان وقرأ الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادة اثنين وعن
الحسن شهادة اثنان وإذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي
إبداله منه دليل على وجوب الوصية وأنها من الأمور اللازمة التي ما ينبغي أن يتهاون
بها المسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور أمارات بلوغ الأجل
ذوا عدل منكم من أقاربكم أو آخران من غيركم من الأجانب إن أنتم
ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت يعني إن وقع الموت
في السفر ولم يكن معكم أحد من عشيرتكم فاستشهدوا أجنبيين على الوصية جعل
الأقارب أولى لأنهم أعلم بأحوال الميت وبما هو أصلح وهم له أنصح وقيل منكم
من المسلمين ومن غيركم من أهل الذمة وقيل هو منسوخ لا تجوز شهادة
الذمي على المسلم وإنما جازت في أول الإسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في
حال السفر وعن مكحول نسخها قوله وأشهدوا ذوي عدل وروي أنه خرج

الذين

فأصابتكم

بديل بن أبي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين مع عدي بن زيد
وتميم بن أوس الداري وكانا نصرانيين تجارا إلى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه
ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه وأمرهما أن يدفعا متاعه إلى
أهله ومات ففتشا متاعه وأخذا إناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا
بالذهب فغيباه فأصاب أهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا فرفعوهما
إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما
للحلف من بعد الصلاة من بعد صلاة العصر لأنه وقت اجتماع الناس وعن الحسن
بعد العصر أو الظهر لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث
بديل أنها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة العصر ودعا
بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد بمكة فقالوا إنا اشتريناه
من تميم وعدي وقيل هي صلاة أهل الذمة وهم يعظمون صلاة العصر فيقسمان
إن ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى إن ارتبتم في شأنهما
واتهمتموهما فحلفوهما وقيل إن أريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين
وإن أريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي رضي الله عنه أنه كان يحلف
الشاهد والراوي إذا اتهمهما والضمير في لا نشتري به للقسم وفي ولو
كان ذا قربى للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا
أي لا نحلف بالله كاذبين لأجل المال وإن كان من نقسم له قريبا منا على معنى أن
هذه عادتهم في صدقهم وأمانتهم أبدا وأنهم داخلون تحت قوله تعالى
كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين
ولا نكتم شهادة الله أي الشهادة التي أمر الله بحفظها وتعظيمها
وعن الشعبي أنه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض
حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكره سيبويه أن منهم
من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه حرف الاستفهام فيقول الله لقد
كان كذا إنا إذا لمن الآثمين وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام
وإدغام نون من فيها كقوله عاد لولى ما موضع تحبسونهما

هو استيناف كلام كأنه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما فان قلت كيف فسرت الصلوة بصلوة العصر وهي مطلقة قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد كما لو قلت في بعض ائمة الفقه اذا صلى اخذ في الدرس علم انها صلوة الفجر ويجوز ان يكون اللام للجنس وان يقصد بالتحليف على اثر الصلوة ان يكون الصلوة لطفا في النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فان عثر فان اطلع على انهما استحقا اثما اي فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الآثمين فآخران فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم اي من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احق من شهادتهما والاوليان الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كأنه قيل ومن هما فقيل الاوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفعا باستحق اي من الذين استحق عليهم انتداب الاولين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ الاولين على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرأ الحسن الاولان ويحتج به من يرى اليمين على المدعي وابو حنيفة واصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم ان الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما قد اختانا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشري فيما كتما فانكر الورثة لانكارهم الشري فان قلت فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الاوليان على البناء للفاعل وهو علي وابي وابن عباس رضي الله عنهم قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالله ويظهروا بهما كذب الكاذبين فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين ذلك الذي تقدم من

فان

فآخران ص

استحق عليهم ع ع

الاولين ن ص

بيان الحكم ادنى ان يأتوا ان يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم ان ترد ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واتقوا الله واسمعوا سمع اجابة وقبول والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل بدل من النصب في قوله واتقوا الله وهو بدل الاشتمال كأنه قيل واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم او ينصب باضمار اذكر او يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت فيقول ماذا اجبتم وماذا منصوب باجبتم انتصاب مصدره على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم فان قلت ما معنى سؤالهم قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال الموءودة توبيخا للوائد قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فان قلت كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما اجيبوا قلت يعلمون ان الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون الامر الى علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجأ الى ربهم في الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة وافت في اعضادهم واجلب لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم سلطانه واتكالا عليه واظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعدما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم فكأنه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله انك انت اي انك الموصوف باوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص

ادنى

القوم

الغيوب ن ص

ص

او على النداء او هو صفة لاسمين اذ قال يا عيسى ابن مريم اذكر
نعمتي عليك وعلى والدتك بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكافرين يوم يسئل الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر على ايديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم
سحرة او جاوزوا حد التصديق الى ان اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني اسرائيل فيما
اظهر على يد عيسى من البينات هو سحر مبين واتخذه بعضهم وامه الهين اذ
ايدتك قويتك وقرئ ايدتك على افعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيى به الدين
واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل عليه قوله تكلم
الناس في المهد في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا وكهلا الا ان في المهد
فيه دليل على حد من الطفولة وقيل روح القدس جبرئيل ايد لتثبيت الحجة
ما معنى قوله في المهد وكهلا معناه تكلمهم في هاتين الحالين من غير ان يتفاوت
كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد
والحد الذي يستنبأ فيه الانبياء واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة
والانجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس
الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب واذ تخلق
من الطين كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير باذني بتسهيلي فتنفخ فيها
الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع الى
الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في
فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى
باذني تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة
وجارية واذ كففت بني اسرائيل عنك يعني اليهود حين هموا بقتله اذ جئتهم
بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين وقيل لما قال
الله لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد
يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت ايما امسى بات
واذ اوحيت الى الحواريين امرتهم على السنة الرسل ان آمنوا بي وبرسولي قالوا
آمنا واشهد باننا مسلمون مخلصون من اسلم وجهه لله اذ قال الحواريون يا عيسى

ابن مريم عيسى في محل النصب على اتباع حركة حركة الابن كقولك يا زيد بن عمرو
وهي اللغة الفاشية ويجوز ان يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه
قوله احار بن عمرو كاني خمر ويعدو على المرء ما يأتمر لان الترخيم لا يكون الا في
المضموم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا
كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم
ما وصفهم الله تعالى بالايمان وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا
فآذن ان دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع
كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام لهم
معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا
تتحكموا اما تشتهون من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها ان كنتم
مؤمنين ان كانت دعواكم للايمان صحيحة وقرئ هل تستطيع ربك ومعناه اي هل
تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله
والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهي من ماده اذا اعطاه ورفده كانها
تمید من تقدم اليه قالوا نريد ان نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا
ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل
او نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على ان عليها
في موضع الحال وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعواهم للايمان والاخلاص
وانما سأل عيسى واجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا
ونعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب قال عيسى ابن
مريم اللهم اصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت عنه الميم وربنا نداء
ثان انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا اي يكون يوم نزولها عيدا
قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك
يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب الامر
ونظيرهما يرثني ويرث لاولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل اي لمن في
زماننا من اهل ديننا ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل اولهم

ويجوز للمقدمين منها والاتباع وفي قراءة زيد لاولنا وآخرنا والتانيث بمعنى الامة
والجماعة وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم
فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا بمعنى العذاب والضمير في لا اعذبه احدا
من العالمين للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء روي ان عيسى
عليه السلم لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة
حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت
بين ايديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة
ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر
اسم الله عز وجل وياكل منها فقال شمعون راس الحواريين انت اولى بذلك
عيسى وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين
فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح وعند
ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد
زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد
فقال يا روح الله امن طعام الدنيا ام طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه
شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله و
يزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية آية
اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت
مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي
انهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه قالوا
لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكان عيدا الى يوم القيمة
لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك من ان يكون لك شريك
ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان
ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي في قلبي ولا اعلم ما في نفسك
والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة

وهو من فصيح الكلام وبينه تقول في نفسك لقوله في نفسي انك انت علام
الغيوب تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب
ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد ما قلت لهم الا ما امرتني
به ان اعبدوا الله ربي وربكم ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من
مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له اما فعل القول
فيحكى بعده الكلام من غير ان يوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا ان
اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله
عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله
لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من ان
تكون بدلا من ما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل
هو يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت
لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك
لو اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما امرتني بان اعبدوا الله ربي
وربكم ويجوز ان تكون ان موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم
شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا ذلك ويدينوا
به ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم تمنعهم من
القول به بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم من البينات وارسلت اليهم
من الرسل وانت على كل شيء شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك
الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك وان تغفر لهم فانك
انت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يثيب ولا
يعاقب الا عن حكمة وصواب   المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان
تغفر لهم   ما قال ان تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان فقال ان عذبتهم
عدلت بالعذاب لانهم احقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في
المغفرة وجه حكمة لان جنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان الجرم اعظم جرما
كان العفو عنه احسن قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم

جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والاضافة وبالنصب اما على انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتداء والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لانه مضاف الى متمكن وقرأ الاعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله يوما لا تجزي ما معنى قوله ينفع الصادقين صدقهم ان اريد صدقهم في الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيمة وان اريد صدقهم في الآخرة فليست الآخرة بدار عمل معناه الصدق المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم عن قتادة متكلمان تكلما يوم القيامة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق ويومئذ فكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه واما عيسى فكان صادقا في الحيوة وبعد الممات فنفعه صدقه لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شيء قدير في السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقال ومن فيهن ما يتناول الاجناس كلها تناولا عاما الا ترى انك تقول اذا رايت شبحا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو ام غيره فكان اولى بارادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا

ومحي عنه عشر سيئات صح

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى احدث وانشأ كقوله وجعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئا او نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلناكم ازواجا اجعل الآلهة الها واحدا لم افرد النور للقصد الى الجنس كقوله والملك على ارجائها او لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار علام عطف قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون اما على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته واما على قوله خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه فما معنى ثم استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم انتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاجل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت المبتداء النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم جاز تقديمه في قوله واجل مسمى عنده لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك الكلام السائر ان يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما اشبه ذلك فما اوجب التقديم اوجبه ان المعنى واي اجل مسمى عنده تعظيما لشأن الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم ثم انتم تمترون وهو الله في السموات وفي الارض في السموات متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او وهو المعروف بالالهية او المتوحد بالالهية فيها او هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز ان يكون الله في السموات خبرا بعد خبر على

انما الله وانه في السموات والارض يعني انه عالم بما فيها لا يخفى عليه منه
شيء كان ذاته فيها كيف موقع قوله يعلم سركم وجهركم
ان اردت التوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه السر
والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر
والا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم او خبر ثالث ويعلم
ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب من في وما تأتيهم من آية
للاستغراق ومن في من آيات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادلة
التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنها معرضين
تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به راسا لقلة خوفهم وتدبرهم
للعواقب فقد كذبوا بالحق مردود على كلام محذوف كانه قيل ان
كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو اعظم آية واكبرها وهو الحق
فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون انباء الشيء الذي
كانوا به يستهزءون وهو القرآن اي اخباره واحواله بمعنى سيعلمون
باي شيء استهزءوا وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند
ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وعلو كلمته
الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم
في الارض ما لم نمكن لكم مكن له في الارض ما لم نمكن لهم واما مكنته في الارض
فاثبته فيها ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم والمعنى
لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام
والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا وارسلنا السماء عليهم
مدرارا والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب او السحاب او المطر
فالمدرار المغزار وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم
بذنوبهم وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين
اي غاية في ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم الدلالة على انه لا يتعاظمه
ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشئ مكانهم آخرين

بمن يهلكهم بلاده كقوله تعالى ولا يخاف عقباها ولو نزلنا عليك كتابا
مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بايديهم فمسوه ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا
يقولوا سكرت ابصارنا ولا تبقى لهم علة لقال الذين كفروا ان هذا
الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره وقالوا لولا انزل عليه ملك
ولو انزلنا ملكا لقضي الامر لقضي امر هلاكهم ثم لا ينظرون بعد
نزوله طرفة عين اما لانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم في صورته وهي آية لا شيء ابين منها وايقن ثم لا يؤمنون كما قال
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة لم يكن بد من اهلاكهم كما اهلك اصحاب المائدة
واما لانه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب
اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم
من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر لان مفاجاة
الشدة اشد من نفس الشدة ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول
ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل على محمد صلى الله عليه و
آله وسلم ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل
ملائكة لجعلناه رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبرئيل
على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اعم الاحوال في صورة دحية
لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم وللبسنا عليهم ما يلبسون
ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم ح فانهم يقولون اذا راوا الملك
في صورة الانسان هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل على اني ملك
اني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا
صلى الله عليه وآله وسلم فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن
فهو لبس الله عليهم ويجوز ان يراد وللبسنا عليهم مثل ما يلبسون على انفسهم
الساعة في كفرهم بآيات البينة وقرئ لبسنا بلام واحدة وقرئ
وللبسنا عليهم ما يلبسون بالتشديد ولقد استهزئ برسل من قبلك
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما يلقى من قومه فحاق بالذين

سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن فاحاط بهم الشيء الذي
كانوا يستهزؤن به وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء قل
سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين
اي فرق بين قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا جعل النظر سببا
عن السير في قوله فانظروا وكانه قيل سيروا في الارض لاجل النظر ولا تسيروا
سير الغافلين واما قوله فسيروا في الارض ثم انظروا فمعناه اباحة السير في
الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين
ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح قل لمن ما في السموات
والارض سؤال تبكيت وقل لله تقرير لهم اي هو لله لا خلاف بيني و
بينكم ولا يقدرون ان يضيفوا شيئا منه الى غيره كتب على نفسه
الرحمة اي اوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة
لكم على توحيده بما انتم مقرون به من خلق السموات والارض ثم
اوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله
ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فيجازيكم على حسب
وقوله الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون نصب على الذم او
رفع اي اريد الذين خسروا انفسهم كيف جعل عدم ايمانهم مسببا
عن خسرانهم والامر على العكس معناه الذين خسروا انفسهم
في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وله عطف على الله ما سكن
في الليل والنهار من السكنى وتعديته بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن
الذين ظلموا انفسهم وهو السميع العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم
فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان قل اغير الله اتخذ وليا فاطر
السموات والارض او لي غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي
هو اتخذ لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان اولى
بالتقديم ونحوه افغير الله تامروني اعبد ءالله اذن لكم وقرئ فاطر
السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرأ الزهري فطر وعن ابن عباس

ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال
احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله
ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من
عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المأمون عن يعقوب
وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثاني للفاعل وفسر بان معناه
وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهري اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت
ويجوز ان يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك
هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر قل اني امرت ان اكون
اول من اسلم لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سابق امته في الاسلام
كقوله وبذلك امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت
اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن من المشركين وقيل لي لا تكونن ومعناه امرت
بالاسلام ونهيت عن الشرك قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم
عظيم من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الله الرحمة العظمى وهي
النجاة كقولك ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه تريد فقد اتممت الاحسان
اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرئ من
يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم فقد رحمه الله
يعني من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع وترك ذكر المصروف لكونه
معلوما ومذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب
المفعول به اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله فقد رحمه وينصر
هذا القراءة قراءة ابي من يصرف الله عنه وذلك الفوز المبين وان
يمسسك الله بضر من مرض او فقر او غيره من بلاياه فلا كاشف
له فلا كاشف قادر على كشفه الا هو وان يمسسك بخير من غنى وصحة
فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على ادامته وازالته وهو القاهر فوق
عباده تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله انا فوقهم قاهرون وهو
الحكيم الخبير قل اي شيء اكبر شهادة الشيء اعم العام لوقوعه على

والضمير لغير الله وقرأ الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائها للفاعل

النهار ح
وهو

كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم
ولذلك صح ان يقال في الله عز وجل شيء لا كالاشياء كانك قلت معلوم لا كسائر المعلومات
ولا يصح جسم لا كالاجسام واراد اي شهيد اكبر شهادة فوضع شيئا مقام
شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني وبينكم يحتمل ان يكون
تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم
اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب
لدلالته على ان الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شيء شهادة
شهيد له وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ عطف على ضمير
المخاطبين من اهل مكة اي لانذركم به وانذر كل من بلغه القرآن من العرب
والعجم وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكانما رأى
محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى
تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا أشهد شهادتكم قل إنما هو إله واحد
وإنني بريء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى
يعرفونه يعرفون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحليته ونعته
الثابت في الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون أبناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون
عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة اهل الكتاب
به وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا أنفسهم من المشركين ومن اهل
الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون ومن أظلم ممن افترى على
الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون جمعوا بين امرين متناقضين
فكذبوا على الله ما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث
قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله امرنا بها وقالوا الملائكة
بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب
وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ويوم
نحشرهم جميعا ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك
ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في التخويف ثم نقول للذين أشركوا

أين شركاؤكم اي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله الذين
كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ يحشرهم
ثم يقول بالياء فيهما وانما يقال ذلك على جهة التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم
الا انهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكأنهم غيب
عنهم وان يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا
الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه
اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه
والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز ان يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا
فسماه فتنة لانه كذب وقرئ لم تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وانما انث ان قالوا لوقوع
الخبر مؤنثا كقولك من كانت امك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وقرئ ربنا بالنصب
على النداء انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم وغاب عنهم ما كانوا
يفترون يفترونه اي يفترون الهيته وشفاعته فان قلت كيف يصح ان يكذبوا
حين يطلعون على حقائق الامور على ان الكذب والجحود لا وجه لمنفعته
قلت الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا الا تراهم
يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود ولم
يشكوا فيها وقالوا ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضي عليهم واما قول
من يقول معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا انا على خطاء في معتقدنا
وحمل قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم يعني في الدنيا فمتمحل وتعسف وتحريف
لافصح الكلام الى ما هو عي واقحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام
بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه اشد النبو وما ادري ما يصنع من ذلك
تفسيره بقوله يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم
على شيء ألا إنهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم
يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع إليك
حين تتلو القرآن وجعلنا على قلوبهم أكنة كراهة أن يفقهوه وفي آذانهم

كفرهم

وقرًا روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت والاكنة في القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا الدلالة على انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم كانهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرأ طلحة وقرا بكسر الواو وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا

هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان تكون الجارة ويكون اذا جاؤك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله احسن الحديث خرافات الاولين وهي الغاية في التكذيب وهم ينهون الناس عنه عن القرآن او عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويثبطونهم عن الايمان به وينأون عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون بذلك الا انفسهم وما يشعرون ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو ابو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوءا فقال والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا ودعوتني وزعمت انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم امينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا فنزلت ولو ترى

اذ وقفوا على النار جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت امرا شنيعا وقفوا على النار اروها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد تمنيهم ثم ابتدؤا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونكون من المؤمنين على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى دعني وانا لا اعود تركتني او لم تتركني ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني فيدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا هذا من قد يتضمن معنى العدة فجاز ان يتعلق به الكذب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فاكافئك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار ان على جواب التمني ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو في المنافقين فانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في اهل الكتاب وانه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين كما كانوا يقولون قبل معاينة القيمة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسوال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذا وقفوا عليه فقيل قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله

بلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه في موضع آخر حتى إذا جاءتهم الساعة غاية لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم لا غاية له أي ما زال بهم التكذيب إلى حسرتهم وقت مجيء الساعة اما يحشرون عند موتهم

لما كان الموت وقوعا في أحوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مات فقد قامت قيامته أو جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة بغتة فجاءة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة أو على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها الضمير للحيوة الدنيا جيء بضميرها وإن لم يجر لها ذكر لكونها معلومة أو للساعة على معنى قصرنا في شأنها وفي الإيمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت أيديكم لأنه اعتيد حمل الأثقال على الظهور كما ألف الكسب بالأيدي ألا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم وما الحيوة الدنيا إلا لعب ولهو أي وما أعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله وللدار الآخرة خير للذين يتقون دليل على أن ما سوى أعمال المتقين لعب ولهو وقرأ ابن عامر رضي الله عنهما ولدار الآخرة أفلا تعقلون بالياء والتاء قد نعلم يعني ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والهاء في إنه ضمير الشأن ليحزنك وقرئ بفتح الياء وضمها الذي يقولون هو قولهم ساحر كذاب فإنهم لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه إذا جعله كاذبا في زعمه وأكذبه إذا وجده كاذبا والمعنى أن تكذيبك راجع إلى الله لأنك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وإنما يكذبون الله بجحود آياته فاله عن حزنك لنفسك وأنهم كذبوك وأنت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو أهم وهو استعظامك لجحود آيات الله والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه إذا أهانه بعض الناس إنهم لم يهينوك فإنما أهانوني ومن هذه الطريقة قوله

إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله وقيل فإنهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم وقيل فإنهم لا يكذبونك لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسمى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان أبو جهل يقول ما نكذبك وإنك عندنا المصدق وإنما نكذب ما جئتنا به وروي أن الأخنس بن شريق قال لأبي جهل يا أبا الحكم أخبرني عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم أصادق هو أم كاذب فإنه ليس عندنا أحد غيرنا فقال والله إن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون من إقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا دليل على أن قوله فإنهم لا يكذبونك ليس نفي لتكذيبه وإنما هو من قولك لغلامك ما أهانوك ولكنهم أهانوني فصبروا على ما كذبوا وأوذوا على تكذيبهم وإيذائهم حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبإ المرسلين بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين وكان يكبر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفر قومه وإعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك إنك لا تهدي من أحببت وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض منفذا تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها أو سلما في السماء فتأتيهم منها بآية فافعل يعني أنك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على إسلام قومه وتهالكه عليه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يود أن يجابوا إليها لتمادي حرصه على إيمانهم فقيل له إن استطعت كذا فافعل دلالة على أنه بلغ من حرصه أنه لو استطاع ذلك لفعله

حتى يأتيهم بما اقترحوا لعلهم يؤمنون ويجوز أن يكون ابتغاء النفق في الأرض
أو السلم في السماء هو الإتيان بالآية كأنه قيل لو استطعت النفوذ إلى ما تحت
الأرض أو الرقي في السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف جواب
إن كما تقول إن شئت أن تقوم بنا إلى فلان نزوره **ولو شاء الله**
لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة
فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه
إنما يستجيب الذين يسمعون يعني أن الذين تحرص على أن يصدقوك بمنزلة
الموتى الذين لا يسمعون وإنما يستجيب من يسمع كقوله إنك لا تسمع الموتى **والموتى**
يبعثهم مثل لقدرته على إلجائهم إلى الاستجابة بأنه هو الذي يبعث الموتى
من القبور يوم القيامة **ثم إليه يرجعون** للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى
أن يحييهم بالإيمان وأنت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة
يبعثهم الله ثم إليه يرجعون فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى استماعهم
وقرئ يرجعون بفتح الياء **وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه** نزل بمعنى
أنزل وقرئ أن ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لأن تأنيث
آية غير حقيقي وحسن للفصل وإنما قالوا ذلك مع تكاثر ما أنزل من الآيات على رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم لتركهم الاعتداد بما أنزل عليه كأنه لم ينزل عليه
شيء من الآيات عنادا منهم **قل إن الله قادر على أن ينزل آية**
تضطرهم على الإيمان كنتق الجبل على بني إسرائيل ونحوه أو آية إن جحدوها جاءهم
العذاب **ولكن أكثرهم لا يعلمون** أن الله قادر على أن ينزل تلك الآية وأن صارفا
من الحكمة يصرفه عن إنزالها **وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير**
بجناحيه إلا أمم أمثالكم مكتوبة أرزاقها وآجالها وأعمالها كما كتبت
أرزاقكم وآجالكم وأعمالكم **ما فرطنا** ما تركنا وما أغفلنا **في الكتاب** في اللوح
المحفوظ **من شيء** من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب أن نثبت مما يختص به **ثم**
إلى ربهم يحشرون يعني الأمم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف
بعضها من بعض كما روي أنه يأخذ للجماء من القرناء
كيف قيل إلا أمم

الذين

للجماء

أراد بهم الدابة والطائر لما كان قوله وما من دابة ولا طائر دالا
على معنى الاستغراق ومغنيا عن أن يقال وما من دواب ولا طيور حمل قوله إلا
أمم على المعنى هلا قيل وما من دابة ولا طائر إلا أمم أمثالكم
وما معنى زيادة قوله في الأرض ويطير بجناحيه معنى ذلك زيادة
التعميم والإحاطة كأنه قيل وما من دابة قط في جميع الأرضين السبع
وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم
محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها فما الغرض في ذكر ذلك
الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق
المتفاوتة الأجناس المتكاثرة الأصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن
على أحوالها لا يشغله شأن عن شأن وأن المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من
عداهم من سائر الحيوان وقرأ ابن أبي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كأنه قيل
وما من دابة ولا طائر وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف كيف أتبعه
قوله **والذين كذبوا بآياتنا** لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته
ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون **صم** لا يسمعون كلام المنبه
وبكم لا ينطقون بالحق **في الظلمات** خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون
عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال إيذانا بأنهم من أهل الطبع **من يشأ الله**
يضلله أي يخذله ويخله وضلاله لم يلطف به لأنه ليس من أهل اللطف **ومن يشأ**
يجعله على صراط مستقيم أي يلطف به لأن اللطف يجدي عليه **قل أرأيتكم**
أخبروني والضمير الثاني لا محل له من الإعراب لأنك تقول أرأيتك زيدا ما شأنه
وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره أرأيتكم **إن أتاكم**
عذاب الله أو أتتكم الساعة من تدعون ثم بكتهم بقوله **أغير الله**
تدعون إن كنتم صادقين بمعنى أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم إذا أصابكم ضر
أم تدعون الله دونها **بل إياه تدعون** بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة
فيكشف ما تدعون إليه ما تدعونه إلى كشفه **إن شاء** إن أراد أن يتفضل
عليكم ولم يكن مفسدة **وتنسون ما تشركون** وتتركون آلهتكم أو لا تذكرونها

ليس من أهله

الهتكم

في ذلك الوقت لان اذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على
كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون
كانه قيل ارأيتكم اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله
الاستخبار به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة
وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قد اشترط في الكشف المشيئة
وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل
لوجه آخر من الحكمة ارجح منه ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم
بالبأساء والضراء البأساء والضراء البؤس والضر وقيل البأساء القحط
والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى ولقد ارسلنا اليهم
الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم
ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست
قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون معناه نفي التضرع كانه
قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك
التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان
لهم فلما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء اي تركوا الاتعاظ
به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الصحة
والسعة وصنوف النعمة ليتناوح عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل
المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا
بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر
ولا تصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون متحسرون
آيسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا آخرهم لم يترك منهم احد قد استؤصل
شأفتهم والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة
وانه من اجل النعم واجزل القسم وقرئ بالتشديد قل ارأيتم ان اخذ الله
سمعكم وابصاركم بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم
بان يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم من اله غير الله يأتيكم به

اي بذلك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه
انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون يعرضون عن الآيات بعد
ظهورها قل ارأيتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة لما كانت البغتة ان يقع
الامر من غير ان يشعر به وتظهر اماراته قيل بغتة او جهرة وعن الحسن ليلا
او نهارا وقرئ بغتة او جهرة هل يهلك ما يهلك هلاك تعذيب وسخط الا
القوم الظالمون وقرئ هل يهلك بفتح الياء وما نرسل المرسلين الا مبشرين
ومنذرين من آمن بهم وبما جاؤوا به واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم
نرسلهم لنتلهى بهم ونقترح عليهم الآيات بعد وضوح امرهم بالبراهين
القاطعة فمن آمن واصلح ما يجب اصلاحه مما كلف فلا خوف عليهم ولا هم
يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون
جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه
الامرين والاقورين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله اذا رأتهم من مكان بعيد
سمعوا لها تغيظا وزفيرا قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم
الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي اي لا ادعي ما
يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي
قسمه بين الخلق وارزاقه وعلم الغيب واني من الملائكة الذين هم اشرف جنس
خلق الله وافضله واقربه منزلة منه اي لم ادع الالهية ولا الملكية لانه ليس
بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي و
تستنكروها وانما ادعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة قل هل يستوي
الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع ما يوحى
اليه ومن لم يتبع او لمن ادعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية او
الملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا
ان اتباع ما يوحى الي مما لا بد لي منه اعلم الغيب ما محله من الاعراب
النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول
كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول وانذر به الضمير راجع الى

ما يوحى اليّ و الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم اما قوم داخلون في الاسلام
مقرون بالبعث الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحي اليه لعلهم يتقون
اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون
بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث
البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين
منهم فامر ان ينذر هؤلاء وقوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع
في موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا
لهم ولا بد لهم من هذه الحال لان كلا محشور فالمخوف انما هو الحشر على هذه
الحال لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
ذكر المتقين من المسلمين وامر بانذارهم ليتقوا ثم اردفه ذكر المتقين منهم
وامره بتقريبهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم من اراد بهم خلاف ذلك واثنى عليهم
بانهم يواصلون دعاء ربهم اي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة
والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلوة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص
في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته
وروي ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم
لو طردت هؤلاء الاعبد يعني فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان
واضرابهم وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك و
حدثناك فقال عليه واله الصلوة والسلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم
عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال نعم طمعا في ايمانهم وروي
ان عمر رض قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما ذا يصيرون قالوا اذا فاكتب لنا كتابا
فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت ورمى الصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال
سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقعد معنا وندنو
منه حتى تمس ركبنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر
نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله
الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم

بالغدوة

الممات و ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء
كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم
فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة
وجه الله تعالى في اعمالهم على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما
يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي
فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك
اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى اما كفى قوله وما عليك
من حسابهم من شيء قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما
مؤدى واحد والمعنى في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ولا يستقل بهذا المعنى
الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير
للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم
ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين
جواب النهي ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما
مسبب عن طردهم وقرئ بالغدوة والعشي وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن
العظيم فتنا بعضهم ببعض اي ابتلينا بهم ليقولوا اهؤلاء
من عليهم من بيننا وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين اهؤلاء
الذين من الله عليهم من بيننا اي انعم عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما نسعد هم
عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء انكارا لان يكون
امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه لو كان خيرا
ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا
لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون اليس الله باعلم
بالشاكرين اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن
يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا
فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون
امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم

الذكره

على نفسه الرحمة من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقوله
التوبة انه من عمل منكم سوءا وقرئ انه فانه بالكسر على الاستيناف كان
الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على الابدال من الرحمة بجهالة
في موضع الحال اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل
الجهلة لان من عمل ما يؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان
فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر شعر
على انها قالت عشية زرتها جهلت على عمد ولم تك جاهلا والثاني انه جاهل بما يتعلق
به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته
وقيل انها نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما سألوا ولم يعلم انها مفسدة
ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم وكذلك نفصل الآيات ولتستبين
سبيل المجرمين بالياء والتاء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب
الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته
والمعنى ومثل ذلك التفصيل نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة احوال المجرمين
من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن ترى فيه امارة القبول وهو
الذي يخاف اذا سمع ذكر القيمة ومن دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ
حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا
ذلك التفصيل قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله
صرفت وزجرت بما ركب في من ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع عن
عبادة ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما
كانوا فيه على غير بصيرة قل لا اتبع اهواءكم اي لا اجري في طريقتكم
التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان السبب
الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل
قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم وما انا من المهتدين اي من الهدى
في شيء يعني انكم كذلك ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله
قل اني على بينة من ربي وكذبتم به اي من معرفة ربي وانه لا معبود سواه

على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به حيث اشركتم به غيره يقال
انا على بينة من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بدليل
ثم عقبه بما دل به على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك
وانهم احقاء بان يفاجئوا بالعذاب المستأصل فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب
المستعجل الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة من السماء ان الحكم الا لله
في تأخير عذابكم يقص الحق اي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير
والتعجيل في اقسامه وهو خير الفاصلين اي القاضين وقرئ يقص الحق اي يتبع الحق و
الحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص اثره قل لو ان عندي اي في قدرتي و
امكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم
عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من تكذيبكم ولتخلصت منكم سريعا والله
اعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي على
حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تأويل
البيان او القرآن وانتصاب الحق بانه صفة لمصدر يقضي اي
يقضي القضاء الحق ويجوز ان يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها
اي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق وانما سقطت الياء
في الخط اتباعا للفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما
تسقط من ورقة الا يعلمها جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة
لان المفاتح يتوصل بها الى ما في المخازن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال
ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه هو المتوصل الى المغيبات وحده
لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى
ما في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هي جمع مفتح بفتح الميم
وهو المخزن ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة
وداخل في حكمها كانه قيل وما يسقط من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه
وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها

ومعنى الا في كتاب مبين والكتاب المبين علم الله او اللوح وقرئ ولا حبة ولا
رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان
يكون رفعا على الابتداء وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة
الا في الدار وهو الذي يتوفيكم بالليل الخطاب للكفرة اي انتم منسدحون
الليل كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الآثام فيه ثم يبعثكم
فيه من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل و
كسب الآثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني فيقول في امر كذا ليقضى
اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم
ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب ثم ينبئكم بما
كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم وهو القاهر فوق عباده ويرسل
عليكم حفظة ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن
ابي حاتم السجستاني رحمه انه كان يكتب عن الاصمعي كل شيء يلفظ به من فوائد العلم
حتى قال فيه انت شبيه الحفظة تكتب لفظ اللفظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا
مما يكتب الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها
فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة
الذين هم اشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها في
صحائف تعرض على رؤوس الاشهاد في مواقف القيمة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح
وابعد من السوء حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا اي استوفت
روحه وهم ملك الموت واعوانه وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله
وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز
ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه وهم لا يفرطون بالتشديد والتخفيف
فالتفريط التواني والتأخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون
مما امروا به ولا يزيدون ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولاهم
مالكهم الذي يلي عليهم امورهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق الا
له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب

عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق قل من ينجيكم
من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية مجاز عن مخاوفهما واهوالهما
يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اي اشتدت ظلمته حتى عاد
كالليل ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر
بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من
ظلماتهما لئن انجيتنا على ارادة القول من هذه من هذه الظلمة والشدة
لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل
كرب ثم انتم تشركون وقرئ ينجيكم بالتخفيف والتشديد وانجانا
وخفية بالضم والكسر قل هو القادر هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل
القدرة على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما امطر على قوم لوط
وعلى اصحاب الفيل الحجارة وارسل على قوم نوح الطوفان او من تحت ارجلكم
كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل اكابركم و
سلاطينكم او من تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس
المطر والنبات او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى
كل فرقة منكم متابعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا
ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي
ويذيق بعضكم بأس بعض وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سألت
الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك
وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل ان فناء امتي بالسيف وعن جابر
بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اعوذ بوجهك فلما نزل او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون
انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون ومعنى الآية الوعيد
باحد اصناف العذاب الموعودة والضمير في قوله وكذب به قومك
راجع الى العذاب وهو الحق اي لا بد ان ينزل بهم قل لست عليكم
بوكيل بحفيظ وكل اليّ امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر
لكل نبأ لكل شيء ينبأ به يعني انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم

مستقر وقت استقرار وحصول لا بد منه وسوف تعلمون وقيل الضمير في به
للقرآن وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا في الاستهزاء بها والطعن فيها
وكانت قريش في أنديتهم يفعلون ذلك فأعرض عنهم فلا تجالسهم وقم
عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فلا بأس أن تجالسهم حينئذ وإما ينسينك
الشيطان وإن شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا
تقعد معهم بعد الذكرى بعد أن تذكر النهي مع القوم الظالمين
وقرئ ينسينك بالتشديد ويجوز أن يراد وإن كان الشيطان ينسينك قبل النهي
قبح مجالسة المستهزئين لأنها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد أن ذكرناك
قبحها ونبهناك عليه معهم وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء
وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم
ولكن عليهم أن يذكروهم ذكرى إذا سمعوهم يخوضون بالقيام
عنهم وإظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض
حياء أو كراهة لمساءتهم ويجوز أن يكون الضمير للذين يتقون أي يتقون
إرادة أن يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروي أن المسلمين قالوا
كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام
وأن نطوف فرخص لهم
ما محل ذكرى يجوز أن يكون نصبا على
ولكن يذكرونهم ذكرى أي تذكيرا أو رفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا
أن يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من أحد ولكن زيد لأن
قوله من حسابهم يأبى ذلك وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا أي
دينهم الذي كان يجب أن يأخذوا به لعبا ولهوا وذلك أن عبادة
الأصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب
اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون
الجد أو اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الأصنام وغيرها دينا لهم أو اتخذوا
دينهم الذي كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام لعبا ولهوا حيث
سخروا به واستهزؤوا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه
ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين وأهل الكتاب اتخذوا عيدهم

لهوا ولعبا غير المسلمين فإنهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله تعالى ومعنى ذرهم
أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم وغرتهم
الحياة الدنيا وذكر به أي بالقرآن أن تبسل نفس بما كسبت
مخافة أن تسلم إلى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها وأصل الإبسال
المنع لأن المسلم إليه يمنع المسلم وباسل بين البسالة وهذا عليك بسل
أي حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه أو لأنه شديد البسور
يقال بسر الرجل إذا اشتد عبوسه فإذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه
ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل وإن
تفد كل فداء والعدل الفدية لأن الفادي يعدل المفدى بمثله وكل
نصب على المصدر وفاعل لا يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لأن العدل ههنا
مصدر فلا يسند إليه الأخذ وأما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى
فيصح إسناده إليه أولئك إشارة إلى المتخذين دينهم لعبا ولهوا الذين
أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما
كانوا يكفرون قيل نزلت في أبي بكر الصديق رض حين دعاه ابنه
عبد الرحمن إلى عبادة الأوثان قل أندعو أنعبد من دون الله الضار النافع
ما لا ينفعنا ولا يضرنا ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا ونرد على أعقابنا
راجعين إلى الشرك بعد إذ هدانا الله بعد إذ أنقذنا الله منه وهدانا للإسلام
كالذي استهوته الشياطين كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان
في الأرض في المهمه حيران تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع
له أي لهذا المستهوى أصحاب رفقة يدعونه إلى الهدى إلى أن يهدوه الطريق
المستوي أو سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له ائتنا وقد اعتسف المهمه
تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده أن
الجن تستهوي الإنسان والغيلان تستولي عليه كقوله كالذي يتخبطه
الشيطان من المس فشبه به الضال عن طريق الإسلام التابع لخطوات
الشيطان والمسلمون يدعونه إليه فلا يلتفت إليهم قل إن هدى

وهو الاسلام هو الهدى وحده وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فماذا بعد الحق الا الضلال   ما محل الكاف في قوله كالذي
استهوته   النصب على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اي انكص
مشبهين من استهوته الشياطين   ما معنى استهوته
استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه وحرصت
ما محل وامرنا   النصب عطفا على قوله ان هدى الله هو الهدى على
انهما مقولان كانه قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم لرب العالمين
ما معنى اللام في لنسلم   هي تعليل للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا
لاجل ان نسلم   فاذا كان هذا واردا في شان ابي بكر فكيف قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم قل اندعوا   للاتحاد الذي كان بين رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم والمؤمنين خصوصا الصديق رض   علام عطف قوله
وان اقيموا الصلوة   على موضع لنسلم كانه قيل امرنا ان نسلم وان
اقيموا ويجوز ان يكون التقدير وامرنا لان نسلم ولان اقيموا اي للاسلام ولاقامة
الصلوة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات
والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك
يوم ينفخ في الصور   مبتدا ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار
كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض
قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله
الحق والحكمة اي لا يكون شيء من السموات والارض وسائر المكونات الا عن
حكمة وصواب ويوم ينفخ ظرف لقوله له الملك اليوم ويجوز ان يكون قوله
الحق فاعل يكون وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه بالحق كانه قيل وحين يكون ويقوم
بالحق عالم الغيب والشهادة   هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح وهو
الحكيم الخبير واذ قال ابرهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة
آزر اسم ابي ابرهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية تارخ والاقرب ان
يكون وزن آزر فاعل مثل تارخ وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما اشبهها

من اسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر
اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن
فقيل ابن قيس الرقيات وفي شعر بعض المحدثين ادعى باسماء نبزا في قبائلها
كان اسماء اضحت بعض اسمائي او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه
مقامه وقرئ ءازرا تتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام
وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه اتعبد ازرا على الانكار
ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو كالبيان داخل في حكم الانكار
لانه كالبيان له اني اريك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري ابرهيم
ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل
رأى كوكبا قال هذا ربي   عطف على قال ابرهيم لابيه وقوله وكذلك نري
ابرهيم لابيه وقوله وكذلك نري ابرهيم جملة معترضة بها بين المعطوف والمعطوف
عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابرهيم ونبصره ملكوت السموات
والارض يعني الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره
وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال وليكون من الموقنين فعلنا ذلك
ونري حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب
فاراد ان ينبههم على الخطاء في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر و
الاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى ان شيئا منها لا يصح ان يكون الها لقيام
دليل الحدوث فيها وان وراءها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها
وافولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها وهذا ربي قول من ينصف خصمه
مع علمه انه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى الى
الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة فلما افل
قال لا احب الآفلين   لا احب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال
المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجرام
فلما رأى القمر بازغا   مبتدئا في الطلوع قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين   تنبيه لقومه على من اتخذ القمر الها وهو

نظير الكواكب في الافول فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه فلما
رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر من باب استعمال النصفة
ايضا مع خصومه فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون
من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها اني وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين اي للذي دلت هذه المحدثات
عليه وعلى انه مبدئها ومبدعها وقيل كان هذا نظره واستدلاله في نفسه
حكاه الله والاول اظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم اني بريء
مما تشركون
لم احتج عليهم بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء
واحتجاب

دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال

ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والاشارة الى الشمس
جعل المبتدا مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولك ما جاءت حاجتك
ومن كانت امك ولم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكان اختيار الطريقة
واجبا لصيانة الرب عن شبهة التانيث الا تراهم قالوا في صفة الله تعالى
علام ولم يقولوا علامة وان كانت العلامة ابلغ احترازا من علامة التانيث
وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات والارض ليدفع الملكوت ومعناه نبصره
دلائل الربوبية وحاجه قومه قال اتحاجوني في
الله وكانوا حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك وقد هدان الى التوحيد ولا اخاف ما تشركون
به وقد خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء الا ان يشاء ربي شيئا الا وقت
مشيئة ربي شيئا يخاف فحذف الوقت يعني لا اخاف معبوداتكم في وقت قط لانها
لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربي ان يصيبني بمخوف من جهتها
ان اصبت ذنبا استوجب به انزال المكروه مثل ان يرجمني بكوكب او بشقة من
الشمس او القمر او يجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي كل شيء علما اي ليس
بعجب ولا مستبعد ان يكون في علمه انزال المخوف بي من جهتها افلا تتذكرون
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم
وانتم لا تخافون ما يتعلق به كل مخوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل
به باشراكه عليكم سلطانا اي حجة لان الاشراك لا يصح ان يكون عليه حجة

كانه قال وما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم
الامن في موضع الخوف فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون
لم يقل فاينا احق بالامن انا ام انتم احترازا من تزكية النفس فعدل عنه الى
قوله فاي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين ثم استانف الجواب عن
السؤال بقوله الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوا
ايمانهم بمعصية تفسقهم وابى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس اولئك
لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا اشارة الى جميع ما احتج به ابرهيم
على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون ومعنى آتيناها
ابرهيم على قومه ارشدناه اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء
يعني في العلم والحكمة وقرئ بالتنوين ان ربك حكيم عليم ووهبنا
له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته
الضمير لنوح عليه السلام وداود عطف على نوحا اي وهدينا داود وسليمان وايوب
ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى
وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس
ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم في موضع النصب عطفا على
كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم و
هديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من
عباده ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لحبط
عنهم ما كانوا يعملون لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم كما قال لئن اشركت
ليحبطن عملك اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد الجنس والحكم والنبوة
فان يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة او بالنبوة هؤلاء يعني اهل مكة
فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين هم الانبياء المذكورون ومن
تابعهم بدليل قوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل وصل قوله قوما
بما قبله وقيل هم اصحاب النبي عليه وآله الصلوة وكل من آمن به
وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الملائكة وادعى الانصار انها لهم وعن مجاهد هم

القرآن ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل
الرجل ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء في بها صلة كافرين والباء في بكافرين
تاكيد النفي أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فاخصص هداهم بالاقتداء
ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقهم في الايمان
بالله وتوحيده واصول الدين دون الشرايع فانها مختلفة وهي ما لم تنسخ
فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف اصول الدين فانها هدى ابدا والهاء في اقتده
للوقف تسقط في الدرج واستحسن ايثار الوقف واثبات الهاء في المصحف قل
لا اسئلكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين وما قدروا الله
حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم اذ
قالوا ما انزل الله على بشر من شيء حين انكروا البعثة الرسل والوحي
اليهم وذلك من اعظم رحمته واجل نعمته وما ارسلناك الا رحمة للعالمين
او ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين
جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة والقائلون هم اليهود بدليل
قراءة من قرأ يجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون كثيرا وانما قالوا ذلك
مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قل من
انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس
تبدونها وتخفون كثيرا فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التورية
على موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم سوء حملهم لكتابهم
وتحريفهم وابداء بعض واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس
حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا
مما راموا من الابداء والاخفاء وروي ان مالك بن الصيف من احبار
اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انشدك
بالذي انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر
السمين فقد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب
ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك

ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف
وقيل القائلون قريش وقد الزموا انزال التورية لانهم كانوا يسمعون
من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتورية وكانوا يقولون لو انا انزل علينا
الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم
الخطاب لليهود اي علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم مما اوحي اليه
ما لم تعلموا انتم وانتم حملة التورية ولم تعلمه آباؤكم الاقدمون الذين
كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه
يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم
قل الله اي انزله الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك ثم ذرهم في خوضهم
في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة ويقال لمن كان
في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب يلعبون حال من ذرهم او من خوضهم
ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة له او لذرهم
وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير المنافع والفوايد مصدق الذي
بين يديه ولتنذر عطف على ما دل عليه صفة الكتاب كانه قيل انزلناه للبركات
وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار وقرئ بالتاء والياء ام القرى
ومن حولها وسميت مكة ام القرى لانها اول بيت وضع للناس ولانها
قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شأنا ولبعض المجاورين
فمن يلق في بعض القريات رحله فام القرى ملقى رحالي ومنسمي والذين يؤمنون
بالآخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يؤمنون به بهذا الكتاب وذلك ان
اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وهم على صلاتهم
يحافظون وخص الصلوة لانها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة
على اخواتها ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فزعم ان الله تعالى
بعثه نبيا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب
او كذاب صنعاء الاسود العنسي وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأيت فيما
النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان

انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة
وكذاب صنعاء الاسود العنسي ومن قال سانزل مثل ما انزل الله هو عبد الله
سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان
اذا املى سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما
فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى آخر الآية عجب عبد الله
من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال اكتبها فكذلك
نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم صادقا لقد
اوحي الي كما اوحي اليه ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام
ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحارث والمستهزؤن
ولو ترى جوابه محذوف اي لرايت امرا عظيما اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم من
اليهود والمتنبئة فيكون اللام للعهد ويجوز ان يكون للجنس فيدخل هؤلاء لاشتماله
في غمرات الموت وغمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت
للشدة الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم
يبسطون اليهم ايديهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم
وهذه عبارة عن العنف في السياق والالحاح والتشديد في الازهاق من غير
تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملظ يبسط يده الى من عليه
الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له اخرج الي ما لي عليك الساعة
ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك وقيل معناه باسطوا ايديهم عليهم
بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اي لا تقدرون على الخلاص
اليوم تجزون عذاب الهون يجوز ان يريد وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة
النزع وان يريد الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ
والقيامة والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء
يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق
وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا فرادى
منفردين عن اموالكم واولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم

وعن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء لله كما خلقناكم اول
مرة على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا
به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم لم ينفعكم ولم
تحملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم وما نرى معكم شفعاءكم الذين
زعمتم انهم فيكم شركاء في استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة
وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقرئ فرادا بالتنوين
وفراد مثل ثلاث وفردى مثل سكرى كما خلقناكم في اي محل هو
في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا اي مجيئا مثل خلقنا لكم لقد تقطع بينكم
وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد اوقع الجمع بينهما على اسناد
الفعل الى مصدره بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند الفعل الى الظرف كما تقول
قوتل خلفكم وامامكم وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم وضل عنكم ما كنتم
تزعمون ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشقين
اللذين في النواة والحنطة يخرج الحي من الميت اي الحيوان والنامي من النطف
والبيض والحب والنوى ومخرج الميت من الحي ومخرج هذه الاشياء
الميتة من الحيوان والنامي كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل
بعد قوله يخرج الحي من الميت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل و
يخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فالق
الحب والنوى بالنبات والشجر النامين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي
في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها ذلكم ذلكم المحيي
المميت هو الله وحده الذي يحق له الربوبية فانى تؤفكون فكيف تصرفون
عنه وعن توليه الى غيره فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا الاصباح
مصدر سمي به الصبح وقرا الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وانشد قوله افني رباحا
وبني رباح تناسخ الامساء والاصباح بالكسر والفتح مصدرين وجمع صبح
فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال تفرى ليل عن
فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في آخر الليل

ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر
انصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطائي وازرق الفجر يبدو وقرأ
وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل بالنصب على المدح وقراءة النخعي فلق الاصباح
وجعل الليل بالنصب على المدح وقراءة النخعي فلق الاصباح وجعل الليل سكنا يسكن
الرجل ويطمئن استئناسا به واستراحة اليه من زوج او حبيب ومنه قيل
للنار سكن لانه يستأنس بها الا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن اليه التعب
بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا
فيه والشمس والقمر قرئا بالحركات الثلث فالنصب باضمار فعل دل عليه جاعل الليل
اي وجعل الشمس والقمر حسبانا او يعطفان على محل الليل كيف يكون
الليل محلا والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف اليه في معنى المضي ولا
تقول زيد ضارب امس ما هو في معنى المضي وانما هو دال على جعل مستمر
في الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول الله قادر
عالم فلا يقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على
الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان
لان حسبان الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب
ونظيره الكفران والشكران ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير
بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما و
تدويرهما وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر
والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافتها اليهما للملابستها لهما او شبه
مشتبهات الطرق بالظلمات قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي
انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات
لقوم يفقهون من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا
ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم
ومستودع في الصلب او مستقر فوق الارض ومستودع تحتها او منكم مستقر
ومنكم مستودع لم قيل يعلمون مع ذكر النجوم ويفقهون مع ذكر انشاء

بني آدم كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة
الطف وادق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق
نظر مطابقا له وهو الذي انزل من السماء ماء فأخرجنا به بالماء نبات
كل شيء نبت كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد
وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال يسقى بماء واحد ونفضل بعضها
على بعض في الاكل فأخرجنا منه من النبات خضرا شيئا غضا اخضر يقال اخضر
وخضر كأعور وعور وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج
منه من الخضر حبا متراكبا وهو السنبل وقنوان رفع بالابتداء ومن النخل
خبره ومن طلعها بدل منه كأنه قيل وحاصله من طلع النخل قنوان ويجوز
ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجه من طلع النخل قنوان
ومن قرأ ويخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان
جمع قنو كنظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب
لان فعلان ليس من زنات التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف
الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تأتي
بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريبة بعضها من بعض وقيل ذكر
القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر ودل بذكر القريبة على ذكر
البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما
ان يراد وثم جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى
وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب وكذا
قوله مشتبها وغير والاحسن ان ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة
لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك
استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير
متشابه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله
كنت منه ووالدي بريا والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر
واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاتفاق انظروا الى ثمره

إذا أثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وينعه وانظروا الى ينعه ونضجه كيف يعود جامعا للمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال كيف يعود جامعا للمنافع وملاذ على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن يانعه وقرئ وثمره إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الاول ما فائدة التقديم

فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شركاء للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم اي اختلاقهم للافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها وخرقوا له وخلقوا له اي افتعلوا له بنين وبنات وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرئ وحرفوا له اي زوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ او صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والأرض من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره او هو بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير والمثل فيهما وقيل البديع بمعنى المبدع

وارتفاعه على انه خبر مبتداء محذوف او هو مبتداء وخبره أنى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرئ بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم وفيه ابطال الولد من ثلاثة اوجه احدها ان مبتدع السموات والارض وهي اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح ان يكون له صاحبة فلم يصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج وقرئ ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد لا ختيطل امرسوء على باب استه صلب وشام ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتداء وما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء اي ذلكم الجامع لهذه الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شيء وكيل يعني هو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال لا تدركه الأبصار البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات والمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا في ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيئات وهو يدرك الأبصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك وهو اللطيف الخبير لكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تدركه يلطف عن ادراكه وهذا من باب اللف قد جاءكم بصائر من ربكم وهو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به كما ان البصر نور العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز

ما هو للقلوب كالبصاير **فمن ابصر** الحق وآمن **فلنفسه** ابصر وايا ها نفع **ومن عمي** عنه **فعليها** فعلى نفسه عمي وايا ها ضر بالعمى **وما انا عليكم بحفيظ** اي احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم **وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست** جوابه محذوف تقديره وليقولوا دارست نصرفها ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اي دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اي دارس اهل الآيات وحملتها محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وهم اهل الكتاب ودرس اي درس محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودارسات على هي دارسات اي قديمات او ذات درس كعيشة راضية **ولنبينه لقوم يعلمون** اي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لما حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبهه به فسيق مساقه وقيل كما قيل لنبينه الام يرجع الضمير في قوله ولنبينه الى الآيات لانها في معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقوله ضربته زيدا ويجوز ان يراد فيمن قرأ درست ودارست درست الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر **اتبع ما يوحى اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل** لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله** وذلك انهم قالوا

عند نزول قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهن عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله تعالى سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهي عن المعاصي رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر وهو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر فقد روي عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال او لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه مثله حتى نبه عليه الحسن **عدوا** ظلما وعدوانا وقرئ عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وعن ابن كثير عدوا بفتح العين **بغير علم** على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به **كذلك زينا لكل امة عملهم** مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم او امهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا **ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون** فيخبرهم عليه ويعاقبهم **واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية** من مقترحاتهم **ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله** وهو قادر عليها ولكنها لا ينزلها الا على موجب الحكمة وانما الآيات عند الله لا عندي فكيف اجيبكم عليها وآتيكم بها **وما يشعركم** وما يدريكم **انها** ان الآية التي تقترحونها **اذا جاءت لا يؤمنون** بها يعني انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم انها لا تؤمن على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يؤمنون الا ترى الى

قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشتري لحما وقال امرؤ القيس عوجا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار
ويقويها قراءة أبي لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وقرئ انها بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وما يشعرهم انها اذا جاءت يؤمنون اي يحلفون بانهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان يكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنون بها **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون** ونقلب افئدتهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا اولا لا يؤمنون بها لكونها مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم في طغيانهم اي نخليهم وشانهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم اي الله عز وجل وقرأ الاعمش ويقلب افئدتهم وابصارهم على البناء للمفعول **ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة** كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة **وكلمهم الموتى** كما قالوا فأتوا بآبائنا **وحشرنا عليهم كل شيء قبلا** كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلا بصحة ما بشرنا به وانذرنا او جماعات وقيل قبلا مقابلة وقيل قبلا عيانا **ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء** مشيئة اكراه واضطرار **ولكن أكثرهم يجهلون** فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الآية المقترحة **وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا** كما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا من الانبيا واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر وانتصب **شياطين الإنس والجن**

على البدل من عدوا او على انهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن **يوحي بعضهم إلى بعض** يوسوس شياطين الجن والانس وكذلك بعض الجن الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا **زخرف القول** ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموهه **غرورا** خدعا واخذا على غرة **ولو شاء ربك ما فعلوه** ما فعلوا ذلك اي ما عادوك او ما اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بان يكفهم ولا يخليهم وشانهم **فذرهم وما يفترون ولتصغى** جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على ان اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر والضمير في **إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة** يرجع الى ما رجع اليه الضمير في فعلوه اي ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين افئدة الكفار **وليرضوه** لانفسهم **وليقترفوا ما هم مقترفون أفغير الله أبتغي حكما** على ارادة القول اي قل يا محمد افغير الله ابتغي اطلب حكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل **وهو الذي أنزل إليكم الكتاب** المعجز **مفصلا** مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء **والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق** ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته **فلا تكونن من الممترين** من باب التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين او فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به ويجوز ان يكون خطابا للكل واحد على انه تعاضدت الادلة على صحته وصدقه فما ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه خطاب لامته **وتمت كلمة ربك** اي تم كل ما اخبر به وامر ونهى ووعد واوعد **صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته** لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك اي ما تكلم

به وقيل هي القرآن وهو السميع العليم وان تطع اكثر من في الارض
يضلوك عن سبيل الله وان تطع اكثر الناس اضلوك لان الاكثر في
غالب الامر يتبعون اهواءهم ثم قال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم
ان آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون يقدرون
انهم على شيء او يكذبون في ان الله حرم كذا واحل كذا ان ربك هو اعلم
من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وقرئ من يضل بضم الياء اي يضله
الله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين
مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحلال ويحرمون الحلال وذلك
انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله
احق ان تأكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا
مما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم
او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره
من آلهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله
وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه واي غرض لكم في ان لا
تأكلوا وقد فصل لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم على تسمية
الفاعل وهو الله عز وجل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه حلال
لكم في حال الضرورة وان كثيرا ليضلون قرئ بفتح الياء وضمها
اي يضلون فيحرمون ويحللون باهوائهم وشهواتهم بغير علم من غير تعلق
بشريعة وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما اعلنتم منه وما اسررتم
وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهر الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة
في السر ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا
يقترفون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق
الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل
منه لفسق او الى الموصول على ان اكله لفسق او جعل ما لم يذكر اسم الله
عليه بنسيان او عمد في نفسه فسقا قد ذهب جماعة من المجتهدين

الى جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد وقد تأوله هؤلاء
بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله او فسقا اهل لغير الله
به وان الشياطين ليوحون ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم
بقولهم ولا تأكلون مما قتله الله وبهذا تتمسك من تأوله بالميتة وان
اطعتموهم انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك
به ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيف ما كان
لما يرى في الآية من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة مرخصا في النسيان
دون العمد ومالك والشافعي فيهما او من كان ميتا فاحييناه و
جعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل الذين هداه الله بعد الضلالة ومنحه
التوفيق الذي يميز به بين الحق والباطل والمهتدي والضال لمن كان ميتا فاحياه
الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض
ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك
منها ولا يتخلص ومعنى قوله كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها
كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة التي وعد
المتقون فيها انهار اي صفتها هذه وهي قوله فيها انهار اي صفتها كذلك
زين للكافرين اي زينه الشيطان او الله عز وجل على قوله زينا لهم اعمالهم
عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها
يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية اكابر
مجرميها خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الاكابر لانهم هم الحاملون
على الضلال والماكرون بالناس كقوله امرنا مترفيها ففسقوا وقرئ اكبر مجرميها
على قولك هم اكبر قومهم واكابر قومهم وما يمكرون الا بانفسهم
وما يشعرون لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم وتقدير موعد بالنصرة عليهم واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن
حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله روي ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة
حقا لكنت بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروي ان ابا جهل

قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي
يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت ونظيره
قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة الله اعلم حيث يجعل رسالته
كلام مستانف للانكار عليهم وان الله لا يصطفي للنبوة الا من علم انه يصلح لها
وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم سيصيب الذين اجرموا صغار
عند الله وقماءة بعد كبرهم وعظمهم وعذاب شديد في
الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار بما كانوا يمكرون فمن
يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف
يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام ويسكن اليه
نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخليه وشانه وهو
الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا بمنعه الطافه حتى يقسو قلبه و
ينبو عن الحق وينسد فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد حرجا
بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء كانما يزاول
امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق
عنه المقدرة وقرئ يصّعّد واصله يتصعد وقرا عبد الله يتصعد ويصّاعد
واصله يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من اصعد كذلك يجعل
الله الرجس على الذين لا يؤمنون يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض
ما يوصف به التوفيق من الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو
العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وهذا صراط ربك وهذا طريقه
الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان مستقيما عادلا مطردا و
انتصابه على انه حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا قد فصلنا الآيات
لقوم يذكرون لهم لقوم يذكرون دار السلم دار الله يعني الجنة اضافها
الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم في ضمانه
كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى او ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهو وليهم مواليهم ومحبهم او ناصرهم

على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون
ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمحذوف اي واذكر يوم نحشرهم وقلنا
او ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن او ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن
كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر وهم من الثقلين وعنى بهم الجن
هم الشياطين قد استكثرتم من الانس اي اضللتم منهم كثيرا او جعلتموهم
اتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود
واستكثر فلان من الاشياع وقال اولياؤهم من الانس الذين اضللتم
~~منهم كثيرا او جعلتموهم~~ الذين اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم ربنا
استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات
وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم
على مرادهم وشهوتهم في اغوايهم وقيل استمتاع الانس بالجن ما في قوله
وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وان الرجل كان اذا
نزل واديا وخاف قال اعوذ برب هذا يعني به كبير الجن واستمتاع الجن
بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم
وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثويكم يعنون يوم البعث وهذا
الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث
واستسلام لربهم وتحسر على حالهم قال النار مثويكم خالدين فيها
الا ما شاء الله اي يخلدون في عذاب النار الابد كله الا ما شاء الله الا
الاوقات التي ينقلبون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روي
انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون
ويطلبون الرد الى الجحيم ويكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق
عليه انيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا
اذا شئت وقد علم انه لا يشاء الا التشفي منه باقصى ما يقدر عليه من التعنيف
والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في
صورة الاستثناء الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا يفعل شيئا الا بموجب

الحكمة عليم بان الكفار يستوجبون عذاب الابد وكذلك نولي بعض
الظالمين بعضا نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة
الانس او يجعل بعضهم اولياء بعض يوم القيمة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما
كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يقال لهم يوم القيمة
على جهة التوبيخ يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون
عليكم اياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا واختلف في ان
الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم ولم يفرق بين مكلفين و
مكلفين ان يبعث اليهم رسل من جنسهم لانهم به آنس وله الف وقال
آخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان
في الخطاب صح ذلك وان كان من احدهما كقوله ولوا الى قومهم منذرين
وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم يبعثون الى
الانس ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الانس والجن قالوا شهدنا
على انفسنا حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله الم ياتكم لان الهمزة
الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على
انفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم محجوجون بها
ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين
يتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك المتطاول فيقرون في بعضها
ويجحدون في البعض او اريد شهادة ايديهم وارجلهم وجلودهم حين يختم
على افواههم وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين
لم كرر ذكر شهادتهم على انفسهم
الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون وكيف يعترفون والثانية ذم لهم
وتخليط لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحيوة
الدنيا واللذات الحاضرة وكانت عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة
على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قال والواذلك
تحذيرا للسامعين من مثل حالهم
اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم

وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتداء محذوف اي الامر ذلك وان لم يكن
ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل اي الامر ما قصصنا عليك لانه لم
يكن ربك مهلك القرى بظلم على ان النهي التي تنصب الافعال ويجوز ان يكون
مخففة من الثقيلة على معنى لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم و
ان تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع
بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول
وكتاب لكان ظلما وهو متعال عن الظلم ولكل من المكلفين درجات منازل
مما عملوا من جزاء اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون لساه عنه يخفى عليه
مقاديرها واحواله وما يستحق عليه من الاجر وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم
ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم على المنافع الدائمة ان يشا يذهبكم
ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع كما
انشاكم من ذرية قوم آخرين من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل
صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلم ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا
تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله اعملوا
على مكانتكم اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم و
اعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله
على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل على مكانتي
التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام و
على مصابرتكم فسوف تعلمون انما تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر
طريقه قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المامور بانه لا يأتي
الا الشر فكانه مامور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتقصى عنه ويعمل
بخلافه
من تكون له
ما موضع
الرفع اذا كان بمعنى اي و
علق عنه فعل العلم او النصب بمعنى الذي عاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق
الله تعالى هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف

في المقال وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل انه لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا كانوا يعنون اشياء من حرث ونتاج لله واشياء منهما لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما ذاك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وقوله مما ذرأ فيه ان الله كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية بزعمهم وقرئ بالضم اي قد زعموا انه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين الاصنام في القربة فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه التي كان يصرفها اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما كان لله فهو يصل الى شركائهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك ساء ما يحكمون في ايثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ومثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين والمعنى ان شركاءهم من الشياطين او من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد او بنحرهم للآلهة وكان الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وزين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل اولادهم وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات لكان سمجا مردودا كما سمج ورد زج القلوص ابي مزاده فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على

ذلك ان رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل وليوقعوهم في دين ملتبس ما معنى اللام ان كان التزيين من الشيطان فهي على الحقيقة للتعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله مشيئة قسر ما فعلوه لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او فعل الشياطين او السدنة التزيين او الارداء او اللبس او جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون ما يفترونه من الافك او وافتراءهم وقالوا هذه انعام وحرث حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وعن ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا شيئا من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب والحوامي وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه انعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله افتراء عليه اي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا كانوا يقولون في اجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا تأكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وانث خالصة للحمل على المعنى لان

في معنى الاجنة وذكور محرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك ويجوز ان تكون التاء للمبالغة مثلها في رواية الشعر وان يكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية اي ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز ان تكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس خالصة على الاضافة وفي مصحف عبد الله خالص وان يكن ميتة وان يكن ما في بطونها ميتة وقرئ وان تكن بالتانيث على وان تكن الاجنة ميتة وقرأ اهل مكة وان تكن ميتة بالتانيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لان الميتة لكل ميت ذكرا وانثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه سواء سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم من قوله وتصف السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم نزلت في ربيعة ومضر من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم لا هم وقرئ قتلوا بالتشديد وحرموا ما رزقهم من البحائر والسوائب وغيرها افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذي انشأ جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات ما في الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه والنخل والزرع مختلفا اكله في اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ اكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك كقوله فادخلوها خالدين والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره وقرئ ثمره بضمتين

فان تكن ميتةً
كص دك

قتل
دك

تتخلوا
ج ح ك س

أكله
اد

بما فائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يؤكل منه قلنا لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح اذا ادرك واينع وآتوا حقه يوم حصاده الآية مكية والزكوة انما فرضت بالمدينة فاريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان واجبا حتى نسخه افتراض العشر وقيل مدنية والحق هو الزكوة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء ولا تسرفوا في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا الى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا عطف على جنات اي وانشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين بدل من حمولة وفرشا اثنين زوجين صنفين الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده فهو فرد واذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا فهما زوجان بدليل قوله تعالى خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كأسا بشرط ان يكون فيها خمر والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئ بفتح العين وقرأ ابي من المعزى وقرئ اثنان على

لو تعيش ص

اتوا
كانو وحد
حصيده
ادش

حمولة

خطوات الضان
آالذكرين آلذكر
كلاهما عن كل القراء للكسائي قراءة ن باعتبار السكون قبله خمسة اوجه الكسر وعدمه والنقل بكسرها مع التسهيل لاجل الفتح وعدم السكت والنقل كلاهما الابدال والمد لابن عليون

الابتداء الهمزة في آلذكرين للانكار والمراد بالذكرين الذكور من المعز والضأن
الانثى من الضان والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار ان يحرم الله من
جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئاً من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث
الجنسين وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر والانثيين منهما وما تحمل
اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها تارة
واولادها كيف ما كانت ذكوراً كان او اناثاً او مختلطة تارة وكانوا يقولون
قد حرمها الله تعالى فانكر ذلك عليهم نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من
جهة الله تعالى يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله تعالى
حرمها ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين
حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ا

بل اكنتم شهداء ومعنى الانكار
يعني ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم
كانوا لا يؤمنون بالرسول وهم يقولون الله تعالى حرم هذا الذي نحرمه
فتهكم به في قوله ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية

وهم عمرو بن لحي
بن قمعة الذي بحر البحاير وسيب السوايب   فصلت بين بعض المعدد
وبعضه ولم تؤلف بينه   قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي من
المعدود وذلك ان الله عز وجل من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وبا
لهم فالاعتراض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تأكيد
للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد
تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس
طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها
الا ان يكون الشيء المحرم ميتة   اي مصبوبا سائلا كالدم
لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح

عطف على المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله تعالى فسقا
لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق
صفة له منصوبة المحل ويجوز ان يكون مفعولا له من اهل اي
اهل لغير الله به فسقا   فعلام يعطف اهل والام يرجع الضمير في به على
هذا القول   يعطف على ان يكون ويرجع الضمير الى ما يرجع اليه المستكن في
يكون   فمن دعته الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات
على مضطر مثله تارك لمواساته   متجاوز قدر حاجته من تناوله
لا يؤاخذه
ذو الظفر ما له اصبع من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم
فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله
كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط
والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر والغنم
على التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلى
وقوله تعالى   يعني الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من
السحفة   او ما اشتمل على الامعاء   وهو شحم الالية وقيل
الحوايا عطف على شحومهما واو بمنزلتها في قولهم جالس الحسن او ابن سيرين
الجزاء   وهو تحريم الطيبات   بسبب ظلمهم
فيما اوعدناه العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة فلما
عصوا وبغوا الحقنا بهم الوعيد واحللنا بهم العقاب   في ذلك
ودعمهم ان الله تعالى واسع ما نه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما
لاهل طاعته   مع سعة رحمته
فلا تغتروا برجاء رحمته عن خوف نقمته

لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم ان شركهم

وشرك آبائهم وتحريمهم ما احل الله بمشيئة الله وارادته ولولا مشيئته لم
يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه
اي جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله عز وجل ركب في العقول وانزل في الكتب
ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن
علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد كذب التكذيب
كله وهو تكذيب الله تعالى وكتبه ورسله ونبذ ادلة العقل والسمع وراء ظهره
حتى انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم
من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم
والشهادة بان مثل قولهم محال ان يكون له حجة وهذا من التهكم
في قولكم هذا
تقدرون ان الامر كما تزعمون او تكذبون وقرئ كذلك كذب الذين
من قبلهم بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة يعني فان كان الامر كما زعمتم ان
ما انتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم فلو شاء
لهديكم اجمعين منكم ومن مخالفيكم في الدين فان تعليقكم دينكم
بمشيئة الله عز وعلا يقتضي ان تعلقوا دين من يخالفكم ايضا بمشيئته فتوالوهم
ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشيئة تجمع بين ما انتم عليه
وبين ما هم عليه هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا
هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع
والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوا كيف امره باستحضارهم وهم شهداؤهم
الذين يشهدون ان الله حرم ما زعموه محرما ثم امره بان لا يشهد معهم
امره باستحضارهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر و
يظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء انهم ليسوا على شيء لتساوي اقدام
الشاهدين والمشهود لهم في انهم لا يرجعون الى ما يصح التمسك به فان شهدوا
فلا تشهد معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا
سلم لهم فكانه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم
من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بآيات

الله تعالى وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو تبع الدليل لم يكن الا
مصدقا بالآيات موحدا لله هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون ان الله
حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل المراد ان يحضروا شهداءهم
الذين علم انهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم
ينصرون ه
ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق
ويبطل الباطل فاضيفت الشهداء لذلك وجيء بالذين للدلالة على انهم
شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه
قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل هلم شهداء يشهدون لكان معناه
هاتوا اناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس
بالغرض ويناقضه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم والذين لا يؤمنون
بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم
تعال من الخاص الذي صار عاما واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو
اسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم وما حرم منصوب بفعل التلاوة بمعنى
اتل الذي حرمه ربكم او بحرم بمعنى اتل اي شيء حرم ربكم لان التلاوة
من القول وان في ألا تشركوا به شيئا مفسرة ولا للنهي هلا
قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت ألا تشركوا بدلا مما حرم وجب ان يكون
لا تشركوا ولا تقربوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الاوامر عليها وهي قوله
وبالوالدين احسانا لان التقدير واحسنوا بالوالدين احسانا واوفوا واذا قلتم
فاعدلوا وبعهد الله اوفوا فما تصنع بقوله وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وانما يستقيم عطفه على ان لا تشركوا اذا جعلت ان
هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى اتل عليكم نفي الاشراك والتوحيد واتل
عليكم ان هذا صراطي مستقيما اجعل قوله وان هذا صراطي مستقيما
علة للاتباع بتقدير اللام كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا
بمعنى ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر كانه
قيل واتبعوا صراطي لانه مستقيم او واتبعوا صراطي انه مستقيم
انا

هو الحق مستقيم جعلت ان مفسرة لفعل التلاوة وهو متعلق بما حرم ربكم و
ان يكون نفيا بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف
النهي فما تصنع بالاوامر لما وردت هذه الاوامر مع النواهي وتقدمهن
جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الى اضدادها
وهي الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث
عهد الله ولا تقتلوا اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته لقوله
خشية املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر
منها وما بطن مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم
الله الا بالحق كالقصاص والقتل على الردة والرجم ذلكم وصاكم
به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن
اي بالخصلة التي هي احسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى احفظوه
عليه حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالسوية
والعدل لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا تعجز عنه وانما
اتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذي لا
زيادة ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فامر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو
واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ولو كان المقول له او عليه في
شهادة او غيرها من اهل قرابة القائل فما ينبغي ان يزيد في القول او ينقص
كقوله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين وبعهد الله اوفوا ذلكم
وصاكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه وقرئ وان هذا صراطي بتخفيف ان واصله وانه صراطي على
ان الهاء ضمير الشان والحديث وقرأ الاعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله
وهذا صراط ربكم وفي مصحف ابي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل
الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع
والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم وتزيلكم عن سبيله عن صراط
الله تعالى المستقيم وقرئ فتفرق بادغام التاء ذلكم وصاكم به

ووصيكم نسخة

تذكرون وصيكم

لعلكم تتقون وروى ابو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله
خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه
الآية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآيات
لاول شيء في التورية علام عطف قوله ثم آتينا موسى الكتاب
على وصاكم به كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية
بدهر طويل هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل امة على لسان نبيها
كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم
وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب
وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة
من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب تماما على الذي احسن على من كان
محسنا صالحا يريد جنس المحسنين ويدل عليه قراءة عبد الله على الذين احسنوا
او اراد به موسى عليه السلام اي تتمة للكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ
وفي كل ما امر به او تماما على الذي احسن موسى من العلم والشرائع من احسن
الشيء اذا اجاد معرفته اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن
يعمر على الذي احسن اي على الذي هو احسن بحذف المبتدأ كقراءة من قرأ
مثلا ما بعوضة بالرفع اي على الدين الذي هو احسن دين وارضاه او آتينا
موسى الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب اي على
الوجه والطريق الذي هو احسن وهو معنى قول الكلبي اتم له الكتاب على
احسنه وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم
يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم
ترحمون ان تقولوا كراهة ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين
من قبلنا يريدون اهل التورية واهل الانجيل وان كنا عن دراستهم
لغافلين هي ان المخففة من الثقيلة واللام الفارقة بينها وبين النافية والاصل
وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشان عن دراستهم عن

تماما للكرامة والنعمة على الذي احسنه

ووصى نسخة

طائفتين

وانهم اي لم نعرف مثل دراستهم او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب
لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام
العرب ووقائعها وخطبها واشعارها واسجاعها وامثالها على انا اميون
وقرئ ان يقولوا او يقولوا بالياء فقد جاءكم بينة من ربكم
وهدى ورحمة تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة
احسن لما فيه من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم
فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من احاسن الحذوف فمن اظلم
ممن كذب بآيات الله بعد ما عرف صحتها وصدقها او تمكن من معرفة ذلك
وصدف عنها الناس فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا
سوء العذاب بما كانوا يصدفون كقوله الذين كفروا وصدوا عن
سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة
ملائكة الموت او ملائكة العذاب او يأتي ربك او يأتي كل آيات ربك بدليل
قوله تعالى او يأتي بعض آيات ربك يريد آيات القيمة والهلاك الكلي يوم يأتي
بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها وبعض الآيات اشراط الساعة
كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة
اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما تتذاكرون وكنا
نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض
وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها
ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلم ونارا تخرج من عدن لم تكن
آمنت من قبل صفة لقوله نفسا او كسبت في ايمانها خيرا عطف على آمنت
والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب اوان
التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور
الآيات او مقدمة ايمانها غير كاسبة خيرا في ايمانها فلم يفرق كما ترى بين
النفس الكافرة اذا آمنت في وقته ولم تكتسب خيرا للتعلم الى قوله ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي ان ينفك احدهما عن الاخرى حتى

يفوز صاحبها ويسعد والا فالشقوة والهلاك قل انتظروا انا منتظرون
وعيد وقرئ ان يأتيهم الملائكة بالياء والتاء وقرأ ابن سيرين لا تنفع
بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت
بعض اصابعه ان الذين فرقوا دينهم اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود
والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين كلها في
الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ
فارقوا دينهم اي تركوا وكانوا شيعا فرقا كل تشيع اماما لها
لست منهم في شيء اي من السؤال عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم
وقيل هي منسوخة بآية السيف انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا
يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا
يجزى الا مثلها عشر امثالها على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره
عشر حسنات امثالها وقرئ عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف
وقد وعد بالواحدة سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات
فضل ومكافاة السيئات عدل وهم لا يظلمون لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد
على عقابهم قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا نصب على البدل
من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا مستقيما قيما القيم فيعل من قام
كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم وقرئ قيما فعلا بمعنى مصدر بمعنى القيام وصف
به ملة ابراهيم عطف بيان حنيفا حال من ابراهيم وما كان من
المشركين قل ان صلاتي ونسكي وعباداتي وتقربي كله وقيل وذبحي
وجمع بين الصلوة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلوتي
وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي وما آتيه في حيوتي واموت عليه
من الايمان والعمل الصالح لله رب العالمين لا شريك له خالصة لوجهه
وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين قل اغير الله ابغي ربا
جواب عن عبادة آلهتهم والهمزة للانكار اي منكر ان ابغي ربا غيره

سورة الاعراف

بسم الله الرحمن الرحيم
المص كتاب خبر مبتدإ محذوف
اي هو كتاب وانزل اليك صفة له و
المراد بالكتاب السورة فلا يكن في
صدرك حرج منه اي شك منه كقوله
فان كنت في شك مما انزلنا اليك و
سمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر
حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر
منفسحه اي لا تشك في انه منزل من الله
او حرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه
وتكذيبهم له واعراضهم عنه واذاهم

الكشاف في تفسير

مائتان وست آيات

فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط
له فامنه الله ونهاه عن المبالاة بهم
بم تعلق قوله لتنذر به
بانزل اي انزلناه اليك لانذرك
به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم
وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه
اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور
متوكل على الله متكل على عصمته
فما محل وذكرى للمؤمنين يحتمل
الحركات الثلاث النصب باضمار فعلها كانه
قيل لتنذر به وتذكر تذكيرا لان الذكرى

للامام الزمخشري

اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتداء محذوف و
الجر للعطف على محل لتنذر اي للانذار وللذكرى النهي في
قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه هو من قولهم لا ارينك
هنا اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم من القرآن والسنة ولا
تتبعوا من دونه من دون الله اولياء ولا تتولوا من دونه من شياطين
الجن والانس فيحملونكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن
دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم امرت
باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والله ما نزلت آية الا
وهو يحب ان يعلم فيما انزلت وما معناها وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا
من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا ويجوز ان يكون الضمير في من دونه
لما انزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين الاولياء قليلا ما تذكرون
حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء ويذكرون
بالياء وقليلا نصب بتذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة
لتوكيد القلة وكم من قرية اهلكناها فجاءها فجاء اهلها
بأسنا بياتا مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا كانه قيل
فجاءهم بأسنا بائتين او قائلين هل يقدر حذف المضاف الذي هو
الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها انما يقدر المضاف
للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير في
فجاءها لقوله او هم قائلون لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو
فما بال قوله قائلون قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج
وقال لو قلت جاءني زيدا وهو فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو
لان الذكر قد عاد على الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو
استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل
فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءني
زيد هو فارس فخبيث فما معنى قوله اهلكناها فجاءها بأسنا

وبيتة حسنة وقوله
او هم قائلون حال
معطوفة على بياتا ه

والاهلاك انما هو مجيء البأس معناه اردنا اهلاكها كقوله
اذا قمتم الى الصلوة وانما خص هذان الوقتان لانهما وقتا الغفلة والدعة
فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر
وقوم شعيب وقت القيلولة فما كان دعويهم ما كانوا يدعونه من
دينهم وينتحلونه من مذهبهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين
الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم انا كنا ظالمين فيما كنا عليه و
يجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لا مستغاث من الله بغيره
من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم
لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم انفسهم
وتحسرهم على ما كان منهم نصب خبر لكان وان قالوا رفع اسم له و
يجوز العكس فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين ارسل
مسند الى الجار والمجرور وهو اليهم ومعناه فلنسئلن المرسل اليهم و
هم الامم يسألهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول
ماذا اجبتم المرسلين ويسأل المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله
الرسل فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما
كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم
وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فاذا كان عالما
بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم معناه التوبيخ والتقريع
والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم والوزن يومئذ
الحق يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء
وخبره يومئذ والحق صفته اي والوزن يوم يسأل الله الامم ورسلهم الوزن
الحق اي العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال
بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق تأكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا
للمعذرة يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم وتشهد بها عليهم ايديهم
وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحفهم

فيقرؤنها في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العدل فمن
ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون جمع ميزان او موزون اي فمن رجحت اعماله
الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات او ما يوزن به حسناتهم وعن الحسن
وحق لميزان يوضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان يوضع فيه السيئات
ان يخف ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا
بآياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما كقوله فظلموا بها ولقد مكناكم في الارض
جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها
وجعلنا لكم فيها معايش جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها
او ما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز على التشبيه
بصحائف قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم يعني خلقنا اباكم
آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لآدم قال ما منعك
الا تسجد اذ امرتك لا في ان لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما
خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ما فائدة زيادتها
توكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل
الكتاب وما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك اذ امرتك لان امري لك
بالسجود اوجبه عليك ايجابا وحتمه حتما لا بد لك منه لم سأله عن
المانع من السجود وقد علم ما منعه للتوبيخ والاظهار معاندته وكفره
وكبره وافتخاره باصله وازدرائه اصل آدم وانه خالف امر ربه معتقدا انه
واجب عليه لما راى ان سجود الفاضل للمفضول لخارج عن الصواب قال انا خير منه
خلقتني من نار وخلقته من طين كيف يكون قوله انا خير منه جوابا
لما منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا قد استانف قصة اخبر فيها
عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل آدم
من طين فعلم منه الجواب وزيادة عليه وهي انكاره للامر واستبعاده ان يكون
مثله مامورا بالسجود لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفة كان على

مستبعدا جدا ان يؤمر بما امر به قال فاهبط منها من السماء التي هي مكان
المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من
الثقلين فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من
الصاغرين من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه لتكبرك كما تقول
للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما اظهر الاستكبار
البس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش
نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض قال فانظرني
الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين لم اجيب الى استنظاره
وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم لما في ذلك من الابتلاء العظيم
وفي مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف
الزخارف وانواع الملاذ والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها
عباده قال فبما اغويتني فبسبب اغوائك اياي لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه
ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم افضل منه ومن آدم
انفسا ومناصب وعن الاصم امرتني بالسجود فحملني الانف على معصيتك
والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما
فسدت بسببهم بم تعلقت الباء فان تعلقها بلاقعدن يصد
عنه لام القسم تقول والله بزيد لامرن تعلقت بفعل القسم المحذوف
تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب اغوائك اقسم ويجوز ان
يكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه
كان تكليفا والتكليف من احسن الافعال لكونه تعريضا لسعادة الابد
فكان جديرا بان يقسم به ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاوس انه كان في
المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم
او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب
بما اغويتني لاقعدن لهم وهذا يقول انا اغوي نفسي
نها لكهم على اضافة القبيح الى الله تعالى ان تفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة

والتابعين وقيل ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتداء لاقعدن واثبات الالف اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ واصل الغي الفساد ومنه غوي الفصيل اذا بشم والبشم فساد في المعدة لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل ثم لآتينهم من الجهات الاربع التي ياتي منها العدو في الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذاك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرناه في تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدي الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما يقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما من صباح الا قعد الشيطان على اربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي

وعن يميني وعن شمالي اما من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فاقرأ وما من دابة الا على الله رزقها واما من قبل يميني فياتيني من قبل الثنا فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولا تجد اكثرهم شاكرين قاله تظننا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملئكة باخبار الله تعالى لهم قال اخرج منها مذؤما مدحورا مذؤما من ذامه اذا ذمه وقرأ الزهري مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤول واللام في لمن تبعك منهم موطئة للقسم ولاملأن جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط منكم ومنك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تعبدون من دون الله تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملأن جهنم منكم اجمعين على ان لاملأن في موضع الابتداء ولمن تبعك خبره ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقلنا يا آدم وقرئ هذي الشجرة والاصل الياء والهاء بدل عن الياء فوسوس لهما الشيطان يقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذي تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه ليبدي لهما جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رايا ما يؤثران ستره والا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول ما ووري عنهما من سوآتهما ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما في اويصل لان الثانية مدة كالف وادي وقد جاء في قراءة عبد الله اوري بالقلب وقال ما نهاكما ربكما الا ان تكونا ملكين الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملئكة بالمنظر الاعلى وان البشرية تلمح

من نبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام كقوله وملك لا يبلى **أو تكونا من الخالدين** من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين وقرئ من سوئتهما بالتوحيد وسوّاتهما بالواو المشددة **وقاسمهما** واقسم لهما **إني لكما لمن الناصحين** المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه واهله كانه قال لهما اقسم لكما اني لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهما او اقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم **فدلاهما** فنزلهما الى الاكل من الشجرة **بغرور** بما غرهما به من القسم بالله وعن الحسن وقتادة وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر انه كان اذا رأى من عبده طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا لمرضات الله للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له **فلما ذاقا الشجرة** وجدا طعمها آخذين في الاكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم **بدت لهما سوآتهما** اي تهافت عنهما اللباس وظهرت عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن عائشة رضها ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر **وطفقا** وجعلا يقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل وقرأ ابو السمال وطفقا بالفتح **يخصفان** ورقة فوق ورقة **عليهما** على عوراتهما ليستتراها كما تخصف النعل بان يجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد واصله يختصفان وقرأ الزهري يخصفان من اخصف وهو منقول من خصف اي يخصفان انفسهما وقرئ يخصّفان من خصّف بالتشديد **من ورق الجنة** قيل **وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين** عتاب من الله تعالى وتوبيخ وتنبيه على الخطاء حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله تعالى من عداوة ابليس وروي انه قال لآدم الم يكن لك فيما منحتك من شجرة الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال

بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وطحن وعجن وخبز **قالا ربنا ظلمنا أنفسنا** سميا ذنبهما وان كان صغيرا ظلما لانفسهما وقالا **وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** على عادة الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات **قال اهبطوا** الخطاب لآدم وحواء وابليس **بعضكم لبعض عدو** في موضع الحال اي متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه **ولكم في الأرض مستقر** استقرار **ومتاع** وانتفاع بعيش **إلى حين** الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما اهبط آدم وحضرته الوفاة احاطت به الملائكة فجعل حواء يدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده **يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم** جعل ما في الارض منزلا من السماء لانه قضي ثم وكتب ومنه وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج **وريشا ولباس التقوى** والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير كانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ عثمان رض ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى ولباس الورع والخشية من الله وارتفاعه على الابتداء وخبره اما الجملة التي هي **ذلك خير** كانه قال ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقريب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتداء كانه قيل ولباس التقوى او ان تكون اشارة الى اللباس المواري السوءة لان مواراة السوءة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتداء محذوف اي هو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفي قراءة عبد الله وابي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى

يتقى به في الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا ذلك
من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني انزال اللباس لعلهم
يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد
عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس
ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بان الستر باب
عظيم من ابواب التقوى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يمتحننكم بان لا
تدخلوا الجنة كما أخرج أبويكم من الجنة كما محن ابويكم بان اخرجهما منها
ينزع عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان
نزع عنهما إنه يراكم هو وقبيله وجنوده من الشياطين من حيث لا ترونهم
وفيه دليل على ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في
استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرفة إنا جعلنا الشياطين
أولياء للذين لا يؤمنون اي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم
واطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر ابلغ من الاول
علام عطف وقبيله على الضمير في يريكم المؤكد بهو
فانه ضمير الشأن والحديث وقراءة اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان ان
يعطفه على اسم ان وان تكون الواو بمعنى مع واذا عطف على اسم ان وهو الضمير في
انه كان راجعا الى ابليس واذا فعلوا فاحشة الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب
قالوا وجدنا عليها آباءنا اي اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها
فاقتدوا بهم والله أمرنا بها وبان الله امرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من
العذر لان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله
والحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله تعالى منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن
الحسن ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة
يحملون ذنوبهم على الله تعالى وتصديقه قول الله عز وجل قل إن الله لا يأمر
بالفحشاء لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله
أتقولون على الله ما لا تعلمون انكار لاضافتهم القبيح الى الله وشهادة على ان

ليريهما سوآتهما

مبنى قولهم على الجهل المفرط قل أمر ربي بالقسط بالعدل وبما قام في النفوس
انه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد وأقيموا وجوهكم وقل اقيموا وجوهكم
اي اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها عند كل مسجد في كل
وقت سجود او في كل مكان سجود وهو الصلوة وادعوه واعبدوه مخلصين له
الدين اي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا كما بدأكم تعودون كما انشأكم
ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه
يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة فريقا هدى وهم الذين اسلموا
اي وفقهم للايمان وفريقا حق عليهم الضلالة اي كلمة الضلالة وعلم الله
انهم الضالون ولا يهتدون وانتصاب قوله فريقا بفعل يفسره ما بعده كما قيل
وخذل فريقا حق عليهم الضلالة انهم ان الفريق الذين حق عليهم الضلالة
اتخذوا الشياطين أولياء اي تولوهم بالطاعة فيما امروهم به وهذا دليل
على ان علم الله تعالى لا اثر له في اضلالهم وانهم هم الضالون باختيارهم
وتوليهم الشياطين دون الله يا بني آدم خذوا زينتكم اي ثيابكم ولباس
زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم او طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن
طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع
ثيابه وراء المسجد وان طاف وهي عليه انتزعت عنه لانهم قالوا لا نعبد
الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب
وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة ان يأخذ الرجل احسن هيئته للصلوة
وكان بنو عامر في ايام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون
بذلك حجهم فقال المسلمون فانا احق ان نفعل فقيل لهم وكلوا واشربوا
ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت
ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وحكي ان الرشيد كان له طبيب نصراني
حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان
علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية
من كتابه قال وما هي قال قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا

بوتر من رسولكم شي في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم الطب
في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية راس كل دواء واعط
كل بدن ما عودته فقال النصراني والله ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس
طبا قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده من الثياب وكل ما يتجمل به
والطيبات من الرزق المستلذات من الماكل والمشارب ومعنى الاستفهام
في من انكار تحريم هذه الاشياء وقيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها
من لحمها وشحمها ولبنها قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم
لان المشركين شركاؤهم فيها خالصة يوم القيمة لا يشركهم فيها احد
هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم لينبه على انها خلقت
للذين آمنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فامتعه
قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على
انها خبر بعد خبر كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل انما حرم ربي الفواحش
ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها وما بطن
والاثم عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر والبغي الظلم والكبر افرده بالذكر للمبالغة
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون وان تتقولوا على الله وتفتروا الكذب من التحريم وغيره ولكل
امة اجل وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم
فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وقرئ فاذا جاء آجالهم
وقال ساعة لانها اقل الاوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه
في ساعة يريد اقصر وقت واقربه يا بني آدم اما ياتينكم رسل منكم يقصون
عليكم آياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
كذبوا بآياتنا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون هي ان الشرطية ضمت
اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة
فما جزاء هذا الشرط الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى

فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تاتينكم فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا او كذب بآياته فمن اشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله او
كذب ما قاله اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب اي مما كتب لهم من الارزاق و
الاعمار حتى اذا جاءتهم رسلنا حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اي
الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة
الشرطية واذا جاءتهم رسلنا قالوا يتوفونهم حال من الرسل اي متوفيهم
الرسل ملك الموت واعوانه قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله وما وقعت
موصولة باين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى اين الالهة
الذين تدعون قالوا ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم وشهدوا على
انفسهم انهم كانوا كافرين اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا
عليه وانهم لم يحمدوا في العاقبة قال ادخلوا اي يقول الله تعالى يوم القيمة او
الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته وهم كفار
العرب في امم في موضع الحال اي كائنين في جملة امم وفي عدادهم مصاحبين لهم
اي ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم وتقدم زمانهم زمانكم من الجن والانس
كلما دخلت امة لعنت اختها التي ضلت لاقتدائها حتى اذا اداركوا فيها جميعا
اي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار قالت اخريهم منزلة وهي الاتباع
والسفلة لاوليهم وهي القادة والرؤوس ومعنى لاوليهم لاجل اوليهم لان خطابهم
مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا مضاعفا من النار قال
لكل ضعف لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين ولكن لا تعلمون
قرئ بالتاء والياء وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا
هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف اي فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا
وانا متساوون في استحقاق الضعف فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول
القادة او من قول الله تعالى لهم جميعا ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها
لا تفتح لهم ابواب السماء لا تصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الصالح كلا
ان كتاب الابرار لفي عليين وقيل ان الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود

السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد ارواحهم اذا ماتوا كما
تصعد ارواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون فتحنا ابواب السماء
وقري لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الابواب
علي ان الفعل للآيات وبالياء علي ان الفعل لله عز وجل ولا يدخلون الجنة حتي
يلج الجمل في سم الخياط وقرا ابن عباس الجمل علي وزن القمل وسعيد بن جبير
الجمل علي وزن النغر وقري الجمل علي وزن القفل والجمل علي وزن النصب والجمل
بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة
وعن ابن عباس ان الله تعالي احسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعني ان الحبل مناسب
للخيط الذي يسلك في سم الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة اوقع
لان سم الابرة مثل في ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا للدليل
الماهر خريت لاهتدائه في المضايق المشبهة باخرات الابر وقالوا الجمل مثل
في عظم الجرم قال جسم الجمال واحلام العصافير ان الرجال ليسوا بجزر يراد منهم
حتي يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج الا في باب واسع
في ثقب الابرة وعن ابن مسعود انه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا
للسائل واشارة الي طلب معني آخر تكلف وقري في سم بالحركات الثلاث وقرا
عبد الله في سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الابرة
وكذلك ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين ليوذن ان الاجرام هو السبب
الموصل الي العقاب وان كل من اجرم عوقب وقد كرره فقال وكذلك نجزي
الظالمين لان كل مجرم ظالم لنفسه لهم من جهنم مهاد فراش ومن فوقهم
غواش وكذلك نجزي الظالمين وقري غواش بالرفع كقوله وله الجوار المنشآت
في قراءة عبد الله والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها
اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون في قراءة عبد الله لا تكلف نفسا الا
وسعها جملة معترضة بين المبتدا والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه
وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الامكان
غير الضيق من القول والعمل الصالح وقرا الاعمش لا تكلف نفس ونزعنا ما في

صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار من كان في قلبه غل علي اخيه في الدنيا
نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم تكن بينهم الا التواد والتعاطف وعن علي رضي
الله عنه اني لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير منهم وقالوا الحمد لله
الذي هدانا لهذا اي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح
وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي يعني وما كان يستقيم ان نكون
مهتدين لولا ان هدانا الله لولا هداية الله تعالي وتوفيقه وفي مصاحف اهل
الشام ما كنا لنهتدي بغير واو علي انها جملة موضحة للاولي لقد جاءت
رسل ربنا بالحق فكان لنا لطفا وتنبيها علي الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك
سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما تري من
رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك الا يقوله للفرح لا للقربة ونودوا
ان تلكم الجنة ان مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بانه تلكم
الجنة اورثتموها والضمير ضمير الشان والحديث او يكون بمعني اي لان المناداة
من القول كانه قيل وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب
اعمالكم لا بالتفضل كما يقول المبطلة ونادي اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد
وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فاذن مؤذن
بينهم ان في ان قد وجدنا يحتمل ان يكون مخففة من الثقيلة وان يكون مفسرة
كالتي سبقت آنفا وكذلك ان لعنة الله علي الظالمين وانما قالوا لهم ذلك
اغتباطا لمن سمعها ولذلك قول المؤذن بينهم ان لعنة الله علي الظالمين وهو
ملك يامره الله تعالي فينادي بينهم نداء يسمع اهل الجنة واهل النار وقري
ان لعنة الله بالنصب والتشديد وقرا الاعمش ان لعنة الله بكسر ان علي
ارادة القول او علي اجراء اذن مكان قال هلا قيل ما وعدكم
ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل
لقائل ان يقول اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب
والعقاب وساير احوال القيمة لانهم كانوا مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود
كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذابا لهم فاطلق لذلك الذين يصدون

عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون وبينهما حجاب
يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله فضرب
بينهم بسور وعلى الأعراف وعلى اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين
الجنة والنار وهي اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك
رجال من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم كأنهم المرجون
لأمر الله تعالى يحبسون بين الجنة والنار الى ان يأذن الله لهم في دخول
الجنة يعرفون كلا من زمر السعداء والاشقياء بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله
بها يلهمهم الله تعالى ذلك او تعرفهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم
لم يدخلوها وهم يطمعون يعني الملائكة اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم
بالتسليم واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار ورأوا ما هم فيه من العذاب
قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته
ان لا يجعلهم معهم ونادى اصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا
ما اغنى عنكم وما كنتم تستكبرون ونادوا رجالا من رؤس الكفرة بقولهم
ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم
جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة
اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم
لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله تعالى لا يدخلهم
الجنة ادخلوا الجنة يقال لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان
يحبسوا على الأعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون
وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الأعمال وان التقدم والتأخر على حسبها
وان احدا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنه الا بتخلفه فيه
وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا
وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب ان يوسم بها
من اهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه وليعلم
ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا وقوله واذا صرفت ابصارهم

فيه ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا وقرأ الاعمش واذا
قلبت ابصارهم وقرئ ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا الجنة
كيف لائم هذين القراءتين قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
تأويله ادخلوا الجنة او دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون
ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون لا محل له لأنه استيناف
كأن سائلا سأل عن حال اصحاب الأعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون
يعني حالهم ان دخولهم الجنة استأخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم
محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز ان يكون له محل بان يقع صفة لرجال
ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم وما كنتم تستكبرون استكباركم
عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة ونادى اصحاب النار اصحاب
الجنة ان افيضوا علينا من الماء فيه دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله
من غيره من الأشربة لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد او القوا
علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا
وانما يطلبون ذلك مع يأسهم من الاجابة اليه حيرة في امرهم كما يفعل المضطر
الممتحن قالوا ان الله حرمهما على الكافرين منعهم شراب الجنة وطعامها
كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله حرام على عيني ان تطعما الكرى
الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل
بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به كما نسوا
لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به
وما كانوا بآياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم عالمين
كيف نفصل احكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير
ذي عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة يعني فضلناه كما
على علم حال من مفعوله لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله الا عاقبة
امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد
يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين وصح انهم

جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا
نعمل نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام
كانه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما
تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له آخر يعطف عليه فلا يقدر هل
يشفع لنا شافع او نرد وقرأ ابن ابي اسحق او نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا
او يكون او بمعنى حتى ان اي يشفعون لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد
ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا
يفترون ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار وقرئ يغشّي بالتشديد اي
يلحق الليل بالنهار او النهار بالليل يحتملها جميعا والدليل على الثاني قراءة حميد
بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ورفع النهار اي يدرك النهار الليل
يطلبه حثيثا حسن الملايمة لقراءة حميد والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بامره بمشيته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى
حكمته وتدبيره وكما يريد ان يصرفها سمى ذلك امرا على التشبيه كأنهن
مامورات بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع ولما ذكر
انه خلقهن مسخرات بامره قال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
اي هو الذي خلق الاشياء وهو الذي صرفها على حسب ارادته ادعوا
ربكم تضرعا وخفية نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا
وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل اي تذللا وتملقا وقرئ
خيفة وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل وعن الحسن
ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما
يشعر به جاره وان كان الرجل ليصلي الصلوة الطويلة وعنده الزور وما
يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان من عمل يقدرون على ان يعملوه في
السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم
همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا

وخفية وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة
السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين ما
امروا به في كل شيء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع الصوت بالدعاء
وعنه الصياح في الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيكون اقوام يعتدون في الدعاء وحسب
المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك
من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا
في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين
لقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على تأويل
الرحمة بالرحم او الترحم او لانه صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او على
تشبيهه بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء واسراء
او على انه بزنة المصدر الذي هو النقيض والضغيب او لان تأنيث الرحمة غير
حقيقي وقرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان
فكانه قيل نشرها نشرا واما على الحال بمعنى منتشرات او نشرا جمع نشور
ونشرا تخفيف نشر كرسل ورسل وقرأ مسروق نشرا بمعنى منشورات فعل
بمعنى مفعول كنقض وحسب ومنه قولهم ضم نشره ونشرا جمع بشير وبشرا
بتخفيفه وبشرا بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره اي باشرات وبشرى
بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها اثرا
حتى اذا اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق يرى الذي يرفعه
قليلا سحابا ثقالا بالماء جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على
المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا لبلد ميت لاجل
بلد ليس فيه حيا ولسقيه وقرئ ميت فانزلنا به الماء او بالسحاب او بالسوق
وكذلك فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج
الثمرات نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين
اذ كل واحد منهما اعادة للشيء بعد انشائه والبلد الطيب الارض الكريمة

وهو الذي ارسل الرياح بشرا

التربة يخرج نباته باذن ربه والذي خبث الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع
به لا يخرج الا نكدا باذن ربه بتيسيره وهو في موضع الحال كأنه قيل يخرج
نباته حسنا اي يخرجه البلد وينبته وقوله الذي خبث صفة للبلد ومعناه
والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف النبات واقيم المضاف اليه الذي هو
الراجع الي البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه
موقع الفاعل او يقدر ونبات الذي خبث وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر
اي ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب عيني نزه وهذا
مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك
وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب
الله تعالى بعقله فوعاه وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت
والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد
الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد وكذلك مثل ذلك التصريف
نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تعالى لقد ارسلنا
جواب قسم محذوف ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا
مع قد وقل عنهم نحو قوله حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا
انما كان نحو جواب ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الي جملة المقسم عليها
التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع
المخاطب كلمة القسم نوحا الى قومه قيل ارسل نوح وهو ابن خمسين سنة
وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم
ادريس النبي فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره غيره بالحركات
الثلث فالرفع على المحل كأنه قيل ما لكم اله غيره والجر على اللفظ و
النصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار
من احد الا زيدا وغير زيد اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله الاولى بيان لوجه اختصاصه
بالعبادة والثانية بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون

من كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيمة او يوم
نزول العذاب منهم وهو الطوفان قال الملأ من قومه الملأ الاشراف
والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء انا لنراك في ضلال مبين في
ذهاب عن طريق الحق ومعنى الرؤية رؤية القلب
قال يا قوم ليس بي ضلالة لم قال ولم يقل ضلال كما اخص من الضلال
ابلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل
لك الك تمر فقلت ما لي تمرة كيف وقع قوله ولكني رسول
من رب العالمين كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في
معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء
عن الضلالة ابلغكم وقرئ ابلغكم بالتخفيف كيف
موقع قوله ابلغكم فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستأنفا
بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني ان يكون صفة لرسول
كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب جاز ذلك
لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال شعر
انا الذي سمتني امي حيدره رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة
او في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر و
النذائر ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس
وهي ثلثون ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة وانصح لكم يقال نصحته و
نصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها
خالصة للمنصوح له مقصود بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح
فيقصد النفعين بها جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله تعالى ورسله
واعلم من الله ما لا تعلمون اي من صفات الله تعالى واحواله يعني قدرته
الباهرة وشدة بطشه على اعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين
وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه
نوح بوحي الله اليه او اراد واعلم من جهة الله تعالى اشياء لا علم لكم

بها فدا وحي الي بها أوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه
محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر موعظة من ربكم
على رجل منكم على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك
انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين
يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملئكة لينذركم ولتتقوا ليحذركم
عاقبة الكفر ولتوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار ولعلكم ترحمون
ولترحموا بالتقوى ان وجدت فكذبوه فانجيناه والذين معه قيل كانوا اربعين
رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به
في الفلك بم يتعلق هو متعلق بمعه كانه قيل والذين
استقروا معه في الفلك او صحبوه في الفلك ويجوز ان يتعلق بفعل الانجاء
اي انجيناهم في السفينة من الطوفان واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم
كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين
العمي والعامي ان العمي يدل على عمى ثابت والعامي يدل على عمى حادث ونحوه قوله
ضائق به صدرك والى عاد اخاهم واحدا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد منهم
لانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله في صدقه وامانته هودا وهو هود
بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح واخاهم عطف على نوحا وهودا عطف
بيان لم حذف العاطف في قوله قال يا قوم ولم يقل فقال كما في قوله
نوح هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم
اعبدوا الله وكذلك قال الملأ الذين كفروا من قومه لم وصف
الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم فرعون كان في اشراف قوم
هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي اسلم وكان يكتم اسلامه فاريد
التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله وقال الملأ
من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز ان يكون وصفا وارد
للذم لا غير انا لنراك في سفاهة في خفة حلم وسخافة عقل حيث تركت دين قومك
الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز ارادوا انه متمكن

منكره

ما لكم من اله
افلا تتقون

فيها غير منفك عنها وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي
سفاهة ولكني رسول من رب العالمين وفي اجابة الانبياء عليهم السلام
من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام والاغضاء وترك
المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم
ادب حسن وخلق عظيم وحكاية الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون
السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون منهم ابلغكم
رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة
فما حقي ان اتهم او انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا
اكذب فيه اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض
واستخلفكم فيها بعدهم وزادكم في الخلق بسطة فيما خلق من اجرامكم
ذهابا في الطول والبداية قيل كان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم مائة
ذراع فاذكروا آلاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما
من عطاياه وواحد الآلاء الى ونحوه انى وآناء وضلع واضلاع وعنب
واعناب اذ في قوله اذ جعلكم خلفاء ما وجه انتصابه
هو مفعول به وليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم لعلكم
تفلحون قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا
انكروا واستبعدوا اختصاص الله تعالى وحده بالعبادة وترك دين الآباء
في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشؤا عليه والفا لما صادفوا آباءهم
يتدينون به ما معنى المجيء في قوله اجئتنا فيه اوجه
ان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل
به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحراء قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء
قومه يدعوهم ولم يريدوا به الاستقرار لانهم كانوا يعتقدون ان الله
لا يرسل الا الملئكة فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك وان لم يريدوا
حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك القصد كما ذهب يشتمني ولا يراد به

حقيقة الذهاب كأنهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف
ذلك فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين استعجال منهم بالعذاب
قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اي حق عليكم ووجب او
قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه
قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان ان ابنه
عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك قال لسعني
طويرة ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره فقال يا بني قد قلت الشعر
والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب اتجادلونني في اسماء
سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان في اشياء ما هي
الا اسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية فيها
معدوم محال وجوده وهذا كقوله ما تدعون من دونه من شيء ومعنى
سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا فانتظروا اني معكم من
المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا
بآياتنا وقطع دابرهم استيصالهم وتدميرهم عن آخرهم
ان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام
يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله تعالى هودا نبيا وكان من اوسطهم
وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر
ثلث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى
الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ
ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن
بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد
بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معوية بن بكر وهو
مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره
فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا له
فلما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال

قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيي ان يكلمهم
خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا
نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معوية شعر الا يا قيل ويحك قم فهينم
لعل الله يسقينا غماما ۞ فيسقي ارض عاد ان عادا ۞ قد امسوا ما يبينون الكلاما
قال فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم
وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد والله لا تسقون
بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقيتم واظهر اسلامه
فقالوا لمعوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود
وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ
الله تعالى سحابات ثلث بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء
يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء
فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا
عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجى هود والمؤمنون
معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا ما فائدة نفي الايمان
عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بآيات الله تعالى
هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كانه
قال وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن
ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله تعالى المؤمنين والى ثمود اخاهم صالحا
قرئ الى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتأويل الحي
او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام
بن نوح وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم
الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي
وكانه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية وآية نصب
على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل

اشير اليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه الايمان خاصة وهم
ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال
لكم خصوصا وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها وانها جاءت
من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من آياته كما تقول آية الله وروي
ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا
اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا
البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله تعالى و
افسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله تعالى صالحا وكانوا قوما
عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم
فحذرهم وانذرهم فسألوه آية فقال اية آية تريدون قالوا تخرج معنا
الى عيدنا (في يوم) معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب
لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فدعوا اوثانهم
وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار
الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة
ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك
واجبناك فاخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن
قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت
عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله
عز وجل عظما وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فآمن به جندع
ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤوسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة
مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها
وضعت راسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما
شاءوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري
اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت
الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منه انعامهم فتهبط

الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب منه انعامهم و
مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة
ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهم اذ كانتا كثيرتي
المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه
قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم
العذاب فلم يقدروا عليه فانفتحت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح
تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث
ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا ان يقتلوه
فانجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى
تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم
فهلكوا فذروها تاكل في ارض الله اي الارض ارض الله والناقة ناقة
الله فذروها تاكل في ارض ربها فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات
من انباتكم ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم ولا تضربوها ولا تطردوها
ولا تريبوها بشيء من الاذى اكراما لآية الله تعالى ويروى ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن
احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ان
يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال النبي عليه وآله الصلوة والسلام يا علي
من اشقى الاولين قال الله تعالى ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري
من اشقى الآخرين قال الله تعالى ورسوله اعلم قال قاتلك وقرأ ابو جعفر
في رواية تاكل في ارض الله وهو في موضع الحال بمعنى آكلة واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم ونزلكم والمباءة المنزل في الارض
ارض الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا اي تبنونها من سهولة
الارض بما تعملون فيها من الرهص واللبن والآجر وتنحتون من الجبال
قرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله
ينباع من ذفرى اسيل حرة   علام انقبت   بيوتا
علي

الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال
المقدرة لانه لا يكون بيتا في حال النحت ولا الثوب ولا القصبة قميصا وقلما في حال
الخياطة والبري وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء
فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين
استكبروا من قومه للذين استضعفوا للذين استضعفوهم رؤساء الكفار
واستذلوهم لمن آمن منهم بدل من للذين استضعفوا
الضمير في منهم راجع الى ماذا الى قومه او الذين استضعفوا
هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى نعم وذلك ان الراجع اذا
رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل على ان
استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين فاذا رجع الى الذين استضعفوا
لم يكن الاستضعاف مقصورا على المؤمنين وكان فيهم* أتعلمون ان صالحا
مرسل من ربه شيء قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة أتعلمون
ان الله تعالى فوق العرش كيف صح قولهم انا بما ارسل به
مؤمنون جوابا عنه سألوهم عن العلم بارساله فجعل ارساله امرا
معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كانهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل
اليه مما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في
وجوب الايمان فنخبركم انا به مؤمنون ولذلك جواب الكفرة قال الذين
استكبروا انا بالذي آمنتم به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع ارسل
به ردا لما جعله المؤمنون معلوما واخذوه مسلما فعقروا الناقة اسند العقر
الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة
الضخمة انتم فعلتم وما فعله الا واحد منهم وعتوا عن امر ربهم وتولوا
عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وامر ربهم ما امرهم به على لسان
صالح عليه السلام فذروها تأكل في ارض الله او شأن ربهم وهو دينه
ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كان امر ربهم بتركها هو
السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن امري وقالوا يا صا

*عليهم ودل على ان المستضعفين م

ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين ارادوا من العذاب وانما جاز الاطلاق
لانه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به
كافرون وهو كونه من المرسلين فاخذتهم الرجفة الصيحة التي زلزلت لها
الارض واضطربوا لها فاصبحوا في دارهم في بلادهم او في مساكنهم جاثمين
هامدين لا يتحركون موتى يقال الناس جثم اي قعود لا حراك بهم ولا
ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها
لترمى وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما مر بالحجر قال
لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا
رجل واحد كان في حرم الله تعالى قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج
من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان صالحا كان بعثه الى قوم فخالف
امره وروي انه مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله
اعلم فذكر قصة ابي رغال فقال اتدرون من هذا وانه دفن ههنا ودفن معه
غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن
فتولى عنهم الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وانه تولى عنهم بعد ما
ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم وقال يا
قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في ابلاغكم والنصيحة
لكم ولكن لا تحبون الناصحين ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم
منكر لاصرارهم حين راى العلامات قبل نزول العذاب وروي ان عقرهم
كان ان عقرهم كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه
خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم
انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن معه
فسكنوا ديارهم كيف صح خطاب الموتى ولكن لا تحبون الناصحين
قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يسمع منه حتى
القى بنفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله
ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية ولوطا اذ قال لقومه اذكر*

*وارسلنا لوطا

لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى وقت قال لقومه أتأتون الفاحشة
اتفعلون السيئة المتمادية في القبح ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية
من قولك سبقته اذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلم سبقك بها عكاشة
من احد من العالمين من الاولى زايدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق
والثانية للتبعيض ما موقع هذه الجملة هي جملة مستأنفة
وانكر عليهم اولا بقوله اتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول
من عملها او على انه جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا لم لا نأتيها فقال لهم ما سبقكم
بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به أئنكم لتأتون الرجال بيان لقوله
اتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها والهمزة مثلها في اتأتون للانكار والتعظيم
وقرئ انكم على الاخبار المستأنف لتأتون الرجال من اتى المرأة اذا غشيها
شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من دون
النساء من غير داع آخر ولا ذم اعظم منه لانه وصفهم بالبهيمية وانه لا داع
لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة
غير ملتفتين الى السماحة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الاخبار عنهم بالحال
التي يوجب ارتكاب القبايح وتدعوا الى اتباع الشهوات وهو انهم قوم عادتهم
الاسراف وتجاوز الحد في كل شيء فمن ثم اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا
المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون وما كان جواب قومه
الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما
كلمهم به لوط من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف
الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاؤوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته
من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه
من وعظهم وقولهم انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش
وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض
الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف وارحونا من هذا المتزهد
فانجيناه واهله ومن يختص به من ذويه او من المؤمنين الا امرأته كانت

من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب
الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروي التفتت فاصابها
حجر فماتت وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام
والمدينة فامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين فامطر الله
عليهم النار والكبريت وقيل خسف بالمقيمين وامطرت الحجارة على مسافريهم
وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم
فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه
اي فرق بين مطر وامطر يقال مطرتهم السماء وود
بمطر ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم غاثهم ووبلتهم وجادتهم و
رهمتهم ويقال امطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر
فامطر علينا حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرا وارسلنا عليهم
من السماء مطرا عجيبا يعني الحجارة الاترى الى قوله فساء مطر المنذرين و
الى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره
كان يقال لشعيب خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل
والموازين قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم
الايمان بي والاخذ بما آمركم به والانتهاء عما فاوفوا الكيل والميزان و
لا تبخسوا الناس ما كانت معجزته قد وقع العلم بانه كان
له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعي النبوة من معجزة
تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير ان
معجزته لم تذكر في القرآن كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا صلى الله عليه
وآله وسلم ومن معجزات شعيب ما روي من محاربة عصى موسى التنين
حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان يكون
له الدرع من اولادها ووقوع عصى آدم على يده في المرات السبع
وغير ذلك من الآيات لان هذه كلها كانت قبل ان يستنبأ فكانت
معجزات لشعيب كيف قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال

والميزان كما في سورة هود اريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال او
سمي ما يكال به بالكيل كما قيل لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن
الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال بخسته
حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس في امثالهم تحسبها حمقا وهي باخس
وقيل اشياءهم لانهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم او كانوا
مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه كما يفعل امراء الحرمين وروي انهم كانوا
اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هذه زيوف فقطعوها
قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر او اعطوه بدلها زيوفا ولا تفسدوا في الارض
بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي لا تفسدوا فيها بعد ما اصلح الصالحون من
الانبياء واتباعهم العاملين بشرايعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل
والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف ذلكم اشارة الى ما ذكر من
الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض او الى العمل بما امرهم
به ونهاهم عنه ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة وما
يطلبونه من التكسب والتربح لان الناس ارغب في متاجرتكم اذا عرفوا
منكم الامانة والسوية ان كنتم مؤمنين ان كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير
لكم ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك
المستقيم فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على
ان المراد بالصراط سبيل الحق قوله تعالى وتصدون عن سبيل الله ومحل توعدون
وما عطف عليه النصب على الحال اي ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل
الله وباغيها عوجا صراط الحق واحد وان هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم فكيف قيل بكل صراط
صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيرة مختلفة
وكانوا اذا راوا احدا يشرع في شيء منها اوعدوه وصدوه
الا ان يرجع الضمير في من آمن به الى كل صراط تقديره توعدون
من آمن وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير

زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون
على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم
عن دينكم كما تفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا
عشارين تبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس بانها
سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها او يكون
تهكما بهم فانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج واذكروا
اذ كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اي واذكروا على جهة الشكر
وقت كونكم قليلا عددكم فكثركم الله تعالى ووفر عددكم قيل ان
مدين بن ابرهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله تعالى في نسلها بالبركة و
النماء فكثروا وفشوا ويجوز ان كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين
موسرين او كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد وانظروا
كيف كان عاقبة المفسدين آخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح
وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد بهم مما اصاب المؤتفكة وان كان
طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا
فتربصوا وانتظروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بان ينصر المحقين على
المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم كقوله
فتربصوا انا معكم متربصون وهو موعظة للمؤمنين وحث على الصبر والاحتمال
ما كان يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم الله تعالى بينهم وينتقم لهم
منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اي ليصبر المؤمنون على اذى الكفار
وليصبر الكفار على ما يسوؤهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله تعالى
فيميز الخبيث من الطيب وهو خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف
قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما
اخراجكم واما عودكم في الكفر كيف خاطبوا شعيبا بالعود
في الكفر في قولهم او لتعودن في ملتنا وكيف اجابهم قال اولو كنا كارهين

قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما
يكون لنا ان نعود فيها والانبياء لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير
فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين
آمنوا معك عطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان
منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا
اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى شعيب جوابه فقال ان عدنا
في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو يريد عود قومه الا انه نظم نفسه
في جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب
فما معنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله والله تعالى متعال ان
يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر معناه الا ان يشاء الله خذلاننا
ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم
والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما اي هو عالم بكل شيء مما
كان ويكون فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف
تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا
في ان يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله
الا ان يشاء الله حسما لطمعهم في العود لان مشيئة الله تعالى لعودهم
في الكفر محال خارج من الحكمة اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام
والواو واو الحال تقديره اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع
كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح لنا ربنا افتح احكم
بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا بالحق
وينكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل وانت خير الفاتحين
كقوله وهو خير الحاكمين كيف قوله قد افترينا على الله كذبا ان
عدنا في ملتكم هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان
يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم قالوا ما اكذبنا على الله الكذب
ان عدنا في الكفر بعد الاسلام لان المرتد ابلغ في الافتراء من الكافر لان

الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا ولا ند له والمرتد
مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين
الحق والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا
على الله كذبا وقال الملأ الذين كفروا من قومه اي اشرافهم للذين
دونهم يثبطونهم عن الايمان لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون
لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم
عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية ما جواب القسم الذي
وطأته اللام في لئن اتبعتم شعيبا وجواب الشرط قوله انكم اذا
لخاسرون ساد مسد الجوابين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين
الذين كذبوا شعيبا مبتدأ خبره كأن لم يغنوا فيها وكذلك كانوا هم الخاسرين
وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون
بان اهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد
انجاهم الله تعالى الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه
فانهم الرابحون وفي هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة في رد مقالة
الملأ لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام
لما جرى عليهم فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم
فكيف آسى على قوم كافرين الاسى شدة الحزن قال العجاج وانحلبت عيناه من فرط
الاسى
اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن
عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم في
الابلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف
آسى عليكم يعني انه لا يأسى عليهم لانهم ليسوا احقاء بالاسى وقرأ يحيى بن
وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها
بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم
وتعززهم عليه لعلهم يضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة

ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله عليه واله الصلوة والسلم واعفوا اللحى وقال الحطيئة
بمستأسد القريان عاف نباته وقال ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات الشحم
وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء يعني وابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه
عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك
وما هو بابتلاء من الله تعالى فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات الا
ان نأخذهم بالعذاب فاخذناهم اشد الاخذ وافظعه وهو اخذهم بغتة فجاءة
وهم لا يشعرون من غير شعور منهم ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا اللام في القرى
اشارة الى القرى الذين كذبوا واهلكوا آمنوا بدل كفرهم واتقوا الشرك بالله
لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر
والنبات ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون بسوء كسبهم ويجوز ان يكون
اللام في القرى للجنس ما معنى فتح البركات عليهم
تيسيرها عليهم كما يتيسر امر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت
على القاري اذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين افأمن اهل
القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون البيات بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا
ومنه قوله تعالى فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون ويكون بمعنى التبييت
كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا او هم قائلون فيجوز ان يراد
يأتيهم بأسنا بائتين او وقت بيات او مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى
تبييتا كانه قيل ان يبيتهم بأسنا بياتا او امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا
ضحى نصب على الظرف يقال اتانا ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الاصل
اسم لضوء الشمس اذا اشرقت وارتفعت والواو في او امن والفاء في افامن حرفا
عطف دخلت عليهما همزة الانكار ما المعطوف عليه ولم
عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو المعطوف عليه قوله فاخذناهم

بغتة ولو ان اهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف
عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة ابعد ذلك
امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وامنوا ان يأتيهم ضحى او امن
على العطف او وهم يلعبون يشتغلون بما لا يجدي عليهم كانهم
يلعبون افأمنوا مكر الله هو تكرير لقوله افأمن
اهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه
فعلى العاقل ان يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من الكمين
والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له ما لي ارى
الناس ينامون ولا اراك تنام فقال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد
قوله ان يأتيهم بأسنا بياتا فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون
اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم
اذا قرئ بالياء كان ان لو نشاء مرفوعا بانه فاعله بمعنى اولم يهد للذين
يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثونهم ارضهم هذا الشأن وهو انا
لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما
اهلكنا المورثين واذا قرئ بالنون فهو منصوب كانه قيل اولم يهد الله تعالى للوارثين
هذا الشأن بمعنى اولم يبين لهم انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا
من قبلهم وانما عدي فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين
بم تعلق ونطبع على قلوبهم فيه اوجه ان يكون معطوفا على ما دل عليه
معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم او على يرثون
الارض او يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم هل يجوز
ان يكون ونطبع بمعنى طبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على
اصبناهم لا يساعد عليه المعنى لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم
موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا
التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة وان الله لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى
نقص عليك من انبائها كقوله هذا بعلي شيخا في انه مبتدأ وخبر وحال ويجوز

كقوله وهنا بعلي شيخاني انه مبتدأ ان يكون القري صفة لتلك ونقص خبر
ما معني الكلام القري حتي يكون كلاما مفيدا هو مقيد ولكن
بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم
ما معني الاخبار عن القري بنقص عليك من انبايها معناه
ان تلك القري المذكورة نقص عليك بعض انبايها ولها انباء غيرها لم نقصها
عليك ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا عند مجي الرسل
بالبينات بما كذبوا بما كذبوه من آيات الله تعالي من قبل من مجي الرسل او فما كانوا
ليومنوا الي آخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اي استمروا علي
التكذيب من لدن مجي الرسل اليهم الي ان ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين
شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ وتتابع الآيات ومعني
اللام تاكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم علي الكفر وعن
مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد
يطبع الله علي قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير للناس
علي الاطلاق اي ما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض
عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوي وان وجدنا وان الشان والحديث وجدنا
اكثرهم لفاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز
ان يرجع الضمير الي الامم المذكورين وانهم كانوا عاهدوا الله في ضر و
مخافة لئن انجيتنا لنومنن ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسي
عليه السلم لئن كشفت عنا الرجز لنومنن لك الي قوله اذا هم ينكثون
والوجود بمعني العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففة
واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا في المبتداء والخبر والافعال الداخلة
عليهما ثم بعثنا من بعدهم الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم او للامم
موسي باياتنا الي فرعون وملائه فظلموا بها فكفروا باياتنا اجري الظلم مجري
الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها
حين اوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فكفر

٢٠٨

بدل الايمان كان كفرهم ظلما فلذلك قيل فظلموا اي كفروا بها واضعين الكفر
غير موضعه وهو موضع الايمان وقال موسي يا فرعون اني رسول من رب العالمين
يقال لملوك فارس الاكاسرة كانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس
وقيل الوليد بن مصعب بن الريان حقيق علي ان لا اقول علي الله الا الحق
فيه اربع قراءات المشهورة حقيق علي ان لا اقول وهي قراءة نافع والثاني
ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا كان هو حقيقا علي قول الحق
اي لازما له والثالث ان يضمن حقيق معني حريص كما ضمن هيجني معني ذكرني في
بيت الكتاب اذا تغني الحمام الورق هيجني والرابع وهو الاوجه الادخل
في نكت القرآن ان يغرق موسي في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما
وقد روي ان عدو الله فرعون قال له لما قال اني رسول من رب العالمين كذبت
فيقول انا حقيق علي قول الحق اي واجب علي قول الحق ان اكون انا قايله و
القايم به ولا يرضي الا بمثلي ناطقا به قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل
فخلهم حتي يذهبوا راجعين الي الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولدهم
وذلك ان يوسف عليه السلم لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم
واستعبدهم فانقذهم الله تعالي وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر
واليوم الذي دخل موسي اربعماية عام قال ان كنت جئت باية فأت بها
ان كنت من الصادقين كيف قال له فأت بها بعد قوله ان كنت
جئت باية معناه ان جئت من عند من ارسلك باية فاتني بها واحضرها
عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك فالقي عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر
امره لا يشك في انه ثعبان وذكر انه كان فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا
وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلي علي سور القصر ثم توجه نحو
فرعون لياخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدث ولم يكن احدث
قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل علي الناس فانهزموا فمات منهم
خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسي
خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسي فصار عصا ونزع

يده فاذا هي بيضاء للناظرين — للناظرين يتعلق
ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا يكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضا
بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمع النظارة للعجائب
وذلك ما يروى انه اري فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها
جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعه
شعاع الشمس وكان موسى آدم شديد الادمة قال الملأ من قوم فرعون ان
هذا لساحر عليم اي عالم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس بخدعة من خدعه
حتى خيل اليهم العصا حية والآدم ابيض يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره فماذا تأمرون — قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة
الشعراء وانه قاله للملأ وعزي ههنا اليهم — فقد قاله هو وقالوه هم
فحكى قوله ثم وقولهم ههنا او قاله ابتداء فتلقنه الملأ فقالوه لاعقابهم او
قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يرى الملوك يرى الواحد منهم الرأي
فيكلم به من يليه من الخاصة ثم يبلغه الخاصة العامة والدليل عليه انهم
في قولهم قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر
عليم وقرئ سحار اي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة او خير منه
وكانت هذه مؤامرة من القبط وقولهم فماذا تأمرون من امرته فامرني بكذا
اذا شاورته فاشار عليك برأي فيحتمل فماذا تأمرون من آمرته فامرني كلام
قاله الملأ قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم كأنه قيل قال فماذا
تأمرون قالوا ارجه واخاه ومعنى ارجئه بالهمز وارجه من ارجأه وارجاه
وجاء السحرة فرعون قالوا
هلا قيل وجاء السحرة فرعون
فقالوا — هو على تقدير سائل سأل ما قالوا اذ جاؤه فاجيبه بقوله قالوا
ان لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة ان كنا نحن الغالبين وقرئ ان لنا لاجرا على
الاخبار واثبات الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير
للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة قال نعم
وانكم لمن المقربين — وانكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه

هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كأنه قال
ايجابا لقولهم ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا انكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر
بكم على الثواب وحده وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب
والتعظيم لان المثاب انما يتهنأ بما يصل اليه ويغتبط به اذا نال معه
الكرامة والرفعة وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل وآخر من يخرج وروي
انه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد علمنا سحرا لا
يطيقه اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وروي
انهم ثمانون الفا وقيل سبعون الفا وقيل بضعة وثلاثون الفا واختلف الروايات
فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى وقيل قال فرعون
لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون
نحن الملقين — تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل اهل الصناعات اذا
التقوا كالمتناظرين قبل ان يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل ان يتآخذوا
للصراع واما ان نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله
من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر واقحام الفصل قال القوا
وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم
وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر
ابدا فلما القوا سحروا اعين الناس — اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها
ما الحقيقة بخلافه كقوله يخيل اليه من سحرهم انها تسعى روي انهم القوا
حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملأت الارض و
ركب بعضها بعضا واسترهبوهم — وارهبوهم ارهابا شديدا كأنهم استدعوا
رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم في باب السحر وروي انهم لونوا حبالهم وخشبهم و
جعلوا فيها الزئبق واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يأفكون
ما موصولة او مصدرية بمعنى ما يأفكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل و
يزورونه او افكهم تسمية للمأفوك بالافك روي انها لما تلقفت ملء الوادي
من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله تعالى بقدرته

تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاءً لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرًا لبقيت حبالنا وعصينا **فوقع الحق** حصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فيها من قولهم فاس وقيع **وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين** وصاروا اذلاء مبهوتين **والقي السحرة ساجدين** وخروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا **قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون** عن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي آخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد في الاسلام ونشا بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء بذلوا انفسهم لله **قال آمنتم له قبل ان آذن لكم** آمنتم به على الاخبار اي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد **ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها** ان صنعكم هذه الحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا الى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوا بني اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الايمان وروي ان موسى عليه السلام قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتكم قال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال **فسوف تعلمون** وعيد اجمله ثم فصله بقوله **لاقطعن ايديكم وارجلكم** وقرئ لاقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لاصلبنكم **من خلاف** من كل شق طرفا **ثم لاصلبنكم اجمعين** وقيل ان اول من خالف وصلب لفرعون **قالوا انا الى ربنا منقلبون** فيه اوجه ان يريدوا انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك او ننقلب الى الله تعالى يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله تعالى فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون منقلبون الى الله تعالى فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا بد لنا منه **وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا** وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله تعالى اراد وما يعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله شعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم

اهلكاه

لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اي يغمره بالحياء والخجل او صب علينا ما يطهرنا من اوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم **وتوفنا مسلمين** ثابتين على الاسلام **وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك** عطف على ليفسدوا لانه اذا تركهم لذلك او هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة شعر الم اك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والاخاء والنصب باضمار ان تقديره ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وآلهتك وقرئ ويذرك وآلهتك بالرفع عطفا على اتذر بمعنى اتذره ويذرك اي تطلق له ذلك او يكون مستانفا او حالا على معنى اتذره وهو يذرك وآلهتك وقرأ الحسن ويذرك بالجزم كانه قيل اصدق وقرأ انس ونذرك بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والاهتك اي عبادتك وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف نفر فارادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام وقال ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال انا ربكم الاعلى **قال سنقتل ابناءهم** يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد **قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا** قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل ابناءهم تجزعوا منه وتضجروا تسكينا لهم وتسلية وتعدهم النصرة عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم

ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون

لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها
هي جملة مبتدأة مستأنفة واما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قول
فرعون وقوله ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده يجوز ان يكون اللام للعهد
ويراد ارض مصر خاصة لقوله واورثنا الارض وان تكون للجنس فيتناول ارض
مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد بالمرء
الجنس وقصده ان يتناوله تناولا اوليا والعاقبة للمتقين بشارة بان الخاتمة
المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وان المشية متناوله وقراء والعاقبة
للمتقين بالنصب ابي وابن مسعود عطفا على الارض قالوا اوذينا من قبل ان
تاتينا ومن بعد ما جئتنا يريدون قتل ابنائهم قبل مولد موسى الى ان استنبئ
واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع
الخدم والمهن ويمسون به من العذاب قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم و
يستخلفكم في الارض تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو
اهلاك فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر فينظر كيف تعملون
فيرى الكاين منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها
ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور
قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة فلم توجد
فقراء عمرو هذه الاية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك
وقال قد بقي فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين
ونقص من الثمرات بالسنين بمعنى القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة
والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا وقال
ابن عباس اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات
فكان في امصارهم وعن كعب ياتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة لعلهم
يذكرون فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لايات الله تعالى
ولان الناس في حال الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افئدة وقيل
عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصا

بجميع لما ادعى الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه اي هذه مختصة
بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل
للفرس وان تصبهم سيئة من ضيقة وجدب يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا
بهم ويتشأموا ويقولوا هذه بشومهم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما
قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه من عندك
كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم سيئة بان
وتنكير السيئة لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه
واما السيئة فلا يقع الا في الندرة ولا يقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم
قد عددت ايام البلاء فهل عددت ايام الرخاء الا انما طائرهم عند الله
اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيته والله هو الذي يشاء
ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شوم احد ولا يمنه بسبب فيه كقوله
قل كل من عند الله ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شومهم عند الله
وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله بعد موتهم
بما وعدهم الله تعالى في قوله النار يعرضون عليها الاية ولا طائر اشأم من
هذا وقراء الحسن انما طيرهم عين تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن
هو تكسير ولكن اكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تاتنا به مهما هي ما المتضمنة
معنى الجزاء ضمت اليها ما المؤكدة للجزاء في قولك متى ما تخرج اخرج اينما
تكونوا يدرككم الموت فاما نذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا
لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم ان مه
هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كانه قيل كف ما تاتنا به من
آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين ما محل مهما
الرفع بمعنى ايما شيء تاتنا به او النصب بمعنى ايما شيء تحضرنا به والضميران في به
وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والثاني انث على المعنى
لانه في معنى الاية ونحوه قول زهير ومهما يكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على
وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها

غير موضعها وتحسب مهما بمعنى متى ما وهو يقول مهما جئتني اعطيتك وهذا
وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر مهما تأتنا به من
آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله تعالى وهو لا يشعر وهذا وامثاله مما يوجب
الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه كيف سموها آية ثم
قالوا لتسحرنا بها ما سموها آية لاعتقادهم انها آية وانما سموها
آية اعتبارا لتسمية موسى وقصد والاستهزاء والتلهي **فارسلنا
عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم** الطوفان ما طاف بهم وغشيهم من
مطر او سيل يقال لطغي الماء طوفان نوح وذلك انهم مطروا ثمانية ايام
في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره
ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت
القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم
فمن غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم
وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وعن
ابي قلابة الطوفان الجدري وهو اول عذاب وقع عليهم فبقي في الارض
وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن
نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع
ما لم يعهد مثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم
وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم
يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فكشف
عنهم بعد سبعة ايام خرج موسى الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق و
المغرب فرجعت الجراد الى النواحي التي جاءت منها فقالوا ما نحن بتاركي
ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول ابي عبيدة
كبار القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد وقيل بنات اجنحتها
وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس
الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل

احدهم طعامه فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحى فلا
يرد منها الا يسيرا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى
بعصاه فصار قملا فاخذ في ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم
ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم
فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل
الله تعالى عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها
آنيتهم واطعمتهم فلا يكشف احد شيئا من ثوب ولا طعام ولا شراب
الا وجد فيه الضفادع وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على القرار
وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا
الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح و
لا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله تعالى عنهم ثم نقضوا العهد
فارسل الله تعالى عليهم الدم فصارت دما فشكوا الى فرعون فقال انه
سحركم وكان يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي
الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويستقيان من اناء واحد فيخرج للقبطي
الدم وللاسرائيلي الماء حتى ان المرأة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية
اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دما وعطش فرعون
حتى اشفى على الهلاك وكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها
الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل
سلط الله عليهم الرعاف وروي ان موسى مكث فيهم بعد ما غلب السحرة
عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروي انه لما اراهم اليد والعصا
ونقص النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض وعتا
تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية ثم بعث الله تعالى الطوفان
ثم الجراد ثم ما بعده من النقم وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون
الميم يريد القمل المعروف **آيات مفصلات** نصب على الحال ومعنى مفصلات
مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل انها آيات الله التي لا يقدر عليها غيره

واتها عبرة لهم ونقمة على كفرهم وفصل بين بعضها وبعض بزمان لتمتحن فيه
احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم
ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ما مصدرية و
المعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما ان يتعلق بقوله ادع لنا ربك
على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك
من عهد الله تعالى وكرامته بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده
عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن
كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا
عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة
فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون
جواب لما يعني فلما كشفنا عنهم فاجاؤا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن
لما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام منهم فاغرقناهم في اليم
واليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر الذي لا يدرك قعره ومعظم
مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا باياتنا
وكانوا عنها غافلين اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات و
غفلتهم عنها وقلة تفكرهم واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه مشارق الارض ومغاربها
الارض ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة
وتصرفوا كيف شاؤا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية التي باركنا فيها
بالخصب وسعة الارزاق وتمت كلمة ربك الحسنى قوله ونريد ان نمن على
الذين استضعفوا الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الاحسن صفة للكلمة
ومعنى وتمت على بني اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا
مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على
ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله تعالى اليه ومن قابله بالصبر وانتظار
الفرج ضمن الله تعالى له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع

قوله وتلا الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولي
الصبر وقرأ عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات
الكبرى ما كان يصنع فرعون وقومه ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات
وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وهو الذي على اتناء جنات معروشات و
او ما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان و
غيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني
انه قرأ بعض الناس يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا منه
وهذا آخر ما اقتص الله تعالى من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله
وظلمهم ومعاصيهم وجاوزنا ببني اسرائيل البحر ثم اتبعه اقتصاص نبأ بني اسرائيل
وما احدثوه بعد انقاذهم من ملكة فرعون واستعبادهم ومعاينتهم
الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله
جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه
كما وصف ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله تعالى وقليل
من عبادي الشكور وليسلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما رأى
من بني اسرائيل بالمدينة وروي انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعدما اهلك
الله تعالى فرعون وقومه فصاموه شكرا لله تعالى فأتوا على قوم فمروا عليهم
يعكفون على اصنام لهم يواظبون على عبادتها وكانوا قيل من لخم
كانت تماثيل بقر وقرئ وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوزه
وجاوزه بمعنى جاوزه كقولك اعلاه وعلاه وقرئ يعكفون بضم الكاف
كسرها قالوا يا موسى اجعل لنا الها صنما يعكف عليه كما لهم آلهة اصنام
يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن
علي عليه السلام ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه
فقال قلتم اجعل لنا الها كما لهم آلهة ولما تجف اقدامكم قال انكم قوم
تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم
بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم مما رأى منهم ولا اشنع ان هؤلاء

يعني عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه هدم من تكسيرها فيه من قولهم اناء متبر
اذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر اي يتبر الله ويهدم دينهم
الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا و
باطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيئا من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل
مضمحل لا ينتفعون به وان كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم
خبر المبتداء من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم
المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة
ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا قال أغير الله ابغيكم الها اغير المستحق للعبادة
اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين فعل بكم ما فعل دون غيركم من
الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا
به غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم ومعنى الهمزة الانكار
والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله واذ انجيناكم
من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها
ما محل يسومونكم هو استيناف لا محل لها ويجوز ان يكون
حالا من المخاطبين او من آل فرعون وفي ذلكم اشارة الى الانجاء او الى العذاب
بلاء من ربكم عظيم البلاء النعمة او المحنة وقرئ يقتلون بالتخفيف وواعدنا موسى
ثلثين ليلة واتممناها بعشر روي ان موسى عليه السلم وعد بني اسرائيل وهو بمصر
ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون
فلما هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذي القعدة
فلما اتم الثلثين انكر خلوف فمه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك
رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اما علمت ان خلوف فم الصائم
اطيب عندي من رائحة المسك فامره بان يصوم تكملته يوما وان يعمل فيها بما
يقربه من الله ثم انزلت عليه التورية في العشر وكلم فيها بما يقربه من الله
ثم انزلت عليه التورية في العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين في سورة

العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم

البقرة وفصلها ههنا فتم ميقات ربه ما وقتها له من الوقت وضربه له اربعين
ليلة نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد وقال لاخيه هارون وهارون عطف
بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح وكن
مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل ولا تتبع سبيل المفسدين
ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا
الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص مجيئه لميقاتنا
كما تقول لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة
وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في
اللوح وروي ان موسى كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس رضي الله عنهما
كلمه اربعين يوما واربعين ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين
قال رب ارني انظر اليك ثاني مفعولي محذوف اي ارني نفسك انظر اليك
يعني ارني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك
فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر الي لقوله لما قال ارني
بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الادراك علم ان الطلبة هي الرؤية لا
النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر الي
كيف طلب موسى ذلك وهو اعلم الناس بالله وصفاته وما لا يجوز عليه
من الرؤية التي هي ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في جهة
ومنع المجبرة واحالته في المعقول غير لازم لانه ليس بجسم ولا عرض فمحال
ان يكون في جهة ومنع المجبرة واحالته في المعقول غير لازم لانه ليس بان يدرك
مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين اخذت الرجفة
الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل المبطلون السفهاء منا الى قوله
تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء و
ضلالا ما كان طلبه الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء
وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية
انكر عليهم واعلمهم الخطاء ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا

الرؤية عن النظر فكيف قيل ارني انظر اليك

لا بد ولن نؤمن لك حتى نراه فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باحالته ذلك و
قوله لن تراني ويتزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب أرني أنظر
إليك فهلا قال أرهم ينظروا إليك لأن الله تعالى إنما كلم
موسى عليه السلم وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يرى موسى
ذاته فيبصروه معه إرادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى أرني
أنظر إليك ولأنه إذا زجر عما طلب وأنكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته
عند الله وقيل له لن تراني كان غيره أولى بالإنكار ولأن الرسول إمام
أمته فكان ما يخاطب به أو يخاطب راجعا إليهم وقوله أنظر إليك وما فيه من
معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على أنه ترجمة مقترحهم و
حكاية لقولهم وجل صاحب الجمل أن يجعل الله تعالى منظورا إليه مقابلا بحاسة
النظر فكيف بمن هو أعرق في معرفة الله تعالى من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد
والنظام وأبي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين ما معنى لن
تأكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك أن لا تنفي المستقبل بقول القائل
لا أفعل غدا فإذا أكدت نفيها قلت لن أفعل غدا والمعنى أن فعله ينافي حالي
كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الأبصار نفي للرؤية فيما
يستقبل ولن تراني تأكيد وبيان لأن المنفي مناف لصفاته كيف
الاستدراك في قوله ولكن انظر إلى الجبل بما قبله اتصل به
معنى أن النظر إلي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو أن تنظر إلى الجبل الذي
يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكا بسبب طلبك
الرؤية لأجلهم كيف أفعل ليستعظموا ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره
كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه وتخر الجبال
هدا أن دعوا للرحمن ولدا فإن استقر مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته
فسوف تراني تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه
حين يدكه دكا ويسويه بالأرض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على
أسلوب عجيب ونمط بديع ألا ترى كيف تخلص من النظر بكلمة الاستدراك إلى

كما اسمعه كلامه فسمعوه معه

ثم كيف ثنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب النظر على الشريطة في وجود الرؤية
أعني قوله فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى
له أمره وإرادته جعله دكا أي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الأمير
والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية
الناشزة من الأرض كالدكة أو أرضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء
متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء أي
مدها مستوية وقرأ يحيى بن وثاب دكا أي قطعا دكا أي جمع دكاء
وخر موسى صعقا من هول ما رأى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقه
فصعق وأصله من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه إذا ضربه على
رأسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروي أن الملائكة مرت عليه
وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت
في رؤية رب العزة فلما أفاق من صعقته قال سبحانك أنزهك مما لا يجوز عليك
من الرؤية وغيرها تبت إليك من طلب الرؤية وأنا أول المؤمنين بأنك لست بمرئي ولا مدرك
بشيء من الحواس فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته
فمم تاب من إجرائه تلك المقالة العظيمة وإن كان لغرض
صحيح على لسانه من غير إذن فيه من الله تعالى فانظر إلى إعظام الله تعالى أمر
الرؤية في هذه الآية وكيف أرجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف
أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في إعظام الأمر وكيف
سبح ربه ملتجئا إليه وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال أنا أول
المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة
مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم والقول
ما قال بعض العدلية فيهم: لجماعة سموا هواهم سنة ✽ وجماعة حمر لعمري موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ✽ شنع الورى فتستروا بالبلكفه وتفسير آخر وهو
أن يريد بقوله أرني أنظر إليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كأنها إراءة
في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق إلى معرفتك أنظر إليك أعرفك

معرفة اضطرارية كاني انظر اليك كما جاء في الحديث ستَرون ربكم كما ترون القمر
ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلا
واستوى قال لن تراني اي لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك
تلك الآية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فاني اورد عليه واظهر له من الايات
الايات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها
فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا و
خر موسى لعظم ما راى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت و
تجاسرت وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك لا يقوم لبطشك وباسك
قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس اخترتك على اهل زمانك وآثرتك
عليهم برسالاتي وهي اسفار التورية وبكلامي وبتكليمي اياك فخذ ما آتيتك
ما آتيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي
من اجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التورية
كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هارون مصطفى مثله ونبيا
اجل ولكنه كان تابعا له ووزيرا والكليم هو موسى والاصيل في حمل الرسالة
وكتبنا له في الالواح ذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها وطولها انها كانت
عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل
وقيل من زبرجد خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله تعالى موسى بقطعها
من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت
من خشب نزلت من السماء فيها التورية وان طولها كان عشرة اذرع وقوله
من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا و موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل منه
والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ و
تفصيل الاحكام وقيل انزلت التورية وهي سبعون وقر بعير يقرا الجزء منه في سنة لم يقراها
الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا
الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا
فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا

له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير
في خذها للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتورية ومعنى
بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل وامر قومك ياخذوا باحسنها
اي فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم
ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب كقوله
واتبعوا احسن ما انزل اليكم وقيل ياخذوا بما هو واجب او ندب لانه احسن
من المباح ويجوز ان يراد ياخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه على قولك
الصيف احر من الشتاء ساريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه
وهي مصر كيف اقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل
فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكهم
الله تعالى لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل دار الفاسقين نار
جهنم وقراءة الحسن ساوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال اورني كذا واوريته
ووجهها ان يكون من اوريت الزند كان المعنى بينه لي وانره لاستبينه وقرئ
سأورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض
بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون
بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض
ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا عظمت امتي الدنيا
نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
حرمت بركة الوحي وقيل ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد
فرعون ان يبطل آية موسى بان جمع لها السحرة فابى الله تعالى الا علو الحق
وانتكاس الباطل ويجوز ساصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة
بها وتسميتها سحرا بابطالهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون
عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم
سبيلهم بغير الحق فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله تعالى

وان يكون صلة لفعل التكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم
ان يروا كل آية من الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكون لنا المنزلة عليهم
لا يؤمنوا بها وقرأ مالك بن دينار وان يروا بضم الياء وقرئ سبيل الرشد
والرشد والرشاد كالسقم والسقم والسقام وما اسفه من ذكر الناس
فان رأى طريقا مستقيما اعرض عنه وتركه وان رأى معتسفا مرديا
اخذ فيه وسلكه فعلا على نحو ذلك في دينه ذلك في محل الرفع او النصب
على معنى ذلك الصرف بانهم كذبوا بآياتنا بسبب تكذيبهم او صرفهم الله تعالى
ذلك الصرف بسببه وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا
ولقاء الآخرة يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به اي ولقائهم
الآخرة ومشاهدتهم احوالها ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى لقاء ما
وعد الله تعالى في الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون
واتخذ قوم موسى من بعده من بعد فراقه اياهم الى الطور لم قيل واتخذ
قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري فيه وجهان احدهما ان نسب
الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم
قالوا كذا وفعلوا كذا والقائل والفاعل واحد منهم ولانهم كانوا مريدين
لاتخاذه راضين به فكانهم اجمعوا عليه والثاني ان يراد واتخذوه الها
وعبدوه وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي
ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم ما
يتحسن به من الذهب والفضة لم قال من حليهم ولم يكن
الحلي لهم انما كانت عواري في ايديهم الاضافة تكون بادنى
ملابسة فكونها في ايديهم كفى به ملابسة على انهم قد ملكوها بعد
المهلكين كما غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله تعالى فاخرجناهم من
جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك و
اورثناها بني اسرائيل عجلا جسدا بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجسام له
خوار حين اتخذوه الها الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا لا يقدر على كلام ك

وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا

[illegible]

هداية سبيل حتى يختار وهو على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر
قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبيل الحق ومناهجه وما
ذكر في العقول من الادلة وبما انزل من كتبه ثم ابتداء فقال اتخذوه
اي اقدموا على ما اقدموا من الامر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شيء
في غير موضعه ولم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم
ولما سقط في ايديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان شان
من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا لان فاه
قد وقع فيها ومسندا الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقرأ ابن
السميفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها وقال الزجاج
معناه وسقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في
يده مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما حصل في القلب
وفي النفس بما حصل في اليد ويرى عيانا ورأوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا
كانهم ابصروه بعيونهم قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من
الخاسرين وقرئ لئن لم ترحمنا ربنا لنكونن وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب
على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحوا عليهما السلام وان لم تغفر
لنا وترحمنا ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا الاسف الشديد
الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين قال بئسما خلفتموني قمتم
مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل
من السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هارون والمؤمنون معه
ويدل عليه اخلفني في قومي والمعنى بئسما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان
عبادة الله تعالى او حيث لم تكفوا من عبد غير الله ايما تفسير
بئس من الفاعل والمخصوص بالذم الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني
حيث عبدتم العجل والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها
من بعدي خلافتكم فاي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني
معناه بعد ما رايتم مني من توحيد الله تعالى ونفي الشرك عنه و

اخلاص العبادة لله او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد والكف
عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم
آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه والخطاب
لعبدة العجل من السامري واشياعه او لهارون والمؤمنين معه ويؤيده ما قبله
فخلف من بعدهم خلف اي من بعد الموصوفين بالصفات الحميدة **اعجلتم امر
ربكم** يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره
ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر
ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان
الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت
الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال
هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا
عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا **والقى الالواح**
وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل
غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هارون
الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وروي ان كانت التورية سبعة
اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع
واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة **واخذ برأس
اخيه** اي بشعر راسه **يجره اليه** بذوائبه وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر
الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط في الكف **قال ابن ام**
بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امي بالياء
وابن ام بكسرة الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فانما
اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى الرقة
واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست
فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها **ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني**
يعني انه لم يال جهدا في كفهم بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقته
من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبقوا الا ان يقتلوه

فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة
الي **ولا تجعلني مع القوم الظالمين** ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قرينا
لهم وصاحبا او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم
لما اعتذر اليه اخوه وذكر له شماتة الاعداء **قال رب اغفر لي ولاخي وادخلنا
في رحمتك وانت ارحم الراحمين** ليرضي اخاه ويظهر لاهل الشماتة رضاه
عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان
عسى فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة
لهما في الدنيا والآخرة **ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم**
وهو ما امروا به من قتل انفسهم **وذلة في الحياة الدنيا** خروجهم من ديارهم
لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير
من غضب الله تعالى بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية **وكذلك نجزي
المفترين** المتكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى
ولعله لم يفتر مثلها احد قبله ولا بعده
ويجوز ان يتعلق في الحيوة الدنيا بالذلة وحدها ويراد بسينالهم غضب في الآخرة
الدنيا كقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله **والذين
عملوا السيئات** من الكفر والمعاصي كلها **ثم تابوا** ثم رجعوا **من بعدها** من بعد تلك الخطايا
وآمنوا واخلصوا الايمان **ان ربك من بعدها** من بعد تلك العظائم **لغفور** لستور عليهم
محاء لما كان منهم **رحيم** منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل فيه متخذوا
العجل ومن عداهم عظم جنايتهم اولا ثم اردفها بتعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب
وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة
وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع واشعبية باردة لا يلتفت اليها
حازم **ولما سكت عن موسى الغضب** هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول
له قل لقومك كذا والق الالواح وجر راس اخيك اليك فترك النطق
بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح
الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معوية بن قرة
ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة و

الى الله واعتذر واليه

طرفا من تلك الروعة وفيه لما سكت واسكت اي اسكته الله او اخره اعلا
اليه وتسليه والمعنى ولما طفى عضبه اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها
هدى ورحمة وفيما نسخ منها اي كتب والنسخة فعله بمعنى مفعول كالخطبة
للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول لا باخر الفعلة من مفعول
يكسبه ضعفا ولحوه للرويا تعبرون وتقول لك ضربت واختار موسى قومه
سبعين رجلا لميقاتنا اى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله منا
منا الذي اختير الرجال سماحة قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط
ستة حتى تموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان
لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا
ستون شيخا فاوحى الله تعالى اليه ان اختار من الشبان عشرة فاصبحوا شيوخا
وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم
الجهل والصبى فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم
خرج بهم الى طور سينا لميقات ربه وكان امره ان ياتيه من بني اسرائيل
فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى
موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا
سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام
فاقبلوا اليه وطلبوا الروية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى لن
نومن لك حتى نرى الله جهرة فقال رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد
والانكار من جهته فاجيب بلن تراني ورجفهم الجبل فصعقوا فلما اخذتهم فلما
كانت الرجفة قال موسى رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وهذا
تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما يرى كما يقول النادم على الامر اذا راى سوء
المغبة لو شاء الله تعالى لاهلكني قبل هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني
اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب الروية زجرا للسفهاء وهم
طلبوه سفها وجهلا اى محنتك وابتلاوا حين كلمتني وسمعوا
كلامك فاستدلوا بالكلام على الروية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا

تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل من تشاء بالمحنة الجاهلين غير الثابتين
في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا
من الله تعالى وهدى منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا
فكانه اضلهم بها وهداهم بها على الاتساع في الكلام انت ولينا مولينا
القائم بامورنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا واثبت لنا واقسم
في هذه الدنيا حسنة عافية وحيوة او توفيقا في الطاعة وفي الاخرة الجنة انا هدنا
اليك تبنا اليك وهاد يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب
ولبعضهم شعر يا راكب الذنب هد هد واسجد كانك هدهد وقراه ابو وجزة
السعدي هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامالة ويحتمل
امرين ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا و
املنا ها او حركنا اليك على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض فعلت من العيادة
ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول
القول ويجوز على لغة الاشمام ان يكون هدنا فعلنا من هاده يهيده قال
عذابي من حاله وصفته اني اصيب به من اشاء اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه
ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة ورحمتي وسعت كل شيء واما رحمتي
فمن حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع
ولا عاص الا وهو متقلب في نعمتي وقراه الحسن من اساء من الاساءة فساكتبها
للذين يتقون ويوتون الزكوة فساكتب هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني
اسرائيل للذين يكونون في اخر الزمان من امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم والذين
هم باياتنا يومنون بجميع اياتنا وكتبنا لا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون
الرسول الذي نوحي اليه كتابا مختصا به وهو القران النبي الامي صاحب المعجزات
الذي يجدونه يجد نعته اولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل مكتوبا عندهم في التوراة
والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ما حرم
عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها او ما طاب في الشريعة والحكم
مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلا كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث

ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به او ما خبث في الحكم
كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة ويضع عنهم اصرهم الاصر الثقل
الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته
نحو اشتراط قتل الانفس في صحة توبتهم والاغلال التي كانت عليهم ولذلك الاغلال
مثل لما كان في شرايعهم من الاشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا
كان او خطاء من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع
النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق والسبت وعن
عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى
اعناقهم ولما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى
السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ آصارهم على الجمع والذين آمنوا به
وعزروه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف واصل العزر المنع ومنه التعزير
الضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح الا ترى الى تسمية الحد
المنع ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه القرآن ما معنى قوله
وانما انزل مع جبرئيل معناه انزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا
بالقرآن مشفوعا به ويجوز ان يعلق باتبعوا اي واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع
النبي والعمل بسنته وما امر به ونهى او واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين
له في اتباعه كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلم
ودعائه لما دعا لنفسه ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ
بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله وعلى كفرهم بآيات الله
العظام التي اجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله والذين هم بآياتنا
يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصافهم اعقابهم الذين آمنوا برسول الله
وبما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا
في اخلاص الايمان والعمل الصالح وفي ان يحشروا معهم ولا يفرق بينهم و
بين اعقابهم عن رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء اولئك هم المفلحون
قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة

وبعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى كافة الانس والجن نصب على الحال من اليكم
الذي له ملك السموات والارض ما محله الاحسن
ان يكون منصوبا على المدح او مرفوعا اعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز ان
يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله
لا اله الا هو بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والارض وكذلك
يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله
على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على
الاحياء والاماتة غيره فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن
بالله وكلماته وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه
وقرئ وكلمته على الافراد وهي القرآن او اراد جنس ما كلم به وعن مجاهد
اراد عيسى بن مريم عليهما السلم وقيل هي الكلمة التي يكون عليها عيسى وجميع خلقه
وهي قوله كن وانما قيل ان عيسى كلمة الله تعالى فخص بهذا الاسم لانه
لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة مني واتبعوه لعلكم تهتدون
ارادة ان تهتدوا هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول
الله اليكم عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات
التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي
وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي
الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة
وتفاديا من العصبية لنفسه ومن قوم موسى امة هم المؤمنون التائبون
من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم الذين تزلزلوا منهم في الدين
وارتابوا حين اقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله ذكر
ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس بالحق بكلمة الحق ويدلونهم
على الاستقامة ويرشدونهم وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون
او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي عليه وآله الصلوة والسلم وآمن به
من اعقابهم وقيل ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني

وجميعا
هو

عشر سبطا تبرء سبطا منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله ان يفرق
بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا
حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا
وذكر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان جبريل ذهب به ليلة الاسرا
نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد
النبي الامي صلى الله عليه وآله وسلم فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى
اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرا مني السلم فرد محمد صلى الله عليه وآله
وسلم السلم ثم اقراهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزل يومئذ
فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون
فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئت بين يدي عبد الله
فقال رجل اني منهم فقال عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين وهل
تزيد صلاحا وكم عليهم شيئا من يهدي بالحق وبه يعدلون وقيل لو كانوا في
الدنيا متمسكين بشريعة ولم ينسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض و
التقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى كل افق
وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله تعالى اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل
ولا بر ولا فاجر في مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملأ به
مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيمة وقطعناهم اي
صيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ
وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة اسباطا كقولك اثنتي عشرة قبيلة و
الاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني
عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلم ‍ مميز ما بعد العشرة مفرد فما وجه
مجيئه مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا ‍ لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا
لان المراد وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط
فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره بين رماحي مالك ونهشل و
بدل من اثنتي عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت امة عظيمة

وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا
تكاد تأتلف وقرئ اثنتي عشرة بكسر الشين امما واوحينا الى موسى اذ استسقاه
قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست فانفجرت والمعنى
واحد وهو الانفتاح بسعة قال العجاج شعر وكيف غربي دالج تبجسا
هلا قيل فضرب فانبجست ‍ لعدم الالباس وليجعل الانبجاس
مسببا عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن
اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح
وقوله اثنتي عشرة عينا نظير قوله اثنتي عشرة اسباطا بتذكر امة
الامم الاثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رجال وثناء وتؤام
واخواتها ويجوز ان يقال الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة
كما ابدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم الغمام و
جعلنا ظليلا عليهم وانزلنا عليهم المن والسلوى في التيه وكلوا
من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا وما رجع الينا
ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا انفسهم يظلمون يضرون انفسهم
ويرجع وبال ظلمهم اليهم واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا
منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا واذكر اذ قيل
لهم والقرية بيت المقدس ‍ كيف اختلفت العبارة ههنا و
في سورة البقرة ‍ لا باس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض
ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية فتسبب سكناهم للاكل منها
فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة على
دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد
لا يناقض اثباته قوله نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين
بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على قول
القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم
زيادة بيان فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا على الذين

ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يظلمون وارسلنا وانزلنا من واحد واحد
وقرئ نغفر لكم خطيئاتكم وتغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم وخطيئتكم
على البناء للمفعول واسألهم عن القرية وسل اليهود وقرئ واسألهم وهذا
السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله
والاعلام بان هذا من علومهم التي لا تعلم الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم
به من لم يقرأ كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره همزة الاستفهام التي
يراد بها التقرير في قولك اعدوتم في السبت والقرية ايلة وقيل مدين وقيل
طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو بن العلاء ما رايت قرويين افصح
من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن التي كانت حاضرة البحر قريبة منه
راكبة لشاطئه إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم إذ يتجاوزون حد الله فيه
وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون
ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا
يعدون آلات الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم
وكذلك قوله يوم سبتهم شرعا معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله
ويوم لا يسبتون لا وقراءة عمر بن عبد العزيز ويوم اسباتهم وقرئ لا يسبتون
بضم الياء وقرأ علي رضي الله عنه لا يُسبتون بضم الياء من اسبتوا وقرأ
الحسن لا يُسبتون على البناء للمفعول اي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون
بان يسبتوا اذ يعدون واذ تاتيهم ما محلهما من الاعراب
اما الاول فجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كانه
قيل وسلهم عن اهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال
ويجوز ان يكون منصوبا بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما يستعمل
العرب الحوت في معنى السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع
على ابوابهم كانها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف
علينا وشرعت على فلان في بيته فرايته يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلاء
الشديد نبلوهم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم واذ قالت معطوف على اذ يعدون

تأتيهم

وحكمه حكمه في الاعراب أمة منهم جماعة من اهل القرية من صلحائهم
الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى يئسوا من قبولهم لآخرين كانوا
لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما اي مخترمهم ومطهر الارض منهم
او معذبهم عذابا شديدا لتماديهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ
لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم اي موعظتنا ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب في
النهي عن المنكر الى بعض التفريط ولعلهم يتقون واطمعنا في ان يتقوا بعض
الاتقاء وقرئ معذرة بالنصب اي وعظناهم معذرة الى ربكم او اعتذرنا
معذرة فلما نسوا يعني اهل القرية ما ذكروا به فلما تركوا ما ذكرهم به
الصالحون ترك الناسي لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين
ظلموا الظالمين الراكبين للمنكر الامة الذين قالوا لهم لم تعظون
من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سائلين عن
علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم
واذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما
وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين
القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما
هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهي بك واما الآخرون
فانما لم يعرضوا عنهم اما لان يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الاولين
ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف الله
رسوله في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا
قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون ان الله
مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس انه قال ليت شعري ما فعل
بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك الا
ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم
فلم ازل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة
وهم الذين اخذوا الحيتان وروي ان اليهود امروا باليوم الذي امرتم به

الله مهلكهم

من اي الفريقين هم
من الناجين ام المعذبين

وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه
الصيد وامروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا
كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك
برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت
فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج
منها وتأخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا
الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع
في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت
القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا
وباعوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما ذلك
هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا
القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود فاصبح الناهون
ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا لو ان للناس
شأنا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم
فعرفت القردة انسباءها من الانس والانس لا يعرفون انسباءهم من
القردة فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول
برأسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن
اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها
عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم
عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى و
امر بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون بئيس شديد يقال بؤس يبؤس بأسا
اذا اشتد فهو بئيس وقرئ بيس على وزن حذر وبيس على تخفيف العين
ونقل حركتها الى الفاء كما يقال الكبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب
في ذئب وبيئس على وزن فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس على كهين في هين
وبايس على فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله

من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا

وعتوا عن امر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين عبارة عن مسخهم قردة
كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله تعالى
عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله
فلما نسوا والعذاب البئيس المسخ واذ تأذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الايذان
وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله واجري
مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم و
هو قوله ليبعثن عليهم والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود
الى يوم القيمة من يسومهم سوء العذاب كانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان
بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فضربها فلا تزال مضروبة
عليهم الى اخر الدهر ومعنى ليبعثن ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم
عبادا لنا اولي بأس شديد ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم
وقطعناهم في الارض امما وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم
الصالحون الذين امنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين ومنهم دون
ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة و
الفسقة ومحل دون ذلك الرفع وهو صفة لموصوف
محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا الا له
مقام معلوم يعني وما منا احد الا له مقام وبلوناهم بالحسنات والسيئات
بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فينيبون فخلف من بعدهم من بعد المذكورين
خلف وهم الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ورثوا الكتاب التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون
على ما فيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها يأخذون
عرض هذا الادنى اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع
به منها وفي قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو
بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها
والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى في الاحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل

العقاب

والتحليل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا وفاعل سيغفر
الجار والمجرور وهو لنا ويجوز ان يكون الاخذ الذي هو مصدر ياخذون
وان ياتهم عرض مثله ياخذوه الواو للحال اى يرجون المغفرة وهم مصرون
عايدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة و
المصر لا غفران له الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التورية من
ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر الا بالتوبة ان لا يقولوا على الله الا الحق
ودرسوا ما فى الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه
المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار ياتي على الناس
ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا لانا لم نشرك بالله شيئا كل امرهم
الى الطمع خيارهم فيه المداهنة فهؤلاء من هذه الامة اشباه الذين
ذكرهم الله وتلا هذه الآية والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس
للذين يتقون الرشى ومحارم الله تعالى ودرسوا الكتاب وان لا تقولوا [illegible]
وادارسوا بمعنى تدارسوا افلا تعقلون بالتاء والياء

ما فيه

قوله ان لا يقولوا على الله الا الحق هو عطف بيان لميثاق الكتاب
ومعنى ميثاق الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق
الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب
بما تقدم ذكره كان ان لا يقولوا على الله مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا
ويجوز ان يكون ان مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا
الحق علام عطف قوله ودرسوا ما فيه على الم يؤخذ
عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا والذين
يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة فيه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا بالابتداء
وخبره انا لا نضيع اجر المصلحين والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين والمعنى

اجرهم

انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله
ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا والثاني
ان يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون ويكون قوله انا لا نضيع اعتراضا

وقرئ يمسكون بالتشديد وتنصره قراءة ابي والذين مسكوا بالكتاب
والتمسك يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلوة فكيف افردت
اظهارا لمزية الصلوة لكونها وفارقة بين الكفر والايمان وقرأ ابن مسعود
والذين استمسكوا واذ نتقنا الجبل فوقهم قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم
الطور ومنه نتق السقاء اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه كانه ظلة والظلة
كل ما اظلك من سقيفة او سحاب وقرئ بالطاء من اطل عليه اذا اشرف و
وظنوا انه واقع بهم وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية
لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا
في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل
خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل
فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون هي السجدة
التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق
جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ عليه التورية الا
اهتز وانفض لها رأسه خذوا ما آتيناكم على ارادة القول اي وقلنا خذوا
ما آتيناكم او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على
احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي ولا تنسوه
او اذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز ان يراد خذوا
ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم
ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة
على القدرة الباهرة والانذار لعلكم تتقون ما انتم عليه وقرأ ابن مسعود
وتذكروا واما فيه من الدلالة على القدرة وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا
واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم من ظهورهم بدل

على انفسهم

من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى اخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم
من اصلابهم نسلا بعد نسل واشهادهم على انفسهم وقوله الست بربكم
قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك انه نصب لهم الادلة

على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم
وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم
وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا
وأقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله تعالى ورسوله وفي
كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له
كن فيكون فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين وقوله
إذ قالت الأنساع للبطن الحق قالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم أنه لا قول
ثم وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى أن تقولوا مفعول له أي فعلنا ذلك من نصب
الأدلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن تقولوا يوم القيامة
إنا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه أو كراهة أن تقولوا إنما أشرك
آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلة على التوحيد
وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الإعراض عنه والإقبال على التقليد
والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم
بنو آدم وذرياتهم من هم على بني آدم أسلاف
اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وذرياتهم الذين
كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أخلافهم المقتدين
بآبائهم والدليل على أنها في المشركين وأولادهم قوله أو تقولوا إنما أشرك
آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم والدليل على أنها في اليهود
الآيات التي عطفت عليها وهي على نمطها وأسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية
وإذ قالت أمة منهم وإذ تأذن ربك وإذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ
الذي آتيناه آياتنا أفتهلكنا بما فعل المبطلون أي كان آباؤنا السبب في شركنا
لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل
البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وإرادة أن يرجعوا عن شركهم
نفصلها وقيل ذريتهم على التوحيد لئلا يقولوا ... واتل عليهم على اليهود
نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها هو عالم من علماء بني إسرائيل وقيل

من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء أوتي علم الله فانسلخ منها من الآيات
بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره فأتبعه الشيطان فلحقه الشيطان وأدركه
وصار قرينا له أو فأتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى فتبعه فكان من الغاوين
فصار من الضالين الكافرين روي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى و
من معه فأبى وقال كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا به ولم يزالوا به حتى فعل
ولو شئنا لرفعناه بها لعظمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك
الآيات ولكنه أخلد إلى الأرض مال إلى الدنيا ورغب فيها وقيل مال إلى السفالة
كيف علق بمشيئة الله تعالى ولم يعلق بفعله الذي يستحق به
الرفع المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك
أن مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة
له ومسببة عنه كأنه قيل ولو لزمها لرفعناه بها ألا ترى إلى قوله ولكنه أخلد
إلى الأرض فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله فوجب أن يكون ولو
شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال ولو
شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث
أو تتركه يلهث فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في
أخس أحواله وأذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه أي
شد عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك أن سائر الحيوان
لا يكون منه اللهث إلا إذا هيج منه وحرك وإلا لم يلهث والكلب يتصل لهثه
في الحالتين جميعا وكان حق الكلام أن يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد
إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه
أبلغ حط لأن تمثيله بالكلب في أخس الأحوال وأذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس
الكلب منقطع الفؤاد يلهث إن حمل عليه أو لم يحمل عليه وقيل معناه إن وعظته
فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال كالكلب إن طردته فسعى لهث وإن تركته على حاله
لهث ما محل الجملة الشرطية النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب
ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع

على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا
من اليهود بعدما قرأوا نعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التوراة
وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون
به فاقصص القصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون
مثل عاقبته اذا ساروا مثل سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته
من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك ويزداد الحجة لزوما ساء مثلا القوم
الذين كذبوا بآياتنا اي مثل القوم تقديره ساء الاصحاب اصحاب مثل
وقرأ الجحدري ساء مثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون اما ان
يعطف على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات
الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا
الا انفسهم بالتكذيب بآيات الله وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه
قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها من يهد الله فهو المهتدي
حمل على اللفظ ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون حمل على المعنى ولقد
ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس هم المطبوع على قلوبهم الذين علم
الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق
ولهم اعين لا يبصرون بها لا ينظرون بعيونهم الى ما خلق الله نظر اعتبار
ولهم آذان لا يسمعون بها ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم
عدموا فهم القلوب وابصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لاغراقهم في
الكفر وشدة شكائمهم فيه وانه لا يأتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين
للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار
ومنه كتاب عمر الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن
بخمر واني لأظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الامور
ما خلق فلان الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه
من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع علمهم انه النبي الموعود
وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يأتي منهم كأنهم خلقوا للنار

لهم قلوب لا يفقهون بها

اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر
بل هم اضل من الانعام عن الفقه والاعتبار اولئك هم الغافلون الكاملون
في الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء
اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن
الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها
فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا تسمية الذين
يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه
بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه
يا نخي وان يأبوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان يقولوا يا الله يا رحمن
وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء
الحسنى ويجوز ان يراد ولله الاوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير
والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في اوصافه
فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه
كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم
اللات من الله والعزى من العزيز سيجزون ما كانوا يعملون لما قال ولقد
ذرأنا لجهنم كثيرا فاخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون باعمال اهل النار
اتبعه قوله وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون وعن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين
ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وعنه عليه السلام ان من امتي
قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من اهل الكتاب
وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم
استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة
قال الاعشى فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت اسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم اني عنكم غير مفحم ومنه درج الصبي
اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم مات

ولا يقولوا

جة

بعضهم في اثر بعض سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم
ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم
مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا
معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم
اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ
بالله منه واملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين
ان كيدي متين سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر
احسان وفي الحقيقة خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم بمحمد صلى الله عليه وآله
وسلم من جنة من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة ان النبي صلى
الله عليه وآله وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله فقال
قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح ان هو الا نذير
مبين اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض فيما تدلان
عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق
الله مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف
وان عسى ان مخففة من الثقيلة والاصل وانه على ان الضمير ضمير الشان والمعنى
اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب اجلهم ولعلهم يموتون
عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل و
حلول العقاب ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من
كان التي فيها ضمير الشان بم يتعلق قوله فباي حديث بعده
يؤمنون بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب
فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح
الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا من يضلل الله فلا هادي له
ويذرهم في طغيانهم يعمهون وقرئ ويذرهم بالياء والرفع على الاستئناف
ويذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل ومن يضلل الله
لا يهده احد ويذرهم يسألونك عن الساعة قيل ان قوما قالوا يا محمد اخبرنا

عن الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي فكان ذلك امتحانا منهم مع
علمهم ان الله تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من
الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيمة بالساعة لوقوعها بغتة او
لسرعة حسابها او على العكس لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة من
الساعات عند الخلق ايان بمعنى متى وقيل اشتقاقه من اي فعلان منه
لان معناه اي وقت واي فعل من اويت اليه لان البعض آو الى الكل متساند
اليه قاله ابن جني وابى ان يكون من اين لانه زمان واين مكان وقرئ
ايان بكسر الهمزة مرساها ارساؤها او وقت ارسائها اي اثباتها واقرارها
وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة
والمرسى الانجر الذي ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في
السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله قل انما علمها عند ربي اي علم وقت
ارسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل
يكاد يخفيها من نفسه ليكون ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى
الاجل الخاص وهو وقت الموت لا يجليها لوقتها الا هو اي لا تزال خفية لا يظهر
امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها بغتة لا
يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت
وقوعها ثقلت في السموات والارض اي كل من اهلها من الملائكة والثقلين
اهمه شان الساعة ويوده ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه
او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها او
لان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها لا تاتيكم الا بغتة
الا فجأة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الساعة تهيج
بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته
في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كانك حفي عنها
كأنك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لان من بالغ في
المسألة والتنقير عنه استحكم ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة و

منه احفاء الشارب واحتفاء البقل استيصاله واحفى في المسالة اذا الحف وحفي
به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السوال حتى علمت وقرا ابن مسعود
كانك حفي بها اي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل عنها متعلق بيسالونك اي يسالونك
عنها كانك حفي اي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل ان قريشا قالوا ان بيننا و
بينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسالونك عنها كانك حفي تتحفى بهم
فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت
بوقتها لمصلحة عرفها الله تعالى في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد
من غير تخصيص كسائر ما اوحي اليك وقيل كانك حفي بالسوال عنها تحبه
وتوثره يعني انك تكره السوال عنها لانه من علم الغيب الذي استاثر
الله تعالى به ولم يوته احدا لم كرر يسالونك و قل انما
علمها عند الله للتاكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك
حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من
فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة ولكن اكثر الناس
لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا
هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اي انا عبد
ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد
الا ما شاء الله ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني ولو كنت اعلم الغيب
لاستكثرت من الخير وما مسني السوء لكانت حالي على خلاف ما هي عليه
من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني
شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب ورابحا وخاسرا في
التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير ان انا الا نذير وبشير الا عبد ارسلت
نذيرا وبشيرا وما من شاني ان اعلم الغيب لقوم يومنون يجوز ان يتعلق
بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما تنفعان فيهم او يتعلق
بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا اي الا نذير للكافرين وبشير
لقوم يومنون هو الذي خلقكم من نفس واحدة وهي نفس آدم وجعل

منها زوجها وهي حوا خلقها من جسد آدم من ضلع من اضلاعه ليسكن
اليها ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا
كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى
ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن اليها فذكر بعدما انث
في قوله واحدة وجعل منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها
آدم ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا
للمعنى فلما تغشاها والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت
حملا خفيفا خف عليها ولم تلق منه ما يلقى الحبلى من حملهن من الكرب والاذى
ولم يستثقله وقد تسمع بعضهن يقول في ولدها ما كان اخفه على كبدي حين
حملته مضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل
حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به بالتخفيف وقرا غيره فارت به من المرية
كقوله افتمرونه افتمارونه ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت
به فلما اثقلت دعوا الله ربهما دعا آدم وحوا ربهما ومالك امرهما الذي
هو الحقيق ان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا لئن وهبت لنا صالحا ولدا سويا
قد صلح بدنه وبري وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة
والضمير في آتينا لنكونن من الشاكرين لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما
آتاهما صالحا ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء اي جعل
اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك
فيما آتاهما اي اتى اولادهما وقد دل على ذلك بقوله فتعالى الله عما يشركون
حيث جمع الضمير وآدم وحوا بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم
الله تسميتهم الاولاد بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما اشبه ذلك
مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر هو ان يكون الخطاب
لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم آل
قصي الا ترى الى قوله في قصة ام معبد فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يبارى وسودد
ويراد هو الذي خلقكم من نفس واحدة قصي وجعل من جنسها زوجها

عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له
شركاء فيما آتاهما حيث سمّيا اولادها الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي
وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما
في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه وقرئ شركا اي ذوي شرك
او احدثا لله تعالى اشراكا في الولد ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
اجريت الاصنام مجرى اولي العلم في قوله وهم يخلقون بناء على اعتقادهم فيها
وتسميتهم اياها آلهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله
وهم يخلقون لان الله تعالى خالقهم او لا يقدر على اختلاق شيء لانه جماد وهم يخلقون
لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا
انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين
يدفعون ويحامون عليهم وان تدعوهم وان تدعوا هذه الاصنام الى الهدى الى
ما هو هدى ورشاد والى ان يهدوكم والمعنى وان طلبتم منهم كما تطلبون من
الله تعالى الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم
كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين
سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون ام صمتم عن دعائهم في انه
لا فلاح معهم هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية
موضع الفعلية لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم
كقوله واذا مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم
فقيل ان دعوتموهم لم تفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه
من عادة صمتكم عن دعائهم ان الذين تدعون من دون الله اي تعبدونهم
وتسمونهم آلهة من دون الله عباد امثالكم وقوله عباد امثالكم
اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم
لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال الهم ارجل يمشون
بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان
يسمعون بها قيل عبادا امثالكم مملوكون وقرأ سعيد بن جبير ان الذين تدعون

فادعوهم ان كنتم صادقين

من دون الله عبادا امثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى
ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية
قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون جميعا انتم
وشركاؤكم جميعا فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم ولا يقول هذا الا واثق
بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم
هود له ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم اني بريء مما تشركون
من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون ان وليي الله ان ناصري عليكم الله
الذي نزل الكتاب الذي اوحى الي كتابه واعزني برسالته وهو يتولى الصالحين
ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم والذين
تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان
تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك
لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه وهم
لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي خذ العفو العفو ضد الجهد اي خذ ما عفا لك
من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تدا
ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا
ولا تعسروا وقال خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب
وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما
نزلت امر ان ياخذهم بها طوعا او كرها وامر بالعرف العرف المعروف والجميل
من الافعال واعرض عن الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم
واحلم عنهم واغض على ما يسوءك منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل
فقال لا ادري حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق
امر الله تعالى نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق
منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما ينخسنك منه نخس بان يحملك بوسوسته
على خلاف ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه انه سميع عليم النزغ

والنسغ الغرز والنخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ
نازغا كما قيل جد جده وروي أنه لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم كيف يا رب والغضب فنزل وإما ينزغنك ويجوز أن يراد بنزغ الشيطان
اعتراء الغضب كقول أبي بكر رضي الله عنه إن لي شيطانا يعتريني إن الذين اتقوا
إذا مسهم طائف من الشيطان طيف من الشيطان لمة منه مصدر من
قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا أي ألم بك الخيال يطيف أو هو تخفيف
طيف فيعل من طاف يطيف كلين أو من طاف يطوف كهين وقرئ طائف
وهو يحتمل الأمرين أيضا وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة
بالله عند نزغ الشيطان وأن المتقين هذه عادتهم إذا أصابهم أدنى نزغ
من الشيطان وإلمام بوسوسة تذكروا ما أمر الله تعالى به ونهى عنه فإذا
هم مبصرون فأبصروا السداد ودفعوا ما وسوس إليهم ولم يتبعوه أنفسهم
وإخوانهم وأما إخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فإن الشياطين
يمدونهم في الغي أي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم وقرئ يمدونهم
من الإمداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن إغوائهم
حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله يمدونهم كقوله قوم إذا الخيل جالوا في كواثبها
في أن الخبر على غير ما هو له والأول أوجه لأن إخوانهم في مقابلة الذين
اتقوا وإنما جمع الضمير في إخوانهم والشياطين مفرد
المراد به الجنس كقوله تعالى أولياؤهم الطاغوت وإذا لم تأتهم بآية
قالوا لولا اجتبيتها اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه أي جمعه كقولك اجتمعه
جليت إليه العروس فاجتلاها ومعنى لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا
من عند نفسك لأنهم كانوا يقولون إن هذا إلا إفك مفترى أو
أخذتها منزلة عليك مقترحة قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي
لست بمفتعل للآيات أو لست بمقترح لها هذا بصائر من ربكم أي هذا
أي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى وهو بمنزلة بصائر القلوب
وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا ظاهره وجوب الاستماع والإنصات

وقت قراءة القرآن في صلوة وغير صلوة وقيل كانوا يتكلمون في الصلوة فنزلت
ثم صار سنة في غير الصلوة أن ينصت القوم إذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن
وقيل معناه وإذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا
له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه واذكر ربك في نفسك هو عام في الأذكار
من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا
ودون الجهر ومتكلما كلاما دون الجهر لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب
إلى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين الوقتين أو أراد الدوام ومعنى
بالغدو بأوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والإيصال من آصل إذا دخل
في الأصيل كأعصر وأعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين
يغفلون عن ذكر الله تعالى ويلهون عنه إن الذين عند ربك لا يستكبرون
عن عبادته هم الملائكة عليهم السلام ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة
الله تعالى وفضله لتوفرهم على طاعة الله وابتغاء مرضاته ويسبحونه وله يسجدون
ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الأعراف
جعل الله يوم القيمة بينه وبين إبليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الأنفال النفل
الغنيمة لأنها من فضل الله وعطائه قال لبيد إن تقوى ربنا خير نفل والنفل
ما ينفله الغازي أي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو أن يقول الإمام تحريضا
على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه أو قال لسرية ما أصبتم فهو لكم أو فلكم
نصفه أو ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الإمام الوفاء بما وعد منه وعند

في احد قوليه لا يلزمهم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يقسم ولمن الحكم في قسمتها اللمهاجرين ام
للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم
ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان
ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما
وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا
عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ان المغنم قليل والناس كثير وان تعط
هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي
عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت ان الله قد شفا صدري من
المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في
القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت
الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد انزلت سورة
الانفال فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه صار لي فاذهب
فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في
فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقسمه بين
المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح
ذات البين وقرأ ابن محيصن يسئلونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام وادغام نون عن في اللام وقرأ ابن مسعود يسئلونك الانفال
اي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الانفال ‖ ما معنى الجمع بين
ذكر الله والرسول في قوله قل الانفال لله والرسول ‖ معناه ان
حكمه مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل
الرسول امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأي احد والمراد
ان الذي اقتضته حكمة الله تعالى وامر به رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط

لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية
ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين
من التحاب والتصافي فاتقوا الله في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين
في الله تعالى واصلحوا ذات بينكم وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله تعالى
وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا
غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض
ما حقيقة قوله ذات بينكم ‖ احوال بينكم يعني ما بينكم
من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهي
مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين
كقولهم اسقني ذا اناءك يريدون ما في الاناء من الشراب واطيعوا الله
ورسوله قد جعل التقوى وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته
ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مؤمنين
ان كنتم كاملي الايمان واللام في انما المؤمنون اشارة اليهم اي الكاملون الايمان
هم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم
ايمانا الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا
وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة
اما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه يعني فزعت
لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة
وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى
ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم
او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع ووجلت قلوبهم بالفتح وهي لغة نحو
وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا
ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه و
اثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة الايمان بضع وسبعون
شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق

والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان **وعلى ربهم يتوكلون** ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه **الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون** جمع اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلوة والصدقة **اولئك هم المؤمنون حقا** صفة للمصدر المحذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر موكد للجملة التي هي اولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا سأله أمؤمن انت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعني كما لا يقطع بانه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة ممن لا يستثني فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابرهيم عليه الصلوة والسلم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي فقال له هلا اقتديت به في اولم تؤمن قال بلى **لهم درجات عند ربهم** شرف وكرامة وعلو منزلة **ومغفرة** وتجاوز لسيئاتهم **ورزق كريم** نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب **كما اخرجك ربك** فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتداء محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهية ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني ان تنصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك **من بيتك** وهي كراهتهم ومن بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه **بالحق** اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه **وان فريقا من المؤمنين لكارهون** اي اخراجك بالحكمة في موضع الحال اي اخراجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله عليهما الصلوة والسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم واموالكم ان اصابها محمد صلى الله عليه وآله وسلم لن تفلحوا ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كأن ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس فقال لا والله لا يكون ذلك حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار

وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ

لهم

الرجب العير

ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك فانا معك حيثما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونشطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابشروا فان الله تعالى وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين فرغ من بدر قيل له عليك العير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق والحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير بعد ما تبين بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم

يساقون الى الظفر والغنيمة بحال من يساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم الا فارسان واذ يعدكم الله احدى الطائفتين اذ منصوب باضمار اذكر انها لكم بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم وهي العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شائك السلاح اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى ويريد الله ان يحق الحق ان يثبته ويعليه بكلماته باياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر الكافرين والدابر الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزؤكم في ابدانكم واحوالكم والله تعالى يريد معالي الامور وما رجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها وقرئ بكلمته على التوحيد

ثم يتعلق بمحذوف تقديره

ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه

البرهة الكبرى

ولا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم وما خذل اولئك الا لهذا الغرض

الذي هو سبيل الاعراض ويجب ان يقدر المحذوف متاخرا ليفيد معنى
الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع
بم تعلق اذ تستغيثون ربكم هو بدل من اذ يعدكم و
قيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من
القتال طفقوا يدعون الله يقولون اي رب انصرنا على عدوك يا غياث
المستغيثين اغثنا وعن عمر رضـ ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نظر
الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه
يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد
في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر رضـ فالقاه
على منكبيه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك
فالقاه على منكبيه فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم
بالف من الملائكة اصله باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب
فنصب محله وعن ابي عمرو انه قرأ اني ممدكم مجريا قال لان الاستجابة
من القول هل قاتلت الملائكة يوم بدر اختلف
فيه فقيل نزل جبرئيل عليه السلم في خمسمائة على الميمنة وفيها علي بن ابي طالب
رضي الله عنه في صور الرجال عليهم ثياب بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم
فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم يقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل
انه قال لابن مسعود من اين ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال
من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينما
هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر
الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فقال صدقت ذلك من السماء وعن ابي داود المازني
تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان
يصل اليه سيفي وقيل لم تقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين
والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبرئيل اهلك بريشة

ابو بكر رضـ وميكائيل عليه السلم في خمسمائة على الميسرة وفيها صـ

بما بين قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ
مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا اتبعه ومنه ردف لكم
بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته و
يقال اردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده ولا يخلو من ان يكون
بمعنى متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم المؤمنين اي يتقدمونهم
فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم انفسهم ملائكة
آخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة
آل عمران بثلثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين
ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين او متبعين من ارتدفه فادغمت
تاء الافتعال في الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بآلاف من
الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران فبم يعتذر
قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة آخرين
والمردفين بارتدافهم غيرهم بان المراد بالالف من
قاتل منهم او الوجوه منهم الذين سواهم اتباع لهم
الام يرجع الضمير في قوله تعالى وما جعله الله الى قوله اني ممدكم
لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد
الذي يدل عليه ممدكم الا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم
اي البشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم و
تضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر
وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله يريد ولا
تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة او وما
النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من
نصره الله تعالى ان الله عزيز حكيم اذ يغشيكم بدل ثان من
اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما
جعله الله تعالى او باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد و

بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين صـ

النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له اما وجب
ان يكون فاعل فعل المعلل والعلة واحدا بلى ولكن لما كان معنى
يغشاكم النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى
اذ تنعسون امنة بمعنى امنا اي لأمنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة
لكم من الله تعالى فعلى غير هذه القراءة يجوز الامنة
بمعنى الايمان اي يغشيكم ايمانا منه او على يغشيكم النعاس فتنعسون امنا
هل يجوز ان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل
اي يغشاكم النعاس لامنه على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي
وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على انه انامكم في وقت كان من حق
النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم
امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل
لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد الم به من قال
يهاب النوم ان يغشى عيونا تهابك فهو نفار شرود وقرئ امنة بسكون
الميم ونظير امن امنة حيي حيوة ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان ما
كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم و
امنهم رقدوا وعن ابن عباس النعاس في القتال امنة من الله تعالى وفي
الصلوة وسوسة من الشيطان وينزل عليكم من السماء ماء
ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكانه قال
ما للطهور به ويذهب عنكم رجز الشيطان وسوسته اليهم وتخويفه
اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك
ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون
في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم
فقال انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم وانكم تصلون على غير وضوء وعلى
الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظ

الا ان يجهدكم العطش اغاثكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا
بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله تعالى المطر فمطروا
ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحياض
على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي
كان بينهم حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت
النفوس والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان القلب اذا تمكن فيه
الصبر والجراءة ثبتت القدم في مواطن القتال اذ يوحي ربك الى الملائكة يجوز
ان يكون بدلا ثانيا من اذ يعدكم وان ينتصب بيثبت اني معكم
مفعول يوحي وقرئ اني بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي
مجرى يقول كقوله اني ممدكم فثبتوا الذين آمنوا والمعنى اني معكم
فثبتوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ
من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير
وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم
ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدون بالملائكة وقيل
كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول اني سمعت
المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين
فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه
وقرئ الرعب بالتثقيل فوق الاعناق اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها
مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤوس وقيل اراد
الرؤوس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال واضرب هامة البطل المشيح
وقال غشيته وهو في جأواء باسلة عضبا اصاب سواء الراس فانفلقا
واضربوا منهم كل بنان البنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا
المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او على غير مقتل فامرهم
بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سألقي الى قوله كل
بنان عقيب فثبتوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولي

وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام

على التثبيت فثبتوهم وقوله سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب يجوز ان يكون تفسيرا لقوله اني معكم

تولى سالفي فالصابرون على هذا هم المؤمنون ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلك الى ما
اصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع بالابتداء وبانهم
خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من
الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وتشلت في الشام
عن اشتقاق المعاداة لان هذا في عدوة وذلك في عدوة كما قيل المخاصمة
والمشاقة لان هذا في خصم اي في جانب وذاك في خصم اي في جانب وهذا في
شق وذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول او لكل احد منكم وفي
ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب
او العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه
كقولك زيدا فاضربه وان للكافرين عذاب النار عطف على ذلكم في وجهيه
او عطف على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي
لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقراء الحسن وان للكافرين
بالكسر يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا حال من الذين كفروا
الزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب
دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف
فلا تولوهم الادبار والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم
قليل فلا تفروا فضلا ان تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من الفريقين
اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من المؤمنين كانهم اشعروا
بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من
الزحوف اثنا عشر الفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله
ومن يولهم يومئذ دبره امارة عليهم الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه
انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكائدها او متحيزا
او منحازا الى فئة الى جماعة اخرى سوى الفئة التي هو فيها فقد باء بغضب
من الله ومأواه جهنم وبئس المصير وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية وانا فيهم

نفرًا فلما رجعنا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن
الفارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فاتى المدينة
الى عمر رضي الله عنه فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر
انا فئتك وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر
وانتصب الا متحرفا على الحال ولا لغوا وعلى الاستثناء
من المولين اي ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا
وقراء الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز
يحوز فبناء متفعل منه متحوز لما كسر واهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على
التفاخر فكان القائل يقول قتلت واسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك
اللهم اني اسألك ما وعدتني فاتاه جبرئيل عليه السلام فقال خذ قبضة من
حصباء الوادي فرمى بها وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك
الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم
تفاخروا فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم
فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب
في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم واذهب عنها الفزع والجزع
وما رميت انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى يعني ان الرمية التي رميتها
لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لم يبلغ اثرها الا الى ما يبلغه
رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث اثرت ذلك الاثر العظيم
فاثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان صورتها وجدت
منه ونفاها عنه لان اثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وعلا فكان
الله تعالى هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول اصلا
وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده
وليبلي المؤمنين منه وليعطيهم بلاء حسنا عطاء جميلا قال زهير فابلاهما خير البلاء
والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك ان الله سميع

الذي يبلو

لدعائهم عليهم باحوالهم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اي
الغرض ذلكم وان الله موهن معطوف على ذلكم يعني ان الغرض ابلاء المؤمنين
وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى
الاصل الذي هو التنوين والاعمال ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب
لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا ان ينفروا تعلقوا
باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا
للعاني ان كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم على حق فانصره وان كنا على
الحق فانصرنا وروي انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم
الحزبين وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان اهجر واقطع للرحم
فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين وان تنتهوا
خطاب للكافرين يعني وان تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فهو خير لكم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم ولن تغني عنكم
فئتكم شيئا وان الله مع المؤمنين وان الله قرئ بالفتح على ولان الله مع
المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه اوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود
والله مع المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وقرئ بطرح احدى التائين وادغامها
والضمير في عنه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان المعنى واطيعوا
رسول الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه ولان طاعة الرسول
وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير
الى احدهما كرجوعه اليهما كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز
ان يرجع الى الامر بالطاعة اي ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعونه
او ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تخالفوه وانتم تسمعون
اي تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا اي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين
فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن

طاعة الرسول في بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم
كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال ان شر الدواب
عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون اي ان شر من يدب على وجه
الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس
البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله فيهم في هؤلاء الصم البكم خيرا اي انتفاعا
باللطف لاسمعهم للطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه
او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم
بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن
حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا
نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون
وعن الحسن اهل الكتاب يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم وحد الضمير ايضا كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الآخر للتوكيد
والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى
ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر على باب ابي بن كعب فناداه
وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال
كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم
لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم والثاني ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا
وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلوته لما يحييكم من علوم الديانات و
الشرايع لان العلم حيوة كما ان الجهل موت ولبعضهم لا تعجبن الجهول حلته
فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم
وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حيوة وقيل للشهادة لقوله بل احياء
عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه يعني انه يميته فتفوته
الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوا

حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون يعني ولو لطف بهم صح

وعلله وبرده سليمًا كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا
قلوبكم لطاعة الله ورسوله **واعلموا انكم اليه تحشرون**
فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان
الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله
بالخوف امنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما
اشبه ذلك مما هو جائز على الله عز وجل فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من
افعال القلوب فلا والمجبرة على انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر
وبين الكفر اذا امن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه انه
يطلع على كل ما يخطره بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكانه بينه وبين
قلبه وقرئ بين المرّ بتشديد الراء ووجهه انه قد حذف الهمزة والقى
حركتها على الراء كالخبّ ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمرّ
واتقوا فتنة ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة
وقيل فتنة عذابا وقوله **لا تصيبن الذين ظلموا منكم** لا يخلو اما ان
يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كان جوابا فالمعنى
ان اصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى
ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا
بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب
او اثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على ارادة
القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله
حتى اذا جن الظلام واختلط جاؤا بمذق هل رايت الذئب قط اي بمذق مقول
فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد
المعنى الاخير قراءة ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن
نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير رضي الله عنهم وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها
زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في
اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وسلم
يوما اذ اقبل علي رضي الله عنه فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي
او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله كيف جاز ان
تدخل النون المؤكدة في جواب الامر لان فيه معنى النهي اذا قلت
انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم
فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم التبعيض على الوجه
الاول والتبيين على الثاني لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم
اقبح منكم من سائر الناس **واذكروا اذ انتم قليل** نصبه على انه مفعول به
مذكور لا ظرف اي اذكروا وقت كونكم اقلة اذلة **مستضعفين في
الارض** ارض مكة قبل الهجرة يستضعفكم قريش **تخافون ان يتخطفكم الناس**
لان الناس كانوا جميعا اعداء مضادين لهم **فآواكم** الى المدينة **وايدكم
بنصره** بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر **ورزقكم من الطيبات**
من الغنائم **لعلكم تشكرون** ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة
كان هذا الحي من العرب اذل الناس واشقاهم عيشا واعراهم جلدا و
ابينهم ضلالا يؤكلون ولا ياكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم
في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا **يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله
والرسول** معنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه
اذا تنقصه ثم استعمل في ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل في شيء
فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب و
خان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف له ومنه قوله
وتخونوا اماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله
بان لا تستنوا به واماناتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها **وانتم تعلمون**
تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم
عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن
وروي ان نبي الله صلى الله عليه واله وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى

وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا
الى اذرعات واريحا من ارض الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة
بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم
فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو
لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه
على سارية المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب
الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له
قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي
ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال يجزيك
الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان وقيل اماناتكم ما
ائتمنكم الله تعالى عليه من فرائضه وحدوده وتخونوا
اجزم هو ام نصب يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي و
ان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقرأ مجاهد وتخونوا امانتكم
على التوحيد واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة جعل الاموال
والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم والعذاب او محنة
من الله تعالى ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده وان الله
عنده اجر عظيم فعليكم ان تنوطوا بطلبه وبما يؤدي اليه هممكم و
تزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا
انفسكم من اجلها كقوله المال والبنون الآية وقيل هي من جملة
ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده يا ايها الذين آمنوا
ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل
وبين الكفر باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم
الفرقان او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم وآثاركم في

اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي طلع الفجر
او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين
غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة واذ يمكر
بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك لما فتح الله تعالى
عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته
من مكرهم وما اتاح الله له من حسن العاقبة واذكر اذ يمكرون بك
وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا
في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال
انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت
ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري رايي ان تحبسوه
وتقيدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه
منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الراي يأتيكم من يقاتلكم
من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل
وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الراي
يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من
كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق
دمه في القبائل فلا تقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا
العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم رايا
فتفرقوا على راي ابي جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله عليهما الصلاة
والسلام وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن الله له في الهجرة فامر عليا رضي الله عنه
فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه و
باتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب
الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك
او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا
براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرأ النخعي ليبيتوك

من البينات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالاثبات ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفي ما اعد لهم حتى يأتيهم بغتة والله خير الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا او لانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز حتى تعرضوا للمعالي دونه مع فرط انفسهم واستنكافهم ان يغلبوا في باب البيان خاصة وان يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع المشيئة ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على ان يقهروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتهالكهم على ان يغمروه وقيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله احاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذاك وانه من جملة تلك الاساطير وهو القائل واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب آخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرأ الاعمش هو الحق بالرفع على ان هو مبتدأ غير فصل وهو في القراءة الاولى فصل ويقال امطرت السماء كقولك انجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار في معنى العذاب

فان قلت ما فائدة قوله من السماء والامطار لا يكون الا منها قلت كانه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة موضع السجيل كما تقول صب عليه

من السماء صح

مسرودة من حديد تريد درعا او ائتنا بعذاب اليم اي بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعني ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع آخر من انواعه وعن معاوية انه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله تعالى وقضية حكمته ان لا يعذب قوما عذاب استيصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم ان لا يعذبهم الله وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم الا يعذبهم وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المستضعفين وما لهم ان لا يعذبهم الله واي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا اولياءه وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة

وما لهم الا يعذبهم

امره وارباته إن أولياؤه إلا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح
لان يلي امره انما يستاهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة
الاصنام ولكن أكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من كان يعلم وهو يعاند
ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم وما كان
صلاتهم عند البيت إلا مكاء المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من
مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كانه سمي بذلك لكثرة مكائه واصله الصفير
نحو الوضاء والقراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكاء والبكا وتصدية
التصدية التصفيق تفعلة من الصدى او من صد يصد اذا قومك منه يصدون
وقراء الاعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه
ما وجه هذا الكلام هو من قوله وما كنت اخشى
اداهم سودا او محدرجة سمرا والمعنى انه وضع القيود والسياط موضع
العطاء ووضعوا المكاء موضع الصلوة وذلك انهم يطوفون بالبيت عراة
الرجال والنساء وهم مشبكون بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون و
كانوا يفعلون نحو ذلك اذا قراء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في صلوته
يخلطون عليه فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر يوم بدر بما كنتم تكفرون
بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة إن الذين كفروا
ينفقون أموالهم قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم
كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير اعينوا بهذا
المال على حرب محمد صلى الله عليه وآله وسلم لعلنا ندرك منه ثارنا بما اصيب منا
ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر ليوم احد الفين من الاحابيش
سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين اوقية والاوقية اثنان
واربعون مثقالا ليصدوا عن سبيل الله اي كان غرضهم في الانفاق الصد عن
اتباع محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك ثم
تكون عليهم حسرة اي تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة ثم يغلبون
آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون

للقاء كتب الله لأغلبن انا ورسلي والذين كفروا والكافرون منهم إلى جهنم
يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه ليميز الله الخبيث من الطيب الفريق الخبيث
من الكفار من الفريق الطيب من المؤمنين ويجعل الفريق الخبيث بعضه على
بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا
كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم أولئك اشارة الى
الفريق الخبيث هم الخاسرون وقيل ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المال الطيب الذي انفقه
المسلمون كابي بكر وعثمان في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون
به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الآية واللام على هذا متعلقة بقوله
ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا
وقرئ ليميز على التخفيف قل للذين كفروا من ابي سفيان واصحابه اي قل لاجلهم هذا
القول وهو ان ينتهوا ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي
قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا
اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه اي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة
رسول الله وقتاله بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف لهم من العداوة
وإن يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم
بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا
مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما
سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه
قوله عليه السلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم تبق عليه
تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين
وبه احتج ابو حنيفة في ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة
في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد وقرئ نغفر لهم على ان الضمير
لله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك قط ويكون
الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده

فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما تعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم
وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله و
الدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه
احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم اي ناصركم ومعينكم
نعم المولى ونعم النصير فثقوا بولايته ونصرته واعلموا انما غنمتم
ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فان لله
مبتداء خبره محذوف تقديره فحق او فواجب ان لله خمسه وللرسول ولذي
القربى واليتامى والمساكين وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر
وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهورة اكد واثبت للايجاب كانه قيل
فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث
انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم
ونحو ذلك كان اقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه
بالسكون
عند ابي حنيفة انها
كيف قسمة الخمس
كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على خمسة اسهم سهم
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسهم لذوي قرباه من بني هاشم
وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة و
المظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك من بني هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك
الذي جعلك الله تعالى منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وانما
نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه الصلوة والسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية
ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وثلثة
اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي
القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم
فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل واما عند الشافعي فيقسم على

خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصرف الى ما كان
يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو
ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين
والباقي للفرق الثلث وعند مالك بن انس الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام
ان راى قسمه بين هؤلاء وان راى اعطاه بعضهم دون بعض وان راى غيرهم
اولى واهم فغيرهم
ما معنى ذكر الله وعطف الرسول
وغيره عليه
يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله
ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى
وجه من وجوه القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان
يكون متقربا به لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على
غيرها كقوله وجبريل وميكائيل فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى
الثاني ما قال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف الى
رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذ الخمس فيضرب بيده
فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة
وقيل ان سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن انس وعن ابن عباس
انه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى
ابو بكر الخمس على ثلثة وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان
ابا بكر منع بني هاشم وقال انما لكم ان نعطي فقيركم ونزوج ايمكم
ونخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني
لا يعطى من الصدقة شيئا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك
قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس
كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى
والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم انه لولي الامر من بعده وعن الكلبي ان الاية نزلت
ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر

وثلثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة

بم تتعلق قوله إن كنتم آمنتم بالله بمحذوف يدل عليه اي اعلموا

المعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا

عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد

لكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله لان العلم المجرد يستوي فيه المؤمن

والكافر وما انزلنا معطوف على بالله اي ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على

عبدنا وقرئ عُبُدنا كقوله وعُبُد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان يوم بدر

يوم التقى الجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما انزل عليه من الآيات

والملئكة والفتح يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر ان ينصر القليل على الكثير

والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم

بالعدوة القصوى اذ بدل من يوم الفرقان والعدوة شط الوادي بالكسر والضم

والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة

حاجزا غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تانيث الادنى

والاقصى كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احديهما

بالياء والثانية بالواو القياس هو قلب الواو ياء كالعليا

واما القصوى فكالقود في مجيئه على الاصل وقد جاءت القصيا الا

الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء

استصاب واغيلت مع اغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى

مما يلي مكة والركب اسفل منكم يعني الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير

اسفل منكم بالساحل واسفل نصب على الظرف معناه مكانا اسفل من مكانكم

وهو مرفوع المحل لانه خبر للمبتدا ما فائدة هذا التوقيت

وذكر مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم الفائدة

فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شان المسلمين والثبات امرهم

وان غلبتهم في مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله ودليلا على ان

ذلك امر لا يتيسر الا بحوله وبقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى

العدو وشوكتهم وكانت الحماية دونها
عدته وعدده وسائر اسباب
العلية وضعف شان

التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها ولا

ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب

ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وكانت

الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا

كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم واموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم

والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وان لا يتركوا وراءهم ما

يحدثون انفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن

نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم

وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر ولو

تواعدتم لاختلفتم في الميعاد من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين

احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين

في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب

حتى اناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم

العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم

انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد يلتقون فيه للقتال لخالف

بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم

ما في قلوبهم من هيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين

فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه الله تعالى وسبب له ليقضي

متعلق بمحذوف اي ليقضي امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر

اعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة

بدل منه واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام ليصدر كفر من كفر

عن وضوح بينة عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى له حجة واسلام من اسلم

عن يقين وعلم بانه دين الحق الذي يجب الدخول فيه والتمسك وذلك

ان ما كان من وقعة بدر من الآيات التي من كفر بعدها كان مكابرا

ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا

لنفسه مغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي باظهار التضعيف وان
الله لسميع عليم يعلم كيف يدبر اموركم ويسوي مصالحكم او لسميع
عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه اذ يريكهم الله
نصب باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله سميع
عليم اي يعلم المصالح اذ يقللهم في عينك في منامك في رؤياك وذلك ان
الله تعالى اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه وكان تثبيتا
لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لانها مكان
النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف
وما احسب الرواية صحيحة عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته
ولو اريكهم كثيرا لفشلتم لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم في الامر في الراي في امر
فيما يصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم اي عصم
وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف انه عليم بذات الصدور
يعلم ما سيكون فيها من الجراة والجبن والصبر والجزع واذ يريكموهم الضميران
مفعولان يعني واذ يبصركم اياهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا نصب على الحال
وانما قللهم في اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود
لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي اتراهم سبعين قال اراهم مائة
فاسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم حتى قال قائل
منهم انما هم اكلة جزور
الغرض في تقليل الكفار في اعين
المؤمنين ظاهر واما الغرض في تقليل المومنين في نظرهم
قبل اللقاء ثم كثرهم فيها ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم
الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم
وذلك قوله يرونهم مثليهم راي العين وليلا يستعدوا لهم وليعظم الآية
عليهم في استيضاح الآية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم آخرا
باي طريق يبصرون الكثير قليلا
بان يستر الله عنهم بعضه

بأسرها او يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث في اعين الحول
ما يرون الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان
بين يديه ديك واحد فقال ما لي لا ارى هذين الديكين اربعة ليقضي الله
امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة
اذا حاربتم جماعة من الكفار ترك ان يصفها لان المؤمنين ما كانوا
يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالبا فاثبتوا لقتالهم ولا تفروا
واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به
داعين على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم
تفلحون لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان
على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون
هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره و
ناهيك بما في خطب امير المومنين في ايام صفين وفي مشاهده مع البغاة
والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ و
النصائح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم
واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا قرئ بتشديد التاء فتفشلوا منصوب باضمار
ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويدل على التقديرين قراءة
من قرا ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ
امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له
الدولة ونفذ امره ومنه قوله شعر اتنظران قليلا ريث غفلتهم ام تعدوان

فان الريح للعادي

وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الراي نحو ما وقع لهم
باحد لما خالفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم
وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا
من ديارهم هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان
وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل حتى اقدم بدرا ونشرب

الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاء
الناس ويصدون عن سبيل الله ورئاؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا
كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان
نهاهم ان يكونوا مثلهم بطرين مرائين باعمالهم وان يكونوا من
اهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله اعمالهم والله بما تعملون محيط وإذ زين
لهم الشيطان أعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع
خطوات الشياطين وطاعته مما يجيرهم فلما تراءت الفئتان تلاقى الفريقان
نكص الشيطان تبرأ منهم اي بطل كيده حين نزلت جنود الله على عقبيه
وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم
وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت الذي بينها وبين بني كنانة
من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن
جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم في جند من الشياطين معه
راية وقال لا غالب لكم اليوم واني مجيركم من بني كنانة فلما راى الملائكة
تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث
الى اين اتخذلنا في هذه الحال فقال إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله
والله شديد العقاب ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا
مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت
بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي
الحديث ما رئي ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما
يرى من نزول الرحمة الا ما رأى يوم بدر هلا قيل لا غالبا
لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا لو كان لكم معمولا لغالب بمعنى لا
غالبا اياكم لكان الامر كما قلت ولكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم إذ يقول
المنافقون بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة
المنافقين وان يراد بهم الذين هم على حرف ليس بثابتي الاقدام في الاسلام وعن الحسن

وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم

هم المشركون غر هؤلاء دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم
يتقوون به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء
الألف على الكثير لقوي ولو ترى ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع
الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال إذ يتوفى نصب
على الظرف وقرئ يتوفى الذين كفروا بالياء والتاء والملائكة رفعها
بالفعل يضربون وجوههم وأدبارهم حال منهم ويجوز ان يكون في
يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبره وعن مجاهد
ادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكني وانما خصوهما بالضرب
لان الخزي والنكال في ضربهما اشد وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة الزاني
عندهم ان ينصب ثم يعطى الرجل القوي البطش شيئا عمل من حديد هيئة
المطبق فيه زرانة وله مقبض فيضرب به على دبره ضربة واحدة بقوته فيجعل
في مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر وذوقوا معطوف على يضربون
على ارادة القول اي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق اي مقدمة عذاب
النار او ذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من
حديد كلما ضربوا التهبت النار او ويقال لهم يوم القيمة ذوقوا وجواب
لو محذوف اي لرأيت امرا فظيعا منكرا ذلك بما قدمت أيديهم يحتمل ان يكون
من كلام الله او من كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء بما قدمت خبره
وأن الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسبب بسبب كفركم ومعاصيكم
وبأن الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين
وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد او لان العذاب من العظم بحيث لولا
الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه كدأب
آل فرعون الكاف في محل الرفع اي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون
ودأبهم عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه اي داوموا عليه وواظبوا
والذين من قبلهم كفروا بآيات الله تفسير لدأب آل فرعون فأخذهم الله
بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب ذلك اشارة الى ما حل بهم

يعني ذلك العذاب او الانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح في حكمته
ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال بان الله لم يك مغيرا
نعما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير الله نعمته عليهم
ولم تكن لهم حال مرضية فغيروها الى حال مسخوطة كما تغير
الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك
كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات
البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في اراقة دمه غيروا
حالهم الى اسوء مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال
وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع لما يقول مكذبوا الرسل عليم بما يفعلون
كدأب آل فرعون والذين من قبلهم تكرير للتاكيد وفي قوله كذبوا بآيات
ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان
للاخذ بالذنوب وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا
ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا
فهم لا يؤمنون اي اصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنو
عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان
اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا واخطانا ثم عاهدهم فنكثوا
ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم
الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم بدل من الذين كفروا اي الذين
عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار
وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون
لا يخافون عاقبة ولا يبالون بما فيه من العار والنار فاما تثقفنهم في الحرب
فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فشرد بهم من خلفهم ففرق عن محاربتك و
مناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى
لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود
فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكانه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا

شذر بذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ ابو حيوة من
خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لانه اذا شرد الذين وراءهم
فقد فعل التشريد في الوراء واوقعه فيه لان الوراء جهة المشردين فاذا
جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين
لعلهم يذكرون لعل المشردين من ورائهم يتعظون واما تخافن من قوم
خيانة نقض عهد بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد
على سواء على طريق مستو قصد وذلك ان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم
اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم
على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك ان الله لا يحب الخائنين
فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء في العلم بنقض
العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كا
ئنا على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم او العداوة
على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا
فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون
طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح بمعنى لانهم وكل واحدة
من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستئناف
والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزون بكسر
النون وقرأ الاعمش ولا يحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف
النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين كفروا
وقيل فيه اصله ان سبقوا فحذف ان كقوله ومن آياته يريكم البرق ويؤيده
عليه قراءة ابن مسعود انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون
على ان لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين وقيل
معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما
وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها
متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهري انها

نزلت فيمن افلت من فل المشركين فاعدوا لهم ما استطعتم من قوة
من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات
عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون ومن رباط الخيل
والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز ان تسمى بالرباط الذي
هو بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن
ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز ان يكون قوله ومن
رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل وعن
ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشتري به الخيل
فترابط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم
تسمع قول الشاعر ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون به وقرئ بالتخفيف
والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير في به لما
ما استطعتم عدو الله وعدوكم هم اهل مكة وآخرين من دونهم هم اليهود
وقيل المنافقون وعن السدي هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث
ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان
صهيل الخيل يرهب الجن لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في
سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون وان جنحوا للسلم فاجنح لها
جنح له واليه اذا مال والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب قال
السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وقرئ بفتح السين
وكسرها وعن ابن عباس ان الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان
الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح واهله من سلم وليس بحتم ان
يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا وقرأ الاشهب العقيلي فاجنح بضم
النون وتوكل على الله ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله
كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة انه هو

السميع العليم وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله قال جرير
اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا
هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين لو انفقت ما في الارض جميعا ما
الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم لما فيه من الآيات الباهرة
بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الآيات الباهرة
لان العرب من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في ادنى شيء والقائه
بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على
اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واتحدوا واتفقوا وابن يمون عن قوس
واحدة وذلك لما نظم الله تعالى من الفتهم وجمع بين كلمتهم واحدث
بينهم من التحاب والتواد واماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من
الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو
يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما اراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم
من الحروب والوقايع ما اهلك سادتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم
ولم يكن لبغضائهم امد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن
ويديم التحاسد والتنافر وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة
تجتنب هذه ما اثرته اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله تعالى ذلك كله
حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا اخوانا وما ذلك
الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك
الواو بمعنى مع وما بعده منصوب بفعل حسبك ونهيك درهم ولا يجر لان
عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال فحسبك والضحاك عضب مهند
والمعنى كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا او يكون في محل
الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في
غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس نزلت في اسلام عمر وعن سعيد بن
جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة
ثم اسلم عمر رضي الله عنه فنزلت يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم

والف بين قلوبهم

منين

عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت او ان يسميه حرضا ويقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر ومُمرِّضًا فيه ليهيجه ويحرك منه وقرئ وحرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص ويقال حركه وحرشه وحربه بمعنى وهذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المومنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله وتاييده ثم قال ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث حمزة في ثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف وقرئ ضعفا بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف وقرئ الفعل المسند الى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصيرة والاستقامة في الدين

لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على ان الحال مع الكثرة واحدة لا تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الالف وكذلك المائة المائتين والالف الالفين

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ قرئ للنبي على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر

الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ

ويضعفه باشاعة القتل في اهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل ابن ابي طالب فاستشار ابا بكر رض فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله قد اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فاضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى يكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى يكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ومثلك يا عمر مثل نوح قال لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفدية فاستشهدوا باحد فكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وستة دنانير وروي انه لما اخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر رض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الاثخان بالقتل احب الي تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا حطامها سمي عرضا لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ يعني ما هو سبب الجنة من اعزاز الاسلام بالاثخان في القتل وقرئ يريد و

بالياء وقراء بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وابقاء
المضاف اليه على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض
الآخرة عرض الآخرة يعني ثوابها والله عزيز يغلب اولياؤه على اعدائه و
يتمكنون منهم قتلا واسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخر ذلك
الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون لولا كتاب من الله سبق لمسكم
فيما اخذتم عذاب عظيم لولا حكم من الله سبق في اللوح وهو ان لا يعاقب
احدا بخطاء وكان هذا خطاء في الاجتهاد لانهم نظروا في ان استبقاءهم
ربما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد
في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم
وافل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم الفدية التي اخذوها
وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب الا بعد تاكيد الحجة
وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا
روي انهم امسكوا عن الغنائم ولم يمدوا ايديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحة
للفداء لانه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم
فيه ما معنى الفاء التسبيب والسبب محذوف
معناه قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وحلالا نصب على الحال
من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا وقوله ان الله غفور رحيم
معناه انكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان
يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم يا ايها النبي قل لمن في
ايديكم في ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم من الاسرى وقرئ من الاسارى
ان يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم
من الفداء اما ان يخلفكم في الدنيا اضعافه او يثيبكم في الآخرة وفي
قراءة الاعمش يثبكم خيرا ويغفر لكم والله غفور رحيم وعن العباس
انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان

احد الذين ضمنوا الطعام اهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له فاد ابني اخيك عقيل بن ابي طالب و
نوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال اين
الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت
لها ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله
والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا
اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع
عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في
امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله تعالى
خيرا من ذلك لي الآن عشرون غلاما ان ادناهم ليضرب في عشرين
الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر
المغفرة من ربي وروي انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
مال البحرين ثمانون الفا فتوضأ لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر
العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر حمله وكان يقول هذا مما اخذ مني
وارجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما اخذ منكم على البناء للفاعل
وان يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين
آبائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل
من ميثاقه فامكن منهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم ان اعادوا الخيانة
وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء والله عليم حكيم ان الذين
آمنوا وهاجروا اي فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ولرسوله هم المهاجرون
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا
آووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار اولئك بعضهم
اولياء بعض اي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون
والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك
بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض والذين آمنوا ولم يهاجروا

ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وقرئ من ولايتهم بالكسر والفتح
اي من توليهم في الميراث ووجه الكسر ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل
والصناعة كانه بتوليه صاحبه يزاول امرا ويباشر عملا وان استنصروكم
في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا
على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فانه لا يجوز نصرهم عليهم لانهم
لا يبتدئون بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك والله بما تعملون بصير
والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم
كقوله في المسلمين اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة
الذين كفروا وموازرتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا
اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال الا تفعلوه اي الا
تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين تكن تحصل فتنة في الارض وفساد
كبير ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك
كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء والذين آمنوا
وهاجروا في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون
حقا لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن و
مفارقة الاهل والانسلاخ لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الآية واردة
للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل لهم
مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا
معكم فاولئك منكم يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله
والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا واولو الارحام
اولو القرابات بعضهم اولى ببعض اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث
بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته ان الله بكل شيء عليم
وقيل في اللوح وقيل في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به اصحاب
ابي حنيفة على توريث ذوي الارحام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

من قرأ سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة وشاهد انه برئ
من النفاق واعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان
العرش وحملته يستغفرون له ايام حيوته في الدنيا

لها عدة اسماء براءة والتوبة والمقشقشة والمبعثرة والمشردة والمخزية
والفاضحة والمثيرة والحافرة والمنكلة والمدمدمة وسورة العذاب لان
فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق اي تبرئ وتبعثر عن اسرار
المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد
بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة التوبة
وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه
هلا صدرت بآية التسمية كما صدرت سائر السور سأل
عن ذلك ابن عباس عثمان فقال كان رسول الله صلى الله عليه اذا نزلت
عليه السورة او الآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا
وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبين لنا اين
نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا
تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب انما توهموا ذلك لان في الانفال
ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال اسم الله
سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى
اليكم السلم لست مؤمنا قيل فان النبي صلى الله قد كتب الى اهل الحرب
بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم
الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ودعي
الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل

الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا باس هذا امان
كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال
تعدان السابعة من الطول وما بعدها المائون وهذا قول ظاهر لانهما معا
مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقد قيل اختلف اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال
بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال انهما سورتان
وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة براءة خبر مبتدا
محذوف اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة
في قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله
الى الذين عاهدتم كما يقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون
براءة مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما يقول رجل من
بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرأ اهل نجران
من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان
الله ورسوله قد بريا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ
اليهم لم علقت البراءة بالله ورسوله لا المعاهدة بالمسلمين
فلان الله قد اذن في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون ثم
من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد بريا الا ناسا منهم وهم
بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين فسيحوا امروا ان يسيحوا
في الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤوا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم
في قوله فاذا انسلخ الاشهر وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل و
القتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان
وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على
اهل موسم فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني
فلما دنى علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى

من المشركين

الله عليه وآله وسلم فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور وروي
ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبرئيل فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك
الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي
ينادي بالآي فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم
وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله
اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين آية وعن مجاهد ثلث عشرة
ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت
عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده
فقالوا يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا
وبينه عهد الا طعن بالرمح وضرب بالسيوف وقيل انما امر ان لا يبلغ عنه
رجل منه لان العرب عادتها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه
ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا في نقض العهود فازيحت عليهم
بتوليته ذلك عليا الاشهر الاربعة ما هي عن الزهري
ان براءة انزلت في شوال فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة
والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول
وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لانهم اومنوا وحرم قتلهم وقتالهم
فيها او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة
الى عشر من شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت
للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة
ما وجه الطباق اكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الاشهر الحرم
وقد صانها الله تعالى عن ذلك قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وابيح
قتال المشركين فيها واعلموا انكم غير معجزي الله لا تفوتونه وانه يمهلكم
وان الله مخزي الكافرين وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل والاسر
واذان من الله ورسوله الى الناس ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين

ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا
يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان بمعنى الايذان
وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء
اي فرق بين الجملة الاولى والثانية تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه
اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين
وعلق الاذان بالناس لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين
منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من
المعاهدين ومن لم ينكث **يوم الحج الاكبر** يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه
تمام الحج لان معظم افعاله من الطواف والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه
ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتي
وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات
في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وعن الحسن سمي يوم وصف الحج
بالاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج الاكبر وكذلك ان
اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر وعن الحسن
سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد
اهل الكتاب ولم يتفق قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مؤمن وكافر وحذفت الباء
التي هي صلة الاذان تخفيفا **ان الله بريء من المشركين** وقرئ ان الله
بالكسر لان الاذان في معنى القول **ورسوله** عطف على المنوي في بريء
او على محل ان المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او
لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم كقوله
لعمرك وقيل ان اعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال ان كان الله بريئا من رسوله
فانا بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر بتعليم العربية
فان تبتم من الكفر والغدر **فهو خير لكم وان توليتم** عن التوبة او ثبتم
على التولي والاعراض عن الوفاء **فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين**
كفروا بعذاب اليم غير سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه

ما استثني قوله **الا الذين عاهدتم من المشركين** وجهه
ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه
براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا
الا الذين عاهدتم منهم **ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا**
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل
بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم ولا تجروهم
مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر **ان الله يحب المتقين** يعني ان قضية التقوى
ان لا يسوي بين الفريقين فاتقوا الله تعالى في ذلك لم ينقصوكم شيئا لم
يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا ولم يعاونوا عليكم عدوا
كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانشد
لاهم اني ناشد محمدا حلف ابينا وابيه الاتلدا ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ذمامك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا
فقال عليه الصلاة والسلام لا نصرت ان لم انصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد
معجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم فادوه اليهم تاما كملا
قال ابن عباس رضي الله عنهما بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم
عهدهم **فاذا انسلخ** انسلخ الشهر كقولهم انجرد الشهر وسنة جرداء [illegible]
الحرم التي ابيح فيها للناكثين ان [illegible] **فاقتلوا المشركين** يعني الذين نقضوكم و
ظاهروا عليكم **حيث وجدتموهم** من حل او حرم **وخذوهم** واسروهم والاخيذ
الاسير **واحصروهم** وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس
حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام **واقعدوا لهم كل مرصد**
كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن لهم
صراطك المستقيم **فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا**
سبيلهم فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر او فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم
كقوله خل السبيل لمن يبني المناره وعن ابن عباس دعوهم واتيان المسجد الحرام
ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر والغدر **وان احد من**

المشركين استجارك احد مرتفع بفعل الشرط مضمر يفسره الظاهر تقديره
وان استجارك احد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل
الفعل لا يدخل على غيره والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد
بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعوا اليه من التوحيد والقرآن
ويتبين ما بعثت له فاجره فأمنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع
على حقيقة الامر بعد ذلك داره التي يأمن فيها ان لم يسلم ثم قاتله
ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن
الحسن هي محكمة الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين
الى علي رضي الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان يأتي محمدا صلى الله عليه
وآله وسلم بعد انقضاء الاجل ليسمع كلام الله او يأتيه لحاجة قتل قال
لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك الآية وعن
السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك اي ذلك
الامر يعني الامر بالاجارة في قوله فاجره بانهم بسبب انهم قوم جهلة
لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقة ما تدعوا اليه فلا بد من اعطائهم الامان
حتى يسمعوا ويفهموا الحق كيف استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد
لان يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله وهم اضداد وغرة
صدورهم يعني محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا او لا تحدثوا به نفوسكم
ولا تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله الا الذين عاهدتم اي
ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني
كنانة وبني ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم
على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين يعني ان التربص
بهم من اعمال المتقين كيف تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على
العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال شعر وخبرتماني انما الموت بالقرى
فكيف وهاتا هضبة وقليب يريد فكيف مات اي كيف يكون لهم عهد وحالهم
انهم ان يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق

لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا فيكم الا
ولا ذمة لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان لعمرك ان الك من قريش
كال السقب من رال النعام وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبر
وجبرئيل من ذلك وقيل منه الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من
الرحمن والوجه ان اشتقاق الال بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا
رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله اليل اي انين
يرفع به صوته ودعت اليلها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسمي
به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق يرضونكم
بافواههم كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة ما فيها من
الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل وتأبى قلوبهم واكثرهم فاسقون
متمردون خلعاء لا مروءة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك
في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم
العرض ويجر احدوثة السوء اشتروا استبدلوا بآيات الله بالقرآن و
الاسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الاهواء والشهوات فصدوا عن
سبيله فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم
ابو سفيان واطعمهم انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن
الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة
فان تابوا عن الكفر ونقض العهد واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم
في الدين فهم اخوانكم على حذف المبتدأ كقوله فان لم تعلموا آباءهم
فاخوانكم ونفصل الآيات ونبينها لقوم يعلمون وهذا اعتراض
كانه قيل وان من تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل
من احكام المشركين الناقضين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وان نكثوا
ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر
فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا في
حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم

الظاهر الباطن مقيم
لاستبعاد الثبات منهم
على العهد وتأبى قلوبهم
وآباء القلوب مخالفة

آمنوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين
ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا به من الايمان والوفاء بالعهود
وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد صلى الله عليه وآله
وسلم بشيء فهم ائمة الكفر وذووا الرياسة والتقدم فيه لا يستوي كافر
غيرهم وقالوا اذا طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان
العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من
الذمة انهم لا ايمان لهم جمع يمين وقرئ لا ايمان اي لا اسلام لهم ولا
يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه كيف اثبت لهم
الايمان في قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم
اراد ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم وانها ليست بايمان وبه استشهد ابو
حنيفة على ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين وقال معناه
انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله
فقاتلوا ايمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم من العظائم
ان يكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه
وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد كيف لفظ ائمة
همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين
قراءة مشهورة وان لم تكن مقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس
بقراءة ولا يجوز ان يكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف الا تقاتلون دخلت
الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل
المبالغة قوما نكثوا ايمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا باخراج الرسول
من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله تعالى له
في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدؤكم اول مرة اي وهم الذين كانت
منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاءهم
اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى
القتال فهم البادون بالقتال والبادي اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم

وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم
عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم
من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان
لا يترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها أتخشونهم تقرير للخشية منهم
وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ان كنتم مؤمنين
يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن
سواه كقوله ولا يخشون احدا الا الله لما وبخهم الله تعالى على ترك القتال
جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم
انه يعذبهم الله بايديكم قتلا ويخزهم اسرا وينصركم عليهم
ويوليهم النصر والغلبة ويشف صدور قوم مؤمنين طائفة من المؤمنين وهم
خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنهما هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا
فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما
لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله تعالى هذه المواعيد كلها فكان
دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحة نبوته ويتوب
الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب
عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم
وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به
الامر من طريق المعنى والله عليم يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم
لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة أم حسبتم أن تتركوا ام منقطعة ومعنى
الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على
ما انتم عليه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون
الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ولما معناها التوقع وقد دلت على ان
تبين ذلك وايضاحه متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز

بينهم وبين المؤمنين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة
كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة
من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي
العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك
والله خبير بما تعملون ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام
ان يعمروا مساجد الله يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام
واما القراءة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما
قيل مساجد الله لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع
المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد و
اذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد
الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو اكد لانه طريقة طريق الكناية
كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من
تصريحك بذلك وشاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام
لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر
بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم
وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة يقولون
لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا
سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه
وما ملك وقيل قد اقبل المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم
بالشرك وطفق علي يوبخ العباس عليهما بقتال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون
مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم ونحن
افضل منكم اجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك
العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم التي هي العمارة والحجابة والسقاية
وفك العناة وفي النار هم خالدون اذا هدم الكفر او الكبيرة

الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك
اشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنوا بين العمارة
والشهادة بالكفر على انفسهم وذلك غير مستقيم انما يعمر مساجد
الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة وآتى الزكوة
وقرئ بالتوحيد اي يستقيم عمارة هؤلاء وان يكونوا معتدا بها والعمارة
يتناول رم ما استرم منها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها و
اعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه
وصيانتها مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون
المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم
حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة
الحشيش وقال عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان
زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على
المزور ان يكرم زائره وعنه من الف المسجد الفه الله تعالى وقال عليه الصلوة
والسلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس
من اسرج في مسجد سراجا لم يزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له
ما دام في ذلك المسجد ضوءه هلا ذكر الايمان برسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لما علم وشهر ان الايمان بالله
قرينته الايمان بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة و
غيرهما عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شيء واحد غير منفك
احدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول وقيل دل عليه
بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة كيف قيل ولم يخش
الا الله والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها
هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضا الله تعالى
رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والآخر

حق نفسه ان يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون
الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى اولئك ان يكونوا
من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم
في الانتفاع باعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها واملوا عاقبتها
بان الذين آمنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار
الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين
يقطعون انهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه
لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله ا
جعلتم سقاية الحاج السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر
كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم
الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي
القوم الظالمين ويصدقه قراءة ابن الزبير وابي وجزة السعدي وكان
من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه
المشركون بالمؤمنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى
بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي ان المشركين قالوا
لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد
صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه فقالت لهم اليهود انتم افضل وقيل
ان عليا قال للعباس يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله
واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا
فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا الذين آمنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة
عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفائزون
لا انتم والمختصون بالفوز دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان

وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم
قرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف
وتعريف المعرف وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان
ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون كان قبل فتح مكة من آمن لم
يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا
يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وابناءنا
وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا
فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقربائه فلا يلتفت اليه و
لا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين
ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله تعالى عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله
حتى يحب ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه قل ان كان آباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وعشيرتكم وقرئ وعشيراتكم وقرأ الحسن
وعشائركم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها و
مساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله
فتربصوا حتى يأتي الله بامره وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن
عقوبة عاجلة او آجلة وهذه آية شديدة لا ترى اشد منها كانها تنعى على
الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين
فلينصف اورع الناس واتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات
الله تعالى والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والابناء و
الاخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها
لاجله ام يزوي الله عنه احقر شيء منها لمصلحته فلا يدري اي طرفيه
اطول ويغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كانما
وقع على انفه ذباب فطيرة لقد نصركم الله في مواطن كثيرة مواطن

الحرب مقامها قال شعر وكم موطن لولاي طحت كما هوى باجرامه من قلة النيق منهوى
واامتناعه من الصرف لانه جمع وعلى صيغة لم يات عليها واحد والمواطن
الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة
كيف عطف الزمان على المكان وهو ويوم حنين على المواطن
معناه وموطن يوم حنين ويجوز ان يراد بالمواطن الوقت كمقتل الحسين
على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب
ذلك ان قوله إذ أعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا
الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا
كثيرا في جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ
باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين
المسلمين وهم اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم الفان من
الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم اربعة آلاف فيمن ضامهم من امداد
سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن
نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل
قائلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل ابو بكر وذلك قوله
اعجبتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب
بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا
حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحده وهو
ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا العباس آخذا بلجام دابته
وابو سفيان بن الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة على
تناهي شجاعته ورباطة جاشه وما هي الا من آيات النبوة وقال يا رب
ايتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا
فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون
لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فنظر رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يركض خلفهم على بغلته وضاقت عليكم الارض

فلم تغن عنكم شيئا

بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع اى مع رحبها وحقيقته ملتبسة
برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب
السفر اي ملتبسا بها لم احلها تعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا
تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكانما ضاقت عليكم
ثم وليتم مدبرين ثم انهزمتم ثم انزل الله سكينته رحمته التي سكنوا بها وآمنوا
على رسوله وعلى المؤمنين الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم حين وقع الهرب وانزل جنودا لم تروها يعني الملائكة
وكانوا ثمانية آلاف وقيل ستة عشر الفا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر
وسبي الذراري وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك
على من يشاء والله غفور رحيم اى يسلم بعد ذلك ناس على
الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي
اهلونا واولادنا واخذت اموالنا وقيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس و
اخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون وان خير القول
اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما نعدل
بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان هؤلاء
جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب
شيئا فمن كانت بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا
فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا
وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا
ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا يا ايها الذين آمنوا انما المشركون
نجس النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس
لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون
ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كانهم النجاسة بعينها
مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير
وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين

وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف المضاف كأنه قيل إنما
المشركون جنس نجس وأكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد
في كبد **فلا يقربوا المسجد الحرام** فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في
الجاهلية **بعد عامهم هذا** بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين
أمّر أبو بكر على الموسم وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ويدل عليه قول علي
رض حين نادى ببراءة ألا لا يحج بعد عامنا مشرك ولا يمنعون من دخول
الحرم وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي يمنعون منه ومن غيره من المساجد
وعن عطاء أن المراد بالمسجد الحرام الحرم وأن على المسلمين أن لا يمكنوهم
من دخوله ونهي المشركين أن يقربوه راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم
منه وقيل المراد أن يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا
عن ذلك **وإن خفتم عيلة** أي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم
في قدومهم عليكم من الأرفاق والمكاسب **فسوف يغنيكم الله من فضله**
من عطائه أو من تفضله بوجه آخر فأرسل السماء عليهم مدرارا أغزر بها
خيرهم وأكثر ميرهم وأسلم أهل تبالة وجرش فحملوا إلى مكة
الطعام وما يعاش به فكان ذلك أعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته
وعن ابن عباس ألقى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من أين تأكلون
فأمرهم الله تعالى بقتال أهل الكتاب وأغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد
والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية أو حالا عائلة ومعنى قوله
إن شاء إن أوجبت الحكمة إغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم
إن الله عليم بأحوالكم **حكيم** لا يعطي ولا يمنع إلا عن حكمة وصواب **قاتلوا**
الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله
ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب بيان
للذين مع ما في حيزه نفي عنهم الإيمان بالله لأن اليهود مثنية والنصارى مثلثة
وإيمانهم باليوم الآخر لأنهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله و
رسوله لأنهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وعن أبي روق ولا يعملون

والمسجد

بما في التوراة والإنجيل وأن يدينوا دين الحق وأن يعتقدوا دين الإسلام
الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا
إذا اتخذه دينه ومعتقده سميت جزية لأنها طائفة مما على أهل الذمة أن
يجزوه أي يقضوه أو لأنهم يجزون بها من منّ عليهم بالإعفاء عن القتل **عن يد**
إما أن يراد يد المعطي أو الآخذ فمعناه على إرادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد أي
عن يد مواتية غير ممتنعة لأن من أبى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد
ولذلك قالوا أعطى بيده إذا انقاد وأصحب ألا ترى إلى قولهم نزع يده عن
الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه أو حتى يعطوها عن يد إلى
يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد أحد ولكن عن يد قاهرة مستولية
أو عن إنعام عليهم لأن قبول الجزية منهم وترك أرواحهم لهم نعمة
عظيمة عليهم **وهم صاغرون** أي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو أن يأتي
بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وأن
يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له أدّ الجزية وإن كان يؤديها ويزخ
في قفاه وتسقط بالإسلام عند أبي حنيفة ولا يسقط به خراج الأرض
واختلف فيمن تضرب عليه فعند أبي حنيفة تضرب على كل كافر من ذمي
مجوسي وصابئ وحربي إلا على مشركي العرب وحدهم روى الزهري أن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صالح عبدة الأوثان على الجزية
إلا من كان من العرب وقال لأهل مكة هل لكم في كلمة إذا قلتموها دانت لكم
بها العرب وأدت إليكم الجزية العجم وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي
العجم والمأخوذ عند أبي حنيفة في أول كل سنة من الفقير الذي له كسب
اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف
ثمانية وأربعون درهما ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي
تؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان أو غنيا كان له كسب
أو لم يكن **وقالت اليهود عزير ابن الله** مبتدأ وخبر كقوله **وقالت**
النصارى المسيح ابن الله وعزير اسم أعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل

حتى يعطوا الجزية

ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا واما قول من قال
سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ احد الله او لان الابن
وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول اناس
من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس جاء
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى
وشاش بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن
عازوراء وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسى عليهم السلام
فرفع الله عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في
الارض فاتاه جبرئيل عليه السلام فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم
فحفظه التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع
الله التورية في صدره وهو غلام الا انه ابنه والدليل على ان هذا القول
كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على
التكذيب كل قول يقال بالفم فما معنى قوله ذلك قولهم بافواههم
فيه وجهان احدهما ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو
الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس و
نغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم و
معناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول
كقولهم قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم
ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب
وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد يضاهئون
قول الذين كفروا من قبل لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي
قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب
مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا
في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اليهود والنصارى يضاهي
قولهم قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول

المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى اي يضاهي قولهم
المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم وقرئ يضاهؤن
بالهمز من قولهم امرأة ضهياء على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في
انها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقئ قاتلهم الله اي هم احقاء
بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا
شنعاء ما اعجب فعلهم انى يؤفكون كيف يصرفون اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي
وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما يطاع الارباب في اوامرهم ونحوه
تسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا ابت
لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال اليسوا يحرمون ما احل الله
ويحلون ما حرمه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا
في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح ابن مريم فحين جعلوه
ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن
ولد فانا اول العابدين وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا امرتهم بذلك
ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله
فقد حرم الله عليه الجنة لا اله الا هو سبحانه عما يشركون تنزيه له
عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في وما امروا للمتخذين
اربابا اي وما امروا هؤلاء الذين هم عندهم اربابا وهم مامورون
مستعبدون مثلهم يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم مثل حالهم
في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالتكذيب بحال من
يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق ويأبى الله الا ان يتم نوره
ولو كره الكافرون يريد الله ان يزيده ويبلغه غاية القصوى من
الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره ليظهر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على الدين

كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق
على كل دين كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت
الا زيداً قد اجري ابي مجري لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون
ان يطفئوا بقوله ويابى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان
يتم نوره يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ
لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ معنى اكل الاموال على وجهين اما ان
يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قوله اخذ الطعام وتناوله واما على
ان الاموال يؤكل بها فهي سبب للاكل ومنه قوله ياكل كل ليلة اكافا
يريد علفا يشترى بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا ياخذون
الرشى في الاحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يجوز ان يكون اشارة الى الاحبار والرهبان
للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال
والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون
غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا
ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء
في الاستحقاق والبشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكوة آية الكنز وقيل
هي ثابتة وانما عني بترك الانفاق منع الزكوة وعن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم ما ادي زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى
فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضه ان رجلا ساله عن ارض
له باعها فقال احرز مالك الذي احفر له تحت فراش امرأتك قال اليس بكنز
قال ما ادي زكوته فليس بكنز وعن ابن عمر رضهما ان كل ما اديت زكوته
فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم يؤد فهو الذي ذكر الله وان كان
على ظهر الارض فما تصنع بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلثا فقالوا

له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة صالحة تعين احدكم
وبقوله عليه السلام من ترك صفراء او بيضاء كوي بها وتوفي رجل فوجد في مئزره
دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كية وتوفي آخر فوجد في
مئزره ديناران فقال كيتان كان هذا قبل ان يفرض الزكوة فاما
بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث
اذن له فيه ويؤدي عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من
الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال ويتصرفون
فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل
والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه
ولكل شيء حد وما روي عن علي عليه السلم اربعة آلاف فما دونها نفقة فما
زاد فهو كنز كلام في الافضل لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر
شيئان ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد
منهما جملة وافية وعدة كثيرة دنانير ودراهم فهو كقوله وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال
وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله فاني وقيار بها لغريب
وقيار كذلك لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال
لان قانون التمول واثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته
ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر اجناس المال وكان ذكر
كنزهما دليلا على ما سواهما ما معنى قوله يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا
فِي نَارِ جَهَنَّمَ وهلا قيل تحمى من قولك حمي الميسم واحميته انا ولا تقول احميت
على الحديد معناه ان النار تحمى عليها اي توقد ذات حمي وحر شديد
من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى ونحوه اوقد لي يا هامان
على الطين فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل
لانه مسند الى الجار والمجرور اصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل
يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى

الامين فان لم تذكر القصة قلت دفع الى الامين وعن ابن عباس انه قرأ تحمى بالتاء فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم وقرأ ابو حيوة فيكوى بالياء لم خصت هذه الاعضاء لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون ومن اكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى اغنياء زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوا ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على ارادة القول وقوله لانفسكم اي كنزتموه لينتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي حامت وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر انفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون وقرئ تكنزون بضم النون اي وبال الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل في اللوح يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلم في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج الى ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر في ذي القعدة ذلك الدين القيم

يعني ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابرهيم واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن اي في الاشهر الحرم انفسكم اي لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني احلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتها كما عظم اشهر الحج فلا رفث ولا فسوق الآية وان كان ذلك محرما في سائر الشهور وقاتلوا المشركين كافة حال من الفاعل او المفعول كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين ناصر لهم حاثهم به على التقوى بضمان النصر لاهلها انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما النسيء تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يعني من غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل يروى انه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان آلهتكم

قد احللت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث معصية ازداد كفرا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على ان الفعل لله وقرا الاكثر ليوطئوا بالتشديد والنسيء مصدر نساه اذا اخره يقال نساه نساء ونسيئا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الندي وقرئ النسي بوزن النهي وهما تخفيف النسيء والنس

ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله

معناه فيحلوا بمواطاة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي القوم الفاسقين لا يلطف بهم بل خذلهم وقرئ زين لهم سوء اعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تثاقلتم وبه قرا الاعمش اي تباطاتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ

فما العامل في اذا وحرف الاستفهام مانعه ان يعمل فيه

ما دل عليه او ما في ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله في الحال اذا قلت ما لك قايما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة فما

متاع الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم واطوع وانه غني في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه لان الله وعده ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل اليمن وقيل ابناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص الا تنصروه فقد

كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط

فيه وجهان احدهما

الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله الى انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني انه اوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده اذ اخرجه الذين كفروا اسند الاخراج الى الكفار كما اسنده اليهم في قوله من قريتك التي اخرجتك لانهم هموا باخراجه اذن الله له في الخروج فكانهم اخرجوه ثاني اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله وابو بكر الصديق رضي الله عنه وكان جبرئيل عليه السلام لما امره بالخروج قال من يخرج معي قال ابو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا بدل ثان وقيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله بابصارهم عنه

وقالوا الذين انكر صحبة ابي بكر فقد كفر لانكاره كلام الله وليس ذلك لسائر
الصحابة فانزل الله سكينته ما القي في قلبه من الامنة التي سكن عندها
وعلم انهم لا يصلون اليه وايده بجنود لم تروها والجنود الملائكة
يوم بدر والاحزاب وحنين وجعل كلمة الذين كفروا السفلى
وكلمة الله دعوته الى الاسلام هي العليا والله عزيز حكيم وقرئ كلمة الله
بالنصب والرفع اوجه وهي فصل او مبتداء وفيها تاكيد فضل كلمة الله في
العلو وانها المختصة به دون سائر الكلم انفروا خفافا وثقالا
خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة
عيالكم واذيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه
او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا و
مراضا وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
أعلي ان انفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس
رضي الله عنهما نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن
عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من اهل
دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع
حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من
يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد
ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله
الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع و
جاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ايجاب للجهاد بهما
ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة ذلكم خير لكم ان
كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا العرض ما عرض لك من منافع الدنيا
يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر اي لو كان ما دعوا اليه
غنما قريبا سهل المأخذ وسفرا قاصدا وسطا مقاربا لاتبعوك ولكن بعدت
عليهم الشقة المسافة الشاطة الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم

الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله شعر يقولون لا تبعد وهم يدفنونه
ولا بعد الا ما توارى الصفائح وسيحلفون بالله بالله متعلق بسيحلفون
او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني
المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا
لو استطعنا لخرجنا معكم او وسيحلفون بالله يقولون لو استطعنا لخر
وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد
القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة
استطاعة العدة واستطاعة الابدان كانهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا
بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون انفسهم
اما ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا مهلكين والمعنى انهم يوقعونها
في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان
يكون حالا من قوله لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في
التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه
مخبر عنهم الا ترى انه لو قيل لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال
حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية
والله يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك كناية عن الجناية لان
العفو رادف لها ومعناه اخطأت وبئس ما فعلت ولم اذنت لهم بيان لما
كنى عنه بالعفو ومعناه ما لك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين
استاذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استانيت بالاذن حتى يتبين
لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين يتبين لك من صدق في عذره ممن
كذب فيه قيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يؤمر بهما
اذنه للمنافقين واخذه من الاسارى فعاتبه الله لا يستاذنك الذين
لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك
في ان يجاهدوا او كراهة ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم وكان الخلص
من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قيل ليس العادة سعادة بمعنى
الفعل المستمر المراد الاكثر
كما يقال فلان لا يخل
البخل من عادته

ابدا ولنجاهدن معه باموالنا وانفسنا ومعنى ان يجاهدوا في ان يجاهدوا
اوكراهة ان يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة
المتقين وعدة لهم باجزل الثواب انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله
واليوم الآخر وارتابت قلوبهم يعني المنافقين وكانوا تسعة و
ثلثين رجلا فهم في ريبهم يترددون عبارة عن التحير لان التردد
ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر ولو ارادوا
الخروج لاعدوا له عدة وقرئ عدة بمعنى عدته فعل بالعدة
ما فعل بالعدة من قال شعر واخلفوك عد الامر الذي وعدوا من حذف
تاء التانيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير اضافة
وعده باضافة

كيف موقع حرف الاستدراك

لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعداد
وقيل ولكن كره الله انبعاثهم كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة
انبعاثهم كما تقول ما احسن الي زيد ولكن اساء الي فثبطهم و
كسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا مع
القاعدين جعل القاء الله تعالى في قلوبهم كراهة الخروج الى الغزو
وهي قبيحة امرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو
قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم في
القعود

كيف جاز ان يوقع الله تعالى في نفوسهم كراهة الخروج
الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح

خروجهم كان
مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع
كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة

فلم خطأ
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الاذن لهم فيما هو مصلحة
لان اذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة
ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله تعالى ولكن لانهم استاذنوه
واعتذروا اليه فكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في

ولكن كره الله انبعاثهم

القفول باعلام الله تعالى ولكن لانهم استاذنوه واعتذروا اليه فكان
عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم اتاه العتاب
ويجوز ان يكون في ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاذن لهم
مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة
وذلك انه اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة
ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد
عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر

ما معنى قوله مع القاعدين

هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء
والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم في البيوت وهم
القاعدون والخالفون والخوالف ومنه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع
الخوالف الا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لان
الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك
ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور
واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء
متصلا لان الخبال بعض اعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا
والخبال الفساد والشر ولاوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب و
النمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته
انا والمعنى ولاوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب
اسرع من الماشي وقرأ ابن الزبير ولارفضوا من رفضت الناقة رفضا
وارفضتها قال شعر والرافضات الى منى فالقبقب وقرئ ولا وفضوا

كيف خطوا في المصحف ولا اوضعوا بزيادة الالف

كانت الفتحة تكتب
الفا قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي
من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى
ونحوه لااذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا

الخلاف فيما بينكم ويفسد ما بينكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم او وفيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم لقد ابتغوا الفتنة اي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك كما فعل عبد الله بن ابي يوم احد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو تاييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تأذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك أثمت وقيل لا تلقني في الهلكة فاذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني ولا تفتني من افتنه الا في الفتنة سقطوا يعني ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيمة او هي محيطة بهم الآن لان اسباب الاحاطة معهم فكانهم في وسطها ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك و يقولوا قد اخذنا امرنا اي امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم من قبل من قبل ما وقع ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم وهم فرحون مسرورون وقيل تولوا اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قل لن يصيبنا قرأ ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرأ طلحة لن يصيبنا بتشديد الياء ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعل لانه

من بنات الواو لقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب الا ترى الى قولهم صوب رأيه الا ان يكون من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله اسهمي الصائبات والكلام في قوله الا ما كتب الله لنا مفيده معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله هو مولانا اي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما نتربصه لا نتجاوزه قل انفقوا يعني في سبيل الله ووجوه البر طوعا او كرها نصب على الحال اي طائعين او مكرهين لن يتقبل منكم هو امر في معنى الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها ونحوه قوله استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله اسيئي بنا او احسني لا ملومة اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم ولا نلومك اسأت الينا او احسنت

فان قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له فان قلت لم فعل ذلك قلت لنكتة فيه وهي ان كثيرا كانه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت او محسنة وفي معناه

قول القايل اخول الذي ان قمت بالسيف عامدا لتضربه لم تستغشك في الود
وكذلك المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم
وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه
الغرض في نفي التقبل أهو ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تقبله
منهم ورده عليهم ما يبذلون منه أم هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا
هباء لا ثواب له   يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها
معناه طائعين من غير الجاء من الله ورسوله او ملزمين وسمي الالزام
اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه
او طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا
يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم روي
انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف من غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم هذا مالي اعينك به فاتركني انكم تعليل لرد انفاقهم
كنتم قوما فاسقين والمراد بالفسق التمرد والعتو وما منعهم ان تقبل
منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله انهم فاعل منع و
هم وان تقبل مفعولاه وقرئ ان تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول
ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي ان يقبل منهم
نفقاتهم على ان الفعل لله عز وجل ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى
بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران
وكسلهم لانهم لا يرجون بصلوتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا
فهي ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرأت في بعض
الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كره للمؤمن ان
يقول كسلت كأنه ذهب الى هذه الآية وان الكسل من صفات المنافقين
فما ينبغي ان يسنده الى نفسه   الكراهية خلاف الطواعية
وقد جعلهم الله طائعين في قوله طوعا ثم وصفهم بانهم ولا ينفقون
الا وهم كارهون   المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير

الزام

الزام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او من رؤسائهم وما
طوعهم ذلك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار فلا
تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة
الدنيا الاعجاب بالشيء ان تسر به سرور راض به متعجب من حسنه و
المعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما اوتوا من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن
عينيك فان الله انما اعطاهم للعذاب بان عرضه للتغنم والسبي
وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الانفاق منه الخير وتزهق انفسهم
وهم كارهون له على رغم انوفهم انواع الكلف والمحاشم في جمعه
واكتسابه وفي تربيته اولادهم   ان صح تعليق التعذيب
بارادة الله تعالى فما بال زهوق انفسهم وهم كافرون
~~الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كأنه قيل ويريد~~
~~ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون~~   المراد
الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كأنه قيل ويريد
ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهين بالتمتع
عن النظر للعاقبة ويحلفون بالله انهم لمنكم
وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل وما يفعل
بالمشركين فيظاهرون بالاسلام تقية لو يجدون ملجأ يلجأون اليه
يتحصنون به من رأس جبل او جزيرة او مغارات او غيرانا وقرئ بضم
الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء
واغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون
من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومفار او مدخلا او نفقا
يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ مدخلا من دخل
ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرأ ابي متدخلا
لولوا اليه وقرئ لوالوا اليه لالتجأوا اليه وهم يجمحون يسرعون اسراعا
لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام وقرئ

في ابواب البر

انس يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد ومنهم من
يلمزك في الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي
الخويصرة راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقسم
غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم اعدل فمن
يعدل وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين قال الا ترون الى صاحبكم
انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان
داود راعيا فلما ذهب قال احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقرئ
يلمزك بالضم ويلمّزك ويلامزك التثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة في
اللمز ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما
فيه صلاح اهله لان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم استعطف
قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه
وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون اذا للمفاجاة اي وان لم يعطوا
منها فاجاوا السخط ولو انهم رضوا ما آتاهم الله
ورسوله جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم
ولو انهم ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان
قل نصيبهم وقالوا حسبنا الله كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما
قسم لنا سيؤتينا الله من فضله ورسوله سيرزقنا غنيمة اخرى
فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اكثر مما آتانا اليوم
انا الى الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله راغبون انما الصدقات
للفقراء والمساكين قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها
مختصة لهم لا يتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم
ونحوهم قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم الى غيرهم كانه
قيل انما هي لهم لا لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف
الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة وعن ابن عباس وحذيفة وغيرهم

فان اعطوا منها رضوا

من الصحابة والتابعين انهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزاك
وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين
فجبرتهم بها كان احب الي وعند الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف
وعن عكرمة انها تفرق في الاصناف الثمانية والعاملين عليها السعاة
الذين يقبضونها والمؤلفة قلوبهم اشراف من العرب كان رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم يستالفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها
حين كان في المسلمين قلة وفي الرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل
الاسارى وقيل يبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين ركبتهم
الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات
فتداينوا فيها وغرموا وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم
وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله
فريضة من الله والله عليم حكيم فريضة في معنى المصدر المؤكد لان
قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ
فريضة بالرفع على تلك فريضة … لم عدل عن اللام الى في في
الاربعة الاخيرة … للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق
عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان
توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك
الرقاب من الكتابة والرق والاسر وفي فك الغارمين من الغرم من
التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير والمنقطع في الحج بين الفقر
والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل
والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح
لهذين على الرقاب والغارمين … فكيف وقعت هذه الآية
في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم … دل بكون هذه
الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا
منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء

عنها وعن مصارفها بالهم وما لها وما سلطهم على التكلم ولمز قا[سم]
ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن الاذن الرجل
الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل احد بالجارحة التي هي
آلة السماع كان جملته اذن سامعة وتطبيق قولهم للريبة عن
وايذاؤهم هو قولهم فيه هو اذن قل هو اذن خير لكم كقولك رجل
صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم
الاذن وقيل يجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه
وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويدل عليه قراءة حمزة ورحمة لانه لا يسمع
غيرها ولا يقبله يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين تقرير لكونه اذن خير
لكم بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة ويقبل للمؤمنين الخلص من
المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم اي اظهر الايمان ايها المنافقون
حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا
ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما راى الله من المصلحة في الا[بقاء]
عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم
قولهم فيه الا انه فسر بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة
والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان
جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم
فانما هو اذن سامعة قد سمع فاذى ونحن نأتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا
ايضا فيرضى فقيل هو اذن خير لكم وقرئ اذن خير لكم على ان خبر مبتدأ
محذوف وخير لذلك اي هو اذن هو خير لكم يعني ان كان كما يقولون
فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافيكم على سوء دخلتكم وقرأ نافع
بتخفيف الذال   لم عدي فعل الايمان بالباء الى الله تعالى والى
المؤمنين باللام   لانه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر
فعدي باللام الا ترى الى قوله وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما انباه
عن الباء ونحوه فما آمن لموسى الا ذرية من قومه انؤمن لك واتبعك الارذ[لون]

آمنتم له قبل ان آذن لكم   ما وجه قراءة ابي عبلة ورحمة بالجر
هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لا[ن]
لان قوله اذن خير لكم يدل عليه والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب
اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم الخطاب للمسلمين وكان المنافقون
يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم ياتونهم فيعتذرون اليهم ويؤكدون
معاذيرهم بالحلف الكاذب ليعذروهم ويرضوا عنهم والله ورسوله
احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين فيقال لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون
فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه
لا تفاوت بين رضا الله ورسوله وكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان
زيد واجماله نعشني وجبر مني او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك الم
يعلموا انه من يحادد الله ورسوله المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة
وان تكرير لان في قوله انه توكيد ويجوز ان يكون فان له معطوفا
على انه على ان جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله
ورسوله يهلك فان له نار جهنم وقرئ الم تعلموا بالتاء ذلك الخزي
العظيم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم
كانوا يستهزؤن بالاسلام واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله
بالوحي فيهم حتى قال بعضهم لا ارانا الا شر خلق الله لوددت اني
قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في
عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان
المعنى يقود اليه ويجوز ان يكون الضمائر للمنافقين لان السورة اذا
نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كانها
تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني انها تذيع اسرارهم عليهم حتى
يسمعوها مذاعة منتشرة فكانها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر
اي ليحذر المنافقون   الحذر واقع على انزال السورة في قوله
يحذر المنافقون ان تنزل عليهم فما معنى قوله مخرج ما تحذرون

معناه محصل مبين ان ال السورة ا وان الله مظهر ما كنتم تحذرونه
اي تحذرون اظهاره من نفاقكم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا
نخوض ونلعب بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسير في غزوة
تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل
يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله نبيه
على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا قالوا يا نبي الله
لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا في شيء
مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل أبالله وآياته و
رسوله كنتم تستهزءون لم يعبأ باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين
فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا
باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك
انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم
الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم
باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان ان نعف عن طائفة منكم
باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طائفة بانهم
كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه او ان نعف عن طائفة
منكم لم يؤذوا رسول الله ولم يستهزءوا فلم نعذبهم في العاجل نعذب
في العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم مستهزئين وقرأ مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التأنيث
والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول
سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة فانث لذلك
وهو غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء
للفاعل وهو الله عز وجل المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اريد
به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم ويحلفون بالله انهم
لمنكم وتقريب قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم

لحال المؤمنين يأمرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف
عن الايمان والطاعات ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والصدقات والانفاق
في سبيل الله نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته
وفضله ان المنافقين هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد
في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه
هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم
واذا كره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للمسلم ان يقول كسلت
لان المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق وعد
الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها
مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء ابلغ
منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعقابه ولعنهم
الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين
الملاعين كما عظم اهل الجنة والحقهم بالملائكة المعظمين ولهم
عذاب مقيم ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب
النار ويجوز ان يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه
وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من
المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على
اسرارهم كالذين من قبلكم الكاف محلها رفع على انتم مثل الذين من قبلكم
او نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما
استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا باضمار
لم ار وقوله كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا
تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم فاستمتعوا بخلاقهم
فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم
الخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان اي قدر من خير كما قيل له قسم لانه
قسم ونصيب لانه نصب اي اثبت وخضتم الخوض الدخول في الباطل

واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه
اي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين
من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى قوله كالذي خاضوا عن
ان يقال وخاضوا فخضتم كالذي فائدته ان يذم الاولين
بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم
بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة
وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك
حال المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول
انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وانت تفعل مثل
فعله واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن
باستناده اليه عن تلك التقدمة اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا و
الآخرة واولئك هم الخاسرون نقيض قوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه
في الآخرة لمن الصالحين ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد
وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم
شعيب والمؤتفكات مدائن قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح
وائتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات
فما كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم لا يجوز
عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
ظلموا انفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض يأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة
ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله السين مفيدة وجود
الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سأنتقم منك
يوما يعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا
ولسوف يعطيك ربك سوف نؤتيهم اجورهم ان الله عزيز غالب على كل

شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا موضعه
على حسب الاستحقاق وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ
والياقوت الاحمر والزبرجد في جنات عدن وعدن علم بدليل قوله
جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى ابو الدرداء عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين
ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبيون والصديقون والشهداء
يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناتها
على حافاته ورضوان من الله اكبر وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك
كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم
تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب ولان العبد اذا علم
ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراءه من النعم وانما تتهنا له برضاه
كما اذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وسمعت بعض
اولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع
نفسي الى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه عني وان
احشر في زمرة المهديين المرضيين عنده ذلك اشارة الى ما وعد او الى الرضوان
اي هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا وروي ان الله عز وجل
يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما
لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء
افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا يا
ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في
الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة
فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة ويستعمل معه الغلظة ما امكن منها
عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه يريد
الكراهة والبغضاء والبراءة منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقا

عليهم اذا تعاطوا اسبابها وماويهم جهنم وبئس المصير يحلفون
بالله ما قالوا اقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك
شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه
منهم من الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول
محمد صلى الله عليه وآله وسلم حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم
ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري
للجلاس اجل والله ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم صادق وانت
شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستحضر
فحلف بالله ما قال فرفع عامر يديه وقال اللهم انزل على عبدك ونبيك
تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل يحلفون بالله ما قالوا ولقد
قالوا كلمة الكفر فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة
والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وكفروا
بعد اسلامهم واظهروا كفرهم بعد الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو
الفتك برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك
توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم
العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة
خلفها يسوقها فبينا هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل
وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء
الله فهربوا وقيل ارادوا هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل
ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه
وآله وما نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله
وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة
في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم
وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بديته اثني
عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا يك خيرا لهم التي تاب عندها الجلاس

وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة بالقتل والنار وما
لهم في الارض من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من
فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله
بخلوا به وتولوا وهم معرضون روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله
ادع الله ان يرزقني مالا فقال قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه
فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين
كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود حتى ضاقت
بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة
فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مصدقين لاخذ الصدقات
فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه
كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي فيه الفرائض فقال
ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما
رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة
مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل
التراب على راسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فجاء الى ابي بكر رض فلم يقبلها وجاء بها الى عمر في
خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون
الخفيفة فيهما من الصالحين يريد الحج فاعقبهم عن الحسن وقتادة ان الضمير
للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وداعيا
اليه والظاهر ان الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن
في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بما اخلفوا الله ما وعدوه
بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون
وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم
وان الله علام الغيوب وقرئ الم تعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه

سرهم ونجويهم ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما
يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير
منعها **الذين يلمزون المطوعين في الصدقات** محله النصب او الرفع
على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجويهم
وقرئ يلمزون بالضم المطوعين المتطوعين المتبرعين روي ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعين
اوقية من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف
فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولح تماضر امرأته
عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء
ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت
صاعا لعيالي وجئت بصاع من تمر فقال فامره رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن
وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب
ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت **والذين لا يجدون الا جهدهم**
الا طاقتهم قرئ بالفتح والضم **فيسخرون منهم سخر الله منهم** كقوله
الله يستهزئ بهم في انه خبر غير دعاء الا ترى الى قوله **ولهم عذاب اليم**
استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر
الله لهم سأل عبد الله بن عبد الله بن ابي رسول الله وكان رجلا صالحا
ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال ان قد رخص لي فسازيد على
السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر وان فيه معنى
الخبر كانه قيل لن يغفر الله استغفرت ام لم تستغفر لهم وان فيه معنى الشرط
وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم
للتكثير قال علي بن ابي طالب عليه الرضوان لاصبحن العاص وابن العاص
سبعين الفا عاقدي النواصي
كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وآله

وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من
ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا
الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لي ربي فسازيد على
السبعين لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارا لغاية
رحمته ورأفته على من بعث اليه كقول ابراهيم ومن عصاني فانك غفور
رحيم وفي اظهار النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرحمة والرأفة لطف
لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض **فرح المخلفون** الذين استأذنوا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة
في غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان **بمقعدهم**
بقعودهم عن الغزو **خلاف رسول الله** خلفه يقال اقام خلاف الحي
بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة ابي حيوة
خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا
ونهض وانتصابه على انه مفعول له او حال اي قعدوا المخالفته او مخالفين
له **وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم** تعريض بالمؤمنين
وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل اموالهم و
ارواحهم وايثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره
المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في
المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان
استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك
التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل ولبعضهم
مسرة احقاب تلقيت بعدها مساءة يوم اريها شبه الصاب فكيف بان تلقى مسرة ساعة
وراء تقضيها مساءة احقاب معناه فيضحكون قليلا ويبكون كثيرا
جزاء الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون
غيره يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع
ولا يكتحلون بنوم وانما قال الى طائفة منهم

ساعة

لان منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف او اعتذر بعذر صحيح وقيل
لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المنافقين منهم فاستأذنوك
للخروج يعني الى غزوة بعد غزوة تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا
معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك
وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله
انه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين فاقعدوا مع الخالفين
قد مر تفسيره وقرأ مالك بن دينار مع الخلفين على قصر الخالفين
مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف
اليها وهو دال على واحدة من المرات اكثر اللغتين هند اكبر
النساء وهي اكبرهن ثم ان قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه
ولكن هي اكبر امرأة واول مرة واخر مرة وعن قتادة ذكر لنا
انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل ولا تصل على احد منهم
روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقوم على قبور المنافقين
ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن ابي بعث اليه ليأتيه فلما
دخل عليه قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك
لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده و
يصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب الى جنازته فسأله عن اسمه
فقال انت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلوة
عليه قال له اتصلي على عدو الله فنزلت وقيل اراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل

كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه

كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس عم رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجد له قميصا وكان
رجلا طوالا فكساه قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا نأذن
لمحمد ولكنا نأذن لك فقال لا ان لي في رسول الله صلى الله عليه وآله اسوة حسنة
فشكر رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك واجابه الى مسئلته اياه

فقد كان لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروة ويعمل بعادات
الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روي انه قال له اسألك ان
تكفنه في بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا يشمت به الاعداء وعلما
بان تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان
وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روي انه قيل له لم وجهت اليه
بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني اؤمل من
الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف
من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف
لانهم اذا رأوه يترحم على من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا
المسلم الى ان يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه

فكيف جازت الصلوة عليه

لم يتقدم نهي عن الصلوة
عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما هذه الصلوة الا اني اعلم ان رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم لا يخادع مات ابدا صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا
بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن
موجود لا محالة ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله و
ماتوا وهم فاسقون تعليل للنهي وقد اعيد قوله ولا تعجبك اموالهم و
اولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم و
هم كافرون لان تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتوكيده
وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد
ان العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية به لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين
فاشبه الشيء الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء حديثه و
يتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه
ويجوز ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت سورة

كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لأن فيها الأمر
بالإيمان والجهاد أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله هي أن المفسرة
استأذنك أولوا الطول منهم ذووا الفضل والسعة من طال عليه
طولاً وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر
في التخلف رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون
ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك لكن
الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله
أي إن تخلف هؤلاء فقد نهد إلى الغزو من هو خير منهم وأخلص نية ومعتقداً
كقوله فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين فإن
استكبروا فالذين عند ربك وأولئك لهم الخيرات منافع ولذات
الدارين لإطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات حسان وأولئك
هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
ذلك الفوز العظيم وجاء المعذرون من عذر في الأمر إذا قصر فيه
وتوانى ولم يجد وحقيقته أن يوهم أن له عذراً فيما يفعل ولا عذر
له أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين
ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم
ولكن لم تثبت بهما قراءة من الأعراب ليؤذن لهم وهم الذين
يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم
وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه
قيل هم أسد وغطفان قالوا إن لنا عيالاً وإن بنا جهداً فائذن لنا في
التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا إن غزونا معك أغارت
أعراب طيء على أهالينا ومواشينا فقال سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد
نفر من غفار اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال
من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لأن التاء لا تدغم في العين ادغامها
في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد المعذرون

به فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس الذين لم يفرطوا في العذر
وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم منافقو الأعراب الذين لم
يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله في
ادعائهم الإيمان وقرأ أبي كذبوا بالتشديد سيصيب الذين
كفروا منهم من الأعراب عذاب أليم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار
ليس على الضعفاء الهرمى والزمنى ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون الفقراء حرج إذا نصحوا لله ورسوله النصح لله ورسوله
الإيمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض
فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ما على المحسنين على المعذورين
الناصحين من سبيل والله غفور رحيم ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح
عليهم ولا طريق للعاتب عليهم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم
قلت حال من الكاف في أتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله أو جاؤكم
حصرت صدورهم أي إذا ما أتوك قائلاً لا أجد ما أحملكم عليه تولوا
ولقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في أبدانهم استطاعة
والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل
المستحملون أبو موسى الأشعري وأصحابه وقيل البكاؤون وهم ستة نفر
من الأنصار وأعينهم تفيض من الدمع حزناً كقولك تفيض دمعاً وهو
أبلغ من تفيض دمعها لأن العين جعلت كأن كلها دمع فائض
ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب
على التمييز ألا يجدوا ما ينفقون لئلا يجدوا ومحله نصب على أنه مفعول له
وناصبه المفعول الذي هو حزناً إنما السبيل على الذين يستأذنونك
وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ما موقعه
هو استئناف كأنه قيل ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل
رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف وطبع الله على قلوبهم
يعني أن السبب في استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله تعالى إياهم

وقيل هم مزينة و جهينة وبنو عذرة

عد

فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استينافا مثله كانه قيل
اذا ما اتوك لتحملهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه
الا انه وسط بين الشرط والجزاء نعم ويجس وطبع الله
على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم
قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر
ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال
به وقوله قد نبأنا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان
الله عز وجل اذا اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم
في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم
وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون ام تثبتون على كفركم
ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة ثم تردون اليه وهو عالم
كل غيب وشهادة وسر وعلانية فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم
على حسب ذلك سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم
فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم
رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم
انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره
التوبيخ بالحمل على التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس
لا سبيل الى تطهيرهم ومأويهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون وكفتهم
النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم يحلفون لكم لترضوا
عنهم اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في
دنياهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين فان
رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا
عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم
ان رضى المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب ابن
قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه

حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي
حلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا
من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من
مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة واجدر ان لا يعلموا حدود
ما انزل الله على رسوله من الشرائع والاحكام ومنه قوله عليه السلم
ان الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم يعلم حال كل احد من اهل
الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه ومن الاعراب
من يتخذ ما ينفق مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل
وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله تعالى وابتغاء
المثوبة عنده ويتربص بكم الدوائر دوله وعقبه لينقلب عليكم
عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة عليهم دائرة السوء دعاء معترض
دعى عليهم بنحو ما دعوا به كقوله وقالت اليهود يد الله مغلولة
غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء
بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق
لان من دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم
الصدقة عليم بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم ومن
الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات مفعول
ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله وصلوات
الرسول لان الرسول كان يدعو للمتصدق بالخير والبركة ويستغفر
لهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان
ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الا انها قربة
لهم شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات
وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستيناف مع حرفي التنبيه والتحقيق
المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم الله في رحمته وما
في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين

الفداد الكثير الصوت م

وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء
وقيل ذوالنجادين ورهطه **والسابقون الاولون من المهاجرين** هم الذين
صلوا الى القبلتين وقيل هم الذين صلوا الى بيت المقدس وقيل هم الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي
من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين **ومن الانصار**
اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا
سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم
القرآن وقرأ عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا على والسابقون وعنه انه كان
يرى ان قوله **والذين اتبعوهم باحسان** بغير واو صفة للانصار حتى قال له
زيد انه بالواو فقال ائتوني بابي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة واخرين
منهم وأوسط الحشر والذين جاؤا من بعدهم وآخر الانفال والذين آمنوا
من بعد وروي انه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من اقرأك فقال
ابي فدعاه فقال اقرأنيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانك لتبيع
القرظ بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا و
خذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت ارانا رفعنا رفعة
لا يبلغها احد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره **رضي الله
عنهم** ومعناه رضي الله عنهم لاعمالهم **ورضوا عنه** لما افاض من
نعمته الدينية والدنيوية وفي مصاحف اهل مكة **تجري من تحتها الانهار**
وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من **وممن حولكم**
يعني حول بلدكم وهي المدينة **من الاعراب منافقون** وهم جهينة واسلم
واشجع وغفار وكانوا نازلين حولها **ومن اهل المدينة** عطف على
المبتداء الذي هو حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتداء و
الخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم **مردوا على النفاق** على ان مردوا
صفة موصوف محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو
من ان يكون كلاما مبتداء او صفة المنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف
على خبره مردوا على النفاق تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد

علیه اذا درب به وضري حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مهارتهم عليه
ومهارتهم فيه بقوله **لا تعلمهم** اي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك
وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشككك في امرهم ثم قال
نحن نعلمهم اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم
يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر
المخلصين لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضربوا
فلهم فيه اليد الطولى **سنعذبهم مرتين** قيل هما القتل وعذاب القبر
وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس انهم اختلفوا في هاتين
المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطيبا يوم الجمعة
فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق
فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر
وعن الحسن اخذ الزكوة من اموالهم ونهك ابدانهم **ثم يردون
الى عذاب عظيم** الى عذاب النار **وآخرون اعترفوا بذنوبهم** اي لم يعتذروا
من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم
بانهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلثة ابو لبابة مروان بن
عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة
فسبعة منهم اوثقوا انفسهم حين بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا
بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم
موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا
احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله
هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان
آخذ من اموالكم شيئا فنزلت خذ من اموالهم **عملا صالحا** خروجا الى الجهاد
وآخر سيئا تخلفا عنه وعن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم

هم عبد الله م

خالدين فيها ذلك الفوز العظيم م

خلطوا

من القرآن [illegible] والايمان م

قد جعل كل واحد منهما مخلوطاً فما المخلوط به
كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء
واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت
الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطاً واللبن مخلوطاً به واذا قلته بالواو
جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطاً بهما كأنك قلت خلطت الماء باللبن و
اللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهماً بمعنى
بدرهم كيف قيل عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور
رحيم وما ذكرت توبتهم اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو
دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم خذ من اموالهم صدقة تطهرهم
صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جواباً
للامر ولم يقرأ وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب او
لغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء
والبركة في المال وصل عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم و
السنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن الشافعي احب
ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة اجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما
ابقيت وجعله لك طهوراً ان صلوتك وقرئ ان صلوتك على التوحيد
سكن لهم يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم
والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم بما في ضمائرهم من
الندم والغم لما فرط منهم وقرئ الم يعلموا بالياء والتاء وفيه وجهان
احدهما ان يراد المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل
صدقاتهم ان الله هو يقبل التوبة اذا صحت عن عباده ويأخذ الصدقات
ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد و
ان الله هو التواب الرحيم من شأنه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص
في هو ان ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما الله هو
الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه وقل

التائبين اعملوا على مكانتكم فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون
فان عملكم لا يخفى خيراً كان او شراً على الله وعلى عباده كما رأيتم وتبين
لكم والثاني ان يراد غير التائبين ترغيباً لهم في التوبة فقد روي انهم لما
تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا
لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم نزلت فما معنى قوله ويأخذ
الصدقات هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود ان الصدقة
تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل والمعنى انه يتقبلها ويضاعف عليها
وقوله فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم
الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وعيد لهم وتحذير
من عاقبة اصرارهم الاصرار والذهول عن التوبة وآخرون مرجون
لامر الله قرئ مرجون ومرجأون من ارجيته وارجأته ومنه المرجئة
يعني وآخرون من المتخلفين موقوف امرهم اما يعذبهم ان بقوا على
الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلثة كعب بن مالك
وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم اصحابه ولا يكلموا ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم
على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احداً لا ينظر اليهم فوضوا
امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله والله عليم
حكيم وفي قراءة غفور رحيم واما للعباد اي خافوا عليهم العذاب
وارجوا لهم الرحمة والذين اتخذوا مسجداً في مصاحف اهل المدينة و
الشام الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو
على قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم روي
ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ان يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم
بن عوف لما بنوا مسجداً وقالوا نبني مسجداً ونرسل الى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام

ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله
الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى
المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى
قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب
مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بنينا مسجدا لذي العلة و
الحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو
لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله
صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم
ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا
الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه
كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين
ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قباء ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق
وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء
فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا واعدادا
لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول
الله وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء
وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك
الصلوة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا
احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار او رياء وسمعة
فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء لما فتح الله الامصار
على عمر رض امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين
يضار احدهما صاحبه والذين اتخذوا ما محله من الاعراب
محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدأ

خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق و
السارقة بم يتصل قوله من قبل باتخذوا اي اتخذوا
مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف وليحلفن ان اردنا ما اردنا ببناء
هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله تعالى
والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه ابدا
لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلثاء
والاربعاء والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة
وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قبا اوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري سألت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذها الارض
وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده احق ان
تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل لما نزلت مشى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء
فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال
عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال اترضون بالقضاء قالوا
نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم
قال مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم
فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط
الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار بالماء فتلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم
رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر
من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء
اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل ان يتطهروا
بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم والله يحب المطهرين
ما معنى المحبتين محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص

الحب للشيء المشتهي له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن
اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه قرئ افمن اسس بنيانه واسس بنيانه على
البناء للفاعل والمفعول واسس بنيانه جمع اساس على الاضافة واساس
بنيانه على بالفتح والكسر جمع اس وآساس بنيانه على افعال جمع اس ايضا
واس بنيانه على تقوى من الله ورضوان والمعنى افمن اسس بنيان دينه
على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير
ام من اسس بنيانه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها
بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل شفا جرف هار في قلة الثبات
والاستمساك ووضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا
عما ينافي التقوى فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم
لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم
على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار
الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كانه اسس بنيانا على شفا جرف من
اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف و
الشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول
فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط
ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات
في شائك وصائت والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور
وشوك وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة
الباطل وكنه امره وقرئ جرف بسكون الراء فما وجه ما
روى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين
قد جعل الالف للالحاق لا للتانيث كتترى فيمن نون الحقها بجعفر وفي
مصحف ابي فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار
فرئي الدخان يخرج منه وروي ان مجمع بن حارثة كان امامهم في
مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب

في خلافته ان ياذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين
اليس بامام مسجد ضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد
صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت
معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤون من
القرآن شيئا فعذره وصدقه وامره بالصلوة بقومه لا يزال بنيانهم
الذي بنوا ريبة شكا في الدين ونفاقا في قلوبهم لا يزال هدمه سبب
شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يزله
هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يضمحل اثره
الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت
سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز ان يكون ذكر التقطيع
تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يكون يراد حقيقة تقطيعها
وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقرئ يقطع بالياء و
تقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على ان
الخطاب للرسول اي الا ان تقطع انت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن
وقراءة الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة و
لو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب وقيل معناه
الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله
عليم حكيم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم
في سبيل الله بالشروى وروي تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن عمر رض
فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها
وروي ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط
لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به
واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا
ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل و[illegible]

الصفقة في الاصل عبارة عن ضرب اليد على اليد عند البيع ثم نقل الى العقد ثم الى المعقود عليه فالمراد بالصفقتين هنا المعقود عليهما اي الثمن والمثمن اي الانفس والاموال والجنة الا انهم ه

صلى الله عليه وآله وسلم اعرابي وهو يقرؤها فقال كلام من قال كلام الله
تعالى قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد
يقاتلون في سبيل الله فيه معنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله ولا
يخافون باموالكم وانفسكم وقرئ **فيقتلون ويقتلون** على بناء
الفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس **وعدا عليه حقا** مصدر مؤكد اي
هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته في
التورية والانجيل كما اثبته في القرآن ثم قال ومن اوفى بعهده
من الله لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع حوائج
عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى ترغيبا
في الجهاد احسن منه وابلغ **التائبون العابدون الحامدون السائحون
الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر
والحافظون لحدود الله** التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤ
المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وأبي التائبين بالياء الى والحافظين
نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج ان
يكون مبتداء وخبره العابدون محذوف اي التائبون العابدون من
اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل
هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز ان يكون مبتداء
العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون
لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا عن الشرك وبرؤا من النفاق
والعابدون الذين عبدوا الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها
والسائحون الصائمون شبهوا بذي السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم
وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه في مظانه قيل قال لعمه
**ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو
كانوا اولي قربى** قيل قال لعمه ابي طالب انت اعظم الناس علي حقا
واعظمهم يدا فقل كلمة تجب لك شفاعتي فابى فقال لا ازال استغفر

ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سال اي ابوية اقرب اليه عهدا
فقيل امك آمنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي
في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي
وهذا اصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا اخر ما نزل بالمدينة
وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا وذوي قرابتنا
وقد استغفر ابرهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه فنزلت ما كان للنبي
صح له الاستغفار في حكم وحكمته **من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم** لانهم ماتوا على الشرك **وما كان استغفار ابرهيم لابيه** قرأ طلحة
وما استغفر ابرهيم وعنه وما يستغفر ابرهيم على الحكاية الحال
الماضية **الا عن موعدة وعدها اياه** اي وعدها ابرهيم اباه وهو قوله
لاستغفرن لك وتدل عليه قراءة حماد الراوية وعدها اباه
كيف خفي على ابرهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده
يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع
جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله
للكافر الا ترى الى قوله عليه السلام لعمه لاستغفرن لك ما لم انه عنه وعن الحسن قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين
فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي رضي الله عنه رايت رجلا يستغفر
لابويه وهما مشركان فقلت له قال اليس قد استغفر ابرهيم لابيه
فما معنى قوله **فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه**
معناه فلما تبين له من جهة الوحي انه لن يؤمن وانه يموت كافرا وانقطع
رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم **ان ابرهيم لاواه حليم** اواه فعال من اوه كلال من اللؤلؤ
وهو الذي يكثر التأوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف
على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك **وما كان
الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون** يعني ما امر الله

ابراهيم

باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين انه محظور
لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم
الا اذا اقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء و
الاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب
الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من
خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه
الآية شديدة ما ينبغي ان يغفل عنها وهي ان المهدي للاسلام اذا اقدم
على بعض محظورات الله داخل في حكم الاضلال والمراد بما يتقون ما يجب
اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير
موقوف على التوقيف ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات
والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار كقوله ليغفر لك الله ما
تقدم من ذنبك وما تاخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة
وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرين
والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين
الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب
الله من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك الذين اتبعوه
في ساعة العسرة في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما
الغداة والعشية واليوم شعر غداة طفت علماء بكر بن وائل عشية قارعنا جذام و
اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في
عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا
التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان
اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة
من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة
القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة من بعد ما كاد يزيغ

قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة
والخروج معه وفي كاد ضمير الشان وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق
الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي كاد قراءة عبد الله من بعد ما زاغت
قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة وامثاله ثم تاب
عليهم ليتوبوا انه بهم رؤوف رحيم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير
للفريق تاب عليهم لكيدودتهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا الثلاثة كعب بن
مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية ومعنى خلفوا عن الغزو وقيل
عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا
اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرأ جعفر
الصادق رضي الله عنه خالفوا وقرأ الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين حتى اذا
ضاقت عليهم الارض بما رحبت برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم
كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه وضاقت
عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط
الوحشة والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من سخط الله الا اليه الا الى استغفاره
ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد
اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت
منهم خطيئة علما منهم ان الله هو التواب الرحيم على من تاب ولو عاد في اليوم
مائة مرة روي ان اناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم
حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك
وانتظار ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن للآخر الا اهله
فقال يا اهلاه ما بطأني ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن المفاوز
حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فركب ولحق به ولم يكن
للآخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحياة لك
والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله فتأبط زاده ولحق به

قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصرّ عليها وعن ابي
ذر الغفاري ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم ماشيا فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت
وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة
حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء
البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء و
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام
فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة
فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستغفر له وفيهم
من بقي لم يلحق به منهم الثلثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم سلمت عليه فرد كالمغضب بعدما ذكرني قال ليت شعري ما خلف
كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله
ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلثة فتنكر لنا الناس
ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان
نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة
سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي
وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة
فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاذا هو
جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى
صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم
مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية وعن ابي بكر الوراق انه
سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت و
تضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها الذين امنوا

فقال رسول الله عليه وآله
وسلم لما راى سواده
كن ابا ذر فقال الناس
هو ذاك ص

اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا
في دين الله نية وقولا وعملا او الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم الله و
رسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلثة
اي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما الخطاب
لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم
وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء
عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رض لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان
يعد احدكم صبيه ثم لا ينجز له اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين
فهل فيها من رخصة ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب
ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا بان
يصحبوه على البأساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط
واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها
اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها
للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت
له ولا تكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم
واهونه فضلا ان يربأوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا
بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ
لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه
قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب مشايعته كانه قيل ذلك الوجوب
بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ شيء من عطش ولا نصب ولا تعب
ولا مخمصة في سبيل الله ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يطؤن موطئا
يغيظ الكفار ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف
رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق
صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا ولا يرزؤنهم شيئا بقتل او اسر
او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل صالح واستوجبوا

الثواب وينال الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز أن
يراد بالوطء إيقاع والإبادة لا الوطء بالأقدام والحوافر كقوله عليه وآله
الصلوة والسلم آخر وطأة وطئها الله تعالى بوج والموطئ إما مصدر
كالمورد وإما مكان فإن كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه و
النيل أيضا يجوز أن يكون مصدرا مؤكدا وأن يكون بمعنى المنيل ويقال
نال منه إذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وينكيهم ويلحق
بهم ضررا وفيه دليل على أن من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام
وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الآية استشهد
أصحاب أبي حنيفة على أن المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش
في الغنيمة لأن وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد أسهم النبي صلى
الله عليه وآله وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وأمد أبو بكر
الصديق رض المهاجر بن أمية وزياد بن أبي لبيد بعكرمة ابن أبي جهل مع
خمسمائة نفس فلحقوا بعدما فتحوا فأسهم لهم وعند الشافعي لا يشارك
المدد الغانمين وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظماء إن
الله لا يضيع أجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة ولو
علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما أنفق عثمان رض في جيش العسرة ولا
يقطعون واديا أي أرضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج
بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الأصل فاعل من ودي
إذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الأرض يقولون
لا تصل في وادي غيرك إلا كتب لهم ذلك من الإنفاق وقطع الوادي
ويجوز أن يرجع الضمير فيه إلى عمل صالح وقوله ليجزيهم الله أحسن
ما كانوا يعملون متعلق بكتب أي أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء وما
كان المؤمنون لينفروا كافة اللام لتأكيد النفي ومعناه أن نفير
الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه أنه لو صح وأمكن
ولم يؤد إلى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة لأن طلب العلم

فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن
مصلحة فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة أي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة
منهم يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق
في أخذها وتحصيلها ولينذروا قومهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه
إنذار قومهم وإرشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الأغراض الخسيسة
ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد و
التشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا و
فشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق أحدهم إذا لمح ببصره مدرسة
لآخر أو شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على أن يكون موطأ العقب دون
الناس كلهم فما أبعد هؤلاء من قوله تعالى لا يريدون علوا في الأرض و
لا فسادا لعلهم يحذرون إرادة أن يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه
آخر وهو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا بعث بعثا بعد
غزوة تبوك وبعدما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون
عن آخرهم إلى النفير وانقطعوا عن استماع الوحي والتفقه في الدين
فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ويبقى أعقابهم
يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر لأن الجدال
بالحجة أعظم أثرا من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق
الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق
الباقية قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم
من العلوم وعلى الأول الضمير للطائفة النافرة إلى المدينة للتفقه يا أيها
الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار يقربون منكم والقتال
واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الأقرب فالأقرب أوجب
وأنذر عشيرتك الأقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير
وفدك وخيبر وقيل الروم لأنهم كانوا يسكنون الشام والشام أقرب

الي المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا
من وليهم ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سئل عمن يقاتل
الديلم فقال عليك بالروم وليجدوا فيكم غلظة وقرئ غلظة بالحركات الثلث
فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ
عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجراءة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف
في القتل والاسر ومنه ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله واعلموا ان الله
مع المتقين بنصر من اتقاه فلم يتراف على عدوه واذا ما انزلت سورة فمنهم
من يقول من المنافقين بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا
واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل
بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتداء وقرئ عبيد بن عمير ايكم
بالفتح على اضمار يفسره زادته تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا وهم
يستبشرون فزادتهم ايمانا لانها ازيد لليقين والثبات واثلج للصدر
او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع
على الاعتقاد والعمل واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى
رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي
كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم وقرئ اولا يرون
بالياء والتاء انهم يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله تعالى
في كل عام مرة او مرتين ثم لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم
يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ويعاينون امره وما ينزل الله عليه من نصره
وتاييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون واذا ما انزلت سورة
نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل
يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك
فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال

لواذا يقولون هل يراكم من احد وقيل معناه اذا ما انزلت سورة في عيب
المنافقين ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان وبصرف
قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم
لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا لقد جاءكم رسول من انفسكم
من جنسكم او من نسبكم عربي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة
والمناسبة من النتائج بقوله عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه شاق لكونه
بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة
والوقوع في العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه
والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به بالمؤمنين منكم ومن غيركم
رؤف رحيم وقرئ من انفسكم اي من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما
وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو فان اعرضوا عن
الايمان وناصبوك فاستعن بالله وفوض اليه امرك فهو كافيك معرتهم
ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم عليه توكلت وهو رب العرش العظيم
وقرئ العظيم بالرفع وعن ابن عباس لا يقدر احد من الخلق قدره وعن ابي
بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم عن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ما نزل علي القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة
براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف من الملئكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تعديد للحروف على طريق التحدي وتلك آيات الكتاب اشارة الى ما تضمنه السورة من

الآيات او الكتاب السورة و الحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او
وصف بصفة محدثه قال الاعشى
وغريبة تاتي الملوك حكيمة
قد قلتها ليقال من ذا قالها
اكان للناس عجبا الهمزة لانكار التعجب
والتعجب منه و ان اوحينا الى رجل منهم اسم كان وعجبا خبره وقرا ابن مسعود
عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله يكون مزاجها عسل وماء
والاجود ان يكون تامة وان اوحينا بدل من عجب
فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان عند
الناس عجبا
معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه
علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا
المعنى والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم
دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا
يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار
ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل
المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان
في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا
وارسال اليتيم ليس بعجب ايضا لان الله انما يختار من استحق الاختيار لجمعه
اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من
هذه الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث
للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر
في العقول تعطيل الجزاء ان انذر الناس ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى
القول ويجوز ان يكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان
الشان قولنا انذر الناس وبشر الذين آمنوا ان لهم الباء معه محذوف قدم
صدق عند ربهم اى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة
لم سميت السابقة قدما
لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة
والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها

فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه
من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق قال الكافرون ان هذا اي ان هذا
الكتاب وما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم لسحر مبين ومن قرا
الساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو دليل
عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة ابي
ما هذا الا سحر ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يقضي ويقدره على حسب مقتضى الحكمة
ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه
ما يكره آخرا والامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض و
العرش
ما موقع هذه الجملة
قد دل بالجملة قبلها
على عظمة شانه وملكه بخلق السموات والارض مع بسطتها واتساعها
في وقت يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة
على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله
ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم
الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ذلكم
اشارة المعلوم بتلك العظمة اي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو
الله ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده ولا تشركوا
به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا
تذكرون فان ادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطاء فيما انتم عليه
اليه مرجعكم جميعا اي لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه وعد الله حقا
مصدر موكد لقوله وعد الله انه يبدؤ الخلق ثم يعيده استيناف
معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء
الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم وقرئ انه يبدئ الخلق
بمعنى لانه وهو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعدا
بداء الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدائه وقرئ وعد الله

على لفظ الفعل ويبدئ من ابداء ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي
حق حقا بداء الخلق كقوله احقا عباد الله ان لست خائنا ولا ذاهبا الاعلي
وقرئ حق انه يبدئ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق ليجزي الذين آمنوا
وعملوا الصالحات بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي والمعنى ليجزيهم
بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا
حين آمنوا وعملوا صالحا لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم
عظيم والعصاة ظلام انفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله والذين كفروا
لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون هو الذي
جعل الشمس ضياء الياء في ضيا منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها وقرئ
ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق
عقا والضياء اقوى من النور والقمر نورا وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر
مسيره منازل او قدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل لتعلموا عدد
السنين والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي ما خلق الله
ذلك اشارة الى المذكور اي ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة
البالغة ولم يخلقه عبثا وقرئ يفصل الآيات بالياء لقوم يعلمون ان في
اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم
يتقون خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر
ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية
عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق او لا يأملون
حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب ان
يخاف ورضوا بالحيوة الدنيا من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير
الباقي كقوله ارضيتم بالحيوة الدنيا من الآخرة واطمأنوا بها وسكنوا اليها
سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا والذين هم عن آياتنا
غافلون اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك

السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار بيانا له
وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد
يهديهم في الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن
اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك
فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له
عمله في صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار
ولقد دلت هذه الآية على ان الايمان الذي يستحق به
العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيمة هو ايمان مقيد وهو الايمان
المقرون بالعمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه دعويهم فيها سبحانك
اللهم وتحيتهم فيها سلام دعاؤهم لان اللهم اياك نعبد ولك نصلي
ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة واعتزلكم وما تدعون من
دون الله على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا
ان يسبحوا الله ويحمدونه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون
به تلذذا بلا كلفة كقوله وما كان الله ليعذبهم على التنبيه
مكاء وتصدية وآخر دعويهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح ان
يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى وتحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيي
بعضا بالسلام وقيل هو تحية الله لهم وان هي المخففة من الثقيلة واصله
انه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله ان هالك كل من يحفى وينعل وقرئ
ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم
بالخير اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير موضع تعجيله لهم
الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم
بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء
يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم بالخير ونجيبهم اليه لقضي
اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرئ لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل

وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم
فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا وما معناه
قوله ولو يعجل الله متضمن معنى النفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي
اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم يعمهون اي فنمهلهم ونفيض عليهم
النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم واذا مس الانسان الضر دعانا
لجنبه او قاعدا او قائما لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه
اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما
فما فائدة ذكر هذه الاحوال
معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء واستدفاع البلاء
لان الانسان للجنس فلما كشفنا عنه ضره مر اي مضى على طريقته الاولى
قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع
اليه كانه لا عهد له به كأن لم يدعنا الى ضر مسه كانه لم يدعنا فخفف
وحذف ضمير الشان قال كان ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين
للمسرفين زين الشيطان للمسرفين بوسوسته او الله عز وجل بالخذلان والتخلية
ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات ولقد
اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا لما ظرف لاهلكنا والواو
في وجاءتهم رسلهم بالبينات للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم
رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله وما كانوا
ليؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتاكيد
النفي يعني وما كانوا يؤمنون حقا تاكيدا لنفي ايمانهم وان الله قد علم منهم
انهم يصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب
والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة
في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني
الاهلاك نجزي القوم المجرمين نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة
على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقرئ يجزي
بالياء ثم جعلناكم خلائف الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم

اي استخلفناكم في الارض من بعدهم بعد القرون التي اهلكناها لننظر
كيف تعملون اتعملون خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل
النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله
كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة
هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر
وعيان المعاين في تحققه واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون
لقاءنا ائت بقرآن غير هذا غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الاوثان
والوعيد للمشركين فقالوا ائت بقرآن آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك
نتبعك او بدله بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة
وذم عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان
وهو ان يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الآلهة
واما الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان قل ما يكون لي ما ينبغي لي
وما يحل لي ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير ان يامرني بذلك ربي ان اتبع الا ما يوحى
الي لا آتي ولا اذر شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت
آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ
اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم
اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا
ائت بقرآن غير هذا بلى ولكنهم لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو
نشاء لقلنا مثل هذا ويقولون افترى على الله فينسبونه الى الرسول ويزعمون
انه كان قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها
اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز لعلهم ارادوا ائت بقرآن
غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقرآن من جهته واراد بقوله ما
يكون لي ما يتسهل وما يمكنني ان ابدله يرده قوله اني اخاف
ان عصيت ربي ثم كان غرضهم وهو ادهى الناس وانكرهم في هذا

الاقتراح الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من
عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع
ولاختبار الحال فانه ان وجد منه تبديل فاما ان تهلكه الله تعالى فينجو منه
او لا فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله قل لو شاء الله
ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشية الله واحداثه امرا عجيبا
خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلما
ساعة من عمره ولا نشا في بلد فيه العلماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر
كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علم الاصول
والفروع واخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله
وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شي
من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس
منه والصقهم به ولا ادراكم به ولا اعلمكم به على لساني وقرا الحسن ولا ادراتكم
به على لغة من يقول اعطاته وارضاته في معنى اعطيته وارضيته وتعضده
قراءة ابن عباس ولا انذرتكم به ورواه الفراء ولا ادراتكم به بالهمزة وفيه
وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما في لبات بالحج ورثات الميت وذلك لان
الهمزة والالف من واد واحد الا ترى ان الالف اذا مسها الحركة انقلبت
همزة والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته دارئا والمعنى
ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤنني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير
ولأدراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته
انا عليكم ولا علمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني
بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا
من قبله وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم ناشئا وكهلا فلم تعرفوني
متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني
باختراعه افلا تعقلون فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما
دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه فمن اظلم

ممن افترى على الله كذبا يحتمل ان يكون افتراء المشركين على الله في
قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون نفيا لما اضافوه اليه من الافتراء
انما جاء عاما ليكون ابلغ او كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جماد لا تقدر
على نفع وضر وقيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم
ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل
الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة
وكانوا يقولون شفعاؤنا عند الله وعن النضر بن الحارث اذا كان
يوم القيمة شفعت لي اللات والعزى قل أتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه
بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله تعالى واذا لم يكن
معلوما له وهو العالم بالذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء
ما يعلم ويخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه كيف انباوا الله به
هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام و
اعلام بان الذي انبأوا به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه
بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ اتنبئون
بالتخفيف وقوله في السموات ولا في الارض تاكيد لنفيه لان ما لم يوجد
فيهما فهو منتف معدوم سبحانه وتعالى عما يشركون قرئ بالياء والتاء
وما مصدرية اي عن اشراككم او موصولة اي عن الشركاء الذين يشركونهم به
وما كان الناس الا امة واحدة حنفاء متفقين على ملة واحدة
من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد
الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا فاختلفوا ولولا كلمة
سبقت من ربك وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة لقضي بينهم عاجلا
فيما فيه يختلفون فيما اختلفوا فيه بتمييز المحق من المبطل وسبق كلمته
بالتاخير لحكمة اوجبت ان يكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب و
عقاب ويقولون وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الآيات

التي يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة
التي لم تنزل على احد من الانبياء وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه
الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها
كلا نزول وكانه لم ينزل عليه قط حتى قالوا لولا انزل عليه آية قط حتى قالوا
لولا انزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد
وانهماكهم في الغي اي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لاحد
يعني ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو
فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله لعنادكم
وجحودكم الآيات واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم
مكر في آياتنا سلط الله تعالى القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا
يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ويكيدونه واذا الاولى للشرط والاخيرة جوابها
وهي للمفاجاة والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق
ومستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم
بسرعة المكر فكيف صح قوله قل الله اسرع مكرا
دلت كلمة المفاجاة كانه قال واذا رحمناهم من ضراء فاجاوا وقوع
المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء ولم
يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان الله تعالى دبر عقابكم وهو
موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون في اطفاء نور الاسلام ان رسلنا
يكتبون ما تمكرون اعلام بان ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم
وقرئ يمكرون بالياء والتاء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا
وعن ابي هريرة ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فيصبح طائفة
منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا فجاء ثابت بن [illegible]
هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم
بريح طيبة وفرحوا بها
كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير

فقل انما الغيب لله

في البحر والتسيير في البحر انما هو بالكون في الفلك
الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة
بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة
وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن
للهلاك والدعاء بالانجاء ما جواب اذا جاءتها
ريح عاصف فدعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم
ظنهم الهلاك فهو ملتبس به ما فائدة صرف الكلام من الخطاب
الى الغيبة المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي
منهم الانكار والتقبيح ما وجه قراءة ام الدرداء في الفلكي
بزيادة ياء النسب قيل هما زائدتان كما في الخارجي و
الاحمري ويجوز ان يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك
الا فيه والضمير في جرين للفلك لانه جمع فلك كالاسد في فعل
اخي فعل وفي قراءة ام الدرداء للفلك لان الفلكي يدل عليه جاءتها
جاءت الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من
جميع امكنة الموج احيط بهم جعل احاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك
له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه لئن انجيتنا
من هذه لنكونن على ارادة القول او لان دعوا من جملة القول
من الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض يفسدون
فيها ويعيثون مترامين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا
ترامى الى الفساد فما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون
بحق بلى هو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم
واحراق زروعهم وقطع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ببني قريظة يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم
متاع الحيوة الدنيا قرئ متاع الحيوة الدنيا بالنصب
ما الفرق بين القراءتين اذا رفعت كان المتاع خبرا للمبتدا

الذي هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم
على امثالكم والذين جنسهم جنسكم بغي بعضكم على بعض منفعة
الحيوة الدنيا لا بقاء لها واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة
معناه انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة الدنيا في موضع
المصدر المؤكد كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ويجوز ان يكون
الرفع على هو متاع الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا
تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه السلام اسرع الخير
ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان
يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لو بغى جبل على جبل لدك الباغي وكان المامون يتمثل بهذين البيتين لاخيه
يا صاحب البغي ان البغي مصرعة فارتع فخير فعال المرء اعدله فلو بغى جبل يوما على جبل
لاندك منه اعاليه واسفله وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغي
والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم ثم الينا مرجعكم
فننبئكم بما كنتم تعملون انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام
هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض
نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض في جفافه وذهابه حطاما بعد ما
التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه فاختلط به فاشتبك بسببه
حتى خالط بعضه بعضا حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت
كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت
الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان
الزين وازينت اصله تزينت فادغم وبالاصل قرا عبد الله
وقرئ وازينت على افعلت من غير اعلال كاغيلت اي صارت ذات
زينة وازيانت بوزن ابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون

منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها اتاها امرنا ليلا او نهارا وهو
ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم فجعلناها فجعلنا
زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستيصاله
كأن لم تغن بالامس كان لم يغن زرعها حذف المضاف في هذه المواضع
لا بد منه والا لم يستقم المعنى وقراء الحسن كان لم يغن بالياء على ان
الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان انه قراء على المنبر
كان لم تتغن بالامس من قول الاعشى شعر طويل الثواء طويل التغني
والامس مثل في الوقت القريب كانه قيل لم تغن آنفا كذلك نفصل
الآيات لقوم يتفكرون والله يدعوا الى دار السلام دار السلم
الجنة اضافها الى اسمه تعظيما وقيل السلام السلامة لان اهلها سالمون
من كل مكروه وقيل لفشو السلم بينهم وتسليم الملئكة عليهم الا
قيلا سلاما سلاما ويهدي ويوفق من يشاء الى صراط مستقيم وهم
الذين علم ان اللطف يجدي عليهم لان مشيته تابعة لحكمته ومعناه
يدعوا العباد كلهم الى دار السلم ولا يدخلها الا المهديون للذين
احسنوا الحسنى المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي
التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله وعن علي رضي الله عنه
الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنة والزيادة عشر
امثالها وعن الحسن عشر امثالها الى سبعمائة وعن مجاهد الزيادة
مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل
الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم
وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله وجاءت بحديث
مرقوع اذا دخل اهل الجنة الجنة نودوا ان يا اهل الجنة فيكشف الحجاب
فينظرون اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم منه ولا يرهق
وجوههم قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها
خالدون ولا ذلة ولا اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق

اهل النار اذكارا بما ينقذهم منه برحمته الا ترى الى قوله ترهقها قترة
وترهقهم ذلة ما وجه قوله والذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها وكيف يتلاءم لايخ اما ان يكون والذين كسبوا
معطوفا على قوله للذين احسنوا كانه قيل والذين كسبوا السيئات
جزاء سيئة بمثلها واما ان يقدر وجزاء الذين كسبوا جزاء سيئة
على معنى جزاؤهم ان يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها
وهذا اوجه من الاول لان في الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش
يجيزه وفي هذا دليل على ان المراد بالزيادة التفضل لانه ترك الزيادة
على السيئة على عدله ودل ثم باثبات الزيادة على فضله وترهقهم ذلة
وقرئ ويرهقهم بالياء ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من
سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهته ومن عنده من يعصمهم كما
يكون للمؤمنين كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما حال
من الليل ومن قرأ قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له
ويعضده قراءة ابي بن كعب كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم
اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه
لايخ اما ان يكون من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه
الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل في من الليل اولئك اصحاب النار هم
فيها خالدون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا
مكانكم الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وانتم اكد به الضمير
في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ و
شركاءكم على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل
فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي كانت بينهم في الدنيا
او فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن
عبادتهم كقوله اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ
فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته وقال شركاؤهم

٢٩١

ما كنتم ايانا تعبدون انما كنتم تعبدون الشياطين حيث امروكم
ان تتخذوا لله اندادا فاطعتموهم فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم
ان كنا عن عبادتكم لغافلين ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة
بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من اولي
العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة
التي زعموها وعلقوا بها اطماعهم هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف
او في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلوا كل نفس تختبر و
تذوق ما اسلفت من العمل فتعرف كيف هو اقبيح ام حسن انافع ام ضار
امقبول ام مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله
يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل اي نختبر
باختبار ما اسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا
فهي سعيدة وان كان سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله
ليبلوكم ايكم احسن عملا ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل
نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر وقرئ تتلوا اي تتبع ما اسلفت لان
عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفتها
ما قدمت من خير او شر وردوا الى الله مولاهم الحق ربهم الصادق
ربوبيته لانهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة او الذي يتولى
حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالفتح على
تاكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على
المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد وضل عنهم ما كانوا يفترون
وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله وبطل عنهم ما كانوا
يختلقون من الكذب وشفاعة الالهة قل من يرزقكم من السماء والارض
اي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض
عليكم نعمته ويوسع رحمته امن يملك السمع والابصار من يستطيع
خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة او من

يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان
يؤذيهما ادنى شيء بكلاءته وحفظه ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي ومن يدبر الامر ومن يلي تدبير امر العالم جاء بالعموم بعد الخصوص
فسيقولون الله فقل افلا تتقون افلا تتقون انفسكم ولا تحذرون
عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال فذلكم اشارة الى من هذه
قدرته وافعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق
النظر فماذا بعد الحق الا الضلال يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما
فمن تخطى الحق وقع في الضلال فانى تصرفون عن الحق الى الضلال وعن التوحيد
الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة
ربك اي كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما انهم مصروفون
عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا اي تمردوا في كفرهم
وخرجوا الى الحد الاقصى فيه انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة اي حق
عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله انهم
من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن او اراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم
لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون
قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده كيف قيل لهم وهم غير معترفين بالاعادة
قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا
رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم
لها مكابرون اما مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه قل الله
يبدأ الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون فامره بان ينوب عنهم في الجواب
يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم
عنهم قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق
يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى
اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله ام من لا يهدي افمن
يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى وقرئ

٢٩٤

لا يهدي بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي فادغم
وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء
لاتباع ما بعدها وقرئ الا ان يهدي من هداه وهدى للمبالغة ومنه قيل
هدى ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من
العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما لطف
بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من
شركائكم الذين جعلتم اندادا احد من اشرف شركائكم كالملائكة والمسيح
وعزير يهدي الى الحق مثل هداية الله وقال افمن يهدي الى الحق هذه الهداية
احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اي لا يهتدي بنفسه او لا يهدي غيره
الا ان يهديه الله وقيل معناه ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان
فينتقل اليه الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله
الله تعالى الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون
بالباطل حيث تزعمون انهم انداد لله وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله
الا ظنا لانه قول غير مستند الى برهان عندهم ان الظن في معرفة لا يغني من
الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها
آلهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع ان الله
عليم بما يفعلون وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء
وقرئ تفعلون بالتاء وما كان هذا القرآن ان يفترى افتراء من
دون الله ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب
المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها لقوله وهو الحق
مصدقا لما بين يديه ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب
ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان ان يفترى وما صح وما
استقام وكان محالا ان يكون مثله في امره واعجازه مفترى وتفصيل الكتاب
وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام من قوله كتاب الله عليكم
هو داخل في حيز
ما اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين

الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منفيا عنه الريب
كائنا من رب العالمين ويجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين
وتفصيلا منه لا ريب في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل
ويكون لا ريب فيه اعتراضا كما يقول زيد لا شك فيه كريم **أم يقولون**
افتراه بل أيقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم والانكار
لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان **قل** ان كان الامر كما تزعمون
فأتوا انتم على وجه الافتراء **بسورة مثله** فانتم مثلي في العربية والفصاحة ومعنى
بسورة مثله اي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم وقرئ بسورة مثله
على الاضافة اي بسورة كتاب مثله **وادعوا من استطعتم من دون**
الله وادعوا من دون من استطعتم من خليقته للاستعانة به على الاتيان بمثله
يعني ان الله تعالى وحده هو القادر على ان يأتي بمثله لا يقدر على ذلك
احد غيره فلا يستعينوا بوحده ثم استعينوا بكل من دونه **ان كنتم صادقين**
انه افتراء **بل كذبوا** بل سارعوا الى التكذيب **بما لم يحيطوا بعلمه** بالقرآن وفاجأوه
في بديهة السماع قبل ان يفقهوه ويعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروا ويقفوا
على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة
دين آبائهم كالناشئ على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق
ما نشأ عليه والفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان
الاستقامة انكرها في اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة
السمع من غير فكر في صحة او فساد لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه و
فساد ما عداه من المذاهب. ما معنى التوقع في قوله **ولما يأتهم**
تأويله. معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة
التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم على
التسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد
علو شأنه واعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة و
استيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا **كذلك** اي مثل ذلك التكذيب

كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الانبياء وقبل تدبرها من
غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل هو الذين
كذبوا وهم شاكون ويجوز ان يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم
بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اي عاقبته حتى يتبين لهم اهو كذب
ام صدق يعني انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه وبلوغه
الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه **ومنهم من**
يؤمن به يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب **ومنهم من**
لا يؤمن به يشك فيه لا يصدق به او لا يكون للاستقبال اي ومنهم من
سيؤمن به ومنهم سيصر **وربك اعلم بالمفسدين** بالمعاندين او المصرين
وان كذبوك فان تموا على تكذيبك ويئست من اجابتهم **فقل لي عملي**
ولكم عملكم انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون فتبرأ منهم
وخلهم فقد اعذرت لقوله فان عصوك فقل اني بريء وقيل هي منسوخة
بآية السيف **ومنهم من يستمعون اليك** معناه ومنهم ناس يستمعون اليك
اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس
ينظرون اليك ويعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون
ثم قال **أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون** اتطمع انك تقدر
على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل
ربما تفرس واستدل اذا وقع في صماخه دوي الصوت فاذا اجتمع
سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر **ومنهم من ينظر اليك أفأنت**
تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون اتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو
انضم الى فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذي له في قلبه بصيرة
قد يحدس ويتظنن واما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني انهم في اليأس من
ان يقبلوا ويصدقوا كالصم العمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر وقوله
أفأنت دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل
بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديد

السمع والبصر راجح العقل الا هو وحده إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا
اي لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب وَلَكِنَّ
النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ولكنهم يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز
ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيمة من العذاب لاحق
بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا
انفسهم باقتراف ما كان سببا فيه وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا
إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور
ما يرون يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا الا
قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر
عليهم
كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما
اما الاولى فحال من هم اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة لان
التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكرا قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا
بِلِقَاءِ اللَّهِ على ارادة القول اي يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هي شهادة
من الله تعالى على ~~ارادة القول~~ خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم
وبيعهم الايمان بالكفر وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ للتجارة عارفين بها وهو
استئناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ
أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ جواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك
بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه
في الآخرة ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ
الله شهيد
على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم   ذكرت الشهادة والمراد
مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون
وقرأ ابن ابي عبلة ثم بالفتح اي هنالك ويجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته
على افعالهم يوم القيمة حين ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم
شاهدة عليهم وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ يبعث اليهم لينبههم على التوحيد
ويدعوهم الى دين الحق فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه

قُضِيَ بَيْنَهُم اي بين النبي ومكذبيه بِالْقِسْطِ بالعدل فانجي الرسول
وعذب المكذبون وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا او لكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به
فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله وجيء
بالنبيين والشهداء وقضي بينهم وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ استعجال
لما وعدوا من العذاب استبعادا له قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا من مرض
او فقر وَلَا نَفْعًا من صحة او غنى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ استثناء منقطع اي
لكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب
لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ يعني ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود
من الزمان إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ
اذا جاء ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوه وقرأ
ابن سيرين فاذا جاء آجالهم قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ
بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات
هلا قيل ليلا او نهارا   لانه اريد ان اتاكم عذابه وقت
بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون لا يتحرزون كما يبيت العدو
المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله
نهارا معناه في وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا
وهم نائمون ضحى وهم يلعبون مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ الضمير في
منه للعذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار
فاي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال ويجوز ان
يكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى
بم تعلق الاستفهام واين جواب الشرط   تعلق بارأيتم لان المعنى
اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو
تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطاء   فهلا قيل ماذا
يستعجلون منه   اريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال

وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك
فزعا من مجيئه وان ابطأ فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا يستعجل
منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه
حين لا ينفعكم الايمان ودخل حرف الاستفهام على ثم كدخوله على
الواو والفاء في قوله افأمن اهل القرى اوأمن اهل القرى الآن على ارادة
القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب الآن آمنتم به وقد كنتم
به تستعجلون يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة
التكذيب والانكار وقرئ آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام ثم
قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون
عطف على قيل المضمر قبل الآن ويستنبئونك ويستخبرونك فيقولون أحق
هو وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقرأ الاعمش آلحق هو
وهو ادخل في الاستهزاء ~~وقرأ الاعمش آلحق~~ لتضمنه معنى التعريض بانه
باطل وذلك ان اللام للجنس فكأنه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي
سميتموه الحق قل اي وربي انه لحق والضمير للعذاب الموعود واي بمعنى نعم
في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون
في التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين
بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ولو ان لكل نفس ظلمت صفة
لنفس ولو ان لكل نفس ظالمة ما في الارض اي ما في الدنيا اليوم من خزائنها
واموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال
فداه فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة لما رأوا
العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من
شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا
صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرارهم الندم والحسرة في القلوب
كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة
ويبقى جامدا مبهوتا وقيل اسر رؤساؤهم الندامة سفلتهم الذين اضلوهم

حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها اما لان اخفاءها
اخلاصها واما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم وباخطائهم
وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشيء
واشره اذا اظهره وليس هناك تجلد وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون
اي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم الا ان لله ما في
السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون
هو يحيي ويميت واليه ترجعون ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله
وانه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على
الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم
ان الامر كذلك فيخاف ويرجى ولا يغتر به المغترون يا ايها الناس قد جاءتكم
موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين
اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد
وهو شفاء اي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء
الى الحق ورحمة لمن آمن به منكم قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا التكرير للتأكيد والتقرير
وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد
الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط
كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما
ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك
فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك
فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهي قراءة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما روي وعنه لتأخذوا مصافكم
قالها في بعض الغزوات وفي قراءة ابي فافرحوا وهو راجع الى ذلك
هو خير مما يجمعون بالياء والتاء وعن ابي بن كعب ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام

صلى الله عليه وآله وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام
وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه قل ارأيتم اخبروني ما انزل الله
لكم من رزق ما في موضع النصب بانزل او بارأيتم في معنى اخبروني
فجعلتم منه حراما وحلالا اي انزل الله رزقا حلالا كله فبعضتموه
وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه انعام وحرث حجر وما في بطون
الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم متعلق بارأيتم
وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني آلله اذن لكم في التحليل والتحريم
فانتم تفعلون ذلك باذنه ام على الله تفترون ام تكذبون على الله في نسبة
ذلك اليه ويجوز ان تكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على
الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما
يسأل عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد
جائز وغير جائز الا بعد ايقان واتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا
فهو مفتر على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة
منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني اي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم
ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث
ابهم امره وقرأ عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه اي ظنوا
يوم القيمة وجيء به على لفظ الماضي لانه كائن فكأن قد كان لذو فضل على
الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام
ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه
وما تكون في شأن وما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم والشأن الامر واصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه اذا
قصدته وما تتلو منه من قرآن الضمير في منه للشأن لان تلاوة القرآن
شأن من شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل هو معظم شأنه او
للتنزيل كأنه قال وما تتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن و
الاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله عز وجل ولا تعملون انتم جميعا من عمل كان

الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصي عليكم اذ تفيضون فيه
من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما يعزب وقرئ بالضم والكسر وما يبعد
وما يغيب ومنه الروض العازب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا
في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر القراءة بالنصب والرفع
على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة
او على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان
قولك لا يعزب عنه شيء الا في كتاب مبين مشكل
لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله في سورة سبا عالم الغيب لا يعزب
عنه في السموات والارض حق السماء ان يتقدم على الارض ولكنه
لما ذكر شهادته على شؤون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل
بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء على
ان العطف بالواو وحكمه حكم التثنية الا ان اولياء الله الذين يتولونه
بالطاعة ويتولاهم بالكرامة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقد
فسر ذلك في قوله الذين آمنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه لهم
البشرى في الحيوة الدنيا وفي الآخرة فهو توليه اياهم وعن سعيد
بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل من اولياء الله فقال
هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني السمت والهيئة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الاخبات
والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رض سمعت النبي صلى الله عليه
وآله وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم
الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله
خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على
غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور و
انهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن
الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا نصب او رفع على المدح او على وصف
الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله

تعالى به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤون منها وغير ذلك من البشارات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي ذلك هو الفوز العظيم اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يحزنك قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شانك ان العزة استيناف بمعنى التعليل كانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اي ان الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا والذين امنوا وقرأ ابو حيوة أن العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكره من القراءة به هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات ومن في الارض يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفي ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا وشريكا له وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد

وترك النظر وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ومعناه ما يتبعون شركاء اي وما يتبعون حقيقة الشركاء لان الله في الربوبية تم ان يتبعون الا الظن الا ظنهم انهم شركاء وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون ان تكون شركاء تقديرا باطلا ويجوز ان يكون ما يتبع حقيقة الشركاء وان كانوا يسمونها شركاء لان الله تعالى في معنى الاستفهام يعني واي شيء يتبعون شركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان تكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم وقرأ علي ابن ابي طالب رضي الله عنه تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على عظيم قدرته ونعمته الشامل التي يستحق ان يوحدوه بالعبادة بانه يجعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيئا يبصرون فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد ومطالب ارزاقهم ومكاسبهم ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء هو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من الوالد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية منه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا

القول والباحثها ان يتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان
كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون
سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين
فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم قل ان الذين
يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه لا يفلحون متاع في الدنيا
اي افتراؤهم هذا منفعة قليلة وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر و
مناصبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد
بعده ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا
يكفرون واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر
عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على
الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا
لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه او قيامي ومكثي
بين اظهركم مددا طوالا الف سنة الا خمسين عاما او مقامي وتذكيري
بآيات الله لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم
ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى عليه السلام انه
كان يعظ الحواريين قائما وقعودهم قعودا فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم
وشركاءكم من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال
هل اغدون يوما وامري مجمع والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا امركم مع شركائكم
وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير
تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا
وعمرو وقرئ فاجمعوا امركم من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على
المفعول او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم
كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركاء
على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون
ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون عليهم غمة

ثم لا يكن امركم عليكم غمة

الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من اهلاكي واحتشدوا
فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته
وثقة بما وعده ربه من كلاءته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما
الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه
من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني ثم اهلكوني لئلا يكون
عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم
والغمة كالكرب والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة
السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله ولا غمة في فرائض الله اي لا تستر
ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن
مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الي ذلك الامر الذي تريدون
بي اي ادوا الي قطعه وتصحيحه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا
الي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون
ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الي بالفاء يعني ثم انتهوا الي بشركم وقيل
هو من افضى الرجل اذا خرج الى الفضاء اي اصحروا به الي وابرزوه لي
فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصحي فما سألتكم من اجر فما كان
عندي ما ينفركم عني وتتهموني لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم
ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة اي ما نصحتكم
الا لوجه الله لا لغرض من اعراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين
الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك
مقتضى الاسلام والذي كل مسلم مأمور به والمراد ان يجعل الحجة لازمة
لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق
الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم
لا غير فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك فتموا على تكذيبه وكان ذلك
له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم له في اولها وذلك عند مشارفة
الهلاك بالطوفان وجعلناهم خلائف يخلفون الهالكين بالغرق واغرقنا

الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لما جرى
عليهم وتحذير لمن كذب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مثله وتسلية
له ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا و
لوطا وابرهيم وشعيبا فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعويهم
فما كانوا ليؤمنوا فما استقام لهم ان يؤمنوا لشدة شكيمتهم في
الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة
الرسل ضلالا اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد
بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم
نطبع على قلوب المعتدين والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم
لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به ثم
بعثنا من بعدهم من بعد الرسل موسى وهارون الى فرعون وملائه بآياتنا
بالآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد
برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا
ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها فلما جاءهم
الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى
وهارون قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون ان الحق
ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا قال موسى اتقولون للحق
لما جاءكم اسحر هذا
هم قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين
على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا فيه اوجه ان يكون معنى
قوله اتقولون اتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم
فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو
القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال اسحر هذا فانكر ما قالوه
في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم
ان هذا لسحر مبين كانه قيل اتقولون ما تقولون يعني قولهم ان هذا لسحر مبين
ثم قيل اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا

اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون كما قال موسى للسحرة
ما جئتم به السحر ان الله سيبطله قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت
والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه
آباءنا يعنون عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء في الارض اي
الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد
والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله ملكه ملك رأفة ليس فيه
جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصدوا ذمهما
وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى ان تريد
الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين لكما
فيما جئتما به وقرئ يكون بالياء وقال فرعون ائتوني بكل ساحر
عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا
قال موسى ما جئتم به السحر ما موصولة واقعة مبتداء والسحر خبر اي الذي جئتم
به السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ السحر على
الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء جئتم به
اهو السحر وقرأ عبد الله ما جئتم به سحر وقرأ ابي ما اتيتم به سحر والمعنى
لا ما اتيت به ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة
على التشعوذة ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن
يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته باوامره وقضاياه
وقرئ بكلمته بامره ومشيته فما آمن لموسى في اول امره الا ذرية
من قومه على خوف من فرعون الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه
قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من
فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه
لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه
وماشطته الام يرجع الضمير في قوله تعالى وملائهم
الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب يأتمرون

له ولجيوز ان يرجع الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف
بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم
ويدل عليه قوله ان يفتنهم يريد ان يعذبهم فرعون وان فرعون لعال في الارض
لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو
بادعائه الربوبية وقال موسى يا قوم ان كنتم آمنتم بالله صدقتم به وبآياته
فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فاليه اسندوا امركم في العصمة
من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله
اي يجعلوها سالمة خالصة لاحظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع
التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كان بك قوة فقالوا
على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله
سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه
وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض
اليه فعليه برفض التخليط الى الاصلاح ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين
موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا او يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتنون بنا
ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين
واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما تبوء المكان اتخذه مباءة
كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة
لقومكما ومرجعا يرجعون فيه للعبادة والصلوة فيه واجعلوا بيوتكم تلك
قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان ومن معه يصلون الى
الكعبة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين كانوا في اول امرهم مامورين
بان يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم
ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون في اول الاسلام بمكة
كيف نوع الخطاب فثنى اولا ثم جمع ثم وحد آخرا خوطب موسى
وهارون عليهما السلام ان يتبوءا بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما
يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما باتخاذ المساجد والصلوة

فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة
التي هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون
وملأه زينة واموالا في الحيوة الدنيا الزينة ما يتزين به من لباس او
حلي او فرش او اثاث او غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت لهم
من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة
وزبرجد وياقوت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك
هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد
على قلوبهم وذلك انه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا
ومرددا عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله و
انتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين و
رآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا
وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة
انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل
تحت الصحة او علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته
وكراهيته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول
لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد
عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا
ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه
من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما
منهم هم احق بذلك واحق ما يقوله الاب المشفق لولده الشاطر اذا لم
يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحردا عليه لا ان يريد خلاعه
واتباعه هواه ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان
فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم جواب للدعاء الذي هو اشدد او
دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل لانهم جعلوا
نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف

على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرأ الفضل الرقاشي آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم قال قد اجيبت دعوتكما قرئ دعواتكما قيل كان موسى عليهما السلام يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة المستجابة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث نوح قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلا فان العجلة من الشيطان ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالخفيفة قال ابن جريج مكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي لا تتبعا طريق الجهلة في عادة الله في تعليقه الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر قرأ الحسن وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوزه وليس من جوزه وليس من جوز الذي في بيت الاعشى

واذا تجوزها حبال قبيلة

لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال

كما جوز السكي في الباب فيتق

فاتبعهم فلحقهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا يقال تبعته حتى اتبعته وقرأ الحسن وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلث مرات في ثلث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف الآن وقد عصيت قبل أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وأيست من نفسك قيل قاله بعد ان غرق في نفسه والذي يحكى انه حين

حين قال آمنت اخذ جبرئيل من حال البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احدهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب ابقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضى بالكفر كفر وكنت من المفسدين من الضالين المضلين عن الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروي ان جبرئيل اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبرئيل خطه فعرفه فاليوم ننجيك بالتشديد والتخفيف ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور ببدنك في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معديكرب

اعاذل شكتي بدني وسيفي ... وكل مقلص سلس القياد

وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ ابو حنيفة بابدانك وهو على وجهين اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعني ببدنك كله وافيا باجزائه او يريد بدروع كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك آية لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق وروي انهم قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله تعالى على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه من بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك

من القرون ومعنى كونه آية ان يظهر للناس عبوديته ومهانته وان ما كان
يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان و
كبرياء الملك آل امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او
لتكون عبرة يعتبر بها الامم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه اذا
سمعوا بحالك وبهوانك على الله وقرئ لمن خلقك اي لخالقك اي ولتكون لخالقك
آية كسائر آياته ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتميزك من
بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله
لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك
تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق
منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا
في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون الا من بعد ما قرؤا التورية وكسبوا
العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق
عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم واختلاف بني اسرائيل وهم اهل
الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو ام ليس بعد ما جاءهم العلم
والبيان انه هو لم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى كيف قال الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم كيف قال لرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فان كنت في شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة
وانهم لفي شك منه مريب فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه
مريب باثبات الشك لهم على سبيل التوكيد والتحقيق وبين قوله له
فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك مثلا وخيل
لك الشيطان خيالا منه تقديرا فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك
والمعنى ان الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم
بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكتوب
عندهم في التورية والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان

يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم
ويبالغ في ذلك فقال ان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة
في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الادلة
واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء اهل الكتاب يعني انهم
من الاحاطة بصحة ما انزل وقلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك و
مساءلتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة
ما انزل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا وصف رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك اي ثبت
عندك بالآيات والبينات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذي
لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين
كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين اي فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء
المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب
كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت
اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلم عند نزوله لا
اشك فيه ولا اسال بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك
طرفة عين ولا سأل احدا منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم في شك مما انزلنا اليكم
كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك
كقول العرب اذا عز اخوك فهن وقيل ان للنفي اي فما كنت في شك فاسئل
يعني لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم
عليه الصلوة والسلم بمعاينة احياء الموتى وقرئ فاسئل الذين يقرؤن
الكتب ان الذين حقت كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية
حتى يروا العذاب الاليم ثبت عليهم قول الله تعالى الذي كتبه في
اللوح واخبر به الملئكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة
معلومة ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا كانت قرية آمنت فهلا كانت قرية

واحدة من القرى آمنت التي اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة ووقت بقاء التكليف ولم تؤخر كما اخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه فنفعها ايمانها بان تقبله الله تعالى منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرا ابي وعبد الله فهلا كانت الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس ويجوز ان يكون متصلا والجملة في معنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل روي عن الجرمي والكسائي روي ان يونس بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم هبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي يا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك مشية القسر والالجاء لآمن من في الارض كلهم على وجه الاحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى

افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين يعني انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان في المكره من هو وما هو الا وحده لا يشاركه فيه لانه هو القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم انها تؤمن ان تؤمن الا باذن الله اي بتسهيله وهو منح الالطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرئ الرجز بالزاء وقرئ ونجعل بالنون قل انظروا ماذا في السموات والارض من الآيات والعبر وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع ايمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية او استفهامية فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم وقايع الله فيهم كما يقال ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية والذين آمنوا ومن آمن معهم كذلك حقا علينا ننج المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد قل يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني وصحته وسدادة فهذا ديني فاسمعوا وصفه فاعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لا مدخل فيه للشك فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله وهو اني لا اعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم ولكن اعبد الله الذي يتوفيكم وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء

وامرت ان اكون من المؤمنين يعني ان الله امرني بذلك بما ركب فيَّ من العقل وبما اوحي اليَّ في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني و بما اوحي اليَّ في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني ومما انا عليه اثبت عليه امر انكم وآوليتكم فلا تحدثوا انفسكم بالحج ولا تنكروا امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلال على الهدي كقوله قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وامرت ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر عطف قوله وان اقم على ان اكون فيه اشكال لان ان لا تخلو من ان تكون التي للعبارة او التي تكون مع الفعل في تاويل المصدر فلا يصح ان تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يابي ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لا يساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون معها في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك للدين استقم اليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا حنيفا ولا تكونن من المشركين حنيفا حال من الدين او من الوجه ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل ايجازا فانك اذا من الظالمين اذن جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سال عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لا ظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لا تنفع ولا تضر ان الله هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون

كل احد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وان يردك بخير فلا راد لفضله وكذلك ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذن بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته لم ذكر المس في احدهما والارادة في الاخر كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الاخر ليدل بما ذكر على ما قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم والمراد بالمشية مشية المصلحة قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن ضل فانما يضل عليها ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم وهو خير الحاكمين روي انه لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض يعني اني امرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة تخلف عن تلقي معوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها في طلبك يوم بدر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال فما ذا قال قال فاصبروا

حتى تلقوني قال فاصبر قال اذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان
الا ابلغ معوية بن حرب امير الظالمين نثا كلامي بانا صابرون فمنظروكم
الى يوم التغابن والخصام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة
يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب احكمت آياته نظمت
نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون
نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله آيات
الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها
الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير شعر ابني حنيفة احكموا سفهاءكم
اني اخاف عليكم ان اغضبا وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما تفصل القلائد
بالفوائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا
سورة سورة وآية آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها
ما يحتاج اليه العباد اي بين ولخص وقرئ احكمت آياته ثم فصلت اي احكمتها
انا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل
ما معنى ثم ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في
الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن التفصيل وفلان
كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدأ محذوف واحكمت صفة
له وقوله من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان
يكون صلة لاحكمت وفصلت اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق
حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها خبير عالم
بكيفيات الامور ان لا تعبدوا الا الله مفعول له على معنى لان لا تعبدوا او تكون

ان مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله
او امركم ان لا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير وبشير وان
استغفروا ربكم اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما
مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي عليه السلم اغراء منه على اختصاص الله
تعالى بالعبادة ويدل عليه قوله انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك
عبادة غير الله انني لكم منه نذير وبشير من جهته كقوله رسول من
الله او هي صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم
بثوابه ان آمنتم ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه
معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا
والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها يمتعكم متاعا
حسنا يطول نفعكم في منافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة
متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ويؤت
كل ذي فضل فضله ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل
وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله في الثواب والدرجات تتفاضل
على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم
كبير هو يوم القيمة كما وصف بالعظم والثقل الى الله مرجعكم وهو
على كل شيء قدير بين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على
كل شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ فان تولوا
من ولي الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه
لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى
عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله
فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود
المعنى الى اضماره الاضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق
معناه فضرب فانفلق ومعنى الا حين يستغشون ثيابهم ايضا كراهة
لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلم جعلوا اصابعهم في آذانهم

واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني انه لا تفاوت
في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من
الاستخفاء والله مطلع على تثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم
غير نافق عنده روي انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث
وكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما
يظهر وقيل نزلت في المنافقين وقرئ يثنوني بالياء والتاء من اثنوني افعوعل
من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وقرئ بالياء والتاء وعن
ابن عباس ليثنوني وقرئ يثنون واصله يثنونن يفعوعل من الثن وهو
هش وضعف من الكلام يريد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش
من النبات او اراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من
اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوي
بوزن ترعوي كيف قال وما من دابة في الارض الا
على الله رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل هو تفضل الا
انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد ويعلم
مستقرها المستقر مكانه من الارض ومسكنه ومستودعها المستودع
حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل في
كتاب مبين كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها
في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين وهو الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق
قبل خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه
دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض قيل كان
الماء على متن الريح والله اعلم بذلك وكيف ما كان فالله ممسك كل
ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج اليه والى امساكه
ليبلوكم متعلق بخلق اي خلقهن لحكمة بالغة وهو ان يجعلها مساكن

لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي
فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار
المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون
كيف جاز تعليق فعل البلوى لما في الاختبار من
معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها
واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم
كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المؤمنين هي التي تتفاوت
الى حسن واحسن فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح
الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا
الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر
من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم ليكون ذلك لطفا للسامعين
وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليبلوكم ايكم احسن
عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله ولئن قلت انكم
مبعوثون من بعد الموت وقرئ ولئن قلت انكم بفتح الهمزة ووجهه
ان يكون من قولهم ائت السوق عنك تشتري لحما بمعنى علك اي ولئن قلت
لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره
ليقولن الذين كفروا لقالوا ان هذا الا سحر مبين باثبات القول
بطلانه ويجوز ان يضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان
البعث امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له او اشارة الى
القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته
انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول
والساحر كاذب مبطل ولئن اخرنا عنهم العذاب عذاب الآخرة وقيل
عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين الى امة معدودة
الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا
له على وجه التكذيب والاستهزاء الا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم

يوم منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك
انه اذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم
خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل وحاق بهم
واحاط بهم ما كانوا به يستهزءون العذاب الذي كانوا به يستعجلون
وانما وضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على سبيل الاستهزاء
والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله في اخباره ولئن اذقنا
الانسان للجنس منا رحمة نعمة من صحة وامن وجدة ثم نزعناها
منه ثم سلبناه تلك النعمة انه ليؤوس شديد اليأس من ان تعود اليه مثل
تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم
لقضائه ولا استرجاع كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب
في نعمة الله نساء له ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب
السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس
بما اذاقه الله تعالى من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا
الذين صبروا وعملوا الصالحات فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان
يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا اولئك لهم مغفرة واجر كبير
كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين
لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل
عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبما
جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحركه الله تعالى منه وهيجه لاداء
الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك
تارك بعض ما يوحى اليك اي لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم
مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك بان تتلوه عليهم
مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اي هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن
من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما

نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه
لا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما
يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك
بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا
مبال بسفههم واستهزائهم لم عدل عن ضيق الى ضائق
ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد
السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد
ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القراآت وقول السمهري بمنزلة اما اللئيم
وكرام الناس باد شحوبها ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور
ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم
بسورة واحدة كما يقول المخاير في الخط اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب
فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد
يعني امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له صفة لعشر
سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله
قاودهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هب اني اختلقته من عند
نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فأتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق
من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من
الكلام كيف يكون ما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى
مثله في حسن النظم والبيان وان كان مفترى وادعوا من
استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم
فاعلموا ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا
بعد قوله قل معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع
آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم

كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب
للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعو
من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم
اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله اي نزل ملتبسا بما لا يعلمه
الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه و اعلموا
عند ذلك ان لا اله الا هو الله وحده وان توحيده واجب والاشراك
به ظلم عظيم فهل انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة
وهذا وجه حسن مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على
العلم الذي انتم عليه فازدادوا يقينا وثبات قدم على انه منزل من عند الله
وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون من كان يريد الحيوة
الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون
نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما
يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم
اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق
فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد
قيل وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او
وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة البدن وقيل
هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على ان الفعل لله عز وجل ونوف
اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف
واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله شعر لا غائب مالي ولا حرم
اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها
وحبط في الآخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم
لم يريدوا به الآخرة انما ارادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل
ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم يعمل لوجه صحيح

والعمل الصالح الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم
وباطلا بالنصب ان يكون ما ابهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا
اي باطلا كانوا يعملون وان يكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا
يعملون افمن كان على بينة معناه امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن
كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين
تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام و
غيره كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام
حق وهو دليل العقل ويتلوه ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد
يشهد بصحته وهو القرآن منه اي من الله او شاهد من القرآن صدقه
ذكره آنفا ومن قبله ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التورية اي ويتلو
ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب
ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ
القرآن شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التورية اماما كتابا مؤتما
به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم اولئك يعني
من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب
يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فالنار موعده فلا تك في مرية وقرئ مرية بالضم وهما الشك
من القرآن او من الموعد انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا
يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم
يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين
كذبوا على ربهم ويشهد عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم
الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال الا لعنة الله على الظالمين
[illegible] وافتضاحا والاشهاد جمع شاهد او شهيد كاصحاب واشراف

الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي
مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم بالآخرة هم
كافرون هم الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به اولئك
لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم
لو اراد عقابهم وما كان لهم من دون الله من اولياء اي ما كانوا
يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من
دون الله من اولياء وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم
من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم المخصوص وهو
من كلام الاشهاد يضاعف لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا
يستطيعون السمع ارادانهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له
كانهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر فيه عوج به على
اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع
ان اسمعه وهذا مما تمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من اولياء
انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست بشيء فما كانوا
يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله
لهم العذاب اعتراض بوعيد اولئك الذين خسروا انفسهم اشتروا
عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم
منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل عنهم وضاع ما اشتروه
وهو ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها لا جرم انهم في الآخرة
فسر في مكان آخر هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم ان الذين
آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم واطمأنوا اليه وانقطعوا
الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم
للشيء الدني الخبيت قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت
وقيل التاء فيه بدل من الثاء مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع و
البصير شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير

والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين
اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبهه بالذي
جمع بين العمى والصمم والذي جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو
في الاصم وفي والسميع لعطف الصفة كقوله الصابح فالغانم فالآيب
هل يستويان يعني الفريقين مثلا تشبيها افلا تذكرون ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه اي ارسلنا نوحا باني لكم ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا
الكلام وهو قوله اني لكم نذير مبين فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في
كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرئ بالكسر على
ارادة القول ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا
الا الله او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير اني اخاف عليكم
عذاب يوم اليم وصف اليوم باليم من الاسناد لوقوع الالم فيه
فاذا وصف به العذاب فمجازي مثله لان الاليم في الحقيقة
هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده فقال الذين كفروا
من قومه الملأ الاشراف من قولك فلان مليء بكذا اذا كان مطيقا
له وقد ملئوا بالامر لانهم ملئوا بكفايات الامور واضطلعوا وتدبيرها
او لانهم متمالئون اي يتظاهرون ويتساندون او لانهم يملؤون القلوب
هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملأ بالاحلام والآراء الصائبة ما نراك
الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي
تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها في احد من
البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملأ وموازيهم في
المنزلة فما جعلك احق منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا
من فضل او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا والاراذل جمع
الارذل كقوله اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا وقرئ بادئ الرأي
بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك اول الرأي او ظاهر الرأي وانتصابه
على الظرف اصله وقت حدوث اول رأيهم او وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف

ذلك واقيم المضاف اليه مقامه اراد وان اتباعهم لك انما هو شي
عنّ لهم من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم
في الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا
من الحيوة الدنيا فكان الاشراف عندهم من له جاه ومال كما ترى
اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم
واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم في الدنيا لا يقرب احدا من الله
وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة
والتاهيل لها على ان الانبياء بعثوا مرغبين في طلب الاخرة ورفض
الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن من اخلد اليها فما ابعد
حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله
من فضل وزيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين
فيما تدعونه قال يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت على بينة على برهان
من ربي وشاهد منه يشهد بصحة دعواي وآتاني رحمة من عنده
بايتاء البينة على ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة
وبالرحمة النبوة فقوله فعميت عليكم ظاهر على الوجه
الاول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه ان يقال فعميتا
الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاختصار على ذكره
مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى اخفيت وفي قراءة ابي فعماها
عليكم فما حقيقته حقيقته ان الحجة كما جعلت
بصيرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت
عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا
بغير هاد فما معنى قراءة ابي المعنى انهم صمموا على
الاعراض عنها فخلاهم الله تعالى وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية
منه والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون يعني انكرهكم
على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا

ولا اكراهي وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعا ويجوز ان يكون
الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم ويجوز
فسيكفيك اياهم وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة
لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح
لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية
لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر والضمير في قوله ويا قوم لا اسئلكم
عليه مالا راجع الى قوله لهم اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله
ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا وقرئ وما انا بطارد
الذين آمنوا بالتنوين على الاصل ما معنى قوله انهم ملاقوا
ربهم معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقونه
فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما
اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما يعرفونهم به من بناء ايمانهم
على بادي الراي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف
سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين
يدعون ربهم الاية او هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم
ملاقوه لا محالة ولكني اريكم قوما تجهلون تتسافهون على المؤمنين
وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا او تجهلون لقاء ربكم
او تجهلون انه خير منكم ويا قوم من ينصرني من الله من يمنعني من
انتقامه ان طردتهم افلا تذكرون وكانوا يسئلونه ان يطردهم ليؤمنوا
انفة من ان يكونوا معهم على سواء ولا اقول لكم عندي خزائن الله
ولا اعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله اي لا اقول لكم عندي
خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزائن
الله فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا
من فضل ولا ادعي علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء او حتى اطلع
على ما في نفوس اتباعي وضمائر قلوبهم ولا اقول لكم اني ملك حتى

يقولوا ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم لن
يؤتيهم الله خيرا ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم ان
الله لن يؤتيهم خيرا في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة
لكم ونزولا على هواكم الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين
ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه
وازرى به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه قالوا يا نوح
قد جادلتنا فاكثرت جدالنا معناه اردت جدالنا وشرعت فيه
فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر واطاب فأتنا بما تعدنا من العذاب
المعجل ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله اي ليس
الاتيان الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه وما انتم بمعجزين بدفعه ان اقتضت
حكمته ان يعجله لكم ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان
كان الله يريد ان يغويكم ما وجه ترادف هذين الشرطين
قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله
لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل اليه بشرط كما
وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني
فما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم
اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشانه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا
كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية
وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك و
معناه انكم اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر
بالمنزلة التي لا ينفعكم نصحي هو ربكم واليه ترجعون ام يقولون افتراه
قل ان افتريته فعلي اجرامي واجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم
اسرارهم واسرارهم ونحو جرم واجرام قفل واقفال ويتصر الجمع ان فسره
الاولون باثامي والمعنى ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي
افترائي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتألبوا علي وانا بريء يعني ولم

يثبت ذلك وانا بريء منه ومعنى مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء
الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم واوحي الى نوح انه لن يؤمن
من قومك اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع الا من
قد آمن الا من قد وجد ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت
محزها فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فلا تحزن حزن بائس مستكين قال
ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال والمعنى فلا
تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت
الانتقام لك منهم واصنع الفلك باعيننا في موضع الحال بمعنى
اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كأن لله معه اعينا
تكلأه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله
احد من اعدائه ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس
لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ
الطائر ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شان قومك واستدفاع
العذاب عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق
وقد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله
يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير
مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملأ من قومه
سخروا منه من عمله السفينة وكان يعملها في برية بهماء في ابعد
موضع من الماء في وقت عزة الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون
ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا قال ان تسخروا منا
فانا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة اي نسخر منكم
سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة
وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر
والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا او ان تستجهلونا
فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة

الامر وبناءً على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق
وروي ان نوحًا عليه السلم اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلثمائة
ذراع وعرضها خمسون ذراعًا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلثة
بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي بطن الاوسط
الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه
من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله معترضًا بين الرجال
والنساء وعن الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل
ان الحواريين قالوا لعيسى لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها
فانطلق بهم الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون
من هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب
بعصاه فقال له عيسى اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها
الساعة فمن ثم شبت ثم قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف
ذراع ومائتي ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة
للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابًا فسوف
تعلمون من يأتيه في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب
يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل
عليه حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم
وهو عذاب الآخرة حتى اذا جاء امرنا وفار التنور حتى هي التي يبتدأ
بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء
غاية لماذا لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جاء وقت
وقت الموعد فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من
الكلام هو حال من يصنع كانه قال والحال انه كلما مر عليه
ملأ من قومه سخروا منه فما جوابكلما انت بين امرين
اما ان تجعل سخروا جوابا وقال استينافا على تقدير سوال سائل او تجعل
سخروا بدلا من مر او صفة لملأ وقال جوابا قلنا احمل فيها من كل

وعرضها ستمائة

زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول اهلك عطف على
اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى
من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك
الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك
وقال الضحاك اراد ابنه وامرأته وما آمن معه الا قليل روي عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه
الثلثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة
وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام
ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء
وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها يجوز ان يكون كلاما واحدا
وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو
بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت
اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران
كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم
ومقدم الحاج ويجوز ان يكون الاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله
مجريها ومرسيها جملة من مبتدأ وخبر مقتضية اي بسم الله اجراؤها و
ارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان يجري قال بسم الله فجرت واذا اراد
ان ترسو قال فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما
ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها
بلفظ اسم الفاعل مجرورى المحل صفتين لله ما معنى قولك
جملة مقتضية معناه ان نوحا عليه السلم امرهم بالركوب ثم اخبرهم
بان مجريها ومرسيها بذكر اسم الله تعالى او بامره وقدرته ويحتمل ان
يكون غير مقتضية بان يكون في موضع الحال كقوله وجاؤنا بهم سكر علينا
فلا يكون كلاما براسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه
الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراه ومرساه باسم الله يعني

التقدير كقوله ادخلوها خالدين **إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم ثم اتصل قوله **وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ** بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله تجري بهم اي تجري وهم فيها **فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ** يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد ارتفع وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى الى قول ابنه سآوي الى جبل يعصمني من الماء **وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ** قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام وقرأ علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد بن علي وعروة الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانك تقول لم يكن ابنه ولكنه لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرأ السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي قال يا ابناه **وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ** المعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان معتزلا عن دين ابيه **يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ** وقرئ يا بني بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة في قولك يا بنيي او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة **قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ** الا الراحم وهو الله او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان

وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون في انه كان ابنه فقال ومن يأخذ دينه من اهل الكتاب واستدل قتادة بقوله من اهلي

من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله تعالى كقولك ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول **وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ** فكان بينهما الموج **فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي** نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى **وَغِيضَ الْمَاءُ** غاضه اذا نقصه **وَقُضِيَ الْأَمْرُ** وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه **وَاسْتَوَتْ** واستقرت السفينة **عَلَى الْجُودِيِّ** وهو جبل بالموصل **وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية

ورفضوا لها رؤسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي ان نوحا عليه السلم صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ﴾ نداؤه ربه دعاؤه له رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف ﴿فَقَالَ رَبِّ﴾ على نادى بالفاء اراد بالنداء اراده النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال بغير فاء ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي ﴿وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب باقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ تعليل لكونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقد من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها انما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلم اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك فهلا قيل انه عمل فاسد لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي واذن بذلك انه انما

نجا من نجا من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم ينفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ وقرئ فلا تسألن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون المشددة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسئلة دليل على ان النداء كان قبل الغرق حين خاف عليه لم سمي نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة الغرق ولده الغرق فقد استنجزه ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ جعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجره وسمى سؤاله جهلا ان الله عز وجل قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان لا يشتبه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ من ان اطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدبا بادبك واتعاظا بموعظتك ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي﴾ ما فرط مني من ذلك ﴿وَتَرْحَمْنِي﴾ بالتوبة علي ﴿أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ اعمالا ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾ وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء ﴿بِسَلَامٍ مِّنَّا﴾ مسلما محفوظا من جهتنا او مسلما عليك مكرما ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة عليك

على التوحيد وعلى أمم ممن معك يحتمل ان يكون من للبيان فتراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات اوقيل لهم امم لان الامم يتشعب منهم وان تكون لابتداء الغاية اي على امم ناشية ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه وقوله وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ومنهم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح ابا الانبيا والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وقوم صالح ولوط وشعيب ثم يمسهم منا عذاب أليم تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اي تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل ايحائي اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه ان العاقبة في الفوز والنصر والغلبة للمتقين قوله ولا قومك معناه ان قومك الذي انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده والى عاد اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف بيان قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان شركاء ويا قوم لا اسألكم عليه

تقديره

أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني ما من رسول الا واجه بهذا القول لان شانهم النصيحة والنصيحة لا يمحضها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منهما لم تنجع ولم تنفع أفلا تعقلون اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله تعالى وهو ثواب الآخرة ولا شيء انفى للتهمة من ويا قوم استغفروا ربكم آمنوا به ثم توبوا اليه من عبادة الاوثان غيره لان التوبة لا تصح بعد الايمان يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم المدرار كثير الدر وكا المعزاد وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة محجوبين احوج شيء الى الماء والنجدة مستحرزين بها مهيبين في كل ناحية وقيل اراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن بن علي عليهما السلام انه وفد على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال انا رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم سبعمائة فولد له عشر بنين فبلغ ذلك معوية فقال هلا سالته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فساله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مجرمين مصرين على اجرامكم وآثامكم قالوا يا هود ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قال قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا ~~وما يصح من امثالنا ان~~ لك بمؤمنين كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما تدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة ان نقول الا اعتراك مفعول نقول والا لغو والمعنى ما نقول الا قولنا

اعتريك بعض آلهتنا بسوء اي خبلك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك
عنها وعداوتك لها مكافاة لك على فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام
المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من اولئك ان يسموا
التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد اعلام الكفر واوتاد
الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون
التائب عن الذنوب مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم معه على عشر
مما كانوا عليه في ايام جاهليته من المراداة وما ذاك الا لعرق من الجاهلية
الى ان نبض وضبت من الزندقة اراد ان يطلع راسه وقد دلت اجوبتهم
على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون
الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله
متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين اجازوا
العقاب كانوا يحيدون الثواب قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء
مما تشركون من دونه من اعظم الآيات ان يواجه بهذا الكلام رجل واحد
امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه
وانه يعصمه منهم فلا ينشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح لقومه ثم
اقضوا الي ولا تنظرون اكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت
به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول
الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على اني لا
افعل كذا
هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم
لان
اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد
وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على
قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما
وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه
اشهد على اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله مما تشركون من دونه
من اشراككم آلهة من دونه او مما تشركونه من دونه اي انتم تجعلونها

شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني
جميعا انتم وآلهتكم واعجلوا ما تفعلون ثم لا تنظرون من غير انظار
فاني لا ابالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي
وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي الا جماد لا تضر
ولا تنفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان
تخبلني وتذهب بعقلي اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة
الا هو آخذ بناصيتها ولما ذكر الله تعالى وثوقه بحفظه وكلاءته من كيدهم
وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال الربوبية عليه وعليهم ومن كون
كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها
تمثيل لذلك ان ربي على صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق والعدل
في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم فان تولوا فان تتولوا
فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم
فان قلت الابلاغ كان قبل التولي
فكيف وقع جزاء للشرط
قلت معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في
الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم
الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف ربي قوما غيركم كلام
مستانف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم
ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع
وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه
عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى وان تتولوا يعذرني ويستخلف قوما
ولا تضروا الا انفسكم ان ربي على كل شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما
تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء
كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم
ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه قيل كانوا اربعة آلاف برحمة منا
ونجيناهم من عذاب غليظ
ما معنى تكرير التنجية
قلت ذكر
اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم ذكر التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله

بعث عليهم السموم فكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضواً عضواً وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف احوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد من رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وحده واتبعوا امر كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله الا ان عاداً كفروا ربهم الا بعداً لعاد والا تكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم بعداً دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد اهلاكهم الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى قوله اخوين لا يبعد وبلى والله قد بعدوا لقوم هود عطف بيان لعاد ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه الفائدة فيه ان يسموا بهذه الدعوة وسماً ويجعل فيهم امراً محققاً لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عاداً عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم والى ثمود اخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب واستعمركم فيها وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما من عسف الرعايا فسال نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله تعالى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معوية بن ابي سفيان انه

احياء الارض في آخر امره فقيل له فقال ما حملني الا قول القائل شعر
ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له في الارض آثار
وقيل استعمركم من العمر استبقاكم من البقاء وجعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك استهلكه في معنى اهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب داني الرحمة سهل الطلب مجيب لمن دعاه وساله قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا كانت تلوح فيك مخائل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاوراً ومسترشداً في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلاً خيراً نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه اتنهينا ان نعبد ما يعبد آباؤنا حكاية حال ماضية وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب من اراب به اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة من يقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته قيل ان كنت على بينة من ربي بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني اذن غير تخسير يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل لكم بم يتعلق

بآية حال منها تقدمت عليها لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت نصبت حالا
فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب
قريب عاجلا لا يستأخر عن مسكم لها بسوء إلا يسيرا وذلك ثلثة أيام
ثم يقع عليكم فعقروها فقال تمتعوا استمتعوا بالعيش في داركم
في بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها أي يتصرف ويقال ديار بكر
لبلادهم وتقول العرب الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون
من عرب البلد وقيل في دار الدنيا ثلثة أيام قيل عقروها يوم الأربعاء وهلكوا
يوم السبت ذلك وعد غير مكذوب غير مكذوب فيه فاتسع فيه
بحذف حرف الجر وإجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم مشهود من قوله ويوم
شهدناه أو على المجاز كأنه قيل للوعد نفي بك فإذا وفي به فقد صدق ولم يكذب
أو وعد غير كذب على أن المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة
بمعنى الصدق فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة
منا ومن خزي يومئذ قرئ مفتوح الميم لأنه مضاف إلى إذ وهو غير
متمكن كقوله على حين عاينت الشيب علام عطف
على نجينا لأن تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ أي من ذله ومهانته أو فضيحته
ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز أن يريد
بيومئذ يوم القيمة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة إن ربك هو القوي
العزيز وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم
يغنوا فيها ألا إن ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود وقرئ ألا إن ثمود
كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب إلى الحي أو الأب الأكبر ومنعه
للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة ولقد جاءت رسلنا يريد الملئكة عن ابن عباس
جاءه جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل وإسرافيل وقيل كانوا
تسعة وقال السدي أحد عشر إبراهيم بالبشرى هي البشارة بالولد وقيل بهلاك
قوم لوط والظاهر الولد قالوا سلاما سلمنا عليك سلاما قال سلام أمركم
سلام وقرئ فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم كحرم وحرام وأنشد

مررنا فقلنا إيه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح فما لبث أن جاء
بعجل فما لبث في المجيء بل عجل فيه أو فما لبث مجيئه والعجل ولد البقرة ويسمى
الحسيل والحيس بلغة أهل السراة وكان مال إبراهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف
في أخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس إذا ألقيت عليها الجل
حتى يقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين فلما رأى أيديهم لا تصل إليه
نكرهم يقال نكره وأنكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذا
أنكرك ولكن منكر ومستنكر وأنكرك وقال الأعشى وأنكرتني وما كان الذي
من الحوادث إلا الشيب والصلعا وقيل كان ينزل في طرف من الأرض
فخاف أن يكيدوا مكروها وقيل كان عادتهم أنه إذا مس من يطرقهم
طعامهم أمنوه وإلا خافوه والظاهر أنه أحس بأنهم ملئكة ونكرهم لأنه
تخوف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله تعالى عليه أو لتعذيب قومه
ألا ترى إلى قولهم لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وإنما يقال هذا لمن عرفهم
ولم يعرف فيم أرسلوا وأوجس فأضمر منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا
إلى قوم لوط وإنما قالوا لا تخف لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير في وجهه
أو عرفوه بتعريف الله تعالى أو علموا أن علمه بأنهم ملئكة موجب الخوف
لأنهم كانوا لا ينزلون إلا بعذاب وامرأته قائمة على رؤوسهم تخدمهم وفي
مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة
أو بهلاك أهل الخبائث أو كان ضحكها ضحك إنكار لغفلتهم وقد أظلهم
العذاب وقيل كانت تقول لإبراهيم اضمم لوطا ابن أخيك فإني أعلم أنه
ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما أتى الأمر على ما توهمت وقيل
فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن زياد الأعرابي فضحكت بفتح الحاء فبشرناها بإسحق
ومن وراء إسحق يعقوب رفع بالابتداء كأنه قيل ومن وراء إسحق يعقوب
مولود أو موجود أي من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي أنه قيل
أهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كأنه
قيل ووهبنا لها إسحق ومن وراء على طريقة قوله ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب

قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا الالف في يا ويلتى مبدلة
من ياء الاضافة وكذلك في يا لهفى ويا عجبا وقرأ الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل
وشيخا نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على انه خبر مبتدأ محذوف
اي هذا بعلي هو شيخ او بعلي بدل من المبتدأ وشيخ خبر او يكونان معا خبرين
وقيل بشرت بها ولها ثمان وتسعون سنة ولابرهيم مائة وعشرون ان
هذا لشيء عجيب ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة
التي اجراها الله قالوا أتعجبين من أمر الله وانما انكرت عليها الملائكة
تعجبها فقالوا أتعجبين من الله لانها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات
والآيات والامور الخارقة للعادات وكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها
ما يزدهي سائر النساء الناشئات في غير بيوت النبوة وان تسبح الله وتمجده
مكان التعجب والى ذلك اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمة الله
وبركاته عليكم اهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة
ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست بمكان عجب وامر الله
قدرته وحكمته وقوله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت كلام
مستأنف علل به انكار التعجب كأنه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه
الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات
الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم
انه حميد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده مجيد كثير الاحسان اليهم
واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح لهم
اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن فلما ذهب عن ابرهيم الروع وجاءته
البشرى الروع ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمأن قلبه
بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة
اين جواب لما هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا او
يجادلنا كلام مستأنف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا او فطن
لمجادلتنا او قال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل في

هو جواب لما وانما جيء به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى
معنى كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا والمعنى يجادل
رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ارأيتم
لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا
لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها رجل واحد
من المسلمين مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن
اعلم بمن فيها لننجينه واهله في قوم لوط في معناهم وعن ابن عباس قالوا له ان كان
فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة
فيهم خير وقيل كان فيها اربعة الاف الف انسان ان ابرهيم لحليم غير
عجول على كل من اساء اليه اواه كثير التأوه من الذنوب منيب
تائب راجع الى الله تعالى بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة
القلب والرأفة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء
ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما
حمله على الاستغفار لابيه يا ابرهيم على ارادة القول اي قالت له الملائكة
اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه انه قد جاء
امر ربك قدره بمقتضى قضائه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة وانهم
آتيهم عذاب غير مردود والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال
ولا دعاء ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم
ذرعا كانت مساءة لوط وضاق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف قومه ان
يعجزوا عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم
حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى
منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد
بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك فدخلوا معه منزله ولم يعلم
بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت بهم وقال هذا يوم عصيب يقال يوم
عصيب وعصبصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده وجاءه

وجاءه قومه يهرعون اليه اي يسرعون كانما يدفعون دفعا **ومن قبل كانوا يعملون السيئات** ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها ولذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرفت لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك **قال يا قوم هؤلاء بناتي** اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم واراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن وائل الربيع قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه **هن اطهر لكم** وقرا ابن مروان هن اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا او ينصب هؤلاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هن فصلا وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون هؤلاء مبتداء وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتداء كقولك هذا اخي هو ويكون اطهر حالا **فاتقوا الله** بايثارهن عليهم **ولا تخزون** ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء **في ضيفي** في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروة **أليس منكم رجل رشيد** رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ بطرح الياء ويجوز ان يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهار الشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم **قالوا**

لقد علمت مستشهدين بعلمه **ما لنا في بناتك من حق** عنوا اتيان الذكور كما [illegible] في بناتك حتى ما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة **وانك لتعلم ما نريد** عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة **قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد** جواب لو محذوف كقوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال بمعنى لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لكم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرئ الى ركن بضمتين روي انه اغلق بابه حين جاؤا وجعل يرادهم على ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب **قالوا يا لوط** ان ركنك لشديد **انا رسل ربك لن يصلوا اليك** فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره **فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم**

إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فاسر بالقطع والوصل والا امرأتك
بالرفع والنصب روي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال
اريد اسرع من ذلك فقالوا أليس الصبح بقريب وقرئ الصبح بضمتين
ما وجه قراءة من قرأ بالنصب   استثناها من قوله
فاسر باهلك والدليل قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك
ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل
اعني قراءة من قرأ بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها مع اهله روايتان
روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب
التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر ان يخلفها مع
قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القرائتين لاختلاف الروايتين
فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة جعل
جبرئيل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب
وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم من سجيل
قيل كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما
كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل لفلان منضود نضد في السماء نضدا
معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا مسومة معلمة للعذاب
وعن الحسن كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها انها
ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به عند
ربك وما هي من الظالمين من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة عن رسول
صلى الله عليه وآله وسلم انه سأل جبرئيل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم
الا وهو يسقط من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة
يمرون بها في مسايرهم ببعيد لشيء بعيد ويجوز ان يراد وما هي بمكان بعيد
لانها وان كانت في السماء هي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع
شيء لحوقا بالمرمي فكانها بمكان قريب منه والى مدين اخاهم شعيبا قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان

فلما جاء امرنا
اقم كما تقدم

غيره

اني اريكم بخير يريد بثروة وسعة وتغنيكم عن التطفيف او
اريكم بنعمة من الله تعالى حقها ان تتقابل بغير ما تفعلون واريكم بخير
فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك اليوم
ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا واني اخاف عليكم عذاب
يوم محيط مهلك من قوله واحيط بثمره واصله من احاطة العدو
ووصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها   بل وصف اليوم
لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب
ما اشتمل عليه منه كما احاط بنعيمه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان
بالقسط   النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله
اوفوا   نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال
والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء
الذي هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء
به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة
ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه
توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه
انه قسط وعدل فهذه ثلث فوائد ولا تبخسوا الناس اشياءهم البخس الهضم
والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم
دون ويجنس درهم وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا كما تفعل ولاة
السماسرة وكانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون
من الاشياء فنهوا عن ذلك ولا تعثوا في الارض مفسدين والعثي في الارض
نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا
منهم في الارض بقية الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما
هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا
بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف
فلم شرط الايمان   لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب

اريكم
اح ش ج

مع النجاة من العقاب وخفا فايدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه ويجوز ان يراد ان كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يراد ما يبقى لكم من عند الله من الطاعات خير لكم لقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله تعالى ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبايح وما انا عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت قالوا اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا كان شعيب عليه السلام كثير الصلوة وكان قومه اذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلوتك تامرك السخرية والهزؤ والصلوة وان جاز ان تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلوة تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وارادوا ان هذا الذي تامر به من ترك الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يامرك آمر فطنة فلم يبق الا ان يامرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلوتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى تامرك ان نترك تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد آباؤنا ان نترك المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقرئ اصلوتك بالتوحيد او ان نفعل في اموالنا ما نشاء وقرئ بالتاء فيهما اي الى علة او نفعل في اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما يامرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن الدراهم والدنانير وتقطيعها وارادوا

انك لانت الحليم الرشيد نسبه الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فقال له لو ابصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون ان ما تامر به لا يطابق حالك وما شهرت به قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه اي من لدنه رزقا حسنا وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف ارأيتم وما له لم يثبت كما اثبت في قصة نوح ولوط وانما لم يثبت كما اثبت في قصة نوح ولوط لان اثباته في قصة نوح ولوط دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يقال خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا او بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه ويجوز ان يكون مفعولا على تقدير حذف المضاف على تقدير الا الاصلاح اصلاح ما استطعت كقوله ضعيف النكاية اعداءه اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم وما توفيقي الا بالله وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي واذر ووقوعه موافقا لرضا الله تعالى الا بمعونته وتاييده والمعنى انه استوفق ربه في الامر على شانه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم فيه عليه توكلت واليه انيب ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح جرم مثل كسب في تعديه الى واحد والى مفعولين يقول جرم ذنبا وكسبه اياه

قال جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا وسنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي اصابة العذاب وقراءة ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة افصح من اكسبته والمراد انه على السنة الفصحاء من العرب بغير همزة ادور وهم له اكثر استعمالا وقراءة ابن حيوة ورويت عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت **وما قوم لوط منكم ببعيد** يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك

ما البعيد لم يبن على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد اي وما هم بشيء بعيد او بزمان او بمكان بعيد ويجوز ان يسوى في بعيد وقريب وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما **واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود** عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال **قالوا يا شعيب ما نفقه** ما نفهم **كثيرا مما تقول** لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفهمونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لا يفقهوه وقالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ **وانا لنريك فينا ضعيفا** لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا كما يسمى ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنريك فينا اعمى

لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى في غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا هم احترامهم واعتدادا بهم لانهم كانوا اخوانا من شركهم وعزيهم **لرجمناك** لقتلناك شر قتلة **وما انت علينا بعزيز** اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك **قال** في جوابهم **يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله** ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف يصح ارهطي اعز عليكم من الله دونه ... لها وتهم به وهو نبي الله لها ون بالله حين عز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله **واتخذتموه وراءكم ظهريا** ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي **ان ربي بما تعملون محيط** قد احاط بأعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها **ويا قوم اعملوا على مكانتكم** لا تخلو المكانة من ان تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها **اني عامل** على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتأييد ويمكنني **سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب** يجوز ان يكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب ... اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون ... ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا

فماذا يكون إذا عملت أنا على مكانتي وعملت أنت فقال سوف تعلمون تارة بالفاء
وتارة بلا فاء فالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر للتفنن في البلاغة كما هو
عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف فهو باب من أبواب
علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما أقول لكم إني معكم
رقيب أي منتظر والرقيب بمعنى الراقب كالعشير والنديم أو بمعنى المرتقب
كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع قد ذكر عملهم على
مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان
القياس أن يقول من يأتيه عذاب يخزيه إلى الجاحدين ومن هو صادق إلى النبي
المبعوث إليهم القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا
قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم ولما جاء أمرنا
نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ما بال ساقتي قصة
عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قد
وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله إن موعدهم الصبح ذلك وعد غير
مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان
كيت وكيت وأما الأخريان فلم تقعا بتلك المثابة وإنما مبتدأتين وكان
حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة وأخذ
الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين الجاثم اللازم لمكانه لا يريم
كاللابد يعني أن جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا
كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين ألا بعدا
لمدين البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى إلى قوله
كما بعدت ثمود وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البنائين واحد وهو نقيض
القرب إلا أنهم أرادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا
البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد وأوعد وقراءة السلمي جاءت
فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود
ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين فيه وجهان أن يراد بهذه الآيات

فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وأن يراد بالسلطان المبين العصا
لأنها أبهرها إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد
تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه
أدنى مسكة من العقل وذلك أنه ادعى الإلهية وهو بشر مثلهم وجاهر
بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان مارد ومثله بمعزل من
الإلهية ذاتا وأفعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته و
الأمر الرشيد الذي هو رشد أي وما في أمره رشد إنما هو غي صريح و
ضلال ظاهر مكشوف وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من
يضلهم ويغويهم وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في موسى
وعلموا أن معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد
قط يقدم قومه فأوردهم النار أي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك
يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه ويجوز أن يريد بقوله وما أمر فرعون برشيد
وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك و
إيضاحا أي كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد مستعمل في كل ما يحمد و
يرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه و
قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش وأقدم بمعنى
تقدم ومنه مقدم العين هلا قيل يقدم قومه فيوردهم النار
ولم جيء بلفظ الماضي لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به
فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة وبئس الورد المورود والورد
المورد والمورود الذي ورد وشبه بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى
الماء وشبه أتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه
النار لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضده
وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة أي يلعنون في الدنيا ويلعنون في
الآخرة بئس الرفد المرفود رفدهم أي بئس العون المعان وذلك أن اللعنة
في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل بئس العطاء

المعطي ذلك مبتداء من انباء القرى نقصه عليك خبر بعد خبر اي ذلك النباء
بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى قائم وحصيد اي
بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد
ما محل هذه الجملة — هي جملة مستانفة لا محل لها وما ظلمناهم باهلاكنا
اياهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما اهلكوا به فما اغنت عنهم آلهتهم
فما قدرت ان ترد عنهم باس الله التي يدعون يعبدون وهي حكاية حال ماضية
من دون الله من شيء لما جاء ولما منصوب بما اغنت امر ربك عذابه ونقمته
وما زادوهم غير تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اذا اوقعه
في الخسران وكذلك محل الكاف الرفع تقديره مثل ذلك الاخذ اخذ ربك
والنصب فيمن قرا وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل اذا اخذ القرى وقرئ اذ
اخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على
الماخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة
وغيرها بل لكل من ظلم نفسه او غيره بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر
اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال ان في ذلك
اشارة الى ما قص الله تعالى من قصص الامم الهالكة لاية لمن خاف عذاب الاخرة
لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج مما
اعد لهم في الآخرة فاذا راى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون
عبرة وعظة ولطفا في زيادة التقوى من الله ونحوه ان في ذلك لعبرة لمن
يخشى ذلك يوم مجموع له الناس اشارة الى القيمة لان عذاب الاخرة دل عليه
الناس رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس
اي فائدة او ثار اسم المفعول على فعله — لما في اسم المفعول الذي على
ثبات معنى الجمع لليوم وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو ايضا ابلغ لاسناد
الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب
قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله
يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت له ومعنى يجمعون له يجمعون فيه من

للثواب والعقاب وذلك يوم مشهود مشهود فيه فاتسع في الظرف باجرائه
مجرى المفعول به كقوله شعر ويوم شهدناه سليما وعامرا قليل سوى الطعن الدراك نوافله
اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه
ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور فان قلت في تحمل من ناحية الناس مشهودا
ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما
قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه — قلت الغرض وصف ذلك اليوم
بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا في نفسه فسائر
الايام كذلك مشهودات كلها ولكن جعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما
تميز يوم الجمعة من ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون
مشهودا في نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهدها
كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب
ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى فمن شهد منكم في الشهر
فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر فليصم
فيه ولو نصبته حصرا لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر وما نؤخره الا لاجل
معدود الاجل يطلق على مدة التاجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى وبلغ
الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يراد آخر مدة التاجيل و
انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهيها فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا
لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء يوم ياتي وقرئ
يوم يات بغير ياء ونحوه قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء و
الاجتزاء عنها بالكسر كثير في لغة هذيل — فاعل ياتي ما هو
الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله او ياتي بعض آيات ربك
وجاء ربك ويعضده قراءة من قرا وما يؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان
يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى ان تاتيهم الساعة — بم انتصب
الظرف — اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء
المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي الاجل يوم ياتي

فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحدد الشي بنفسه
المراد اتيان هوله وشدائده لا تكلم نفس الا باذنه لا تتكلم
وهو نظير قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن كيف يوفق
بين هذا وبين قوله يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا
يؤذن لهم فيعتذرون ذلك يوم طويل له مواطن ومواقف في بعضها
يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها
يختم على افواههم وتكلم ايديهم وتشهد ارجلهم الضمير لاهل الموقف
ولم يذكروا لان ذلك يوم معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه
وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس شقي الذي وجبت له النار لا
ساءته وسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه فاما الذين شقوا ففي النار قراءة
العامة بفتح الشين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا لهم فيها زفير و
شهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ شعر بعيد مدى التطريب
زفير ويتلوه شهيق محشرج خالدين فيها زفير وشهيق ما دامت السموات
والارض فيه وجهان احدهما ان يراد سموات الآخرة وارضها وهي
مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض
غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء
ولانه لا بد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله او يظلهم
العرش وكل ما اظلك فهو سماء والثاني عبارة عن التابيد ونفي الانقطاع
كقول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات
التابيد فما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك وقد ثبت
خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء هو استثناء
من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا
يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب
سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه
لهم واهانته اياهم ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة

خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك كذلك اهل الجنة
لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها وهو رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين
والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في
جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب
الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله
تعالى عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل
باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له
فتامله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء
خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء ينادي على تكذيبهم
ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض
الثوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق
فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني
ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في
النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله تعالى هداية
الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبها على ان نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن
العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم
وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي
ابي طالب ما يشغله عن تسيير هذا الحديث غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير
النهاية كقوله اجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل
بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء
اي فلا تشك بعد ما انزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم
وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون
الا كما يعبد آباؤهم من قبل يريد ان حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من
غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف

معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان يكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها **وانا لموفوهم نصيبهم** اي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم ايضا كيف نصب **غير منقوص** حالا عن النصيب الموفى يجوز ان يوفي وهو ناقص ويوفي وهو كامل الا تراك وفيته شطر حقه كاملا وناقصا **ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه** آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن **ولولا كلمة سبقت من ربك** يعني كلمة الانظار الى يوم القيمة **لقضي بينهم** بين قوم موسى او قومك **وانهم لفي شك منه مريب** وهذه من جملة التسلية ايضا **وان كلا** التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين **لما ليوفينهم** جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم **ربك اعمالهم** من حسن وقبيح وايمان وجحود وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقراءة ابي وان كل لما ليوفينهم وقراءة الزهري وسليمان بن ارقم وان كلا لما بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى ان كلا ملومين بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون **انه بما يعملون خبير فاستقم كما امرت** فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها **ومن تاب معك** معطوف على المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك **ولا تطغوا** ولا تخرجوا عن حدود الله **انه بما تعملون بصير** عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني سورة هود والواقعة واخواتهما وروي ان اصحابه قال له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقلت له روي عنك انك

قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم وقرئ **ولا تركنوا** بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا اماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله **الى الذين ظلموا فتمسكم النار** اي الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما افاق وصلى خلف الامام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لائين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فلا يؤمنك ان تكون ممن قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا

فانك تعامل من لا يجهل وتحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم
وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد ولا يخفى على الله من شيء في الارض ولا في
السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون
للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد
بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه
ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال
لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء
حال من قوله فتمسكم النار وانتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون
الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره
ثم لا تنصرون هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم
فما معنى ثم معناه الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع
استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له اقم الصلوة طرفي النهار غدوة وعشية
وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار
من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلوة الغدوة صلوة الفجر وصلوة
العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلوة الزلف المغرب
والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك
اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله وآخره تنصب هذا كله
على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه واطراف النهار وقرئ زلفا
بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم
في ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو يسر في يسر والزلفى
بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل
وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلوة اي اقم الصلوة طرفي النهار
واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض
الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما ان يراد

تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة ما بينهما
ما اجتنبت الكبائر والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان يكن لطفا
في تركها كقوله ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في
ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاتته امرأة فاعجبته فقال لها
ان في البيت اجود من هذا التمر فذهب بها فضمها الى نفسه فقبلها فقالت
اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله فاخبره بما فعل فقال
انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة
لما عملت وروي انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله
فاتى عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال
عمر اهذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان
الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة الى قوله فاستقم فما بعده ذكرى
للذاكرين عظة واصبر ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو
خاتمة للتذكير وهذا الكر لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان
الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية
وهو الصبر بالتوصية على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا
يتم شيء الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة
واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر و
غير ذلك من الحسنات فلولا كان من القرون من قبلكم فهلا كان
وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القرآن فمعناها هلا الا التي في الصافات
وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ
بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اولو
بقية ينهون عن الفساد في الارض اولو فضل وخير وسمي الفضل والجودة
بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا في الجودة
والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة

ان تنهوا نترنا تنهى فتسكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز
ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم
ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ اولو بقية
لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولوا مراقبة وخشية
من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم الا قليلا استثناء
منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا منهم من القرون نهوا عن الفساد
وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض
لان النجاة انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل انجينا الذين ينهون
عن السوء واخذنا الذين ظلموا هل لوقوع هذا الاستثناء وجه
يحمل عليه ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا
لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين
منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء
الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وان قلت في تحضيضهم على النهي عن الفساد
معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا كان
استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح
ان يرفع على البدل واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين
ظلموا تاركي النهي عن المنكرات اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من اركان الدين
وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا
ما عرفوا فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهني
ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ ابو عمرو في
رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز
ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم
الانجاء كانه قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر
علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا ان كان معناه واتبعوا الشهوات

كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد و
اتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء
الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم
فقوله وكانوا مجرمين على اترفوا اي اتبعوا الاتراف
وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام
اغفالهم للشكر او على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان
يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون وما كان ربك بمعنى وما صح
واستقام ليهلك القرى اللام لتاكيد النفي وبظلم حال من الفاعل والمعنى
واستحال في الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون
تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاكه وهم مصلحون يتعاطون الحق
فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة يعني لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اي ملة واحدة
وهي ملة الاسلام كقوله ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام
يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم
من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل
فاختلفوا فلذلك قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا
هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه ولذلك
خلقهم ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك
من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق
بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهي قوله
للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين لعلمه بكثرة من يختار
الباطل وكلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبأ
نقص عليك من انباء الرسل بيان لكل وما نثبت به فؤادك بدل من كلا
ويجوز ان يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع
الاقتصاص نقص عليك يعني على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص

ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة
للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة او في هذه الانباء
المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين من اهل مكة وغيرهم
اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون
وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة
باشباهكم ولله غيب السموات والارض لا يخفى عليه خافية مما فيهما
فلا يخفى عليه اعمالكم واليه يرجع الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم
وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك
وما ربك بغافل عما تعملون وقرئ تعملون بالتاء اي انت وهم على تغليب
المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة هود اعطي
من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح و
شعيب ولوط وابرهيم وموسى وكان يوم القيمة من السعداء ان شاء الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك اشارة الى آيات السورة
وآيات الكتاب المبين السورة اي تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة
آيات السورة الظاهرة امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين
لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على
العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد بين فيها ما سالت اليهود عنه من
قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا
صلى الله عليه وآله وسلم لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة
يوسف انا انزلناه انزلنا هذا الذي فيه قصة يوسف قرآنا عربيا وسمي البعض
القرآن قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه لعلكم تعقلون

ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولو جعلناه قرآنا اعجميا
لقالوا لولا فصلت آياته نحن نقص عليك احسن القصص القصص على وجهين ان يكون
مصدرا بمعنى الاقتصاص يقال قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله
شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبأ
والخبر في معنى المنبأ والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر
كالخلق والصيد فان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص
بما اوحينا اليك هذا القرآن اي بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون
احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله
بما اوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القرآن بنقص
كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اليك
والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب الا
ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه
في كتاب منها مقاربا لاقتصاصه وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه
نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من
العبر والحكم والنكت والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر انه احسن ما
يقتص في بابه كما قال في الرجل هو اعلم الناس وافضلهم يراد في فنه
واشتقاق القصص من قص اثره اذا اتبعه لان الذي يقص
الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن اذا قرأه لانه يتلو
اي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية وان كنت ان مخففة من الثقيلة واللام هي
الفارقة التي تفرق بينها وبين النافية والضمير في من قبله راجع الى قوله بما اوحينا
والمعنى وان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك لمن الغافلين عنه اي من الجاهلين
به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه اذ قال يوسف لابيه
بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص
وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص او باضمار اذكر ويوسف اسم عبري
وليس بعربي لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف

فما تقول فيمن قرأ يوسِف بكسر السين او يوسَف بفتحها هل
يجوز ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع المبني للفاعل او المفعول من آسف
وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل لا لان القراءة المشهورة
قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا يكون عربية تارة واعجمية اخرى
ونحو يوسف يونس رويت في هذه اللغات الثلثة ولا يقال هو عربي لانه
في لغتين منها بوزن المضارع من آنس واونس وعن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا
الكريم بن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن
اسحق بن ابرهيم عليهم الصلوة والسلم **يا ابت** قرئ بالحركات الثلث
ما هذه التاء تاء التانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة و
الدليل على انها تاء التانيث قلبها هاء في الوقف كيف جاز
الحاق تاء التانيث بالمذكر كما جاز نحو قولك حمامة ذكر
وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعه فلم ساغ تعويض تاء
التانيث من ياء الاضافة لان التانيث والاضافة يتناسبا
في ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم في آخره
فما هذه المكسورة التي كانت قبل الياء في قولك يا ابي قد زحلقت
الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ما قبلها مفتوحا
فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة
امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها
في الاعراب وانما جاز تسكين الياء واصلها ان يحرك تخفيفا لانها
في حكم الياء اذا قلت يا غلام فكما لا يجوز يا ابتي فلا يجوز يا ابتِ
الياء قبلها شيئان والتاء عوض من احد الشيئين وهو الياء
والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء
والياء لا غير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء
كيف جاز الجمع بينها وبين تاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه

فالكسرة ابعد من ذلك فقد دلت الكسرة في يا غلام على
الاضافة لانها قرينة الياء لصيقتها لانها وليت على مثل ذلك في يا ابت المعوض
لغو وجودها كعدمها بل حالها مع التاء كحالها مع التاء اذا يا
ابي فما وجه قراءة فتح التاء وضمها اما من فتح
فقد حذف الالف من يا ابتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف
الياء في يا غلام ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها في
يا ابي واما من ضم فقد رأى اسما في آخره تاء التانيث فاجراه مجرى
الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا ابت كما تقول يا ثبة من غير اعتبار لكو
عوضا من ياء الاضافة **اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر**
رأيتهم لي ساجدين وقرئ بتحريك الياء واحد عشر بسكون العين تخفيفا
لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا
اثني عشر لئلا يلتقي الساكنان ورأيت من الرؤيا لا من الرؤية لان ما
ذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة
ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليهما السلم ولما خفيت
عليه وعلى الناس ما اسماء تلك الكواكب
روي جابر ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد
اخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فنزل جبريل عليه السلم فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وآله
وسلم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق و
الذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب
وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال
اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه
وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين
ان احدى عشر عصا طوالا مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا
صغيرة تثب عليها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا

لاخوتك ثم رأى وهو ابن اثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد
له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل بين
رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون
والشمس والقمر اخرهما ليعطفهما على طريق الاختصاص
بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر
جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان تكون
الواو بمعنى مع اي رأيت الكواكب مع الشمس والقمر
ما معنى تكرار رأيت ليس بتكرار انما هو كلام مستانف
على تقدير سوال وقع جوابا له كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله
اني رأيت احد عشر كوكبا كيف رأيتها سائلا عن حال رؤيتها لي
ساجدين فلم اجريت مجرى العقلاء في رأيتهم لي ساجدين
لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجري عليها
حكمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شايع في كلامهم ان يلابس الشيء الشيء
من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة
قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا
على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه
بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم والرؤيا
بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق
بينهما بحرفي التانيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رياك بقلب الهمزة
واوا وسمع الكسائي رياك وريّاك بالادغام وضم الراء وكسرها وهي
ضعيفة لان الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقووا الادغام
في قولهم اتزر من الازار واتجر من الاجر فيكيدوا لك كيدا كما تحيلت
فكيد منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها كادوك
هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدوني ضمن معنى فعل يتعدى
باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد

وابلغ في التخويف ونحوها فكادوا لكم تمثل للاشارة الى تأكيده بالمصدر ان الشيطان
للانسان عدو مبين ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحوا ولقوله لاقعدن لهم
صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليوقع من يحمله
ولا يؤمن ان يحملهم على مثله وكذلك اي مثل ذلك الاجتباء يجتبيك ربك
يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز
وكبرياء شان كذلك يجتبيك لامور عظام وقوله ويعلمك من تاويل الاحاديث
كلام مبتداء غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته
عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك
وجبيت الماء في الحوض جمعته والاحاديث الرؤى لان الرؤيا اما حديث نفس
او ملك او شيطان وتاويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف اعبر الناس
للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتاويل الاحاديث لانه يحدث بها
عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى
قوله فباي حديث بعده يومنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث
وليس بجمع احدوثة ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة
الآخرة بان جعلهم انبياء في الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات
العلى في الجنة وقيل اتمها على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح
الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح والفداء له بذبح عظيم وباخراج
يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته
انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت
الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى سجد
له ابواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره
ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف
له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد
وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا امر مشتت يجمعه الله لك بعد دهر طويل
وعلى آل يعقوب اهله وهم نسله وغيرهم واصل آل اهل بدليل تصغيره

على اصيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال
آل الحائك ولا آل الحجام ولكن اهلهما كما اتمها على ابويك من قبل
اراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما في حكم الاب في الاصالة ومن ثم
يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة ابرهيم واسحق
عطف بيان لابويك ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم لا يضع نعمته
الا على من يستحقها لقد كان في يوسف واخوته اي في قصتهم وحديثهم
آيات علامات ودلائل على قدرة الله تعالى وحكمته في كل شيء للسائلين
لمن سال عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم
للذين سالوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة
كتاب وقرئ آية وفي بعض المصاحف عبرة وانما قص الله تعالى على النبي صلى
الله عليه وآله وسلم خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما راى من بغي قومه
عليه ليتاسى به وقيل اسماؤهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون
ويشجر ودينه ودان ونفتالي وجاد واشر السبعة الاولون كانوا من
ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الاخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما
توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف اذ قالوا ليوسف
اللام لام الابتداء وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة
محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه واخوه هو بنيامين وانما قالوا اخوه وهم
جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة احب الى ابينا منا وحد احب
لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا كان
معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا اضيف جاز الامران والواو في
ونحن عصبة واو الحال يعنون انه يفضلهما في المحبة علينا وهما ابنان صغيران
لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه
فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما ان ابانا
لفي ضلال مبين اي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك والعصبة و
والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب

الامور ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه
ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة بالنصب وقيل معناه
ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب انما العامري
عمته اي يتعهد عمته اقتلوا يوسف من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا كانهم
اطبقوا على ذلك الامر قال لا تقتلوا يوسف وقيل الامر بالقتل شمعون وقيل
دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين او اطرحوه ارضا منكورة مجهولة
بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها
من هذا نصبت نصب الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم يقبل عليكم
اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن
يشاركهم فيها وينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله
عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات
كما قال ويبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف وتكونوا
من بعده من بعد يوسف اي من بعد كفايته بالقتل او التغريب او يرجع الضمير
الى مصدر اقتلوا او اطرحوا قوما صالحين تائبين الى الله مما جنيتم عليه او صالح
ما بينكم وبين ابيكم بعذر تمهدونه او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم
بعده بخلو وجه ابيكم وتكونوا من بعده اما مجزوم عطفا على يخل لكم واما
منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق قال قائل منهم
هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض لا
تقتلوا يوسف فان القتل عظيم والقوه في غيابة الجب وهي غوره وما
غاب منه عن عين الناظر واظلم من اسفله قال المنخل اذا انا يوما غيبتني غيابتي
فسيروا بسيري في العشيرة والاهل اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات
على الجمع وغيابات بالتشديد وقرا الجحدري غيبة والجب البئر لم تطو لان الارض
تجب جبا لا غير يلتقطه يأخذه بعض السيارة بعض الاقوام الذين يسيرون
في الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله
كما شرقت صدر القناة من الدم وقوله اذهبت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين

ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأي **قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون** قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام وبغير اشمام وتيمنا بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة واارادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رايه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يامنهم عليه **ارسله معنا غدا يرتع** نتسع في اكل الفواكه ونحوها واصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي **ونلعب وانا له لحافظون** وقرئ يرتع ويلعب بالياء ويرتع من ارتع ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء كيف استجاز لهم يعقوب اللعب كان لعبهم الاستباق والانتضال ليمرنوا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته **قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب** اللام لام الابتداء كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة اعتذر اليهم بشيئين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل راى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فلقنهم العلة وفي امثالهم البلاء موكل بالمنطق وقرئ الذيب بالهمزة على الاصل وبالتخفيف وقفا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة **قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة** القسم محذوف تقديره والله لئن اكله الذيب واللام موطئة للقسم وقوله **انا اذا لخاسرون** جواب القسم مجزي عن جواب الشرط و~~الجواب في الحال~~ الواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذيب اخاهم من بينهم

وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اي هالكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها قد اعتذر بعذرين ولم اجابوا الا عن احدهما دون الاخر هو الذي يغيظهم ويذيقهم الامرين فاعاروه آذانا صما ولم يعبأوا به **فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه** مفعول اجمعوا من قولك اجمع الامر وازمعه واجمعوا امركم وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به ما فعلوا من الاذى فقد روي انهم لما برزوا به الى البر اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه يضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما القوه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البير فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي لاتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البير فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البير ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا ياتيه بالطعام ويروى ان ابرهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فاخرجه

والبسه اياه وأوحينا إليه قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى
عليهما وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة
لتنبئنهم بأمرهم هذا وانما اوحي اليه ليونس في الظلمة والوحشة ويبشر
بما يؤول اليه امره ومعناه لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا
وهم لا يشعرون انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك
عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيآت والاشكال وذلك انهم حين
دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم
نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له
يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم
لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله
واوحينا على انا انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك
ويحسبون انه مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد
لهم فقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وجاؤا اباهم عشاء
يبكون وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا
واصيلا واصيلانا وروي عشى بضم العين والقصر وقال عشوا
من البكاء وروي ان امرأة تحاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية
اما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان
يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية وروي انه لما سمع صوتهم
فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم
واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق والافتعال
والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير
ذلك والمعنى نتسابق في العدو او في الرمي وجاء في التفسير ننتضل وتركنا
يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا
ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة لشدة محبتك
ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وجاؤا على قميصه بدم

425

كذب ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال
للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه فهن به جود وانتم به بخل
وقرئ كذبا نصبا على الحال بمعنى جاؤا به كاذبين ويجوز ان يكون
مفعولا له وقرأت عائشة كدب بالدال غير المعجمة اي كدر وقيل طري
وقال ابن جني اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذي يخرج على
اظفار الاحداث كأنه دم قد اثر في قميصه وروي ان يعقوب عليه السلم
لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه فالقاه على
وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا
احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف
ثلث آيات كان دليلا ليعقوب عليه السلم على كذبهم والقاه على وجهه
فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر على قميصه
ما محله — محله النصب على الظرف كانه قيل وجاؤا فوق قميصه
بدم جاء على حاله بالحال — هل يجوز ان يكون حالا متقدمة
لا لان حال المجرور لا يتقدم عليه قال بل سولت سهلت من
السول وهو الاسترخاء اي سهلت لكم انفسكم امرا وهونته في
اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرفه من حسدهم وبسلامة القميص
او اوحي اليه بانهم قصدوه فصبر جميل خبر او مبتدأ لكونه موصوفا اي
فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابي فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء في الحديث
المرفوع انه الذي لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى
قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم على كآبة الوجه بل
اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما
بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى
الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان
اي المستعان على احتمال ما تصفون من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه
وجاءت سيارة رفقة يسيرون من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلثة ايام

القاء يوسف في الجب فاخطؤوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة
بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين
القي فيه فعذب بحين الجب يوسف فارسلوا واردهم رجلا يقال له مالك بن
دعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم فادلى
دلوه قال يا بشرى نادى البشرى كانه يقول تعالى فهذا من آونتك وقرئ
يا بشري على اضافتها الى نفسه وفي قراءة الحسن وغيره يا بشريّ بالياء
مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب
مشهورة سمعت اهل السروات يقولون في دعائهم يا سيدي ومولي وعن
نافع يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده
الا ان يقصد الوقف قيل لما ادلى دلوه اي ارسلها في الجب تعلق يوسف
بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراي هذا غلام و
قيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم واسروه الضمير
للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا وجدانهم له في الجب
وقالوا له دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس ان الضمير
لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا و
سكت يوسف مخافة ان يقتلوه وبضاعة نصب على الحال اي اخفوه متاعا
للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اي قطع والله عليم بما يعملون
لم يخف عليه اسرارهم وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم والله
عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع وشروه
بثمن بخس مبخوس ناقص عن القيمة نقصا ظاهرا او زيف ناقص دراهم
لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن وزنا لانهم لا يزنون الا ما
بلغ الاوقية وهي الاربعون ويعدون ما دونها وقيل للقليلة معدودة لان
الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما
وعن السدي اثنين وعشرين وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما
في يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به

لا يبالي بما باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم
باوكس الثمن ولانه يحتمل ان يكون معنى وشروه واشتروه يعني
الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه آبق فخافوا
ان يخطروا بما لهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون استوثقوا منه
لا يابق وفيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا يتقدم على الموصول
الا ان يقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل في اي
شيء زهدوا فيه وقال الذي اشتراه من مصر قيل هو قطفير او اظفير وهو
العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل
من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس
بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبع
عشرة سنة واقام في منزله وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلث
وثلثين وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في ايامه فرعون
موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل
بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز
بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه
فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير
بذلك المبلغ لامرأته اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما
حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربي احسن مثواي والمراد تفقده بالاحسان
والتعهد بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في
كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك لمن ينزل به من رجل او امراة يراد
هل تطيب نفسك بثوائك عنده حق ولك به واللام في لامرأته متعلقة
بقال لا باشتراه عسى ان ينفعنا لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها
نستظهر به على ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتخذه ولدا
نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه
فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلثة العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته

اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا والمرأة التي اتت موسى فقالت لابيها استأ
وابو بكر حين استخلف عمر وروي انه سأله عن نفسه فاخبره بنسبه
فعرفه وكذلك الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه
والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف مكنا ليوسف
في الارض اي كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في ارض مصر
وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه ولنعلمه من تأويل الاحاديث
كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما يحمد عاقبته من علم
وعمل والله غالب على امره اي على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما
يريد ويقضي او على امر يوسف يدبره لا يكله الى غيره فقد اراد اخوته به
ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ان الامر كله بيد الله ولما بلغ اشده قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرون
وثلث وثلثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون آتيناه حكما وعلما
وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها وكذلك
نجزي المحسنين تنبيه على انه كان محسنا في عمله متقيا في عنفوان امره
وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة
ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله وراودته التي هو في بيتها
عن نفسه المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته
عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه عن الشيء الذي لا يريد ان يخرجه من يده
يحتال ان يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التمحل لمواقعته اياها وغلقت
الابواب قيل كانت سبعة وقالت هيت لك وقرئ هيت بفتح الهاء وكسرها
مع فتح التاء وبناؤه كاين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهئت بمعنى تهيأت
يقال هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيأ وهيت لك واللام من صلة الفعل واما في
الاصوات فللبيان كأنه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك قال معاذ الله
اعوذ بالله معاذا انه ان الشأن والحديث ربي سيدي ومالكي يريد قطفير
احسن مثواي اي حين قال لك اكرمي مثواه فما جزاؤه ان اخلفه في اهله

٤٢٧

الخلافة واخونه فيهم انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل
الزناة لانهم ظالمون انفسهم وقيل اراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب
ولقد همت به هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال هممت ولم افعل وكدت وليتني
تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قولك لا افعل ذلك ولا كيدا ولا هما اي
ولا اهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه
ولم ينكل عنه ولقد همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان رأى
برهان ربه جوابه محذوف تقديره لولا ان برهان ربه لخالطها وحذف لان قوله
وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا اني خفت الله معناه لولا ان خفت
الله لقتلته   كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد
اليها   المراد ان نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب
وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد وكما يقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد
تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على
المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما
لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على
الابتلاء على حسب عظم الابتلاء ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه
الله تعالى بانه من عباده المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها
وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم اخف الله تعالى يريد مشارفة
القتل ومشافهته كأنه شرع فيه   قوله وهم بها داخل تحت
حكم القسم في قوله ولقد همت ام هو خارج   الامران جائزان و
من حق القارئ اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما برأسه ان
يقف على قوله ولقد همت به ويبتدئ قوله وهم بها لولا ان رأى برهان
ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين   لم جعلت جواب لولا
محذوفا يدل عليه وهم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما
لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر
الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة

على بعض وانما بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز فلم جعلت
لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم
بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة و
المخالطة لا يكون الا من اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان
منع مانع احدهما قلت نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين
على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها وكان اعماله التفاصيل
يوجب ان التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخا
لطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء
شهوته منها لولا ان راى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة
فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بانه حل الهميان
وجلس منها مجلس المجامع وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع
وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها
فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه
حتى مثل له يعقوب عاضا على انملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من
اناملة وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد
عشر ولدا مما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر
كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد
ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم
راى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها
واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل ادرك عبدي
قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء
وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل تمثال العزيز وقيل قامت المراة الى
صنم كان هناك فسترته وقالت استحيي ان يرانا فقال يوسف استحييت
ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحيي من السميع البصير العليم بذات الصدور
وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله وانبيائه

واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بسبيل ولو وجدت من
يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم
صلوات الله عليه زلته وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذي النون عليهم السلام
وذكر توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثني عليه وسمي مخلصا فعلم بالقطع
انه ثبت في ذلك المقام الدحض فانه جاهد نفسه مجاهدة اولي القوة
والعزم ناظرا في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما
انزل من كتب الاولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق
لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل
له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل ابرهيم عليهما السلم وليقتدي
به الصالحون الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقف العثار
فاخزى الله اولئك في ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون انزال الله
تعالى السورة التي هي احسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدى
بنبي من انبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع
عليها وفي ان ينهاه ربه ثلث كرات ويصاح به من عنده ثلث صيحات بقوارع
القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط
ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا
ينتبه حتى يتداركه الله تعالى بجبريل وباجباره ولو ان اوقح الزناة و
اشطرهم واحدهم حدقة واجلحهم وجها لقي بادنى ما لقي به نبي الله
مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فيا له من مذهب ما افحشه
ومن ضلال ما ابينه كذلك الكاف منصوب المحل اي مثل ذلك التثبيت
ثبتناه او مرفوعه اي الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء من خيانة السيد
والفحشاء من الزنا انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصوا دينهم لله وبالفتح
الذين اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم وقيل ان يريد بالسوء مقدمات
الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا
معناه بعض عبادنا اي هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من

ذرية ابرهيم الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة واستبقا الباب و
تسابقا الى الباب بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه او على
تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منهما يوسف فاسرع يريد الباب ليخرج و
اسرعت وراءه لتمنعه كيف وحد الباب وقد جمعه في قوله وغلقت
الابواب اراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص
فقد روي كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى
خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر اجتذبته من خلفه فانقد اي
انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه والفيا سيدها وصادفا بعلها
وهو قطفير تقول المراة لبعلها سيدي وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك
يوسف لم يصح فلم يكن سيدا له على الحقيقة وقيل الفياه مقبلا يريد ان يدخل وقيل
جالسا مع ابن عم للمراة لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف اذ
لم يواتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على
يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما ايست من مواتاته طوعا
ثم عادت الى قولها ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن
او عذاب اليم وما نافية اي ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان يكون استفهامية بمعنى اي شيء
جزاؤه الا السجن كما تقول من في الدار الا زيد كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف
وانه اراد بها سوءا قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوءا فحقه ان يسجن او يعذب
لان ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط ولما اغرت
وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال هي راودتني عن نفسي ولولا ذلك
لكتم عليها وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين
وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين قيل كان ابن عم لها وانما القى
الله تعالى الشهادة على لسان من هو من اهلها ليكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف
وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذي كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه
الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه
الله تعالى ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي

صلى الله عليه وآله وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف
وصاحب جريج وعيسى لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة
لما ادى مؤدى الشهادة في ان ثبت قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة وما هو بلفظ
الشهادة الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة
لانها قول من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه
دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتذبت ثوبه اليها فقدته
دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها من وجهين احدهما انه اذا كان
تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر
في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص
ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحق
انه قرا من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئا
بسكون العين كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان
لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه قولك ان احسنت الي فقد احسنت اليك من قبل
لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن علي امتن عليك فلما راى قميصه قد من دبر يعني قطفير و
علم براءة يوسف وصدقه وكذبها قال انه ان قولك ما جزاء من اراد باهلك سوءا او ان
هذا الامر وهو طمعها في يوسف من كيدكن الخطاب لها ولامتها ان كيدكن عظيم وانما
استعظم كيد النساء لانه وان كان في الرجال الا ان النساء الطف كيدا وانفذ حيلة ولهن في
ذلك رفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله ومن شر النفاثات في العقد والقصريات من
بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء اكثر مما اخاف
من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن
عظيم يوسف حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له و
تلطيف لمحله اعرض عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري انت لذنبك انك
كنت من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا اذنب متعمدا وانما قال
من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما
وروي انه كان قليل الغيرة وقال نسوة وقال جماعة من النساء وكن خمسا امراة

امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة
اسم مفرد لجمع المرأة وتانيثه غير حقيقي كتانيث اللمة ولذلك لم يلحق فعله تاء التانيث وفيه
لغتان كسر النون وضمها في المدينة في مصر امرأة العزيز يريد قطفير والعزيز الملك
بلسان العرب تراود فتاها غلامها يقال فتاي وفتاتي اي غلامي وجاريتي عن نفسه
قد شغفها حبا خرق قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة
رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة وقد حال هم دون ذلك والج مكان الشغاف تبتغيه
وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران قال كما شعف المهنوءة الرجل
وحبا نصب على التمييز انا لنريها في ضلال مبين في خطاء وبعد عن طريق الصواب فلما سمعت
بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها
وسمي الاغتياب مكرا لانه في خفية وحال غيبة كما يخفي الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن
سرها فافشينه عليها ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات
واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من نمارق وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت
اخرج عليهن قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في ايديهن ان يدهشن
ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ
اذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد ان يقصد الجمع بين المكر به وبهن وتصنع الحيلة لتريه
وايديهن ليقطعن ايديهن فيبكتهن بالحجة وليهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين
مجتمعات في ايديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس الطعام لانهم كانوا
يتكئون للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي عن الاكل متكئا وآتتهن السكاكين
ليقطعن بها ما ياكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية
لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها قال جميل فظللنا بنعمة واتكأنا
وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد متكأ بالمد كأنه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف
كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح وكقوله ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج و
فاهدت متكة لبني ابيها تخبها العثيمه الوقاح وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها
الاترجة التي ذكرها ابو داود في سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل

حبه شغاف

البنادرة وعن وهب اترجا وموزا وبطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشيء
بمعنى بتكه اذا قطعه وقرأ الاعرج متكا مفعلا من تكأ يتكأ اذا اتكأ فلما رأينه
اكبرنه عظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق وقيل كان فضل يوسف على
الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم مررت بيوسف ليلة التي اعرج بي الى السماء فقلت لجبرئيل من هذا فقال يوسف فقيل
يا رسول الله كيف رايته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار في ازقة مصر
يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد
يستطيع وصف يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته
سارة وقيل اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته
دخلت في الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر وكان ابا الطيب اخذ من هذا التفسير
قوله خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في الخدور العواتق وقطعن ايديهن
جرحنها كما تقول كنت اقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها وقلن حاش لله حاشا
كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد قال
حاشا ابي ثوبان ان به ضنا عن الملحاة والشتم وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع
التنزيه والبراءة فمعنى حاشا لله براءة وتنزيه الله تعالى وهي قراءة ابن مسعود على
البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كانه قال براءة ثم قال لله
لبيان من يبرئ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة ابي السمال حاشا
لله بالتنوين وقراءة ابي عمرو حاش لله بحذف الالف الاولى وقرئ حاش لله بسكون
الشين على ان الفتحة اتبعت الالف في الاسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين
وقرئ حاشا الاله فلم جاز في حاشا ان لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة
مراعاة لاصله الذي هو الحرفية الا ترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف
تركوا عن غير معرب على اصله وعلى في قوله غدت من عليه تقلب الالف الى الياء مع الضمير
والمعنى تنزيه الله تعالى من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله ما هذا
بشرا نفين عنه البشرية لغرابة جماله وباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور و
اثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لان الله عز وجل ركز في الطباع ان لا احسن

من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما
وما ركز ذلك فيها إلا لأن الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع أن لا أدخل في الشر من
الشيطان ولا أجمع للخير من الملائكة إلا ما عليه الفئة الخاسئة من المجبرة من تفضيل
الإنسان على الملك وما هو إلا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية
ومكابرتهم في كل باب وإعمال ما عمل ليس هي اللغة القدمى الحجازية وبها ورد
القرآن ومنها قوله ما هن أمهاتهم ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ بشر بالرفع
وهي قراءة ابن مسعود وقرئ ما هذا بشرى أي ما هو بعبد مملوك لئيم إن هذا إلا ملك
كريم تقول هذا بشرى أي حاصل بشرى بمعنى هذا مشترى وتقول هذا لك بشرى أي
بكذا والقراءة هي الأولى لموافقتها المصحف ومطابقة بل ملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه
ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن لموافقتها المصحف واستحقاق أن يحب
ويفتتن به وربأ بحاله واستبعادا لمحله ويجوز أن يكون إشارة إلى المعنى بقولهن عشقت
عبدها الكنعاني تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه
تعني أنكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ
الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق
واستجمع الرأي واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان في يوسف لا مزيد عليه وبرهان لا شيء
أنور منه على أنه بريء مما أضاف إليه أهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان ولئن لم يفعل
ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين الضمير في آمره راجع إلى الموصول
أي يوسف بل إلى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار كما في أمرتك الخير ويجوز
أن تجعل ما مصدرية فيرجع إلى يوسف ومعناه ولئن لم يفعل أمري إياه أي موجب أمري
وقرئ وليكونن بالتشديد والتخفيف أولى لأن النون كتبت في المصحف ألفا على حكم الوقف وذلك
لا يكون إلا في الخفيفة قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وقرئ السجن بالفتح على المصدر
وقال يدعونني على إسناد الدعوة إليهن جميعا لأنهن نصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له
إياك وإلقاء نفسك في السجن والصغار فالتجأ إلى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن
أحب إلي من ركوب المعصية نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونني

إليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة أحب إليه من اللذة كانتا أحب إليه وآثر
عليه نظرا إلى حسن الصبر على احتمالها لوجه الله تعالى وإلى قبح المعصية وإلى عاقبة كل واحدة
منهما لا نظرا إلى مشتهى النفس ومكروهها وإلا تصرف عني كيدهن فزع منه إلى ألطاف الله
تعالى وعصمته كعادة الأنبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا لطلب
الإجبار على التعفف ولا إلجاء إليه أصب إليهن أمل إلى إجابتهن والصبوة الميل إلى الهوى ومنها الصبا
لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ أصب إليهن من الصبابة وأكن
من الجاهلين من الذين لا يعملون بما يعلمون لأنه لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء أو من
السفهاء لأن الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن
ولم يتقدم الدعاء لأن قوله وإلا تصرف عني فيه معنى الطلب للصرف والدعاء باللطف إنه
هو السميع لدعوات الملتجئين إليه العليم بأحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم فاعله مضمر يدل
ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء أي ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير في لهم
للعزيز وأهله من بعد ما رأوا الآيات وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة
لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعا لها وجميلا ولولا زمامه في يدها حتى أنساه
ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه وإلحاق الصغار به كما أوعدته به وذلك
لما أيست من طاعته لها أو لطمعها في أن يذلله السجن ويسخره لها ليسجننه وفي قراءة
الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب بعضهم العزيز ومن يليه أو العزيز وحده على
وجه التعظيم حتى حين إلى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفي
قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر أنه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال
من أقرأك قال ابن مسعود فكتب إليه أن الله تعالى أنزل هذا القرآن فجعله عربيا وأنزله
بلغة قريش فأقرئ بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام ودخل معه السجن مع يدل على
معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الأمير تريد مصاحبا له فيجب أن يكون دخولهما
السجن مصاحبين له فتيان عبدان للملك خبازه وشرابيه رقي إليه أنهما يسمانه فأمر
بهما إلى السجن فأدخلا السجن ساعة أدخل يوسف قال أحدهما إني أراني يعني في المنام
وهي حكاية حال ماضية أعصر خمرا يعني عنبا تسمية للعنب بما يؤول إليه وقيل الخمر بلغة عمان
اسم للعنب وفي قراءة ابن مسعود أعصر عنبا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا

تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين من الذين يحسنون عبارة الرؤيا
اي يجيدونها رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيأولها له فقالا له ذلك او من العلماء
لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بأن
تفرج الغمة بتاويل ما رأيناه ان كانت لك يد في تاويل الرؤيا روي انه كان اذا مرض
رجل منهم قام عليه واذا ضاق اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان في السجن
ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا اصبروا تؤجروا ان لهذا
لاجرا فقالوا بارك الله تعالى عليك ما احسن وجهك واحسن خلقك لقد بورك لنا
في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله بن ذبيح الله اسحاق بن خليل الله
ابرهيم لو استطعت خليت سبيلك ولكني احسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت
وروي ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رأيناك فقال انشدكما بالله ان لا
تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي
من حبها بلاء ثم احبني ابي فدخل علي من حبه بلاء ثم احبتني زوجة صاحبي فدخل
علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي انهما تحالما ليمتحناه فقال
الشرابي اني اراني في بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها
في كاس الملك وسقيته وقال الخباز اني اراني فوق رأسي ثلث سلال فيها
انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها الام يرجع الضمير في قوله
نبئنا بتاويله الى ما قصا عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحوه كانه
قيل نبئنا بتاويل ذلك قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما لما استعبراه
ووصفاه بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو
الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان يأتيهما ويصفه
لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا
الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح اليهما الشرك بالله
وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم
ان يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى ما هو اولى به واوجب
عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم

فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب
التزكية بتاويله بيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب عن معانيه
قبل ان يأتيكما ذلكما اشارة لهما الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات
مما علمني ربي واوحى به الي ولم اقله عن تكهن وتنجم اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله
يجوز ان يكون كلاما مبتدأ وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك واوحى الي
لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية واراد
باولئك الذين لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وهم بالآخرة
هم كافرون وتكرير هم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالآخرة وان غيرهم
هم مؤمنون بها وهم الذين على ملة ابرهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ما هم عليه
من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض
بما مني به من جهتهم حين اودعوه السجن بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وان ذلك
ما لا يقدم عليه الا من هو شديد الكفر بالجزاء واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق
ويعقوب ذكر آباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما
ذكر من اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع واتباع قوله ما كان لنا ما صح لنا
معشر الانبياء ان نشرك بالله من شيء اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان
نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس
اي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم اليه ولكن
اكثر الناس المبعوث اليهم لا يشكرون فضل الله تعالى فيشركون ولا ينتبهون
وقيل ان ذلك من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب
مثل تلك الادلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون
اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين يا صاحبي السجن يريد يا صاحبي في السجن
فاضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة فكما ان الليلة مسروق فيها غير مسروق
فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف ونحوه قولك
لصاحبيك يا صاحبي الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق
ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهما صحباه ويجوز ان يريد يا ساكني السجن

كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار يريد التفرق في العدد والتكاثر تقول لهما ارباب شتى يستعبدكما خير لكما ام ان يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو القهار الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله تعالى وحده ولعبادة الاصنام ما تعبدون من دونه خطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم يعني انكم سميتم ما لا يستحق الالهية الهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا ما انزل الله بها اي بتسميتها من سلطان من حجة ان الحكم في امر العبادة والدين الا لله ثم بين ما حكم به فقال امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت الذي دلت عليه البراهين ولكن اكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن اما احدكما يريد الشرابي فيسقي ربه خمرا سيده وقرا عكرمة فيسقي ربه اي يسقى ما يروى به على البناء للمفعول روي انه قال للاول ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلثة فانها ثلثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه واما الآخر فيصلب فتاكل الطير من راسه وقال الثاني ما رأيت من السلال ثلثة ايام ثم تخرج فتقتل قضي الامر قطع وتم الذي فيه تستفتيان ما تستفتيان فيه من امركما وشانكما ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله وظنا ان ما رأياه في معنى ما نزل بهما فكانهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما عاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رأينا شيئا على ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما وقال للذي ظن انه ناج منهما الظان يوسف ان كان تاويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين اذكرني عند ربك صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني ويخلصني من هذه الورطة فانساه الشيطان ذكر ربه فانسى الشرابي الشيطان ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع

والاكثر على انه لبث فيه سبع سنين كيف يقدر الشيطان على الانساء يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره اما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عز وجل ما ننسخ من آية او ننسها ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اريد به الملك وما هي باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول قد لابسه في قولك فانساه الشيطان ذكره لربه او عند ربه فجاز اضافته اليه لان الاضافة تكون بملابسة او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار لم انكر على يوسف الاستعانة بغير الله تعالى في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وفي الحكاية عن عيسى من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم ياخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاءه سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار كما اصطفى الله الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قراها ويقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس وقال الملك اني ارى لما دنا فرج يوسف راى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته راى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف ياكلهن سبع عجاف فابتلعت العجاف السمان وراى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس

بالسمن هلا قيل سبع عجاف على الاضافة التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف
وصف لا يقع البيان به وحده فقد يقولون ثلثة فرسان وخمسة اصحاب
الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها
ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلثة ضخام واربعة غلاظ ذلك مما يشكل
وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات
ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك
سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف العجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف
جمعا لعجفا وافعل وفعلا لا تجمع على فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دابهم حمل
النظير على النظير والنقيض على النقيض هل في الآية دليل على ان السنبلات اليابسة
كانت سبعا كالخضر الكلام مبني على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف
والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله واخر يابسات
بمعنى وسبعا اخر هل يجوز ان يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون
مجرور المحل يؤدي الى التدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضي ان
يدخل في حكمها فيكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الاخر ان يكون غير السبع
بيانه انك تقول عنده سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال
موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة
رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي
إن كنتم للرؤيا تعبرون كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء واللام في
قوله للرؤيا اما ان تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واما ان تدخل لان
العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه اذا تاخر عنه فعضد بها
كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر الرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة
ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون
خبرا آخر او حالا وان تضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل تنتدبون لعبارة
الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر
اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت مآلها وهو

يقتضي

مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده ورايتهم ينكرون عبرت بالتشديد
والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد في كتاب الكامل لبعض الاعراب رايت رؤيا ثم
عبرتها وكنت للاحلام عبارا قالوا اضغاث احلام تخاليطها واباطيلها وما يكون منها
من حديث نفس ووسوسة شيطان واصل الاضغاث ما جمع من اخلاط النبات وحزم
الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث
احلام ما هو الا حلم واحد فلم قالوا اضغاث احلام فجمعوا هو كما تقول فلان
يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب الا فرسا واحدا وما له الا عمامة فردة تزيدا في
الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا في الوصف الحكم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز
ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين
اما ان يريد بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تاويل فان التاويل
انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واما ان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا في تاويل
الاحلام بنحارير وقال الذي نجا منهما وادكر قرئ وادكر وهو الفصيح وعن الحسن واذكر
بالذال اي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه بعد أمة بعد مدة
طويلة وذلك حين استفتى الملك في رؤياه واعضل على الملأ تاويلها تذكر الناجي يوسف
وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرا الاشهب العقيلي
بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدي ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك
القبور اي بعدما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه اي بعد نسيان يقال امه يامه امها اذا نسي
ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ أنا أنبئكم انا اخبركم به عمن عنده علمه وفي قراءة
انا آتيكم بتاويله فأرسلون فابعثوني اليه لاساله ومروني باستعباره وعن ابن عباس
لم يكن السجن في المدينة فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف أيها الصديق
أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر و
أخر يابسات ايها البليغ في الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه
في تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول ولذلك كلمه كلام محترم فقال لعلي
أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون لانه على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من
علمهم فربما لم يعلموا او معنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم

من محنتك قال تزرعون خبر في معنى الامر كقوله يؤمنون بالله واليوم الآخر ويجاهدون
وانما يخرج الامر في صورة الخبر للمبالغة في ايجاب ايجاد المامور به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه
والدليل على الامر قوله فذروه في سنبله سبع سنين دأبا بسكون الهمزة وتحريكها حفص وهما
مصدر دأب في العمل وهو حال من المامورين اي دائبين اما على تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر
حالا بمعنى ذوي دأب فما حصدتم فذروه في سنبله لئلا يتسوس الا قليلا مما تأكلون ثم
يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن ما كلن من الاسناد المجازي
جعل اكل اهلهن مسندا اليهن الا قليلا مما تحصنون تحرزون وتخبأون ثم يأتي من بعد
ذلك عام فيه يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه
قول الاعرابية غثنا ما شئنا وفيه يعصرون بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم
وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق
للاغاثة ويجوز ان يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي
يغيثهم الله تعالى ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه
وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم
فحذف الجار واوصل الفعل تاول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف
واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تاويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا
خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده الله تعالى علم سنة
معلوم ان المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم
ان علم ذلك من جهة الوحي ذاك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث
الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحي وقال الملك ائتوني به فلما
جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن
انما تأنى وتثبت في اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه
لئلا يتسلق الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا
ما خلد في السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره
وفيه دليل على ان الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه السلام
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لما رئي به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات
العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترطوا ان يخرجوني ولقد عجبت حين اتاه
الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة
وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن شأن
النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شأنهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل
عنه فاراد ان يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة القصة وقص الحديث حتى يتبين
له بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه
انه لم يذكر سيدته بعد ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر
المقطعات ايديهن ان ربي بكيدهن عليم اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله تعالى
لبعد غوره واستشهد بعلم الله تعالى على انه كيدهن وانه بريء مما قرف به او اراد الوعيد
لهن اي هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه قال ما خطبكن ما شأنكن اذ راودتن يوسف
عن نفسه هل وجدتن فيه ميلا اليكن قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء تعجبا من عفته
وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها قالت امرأة العزيز الآن حصحص
الحق اي ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا القى ثفناته
للاناخة قال فحصحص في صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما انا راودته
عن نفسه وانه لمن الصادقين ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن
على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرف به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان
صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن وقد
بقي لنا ولا بد لنا ان ندق في ترويج من ثبتت نزاهته ذلك ليعلم من كلام يوسف اي ذلك
التثبت والتشمير لظهور البراءة ليعلم العزيز اني لم اخنه بالغيب بظهر الغيب في حرمته ومحل
بالغيب الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه خفي عن عينه او وهو غائب عني
خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب
السبعة المغلقة وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده
وكانه تعريض بامرأته في خيانتها امانة زوجها وبه في امانة الله تعالى حين ساعدها

بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز ان يكون تأكيدا للامانة وانه لو كان خائنا لما هدى الله
كيده ولا سدده ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة
معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه
من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله تعالى ولطفه وعصمته فقال وما ابرئ نفسي
من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا يخلو اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا
من الهم ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم
الاحوال ان النفس لامارة بالسوء اراد الجنس اي ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات
الا ما رحم ربي الا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان
اي الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت وأوان الا وقت العصمة ويجوز ان
يكون استثناء منقطعا اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة
وقيل معناه ذلك ليعلم الله اني لم اخنه بالغيب لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة العزيز
اي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق
فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من
اراد باهلك سوءا الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور رحيم
استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكب   كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل على
ذلك   كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قال الملأ من قوم فرعون
ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تامرون وهو من كلام
فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتأخيره ذهب الى ان ذلك
ليعلم متصل بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات
مصنوعة فزعموا ان يوسف حين قال اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت
له امرأة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله تعالى
ورسله وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي يقال استخلصه اذا جعله خالصا لنفسه
وخاصا به فلما كلمه وشاهد منه ما لم يحتسب قال ايها الصديق انك اليوم لدينا مكين
ذو مكانة ومنزلة امين مؤتمن على كل شيء روي ان الرسول جاءه فقال اجب الملك

من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور
الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس
ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك
من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان عمي اسماعيل وكان
الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق
اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان
خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها لا يخرم منها حرفا وقال
له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فيأتيك الخلق من النواحي يمتارون منك
ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك قال اجعلني على خزائن الارض ولني على
خزائن ارضك اني حفيظ عليم امين احفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف
وصفا لنفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك
ليتوصل الى امضاء احكام الله تعالى واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله
بعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية
ابتغاء وجه الله تعالى لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رحم
الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك
سنة   كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت حكمه
مجاهد انه قد اسلم وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى عملا من يد سلطان
جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم
انه لا سبيل الى الحكم بامر الله تعالى ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق
فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى فكان في حكم
التابع له والمطيع وكذلك ومثل ذلك التمكين الظاهر مكنا ليوسف في الارض في ارض مصر
روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين يتبوأ منها حيث يشاء قرئ بالنون والياء
اي كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها
تحت ملكه وسلطانه روي ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له
سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت روي انه قال له اما السرير فاشد به ملكك

وانا الخاتم فانت تدبر امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض اليه امره ثم مات بعد فزوجه الملك امراته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرايم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما راينا كاليوم ملكا اعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله تعالى فيما خولني فما ترى قال الراي رايك قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين **نصيب برحمتنا من** يعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم **من نشاء** من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك **ولا نضيع اجر المحسنين** ان ناجرهم في الدنيا **ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون** قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية **وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون** لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانهم ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحا في البير مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا انفسهم وظنونهم ولان الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف وقيل راوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب على راسه تاج فما خطر ببالهم انه هو وقيل ما راوه لوقوع الامر بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا الا وقوف طلاب الحوائج وانما عرفهم لانه فارقهم وهم رجال وراى زيهم قريبا من زيهم اذ ذاك ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم وكان يتامل ويتفطن وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له **ولما جهزهم بجهازهم** اي اصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاؤوا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم

قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجترا لقوله هذه المسالة روي انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم فاني انكرتكم قالوا نحن من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادي قالوا نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء واسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال كم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا عند ابيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون وان الذي تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم **فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون** فيه وجهان احدهما ان يكون داخلا في حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تاتوني به تحرموا ولا تقربوا وان يكون بمعنى النهي **قالوا سنراود عنه اباه** سنخادعه عنه ونجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده **وانا لفاعلون** وانا لقادرون على ذلك لا نتعايا به او وانا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى **وقال لفتيته** وقرئ لفتيانه وهو جمع فتى كاخوة واخوان في جمع اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اي لغلمانه الكيالين **اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها** لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين **اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون** لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف ان لا يكون عند ابيه من المتاع ما يرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا وقيل علم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون لعلهم يردونها **فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل** يريدون قول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم لانهم اذا انذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل **فارسل معنا اخانا نكتل** نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج اليه وقرئ يكتل بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه **وانا له لحافظون** قال هل

هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ يريد انكم قلتم في يوسف وانا له لحافظون
كما تقولونه في اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك ثم قال فالله خير حافظا
فتوكل على الله تعالى فيه ودفعه اليهم وحافظا تمييز كقولك لله دره رجلا ولله دره
فارسا ويجوز ان يكون حالا وقرئ حفظا وقرا الاعمش فالله خير حافظ وقرا ابو هريرة
خير الحافظين وهو ارحم الراحمين فارجو ان ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين ولما
فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا
ردت الينا وقرئ ردت الينا بالكسر على ان كسرة الدال المدغمة نقلت الى الراء كما قيل في قيل
وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى الضاد ما نبغي للنفي اي
ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا انا قدمنا على
خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته او ما نبغي شيئا وراء
ما فعل بنا من الاحسان او على الاستفهام بمعنى اي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما
تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه اي شيء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الشاهد على
صدقنا وقيل معناه ما نريد منك بضاعة اخرى وقوله هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستأنفة
موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة على معنى ان بضاعتنا ردت فنستظهر بها ونمير
اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب
اخينا كيل وسق بعير زايد على اوساق اباعرنا فاي شيء نبغي وراء هذه المباغي التي
نستصلح بها احوالنا ونوسع ذات ايدينا وانما قالوا ونزداد كيل بعير لما ذكرنا انه كان لا يزيد
للرجل على حمل بعير للتقسيط هذا اذا فسرت البغي بالطلب فاما اذا فسر به
والتزيد في القول كانت الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لانهم صادقون
وابتغاء التزيد عن قولهم فما تصنع بالجمل البواقي اعطفها على قوله ما نبغي على معنى
لا نبغي ما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغي ان
نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب ان اسعى وينبغي
ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع
اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في
رأيهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح ذلك كيل يسير اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا

يعنون ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى
كيل بعير اي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر لا
يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب وانه حمل بعير واحد لا يخاطر لمثله بالولد
ذلك ليعلم قال لن ارسله معكم منافاة حالي وقد رأيت منكم ما رأيت حتى تؤتون موثقا
من الله حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله
موثقا منه لان الحلف به مما يؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله تعالى في ذلك فهو اذن منه
لتأتنني به جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به الا ان يحاط بكم الا ان تغلبوا فلم تطيقوا
الاتيان به او الا ان تهلكوا اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال
ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قولنا لتأتنني به في تأويل النفي معناه
لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة
وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في
النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتأول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله
لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل فلما آتوه موثقهم قال الله على
ما نقول من طلب الموثق واعطائه وكيل رقيب مطلع وقال يا بني لا تدخلوا
من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وانما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد
لانهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة وقد اشتهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك والكرمة
الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار
اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم
بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا
كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك
لم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس
وهل للاصابة بالعين وجه تصح عليه يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء
والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله تعالى و
امتحانا لعباده ليتميز المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر
العين كما قال وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية وعن النبي صلى الله عليه وآله

انه يعوذ الحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة وما
اغني عنكم من الله من شيء يعني ان اراد الله تعالى بكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم
ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه
فليتوكل المتوكلون ثم قال ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي متفرقين ما كان
يغني عنهم راي يعقوب ودخولهم متفرقين من الله من شيء قط حيث اصابهم ما ساءهم
مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان الصواع
في رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم الا حاجة استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة في
نفس يعقوب قضاها وهي شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به وانه
لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني قوله وما اغني عنكم وعلمه بان
القدر لا يغني عنه الحذر ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه ضم اليه بنيامين
روي انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك
عندي فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده
فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته
وجعل يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات
يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وساله عن ولده فقال لي عشرة بنين اشتققت
اسماءهم من اسم اخ لي هالك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك
ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له اني انا اخوك
يوسف فلا تبتئس فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله تعالى قد احسن
الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس تعرف اليه وعن وهب انما قال
له انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى من الحسد والاذى فقد امنتهم
وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه
ولا سبيل الى ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال فاني ادس
صاعي في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيا لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل
فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه المشربة يسقى بها وهي الصواع
قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها

وقيل كانت اناء مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به
الاعاجم وقيل كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر
ثم اذن مؤذن ثم نادى مناد يقال اذنه اعلمه واذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة
ذلك منه روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم امر بهم فادركوا ورد
ثم قيل لهم ايتها العير انكم لسارقون العير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب
وتجيء وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف
وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحاب العير لقوله يا خيل الله اركبي وقرا
ابن مسعود وجعل السقاية على حذف جواب لما كانه قيل فلما جهزهم وجعل السقاية
في رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا
واقبلوا عليهم ماذا تفقدون وقرا ابو عبد الرحمن السلمي تفقدون من افقدته اذا
وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك وقرئ صواع وصاع وصوع بفتح الصاد وضمها
والعين معجمة وغير معجمة ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم يقوله المؤذن يريد انا
بحمل البعير كفيل اوديه الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله قالوا تالله
قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض استشهدوا
بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولانهم دخلوا
وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم
ردوا بضاعتهم التي وجدوها وما كنا سارقين وما كنا نوصف قط
بالسرقة وهي منافية لحالنا قالوا فما جزاؤه الضمير للصواع اي فما جزاء سرقته
ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة منه قالوا جزاؤه من وجد في
رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب
ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في جوابه وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم اي فاخذ
السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كقولك حق زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه
اي فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتدأ
والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد
في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول اخوه

جزاؤه من يقعد الى جنبه فهو هو يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم يقول
فهو جزاؤه مقيما للمظهر مقام المضمر ويحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتداء محذوف اي
المسئول عنه جزاؤهم ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول من
يستفتي في جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم
كذلك نجزي الظالمين فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه
قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش
اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله
لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه وقرأ الحسن وعاء اخيه
بضم الواو وهي لغة وقرأ سعيد بن جبير اعاء اخيه بقلب الواو همزة   لم ذكر ضمير
الصواع مرات ثم انثه   قالوا رجع بالتانيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر و
يؤنث ولعل كان يوسف يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية
وفيما يتصل بهم منه صواعا كذلك كدنا مثل الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه اياه
واوحينا به اليه ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك تفسير للكيد وبيان له لان حكم
في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم ويستعبد
الا ان يشاء الله اي ما كان يأخذه الا بمشية الله تعالى واذنه فيه نرفع درجات من نشاء
في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين وفوق كل
ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه او وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه
في العلم وهو الله عز وعلا   ما اذن الله تعالى لحب ان يكون نحتا فمن اي وجه هذا الكيد
وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وقوله انكم لسارقون فما جزاؤه
ان كنتم كاذبين هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لان قوله انكم لسارقون
تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من
يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو
صرح لهم بالتكذيب كما صرح بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا
يوسف عند متاعنا فاكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها
الى مصالح ومنافع دينية كقوله لايوب وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا حنث

وكقول ابراهيم هي اختي لتسلم من يد الكافر وما الشرايع كلها الا مصالح وطرق الى
التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم الله تعالى في هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح
عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا
قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل ارادوا يوسف وعن انهم لما استخرجوا الصاع من
رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ماذا الذي صنعت
فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع
فقال بنيامين بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع
في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم واختلفوا فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل
كان اخذ في صباه صنما لجده ابي امه فكسره والقاه بين الجيف في الطريق وقيل دخل كنيسة
فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كانت عناق او دجاجة فاعطاها السائل
وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته
وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد
يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه فقالت فقدت منطقة اسحق
فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لي سلم افعل به ما شئت فخلاه
يعقوب عندها حتى ماتت فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم اسرها اضمار على
شريطة التفسير تفسيره قال انتم شر مكانا وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او
كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هي قوله انتم شر
مكانا والمعنى قال في نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من اسرها وفي قراءة
ابن مسعود فاسره على التذكير يريد القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا
انتم شر منزلة في السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم والله اعلم بما تصفون
يعلم انه لم يصح لي ولا لاخي سرقة وليس الامر كما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا
شيخا كبيرا استعطفوه باذكارهم اياه حق يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير
القدر وان بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولدا له قد هلك وهو عليه
ثكلان وانه مستأنس باخيه فخذ احدنا مكانه فخذه بدله على وجه الاسترهان او الاستعباد
انا نريك من المحسنين الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك

في المنزلة

فلا ننبيها قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون
هو كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو
اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى الي
بأخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها في ذلك فلو اخذت غير من امرني باخذه كنت
ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله ان ناخذ نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ
فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من واذا جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله
ظلمنا فلما استيأسوا منه يئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة نحو ما مر في استعصم
خلصوا نجيا النجي على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه
قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجي
كما قيل واذ هم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق
لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال اني اذا ما القوم كانوا انجية ومعنى خلصوا اعتزلوا
وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم نجيا ذوي نجوى او فوجا نجيا اي مناجيا لمناجاة
بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام
كانهم في انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير امرهم على اي صفة يذهبون
وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور
قال كبيرهم في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم في العقل
وهو يهودا الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم
في يوسف فيه وجوه ان يكون ما صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا
عهد ابيكم وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو
من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم في يوسف وان يكون موصولة بمعنى ومن قبل
هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع والنصب فلن
ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف اليه او يحكم الله
لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب وهو
انه هو العليم بحالي في الحزن والاسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة
خير الحاكمين لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا

ان ابنك سرق وقرئ سُرّق اي نسب الى السرقة وما شهدنا عليه بالسرقة الا بما
علمنا من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شيء ابين من هذا وما
كنا للغيب حافظين وما علمنا انه سيسرق حين اعطاك الموثق او ما علمنا انك تصاب به
كما اصبت بيوسف ومن قرأ سُرّق فمعناه وما شهدنا الا بقدر ما علمنا من التسريق وما
كنا للامر الخفي حافظين اسرق بالصحة ام دس الصواع في رحله ولم يشعر واسئل القرية
التي كنا فيها هي مصر اي ارسل الى اهلها فسلهم عن كنه القصة والعير التي
اقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امرا اردتموه والا فما ادرى
ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم فصبر جميل عسى الله
ان ياتيني بهم جميعا بيوسف واخيه وروبيل او غيره انه هو العليم بحالي في الحزن
والاسف الحكيم الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة وتولى عنهم واعرض
عنهم كراهة لما جاؤا به وقال يا اسفى على يوسف اضاف الاسف وهو اشد الحزن
والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف
مما يقع مطبوعا غير متعمد فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض ارضيتم وهم
ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون من سبا بنبا وعن النبي صلى الله عليه وآله
لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه
وآله وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفى
كيف تأسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على
النفس واظهر اثرا هو دليل على تمادي اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده
موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم ينس في المصيبات بعده
ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده وكان الاسف
عليه اسفا على من لحق به وابيضت عيناه من الحزن اذا كثر الاستعبار محقت العبرة
سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا
وقرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل
ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على
الله تعالى من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه سال جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على

واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعاء رجعوا الى قافلة ... لهم اخي هم

يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ظنه بالله ساعة
قط كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ الانسان مجبول على ان
لا يملك نفسه عند الشدائد ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن
ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ولده ابرهيم وقال القلب يحزن والعين تدمع
ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح
والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه بكى على
بعض بناته وهي تجود بنفسها فقيل يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن
البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن انه بكى على
ولد او غيره فقيل له فقال ما رايت الله تعالى جعل الحزن عارا على يعقوب فهو كظيم مملوء من الغيظ
على اولاده ولا يظهر ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا
شده على ملئه والكظم بالفتح مجرى النفس يقال اخذ بكظامه قالوا تالله تفتؤ اراد لا تفتؤ
فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه فقلت
يمين الله ابرح قاعدا ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتوء والفتور
اخوين يقال ما فتي يفعل قال اوس فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع تذكر
يوسف حتى تكون حرضا مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوي فيه
الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف
وجاءت القراءة بهما جميعا وقرأ الحسن حرضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب او
تكون من الهالكين قال انما اشكو بثي البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه على
الناس اي ينشره ومنه باثه امره وابثه اياه ومعنى انما اشكو بثي اني لا اشكو الى احد منكم
والى غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه
عنهم اي فتولى عنهم الى الله تعالى والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جار له قال يا يعقوب قد تهشمت
وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك قال هشمني وافناني ما ابتلاني الله تعالى به من هم
يوسف فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي قال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفرها لي
فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروي انه اوحي
الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب

خلقي الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى
جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم من الله
ما لا تعلمون اي اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به انه ياتيني بالفرج من حيث لا
احتسب وروي انه راى ملك الموت في منامه فساله هل قبضت روح يوسف فقال لا
هو حي فاطلبه وقرأ الحسن وحزني بفتحتين وحزني بضمتين قتادة يا بني اذهبوا فتحسسوا
من يوسف واخيه فتعرفوا منها وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما
تفعل من الاحساس وهو المعرفة فلما احس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب قالوا
لمشاعر الانسان الحواس والجواس ولا تيأسوا من روح الله من فرجه وتنفيسه
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ الحسن وقتادة من روح الله
بالضم اي من رحمته التي يحيا بها العباد فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا
واهلنا الضر الهزال من الشدة والجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها
كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب
قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق
المقل والاقط وقيل زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق
علينا وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة او زدنا على حقنا فسموا
ما هو فضل وزيادة لا يلزمه صدقة لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت
تحل لغير نبينا عليه وآله الصلوة والسلم وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال الم تسمع وتصدق علينا
اراد انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته
الرحمة فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله ان الله يجزي المتصدقين شاهد لذلك لذكر
الله تعالى وجزائه والصدقة العطية التي يبتغى بها المثوبة من الله تعالى ومنه قول الحسن لمن
سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله لا يتصدق انما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او
تفضل علي او ارحمني قال هل علمتم اتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما
عن معرفة وجه القبح الذي يجب ان يراعيه التائب فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
اذ انتم جاهلون لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعني هل علمتم قبحه فتبتم الى الله تعالى
لان علم القبح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم

وتنصحا في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله تعالى على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس
فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ ويدرك ثاره الموتور فلله اخلاق الانبياء
ما اوطاها واسجحها ولله تعالى حصى ما ارزنها وارجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم
لانهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم
جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان في حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم
والرزانة روي انهم لما قالوا مسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال
هذا القول وقيل ادوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن
ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشد
يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله تعالى وجعلت النار عليه بردا وسلاما
واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله تعالى واما انا فكان لي ابن وكان احب
اولادي الي فذهب اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب
فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا
به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا
فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف
لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر
كما صبروا تظفر كما ظفروا ما فعلهم باخيه تعرضهم اياه للغم والنكد بافراده
عن اخيه لابيه وامه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل
للعزيز وايذاؤهم له بانواع الاذى قالوا أإنك لأنت يوسف وقرئ انك على
الايجاب وفي قراءة ابي أإنك او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني
عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر للاستثبات كيف عرفوه
قيل عرفوه في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به انه هو مع علمهم بان ما
خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من نسل ابرهيم لا عن بعض اعزاء مصر وقيل
تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج
عن راسه فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة تشبه الشامة البيضاء
قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا قد سالوه عن نفسه فلم

على ان اخاه كان معلوما لهم لانه كان في ذكر اخيه بيان لما سالوه عنه انه من
يتق من يخف الله وعقابه ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات فان الله لا يضيع اجر المحسنين
اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين قالوا تالله لقد
آثرك الله علينا اي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وان شاننا و
حالنا انا كنا لخاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله تعالى اعزك
بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك قال لا تثريب عليكم اليوم لا تانيب عليكم ولا عتب
واصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما
ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي
ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذي يمزق الاعراض ويذهب بماء الوجوه اليوم متعلق
بالتثريب او بالمقدر في عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اذكركم اليوم ذنبكم وهو
الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال يغفر الله لكم وهو ارحم
الراحمين فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي
والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم يغفر الله لكم بشارة
بعاجل غفران الله تعالى لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اخذ بعضادتي باب الكعبة فقال ما ترون اني فاعل بكم قالوا نظن خيرا
اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروي ان ابا سفيان
لما جاء ليسلم قال له العباس اذا اتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يغفر الله لك ولمن علمك وروي ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه
انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر وان ملكت
فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما
ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة
ابرهيم اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا قيل هو القميص المتوارث الذي كان
في تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبرئيل ان يرسل اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على
مبتلى ولا سقيم الا عوفي يات بصيرا يصير بصيرا كقولك جاء البناء محكما بمعنى صار و
يشهد له فارتد بصيرا او يات الي وهو بصير وينصره قوله وأتوني باهلكم اجمعين

اي يأتني ابي ويأتني آله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم
فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا
ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه
وقرأ ابن عباس فلما انفصل العير قال ابوهم لولد ولده ومن حوله من قومه اني لاجد ريح
يوسف اوجده الله تعالى ريح القميص حين اقبل من مسيرة ثمانين فرسخا لولا ان تفندون
والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة
لانها لم تكن في شبيبتها ذات راي فتفند في كبرها لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني قالوا تالله انك
لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك
للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء البشير القاه طرح البشير القميص على وجهه على وجه
يعقوب فارتد فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه قال الم اقل لكم يعني قوله اني
لاجد ريح يوسف وقوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون
كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولك ان توقع عليه وتريد قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله
واعلم من الله ما لا تعلمون وروي انه سال البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك
على اي دين تركته قال على الاسلام قال الآن تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا
انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم قيل اخر الاستغفار
الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في صدق التوبة
واخلاصها وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة
جمعة في نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال
اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه
ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما
ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة
قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين حتى بلغ جهدهم وظنوا
انها الهلكة نزل جبريل فقال ان الله تعالى قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم
بعدك على النبوة وقد اختلف في استنبائهم فلما دخلوا على يوسف قيل وجه يوسف الى
ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند

والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس
فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان
وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى
ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان
وسبعون ما بين رجل وامراة وخرجوا منها مع موسى والمقاتلون منهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون
رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف آوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن اسحق
كانت امه حية وقيل هما ابوه وخالته ماتت امه فتزوجها وجعلها احد الابوين لان الرابة
تدعى اما لقيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب ومنه قوله واله آبائك ابراهيم و
اسمعيل واسحق وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ما معنى دخولهم عليه
قبل دخولهم مصر كانه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب او بيت ثم دخلوا عليه
وضم اليه ابويه ثم قال لهم ادخلوا ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش لما دخل مصر
وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه فرفعهما على السرير وخروا له
يعني الاخوة الاحد عشر والابوين سجدا ويجوز ان يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي
تحمل على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فآواهما اليه بالضم والاعتناق وقربهما
منه وقد قال بعد ذلك ادخلوا مصر بم تعلقت المشية بالدخول مكيفا
بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن في دخولهم وكانه قيل اسلموا وآمنوا في دخولكم ان شاء الله
ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما ان شاء الله فلا تعلق المشية بالرجوع مطلقا ولكن
مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما ادخلوا مصر ان شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف
الجزاء لدلالة الكلام عليه ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع
التفاسير ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتاخير وان موضعها ما بعد قوله سوف
استغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما ادري ما اقول فيه وفي نظائره
كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله تعالى كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية
والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من افعال
شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه
وقيل معناه وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا ايضا فيه نبوة وقال يا ابت هذا تاويل

رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ يقال احسن
اليه وبه كذلك اساء اليه وبه قال اسيئي بنا او احسني لا ملومة وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ
من البادية لانهم كانوا اهل عمد واصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع مِنْ بَعْدِ
أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي افسد بيننا واغرى واصله من نخس الرايض الدابة
وحمله على الجري يقال نزغه اذا نخسه إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ
لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجي على وجه الحكمة والصواب وروي ان يوسف اخذ
بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فادخله في خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن
الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما اعقك
عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبرئيل قال اوما
تسأله قال انت ابسط اليه مني فسئله قال جبرئيل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان
ياكله الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات
واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش
بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد
فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا
فتخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من
الراي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل
الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرايم وميشا وولد لافرايم نون ولنون
يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم
على بقايا دين يوسف وآبائه الى ان بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم رَبِّ قَدْ
آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ من في من الملك ومن تاويل الاحاديث للتبعيض
لانه لم يؤت الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك مصر وبعض التاويل فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني
بالملك الباقي تَوَفَّنِي مُسْلِمًا طلب للوفاة على حال الاسلام وان تختم له بالخير والحسنى
كما قال يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون ويجوز ان يكون تمنيا للموت على ما قيل وَأَلْحِقْنِي
بِالصَّالِحِينَ من آبائي او على العموم وعن عمر بن عبد العزيز ان ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير

البكاء والمسئلة للموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا احييت سننا وامت بدعا
وفي حيوتك خير وراحة للمسلمين فقال افلا اكون كالعبد الصالح لما اقر الله تعالى عينه وجمع امره
قال توفني مسلما والحقني بالصالحين   علام انتصب فاطر السموات   على انه
وصف لقوله رب كقولك اخا زيد حسن الوجه او على النداء ذَلِكَ اشارة الى ما سبق من نبأ
يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومحله الابتداء وقوله مِنْ أَنْبَاءِ
الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ خبران ويجوز ان يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن انباء الغيب صلته
ونوحيه الخبر وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك
الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اجمعوا امرهم وهو القاؤهم في البئر كقوله
واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب هذا تهكم بقريش وبمن كذبه لانه لم يخف على احد من المكذبين
انه لم يكن من حملة هذا الحديث واشباهه ولا لقي فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم
قومه فاذا اخبر به وقصه هذا القصص العجيب الذي اعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في انه
ليس منه وانه ليس من جهة الوحي فاذا انكروه تهكم به وقيل لهم قد علمتم بالمكابرة انه لم يكن
مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر
وَهُمْ يَمْكُرُونَ بيوسف ويبغون له الغوائل وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ يريد
العموم كقوله ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس اراد اهل مكة اي وما هم بمؤمنين
ولو حرصت وتهالكت على ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ
على ما تحدثهم به وتذكرهم ان ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطى حملة الاحاديث والاخبار
إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ عظة من الله تعالى لِلْعَالَمِينَ عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله
وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته
وتوحيده يَمُرُّونَ عَلَيْهَا ويشاهدونها وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ وهم يعرضون عنها لا يعتبرون بها
وقرئ والارض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرأ السدي والارض بالنصب
على ويطؤن الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها والمراد ما يرون من آثار الامم
الهالكة وغير ذلك من العبر وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ باقراره بِاللَّهِ وبانه خلقه وخلق السموات
والارض إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ الا وهو مشرك بعبادته الوثن وعن الحسن هم اهل الكتاب
معهم شرك وايمان وعن ابن عباس الذين يشبهون الله بخلقه أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ

غاشية

من عذاب الله نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق او تأتيهم
الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان
والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر بقوله ادعوا الى الله على
بصيرة اي ادعوا الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء انا تاكيد للمستتر في ادعوا ومن اتبعني
عطف عليه يريد ادعوا اليها انا ويدعوا اليها من اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدأ وعلى بصيرة
خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على انا اخبارا مبتدأ بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على
هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعوا عاملة الرفع في انا ومن اتبعني وسبحان الله و
ما انا من المشركين وانزهه من الشركاء وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم
لا ملكية لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس يريد ليس فيهم
امراة وقيل في نجاح المتنبئة ولم نزل انبياء الله ذكرانا وقرئ نوحي بالنون من اهل القرى
لانهم اعلم واحكم واهل البادية فيهم الجفا والقسوة افلم يسيروا في الارض فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة ولدار الساعة او الحال الآخرة
خير للذين اتقوا الذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه وقرئ افلا تعقلون بالياء
والتاء حتى اذا استيأس الرسل حتى متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا
من قبلك الا رجالا فتراخى نصرهم حتى اذا استيأسوا عن النصر وظنوا انهم قد كذبوا
اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او رجاؤهم لقوله رجاء صادق ورجاء
كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى وتأميله
قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا
جاءهم نصرنا فجاءهم من غير احتساب قال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال و
يهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجيح
احد الجانبين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس
بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم انهم كذبوا
من جهة الرسل اي كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه وقرئ كذبوا
بالتشديد على وظن الرسل انهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة

وعن ابن عباس فظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر

عليهم وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل انهم قد كذبوا
فيما حدثوا به قومهم فيما وعدهم من النصر اما على تأويل ابن عباس واما على ان
قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم او على ان
ظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا ولو قرئ هذا مشددا لكان وظن الرسل ان
قومهم كذبوهم في موعدهم فنجي من نشاء وقرئ فننجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه
فنجي على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا والمراد بمن نشاء المؤمنون لانهم
الذين يستأهلون ان نشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله ولا يرد بأسنا عن القوم
المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب الضمير في قصصهم للرسل و
ينصره قراءة من قرأ قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخوته
فالاشعر برجع الضمير في ما كان حديثا يفترى فيمن قرأ بالكسر الى القرآن اي ما كان
القرآن حديثا ولكن تصديق الذي بين يديه اي قبله من الكتب السماوية وتفصيل
كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي تستند اليه السنة والاجماع
والقياس بعد ادلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ
ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذي بين يديه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف ايما مسلم تلاها وعلمها اهله و
ما ملكت يمينه هون الله سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

بسم الله الرحمن الرحيم المر تلك آيات الكتاب تلك اشارة
الى آيات السورة والكتاب السورة اي تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها
ثم قال والذي انزل اليك من ربك من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه لا هذه
السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى
اين طرفاها تريد الكملة الله مبتدأ الذي خبره بدليل قوله وهو الذي مد الارض

ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبر ابعد خبر وينصره ما تقدمه
من ذكر الآيات رفع السموات بغير عمد ترونها كلام مستانف استشهاد برؤيتهم لها
كذلك وقيل هي صفة لعمد وتعضده قراءة ابي ترونه وقرئ عمد بضمتين ثم استوى على
العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الامر يدبر امر ملكوته
يفصل الآيات يفصل آياته في كتبه المنزلة لعلكم بلقاء ربكم توقنون
بالجزاء وبان هذا المدبر والمفصل لا بد من الرجوع اليه وقرأ الحسن ندبر بالنون وهو الذي
مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين
اثنين خلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت
وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه
ذلك من الاصناف المختلفة يغشي الليل النهار يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد ما
كان ابيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الارض
قطع متجاورات بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة كريمة الى زهيدة
صلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا
في جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه وجنات
من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان وكذلك الكروم والزروع والنخيل النابتة
في هذه القطع المختلفة الاجناس والانواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة
في الاشكال والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على
وجعل وجنات للعطف على زوجين او بالجر على كل الثمرات وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على
اعناب او جنات والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلهما واحد وقرئ بالضم
فالكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس تسقى بالتاء والياء ونفضل بالنون والياء
على البناء للفاعل والمفعول جميعا بعضها على بعض في الاكل بضم الكاف وسكونها
ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وان تعجب يا محمد من قولهم في انكار البعث
فعجب قولهم حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك
من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسره فكان انكار
من الاعاجيب ائذا كنا ترابا الى آخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم

وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله ائنا لفي خلق جديد اولئك
الذين كفروا بربهم اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم واولئك الاغلال
في اعناقهم وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا وتحرج لهم عن الرشد
اغلال واقياد او هو من جملة الوعيد واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال
ذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يأتيهم العذاب استهزاء منهم
بانذاره وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا
بها فلم يستهزؤوا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة
وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال امثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص
وقرئ المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة للناس
على ظلمهم اي مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه
اوجه ان يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال
وان ربك لشديد العقاب وروي انها لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لولا عفو الله
وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين
كفروا لولا انزل عليه آية من ربه لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء
الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما انت منذر رجل ارسلت منذرا
لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك
رسول الله صلى الله منذر وصحة ذلك حاصل باية آية كانت والآيات كلها سواء في
صحة الدعوى بها لا تفاوت بينها والذي كل شيء بعطاء ربي يعطي كل نبي آية على حسب
اقتضاء علمه بالمصالح وتقديره لها ولكل قوم هاد من الانبياء يهديهم الى الدين
يدعوهم الى الله تعالى بوجه من الهداية وبآية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في آيات
مخصوصة دون وجه آخر او هو ان يكون المعنى انهم الجاحدون كون ما انزل اليك آيات تبعا
فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم
لست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما اردفه

من ذكر آيات علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمه ان اعطاه كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا او مصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باي طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره الله يعلم يحتمل ان يكون كلاما مبتدأ مستأنفا وان يكون المعنى هو الله تفسير الهاد على الوجه الاخير ثم ابتدأ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى وما في ما تحمل ما تغيض الارحام وما تزداد اما موصولة او مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اي حال هو من ذكورة وانوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله عز وجل وغيض الماء وما تزداد اي تأخذ زائدا تقول اخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة واربعة ويروى ان شريكا كان رابع اربعة في بطن امه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون اقل من تسعة اشهر وتزيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ولا من اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الى الارحام وهو لما فيها على الفعلين غير مقدرين ويعضده قول الحسن الغيضوضة ان تضع لثمانية اشهر واقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذي يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام وكل شيء عنده بمقدار بقدر واحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر عالم الغيب والشهادة الكبير العظيم الشان الذي كل شيء دونه المتعال المستعلي على كل شيء بقدرته او الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب ذاهب في سربه بالفتح اي في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى

سواء عنده من استخفى اي طلب الخفاء في مختبأ بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من في معنى الاثنين كقوله نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والضمير في له مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب له معقبات من بين يديه ومن خلفه جماعات من الملائكة يعتقبون في حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء في القاف كقوله وجاء المعذرون يعني المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به وهو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه له معقبات من امر الله او يحفظونه من اجل امر الله تعالى اي من اجل ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه قراءة علي وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بامر الله او يحفظونه من بأس الله ونقمته اذا اذنب بدعائهم له ومسالتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من امر الله اي قضاياه ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين في التكسير ان الله لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من الحال الجميلة بكثرة المعاصي واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ممن يلي امرهم ويدفع عنهم السوء هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا لا يصح ان يكون مفعولا لهما ليسا بفاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع او على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث قال ابو الطيب فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منه

وتخشى الصواعق

وقيل يجاء المطر بمن له فيه ضرر كالمسافر ومن في خرجته التمر والزبيب ومن له بيت
يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع
ويحيا به ﴿وينشئ السحاب الثقال﴾ السحاب اسم الجنس والثقال جمع ثقيلة لانك تقول سحابة
ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امراة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء ﴿ويسبح الرعد
بحمده﴾ ويسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر الحامدين له اي يصيحون بسبحان الله
والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده
وعن علي رضي الله عنه سبحان من سبحت له واذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن
ابن عباس ان اليهود سالت النبي صلى الله عليه واله وسلم عن الرعد ما هو فقال ملك من
الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق
الله تعالى ليس بملك ومن بدع التفاسير المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق
زفرات افيدتهم والمطر بكاؤهم ﴿والملائكة من خيفته﴾ ويسبح الملائكة من هيبته
واجلاله ﴿ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء﴾ ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء
الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال ﴿وهم﴾ يعني الذين كفروا
وكذبوا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وانكروا اياته ﴿يجادلون في الله﴾ حيث ينكرون
على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقوله من يحيي العظام
وهي رميم ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد ويجعلونه بعض الاجسام المتوالدة
بقولهم الملائكة بنات الله تعالى فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا
به الحق وقيل الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد اخا
لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم حين وفد عليه مع عامر بن
الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على
اربد صاعقة فقتله اخبرنا عن ربنا امن نحاس هو ام من حديد ﴿وهو شديد المحال﴾
المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة
واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا
ماحلا مصدقا وقال الاعشى فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال

والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه ياتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ
الاعرج بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من ذئب اي
اشد حيلة ويجوز ان يكون المعنى شديد الفقار ويكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء
فساعد الله اشد وموساه احد ويجوز ان يكون بمعنى الجدل لان الحيوان اذا اشتد محاله كان
منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره الا ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك
ان الفقار عمود الظهر وقوامه ﴿له دعوة الحق﴾ فيها وجهان احدهما ان تضاف الدعوة
الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة
على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه
يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا
بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه
والثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب
وعن الحسن الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق فان قلت ما وجه اتصال هذين
الوصفين بما قبله قلت اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله عز وعلا
ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله
اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة الحق واما على الاول فوعيد للكفرة
على مجادلتهم رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم ان دعا عليهم فيهم ﴿والذين يدعون من دونه﴾ والالهة الذين
يدعوهم الكفار من دون الله عز وعلا ﴿لا يستجيبون لهم بشيء﴾ من طلباتهم ﴿الا كباسط
كفيه الى الماء﴾ الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اي كاستجابة الماء من بسط كفيه
اليه ﴿ليبلغ فاه وما هو ببالغه﴾ يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه
ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا
يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لالهتهم
بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه
شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقرئ تدعون بالتاء كباسط كفيه بالتنوين ﴿وما
دعاء الكافرين الا في ضلال﴾ الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم

وان دعوا الآلهة لم يستطع اجابتهم ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها اي ينقادون لاحداث ما اراده فيهم من افعاله شاؤوا او ابوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه وظلالهم وينقاد له ظلالهم ايضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال بالغدو والآصال وقرئ بالغدو والايصال من اصالوا اذا دخلوا في الاصيل قل من رب السموات والارض قل الله حكاية لاعترافهم وتاكيد له لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من ان يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قول ذلك فاذا قال هذا قوله قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه فيلزمك على هذا كيت وكيت ويجوز ان يكون تلقينا اي ان كعوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقونه ولا يقدرون ان ينكروه قل أفاتخذتم من دونه اولياء ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما ابين ضلالكم قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار خلقوا كخلقه صفة لشركاء يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله تعالى فتشابه الخلق عليهم فتشابه عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله تعالى عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق قل الله خالق كل شيء لا خالق غير الله فلا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة وهو الواحد المتوحد بالربوبية القهار لا يغالب وما عداه مربوب مقهور انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال هذا مثل ضربه الله تعالى للحق واهله وللباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير

والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق واهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به اودية الناس فيحيون به وينفعهم انواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والالات المختلفة ولو لم يكن الا الحديدية التي فيها البأس الشديد لكفى به وان ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء به في منافعه ويبقى آثاره في العيون والبئار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا اذيب لم نكرت الاودية لان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض فما معنى قوله بقدرها بمقدارها الذي عرف الله تعالى انه نافع للممطور عليهم غير ضار الا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف فما معنى قوله ابتغاء حلية او متاع الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في النفع في قوله واما ما ينفع الناس ثم خص المعنى واما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقدون عليه منه وبذاك هو الحلية والمتاع وقوله مما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجير الملوك نحو ما جاء في ذكر الآجر وقد بالهامان على الطين ومن لابتداء الغاية اي ومنه ينشأ زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل جفاء يجفأه السيل اي يرمي به وجفأت القدر بزبدها واجفأ السيل واجفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن ابي حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان ياكل الفار وقرئ يوقدون بالياء اي يوقد الناس للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له اللام متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين والحسنى صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير المستجيبين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستانف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا خبر مبتدأ خبره لو ومع ما في حيزه اولئك لهم

سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد سوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي
ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شيء أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق
كمن هو أعمى دخلت همزة الانكار على الفاء في قوله أفمن يعلم لانكار ان تقع شبهة
بعدما ضرب من المثل في ان حال من علم ان ما انزل اليك من ربك الحق فاستجاب بمعزل من
حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز إنما يتذكر
أولوا الألباب أي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا الذين يوفون
بعهد الله مبتدأ وأولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله
أولئك لهم اللعنة ويجوز ان يكون صفة لأولي الألباب والأول أوجه وعهد الله ما عقدوه على
أنفسهم من الشهادة بربوبيته واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى ولا ينقضون الميثاق
ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم
وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل من الارحام
والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب
الايمان إنما المؤمنون إخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم و
الشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم و
عيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء
في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل ان جماعة دخلوا عليه بمكة
فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد
لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين ويخشون ربهم اي وعيده
كله ويخافون سوء الحساب خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا والذين صبروا مطلقا
فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والاموال ومشاق التكليف ابتغاء وجه ربهم وجه
الله لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع و
لئلا يشمت به الاعداء كقوله وتجلدي للشامتين ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه
للفائت كقوله ما ان جزعت ولا هلعت ولا يرد بكاي زندا وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى
المؤمن ان ينوي منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل
وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا

ولا يسند الى الله تعالى سرا وعلانية يتناول النوافل لانها في السر افضل والفرائض لوجوب
المجاهرة بها نفيا للتهمة ويدرءون بالحسنة اي يخبرون وعنده [illegible] السيئة
ويدفعونها وعن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم
وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا انكروا امروا بتغييره أولئك لهم
عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة لانها التي اراد الله ان يكون عاقبة الدنيا ومرجع اهلها
جنات عدن بدل من عقبى الدار يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم و
ذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
وقرأ ابن عبلة صلح بضم اللام والفتح افصح اعلم ان الانسان لا ينفع اذا تجرد من الاعمال
الصالحة وآباؤهم صالحون جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم
سلام عليكم في موضع الحال لان المعنى سلام عليكم او مسلمين بما صبرتم متعلق
بما صبرتم بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم او
بما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم في الدنيا
لقد استرحتم الساعة كقوله بما قد ارى فيها اوانس ندما وعن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم
عقبى الدار ويجوز ان يتعلق بسلام اي نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه من بعدما اوثقوه من الاعتراف والقبول ويقطعون ما
أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار
يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم
وسوء عاقبتها الله يبسط الرزق لمن يشاء اي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدر
ويقدره دون غيره وهو الذي بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم وفرحوا بالحياة
الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع وفرحوا بما بسط لهم
من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله تعالى وانعامه عليهم ولم يقابلوه
بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وليس الا شيئا نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهي ما
يتعجله من تميرات او شربة سويق ونحو ذلك ويقول الذين كفروا
كيف طابق قولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قوله قل إن الله يضل من يشاء

وقرئ ونعم بفتح النون و
الاصل نعم فخفف بكسر النون
فليستثقل كسرة العين اليها
ومن فتح النون سكن
العين ولم ينقل وقرئ
يدخلونها

هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الآيات الباهرة المتكاثرة التي
اوتيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده
وراء كل آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليه قط كان
موضعا للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد تصميمكم على كفركم ان
الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل الى اهتدائهم
وان انزلت كل آية ويهدي اليه من كان على خلاف صفتكم اناب اقبل الى الحق وحقيقته دخل
في نوبة الخير الذين آمنوا بدل من اناب وتطمئن قلوبهم بذكر الله بذكر رحمته
ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
او تطمئن بذكره لأدلته الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب
وتثبت اليقين فيها ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات
مبتداء وطوبى لهم خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف اي تطمئن
القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا
وطيبا ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك والقراءة في
قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على محليها واللام في لك للبيان مثلها في سقيا لك والواو
في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الاعرابي طيبى لهم فكسر الطاء
لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة كذلك ارسلناك مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني
ارسلناك ارسالا له شأن وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت
من قبلها امم اي ارسلناك في امة قد تقدمتها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء
لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحينا اليك وهم يكفرون
والحال انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة
فمنه فكفروا نعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب
عليهم قل هو ربي لا اله الا هو الواحد المتعالي عن الشركاء عليه توكلت في
نصرتي عليكم واليه متاب فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم ولو ان قرآنا جوابه محذوف كما
تقول لغلامك لو اني قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال عن
مقارها وزعزعت عن مضاجعها او قطعت به الارض حتى تتصدع وتزايل قطعا او كلم

به الموتى فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الانذار
والتخويف كما قال لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله
وهذا يعضده ما ضربت به قوله لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك من ارادة تعظيم ما اوحي
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن وقيل معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير
الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه
كقوله ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله
سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى يتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت
لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست باهون على الله من داود او سخر لنا الريح لنركبها
ونتجر الى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت
لسليمان او ابعث لنا به رجلين او ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب
ومعنى تقطيع الارض على هذا تقطيعها بالسير ومجاوزتها وعن الفراء هو متعلق
بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت به الجبال اي
بجملة وهم وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الارض تشققت
فجعلت انهارا وعيونا بل لله الامر جميعا على معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شيء
وهو القادر على الآيات التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه
والثاني بل لله ان يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على
الاختيار ويعضده قوله افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله يعني مشيئة
الالجاء والقسر لهدى الناس جميعا ومعنى افلم ييأس افلم يعلم قيل هي لغة قوم من
النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء عالم
بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن
ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني
الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم ويدل عليه ان عليا وابن عباس وجماعة من
الصحابة والتابعين قرأوا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو
ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في

ايديا ذليك لاعلام الخالطين في دين الله تعالى المهيمنين عليه لا يعقلون عن جلائله
ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء هذه يد الله
والله فرية ما فيها وتجوز ان يتعلق ان لو يشاء بآمنوا على اولم يقنط عن ايمان هؤلاء
الكفرة الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم **ولا يزال الذين**
كفروا تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم **قارعة** داهية تقرعهم
بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصايب في نفوسهم واولادهم
واموالهم **او تحل** القارعة **قريبا** منهم **من دارهم** فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم
شرارها ويتعدى اليهم شرورها **حتى يأتي وعد الله** وهو موتهم او القيمة **ان الله**
لا يخلف الميعاد وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه
واله وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كان
لا يزال يبعث السرايا فيغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم او تحل انت
يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان
الله تعالى قد وعده ذلك **ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا**
الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيم على لها في المرعى
ثم اخذتهم فكيف كان عقاب هنا جميعا وعيد لهم وجواب اقتراحهم الآيات على
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم استهزاء به وتسلية له **افمن هو قائم** احتجاج
عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله الذي هو قائم رقيب **على كل نفس** صالحة
او طالحة **بما كسبت** يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر
ما يقع خبرا للمبتداء ويعطف عليه **وجعلوا لله** وتمثيله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه
وجعلوا له وهو الله تعالى الذي يستحق العبادة وحده شركاء **قل سموهم** اي جعلتم له شركاء
فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم **ام تنبئونه بما لا يعلم في الارض** على ام المنقطعة
كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل اتنبئونه بشركاء لا يعلمهم
في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به
العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض
ام بظاهر من القول بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك

حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم
وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق
ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن
الخالقين وقرئ اتنبئونه بالتخفيف **بل زين للذين كفروا مكرهم** كيدهم
للاسلام بشركهم **وصدوا عن السبيل** قرئ بالحركات الثلث وقراءة ابي اسحق
وصد بالتنوين **ومن يضلل الله** ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدي **فما له من هاد**
فما له من يقدر على هدايته **لهم عذاب في الحيوة الدنيا** وهو ما ينالهم من القتل
والاسر وسائر المحن ولا يخصهم الا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا **ولعذاب الاخرة**
اشق وما لهم من الله من واق وما لهم من حافظ من عذابه او ما لهم من جهته
واق من رحمته **مثل الجنة التي وعد المتقون** صفتها هي في غرابة المثل وارتفاعه بالا
والخبر محذوف على مذهب سيبويه اي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر
تجري من تحتها الانهار كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج مثل الجنة جنة تجري
من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا مما نشاهده وقرأ علي رضي الله
امثال الجنة على الجمع اي صفاتها **اكلها دائم** كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة
وظلها دائم لا ينسخ في الدنيا بالشمس **تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين**
النار والذين آتيناهم الكتاب يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام
وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا ثمان واربعون بنجران
وثمانية باليمن واثنان وثلثون بارض الحبشة هؤلاء **يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب**
يعني ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفي نجران واشياعهما
من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الا قاصيص وبعض الاحكام والمعاني
مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت رسول الله صلى الله
عليه واله وسلم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرايع كيف اتصل قوله
قل انما امرت ان اعبد الله بما قبله هو جواب للمنكرين معناه قل انما امرت
فيما انزل الي بان اعبد الله **ولا اشرك به** فانكاركم له انكار العبادة

الله تعالى وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله ان لا يشرك
به قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به
شيئا وقرأ نافع في رواية ابي خليد ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف قال وانا
لا اشرك به ويجوز ان يكون في موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله تعالى وحده
والدعوة اليه غير مشرك به اليه ادعو خصوصا لا ادعو الى غيره واليه لا الى
غيره مآب مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم وكذلك انزلناه
ومثل ذلك الانزال انزلناه مأمورا فيه بعبادة الله تعالى وتوحيده والدعوة اليه
والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه
على الحال ولئن اتبعت اهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من
ولي ولا واق كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى امور يوافقهم
عليها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله تعالى عنها وقيل له ولئن تابعتهم على
دين ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك
الله تعالى فلا ينصرك ناصر ولا يقيك واق وهذا من باب الالهاب والتهييج
والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وان لا يزل زال عند الشبهة بعد
بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من شدة الشكيمة بمكان ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية كانوا يعيبونه بالزواج والاولاد
كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وما كان لرسول
ان يأتي باية الا باذن الله وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل كان
الرسل قبله بشرا مثله ذوي ازواج وذرية وما كان لهم ان يأتوا بآيات برأيهم
يأتون بما يقترح عليهم لكل اجل كتاب والشرايع مصالح تختلف باختلاف الاحوال
والاوقات لكل حكم يكتب على العباد اي يفرض عليهم ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله
ما يشاء ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في اثباته او يتركه غير
منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون
بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت
ايمانهم وطاعاتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسي وسائر الحيو

والنبات والاشجار وصفاتها واحوالها والكلام في نحو هذا واسع المحال وعنده ام
الكتاب اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل كائن مكتوب فيه وقرئ و
يثبت وإما نرينك بعض الذي نعدهم وكيف ما دارت الحال اريناك مصارعهم
وما وعدناهم من انزال العذاب او نتوفينك او توفيناك قبل ذلك فانما عليك
البلاغ فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا الحساب لا عليك حسابهم وجزاؤهم
على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل لعذابهم اولم يروا انا نأتي الا
ارض الكفرة ننقصها من اطرافها بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار
الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون
انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق وفي
انفسهم والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه
ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا
ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد
والله يحكم لا معقب لحكمه لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله
الذي يعقبه اي يعقبه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه
بالاقتضاء والطلب قال لبيد طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة
والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس وهو سريع الحساب فيحاسبهم عما قليل
بعد عذاب الدنيا ما معنى قوله لا معقب لحكمه هو جملة محلها النصب
على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على راسه و لا
قلنسوة تريد حاسرا وقد مكر الذين من قبلهم وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم
كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال فلله المكر جميعا ثم فسر ذلك بقوله يعلم
ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار لان من علم كل نفس واعد
لها جزاءها هو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم
وقرئ الكافر والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرئ
جاحد وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر ويقول الذين كفروا لست
مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم لما اظهر الادلة على رسالتي

ومن عنده علم الكتاب والذي عنده علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله لا يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني وبينكم وتعضده قراءة من قرا ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن عنده علم الكتاب وبه ادتفع علم الكتاب في القراءة التي وقع فيها بمن عنده علم الكتاب ويرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه وفي القراءة التي ارتفع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من الموفين بعهد الله

بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب هو كتاب يعني السورة **انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور** وقرئ ليخرج الناس الظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى **باذن ربهم** بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق **الى صراط العزيز الحميد** بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله الذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستيناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله **الله** عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام الغالبة واختص بالمعبود الذي يحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله **الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين** الويل نقيض الوال وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه لا يشتق منه فعل انما يقال ويلا له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقولك سلام عليكم ولما ذكر الخارجين من الظلمات الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل ما وجه اتصال قوله **من عذاب**

شديد بالويل لانهم لان المعنى انهم يقولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون يا ويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا **الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة** مبتدا خبره اولئك في ضلال بعيد ويجوز ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم الذين يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر **ويصدون عن سبيل الله** وقرا الحسن ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال صده عن كذا واصده قال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدودا لتنقله من غير المتعدي الى المتعدي واما اصده فمنقول عن صده لنقله على التعدية لتعدية وليست بفصيحة كاوقفه لان الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة **ويصدون عن سبيل الله** قراءة الحسن **ويبغونها عوجا** ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل **اولئك في ضلال بعيد** اي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل فان قلت فما معنى وصف الضلال بالبعد قلت هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد من الطريق فوصفت به فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال بعيد او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وبعيدا **وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم** ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله تعالى ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى الثقلين وهم على السنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم فلو نزل بالعجمية لم يكن للعرب حجة ايضا قلت لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة او بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان

فاخوه فاعل كما تقول استقر في الدار اخوه

عنده صلة

جر

هلاك

عن ذلك ح

بلسان واحد وكان اولى الالسنة لسان قوم الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه
وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهد من نيابة
التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة
والاقطار المتنازحة والامم والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه
وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس
وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى جزيل الثواب ولانه ابعد من
التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين كلها
مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم
الرسول العربي كل امة بلسانها كما كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك
امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ بلسن قومه واللسن واللسان
كالريش والرياش وقرئ بلسن بضم اللام والسين مضمومة او ساكنة وهو جمع لسان كعماد
وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ورووه عن الضحاك ان
الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلسان قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم
ضمير القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله تعالى انزل التورية من السماء بالعربية ليبين للعرب
وهذا معنى فاسد فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء كقوله فمنكم كافر ومنكم
مؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف
وكان ذلك كناية عن الكفر والايمان وهو العزيز فلا يغلب على مشيته الحكيم
فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا يلطف الا باهل اللطف ولقد ارسلنا موسى باياتنا
ان اخرج قومك من الظلمات الى النور بمعنى اخرج لان الارسال فيه معنى القول
كانه قيل ارسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان يكون ان الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل
بفعل الامر لان الغرض وصلها بما يكون معه في تأويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء
في الفعلية والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم اوعز اليه بان افعل فادخل
عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك وذكرهم بايام الله وانذرهم بوقائعه
التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم
ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس نعماؤه وبلاؤه

فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وانزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم
البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون لكل صبار شكور يصبر على بلاء الله ويشكر
نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم او افاض عليهم من النعم
تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان
الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم واذ قال موسى لقومه اذكروا
نعمة الله عليكم اذ انجاكم من آل فرعون ظرف للنعمة العطية بمعنى
الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت هل يجوز ان ينتصب
بعليكم لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة
اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى
اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الوجهين انك اذا قلت نعمة
الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة او نحوها والا
كان كلاما حتى تقول فائضة ويجوز ان يكون بدلا من نعمة الله اي اذكروا
وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وههنا ويذبحون مع الواو فما
الفرق الفرق ان الذبح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له
وحيث اثبت جعل الذبح حيث طرح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه
زيادة ظاهرة كانه جنس آخر كيف كان فعل آل فرعون بلاء من
ربهم تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله تعالى
ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون
ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير
فابلاهما خير البلاء الذي يبلو واذ تأذن ربكم من جملة ما قال موسى لقومه
وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه
اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم ومعنى تأذن ربكم آذن ربكم
ونظير تأذن وآذن توعد واوعد وتفضل وافضل ولا بد في تفعل من زيادة معنى

ليس في افعل كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح
الشبه والمعنى واذ تاذن ربكم فقال لئن شكرتم او اجرى تاذن مجرى
قال لانه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لئن شكرتم اي ان
شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان
الخالص والعمل الصالح لازيدنكم نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما اتيتكم
ولئن كفرتم وغمطتم ما انعمت به عليكم ان عذابي لشديد لمن كفر نعمتي وقال
موسى ان تكفروا انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض جميعا والناس كلهم فانما
ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم وانتم اليه محاويج فان
الله لغني عن شكركم حميد مستوجب للحمد بكثرة انعمه واياديه وان لم يحمده
الحامدون الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود
والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جملة من مبتدا وخبر وقعت اعتراضا
او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى
انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس بين عدنان
واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية قال كذب
النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد فردوا
ايديهم في افواههم فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا
عليكم الانامل من الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده
على فيه واشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم فقالوا انا
كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق
الا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به
وهذا قول قوي او وضعوها على افواههم يبكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون
وقيل الايدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادي اي ردوا نعم الانبياء التي هي
اجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع
والايات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها
في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق التمثيل وإنا لفي شك

467

مما تدعوننا اليه من الايمان بالله وقرئ تدعونا بادغام النون مريب موقع
في الريبة او ذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن
الى الامر قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض ادخلت
همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك
فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه يدعوكم ليغفر
لكم من ذنوبكم اي يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة
كقولك دعوته لينصرني ودعوته لياكل معي قال شعر دعوت لما نابني مسورا
فلبى فلبي يدي مسور ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم
ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون
يغفر لكم من ذنوبكم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم
وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم الى ان قال يغفر لكم
ذنوبكم للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد وقيل اريد
انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها
ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت قد سماه الله وبين مقداره يبلغكموه ان
امنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت قالوا ان انتم ما انتم الا بشر
مثلنا لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو
ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملئكة
تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين بحجة
بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين
اية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم
تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها
فاما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا
منهم واقتصروا على قولهم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة
لانه قد علم انهم لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لاختصاصهم بها
لخصائص فيهم قد استاثروا بها على ابناء جنسهم وما كان لنا ان ناتيكم

بسلطان الا باذن الله ارادوا ان الاتيان بالآية التي اقترحتموها ليس الينا
ولا في استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق بمشية الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا اوليا وامروها
به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم
وما يجري علينا منكم الا ترى الى قوله وما لنا الا نتوكل على الله ومعناه
واي عذر لنا في ان لا نتوكل عليه وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما
آذيتمونا قد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا
الذي يجب عليه سلوكه في الدين كيف كرر الامر بالتوكل
وقوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا
من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ليكونن احد الامرين لا محالة
اما اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك كانهم كانوا على
ملتهم حتى يعودوا فيها معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة
وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن
عاد ما عدت اراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن
آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد فاوحى اليهم ربهم لنهلكن
الظالمين حكاية تقتضي اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب
منه وقرأ ابو حيوة ليهلكن ولنسكننكم الارض من بعدهم بالياء اعتبارا
لاوحى وان لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن ولاخرجن
والمراد بالارض ارض الظالمين وديارهم ونحوه واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون مشارق الارض ومغاربها واورثكم ارضهم وديارهم وعن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت
هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا منها ويؤذيني فيه
فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالي يترددون فيها
ويدخلون في دورها ويخرجون ويامرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله

الاول لاستحداث التوكل

عليه وآله وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله ذلك اشارة الى ما قضى به
الله تعالى من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اي ذلك الامر
حق لمن خاف مقامي موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف
فيه عباده يوم القيمة او على اقامتي المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله
والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا واستنصروا
الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله وسألوه
القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا
بالحق وهو معطوف على فاوحى اليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه
على لنهلكن اي اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا
وخاب كل جبار عنيد معناه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد
وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل
على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه من ورائه جهنم
من بين يديه قال عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على
شفيرها او وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف علام
عطف ويسقى على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى
ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه
الموت من كل مكان وما هو بميت ما وجه قوله من ماء صديد
صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم
بينه بقوله صديد وهو ماء يسيل من جلود اهل النار يتجرعه يتكلف جرعه
ولا يكاد يسيغه دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون
الاساغة كقوله لم يكد يراها اي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها ويأتيه
الموت من كل مكان وما هو بميت كان اسباب الموت واصنافه كلها
قد تألبت عليه واحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام
وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة

وخاف وعيد

ومن ورائه ومن بين يديه عذاب غليظ اي في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا
اشد مما قبله واغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد
ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اي استمطروا والفتح المطر في سني القحط
التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله فلم يسقوا فذكر الله سبحانه ذلك
وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو
صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستانف منقطع عن
حديث الرسل واممهم مثل الذين كفروا بربهم هو مبتدأ محذوف الخبر
عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار
للصفة التي فيها غرابة وقوله اعمالهم كرماد جملة مستانفة على تقدير
سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل
اعمال الذين كفروا بربهم او هذه الجملة خبر للمبتدأ اي صفة الذين كفروا
اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او يكون اعمالهم
بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر اشتدت
به الريح وقرئ الرياح في يوم عاصف جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح
او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكور لريحها وقرئ في
يوم عاصف بالاضافة اعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة
الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة
الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها
هباء منثورا لبنائها على غير اساس من معرفة الله والايمان به وكونها
لوجهه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم القيمة مما كسبوا
من اعمالهم على شيء اي لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد
المطير في الريح على شيء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى بعد ضلالهم
عن طريق الحق او عن الثواب الم تر ان الله خلق السموات والارض
بالحق بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة
وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد اي هو

قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف
شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على
الشيء وجنس ضده وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه
قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى
شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريكك اصبعك اذا دعاك اليه
داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآية بيان لابعادهم في الضلال وعظيم
خطائهم في الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة
وحكمته البالغة وانه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في
دار الجزاء وبرزوا لله جميعا ويبرزون يوم القيمة وانما جيء به بلفظ الماضي
لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب
الجنة ونادى اصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى
عنه شيء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش
ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند انفسهم
وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية او خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه
فقال الضعفؤا للذين استكبروا لم كتب الضعفؤا بواو
قبل الهمزة كتب على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو
ونظيره علمؤا بني اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام والذين استكبروا
سادتهم وكبراؤهم الذين استغووهم واستتبعوهم وصدوهم عن الاستماع
الى الانبياء واتباعهم انا كنا لكم تبعا تابعين جمع تابع على تبع كقولهم
خادم وخدم وغائب وغيب او ذوي تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا فهل
انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء اي فرق بين من في من عذاب
الله وبينه في من شيء هو بعض عذاب الله ويجوز ان يكونا للتبعيض معا بمعنى
انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله اي بعض بعض عذاب الله
ما سوق له قالوا لو هدانا الله لهديناكم الذي قال لهم الضعفاء
كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل انتم مغنون

عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا انهم لا يقدرون على الاغناء عنهم
فاجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله لو هداهم الى الايمان
لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب في ضلالهم واضلالهم على الله
كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا لو شاء
الله ما عبدنا من دونه من شيء يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه
في الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون
له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء ويجوز ان يكون المعنى لو كنا من
اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو
هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم اي لاغنينا عنكم وسلكنا بكم
طريق النجاة من العذاب لهديناكم كما سلكنا بكم سبيل الهلكة سواء
علينا اجزعنا ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية
ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون
خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون
سواء علينا كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله
اتصاله بما قبله من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء
علينا اجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلال
التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع
كما لا فائدة في الصبر والامر من ذلك اطم او لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة
لاغنينا عنكم وانجيناكم اتبعوه الاقناط من النجاة فقالوا ما لنا من محيص
منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين
جميعا كانه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب والمحيص
يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه
وجاض عنه بمعنى واحد وقال الشيطان لما قضي الامر لما قطع الامر وفرغ منه
وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الآخر النار
روي ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقياء من الجن والانس فيقو

ذلك ان الله وعدكم وعد الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى
لكم بما وعدكم ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم وما كان
لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجئكم
اليها الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني
وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب فاستجبتم
لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم حيث اغتررتم بي واطعتموني اذ دعوتكم
ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة
او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا
التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان
الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه قول الشيطان باطل لا
يصح التعلق به لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر
انكاره على انه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام الا ترى الى قوله
ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق والصدق
وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين ما انا بمصرخكم وما
انتم بمصرخي لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة
وقرئ بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول
قال لها هل لك يا تا في قالت له ما انت بالمرضي وكانه قدر ياء الاضافة ساكنة
ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر
لما عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا
مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء
جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكانها ياء وقعت
ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل هذا قياس
حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه
القياسات اني كفرت بما اشركتمون من قبل ما في بما اشركتموني مصدرية ومن قبل

متعلق باشركتموني يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اي في الدنيا كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم ومعني كفره باشراكهم اياه تبريه منه واستنكاره له كقوله ويوم القيمة يكفرون بشرككم انا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة اي كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت اشركنيه فلان اي جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعني اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان زينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا آخر قول ابليس وقوله ان الظالمين لهم عذاب اليم قول الله عز وجل ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس وانما حكي الله عز وجل ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول فيه الشيطان ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم وقرئ فلا يلوموني بالياء علي طريقة الالتفات كقوله حتي اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقراء الحسن وعمرو بن عبيد وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها علي فعل المتكلم بمعني وادخل انا وهذا دليل علي انه من قول الله تعالي لا من قول ابليس باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره فبم يتعلق باذن ربهم في القراءة الاخري وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم الوجه في هذه القراءة ان يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده اي تحيتهم فيها سلام باذن ربهم يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم الم تر قرئ الم تر ساكنة الراء كما قرئ من بعثنا وفيه ضعف كيف ضرب الله مثلا اعتمد مثلا ووضعه وكلمة طيبة اي جعل كلمة طيبة مثلا كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله علي فرس ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اي ضرب كلمة طيبة مثلا بمعني جعلها مثلا

كم

ثم قال كشجرة طيبة علي انها خبر مبتداء محذوف بمعني هي كشجرة طيبة اصلها ثابت يعني في الارض ضارب بعروقه فيها وفرعها واعلاها وراسها في السماء ويجوز ان يكون يريد وفروعها علي الاكتفاء بلفظ الجنس وقراء انس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها اي فرق بين القراءتين قلت قراءة الجماعة اقوي معني لان في قراءة انس اجريت الصفة علي الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قائم فهو اقوي معني من قولك مررت برجل قائم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل حسنة كالتسبيحة والتحميد والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر ان رسول الله صلي الله عليه وآله قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر يا بني لو كنت قلتها لكانت احب الي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم الا انها النخلة وعن ابن عباس شجرة في الجنة وقوله في السماء تريد معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه تؤتي اكلها كل حين تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة كمثل شجرة خبيثة اي صفتها كصفتها وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا علي كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله اجتثت من فوق الارض في مقابلة قوله اصلها ثابت ومعني اجتثت استوصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها ما لها من قرار اي استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول

قايم

الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت ولا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه
من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة
فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان تلزم عنق
صاحبها حتى يوافي بها القيمة يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة القول الثابت الذي ثبت بالحجة البالغة
والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم
به في الدنيا انهم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب
الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما
ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم في الآخرة انهم اذا سئلوا عند
تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم
اهوال الحشر وقيل معناه الثابت عند سؤال القبر وعن البراء بن عازب ان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه
في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك
ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء
ان صدق عبدي فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت و
يضل الله الظالمين الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وانما اقتصروا على تقليد
كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون اباءهم فقالوا انا وجدنا اباءنا
على امة واضلالهم في الدنيا انهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل اقدامهم
اول شيء وهم في الآخرة اضل وازل ويفعل الله ما يشاء اي توجه الحكمة
لان مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم
عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم
وبين شأنهم عند زللهم الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا لان شكرها
الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكانهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه
تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكر رزقكم حيث
وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على

اي شكر نعمة الله تعالى

انهم لما

انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم
الكفر بدل النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة
اسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته واكرمهم بمحمد صلى الله عليه
وآله وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله
بالنعمة في الرخاء والسعة لايلاف الرحلتين فكفروا نعمة الله فبدل حالهم
من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة في الرخاء ففتنهم بالقحط سبع سنين
فحصل لهم الكفر بدل النعمة وهم اهل مكة اسكنهم كذلك حين اسروا
وقتلوا يوم بدر وقد ذهبت عنهم وبقي الكفر طوقا في اعناقهم وعن عمر رضي الله عنه هم
الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر
واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه
واحلوا قومهم ممن تابعهم على الكفر دار البوار دار الهلاك وعطف جهنم
يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قرئ
ليضلوا عن سبيله بفتح الياء وضمها الضلال او الاضلال لم يكن
غرضهم في اتخاذ الانداد فما معنى اللام لما كان الضلال او الا
لم يكن غرضهم نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام في قولك جئتك
لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه و
التقريب قل تمتعوا ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وانهم لا يعرفون
غيره ولا يريدونه مأمورون به قد امرهم آمر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه
ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على
ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار ويجوز
ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار
قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال المقول محذوف لان جواب قل يدل
عليه وتقديره قل لعبادي الذين آمنوا اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة
وينفقوا وجوزوا ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا

على دار البوار عطف بيان

ضلال

هي المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو
قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز علانية نصب
سرا وعلانية على الحال اي ذوي سر وعلانية بمعنى مسرين و
معلنين او على الظرف اي وقتي سر وعلانية او على المصدر اي انفاق سر و
انفاق علانية والمعنى اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب
الخلال المخالة كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه
لا بيع فيه ولا خلال من قبل ان الناس يخرجون اموالهم في عقود
المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الاصدقاء
ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه الله خالصا
كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله
الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال
اي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات
والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال
بالرفع الله مبتدا و الذي خلق السموات والارض خبره انزل من السماء
ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم من الثمرات بيان للرزق اي اخرج به رزقا
هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول اخرج ورزقا حالا من المفعول
او نصبا على المصدر من اخرج لانه في معنى رزق وسخر لكم الفلك لتجري
في البحر بامره بقوله كن وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين
يدابان في سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان
من الارض والابدان والنبات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان
خلفة لمعاشكم وسباتكم وآتيكم من كل ما سألتموه من للتبعيض اي
آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا في مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين و
ما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال اي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه
ويجوز ان يكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم
تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سألتموه وطلبتموه بلسان الحال

وان

وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ
آخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر
عليه ولا يعلمه الا الله ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها
كفار شديد الكفران لها وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في
النعمة يجمع ويمنع والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدا
منه واذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد يعني البلد الحرام زاده الله
امنا وكفاه كل باغ ظالم واجاب فيه دعوة خليله ابرهيم آمنا ذا امن
اي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا
البلد آمنا قد سأل في الاول ان يجعله من جملة البلاد التي يأمن
اهلها ولا يخافون وفي الثاني ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى
ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا واجنبني وقرئ واجنبني
وفيه ثلث لغات جنبه الشر وجنبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبني
شره بالتشديد واهل نجد جنبني شره واجنبني والمعنى ثبتنا وادمنا
على اجتناب عبادتها وبني ان نعبد الاصنام اراد بنيه من صلبه وسئل
ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل
صنما واحتج بقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام انما كانت انصاب حجارة
لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت وكانوا يدورون
بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار
بالبيت رب انهن اضللن كثيرا من الناس فاعوذ بك ان تعصمني و
بني من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن
اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اي افتتنوا بها واغتروا
بسببها فمن تبعني على ملتي وكان حنيفا مسلما مثلي فانه مني اي هو بعضي
لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا
اي ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم ومن
عصاني فانك غفور رحيم تغفر له ما سلف منه من عصيانه اذا بدا له

واستحدث الطاعة لي وقيل معناه ومن عصاني فيما دون الشرك ربنا اني
أسكنت من ذريتي بعض اولادي وهم اسمعيل ومن ولد منه بواد وهو وادي
مكة غير ذي زرع لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذي
عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير عند بيتك
المحرم قيل للبيت المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله
حرما لمكانه او لانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان
يجتنب او لانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها او لانه حرم على الطوفان
اي منع كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه ربنا ليقيموا الصلوة
اللام متعلقة باسكنت اي ما اسكنتهم بهذا القفر الوادي الخلا البلقع
من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلوة عند بيتك المحرم ويعمروه
بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة
التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك بالعكوف
عند بيتك والطواف به والركوع والسجود مستنزلين الرحمة التي آثرت
بها سكان حرمك فاجعل افئدة من الناس افئدة من افئدة الناس ومن
للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه
فارس والروم وقيل لو لم يقل من لازدحموا عليها حتى الروم والترك والهند
ويجوز ان تكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم يريد قلبي فكانه قيل افئدة
ناس وانما نكرت المضاف اليه في هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها في الآية
نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما
ان تكون من القلب كقولهم آدر في ادؤر والثاني ان يكون اسم فاعل من
افدت الرحلة اذا عجلت اي جماعة او جماعات يرحلون اليهم ويحلون
نحوهم وقرئ افدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه
ان تخفف باخراجها بين بين وان يكون من افد تهوي اليهم تسرع اليهم
وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله يهوي مخارمها هوي الاجدل
وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى

اليهم من هوي يهوى اذا احب ضمن معنى نزع تعدى بتعديته و
ارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا ما فيه شيء منها بان تجلب اليهم
من البلاد لعلهم يشكرون النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة
في واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم ان الله عز وجل اجاب دعوته
فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله في وجود
اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى اخصب البلاد واكثرها ثمارا
وفي اي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي يريكها الله بواد
غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من
الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب
متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وادام لنا التشرف بالدخول
تحت دعوة ابرهيم عليه السلم ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب
السليم النداء المكرر دليل التضرع واللجاء الى الله ربنا انك تعلم ما
نخفي وما نعلن تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه لان غيبا من
الغيوب لا يحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا وبما يفسدنا منا
وانت ارحم الراحمين بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء و
الطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك
وافتقارا الى ما عندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما
يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في اصابة معروفه مع توفر السيد على
حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطاء عليه
النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لا يذكر استقصارا ولا توهما للغفلة
عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته ان لا يتكلم فيها
وقيل ما نخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء
وقيل ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ما جرى بينه وبين هاجر
حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قالت آلله
امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا نخشى تركتنا الى كاف وما يخفى على الله

من شيء في الارض ولا في السماء من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم
كقوله وكذلك يفعلون او من كلام ابرهيم يعني وما يخفى على الله الذي هو عالم
الغيب من شيء في كل مكان ومن للاستغراق كانه قيل وما يخفى عليه شيء ما
الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق على في قوله على الكبر
بمعنى مع كقوله اني على ما ترين من كبري اعلم من حيث تؤكل الكتف وهو في موضع
الحال معناه وهب لي وانا كبير وفي حال الكبر روي ان اسمعيل ولد له
وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة
وقد روي انه اسمعيل ولد له لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير
لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وولد له وانما ذكر حال الكبر
لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع الياس من الولادة
والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم واحلاها في نفس الظافر ولان الولادة
في تلك السن العالية كانت آية لابرهيم ان ربي لسميع الدعاء كان قد دعا
ربه وسأله الولد فقال رب هب لي من الصالحين فشكر الله ما اكرمه به
من اجابته الله تعالى يسمع كل دعاء اجابه او لم يجبه
هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن
حمده وفي الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن
ما هذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء اضافة الصفة
الى مفعولها واصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة ابنية المبالغة
العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب اخاه ومنحار ابله
وحذر امورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل
دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله رب اجعلني مقيم
الصلوة ومن ذريتي وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض
لانه علم باعلام الله انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال
عهدي الظالمين ربنا وتقبل دعائي اي عبادتي واعتزلكم وما تدعون من
دون الله ربنا اغفر لي ولوالدي على الافراد يعني اباه وقرأ الحسن بن علي

ولولديّ يعني اسمعيل واسحق وقرئ ولوُلدي بضم الواو والوُلد بمعنى الولد
كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد في اسد وفي بعض المصاحف ولذريتي
كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين
هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل اراد بوالديه
آدم وحوا وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن
لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى
الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابرهيم يوم يقوم الحساب
اي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت
الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوءها
كانها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا
او يكون مثل واسئل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم
يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق اهله وجعله
اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلوة واراه مناسكه وتاب عليه
وعن ابن عباس انه قال كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابرهيم
ربنا اني اسكنت الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم
تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل ولا تحسبن الله غافلا عما
يعمل الظالمون ان كان خطابا لرسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا
كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر
يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه
غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم
على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم
يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون
ولكن ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل معاملة الرقيب عليهم

المحاسب على النقير والقطمير وإن كان خطابا لغيره ممن يجوز أن يحسبه غافلا
لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم
فقيل له من قال هذا فغضب وقال إنما قاله من علمه وروي إنما نؤخرهم
بالنون والياء ليوم تشخص فيه الأبصار أي أبصارهم لا تقر في أماكنها من
هول ما ترى مهطعين مسرعين إلى الداعي وقيل الإهطاع أن تقبل ببصرك
على المرئي تديم النظر إليه لا تطرف مقنعي رؤوسهم رافعيها لا يرتد إليهم طرفهم
لا يرجع إليهم أن يطرفوا بعيونهم أي لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة
ممدودة من غير تحريك للأجفان أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم
وأفئدتهم هواء الهواء الخلاء الذي لم تشغله الأجرام فوصف به فقيل
قلب فلان هواء إذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال للأحمق أيضا
قلبه هواء قال زهير شعر من الظلمان جؤجؤه هواء لأن النعام مثل في الجبن و
الحمق وقال حسان فأنت مجوف نخب هواء وعن ابن جريج أفئدتهم هواء صفر
من الخير خاوية منه وقال أبو عبيدة جوف لا عقول لهم وأنذر الناس
يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لأنذر وهو يوم القيمة ومعنى فيقول
الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب ردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد
وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة دعوتك واتباع رسلك
أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين
بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وأنهم يسألون يومئذ أن
يؤخرهم ربهم إلى أجل قريب كقوله لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق أولم
تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال على إرادة القول وفيه وجهان أن يقولوا
ذلك بطرا وأشرا ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وأن يقولوا
بلسان الحال حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا وما لكم من زوال جواب القسم
وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل ما لنا
من زوال والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل
لا تنتقلون إلى دار أخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد

نجب دعوتك ونتبع الرسل

أقسمتم من قبل

أيمانهم لا يبعث الله من يموت يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى
وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم لأن السكنى من السكون
الذي هو اللبث والأصل تعديته بفي كقولك قر في الدار وغني فيها وأقام
فيها ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل
تبوأها وأوطنها ويجوز أن يكون سكنوا من السكون أي قروا فيها واطمأنوا
طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي
الأولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا وتبين
لكم كيف فعلنا بهم كيف أهلكناهم وانتقمنا منهم وقرئ ونبين
لكم وضربنا لكم الأمثال أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة
كالأمثال المضروبة لكل ظالم وقد مكروا مكرهم أي مكرهم العظيم
الذي استفرغوا فيه جهدهم وعند الله مكرهم لا يخلو إما أن يكون
مضافا إلى الفاعل كالأول على أن المعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم
عليه بمكر هو أعظم منه أو يكون مضافا إلى المفعول على معنى وعند الله مكرهم
فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو يكون مضافا إلى المفعول على معنى
وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم
به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال
وإن عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه و
شدته أي وإن كان مكرهم مسوى لإزالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت
إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليضيع إيمانكم والمعنى و
محال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لأنها
بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا ومنه قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم
وقرئ لتزول بلام الابتداء على وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول الجبال
وتنقلع عن أماكنها وقرأ علي وعمر وإن كاد مكرهم فلا تحسبن الله
مخلف وعده رسله يعني قوله إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا و
رسلي هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني

على الاول قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف الوعد احدا وليس من شانه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم ان الله عزيز غالب لا يماكر ذو انتقام لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض انتصابه على البدل من يوم ياتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا امت وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير وانشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم

وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل يخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضا كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون

كيف قال وبرزوا لله الواحد القهار هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان الامر في غاية الصعوبة والشدة وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله في الاصفاد اما ان يتعلق بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد

القيود وقيل الاغلال وانشد لسلامة بن جندل

وزيد الخيل قد لاقى صفادا يعض بساعد وبعظم ساق

سرابيلهم من قطران القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهو القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله او وعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطر آن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره وتغشى وجوههم النار كقوله افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى اي يفعل ما يفعل ليجزي الله كل نفس مجرمة ما كسبت ان الله سريع الحساب او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم هذا بلاغ للناس كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب ولينذروا به معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا به بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وبعدد من لم يعبد

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان ربما يود الذين كفروا قرئ ربما وربتما بالتشديد وربما وربتما بالضم والفتح مع التخفيف لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي لان المترقب في اخبار الله عز وجل بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود متى يكون ودادتهم عند الموت او يوم القيمة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا من الودادة فما معنى التقليل هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحري ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة لو كانوا مسلمين حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لافعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم اهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان كانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل

يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويلههم الامل ويشغلهم املهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة الا خيرا فسوف يعلمون سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من اهل الخذلان وانهم لا يجيء منهم الا ما هم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشانهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يامرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب كتاب معلوم مكتوب وهو اجلها الذي كتب في اللوح وبين الا ترى الى قوله ما تسبق من امة اجلها في موضع كتابها وانث الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال وما يستأخرون بحذف عنه لانه معلوم وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون قرأ الاعمش يا ايها الذي القي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الملائكة عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب اليم انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع

النبي لوجود غيره ومعنى التخصيص وانما هل فلم يركب الامع لا وحدها للتخصيص قال ابن مقبل لولا الحيا ولولا الدين عبتكما ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري والمعنى هلا تاتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على انذارك كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او هلا تاتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تاتي الامم المكذبة برسلها
قرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل وننزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة الا بالحق الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تاتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله عز وجل وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذن منظرين اذن جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والثبات وانه هو الذي بعث به جبرئيل الى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله وانا له لحافظون قلت جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كقوله والله يعصمك من الناس ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين في فرقهم وطوائفهم والشيعة

الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى ارسلنا فيهم نبانا فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال كذلك نسلكه يقال سلكت الخيط في الابرة واسلكته اذا ادخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر في قلوب المجرمين على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزءا به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام تعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله لا يؤمنون به النصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه وقد خلت سنة الاولين طريقتهم التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ترى يعرجون بالضم والكسر لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون سكرت وحيرت او حبست من الابصار من السكر اي حارت كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من ابواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها وراوا من العيان ما راوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو اريناهم الملائكة اي لو اريناهم يصعدون في السماء عيانا لما قالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع في محل النصب على الاستثناء والاستثناء منقطع اي ولكن من استرق السمع او في محل الجر بدلا من كل شيطان وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات كلها فاتبعه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والارض مددناها والقينا فيها رواسي

وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه
لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان أو له وزن وقدر في أبواب النعمة والمنفعة
وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها وَجَعَلْنَا لَكُمْ
فِيهَا مَعَايِشَ بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما فإن تصريح الياء
فيها خطأ والصواب الهمزة أو إخراج الياء بين بين وقد قرئ معايش
بالهمز على التشبيه وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ عطف على معايش أو على محل لكم
كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال
والمماليك والخدم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم ويخطئون فإن الله هو
الرزاق يرزقهم وإياهم ويدخل فيه الأنعام والدواب وكل ما بتلك المثابة
مما الله رازقه وقد سبق إلى ظنهم أنهم هم الرازقون ولا يجوز أن يكون
مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لأنه لا يعطف على الضمير المجرور
وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء
ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به وَمَا
نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ وما نعطيه إلا بمقدار معلوم نعلم أنه مصلحة فضرب
الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فيه قولان
أحدهما أن اللواقح بمعنى الملاقح إذا جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر
كما قيل للتي لا تأتي بخير ريح عقيم والثاني أن اللواقح بمعنى الملاقح كما قال
ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقرئ وأرسلنا الريح
على تأويل الجنس فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ فجعلناه لكم سقيا
وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ نفى عنهم ما أثبته لنفسه في قوله وإن من شيء إلا عندنا
خزائنه كأنه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء
وإنزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته وإظهار
لعجزهم وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ أي الباقون بعد هلاك
الخلق كله وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لأنه يبقى بعد فنائه
ومنه قوله عليه السلام في دعائه واجعله الوارث منا وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ

وجعلنا لكم من لستم له برازقين او جعلنا لكم معايش صح

ماءً

مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ علمنا من استقدم ولادة وموتا ومن تأخر
من الأولين والآخرين أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو
من تقدم في الإسلام وسبق إلى الطاعة ومن تأخر وقيل المستقدمين في صفوف
الجماعة والمستأخرين وروي أن امرأة حسناء كانت في المصليات خلف
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر إليها
وبعض يستأخر ليبصرها فنزلت وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ أي هو وحده القادر
على حشرهم والعالم بحصرهم مع إفراط كثرتهم وتباعد أطراف عددهم
إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة
والصواب وقد أحاط علما بكل شيء وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ
الصلصال الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ وإذا طبخ فهو فخار
قالوا إذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وإن توهمت فيه ترجيعا
فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل إذا أنتن مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ الحمأ الطين
الأسود المتغير والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ أي
أفرغ صورة إنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذابة في أمثلتها وقيل
المنتن من سننت الحجر على الحجر إذا حككته به والذي يسيل بينهما سنين
ولا يكون إلا منتنا مِّنْ حَمَإٍ صفة لصلصال أي خلقه من صلصال كائن من
حمإ وحق مسنون بمعنى مصور أن يكون صفة لصلصال كأنه أفرغ
الحمأ فصور منها تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل ثم غيره
بعد ذلك إلى جوهر آخر وَالْجَانَّ الجان للجن كآدم للناس وقيل هو إبليس
وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد رحمهما الله الجأن بالهمز خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن
نَّارِ السَّمُومِ من نار الحر الشديد النافذ في المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين
جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ
إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ واذكر وقت قوله فَإِذَا سَوَّيْتُهُ
عدلت خلقته وأكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي
وأحييته وليس ثم نفخ ولا منفوخ وإنما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه فَقَعُوا

المستأخرين ح ي

حمإ فق بلا ألف

من نار ح نح

حمإ فق بلا ألف

١٩١

لهُ ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون
مع الساجدين واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مأمورا معهم
بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا
وأبى أن يكون مع الساجدين استيناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد
فقيل ابى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابى قال يا إبليس ما لك
ألا تكون مع الساجدين حرف الجر مع ان محذوف تقديره ما لك في ان لا تكون
مع الساجدين يعني اي غرض لك في ابائك السجود واي داع لك اليه
قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون اللام
في لاسجد لتاكيد النفي معناه لا يصح مني وينافي حالي ويستحيل ان اسجد لبشر
قال فاخرج منها فإنك رجيم شيطان من الذين يرجمون بالشهب او مطرود
من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو
الطرد من الرحمة والابعاد منها والضمير في منها راجع الى الجنة او السماء
او الى جملة الملائكة وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين ضرب يوم الدين حدا
للعنة اما لانه ابعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله ما دامت
السموات والارض في التابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعنة
في السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم
عذبت بما ينسي اللعن معه قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك
من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت
المعلوم في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة
وقيل لما سأل الانظار الى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت يوم البعث
احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر ايام التكليف قال رب بما أغويتني
الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم لأزينن لهم والمعنى اقسم باغوائك
اياي لازينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود لآدم
الاكل فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب
بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك

آبي نسخة

١٩٢ ٤٦١

والله تعالى بريء من غيه ومن ارادته والرضاء به ونحو قوله بما أغويتني
لأزينن قوله فبعزتك لأغوينهم في انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته
والثاني اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز ان لا يكون قسما و
يقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن
بهم نحو ما فعلت بي من التسبب لاغوائهم بان ازين لهم المعاصي واوسوس
اليهم ما يكون سبب هلاكهم في الأرض في الدنيا التي هي دار الغرور
كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني اقدر على الاحتيال
لآدم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده
في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولاوقعن تزييني
فيها اي لازيننها في اعينهم ولأغوينهم أجمعين ولاحملنهم بان الزينة في
الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها ونحوه لنخرج في
عراقيبها نصلي إلا عبادك منهم المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم
ولا يقبلون منه قال هذا صراط علي مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم
سلطان اي هذا طريق حق علي ان اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان
على عبادي إلا من اتبعك من الغاوين الا من اختار اتباعك منهم لغوايته
وقرئ علي وهو من علو الشرف والفضل وإن جهنم لموعدهم أجمعين
الضمير للغاوين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم قيل بحابح النار
اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى
والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة
لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية
للموحدين وقرئ جزء بالتخفيف والتثقيل وقرأ الزهري جز بالتشديد كانه حذف
الهمزة والقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم وقف عليه بالتشديد
كقولهم ثم اجري الوصل مجرى الوقف إن المتقين في جنات وعيون
ادخلوها بسلام المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهي عنه

المخلصين … استثنى المخلصين

بسراط وبالاشمام

وعن ابن عباس رضي الله عنهما اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات
وغيرها **ادخلوها بسلام** سالمين **آمنين** او مسلما عليكم تسلم عليكم
الملائكة **ونزعنا ما في صدورهم من غل** الغل الحقد الكامن في القلب
من انغل في جوفه وتغلغل اي ان كان لاحدهم غل على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم
وطيب نفوسهم وعن علي عليه السلام ارجو ان اكون وعثمان وطلحة والزبير
منهم وعن الحارث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له علي
مرحبا بك يا ابن اخي اما والله اني لارجو ان اكون انا وابوك ممن قال
الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله اعدل
من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا ام لك وقيل
معناه طهر الله قلوبهم من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها
كل غل والقى فيها التواد والتحاب و**اخوانا** نصب على الحال و**على سرر متقابلين**
كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع احوالهم
متقابلين **لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي اني
انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم** لما اتم ذكر الوعد و
الوعيد اتبعه نبئ عبادي تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس وعن ابن عباس
غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف **ونبئهم عن ضيف ابراهيم** على نبئ
عبادي اني انا الغفور الرحيم ليتخذوا بما احل الله من العذاب بقوم لوط
عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا ان عذابه
هو العذاب الاليم **اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما** اي نسلم عليك سلاما
او سلمت سلاما **قال انا منكم وجلون** خائفون وكان خوفه لامتناعهم
من الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت **قالوا لا توجل انا
نبشرك بغلام عليم** قرأ الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا
اخافه وقرئ لا تأجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله وقرئ نبشرك بفتح
النون والتخفيف انا نبشرك استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل اراد
انك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل **قال ابشرتموني على ان مسني الكبر**

بمعنى ابشرتموني مع مس الكبر بان يولد لي اي ان الولادة امر مستنكر عجيب
في العادة **فبم تبشرون** هي ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال
فباي اعجوبة تبشروني او اراد انكم تبشرونني بما هو غير متصور في العادة فباي
شيء تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير
شيء ويجوز ان لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالا عن الوجه والطريقة
يعني باي طريقة تبشرونني والبشارة به لا طريقة لها في العادة وقوله **قالوا
بشرناك بالحق** يحتمل ان يكون الباء فيه صلة اي بشرناك باليقين الذي لا لبس
فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهي قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد
ولدا من غير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ تبشرون بفتح
النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل تبشرونني وتبشرون بادغام
نون الجمع في نون العماد وقرئ **فلا تكن من القانطين** وقرئ من القنطين
من قنط يقنط وقرئ **قال ومن يقنط** بالحركات الثلث في النون ومن يقنط
من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون كقوله
لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته
ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله قوله تعالى الا
لوط استثناء متصل ام منقطع لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون
منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون
استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلا كانه قال الى قوم اجرموا كلهم الا
آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثنائين نعم وذلك ان آل لوط مخرجون
في المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم
يرسلوا الى آل لوط اصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم
الى المرمي في انه في معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن
آل لوط انجيناهم واما في المتصل فهم داخلون في حكم الارسال وعلى ان
الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال

مخلصًا لمعنى الإهلاك والتعذيب كما في الوجه الأول فقوله
إنا لمنجوهم أجمعين بم يتعلق على الوجهين اذا انقطع الاستثناء
جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لأن المعنى لكن آل لوط منجون وإذا
اتصل كان كلاما مستأنفا كأن ابرهيم صلوات الله عليه قال لهم فما حال
آل لوط فقالوا إنا لمنجوهم فقوله إلا امرأته مم استثنى وهل
هو استثناء من استثناء استثنى من الضمير المجرور في قوله لمنجوهم
وليس الاستثناء من الاستثناء في شيء لأن الاستثناء من الاستثناء في
شيء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه وأن يقال أهلكناهم إلا آل لوط إلا
امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق انت طالق ثلاثا إلا اثنتين إلا واحدة وفي
قول المقر لفلان علي عشرة دراهم إلا ثلاثة إلا درهما وأما في الآية فقد اختلف
الحكمان لأن إلا آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين وإلا امرأته قد تعلق بمنجوهم فأنى
يكون استثناء من استثناء وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل
لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله قدرنا إنها لمن الغابرين والتعليق من خصائص
أفعال القلوب لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء
تقدير الله أعمال العباد بالعلم فلم أسند الملائكة فعل التقدير
وهو لله وحده إلى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله لما لهم من القرب
والاختصاص بالله الذي ليس لأحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا
وأمرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وإنما يظهرون بذلك اختصاصهم
وأنهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف فلما جاء آل لوط المرسلين
قال إنكم قوم منكرون أي تنكركم نفسي وتنفر منكم فأخاف
أن تطرقوني بشر بدليل قوله قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون أي
ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك
من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك
وآتيناك بالحق باليقين من عذابهم وإنا لصادقون في الإخبار بنزوله
بهم وقرئ فأسر بأهلك بقطع الهمزة ووصلها من أسرى وسرى

صاحب الإقليد فسر من السير والقطع في آخر الليل قال
افتحي الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما
يمضي صالح من الليل ما معنى أمره باتباع أدبارهم ونهيهم عن
الالتفات قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه وأهله إجابة
لدعوته عليهم وعلى أحوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها
من الهفوات في تلك الحالة المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض
له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به
ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم
وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين
إلى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي إليه أخادعه كما قال
تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا وجعل النهي عن
الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لأن من يلتفت لا بد
له في ذلك من أدنى وقفة وامضوا حيث تؤمرون قيل هو مصر وعدي وامضوا
إلى حيث تعديته إلى الظرف المبهم لأن حيث مبهم في الأمكنة وكذلك الضمير في
تؤمرونه وقضينا إليه ذلك الأمر عدى قضينا بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا
كأنه قيل وأوحيناه إليه مقضيا مبتوتا وفسر ذلك الأمر بقوله أن دابر هؤلاء
مقطوع مصبحين وفي إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له وقرأ الأعمش
إن بالكسر على الاستئناف كأن قائلا قال أخبرنا عن ذلك الأمر تعظيم له
وقراءة الأعمش إن بالكسر على الاستئناف فقال إن دابر هؤلاء وفي قراءة ابن
مسعود وقلنا إن دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستأصلون
عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد وجاء أهل المدينة أهل سدوم التي ضرب
بقاضيها المثل في الجور يستبشرون مستبشرين بالملائكة قال إن هؤلاء
ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لأن من أسيء إلى ضيفه أو جاره فقد
أسيء إليه كما أن من أكرم من يتصل به فقد أكرم واتقوا الله
ولا تخزون في ضيفي ولا تذلون بإذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان أو ولا

واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد

حيث تؤمرون بادغام التاء في التاء

هؤلاء

وجاء أهل كما تقدم

تستروا بي من الخزاية وهي الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين الواردين له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط قال هؤلاء بناتي اشارة الى النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله لكم دون ما حرم لعمرك انهم لفي سكرتهم اي في غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطاء الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانه اقسم بحياته وما اقسم بحياة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل في قولك بالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم فاخذتهم الصيحة صيحة جبرئيل مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين مسومة عند ربك اي معلمة بكتاب ان في ذلك لآيات للمتوسمين للمتفرسين المتاملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا اي عرفت وسمه فيه والضمير في عاليها سافلها لقرى قوم لوط وانها وان هذه القرى يعني آثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين ان في ذلك لآية للمؤمنين وان كان اصحاب الايكة قوم شعيب لظالمين وانهما

يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا عليه السلام كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعني بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه وعن جابر قال مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تنهدم ويتداعى بنيانها او من نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر او آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال وان الساعة لآتية وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك فاصفح الصفح الجميل فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ بآية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا ان ربك هو الخلاق الذي خلقك وخلقهم وهو العليم بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وخلقهم علم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح وفي مصحف ابي وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب ولقد آتيناك

سبعا من المثاني والقرآن العظيم سبع آيات وهي الفاتحة او سبع سور
وهي الطول واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم
سورة ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية وقيل سورة يونس وقيل
آل حم او سبع صحائف وهي الاسباع والمثاني من التثنية وهي التكرير
لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلوة وغيرها او من الثناء لاشتمالها
على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة او مثنية صفة للآية واما السور
او الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد
وغير ذلك ولما فيها من الثناء كانها تثني على الله بافعاله العظمى وصفاته
الحسنى ومن اما للبيان او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطول
وللبيان اذا اردت الاسباع ويجوز ان تكون كتب الله كلها مثاني لانها
تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها
كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشيء على نفسه
اذا عني بالسبع الفاتحة او الطول فما وراءهن ينطلق عليه اسم
القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا
اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف فاذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد
آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اي الجامع لهذين النعتين
وهو الثناء او التثنية والعظم لا تمدن عينيك اي لا تطمح ببصرك طموح
راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار
كيف وصل هذا بما قبله يقول لرسوله قد اوتيت النعمة العظمى التي كل
نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني
به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم
يتغن بالقرآن وحديث ابي بكر من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا
افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى واذرعات
سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر
الامتعة فقالوا لو ان هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله تعالى

فقال لهم الله لقد اعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع ولا
تحزن عليهم يعني ولا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى
بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون واخفض جناحك للمؤمنين وتواضع
لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء و
الاقوياء وقل لهم اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان
عذاب الله نازل بكم بم تعلق قوله كما انزلنا على المقتسمين
فيه وجهان احدهما ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك
مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين
حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتورية والانجيل وبعضه
باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به
فيقول بعضهم سورة البقرة لي ويقول الآخر سورة آل عمران لي ويجوز ان
يراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبان اليهود
اقرت ببعض التورية وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت
ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صنيع قومه بالقرآن
وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من
الكتب نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله وقل اني انا النذير اي وانذر قريشا مثل
ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير
جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد
كان ويجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير اي انذر
المعضين الذين يجزؤون القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على
المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا
في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب و
الآخر شاعر فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة و
العاص بن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم او مثل ما انزلنا على الرهط الذين

تقاسموا على ان يبيتوا صالحاً عليه السلم والاقتسام بمعنى التقاسم اذا علقت قوله كما انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره بينهما لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بجامعة على المؤمنين عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال روبة وليس دين الله بالمعضى وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العاضهة والمستعضهة ونقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون عبارة عن الوعيد وقيل يسألهم سوال تقريع وعن ابي العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدونه وما اجابوا المرسلين فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهاراً كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر به من الشرايع فحذف الجار كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان تكون ما مصدرية اي بامرك مصدر من المبني للمفعول انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الهاً آخر فسوف يعلمون عن عروة بن الزبير في المستهزئين هم خمسة نفر ذووا اسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل بدر قال جبرئيل عليه السلم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرت ان اكفيهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظماً لاخذه فاصاب عرقاً في عقبه فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحا ومات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحارث بن قيس فامتخط

٤٨٦

قيحاً فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من اقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدايم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم واعبد ربك ودم على عبادة ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت اي ما دمت حياً فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وآله وبارك وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيباً بالوعد فقيل لهم اتى امر الله اي هو بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظراً لقرب وقوعه فلا تستعجلوه روي انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تاخرت قالوا يا محمد ما نرى شيئاً فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا قرئ تستعجلوه بالتاء والياء سبحانه وتعالى عما يشركون تبرأ وجل عن ان يكون له شريك وان تكون آلهتهم له شركاء او عن اشراكهم على ان ما موصولة او مصدرية كيف اتصل هذا باستعجالهم لان استعجالهم

استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ يشركون بالياء والتاء **ينزل** قرئ بالتخفيف والتشديد وقرئ تنزل **الملائكة** بمعنى تتنزل **بالروح من أمره على من يشاء من عباده** بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد و**أن أنذروا** بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا اي بان الشان اقول لكم انذروا او تكون ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا **أنه لا إله إلا أنا** اعلموا الناس بان الامر كذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا **فاتقون خلق السموات والأرض بالحق** ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر اثقاله وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره **تعالى عما يشركون** بالياء والتاء **خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين** فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعدما كان نطفة من مني جمادا لا حس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة وقيل نزلت في ابي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعدما قد رم **والأنعام** الازواج الثمانية واكثر ما يقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال **خلقها لكم** اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان **فيها دفء** والدفء اسم ما يدفأ به كما ان الملاء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء

ومنافع هي نسلها ودرها وغير ذلك تقديم الظرف في قوله **ومنها تأكلون** مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تاكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها **ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون** من الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع لانه من اغراض اصحاب المواشي بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت بارا حتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء آنست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم في عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يواري سوآتكم وريشا لم قدمت الاراحة على التسريح لان الجمال في الاراحة اظهر اذا اقبلت ملاء البطون حافلة الضروع ثم اوت الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا تجزي **وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس** قرئ بشق بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق عليه الامر شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق فالنصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد ما معنى قوله لم تكونوا بالغيه كانهم كانوا زمانا يتحملون المتاعب في بلوغه حتى حملت الابل اثقالهم معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حامليها اليه

طباقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم فهلا قيل لم تكونوا حامليها
الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا ان
تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان تكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها
الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة ان
ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه
المصالح والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة عطف على الانعام
اي وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة اكل لحومهن
على خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام
لم انتصب وزينة لانه مفعول له وهو معطوف
على محل لتركبوها فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على
سنن واحد لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن
وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي وخلقها زينة لتركبوها
وهي زينة وجمال ويخلق ما لا تعلمون يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا مما
لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة
مع الدلالة على قدرته ويجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا
به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوي عنا علمه لحكمة له
في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر
على قلبه وعلى الله قصد السبيل المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها
القصد وقال ومنها جائر والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال
سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك
لا يعدل عنه ومعنى قوله وعلى الله قصد السبيل ان هداية الطريق الموصل
الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى لم غير اسلوب
الكلام في قوله ومنها جائر ليعلم بما يجوز اضافته اليه من
السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد
السبيل ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى

لم غير الاسلوب الكلام في قوله ومنها جائر
ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم
المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقراء عبد الله
ومنكم جائر يعني ومنكم جائر جائر عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه ولو
شاء لهديكم اجمعين قسرا والجاء هو الذي انزل من السماء ماء لكم
منه شراب لكم متعلق بانزل او بشراب خبرا له والشراب ما يشرب
شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن
الشجر فانه سحت يعني الكلاء فيه تسيمون من سامت الماشية اذا رعت فهي
سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي
علامات في الارض ينبت به لكم الزرع والزيتون والنخيل والاعناب
وقرئ ننبت بالنون لم قيل ومن كل الثمرات
لان كل الثمرات لا تكون الا في الجنة وانما انبت في الارض بعض من كلها
للتذكرة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ينظرون فيستدلون بها
عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد
وقراء ابي بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع و
سخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم قرئت كلها بالنصب على
وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث
يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب
بمسير الشمس والقمر فكانه قيل ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن
له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى
تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها
لكم تسخيرات بامره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما
على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب فالجر
ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون لم جمع الآية وذكر العقل لان الآثار
العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة

وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ معطوف على الليل والنهار يعني ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ مختلف الهيئات والمناظر إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا هو السمك ووصفه بالطراوة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى اكله خيفة الفساد عليه ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب الدابة فركب كافرا لم يحنث وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً هي اللؤلؤ والمرجان تَلْبَسُونَهَا والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جري الفلك بالرياح وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ابتغاء الفضل التجارة وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ كراهة ان تميد بكم وتضطرب والمائد الذي يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت وَأَنْهَارًا وجعل فيها انهارا لانه لا يقال القى فيها انهارا لكن ضمن القى معنى جعل لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ هي معالم الطرق وكل ما يستدل به السابلة من جبل وسهل وغير ذلك وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ المراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدي وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا قوله وبالنجم هم يهتدون

مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذي هو لاولي العلم فيه اوجه احدها انهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى اولي العلم الا ترى الى قوله على اثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون والثاني المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث ان يكون المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله الهم ارجل يمشون بها يعني ان الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد وآذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم اموات فكيف يصح لهم العبادة لا انها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الله مثل الله وغير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم افمن لا يخلق كمن يخلق حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على ان وراءها ما لا يحصر ولا يعد إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ من اعمالكم وهو وعيد وَالَّذِينَ يَدْعُونَ والآلهة الذين تدعوهم الكفار مِنْ دُونِ اللَّهِ وقرئ بالتاء وقرئ يُدْعَوْنَ على البناء للمفعول لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ نفى عنهم خصائص الالهية بنفي كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون

ومعنى اموات غير احياء انهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا احياء غير اموات
اي غير جائز عليه الموت كالحي الذي لا يموت وامرهم على العكس من ذلك والضمير
في يبعثون للداعين اي لا يشعرون متى يبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين
وان آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون وقت جزاء منهم على عبادتهم
وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف ووجه آخر وهو
ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على
نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حيوة فيها غير احياء يعني
ان من الاموات ما يعقب موته حيوة كالنطف التي ينشئها الله حيوانا و
اجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب موتها
حيوة وذلك اعرق في موتها وما يشعرون ايان يبعثون اي وما يعلم هؤلاء
الآلهة متى يبعث الاحياء تهكما بحالها لان شعور الجمادات محال فكيف
بشعور ما لا يعلمه حي الا الحي القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان يراد
بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وانهم اموات اي
لا بد لهم من الموت غير احياء باقية حيوتهم وما يشعرون ولا علم بوقت
بعثهم وقرئ ايان بكسر الهمزة الهكم اله واحد يعني انه قد ثبت بما
تقدم من ابطال ان تكون الالهية لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها
فالذين لا يؤمنون بالآخرة فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح
دلائلها استمرارهم على شركهم فيها وان قلوبهم منكرة للوحدانية
وهم مستكبرون عنها وعن الاقرار بها لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد انه لا يحب المستكبرين
يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين ويجوز ان يعم كل
مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم قالوا
اساطير الاولين ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شي انزله ربكم فاذا نصبت
فمعنى اساطير الاولين ما يدعون نزوله اساطير الاولين كقوله فاذا رفعته
فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله ماذا ينفقون قل العفو فيمن رفع

هو كلام متناقض لانه لا يكون منزل ربهم واساطير
هو على السخرية كقوله ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او
قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون
عن رسول الله صلى الله عليه وآله اذا سألهم وفود الحاج عما انزل على
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا احاديث الاولين واباطيلهم
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي قالوا ذلك اضلالا للناس
وصدا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحملوا اوزار ضلالهم كاملة
ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر
الاضلال لان المضل والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله
فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون غرضا كقولك خرجت
من البلد مخافة الشر بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انه
كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل الا ساء ما يزرون
قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم من القواعد اساطين ابنيتهم
التي تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعني انهم سووا منصوبات ليمكروا
بها الله ورسله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا
بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت
فخر فسقط عليهم السقف من فوقهم وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه
جبا وقع منكبا وقيل هو نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة
آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا
واتاهم العذاب ومعنى اتيان الله اتيان امره من القواعد من جهة
القواعد من حيث لا يشعرون من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون وقرئ فاتى
الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين ثم يوم القيمة يخزيهم يذلهم بعذاب
الخزي ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب
في الآخرة ويقول اين شركائي على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم
ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم الذين كنتم تشاقون فيهم

ملة

تعادون وتخاصمون المؤمنين في شانهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقونني لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله قال الذين اوتوا العلم هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان و يعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملئكة ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملئكة ظالمي انفسهم قرئ تتوفاهم بالياء والتاء وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء في التاء فالقوا السلم فسالموا واخبتوا وجاءوا الجلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا ما كنا نعمل من سوء وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم اولوا العلم بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم عليه وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا انزل خيرا لم نصب هذا ورفع الاول فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعني ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شيء روي ان احياء العرب كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون و امروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان استطلع امر محمد صلى الله عليه وآله وسلم واراه فيلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله للذين احسنوا وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اي قالوا هذا القول فقدم تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ولدار الآخرة خير ولهم في الآخرة ما هو خير منها كقوله فاتاهم

وبعيد وا عليه في هذه الدنيا حسنة مكافاة حسنة في الدنيا باحسانهم

الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة ولنعم دار المتقين دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين جنات عدن خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح الذين تتوفاهم الملائكة طيبين طاهرين من ظلم انفسهم يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون قيل اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك ولي الله الله يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة قرئ بالتاء والياء يعني ان يأتيهم لقبض الارواح او يأتي امر ربك العذاب المستأصل او القيمة كذلك مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن جزاء سيئات اعمالهم او هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء هذا من جملة ما عدد من انواع كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء به و تكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعني انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل الله من البحيرة والسائبة وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه كذلك فعل الذين من قبلهم اي اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك و قبحه وبراءة الله من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله عز وجل باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه ولقد بعثنا في كل امة رسولا امدا بطالقد

عن الودكه وبين الوداكه و الى صيغ الرالرعلبهاد دكر ه

السوء ومشيئة الشر بانه ما من امة الا وقد بعث فيهم رسولا ان اعبدوا
الله يأمرهم بالخير الذي هو الايمان وعبادة الله واجتنبوا الطاغوت و
باجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله اي لطف به
لانه عرفه من اهل اللطف ومنهم من حقت عليه الضلالة اي ثبت عليه الخذلان
والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا يأتي منه خير فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى
لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار ان
تحرص على هديهم ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليهم الضلالة فان الله لا يهدي
من يضل اي لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح
التي لا تجوز عليه وقرئ لا يهدي اي لا تقدر انت ولا احد على هدايته وقد خذله
الله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذي
هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدي بمعنى لا يهتدي يقال هداه الله فهدى
وفي قراءة ابي فان الله لا هادي لمن يضل ولمن اضل وهي معاضدة لمن قرأ لا
يهدي على البناء للمفعول وفي قراءة عبد الله يهدي بادغام تا يهتدي وهي معاضدة
للاولى وقرئ يضل بالفتح وقراءة النخعي ان تحرص بفتح الراء وهي لغية واقسموا
بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت معطوف على وقال الذين اشركوا
ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا
توريكهم ذنوبهم على مشيئة الله وانكارهم البعث مقسمين عليه بلى اثبات لما
بعد النفي اي بلى يبعثهم ووعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد
من الله عليه حقا بين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة ولكن
اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون
لا يجب على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة ليبين لهم متعلق بما
دل عليه بلى اي يبعثهم الله ليبين لهم الذي يختلفون فيه الضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين
والكافرين والذي اختلفوا فيه هو الحق وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في

قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل
يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه
وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب انما قولنا لشيء اذا اردناه
قولنا مبتدأ وان نقول له خبره كن فيكون من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود
اي اذا اردنا وجود شيء فليس الا ان نقول له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف
وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته غير متوقف كوجود المأمور به
عند امر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل
مقدور على الله عز وجل بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات
وقرئ فيكون عطفا على نقول والذين هاجروا هم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
واصحابه ظلمهم اهل مكة ففروا بدينهم الى الله عز وجل منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى
المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين
بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال و
صهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم
وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر قال ربح البيع يا
صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله
نارا لاطاعه فكيف في الله في حقه ولوجهه لنبوئنهم في الدنيا حسنة صفة
للمصدر اي لنبوئنهم تبوئة حسنة وفي قراءة علي رضي الله عنه لنثوينهم ومعناه
اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين
ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب ولاجر الآخرة اكبر
وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا
ما وعدك الله في الدنيا وما ذخر لك في الآخرة اكبر وقيل لنبوئنهم مباءة حسنة وهي
المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اي لو علموا
ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المستضعفين في ايديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم
ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اي لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم
وصبرهم الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون اي هم الذين صبروا او اعني

الذين صبروا وكلاهما مدح اي صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي
هو حرم الله تعالى المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رأسهم وعلى
مفارقة الوطن المجاهدة وبذل الارواح في سبيل الله تعالى قالت قريش الله اعظم من ان
يكون رسوله بشرا فقيل **وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم** على السنة
الملائكة **فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** وهم اهل الكتاب ليعلموكم
ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا بم تعلق قوله **بالبينات والزبر**
له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اي
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت
زيدا بالسوط واما برجالا اي بالبينات واما بارسلنا مضمرا كانما قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات
فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحي اي يوحي اليهم بالبينات او بلا يعلمون على
ان الشرط في معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله
اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه
موعظة وتنبيه للغافلين **وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم** يعني ما نزل
الله تعالى اليهم في الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا **ولعلهم يتفكرون** و
ارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا ويتاملوا **افامن الذين مكروا السيئات** اي
المكرات السيئات وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **ان يخسف
الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او يأخذهم في تقلبهم**
متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم **فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف**
متخوفين ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو
خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته اذا تنقصته قال زهير
تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن اي يأخذهم على ان ينقصهم شيئا بعد
شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رض انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام
شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال
نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا
قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم **فان ربكم لرؤف رحيم** حيث يحلم عنكم

صفة له اي رجالا ملتبسين صح

ولا يعاجلكم مع استحقاقكم **اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ** وحمزة وعلي او لم تروا
ويتفيؤ بالياء والتاء وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه من شيء يتفيؤ **ظلاله
عن اليمين** يعني الايمان **والشمائل سجدا لله** حال من الظلال **وهم داخرون** حال من الضمير في
ظلاله لانه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو والنون لان الدخور من
اوصاف العقلاء او لان في جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى او لم يروا الى ما خلق الله من الاجرام
التي لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من
يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه
فيما سخرها الله تعالى له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة صاغرة منقادة لافعال الله تعالى
فيها لا تمتنع **ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة** يجوز ان يكون بيانا لما في
السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض
ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد
بما في السموات الملائكة **والملائكة وهم لا يستكبرون** وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين
الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات ملائكتهن وبقوله
والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم سجود المكلفين مما انتظمه
هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد المراد بسجود
المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقيادهم لارادة الله تعالى وانها غير
ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر
عنهما بلفظ واحد فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على
غيرهم لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء
خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم **يخافون ربهم** يجوز ان يكون حالا من
الضمير في لا يستكبرون اي لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفي الاستكبار وتأكيدا
له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته **من فوقهم** ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان
يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم غالبا لهم
قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون **ويفعلون ما يؤمرون** وفيه
دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهي والوعد والوعيد [illegible]

ض وان يكون بيانا لما في الارض وحده

كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء **قال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد** انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فاما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله تعالى **الهين اثنين** الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعني به منهما والذي يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يوكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية **فاياي فارهبون** نقل الكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ في الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن ان يجي ما قبله على لفظ المتكلم **وله ما في السموات والارض وله الدين** الطاعة **واصبا** حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء دايما ثابتا سرمدا لا يزول يعني الثواب والعقاب **افغير الله تتقون وما بكم من نعمة** واي شي حل بكم او اتصل بكم من نعمة **فمن الله** فهو من الله **ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون** فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يصف راهبا يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم **ثم اذا كشف الضر عنكم** وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة **اذا فريق منكم بربهم يشركون** يجوز ان يكون الخطاب في قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما ويريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجيهم الى البر فمنهم مقتصد **ليكفروا بما آتيناهم** من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة **فتمتعوا فسوف تعلمون** تخلية ووعيد فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا ويجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا من الامر الوارد في معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر **ويجعلون لما لا يعلمون** اي لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة ويعتقدون

فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذن جاهلون بها وقيل الضمير في لا يعلمون للآلهة اي لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها **نصيبا** في انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم **مما رزقناهم تالله لتسألن** وعيد **عما كنتم تفترون** من الافك في زعمكم انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها **ويجعلون لله البنات** كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله **سبحانه** تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم **ولهم ما يشتهون** يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على البنات اي وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور **واذا بشر احدهم بالانثى ظل** بمعنى صار كما يستعمل بات وامسى واصبح بمعنى الصيرورة ويجوز ان يجي ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره **وجهه مسودا** مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس **وهو كظيم** مملو حنقا على المرأة **يتوارى من القوم** يستخفي منهم **من سوء ما بشر به** من اجل سوء المبشر به ومن اجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر **ايمسكه** ايمسك ما بشر به **على هون** ذل **ام يدسه في التراب** ام يئدها وقرئ ايمسكها على هون ام يدسها على التأنيث وقرئ على هوان **الا ساء ما يحكمون** حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف **للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء** وهي الحاجة الى الاولاد وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ **ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم** وهو الغني عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم** بكفرهم ومعاصيهم **ما ترك عليها** على الارض **من دابة** قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وعن ابن عباس من دابة مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء **ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فاذا جاء اجلهم لا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون** لانفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم ويجعلون له ارذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها **وتصف السنتهم الكذب** مع ذلك **ان لهم الحسنى** عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وعن بعضهم

لا يستأخرون ساعة

قال لرجل من ذوي السيادة كيف تكون يوم اذا قال الله تعالى هاتوا ما رفع الى السلاطين واعوانهم
فياتوا بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما رفع الى فيؤتى بالخرق والكسر وما لا يؤبه له اما تستحيي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية وعن مجاهد ان لهم الحسنى
هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة
لا جرم ان لهم النار وانهم مفرطون قرئ بفتح الراء وكسرها مخففا ومشددا وقيل
بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته
منسيون متركون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي
والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين
لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان
اعمالهم فيها او فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم و
القرين او يجعل فهو وليهم اليوم حكاية وهي حال كونهم معذبين في النار اي فهو ناصرهم اليوم
لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه
زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو
ولي امثالهم اليوم ولهم عذاب اليم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انه مفعول لهما
لانهما فعلا الذي انزل الكتاب ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما
انتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به
ومنهم عبد المطلب واشياء من التحريم والتحليل والانكار والاقرار والله انزل من السماء ماء فاحيا
به الارض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع
بقلبه فكانه اصم وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه ذكر سيبويه الانعام
في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك
رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في
الانعام وجهان احدهما ان يكسر نعم كاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى
الجمع ويجوز ان يقال كنعم فاذا ذكر فلما يذكر نعم في قوله في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه
واذا انث ففيه وجهان انه يكسر نعم وانه في معنى الجمع وقرئ بالفتح والضم وهو استيناف

قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم من بين فرث ودم لبنا خالصا اي يخلق الله تعالى اللبن
وسطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله تعالى لا يبغي احدهما عليه
بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في
كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف
الثلاثة تقسمها فيجري الدم في العروق واللبن في الضروع ويبقى الفرث في الكرش فسبحان
ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل
من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم سائغا للشاربين سهل المرور في الحلق ويقال
لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين
ومن الاولى والثانية الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت
من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي
يبتدئ منه فهو صلة نسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما
عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن
بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الآية
وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا
ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بمحذوف تقديره ونسقيكم
من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله تتخذون منه
سكرا بيان وكشف عن كنه الاسقاء او تعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك
زيد في الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من ارمى البشر
تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم يأكلون
بعضها ويتخذون من بعضها السكر فلا يرجع الضمير في منه اذا جعلته ظرفا
مكررا الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى او هم قائلون
الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا
ورشدا قال وجاؤونا بهم سكر علينا فاجلى اليوم والسكران صاح وفيه وجهان احدهما
ان يكون منسوخة ومن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثاني ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل
السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم ترك حتى

وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله الخمر حرام لعينها و
السكر من كل شراب وباخبار جمة ولقد صنف شيخنا ابو علي الجبائي غير كتاب في تحليل
النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى
فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج بالمروءة وقيل السكر الطعم
وانشد جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا
ابترك في اعراض الناس فكانه تخمر بها والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب
وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق
حسن واوحى ربك الى النحل الايحاء الى النحل الهامها والقذف في قلوبها وتعليمها
على وجه هو اعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فنيقتها في صنعتها ولطفها في
تدبير امرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على ان الله تعالى اودعها علما
بذلك وفطنها كما اولى اولي العقول عقولهم وقرا يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو
مذكر كالنحل وتانيثه على المعنى ان اتخذي ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول
من الجبال بيوتا قرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء ومن الشجر ومما يعرشون بكسر
الراء وضمها يرفعون من سقوف البيت وقيل ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت
من الاماكن التي تتعسل فيها والضمير في يعرشون للناس فان قلت ما معنى من في قوله
ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت
اريد معنى البعضية وان لا تبني بيوتها في كل جبل وفي كل شجر وكل ما
يعرشون ولا في كل مكان منها ثم كلي من كل الثمرات احاطة بالثمرات التي تجرسها
النحل وتعتاد اكلها اي ابني البيوت ثم كلي كل ثمرة تشتهيها فاذا اكلتها فاسلكي
سبل ربك اي الطرق التي الهمك وافهمك في عمل العسل او فاسلكي ما
اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك
ومنافذ مآكلك واذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي الى بيوتك راجعة
سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني انها ربما اجدب عليها ما حولها فسافرت
الى البلد البعيد في طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلي ثم اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها
في مظانها سبل ربك ذللا جمع ذلول وهي حال من السبل لان الله تعالى ذللها

ووطاها وسهلها كقوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير
في فاسلكي اي وانت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة يخرج من بطونها
شراب يريد العسل لانه مما يشرب مختلف الوانه منه ابيض واصفر واحمر و
اسود فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة
وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء
لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذي فيه
او لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب
ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق
الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرأ فكانما انشط من
عقال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء
لما في الصدور فعليكم بالشفائين القرآن والعسل ومن بدع التاويلات
الرافضة ان المراد بالنحل علي وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدي
انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك
وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك به المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه
اضحوكة من اضاحيكهم ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون والله خلقكم
ثم يتوفيكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى اخسه واحقره وهو خمس
وسبعون سنة وعن علي عليه السلام تسعون سنة وعن قتادة لانه لا عمر
اسوأ حالا من عمر الهرم لكي لا يعلم بعد علم شيئا ليصير الى حالة شبيهة
بحال الطفولية في النسيان وان يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه
ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول وقيل لئلا يعلم زيادة علم
على علمه ان الله عليم قدير والله فضل بعضكم على بعض في الرزق
فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء
اي جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر
مثلكم واخوانكم فكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى

تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن ابي ذر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما يطعمون فما رئي بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء فلا ترضون ذلك لانفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا تحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم ايديهم وقرئ يجحدون بالياء والتاء والله جعل لكم من انفسكم من جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد قال حفد الولائد بينهن واسلمت باكفهن ازمة الاجمال واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وحافدون اي جامعون بين الامرين ورزقكم من الطيبات يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وطيبات الدنيا الا انموذج منها افبالباطل يؤمنون وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شيء معلوم مستيقن وبنعمة الله هم يكفرون وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شيء مستيقن ونعمة الله المشاهدة المعاينة شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرو

يجحدون
ص

يؤمنون
ج ي

فبنعمة
ج د

لها كما ينكر الحق الذي لا يتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة ونعمة الله ما احل لهم ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به شيئا كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما على ان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تاكيدا للا يملك اي لا يملك شيئا ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في ولا يستطيعون لما لانه في معنى الآلهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع مع انهم احياء متصرفون اولوا الالباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شيء واحد ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم اموات الا ان يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتاتى ذلك ولا يستقيم فلا تضربوا لله الامثال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة ان الله يعلم كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب على مقدار الاثم وانتم لا تعلمون كنهه وكنه عقابه فذلك هو الذي جركم اليه وجراكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف تضرب الامثال وانتم لا تعلمون ضرب الله مثلا ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء لم قال عبدا مملوكا لا يقدر على

شيء وكل عبد مملوك غير قادر على التصرف اما ذكر المملوك فليميز عن الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا لانهما من عباد الله و اما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا ماذون له لانهما يقدران على التصرف واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له ومن رزقناه منا رزقا حسنا من في قوله ومن رزقناه ماهي الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان يكون موصولة فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون لم قيل يستوون على الجمع معناه هل يستوي الاحرار والعبيد الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء الابكم الذي ولد اخرس فلا يفهم ولا يفهم وهو كل على مولاه اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله اينما يوجهه لا يات بخير حيثما يرسله في مطلب حاجة او كفاية مهم لم ينفع ولم ينجح هل يستوي هو ومن يامر بالعدل وهو من سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يامر الناس بالعدل والخير وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمه الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع وفي اينما يوجهه بمعنى يتوجه من قولهم اينما اوجه القى سعدا وقرا ابن مسعود اينما يوجه على البناء للمفعول ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم واراد بغيب السموات والارض يوم القيمة على ان علمه غائب عن اهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب اي هو عند الله وانما تراخى كما تقولون انتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر وهو اقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي هو عنده دان وهو

عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين يكون في اقرب ساعة واوحاه ان الله على كل شيء قدير فهو يقدر ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده والله اخرجكم من بطون امهاتكم وقرئ امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امهات كما زيدت في اراق اهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موضع الحال ومعناه غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذ لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى الم يروا الى الطير وقرئ الم يروا بالياء والتاء مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك في جو السماء والجو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو والسكاك ابعد منه واللوح مثله ما يمسكهن في قبضهن وبسطهن ووقوفهن الا الله بقدرته ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم التي تسكنونها من الحجر والمدر والاخبية وغيرها سكنا والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم ويوم اقامتكم اي يوم ترحلون خف عليكم في اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا

وَمَتَاعًا وشيئا ينتفع به إِلَىٰ حِينٍ الى ان تقضوا منه اوطاركم او الى ان
يبلى ويفنى او الى ان تموتوا وقرئ يوم ظعنكم بالسكون وَاللَّهُ جَعَلَ
لَكُم مِّمَّا خَلَقَ من الشجر وسائر المستظلات ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ
الْجِبَالِ أَكْنَانًا جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة في الجبال
والغيران والكهوف وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ هي القمصان والثياب من الصوف
والكتان والقطن وغيرها تَقِيكُمُ الْحَرَّ لم يذكر البرد لان الحر اهم
عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقي من الحر يقي
من البرد فدل ذكر الحر على البرد وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ يريد
الدروع والجواشن والسربال عام يقع على كل ما كان من حديد كَذَٰلِكَ
يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ اي تنظرون في نعمته الفائضة
فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اي تشكرون
فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من
الجراح فلبس الدروع فَإِن تَوَلَّوْا فلم يقبلوا منكم فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ
فقد تمهد عذرك بعد ما اديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب
العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ التي عددناها
حيث يعترفون بها وانها من الله ثُمَّ يُنكِرُونَهَا بعبادتهم غير المنعم بها
وقولهم هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من
آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم
بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله تعالى وانه اجراها على يد فلان وجعله
سببا في نيلها وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة
الله نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعرفونها ثم ينكرونها عنادا
واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم ما معنى ثم
الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف
النعمة ان يعترف لا ان ينكر وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا نبيها
يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ

لِلَّذِينَ كَفَرُوا في الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا
حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ولا هم يسترضون
اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل
ما معنى ثم هذا معناه انهم يمنون بعد شهادة الانبياء
عليهم بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في
القاء معذرة ولا ادلاء بحجة وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم
نبعث ووقعوا فيه وكذلك وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ بغتهم وثقل عليهم
فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية
وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ
كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ان ارادوا
بالشركاء آلهتهم فمعنى شركاؤنا آلهتنا التي دعوناها وان ارادوا الشيا
طين فلانهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغي وندعوا بمعنى نعبد
لم قالوا انكم لكاذبون وكانوا يعبدونهم على الصحة
لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة والدليل
قوله الملائكة كانوا يعبدون الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون
دوننا او كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله تعالى من
الشريك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم
انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل وَأَلْقَوْا
يعني الذين ظلموا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ والقاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه
بعد الاباء والاستكبار في الدنيا وَضَلَّ عَنْهُم وبطل عنهم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ
من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا
منهم الَّذِينَ كَفَرُوا في انفسهم وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وحملوا غيرهم على الكفر
زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم
وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد
صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون

من شدة بردها الى النار **بما كانوا يفسدون** بكونهم مفسدين الناس بصد
عن سبيل الله **ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم** يعني
نبيهم لانه كان يبعث الانبياء الامم فيهم منهم **وجئنا بك** يا محمد **شهيدا
على هؤلاء** على امتك **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى و
رحمة وبشرى للمسلمين** تبيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر اوله وقد
جوز الزجاج فتحه في غير القرآن كيف كان القرآن تبيانا لكل شيء
المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها و
احالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لامته
اتباع اصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق القياس والاجتهاد فكانت
السنة والاجماع مستندة الى بيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء **ان
الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء و
المنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** العدل هو الواجب لان الله
عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم والاحسان الندب
وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت
فيها ولا نقصت افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط
وقال عليه السلم استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من
النوافل والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول والبغي طلب
التطاول بالظلم وحين اسقطت لعنة الملاعين على امير المؤمنين عليه السلم
اقيمت هذه الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف
الله من سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت
سبب اسلام عثمان بن مظعون رض **واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم** عهد الله
هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وآله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
ولا تنقضوا الايمان ايمان البيعة **بعد توكيدها** اي بعد توثيقها باسم الله تعالى

واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل **وقد جعلتم
الله عليكم كفيلا** شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن
عليه **ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا** في نقض الايمان **كالتي نقضت غزلها
من بعد قوة انكاثا** كالمرأة التي انحت على غزلها بعد ان احكمته وابرمته فجعلته
انكاثا جمع نكث وهو ما ينكث فتله قيل هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء
اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت
تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن **تتخذون
ايمانكم** حال **دخلا بينكم** احد مفعولي تتخذون ولا تنقضوا ايمانكم
متخذيها دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا **ان تكون امة** بسبب ان
تكون امة يعني جماعة قريش **هي اربى من امة** هي ازيد عددا واوفر مالا
من امة من جماعة المؤمنين **انما يبلوكم الله به** الضمير لقوله
ان تكون امة لانه في معنى المصدر اي انما يختبركم بكونهم اربى لينظر
اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على انفسكم ووكدتم من
ايمان البيعة لرسول الله ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم و
قلة المؤمنين وفقرهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم **وليبينن
لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون** انذار وتحذير من مخالفة ملة
الاسلام **ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة** حنيفة مسلمة على طريق
الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك **ولكن يضل من يشاء** ولكن
الحكمة اقتضت ان يضل من يشاء وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر و
يصمم عليه **ويهدي من يشاء** وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان
يعني انه بنى الامر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب
والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك وحققه
بقوله **ولتسألن عما كنتم تعملون** ولو كان هو المضطر الى
الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسألون عنه **ولا تتخذوا ايمانكم
دخلا بينكم** ثم كرر النهي عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيدا

عليهم واظهارا لعظم ما يركب منه فتزل قدم بعد ثبوتها فتزل اقدامكم
عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء في الدنيا بما صددتم
عن سبيل الله بصدودكم عن سبيل الله وخروجكم من الدين او بصدكم
غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة
لغيرهم يستنون بها ولكم عذاب عظيم في الآخرة كان قوم ممن
اسلم زين لهم الشيطان لجزعهم مما راوا من غلبة قريش واستضعافهم
المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان
ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فثبطهم الله
ولا تشتروا ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ثمنا قليلا عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش
يعدونهم ان رجعوا انما عند الله من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب
الآخرة هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم من اعراض الدنيا
ينفد وما عند الله من خزائن رحمته باق لا ينفد وقرئ ولنجزين بالنون
والياء الذين صبروا على اذى المسلمين ومشاق الاسلام اجرهم باحسن ما كانوا
يعملون لم وحدت القدم ونكرت لاستعظام ان
تزل قدم واحدة عن طريق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة من عمل
صالحا من ذكر او انثى من متناول في نفسه للذكر والانثى
فما معنى تبيينه بهما هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين
الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل من ذكر او انثى على التبيين
ليعم الموعد النوعين جميعا وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة يعني في الدنيا وهو
الظاهر لقوله ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وعده الله
ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب
الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا فمعه
ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى واما الفاجر فامره
على العكس ان كان معسرا فلا اشكال في امره وان كان موسرا فالحرص لا

ان يتهنا بعيشه وعن ابن عباس رضهما الحيوة الطيبة الرزق الحلال
وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعني في الجنة وقيل حلاوة الطاعة
والتوفيق في قلبه لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله
فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التي يجزل
الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ بالله كقوله
اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وكقوله اذا اكلت فسم الله تعالى
لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل لان الفعل يوجد
عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة
ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود رضه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقلت اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبريل
عن القلم عن اللوح المحفوظ انه ليس له سلطان اي تسلط وولاية على الذين
آمنوا وعلى ربهم يتوكلون على اولياء الله تعالى يعني انهم لا يقبلون منه
ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته انما سلطانه على الذين
يتولونه على من يتولاه والذين هم به مشركون الضمير يرجع الى ربهم
ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه واذا بدلنا آية مكان آية
تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لانها
مصالح وما كان مصلحة والله عز وجل عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما
يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله والله اعلم بما ينزل قالوا
انما انت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون وجدوا مدخلا للطعن وذلك
لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا صلى
الله عليه وآله وسلم يسخر من اصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه فياتيهم
بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق
والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان المصلحة لا الهوان والمشقة
هل في ذكر تبديل الآية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من

والاجماع والقياس فيه ان قرانا ينسخ بمثله وليس فيه نفي لنسخه بغيره
على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه
بمثله واما الاجماع والسنة والقياس وغير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن
بها **قل نزله روح القدس من ربك** في ينزل ونزله وما فيهما من التنزيل شيئا
فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح
كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة
وروح القدس جبرئيل صلوات الله عليه اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال
حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير و
المقدس المطهر من المآثم وقرئ بضم الدال وسكونها **بالحق** في موضع الحال
اي نزله ملتبسا بالحكمة يعني ان النسخ من جملة الحق **ليثبت الذين آمنوا**
ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم
وصحة اليقين وطمانينة القلوب على ان الله تعالى حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة
وصواب **وهدى وبشرى للمسلمين** مفعول لهما معطوفان على ليثبت والتقدير
تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضدادها لغيرهم
وقرئ ليثبت بالتخفيف **ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر** ارادوا
بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عائش
او يعيش وكان صاحب كتب وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف
بمكة ويقران التورية والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقران فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمني
وقيل هو سلمان الفارسي رض **لسان الذي يلحدون اليه اعجمي** واللسان لغة
ويقال لحد القبر ولحده وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة
فقالوا الحد فلان في قوله والحد في دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن
الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذي يميلون
قولهم عن الاستقامة مختص في شق منه ثم استعير لكل امالة عن استقامة
اليه لسان اعجمي غير بين **وهذا القرآن لسان عربي مبين** ذو بيان وفصاحة

ردا لقولهم وابطالا لطعنهم وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة
الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان الجملة التي هي
قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها لا محل لها لانها استئناف
جواب لقولهم ومثله قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته بعد قوله و
اذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله **ان الذين لا
يؤمنون بآيات الله** اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون **لا يهديهم الله
ولهم عذاب اليم** لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعقاب
في الآخرة من اهل اللطف والثواب **انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون
بآيات الله** رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا
يؤمن لانه لا يترقب عقابا عليه اشارة الى قريش
اي هم الذين لا يؤمنون اي اولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون
في الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب او اولئك الذين عادتهم
الكذب لا يبالون به في كل شيء لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين او اولئك
هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر **من كفر بالله من بعد ايمانه
الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان** من كفر بدل من الذين لا يؤمنون
بآيات الله على ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل
والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله بعد ايمانه واستثنى منه المكره فلم يدخل
تحت حكم الافتراء ثم قال **ولكن من شرح بالكفر صدرا** اي طاب به
نفسا واعتقده **فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** ويجوز ان
يكون بدلا من المبتداء الذي هو اولئك هم على ومن كفر بالله من بعد ايمانه
فهم الكاذبون على واولئك هم من كفر بالله بعد ايمانه [illegible]
على الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر بالله شرطا مبتداء ويحذف جوابه
لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليهم غضب روي ان ناسا
من اهل مكة فتنوا وارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من
اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه

ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت
بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت لاجل الرجال فقتلت وقتل
ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا
بلسانه مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا
من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وهو يبكي فجعل رسول الله يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا
لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه
واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا اي الامرين افضل فعل عمار
ام فعل ابويه بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازا
للاسلام وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد
فقال رسول الله قال فما تقول في قال انت ايضا فخلاه وقال للآخر ما تقول
في محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم
فاعادها ثلاثا فاعاد جوابه فقتله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئا له ذلك
اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم بانهم استحبوا الحيوة
الدنيا على الآخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين بسبب استحبابهم الدنيا
على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله تعالى بكفرهم اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون الكاملون في
الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة
ومنتهاها لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك
للذين هاجروا دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه
ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم يعني انه وليهم وناصرهم لا عدوهم
وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور
من بعد ما فتنوا بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل
اي من بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه ثم جاهدوا وصبروا

صلى الله عليه وآله وسلم

الدنيا الكافرين

فتنوا

عل

ان ربك من بعدها من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر لغفور
رحيم يوم تأتي منصوب برحيم او باضمار اذكر كل نفس تجادل عن نفسها
وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ما معنى النفس
المضافة الى نفسها يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره و
النفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم
يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى
المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو
ذلك وضرب الله مثلا قرية اي جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم
انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله تعالى بهم نقمته
فيجوز ان يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان يكون في قرى الاولين قرية
كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها كانت آمنة
مطمئنة لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج والقلق مع
الخوف يأتيها رزقها رغدا واسعا من كل مكان فكفرت بانعم
والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس
وابؤس وفي الحديث نادى منادي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالموسم
بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا فاذاقها الله لباس الجوع والخوف
بما كانوا يصنعون الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه
صحتهما والاذاقة مستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه ايقاعها
اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا و
الشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه
ما يدرك من اثر الضرر والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه
به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما
ايقاع الاذاقة على لباس الخوف والجوع فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما
ويلابس فكأنه قيل فاذاقهم ما غشيهم من الخوف والجوع ولهم في
هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستكثار لا يرجع الا اليهما

احدهما ان ينظر فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير
غمر الرداء اذا تبسم ضاحكاً غلقت لضحكته رقاب المال استعار الرداء
للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه ووصفه بالغمر الذي هو
وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظراً الى المستعار له والثاني ان ينظر
فيه الى المستعار كقوله ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا اخا عمرو بن بكر
لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر اراد بردائه سيفه ثم قال
فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه
لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم
ضاحكاً **ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم
ظالمون** في حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفيهم الملائكة ظالمي
انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة وقرئ والخوف
عطفاً على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اصله
ولباس الخوف والجوع لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اوتيت به
كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك الفاء في قوله **فكلوا مما رزقكم
حلالاً طيباً واشكروا نعمت** صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم
الفاسدة التي كانوا عليها بان امرهم باكل ما رزقهم الله من الحلال
الطيب وشكر انعامه بذلك وقال **ان كنتم اياه تعبدون** تطيعون
او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الالهة لانها شفعاؤكم عنده
**انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به
فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان غفور رحيم** ثم عدد عليهم محرمات
الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم باهوائهم وجهالاتهم دون اتباع
ما شرع الله على لسان انبيائه **ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب**
وانتصاب الكذب بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم
من البهائم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله

او الى قياس مستند اليه واللام مثلها في قولك ولا تقولوا لما احل الله تعالى
هو حرام **هذا حلال وهذا حرام** بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف
على ارادة القول اي ولا تقولوا الكذب لما تصفه السنتكم فتقول
هذا حلال وهذا حرام وذلك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية
وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال
وهذا حرام بلا تقولوا لوصف السنتكم وتجول في افواهكم لا لاجل حجة
وبينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة
السنتكم الكذب هو من فصيح الكلام وبليغه جعل قولهم كانه
عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته
وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ
الكذب بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله
تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب
جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم
الكواذب او جمع الكذاب من قولك كذب كذاباً ذكره ابن جني واللام
لتفتروا على الله الكذب من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض **ان الذين
يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل** خبر مبتدا محذوف ولهم
عذاب اليم اي منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها
عظيم **وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل** يعني في سورة الانعام
**وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين
عملوا السوء بجهالة** في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه
او غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة **ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان
ربك من بعدها** من بعد التوبة **لغفور رحيم ان ابراهيم كان امة** فيه وجهان
احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله في جميع صفات الخير كقوله و
ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد وعن مجاهد كان مؤمناً وحده والناس
كلهم كفار والثاني ان يكون امة بمعنى مأموم اي يؤمه الناس لياخذوا منه الخير

او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما اشبه ذلك مما جاء في فعله بمعنى مفعول
فيكون مثل قوله اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي قال وروي الشعبي عن
فروة بن نوفل الاشجعي عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا
لله فقلت غلطت انما هو ابرهيم صلوات الله عليه فقال الامة الذي يعلم
الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رض انه
قال حين قيل له الا تستخلف لو كان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان
سالم حيا لاستخلفته فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول
ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة قانت لله ليس بينه وبين الله الا المرسلون
وسالم شديد الحب لله ولو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اي كان
اماما في الدين لان الامة معلم الخير قانتا حنيفا والقانت القايم
بما امره الله والحنيف المايل الى ملة الاسلام غير الزايل عنه ولم يك
من المشركين نفي عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش في زعمهم انهم على ملة
ابيهم ابرهيم صلوات الله شاكرا لانعمه وروي انه كان لا يتغدى الا مع
ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة
البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا ان بهم جذاما فقال وجبت مواكلتهم
شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتبيه واصطفيه للنبوة وهديه
الى صراط مستقيم الى ملة الاسلام وآتيناه في الدنيا حسنة عن قتادة هي
تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال و
الاولاد وقيل قول المصلي منا كما صليت على آل ابرهيم وانه في الآخرة لمن
الصالحين لمن اهل الجنة ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما
كان من المشركين في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتي خليل الله ابراهيم عليه السلم
من الكرامة واجل ما اوتي من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي
اثنى الله تعالى عليه بها انما جعل السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت

سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه
اختلافهم فيه احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة
بعد ما حتم الله الصبر عن الصيد وتعظيمه والمعنى في ذلك نحو المعنى في ضرب
القرية التي كفرت بانعم الله مثلا وغير ما ذكر وهو الانذار من سخط
الله على العصاة والمخالفين لاوامره والمخالفين ربقة طاعته وان ربك ليحكم
بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فما معنى الحكم بينهم
اذا كانوا جميعا محلين او محرمين معناه يجازيهم جزاء اختلاف
فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه آخر وهو ان موسى عليه السلم
امرهم ان يجعلوا في الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابوا عليه
وقالوا نريد اليوم فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت
لان بعضهم اختاروه وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله الرضوان [illegible]
لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة
فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون
اولئك وهو يحكم بينهم يوم القيمة فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستحق
ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل
على البناء للفاعل وقراء عبد الله انا انزلنا السبت ادع الى سبيل ربك
الى الاسلام بالحكمة بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل
للشبهة والموعظة الحسنة وهي التي لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها
وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوز ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو
حكمة وموعظة وجادلهم بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن طرق
المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف ان ربك هو اعلم بمن
ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين هو اعلم بهم فمن كان فيه
خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه
الحيل وكانك تضرب منه في حديد بارد وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به سمي الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء

من قتل ونحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وقرئ وان عقبتم فعقبوا اي وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روي ان المشركين مثلوا بالمسلمين بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حمزة وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عن ارادته ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور **ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** اما ان يرجع الضمير في لهو الى صبرهم وهو مصدر صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين المخاطبون موضع الضمير ثناء من الله تعالى بانهم صابرون على الشدائد او وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر قد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل والصبر خير للصابرين ونحوه قوله عز وجل فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ثم قال لرسوله عليه السلام **واصبر** فعزم عليه بالصبر **وما صبرك الا بالله** اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه **ولا تحزن عليهم** اي على الكفر لقوله فلا تأس على القوم الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون **ولا تك في ضيق مما يمكرون** وقرئ ولا تكن في ضيق ولا يضيق صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اي في امر ضيق ويجوز ان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول **ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** اي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي وولي الذين هم محسنون في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقيل انما الوصية من المال ولا مال لي اوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه في دار الدنيا وان مات في يوم تلاها وليلة كان له من الاجر كالذي مات واحسن الوصية

سبحان الذي اسرى بعبده ليلا علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحانه ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي يضيفها اليه اعداء الله تعالى واسرى وسرى لغتان وليلا نصب على الظرف
الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل
اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسري في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اي بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به يعني الامر بالقيام في بعض الليل **من المسجد الحرام** واختلف في المكان الذي اسري منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وبارك وسلم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرئيل بالبراق وقيل اسري به من دار ام هاني بنت ابي طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروي انه كان نائما في بيت ام هاني بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هاني وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هاني بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر فقال

الى ان قال ذلك لقد صدق فسمي الصديق ومنهم من سافر ثم الى ما ثم فاستنعتوه
المسجد فجلي له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقال له اما النعت فقد
اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها فقال تقدم
يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم
نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر هذه والله العير
قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم لم يؤمنوا
وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج
به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما راى في السماء من العجائب وانه لقي
الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء فقيل
كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن رضي الله عنهما انه كان قبل البعث واختلفوا
في اليقظة ام في المنام فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ولكن عرج بروحه وكذا عن معوية وعن الحسن
كان في المنام رؤيا راها بخلاف ذلك **الى المسجد الاقصى** والمسجد الاقصى
بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد **الذي باركنا حوله** يريد بركات
الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى عليه السلم ومهبط الوحي وهو محفوف
بالانهار الجارية والاشجار المثمرة **لنريه من آياتنا** وقرا الحسن ليريه بالياء
ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم لنريه
على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة
انه هو السميع لاقوال محمد صلى الله عليه وآله وسلم **البصير** بافعاله العالم بتهذيبها
وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك **وآتينا موسى الكتاب وجعلناه
هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا** وقرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على ان
لا تتخذوا او للنهي كقولك كتبت اليه ان افعل **وكيلا** ربا تكلون اليه
اموركم **ذرية من حملنا مع نوح** نصب على الاختصاص وقيل على النداء
فيمن قرا لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا
يا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اي ولا تجعلوهم ربا كقوله ولا يا

الملائكة والنبيين اربابا من ذرية المحمولين مع نوح وعيسى وعزير و
قرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرا زيد بن ثابت ذرية
بكسر الذال وروي عنه انه فسرها بولد الولد ذكرهم النعمة في انجاء
آبائهم من الغرق **انه** ان نوحا **كان عبدا شكورا** قيل كان اذا اكل
قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني
ولو شاء اظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني
واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال
الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي انه كان
اذا اراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به

قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملائمته لما قبله

كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلم
كان عبدا شكورا ما وجه ملائمته لما قبله وانتم ذرية من آمن به وحمل معه
فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا للاختصاص
والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح عليه السلم فهم متصلون به فاستأهلوا
لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد
وقضينا الى بني اسرائيل واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا
بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون **في الكتاب**
في التورية **لتفسدن في الارض** جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري القضاء
المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن
على البناء للمفعول وقرئ لتفسدن بفتح التاء من فسد **مرتين** اولاهما قتل
زكريا عليه السلم وحبس ارميا حين انذرهم سخط الله والآخرة قتل
يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم **ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء
وعد اوليهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا
خلال الديار** وقرئ عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس وهم
سنحاريب وجنوده وقيل بختنصر وعن ابن عباس رضي الله عنهما جالوت فقتل علماء

واحرقوا التورية وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا كيف
جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه معناه خلينا بينهم
وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وجل اسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه
فهو كقوله وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وكقول الداعي وخالف بين
كلمتهم واسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم وتخريب
المسجد واحراق التورية من جملة الجوس المسند اليهم وقرأ طلحة فحاسوا
وقرئ فجوسوا وخلل الديار فما معنى وعدا ولاهما
معناه وعد عقاب اولهما وكان وعدا مفعولا يعني كان وعد العقاب
وعدا لا بد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة اي الدولة والغلبة عليهم
على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هي قتل بخت
نصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراءهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل
هي قتل داود جالوت وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم
اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر
كالعبيد والمعيز ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها
اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر
الى غيركم وعن علي عليه السلم ما احسنت الى احد ولا اساءت اليه و
تلاها فاذا جاء وعد المرة الآخرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة
ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة و
الكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله عز وجل
او للوعد او البعث ولنسوءن بالنون وفي قراءة علي رضي الله عنه لنسوءن وليسوءن
وقرئ ولنسوءن بالنون الخفيفة واللام في وليدخلوا المسجد على هذا متعلق
بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوءن جواب اذا جاء كما دخلوه
اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء
غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم عسى ربكم ان يرحمكم بعد
المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي وان عدتم مرة ثالثة

عدنا الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله عليهم النقمة بتسليط الاكاسرة
وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم
فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم آخر ذلك ان بعث الله
عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيمة وجعلنا جهنم
للكافرين حصيرا محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما
يبسط الحصير المرمول ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم للحالة التي هي
اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة واينما قدرت لم تجد مع الاثبات
ذوق البلاغة التي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة
تفقد مع ايضاحه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا
كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما وقرئ
ويبشر بالتخفيف كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر
الفسقة كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما كافر وانما حدث
اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك علام عطف وان الذين
لا يؤمنون على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين ببشارتين
اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر بان الذين لا يؤمنون
معذبون ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير اي ويدعو الله تعالى عند
غضبه بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله
للناس الشر استعجالهم بالخير وكان الانسان عجولا يتسرع الى طلب كل ما يقع
في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا
الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبي صلى
الله عليه وآله وسلم دعا به فاعلم بشانه فقال اللهم اقطع يديها ورفعت
سودة يديها فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اني سألت الله ان يجعل لعنتي
ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد
سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء

ويستعجل به كما يدعوا بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعني
ان العذاب آتيه لا محالة فما هذه الاستعجال وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو النضر
بن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له
فضرب عنقه صبرا وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل و
جعلنا آية النهار مبصرة فيه وجهان ان يراد ان الليل والنهار آيتان
في انفسهما فيكون الاضافة في آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة
العدد الى المعدود اي فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي هي
النهار مبصرة والثاني ان يراد وجعلنا نيري الليل آيتين يريد الشمس و
القمر فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسة مظلما لا يستبان
فيه شيء كما لا يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار
مبصرة اي تبصر فيه الاشياء وتستبان او فمحونا آية الليل التي هي القمر
حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة
وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من
ربكم لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم
ولتعلموا باختلاف الجديدين عدد السنين والحساب وجنس الحساب
وما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت
الامور وكل شيء مما تفتقرون اليه في دينكم ودنياكم فصلناه تفصيلا
بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا وكل
انسان الزمناه طائره عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل وعن
عيينة هو من قولك طار له سهم اذا خرج الزمناه ما طار من عمله في
عنقه والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة او الغل لا يفك عنه ومنه مثل
العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت في الرقاب وهذا ربقة في عنقه
بسكون النون ونخرج له يوم القيامة وقرئ يخرج بالنون وبالياء والضمير
لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر
اي يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال يلقاه منشورا وقرئ

يلقيه بالتشديد مبنيا للمفعول ويلقاه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه
صفة ويلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه اقرأ كتابك كفى بنفسك
اليوم عليك حسيبا على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من
لم يكن في الدنيا قاريا وبنفسك فاعل كفى وحسيبا تمييز وهو بمعنى حاسب
كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه
وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافي ووضع
موضع الشهيد فعدي بعلى لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه
لم ذكر حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والقاضي والامير لان
الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا
حسيبا ويجوز ان يتأول النفس بالشخص كما قال ثلاثة انفس وكان الحسن
اذا قرأها قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك من اهتدى
فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر
اخرى اي كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس اخرى و
ما كنا معذبين وما صح منا صحة تدعوا اليها الحكمة ان نعذب قوما حتى
نبعث رسولا الا بعد ان نبعث اليهم رسولا فتلزمهم الحجة
الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لان معهم ادلة العقل التي بها يعرف الله عز وجل
وقد اغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم
النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التي لا سبيل اليها
الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان بعثة الرسل
من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا
غافلين فلولا بعث الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل واذا اردنا
ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها
تدميرا واذا اردنا اهلاك قوم فلم يبق من زمان امهالهم الا قليل
امرناهم ففسقوا اي امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة
امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا

ووجه المجاز انه صبت عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي و
اتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم
اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم
اصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية
فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم
هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا   لان حذف
ما لا دليل عليه غير جائز فكيف بحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المأمور
به قيام او قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا
يلزم هذا قولهم امرته فعصاني او فلم يمتثل امري لان ذلك مناف للامر
مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مأمورا به فكان المأمور به محالا ا
يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام
غير مدلول عليه لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مأمو
به فكأنه يقول كان مني امر فلم يكن منه طاعة كما ان يقول فلان يعطي و
يمنع ويأمر وينهى غير قاصد الى مفعول   هلا كان ثبوت العلم
بان الله تعالى لا يأمر بالفحشاء وانما يأمرهم بالقسط والخير دليلا على
ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا   لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا
يدافعه فكأنك اظهرت شيئا وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر
الى المجاز هو الوجه ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف
لدلالة ما بعده عليه يقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد
لو شاء الاحسان او لو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما اظهر
وقلت قد دلت حال من اسندت المشيئة انه من اهل الاحسان او من
اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر ما دلت عليه حال صاحب
المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته
فامر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مأبو
او مهرة مأمورة اي كثيرة النتاج وروي ان رجلا من المشركين

قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال
عليه السلام انه سيأمر اي سيكثر وسيكبر وقرئ آمرنا من امر وامره
غيره وامرنا بمعنى امرنا او من امر امارة وامره الله اي جعلناهم امراء
وسلطناهم وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح كم مفعول اهلكنا
ومن القرون بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمود و
قرونا بين ذلك ونبه بقوله وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا
على ان اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها فعاقب عليها من كان يريد
العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء
لمن نريد فقيد الامر بتقييدين احدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد
المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون
ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه
فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة واما المؤمن التقي فقد اختار مراده
وهو غنى الآخرة فما يبالي اوتي حظا من الدنيا ام لم يؤت فان اوتي فبها
والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله لمن نريد بدل من له وهو
بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة وقرئ
يشاء وقيل الضمير لله عز وجل فلا فرق اذا بين القراءتين في المعنى ويحتمل ان
يكون للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله
ذلك وقيل هو من يريد الدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال فمن
كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته
لدنيا يصيبها او امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه ثم جعلنا له
جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى ومن اراد الآخرة و
سعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا
سعيها حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة اشترط ثلاث
شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بان يعقد بها همه
ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل في الآخرة والترك

والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن له ثلث لم ينفعه علمه
ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الاية وشكر الله الثواب
على الطاعة كُلًّا نُمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ نزيد من عطا
ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا يقطعه فرزق المطيع والعاصي جميعا على
وجه التفضيل وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ وفضله مَحْظُورًا اي ممنوعا لا يمنعه
من عاص لعصيانه انْظُرْ بعين الاعتبار كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا كيف جعلناهم متفاوتين
في التفضيل في الآخرة التفاوت اكثر لانها ثواب واعواض وتفضل و
كلها متفاوتة وروي ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب
عمر رض فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن
عمرو وانما اتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا
وابطانا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة اكثر وقرئ واكثر
تفضيلا وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب
في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي اكبر وافضل لَا تَجْعَلْ مَعَ
اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت
كانها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم وما يتبعه من
الهلاك من الهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له وَقَضَىٰ رَبُّكَ
وامر امرا مقطوعا به أَلَّا تَعْبُدُوا ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا
إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا واحسنوا بالوالدين احسانا او بان
تحسنوا بالوالدين احسانا وقرئ واوصى وعن ابن عباس رضي الله عنهما ووصى
وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضى ربك ولا يجوز ان يتعلق الباء في
بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه ولهذا دخلت النون المؤكدة
في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك
ولكن اما تكرمنه واحدهما فاعل يبلغن وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من
الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على احدهما فاعلا

او بدلا ولو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا
فما لك زعمت انه بدل لانه معطوف على ما يصح ان يكون توكيدا
للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله ما ضرك لو جعلته
توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت على البدل
لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او
كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول فَلَا تَقُلْ لَهُمَا
أُفٍّ وقرئ اف بالحركات الثلث منونا وغير منون الكسر على اصل البناء
والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ
ما معنى عندك هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل
لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا
وربما تولى منهما ما كان يتوليان منه في حال الطفولية فهو مامور بان
يستعمل معهما وطاءة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اف
اذا اضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنتهما فضلا عما يزيد
عليه ولقد بالغ سبحانه في هذه التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الا
ليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في
مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات
الضجر ومقتضياته ومع احوال لا يكاد يدخل الانسان معها في الاستطاعة وَلَا
تَنْهَرْهُمَا ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم
اخوات وَقُلْ لَهُمَا بدل التافيف والنهر قَوْلًا كَرِيمًا جميلا كما يقتضيه
حسن الادب والنزول على المروءة وقيل هو ان يقول يا ابتاه يا اماه كما
قال ابرهيم عليه السلم لابيه يا ابت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما
فانه من الجفاء وسوء الادب وعادة الدعارة وقالوا لا باس به في
غير وجهه كما قالت عائشة رضها نحلني كذا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ
وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر ما معنى قوله جناح
الذل فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك
كما قال واخفض جناحك للمؤمنين واضافه الى الذل او الذل كما اضيف حاتم

الى الحي و على صبي واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول والثاني ان يجعل لذله او لذل له لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة في التذلل والتواضع لهما **من الرحمة** من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس **وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا** ولا يكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما في صغرك وتربيتهما لك الاسترحام لهما انما يجوز اذا كانا مسلمين واذا كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعا للكفار جايزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين ولقد كرر الله سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروي يفعل البار ما شاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما شاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وروي سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان ابوي بلغا من الكبر اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا هو شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى عليه الصلوة والسلم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك وشكا اليه آخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر فقال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك

حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت ليلها واظمأت نهارها قال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه راى رجلا في الطواف يحمل امه ويقول:

انى لها مطية لا تذعر … اذا الركاب نفرت لا تنفر

ما حملت وارضعتني اكثر … الله ربي ذو الجلال الاكبر

تظنني جزيتها يا ابن عمر قال ولو زفرة واحدة وعنه قال عليه السلم اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة يوجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر وياخذ الاناء منه اذا شربها وعن ابي يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدر فيها لحم الخنزير اوقد وعن حذيفة انه استاذن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في قتل ابيه وهو في صف المشركين فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اوداء ابيهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه واله وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه **ربكم اعلم بما في نفوسكم** بما في ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير **ان تكونوا صالحين** قاصدين للصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر او لحمية الاسلام هنة تؤدي الى اذاهما ثم انبتم الى الله تعالى واستغفرتم منها **فانه كان للاوابين غفورا** فانه غفور للاوابين التوابين وعن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه

من خائبة لوروده على اثره وآت ذا القربى حقه وصى بغير الوالدين من
الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالاب
والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند
ابي حنيفة والشافعي لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين فحسب وان
كانوا مياسير ولم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم بالمواددة والزيارة
وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك
والمسكين وابن السبيل يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكوة وهذا
دليل على ان المراد بما يؤتى ذو القربى من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل
اراد بذي القربى اقرباء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تبذر
تبذيرا التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وكانت
الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر
ذلك في اشعارها فامر الله تعالى بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف
وعن عبد الله هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل كان
تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له المال في حقه فقال
له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر
مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال ما هذا السرف
يا سعد فقال افي الوضوء سرف قال نعم وان على نهر جار ان المبذرين كانوا
اخوان الشياطين امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا شر من
الشيطان او هم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم
به الاسراف او هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان
لربه كفورا فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرأ الحسن
اخوان الشياطين واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها
وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد فقل لهم
قولا ميسورا ولا تتركهم غير مجابين اذا سألوك وكان النبي صلى الله
عليه وآله وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء

وقوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي
فقل لهم قولا ميسورا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا
لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اي ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك
عليهم واما ان يتعلق بجواب الشرط وان اعرضت عليهم لفقد رزق من ربك
ترجوان يفتح لك فسمي الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لانه مسبب
عنه فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء
مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن
وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض
بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من ابى ان يعطي اعرض بوجهه يقال
يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل
لهم رزقنا الله تعالى واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم
فقرهم كان معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر اي دعا فيه بيسر ولا تجعل
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط هذا تمثيل لمنع الشحيح
واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير فتقعد
ملوما فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس
يقول المحتاج اعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني ما يحسن تدبير امر
المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على ما فعلت محسورا منقطعا
بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسألة وعن جابر
بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك
درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى امه فقالت قل
له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه
وقعد عريانا فاذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلوة وقيل اعطى الاقرع
بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وانشا
يقول اتجعل نهبي ونهب العبيد ٭ بين عيينة والاقرع ٭ وما كان حصن ولا حابس
يفوقان جدي في مجمع ٭ وما كنت دون امرئ منهما ٭ ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال يا ابابكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت إن ربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا ثم سلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا
لبخل به عليك ولكن لان مشيئته في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة
والمصلحة ويجوز ان يراد ان البسط والقبض انما هما من امر الله تعالى
الذي الخزائن في يده فاما العبيد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عز وجل
بسط لعباده او قبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط غاية مراده
ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته ولا تقتلوا اولادكم
خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ
كبيرا قتلهم اولادهم هو وادهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة
وهي الاملاق فنهاهم الله تعالى وضمن لهم ارزاقهم وقرئ خشية بكسر الخاء
وقرئ خطاء وهو الاثم يقال خطئ خطاء كاثم اثما وهو ضد الصواب اسم
من اخطاء وقيل هو والخطاء كالحذر والحذر وخطاء بالفتح والمد وخطا بالفتح
والسكون وخطاء بالكسر والمد وعن الحسن خطا بالفتح وحذف الهمزة كما
وعن ابي رجاء بكسر الخاء غير مهموز ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة
فعلة ظاهرة القبح زائدة على حد القبح وساء سبيلا وبئس طريقا طريقه وهو ان تغصب
على غيرك امرأته او اخته او ابنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر
الذي شرعه الله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق الا باحد
ثلث بان يكفر او يقتل مؤمنا عمدا او يزني بعد احصان ومن قتل مظلوما
غير مستوجب واحدة منهن فقد جعلنا لوليه للذي بينه وبينه قرابة توجب
المطالبة بدمه وان لم يكن له ولي فالسلطان وليه سلطانا تسلطا على
القاتل في الاقتصاص منه او حجة تثبت بها عليه فلا يسرف في القتل الضمير
للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية
كان اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير
بن الحارث بن عباد وهو يسبع نعل كليب قال كل قتيل في كليب غرة حتى ينال القتل

وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع حتى انه خبر في معنى الامر
وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا
تسرف على خطاب الولي او قاتل المظلوم وفي قراءة ابي فلا تسرفوا ورده على
ولا تقتلوا إنه كان منصورا علة النهي والضمير اما للولي يعني ان الله قد نصره بان اوجب
له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله نصره بمعونة السلطان وباظهار
المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه او للمظلوم لان الله ناصره
حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله
الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف
ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن بالخصلة او الطريقة التي هي
احسن وهي حفظه عليه وتثميره حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد
كان مسئولا اي مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به
ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك
تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان
صاحب العهد كان مسئولا وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا
بالقسطاس المستقيم قرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون
وقيل كل ميزان صغيرا او كبيرا من موازين الدراهم وغيرها ذلك خير
وأحسن تأويلا واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤول
اليه ولا تقف ما ليس لك به علم ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال
قفا اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك
من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال
والمراد النهي عن شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر
بك فتقول هذا يفعل كذا ورأيته يفعل كذا وسمعته ولم تره ولم تسمعه
وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه
حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وانشد ومثل الدمى
شم العرانين ساكن بهن الحياء لا يشعن التقافيا اي التقاذف وقال الكميت

ولا أرمي البري بغير ذنب ❊ ولا أقفو الحواصن إن قفينا ❊ وقد استدل به مبطل
الاجتهاد ولم يصح لأن ذلك نوع من العلم فقد أقام الشرع غالب الظن مقام
العلم وأمر بالعمل به إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه
مسئولا إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد كقوله والعيش بعد أولئك الأيام
وعنه في موضع الرفع بالفاعلية أي كل واحد منها كان مسئولا عنه
فمسئول مسند إلى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم
يقال للإنسان لم سمعت ما لا يحل لك سماعه ولم نظرت إلى ما لا يحل
لك النظر ولم عزمت على ما لا يحل لك العزم عليه وقرئ والفواد بفتح الفاء
والواو وقلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح
ولا تمش في الأرض مرحا حال أي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الأخفش
المصدر على اسم الفاعل لما فيه من التأكيد إنك لن تخرق الأرض لن
تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك وقرئ لن تخرق بضم الراء
ولن تبلغ الجبال طولا بتطاولك وهو تهكم بالمختال كل ذلك كان سيئه
عند ربك مكروها قرئ سيئه وسيئة على إضافة سيئ إلى
ضمير كل وسيئا وفي بعض المصاحف سيئاته وفي قراءة أبي بكر الصديق
سيئاته قيل سيئه مع قوله مكروها السيئة في
حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار
بتأنيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة وبين من قرأ سيئا ألا ترى أنك تقول
الزنى سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين إسنادها إلى مذكر
ومؤنث فيما ذكر من الخصال بعضها سيئ وبعضها حسن ولذلك
وكذلك من قرأ سيئه بالإضافة فيما وجه سيئه كل ذلك كان
بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة ذلك إشارة إلى ما تقدم
من قوله لا تجعل مع الله إلها آخر إلى هذه الغاية مما أوحى إليك ربك
من الحكمة ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا
وسماه حكمة لأنه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس

هذه ثماني عشرة آية كانت في ألواح موسى أولها لا تجعل مع الله إلها
آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وهي عشر
آيات في التوراة ولقد جعل الله عز وجل فاتحتها وخاتمتها النهي عن
الشرك لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه
حكمه وعلومه وإن بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن
الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم أفأصفاكم
ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا خطاب للذين قالوا الملائكة بنات
الله والهمزة للإنكار يعني أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل
الأولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ أدونهم وهي البنات
وهي خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فإن العبيد لا يؤثرون
بأجود الأشياء وأصفاها من الشوب ويكون أرداها وأدونها للسادات
إنكم لتقولون قولا عظيما بإضافتكم إليه الأولاد وهي خاصة الأجسام
ثم بأنكم تفضلون عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بأن تجعلوا
الملائكة وهم أعلى خلق الله وهم الإناث ولقد صرفنا في هذا القرآن
يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى الله البنات لأنه مما صرفه
وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى وأوقعنا التصريف
فيه وجعلناه مكانا للتكرير ويجوز أن يشير بهذا القرآن إلى التنزيل ويريد
ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لأنه معلوم
وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك قرئ مشددا ومخففا أي
كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم وما يزيدهم
إلا نفورا عن الحق وقلة طمأنينة إليه وعن سفيان كان إذا قرأها زاد في
لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون
قرئ كما يقولون بالياء والتاء وإذا دالة على أن ما بعدها وهو لابتغوا
جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى لابتغوا إلى ذي العرش
سبيلا لطلبوا إلى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك

سيئة ... نسخة

أفأصفيكم نسخة

ولقد صرفنا في هذا القرآن ... نسخة

بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا
اليه كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة سبحانه وتعالى
عما يقولون علوا في معنى تعاليا والمراد البراءة عن ذلك والنزاهة كبيرا
ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به
تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده
والمراد انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وقدرته وحكمته
فكانها تنطق بذلك وكانها تنزه الله تعالى مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها
فما تصنع بقوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم وهذا التسبيح
مفقوه معلوم الخطاب للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا عن
خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم
فكانهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما
كانوا عليه فاذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق
من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات
والارض ~~قالوا الله الا انهم~~ فما وجهه التسبيح المجازي حاصل في الجميع
فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة
والمجاز انه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم
وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم واذا قرأت القرآن جعلنا
بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ذا ستر كقولهم
سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد
حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر ان يبصر فكيف يبصر المحتجب به
وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت
ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا وهذه حكاية لما كانوا
يقولونه وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا و
بينك حجاب كانه قال واذا قرأت القرآن جعلنا على قلوبهم اكنة فيه ان
يفقهوه او لان قوله وجعلنا على قلوبهم اكنة فيه معنى المنع من الفقه فكانه

قيل ومنعناهم ان يفقهوه ويقال وجد يجد وجدا وجدة نحو وعد يعد وعدا
وعدة وحده من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في
انه مصدر ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده مصدر
مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اي يحبون ان يذكر
معه آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا نحن اعلم بما
يستمعون به من الهزؤ بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرأ
رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون
ويخلطون عليه بالاشعار وبه في موضع الحال كما يقول يستمعون بالهزؤ
اي هازئين واذ يستمعون اليك نصب باعلم اي اعلم وقت استماعهم بما
به يستمعون واذ هم نجوى وبما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى اذ يقول
الظالمون بدل من اذ هم ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فجن وقيل هو من السحر
وهو الرئة اي هو بشر مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك
بالشاعر والمجنون فضلوا فلا يستطيعون سبيلا فضلوا في جميع ذلك
ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري ما
يصنع وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا
قل كونوا حجارة او حديدا لما قالوا أئذا كنا عظاما قيل لهم كونوا
حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم
تستبعدون ان يجدد الله خلقكم والمعنى يرده الى حال الحياة والى رطوبة
الحي وغضاضته بعدما كنتم عظاما مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل
هي عمود خلقته الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته
الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحياة ورطوبة الحي
ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا
مع انطباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال
الحياة او خلقا مما يكبر في صدوركم يعني خلقا مما يكبر عندكم عن
قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل

ما يكبر في صدوركم الموت وقيل السموات والارض فسيقولون من يعيدنا
قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤسهم فسيحركونها
نحوك تعجبا واستهزاء ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم
يدعوكم فتستجيبون والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم
يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا يمتنعون وقوله بحمده حال
منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بركوب
ما يشق عليه فيتأبى ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل
عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن
سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم
وبحمدك وتظنون ان لبثتم الا قليلا وترون الهول فعنده تستقصرون
مدة لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة تحاقرت
الدنيا في انفسهم حين عاينوا الآخرة وقل لعبادي وقل للمؤمنين يقولوا
للمشركين الكلمة التي هي احسن والين ولا يخاشنوهم لقوله وجادلهم بالتي
هي احسن وفسر التي هي احسن بقوله ربكم اعلم بكم ان يشاء يرحمكم
او ان يشاء يعذبكم يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم
هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم وما اشبه
ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم
اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشارة
والمشاقة ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم اعلم بكم
ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم
وكيلا اي ربا ما كولا اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه
وانما ارسلناك بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال
وترك المحاقة والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر رض
رجل فامره الله تعالى بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي

احسن ان يقولوا لهم يهديكم الله يرحمكم الله وقرأ طلحة ينزغ
بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون وربك اعلم بمن في السموات
والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض هو رد على اهل مكة
في انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة
الجوع اصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك في بعض
الاكابر وصناديدهم يعني وربك اعلم بمن في السموات والارض و
باحوالهم ومقاديرهم وبما يستاهل كل واحد منهم وقوله ولقد
فضلنا بعض النبيين على بعض اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وقوله وآتينا داود زبورا دلالة على وجه التفضيل وهو انه
خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب في زبور داود قال
الله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي
الصالحون وهو محمد وامته هلا عرف الزبور كما عرف في قوله
ولقد كتبنا في الزبور يجوز ان يكون الزبور وزبور كالعباس
وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض الزبور وهي الكتب
وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الزبور
كما يسمى بعض القرآن قرآنا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه هم الملائكة
وقيل عيسى ابن مريم وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم
الجن ولم يشعروا فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اي
ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب
ولا ان يحولوه من واحد الى آخر ويبدلوه اولئك مبتدأ و الذين يدعون
صفته يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب خبر يعني ان آلهتكم
اولئك يبتغون الوسيلة وهي القربة الى الله فكيف بغير الاقرب او يبتغون
معنى يحرصون فكانه قيل ايهم اقرب الى الله تعالى وذلك بالطاعة وازدياد
الخير بالصلاح ويرجون رحمته ويخافون عذابه كما غيرهم من عباد الله
فكيف يزعمون انهم آلهة ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره

كل احد من ملك مقرب او نبي مرسل فضلا عن غيرهم وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا بالقتل وانواع البلية وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فتخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ في اللوح المحفوظ مَسْطُورًا وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ استعير المنع لترك ارسال الآيات من اجل صارف الحكمة وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الآيات التي اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله في الامم ان من اقترح منهم فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستيصال فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب بها الاولون الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا العذاب المستأصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيمة وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ ثم ذكر من تلك الآيات التي اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهي ناقة صالح لان اثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم مُبْصِرَةً بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم فَظَلَمُوا بِهَا فكفروا بها وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل بالآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس بقريش يعني بشرناك بوقعة بدر وبالنصر عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كان قد كان ووجد فقال احاط بالناس على

عبادته في اخبارنا وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وحين تزاحف الفريقان يوم بدر ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في العريش مع ابي بكر كان يدعو ويقول اللهم اني اسالك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم في منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من امر بدر وما اري في منامه مصارعهم فكانوا يضحكون ويستسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان هذا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجرة من لا تاكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت في النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحمر كالجمر باحماء النار ولا تضرها ثم اقرب من ذلك في كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما يرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر فما كان ما اريناك منه في منامك بعد الوحي اليك الا فتنة لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال وَنُخَوِّفُهُمْ اي بمخاوف الدنيا والآخرة فَمَا يَزِيدُهُمْ التخويف إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هي الاسراء وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم

اين شر كايتي ذق انك انت العزيز الكريم وقيل هجيه رؤياه انه سيدخل مكة
وقيل راي في المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان
الكرة ان لعنت شجرة الزقوم لعنت حيث طاعمها من
الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت
بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة
وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة وهي في اصل الجحيم وقيل يقول
العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسالت بعضهم فقال نعم الطعام
الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هي الكشوث التي تلتوي بالشجر تجعل
في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل ابو جهل وقرئ والشجرة الملعونة في القرآن
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد
لمن خلقت طينا حال من الموصول والعامل فيه ءاسجد على اسجد له وهو
طين اي اصله طين او من الراجع اليه من الصلة على اسجد لمن كان في
وقت خلقه طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتأكيد الخطاب
وهذا مفعول والمعنى اخبرني عن هذا الذي كرمته علي اي فضلته لم كرمته
وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتداء بذلك فقال لئن
اخرتن الى يوم القيمة واللام موطئة للقسم المحذوف لاحتنكن ذريته
الا قليلا لاستاصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها
اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدماء او نظر اليهم فتوسم من مخايله انه خلق شهواني وقيل
ذلك لما علمت وسوسته في آدم والظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم
من الشجرة قال اذهب ليس من الذهاب الذي نقيض المجيء وانما معناه
امض لشانك الذي اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء
اختياره في قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم كما قال موسى
عليه السلام للسامري فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس
اما كان من حق الضمير في الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك

هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من
يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم و
يقلقلهم عن مراكزهم واجلب عليهم بخيلك من خياله ورجاله حتى يستاصلهم
وقيل بصوته بدعاية الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من اهل العبث وقيل يجوز
ان لابليس خيل ورجال وشاركهم في الاموال والاولاد واما
الاموال فكل معصية يحملهم عليها في بابها كالربوا والمكاسب المحرمة و
البحيرة والسائبة والانفاق في الفسوق والاسراف ومنع الزكوة واما التوصل
الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى و
عبد الحارث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة
وغير ذلك وعدهم المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على
الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال
على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا
حمما وايثار العاجل على الآجل وما يعدهم الشيطان الا غرورا ان
عبادي يريد الصالحين ليس لك عليهم سلطان اي لا تقدر ان تغويهم وكفى
بربك وكيلا لهم يتوكلون به في الاستعاذة منك ونحوه قوله الا عبادك
منهم المخلصين كيف جاز ان يامر الله تعالى ابليس بان يتسلط على
عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير هو من الاوامر
الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم ربكم
الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم
رحيما يزجي يجري ويسير واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق
ضل من تدعون الا اياه ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه
في حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في ذلك
الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون بالكم ان غيره
يقدر على اغاثتكم ولانقاذكم احد غيره من سائر المدعوين ويجوز
ان يراد ضل من تدعون من الآلهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو

هو الذي يرجونه وحله على الاستثناء المنقطع **فلما نجيكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا افامنتم ان يخسف بكم جانب البر**

الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم فحملكم

ذلك على الاعراض بر انقلب جانب البر يخسف مفعولا

به كالارض في قوله فخسفنا به وبداره الارض وبكم حال والمعنى ان يخسف

جانب البر اي يقلبه وانتم عليه فما معنى كونه

معناه ان الجوانب والجهات كلها في قدرته سواء له في كل جانب

برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده

مختصا بذلك بل ان كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو

مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت الثرى فالبر والبحر عنده سيان يقدر

في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل ان يستوي خوفه من الله

في جميع الجوانب وحيث كان **او يرسل عليكم حاصبا** وهي الريح التي

تحصب اي ترمي بالحصباء يعني او ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف

اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون

اشد عليكم من الغرق في البحر **ثم لا تجدوا لكم وكيلا** من يتوكل يصرف

ذلك عنكم **ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح** ان يقوي دواعيكم ويوفرها الى ان ترجعوا فتركبوا

البحر الذي نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل عليكم قاصفا

وهي الريح التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر وقيل

التي لا تمر بشيء الا قصفته **فيغرقكم بما كفرتم** وقرئ بالتاء اي

الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم بالياء والنون **ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا** التبيع المطالب فاتباع بالمعروف اي مطالبة

قال الشماخ كما لاذ الغريم من التبيع يقال فلان تبيع بحقه اي مسيطر

عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم لا نجد احدا بما فعلنا

انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها

بعد كفرهم بكفرانكم النعمة بعد اعراضهم حين نجاهم **ولقد كرمنا بني آدم** قيل في تكرمه ابن آدم كرمه الله تعالى بالعقل والنطق والتمييز

والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل

بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شيء ياكل بفيه الا

ابن آدم وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف

فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا

لهم اصابع ياكلون بها فاحضرت الملاعق فردها واكل باصابعه **وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا** هو ما سوى الملائكة صلوات الله عليهم وحسب بني

آدم تفضيلا ان ترفع عنهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم

والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة

المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانبياء على الملائكة وذلك بعد ما سمعوا

تفخيم الله تعالى امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم

واني قربهم وكيف نزلهم من انبيائه منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم

فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة

ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك

فاعطنا الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي

كمن قلت له كن فيكون ورووا عن ابي هريرة انه قال المؤمن اكرم

على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بمعنى

جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم

وفضلناهم على جميع ممن خلقنا اتبعي الحلق فهم واقذى لعيونهم ولكنهم

لا يشعرون فانظروا الى تمحلهم وتشبثهم بالتاويلات البعيدة في عداوة

الملا الاعلى كان جبريل غاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة

لا تنحل عن قلوبهم **يوم ندعوا كل اناس** وقرئ يدعو كل اناس على البناء

للمفعول وقرا الحسن يدعو كل اناس على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو

بالياء والنون ويدعى

والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كما في واسروا
النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها
لانها غير ضمير ليست الا علامة **بامامهم** بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين
او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا وكتاب كذا و
قيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر
وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان
الناس يدعون يوم القيمة بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء بالامهات دون
الاباء رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين عليهم السلم وان لا
يفتضح اولاد الزنا وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته
فمن اوتي من هؤلاء المدعوين **كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم**
وانما قيل اولئك لان من اوتي في معنى الجمع لم خص اصحاب
اليمين بقراءة كتابهم كان اصحاب الشمال لا يقرؤن كتابهم
بلى ولكنهم اذا اطلعوا على ما في كتابهم اخذهم ما ياخذ المطالب بالنداء
على جناياته والاعتراف بمساويه امام التنكيل والانتقام من الحياء
والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام
والذهاب عن تسوية القول فكانت قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين
فامرهم على عكس ذلك لا جرم انهم يقرؤن كتابهم احسن قراءة وابينها
ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم
اقرؤا كتابيه **ولا يظلمون فتيلا** ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شيء كقوله
ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما **ومن كان في هذه اعمى فهو
في الآخرة اعمى واضل سبيلا** معناه ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة
اعمى كذلك واضل سبيلا من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات
لفساد حاسته لمن لا يهتدي الى طريق النجاة اما في الدنيا فلفقد النظر واما
في الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى
التفضيل ومن ثم قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثاني مفخما لان افعل التفضيل

تمامه بمن فكانت الفتنة في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك اعمالكم
اما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفتنة واقعة في الطرف معرضة للامالة
روي ان ثقيفا قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا ندخل في امرك
حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى في
صلواتنا فكل ربوا لنا فهو لنا وكل ربوا علينا فهو موضوع عنا و
ان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند راس الحول وان تمنع
من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله
امرني به وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب
من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون
والكاتب ينظر الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقام عمر بن الخطاب
فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم
نارا فقالوا لسنا نكلم اياك انما نكلم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم
فنزلت وروي ان قريشا قالوا له اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب
آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت **وان كادوا ليفتنونك** ان مخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشأن قاربوا
ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين **عن الذي اوحينا اليك** من اوامرنا ونواهينا
ووعدنا ووعيدنا **لتفتري علينا غيره** لتتقول علينا ما لم نقل يعني ما ارادوه
عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من ان
يضيف الى الله ما لم ينزل عليه **واذا لاتخذوك** اي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك
خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي **ولولا ان ثبتناك** ولولا تثبيتنا
لك وعصمتنا **لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا** لقاربت ان تميل
الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف
للمؤمنين **اذا** لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة **لاذقناك ضعف
الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا** اي لاذقناك عذاب
الآخرة وعذاب القبر مضاعفين كيف حقيقة هذا الكلام

اصله لاذقناك عذاب الحيوة وعذاب الممات لان العذاب عذابان
عذاب في الممات وهو عذاب القبر وعذاب في حيوة الآخرة وهو عذاب
النار والضعف يوصف به نحو قوله فآتهم عذابا ضعفا من النار والضعف
بمعنى مضاعفا فكان اصل الكلام لاذقناك عذابا ضعفا في الحيوة وعذابا
ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم
اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل
لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب
النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحيوة الدنيا وما
نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد
الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه
بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل
والتوحيد نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه
دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب
موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الآية ان يجثو عندها
ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد
التصلب في دين الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انها نزلت
كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين وان كادوا وان كاد اهل
مكة ليستفزونك ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض من ارض
مكة ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا
قليلا فان الله تعالى مهلكهم وكان كما قال فقد اهلكوا ببدر بعد
اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستوصلوا عن بكرة ابيهم
ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من ارض المدينة
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجر حسدته اليهود
وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء
انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم فلو خرجت

الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف
الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه
ويراه الناس عازما الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت
فرجع وقرئ لا يلبثون وقرأة ابي لا يلبثوا على اعمال اذن
فما وجه القرائتين اما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل
وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم و
اما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي اذا لا يلبثوا عطف على جملة قوله
وان كادوا ليستفزونك وقرئ خلفك قال عفت الديار خلافهم فكانما
بسط الشواطب بينهن حصيرا اي بعدهم سنة من قد ارسلنا قبلك ولا
تجد لسنتنا تحويلا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من ظهرانيهم
فسنة الله ان يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك
سنة اقم الصلوة لدلوك الشمس دلوك الشمس غروبها وقيل زوالها وروي
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اتاني جبرئيل لدلوك الشمس حين زالت
فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر
اليها فان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان
كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر الى غسق الليل والغسق
الظلمة وهو وقت صلوة العشاء وقرآن الفجر صلوة الفجر سميت قرآنا وهو
القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهو حجة على ابن
علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن ان قرآن الفجر كان
مشهودا يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو
في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين
في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون
وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلوة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع
الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر اطول الصلوات قراءة

الليل وعليك بعض الليل **فتهجد به** والتهجد ترك الهجود للصلوة وتحوه التا
والتخرج ويقال ايضا في النوم تهجد **نافلة لك** عبادة زائدة لك على
الصلوات الخمس ووضع نافلة موضع تهجد لان التهجد عبادة زائدة فكان
التهجد والنافلة يجمعها معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك الصلوة المفروضة
فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم **عسى ان يبعثك ربك**
مقاما محمودا نصب على الظرف عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما او
ضمن يبعثك معنى يقيمك ويجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود
ومعنى المقام المحمود الذي يحمده القائم فيه وكل من راه وعرفه وهو
مطلق في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي
نوع مما يتناوله وعن ابن عباس رضي مقاما يحمدك فيه الاولون والاخرون و
تشرف فيه على جميع الخلائق تسال فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك
وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه واله وسلم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي
وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد فلا تكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله
عليه واله فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت
وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا ولا منجا منك الا اليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا
وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق قرئ مدخل و
مخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق اي
ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيئات
واخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقى بالكرامة امنا من السخط
يدل عليه ذكره على ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال
المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا بالفتح واخراجه
منها وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله
من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل
الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان **واجعل**

لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا
قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له فاجيبت دعوته بقوله
والله يعصمك من الناس وان حزب الله هم الغالبون ليستخلفنهم في
الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه عليه السلم
انه استعمل عتاب بن اسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك
على اهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال اهل مكة
لا والله لا اعلم متخلفا يتخلف عن الصلوة في الجماعة الا ضربت عنقه
فانه لا يتخلف عن الصلوة الا منافق فقال اهل مكة يا رسول الله لقد
استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله
عليه واله وسلم اني رايت فيما يرى النائم كان عتاب بن اسيد اتى باب
الجنة فاخذ حلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتى فتح له فدخلها فاعز
الله به الاسلام لنصرته المؤمنين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير
وقل جاء الحق وزهق الباطل كان حول البيت ثلثمائة وستون صنما
صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضي كانت لقبائل العرب اصنام
يحجون اليها وينحرون لها وشكى البيت الى الله تعالى فقال اي رب حتى
متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحى الله تعالى الى البيت اني
ساحدث لك توبة جديدة فاملا لك خدودا سجدا يدفون اليك
دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك
بالتلبية ولما نزلت هذه الاية يوم الفتح قال جبرئيل لرسول الله صلى الله
عليه واله وسلم خذ مخصرتك ثم القها فجعل ياتي صنما صنما وهو ينكت
بالمخصرة في عينه ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم على
لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير
صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
حتى صعد فرمى به وكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما راينا رجلا
من محمد صلى الله عليه واله وسلم وشكاية البيت والوحي اليه تمثيل وتخييل

وزهق الباطل وذهب وهلك من زهقت نفسه اذا خرجت والحق الاسلام
والباطل الشرك ان الباطل كان زهوقا مضمحلا غير ثابت في كل وقت
وننزل وقرئ بالتخفيف والتشديد من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين من للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض اي كل شيء نزل من القرآن
فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به ايمانا ويستصلحون به دينهم
منهم فموقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من لم
يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يزداد
به الكافرون الا خسارا اي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله فزادتهم
رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على الانسان بالصحة والسعة اعرض عن ذكر
الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تأكيد للاعراض لان الاعراض
عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه
ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين واذا مسه الشر
من فقر او مرض او نازلة من النوازل كان يؤسا شديد اليأس من
روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرئ وناء
بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء في رأى ويجوز ان يكون
من ناء بمعنى نهض قل كل يعمل على شاكلته اي على مذهبه وطريقته
التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي
الطرق التي تتشعب منه والدليل عليه قوله فربكم اعلم بمن هو
اهدى سبيلا اي اسد مذهبا وطريقة ويسألونك عن الروح قل الروح
من امر ربي الاكثر على ان الروح الذي في الحيوان سألوه عن حقيقته
فاخبر انه من امر الله اي مما استأثر بعلمه وعن ابي بريدة لقد مضى النبي
صلى الله عليه وآله وسلم وما يعلم الروح وقيل هو جبرئيل عليه السلام وقيل
القرآن ومن امر ربي اي من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود
الى قريش ان سلوه عن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان
اجاب عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة

فندموا على سؤالهم وما اوتيتم من العلم الا قليلا الخطاب عام فقد روي
ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون
بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم تؤتوا من العلم الا
قليلا فقالوا ما اعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام وليس
ما قالوا بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشيء
بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها
العبد خير في نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله تعالى فهي قليلة وقيل
اوتينا التورية وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
فقيل لهم ان علم التورية قليل في جنب علم الله تعالى ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط و
اللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن و
محوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدري
ما الكتاب ثم لا تجد لك به علينا وكيلا لم لا تجد لك بعد الذهاب به
من يتوكل علينا باسترداده واعادته الا رحمة من ربك ان فضله كان
عليك كبيرا الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه
بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب
به وهذا امتنان من الله سبحانه ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة في
تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام
بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته
عليه في بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود رض ان اول ما تفقدون من دينكم
الامانة وآخر ما تفقدون منه الصلوة وليصلين قوم ولا دين لهم وان
القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه
في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤهم فقال يسرى
عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ
بِمِثْلِهِ جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط
كقوله يقول لا غايب مالي ولا حرم لان الشرط وقع ماضيا وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ
لِبَعْضٍ ظَهِيرًا اي لو تظاهروا على ان ياتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن
نظمه وتاليفه وفيهم العرب العالية ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان
بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه
معجز وانما يكون العجز حيث يكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام
والعباد عاجزون عنه واما المحال الذي لا مجال للقدرة فيه ولا مدخل لها
فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك
لجاز وصف الله تعالى بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا
فيقولوا هو قادر على المحال فان راس ما لهم المكابرة وقلب الحقائق وَلَقَدْ
صَرَّفْنَا رددنا وكررنا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ من كل معنى هو
كالمثل في غرابته وحسنه فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا والكفور الجحود
كيف جاز فابي اكثر الناس الا كفورا ولم يجز ضربت الا
زيدا لان ابي يتاول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا وَقَالُوا
لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات
الاخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل
المبهوت المحجوج المتعثر في اذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر بالتخفيف
بعنون ارض مكة عينا غزيرة من شانها ان تنبع الماء
لا يقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ
نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا
زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا يعنون قول الله تعالى ان نشا نخسف بهم الارض او
نسقط عليهم وقرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر و
بفتحها أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا كفيلا بما تقول شاهدا بصحته
والمعنى او تاتي بالله قبيلا وبالملائكة كقوله كنت منه ووالدي بريا ولـ...

...داني وقيان بها لغريب او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا
الملائكة او نرى ربنا او جماعة حال من الملائكة أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ
من ذهب أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ في معارج السماء فحذف المضاف يقال رقي في
السلم وفي الدرجة وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا من السماء
نَقْرَؤُهُ فيه تصديقك وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال عبد الله بن امية لن نؤمن
لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى
تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون لك
انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج
ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا
في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا
الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوا
بل هي اعظم لم يكن الى تبصرهم سبيل قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي وقرئ قال سبحان
ربي اي قال الرسول سبحان ربي تعجبا من اقتراحاتهم عليه هَلْ كُنْتُ إِلَّا
بَشَرًا رَسُولًا كسائر الرسل بشرا مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم
الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات الي انما هو الى الله
فما لكم تتحكمون علي وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ
إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع
والثانية رفع فاعله والهدى الوحي اي وما منعهم الايمان بالقرآن ونبوة
محمد صلى الله عليه وآله وسلم الا الشبهة التي تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل
الله البشر والهمزة في ابعث الله للانكار وما انكروه فخلافه هو
المنكر عند الله تعالى لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله
او الى الانبياء عليهم السلام قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ
ذلك بانه لو كان في الارض ملائكة يمشون على اقدامهم كما يمشي الانس ولا
يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها ويعلموا ما يجب علمه
مُطْمَئِنِّينَ ساكنين في الارض قارين لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا

رسولا يعلمهم الخير ويهديهم الرشد واما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختارين منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم

هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا

وجه حسن والمعنى له اجوب قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده المنذرين والمنذرين خبيرا بصيرا عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووعيد للكفرة وتهديدا حال او تمييز ومن يهد الله فهو المهتدي ومن يوفقه ويلطف به لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه ومن يضلل ومن يخذل فلن تجد لهم اولياء انصارا من دونه ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا وبكما وصما كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى ويجوز ان يحشروا مؤفي الحواس من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع آخر انهم يقرءون ويتكلمون مأويهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا كلما اكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله تعالى جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد في تحسرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل في الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ءاذا كنا عظاما ورفاتا ءانا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم اجلا لا ريب فيه

فابى الظالمون الا كفورا

علام عطف قوله وجعل لهم اجلا

على قوله اولم يروا لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال ءانتم اشد خلقا ام السماء وجعل لهم اجلا لا ريب فيه وهو الموت او القيمة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا قل لو انتم تملكون لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها في قوله انتم تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وابدل من الضمير المتصل الذي هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم لو ذات سوار لطمتني وقول المتلمس ولو غير اخوالي ارادوا نقيصتي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق رحمته رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الشيخ الغاية التي لا يبلغها الوهم وقيل هؤلاء اهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها وكان الانسان قتورا ضيقا بخيلا

هل يقدر لامسكتم مفعول — لا لان معناه لبخلتم

من قولك للبخيل ممسك ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات عن ابن عباس هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز رحمه الله انه سأل محمد بن كعب فذكر اللسان يعني حل العقدة من لسان موسى والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم وحمص كلها حجا

وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فقال اوحى الله تعالى الى موسى ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببريء الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت **فسئل** فقلنا له سل **بني اسرائيل** اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك وتدل قراءة رسول الله صلى الله فسال بني اسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بني اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الآيات لتزداد يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابرهيم عليه الصلوة والسلام ولكن ليطمئن قلبي بم يتعلق **اذ جاءهم** اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اي فقلنا له سلهم حين جاءهم او بسال في القرآن الثانية واما على الاخير فباتينا او باضمار اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء اباءهم **فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا** سحرت فخولط عقلك **قال لقد علمت** يا فرعون **ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر** الآيات الا الله عز وجل بصائر بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض **واني لاظنك يا فرعون مثبورا** ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك مثبورا هالكا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امري اني لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا

على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقرا ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة **فاراد** فرعون **ان يستفزهم** ان يستخف موسى عليه السلام وقومه **من الارض** من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال **فاغرقناه ومن معه جميعا** فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه **وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض** التي اراد فرعون ان يستفزكم منها **فاذا جاء وعد الآخرة** يعني قيام الساعة **جئنا بكم لفيفا** جمعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى **وبالحق انزلناه وبالحق نزل** وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او وما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين **وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا** الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك **وقرآنا** منصوب بفعل يفسره **فرقناه** بالتشديد اي نزلناه مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قرا مشددا وقال لم ينزل في يومين او ثلثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب **لتقراه على الناس على مكث** بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت **ونزلناه تنزيلا** على حسب الحوادث **قل آمنوا به او لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا** امر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشانهم وان لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم وانهم لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرؤا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله

تعظيما لامره ولا يجانه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه واله وسلم وانزال الفرقان عليه وهو المراد بالوعد في قوله ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا اي يزيدهم لين قلب ورطوبة عين   ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لما ذا يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا به او لا تؤمنوا وان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم وتطييب نفسه كانه قيل تسل عن الايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد امن من هو خير منكم   ما معنى الخرور للذقن   السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض من الوجه الذقن   حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه للخرور واختصه قال فخر صريعا لليدين وللفم   معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص   لم كرر يخرون للاذقان لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وفي حال كونهم باكين عن ابن عباس سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله تعالى في التورية هذا الاسم فنزلت قل ادعوا   او ادعوا الرحمن والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين يقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى واو للتخيير يعني ادعوا الله او ادعوا الرحمن سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا واما هذا ايا ما تدعوا والتنوين في ايا عوض من المضاف اليه وما صلة للابهام المؤكد لما في اي اي اي هذين الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته عز وجل لان التسمية للذات لا الاسم والمعنى ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذا الاسمان لانهما منها ومعنى كونها احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم ولا تجهر بصلوتك بقراءة صلوتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان يعتقبان على الصوت لا غير والصلوة افعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا اسمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين ولا تخافت بها حتى لا تسمع من خلفك وابتغ بين ذلك بين الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروى ان ابا بكر رض كان يخفي صوته بالقراءة في صلوته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر رض يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر ابا بكر رض ان يرفع في صلوته ومعه قليلا وعمر رض ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلوة النهار وقيل بصلوتك بدعائك وذهب قوم الى ان الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لابتغاء الوجه الوسط في القرآن وقل الحمد لله   الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل ناصر من الذل ومانع له لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته وكبره تكبيرا   كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك بكلمة التحميد   لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اذا افصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وآله من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم ولم يجعل له عوجا ولم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه قيما نصب بمضمر والاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفي عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غنى عن الآخر فائدته التاكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من ادنى عوج عند السبر والتصفح قيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم من الشرائع وقرئ قيما لينذر انذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما واصله لينذر الذين كفروا بأسا شديدا والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة من لدنه صادرا من عنده ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات وقرئ ويبشر بالتخفيف والتثقيل لم اقتصر على احد مفعولي انذر قد جعل المنذر به هو الغرض المسوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا استغنى بتقدم ذكره والاجر الحسن الجنة ما لهم به من علم ولا لآبائهم اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد تلقفوه من آبائهم من الشيطان وتسويله اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم معناه ما لهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به وقرئ كبرت كلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة وتخرج من افواههم صفة للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من افواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس ويحدثون به انفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به ويطلقوا به السنتهم بل يكظمون عليه تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة الى م يرجع الضمير في كبرت الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه احبته واعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا بهذا الحديث بالقرآن اسفا مفعول له لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة في الحزن والغضب يقال رجل اسف واسيف انا جعلنا ما على الارض زينة لها يعني ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها لنبلوهم ايهم احسن عملا وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل اليها بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة في ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار وغير ذلك ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض

بما خلق فوقها من الاجناس التي لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم
قال ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم يعني ان ذلك اعظم من قصة اصحاب
الكهف وابقاء حيوتهم مدة طويلة والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم
اسم كلبهم قال امية بن ابي الصلت شعر وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم في الكهف هجد
وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف
وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا في الجبل وقيل هو الوادي الذي
فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة
دون فلسطين كانوا من آياتنا عجبا كانوا آية عجبا من آياتنا وصفا
بالمصدر او على ذات عجب اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا
آتنا من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق
والامن من الاعداء وهيئ لنا من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار
رشدا حتى يكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك
رايت منك اسدا فضربنا على آذانهم في الكهف اي ضربنا عليهم حجابا
من ان تسمع يعني انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى
المستثقل في نومه يصاح به فلا يتنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال
بنى على امراته يريدون بنى عليها القبة سنين عددا ذوات عدد فيحتمل ان
يريد الكثرة وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا
ساعة من نهار بلاغ وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج
ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين
احصى لما لبثوا امدا اي يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل
فيه وقرئ ليعلم وهو معلق عنه ايضا لارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه
وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم اي الحزبين المختلفين منهم في مدة
لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم
لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين
قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اي الحزبين

المختلفين من غيرهم واحصى فعل ماض اي ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم
فما يقول فيمن جعله من افعل التفضيل ليس بالوجه
السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس ونحو اعدى
من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ في غير القرآن
ممتنع فكيف به ولان امدا لا يخ اما ان ينتصب بلبثوا فلا يسد عليها المعنى
فان زعمت اني انصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر في قوله
واضرب منا بالسيوف القوانسا على يضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو
قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره
واضماره كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا
في الضرب على آذانهم الله عز وجل لم يزل عالما بذلك وانما
اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا ويكون
لطفا لمؤمني زمانهم وآية بينة لكفاره وزدناهم هدى بالتوفيق و
التثبيت نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم و
زدناهم هدى وربطنا على قلوبهم وقويناها بالصبر على هجر الاوطان
والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق
والتظاهر بالاسلام اذ قاموا بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة
به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم فقالوا ربنا رب السموات والارض
لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا قولا ذا شطط وهو الافراط
في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه اشط في السوم وفي غيره هولاء
مبتداء وقومنا عطف بيان اتخذوا الخبر وهو اخبار في معنى انكار اتخذوا
من دونه آلهة لولا يأتون عليهم هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف
بسلطان بين وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان
محال وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه واذ
اعتزلتموهم خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار

بدينهم وما يعبدون الا الله نصب عطف على الضمير يعني واذا اعتزلتموهم
واعتزلتم معبوديهم الا الله يجوز ان يكون استثناء متصلا على ما روي
انهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما اهل مكة وان
يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم
لم يعبدوا غير الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته يبسط الرزق لكم ويهيئ
لكم من امركم مرفقا وقرئ بفتح الفاء وكسرها وهو ما يرتفق به
اي ينتفع انما قالوا ذلك ثقة بفضل الله تعالى وقوة في رجائهم لتوكلهم
ونصوع يقينهم اما ان يخبرهم نبي في عصرهم واما ان يكون بعضهم نبيا
وترى الشمس اذا طلعت تزاور اصله تتزاور فخفف بادغام التاء في الزاي
او حذفها وقد قرئ بهما وتزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور
وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق عن كهفهم
ذات اليمين جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين واذا غربت تقرضهم
ذات الشمال تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة
الى ظعن يقرضن اقواز مشرف شمالا وعن ايمانهن الفوارس وهم في فجوة
منه في متسع من الكهف والمعنى انهم في ظل نهارهم كله لا يصيبهم الشمس
في طلوعها ولا في غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح معرض لاصابة
الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل في متفسح من غارهم ينالهم فيه
روح الهوى وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار ذلك من آيات الله
من يهدي الله فهو المهتد اي ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس و
قرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعني ان ما كان في ذلك السمت تصيبه
الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالي مستقبل
لبنات النعش فهم في مقناة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شانهم وحديثهم
من آيات الله ان شانهم وحديثهم من آيات الله من يهدي الله فهو المهتد
ثناء عليهم بانهم جاهدوا في سبيل الله واسلموا له وجوههم فلطف
بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص

بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو
الذي اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن يضلل فلن تجد له وليا
مرشدا ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده بعد خذلان
الله وتحسبهم بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد ايقاظا وهم رقود
ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال والايقاظ جمع يقظ كانكاد جمع
نكد وقيل عيونهم منفتحة وهم رقود نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا
وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلب واحدة في
يوم عاشوراء وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله عز وجل وقرئ وتقلبهم
على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم
ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم وكلبهم وقرأ جعفر الصادق
وكالبهم يعني وصاحب كلبهم باسط ذراعيه بالوصيد حكاية حال
ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان في معنى المضي واضافته
اذا اضيف حقيقة معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية
والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وانشد بارض فضاء لا يسد وصيدها
علي ومعروفي بها غير منكر لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا و
لملئت منهم وقرئ ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة
وقلبها ياء رعبا بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يملأ الصدر اي ملأ
وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم
وعظم اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر
بالكهف فقال لو كشفت لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال ابن عباس رضي الله عنهما
ليس لك ذلك قد منع الله تعالى من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت
منهم فرارا فقال معاوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم
اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى ريحا فاحرقتهم
وقرئ لو اطلعت بضم الواو وكذلك بعثناهم وكما انمناهم تلك
النومة كذلك بعثناهم اذكارا بقدرته على الانامة والبعث جميعا ليتساءلوا

بينهم ليسأل بعضهم بعضا ويتعرفوا ما صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا
على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم به عليهم و
كرموا به قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
جواب مبني على غالب الظن وقيل ذلك على جواز الاجتهاد والقول بالظن
الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز خطاء قالوا ربكم اعلم بما لبثتم انكار عليهم
من بعضهم والله اعلم بمدة لبثهم كان هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام
من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا الله وروي
انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم
في يومهم فلما نظروا الى طول اظفارهم واشعارهم
قوله فابعثوا بترك حديث المدة كانهم قالوا ربكم اعلم بذلك
لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم فابعثوا احدكم
بورقكم هذه الى المدينة والورق الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة
ومنه الحديث ان عرفجة اصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن
فامره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورقكم
بكسر الراء واسكانها وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن
الراء وادغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده وقيل المدينة
طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم دليل
على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر هو راي المتوكلين على الله دون المتكلين
على الاتفاقات وعلى ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضها
لمن سالها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليه نفقتك وما حكي عن بعض
صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى حج بيت الله تعالى و[illegible]
ذلك فكانت مياسير اهل بلدته كلما عزم منهم فوج اتوه فبذلوا
له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد اليهم بذلهم فاذا انفضوا
عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن
فلينظر ايها اي اهلها فحذف الاهل كما في قوله واسأل القرية ازكى طعاما

احل واطيب واكثر وارخص فليأتكم برزق منه وليتلطف و
ليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في
امر الخفية حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا ولا يفعلن ما يؤدي
منه الى الشعور بنا فسمى ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه انهم
ان يظهروا عليكم الضمير في انهم راجع الى الاهل المقدر في ايها
يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم او
يعيدوكم في ملتهم او يدخلوكم فيها بالاكراه العنيف ويصيروكم
اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل
كذا يريدون ابتداء الفعل ولن تفلحوا اذا ابدا ان دخلتم في دينهم وكذلك
اعثرنا عليهم وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا
عليهم ليعلموا ليعلم الذين اطلعناهم على حالهم ان وعد الله حق وهو البعث
لان حالهم في نومتهم وانتباههم بعدها كحال من يموت ثم يبعث وان
الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم واذ يتنازعون متعلق
باعثرنا اي اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة
البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول
تبعث الارواح مع الاجساد ليرتفع الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية
حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت فلما توفي الله اصحاب
الكهف فقالوا ابنوا عليهم بنيانا اي على باب كهفهم لئلا يتطرق
اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها كما حفظت تربة رسول الله صلى الله
بالحظيرة ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم من المسلمين و
ملكهم وكانوا اولى بهم وبالبناء لنتخذن عليهم على باب الكهف مسجدا
يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم
اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر الله من الآية فيهم او يتنازعون
بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق
اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا روي ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا

وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك
دقيانوس فاراد فتية من اشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا
الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب
فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال ما تريدون مني انا احب احباء
الله تعالى فناموا وانا احرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم
ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون فيه ثم ضرب الله على اذانهم وقبل ان يبعثهم
ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترف
وجاحد فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال
ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله تعالى في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد
به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام
اخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه انه وجد كنزا فذهبوا
به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم
وحمدوا الله تعالى على الاية الدالة على البعث ثم قال الفتية
للملك نستودعك ونعيذك من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم و
توفى الله تعالى انفسهم فالقى الملك عليه ثيابه وامر فجعل لكل واحد
تابوت من ذهب فراهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من الساج
وبنى على باب الكهف مسجدا ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم
تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم
فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله
رد لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا
فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من اهل الكتاب سيقولون
ثلثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم الضمير لمن
خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من اهل الكتاب
والمؤمنين سالوا رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فاخر الجواب الى ان يوحي
اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم اختلافهم في عددهم وان المصيب

منهم سبعة وثامنهم كلبهم قال ابن عباس رضي الله عنهما انا من اولئك القليل
وروي ان السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله
عليه واله وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة
رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم
وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله تعالى قول المسلمين
وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن لسان جبرئيل
عليه السلام وعن علي عليه السلام هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينا
ومشلينا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش
وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم
لما هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير

لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الاخر

فيه وجهان ان يدخل الاخران في حكم السين كما تقول قد اكرم وانعم
تريد معنى التوقع في الفعلين وان يريد بيفعل معنى الاستقبال الذي
هو صالح له رجما بالغيب رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون
بالغيب اي ياتون به او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا
بالغيب لانهم اكثروا ان يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم
يبق عندهم فرق بين العبارتين الا ترى الى قول زهير وما هو عنها بالحديث المرجم
اي المظنون وقرئ ثلاث رابعهم بادغام الثاء في تاء التانيث وثلثة خبر
مبتدا محذوف اي هم ثلثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم
جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلثة وكذلك سادسهم وثامنهم
كلبهم ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم
ما يعلمهم الا قليل فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم
دخلت عليها دون الاولين هي الواو التي تدخل على الجملة حالا
عن المعرفة كقولك جاءني زيد ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف
قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها تاكيد

الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافهما امر ثابت مستقر وهذه الواو
هي التي آذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات
علم وطمأنينة قلب ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله
سبحانه اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث
قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس حين وقعت الواو انقطعت العدة
اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم
على القطع والثبات وقيل الا قليل من اهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل
الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم
على ظن وتخمين **فلا تمار فيهم** فلا تجادل في شأن اهل الكتاب في شأن
اهل الكهف **الا مراء ظاهرا** الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو
ان تقص ما اوحى الله تعالى فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف
بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن **ولا تستفت
فيهم منهم احدا** ولا تسأل احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى
يقول شيئا فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به
من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله تعالى ارشدك بان
اوحى اليك قصتهم **ولا تقولن لشيء** ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه **اني
فاعل ذلك** الشيء **غدا** اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصة
الا ان يشاء متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا
الا ان يشاء الله كان معناه الا ان يعترض مشيئة الله دون فعله و
ذلك مما لا يدخل فيه النهي على وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان
يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشاء
الا بمشيئة الله وهو في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان
شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان يشاء الله في معنى كلمة تأبيد
كأنه قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان
يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشاءه وهذه نهي تأديب من الله

لنبيه

لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف
وذي القرنين فسألوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطأ عليه
الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش **واذكر ربك** اي مشيئة ربك
وقل ان شاء الله **اذا نسيت** اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت
كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليه فتداركها بالذكر وعن سعيد بن
جبير ولو بعد يوم او اسبوع او شهر او سنة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولو
بعد سنة ما لم يحنث وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن الحسن
نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء
انه لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان
ابا حنيفة رحمه الله خالف ابن عباس رضي الله عنهما في الاستثناء المنفصل فاستحضره
لينكر عليه فقال ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان
افترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه
ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة
الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت
بعض ما امرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك
المنسي وقد حمل على اداء الصلاة **وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من
هذا رشدا** وهذا اشارة الى نبأ اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث اتاه
من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل و
الظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيئا فاذكر ربك عند نسيانه بان
يقول عسى ان يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى خيرا
ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله او ننسها نأت بخير منها **ولبثوا
في كهفهم ثلاث مائة سنين** يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم
هذه المدة وهو بيان لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف
سنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله
وقالوا لبثوا وسنين عددا ومعنى قوله قل الله اعلم بما لبثوا الله اعلم

عسى ان يهدين

من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك به وعن قتادة انه حكاية
لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال في حرف عبد الله و
قالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثمائة وقرئ ثلثمائة سنين بالاضافة
على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز بالواحد كقوله بالاخسرين اعمالا
وهو القياس لان الذي يقع له عينا جمع والاستحسان ان يقع التمييز بالواحد
لان الغرض بما هو الجنس وذلك تحصيل بالوحدانية وفي قراءة ابي ثلثمائة سنة
وازدادوا تسعا تسع سنين لان ما قبله يدل عليه قل الله اعلم بما لبثوا له
غيب السموات والارض ابصر به واسمع ثم ذكر اختصاصه بما غاب
في السموات والارض وخفي فيها من احوال اهلها ومن غيرهما وانه وحده العالم
به وجاء بما دل على التعجب من ادراكه للمسموعات والمبصرات للدلالة على
امره في الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين
لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما وكثفها
جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر ما لهم الضمير لاهل السموات
والارض من دونه من ولي من متولي لامورهم ولا يشرك في حكمه
في قضائه منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي
كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا او بدله فقيل له واتل ما او
حي اليك من كتاب ربك من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب
التبديل لا مبدل لكلماته اي لا يقدر احد على تبديلها وتغييرها
انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا آية مكان آية ولن تجد
من دونه ملتحدا ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك قال قوم من
رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وآله نح هؤلاء الموالي الذين
كان ريحهم ريح الضان وهم عمار وصهيب وخباب وغيرهم من
فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك
الارذلون فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم واحبسها
معهم وثبتها قال ابو ذويب فصبرت عارفة لذلك حرة ترسو اذا نفس الجبان تطلع

بالغداة والعشي دائبين على الدعاء في كل وقت وقيل المراد صلوة
الفجر والعصر وقرئ بالغدوة والغداة اجود لان غدوة علم في اكثر الاستعمال
وادخال اللام على تاويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه
قليل في كلامهم يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم يقال عداه
اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاء القوم عدا زيدا وانما عدي
بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك نبت عنه عينه واذا اقتحمته ولم
تعلق به اي غرض في هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم
عيناك عنهم الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى
من اعطاء معنى فذ الا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك
مجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم اي
ولا تضموها اليها آكلين لها ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا
بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له لان
معناه فعد همك عما ترى نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ان يزدري بفقراء المؤمنين وان تنبو عيناه عن رثاثة زيهم طموحا الى
زي الاغنياء وحسن شارتهم تريد زينة الحيوة الدنيا في موضع الحال
ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر
بالخذلان او وجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته وابخلته
اذا وجدته كذلك او من اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه
بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان وقد ابطل
الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل
الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا
وكان امره فرطا متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من
قولهم فرس فرط متقدم للخيل وقل الحق من ربكم فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم
سرادقها الحق خبر مبتدا محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم

بق الاختيار لكم لانفسكم ما شئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير مامور بان يتخير ما شاء من النجدين انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب يشوي الوجه من حرارته عن النبي صلى الله عليه وآله هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بئس الشراب ذلك وساءت النار مرتفقا متكأ من المرفق وهذا المشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا اتكاء الا ان يكون من قوله

اني ارقت فبت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار اولئك خبر ان وانا لا نضيع اعتراض ولك ان تجعل انا لا نضيع واولئك خبرين معا او تجعل اولئك كلاما مستأنفا للاجر المبهم اذا جعلت انا لا نضيع خبرا فاين الضمير الراجع منها الى المبتداء من احسن عملا والذين امنوا وعملوا الصالحات ينتظمها معنى واحد فقام من احسن مقام الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم يحلون فيها من اساور من ذهب من الاولى للابتداء والثانية للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق وجمع بين السندس وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين متكئين فيها على الارائك وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك

على اسرتهم نعم الثواب وحسنت مرتفقا واضرب لهم مثلا رجلين اي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهودا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف دينار فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف دينار فتصدق به ثم تزوج اخوه امرأة بالف فقال الآخر اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف وقال الآخر اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه وخدمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثلان للاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد الاسد جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب بساتين من كروم وحففناهما بنخل وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيه وغشيته به وجعلنا بينهما زرعا جعلها ارضا جامعة للاقوات والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينهما مع الشكل الحسن والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا ونعتهما بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب فجعلها افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر وقرئ بضم الكاف ولم تظلم ولم تنقص وآتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا لجاز وفجرنا خلالهما نهرا وقرئ

وفجرنا على التخفيف وقرأ عبد الله كلتا الجنتين اتى اكله برد الضمير على كل وكان له ثمر اي انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن مجاهد الذهب والفضة وغيرهما وكان وافر اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا يعني انصارا وحشما وقيل اولادا ذكورا لانهم ينفرون معه دون يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسائله فما احار كلمة يعني فطروس اخذ بيد المسلم يطوف في الجنتين ويريه ما فيها ويعجبه منها ويفاخره بما ملك دونه بمراد وافراد الجنة بعد التثنية معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المومنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما وهو ظالم لنفسه وهو معجب بهما اوي مفتخر كافر لنعمته به معرض بذلك نفسه لسخط الله تعالى وهو افحش الظلم قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة اخباره عن نفسه بالشك في بيدوده جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان السنة احوالهم ناطقة بها منادية عليه ولئن رددت الى ربي اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستيهاله وان معه هذا الاستحقاق اين توجه كقوله ان لي عنده للحسنى لاوتين مالا وولدا لاجدن خيرا منها خيرا منهما ردا على الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب اي خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه وكان خلقه خلقا

له ثم من نطفة ثم سواك رجلا عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول كافرا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن ايا ك لا اقلي اي لكن انا لا اقليك وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وقراءة ابن عامر باثبات الف انا في الوقف والوصل جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن ابي عمرو انه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح وقراءة ابي بن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي استدراك لماذا لقوله اكفرت قاله لاخيه انت كافر بالله لكني موحد كما يقول زيد غائب لكن عمرو حاضر ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا يجوز ان يكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتداء محذوف تقديره الامر ما شاء الله او شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اي شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشية الله تعالى وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها بمعونته وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله وعن عروة رضي الله عنه انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من يشاء وكان اذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج ان ترن انا اقل منك مالا وولدا من قرأ اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفعه جعله مبتداء واقل خبره والجملة

مفعولا ثانيا لترن وفي قوله وولدا نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله
واعز نفرا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا
من السماء والمعنى ان ترن افقر منك فانا اتوقع من صنع الله تعالى ان
يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة خيرا من جنتك و
يسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك والحسبان مصدر كالغفران والبطلان
بمعنى الحساب اي مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال
الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل
حسبانا مرامي الواحدة حسبانة وهي الصواعق فتصبح صعيدا زلقا ارضا
بيضاء يزلق عليها لملاستها او يصبح ماؤها غورا زلقا وغورا كلاهما
وصف بالمصدر فلن تستطيع له طلبا واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه
على ما انفق فيها واحيط به عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به
العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في
كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتى عليه اذا
اهلكه من اتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا بهم وتقليب الكفين
كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كنى
ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم وتعدى تعديته
بعلى كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق فيها اي انفق في عمارتها وهي خاوية
على عروشها يعني ان كرومها المعروشة سقطت عروشها على الارض
وسقطت فوقها الكروم وقيل ارسل الله عليها نارا فاكلتها ويقول يا ليتني
لم اشرك بربي احدا تذكر موعظة اخيه فعلم انه اتي من جهة
تكبره وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز
ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا في الايمان ولم
تكن له فئة وبالياء كوفي ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون
اللفظ كقوله فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة
قوله ينصرونه من دون
معناه يقدرون على نصرته من دون

الله اي هو القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره
لصارف وهو استحقاقه ان يخذل وما كان منتصرا وما كان ممتنعا بقوته
عن انتقام الله هنالك الولاية لله الحق الولاية بالفتح النصرة والتولي
وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما والمعنى هنالك اي في ذلك المقام
وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه
تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك
لله لا يغلب ولا يمتنع منه او في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله تعالى و
يؤمن به كل مضطر يعني ان قوله يا ليتني لم اشرك بربي احدا كلمة الجئ اليها
فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان
المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم
ويشفي صدورهم من اعدائهم يعني انه نصر فيما فعل بالكافر
اخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها
حسبانا من السماء ويعضده قوله هو خير ثوابا وخير عقبا اي لاوليائه
وقيل هنالك اشارة الى الاخرة اي في تلك الدار الولاية لله وقرأ عمرو
بن عبيد بالنصب على التاكيد كقوله هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي
قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من افصح الناس وانصحهم وفي
عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة واضرب لهم
مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض
فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع في النبات الماء
فاختلط به حتى روي ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير
فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد
منهما بصفة صاحبه فاصبح هشيما والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة
هشيمة تذروه الرياح وقرئ تذريه الريح وعن ابن عباس رضي الله عنهما تذريه
الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها
من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر وارفا ثم يهيج فتطيره الرياح

كان لم يكن وكان الله على كل شيء من الانشاء والافناء مقتدرا
المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات اعمال الخير
التي تبقى ثمرتها للانسان وتفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا
وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة
كل ما اريد به وجه الله خير عند ربك ثوابا وخير املا اي ما يتعلق
بها من الثواب وما يتعلق به من الامل لان صاحبها يأمل في الدنيا ثواب
الله ونصيبه في الآخرة ويوم نسير الجبال وقرئ تسير من سيرت و
نسير من سيرة وتسير من سارت اي تسير في الجو ويذهب بها بان تجعل
هباء منبثا وترى الارض وقرئ وترى الارض على البناء للمفعول بارزة
ليس عليها ما يسترها مما كان عليها وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف
فلم نغادر منهم احدا وقرئ فلم يغادر بالنون يقال غادره واغدره
اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل وعرضوا
على ربك شبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان صفا مصطفين
ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا لقد جئتمونا اي
قلنا لهم لقد جئتمونا فهذا المضمر هو عامل النصب في يوم نسير ويجوز ان ينتصب
باضمار اذكر و كما خلقناكم اول مرة والمعنى لقد بعثناكم كما انشأناكم
اول مرة وقيل جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم كقوله ولقد جئتمونا
فرادى لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى للدلالة
على ان حشرناهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال والعظائم
كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا
وقت الانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور ووضع
الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه الكتاب للجنس وهو صحف الاعمال
ويقولون يا ويلتنا ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين الهلكات
مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة
يعني لا يترك شيئا من المعاصي الا احصيها اي احصيها كلها كما تقول

ما اعطاني

ما اعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار واما كبار ويجوز
ان يريد وما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت
عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصغيرة المسيس و
الكبيرة الزناء وعن الفضيل كان اذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر
قبل الكبائر الا احصيها الا ضبطها وحصرها ووجدوا ما عملوا حاضرا
في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم
يعمل او يزيد في عقابه المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في
تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن كلام مستأنف جار مجرى
التعليل بعد استثناء ابليس عن الساجدين كان قائلا قال ما له لم يسجد
فقيل كان من الجن ففسق عن امر ربه والفاء للتسبيب ايضا جعل كونه
من الجن سببا في فسقه يعني انه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم
لم يفسق عن امر الله تعالى لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم
ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره
يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله عز وجل لصيانة الملائكة
عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين قوله
من ضاده وزعم انه ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطانا
ثم وركه على ابن عباس رضي الله عنهما ومعنى فسق عن امر ربه خرج عما امره
ربه من السجود قال فواسقا عن قصدها جوائرا او صار فاسقا كافرا
بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم افتتخذونه الهمزة للانكار
والتعجيب كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه وذريته اولياء من
دوني وتستبدلونهم بي وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا بئس البدل
من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته افتتخذونه وقرئ ما
اشهدناهم يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون
شركاء وعن الفضيل بن عياض فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى

مشاركتهم في الالهية بقوله خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها ولا خلق انفسهم اي ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم وما كنت متخذ المضلين عضدا يعني وما كنت متخذهم عضدا اي اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركائي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقراء علي رضي الله عنه متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقراء الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين وقرئ عضدا بفتح العين وسكون الضاد وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه واعانه ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم وقرئ نقول بالياء والنون واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيمة ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اي وجعلنا بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانه في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان ورأى المجرمون النار فظنوا فايقنوا انهم مواقعوها مخالطوها واقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا معدلا قال ازهير هل عن شيبه من مصرف ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا اكثر الاشياء التي يتاتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة

ومماراة

ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم العذاب قبلا ان الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره وما منع الناس الايمان والاستغفار الا انتظار ان تاتيهم سنة الاولين وهي الاهلاك او انتظار ان ياتيهم العذاب يعني عذاب الاخرة قبلا عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها عن موطئها واتخذوا آياتي وما انذروا يجوز ان تكون ما موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروا به من العقاب او مصدرية بمعنى وانذارهم هزوا وقرئ هزءا بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء وهو جدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه بالقرآن ولذلك رجع الضمير اليها مذكرا في ان يفقهوه فاعرض عنها فلم يتذكر ولم يتدبر ونسي عاقبة ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا فلا يكون منهم اهتداء البتة لانه محال منهم لشدة تصميمهم ابدا مدة التكليف كلها واذن جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سببا في وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى انه جواب للرسول عن تقدير قوله ما لي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا وربك الغفور البليغ المغفرة ذو الرحمة الموصوف بالرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا

هزوا هزؤا
قال هزؤا وفا لنقاهم طلبا الى الخفة والابدال في النقل والله اعلم وهذا الوجه ضعيف جدا كما نبه اليه شيخنا ابن الجزري في نشره حيث قال وفيه نظر لحالة العام وضعفه في الرقابة وقد نسه الهز وا لا يصح لما تذكره في عدة الداني من القادر ذلك والله اعلم

لعجل لهم العذاب ثم استشهد بذلك بترك مواخذة اهل مكة
عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم بل لهم موعد وهو يوم بدر لن يجدوا من دونه موئلا منجا ولا ملجا
يقال وال اذا نجا ووال اليه اذا لجا اليه وتلك القرى يريد قرى
الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهما اشار لهم اليها ليعتبروا وتلك
مبتداء والقرى صفته لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس واهلكناهم خبر
ويجوز ان تكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب
القرى اهلكناهم لما ظلموا مثل ظلم اهل مكة وجعلنا لمهلكهم موعدا وضربنا لاهلاكهم
وقتا معلوما لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وقرئ
بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اي وقت هلاكهم والموعد وقت
او مصدر واذ قال موسى لفتاه لعبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي
ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع بن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه
وقيل كان ياخذ منه العلم لا ابرح ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان
دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر
وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر
واما الكلام فلان قوله حتى ابلغ مجمع البحرين غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له
فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه اخر وهو ان يكون
لا ابرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه
مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف
ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى الزم المسير والطلب ولا اتركه ولا
افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى
لقاء الخضر عليهما السلم وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل
طنجه وقيل افريقيه ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا
بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهو في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع
من يفعل او امضي حقبا او اسير زمانا طويلا والحقبة ثمانون سنة وروي انه

لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله
ان يذكر قومه فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله تعالى وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا
قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله تعالى عليه حين لم يرد العلم الى الله تعالى فاوحى اليه
اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى وكان
على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اي عبادك
احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك احكم قال الذي يقضي بالحق
ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى
او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك
الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في
مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان ورقد
موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب فاخبره فتاه بوقوعه
في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال وانى بارضنا السلم فعرفه نفسه
فقال يا موسى اني على علم علمنيه الله تعالى لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا
فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي و
علمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر فلما بلغا مجمع بينهما نسيا
حوتهما اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل
نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يامره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة
وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحيوة
ونام موسى فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده عاشت وروي انهما اكلا منها
وقيل توضا يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فوقع في الماء فاتخذ سبيله
في البحر سربا امسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في
مثل السرب معجزة لموسى او للخضر عليهما السلم فلما جاوزا الموعد وهو الصخرة لنسيان
تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما راى من حيوته ووقوعه في البحر
قال لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة
الليلة والغد الى الظهر فالقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع

قبل ذلك فقد ذكر الحوت وطلبه وقوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة
كيف نسي يوشع ذلك ومثله لكونه امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها
ولكونه معجزتين ثابتتين وهما حيوة المملوحة الماكول منها وقيل ما كانت الا شق سمكة
وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر
به النسيان حتى استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة الليلة الى الغد
حتى طلب موسى الحوت به قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب
حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه ضري بمشاهدة امثاله عند موسى من العجائب
واستأنس باخوانه فاعان الالف على قلة الاهتمام قال ارأيت يعني اخبرني اذ اوينا
الى الصخرة فاني نسيت الحوت ما وجه التطبيق هذا الكلام فان كل واحد
من ارأيت واذ اوينا وفاني نسيت الحوت لا تعلق له لما طلب موسى الحوت
ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب
ذلك كأنه قال ما دهاني اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل
هي الصخرة التي دون نهر الزيت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره
ان اذكره بدل من الهاء في انسانيه اي وما انساني ذكره الا الشيطان وفي قراءة
عبد الله واتخذ سبيله في البحر عجبا ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله
سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب او قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في
تلك العجيبة ونسيانه لها او مما رأى من المعجزتين وقوله وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى وليس بذلك
ذلك اشارة الى اتخاذه سبيلا ما كنا نبغ اي ذلك الذي كنا نطلب لانه امارة
الظفر بالطلبة من لقاء الخضر وقرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها احسن وهي قراءة
ابي عمرو واما الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف فارتدا على آثارهما
فرجعا في ادراجهما قصصا يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او مقتصين
فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا هي الوحي والنبوة وعلمناه من
لدنا علما مما يختص بنا العلم وهو الاخبار عن الغيوب قال له موسى هل اتبعك على
ان تعلمن مما علمت رشدا وقرئ بفتحتين وبضمة وسكون اي علما ذا رشد ارشد به في

ديني اما دلت حاجته الى التعلم من آخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشا
لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم اهل زمانه وامامهم المرجوع اليه
لا غضاضة بالنبي في اخذ العلم عن نبي مثله وانما يغض منه ان اخذ ممن دونه
وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب
موسى بن عمران وان موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله قال انك لن
تستطيع معي صبرا نفي استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كانها مما لا يصح
ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح
فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا رأى ذلك ويأخذ في
الانكار وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا تمييز اي لم يحط به خبرك او لان لم
تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي
لك امرا ولا اعصي في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا وغير عاص او
لا محل عطفا على ستجدني وجاء موسى لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا
بعد افصاح الخضر عن حقيقة الامر فوعد الصبر معلقا بمشية الله تعالى علما منه بشدة
الامر وصعوبته وان الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق
هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله تعالى بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس
العلم منه بريء من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن
حسن جميل فكيف اذا لم يعلم قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه
ذكرا ترتيب فلا تسألني بالنون الثقيلة يعني ان من شرط اتباعك لي انك اذا رأيت مني شيئا
وقد علمت انه صحيح الا انه خفي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك لا تفاتحني بالسؤال
ولا تراجعني فيه حتى اكون انا الفاتح عليك وهذا من آداب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع
فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة حتى اذا ركبا في السفينة خرقها فلما ركبا قال
هما من اللصوص فامرهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل
عرفوا الخضر فحملوها فلما لججوا اخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بان قلع لوحين مما يلي
الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه و قال اخرقتها لتغرق اهلها وقرئ
لتغرق بالتشديد وليغرق اهلها من غرق لقد جئت شيئا امرا اتيت شيئا عظيما

من اصر الامر اذا اعظم قال داهية دهيا اذا امر قال الم اقل انك لن تستطيع معي
صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته او بشيء نسيته او بنسياني اراد انه
نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي او اخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة
بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي
تنفي بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابرهيم عليه السلم هذه اختي واني سقيم او اراد
بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك ولا ترهقني من امري عسرا
يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني عسرا من امري وهو اتباعه
اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرئ
عسرا بضمتين فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل كان فتله فتل عنقه وقيل
ضرب براسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين
لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء
جعل خرقها للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال
اقتلت فلم خولف بينهما لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب ولقا
الغلام قال اقتلت نفسا زكية قرئ زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب واما
لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث بغير نفس
يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها عن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف
جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عن قتل الولدان
ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل لقد جئت شيئا نكرا
وقرئ بضمتين وهو المنكر وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون
من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا
يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه قال الم اقل لك انك لن تستطيع
معي صبرا يعني زيادة لك زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الو
والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية قال ان سألتك عن شيء بعدها بعد هذه الكرة
والمسئلة فلا تصاحبني فلا تقارني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرئ
فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك قد بلغت من لدني عذرا قد اعذرت

وقرئ لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضد
وعن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك وقال
رحم الله اخي موسى لو صبر مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب فانطلقا حتى اذا اتيا اهل
قرية هي انطاكية وقيل الايلة هي ابعد ارض الله من السماء استطعما اهلها فابوا ان
يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن
الغرض ونظيره زاره من الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي
عليه واله الصلوة والسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها
ولا يعرف لابن السبيل حقه فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه استعيرت
الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي في مهمه قلقت بها
قلق الفؤوس اذا اردن نصولا وقال يريد الرمح صدر ابي براء ويعدل عن دماء بني عقيل
وقال حسان ان دهرا يلف شملي بجمل لزمان يهم بالاحسان وسمعت من يقول عزم السراج
ان يطفئه وطلب ان يطفأ واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب و
والتمرد والاباء والعزة والطاعة وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال
الارادة قال اذ قالت الانساع للبطن الحق يقول سني النواة طحي لا ينطق اللهو حتى
وشكا الي بعبرة وتحمحم ان يك ظني صادقا فهو صادق ولما سكت عن موسى الغضب
لمن دما رد وعز الابلق ولنعصهم بابي علي اجفانه اعفاؤهم اذا انقاد تمردا
ابت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا قالتا اتينا طائعين
ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله تعالى ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه
من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده
اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز وانقض اذا اسرع
سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل من مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر
الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاض من انقاضت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة
منقاض ومنكثب بالصاد غير معجمة فاقامه قيل اقامه بيده وقيل مسحه فقام واستوى
وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء
مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى

كسب المؤونة وهي المسألة فلم يجدوا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من
الحرمان ومساس الحاجة ان قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا وطلبت على عملك
جعلا حتى ننتعش به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه
كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شيء قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل
ما لم تستطع عليه صبرا هذا اشارة الى ماذا قد تصور فراق بينهما
عند حلول ميعاده على ما قال موسى ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار
اليه وجعله مبتدأ واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز
ان يكون اشارة الى السؤال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق
بيني وبينك وقد قرأ ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به اما
السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم
زمنى وخمسة يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم امامهم كقوله
من ورائهم برزخ وقيل خلفهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وكان طريقهم
في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله تعالى به الخضر وهو جلندي
قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها وكان حقه ان يتأخر عن
السبب فلم قدم عليه النية به التأخير فانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو
السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين وكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم وقيل في قراءة
ابي وعبد الله كل سفينة صالحة واما الغلام فكان ابواه مؤمنين وفي قراءة الجحدري
وكان ابواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشأن فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا
فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه
ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت مؤمنان
وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا
بعد الايمان وانما خشي الخضر عليه السلام منه ذلك لان الله تعالى اعلمه بحاله واطلعه
على سر امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة ابي
فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون
قوله فخشينا حكاية لقول الله عز وجل بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك فاردنا ان يبدلهما

ربهما خيرا منه زكوة وقرئ يبدلهما بالتشديد والزكوة الطهارة والنقاء
من الذنوب واقرب رحما والرحم الرحمة والعطف فروي انه ولدت لهما جارية تزوجها
نبي فولدت نبيا وقيل ابدلهما ابنا مؤمنا مثلهما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين
في المدينة وكان تحته كنز لهما والكنز المال المدفون من ذهب وفضة وقيل
لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن
بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا
وتقلبها لاهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وكان ابوهما
صالحا اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه
انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت
لنا اراد قوله والذين يكنزون الذهب والفضة الآية وكان ابوهما صالحا
اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد رضي الله عنهما كان بين الغلامين
وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قال لبعض
الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله مال الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي
وجدي خير منه قال انبأنا الله انكم قوم خصمون فاراد ربك ان يبلغا اشدهما
ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك رحمة مفعول له او مصدر منصوب باراد
ربك لانه في معنى رحمهما وما فعلته وما فعلت ما رأيت عن امري عن
اجتهادي ورأيي انما فعلته بامر الله ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا و
يسئلونك عن ذي القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان
ذو القرنين وسليمان وكافران نمرود وبخت نصر وكان بعد نمرود واختلف فيه فقيل كان عبدا
صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة
فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل كان نبيا وقيل
كان ملكا من الملائكة وعن عمر انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا
اما رضيتم ان تتسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه انه سخر له
السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احبه الله فاحبه
وسأله ابن الكواء ما ذو القرنين املك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان

جها

قيل اسم الغلامين اصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحيسور

سبب

عبدا صالحا فضربوه على قرنه الايمن فمات فبعثه الله تعالى ثم ضربوه على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم فيحييه الله تعالى
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا اي جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس
وعن وهب انه ملك الروم وفارس وروي الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس
وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على راسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما سمي الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره والسائلون هم اليهود سالوه عن جهة الامتحان وقيل سأله ابو جهل واشياعه **قل سأتلو عليكم منه ذكرا** الخطاب في عليكم لاحد الفريقين **انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا** اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه **فاتبع سببا** طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله اليه وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا واراد بلوغ السدين فاتبع سببا وقرئ فاتبع سببا **حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة** من حمئت البير اذا صارت فيه الحمأة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على جمل فرأى الشمس حين غابت الشمس فقال اتدري يا ابا ذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال تغرب في عين حامية وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمرو والحسن وقرأ ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ فقال كما تقرأ امير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب في ماء وطين كذلك نجده في التورية وروي في ثاط فوافق قول ابن عباس وكان ثم رجل فانشد قول تبع فرأى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثاط حرمد اي في عين ماء ذي طين وحمأ اسود ولا تنافي بين الحمئة والحامية فجائز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا **ووجد عندها قوما** قيل كانوا كفرة **قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا** خيره الله تعالى بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد في استمالتهم **قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا** اما من دعوته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذي هو الشرك فذاك هو المعذب في الدارين **واما من آمن وعمل صالحا** ما يقتضيه الايمان **فله جزاء الحسنى** وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا في مقابلة القتل فله جزاء الحسنى التي هي كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى اي فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه **وسنقول له من امرنا يسرا ثم اتبع سببا** اي لا نامره بالصعب الشاق ولكن بالسهل المتيسر من الزكوة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين **حتى اذا بلغ مطلع الشمس** وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله كان مجر الرامسات ذيولها يريد كانا مكانا مجر الرامسات **وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا** قيل هم الزنج والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي ثم افقت وهم يمسحونني فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع اهل الارض **كذلك** اي امر ذي القرنين كذلك اي كما وصفناه تعظيما لامره **وقد احطنا بما لديه** من الجنود والالات واسباب الملك تكثيرا لذلك **ثم اتبع سببا** وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اي كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم يعني انهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم **حتى اذا بلغ بين السدين** الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اي هو مما فعله الله تعالى وخلقه

والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه وانتصب **بين** على انه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة
في قوله هذا فراق بيني وبينك وكما ارتفع في قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف
التي تستعمل اسما وظرفا وهذا المكان في منقطع ارض الترك مما يلي المشرق **وجد من
دونهما قوما** هم الترك **لا يكادون يفقهون قولا** اي لا يكادون يفهمونه الا بجهد
من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون اي لا يفهمون الناس كلامهم ولا يبينون
لان لغتهم غريبة مجهولة **قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج** اسمان اعجميان
بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ رؤبة آجوج ومأجوج وهما
من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم **مفسدون في الارض**
قيل كانوا ياكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر
الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا واذى شديدا وعن النبي
عليه وآله الصلوة والسلام لا يموت احد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل
السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطوا الطول وقصار مفرطوا القصر **فهل نجعل
لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا** قرئ خرجا وخراجا اي جعلا نخرجه من اموالنا
ونظيرهما النول والنوال وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم **قال ما مكني فيه ربي خير**
وجعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار **خير** مما تبذلون لي من الخراج فلا حاجة
لي اليه كما قال سليمان عليه السلام فما آتاني الله خير مما آتاكم وقرئ ما مكنني بالادغام
وبفكه **فاعينوني بقوة** بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات **اجعل
بينكم وبينهم ردما** حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد من قولهم
ثوب مردم رقاع فوق رقاع قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان
من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى بلغ ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافخ
حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه ببعض
وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ **آتوني زبر الحديد حتى
اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا** وقرئ سوى وسووي
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان رجلا اخبره به فقال كيف رايته قال كالبرد
المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال رايته والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين
لانهما يتصادفان اي يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين

بفتحة وضمة **قال آتوني افرغ عليه قطرا** القطر النحاس المذاب لانه يقطر وقطرا
منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه
وقرئ قال ائتوني اي جيئوني **فما اسطاعوا ان يظهروه** بحذف التاء للخفة لان
التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما استطاعوا بقلب السين صادا واما من قرأ
بادغام التاء في الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد **ان يظهروه** اي يعلوه اي
لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه **وما استطاعوا له نقبا** ولا حيلة لهم في نقبه
لصلابته وثخانته **قال هذا** اشارة الى السد اي هذا السد **رحمة من ربي**
من الله ورحمة على عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته **فاذا جاء وعد ربي**
يعني فاذا دنا مجئ يوم القيمة وشارف ان ياتي **جعله دكا** جعل السد دكا اي
مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه
الجمل الادك المنبسط وقرئ دكاء بالمد اي ارضا مستوية **وكان وعد ربي
حقا** آخر حكاية قول ذي القرنين **وتركنا** وجعلنا **بعضهم** بعض الخلق **يومئذ يموج في
بعض** اي يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير لياجوج
وماجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين في البلاد وياتون
البحر فيشربون ماءه وياكلون دوابه ثم ياكلون الشجر ومن ظفروا به ممن ظفروا
به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان ياتوا مكة والمدينة وبيت المقدس
ثم يبعث الله تعالى نغفا من اقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون **ونفخ في الصور
فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين** وبرزناها لهم فراوها وشاهدوها
عرضا الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري عن آياتي التي ينظر
اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتامل معانيه وتبصرها ونحوه صم
بكم عمي **وكانوا لا يستطيعون سمعا** يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ لان الاصم
قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصمت اسماعهم فلا استطاعة بهم
للسمع **افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء** هم الملائكة
يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم
وقرأ ابن مسعود فظن الذين كفروا وقرأ علي رضي الله عنه افحسب الذين كفروا

اي افكافيهم و يحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتدآء والخبر وعلى الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوي الفعل في العمل كقولك اقايم الزيدان.
والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم ضاع وبطل في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم وهم الرهبان عن علي رضي الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب وعن علي رضي الله عنه ان ابن الكواء ساله عنهم فقال منهم اهل حروراء وعن ابي سعيد الخدري ياتي ناس باعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم لهم بالياء
الذين ضل سعيهم في اي محل هو الاوجه ان يكون في محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السوال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا جهنم عطف بيان لقوله جزاؤهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقوله عادني حبها عودا يعني لا مزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم واماني وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحول وتاكيد الخلود قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماء مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله تعالى وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله بمثل البحر مددا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة ومددا تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس بمثله مدادا وقرا الاعرج مددا

بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله عز وجل قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي فمن كان يرجو لقاء ربه فمن كان يأمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضى وقبول وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله ولا يبتغي به الا وجه الله تعالى خالصا ولا يخلط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه عليه وآله الصلوة والسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه عليه وآله الصلوة والسلم من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم الى كان في مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ

تم الربع الثاني من كشاف كلام الله العظيم بحمد الملك المنان في يوم الاحد عاشر صفر ختمت بالخير والظفر لسنة ثمان واربعين وتسعماية من هجرة النبي عليه الصلوة والسلم وارجو ان يغفر الله

انا

أنما الهكم اله واحد

نيهم

المجلد الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص بفتح الهاء وكسر الياء حمزة
وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرأ الحسن
ذكر رحمة ربك عبده زكريا
أي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرئ
ذكر على الأمر إذ نادى ربه نداء خفيا
راعى سنة الله تعالى في إخفاء دعوته لأن الجهر
والإخفاء عند الله سيان فكان الإخفاء أولى
لأنه أبعد من الرياء وأدخل في الإخلاص وعن
الحسن نداء لا رياء فيه وأخفاه لئلا يلام على
طلب الولد في أيام الشيخوخة وأسره

للإمام الزمخشري

من كتاب الكشاف

من مواليه الذين خافهم أو خفت صوته لضعفه
وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه
تارات واختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل ستون
وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وثمانون قال
رب إني وهن العظم مني قرئ وهن بالحركات
الثلاث وإنما ذكر العظم لأنه عمود البدن وبه
قوامه وهو أصل بنائه فإذا وهن تداعى وتساقطت
قوته ولأنه أشد ما فيه وأصلبه فإذا وهن كان ما
وراءه أوهن ووحده لأن الواحد هو الدال على
معنى الجنسية وقصده إلى أن هذا الجنس الذي هو
العمود والقوام وأشد ما تركب في الجسد قد أص

رحمة الله عليه

الوهن ولو جمع لكان قصده الى معنى آخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها
واشتعل الرأس شيبا ادغام السين في الشين عن ابي عمرو وشبه الشيب بشواظ النار
في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال
النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته
وهو الرأس واخرج الشيب مميزا ولم يضف الرأس اكتفاء بعلم المخاطب انه رأس
زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة **ولم اكن بدعائك
رب شقيا** توسل الى الله تعالى بما سلف له معه من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا
سأله وقال انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته
واني خفت الموالي كانوا مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم
على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا
يقتدي به في احياء الدين ويرتسم مراسمه فيه **من ورائي** بعد موتي وقرأ ابن كثير من وراي
بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي
اي خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من ورائي وخفت الذين يلون الامر
من ورائي وقرأ عثمان ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالي من ورائي
وهذا على معنيين احدهما ان يكون وراي بمعنى خلفي وبعدي فيتعلق الظرف بالموالي اي
قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسأل ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني
بمعنى قدامي فيتعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد
وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا من لدنك تاكيد لكونه وليا مرضيا بكونه
مضافا الى الله تعالى وصادرا من عنده والا فهب لي وليا يرثني كاف او اراد اختراعا منك
بلا سبب لاني وامرأتي لا نصلح للولادة **يرثني ويرث** الجزم جواب الدعاء والرفع صفة
ونحوه ردءا يصدقني وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث **من آل يعقوب** وعن الجحدري
او يرث على تصغير وارث وقال غليم صغير وعن علي رضي الله عنه وجماعة وارث
من آل يعقوب اي يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع
والعلم لان الانبياء لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب
الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا

كلهم انبياء ولا علماء وكان زكريا من نسل يعقوب بن اسحق وقيل هو يعقوب بن ماثان
اخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان بن داود **و
اجعله رب رضيا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل
له من قبل سميا** لم يسم احد بيحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامي السنع جديرة بالاثرة
واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانزه عن النبز حتى قال القائل
سنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب وقال رؤبة للنسابة البكري وقد
سأله عن نسبه فقال انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد
كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل السمي لان كل متشاكلين يسمى كل واحد باسم
المثل والشبه والشكل والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو يحيى في اسمائهم يعيش
ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت بن المزرع قالوا لم يكن له
مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد من شيخ فان وعجوز عاقر وانه
كان حصورا **قال رب انى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقرا** اي كانت
على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت بالولد لاختلال احد السببين افحين
اختل السببان جميعا ارزقه   لم طلب اولا وهو وامرأته على صفة
العتي والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب   ليجاب بما اجيب به فيزداد
المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا اولا وآخرا كان على منهاج واحد
في ان الله تعالى غني عن الاسباب **وقد بلغت من الكبر عتيا** اي بلغت عتيا وهو اليبس
والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل الكبر
والطعن في السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرأ ابن وثاب
وحمزة والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرأ ابي ومجاهد
عسيا **قال كذلك** الكاف رفع اي الامر كذلك تصديق له ثم ابتدأ **قال ربك**
او نصب بقال وذلك اشارة الى مبهم يفسره **هو علي هين** ونحوه وقضينا اليه ذلك
الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرأ الحسن وهو علي هين ولا يخرج
هذا الا على الوجه الاول اي الامر كما قلت وهو على ذلك يهون علي ووجه اخر
وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله تعالى لا الى قول زكريا وقال محذوف في

كلتا القراءتين أي قال هو علي هين بأن شئت لم تتوه ولأن الله هو المخاطب والمعنى
انه قال ذلك ووعده وقوله الحق وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا لأن المعدوم
ليس بشيء او شيئا يعتد به عجبت من لا شيء وقوله اذا اي غير شيء خلقنه رجالا وقرأ
الاعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك قال رب اجعل لي آية اي اجعل لي علامة
اعلم به وقوع ما بشرت به قال آيتك علامتك ألا تكلم الناس اي تمنع الكلام
فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم ثلاث ليال سويا
وفي ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران دلالة على ان المنع استمر ثلثة ايام ولياليهن
فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم اومأ واشار عن مجاهد ويشهد له الا رمزا
وعن ابن عباس كتب لهم على الارض أن سبحوا صلوا بكرة وعشيا او على الظاهر
وأن هي المفسرة يا يحيى خذ الكتاب بقوة اي خذ التورية بجد واستظهار بالتوفيق
والتأييد وآتيناه الحكم الحكمة صبيا ومنه واحكم كحكم فتاة الحي يقال حكم
حكما الحكم وهو الفهم للتوراة والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل النبوة لأن الله
تعالى احكم عقله في صباه وحنانا من لدنا وتعطفا وشفقة وانشد سيبويه
وقالت حنان ما اتى بك ههنا اذو نسب ام انت بالحي عارف وقيل حنانا من الله
عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق ثم استعمل في العطف والرأفة وقيل لله حنان كما
قيل رحيم على سبيل الاستعارة وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم
يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا
الزكوة الطهارة وقيل الصدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق عليهم سلم الله تعالى
عليه في هذه الاحوال قال ابن عيينة لانها اوحش المواطن واذكر في
الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فاتخذت من
دونهم حجابا اذ بدل من مريم بدل الاشتمال لأن الاحيان مشتملة على ما فيها
وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة والانتباذ
الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من
دارها معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط
او شيء يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى خالتها فاذا طهرت

عادت الى المسجد فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا فبينا هي في مغتسلها
اتاها الملك في صورة آدمي شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر سويا سوي
الخلق لم ينتقص من صورة الآدمية شيئا او حسن الصورة مستوي الخلق وانما
مثل لها في صورة الآدمي لتستأنس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة
الملكية لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه قالت اني اعوذ بالرحمن منك
ان كنت تقيا دل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة
الجميلة ونفاسة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء وسبر الله لها وسبر لعفتها
وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا
خرج اغلق عليها الباب فتمنت
خرجت فجلست في المشرفة وراء الجبل فأتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة
ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة
لانتباذ مريم مكانا شرقيا الروح جبريل لأن الدين يحيى به ويوحيه او سماه الله
تعالى روحه على سبيل المجاز محبة له وتقريبا كما تقول لحبيبك انت روحي وقرأ
ابو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد واصابة الروح عند الله
الذي هو عدة المقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان او لأنه من
المقربين وهم الموعودون اي مقربنا وذا روحنا ارادت ان كان يرجى منك ان
تتقي الله تعالى وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك كقوله بقية الله
خير لكم ان كنتم مؤمنين قال انما انا رسول ربك اي انما انا رسول من استعاذت به
لاهب لك غلاما زكيا واكون سببا في هبة الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض
المصاحف انما رسول امرني ان اهب لك او هي حكاية لقوله عز وجل حمل المس على
عن النكاح الحلال لانه كناية عنه لقوله من قبل ان تمسوهن او لامستم النساء
والزنا ليس كذلك انما يقال فيه فجر بها وخبث بها وما اشبه ذلك وليس بقمن
ان تراعى فيه الكنايات والآداب ولم اك بغيا البغي الفاجرة التي تبتغي الرجال
وهي فعول عند المبرد بغوي فادغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب التمام
فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر قال كذلك قال ربك هو

قالت رب انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر

علي هين ولنجعله تعليل معلله محذوف اي ولنجعله آية للناس فعلنا ذلك او
معطوف علي تعليل مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية ونحوه وخلق الله السموات والارض
ولتجزى كل نفس بما كسبت وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه وكان امرا
مقضيا تعلق باسطورا في اللوح لا بد لك من جريه عليك او كان امرا حقيقيا بان يكون
ويقضي لكونه آية ورحمة والمراد بالآية العبرة والبرهان علي قدرة الله تعالى
وبالرحمة الشرايع والالطاف وما كان سببا في قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة
والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين فحملته عن ابن عباس فاطمأنت الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب
درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل مدة الحمل ستة اشهر وعن عطاء والضحاك
سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود وضع لثمانية الا عيسى وقيل ثلث ساعات
وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت مدة الحمل ساعة واحدة كما حملته نبذته وقيل
وهي بنت ثلث عشرة وقيل بنت عشرة وقد كانت حاضت حيضتين قبل ان تحمل
وقالوا لها من مولود الا يستهل غيره فانتبذت به اي اعتزلت وهو في بطنها كقوله
تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوس الجماجم ونحن علي ظهورها ونحوه قوله تعالى تنبت
بالدهن وذهنها فيها والجار والمجرور في موضع الحال مكانا قصيا بعيدا من اهلها
وراء الجبل وقيل اقصى الدار وقيل كانت سمت لها ابن عم اسمه يوسف فلما قيل حملت من الزنا
خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها فاتاه
جبريل عليه السلم فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها فاجاءها المخاض
فنقول من جاء الا ان استعماله قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول
جئت المكان واجائنيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في
الاعطاء ولم يقل اتيت المكان واتانيه فلان وقرأ ابن كثير في رواية المخاض
بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد في بطنها الى جذع النخلة
طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في صحراء ليس
لها راس ولا ثمرة ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو اما ان يكون من
اسماء الغالبة كتعريف النجم والصعق كان تلك الصحراء كان فيها جذع نخلة متعالم

عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل واما
تعريف الجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى انما ارشدها الى النخلة ليطعمها
منها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها ولان النخلة اقل شيء صبرا على البرد
وثمارها انما هو من جمارها فلموافقتها لها مع جمع الآيات اختارها لها والجاءها
اليها قالت يا ليتني مت قبل هذا وقرئ مت بالضم والكسر يقال مات يموت و
يمات وكنت نسيا منسيا النسي ما من حقه ان يطرح وينسى كخرق الطمث
وغيرها كالذبح اسم لما من شانه ان يذبح في قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم وعن يونس
العرب اذا ارتحلوا عن المنزل قالوا انظروا انساءكم اي الشيء اليسير نحو العصا والقدح
والشظاظ تمنت لو كانت شيئا تافها لا يؤبه به من شانه وحقه ان ينسى في العادة
وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وذلك لما لحقها من فرط
الحياء والتشوير من الناس علي حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله تعالى
او لشدة التكليف عليها اذ بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من
اختصاص الله اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض فلما تثبت عليه الا
ان تغبط اغتباطك بامر عظيم وفضل باهر يستحق به المدح ويستوجب التعظيم
تراه عند الناس لجهلهم به عيبا ويعنف بسببه او لخوفها على الناس ان يعصوا
الله بسببها وقرأ ابن وثاب والاعمش وحمزة وحفص نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان
كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر كالحمل وقرأ محمد بن
كعب القرظي نسئا بالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته ونزارته
وقرأ الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغير والمنخر فناداها من تحتها
الا تحزني هو جبريل عليه السلم قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى عليه
السلم وهي قراءة عاصم وابي عمرو وقيل تحتها اسفل من مكانها كقوله تجري من تحتها
الانهار وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة فصاح بها الا تحزني وقرأ نافع وحمزة والكسائي و
حفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك او عيسى وعن قتادة الضمير في تحتها
للنخلة وقرأ زر وعلقمة فخاطبها من تحتها قد جعل ربك تحتك سريا سئل النبي
صلى الله عليه وآله وسلم عن السري فقال هو الجدول او السيد [illegible]

مسجورة تتجاوز اقلامها وقيل هو من السرو والمراد عيسى وعن الحسن كان والله
سريا ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب بالسري والرطب
لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب لكن من حيث انهما معجزتان تريا
الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما قذفوها بمعزل وانها
امور الهية خارجة من العادات خارقة {وهزي اليك بجذع النخلة} لما الفوا
واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير فحل ليس ببدع من شانها {تساقط
عليك} فيه تسع قراآت تساقط بادغام التاء وتتساقط باظهار التائين وتساقط بحذف
الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط وتسقط وتسقط التاء للنخلة
والياء للنخلة والياء للجذع {رطبا جنيا} تمييز او مفعول على حسب القراءة وعن
المبرد جوز انتصابه بهزي وليس بذلك والباء في بجذع النخلة صلة للتاكيد كقوله
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او على معنى افعل الهز به كقوله يجرح في عراقيبها
نصلي قالوا التمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك من التمر وقيل
ما للنفساء خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن
لها خير من الرطب عن طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع في السري الى
فايدتين احديهما الاكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين
وهو معنى قوله {فكلي واشربي وقري عينا} اي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي
عنك ما احزنك واهمك وقري بالكسر لغة نجد {فاما ترين من البشر احدا}
تري بالهمز ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت السويق
وذلك لتآخ بين الهمزة وحروف اللين في الابدال {فقولي اني نذرت للرحمن
صوما} صمتا وفي مصحف عبد الله صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل صياما
الا انهم لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عن صوم الصمت لانه نسخ في امته امرها الله بان تنذر الصوم لئلا تشرع مع
البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين احدهما ان عيسى عليه السلم يكفيها الكلام بما
يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه ان السكوت
عن السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها قيل اخبرتهم بانها نذ

حتى تسلى

ويتسقط

الصوم بالاشارة وقيل سوغ ذلك بالنطق {فلن اكلم اليوم انسيا} اي
اكلم الملائكة دون الانس {فاتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت
شيئا فريا} الفري البديع وهو من فري الجلد {يا اخت هارون} كان اخاها من ابيها
من امثل بني اسرائيل وقيل هو اخو موسى عليهما السلم وعن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم انه هارون النبي وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة وبينها وبينه الف سنة
واكثر وعن السدي كانت من اولاده وانما قيل اخت هارون كما يقال يا اخا همدان
اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها به اي كنت عندنا
في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان هارون الصالح تبع جنازته
اربعون الفا كلهم يسمى هارون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهارون هذا
وقرأ عمر بن لجأ التيمي ما كان ابوك امرأ سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها
الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى
في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم
اهل بيت صالحين تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها
{فاشارت اليه} اي هو الذي يجيبكم اذا ناطقتموه وقيل المستنطق لعيسى زكريا
عليهما السلم {قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا} وقالوا سخريتها
بنا اشد علينا من ذلك {قال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا
وجعلني مباركا اينما كنت واوصاني بالصلوة والزكوة ما دمت
حيا} روي انه كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه
واتكأ على يساره واشار بسبابته وكلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا
يتكلم فيه الصبيان كان لايقاع مضمون الجملة في زمان مبهم يصلح لقريبه وبعيده
وهو هاهنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام وانه مسوق للتعجب
ووجه آخر وهو ان يكون حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان نكلم الناس
صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انطقه الله تعالى اولا بانه عبده
ردا لقول النصارى والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته فقيل اعطيها في طفوليته
اكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا في ظاهر الآية وقيل معناه ان ذلك سبق في

ما كان ابوك امرأ سوء وما كانت امك بغيا

وعن السدي لما اشارت
اليه غضبوا وقالوا

في قضايه او جعل الاتي لا محالة كانه قد وجد وبما ركا اينما كنت عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير وبرا بوالدتي ولم يجعلني
جبارا شقيا وبرا عن ابي نهيك جعل امة برا او نصبه بفعل في
معنا اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلوة وكلفنيها واحد والسلام علي
يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا قيل ادخل لام التعريف لتعرفه بالنكرة
قبله كقولك جانا رجل وكان من فعل الرجل كذا والمعنى وذلك السلام الموجه الى
يحيى في المواطن الثلث موجه الي والصحيح ان هذا التعريف تعريض باللعنة على متهمي مريم
واعدائها من اليهود وتحقيقه ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلم علي خاصة فقد
عرض بان ضده عليكم ونظيره قوله تعالى والسلم على من اتبع الهدى يعني ان العذاب
على من كذب وتولى وكان المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض ذلك
عيسى ابن مريم قول الحق قرا عاصم وابن عامر قول الحق النصب وعن ابن مسعود
قال الحق وقال الله وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الانعام قوله الحق
والقول والقال والقول في معنى واحد كالرهب والرهب والرهب وارتفاعه على
خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدا محذوف واما انتصابه فعلى المدح ان فسر بكلمة الله
وعلى انه مصدر موكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك هو عبد الله
الحق لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها
وهي قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء والشحم بالندى
ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله عز وجل وان يكون بمعنى الثبات
والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون اي امره حق يقين وهم فيه شاكون
يمترون يشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب
وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب
وعن ابي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون ما كان لله ان يتخذ من ولد
كذب النصارى وبكتهم بالدلالة على انتفاء الولد عنه وانه مما لا يتاتى ولا يتصور في
المعقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال غير المستقيم ان تكون ذاته كذات من ينشا منه
سبحانه اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ثم بين احالة ذلك بان

من اذا اراد شيئا من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان
الوالد والقول ههنا مجاز ومعناه ان المراد للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير
توقف فشبه ذلك بامر الامر المطاع اذا ورد على المامور الممتثل وان الله
قراه المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط
مستقيم كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا [illegible]
بالكسر على الابتداء وفي حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اي بسبب ذلك
فاعبدوه فاختلف الاحزاب من بينهم اليهود والنصارى عن الكلبي وقيل
النصارى لتحزبهم ثلث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية وعن الحسن الذين
تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى عليه السلم اختلفوا فيه من بين الناس فويل
للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم
القيمة او من مكان الشهود فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة
ذلك اليوم العظيم عليهم وان تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم
وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما
قالوه وشهدوا في عيسى وامه اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا لا يوصف الله
تعالى بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما
بعدما كانوا صما عميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما
يسوءهم ويصدع قلوبهم لكن الظالمون اليوم اوقع الظاهر اعني الظالمون
موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا الاستماع و
النظر حين يجدي عليهم ويسعدهم في ضلال مبين المراد من الضلال المبين
اغفال النظر والاستماع وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر فرغ من
الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه سئل عنه فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران واذ بدل من يوم الحسرة
او منصوب بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين وهم لا يؤمنون
عن الحسن انذرهم اعتراض او هو متعلق بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال
غافلين غير مؤمنين انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون يحتمل ان

بينهم ويخرب ديارهم وأنه يفني أجسادهم ويفني الأرض ويذهب بها واذكر
في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا الصديق من أبنية المبالغة
ونظيره الضحيك والنطيق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله
وآياته وكتبه ورسله وكان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل
أي كان مصدقا لجميع الأنبياء وكتبهم وكان نبيا في نفسه لقوله تعالى بل جاء بالحق
وصدق المرسلين أو كان بليغا في الصدق لأن ملاك أمر النبوة الصدق ومصدق
الله بآياته ومعجزاته حري أن يكون كذلك وهذه الجملة وقعت اعتراضا بين المبدل منه
وبدله أعني إبراهيم وإذ قال لأبيه ونحو قولك رأيت زيدا ونعم الرجل أخاك
ويجوز أن يتعلق إذ بكان أو بصديقا نبيا أي كان جامعا لخصائص الصديقين والأنبياء
حين خاطب أباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول إياه وقصته في الكتاب أن
يتلو ذلك على الناس ويبلغه إياهم لقوله واتل عليهم نبأ إبراهيم وإلا فالله عز وجل
هو ذاكره ومورده في تنزيله التاء في يا أبت عوض من ياء الإضافة فلا يقال
يا أبتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه ولا يا أبتا لكون الألف بدلا من الياء
وشبه ذلك سيبويه بأينق وتعويض الياء فيه بلا عن الواو والساقطة لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا انظر حين أراد أن ينصح أباه ويعظه
فيما كان متورطا فيه من الخطأ العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه أمر العقلاء
وانسلخ من قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها كيف رتب الكلام معه في أحسن
اتساق وساقه أرشق مساق مع استعمال المجاملة واللطف والرفق واللين
والأدب الجميل والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث أبو هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوحى الله إلى إبراهيم عليه السلام إنك خليلي
حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الأبرار فإن كلمتي سبقت لمن حسن خلقه
أن أظله تحت عرشي وأسكنه حظيرة القدس وأدنيه من جواري وذلك أنه طلب
منه أولا العلة في خطائه طلب منبه على تماديه موقظ لإفراطه وتناهيه لأن المعبود
لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا ضارا إلا أنه بعض
الخلق لاستخف عقل من أهله للعبادة ووصفه بالربوبية ولسجل عليه بالغي المبين

والظلم العظيم وإن كان أشرف الخلق وأعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين
قال الله تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد
إذ أنتم مسلمون وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم فلا تحق إلا لمن له غاية الإنعام
وهو الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب الذي منه أصول النعم وفروعها فإذا
وجهت إلى غيره وتعالى عن ذلك علوا كبيرا أن تكون هذه الصفة لغيره لم يكن ذلك إلا
وعتوا وكفرا وجحودا وخروجا من الصحيح البين إلى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه
عبادته إلى جماد ليس به شعور فلا يسمع يا عابده ذكرك له وثناءك عليه ولا يرى
هيئات خضوعك وخشوعك له فضلا أن يغني عنك بأن تستدفع فيه بلاء فيدفعه
أو تسنح لك حاجة فيكفيها يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك
صراطا سويا ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم أباه بالجهل المفرط
ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال إن معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس معك وذلك
علم الدلالة على الطريق السوي فلا تستنكف وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية
دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان
للرحمن عصيا ثم ثلث بتثبيطه ونهيه عما كان عليه بأن الشيطان الذي استعصى على
ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك
إلا كل هلاك وخزي ونكال وعدو أبيك آدم وأبناء جنسك كلهم هو الذي ورطك
في هذه الضلالة وأمرك بها وزينها لك فأنت إن حققت النظر عابد الشيطان إلا
أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لإمعانه في الإخلاص ولارتقاء همته في الربانية لم يذكر
من جنايتي الشيطان إلا التي تختص منها برب العزة من عصيانه واستكباره ولم يلتفت
إلى ذكر معاداته لآدم وذريته كأن عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره وأطبق على
ذهنه يا أبت إني ثم ربع بتخويفه سوء العاقبة وبما يجره ما هو فيه من التبعة
والوبال ولم يخل ذلك من حسن الأدب حيث لم يصرح بأن العقاب لاحق له
وأن العذاب لاصق به ولكنه قال أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون
للشيطان وليا فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولاية الشيطان ودخوله
في جملة أشياعه وأوليائه أكبر من العذاب وذلك أن رضوان الله أكبر من الثواب نفسه

وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله اكبر ذلك هو
الفوز العظيم فكذلك ولاية الشيطان التي هي معارضة رضوان الله اكبر من العذاب
نفسه واعظم وصدر كل نصيحة من النصائح الاربع بيا ابت توسلا اليه واستعطا
فا ما في ما لا يسمع وما لم يأتك يجوز ان يكون موصولة او موصوفة والمفعول في لا
يسمع ولا يبصر منسي كقولك ليس به استماع ولا ابصار وشيئا يحتمل وجهين
احدهما ان يكون في موضع المصدر اي شيئا من الغنى ويجوز ان يقدر نحوه مع
الفعلين السابقين والثاني ان يكون مفعولا به من قولهم اغن عني وجهك فلما
فيه تجدد العلم عنده لما اطلعه على سماجة صورة امره وهدم مذهبه بالحجج
القاطعة وناصحه المناصحة العجيبة مع تلك الملاطفات قال اقبل عليه الشيخ
بفظاظة الكفر وغلظة العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم
الخبر على المبتدإ في قوله اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم لانه كان اهم وهو
عنده اعنى وفيه ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن آلهته وان آلهته ما ينبغي ان
يرغب عنها احد وفي هذا سلوان وثلج لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما كان
يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لئن لم تنته لارجمنك لارمينك بلساني
يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك
رميا بالحجارة واصل الرجم الرمي بالرجام واهجرني مليا زمانا طويلا من الملاوة
او مليا بالذهاب عني والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح فلان
ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا به علام عطف واهجرني مليا
عليه معطوف عليه محذوف يدل عليه لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان
لارجمنك تهديد وتقريع قال سلام عليك سلام توديع ومتاركة كقوله
لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقوله واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركة المنصوح له والحال هذه
ويجوز ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة له الا ترى انه وعده الاستغفار
في سأستغفر لك ربي كيف جاز له ان يستغفر للكافر وان يعده ذلك
قالوا اراد اشتراط التوبة عن الكفر كما ترد الاوامر والنواهي الشرعية

على الكفار والمراد اشتراط الايمان كما يؤمر المحدث والفقير بالصلوة والزكوة
ويراد اشتراط الوضوء والنصاب قالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابي انه كان من
الضالين لانه وعده ان يؤمن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم
لابيه الا عن موعدة وعدها اياه ولقائل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر انما هو
السمع فاما القضية العقلية فلا تأباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار
والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى
الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا
ومستثنى عما وجبت فيه الاسوة واما عن موعدة وعدها اياه والله اعلم انه
كان بي حفيا الحفي البليغ في البر والالطاف حفي به وتحفى به واعتزلكم
وما تدعون من دون الله اراد بالاعتزال المهاجرة الى الشام وادعو ربي
المراد بالدعاء العبادة لانه منها ومن وسائطها ومنه قوله عليه الصلوة والسلام الدعاء
هو العبادة ويدل عليه قوله تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون ويجوز ان يراد الدعاء
الذي حكاه الله تعالى في سورة الشعراء عرض بشقاوتهم بدعاء آلهتهم في قوله عسى
الا اكون بدعاء ربي شقيا مع التواضع لله في كلمة عسى وما فيه من هضم
النفس فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب
وكلا جعلنا نبيا ما خسر على الله احد ترك الكفار الفسقة لوجهه فعوضه
اولادا مؤمنين انبياء ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق
عليا لسان الصدق الثناء الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد وهي
العطية قال اني اتتني لسان لا اسر بها يريد الرسالة ولسان العرب لغتهم وكلامهم
استجاب الله دعوته واجعل لي لسان صدق في الآخرين فصيره قدوة حتى ادعاه
اهل الاديان كلهم وقال تعالى ملة ابيكم ابرهيم وملة ابرهيم حنيفا ثم اوحينا
اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا واعطى ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما
اعلى ذكره واثنى عليه واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا المخلص
بالكسر الذي اخلص العبادة عن الشرك والرياء او اخلص نفسه واسلم وجهه لله
عز وجل وبالفتح الذي اخلصه الله تعالى وكان رسولا نبيا الرسول الذي معه كتاب

من الأنبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب كيوشع
وناديناه من جانب الطور الأيمن من اليمين أي من ناحيته اليمنى أو من اليمن
صفة للطور أو للجانب وقربناه نجيا تشبيه من قربه بعض العظماء للمناجاة حيث
كلمه بغير واسطة وعن أبي العالية قربه حتى سمع صرير القلم الذي كتبت به التوراة
ووهبنا له من رحمتنا من أجل رحمتنا له وترؤفنا عليه ووهبنا له هرون أو بعض
رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا وأخاه على هذا الوجه بدل وهارون
نبيا عطف بيان له كقولك رأيت رجلا أخاك زيدا وكان هارون أكبر من موسى
فوقعت الهبة على معاضدته وموازرته كذا عن ابن عباس رضي الله عنهما واذكر في الكتاب
إسمعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ذكر إسمعيل عليه الصلوة والسلام
بصدق الوعد وإن كان موجودا في غيره من الأنبياء تشريفا له وإكراما كالتلقيب
بنحو الحليم والأواه والصديق ولأنه المشهور المتواصف من خصاله عن ابن عباس
أنه وعد صاحبا له أن ينتظره في مكان فانتظره سنة وناهيك أنه وعد من نفسه
الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني إن شاء الله من الصابرين وكان يأمر
أهله بالصلوة والزكوة وكان عند ربه مرضيا كان يبدأ بأهله في الأمر
بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولأنهم أولى من سائر الناس
وأنذر عشيرتك الأقربين وأمر أهلك بالصلوة قوا أنفسكم وأهليكم نارا ولأنهم
أحق بالتصدق عليهم فالإحسان الديني أولى وقيل أهله أمته كلهم من القرابة وعشيرته
لأن أمم النبيين في عداد أهاليهم وفيه أن من حق الصالح أن لا يألو نصحا للأجانب
فضلا عن الأقارب والمتصلين به وأن يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في شيء
واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا قيل سمي إدريس لكثرة دراسته كتاب
الله تعالى وكان اسمه أخنوخ وهو غير صحيح لأنه لو كان إفعيلا من الدرس لم يكن فيه
إلا سبب واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك إبليس
أعجمي وليس من الإبلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا إسرائيل بإسرال كما زعم
ابن السكيت ومن لم يتحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه أمثال هذه الهنات ويجوز أن يكون
معنى إدريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس ورفعناه

مكانا عليا يعني شرف النبوة والزلفى عند الله وقد أنزل الله تعالى عليه ثلثين صحيفة وهو أول
من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب وأول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون
الجلود وعن أنس بن مالك يرفعه أنه رفع إلى السماء الرابعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما إلى
السماء السادسة وعن الحسن إلى الجنة لا شيء أعلى من الجنة وعن النابغة الجعدي أنه
لما أنشد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الشعر الذي آخره بلغنا السماء مجدنا
وسناءنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى أين
يا أبا ليلى قال إلى الجنة أولئك إشارة إلى المذكورين في السورة من لدن زكريا إلى إدريس
الذين أنعم الله عليهم ومر نحوه من النبيين للبيان مثلها في قوله تعالى في آخر سورة الفتح
وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لأن جميع الأنبياء منعم عليهم من
ذرية آدم من الثانية للتبعيض وكان إدريس من ذرية آدم لقربه لأنه جد أبي نوح
وممن حملنا مع نوح وإبراهيم من ذرية من حمل مع نوح لأنه من ولد سام بن نوح
ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل إسمعيل وإسحق من ذرية إبراهيم وموسى وهارون وزكريا
ويحيى من ذرية إسرائيل وكذلك عيسى لأن مريم من ذريته وممن هدينا واجتبينا
يحتمل العطف على من الأولى والثانية إن جعلت الذين خبرا لأولئك كان إذا تتلى
عليهم آيات الرحمن كلاما مستأنفا وإن جعلته صفة له كان خبرا وقرأ شبل بن عباد
المكي يتلى بالتذكير لأن التأنيث غير حقيقي مع وجود الفاصل خروا سجدا وبكيا والبكي جمع
باك كالسجود والقعود في جمع ساجد وقاعد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وعن صالح المري قرأت القرآن على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال يا صالح هذه القراءة فأين البكاء وعن ابن عباس
إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا وقالوا
ينبغي أن يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فإن قرأ آية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من
الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك وإن قرأ
سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين إليك الخاشعين لك وإن قرأ هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين
الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلوة

خلفه اذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف وفي عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا وعد
في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر عن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة و
شربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابرهيم ومجاهد اضاعوها بالتاخير
وينصر الاول الا من تاب وآمن يعني الكفار وعن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا
الشهوات من بني المشيد وركب المنظور ولبس المشهور وعن قتادة هو هذه الامة
وقرأ ابن الحسن والضحاك الصلوات بالجمع فسوف يلقون غيا كل شر عند العرب غي
وكل خير رشاد قال فمن يلق خيرا يحمد الناس امره وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق
اثاما اي مجازاة اثام او غيا عن طريق الجنة وقيل غي واد في جهنم يستعيذ منه اوديتها
وروي الاخفش يلقون الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة
ولا يظلمون شيئا قرئ يدخلون ويدخلون اي لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم
ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بيانا لان تقدم الكفر لا يضرهم اذا تابوا من قولك
ما ظلمك ان تفعل كذا بمعنى ما منعك او لا يظلمون البتة اي شيئا من الظلم جنات
عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن
ابدلت منها كقولك ابصرت دارك القاعة والعلالي وعدن معرفة علم بمعنى العدن
وهو الاقامة كما جعلوا فينة وسحر وامس فيمن لم يصرفه اعلاما لمعاني الفينة والسحر
والامس فجرى مجرى العلم لذلك او هو علم لارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك
لما ساغ الابدال لان النكرة لا يبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي
وقرئ جنات عدن وجنة عدن بالرفع على الابتداء اي وعدها وهي غائبة عنهم
غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها او بتصديق الغيب والايمان به
انه كان وعده مأتيا قيل مأتيا مفعول بمعنى فاعل والوجه ان الوعد هو
الجنة وهم يأتونها او هو من قولك اتى اليه احسانا اي كان وعده مفعولا منجزا
لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته وفيه
تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه الله تعالى عنه الدار التي لا تكليف
فيها وما احسن قوله واذا مروا باللغو مروا كراما واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه
وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله من اللغو

والجهل والخوض فيما لا يعنينا اي ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملائكة
عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك فهو من وادي قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب او لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب و
النقيصة على الاستثناء المنقطع او لان معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار
السلامة واهلها عن الدعاء بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الكلام لولا
ما فيه من فائدة ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا من الناس من ياكل الوجبة
ومنهم من ياكل متى وجد وهي عادة المنهومين ومنهم من يتغدى ويتعشى وهي
الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير ولان المتنعم عند العرب
من وجد غداء وعشاء وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما تقول انا عند فلان صباحا و
مساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين تلك الجنة التي
نورث من عبادنا من كان تقيا وقرئ نورث استعارة اي نبقي عليه الجنة
كما نبقي على الوارث مال المورث ولان الاتقياء يلقون ربهم يوم القيمة قد
انقضت اعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم الجنة فقد اورثهم من
تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل اورثوا من الجنة المساكن التي
كانت لاهل النار لو اطاعوا وما نتنزل الا بامر ربك حكاية
قول جبريل عليه السلام حين استبطاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم روي انه
احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر وذلك حين سئل عن قصة اصحاب الكهف
وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فشق ذلك
عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل عليه السلام
قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابطأت حتى ساء ظني واشتقت اليك
قال اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست
وانزل هذه الاية وسورة والضحى والتنزل على معنيين معنى النزول على مهل ومعنى
النزول على الاطلاق كقوله فلست لانسي ولكن لملاك تنزل لانه مطاوع نزل
ونزل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا الموضع هو النزول
على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله وعلى

ما يراه صوابا وحكمة و له ما بين ايدينا ما قدامنا وما خلفنا وما بين ذلك
من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان
الى مكان الا بامر المليك ومشيته وهو الحافظ العالم بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد
من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى لنا ان نتقلب في ملكوته الا
اذا راى ذلك مصلحة وحكمة واطلق لنا الاذن فيه وقيل ما سلف من امر الدنيا
وما يستقبل من امر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل
ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد
فنائنا وقيل الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والارض
والمعنى انه المحيط بكل شيء لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم
على فعل نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويامرنا به ويأذن لنا فيه وقيل معنى وما
كان ربك نسيا وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما كان
امتناع النزول الا لامتناع الامر به واما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله
لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على المصلحة وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون
الجنة اي وما ننزل الجنة الا بان من الله علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها وهو المالك
لرقاب الامور كلها السالفة والمترقبة والحاضرة اللاطف في اعمال الخير والموفق لها
والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين
غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان والغفلة على ذي ملكوت السماوات و
الارض وما بينهما ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين عرفه على هذه
فاقبل على العمل واعبده يثبك كما اثاب غيرك من المتقين وقرأ الاعرج وما
يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي وعن ابن مسعود الا بقول ربك
بعباده يكون الخلاف في المنسي شكله في البقى رب السماوات والارض وما بينهما
بدل من ربك ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو رب السماوات والارض
فاعبده كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما
كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده من كلام رب العزة   هلا عدي
اصطبر بعلى التي هي صلته كقوله واصطبر عليها   لان العبادة جعلت بمنزلة القرن

واصطبر لعبادته

في قولك للمحارب اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته اريد
ان العبادة تورد عليك شدائد ومشاق فاثبت لها ولا تهن ولا يضيق صدرك عن
القاء عداتك من اهل الكتاب اليك الاغاليط وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة
المشركين بك هل تعلم له سميا اي لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون لاصنامهم
آلهة والعزى اله واما الذي عوض فيه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به المعبود
الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يسمى احد الرحمن غيره ووجه آخر هل
تعلم من سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير معتد
بها كلا تسمية وقيل مثلا وشبيها اي اذا صح ان لا معبود يوجه اليه العباد
العبادة الا هو وحده لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها ويقول
الانسان يحتمل ان يراد بالانسان الجنس باسره وان يراد بعض الجنس وهم الكفرة
لم جازت ارادة الاناسي كلهم وكلهم غير قائلين ذلك   لما كانت
هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم صح اسناده الى جميعهم كما يقولون
بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم قال الفرزدق فسيف بني عبس وقد ضربوا به
نبا بيدي ورقاء عن راس خالد فقد اسند الضرب الى بني عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء
وهو ورقاء بن جذيمة العبسي ائذا ما مت لسوف اخرج حيا   بما انتصب اذا
وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم   بفعل مضمر يدل
عليه المذكور   لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى الحال فكيف جامعت
حرف الاستقبال   لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما اخلصت الهمزة في يا الله
للتوكيد ايضا فكانهم قالوا احقا انا سنخرج احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك
على وجه الاستنكار والاستبعاد والمراد الخروج من الارض او من حال
الفنا او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا في ذلك اي اخرج
حيا نادرا على سبيل الهزؤ وقرأ الحسن وابو حيوة لسوف اخرج وعن طلحة رضي الله عنه
لساخرج كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك وتقديم الظرف وايلاؤه حرف
الانكار من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء انكارهم
فهو كقولك للمسيء الى المحسن احين تمت عليك نعمة فلان اسات اليه اولا يذكر

الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا الواو عطفت لا يذكر على يقول
ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني ايقول ذلك و
لا يتذكر حال النشأة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب وادل على
قدرة الخالق حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم اوقع التأ
مشحونا بضروب الحكم التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف
ولكن اختراعا وابداعا من عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما الثا
فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تأليف
الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك
والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل على هذا المعنى وكذلك وهو اهون عليه
على ان رب العزة سواء عليه النشأتان لا يتفاوت في قدرته الصعب والسهل
ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في مقياس ولكن
يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة جهله القراء
كلهم على لا يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما فقد خففوا وفي حرف ابي
يتذكر من قبل من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه فوربك لنحشرنهم
في اقسام الله تعالى باسمه تقدست اسماؤه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم تفخيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورفع منه كما رفع من شأن
السماء والارض في قوله فورب السماء والارض انه لحق والواو في والشياطين
يجوز ان تكون للعطف وبمعنى مع وبمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم
الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة هذا اذا اريد بالانسان
الكفرة خاصة فان اريد بالاناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين
اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد
حشروا مع الشياطين كما حشروا مع الكفرة ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا
هلا عزل السعداء عن الاشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء لم يفرق
بينهم وبينهم في المحشر واحضروا حيث تجاثوا حول جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد
السعداء الاحوال التي نجاهم الله تعالى منها وخلصهم فيزدادوا لذلك غبطة الى

وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم وما
يغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم ما معنى احضارهم جثيا
اما اذا فسر الانسان بالخصوص فالمعنى انهم يعتلون من المحشر الى شاطئ جهنم
عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم
وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل امة جاثية على
العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك
من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبى خلاف الطمأنينة او لما يدهمهم من شدة
الامر التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا وان فسر
بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة كما
كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع التواقف للحساب قبل التوصل الى الثواب والعقاب
ثم لننزعن من كل شيعة المراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفئة الطائفة
التي شاعت اي تبعت غاويا من الغواة قال الله تعالى ان الذين فرقوا
دينهم وكانوا شيعا ايهم اشد على الرحمن عتيا يريد نمتاز من كل طائفة
من طوائف الغي والفساد اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا
طرحناهم في النار على الترتيب نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم ثم لنحن اعلم بالذين
هم اولى بها صليا المنتزعين كما هم كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وهم
اولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد ويجوز ان
يريد باشدهم عتيا رؤساء الشيع وائمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا
مضلين قال الله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق
العذاب بما كانوا يفسدون وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم واختلف في
اعراب ايهم اشد فعن الخليل انه مرتفع على الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال
فيهم ايهم اشد وسيبويه على انه مبني على الضم لسقوط صدر الجملة التي هي صلته
حتى لو جيء به لاعرب وقيل ايهم هو اشد ويجوز ان يكون النزع واقعا على من
كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا قال
من هم فقيل ايهم اشد عتيا وايهم اشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ

من صلي الهوا اسناد الفراء بم يتعلق على والباء فان تعلقهما بالمصدر لا يتقدم عليه هما للبيان لا للصلة او يتعلقان بافعل اي عتوهم اشد
على الرحمن وصليهم اولي بالناس كقولهم هو اشد على خصمه وهو اولي بكذا (وان
منكم الا واردها) التفات الى الانسان يعضده قراة ابن عباس وعكرمة
وان منهم او خطاب الناس من غير التفات الى المذكور فان اريد الجنس كله فمعنى
الورود دخولهم فيها وهي جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن ابن عباس
يردونها كانها اهالة وروي رواية عن جابر بن عبد الله رضه انه سال رسول الله
صلي الله عليه وآله وسلم عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض
اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وعنه
انه سيل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم يقول الورود
الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فيكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على
ابرهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها
وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها
وعن ابن عباس قد يرد الشيء ولم يدخله كقوله ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة
البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود المؤمن النار هو مس الحمى جسده
في الدنيا لقوله عليه السلم الحمى من فيح جهنم وفي الحديث الحمى حظ كل مؤمن من النار
ويجوز ان يراد بالورود جثوهم حولها وان اريد الكفار خاصة فالمعنى ظاهر (كان
على ربك حتما مقضيا) الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمي الموجب به كقولهم
خلق الله وضرب الامير اي كان ورودهم واجبا على الله اوجبه على نفسه
وقضى به وعزم على ان لا يكون غيره (ثم ننجي الذين اتقوا) قرئ ننجي وننجي ويُنجي
ويُنجى على ما لم يسم فاعله ان اريد الجنس باسره فهو ظاهر وان اريد الكفرة وحدهم فمعنى
ثم ننجي الذين اتقوا ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يواردونهم
ثم يتخلصون وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن ابي ليلى ثم بفتح الثاء
اي هنالك وقوله (ونذر الظالمين فيها جثيا) دليل على المراد بالورود الجثو حواليها
وان المؤمنين يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة في مكانهم

جاثين (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني
مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او تبيين
الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها
او حججا وبراهين والوجه ان يكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا فان آيات
الله تعالى لا يكون الا واضحة وحججا (قال الذين كفروا للذين آمنوا) لاجلهم
او في انهم بما يطيقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وانهم يفوهون به لاجلهم

اي الفريقين خير

سناهم كقوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه قرأ
ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع
القيام والمراد المكان والموضع (واحسن نديا) الندي المجلس ومجتمع القوم وحيث
ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا الآيات وهم جهلا لا يعلمون الا ظاهرا من الحيوة
الدنيا ذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من المؤمنين بالآيات والجاحدين
لها اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل والنقص والرفعة والضعة
ويروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون بالثياب الفاخرة
ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم (وكم) مفعول
(اهلكنا) و(من قرن) تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اي كثيرا من
القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم (هم احسن اثاثا)
في محل النصب صفة لكم الا ترى لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن على الوصفية
الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن بن
علي الطوسي مقام العهد من ام الوليد بناد هم اوصا اثاث البيت خرثيا (ورئيا)
وقرئ على خمسة اوجه رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رايت وريا
كقولهم رالي بي راي وريا على قلب الهمزة ياء والادغام او من الري وهو النعمة
والترفه من قولهم ريان من النعيم وريا على حذف الهمزة راسا ووجهه ان يخفف
بالقلب وهو ربما يحذف الهمزة والقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها وزيا
واشتقاقه من الزي وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء
(قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) اي يمد له الرحمن يعني امهله واملي

له في العمر فاخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمأمور
به الممتثل لتنقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيمة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
او كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما او من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا في
الدعاء بان يمهله الله وينفس في مدة حيوته حتى اذا راوا ما يوعدون في هذه الاية
وجهان احدهما ان يكون متصلة بالاية التي هي رابعتها والايات اعتراض بينهما اي قالوا
اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا يبرحون يقولون
هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى ان يشاهدوا الموعود راي عين اما
العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله
دينه كله على الدين على ايديهم واما الساعة يوم القيمة وما ينالهم من الخزي والنكال
فسيعلمون من هو شر مكانا حينئذ يعلمون عند المعاينة ان الامر على عكس ما قدروه وانهم شر مكانا
واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المؤمنين على خلاف صفتهم والثاني
ان يتصل بما يليها والمعنى ان الذين في الضلالة ممدود لهم في ضلالتهم والخذلان
لاصق بهم لعلم الله تعالى بهم وبان الالطاف لا تنجع فيهم وليسوا من اهلها والمراد
بالضلالة ما دعاهم من جهلهم وغلوهم في كفرهم الى القول الذي قالوه
لا ينفكون عن ضلالتهم الى ان يعاينوا نصرة الله المؤمنين او يشاهدوا الساعة ومقدماتها
حتى هي ما هي التي تحكى بعدها الجمل الا ترى الجملة الشرطية واقعة بعدها
وهي قوله اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا في مقابلة خير مقاما
واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم
وانصارهم واعوانهم والجند هم الانصار والاعوان ويزيد الله الذين اهتدوا
هدى معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع الخبر تقديره من كان في الضلالة
يمد له الرحمن ويزيد اي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية
بتوفيقه والباقيات الصالحات اعمال الاخرة كلها وقيل الصلوات وقيل سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اي هي خير عند ربك ثوابا من مفاخرات الكفار
وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم ليس لهذا الامر مرد وكأنه
كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا منه

كانه قيل ثوابهم النار على طريقة قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله شجعاء جربها الذميل تلوكه
اذا راح المطي غراثا وقوله تحية بينهم ضرب وجيع ثم بنى عليه خير ثوابا وفيه ضرب
من التهكم الذي هو اغيظ للمتهدد من ان يقال له عقابك النار فما
وجه التفضيل في الخبر كان لمفاخرهم شركا فيه هذا من وجيز كلامهم يقولون
الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره منه في برده افرأيت الذي كفر بآياتنا
وقال لاوتين مالا وولدا لما كانت مشاهدة الاشياء ورؤيتها طريقا الى الاحاطة
بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا ارأيت في معنى اخبر والفاء جاءت لافادة معناها
الذي هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك
اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه الثنية قال جرير لاقيت مطلع الجبال
ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اي عاليا له ولاختيار هذه الكلمة شان يقول
او قد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى علم الغيب الذي توحد به الواحد القهار حتى
انه ادعى ان يؤتاه وتألى عليه لا يتوصل اليه الا باحد هذين الطريقين اما علم الغيب
واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك قرأ حمزة والكسائي ولدا وهو
جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد كالعرب في العرب وعن يحيى بن يعمر ولدا بالكسر
في العهد كلمة الشهادة وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وعن
الكلبي هل عهد الله اليه انه يؤتيه ذلك عن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور
انها في العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته فقال لا والله حتى تكفر
بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم قلت لا والله لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم حيا ولا ميتا
ولا حين مبعث قال فاني اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتني وسيكون لي ثم مال
وولد فاعطيك وقيل صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون
وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا حينئذ كلا ردع
وتنبيه على الخطاء اي هو مخطئ فيما تصوره لنفسه وتمناه فليرتدع عنه
كيف قيل سنكتب ما يقول بسين التسويف وهو كما قاله كتبت من غير تاخير قال الله
ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا
كتبنا قوله على طريقة قوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين وعلم بالانتساب اني

بابن لئيمة والثاني ان المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك يعني انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به
الزمان واستاخر فجرد ههنا لمعنى الوعيد ونمد له من العذاب مدا اي نطول له من العذاب
ما يستاهله ونعذبه بالنوع الذي يعذب به الكفار المستهزؤن او نزيد من العذاب
ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى ويدل عليه قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه
ونمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط غضب الله تعالى نعوذ به من التعرض لما نستوجب
به غضبه ونرثه ما يقول اي نزوي عنه ما زعم انه يناله في الآخرة ونعطيه
من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد يقول الرجل
انا املك كذا فتقول له ولي فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يوتيه الله في
الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته ان تالى على ذلك في قوله لانه جواب قسم
ومن يتال على الله يكذبه فيقول الله تعالى هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه
في العاقبة ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد لقوله ولقد جئتمونا فرادى الآية فما
يجدي عليه تمنيه وتاليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا
بينه وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له او لا ننسى قوله هذا
ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره
ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله ولم نؤته ما تمناه فيجتمع عليه الخطبان
تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الوجه الاول حال مقدرة نحو فادخلوها
خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا حين ياتي ثم يتفاوتون بعد ذلك واتخذوا
من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا اي ليعتزوا بآلهتهم حيث يكونون
لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم من العذاب كلا ردع لهم وانكار
لتعززهم بالآلهة وقرا ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم اي سيجحدون كلا سيكفرون كقولك
زيدا مررت بغلامه وفي محتسب ابن جني كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه
كل هذا الراي والاعتقاد ولقائل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهي كلا التي هي
للردع قلب الواقف عليها الفها نونا كما في قواريرا والضمير في سيكفرون للآلهة اي سيجحدون
عبادتهم وينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تعالى واذا
راى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دو

فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون او ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها
قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون
عليهم ضدا في مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل والهوان اي يكونون
عليهم ضدا لما قصدوه واراده كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او يكونون
عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم اي اعوانكم وكان العون سمي ضدا
لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه
توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشيء واحد لفرط
تضامهم وتوافقهم ومعنى كون الآلهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم
ولانهم عذبوا بسبب عبادتها وان رجعت الواو في سيكفرون ويكونون الى الكفرة
فان المعنى ويكونون عليهم اي اعداءهم ضدا اي كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها
الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا الاز والهز والاستفزاز
اخوات ومعناها التهييج وشدة الازعاج اي تغريهم على المعاصي وتهيجهم لها بالوساوس
والتسويلات والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا
والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الآيات التي ذكر فيها العتاة
المردة واقاويلهم وملاجتهم ومعاندتهم للرسل واستهزائهم بالدين من تماديهم
في الغي وافراطهم في العناد وتصميمهم على الكفر واجماعهم على رفض الحق بعد
وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك في اتباع الشياطين وما تسول لهم
فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اي
لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى تستريح انت والمسلمون من شرورهم وتطهر
الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة
وانفاس معدودة كانها في سرعة تقضيها التي تعد فيها لو عدت ونحوه قوله
ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وعن
ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا قراها بكى وقال آخر العدد خروج نفسك آخر العدد
فراق اهلك آخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المأمون فقراها
فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد نصب

يوم بمضمر اي يوم **يحشر المتقين الى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم**
نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز ان ينتصب بلا يملكون
ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته وخصهم
برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي
رضي الله عنه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى
نجائب سروجها ياقوت وذكر الكافرون بانهم يساقون الى النار باهانة
واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء والورد العطاش لان من يرد
الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير الى الماء قال ردي ردي ورد قطاة صما
كدرية اعجبها برد الماء فسمي به الواردون وقرا الحسن يحشر المتقون ويساق
المجرمون الواو في **لا يملكون الشفاعة** ان جعل ضميرا فهو للعباد ودل عليه ذكر
المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز ان يكون علامة للجمع كالتي في
اكلوني البراغيث والفاعل **الا من اتخذ** لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على
البدل او على الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف اي الا
شفاعة من اتخذ والمراد لا يملكون ان يشفع لهم **عند الرحمن عهدا** واتخاذ العهد
الاستظهار بالايمان والعمل وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه واله وسلم قال
لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا
وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم
الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك
وان محمدا عبدك ورسولك فانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني
من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف
الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى مناد
اين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة او يكون من عهد
الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المامور بالشفاعة الماذون له
فيها وتعضده مواضع في التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم
شيئا الا من بعد ان يأذن الله لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا

ورد
ن
قطاة صما
طبع عليه

لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا **وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا**
قرئ ادا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الاد والاد العجب وقيل العظيم المنكر والادة الشدة
وادني الامر وادني اثقلني وعظم علي ادا **تكاد السموات** قرئ بالتاء والياء
يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ينفطرن الانفطار من فطره اذا
شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر الفعل فيه وقرا ابن مسعود يتصدعن
وتخر الجبال هدا اي تهد هدا او مهدودة او مفعول له اي لانها تهد
ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت
فيه وجهان احدهما ان الله سبحانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض
والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي وانى
لا اعجل بالعقوبة كما قال تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا
ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والثاني ان يكون استعظاما للكلمة
وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان مثال
ذلك الاثر في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم ما تنفطر
منه وتنشق وتخر وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى
الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجراة على الله والتعرض لسخطه
وتنبيه على عظم ما قالوا في **ان دعوا للرحمن ولدا** ثلثة اوجه ان يكون مجرورا
بدلا من الهاء في منه كقوله على حالة لو ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم
ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل اليه اي هدا لان دعوا علل الخرور
بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا لانه فاعل هدا اي هدها دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص
الرحمن وتكريره مرات من الفائدة انه هو الرحمن وحده لا يستحق هذا الاسم غيره
من قبل ان اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع ما معهم كما قال
بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن اضاف اليه ولدا
فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو من دعا بمعنى سمى
المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا للعموم والاحاطة
بكل ما ادعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله عليه السلام من ادعى

ادا
عن
وانشقاق الارض
ل

الى غير ابيه وقول الشاعر انا بني نهشل لا ندعي لاب اي لا ننتسب اليه **وما ينبغي
للرحمن ان يتخذ ولدا** انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتاتى له اتخاذ الولد وما
يتطلب لو طلب مثلا لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة فلا مقال
في استحالتها واما التبني فلا يكون الا فيما يكون هو من جنس المتبني وليس للقديم سبحانه
جنس تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا **لقد احصيهم** الاحصاء الحصر والضبط يعني
بعلمه واحاطتهم **وعدهم عدا** الذين اعتقدوا في الملئكة وعيسى وعزير انهم اولاد الله
تعالى **وكلهم آتيه يوم القيمة فردا** كانوا في كفرين احدهما القول بان الرحمن
يصح ان يكون والدا والثاني الذين زعموهم اولادا في عبادته كما يخدم ابناء الملوك
خدمتهم لا بانهم فهدم الله تعالى الكفر الاول فيما تقدم من الايات ثم عقبه بهدم الكفر
الآخر والمعنى ما من معبود في السموات والارض من الملئكة والناس الا وهو يأتي الرحمن اي
يأوي اليه ويلتجي الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا خاشعا راجيا كما يفعل العبيد وكما
يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال ونحوه قوله تعالى اولئك الذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه
وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل امورهم
وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من احوالهم فكل واحد منهم ياتيه يوم
القيمة منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين احد وهم براء منهم **ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا** قرأ جناح بن حبيش ودا بالكسر والمعنى سيحدث لهم
في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي
بها الناس موداة القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع معروف او غير ذلك
وانما هو اختراع منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف
في قلوب اعدائهم الرعب والهيبة اعظاما واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة
مكية وكان المؤمنون حينئذ ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله تعالى ذلك اذا جاء الاسلام
واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الله تعالى الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر
من ديوان اعمالهم وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل
اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في قلوب المؤمنين مودة فانزل الله تعالى

ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب ... وقرأ ابن مسعود وابو حيوة آت الرحمن على اصله قبل الاضافة صح

574

هذه الآية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى يا جبرئيل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبرئيل
ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع
له المحبة في الارض وما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه **فانما يسرناه بلسانك
لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا وكم اهلكنا قبلهم من قرن هل
تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا** هذه خاتمة السورة
ومقطعها فكانه قال بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك
اي بلغتك وهو اللسان العربي المبين وسهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر به قوما لدا
الشداد الخصومة بالباطل الآخذين في كل لديد اي في كل شق من المراء والجدال
لفرط لجاجهم يريد اهل مكة وقوله وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار وقرئ تحس
من حسه اذا شعر به ومنه الحواس والمحسوسات وقرئ تسمع مضارع اسمعت
والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من
كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابرهيم واسحق ويعقوب وموسى
وهارون واسمعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا الله في الدنيا وبعدد من لم يدع

بسم الله الرحمن الرحيم طه ابو عمرو فخم
الطاء لاستعلائها وامال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون
امالوهما وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه وآله
وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر ان يطأ الارض بقدميه معا
وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في يطأ الفا ثم قال لا هاك الريح
ثم بني عليه الامر والهاء للسكت ويجوز ان يكتفي بشطري الاسمين وهما الدالان

بلفظهما على المسميين والله اعلم بصحة ما يقال انه بلغة عك في معنى يا رجل
ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا
هذا واقتصروا على ها واثر الصيغة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ان السفاهة
ان السفاهة طه في خلايقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين والاقوال الثلاثة التي
قدمتها في اول الكاشف عن حقائق التنزيل هي الحق يعول عليها الالباء المتقنون
ما انزلنا ان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام
وان جعلتها اسما للسورة احتمل ان يكون خبرا عنها وهي في موضع المبتداء عليك
القرآن لتشقى ظاهرا وقع موقع الضمير لانها قرآن وان تكون جوابا لها وهي قسم وقرئ
ما نزل عليك القرآن لتشقى لتتعب بفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم وتحسرك على
ان يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل اتعب
من رايض مهر واشقى من رايض مهر الا تذكرة لمن يخشى اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر
ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة
وقيل ان ابا جهل والنضر بن مالك قالا له انك شقي لانك تركت دين آبائك فاريد
رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القرآن هو السلم الى كل فوز والسبب في درك كل
سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها وروي انه عليه السلم صلى بالليل حتى
اسمعدت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلنا لتنهك
نفسك وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من
لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل
المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني جاز قطع اللام عنه ونصبه
لاستجماعه الشرائط   اما يجوز ان يقول ما انزلنا عليك القرآن ان تشقى
كقوله ان تحبط اعمالكم   بلى ولكنها نصبة طارية كالنصبة في واختار موسى
قومه واما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه احد المفاعيل الخمسة
التي هي اصول وقوانين لغيرها   هل يجوز ان تكون تذكرة بدلا من محل لتشقى
لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي الا فيه بمعنى
لكن ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا اليك القرآن لتحتمل متاعب التبليغ ومقاولة

العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف
النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان
يكون تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول امره الى الخشية ولمن يعلم
الله منه انه يبدل بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى
في نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا لا اذا كان مفعولا له لان
الشيء لا يعلل بنفسه وان ينصب على المدح والاختصاص وان ينصب بيخشى مفعولا به اي
انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين وقرئ تنزيل بالرفع على خبر
مبتداء محذوف ما بعده الى قوله له الاسماء الحسنى تعظيم وتفخيم لشان المنزل لنسبته
الى من هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان يكون متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع
صلة له واما محذوفا فيقع صفة له   فما فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى
لفظ الغائب   غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من
الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات انما تسردت مع لفظ الغيبة ومنها انه قال
اولا انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بصفات العظمة فضوعفت
الفخامة من طريقين ويجوز ان يكون انزلنا حكاية لكلام جبرئيل والملائكة النازلين
معه وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد
مرتقاها   قرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع
احسن لانه اما ان يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما ان يكون مبتدأ
مشارا بلامه الى من خلق   الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها اذا
جررت الرحمن او رفعته على المدح   اذا جررته فهو خبر مبتداء محذوف لا
غير وان رفعت جاز ان يكون كذلك وان يكون مع الرحمن خبرين للمبتداء لما كان
الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يرادف الملك جعلوه كناية عن الملك
فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة وقالوه
ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان كان اشرح وابسط
وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة بمعنى انه
جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال

او لم تكن له يد راسًا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه
قول الله عز وجل وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي
هو جواد من غير تصور يد ولا غل ولا بسط فالتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق
العطن والمسافرة عن علم البيان مسيرة اعوام له ما في السموات وما في الارض وما بينهما
وما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة التي تحت
الارض السابعة وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى اي يعلم ما اسررته الى غيرك
واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك او ما اسررته في نفسك واخفى وعن
بعضهم ان اخفى فعل يعني انه يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما
بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وليس بذاك كيف طابق الجزاء الشرط
معناه وان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما
ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول
واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله تعالى وانما هو لغرض آخر الله لا اله الا هو
له الاسماء الحسنى تانيث الاحسن وصفت به الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك
الجماعة الحسنى ومثلها مآرب اخرى ومن آياتنا الكبرى والذي فضلت به اسماؤه
في الحسن سائر الاسماء دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال
التي هي النهاية في الحسن وهل اتاك حديث موسى قفاه بقصة موسى ليتاسى به في تحمل
اعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله
الفوز والمقام المحمود اذ راى نارا يجوز ان ينتصب ظرفا للحديث لانه حدث او لمضمر
اي حين راى نارا كان كيت وكيت او مفعولا له لاذكر استاذن موسى شعيبا عليهما السلام
في الخروج الى امه وخرج باهله فولد له ابن في الطريق في ليلة شاتية مظلمة مثلجة
وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فراى النار عند ذلك
قيل كانت ليلة جمعة فقال لاهله امكثوا اقيموا في مكانكم اني آنست نارا الايناس الابصار
البين الذي لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يتبين به الشيء والانس لظهورهم
كما قيل الجن لاستتارهم وقيل هو ابصار ما يؤنس به لما وجد منه الايناس وكان منتفيا
متيقنا حققها لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى

مترقبين متوقفين لامرها على الرجاء والطمع وقال لعلي آتيكم منها بقبس
ولم يقطع فيقول اني آتيكم لئلا يعد ما ليس بمستيقن الوفاء به
القبس النار المقتبسة في راس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبسة لما تقتبس فيه
من شقفة او اجد على النار هدى اي قوما يهدونني الطريق او ينفعونني بهداهم في ابواب الدين
عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية في جميع احوالهم
لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوي هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى
الاستعلاء في على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه في
مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها المستمتعين اذا تكنفوها قياما
وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق
فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك قرا ابو عمرو وابن كثير اني بالفتح اي نودي باني
ربك وكسر الباقون اي نودي فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته
تكرير الضمير في اني انا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روي انه
لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك وان ابليس وسوس اليه لعلك
تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله تعالى باني اسمعه من جميع جهاتي
الست واسمعه بجميع اعضائي وروي انه حين انتهى راى شجرة خضراء من اسفلها
الى اعلاها كانت نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة وراى نورا عظيما فخاف
فالقيت عليه السكينة ثم نودي وكانت الشجرة عوسجة وروي انه كلما دنا او بعد
لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استاخرت عنه فلما
راى ذلك رجع فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم فاخلع نعليك قيل امر بخلع
النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت عن السدي وقتادة وقيل ليباشر الوادي
بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله تعالى ومن ثم طاف السلف بالكعبة
حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول متنعلا
تصدق والقرآن يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها و
روي انه خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي انك بالواد المقدس طوى
بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتاويل المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى

أي نودي نداءين أو قدس الوادي كرة بعد كرة ﴿وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى﴾
للذي يوحى أو للوحي تعلق اللام باستمع أو باخترتك ﴿إنني أنا الله لا إله إلا
أنا فاعبدني وأقم الصلوة لذكري﴾ لتذكرني فإن ذكري أن أعبد ويصلى
لي أو لتذكرني فيها لاشتمال الصلوة على الأذكار عن مجاهد أو لأني ذكرتها في الكتب
وأمرت بها أو لأن أذكرك بالمدح والثناء وأجعل لك لسان صدق أو لذكري
لا تشوبه بذكر غيري أو لإخلاص ذكري وطلب وجهي لا ترائي بها ولا تقصد بها غرضا
آخر أو لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل
هممهم وأفكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله أو لأوقات ذكري
وهي مواقيت الصلوة لقوله إن الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها
في قولك جئتك لوقت كذا وكان ذلك لست ليال خلون وقوله تعالى يا ليتني قدمت لحيوتي
وقد حمل على ذكر الصلوة بعد نسيانها لقوله عليه الصلوة والسلام من نام عن صلوة أو نسيها فليصلها
إذا ذكرها وكان حق العبارة أن يقال لذكرها كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم إذا ذكرها ومن يحمله يقول إذا ذكر الصلوة فقد ذكر الله تعالى أو بتقدير
حذف المضاف أي لذكر صلوتي أو لأن الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة
وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للذكرى ﴿إن الساعة آتية أكاد
أخفيها﴾ أي أكاد أخفيها فلا أقول هي آتية لفرط إرادتي إخفاءها ولولا ما في الإخبار
بإتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما أخبرت به وقيل أكاد أخفيها من نفسي وفي
بعض المصاحف أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها وعن أبي الدرداء وعن
سعيد بن جبير أخفيها بالفتح من خفاه إذا أظهره أي قرب إظهارها كقوله اقتربت
الساعة وقد جاء في بعض اللغات أخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس
فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد فأكاد أخفيها محتمل للمعنيين
﴿لتجزى كل نفس﴾ متعلق بآتية ﴿بما تسعى﴾ بسعيها ﴿فلا يصدنك عنها﴾ أي لا يصرفنك عن
تصديقها والضمير للقيمة ويجوز أن يكون للصلوة العبادة النهي ﴿من لا يؤمن
بها﴾ عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث أو أمره بالتصديق لكنه
سلك هذه العبارة لأداء هذا المقصود فيه وجهان أحدهما أن صد الكافر

التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني أن صد الكافر مسبب عن
رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب كقولك لا أرينك هاهنا
المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته إياه فكان ذكر المسبب
دليلا على السبب كأنه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح منك لمن
يكفر بالبعث أنه يطمع في صدك عما أنت عليه يعني أن من لا يؤمن بالآخرة هم الجم الغفير
إذ لا شيء أطم على الكفرة ولا هم أشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور دهمائهم
وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم أنهم وإن كثروا تلك الكثرة
فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم
على العمل بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وإنذار بأن الهلاك والردى مع التقليد
وأهله ﴿وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها﴾ تلك بيمينك كقوله
وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الإشارة ويجوز أن تكون تلك اسما موصولا صلته
بيمينك إنما سأله ليريه عظم ما يخترعه في الخشبة اليابسة من قلبها حية نضناضة
وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه وينبهه على قدرته
الباهرة ونظيره أن يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول زبرة
حديد ثم يريك بعد أيام لبوسا مسردا فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها إلى ما
ترى من عجيب الصنعة وأنيق السرد ﴿وأهش بها على غنمي﴾ قرأ ابن أبي إسحق عصي على
لغة هذيل ومثله يا بشرى أراد وكسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الألف
إلى أخت الكسرة وقرأ الحسن عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة
حمزة بمصرخي وعن ابن أبي إسحق بسكون الياء أي أتوكأ عليها أعتمد عليها إذا أعييت
أو وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة وأهش الورق وأخبطه أي أخبطه على رؤس
غنمي تأكله وعن لقمان بن عاد أكلت حقا وابن لبون وجذعا وهشة تحت وسيلا درعا والحمد
لله من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب ونجواد قريب من الطائف كثير
السدر وفي قراءة النخعي أهش وكلاهما من هش الخبز إذا كان ينكسر لهشاشته
وعن عكرمة أهس بالسين أي أنحي عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم ذكر على
التفصيل والإجمال المنافع المتعلقة بالعصا كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال

ولي فيها مآرب أخرى

امر عظيم لحدبه الله عز وجل فقال ما هي الا عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها وكما
ينفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز
ان يريد عز وجل ان يعدد المرافق الكثيرة التي علقها بالعصا ويستكثرها ويستعظمها
ثم يريه على عقب ذلك الآية العظمى كانه يقول له اين انت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة
الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا
انما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا انما اجمل موسى ليسأله عن تلك المآرب
فيزيد في اكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فاجمل وقالوا اسم العصا نبعة وقيل
في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره
لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانة
والحلاب وغيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى
عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن
غنمه وقيل كان من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاها دلوا
ويكونان شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت
نصب وكانت تقيه الهوام قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى
السعي المشي بسرعة وخفة حركة كيف ذكرت بالالفاظ مختلفة بالحية والجان
والثعبان اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر والانثى الصغير والكبير واما
الثعبان والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من الحيات والجان الدقيق وفي
ذلك وجهان احدهما انها كانت وقت انقلابها حية تنقلب حمراء دقيقة ثم تتورم
وتتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اولها وبالثعبان مآلها والثاني انها كانت
في شخص الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله تعالى فلما رآها تهتز كانها
جان ولى مدبرا وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل كان بين لحييها اربعون ذراعا
لما رأى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال والمخاوف
وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء خاف ونفر
وعن بعضهم انما خافها لانه عرف ما لقي آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ
ذهاب خوفه وطمأنينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها سنعيدها

سيرتها الاولى السيرة الهيئة كالركبة من الركوب يقال فلان سيرته حسنة ثم
اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على
الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولى اي في حال ما كانت عصا وان يكون اعاد منقولا
من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت زهير وعادك ان تلاقيها عداء فيتعدى الى مفعولين
ووجه ثالث حسن وهو ان يكون سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى
انها انشئت اول ما انشئت عصا ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد ذهابها
كما انشأناها اولا ونصب سيرتها بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولى يعني سنعيدها
سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكأ عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها
واضمم يدك الى جناحك قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لجنبتيه وجناحا
الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه يجنحهما
عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج بيضاء من غير
سوء السوء الرداءة والقبح في كل شيء فكني به عن البرص كما كني عن العورة بالسوأة وكان
جذيمة صاحب الزباء ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شيء الى العرب وبهم عنه
نفرة عظيمة واسماعهم لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى احسن ولا الطف
ولا احر للمفاصل من كنايات القرآن وآدابه يروى انه كان آدم فاخرج يده من مدرعته
بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشي البصر بيضاء وآية اخرى حالان معا من ضمير
تخرج صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو
ان يكون باضمار نحو خذ ودونك وما اشبه ذلك حذف لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف
لنريك اي خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية لنريك بهاتين الآيتين من
آياتنا بعض آياتنا الكبرى او لنريك بها الكبرى من آياتنا او لنريك من آياتنا
الكبرى فعلنا ذلك اذهب الى فرعون انه طغى لما امره بالذهاب الى فرعون
الطاغي عرف انه كلف امرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا
يحتمله الا ذو جأش رابط وصدر فسيح قال رب اشرح لي صدري فاستوهب
ربه ان يشرح صدره ويفسحه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه
من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وان

وان يسهل عليه في الجملة امره الذي هو خلافة الله في ارضه وما يصحبها معاظم الشؤون
ومقاساة جلائل الخطوب لي في قوله رب اشرح لي **ويسر لي امري** ما
جدواه والكلام بدونه مستتب قد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح لي
صدري ويسر لي فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان
آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر
امري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل
واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روي من
حديث الجمرة ويروى ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما
دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم
انما لم تبرأ يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المؤاكلة
واختلف في زوال العقدة بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هارون هو افصح مني
لسانا وقوله لا يكاد يبين وكان في لسان الحسن بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ورثها من عمه موسى وقيل زالت لقوله قد اوتيت سؤلك يا
موسى وفي تنكير العقدة وان لم يقل عقدة لساني انه طلب حل بعضها ارادة ان يفهم عنه
فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة كانه قيل عقدة من عقد
لساني **واجعل لي وزيرا من اهلي** الوزير من الوزر لانه يحمل عن الملك اوزاره
ومؤنه او من الوزر لان الملك يعتصم برايه ويلتجي اليه في اموره او من المؤازرة وهي
المعاونة عن الاصمعي قال وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان
فعيلا جاء في معنى مفاعل مجيئا صالحا لقولهم عشير ونديم وجليس وقعيد وخليل وصديق
فلما قلبت في اخيه قلبت فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر واخواته
والى الموازرة وزيرا و**هارون** عطف بيان للوزير و**اخي** في الوجهين بدل من هارون
وان جعل عطف بيان آخر جاز وحسن قرءوا جميعا **اشدد به ازري واشركه
في امري** على الدعاء وابن عامر وحده اشدد واشركه على الجواب وفي مصحف ابن مسعود
اخي واشدد وعن ابي بن كعب اشركه في امري واشدد به ازري ويجوز فيمن قرأ
على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد به ازري خبره ويوقف على

هارون الازر القوة وآزره قواه اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك
وذكرك فان التعاون لانه مهيج الرغبات تتزايد به الخير وتتكاثر **انك كنت بنا
بصيرا** اي عالما باحوالنا وبان التعاضد مما يصلحنا وان هارون نعم المعين والشاد لعضدي
فانه اكبر مني سنا وافصح لسانا **قال قد اوتيت سؤلك يا موسى** السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول
كقولك الخبز بمعنى مخبوز والاكل بمعنى ماكول **ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا
الى امك ما يوحى** الوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في وقتها كقوله واذ
اوحيت الى الحواريين او يبعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما الى مريم او يريها ذلك
في المنام فتتنبه عليه او يلهمها كقوله واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا
سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم به الا بالوحي وفيه مصلحة دينية فوجب ان يوحى
ولا يخل به اي هو مما يوحى لا محالة وهو امر عظيم مثله يحق بان يوحى **ان اقذفيه في التابوت**
ان هي المفسرة لان الوحي بمعنى القول القذف مستعمل في معنى الالقاء والوضع ومنه
قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب وكذلك الرمي قال غلام رماه الله بالحسن يافعا
اي حصل فيه الحسن ووضعه فيه **فاقذفيه في اليم** والضمائر كلها راجعة الى موسى
ورجوع بعضها اليه وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدي اليه من تنافر النظم
المقذوف في البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل ما ضرك لو
قلت المقذوف والملقى هو موسى في جوف التابوت حتى لا تفرق الضمائر فيتنافر
عليك النظم الذي هو ام اعجاز القرآن الذي وقع عليه التحدي ومراعاته اهم ما
يجب على المفسر لما كانت مشيئة الله وارادته ان لا تخطئ جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل
والقاءه اليه سلك في ذلك سبيل المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر
ويمتثل رسمه فقيل **فليلقه اليم بالساحل** روي انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا
فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته في اليم **ياخذه عدو لي وعدو له** كان
يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس بركة مع آسية اذا
بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها **والقيت عليك محبة**
فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ على ان البحر القاه
بساحله وهو شاطئه لان الماء يسحله اي يقشره وقذف به ثمة فالتقطه من الساحل

الا ان يكون قد القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى
البركة «مني» لا تتعلق بالقيت فيكون المعنى على اني احببتك ومن احبه الله تعالى
احبته القلوب واما ان يتعلق بالقيت بمحذوف هو صفة لمحبة اي محبة حاصلة
او واقعة مني قد ركزتها انا في القلوب وزرعتها فيها فلذلك احبك فرعون وكل
من ابصرك انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه
من رآه «ولتصنع على عيني» لتربى ويحسن اليك وانا راعيك وراقبك كما يراعي
الرجل الشيء بعينيه اذا اعتنى به ويقول للصانع اصنع هذا على عيني انظر اليك
لئلا تخالف به عن مرادي وبغيتي ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف
عليك وترام ونحوه او حذف معلله اي ولتصنع معطوف على علة مضمرة فعلت ذلك
وقرئ ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على انه امر وقرئ ولتصنع بكسر اللام
وفتح التاء والنصب اي وليكون عملك وتصرفك على عين مني «اذ تمشي
اختك» ظرف لالقيت او لتصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا كيف يصح
البدل والوقتان متباعدان كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد طرفاه
ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما
لقيته هو في اولها وانت في آخرها روي ان اخته واسمها مريم جاءت متعرفة
خبره فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه لا يقبل ثدي امرأة
«فتقول هل ادلكم على من يكفله» فجاءت بالام فقبل ثديها وروي ان آسية
استوهبته من فرعون وتبنته وهي التي اشفقت عليه وطلبت له المراضع
«وقتلت نفسا» هي نفس القبطي الذي استغاثه عليه الاسرائيلي قتله وهو ابن
اثنتي عشرة سنة «فنجيناك من الغم» اغتم بسبب القتل خوفا من عقاب الله تعالى
ومن اقتصاص فرعون فغفر الله تعالى له باستغفاره حين قال رب اني
ظلمت نفسي فاغفر لي ونجاه من فرعون ان ينشب فيه اظفاره حين هاجر به
الى مدين «وفتناك فتونا» يجوز ان يكون مصدرا على فعول في المتعدي كالثبور
والشكور وجمع فتن او فتنة على ترك الاعتداد بتاء التانيث كحجوز وبدور
في حجزة وبدرة اي فتناك ضروبا من الفتن سأل سعيد بن جبير ابن عباس رضي

فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير
والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق
وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير والفتنة
المحنة وكل ما يشق على الانسان وكل ما يبتلي الله به عباده فتنة قال ونبلوكم بالشر
والخير فتنة «فلبثت سنين في اهل مدين» على ثمان مراحل من مصر وعن وهب
انه لبث عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة منها مهر ابنته عشر وقضى اوفى الاجلين
«ثم جئت على قدر يا موسى» اي سبق في قضائي وقدري ان اكلمك واستنبئك
في وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا
مستأخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو راس اربعين سنة
«واصطنعتك لنفسي» هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتعظيم
والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه وخصائص اهلا
لان يكون اقرب منزلة منه اليه ولا الطف محلا فيصطفيه بالكرامة والاثرة ويستخلصه
لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينيه واذنيه ولا يأتمن على مكنون سره الا سواء ضميره
او في الفتوة والتقصير «اذهب انت واخوك باياتي ولا تنيا في ذكري»
وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للاتباع اي لا تنسياني ولا تزالا على ذكري حيثما
تقلبتما واتخذا ذكري جناحا تطيران به مستمدين بذلك العون والتأييد مني معتقدين
ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد الا بذكري ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة فانه من اجلها
واعظمها فكان جديرا بان يطلق عليه اسم الذكر روي ان الله تعالى اوحى الى هارون
وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع باقباله وقيل الهم ذلك «فقولا له قولا
لينا» وقرئ لينا بالتخفيف والقول اللين نحو قوله تعالى فاهديك الى ربك فتخشى وقيل
عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان تبقى له لذة المطعم
والمشرب وعرض فيه الفوز العظيم وقيل علاه والقول لما له من حق تربية موسى
ولما ثبت له من حق الابوة وقيل كناه وهو من ذوي الكنى الثلث ابو العباس وابو الوليد
وابو مرة «لعله يتذكر او يخشى» المترجي لهما اي اذهبا على رجائكما وطمعكما وباشرا
الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه وهو يجتهد بطوقه ويحتمله

بافضح وسمعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة وقطع المعذرة
ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك
اي يتذكر ويتأمل فيبذل النصفة من نفسه والاذعان للحق **او يخشى** ان يكون الامر
كما تصفان فيجره انكاره الى الهلكة **قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا** فرط
يسبق وتقدم ومنه الفارط الذي يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل اي
نخاف ان يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها وقرئ يفرط من افرطه غيره اذا حمله
على العجلة خافا ان يحمله حامل على المعاجلة بالعقاب من شيطان او من جبروته
واستكباره وادعائه الربوبية او من حبه الرياسة او من قومه القبط المتمردين
الذين حكى عنهم رب العزة وقال الملأ من قومه وقرئ يفرط من الافراط في
الاذية اي نخاف ان يحول بيننا وبين تبليغ الرسالة بالمعاجلة او يجاوز الحد في
معاقبتنا ان لم يعاجلنا على ما عرفنا وجربنا من شرارته وعتوه **او ان يطغى** بالتجبر
الى ان يقول فيك ما لا ينبغي لجرأته عليك وقسوة قلبه وفي المجيء به هكذا على الاطلاق
وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن التفوه بالعظيمة **قال لا تخافا انني
معكما** اي حافظكما وناصركما **اسمع وارى** ما يجري بينكما من قول وفعل فا
ما يوجبه حفظي ونصرتي لكما فيجوز ان يقدر اقوالكما وافعالكما ويجوز ان لا يقدر
شيء وكأنه قيل انا حافظ وناصر سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم
الحفظ والنصرة وذهبت المبالاة بالعدو **فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل
معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم** كانت بنو اسرائيل في ملكة فرعون والقبط
يعذبونهم بتكليف الاعمال الصعبة من الحفر والبناء ونقل الحجارة
مع قتل الولدان واستخدام النساء **قد جئناك بآية من ربك** جملة جارية من
الجملة الاولى وهي انا رسولا ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة
لا تثبت الا ببينتها التي هي المجيء بالآية وانما وحد قوله بآية ولم يثن ومعه آيتان لان
المراد في هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها فكأنه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان
وحجة على ما ادعيناه من الرسالة ولذلك قد جئتكم ببينة من ربكم فأت بآية
ان كنت من الصادقين او لو جئتك بشيء مبين **والسلام على من اتبع الهدى**

انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى يريد وسلام الملائكة الذين هم
خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين **قال فمن ربكما
يا موسى** خاطب الاثنين ووجه النداء الى احدهما وهو موسى لانه الاصل في النبوة
وهارون وزيره وتابعه ويحتمل ان يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام
موسى دون كلام هارون لما عرف من فصاحة هارون والرتة في لسان موسى
ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين **قال ربنا الذي
اعطى كل شيء خلقه** اراد اعطى اي اعطى خليقته كل شيء يحتاجون اليه
ويرتفقون به او ثانيهما اي اعطى كل شيء صورته توافق الاستماع
وكذلك الانف واليد والرجل واللسان كل واحد منها مطابق لما علق به من
المنفعة غير ناب عنه او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة حيث جعل الحصان
والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمرأة فلم يزاوج منها شيئا غير جنسه وما
هو على خلاف خلقه صفة للمضاف او للمضاف اليه اي كل شيء خلقه الله تعالى لم يخله
من عطائه وانعامه **ثم هدى** اي عرفه كيف يرتفق بما اعطى وكيف يتوصل اليه
ولله در هذا الجواب ما اخصره وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن ونظر
بعين الانصاف وكان طالبا للحق **قال فما بال القرون الاولى** سأله عن حال
من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد فنحاه
بان هذا السؤال سؤال عن الغيب ويستأثر الله به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد
مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال القرون مكتوب عند
الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله ان يخطئ شيئا او ينساه يقال ضللت الشيء
اذا اخطأت في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل واضللته
اذا ضيعته وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك
من وحده حتى يجازيه ويجوز ان يكون فرعون قد نازعه في احاطة الله تعالى بكل شيء
وتبيينه لكل معلوم فتعنت وقال ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم
وتباعد اطراف عددهم كيف احاط بهم وباجزائهم وجواهرهم فأجاب بان كل
كائن محيط به علمه وهو مثبت عنده في كتاب ولا يجوز عليه الخطأ والنسيان

قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى

كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل اي لا يضل كما تضل ولا ينسى
كما ينسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة الذي جعل لكم الارض مرفوع
خبر صفة لربي او خبر مبتدا محذوف او منصوب على المدح وهو من مظانه ومحاكي
مهدا قراءة اهل الكوفة اي مهدها او تمهدونها فهي لكم كالمهد وهو ما يمهد للصبي
وسلك لكم من قوله تعالى ما سلككم في سقر سلكناه نسلكه في قلوب المجرمين
اي حصل لكم فيها سبلا ووسطها بين الجبال والاودية وانزل من السماء
ماء فاخرجنا به فاخرجنا التفت من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم المطاع لما
ذكرت من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتذعن
الاجناس المتفاوتة لمشيته لا يمتنع شيء على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذي
انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء الم تر ان الله انزل من السماء ماء
فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من
السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة وفيه تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على
مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد ازواجا اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة
مقترنة بعضها مع بعض من نبات شتى صفة للازواج جمع شتيت كمريض و
مرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت كما سمي بالنبت
فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون والرائحة
والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهائم قالوا من نعمته عز وعلا ان ارزاق
العباد انما تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله تعالى علفها مما فضل من حاجتهم ولا يقدرون
على اكله كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لآيات لاولي النهى اي قائلين
كلوا وارعوا حال من الضمير في فاخرجنا المعنى ونكل حد المبطلين من اشياعهم و
الحديث بذلك لان العالم في كل بلد وحضر ويشيع في جميع اهل الوبر والمدر
فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا
على الله كذبا اي لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا فيسحتكم بعذاب
وقد خاب من افترى ويسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة
اهل نجد وبني تميم ومنه قول الفرزدق الا مسحتا او مجلف في بيت لا ازال القصطل

فاخرجنا اصناف النبات آذنين في الانتفاع بها مبيحين ان تاكلوا بعضها وتعلفوا
بعضها منها خلقناكم اراد بخلقهم من الارض خلق اصلهم وهو آدم عليه السلام
منها وقيل ان الملك لينطلق فياخذ من تربة المكان الذي يدفن فيه فيبددها على النطفة
فيخلق من التراب والنطفة معا وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة
اخرى اراد باخراجهم منها انه يؤلف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم
كما كانوا احياء ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم
ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم
فيها مسالك يترددون فيها كيف شاؤوا وانبت فيها اصناف النبات التي منها اقواتهم وعلوفات
بهائمهم وهي اصلهم الذي تفرعوا منه ومادتهم التي منها ولدوا ثم هي كفاتهم اذا ماتوا
ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة ولقد
اريناه آياتنا كلها بصرناه اياها او عرفناه صحتها ويقناه بها وانما كذب لظلمه كقوله
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب
السموات والارض بصائر وفي قوله آياتنا كلها وجهان احدهما ان يحذف المضاف
الاضافي وحده والتعريف باللام لو قيل الآيات كلها اعني انها كانت لا تعطى الا من المعهد
والاشارة الى الآيات المعلومة التي هي تسع الآيات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد
وفلق البحر والحجر والجراد والقمل والضفادع والدم ونتق الجبل والثاني ان يكون لهم
لما اراه آياته وعدد عليه ما اوتيه غيره من الانبياء من آياتهم ومعجزاتهم وهو نبي
صادق لا فرق بين ما يخبر عنه وبين ما يشاهده فكذبها جميعا وابى ان يقبل شيئا منها
وقيل فكذب الآيات وابى قبول الحق قال يلوح من خبث قوله اجئتنا لتخرجنا
من ارضنا بسحرك يا موسى ان فرائصه كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلام لعلمه
وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد نقل الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل
ولا يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف
يخفى عليه ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر
فلناتينك بسحر مثله لا نخ الموعد في قوله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا
من ان نجعل زمانا او مكانا او مصدرا فان جعلته زمانا نظرا الى قوله موعدكم يوم

مطابق له لزمك ايضا ان توقع الاخلاف الزمان علينا وان يفضل عليك ما مسكانا
بان نجعله مكانا لقوله **مكانا سوى** لزمك ايضا ان توقع الاخلاف على المكان وان لا
يطابق قوله **قال موعدكم يوم الزينة** وقراءة الحسن غير مطابقة له مكانا وزمانا
جميعا لانه قرا يوم الزينة بالنصب فبقي ان يجعل مصدرا بمعنى الوعد ويقدر مضاف محذوف
اي مكان موعد ويجعل الضمير في نخلفه للموعد ومكانا بدل من المكان المحذوف
فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة ولا بد من ان تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان
لا عن الزمان هو مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة
فكيف طابقه ... اما على قراءة الحسن فظاهر واما على قراءة العامة فعلى
وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان يكون موعدكم مبتدا بمعنى الوقت و
ضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشوراء
ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا يتخذون سوقا ويتزينون
ذلك اليوم وقرئ نخلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم على جواب الامر وقرئ سوى و
سوى بالكسر والضم منونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن مجاهد وهو من
الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم ينون
فوجهه ان يجري الوصل مجرى الوقف وقرئ **وان يحشر الناس ضحى** بالتاء والياء
وان تحشر يا فرعون وان نحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة
اما على العادة التي تخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل
يحشر لفرعون ومحل ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك
اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤوس
الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين
واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العالم في كل بدو وحضر ويشيع في جميع
اهل الوبر والمدر **فتولى فرعون فجمع كيده ثم اتى قال لهم موسى
ويلكم لا تفتروا على الله كذبا** اي لا تدعوا آياته ومعجزاته سحرا **فيسحتكم
بعذاب وقد خاب من افترى** فيسحتكم وقرئ فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل
نجد وبني تميم ومنه قول الفرزدق الا مسحتا او مجلف في بيت لا يزال قصطك الركب

في تسوية اعرابه **فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى** عن ابن عباس ان نجواهم
ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر
وعن وهب لما قال ويلكم الآية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا في السر
وتجاذبوا اهداب القول ثم **قالوا ان هذان لساحران** على قولك ان زيد لمنطلق
واللام هي الفارقة بين النافية والمخففة من الثقيلة وقرا ابي ان ذان الا ساحران
وقرا ابن مسعود ان هذان ساحران بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى وقيل في القراءة
المشهورة ان هذان لساحران هي لغة بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء
التي آخرها الف كعصا وسعدى فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى
نعم وساحران خبر مبتدا محذوف واللام داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران
وقد اعجب به ابو اسحق **يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا
بطريقتكم المثلى** سموا مذهبهم الطريقة المثلى والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم
فرحون وقيل ارادوا اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل لقول موسى ارسل معنا
بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال
هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه **فاجمعوا كيدكم** يعضده
قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا كيدكم اي اعزموا عليه واجمعوا عليه حتى لا تختلفوا
ولا يتخلف عنه واحد منكم كالمسألة المجمع عليها **ثم ائتوا صفا** امروا بان ياتوا صفا
لانه اهيب في صدور الرائين وروي انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل
وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى لان الناس
يجتمعون فيه لعيدهم وصلواتهم مصطفين ووجه صحته ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا
بان ياتوه او يراد ائتوا مصلى من المصليات **وقد افلح اليوم من استعلى** اعتراض
يعني وقد فاز من غلب **قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى**
ان مع ما بعده اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر مبتدا محذوف معناه اختر
احد الامرين او الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم ادب حسن وتواضع
وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من انفسهم وكان الله عز وعلا الهمهم
ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة ادب بادب حتى

قال بل القوا

ما معهم من مكايد السحرة ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا فعلوا اظهر الله
سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر لتمحقه وكانت آية نيرة
للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم يقال
في اذا هذه اذا المفاجاة والتحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا
لها وجملة تضاف اليها خصت في بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل
المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجا موسى
وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة
اليه السعي وقرئ عصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع ونحوه دلي ودلي وقسي
وقسي وقرئ تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال قوله انها تسعى من الضمير
بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه وتخيل على كون الحبال والعصي مخيلة سعيها ونخيل
بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل ونخيل على ان الله تعالى هو المخيل للمحنة والابتلاء يروى
انهم لطخوها بالزئبق فلما ضربت عليه الشمس اضطربت واهتزت فخيلت اليه ذلك فاوجس
في نفسه خيفة موسى ايجاس الخوف اضمار شيء منه وكذلك توجس الصوت تسمع نبأة
يسيرة منه وكان ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف
ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قلنا لا تخف انك انت الاعلى فيه تقرير لغلبته
وقهره وتاكيد بالاستيناف وبكلمة التشديد وبتكرير الضمير وبلام التعريف وبلفظ
العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل وقوله والق ما في يمينك ولم يقل عصاك جاز
ان يكون تصغيرا لها بمعنى لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم
الذي في يمينك فانه بقدرة الله تعالى يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها
وجايز ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة فان في يمينك شيئا
اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شيء وانزره عندها فالقه يتلقفها باذن الله تعالى
ويمحقها وقرئ تلقف بالرفع على الاستيناف او على الحال اي القها متلقفة وقرئ
بالتخفيف صنعوا ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يافكون انما
صنعوا كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى ان ما موصولة ومن نصب فعلى
انها كافة وقرئ كيد سحر بمعنى ذي سحر او ذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر بعينه

تلقف ما صنعوا

وبنائه او بين الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم
نحو لم وحد ساحر ولم يجمع لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية
لا الى معنى العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر
حيث اتى اي هذا الجنس فلم نكر اولا وعرف ثانيا انما نكر لاجل
تنكير المضاف للمضاف اليه لا لاجل تنكيره في نفسه كقول العجاج في سعي دنيا طالما قد مدت
وفي حديث عمر رضه لا في امر دنيا ولا في امر آخرة والمراد تنكير الامر كانه قيل ان ما
صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي وامر دنيوي واخروي حيث اتى كقولهم حيث سير
واية سلك واينما كان فالقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى
سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤوسهم
بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقاءين وروي انهم لم يرفعوا رؤوسهم
حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله تعالى
في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة قال آمنتم له قبل ان آذن لكم
انه لكبيركم لعظيمكم الذي علمكم السحر يريد انه اسحرهم واعلاهم
درجة في صناعتهم او لمعلمكم من قول اهل مكة للمعلم امرني كبيري وقال لي كبيري يريدون
معلمهم واستاذهم في القرآن وفي كل شيء فلاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل وقرئ فلاقطعن ولاصلبن بالتخفيف
والقطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين
خالف الآخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية
لان القطع مبتدا وناشئ من مخالفة العضو العضو لا من وفاقه اياه ومحل
الجار والمجرور النصب اي لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد
اتصفت بالاختلاف شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعى في وعائه فلذلك
قال في جذوع النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى يريد نفسه وموسى عليه السلام
بدليل قوله آمنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله لغير الله كقوله تعالى يؤمن
بالله ويؤمن للمؤمنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما الفه وضري به من تعذيب
الناس بانواع العذاب وتوضيع لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الهزء به لان

موسى لم يكن قط من التعذيب في شيء قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات
والذي فطرنا عطف على ما جاءنا او قسم فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه
الحيوة الدنيا انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما اكرهتنا عليه من
السحر والله خير وابقى اي تقضي هذه الحيوة الدنيا ووجهها ان الحيوة
في القراءة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به
كقولك في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة روي ان السحرة يعني رؤسهم كانوا اثنين
وسبعين الاثنان من القبط والسائر من بني اسرائيل وكان فرعون اكرههم على
تعلم السحر وروي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه
فقالوا ما هذا بسحر الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه انه من يأت
ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات
فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها وذلك جزاء من تزكى تطهر من ادناس الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال لا اله الا الله قيل هذه الآيات الثلث حكاية قوله وقيل خبر من الله
لا على وجه الحكاية ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي فاضرب
لهم طريقا في البحر فاجعل لهم من قولهم ضرب في ماله سهما وضرب اللبن
عمله يبسا اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ويبسا ونحوهما العدم والعدم
ومن ثم وصف به المؤنث فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها وقرئ
يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من ان يكون مخففا من اليبس او صفة على فعل او
جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تأكيدا كقوله ومعى جياعا جعله لفرط
جوعه كجماعة جياع لا تخاف دركا حال من الضمير في فاضرب وقرئ لا تخف
على الجواب وقرأ ابو حيوة دركا بالسكون والدرك والدرك اسمان من الادراك اي
يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك في ولا تخشى اذا قرئ لا تخف ثلثة اوجه
ان يستأنف كانه قيل وانت لا تخشى اي ومن شأنك انك آمن لا تخشى وان لا
يكون الالف منقلبة من الياء التي هي لام الفعل ولكن زائدة للاطلاق من اجل
الفاصلة كقوله فاضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وان يكون مثل قوله

كان لهم من قبلي اسيرا تمانيا فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم
من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما
لا يعلم كنهه الا الله وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية التغطية وفاعل
غشاهم اما الله سبحانه وما غشاهم او فرعون لانه الذي ورط جنوده وتسبب لهلاكهم
وقوله واضل فرعون قومه وما هدى تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد
يا بني اسرائيل خطاب لهم بعد انجائهم من البحر واهلاك آل فرعون وقيل هو للذين
كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الله عليهم بما فعل بآبائهم
والوجه هو الاول اي قلنا يا بني اسرائيل وحذف القول كثير في القرآن قد انجيناكم
من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن و
السلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وقرئ انجيتكم الى رزقتكم
وعلى لفظ الوعد والمواعدة وقرئ الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب ذكرهم
النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة
بجانب الطور وكتب التوراة في الالواح وانما عدى المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت
بهم حيث كانت لنبيهم ونقبائهم واليهم رجعت منافعها التي قوام دينهم وشرعهم
وفيما افاض عليهم من سائر نعمه ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي
طغيانهم ان يتعدوا حدود الله فيها بان ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام
بشكرها وان ينفقوها في المعاصي وان يزووا حقوق الفقراء فيها وان يسرفوا في انفاقها
وان يبطروا ويأشروا ويتكبروا وقرئ فيحل وعن عبد الله لا يحلن ومن يحلل عليه
غضبي المكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب اداؤه ومنه قوله تعالى
حتى يبلغ الهدي محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله عقوبته ولذلك وصف
بالنزول فقد هوى هلك واصله ان يسقط من جبل فيهلك قالت هوى من رأس
مرقبة ففتت تحتها كبده ويقولون هوت امه او سقط سقوطا لا نهوض بعده
واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى الاهتداء هو الاستقامة
من الهدى المذكور وهو التوبة والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا
ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت على تباين المنزلتين دلالتها على تباين

في جاني زيد ثم عمرو اعنوا ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه لانها
اعلى منه منزلة وافضل وما اعجلك عن قومك يا موسى اي شيء عجل بك عنهم على
الانكار وكان قد مضى مع النقباء الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا
الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضى الله
وزل عنه انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا الى دواعي الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة
بكل وقت فالمراد بالقوم النقبا وليس لقول من جوز ان يراد جميع قومه وان يكون قد
فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله قال هم اولاء على اثري وعن ابي عمرو
ويعقوب على اِثري بالكسر وعن عيسى بن عمر اُثري بالضم وعنه ايضا اولا بالقصر والاثر
افصح من الاِثر واما الاُثر فمسموع في فرند السيف مدون في الاصول يقال اُثر السيف
واُثره وهو بمعنى الاثر غريب ما اعجلك سوال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق
عليه من الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك او الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله
هم اولاء على اثري كما ترى غير منطبق قد تضمن ما واجهه به رب العزة
شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السوال عن سبب المستنكر والحامل
عليه فكان اهم الامرين الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد
مني الا تقدم يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته
الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد راسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السوال
عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى ولقائل ان يقول حار لما ورد عليه من التهيب
لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب المنطبق المرتب على حدود الكلام قال فانا
قد فتنا قومك من بعدك اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هارون وكانوا
ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا في القصة انهم
اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا
العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فكان التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى
عند مقدمه فاخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجود الكائن
على عادته او افترص السامري غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه واخذ في تدبير
ذلك فكان بدء الفتنة موجودا واضلهم السامري حين دعاهم ... واضلهم السامري

اي وهو اشدهم ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل
يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل
كان من اهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد
اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فرجع موسى الى قومه غضبان اسفا
الاسف الشديد الغضب ومنه قوله عليه الصلوة والسلام في موت الفجاءة رحمة للمؤمن
واخذة اسف للكافر وقيل الحزين متى رجع الى قومه بعدما
استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة قال يا قوم الم يعدكم
ربكم وعدا حسنا وعدهم الله سبحانه ان يعطيهم التورية التي فيها هدى ونور
ولا وعد احسن من ذلك واجمل حكي لنا انها كانت الف سورة كل سورة الف آية يحمل
اسفارها سبعون جملا افطال عليكم العهد الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال
طال عهدي بك اي طال زماني بسبب مفارقتك ام اردتم ان يحل عليكم
غضب من ربكم فاخلفتم موعدي وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من
الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا
... اي ما اخلفنا موعدك بان ملكنا امرنا فانا لو ملكنا امرنا وخلينا
ورأينا لما اخلفناه ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم ولكن غلبنا من جهة
السامري وكيده اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم او اراد بالاوزار
انها آثام وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن ان
يأخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار السامري التي اوقدها
في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا فكذلك القى السامري اراهم
انه يلقي في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل
اوحى اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صار حيوانا فاخرج لهم السامري
من الحفرة عجلا جسدا خلقه الله تعالى من الحلي التي سبكتها النار له خوار يخور
كما تخور العجاجيل كيف اثرت تلك التربة في احياء الموات اما يصح ان
يؤثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة الخاصة كما آثره بغيرها من الكرامات
وهي ان يباشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة جمادا انشأه الله ان شاء عند

بما شرته حيوانا الا ترى كيف انشاء المسيح من غير اب عند نفخه في الدرع
فلم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا ليس اول محنة محن
الله بها عباده ليثبت الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل
الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس اعجب والمراد بقوله انا قد
فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل وحملهم السامري على الضلا
ل واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسي ان يطلبه
ههنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان
الظاهر افلا يرون الا يرجع اليهم قولا من رفعه فعلى ان ان هي المخففة من الثقيلة
ومن نصب فعلى انها الناصبة للافعال ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم
ضرا ولا نفعا هرون من قبل من قبل ان يقول لهم السامري ما قال كانهم اول ما
وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري
بادرهم هرون عليه السلم بقوله يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني
واطيعوا امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى
قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعني لا مزيدة والمعنى ما
منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر على الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر
بمن آمن ومالك لم تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت شاهدا او ما لك لم تلحقني
افعصيت امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي قرئ بلحيتي بفتح اللام وهي
لغة اهل الحجاز كان موسى صلوات الله عليه رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة
والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون عجلا
من دون الله بعد ما راوا من الآيات العظام والقى الالواح التورية لما غلب على
ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف باخيه وخليفته
على قومه فاقبل عليه اقبال العدو والمكاشف قابضا على شعر راسه وكان افرع
وعلى شعر وجهه يجره اليه اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم
ترقب قولي اي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستانيتك ان تكون انت
المتدارك بنفسك المتلافي برايك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني به

بلحيتي

النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها قال
فما خطبك يا سامري الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل
شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له قال بصرت بما لم يبصروا به وقرئ بصرت بما
لم تبصروا به بالكسر والمعنى علمت بما لم تعلموه وفطنت لما لم تفطنوا له فقبضت قبضة
من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قرا الحسن قبضة بضم
القاف وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض و
اطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرا ايضا فقبصت
قبصة بالصاد والضاد بجميع الكف والصاد باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم
الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه قرا ابن مسعود من اثر فرس الرسول
سماه الرسول دون جبرئيل وروح القدس حين حل ميعاد الذهاب الى
الطور ارسل الله تعالى الى موسى جبرئيل عليهما السلم راكب حيزوم فرس الحيوة
ليذهب به فابصره السامري فقال ان لهذا شانا فقبض قبضة من تربة موطئه فلما
ساله موسى عن قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله
لم يعرف انه جبرئيل قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس
عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اعظم منها واوحش وذلك انه منع من مخالطة
الناس منعا كليا وحرم عليه ملاقاته ومكالمته ومبايعته وكل ما يعايش به الناس
بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احدا رجلا او امرأة حم الماس والممسوس فتحامى
وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس اوحش من القاتل اللاجئ
الى الحرم ومن الوحشي النافر في البرية ويقال قومه باق فيهم ذلك الى اليوم
وقرئ لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم في الظباء اذا وردت الماء فلا عباب
وان لك موعدا لن تخلفه اي لن يخلفك الله موعده الذي وعدك على الشرك
والفساد في الارض ينجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك بذلك في الدنيا فانت ممن
خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وقرئ لن تخلفه وهو من اخلفت الموعد
اذا وجدته خلفا قال الاعشى اثوى وقصر ليله ليزودا فمضى واخلف من قتيلة موعدا
وعن ابن مسعود نخلفه بالنون اي لن يخلفه الله كانه حكى قوله عز وجل كما مر في

لك وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ظلت وظلت وظللت
الاصل ظللت فحذفوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء ومنهم من لم يقل
وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ولنحرقنه القراءة من الاحراق وقرأ ابو علي الفارسي في
لنحرقنه انه يجوز ان يكون نحرق مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة
وهي قراءة علي بن ابي طالب رضي الله عنه ثم لننسفنه في اليم نسفا وهذه عقوبة بالغة
وعي ابطال لما افتتن به وفتن واهدار لسعيه وهدم لمكره ومكروا ومكر الله والله
خير الماكرين انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وقرأ طلحة الله الذي
لا اله الا هو الرحمن رب العرش الكريم وسع كل شيء علما وعن مجاهد وقتادة
وسّع ووجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد وهو كل شيء واما علما فانتصابه
على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثقل نقل الى التعدية الى مفعولين فنصبهما معا
على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوفت زيدا عمرا فترد بالنقل ما كان
فاعلا مفعولا الكاف في كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله عز وجل لرسوله
اي مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا قصة موسى وفرعون نقص عليك
من انباء ما قد سبق من سائر اخبار الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرا لبيناتك
وزيادة في معجزاتك وليعتبر السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتأكد
الحجة على من عاند وكابر وقد آتيناك من لدنا ذكرا وان هذا الذكر الذي آتيناك
يعني القرآن مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر
عظيم وقرآن كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فقد هلك
وشقي فانه يحمل يوم القيامة وزرا يريد بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها
وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل و
ينقض ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم وقرئ يحمل جمع
خالدين فيه على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير في
اعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار
جهنم خالدين فيها فيه اي في ذلك الوزر او في احتماله وساء لهم يوم القيامة ساء
في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم

بكسر السين وضمها

محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء حملا وزرهم كما حذف في قوله تعالى
نعم العبد انه اواب اي ايوب الذي هو المخصوص بالمدح ومنه قوله وساءت مصيرا
فما انكرت اللام في لهم ما هي وبم تتعلق هي للبيان كما في هيت لك
ان يكون في ساء ضمير الوزر لا يصح ان يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه
غير مبهم فلا يكن ساء الذي حكمه حكم بئس ولكن ساء الذي منه قوله تعالى سيئت
وجوه الذين كفروا بمعنى اهم واحزن كفاك صادا عنه ان يؤول كلام
الله الى قولك واحزن الوزر لهم يوم القيامة حملا وذلك بعد ان تخرج عن عهدة
اللام وعهدة هذا المنصوب يوم ينفخ في الصور اسند النفخ الى الآمر به فيمن قرأ ننفخ
بالنون او لان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة فصح
لكرامتهم عليه وقربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته وقرئ ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله
وينفخ ونحشر المجرمين بالياء المفتوحة على الغيبة والضمير لله عز وجل او لاسرافيل
واما يحشر المجرمون فلم يقرأ به الا الحسن وقرئ في الصور بفتح الواو جمع صورة وفي
الصور قولان احدهما انه على القراءة يدل عليه والثاني انه القرن زرقا
قيل في الزرق قولان احدهما ان الزرقة ابغض شيء من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم
وهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال
ازرق العين والثاني ان المراد العمى لان حدقة من يذهب نور بصره تزراق يتخافتون
بينهم ان لبثتم الا عشرا يخفضون اصواتهم ويخفتونها لما يملأ صدورهم من الرعب والهول
يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم ايام
النعمة والسرور فيتأسفون عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار واما
لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه
توقيع عبد الله بن المعتز اطال الله بقاءك كفى بالانتهاء قصرا واما لاستطالتهم
الآخرة وانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث اهلها فيها بالقياس
الى لبثهم في الآخرة وقد استرجح الله تعالى قول من يكون اشد تقالا منهم في
قوله نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما
ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا لبثنا يوما او بعض يوم

مثل العادين وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله عز وجل ويوم تقوم الساعة
يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا العلم والايمان
لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها
ربي نسفا يجعلها كالرمل ثم يرسل الرياح فيفرقها كما يذري الطعام فيذرها اي
فيذر مقارها ومراكزها او يجعل الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك
على ظهرها من دابة قد فرقوا بين العوج والعوج فقالوا العوج بالكسر في المعاني
والعوج بالفتح في الاعيان والارض عين فكيف صح المكسور فيها قلت اختيار
هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج
عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى قطعة ارض فسويتها وبالغت
في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة واتفقتم على انه لم يبق فيها اعوجاج
قط ثم استطلعت رأي المهندس فيها وامرته ان يعرض استواءها على المقاييس
الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك بحاسة البصر ولكن
ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك
اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك لما لم يدرك
الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر ولا امتا الا
النتو اليسير يقال مد حبله حتى ما فيه امت يومئذ يتبعون الداعي اي يوم
اذ نسفت ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيمة والمراد الداعي الى المحشر
قالوا هو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى
الى صوبه لا يعدلون لا عوج له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير
انحراف متبعين لصوته وخشعت الاصوات للرحمن اي خفضت الاصوات من
شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الركز الخفي ومنه الحروف
المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق الاقدام
ونقلها الى المحشر يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة بتقدير حذف
المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن والنصب على المفعولية و

قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا

اضاف اليوم الى وقت نسفت الجبال في قوله

اذن له ورضي له قولا لاجله اي اذن للشافع ورضي قوله لاجله ونحو هذه اللام
في قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم اي يعلم ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون به علما ولا
يحيط به معلوماته علما وعنت الوجوه للحي القيوم المراد بالوجوه وجوه العصاة
وانهم اذا عاينوا يوم القيمة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية
اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله فلما رأوه زلفة
سيئت وجوه الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله وقد خاب وما بعده
من حمل ظلما وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا وكل من ظلم فهو خائب خاسر
ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما الظلم ان يأخذ
من صاحبه فوق حقه والهضم ان يكسر من حق اخيه فلا يوفيه له كصفة المطففين
الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم يخسرون اي فلا يخاف
جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك
عطف على كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هؤلاء الآيات المتضمنة
للوعيد انزلناه قرآنا عربيا اي انزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة وصرفنا فيه من
الوعيد مكررين فيه آيات الوعيد لعلهم يتقون ليكونوا بحيث يراد منهم ترك
المعاصي او يحدث لهم ذكرا او فعل الخير والطاعة والذكر كما ذكرنا يطلق على
الطاعة والعبادة وقرئ نحدث وتحدث بالنون والتاء اي تحدث انت وسكن
بعضهم الثاء للتخفيف كما في فاليوم اشرب غير مستحقب فتعالى الله الملك الحق
استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده
والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجري عليه امر ملكوته
ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه ولما ذكر القرآن وانزاله قال
على سبيل الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحي اليك من القرآن فتأن عليك
ريثما يسمعك ويفهمك ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك ولا تكن قراءتك مساوقة
لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه لا تبلغ ما كان منه
مجملا حتى يأتيك البيان وقرئ حتى نقضي اليك وحيه وقوله وقل رب زدني علما

متضمن للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم أي علمتني يا رب لطيفة
في باب التعلم وأدبا جميلا ما كان عندي فزدني علما فإن لك في كل شيء حكمة وعلما
وقيل إنه أمر الله رسوله بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم ﴿ولقد عهدنا إلى آدم
من قبل﴾ يقال في أوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك إلى فلان وأوعز إليه وعزم
عليه وعهد إليه عطف الله سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم
يتقون ﴿فلم نجد له عزما﴾ والمعنى وأقسم قسما لقد أمرنا أباهم آدم ووصيناه أن لا يقرب
الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين إن قربها وذلك من قبل وجودهم ومن
قبل أن نتوعدهم فخالف إلى ما نهي عنه وتوعد عليه في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت إلى الوعيد كما
لا يلتفتون كأنه يقول إن أساس أمر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه ﴿فنسي﴾
ما المراد بالنسيان   يجوز أن يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وأنه لم يعن بالوصية
العناية الصادقة ولم يستوثق عليها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد
من ذلك النسيان وأن يراد الترك وأنه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة
وأكل ثمرتها وقرئ فنسي أي نساه الشيطان ﴿ولم نجد له عزما﴾ العزم التصميم و
المضي على ترك الأكل وأن يتصلب في ذلك تصلبا يؤيس الشيطان من التسويل له
والوجود بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وأن يكون نقيض العدم كأنه قيل وعدمنا
له عزما ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾
إذ منصوب بمضمر أي اذكر وقت ما جرى عليه من معاداة إبليس ووسوسته
إليه وتزيينه له الأكل من الشجرة وطاعته له بعدما تقدمت معه النصيحة و
الموعظة البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين أنه لم يكن من أولي العزم والثبات
إبليس كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه
أين تناوله الأمر وهو للملائكة خاصة   كان في صحبتهم وكان يعبد الله عبادتهم
فلما أمروا بالسجود لآدم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم كان أجدر بأن
يتواضع كما لو قام لمقبل على المجلس علية أهله وسراتهم كان القيام على واحد بينهم
هو دونهم في المنزلة أوجب والمعنى إن لم نقم عجنف به وقيل قد قام فلان وفلان
فمن أنت حتى تترفع عن القيام   فكيف صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة

عمل على حكم التغليب في إطلاق اسم الملائكة عليهم وعليه فأخرج الاستثناء
على ذلك كقولك خرجوا إلا فلانة لامرأة بين الرجال ﴿أبى﴾ جملة مستأنفة كأنه جواب
قائل قال لم يسجد والوجه أن لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله
فسجدوا وأن يكون معناه أظهر الإباء وتوقف وتثبط ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو
لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة﴾ فلا يكونن سببا لإخراجكما ﴿فتشقى﴾
وإنما أسند إلى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد إشراكهما في الخروج لأن
في ضمن شقاء القيم وهو قيم أهله وأميرهم شقاءهم كما أن في ضمن سعادته سعادتهم
فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة أو أريد بالشقاء
التعب في طلب القوت وذلك معصوب برأس الرجل وهو راجع إليه وروي أنه أهبط
ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق من جبينه ﴿إن لك ألا تجوع فيها
ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ قرئ وأنك بالكسر والفتح ووجه العطف
على أن لا تجوع   أن لا تدخل على أن فلا يقال إن أن زيدا منطلق والواو نائبة
عن إن وقائمة مقامها فلم أدخلت عليها   الواو لم توضع لتكون أبدا نائبة
عن إن إنما هي نائبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كأن لم يمتنع
اجتماعهما كما امتنع اجتماع إن وأن الشبع والري والكسوة والكن هي الأقطاب التي
يدور عليها كفاف الإنسان فذكره استجماعها له في الجنة وأنه مكفي لا يحتاج
إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إلى ذلك أهل الدنيا وذكرها بلفظ
النفي لنقائضها التي هي الجوع والعري والظمأ والضحو ليطرق سمعه بأسامي
أصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها
﴿فوسوس إليه الشيطان﴾   كيف عدي وسوس تارة باللام في قوله فوسوس
لهما الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة الذئب ووقوقة الدجاجة في أنها حكايات
للأصوات وحكمها حكم صوت وأجرس ووسوسه وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر
والفتح لحن وأنشد ابن الأعرابي   وسوس يدعو مخلصا رب الفلق   فإذا قلت وسوس له
فمعناه لأجله كقوله أجرس لها يا ابن أبي كباش ومعنى وسوس إليه أنهى الوسوسة كقولك
حدث إليه وأسر إليه أضاف الشجرة إلى الخلد وهو الخلود لأن من أكل منها خلد بزعمه

أي إليه
النحو
ج
س
فأخرى بإلى
وسوسة الشيطان

كما قيل لجيش يوم فرس الحيزوم لان من نادى بشارة حيي وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن
بن علي وابن عباس رضي الله عنهم الا ان تكونا ملكين بالكسرة فاكلا منها فبدت
لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة طفق يفعل كذا مثل
جعل يفعل واخذ وانشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا وبينهما
وبينه مسافة قصيرة وهي للشروع في اول الامر وكاد لمشارفته والدنو منه وقرئ
يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو ان يخرز عليها الخصاف اي يلزقان
الورق بسوآتهما للتستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل
تحت اصابعهما وقيل كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت
هذه البقايا في اطراف الاصابع عن ابن عباس رضي الله عنهما لا شبهة في ان آدم لم يمتثل ما رسم
الله له وتخطى فيه ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان
يكون رشدا وخيرا فكان غيا لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى آدم
ربه فغوى بهذا الاطلاق وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم واخطأ وما اشبه
ذلك مما يعبر به عن الزلات والفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة
كاملة وكأنه قيل لهم انظروا واعتبروا كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي
لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع
فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغائر فضلا ان تجسروا على التورط في
الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا وان صح على لغة من يقلب الياء
المكسور ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنى وبقى وهم بنو طي تفسير خبيث
ما معنى ثم اجتباه ربه ثم قبله بعد التوبة وقربه اليه من
جبى الي كذا فاجتبيته ونظيره جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع يقول
اجتبت الفرس اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار فتاب عليه وهدى اي وفقه
لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى قال اهبطا منها جميعا بعضكم
لبعض عدو لما كان آدم وحواء عليهما السلام اصلي البشر والسببين اللذين منهما
نشأوا وتفرعوا جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فاما يأتينكم
على لفظ الجماعة ونظيره اسناد الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب مني هدى

كتاب وشريعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا
ولا يشقى في الآخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى والمعنى
ان الشقاء في الآخرة هو عقاب من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب
الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا من الضلال ومن عقابه ومن اعرض
عن ذكري فان له معيشة ضنكا الضنك مصدر يستوي في الوصف به المذكر
والمؤنث وقرئ ضنكى على فعلى ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل
على الله وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا
كما قال عز وجل فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذي
لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه
ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض الصوفية لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم
عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة لكفرهم
قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون
بآيات الله ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا
وقال وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع
والزقوم في النار وعن ابي سعيد الخدري عذاب القبر وقرئ ونحشره بالجزم عطفا
على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط وقرئ ونحشره بسكون الهاء
على لفظ الوقف وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما
وصما وكما فسر الزرق بالعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا قال
كذلك اي مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بان اتتك آياتنا واضحة مستنيرة
فنسيتها فلم تنظر اليها بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك
اليوم تنسى نتركك على عماك ولا نزيل غطاءه عن عينك وكذلك نجزي من
اسرف ولم يؤمن بآيات ربه لما توعد من اعرض عن ذكره بعقوبتين
المعيشة الضنك في الدنيا وحشره اعمى في الآخرة ختم آيات الوعيد بقوله ولعذاب

الآخرة أشد وأبقى كانه قال وللحشر على العمى الذي لا يزول ابدا اشد من
ضيق العيش المنقضي او اراد ولتركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لآياتنا أفلم
يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون فاعل لم يهد الجملة بعده
يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين
سلام على نوح في العالمين اي تركنا عليه هذا الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير
الله او الرسول ويدل عليه القراءة بالنون يمشون في مساكنهم إن في ذلك
لآيات لأولي النهى وقرئ يمشون يريد ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود
ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم ولولا كلمة سبقت
من ربك الكلمة السابقة هي العدة بتاخير جزائهم الى الآخرة يقول لولا هذه
العدة لكان لزاما لكان مثل اهلاكنا عادا وثمود لازما لهؤلاء الكفرة واللزام
اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل اي ملزم كانه آلة اللزوم لفرط
لزومه كما قالوا لزاز خصم وأجل مسمى لا يخلو من ان يكون معطوفا على كلمة او على الضمير
في كان اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين لهم كما كانا لازمين لعاد وثمود
ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد
ربك في موضع الحال اي وانت حامد لربك على ان وفقك للتسبيح والمراد بالتسبيح الصلوة
او على ظاهره قدم الفعل على الاوقات اولا والاوقات على الفعل آخرا فكانه قال صل
لله قبل طلوع الشمس يعني الفجر وقبل غروبها يعني الظهر والعصر لانهما واقعتان
في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد من آناء الليل و
أطراف النهار مختصا لها بصلوتك وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل
لاجتماع القلب والهدو والخلو بالرب قال الله عز وجل ان ناشئة الليل
هي اشد وطاء واقوم قيلا وقال امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولان
الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى العبادة كان على النفس اشد واشق
وللبدن اتعب فكانت ادخل في معنى التكليف وافضل عند الله وقد تناول التسبيح
في آناء الليل صلوة العتمة وفي اطراف النهار صلوة العتمة وفي اطراف النهار صلوة
المغرب وصلوة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا

والصلوة الوسطى عند بعض المفسرين   ما وجه قوله واطراف النهار على
الجمع وانما هما طرفان كما قال اقم الصلوة طرفي النهار   الوجه امن الالباس وفي
التثنية زيادة بيان ونظير مجيء الامرين في الآيتين مجيئهما في قوله ظهراهما مثل ظهور الترسين
وقرئ واطراف النهار عطفا على آناء الليل ولعلك للمخاطب اي اذكر الله تعالى في
هذه الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ
ترضى اي يرضيك ربك ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك ومد النظر تطويله
وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له كما فعل
نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم حتى
واجههم اولو العلم والايمان بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا وفيه ان النظر
غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من بادره الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما
كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع وان من ابصر منها شيئا احب ان يمد
اليه نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له وضار
به ولقد شدد العلماء من اهل التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة و
عدد الفسقة في اللباس والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء
لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها إلى ما
متعنا به أزواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء الضمير
والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا
منهم   علام انتصب زهرة الحياة الدنيا   على احد اربعة اوجه على الذم
وهو النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى اعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا وعلى ابداله
من محل الجار والمجرور وعلى ابداله من ازواجا على تقدير ذوي زهرة
ما معنى الزهرة فيمن حرك   معنى الزهرة بعينه وهو الزينة والبهجة كما جاء
في الجهرة الجهرة وقرئ ارنا الله جهرة وان يكون جمع زاهر وصفا بانهم زاهروا
هذه الدنيا لصفاء الوانهم مما يلهون ويتمتعون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم
بخلاف ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب لنفتنهم
فيه لنبلوهم حتى يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم او لنعذبهم في الآخرة

بسببه ورزق ربك هو ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وادوم او ما رزقه من نعمة الاسلام والنبوة او لان اموالهم الغالب عليها الغصب والرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير وابقى لان الله لا ينسب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى رزقا وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقرضني الى رجب فقال والله لا اقرضه الا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني لامين في السماء واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك وأمر أهلك بالصلوة اي واقبل انت مع اهلك على عبادة الله والصلوة واستعينوا بها على خصاصتكم ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك ولا نسألك ان ترزق نفسك ولا اهلك ففرغ بالك لامر الآخرة والعاقبة للتقوى وفي معناه قول الناس من كان في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا راى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلوة الصلوة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا اصابت اهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا امر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه اقترحوا على عادتهم في التعنت آية على النبوة فقيل لهم أولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى اولم تأتكم آية هي ام الآيات واعظمها في باب الاعجاز يعني القرآن من قبل ان القرآن برهان ما في سائر الكتب المنزلة ودليل صحته لانه معجزة وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقرة الى شهادة على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه الى شهادة الحجة وقرئ الصحف بالتخفيف ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى ذكر الضمير الراجع الى البينة لانها في معنى البرهان والدليل وقرئ نذل ونخزى على لفظ ما لم يسم فاعله قل كل اي كل واحد منا ومنكم متربص للعاقبة ولما يؤول اليه امرنا وامرك فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى وقرئ السواء بمعنى الوسط والجيد والمستوى والسوء والسوى والسوي تصغير السوء وقرئ فتمتعوا فسوف تعلمون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة طه اعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين وقال لا يقرأ اهل الجنة من القرآن الا طه ويس

واصطبر عليها

لا نسألك رزقا نحن نرزقك

قال ابو رافع ... رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ...

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم

هذه اللام لا تخلو من ان تكون صلة لاقترب او تأكيدا لاضافة الحساب اليهم كما تقول ازف للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي الرحيل ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه ما اورده سيبويه في باب ما يثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب فيك ومنه قولهم لا ابا لك لان اللام مؤكدة لمعنى الاضافة وهذا الوجه اغرب من الاول والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق فان قلت كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول اكثر من خمسمائة عام قلت هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وعلا ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ولان كل آت وان طالت اوقات استقباله وترقبه قريب انما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولان ما بقي من الدنيا اقصر واقل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين عليه وآله افضل صلوات المصلين الموعود مبعثه في آخر الزمان وقال عليه وآله الصلوة والسلام بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم تبق الا صبابة كصبابة الاناء واذا كانت بقية الشيء وان كثرت في نفسها قليلة بالاضافة الى معظمه كانت خليقة بان توصف بالقلة وقصر الذرع وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان المراد بالناس المشركون وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القائم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وهم في غفلة وصفهم بالغفلة مع الاعراض على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا يتفطنون لما ترجع اليه خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء للمحسن والمسيء فاذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفلة وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر اعرضوا وسدوا اسماعهم ونفروا

وقد اعراضهم عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ بان الله يجدد لهم الذكر وقتا
فوقتا ويحدث لهم الآية بعد الآية والسورة بعد السورة ليكرر على اسماعهم التنبيه
والموعظة لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الآي والسور وما فيها من فنون المواعظ والبصائر
التي هي احق الحق واجد الجد الا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر هو الطائفة النازلة
من القرآن وقرأ ابن ابي عبلة محدث بالرفع صفة على المحل قوله وهم يلعبون لاهية
قلوبهم حالان مترادفتان او متداخلتان ومن قرأ لاهية بالرفع فالحال واحدة لان لاهية
قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهية من لهى عنه اذا ذهل وغفل يعني انهم وان
فطنوا فهم في قلة جدوى فطنتهم كانهم لم يفطنوا اصلا وثبتوا على رأس غفلتهم
وذهولهم عن التأمل والتبصر بقلوبهم النجوى وهي اسم من التناجي فما
معنى قوله واسروا النجوى معناه وبالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث لا يفطن
احد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون ابدل الذين ظلموا من واو واسروا اشعارا
بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به او جاء على لغة من قال اكلوني البراغيث
او هو منصوب المحل على الذم او هو مبتدأ خبره اسروا النجوى قدم عليه والمعنى وهؤلاء
اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم هل هذا
الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله في محل النصب
بدلا من النجوى اي واسروا هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا
ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يكون الا ملكا وان كل من ادعى الرسالة من
البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار افتحضرون
السحر وانتم تشاهدون وتعاينون انه سحر لم اسروا هذا الحديث وبالغوا
في اخفائه كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب الطريق الى
هدم امره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب ان لا يشركوا
اعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه قول
الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ويجوز ان يسروا نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين
ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررناه قال ربي يعلم القول في السماء

فان قلت هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى قلت القول عام
يشمل السر والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان آكد في بيان الاطلاع على
نجواهم من ان يقول يعلم سرهم وهو السميع العليم ثم بين ذلك بانه السميع العليم لذاته
فكيف تخفى عليه خافية فلم ترك هذا في سورة الفرقان في قوله قل انزله الذي
يعلم السر في السموات والارض ليس بواجب الآكد في كل موضع ولكن يجيء بالوكيد
تارة وبالآكد اخرى كما يجيء بالحسن في موضع وبالاحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا
ويجمع الغاية وما دونها على ان اسلوب تلك الآية خلاف اسلوب هذه من قبل انه
قدم ههنا انهم اسروا النجوى فكانه اراد ان يقول ان ربي يعلم ما اسروه فوضع
القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بانه انزله الذي يعلم السر في
السموات والارض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة
وقرئ قال ربي حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم بل قالوا اضغاث
احلام بل افتراه بل هو شاعر اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم
الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير
رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز ان يكون تنزيلا من الله لاقوالهم في درج
الفساد وان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث افسد من الثاني وكذلك الرابع
من الثالث صحة التشبيه في قوله فليأتنا بآية كما ارسل الاولون من حيث انه
في معنى كما اتى الاولون بالآيات لان ارسال الرسل متضمن للاتيان بالآيات الا ترى
انه لا فرق بين ان يقول ارسل محمد وبين ان يقول اتى محمد بالمعجزة
ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون فيه انهم اعتى من الذين
اقترحوا على انبيائهم الآيات وعاهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا
وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون لكانوا انكث وما
ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
امرهم ان يسألوا اهل الذكر اهل الكتاب حتى يعلموهم ان رسل الله الموحى اليهم
كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما احالهم على اولئك لانهم كانوا
يشايعون المشركين في معاداة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى ولتسمعن من الذين

اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذ يكتبوا فلا يكادون يتهمونهم فيما هم فيه ردء
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام** صفة
لجسدا والمعنى وما جعلنا الانبياء قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد
لارادة الجنس كانه قال ذوي ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا
الرسول ياكل الطعام ثم قد رد انكارهم ان يكون الرسول بشرا
ياكل ويشرب بما ذكرت فاذا رد من قولهم بقوله **وما كانوا خالدين**
يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما نموت ويقولوا
هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين ان الملائكة لا يموتون او مسمين
حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا **ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم**
مثل واختار موسى قومه والاصل في الوعد ومن قومه ومنه صدقوهم القتال
وصدقني سن بكره **ومن نشاء** هم المؤمنون ومن في بقائهم مصلحة **واهلكنا
المسرفين لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم** شرفكم وصيتكم كما قال
وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها
الثناء وحسن الذكر كحسن الجوار والوفاء بالعهد وصدق الحديث واداء
الامانة والسخاء وما اشبه ذلك **وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة** وا
عن غضب شديد ونداء على سخط عظيم لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي
يبين تلاؤم الاجزاء بخلاف الفصم واراد بالقرية اهلها ولذلك وصفها بالظلم
وقال **وانشانا بعدها قوما آخرين** لان المعنى اهلكنا قوما وانشانا
قوما آخرين وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها حضور وهي وسحول قريتان باليمن ينسب
اليهما الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ثوبين سحوليين
وروي حضور بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بختنصر
كما سلطه الله تعالى على اهل بيت المقدس فاستأصلهم وروي انه لما اخذتهم
السيوف ونادى مناد من السماء يا لثارات الانبياء ندموا واعترفوا بالخطا
وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الآية على الكثرة ولعل ابن عباس رضي الله عنهما ذكر
حضورا بانها احدى القرى التي ارادها الله تعالى بهذه الآية **فلما احسوا**

بأسنا فلما علموا شدة عذابنا وبطشتنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها **اذا هم
منها يركضون** يهربون من ديارهم والركض ضرب الدابة بالرجل ومنه قوله تعالى
اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من قريتهم
اذ ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين
الراكضين لدوابهم فقيل لهم **لا تركضوا** والقول محذوف من القائل
يحتمل ان يكون بعض الملائكة او من ثم من المؤمنين او يجعلون خلقاء بان يقال لهم ذلك
وان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه ملائكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم
ذلك فيحدثوا به نفوسهم **وارجعوا الى ما اترفتم فيه** من العيش الرافه
والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي الترفه **لعلكم تسألون**
تهكم به وتوبيخ اي ارجعوا الى نعيمكم ومساكنكم لعلكم تسألون غدا عما جرى عليكم
ونزل باموالكم ومساكنكم لعلكم تسألون فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة
او ارجعوا واجلسوا كما كنتم في مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسألكم عبيدكم
وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم ونهيكم ويقولوا لكم بم تأمرون وماذا
ترسمون وكيف نأتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين او يسألكم الناس في انديتكم
المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض ويستشفون
بتدابيركم ويستضيئون بارائكم او يسألكم الوافدون عليكم والطماع ويستمطرون
سحائب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم واياديكم اما لانهم كانوا اسخياء ينفقون
اموالهم رئاء الناس وطلب الثناء او كانوا بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا الى
توبيخ **قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم** تلك اشارة
الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم والدعوى بمعنى
الدعوة قال الله تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين
لم سميت دعوى لان المولول كانه يدعو الويل فيقول له تعال يا ويل فهذا
وقتك وتلك مرفوع او منصوب اسما او خبرا وكذلك دعواهم **حتى جعلناهم
حصيدا خامدين** الحصيد الزرع المحصود اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم به
في استئصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اي مثل الرماد والضمير المنصوب

هو الذي كان مبتدا والمنصوبان بعده كانا خبرين له فلما دخل عليهما جعل نصبهما جميعا
على المفعولية   كيف ينصب جعل ثلثة مفاعيل   حكم الاثنين الاخيرين حكم الواحد
لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم
جامعين لمماثلة الحصيد والخمود **وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين** اي وما
سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلايق
مشحونة بضروب البدايع والعجايب كما يسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وسائر
زخارفهم وفرشهم وسائر زخارفهم للهو واللعب وانما سويناها للفوايد الدينية
والحكم تلون مطارح افتكار واعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم
بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى **لو اردنا ان نتخذ لهوا** يعني ان
السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفايه عن افعالي هو ان الحكمة صارفة عنه والا
فانا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شيء قدير وقوله **لاتخذناه من
لدنا ان كنا فاعلين** كقوله رزقا من لدنا اي من جهة قدرتنا وقيل اللهو
بلغة اليمن وقيل المراة وقيل من لدنا من الملائكة لا من الانس رد لولادة المسيح
وعزير **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق** بل اضراب
عن اتخاذ اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب
بل من عادتنا وموجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح ان نغلب اللهو
بالجد وندحض الباطل واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله به و
اهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف
فدمغه ثم قال **ولكم الويل مما تصفون** مما لا يجوز عليه وعلى حكمته وقرئ
فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقوله مما نزل منزلة التحريم والحجة الجار فاستنجا
وله من في السموات والارض ومن عنده هم الملائكة **لا يستكبرون عن عبادته
ولا يستحسرون** والمراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم عليه منزلة المقربين
عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه
الاستحسار مبالغة في الحسور وكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم ادنى الحسور
في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور واقصاه وانهم احقاء

٥٩٦

لتلك العبادات الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون **يسبحون الليل والنهار
لا يفترون** اي تسبيحهم دايم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل آخر
ام اتخذوا آلهة هذه ام المنقطعة الكاينة بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالاضراب
عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة **من الارض
هم ينشرون** الموتى ولعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات
كيف انكر عليهم اتخاذ الآلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم
وكيف وهم ابعد شيء عن هذه الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله
بانه خالق السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر على المقدورات كلها
وعلى النشاة الاولى منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم وكان عندهم
من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كالمثل العظيم فكيف يدعونه للجماد الذي لا
يوصف بالقدرة راسا   الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الالهية يلزمهم
ان يدعوا لها الانشاء ومن التهكم به والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه
من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابداء
والاعادة ونحو قوله من الارض قوله فلان من مكة او من المدينة يريد مكي
او مدني ومعنى نسبتها الى الارض الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة
على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم اين ربك فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة لانه فهم منها
ان مرادها نفي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله
عز وجل ويجوز ان يراد آلهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة
او تعمل من بعض جواهر الارض   لا بد من نكتة في قوله هم   النكتة فيه
افادة معنى الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم
وقرا الحسن ينشرون وهما لغتان انشر الله الموتى ونشرها **لو كان فيهما آلهة
الا الله لفسدتا** وصفت آلهة بالا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله
ما منعك من الرفع على البدل   لان لو بمنزلة ان في ان الكلام
معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم

اختلالا امرهما وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح اثباته والمعنى لو كان يتولاهما
ويدبر امرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين
احدهما وجوب ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني ان لا يكون ذلك الواحد
الا اياه وحده لقوله الا الله لم وجب الامران لعلمنا ان الرعية تفسد
بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك
بن مروان حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن
لا يجتمع فحلان في شول وهذا ظاهر واما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولان
هذه الافعال محتاجون الى تلك الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر
لا يسئل عما يفعل لما كانت عادة الملوك والجبابرة ان لا يسألهم من في مملكتهم عن
افعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع جواز الخطا
والزلل وانواع الفساد عليهم كان ملك رب الارباب وخالقهم ورازقهم اولى بان
لا يسأله من في مملكته عن افعاله مع ما علم واستقر في العقول من ان ما يفعله كله
مفعول بدواعي الحكمة ولا يجوز عليه الخطا ولا فعل القبائح وهم يسئلون اي هم
مملوكون مستعبدون خطاؤون فما اخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه
ام اتخذوا من دونه آلهة استفظاع لشانهم واستعظام لكفرهم
قل هاتوا برهانكم اي وصفتم الله تعالى بان له شريكا فهاتوا برهانكم على ذلك
اما من جهة العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا و
توحيد الله وتنزيهه عن الانداد مدعو اليه والاشراك به منهي عنه متوعد عليه اي
هذا الوحي الوارد في معنى توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع
الانبياء فهو ذكر اي عظة للذين معي يعني امته وذكر للذين من قبلي يريد امم الانبياء وقرئ
ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين ومن مفعول منصوب بالذكر كقوله او اطعام في
يوم ذي مسغبة يتيما وهو الاصل والاضافة من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت
الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقرئ من معي ومن قبلي على من الاضافية في هذه
القراة وادخال الجار على مع غريب والعذر فيه انه اسم هو ظرف نحو قبل وعند ولدن و
ما اشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على اخواته وقرئ ذكر معي وذكر قبلي كانه بل

هذا ذكر من معي وذكر من قبلي

اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون كانه قيل بل عندهم ما هو اصل الشر
والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء
هذا الاعراض ومن هنالك ورد هذا الانكار وقرئ الحق بالرفع على توسيط التوكيد
بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل هو الحق لا الباطل ويجوز ان يكون
المنصوب ايضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله الحق لا الباطل وما ارسلنا
من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون يوحى ونوحي
مشهورتان وهذه الاية مقررة لما سبقها من آي التوحيد وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله سبحانه نزه ذاته
عن ذلك بل عباد ثم اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية تنافي الولادة الا انهم
مكرمون مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من احوال وصفات
ليست لغيرهم فذلك هو الذي غر منهم من زعم انهم اولادي تعاليت عن ذلك علوا
كبيرا لا يسبقونه بالقول وقرئ ولا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه
والمعنى انهم يتبعون قوله ولا يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله وكما
ان قولهم تابع لقوله فعملهم ايضا كذلك مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى جميع ما يأتون
ويذرون ما قدموا وما اخروا بعين الله تعالى وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم بذلك
يضبطون انفسهم ويراعون احوالهم ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يجسرون
ان يشفعوا الا لمن ارتضاه الله تعالى واهله للشفاعة في ازدياد الثواب و
التعظيم وهم من خشيته ثم انهم مع هذا كله من خشية الله تعالى مشفقون
اي متوقعون من امارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يأمنون مكر الله
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه رأى جبريل ليلة المعراج ساقطا
كالحلس من خشية الله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه
جهنم وبعد ما وصف كرامتهم عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف
اليهم تلك الافعال السنية والاعمال المرضية فاجأ بالوعيد الشديد وانذر بعذاب
جهنم من اشرك منهم اذ كان ذلك على سبيل الفرض والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا

وهم بامره يعملون

يكون كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون كذلك نجزي الظالمين قصد
بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد اولم ير الذين كفروا ان
السموات والارض كانتا رتقا وقرئ الم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما في
معنى المفعول كالخلق والنقض اي كانتا مرتوقتين الرتق صالح
ان يقع موضع مرتوقتين لانه مصدر فما بال الرتق هو على تقدير
موصوف اي كانتا شيئا رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض
لا فضاء بينهما او كانت السموات متلاصقات وكذلك الارضون لا
فرج بينها ففتقناهما ففتقها الله تعالى وفرج بينها وقيل ففتقناهما
بالمطر والنبات بعدما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة
السموات وجماعة الارض ونحوه قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان
فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر متى رأوهما رتقا حتى جاء تقريرهم
بذلك فيه وجهان احدهما انه وارد في القرآن الذي هو معجزة في
نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني ان تلاصق الارض والسماء و
تباينهما كلاهما جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو
القديم سبحانه وجعلنا من الماء كل شيء حي افلا يؤمنون جعلنا لا
يتعدى الى واحد واثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان
كقوله والله خالق كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه
وقلة صبره عنه كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى
صيرنا كل شيء حي بسبب من الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله عليه
السلام ما انا من دد ولا الدد مني وقرئ حيا وهو المفعول الثاني وجعلنا
في الارض رواسي ان تميد بهم كراهة ان تميد بهم وتضطرب او لان لا
تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك
في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين وجعلنا فيها فجاجا
سبلا الفج الطريق الواسع في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت
على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا فجاجا

لم تتقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم
ما الفرق بينهما من جهة المعنى بانه جعل فيها طرقا واسعة والثاني
بانه حين خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمه وجعلنا السماء سقفا
محفوظا حفظا بالامساك بقدرته من ان يقع على الارض ويتزلزل او بالشهب
عن تسمع الشياطين على سكانه من الملائكة عما وضع الله فيها من الادلة و
العبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها وطلوعها وغروبها على الحساب القويم
والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة الباهرة واي جهل اعظم
من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها ما لا يعرف كنهه
الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن آيتها على التوحيد اكتفاء بالواحدة على
اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة
بقمريها والاهتداء بكواكبها وحياة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها
آية معرضون وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل التنوين
فيه عوض من المضاف اليه اي كلهم في فلك يسبحون والضمير للشمس والقمر
بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها وهو السبب في
جمعها بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو
العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة الجملة ما محلها محلها
النصب على الحال من الشمس والقمر كيف تقول رأيت زيدا وهندا متبرجة
ونحو ذلك اذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى
في هذه السورة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة او لا محل لها لاستئنافها
لكل واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك
هذا كقولهم كساهم الامير حلة وقلدهم سيفا اي واحد منهم او كساهم وقلدهم
هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنسين اختصارا ولان الغرض الدلالة على
الجنس وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد كانوا يقولون انه سيموت فنشمت
بموته فنفى الله تعالى عنه الشماتة بهذا اي قضى الله ان لا يخلد بشرا في الدنيا فلا
انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا كان الامر كذلك افإن مت فهم الخالدون

لا يبقى هو ولا هو وهو في معناه قول القائل فقل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة اي نختبركم بما يجب فيه الصبر
من البلايا وبما يجب فيه الشكر من النعم والينا ترجعون والينا مرجعكم فنجازيكم
على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر وانما سمي ذلك ابتلاء وهو عالم بما سيكون
من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه في صورة الاختبار وفتنة مصدر مؤكد
لنبلوكم من غير لفظه واذا رءاك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهذا
الذي يذكر آلهتكم الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما
اطلق ولم يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان
كان عدوا فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله اهذا الذي يذكر
آلهتكم والمعنى انهم عاكفون على ذكر آلهتهم بهممهم وما يجب ان لا يذكر به من كونهم شفعاء
وشهداء ويسوءهم ان يذكرها ذاكر بخلاف ذلك وهم بذكر الرحمن هم كافرون
واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا
فهم احق بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن
قولهم ما نعرف الرحمن الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن انسجد لما تأمرنا وقيل بذكر الرحمن
بما انزل عليك من القرآن والجملة في موضع الحال اي يتخذونك هزوا وهم على حال
هي اصل الهزء والسخرية وهي الكفر بالله خلق الانسان من عجل ساريكم آياتي
فلا تستعجلون كانوا يستعجلون عذاب الله وآياته الملجئة الى العلم والاقرار و
يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فاراد نهيهم عن الاستعجال و
زجرهم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم
وزجرهم كانه قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم
وسجيتكم وعن ابن عباس رضي الله عنه اراد بالانسان آدم عليه السلام وانه حين بلغ الروح صدره ولم
يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروي لما دخل الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما
دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله تعالى في آخر النهار يوم الجمعة قبل
غروب الشمس فاسرع في خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس رضي الله عنه انه النضر بن الحارث
والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير قال شاعرهم والنخل ينبت بين الماء والعجل

عاكفون ه

والله اعلم بصحته لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الانسان من عجل و
قوله وكان الانسان عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق قلت هذا كما ركب فيه
الشهوة وامره ان يغلبها لانه اعطاه القدرة التي يستطيع بها قمع الشهوة وترك
العجلة وقرئ خلق الانسان لو يعلم الذين كفروا جواب لو محذوف وحين لا
يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم مفعول به ليعلم الوقت الذي يستعجلون
عنه بقولهم متى هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء
وقدام فلا يقدرون على دفعها ومنعها من انفسهم ولا هم ينصرون ولا
يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال
ولكن جهلهم به هو الذي هونه عندهم ويجوز ان يكون يعلم متروكا بلا تعدية
بمعنى لو كان معهم علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي
حين لا يكفون عن وجوههم النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا
الجهل العظيم اي لا يكفونها بل تفجؤهم فتغلبهم فتبهتهم يقال للمغلوب في المحاجة
مبهوت ومنه فبهت الذي كفر اي تغلبه الكافر وقرأ الاعمش بل يأتيهم فيبهتهم على
التذكير والضمير للوعد او للحين فالام يرجع ضمير المؤنث في هذه القراءة
الى النار او الى الوعد لانه في معنى النار وهي التي وعدوها او على تأويل
العدة والموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة او الى البغتة وقيل في القراءة الاولى
الضمير للساعة وقرأ الاعمش بغتة بفتح الغين فلا يستطيعون ردها ولا هم
ينظرون تذكير بانظاره اياهم وامهاله وتفسيح وقت التذكر عليهم اي لا يمهلون
بعد طول الامهال ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم
ما كانوا به يستهزءون سلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن استهزائهم
بان له في الانبياء عليهم الصلوة والسلام اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما
حاق بالمستهزئين بالانبياء ما فعلوا قل من يكلؤكم بالليل والنهار
من الرحمن اي باسه وعذابه بل هم عن ذكر ربهم معرضون معرضون
عن ذكره لا يخطر ببالهم فضلا ان يخافوا باسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه
عرفوا من الكالئ وصلحوا للسؤال عنه والمراد انه امر رسوله بسؤالهم عن الكالئ

بل تأتيهم بغتة

بل هم ه

ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم **أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا** ثم اضرب عن ذلك بما في ام من معنى بل وقال ام الهة تمنعهم من العذاب تجاوز منعنا وحفظنا **لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون** ثم استأنف فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتأييد كيف يمنع غيره وينصره **بل متعنا هؤلاء وآباءهم** ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلأناهم وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحيوة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم **حتى طال عليهم العمر** اي امتدت بهم ايام الروح والطمأنينة فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا ينزع عنهم ثوب امنهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ وامل كاذب **أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها** بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها ورده دار اسلام **أفهم الغالبون**

اي فائدة في قوله نأتي الارض

الفائدة فيه تصوير ما كان الله يجريه على ايدي المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين وتأتيها غالبة عليها ناقصة من اطرافها **قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء** قرئ ولا يسمع الصم ولا تسمع الصم بالتاء والياء اي لا تسمع انت ولا يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يسمع الصم من اسمع

الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء المنذر فكيف قيل **إذا ما ينذرون**

اللام في الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على تصامهم وسدهم اسماعهم اذا انذروا اي هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام من آيات الانذار **ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك** من هذا الذي ينذرون به ادنى شيء **ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين** لدعوا بالويل واقروا بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا واعرضوا وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفح في معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة **ونضع**

الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم وصفت الموازين بالقسط وهو العدل مبالغة كأنها في انفسها قسط او على حذف المضاف اي ذوات القسط واللام في ليوم القيامة مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت النابغة: توهمت آيات لها فعرفتها ... لستة اعوام وذا العام سابع

وقيل لاهل يوم القيامة اي لاجلهم

ما المراد بوضع الموازين

فيه قولان احدهما ارصاد الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال والنصفة من ان يظلم عباده مثقال ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين ليوزن بها الموزونات والثاني انه يضع الموازين الحقيقية ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان ويروى ان داود عليه السلام سأل ربه ان يريه الميزان فلما رآه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان يملأ كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملأتها بتمرة

كيف توزن الاعمال وانما هي اعراض

فيه قولان احدهما توزن صحائف الاعمال والثاني تجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال الحبة على كان التامة وان كان ذو عسرة **أتينا بها وكفى بنا حاسبين** وقرأ ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة من الاتيان بمعنى المجازاة والمكافأة لانهم اتوه بالاعمال وآتاهم بالجزاء وقرأ حميد اثبنا بها من الثواب وفي حرف ابي جئنا بها وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه **ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان** اي آتيناهما الفرقان وهو التوراة وآتينا به **ضياء وذكرا للمتقين** والمعنى انه في نفسه ضياء وذكر او وآتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله يوم الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرأ ابن عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه في دينهم ومصالحهم او الشرف **الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون** محل الذين الجر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه **وهذا ذكر مبارك**

فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل

أنزلناه أفأنتم له منكرون ولقد آتينا إبراهيم رشده الرشد الاهتداء
لوجوه الصلاح قال الله تعالى فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم
أموالهم وقرئ رَشَده والرشد كالعدم والعدم ومعنى إضافته إليه أنه رشد
مثله وأن له شأنا من قبل من قبل موسى وهارون وكنا به عالمين
ومعنى علمه به أنه علم منه أحوالا بديعة وأسرارا عجيبة وصفات قد رضيها و
أحمدها حتى أهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس أنا عالم
بفلان فكلامك هذا من الاحتواء على محاسن الأوصاف بمنزل إذ قال لأبيه
وقومه إذ إما أن يتعلق بآتينا أو برشده أو بمحذوف أي اذكر من أوقات رشده
هذا الوقت قوله ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغاب ليحقر آلهتهم ويصغر شأنها مع علمه
بتعظيمهم وإجلالهم لها التي أنتم لها عاكفون لم ينو للعاكفين مفعولا وأجراه مجرى
ما لا يتعدى كقولك فاعلون لها أو واقفون لها   هلا قيل عليها عاكفون كقوله
يعكفون على أصنام لهم   لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على قالوا وجدنا
آباءنا لها عابدين ما أقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما أعظم كيد الشيطان
للمقلدين حين استدرجهم إلى قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم
وهم معتقدون أنهم على شيء وجادون في نصرة مذهبهم ومجادلون لأهل الحق عن باطلهم
وكفى أهل التقليد سبة أن عبدة الأصنام منهم قال لقد كنتم أنتم من التأكيد الذي
لا يصح الكلام مع الإخلال به لأن العطف على ضمير هو في حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه
اسكن أنت وزوجك الجنة وآباؤكم في ضلال مبين أراد أن المقلدين
والمقلدين جميعا منخرطون في سلك ضلال لا يخفى على من به أدنى مسكة لاستناد
الفريقين إلى غير دليل بل إلى هوى متبع وشيطان مطاع قالوا أجئتنا بالحق
أم أنت من اللاعبين لاستبعادهم أن يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين
من تضليله إياهم وحسبوا أنما قاله على وجه المزاح والملاعبة لا على طريق الجد
فقالوا له هذا الذي جئتنا به أهو جد وحق أم لعب وهزل قال بل ربكم
رب السماوات والأرض الذي فطرهن الضمير في فطرهن للسماوات والأرض أو للتماثيل
وكونه للتماثيل أدخل في تضليلهم وأثبت للاحتجاج عليهم وأنا على ذلكم من الشا

وشهادته على ذلك إدلاؤه بالحجة عليه وتصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة
كأنه قال وأنا أبين ذلك وأبرهن عليه كما تبين الدعاوى بالبينات لأني لست مثلكم
فأقول ما لا أقدر على إثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج لمذهبكم ولم تزيدوا
على أنكم وجدتم عليه آباءكم وتالله لأكيدن أصنامكم قرأ معاذ بن جبل
بالله بعد أن تولوا مدبرين وقرئ تولوا بمعنى تتولوا ويقويها قوله فتولوا عنه
مدبرين   ما الفرق بين الباء والتاء   أن الباء هي الأصل والتاء بدل
من الواو المبدلة منها وأن التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب كأنه تعجب من تسهل الكيد
على يده وتأتيه لأن ذلك كان مقنوطا منه لصعوبته وتعذره ولعمري إن مثله
صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمروذ مع عتوه واستكباره وقوة سلطانه
وتهالكه على نصرة دينه ولكن إذا الله سنى عقد شيء تيسرا فجعلهم جذاذا
إلا كبيرا لهم روي أن آزر خرج به في عيد فبدأوا ببيت الأصنام فدخلوه و
سجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا إلى أن نرجع بركت
الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي إبراهيم فنظر إلى الأصنام وكانت سبعين صنما
مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان
تضيئان بالليل فكسرها كلها بفأس في يده حتى لم يبق إلا الكبير علق الفأس في عنقه
عن قتادة قال ذلك سرا من قومه وروي سمعه رجل واحد جذاذا قطاعا
من الجذ وهو القطع وقرئ بالكسر والفتح وقرئ جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة لعلهم
إليه يرجعون وإنما استبقى الكبير لأنه غلب في ظنه أنهم لا يرجعون إلا إليه لما
تسامعوه من إنكاره لدينهم وسبه لآلهتهم فيبكتهم بما أجاب به من قوله بل فعله
كبيرهم هذا فاسألوهم وعن الكلبي إليه إلى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون
إليه كما يرجع إلى العالم في حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة و
ما لك صحيحا والفأس على عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من
مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم في آلهتهم وتعظيمهم لها أو قاله مع علمه أنهم لا
يرجعون إليه استهزاء بهم واستجهالا لهم وأن قياس حال من يسجد له و
يؤهل للعبادة أن يرجع إليه في حل المشكل   فإذا رجعوا بمكابرتهم

ودسوخ الاشراك في اعراقهم فاي فايدة دينية في رجوعهم اليه حتى يجعله
صلوات الله عليه غرضا اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا ينفع ولا يضر وظهر انهم
في عبادته على جهل عظيم قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين اي ان من فعل
هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود في الظلمة اما لجرأته على الآلهة الحقيقة
عندهم بالتوقير والاعظام واما لانهم راوا افراطا في حطمها وتماديا في الا
ستهانة بها قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ما حكم المتعلق
بعد سمعنا فتى واي فرق بينهما هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو
يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا وتسكت حتى تذكر شيئا مما يسمع
واما الثاني فليس كذلك ابراهيم ما هو هو خبر مبتدا محذوف او
منادى والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم المسمى قالوا فأتوا به على اعين الناس
في محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اي بمرأى منهم ومنظر على الاستعلاء في
هو وارد على طريق المثل اي يثبت اتيانه في الاعين ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب
وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه وبما فعله او يحضرون عقوبتنا
له قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم هذا من معاريض الكلام ولطائف
هذا النوع لا يتغلغل فيها الا اذهان الراضة من علماء المعاني والقول فيه ان قصد
ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه الى الصنم وانما
قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم
وهذا لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير بحسن
الخط أأنت كتبت هذا وصاحبك امي لا يحسن الخط او لا يقدر الا على خرمشة
فاسدة فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء
به لا نفيه عنك واثباته للامي او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز
منكما استهزاء به واثبات للقادر ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين
ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها اكبر واشد لما راى من زيادة تعظيمهم
له فاسند الفعل اليه لانه هو الذي تسبب لاستهانته بها وحطمه لها والفعل كما يسند
الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان يكون حكاية لما يقول الى تجويزه مذهبهم

ودعوى ان الخبر يلزم نمرود واشراف قومه قاصدين احضاره صح

كأنه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر
على هذا واشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان يعبد معه هذه الصغار وهو
اكبر منها وقرأ محمد بن السميفع فعله كبيرهم بمعنى فلعله اي فلعل الفاعل كبيرهم فرجعوا
فلما الفمهم الحجر واخذ بمخانقهم رجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون
على الحقيقة لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين ثم نكسوا
على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون نكسته قلبته فجعلت اسفله اعلاه
والانتكاس انقلاب اي استقاموا حين رجعوا الى انفسهم بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا على
رؤسهم حادين لابراهيم مجادلين له حتى نفوا عنها القدرة على النطق او قلبوا على
رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابراهيم علم
فما احاروا به جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على لفظ ما لم يسم
فاعله اي نكسوا انفسهم على رؤسهم وقراءة رضوان بن عبد المعبود قال افتعبدون
من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما تعبدون
من دون الله افلا تعقلون اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر
اذا ... تضجر من اصرارهم على الباطل بعد انقطاع عذرهم ووضوح الحق وزهوق
الباطل فتافف بهم واللام لبيان المتافف به اي لكم ولآلهتكم هذا التافف قالوا
حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين اخذوا في المضارة لما عجزوا
عن المحاجة وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته بالحجة وافتضح لم يكن احد ابغض اليه
من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم
حين عجزوا عن المعارضة والذي اشار باحراقه نمرود وعن ابن عمر رجل من اعراب
العجم يريد الاكراد وروي انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم بنوا بيتا كالحظيرة
بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب حتى ان كانت المراة لتمرض فتقول لئن
عافاني الله تعالى لاجمعن حطبا لابراهيم ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق
في الجو من وهجها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها قلنا فنادى
جبرئيل عليه السلام يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم ويحكى ما احترقت منه
الا وثاقه وقال له جبريل حين رمي به هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال فسل

ربك قال حسبي من سوالي علمه بحالي وعن ابن عباس انما نجا بقوله حسبي الله ونعم الوكيل
واطلع عليه نمروذ من الصرح فاذا هو في روضة ومعه جليس له من الملائكة فقال
اني مقرب الى الهك فذبح اربعة آلاف وكف عن ابرهيم وكان ابرهيم اذ ذاك ابن
ستة عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب به وافظعه
ولذلك جاء لا يعذب بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اي ان كنتم
ناصرين آلهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهي
الاحراق بالنار والا فرطتم في نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا في تشهير امرها
وتفخيم شانها ولم يالوا جهدا في ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كما
مامور امر بشيء فامتثله والمعنى ذات برد وسلام فبولغ في ذلك كان ذاتها برد
وسلام والمراد ابردي فيسلم منك ابرهيم او ابردي بردا غير ضار وعن ابن عباس
لو لم يقل ذلك لاهلكته ببردها   كيف بردت النار وهي نار
نزع الله عنها طبعها الذي طبعها عليه من الحر والاحراق وابقاها على الاضاءة
والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شيء قدير ويجوز ان يدفع بقدرته
عن جسم ابرهيم اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة جهنم ويدل
عليه قوله على ابرهيم وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين وارادوا
ان يكيدوه ويمكروا به فما كانوا الا مغلوبين غالبوه بالجدال فلقنه الله
بالمبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه ونجيناه ولوطا
من العراق الى الارض التي باركنا فيها للعالمين الى الشام وبركاته الواصلة
الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرائعهم وآثارهم
الدينية وهي البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء والشجر والثمر
والخصب وطيب عيش الغني والفقير وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له
الى اين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع
اصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وروي انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة
وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا
صالحين النافلة ولد الولد وقيل سأل اسحق فاعطيه واعطي يعقوب نافلة

اي زيادة وفضلا من غير سوال وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا وفيه
ان من صلح ليكون قدوة في دين الله فالهداية محتومة عليه مامور هو بها من جهة الله ليس
له ان يخل بها ويتثاقل عنها واول ذلك ان يهتدي بنفسه لان الانتفاع بهداه
اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدي اميل واوحينا اليهم فعل الخيرات اصله
ان يفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة
وكانوا لنا عابدين ولوطا آتيناه حكما حكمة وهو ما يجب فعله او فصلا
بين الخصوم وقيل هو النبوة وعلما ونجيناه من القرية سدوم انهم كانوا
قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا اي في اهل رحمتنا او في الجنة ومنه الحديث
هذه رحمتي ارحم بها من اشاء انه من الصالحين ونوحا اذ نادى من قبل من قبل
هؤلاء المذكورين فاستجبنا له فنجيناه واهله من الكرب العظيم ونصرناه من
القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم اجمعين هو نصر الذي
مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه اي اجعلهم منتصرين
منه والكرب العظيم الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه وداود وسليمان
اذ يحكمان في الحرث اي واذكرهما واذ بدل منهما اذ نفشت فيه غنم القوم
النفش الانتشار بالليل وكنا لحكمهم شاهدين جمع الضمير لانه ارادهما والمتحاكمين
اليهما وقرئ لحكمهما ففهمناها سليمان والضمير في ففهمناها للحكومة او الفتوى
وقرئ فافهمناها حكم داود بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان وهو ابن احدى
عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال ارى ان تدفع الغنم الى
اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب الشاء يقومون
عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى الحكم
بذلك   احكما بحكم باجتهاد   قيل حكما جميعا بالوحي الا ان
حكومة داود نسخت بحكومة سليمان وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد سليمان اشبه
بالصواب   ما وجه كل واحدة من الحكومتين   اما وجه حكومة داود
فلان الضرر وقع بالغنم فسلمت بجنايتها الى المجني عليه كما قال ابو حنيفة في العبد اذا
جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعي يبيعه في ذلك او يفديه

التي كانت تعمل الخبائث

ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان في الحرث ووجه حكومة سليمان انه جعل الانتفاع
بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم واوجب
على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال اصحاب
الشافعي فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء
ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا ولو وقعت هذه الواقعة
في شريعتنا ما حكمها ابو حنيفة واصحابه لا يرون فيه ضمانا بالليل او بالنهار
الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد والشافعي يوجب الضمان بالليل وفي قوله
ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب كان مع سليمن وفي قوله وكلا
آتينا حكما وعلما دليل على انهما جميعا كانا على الصواب وسخرنا مع داود
الجبال يسبحن حال بمعنى مسبحات او استيناف كان قائلا قال كيف سخرهن فقال
يسبحن والطير اما معطوف على الجبال او مفعول معه لم قدمت الجبال
على الطير لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة وادخل في الاعجاز
لانها جماد والطير حيوان ناطق روي انه كان يمر على الجبال مسبحا وهي تجاوبه
وقيل كانت تسير معه حيث سار كيف تنطق الجبال وتسبح بان
يخلق الله تعالى فيها الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى وجواب آخر وهو
ان يسبح من راها لتسيرها بتسيير الله تعالى فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا
فاعلين اي قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل
مثل ذلك بالانبياء وعلمناه صنعة لبوس لكم اللبوس اللباس قال البس لكل حالة لبوسها
والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من سردها وحلقها داود فجمعت
الخفة والتحصين لتحصنكم من باسكم قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف
الصاد وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة او اللبوس على تاويل
الدرع والياء لداود او للبوس فهل انتم شاكرون ولسليمن الريح
عاصفة وقرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء و
النصب للعطف على الجبال وصفت هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة
اخرى فما التوفيق بينهما كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت

بكرسيه ابعدت به في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان
جمعها بين الامرين ان تكون رخاء في نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمن تجري
بامره الى الارض التي باركنا فيها وهبوبها على حسب ما يريد ويحكم آية الى آية
ومعجزة الى معجزة وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته
وكنا بكل شئ عالمين فقد احاط علمنا بكل شئ فنجري الاشياء كلها على
ما يقتضيه علمنا وحكمتنا ومن الشياطين من يغوصون له اي يغوصون له في
البحار فيستخرجون الجواهر ويعملون عملا دون ذلك ويتجاوزون ذلك الى
الاعمال والمهن وبناء المدائن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون
له ما يشاء من محاريب وكنا لهم حافظين والله حافظهم ان يزيغوا عن امره
او يبدلوا ويغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه وايوب اذ نادى
ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين اي ناداه باني مسني الضر وقرئ
اني بالكسر على اضمار القول او لتضمن النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل
شئ وبالضم الضرر في النفس من مرض او هزال فرق بين البنائين لافتراق المعنيين الطف
في السؤال حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم
يصرح بالمطلوب ويحكى ان عجوزا تعرضت لسليمن بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين
مشت جرذان بيتي على العصي فقال الطفت في السؤال لا جرم لاردنها تثب
وثب الفهود وملا بيتها حبا كان ايوب عليه السلم روميا من ولد اسحق
ابن ابرهيم عليهما السلم وقد استنباه الله تعالى وبسط عليه الدنيا وكثر اهله وماله
كان له سبعة بنين وبنات وله اصناف البهائم وخمسمائة فدان يتبعها
خمسمائة عبد لكل عبد امراة وولد ونخيل فابتلاه الله تعالى بذهاب ولده
انهدم عليهم البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة
وعن قتادة ثلث عشرة وعن مقاتل سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وقالت
له امراته يوما لو دعوت الله فقال لها كم مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا
استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي فاستجبنا
له فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا

الجرذ [illegible] والجرذان الجمع

وذكرى للعابدين فلما كشف الله عنه احيى ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي ان امراته ولدت بعده ستة وعشرين ابنا **واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين** قيل في ذي الكفل هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وكانه سمي بذلك لانه ذو الحظ من الله والمجدود على الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس وذو النون محمد واحمد عليهم الصلوة والسلم **وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه** النون الحوت فاضيف اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم عندها وقراء ابو شرف مغضبا وقرئ نقدر ونقدر مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف ويقدر ويقدر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه عقوبة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه دخل على معوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن البارحة فغرقت فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معوية فقراء هذه الاية وقال او يظن نبي الله ان لا يقدر عليه قال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على ان نقدر فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق بنزغات الشيطان وما يوسوس اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى اتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين **فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين** اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطن الحوتين وظلمة البحر اي بانه لا اله الا انت

اي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه الله الا اقراره على نفسه بالظلم **فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين** ننجي ونجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعل وقال نجي النجاء المؤمنين فارسل الياء واسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء فمتعسف بارد التعسف **وزكريا اذ نادى ربه رب لا تذرني فردا** سال ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رد امره الى الله مستسلما فقال **وانت خير الوارثين** اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير وارث **فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه** اصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولادة بعد عقرها وقيل بتحسين خلقها وكانت سيئة الخلق **انهم كانوا في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا** الضمير للمذكورين من الانبياء يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادون وقرئ رغبا ورهبا بالاسكان وهو كقوله يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه **وكانوا لنا خاشعين** قال الحسن ذللا لامر الله تعالى وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين وسئل الاعمش فقال اما اني سألت ابرهيم فقال الا تدري قلت افدني قال بينه وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه فليرى الله منه خيرا لعلك ترى انه ان ياكل خشنا ويلبس خشنا ويطاطئ راسه **والتي احصنت فرجها** احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر ولم اك بغيا **فنفخنا فيها من روحنا** نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله **فنفخنا فيها من روحنا** ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبرئيل عليه السلم لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها **وجعلناها وابنها آية للعالمين** هلا قيل آيتين كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين لان حالهما

يسارعون

آية واحدة وهي ولادتها اياه من غير فحل إن هذه أمتكم أمة واحدة الامة الملة
وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها
لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وأنا ربكم فاعبدون
وانا الهكم اله واحد فاعبدون ونصب الحسن امتكم على البدل من هذه ورفع امة
خبرا وعنه رفعهما جميعا خبرين لهذه او نوى للثاني مبتداء والخطاب للناس كافة
وتقطعوا أمرهم بينهم الاصل وتقطعتم الا ان الكلام حرف الى الغيبة على طريقة
الالتفات كانه ينعي عليهم ما افسدوه الى آخرين ويقبح عندهم فعلهم ويقول لهم
الا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم فيما بينهم
قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا
لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى كل إلينا راجعون ثم توعدهم
بان هؤلاء الفرق المختلفة اليه يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم فمن يعمل من الصالحات
وهو مؤمن فلا كفران لسعيه الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في
اعطائه اذا قيل لله شكور وقد نفي نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه
وإنا له كاتبون اي نحن كاتبو ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه
فهو غير ضايع ومثاب عليه صاحبه وحرام على قرية استعير الحرام للممتنع وجوده
ومنه قوله تعالى إن الله حرمهما على الكافرين اي منعهما منهم وابى ان يكونا لهم وقرئ
وحرم بالفتح والكسر ومعنى أهلكناها عزمنا على اهلاكها او قدرنا أنهم لا يرجعون
ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة ومجاز الآية ان قوما عزم الله
على اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم القيمة ثم يرجعون ويقولون
يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوع على قلوبهم فلا يزولون
عن كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب الاليم وقرئ انهم بالكسر وحق هذا ان يتم الكلام
قبله فلا بد من تقدير محذوف كانه قيل وحرام على قرية اهلكناها ذلك وهو المذكور في
الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم لا يرجعون عن
الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا اي لانهم لا يرجعون ولا صلة على الوجه
الاول حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج حتى متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيمة وهي
حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في
حيزها حذف المضاف الى يأجوج ومأجوج وهو سدهما كما حذف المضاف الى القرية
وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال
الناس عشرة اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى
المحشر وقيل هم يأجوج ومأجوج يخرجون حين يفتح السد من كل حدب ينسلون
الحدب النشز من الارض وقرأ ابن عباس من كل جدث وهو القبر الثاء حجازية والفاء
تميمية وقرئ ينسلون بضم السين ونسل وعسل اسرع وإذا هي إذا للمفاجاة وهي
تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى إذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء معها
تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة
كان سديدا هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا
واسروا يا ويلنا متعلق بمحذوف تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع
الحال من الذين كفروا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين إنكم
وما تعبدون من دون الله يحتمل الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم في حكم عبدتهم
ويصدقه ما روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في
الحطيم حول الكعبة ثلثماية وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى افحمه ثم تلا عليهم إنكم وما تعبدون من دون
الله الآية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم فاخبره
الوليد بن المغيرة بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عبد الله اما والله
لو وجدته لخصمته فدعوه فقال ابن الزبعرى أانت قلت ذلك قال نعم قال قد
خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح
عبدوا الملائكة فقال بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل
الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون يعني عزيرا والمسيح
والملائكة لم قرنوا بآلهتهم لانهم لا يزالون لمقارنتهم في زيادة غم
وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب

وأقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة

حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون

ولانهم قدروا انهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا
صادفوا الامر على عكس ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم منهم اذا عبدت
بما تعبدون من الاصنام فما معنى لهم فيها زفير اذا كانوا هم واصنامهم في
قرن واحدا بان يقال لهم فيها زفير وان لم يكن الزافرين الا هم دون الاصنام
للتغليب ولعموم الناس والحصب المحصوب به اي يحصب بهم في النار والحصب
الرمي وقرئ بسكون الصاد وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا
وساكنا وعن ابن مسعود يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله
كما يعميهم لا يسمعون الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن تأنيث الاحسن
اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة يروى ان عليا رضي الله عنه
قرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد
وسعيد وعبد الرحمن بن عوف ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه وهو يقول
لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت الذي يحس وهم فيما اشتهت
انفسهم خالدون والشهوة طلب النفس اللذة لا يحزنهم وقرئ لا يحزنهم
من احزن الفزع الاكبر قيل النفخة الاخيرة لقوله يوم ينفخ في الصور
ففزع من في السموات ومن في الارض وعن الحسن الانصراف الى النار وعن
الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش املح اي
تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم
الذي وعدكم ربكم قد حل يوم نطوي السماء ظرف لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم
وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول كطي السجل للكتب والسجل بوزن العتل
والسجل بوزن الدلو وقرئ فيه الكسر وهو الصحيفة اي كما يطوى الطومار
للكتابة اي ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع
على المكتوب ومن جمع نعتا للكتابات اي لما تكتب فيه من المعاني الكثيرة و
قيل السجل ملك يطوي كتب بني آدم اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة المكتوب فيها كما بدأنا
اول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة او المعنى نبدا اول

وتتلقاهم الملائكة
كطي السجل للكتاب العامل في
هذا يومكم الذي كنتم توعدون

اول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما على السواء
وما اول الخلق حتى نعيده كما بدأناه اوله ايجاده عن العدم فكما
اوجده اولا عن عدم نعيده ثانيا عن عدم ما بال الخلق منكرا
هو كقولك هو اول رجل جاءني تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة
تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك معنى اول خلق اول الخلائق لان الخلق مصدر لا
يجمع ووجه آخر وهو ان ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة
اي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي بدأناه
واول خلق ظرف لبدأناه اي ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط
الثابت في المعنى وعدا علينا مصدر مؤكد لان قوله نعيده عدة للاعادة انا
كنا فاعلين اي قادرين على ان نفعل ذلك ولقد كتبنا في الزبور من
بعد الذكر عن الشعبي زبور داود والذكر التوراة وقيل اسم لجنس ما
انزل على الانبياء من الكتب والذكر ام الكتاب يعني اللوح ان الارض يرثها
عبادي الصالحون اي يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه
استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي ارض الجنة وقيل الارض المقدسة يرثها امة
محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين الاشارة الى المذكور
في هذه السورة من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ
الكفاية وما يبلغ به البغية وما ارسلناك الا رحمة للعالمين الاشارة الى
المذكور ارسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحمة للعالمين لانه جاء بما
يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما اتى من عند نفسه حيث ضيع
نصيبه منها وشاكله ان يجعل الله عينا عذبة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم و
ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للكفار
من حيث ان عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال قل انما
يوحى الي انما لقصر الحكم على شيء او لقصر الشيء على حكم كذلك انما زيد قائم و

يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الآية لأن انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة
انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قايم وفايدة اجتماعهما
الدلالة على ان الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقصور على استيثار
الله بالوحدانية وفي قوله فهل انتم مسلمون ان الوحي الوارد على هذا السنن
موجب ان تخلصوا التوحيد لله وان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية
يصح ان يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون المعنى يوحى الي فيكون ما موصولة فان
تولوا فقل آذنتكم آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله في الجري
مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله وقول ابن حلزة
آذنتنا ببينها اسماء والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم
من وجوب توحيد الله وتنزيهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين
اعدايه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم العهد وشهر النبذ واشاعه وآذنهم
جميعا بذلك على سواء اي مستوين في الاعلام به لم يطوه عن احد منهم وكاشف
كلهم وقشر العصا عن لحائها وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون
وما توعدون من غلبة المسلمين عليكم كاين لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك
الذلة والصغار وان كنت لا ادري متى يكون ذلك لان الله لم يعلمني علمه ولم يطلعني
عليه انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون ان الله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون
به من كلام الطعانين في الاسلام وما تكتمونه في صدوركم من الاحن والاحقاد
للمسلمين وهو مجازيكم عليه وان ادري وما ادري لعله تاخير هذا الموعد
فتنة امتحان لكم لينظر كيف تعملون ومتاع او تمتيع لكم الى حين ليكون
ذلك حجة عليكم وليقع الموعد في وقت هو فيه حكمة قل رب احكم على الاكتفاء بالكسر
ورب احكم على الضم ورب احكم على افعل التفضيل وربي احكم من الاحكام امر باستعجال
العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم
كما قال اشدد وطأتك على مضر وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون
قرئ تصفون بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف ما جرت عليه وكانوا يطمعون
ان يكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب امالهم ونصر رسول الله صلى الله

قرئ قل وقال على حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صح

الدين حفظني قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الله عليه وآله وسلم من قرأ اقترب للناس حاسبه الله تعالى
حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل من ذكر اسمه في القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة
الساعة شيء عظيم الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء
عن مقارها ومراكزها ولا تخلو الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كأنها هي
التي تزلزل الاشياء على المجاز الحكمي فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على
تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع في الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله بل مكر
الليل والنهار وهي الزلزلة المذكورة في قوله اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف في
وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن علقمة والشعبي عند طلوع الشمس من مغربها
امر بني آدم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر الساعة ووصفها باهول صفة
لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى يبقوا على انفسهم و
يرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردي بلباس التقوى
الذي لا يؤمنهم من تلك الافزاع الا ان يتردوا به وروي ان هاتين الآيتين نزلتا بالليل في
غزوة بني المصطلق فقرأهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم ير اكثر باكيا من تلك
الليلة لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا و
كانوا من بين حزين وباك ومفكر يوم ترونها تذهل كل مرضعة يوم منصوب بتذهل
والضمير للزلزلة والذهول الذهاب عن الامر مع دهشة   لم قيل مرضعة
دون مرضع   المرضعة التي هي في حال الارضاع ملقمة ثديها الصبي والمرضع
التي شأنها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع في حال وصفها به فقيل مرضعة ليدل
على ان ذلك الهول اذا فوجئت هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته عن فيه لما
يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذي ارضعته وهو الطفل
وعن الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع كل ذات حمل حملها

وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام وقرئ وترى بالضم من اريتك قائما او رأيتك قائما
والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وانث على
تاويل الجماعة **سكارى** وقرئ سكرى وسكرى وهو نظير جوعى وعطشى في جوعان
وعطشان وسكارى اي كالسكارى للتشبيه **وما هم بسكارى** على التحقيق ولكن ما ارهقهم
من خوف عذاب الله هو الذي اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب
السكر بعقله وتمييزه وقيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من
الشراب لم قيل اولا ترون ثم قيل ترى على الافراد لان الرؤية معلقة
بالزلزلة فجعل الناس جميعا رائين لها وهي معلقة اخيرا بكون الناس على حال
السكر فلا بد ان يجعل كل واحد منهم رائيا لسائرهم **ولكن عذاب الله
شديد ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان
مريد** قيل نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله
والقرآن اساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلي وصار ترابا وهي
عامة في كل من تعاطى الجدال فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا
يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع وليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على
النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل ويتبع في ذلك خطوات
كل شيطان عات علم من حاله وظهر وتبين انه من جعله وليا له لم يثمر له ولايته الا
الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما ارى رؤساء اهل الاهواء و
البدع والحشوية المتلقبين بالامامة في دين الله الا داخلين تحت كل هذا وهم
اولياء بل هم اشد الشياطين اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال
تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم ساطوه بلحومهم ودمائهم واياهم عنى
من قال ويا رب مقفو الخطى بين قومه طريق نجاة عندهم ولو قرأوا في اللوح ما خط
فيه ما خط فيه من بيان اعوجاج في طريقته نجوا اللهم ثبتنا على المعتقد الصحيح الذي
رضيته لملائكتك في سمواتك وانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك الصالحين
كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير والكتبة عليه مثل اي
كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله وقرئ انه فانه بالفتح

والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية المكتوب
كما هو كانما كتب عليه الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد او على تقدير قيل
او على ان كتب فيه معنى القول **يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث**
قراءة الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الحلب والطرد في الحلب والطرد كانه قيل ان
ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم **فانا خلقناكم من تراب ثم
من نطفة ثم من علقة** والعلقة قطعة الدم الجامدة **ثم من مضغة** والمضغة
اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ **مخلقة وغير مخلقة** المخلقة المسواة الملساء من
النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء
اذا كانت ملساء كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة
املس من العيوب ومنها ما هو على عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس
في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من
حال الى حال ومن خلقة الى خلقة **لنبين لكم** بهذا التدريج قدرتنا
وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا
تناسب بين التراب والماء وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر
ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما قدر على اعادة ما ابدأه بل هذا ادخل
في القدرة من تلك واهون في القياس وورود الفعل غير معدى الى المبين
اعلام بان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر ولا
يحيط به الوصف **ونقر في الارحام ما نشاء الى اجل مسمى** قرأ ابن عبلة ليبين
لكم ويقر بالياء **ثم نخرجكم طفلا** وقرئ ونقر ونخرجكم بالنون والنصب ويقر
ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم القاف من قر الماء
اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما يشاء ان يقره من ذلك
الى اجل مسمى وهو وقت الوضع آخر ستة اشهر او تسعة او سنتين او اربع او
كما شاء وقدر وما لم يشأ اقراره مجته الارحام او اسقطته والقراءة بالنصب
تعليل معطوف على تعليل ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما
ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر حتى يولدوا وينشأوا

وتبلغوا احدا لتكليف فاكلفهم وبعضهم هذا القراءة قوله ثم لتبلغوا اشدكم
وحده لان الغرض الدلالة على الجنس وتحميل الحرج كل واحد منكم طفلا الاشد كمال القوة
والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاسد والقيود
وغير ذلك وكانها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع ومنكم
من يتوفى اي يتوفاه الله تعالى ومنكم من يرد الى ارذل العمر الهرم والخرف
حتى يعود كهيئته الاولى في اوان الطفولية ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم
بين انه كما قدر ان يرقيه في درجات الزيادة حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على
ان يحطه حتى ينتهي به الى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي لكي يصير
نساء بحيث اذا كسب علما في شيء لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه حتى يسأله عنه
من ساعته يقول لك من هذا فيقول فلان فما يلبث لحظة الا سألك عنه وقرأ
ابو عمرو والعمر بسكون الميم وترى الارض هامدة الهامدة الميتة اليابسة وهذه
دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مشاهدة معاينة كررها الله تعالى
في كتابه فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ
ربأت اي ارتفعت وانبتت من كل زوج بهيج الحسن السار للناظر اليه
ذلك اي ذلك الذي ذكرنا من خلق آدم واحياء الارض مع ما في ذلك عن ذلك
من اصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب في حصوله ولولاه لم يتصور
وهو بان الله هو الحق اي الثابت الوجود وانه يحيي الموتى وانه قادر على احياء
الموتى وعلى كل مقدور وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث
من في القبور انه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما
وعد ثاني عطفه وثني العطف عبارة عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولي الجيد
وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه بفتح العين اي مانع تعطفه
ليضل عن سبيل الله تعليل للجادل له قرئ بضم الياء وفتحها ما كان من
في جداله الضلال عن سبيل الله فكيف عدد به وما كان ايضا مهتديا حتى اذا
خرج بالجدال من الضلال جعل كانه غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه
واعرض عنه واقبل على الجدال الباطل جعل كالخارج من الهدى الى الضلال له في الدنيا

وانه على كل شيء قدير

خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق فخزيه ما اصابه يوم بدر من
الصغار والقتل ذلك بما قدمت يداك والسبب فيما لقيه من خزي الدنيا و
عذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وان الله ليس بظلام للعبيد عدل الله
في معاقبة الفجار واثابة الصالحين ومن الناس من يعبد الله على حرف على طرف
من الدين لا في وسطه وقلبه فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته
فتنة انقلب على وجهه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم
لا على سكون وطمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة
قر واطمأن والا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة فكان احدهم
اذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا وولدت امراته غلاما وكثر ماله وماشيته
قال ما اصبت منذ دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه
قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي سعيد الخدري ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته
مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام
لا يقال خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين المصاب بالمحنة بترك
التسليم لقضاء الله والخروج الى ما يسخط الله تعالى جامع على نفسه محنتين احداهما
ذهاب ما اصيب به والثانية ذهاب ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ
خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب على الحال والرفع على الفاعلية ووضع
الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن او على انه خبر مبتدأ يدعوا من دون الله
ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد استعير الضلال البعيد من
ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة ضلالته الضرر
والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض اذا حصل
المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه يعبد جمادا لا
ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله انه يستشفع به حين يستشفع به
ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين رأى استضراره بالاصنام
ودخوله النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره اقرب
من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير وكرر يدعوا كانه يدعوا من دون الله

يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه

لا يضره ولا ينفعه ثم قال لمن ضره بكونه معبودا أقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس
المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير لام المولى الناصر العشير الصاحب كقوله
وبئس القرين إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها
الأنهار إن الله يفعل ما يريد من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا
والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده
ما يغيظ هذا كلام قد دخله اختصار والمعنى أن الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة
فمن كان يظن من حاسديه وأعاديه أن الله يفعل خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه
أنه يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في إزالة ما يغيظه بأن يفعل
ما يفعله من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا إلى سماء بيته فاختنق فلينظر
وليتصور في نفسه أنه إن فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي الاختناق
قطعا لأن المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا
لأنه وضعه موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره أو على سبيل الاستهزاء لأنه لم يكد به
محسوده إنما كاد به نفسه والمراد ليس في يده إلا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد
بحبل إلى السماء المظلة وليصعد عليه فليقطع الوحي أن ينزل عليه وقيل قوم من المسلمين
لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر
وآخرون من المشركين يريدون اتباعه ويخشون أن لا يثبت أمره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق
وقيل معناه أن الأرزاق بيد الله لا تنال إلا بمشيئة الله تعالى ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن
ظن أن الله تعالى غير رازقه وليس به صبر واستسلام فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق
فإن ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك أي مثل ذلك الإنزال أنزلناه
القرآن كله آيات بينات وأن الله يهدي من يريد ولأن الله تعالى يهدي به الذين
يعلم أنهم يؤمنون أو يثبت الذين آمنوا ويزيدهم هدى أنزله كذلك مبينا الفصل
مطلقا يحتمل إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين
أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة يحتمل الفصل بينهم في الأحوال و
الأماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد
وقيل الأديان خمسة أربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لأنهم

نوع منهم وقيل يفصل بينهم أي يقضي بينهم أي بين المؤمنين والكافرين إن الله على
كل شيء شهيد وأدخلت إن على كل واحد من جزئي الجملة لزيادة التأكيد
ونحوه قول جرير إن الخليفة إن الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم ألم تر أن الله
يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال و
الشجر والدواب يسمى مطاوعتها له فيما يحدث فيها من أفعاله ويجريها عليه من
تدبيره وتسخيره لها سجودا له تشبيها لمطاوعتها بإدخال أفعال المكلف في باب
الطاعة والانقياد وهو السجود الذي كل خضوع دونه فإن قلت فما تصنع بقوله
وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراضين أحدهما أن السجود على المعنى الذي
فسرته به لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني أن السجود قد أسند على سبيل
العموم إلى من في الأرض من الإنس والجن أولا فإسناده إلى كثير منهم آخرا
مناقضة لا أنظم كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة تحت حكم الفعل
وإنما أرفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد أي يسجد له كثير من الناس سجود طاعة
وعبادة ولم أقل أفسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء
لأن اللفظ لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين أو أرفعه على الابتداء
والخبر محذوف وهو مثاب لأن خبر مقابله يدل عليه وهو قوله وكثير حق عليه
العذاب ويجوز أن يجعل من الناس خبرا له أي من الناس الذين هم الناس على
الحقيقة وهم الصالحون والمتقون ويجوز أن يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب بعطف
كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم العذاب كأنه قيل وكثير وكثير من الناس حق
عليه العذاب وقرئ حق بالضم وقرئ حقا أي حق عليهم العذاب حقا ومن يهن الله
بأن كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره أو فسقه فقد بقي مهانا لن يجد له
وقرئ بفتح الراء بمعنى الإكرام إن الله يفعل ما يشاء من الإكرام والإهانة
ولا يشاء من ذلك إلا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين هذان
خصمان الخصم صفة وصف بها الفوج أو الفريق فكأنه قيل هذان فوجان
أو فريقان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى كقوله ومنهم من يستمع
إليك حتى إذا خرجوا ولو قيل هؤلاء خصمان أو اختصما جاز يراد المؤمنون و

ومن يهن الله فما له من مكرم

الكافرون قال ابن عباس رضي الله عنهما رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم اي في دينه
وصفاته وروي ان اهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن احق بالله تعالى واقدم منكم كتابا ونبينا
قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن احق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما انزل الله من
كتاب الله وانتم تعرفون كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم
في ربهم فالذين كفروا هو فصل الخصومة المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم
يوم القيمة وفي تعاية عن الخصمان الكسي قطعت لهم ثياب وقرئ قطعت بالتخفيف كان
الله يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل بدنهم كما تقطع الثياب الملبوسة ونحو
ان تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كالثياب المظاهرة على اللابس بعضها
فوق بعض ونحو سرابيلهم من قطران يصب من فوق رؤسهم الحميم الماء الحار
عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر به يذاب وعن
الحسن بتشديد الهاء للمبالغة ما في بطونهم والجلود اي اذا صب الحميم على
رؤسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر فيذيب احشاءهم وامعاءهم كما
يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ولهم
مقامع من حديد المقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في الارض
فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا
فيها وقرأ الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكونان الا بعد الخروج فالمعنى
كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج ما روي
عن الحسن ان النار تضربهم بلهبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا بالمقامع
فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ
من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يحلون فيها من اساور
من ذهب حليون عن ابن عباس رضي الله عنهما من حليت المرأة فهي حالية ولؤلؤا بالنصب عطفا على محلها
ويؤتون لؤلؤا كقوله وحورا عينا ولولؤا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما
واوين ثم قلب الثانية ياء كادل ولول كادل فهو جر ولولو بقلبهما واوين
وهدوا الى الطيب من القول وهداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله

الكسائي

الذي صدقنا وعده وهدوا الى صراط الحميد وهو الطريق الى الجنة ان
الذين كفروا ويصدون يقال فلان يحسن الى الفقراء وينعش المظلوم
لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار وجود الاحسان منه والنعشة في جميع
ازمنته واوقاته ومنه قوله ويصدون عن سبيل الله اي الصدود منهم مستمر دائم
والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس اي الذي يحرم عليهم استعماله للناس من غير
فرق بين حاضر وباد وناء وطارئ ومكي وآفاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة
قائلين ان المراد بالمسجد الحرام مكة واجارتها وعند الشافعي لا يمنع ذلك وقد حاور
اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وقد نسب الديار
الى مالكيها او غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب رض دار السجن من مالكيه او
غير مالكيه سواء بالنصب قراءة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب انه
ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا العاكف فيه والباد وفي القراءة
بالرفع الجملة مفعول ثان ومن يرد فيه بالحاد الالحاد العدول عن القصد واصله
الالحاد الحافر وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفان ومفعول يرد متروك
ليتناول كل متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما
نذقه من عذاب اليم يعني ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق
السداد والعدل في جميع ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس
عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله
وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان احدهما في الحل والآخر في الحرم
فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا نحدث ان من الالحاد
فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح الياء من الورود ومعناه
من اتى فيه بالحاد ظالما لما عن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه
على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومحله من يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف
لدلالة جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم
من عذاب اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك واذ بوأنا لابراهيم مكان
البيت واذكر حين جعلنا لابراهيم مكان البيت مباءة اي مرجعا يرجع اليه للعمارة

والعبادة رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوتة حمراء فاعلم الله تعالى
ابرهيم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم وان
هي المفسرة كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوية
قلنا كانت التبوية مقصودة من اجل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابرهيم وقلنا له
لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله و
يشرك بالياء على الغيب وأذن في الناس ناد فيهم وقراءة ابن محيصن وآذن والنداء
بالحج ان يقول حجوا او عليكم بالحج وروي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس
حجوا بيت ربكم وعن الحسن انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امر ان يفعل
في حجة الوداع يأتوك رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم الراء
مخفف الجيم ومثقله ورجالى كعجالى عن ابن عباس وعلى كل ضامر حال معطوفة
على حال كانه قيل رجالا وركبانا يأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ يأتون
صفة للرجال والركبان من كل فج عميق طريق بعيد وقراءة ابن مسعود معيق
يقال بير بعيدة العمق والمعق ليشهدوا منافع لهم نكر المنافع لانه اراد منافع مختصة
بهذه العبادة دينية ودنياوية لا توجد في غيرها من العبادات وعن ابي حنيفة
انه كان يفاضل بين العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص ويذكروا اسم
الله في ايام معلومات كنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا
ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا وفيه تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب
الى الله ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا ان جمع بين قوله ليذكروا اسم الله
وبين قوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات من بهيمة الانعام
لم ير شيئا من ذلك الحسن والروعة الايام المعلومات ايام العشر عند ابي حنيفة
وهو قول الحسن وقتادة وعند صاحبيه ايام النحر البهيمة المبهمة في كل ذات اربع
في البر والبحر فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز فكلوا منها الامر
بالاكل منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا لا ياكلون من نسائكهم ويجوز
ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم ومن استعمال التواضع
ومن ثم استحب الفقهاء ان ياكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن ابن مسعود

أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود

يأتوك

انه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعني ابنه وفي
الحديث كلوا وادخروا وائتجروا واطعموا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير
الذي اضعفه الاعسار ثم ليقضوا تفثهم اقضاء التفث قص الشارب والاظفار
ونتف الابط والاستحداد والتفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث وليوفوا
وليوفوا بتشديد الفاء نذورهم مواجب حجهم او ما عسى ينذرون من اعمال البر في
حجهم وليطوفوا طواف الافاضة وهو طواف الزيارة الذي هو من اركان الحج ويقع
به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع بالبيت العتيق القديم لانه اول بيت وضع
للناس عن الحسن وعن قتادة اعتق من الجبابرة فكم من جبار سار اليه ليهدمه فمنعه الله
وعن مجاهد لم يملك قط وعن مجاهد اعتق من الغرق وقيل بيت كريم من قولهم عتاق الخيل
والطير قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع ما قصد التسلط على البيت وانما
تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط عليه ابرهة فعل به ما فعل
ذلك خبر مبتدإ محذوف اي الامر والشان ذلك كما يقدم الكاتب جملة من كتابه في بعض
المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى آخر قال هذا وقد كان كذا ومن يعظم حرمات الله
الحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل ان
يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم الحرمات
خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو
خير له اي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام
بمراعاتها عند ربه واحلت لكم الانعام الا ما يتلى عليكم المتلو
من الانعام ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه وذلك في سورة المائدة حرمت
عليكم الميتة والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه في كتابه
فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل شيئا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة والسائبة
وغير ذلك وان تحلوا ما حرم الله كاحلال اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك فاجتنبوا
الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور لما حث على تعظيم حرماته واحمد من يعظمها
اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور في قران واحد وذلك ان الشرك من باب الزور
لان المشرك زاعم ان الوثن تحق له العبادة فكأنه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي رأس الزور

بالبيت

الزور واجتنبوا قول الزور كله لا تقربوا شيئاً منه لتماديه في القبح والسماجة وما
ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام
على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا
عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه على هذا المعنى بقوله رجس من عمل
الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه انه رجس والرجس مجتنب من الاوثان
بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس مبهم متناول
غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار
وهو الانحراف كما ان الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال
وهذا حرام وما اشبه ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما واستقبل الناس بوجهه وقال عدلت
شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة
الزور الاشراك بالله وتلى هذه الآية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول اهل الجاهلية
في تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك حنفاء لله غير
مشركين به ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير يجوز
في هذا التشبيه ان يكون من المركب او المفرق فان كان تشبيها مركبا فكانه
قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور حاله بصورة حال
من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او تهوي به الريح
في مكان سحيق او عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة وان كان
مفرقا فقد شبه الايمان في علوه بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط
من السماء والاهواء التي تتوزع افكاره بالطير المختطفة والشيطان الذي يطرحه
في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت به في بعض المهاوي المتلفة وقرئ فتخطفه
بكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهي قراءة الحسن واصلها تختطفه وقرئ الرياح
ذلك ومن يعظم شعائر الله تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج
ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها
فقد كانوا يغالون في ثلث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة وروي عن عمر

عن ابيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مائة بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب
وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة
الله تعالى في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر عظيم لا بد ان يقام به ويسارع فيه
فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي تقوى القلوب فحذفت هذه
المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من الجزاء الى من ليرتبط
وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها في سائر
الاعضاء لكم فيها منافع الى اجل مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويؤكل منها
ثم للتراخي في الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع
كثيرة في دنياكم ودينكم وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا
والله يريد الآخرة واعظم هذه المنافع وابعدها شوطا في النفع محلها الى البيت
اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم
الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا
البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده وقيل المراد بالشعائر المناسك كلها ومحلها
الى البيت العتيق يأباه ولكل امة جعلنا منسكا شرع لكل امة ان ينسكوا
له اي يذبحوا لوجهه على التقرب ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة
الانعام جعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماؤه على المناسك وقرئ منسكا
بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور يكون بمعنى الموضع فالهكم
اله واحد فله اسلموا اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما اي
خالصا لا يشوبه اشراك وبشر المخبتين المخبتون المتواضعون الخاشعون من
الخبت وهو المطمئن من الارض وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما اصابهم والمقيمي
الصلوة ومما رزقناهم ينفقون قرأ الحسن والمقيمي الصلوة بالنصب على تقدير النون
وقرأ ابن مسعود والمقيمين الصلوة على الاصل والبدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها

وهي الابل خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحق البقر بالابل حين قال
البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة فجعل البقر في حكم الابل صارت البدنة في الشريعة
متناولة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه والا فالبدن هي الابل وعليه تدل الآية وعن
الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وعن ابن ابي اسحق بالضمتين وتشديد النون على
لفظ الوقف وقرئ بالرفع والنصب كقوله والقمر قدرناه **جعلناها لكم من شعائر الله**
اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافها الى اسمه تعظيما لها **لكم فيها**
خير كقوله لكم فيها منافع ومن شان الحاج ان يحرص على شيء فيه خير ومنافع بشهادة
الله عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك
فقال سمعت ربي يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا وآخرة وعن ابراهيم من
احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج الى لبنها شرب **فاذكروا اسم الله عليها**
وذكر اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك
واليك **صواف** قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفون الفرس
وهو ان يقوم على ثلث وقرئ صوافي اي خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافا
بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق عند الوقف وعن بعضهم صواف نحو مثل العرب اعط
القوس باريها بسكون الياء **فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها** وجوب الجنوب
وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس جبة غربت والمعنى
فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسائسها حل لكم الاكل منها **واطعموا القانع**
القانع السائل من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت وسالته قنوعا **والمعتر** المعترض
بغير سؤال او القانع الراضي بما عنده وبما يعطى من غير سؤال من قنعت قنعا وقناعة
والمعتر المعترض من السؤال وقرأ الحسن والمعتري وعره وعراه واعتره واعتراه
بمعنى وقرأ ابو رجاء القنع لا غير يقال قنع وقانع من الله على عباده واستحمد اليهم
بان سخر لهم البدن **كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون** مثل التسخير الذي
باوا وعلموا باخذ منها منقادة للاخذ طبعه فيعقلونها ويحبسونها صافة قوائمها
ثم يطعنون في لباتها ولولا تسخير الله تعالى لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التي
هي اصغر منها جرما واقل قوة وكفى بما تابد من الابل شاهدا وعبرة **لن ينال الله**

٦١٥

لحومها ولا دماؤها اي لن يصيب رضى الله اللحوم والمتصدق بها ولن يرضى المضحون
والمقربون ربهم الا بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في حل
ما قرب به وغير ذلك من المحافظات الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم
تغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم وقرئ لن ينال الله **ولكن يناله**
التقوى منكم بالياء والتاء وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا
الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت **كذلك**
سخرها لكم كرر تذكير النعمة بالتسخير ثم قال **لتكبروا الله على ما هداكم**
ولعلكم تشكرون لتشكروا الله تعالى على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك
حجه بان تكبروا وتهللوا فاختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدي تعديته
ان الله يدافع عن الذين آمنوا خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم
كما قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها
نصر من الله وفتح قريب **ان الله لا يحب كل خوان كفور** جعل العلة في ذلك
انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله والرسول ويخونون
اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ يدافع اي يبالغ في الدفع عنهم
كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجيء اقوى وابلغ **اذن للذين يقاتلون** وقرئ
على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى اذن لهم في القتال فحذف المأذون
فيه لدلالة يقاتلون عليه **بانهم ظلموا** اي بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان مشركوا مكة يؤذونهم اذى شديدا
وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين مضروب ومشجوج يتظلمون اليه
فيقول لهم اصبروا فاني لم أؤمر بالقتال حتى هاجروا فانزلت هذه الآية وهي
اول آية اذن فيها بالقتال بعدما نهي عنه في نيف وسبعين آية وقيل نزلت في قوم
خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركوا مكة فاذن لهم في مقاتلتهم **وان الله**
على نصرهم لقدير الاخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة
على سنن الكلام ومامر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل هذه العدة **الذين اخرجوا**
من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله الابدال من خوا اي بغير موجب

في محل الجر على صح

سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب الإقرار والتمكين لا موجب الإخراج والتسيير
ومثله هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾
دفع الله الناس بعضهم ببعض إظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين ﴿لهدمت
صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا﴾
ولولا ذلك لاستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمنتهم وعلى متعبداتهم
ولم يتركوا للنصارى بيعا ولرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد
ولغلب المشركون في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين
في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة
صلاة لأنه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوتا ﴿ولينصرن الله
من ينصره إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ هو إخبار من الله
بظهر الغيب عما سيكون عليه سيرة المهاجرين إن مكنهم في الأرض وبسط لهم في الدنيا كيف
يقومون بأمر الدين وعن عثمان هذا والله ثناء قبل بلاء يريد أن الله قد أثنى عليهم قبل أن
يحدثوا بالخير ما أحدثوا وقالوا فيه دليل على صحة أمر الخلفاء الراشدين لأن الله تعالى لم
يعط التمكين ونفاذ الأمر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في ذلك للأنصار
والطلقاء وعن الحسن هم أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الذين منصوب بدل من
قوله من ينصره والظاهر أنه مجرور تابع للذين أخرجوا ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ أي مرجعها
إلى حكمه وتقديره وفيه تأكيد لما وعده من إظهار أوليائه وإعلاء كلمتهم ﴿وإن
يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبرهيم وقوم لوط وأصحاب مدين﴾
يقول لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم تسلية له بأوحدي في التكذيب فقد كذبت الرسل قبلك
أقوامهم وكفاك بهم أسوة لم قيل ﴿وكذب موسى﴾ ولم يقل وقوم موسى
لأن موسى ما كذبه قومه بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شيء آخر كأنه
قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم
معجزاته فما ظنك بغيره ﴿فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير﴾ النكير
بمعنى الإنكار والتغيير حيث أبدلهم بالنعمة محنة وبالحيوة هلاكا وبالعمارة خرابا

أي بنصره دينه وأوليائه

﴿وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية﴾ كل مرتفع أظلك من سقف
بيت أو خيمة أو ظلة أو كرم فهو عرش والخاوي الساقط من خوى النجم إذا سقط أو
من خوى المنزل إذا خلا من أهله وخوى بطن الحامل وقوله ﴿على عروشها﴾ لا يخلو من
أن يتعلق بخاوية فيكون المعنى أنها ساقطة على سقوفها أي خرت سقوفها على الأرض
ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف أي أنها ساقطة أو أنها ساقطة أو خالية
مع بقاء عروشها وسلامتها وإما أن يكون خبرا بعد خبر كأنه قيل هي خالية وهي
على عروشها أي قائمة مطلة على عروشها على معنى أن السقوف سقطت إلى الأرض فصارت
في قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهي مشرفة على السقوف الساقطة
ما محل الجملتين من الإعراب أعني وهي ظالمة فهي خاوية الأولى في محل النصب على الحال
والثانية لا محل لها لأنها معطوفة على أهلكناها وهذا الفعل ليس له محل ﴿وبئر
معطلة﴾ من أعطله بمعنى عطله ومعنى المعطلة أنها عامرة فيها الماء ومعها آلات
الاستقاء إلا أنها عطلت أي تركت لا يستقى منها لهلاك أهلها ﴿وقصر مشيد﴾ أخليناه
عن ساكنيه فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفي هذا دليل على أن على عروشها
بمعنى مع أوجه وروي أن هذه بئر نزل عليها صالح مع أربعة آلاف نفر ممن آمن به
ونجاهم الله تعالى من العذاب وهي بحضرموت وإنما سميت بذلك لأن صالحا حين حضرها
مات وثم بلدة اسمها حاضوراء بناها قوم صالح وأمروا عليهم جلهس بن جلاس
وأقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وأرسل الله تعالى عليهم حنظلة بن صفوان
نبيا فقتلوه فأهلكهم الله تعالى وعطل بئرهم وخرب قصورهم ﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾
يحتمل أنهم لم يسافروا فحثوا على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم
ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وأن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا
فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا ﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها
أو آذان يسمعون بها﴾ وقرئ فيكون بالياء أي يعقلون ما يجب أن يعقل من التوحيد
ويسمعون ما يجب سماعه من الوحي ﴿فإنها لا تعمى الأبصار﴾ الضمير ضمير الشأن والقصة
يجيء مذكرا ومؤنثا وفي قراءة ابن مسعود فإنه ويجوز أن يكون ضميرا مبهما يفسره
الأبصار وفي تعمى ضمير راجع إليه والمعنى أن أبصارهم صحيحة سالمة لا عمى بها وإنما

العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار فكانه ليس بعمى بالاضافة الى عمى القلوب
اي فائدة في ذكر الصدور الذي قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقة مكانه
البصر وهو ان تصاب الحدقة بما يطمس نورها واستعماله في القلب استعارة ومثل
فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من نسبة العمى الى القلوب حقيقة ونفيه عن الابصار احتاج
هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما
تقول ليس المضاء للسيف ولكنه للسانك الذي بين فكيك فقولك الذي بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لان
محل المضاء هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضاء عن السيف واثبته للسانك
فلتة ولا سهوا مني ولكن تعمدت به اياه بعينه تعمدا ويستعجلونك بالعذاب انكر استعجالهم
بالمتوعد به من العذاب العاجل او الاجل كانه قال ولم يستعجلون به كانهم يجوزون الفوت
وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه الخلف ولن يخلف الله وعده والله عز وعلا
لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم لا يعجل ومن حلمه ووقاره
واستقصاره المدد الطوال ان يوما واحدا عنده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه في طول الف سنة
من سنيكم لان ايام الشدائد مستطالة او كان ذلك اليوم الواحد لشدة عذابه كالف سنة
من سني العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده في النظرة والامهال وقرئ مما تعدون
بالتاء والياء وكاين من قرية امليت لها وهي ظالمة ثم قال وكم من اهل قرية كانوا
مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتها ثم اخذتهم بالعذاب والي المصير
والمرجع الي والى حكمي لم كانت الاولى معطوفة بالفاء وهذه بالواو
الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها من الجملتين
المعطوفتين بالواو واعني قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة
قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا في آياتنا معاجزين يقال سعى في
امر فلان اذا اصلحه او افسده بسعيه وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب
اعجاز الاخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد
من الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين او

مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم
كان القياس ان يقال انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده الحديث مسوق الى المشركين
ويا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم
المؤمنون وثوابهم ليغاظوا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي دليل بين
على تغاير الرسول والنبي وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه سئل عن الانبياء
فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة عشر جما غفيرا والفرق
بينهما ان الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول
من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته والسبب في نزول هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما اعرض
عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم
ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى
استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ما تمناه حتى نزلت سورة
والنجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقرأها فلما بلغ قوله ومناة
الثالثة الاخرى القى الشيطان في امنيته التي تمناها اي وسوس اليه بما شيعها
فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن
لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه
عليه جبريل عليه السلام او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس
فلما سجد في آخرها سجد معه جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان
من ذلك محنة من الله وابتلاء زاد المنافقون به شكا وظلمة والمؤمنون نورا
وايقانا والمعنى ان الرسل والانبياء من قبلك كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل
ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في امانيهم مثل ما القى في امنيتك ارادة امتحان
من حولهم والله سبحانه له ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن وانواع الفتن
ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرأ وانشد في كتاب
الله اول ليله تمنى داود الزبور على رسل وامنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق اشارة
الى الملائكة اي هم الشفعاء لا الاصنام فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به

ويبطله ثم يحكم الله آياته اي يثبتها والله عليم حكيم ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم المكذبون وان الظالمين لفي شقاق بعيد يريد ان هؤلاء المنافقين والمشركين واصله وانهم فوضع الظاهر موضع الضمير قضاءً عليهم بالظلم وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق من ربك والحكمة فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم الى تأويل ما يتشابه في الدين بالتأويلات الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الذي يقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى لا تلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهادٍ الذين آمنوا بالتنوين ولا يزال الذين كفروا في مرية منه للقرآن او للرسول حتى تأتيهم الساعة بغتة او يأتيهم عذاب يوم عقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان اولاد النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيامة وكأنه قيل حتى تأتيهم الساعة او يأتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين

التنوين في يومئذ عن اي جملة ينوب تقديره الملك يوم يؤمنون به او يوم تزول مريتهم لقوله ولا يزال الذين كفروا الآية والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وان الله لهو خير الرازقين لان جميع المهاجرة في سبيل الله سوّى بينهم في الموعد وان يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل منهم تفضلا واحسانا ليدخلنهم مدخلا يرضونه وان الله لعليم بدرجات العاملين ودرجات استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روي ان طوائف من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين الآيتين

ان الله لعفو غفور

ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه لينصرنه الله تسمية الابتداء بالجزاء الملابسة له من حيث انه سبب وذا مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق التنزيه لا التحريم ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان آثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور اي لا يلومه على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من اخلاله بالعفو ويلوح به بذكر هاتين الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اي ذلك النصر بان الله بسبب انه قادر من آيات قدرته البالغة انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف وان الله سميع لما يقولون بصير بما يفعلون

قا معنى ايلاج احد الملوين في الآخر تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء السرب بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادته في احدهما ما ينقص من الآخر من الساعات ذلك بان الله هو الحق وان ما تدعون من دونه الباطل قرئ تدعون بالتاء والياء وقرأ اليماني وان ما يدعون بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة الى ما لانه في معنى الآلهة اي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجري فيهما وادراك كل قول وفعل بسبب انه الله الحق الثابت الالهية وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه لا شيء اعلى منه شأنا واكبر سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة وقرئ مخضرة اي ذات خضرة على مفعلة ومسبعة

هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع لنكتة فيه وهي افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام كذا فاروح واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع فماله رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام

وان الله هو العلي الكبير

٣

لو نصب لاعطي ما هو عكس الغرض لان معناه اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب
الي نفي الاخضرار ومثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني انعمت عليك فتشكر ان نصبته
فانت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته فانت مثبت للشكر وهذا وامثاله
مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير اهلها ان الله لطيف
واصل علمه او فضله الي كل شئ خبير بمصالح الخلق ومنافعهم له ما في السموات
وما في الارض وان الله لهو الغني الحميد الم تر ان الله سخر لكم
ما في الارض من البهايم مذللة لكم لركوب في البر والفلك تجري في البحر بامره
ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات وقري والفلك بالرفع
علي الابتداء ويمسك السماء ان تقع علي الارض كراهة ان تقع الا باذنه
ان الله بالناس لرءوف رحيم وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا
ترابا ونطفة وعلقة ومضغة ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور
لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه
فلا ينازعنك في الامر هو نهي لرسول الله صلي الله عليه واله وسلم اي لا تلتفت
الي قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك او هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله صلي الله عليه
واله وسلم بالمنازعة في الدين لانهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روي ان
بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما
قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله تعالي يعنون الميتة وقال الزجاج هو نهي عن منازعتهم
كما يقول لا يضاربنك فلان اي لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون الا بين
اثنين في الامر في امر الدين وقيل في امر النسائك وقري فلا ينزعنك اي اثبت في
دينك ثباتا لا يطمعون ان يخدعوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول الله
صلي الله عليه واله وسلم بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا
يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن ظهيرا للكافرين وهيهات
ان ترتهجه رسول الله صلي الله عليه واله وسلم حول ذلك الحمي ولكنه وارد علي ما قلت لك
من ارادة التهييج والالهاب قال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اي غلبته اي
لا يغلبنك في المنازعة
لم جاءت نظير هذه الآية معطوفة بالواو وقد نزعت هذه

لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة في امر النسائك
فعطفت علي اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا وادع الي
ربك انك لعلي هدي مستقيم وان جادلوك اي وان ابوا للجاجهم الا المجادلة
بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع فقل فادفعهم بان قل الله اعلم
بما تعملون باعمالكم وقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا
وعيد وانذار ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم
فيه تختلفون خطاب من الله تعالي للمؤمنين والكافرين اي يفصل بينكم بالثواب و
العقاب وتسلية لرسول الله صلي الله عليه واله وسلم مما كان يلقي منهم الم تعلم ان
الله يعلم ما في السماء والارض وكيف يخفي عليه ما تعملون ومعلوم عند العلماء
بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض ان ذلك في كتاب وقد كتبه في
اللوح قبل حدوثه ان ذلك علي الله يسير والاحاطة واثباته في اللوح وحفظه
عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق بمعلوم ويعبدون من
دون الله ما لم ينزل به سلطانا ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي
من جهة الوحي والسمع وما ليس لهم به علم ولا الجاهم اليها علم ضروري
لا حملهم عليها دليل عقلي وما للظالمين وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من نصير
من احد ينصرهم ويصوب مذهبهم واذا تتلي عليهم آياتنا بينات تعرف
في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا
المنكر الفظيع من التجهم والبسور كالمكرم بمعني الاكرام وقري يعرف والمنكر والسطو الوثب
والبطش قل افانبئكم بشر من ذلكم النار بالرفع علي انه خبر مبتدا محذوف كان قائلا قال ما هو فقيل
النار وبالنصب علي الاختصاص وبالجر علي البدل من بشر من ذلكم من غيظكم علي
التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما تلي عليكم وعدها
الله الذين كفروا وبئس المصير استئناف كلام ويحتمل ان يكون النار مبتدا
ووعدها خبرا وان يكون حالا عنها اذا نصبتها او جررتها باضمار قد يا ايها
الناس ضرب مثل فاستمعوا له الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا
قد سميت الصفة او القصة الرائعة الملتقاة بالاستحسان والاستغراب

قل افانبئكم بشر من ذلكم النار

مثلا لتشبيهها بعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة عندهم فيه
ان الذين تدعون من دون الله بالتاء والياء وقرئ يدعون مبنيا للمفعول لن يخلقوا
ذبابا لن اختها لا في نفي المستقبل الا ان لن تنفيه نفيا مؤكدا وتاكيده هنا الدلالة
على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا
ولو اجتمعوا له النصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا
عليهم اجتماعهم جميعا وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزله الله في تجهيل
قريش واستركاك عقولهم والشهادة على ان الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث
وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها والاحاطة بالمعلومات عن
آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله واذله واصغره و
احقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه
واذل من ذلك على عجزهم وانتفائهم قدرتهم ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف
منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه منه لم يقدروا وقوله ضعف الطالب
والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف
واضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك مغلوب وعن ابن عباس انهم
كانوا يطلونها بالزعفران ورؤوسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب فيدخل الذباب
من الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره اي ما عرفوه حق معرفته حتى لا
يسموا باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا يؤهلوه للعبادة ولا يتخذوه
شريكا له ان الله لقوي عزيز قادر غالب فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به الله
يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس هذا رد لما انكروه من ان يكون
الرسول من البشر وبيان ان رسل الله على ضربين ملائكة وبشر ان الله
سميع بصير يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ثم ذكر انه عز وجل دراك للمدركات
عالم باحوال المكلفين ما مضى منها وما ياتي ولا يخفى عليه منهم خافية والى الله
ترجع الامور كلها والذي هو بهذه الصفات لا يسئل عما يفعل وليس لاحد ان يعترض
عليه في حكمه وتدابيره واختيار رسله يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا
شان ليس لغيره من الطاعات وفي هذه السورة دلالة على ذلك ثم دعا المؤمنين

اولا الى الصلوة التي هي ذكر خالص ثم الى العبادة بغير الصلوة كالصوم والحج والغزو
ثم عمم بالحث على سائر الخيرات وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع و
يركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلوتهم بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا
ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله تعالى وعن ابن عباس في قوله
وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اي افعلوا هذا كله
وانتم راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبة بن عامر
قال قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان وبذلك احتج الشافعي فراى سجدتين في
سورة الحج وابو حنيفة واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن
السجود بالركوع فدل ذلك على انها سجدة صلوة لا سجدة تلاوة وجاهدوا امر
بمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه رجع من
بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر في الله اي في ذات الله
ومن اجله يقال هو حق عالم اي عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده فان قلت
ما وجه هذه الاضافة وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال
وجاهدوا في الله قلت الاضافة تكون بادنى ملابسة واختصاص فلما كان الجهاد
مختصا بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته اليه ويجوز ان يتسع
في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا هو اجتباكم اختاركم لدينه
ولنصرته وما جعل عليكم في الدين من حرج فتح باب التوبة للمجرمين وفسح
بانواع الرخص والكفارات والديات والاروش ونحوه قوله يريد الله بكم اليسر
ولا يريد بكم العسر ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين وامة محمد صلى الله
عليه وآله وسلم هي الامة المرحومة الموسومة بذلك في الكتب المتقدمة نصب الملة
بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم ثم حذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه او على الاختصاص اي اعني بالدين ملة ابيكم كقولك الحمد لله الحميد
لم يكن ابراهيم ابا للامة كلها هو ابو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فكان ابا لامته لان امة الرسول في حكم اولاده هو يرجع الى الله تعالى وقيل الى ابرهيم ويشهد للقول
الاول قراءة ابي بن كعب الله سماكم من قبل وفي هذا اي من قبل القرآن في سائر الكتب

وفي القرآن اي فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول شهيدا عليكم انه قد بلغكم وتكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير واذ خصكم بهذه الكرامة والاثرة فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصرة والولاية الا منه فهو خير مولى وناصر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة الحج اعطي من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد نقيضة لما هي تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة وهي الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه ويجوز ان يكون جواب قسم محذوف كقوله قد افلح من زكيها في وقوعه جواب قسم والفلاح الظفر بالمراد وقيل البقاء في الخير وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اصاره الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف افلح على البناء للمفعول وعنه افلحوا على اكلوني البراغيث او على الابهام والتفسير وعنه افلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله فلو ان الاطبا كان حولي ما المؤمن هو في اللغة المصدق وفي الشريعة فقد اختلف فيه على قولين احدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطيا قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق الشقي الذين هم في صلاتهم خاشعون الخشوع في الصلوة خشية القلب والباد البصر عن قتادة هو الزام موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يصلي رافعا بصره الى السماء فلما نزلت هذه الآية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلوة ان يشد بصره الى شيء او يحدث نفسه بشان من شان الدنيا ومن جمع الهمة لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل الآداب فيتوقى كف الثوب والعبث بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة والتشبيك

والاختصار وتقليب الحصى روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه ابصر رجلا يعبث بلحيته في الصلوة فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث لم اضيف الصلوة اليهم لان الصلوة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلوته واما المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها والانتفاع بها والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكوة فاعلون الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله تعالى فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة على العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها وقد انشد لامية بن ابي الصلت المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات ويجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح لانها فيه مجموعة والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة اي واليا عليها ومنه قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المراة فراشا او ما ملكت ايمانهم والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على بمحذوف يدل عليه فانهم غير ملومين كانه قيل يلامون الا على ازواجهم اي يلام على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت معنى ما طلبت منك الا فعلك فالحاصل كانه قال والذين هم لفروجهم حافظون على ازواجهم هلا قيل من ملكت لانه اريد من جنس العقلاء ما يجري

غير العقلاء وهم الاناث جعل المستثنى حد الوجب الوقوف عنده فمن ابتغى وراء
ذلك ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع
من الحرائر ومن الاماء ما شئت فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان المتناهون
فيه هل فيه دليل على تحريم المتعة. لا لان المنكوحة نكاح المتعة من
جملة الازواج اذا صح النكاح والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
وقرئ لامانتهم سمي الشيء المؤتمن عليه الامانة في نفسها والراعي القائم على الشيء
بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال من راعي هذا الشيء اي متوليه و
صاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله عز وجل ومن جهة
الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم والذين هم على صلواتهم
يحافظون وقرئ على صلوتهم بالتوحيد. كيف كرر ذكر الصلوة اولا وآخرا
هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا بالخشوع في صلوتهم وآخرا بالمحافظة
وذلك ان لا يسهوا عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا اركانها ويوكلوا نفوسهم
بالاهتمام بها وبما ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد
الخشوع في جنس الصلوة اي صلوة كانت وجمعت آخرا ليفاد المحافظة على اعدادها
وهي الصلوات والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة
والاستسقاء والكسوف والخسوف وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة
الحاجة وغيرها من النوافل اولئك اي اولئك الجامعون لهذه الاوصاف هم
الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون غيرهم ثم ترجم الوارثين بقوله الذين
يرثون الفردوس هم فيها خالدون فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا تخفى على
الناظر ومعنى الارث ما مر في سورة مريم انث الفردوس على تاويل الجنة وهي البستان
الواسع الجامع لاصناف الثمر وروي ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب
ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية لبنة من مسك مذرى وغرس
فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان ولقد خلقنا الانسان من سلالة من
طين السلالة الخلاصة لانها تسل من بين الكدر وفعالة بناء للقلة كالقلامة
والقمامة وعن الحسن ماء بين ظهراني الطين. ما الفرق بين من من

الاول

للابتداء والثاني للبيان كقوله من الاوثان ثم جعلناه نطفة في قرار مكين
ما معنى جعلنا الانسان نطفة. معناه انه خلق جوهر الانسان اولا
طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة القرار المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة
التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها في نفسها لانها مكنت بحيث
واحرزت ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام
لحما قرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام وعظما فكسونا العظام
وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام
كثيرة ثم انشأناه خلقا آخر اي خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث
جعله حيوانا وكان جمادا وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان
اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو من اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب
فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح وقد
احتج ابو حنيفة فيمن غصب بيضة فافرخت عنده قال يضمن البيضة ولا يرد الفرخ
لانه خلق آخر سوى البيضة فتبارك الله فتعالى امره في قدرته وعلمه احسن
الخالقين اي احسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه
طرح المأذون فيه في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروي عن
عمر رض ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما بلغ قوله خلقا آخر قال فتبارك الله
احسن الخالقين وروي ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم اكتب هكذا نزلت فقال عبد الله ان كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيا يوحى
اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح ثم انكم بعد ذلك
لميتون قرأ ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت كالحي
صفة ثابتة واما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الآن ومائت غدا كقولك
يموت ونحوهما ضائق في قوله تعالى وضائق به صدرك ثم انكم يوم القيامة تبعثون
جعل الاماتة التي هي عدم الحيوة والبعث الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه
دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع

فاذن لاحيوة

خلقنا العلقة مضغة

الا صوت الانشاء والبعث ليس في ذكر الحيوتين نفي الثالثة وهي حيوة البعث كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الكل ليس عندك وايضا فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوي ذكرها من جنس الاعادة **ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق** الطرائق السموات لانها طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل وكل شيء فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرائق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب فيها مسيرها **وما كنا عن الخلق غافلين** اراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها وامساكها ان تقع فوقهم بقدرتنا او اراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات منها وينفعهم بانواع منافعها وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم **وانزلنا من السماء ماء بقدر** بتقدير يسلمون معه من المضرة ويصلون الى المنفعة او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم **فاسكناه في الارض** كقوله فسلكه ينابيع في الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم **وانا على ذهاب به لقادرون** كما قدر على انزاله فهو قادر على رفعه وازالته وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات واحزها للمفصل والمعنى على وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعايا عليه شيء اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفادها اذا لم تشكر **فانشانا لكم به جنات من نخيل واعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تاكلون وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين** خص هذه الانواع الثلثة بالذكر لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع ووصف النخل والاعناب بان ثمرهما جامع بين امرين بانه فاكهة يتفكهون بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا وزبيبا والزيتون بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز ان يكون قوله ومنها تاكلون من قولهم ياكل فلان من حرفة يحترفها ومن صنعة

على رفعه وازالته

يعملها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها ترزقون وتتعيشون وشجرة عطف على جنات وقرئت مرفوعة على الابتداء اي ومما انشئ لكم شجرة طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن اضاف فمن كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفه للتانيث كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرفه لان الالف للتانيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسى وقرأ الاعمش سينا على القصر بالدهن في موضع الحال اي تنبت وفيها الدهن وقرئ تُنبت وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت وانشد لزهير رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل والثاني ان مفعوله محذوف اي تنبت زيتونها وفيه الدهن وقرئ بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت وقراءة ابن مسعود تخرج الدهن وصبغ الآكلين وغيرها تخرج بالدهن وفي حرف ابي تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت بالدهان وقرأ الاعمش وصبغا وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله من شجرة مباركة **وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها** قرئ بتاء مفتوحة اي تسقيكم الانعام **ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون** منافع من الركوب والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زائدة وهي الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة وقرنها بالفلك التي هي السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها يريد صيدحه **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استيناف تجري مجرى التعليل للامر بالعبادة **افلا تتقون** افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء **فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل**

وعليها وعلى الفلك تحملون

عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويسودكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض
ولو شاء الله لانزل ملئكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين اشارة الى نوح عليه
السلم او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام او بمثل هذا الذي
يدعي وهو بشر انه رسول الله وما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر وقد رضوا للالهية
بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة وتكذبوا في
ذلك لانهماكهم في الغي وتشوفهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عن لهم من غير تمييز
بين صدق وكذب ولذلك تراهم كيف جننوه ان هو الا رجل به جنة وقد علموا انه ارجح
الناس عقلا واثقبهم قولا والجنة الجنون او الجن اي به جن يخيلونه فتربصوا به
حتى حين اي احتملوه واصبروا عليه الى زمان يتجلى امره عن عاقبة فان افاق والا
قتلتموه قال رب انصرني بما كذبون في نصرتي اهلاكهم فكأنه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم
اياي او انصرني بدل ما كذبوني كما يقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني
من غم تكذيبهم سلوة النصرة عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه
فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم فاوحينا اليه ان اصنع الفلك
باعيننا بحفظنا وكلائتنا كأن معه من الله حفاظا يكلؤونه بعيونهم لئلا يتعرض له
ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة ووحينا اي بامرنا
كيف تصنع وتعليمنا روي انه اوحي اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر وروي انه قيل
لنوح عليه السلم اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من
التنور اخبرته امرأته فركب وقيل تنور آدم وكان من حجارة فصار الى نوح عليه السلم
واختلف في مكانه فعن الشعبي في مسجد الكوفة عن يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان
نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند وعن
ابن عباس التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي
رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر وقيل معناه ان فوران الماء كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم
حمي الوطيس والقول هو الاول يقال سلك فيه دخله وسلك غيره واسلكه غيره و
حتى اذا سلكوه في قتاده من كل زوجين من كل امتي زوجين وهما امة الذكر
وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك اثنين واحدين من زوجين كالجمل والناقة

فاذا جاء امرنا وفار التنور

فاسلك فيها

والحصان والرمكة روي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض وقرئ من كل بالتنوين اي من كل امة زوجين و
اثنين تأكيد وزيادة بيان واهلك الا من سبق عليه القول منهم وانما جيء بعلى لان السابق ضار
كما جيء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول
عمر ليتها كانت كفافا لا علي ولا لي ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة
ان يغرقوا لا محالة لما عرف من المصلحة في اغراقهم والمفسدة في استبقائهم فبعد ان امهل
لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا
عبرة للمعتبرين فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي
نجانا من القوم الظالمين ولقد بالغ حيث اتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة
منهم كقوله عز وجل فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين وقل رب
انزلني ثم امره ان يدعو بدعاء هو اهم وانفع له وهو طلب ان ينزله في السفينة او في الارض
عند خروجه منها منزلا مباركا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين و
ان يشفع الدعاء بالثناء المطابق لمسالته وهو قوله وانت خير المنزلين
على ما قيل فقوله فاذا استويت انت ومعك لانه في معنى فاذا استويتم لانه
نبيهم وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار
كبرياء الربوبية وان رتبة تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي وقرئ منزلا بمعنى انزالا
او موضع انزال كقوله ليدخلنهم مدخلا يرضونه ان في ذلك لآيات وان كنا لمبتلين
ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى وان الشان والقصة
كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا
لننظر من يعتبر ويتذكر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر ثم انشانا من بعدهم قرنا
آخرين هم عاد قوم هود وعن ابن عباس وتشهد له حكاية الله تعالى قول هود واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف
وسورة هود والشعراء فارسلنا فيهم رسولا وحق ارسل ان يعدى بالى
كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فاله عدي تارة وبفي اخرى لتعلق الارسال

في القران

في امة وما ارسلنا في قرية من نذير فارسلنا فيهم رسولا اي في عاد وفي موضع آخر والى عاد اخاهم هودا لم يعد بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم في الحيوة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم

مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول

ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنريك في سفاهة قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وههنا مع الواو فاي فرق بينهما قلت الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فماذا قال قومه فقيل له قالوا كيت وكيت واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا الحق وهذا الباطل وشتان ما هما بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب كقولك يا حبذا جوار مكة اي جوار الله في مكة يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون حذف الضمير والمعنى من مشروبكم او حذف منه لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون واقع في جزاء الشرط وجواب الذين قاولوهم من قومهم لخاسرون اي تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون ثنى انكم للتوكيد وحسن ذلك لفصل ما بين الاول والثاني بالظرف ومخرجون خبر عن الاول او جعل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبرا على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة الشرطية خبرا عن انكم وفي مصحف ابن مسعود ايعدكم اذا متم وقرئ هيهات هيهات بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف لما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله فهيهات هيهات العقيق فما هذه اللام قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون او بعد لما توعدون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو ان يكون اللام في هيت لك لبيان المهيت به ان هي هنا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحيوة الا حياتنا الدنيا ثم

وضع هي موضع الحيوة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت والمعنى لا حيوة الا هذه الحيوة لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى الحيوة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي تنفي الجنس نموت ونحيا اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر ان هو الا رجل افترى على الله كذبا ثم قالوا ما هو الا مفتر على الله فيما يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن له بمؤمنين بمصدقين قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل صفة للزمان كقديم وحديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد معنى قلته وقصرها فاخذتهم الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا الهلاك او بالعدل من الله من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه شبههم في دمارهم بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان ومنه قوله فجعله غثاء احوى وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس من السيل والغثاء فلكة مغزل فبعدا وسحقا ودفرا ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه نصبت بافعال لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد رشدا ورشدا للقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما توعدون ثم انشأنا من بعدهم قرونا آخرين هم قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم عن ابن عباس بني اسرائيل ما تسبق من امة اجلها الوقت الذي حد لهلاكها وكتب وما يستأخرون ثم ارسلنا رسلنا تترى فعلى الالف للتأنيث لان الرسل جماعة وقرئ تترى بالتنوين والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور اي متتابعين واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد كلما جاء امة رسولها كذبوه اضاف الرسل الى اممهم ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول يلابس المرسل والمرسل اليه جميعا فاتبعنا بعضهم بعضا الامم والقرون في الاهلاك وجعلناهم احاديث اخبارا يسمر بها ويتعجب منها والاحاديث يكون اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويكون جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة والالعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم ارسلنا موسى واخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين

فجعلناهم غثاء

وما المراد بالسلطان المبين ويجوز ان يراد العصا لانها كانت ام آيات موسى واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشا جعلت كانها الآيات انفسها التي هي آيات وحجة بينة إلى فرعون وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين متكبرين ان فرعون علا في الارض لا يريد علوا في الارض او متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا والبشر يكون واحدا وجمعا ومثل وغير توصف بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا مثلان وهم امثال كقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقومهما لنا عابدون يعني بني اسرائيل كانهم يعبدوننا خضوعا وتذللا او لانه كان يدعي الالهية فادعى للناس طاعتهم له عبادة على الحقيقة ولقد آتينا موسى الكتاب اي قوم موسى التورية لعلهم يهتدون يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملائهم يعني بآل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم الى فرعون وملائه لان التورية انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملائه ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى وجعلنا ابن مريم وامه آية

لم قيل آية هل كان له وجه

ثم لانها جم ولدت من غير مسيس وعيسى روح الله القي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان آية من غير وجه واللفظ محتمل للتثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وامه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها وآويناهما الى ربوة الارض المرتفعة والربوة بالحركات وقرئ ربوة وربوة بالضم ورباوة بالكسر وهي الارض المرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس فانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله تعالى وقيل مصر ذات قرار والقرار المستقر من ارض مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انه لاجلها يستقر فيها ساكنوها ومعين الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة ميمه واصا

ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى وجبريل وميكائيل

العبادة وان ص

ووجه من جعله مفعولا فعيلا انه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة يا ايها الرسل هذا النداء والخطاب ليسا على ظاهرهما وكيف والرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم المراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه والقوام على ما عقب قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز ان يقع هذا الاعلام عند ايواء عيسى ومريم الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اي آويناهما وقلنا لهما هذا اي اعلمناهما ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون قرئ وان بالكسر على الاستيناف وان بمعنى ولان وان مخففة من المثقلة وامتكم مرفوعة معها فتقطعوا امرهم بينهم زبرا وزبرا جمع زبور اي كتبا مختلفة يعني جعلوا دينهم اديانا وقرئ زبرا بفتح الباء اي قطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد وزبرا مخففة الباء كل حزب اي كل فرقة من هؤلاء المختلفين المتقطعين دينهم فرح بباطله مطمئن النفس معتقد انه على الحق فذرهم في غمرتهم حتى حين الغمرة الماء الذي يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين في غمرة الماء لما هم عليه من الباطل قال كانني ضارب في غمرة لعب وعن علي رضي الله عنه في غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا تسلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ونهي عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات ونسارع ويسرع بالياء ان يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصي واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة لهم في الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز ان يراد في جزاء الخيرات كما يفعل باهل الخير من المسلمين بل لا يشعرون استدراك لقوله ايحسبون يعني بل هم اشباه البهائم لا فطنة بهم ولا شعور ليتاملوا ويتفكروا في ذلك اهو استدراج ام مسارعة في الخير

ان الذين هم من

كل حزب بما لديهم فرحون

خبر ان الى اسمها اذ لم يستكن فيه ضمير هو محذوف تقديره نسارع به ونسارع
الله به كقوله ان ذلك لمن عزم الامور اي ان ذلك منه وذلك لاستطالة الكلام مع
امن الالباس ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات
ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما اتوا
يعطون ما اعطوا وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعائشة يأتون ما اتوا
اي يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت يا رسول الله هو الذي يزني ويسرق و
يشرب الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل منه اولئك يسارعون في
الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان يراد يرغبون في الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها
والثاني انهم يتعجلون في الدنيا المنافع ووجوه الاكرام كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا
وحسن ثواب الآخرة وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين لانهم اذا
سورع بها فقد سارعوا في نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا للآية المتقدمة
لان فيه اثبات ما نفي عن الكفار للمؤمنين وقرئ يسرعون في الخيرات وهم لها
سابقون اي فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون
اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا ويجوز ان يكون لها سابقون
خبرا بعد خبر ومعنى وهم لها كمعنى قوله انت لها احمد من بين البشر ولا نكلف
نفسا الا وسعها يعني ان هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من حد الوسع
والطاقة ولدينا كتاب ينطق بالحق وكذلك كل ما كلفه عباده وعملوه من الاعمال
فغير ضائع عنده بل هو مثبت لديه في كتاب يريد اللوح او صحيفة الاعمال ينطق
بالحق لا يقرؤون منه يوم القيمة الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان
وهم لا يظلمون ولا يظلم منهم احد او اراد ان الله لا يكلف الا الوسع فان لم
يبلغ المكلف ان يكون صفة هؤلاء السابقين بعد ان يستفرغ وسعه ويبذل طاقته
فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا نظلم احدا من حقه ولا نحطه
دون درجته بل قلوبهم قلوب الكفرة في غمرة غفلة غامرة لها من هذا اي
مما عليه هؤلاء الموصوفون من المؤمنين ولهم اعمال من دون ذلك متجاوزة متخطية
لذلك اي لما وصف به المؤمنون هم لها عاملون معتادون وبها ضارون لا

يفطمون عنها حتى اذا اخذنا مترفيهم حتى يأخذهم الله بالعذاب وحتى هذه
هي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر
والجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اللهم اشدد
وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله تعالى بالقحط
حتى اكلوا الجيف والكلاب والعظام المحرقة والقد والاولاد اذا هم يجأرون
الجؤار الصراخ باستغاثة قال جأر ساعات النيام لربه اي يقال لهم لا تجأروا اليوم
فان الجؤار غير نافع لكم انكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا او من
جهتنا لا يلحقكم نصر ومعونة قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم
تنكصون مستكبرين به سامرا قالوا الضمير في به للبيت العتيق او للحرم كانوا
يقولون لا يظهر علينا احد لانا اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم
بالاستكبار بالبيت وانه لم يكن لهم مفخرة الا انهم ولاته والقائمون به ويجوز ان
يرجع الى آياتي الا انه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى استكبارهم بالقرآن تكذيبهم
به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته او يحدث لكم استماعه
استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون بسببه او تتعلق الباء بسامرا اي تسمرون بذكر
القرآن وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم
ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او تهجرون
والسامر نحو الحاضر في الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون من
اهجر في منطقه اذا افحش والهجر الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى
والهجر بالفتح الهذيان افلم يدبروا القول القرآن يقول افلم يتدبروه ليعلموا انه الحق
المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل اجاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين فلذلك
انكروه واستبعدوه كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم فهم غافلون او ليخافوا
عند تدبر آياته واقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن ما
لم يأت آباءهم حين خافوا الله و~~اقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم~~ فآمنوا به وبكتبه
ورسله واطاعوه وآباؤهم اسمعيل واعقابه من عدنان وقحطان وعن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا فانه كان

مسلما ولا تسبوا الحارث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مرة وما شككتم من شي
فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما وروي ان ضبة كان مسلما وكان على شرطة سليمان بن
داود **ام لم يعرفوا رسولهم** محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وامانته و
صدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش **فهم له منكرون**
والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا
ام يقولون به جنة الجنة الجنون كانوا يعلمون انه بري منها وانه ارجحهم عقلا واثقبهم
ذهنا **بل جاءهم بالحق** ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق
ما نشاوا وسيط بلحومهم ودماءهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا
لانه الحق الابلج والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة
الى الجنون والسحر والشعر وقوله **واكثرهم للحق كارهون** فيه ان اقلهم
كانوا لا يكرهون الحق كان فيهم من يترك الايمان به انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان
يقولوا صبا وترك دين آبائه لا كراهة للحق كما يحكى عن ابي طالب يزعم بعض
الناس ان ابا طالب صح اسلامه يا سبحان الله كان ابا طالب كان اخمل اعمام
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى يشتهر اسلام حمزة والعباس ويخفى اسلام
ابي طالب **ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن**
دل بهذا على عظم شان الحق وان السموات والارض ما قامت ولا من فيهن الا به فلو
اتبع اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده قوام او اراد
ان الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الاسلام لو اتبع اهواءهم وانقلب
شركا لجاء الله بالقيام ولاهلك العالم ولم يوخر وعن قتادة ان الحق هو الله
ومعناه ولو كان الله الها يتبع اهواءهم ويامرهم بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان
شيطانا ولما قدر ان يمسك السموات والارض بذكرهم الكتاب الذي هو ذكرهم اي
وعظهم او صيتهم وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا
ذكرا من الاولين [لكنا عباد الله] المخلصين وقرئ بذكراهم **ام تسالهم خرجا فخراج ربك خير
وهو خير الرازقين** قرئ خراجا فخرج وخرجا فخرج وخرجا فخراج وهو ما تخرجه الى
الامام من زكاة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به

والخراج ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج
الكردة زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرا خرجا فخراج ربك
خير **وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم** قد الزمهم الحجة في هذه الآيات وقطع
معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور سره
وعلنه خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى
يدعي بمثل هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم
واستعطاء اموالهم ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم
مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو اخلالهم بالتدبر والتامل واستهتارهم
بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه مجنون بعد ظهور الحق وثبات
التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم للحق واعراضهم عما فيه
حظهم من الذكر **وان الذين لا يؤمنون** يحتمل ان هولاء وصفتهم انهم لا يؤمنون
بالآخرة عن الصراط لناكبون اي لعادلون عن هذا الصراط المذكور وهو قوله الى
صراط مستقيم وان كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب **ولو رحمناهم و
كشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون** لما اسلم ثمامة بن اثال
الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله بالسنين حتى
اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال انشدك
الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء
بالسيف والابناء بالجوع والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال
والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه
من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين وافراطهم
ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه **ولقد اخذناهم
فما استكانوا لربهم وما يتضرعون** فاستشهد على ذلك بانا اخذناهم اولا بالسيوف
وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجدت منهم بعد ذلك استكانة
ولا تضرع **حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد** باب الجوع الذي هو
اشد من الاسر والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء

ج يعني ام تسالهم على هدايتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير صح

اعتاهم واشدهم شكيمة في العناد ليستعطفك او محناهم بكل محنة من القتل والجوع
فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك حتى اذا عذبوا بابا رجعهم اذا هم مبلسون
ثم يبلسون كقوله ويوم يقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون
والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكون مع التحير ما دون استكان
استفعل من الكون اي انتقل من كون الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال
الى حال ويجوز ان يكون افتعل من السكون اشبعت فتحة عينه كما جاء بمنتزاح
هلا قيل وما تضرعوا وفما يستكينون . لان المعنى محناهم فما وجد
منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء ان يستكينوا ويتضرعوا حتى فتح
عليهم باب العذاب الشديد وقرئ فتحنا وهو الذي انشأ لكم السمع والابصار
والافئدة انما خص السمع والابصار والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية
والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها ان يعملوا ابصارهم واسماعهم في
آيات الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها فيما خلقت له
فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم
من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وان
لا يجعل له ند ولا شريك قليلا ما تشكرون اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتأكيد
بمعنى حقا وهو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون تجمعون يوم القيامة
بعد تفرقكم وهو الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار اي هو مختص
وهو متوليه ولا يقدر على تصريفهما غيره افلا تعقلون وقرئ يعقلون بالياء
عن ابي عمرو بالياء اي قال اهل مكة كما قال الكفار قبلهم ائذا متنا وكنا ترابا
وعظاما ائنا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل ان هذا
الا اساطير الاولين الاساطير جمع اسطار جمع سطر قال رؤبة واسطار
وهي ما كتبه الاولون مما لا حقيقة له اسطورة او اسطورة قل لمن الارض ومن
فيها ان كنتم تعلمون اي اخبروني عما استعملتكم منه ان كان عندكم فيه علم
وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات ان يجهلوا مثل هذا الجلي
البين سيقولون لله قل افلا تذكرون وقرئ بحذف التاء الثانية ومعناه افلا تتذكرون

خلقكم وبثكم بالتناسل

بل قالوا مثل ما قال الاولون

فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها اخترعها كان قادرا على اعادة الخلق وكان
حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية وقرئ الاول باللام لا غير والآخران
باللام وهو كذلك في مصاحف اهل البصرة اللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن
هو في معنى واحد وبغير اللام على اللفظ ويجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت
في الرواية سيقولون لله قل افلا تتقون افلا تخافون فلا تشركوا به وتعصوا
رسله قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون
اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء
ولا يغيث احد منه احدا سيقولون لله قل فانى تسحرون تخدعون عن توحيده
وطاعته والخادع هو الشيطان والهوى بل اتيناهم بالحق وقرئ اتيتهم واتيتهم
بالفتح والضم بالحق بان نسبة الولد اليه محال والشرك باطل وانهم لكاذبون
حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله
اذا لذهب كل اله بما خلق لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد
ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين وهم متغالبون وحين لم تروا اثر التمايز
الممالك والتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت كل شيء اذن لا تدخل
على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء وجوابا ولم يتقدمه شرط
ولا سؤال سائل الشرط محذوف تقديره ولو كان معه آلهة وانما حذف
لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين
سبحان الله عما يصفون من الانداد والاولاد عالم الغيب والشهادة
بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدأ محذوف فتعالى عما يشركون قل رب
اما تريني ما يوعدون ما والنون مؤكدتان اي ان كان لا بد من ان تريني ما تقدم
من العذاب في الدنيا او في الآخرة رب فلا تجعلني في القوم الظالمين قرينا
لهم ولا تعذبني بعذابهم وعن الحسن ان الله تعالى اخبره ان له في امته نقمة ولم يخبره
في حيوته ام بعد موته فامره ان يدعو بهذا الدعاء كيف يجوز ان يجعل النبي
المعصوم مع الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه
واخباتا له واستغفاره صلى الله عليه وآله وسلم اذا قام من مجلسه سبعين مرة

قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم

منهم ان يجيز يسال العبد ربه ما علم انه يفعله وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله

او مائية لذلك وما احسن قول الحسن ابي بكر الصديق رض وليتكم ولست بخيركم
كان يعلم انه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ اما ترئنهم بالهمز كانه
فاما ترين ولترون الجحيم وهي ضعيفة وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل الجزاء حث
على فضل تضرع وجؤار وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون كانوا ينكرون الوعد
بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز
ما وعد ان تاملتم فما وجه الانكار ادفع بالتي هي احسن هو ابلغ من ان يقال بالحسنة
السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن اساءتهم
ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة
فيه كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي احسن وعن ابن عباس
هي شهادة ان لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه
وعن الحسن الاغضاء والصفح وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل محكمة لان المداراة
محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين وازراء بمروءة نحن اعلم بما يصفون بما يذكرونه من الاحوال
بخلاف صفتها او بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله اعلم بذلك منك واقدر على
جزائهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسهم واصل الهمز
النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى ان الشياطين يحثون
الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الرائض الدواب حثا لها على المشي و
الجمع لان في قوله تؤزهم ازا امر بالتعوذ من محاباتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر
لندائه وبالتعوذ من ان يحضروه اصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن
وعن عكرمة عند النزع حتى اذا جاء احدهم الموت متعلق بيصفون اي لا يزالون
على سوء الذكر الى هذا الوقت والاية فاصلة بينهما على وجه الاعتراض والتاكيد
للاغضاء والصفح وقيل هي منسوخة باية السيف عنهم مستعينا بالله على الشيطان
ان يستزله عن الحلم ويغريه على الانتصار منهم او بقوله وانهم لكاذبون خاطب الله بلفظ
الجمع للتعظيم كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم وقوله الا فارحموني يا اله محمد
اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته الحسرة على ما فرط فيه من الايمان والعمل
الصالح فيه فسال ربه الرجعة وقال لعلي اعمل صالحا فيما تركت في الايمان الذي

واعوذ بك رب ان يحضرون

قال رب ارجعون

والمعنى لعلي اي بما تركته من الايمان واعمل صالحا كما يقول لعلي ابني على اس بر اسس
اسسا واتي عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم اذا عاين المؤمن
الملائكة قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدما الى الله واما
الكافر فيقول رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد انها كلمة
المراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله لعلي اعمل صالحا فيما تركت
هو قائلها لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او
قائلها وحده لا يجاب اليها ولا يستمع منه ومن ورائهم برزخ اي امامهم حائل بينهم
وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم البعث وليس المعنى انهم يرجعون يوم البعث وانما هو
انما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الاخرة فاذا نفخ في الصور بفتح
الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن ابي رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة
فلا انساب بينهم يومئذ نفي الانساب يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون متعادين
ومتباينين ولا يكون التواصل بينهم والتالف الا بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وانه لا
بالانساب لزوال التعاطف والتراحم من الاقارب اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه و
صاحبته وبنيه ونحو قوله ولا يسأل حميم حميما قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وقوله
يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما فيه جواب ان احدهما ان يوم القيمة مقداره خمسون
الف سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها وفي بعضها
لا يفطنون بذلك لشدة الهول والفزع والثاني ان يكون عند النفخة الاولى واذا كان
الثانية قاموا فتعارفوا فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون عن ابن عباس الموازين
جمع موزون وهي الموزونات من الاعمال اي الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله من قوله
تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم
في جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل
لها او خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدا محذوف تلفح وجوههم النار وهم فيها
كالحون الكلوح ان يتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤوس المشوية وعن
مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق براس اخرج من التنور فغشي
عليه ثلاثة ايام ولياليهن وروي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه قال تشويه النار

والضمير للجماعة د

ولا يتساءلون

فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كلحون
ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا
غلبت علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه **شقوتنا**
الشقاوة سوء العاقبة التي علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم وقرئ شقاوتنا
وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ
الكلب وخسأ بنفسه **ولا تكلمون** في دفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام
يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا
يفهمون عن ابن عباس ان لهم ست دعوات اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا
وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم
بانه اذا دعي الله وحده فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون الم تكونوا اقسمتم
الفا ربنا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فينادون الفا رب ارجعون
فيجابون اخسئوا فيها **انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر**
لنا وارحمنا وانت خير الراحمين في حرف ابي انه كان فريق بالفتح بمعنى لانه **فاتخذتموهم**
سخريا السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء النسب زيادة قوة في الفعل
كما قيل الخصوصية في الخصوصة وعن الكسائي والقرآن المكسور من الهزء والمضموم
من السخرة والعبودية اي تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه
قيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزوا وتشاغلتم بهم ساخرين
حتى انسوكم بتشاغلكم بهم [illegible] على تلك الصفة **ذكري** فتركتموه اي تركتم
ان تذكروني فتخافوني في اوليائي **اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون**
وقرئ انهم بالفتح والكسر فالكسر استيناف اي قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم
احسن الجزاء والفتح على انه مفعول لجزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم **قال كم**
لبثتم في الارض عدد سنين قال في مصاحف اهل الكوفة وقل في مصاحف اهل الحرمين
والبصرة والشام فقيل قال ضمير الله او المامور بسؤالهم من الملائكة وفي
قل ضمير الملك او بعض رؤساء اهل النار **قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فاسأل**
العادين استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من عذابها

وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسئوا فيها صح

فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرنا صح

لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة اليها او لانهم
كانوا في سرور وايام السرور قصار او لان المنقضي في حكم ما لم يكن **قال ان لبثتم**
الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون صدقهم الله في مقالهم لسنيهم في الدنيا
ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها وقرئ فسل العادين والمعنى لا نعرف من عدد
تلك السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما
فينا ان نعدها فسل من فيه ان يعده ومن يقدر ان يلقي اليه فكره وقيل
الملائكة يعدون اعمار العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اي الظلمة
فانهم يقولون كما نقول وقرئ العاديين اي القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها
فكيف لمن دونهم وعن ابن عباس انساهم ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين **افحسبتم**
انما خلقناكم عبثا حال اي عابثين كقوله لاعبين او مفعول له اي ما خلقناكم للعبث ولم
يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهي ان نتعبدكم ونكلفكم الشاق من الطاعات
وترك المعاصي ثم يرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسيء
وانكم الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم للعبث ويجوز ان يكون معطوفا على
عبثا اي للعبث ولترككم غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء **فتعالى الله الملك**
الحق الذي يحق له الملك لان كل شيء منه واليه او الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه
يصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين
كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد
ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهي
لازمة نحو قوله يطير بجناحيه جيء بها للتوكيد لا ان يكون في الالهة ما يجوز ان يقوم
عليه برهان ويجوز ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الي زيد
لا احق بالاحسان منه فالله مثيبه **انه لا يفلح الكافرون** وقرئ انه بفتح
الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو فوضع الكافرون
موضع الضمير لان من يدع في معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح في معنى حسابهم
انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون واورد في خاتمتها انه لا يفلح
الكافرون فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لا اله الا هو رب العرش الكريم

فانما حسابه عند ربه

من قرا سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما يقر به عينه عند
نزول ملك الموت وروي ان اول سورة قد افلح وآخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث
آيات من اولها واتعظ باربع آيات من آخرها فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب كان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا نزلت عليه الوحي يسمع عنده دوي كدوي النحل
فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا
واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال
لقد انزلت علي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر

بسم الله الرحمن الرحيم **سورة** خبر مبتدا محذوف و
انزلناها صفة او هي مبتدا موصوف والخبر محذوف اي فيما اوحينا اليك سورة
انزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة للمضمر فكانت في
حكمه او على دونك سورة او اتل سورة وانزلناها صفة **وفرضناها** وفرضنا
احكامها التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد
للمبالغة في الايجاب وتوكيده او لان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت
الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم **وانزلنا فيها آيات بينات**
لعلكم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها **الزانية والزاني** رفعهما على
الابتداء والخبر محذوف عند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم اي جلدهما و
ان يكون الخبر **فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة** وانما دخلت الفاء لكون
الالف واللام بمعنى الذي وتضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما
كما يقول فاجلدوه وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم
وقرئ بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر
وقرئ والزان بلا ياء والجلد ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه و
راسه ... اهذا حكم جميع الزناة والزواني ام حكم بعضهم ... بل هو منهم

فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي الاسلام ليس بشرط عند ابي حنيفة
من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة
ست الاحصان والحرية والعقل والبلوغ والتزوج بنكاح صحيح والدخول فاذا
فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي الاسلام ليس بشرط لما روي ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم رجم يهوديين وحجة ابي حنيفة قوله عليه السلام من اشرك بالله فليس
بمحصن ... اللفظ يقتضي تعليق الحكم بجميع الزناة والزواني لان قوله الزانية والزاني
عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن ... الزانية والزاني يدلان على الجنسين المنافيين
لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة في الكل والبعض جميعا فايهما
قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل باسم المشترك وقرئ ولا ياخذكم بالياء ورافة بفتح
الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا **في دين الله**
ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا ياخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى
برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد
لقطعت يدها وقوله **ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** من باب التهييج و
الهاب الغضب لله ولدينه وقيل لا يترحموا عليهما حتى يعطلوا الحدود او حتى لا يوجعوهما
ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال له
انت ارحم بهم مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن زاد سوطا فيقول لينتهوا عن
معاصيك فيؤمر به الى النار وعن ابي هريرة اقامة حد بارض خير من مطر اربعين
ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب والرجل
يضرب قائما على مجرده ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا
على الاعضاء كلها لا يستثنى منها الا ثلاثة الوجه والراس والفرج وفي لفظ الجلد
اشارة الى انه لا ينبغي ان يتجاوز الالم الى اللحم والمراة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها
الا الحشو والفرو وبهذه الآية استشهد ابو حنيفة على ان الجلد حد غير المحصن
بلا تغريب وما احتج به الشافعي على وجوب التغريب من قوله عليه الصلوة والسلام البكر بالبكر
جلد مائة وتغريب عام وما روي عن الصحابة انهم جلدوا ونفوا منسوخ عنده وعند اصحابنا
بالآية او محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب وقول الشافعي في تغريب الحر
وله في العبد ثلاثة اقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة

نفي

ولا تاخذكم بهما رافة

ولا يغرب كما قال ابو حنيفة وبهذه الآية نسخ الحبس في قوله فامسكوهن في البيوت والأذى في قوله
فآذوهما قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع عن المعاودة
كما سمي نكالا **طائفة من المؤمنين** الطائفة الفرقة التي يمكن ان يكون حلقة واقلها
ثلثة او اربعة وهي صفة غالبة كالجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس في تفسيرها
الى اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلثة فصاعدا وعن
عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة
هي الجماعة التي يثبت بها هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرات من امهات الكبائر ولهذا قرنها
الله تعالى بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال ولا
تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا معشر الناس
اتقوا الزنا فان فيه ست خصال ثلث في الدنيا وثلث في الآخرة فاما اللاتي في الدنيا فيذهب
البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب
والخلود في النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة بكماله بخلاف حد القذف وشرب
الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن الرأفة على المجلود فيه
وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب ان تكون طائفة يحصل بها التشهير والواحد
والاثنان ليسا بتلك المثابة واختصاصه المؤمنين لان ذلك افضح والفاسق بين
صلحاء قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين رجلا من المصدقين **الزاني**
الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا والتقحب **لا ينكح الا زانية او مشركة** لا يرغب
في نكاح الصوالح من النساء واللاتي على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة
خبيثة من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة **لا ينكحها الا
زان او مشرك** كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها
وانما يرغب فيها من هو من شكلها من الفسقة او المشركين ونكاح المؤمن الممدوح
عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا
محرم عليه محظور لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موضع التهمة والتسبب
لسوء المقالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض
لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وانكحوا
الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا

المشركين فرغب فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فنزلت وعن عائشة ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له ان يتزوجها لهذه الآية واذا باشرها
كان زانيا وقد اجازه ابن عباس وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراه وعن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح وآخره نكاح والحرام
لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين احدهما ان هذه
الكلمة وردت في القرآن لم ترد الا في معنى العقد والثاني فساد المعنى واداؤه الى
قولك الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وقيل كان نكاح الزانية محرما في
اول الاسلام ثم نسخ والناسخ قوله وانكحوا الايامى منكم وقيل الاجماع وروي ذلك
عن سعيد بن المسيب اي فرق بين الجملة الاولى والثانية معنى الاولى
صفة الزاني بكونه غير راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية
بكونها غير مرغوب فيها للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان
كيف قدمت الزانية على الزاني اولا ثم قدم عليها ثانيا سيقت تلك الآية لعقوبتهما
على ما جنيا والمرأة هي المادة التي منها نشأت الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض
له ولم تمكنه لم يطمع فيها ولم يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدأ بذكرها واما
الثانية فمسوقة لذكر النكاح والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه يبدأ
الطلب وعن عمرو بن عبيد لا ينكح بالجزم على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ
وآكد كما ان رحمك الله ويرحمك ابلغ من ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى
ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها
وقرئ وحرم بفتح الحاء **والذين يرمون المحصنات** القذف يكون بالزنا وبغيره
والذي دل على ان المراد قذفهن بالزنا شيئان احدهما ذكر المحصنات عقيب
الزواني والثاني اشتراط اربعة شهداء لان القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان
والقذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنا ان يقول الحر العاقل البالغ
لمحصنة يا زانية او لمحصن يا زاني يا ابن الزاني يا ابن الزانية يا ولد الزنا لست لابيك
لست لرشدة والقذف بغير الزنا ان يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي
يا مجوسي يا شقي يا عاصي ويا فاسد فعليه التعزير ولم يبلغ به ادنى حد العبيد وهو

وليشهد عذابهما

والزانية

ثم لم يأتوا باربعة شهداء

اربعون او ينقص منه وقال ابو يوسف يجوز ان يبلغ به تسعة وسبعين وقال للامام
ان يعزر الى المائة وشرط احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام
والعفة ومن يحد اربعة شهداء البتوت وشهداء صفة كيف يشهدون
مجتمعين او متفرقين الواجب عند ابي حنيفة واصحابه ان يحضروا في مجلس واحد وان
متفرقين كان قذفه وعند الشافعي يجوز ان يحضرها متفرقين هل يجوز ان يكون زوج
المقذوفة واحدا منهم يجوز عند ابي حنيفة خلافا للشافعي كيف يجلد القاذف
كما جلد الزاني الا انه لا ينزع عنه من ثيابه الا ما ينزع عن المرأة من الحشو والفرو
والقاذفة ايضا كالزانية واشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب الخمر
ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا انه عوقب صيانة
للاعراض وردعا عن هتكها فاذا لم يكن المقذوف محصنا يعزر القاذف
ولا حد الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير رد شهادة القاذف
معلق عند ابي حنيفة باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه قبلت
فاذا استوفي لم يقبل شهادته ابدا وان كان من الابرار الاتقياء وعند الشافعي
يتعلق بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان يرجع عنه عاد مقبول الشهادة
وكلاهما متمسك بالآية فابو حنيفة جعل جزاء الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد
الشهادة عقيب الجلد على التأبيد فكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة
حياتهم وجعل قوله واولئك هم الفاسقون كلاما مستأنفا غير داخل في حيز جزاء
الشرط كانه حكاية حال الرامين عند الله بعد انقضاء الجملة الشرطية والا الذين
تابوا من بعد ذلك واصلحوا استثناء من الفاسقين ويدل عليه قوله تعالى فان
الله غفور رحيم والشافعي جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد
الى مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثناء
متعلقا بالجملة الثانية وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه
عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الآية ونظمها
ان يكون للجمل الثلث بمجموعهن جزاء الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم
وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا

ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا

عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون عن محدودين فاسقين مردودين الى
مقبولين الكافر يحد في القذف ثم يسلم تقبل شهادته بالاجماع والقاذف
من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند ابي حنيفة كان القذف مع الكفر اهون
من القذف مع الاسلام المسلمون لا يعبأون بسب الكفار لانهم شهروا باعدائهم
والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه
بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار
هل للمقذوف او للامام ان يعفو به عن حد القاذف لهما ذلك قبل
ان يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف
ولا يطالبه بالحد ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له
اعرض عن هذا ودعه لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما
ان يعفو لانه خالص حق الله ولهذا لم يصح ان يصالح عنه بمال هل
يورث الحد عند ابي حنيفة لا يورث لقوله عليه السلام الحد لا يورث
ويورث عند الشافعي واذا تاب القاذف قبل ان يثبت الحد سقط وقيل نزلت
هذه الآية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال في عائشة رضها والذين يرمون
ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم فاذا قذف امرأته اذا كانا جميعا
عاقلين بالغين غير محدودين في القذف والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان
اذا قذفها بصريح الزنا وهو ان يقول لها يا زانية او زنيت او رايتك تزنين
واذا كان الزوج عبدا او محدودا في قذف والمرأة محصنة حد كما في حد الاجنبيات
وما لم ترافعه الى الامام لم يجب اللعان فشهادة احدهم اللعان ان يبدأ الرجل
فيشهد اربع شهادات بالله انه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا و
يقول في الخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها
به من الزنا ويدرؤا عنها العذاب ان تشهد وتقول المرأة اربع شهادات
ويقول المرأة اربع مرات اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به من
الزنا و ثم تقول في الخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين

فيما رماني به وعند الشافعي يقام الرجل قائما حتى يشهد والمرأة قاعدة وتقام
المرأة والرجل قاعد حتى تشهد ويأمر الامام من يضع يده على فيه ويقول له اني
اخاف ان لم تكن صادقا ان تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام و البيت
وبالمدينة على المنبر وببيت المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم
واذا لم يكن له دين ففي مساجدنا الا في المسجد الحرام لقوله تعالى انما المشركون نجس
فلا يقربوا المسجد الحرام لقولهم ثم يفرق القاضي بينهما ولا تقع الفرقة بينهما الا بحكم
عند ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في
حكم التطليقة البائنة عند ابي حنيفة ومحمد ولا يتأبد حكمها فاذا اكذب الرجل نفسه بعد
ذلك حد وجاز ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة
بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما ان يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي ان آية
القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي
الانصاري فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد ثمانين وردت
شهادته ابدا وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان
يجيء باربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله
هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتي خولة
وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا
فاخبر عاصم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكلم خولة فقالت لا ادري الغيرة
ادركته ام بخلا على الطعام وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته على
بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند قوله ان
لعنة الله عليه ان غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين وقال لها ان كنت ألممت
بذنب فاعترفي به فالرجم اهون عليك من غضب الله ان غضبه هو النار وقال تحينوا
بها الولادة فان جاءت به اصيهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك وان جاءت
به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به وقال ابن عباس فجاءت
باشبه خلق الله لشريك فقال عليه السلام لولا الايمان لكان لي ولها شأن ولم

الاولى فان الفرقة تقع باللعان وعن عثمان البتي لا فرقة اصلا

بالناس ولان شهدا جماعة او لانهم في سعة الايمان التي هي حجة ووجه من قرأ
اربع ان ينتصب لانه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو شهادة احدهم
وهي مبتدأ محذوف الخبر تقديره فواجب شهادة احدهم اربع شهادات وقرئ
ان لعنة الله وان غضب الله على تخفيف ان ورفع ما بعدها وقرئ ان غضب الله
على فعل الغضب وقرئ بنصب الخامستين على معنى وتشهد الخامسة
خصت الملاعنة بان تخمس بغضب الله تغليظا عليها لانها اصل الفجور و
منبعه بخلابتها واطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ويشهد لذلك قوله
عليه السلام لخولة فالرجم اهون عليك من غضب الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وان الله تواب حكيم الفضل الفضل وجواب لولا متروك وتركه امر عظيم لانه
ورب مسكوت عنه ابلغ من منطوق ان الذين جاءوا بالافك بابلغ ما
يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله
وهو القلب لانه قلب مأفوك عن وجهه والمراد ما افك به على عائشة عصبة منكم
لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم العصبة الجماعة من العشرة الى
الاربعين وكذلك العصابة واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي راس النفاق
وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم
لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم وقرئ
كبره بالضم وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لانه بدأ به واذاعه عداوة لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وانتهازه الفرص وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب
كل خائض في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من الاثم على مقدار خوضه له
عذاب عظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى ان صفوان مر بهودجها
عليه وهو في ملأ من قومه فقال من هذه قالوا عائشة فقال والله ما نجت
منه ولا نجا منها وقال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والخطاب
في قوله هو خير لكم لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وابي بكر وعائشة وصفوان بن المعطل ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا
فيها الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة
آية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وتسلية له وتنزيه لأم المؤمنين وتطهير لأهل البيت وتهويل لمن تكلم في ذلك أو
سمع به فلم تمجه أذناه وعدة ألطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة وفوائد
وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها **لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات**
بأنفسهم خيرا أي بالذين منهم من المؤمنين والمؤمنات كقوله ولا تلمزوا أنفسكم وذلك
نحو ما يروى أن أبا أيوب الأنصاري قال لأم أيوب ألا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان
أكنت تظن بحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سوءا قال لا قالت ولو كنت أنا بدل
عائشة ما خنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعائشة خير مني وصفوان خير
منك لم قيل لولا إذ سمعتموه ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن
الخطاب إلى الغيبة وعن الضمير إلى الظاهر ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات و
ليصرح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يصدق مؤمن على
أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن وفيه تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع
قالة في أخيه أن يبني الأمر على الظن لا على الشك وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه الحسن **وقالوا هذا**
إفك مبين هكذا باللفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال
وهذا من الأدب الحسن الذي قل القائم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت
ولا يشيع ما سمعه بأخوات **لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء**
فأولئك عند الله هم الكاذبون جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق
والكاذب شهادة الشهود الأربعة وانتفاءها والذين رموا عائشة لم تكن لهم
بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة وكانوا عند الله أي في حكمه وشريعته كاذبين
وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الإفك فلم يجدوا في دفعه وإنكاره واحتجاج
عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب تكذيب القاذف بغير بينة و
التنكيل به إذا قذف امرأة محصنة من نساء المؤمنين فكيف بأم المؤمنين الصديقة
بنت الصديق وحرمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحبيبة حبيب الله **ولولا فضل**
الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب
عظيم لولا الأولى للتحضيض وهذه لامتناع الشيء لوجود غيره والمعنى ولولا أني قضيت
عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الإمهال للتوبة وأن أترحم عليكم في الآخرة
بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الإفك يقال أفاض

في الحديث واندفع وهضب وخاض **إذ تلقونه بألسنتكم** إذ ظرف لمسكم
أو لأفضتم تلقونه يأخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول وتلقنه و
تلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وقرئ على الأصل تتلقونه
وإذ تلقونه بإدغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من
إلقائه بعضهم على بعض وتلقونه وتألقونه من الولق والألق وهو الكذب وتلقفونه
محكية عن عائشة رضي الله عنها وعن سفيان سمعت أمي تقرأ إذ تثقفونه وكان أبوها
يقرأ بحرف عبد الله بن مسعود ما معنى قوله **وتقولون بأفواهكم**
والقول لا يكون إلا بالفم معناه أن الشيء المعلوم يكون علمه في القلب فيترجم عنه
اللسان وهذا الإفك ليس إلا قولا يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم من غير ترجمة
عن علم في القلب كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم **وتحسبونه هينا**
وهو عند الله عظيم أي تحسبونه صغيرة وهو عند الله كبيرة وعن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل
له فقال أخاف ذنبا لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا
تقولن لشيء من سيئاتك حقير فلعله عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم
الله بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم بها أحدها تلقي الإفك بألسنتهم
وذلك أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه بحديث الإفك
حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه والثاني التكلم مما لا علم لهم
به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم **ولولا إذ سمعتموه قلتم**
ما يكون لنا أن نتكلم بهذا كيف جاز الفصل بين لولا وقلتم
بالظرف للظروف شأن وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها فيها
وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها فأي
فائدة في تقديم الظرف حتى أوقع فاصلا الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب
عليهم أن يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت
أهم وجب التقدم فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما
لنا أن نتكلم بهذا معناه معنى ينبغي ويصح أي ما ينبغي لنا أن نتكلم
بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق **سبحانك**

وتحسبونه هينا

هذا بهتان عظيم للتعجب من عظم الامر ... ما معنى التعجب في كلمة
التسبيح قلت الاصل في ذلك ان يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر
حتى استعمل في كل متعجب منه او لتنزيه الله من ان تكون حرمة نبيه فاجرة
كيف جاز ان تكون امراة النبي كافرة كامراة نوح وامراة لوط ولم يجز ان تكون فاجرة
لان الانبياء مبعوثون الى الكفار ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب ان لا يكون معهم
ما ينفرهم منهم ولم يكن الكفر عندهم مما ينفر واما الكشخنة فمن اعظم المنفرات يعظكم
الله ان تعودوا لمثله ابدا اي كراهة ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك
وعظت فلانا في كذا فتركته ابدا ما دمتم احياء مكلفين ان كنتم مؤمنين
فيه تهييج لهم ليتعظوا وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالايمان الصاد
عن كل قبيح ويبين الله لكم الآيات على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم
من الآداب الجميلة ما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب ويعظكم به من
المواعظ الشافية والله بكل شيء عليم حكيم فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة ان الذين يحبون
ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد الى الاشاعة
وارادة ومحبة لها لهم عذاب اليم في الدنيا والآخرة عذاب الدنيا الحد ولقد
ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن ابي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان
لحسان فضربه بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد بقوله والذي تولى كبره منهم والله
يعلم ما في القلوب من الاسرار والضمائر وانتم لا تعلمون يعني انه قد علم محبة
من احب الاشاعة وهو معاقبه عليها ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وان الله رءوف رحيم كرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب حاذفا جواب لولا كما
حذفه ثمة وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة وكذلك في التواب و
الرءوف والرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع
خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء الفحشاء والفاحشة ما افرط قبحه قال ابو ذؤيب
ضرائر حرمي تفاحش غارها اي افرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه
ولا ترتضيه وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله عز وجل
ولولا فضل الله عليكم ورحمته ولولا ان الله تفضل عليكم بالتوبة الممحصة

ما زكى منكم من احد ابدا لما طهر منكم احد آخر الدهر من دنس اثم
الافك ولكن الله يزكي من يشاء يطهر بقبول توبتهم اذا محضوها والله
سميع لقولهم عليم بضمائرهم واخلاصهم ولا يأتل اولو الفضل منكم و
السعة من ائتلى اذا حلف افتعال من الالية وقيل من قولهم ما الوت جهدا اذا لم يدخر
منه شيئا ويشهد للاول قراءة الحسن ولا يتال ان يؤتوا اولي القربى
والمساكين والمهاجرين في سبيل الله والمعنى لا يحلفوا على ان لا يحسنوا الى
المستحقين للاحسان او لا يقصروا في ان يحسنوا اليهم وان كانت بينهم وبينهم شحناء
لجناية اقترفوها وليعفوا وليصفحوا ليمحوه وليطمسوه العفو والصفح وليفعلوا
بهم مثل ما يرجون من ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت في شان مسطح
وكان ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان فقيرا من فقراء المهاجرين وكان ابو بكر ينفق
عليه فلما فرط منه ما فرط آلى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك الاشتغال
بالمكافاة للمسيء ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قراها على ابي بكر فقال
بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال لا انزعها ابدا وقرا ابو حيوة وابن قطيب
تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم والله
غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات المؤمنات الغافلات السليمات الصدور
النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن الامور
فلا يفطن لما تفطن له المجربات العرفات قال ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على اسرارها
وكذلك البله من الرجال في قوله اكثر اهل الجنة البله لعنوا في الدنيا والآخرة
ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم وقرئ يشهد
بالياء والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو قلبت القرآن كله
وفتشت عما اوعد به العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ في شيء تغليظه في افك عائشة و
لا انزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعقاب البليغ والزجر العنيف
واستعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة
واساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل
القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة وبان السنتهم

وايديهم وارجلهم تشهد عليهم بما كانوا يعملون بما افكوا وبهتوا وانه يومئذ يوفيهم الله دينهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم اهله ويعلمون حينئذ عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذلك الا لامر وعن ابن عباس انه كان بالبصرة يوم عرفة وكان يسأل عن تفسير القرآن حتى سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب عنه الا من خاض في امر عايشة وهذه منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برأ الله تعالى اربعة باربعة برأ يوسف عليه السلام بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرأ موسى من قول اليهود بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرأ مريم بانطاق ولدها حتى نادى من حجرها اني عبد الله وبرأ عايشة بهذه الآيات المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه المبالغات فانظر كم بينهما وبين اولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتنبيه على انافة محل سيد ولد آدم صلى الله عليه وآله وسلم ومن اراد ان يتحقق عظمة شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات الافك وليتأمل كيف غضب الله تعالى في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه   ان كانت العايشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات فيه وجهان احدهما ان يراد بالمحصنات ازواج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وان يخصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به واذا اردن وعايشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت المرادة اولا والثاني انها ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة والايمان كما قال قدني من نصر الخبيبين قدي اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان اعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم وذاك في الصفة   ما معنى قوله هو الحق المبين معناه ذو الحق البين اي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن هذه صفته لم يسقط عنده اساءة مسيء ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى ويجتنب محارمه الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات

العظام في كتابه

وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين

اي الخبيثات من القول

للطيبين والطيبون للطيبات اولئك مبرؤن اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤن مما يقولون مبرؤن مما يقول الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعايشة وما رميت به من قول لا يطابق حالها في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى اهل البيت وانهم مبرؤن مما يقول اهل الافك وان يراد بالخبيثات والطيبات النساء اي الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث وكذلك اهل الطيب لهم مغفرة ورزق كريم وذكر الرزق الكريم ههنا مثله في قوله واعتدنا لها رزقا كريما وعن عايشة رضي الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امرأة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي وان راسه لفي حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا فيه وجهان احدهما انه من الاستئناس الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري ايؤذن له ام لا فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استأنس فالمعنى حتى يؤذن لكم كقوله لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا النوع من الاستئناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثاني ان يكون من الاستئناس الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من انس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه بيت النابغة على مستأنس وحد ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يؤذن اهل البيت وتسلموا على اهلها والتسليم ان يقول السلام عليكم ءادخل والاستئذان ثلث واستأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال االج فقال عليه الصلوة

حلوا

ءادخل ثلث مرات فان اذن له والا رجع وعن ابي موسى الاشعري انه اتى عمر فقال السلام عليكم ءا

لامرأة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستاذن قولي له يقول
السلام عليكم ادخل فسمعها مقالها فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل
منهم اذا دخل بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امرأته
في لحاف واحد فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن الاجمل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس
كالشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستيذان من ذلك بينا انت في بيتك
اذ رعف عليك الباب بواحد من غير استيذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو
ممن سمع ما انزل الله تعالى فيه وما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن اين
الاذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا على اهلها وتستاذنوا وعن ابن عباس
وسعيد بن جبير انما هو حتى تستاذنوا فاخطأ الكاتب ولا تعول على هذه الرواية
وفي قراءة ابي حتى تستاذنوا ذلكم الاستيذان والتسليم خير لكم من
تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو
الهلاك كان صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استيذانه
فقد دمر وروي ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم استاذن على امي قال نعم
قال انها ليس لها خادم غيري استاذن عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة
قال الرجل لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون اي انزل عليكم او قيل لكم هذا
ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستيذان فان لم
تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم الا
باذن اهلها وذلك ان الاستيذان لم يشرع لئلا يطلع الداخل على عورة ولا
تسبق عينه الى ما لا يحل النظر اليه فقط وانما شرع لئلا توقف على الاحوال التي يطويها
الناس في العادة عن غيرهم ويتحفظون من اطلاع احد عليها ولانه تصرف في ملك
غيرك فلا بد من ان يكون برضاه والا اشبه الغصب والتغلب وان قيل لكم ارجعوا
فارجعوا اي لا تلحوا في اطلاق الاذن ولا تلحوا في تسهيل الحجاب ولا تقفوا على الابواب
منتظرين لان هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في قلوب الناس خصوصا اذا كانوا ذوي مروءة
ومرتاضين بالآداب الحسنة واذا نهي عن ذلك لادائه الى الكراهة وجب الانتهاء
عن كل ما يؤدي اليها من قرع الباب بعنف والتصيح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل

في عادات من لم يتهذب من اكثر الناس وعن ابي عبيد ما قرعت بابا على عالم قط
كفى بقصة بني اسد زاجرة وما نزل فيها من قوله تعالى ان الذين ينادونك من
وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون   هل يصح ان يكون المعنى وان لم يؤذن
لكم وامرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم   بعد ان جزم النهي
عن الدخول مع فقد الاذن وحده من اهل الدار حاضرين وغائبين لم يبق شبهة
في كونه منهيا مع انضمام الامر بالرجوع اليه فقد الاذن   فاذا عرض امر
في دار من حريق او هجوم سارق او ظهور منكر يجب انكاره   ذلك مستثنى
بالدليل اي الرجوع اطيب لكم واطهر لما فيه من سلامة الصدور والبعد من
الريبة او انفع وانمى خيرا ثم اوعد المخاطبين بذلك بانه عالم بما يأتون وما
يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه
استثنى من البيوت التي يجب الاستيذان على داخلها ما ليس بمسكون منها و
ذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت البياعين
والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وايواء الرحال والسلع والشراء
والبيع وروي ان ابا بكر قال يا رسول الله ان الله قد انزل عليك آية في الاستيذان
وانا نختلف في تجاراتنا فننزل في هذه الخانات افلا ندخلها الا باذن فنزلت
الخربات يتبرز فيها المتاع التبرز   وعيد للذين يدخلون
الخربات والدور الخالية من اهل الريبة
من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الاخفش
ان يكون مزيدة واباه سيبويه   كيف دخلت في
غض البصر دون حفظ الفروج   دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان
المحارم لا بأس بالنظر الى شعورهن وصدورهن وثديهن واعضادهن واسوقهن
واقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات والاجنبية ينظر الى وجهها وكفيها وقدميها
في احدى الروايتين واما الفرج فضيق وكفاك فرقا ان ابيح النظر الا ما استثني
منه وحظر الجماع الا ما استثني منه ويجوز ان يراد مع حفظها عن الافضاء اليها
لا يحل حفظها عن الابداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا

الا هنا فانه اراد به الاستئذان والله خبير بما يصنعون ثم اخبر انه خبير باحوا
لهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم
فعليهم اذا عرفوا ذلك ان يكونوا منه على تقوى وحذر في كل حركة وسكون وقل
للمؤمنات يغضضن من ابصارهن النساء مامورات ايضا بغض الابصار ولا يحل
للمرأة ان تنظر من الاجنبي الى ما تحت سرته الى ركبته وان اشتهت غضت بصرها رأسا
ولا تنظر من المرأة الا الى مثل ذلك وغضها بصرها من الاجانب اصلا اولى بها
واحسن ومنه حديث ابن ام مكتوم عن ام سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه
وآله وسلم وعنده ميمونة فاقبل ابن ام مكتوم وذلك بعد ان امرنا بالحجاب فدخل علينا
فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله اليس اعمى لا يبصرنا قال افعمياوان انتما الستما تبصرانه
ويحفظن فروجهن لم قدم غض الابصار على حفظ الفروج لان
النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه اشد واكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس
منه ولا يبدين زينتهن الزينة ما تزينت به المرأة من حلي او كحل او خضاب فما
كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا بأس بابدائه للاجانب
وما خفي منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط
فلا تبديه الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء
بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن الآية ولا يبديه لهؤلاء
وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين واقعة
على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها لغير هؤلاء وهي الذراع والساق والعضد والعنق
والرأس والصدر والاذن فنهى عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اذا لم يحل اليها لملابستها
تلك المواقع بدليل ان النظر اليها غير ملابسة لها لا مقال في حله كان النظر الى المواقع
انفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها
ويتقين الله في الكشف عنها ما تقول في القراميل هل يحل نظر هؤلاء اليها
قلت نعم ليس موقعها الظهر ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر
فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة الامر كما قلت ولكن امر القراميل خلاف
امر سائر الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر

الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن

والبطن للاجانب فضلا عن هؤلاء الا اذا كان يصف لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل
النظر الى القراميل واقعة عليه ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار
الذي تلابسه الزينة منه الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية
وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه موضع الكحل والخضاب بالوسمة في حاجبيه
وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء
لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة لان سترها فيه حرج فان المرأة لا تجد
بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة
والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات وظهور قدميها وخاصة الفقيرات
منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت العادة والجبلة على ظهوره
والاصل فيه الظهور وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون لما كانوا مختصين به
من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم ولما في الطباع من النفرة
عن مماسة القرائب وتحتاج المرأة الى صحبتهم في الاسفار للنزول والركوب وغير
ذلك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها وكن
يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى تغطيها
ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ويلابسها ومنه قولهم ناصح الجيب
وقولك ضربت بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها
عليه وعن عائشة ما رأيت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الآية قامت
كل واحدة الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن على رؤسهن
الغربان وقرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم او نسائهن
قيل في نسائهن هن نساء المؤمنات لانه ليس للمؤمنة ان تتجرد بين يدي مشركة او
كتابية عن ابن عباس والظاهر انه عنى بنسائهن وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن
وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء في حل نظر بعضهن الى بعض
وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث وعن عائشة انها اباحت النظر لعبدها
وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت فانت حر وعن سعيد بن المسيب
مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم آية النور فان المراد بها الاماء وهذا هو الصحيح لان عبد

المراة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وعن ميسون بنت بحدل الكلابية ان
معوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي فقالت يا معوية ان المثلة
به تحلل ما حرم الله تعالى وعند ابي حنيفة لا يحل امساك الخصيان واستخدامهم وبيعهم
وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم وروي انه اهدي لرسول
صلى الله عليه وآله وسلم خصي فقبله لا يقبل فيما يعم به البلوى الا حديث مكشوف
فان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من الاسباب او التابعين غير اولي الاربة
من الرجال الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا من فضل طعامكم
ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ
صلحا اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقرئ غير بالنصب
على الاستثناء او الحال والجر على الوصفية ووضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس
ويبين ما بعده انه يراد به الجمع ونحوه ويخرجكم طفلا او الطفل الذين لم يظهروا على
عورات النساء اما من ظهر على الشيء اذا اطلع عليه اي لا يعرفون ما العورة
ولا يميزون بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوي عليه وظهر على القرن
اخذه واطاقه اي لم يبلغوا اوان القدرة على الوطي وقرئ عورات وهي لغة هذيل
لم يذكر الله الاعمام والاخوال سئل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها
العم عند ابنه والخال كذلك ومعناه ان سائر القرابات تشترك الاب والابن في
المحرمية الا العم والخال وابناهما فاذا راها الاب فربما وصفها لابنه وليس
بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف نظره اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة
على وجوب الاحتياط عليهن في التستر ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين
من زينتهن كانت المراة تضرب الارض برجلها لتتقعقع خلخالها فيعلم انها
ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخال
واذا نهين عن اظهار صوت الحلي بعد ما علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي ابلغ
وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون واوامر الله
ونواهيه في كل باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه
واجتهد ولا يخلو من تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين جميعا بالتوبة والاستغفار

وبتاميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية
لعلكم تسعدون في الدنيا والاخرة فان قلت قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام
يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت اراد بها ما يقوله العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه
يلزمه كلما ذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان
يلقى ربه وقرئ ايه المؤمنون بضم الهاء ووجهه انها كانت مفتوحة لوقوعها
قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة ما قبلها
وانكحوا الايامى منكم الايامى واليتامى اصلهما ايايم ويتايم فقلبا والايم
للرجل والمراة وقد آم وآمت وتايما اذا لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال
فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم وعن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم اللهم انا نعوذ بك من العيمة والغيمة والايمة والكرم والقرم والمراد انكحوا
من تايم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواريكم
وقرئ من عبيدكم وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه
وقد يكون للوجوب في حق الاولياء عند طلب المراة ذلك وعند اصحاب الظواهر
النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا اليه قوله عليه السلم من احب فطرتي
فليستن بسنتي وهي النكاح وعنه من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا
وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن آدم مني ثلثي دينه وعنه
يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر والاحاديث فيه عن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم والآثار كثيرة وربما كان واجب الترك اذا ادى الى معصية او
مفسدة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة
فقد حلت لهم العزبة والعزلة والترهب على رؤس الجبال وفي الحديث ياتي على الناس
زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة
لم خص الصالحين ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين
من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة
والمودة فكانوا مظنة للتوصية بشانهم والاهتمام بهم وتقبل الوصية فيهم
واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك او اريد الصلاح

ان يكونوا فقرآء يغنهم الله من فضله

القيام بحقوق النكاح ينبغي ان يكون شريطة الله تعالى غير منسية في هذه المواعد ونظائرها
فهي مشيئته ولا يشاء الحكيم الا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله وان خفتم عيلة
فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم
ينتصب معترضا بعزب كان غنيا فافقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله وكان له
شيء ففني واصبح مسكينا وعن النبي صلى الله عليه التمسوا الرزق بالنكاح وشكا اليه
رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رض عجبا لمن لا يطلب الغنى بالباءة ولقد كان
رجل رث الحال ثم رايته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسالته فقال كنت في
اول امري على ما علمت وذلك قبل ان ارزق ولدا فلما رزقت بكرا ولدي تراخيت عن الفقر
فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلاثة صب الله علي الخير صبا فاصبحت الى ما ترى
والله واسع اي غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط الرزق لمن
يشاء ويقدر وليستعفف وليجتهد في العفة وطلب العفة كان المستعفف طالب من نفسه
العفاف وحاملها عليه الذين لا يجدون نكاحا اي استطاعة تزوج ويجوز ان
يراد بالنكاح ما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله من فضله ترجية للمستعففين وتقدمة
وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم في استعفافهم و
ربطا على قلوبهم وليظهر بذلك ان فضله اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء وما احسن
ما رتب هذه الاوامر حيث امر اولا بما يعصم من الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية
وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به الاستغناء بالحلال عن الحرام
ثم بالحمل على النفس الامارة بالسوء وعزفها عن الطموح الى الشهوة عند العجز عن النكاح
الى ان يرزق القدرة عليه والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم
مرفوع على الابتداء او منصوب بفعل يفسره فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا
كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب والكتابة كالعتاب
والمعاتبة وهو ان يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على الف درهم فان اداها عتق
ومعناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت بالمال وكتبت لي على نفسك
ان تفي بذلك او كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق ويجوز عند ابي حنيفة حالا

ومؤجلا ومنجما وغير منجم لان الله عز وجل لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود
وعند الشافعي لا يجوز الا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لان العبد لا يملك شيئا فعقده
حالا يمنع من حصول الغرض لانه لا يقدر على اداء البدل عاجلا ويجوز عقده
على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم موقت مثل
حفر بئر في مكان بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار وقد اراه آجرها وجصها وما يبنى به
وان كاتبه على قيمته لم يجز فان اداها عتق وان كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة
ووجب الوسط وليس له ان يطأ المكاتبة واذا ادى عتق وكان ولاؤه لمولاه لانه
جاد عليه بالكسب الذي هو في الاصل له وهذا الامر للندب عند عامة العلماء وعن
الحسن ليس ذاك بعزم ان شاء كاتب وان شاء لم يكاتب وعن عمر هي عزمة من عزمات الله
وعن ابن سيرين مثله وهو مذهب داود خيرا قدرة على اداء ما يكاتبون عليه وقيل
امانة وتكسبا وعن سلمان ان مملوكا له ابتغى ان يكاتبه فقال اعندك مال قال لا قال افتامرني
ان آكل غسالة ايدي الناس وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للمسلمين على
وجه الوجوب باعانة المكاتبين واعطائهم سهمهم الذي جعل الله لهم من بيت المال
كقوله وفي الرقاب عند ابي حنيفة واصحابه هل يحل لمولاه اذا كان غنيا ان
ياخذ ما تصدق به عليه نعم وكذلك اذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز حل
للمولى ما اخذه لانه لم ياخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد الكتابة كابن السبيل
الصدقة من الفقير او وارثها او وهبت له ومنه قوله عليه السلام في حديث بريرة
هو لها صدقة ولنا هدية وعند الشافعي هو ايجاب على الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة
اجبروا وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس يرضخ له من كتابته شيئا
وعن عمر انه كاتب عبدا له يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم
فدفعه اليه وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى آخر نجم فقال اخاف ان
لا ادرك ذلك وعند ابي حنيفة على وجه الندب وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة
كالبيع وقيل معنى وآتوهم اسلفوهم وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا
كله مستحب وروي انه كان لحويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سال مولاه ان
يكاتبه فابى فنزلت ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء كان لاماء الجاهلية مساع على

سوالبهن وكان لعبد الله بن ابي راس النفاق ست جوار معاذة ومسيكة واميمة وعمرة
واروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب فشكت ثنتان منهن الى رسول
صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث
ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي والبغاء مصدر البغي
الى الحكم قوله إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لان الاكراه لا يتاتى الا مع ارادة التحصن
وآمر الطيعة المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا آمره مكرها وكلمة ان وايثارها
على اذا ايذان بان المساعيات كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد
من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ النادر وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ
غَفُورٌ رَحِيمٌ لهم او لهن ان تابوا واصلحوا وفي قراءة ابن عباس لهن غفور رحيم
لا حاجة الى تعليق المغفرة بهن لان المكرهة على الزنا بخلاف المكره
عليه في انها غير آثمة لعل الاكراه كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه
بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو من ضرب عنيف او غيره حتى يسلم
من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا
آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ هي الآية التي بينت في هذه السورة واوضحت في معانيها
الاحكام والحدود وجعل الفعل لها على المجاز او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد
بين الصبح لذي عينين وَمَثَلًا مِنْ امثال الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ اي قصة
عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ما وعظ
في الآيات والمثل نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا اذ سمعتموه يعظكم الله
ان تعودوا لمثله ابدا نظير قوله اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مع قوله مَثَلُ نُورِهِ
ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى ذو نور
السموات وصاحب نور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره وبيانه كقوله
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف
النور الى السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته
حتى تضيء له السموات والارض واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به
مثل نوره اي صفة نوره العجيبة الشان في الاضاءة كَمِشْكَاةٍ كصفة مشكاة

وهي الكوة في الجدار غير النافذة فِيهَا مِصْبَاحٌ سراج ضخم ثاقب الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ اراد قنديلا من زجاج شامي ازهر كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ شبهه
في زهرته باحدى الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والمريخ وسهيل
ونحوها يُوقَدُ هذا المصباح مِنْ شَجَرَةٍ اي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت
ذبالته بزيتها مُبَارَكَةٍ كثيرة المنافع او لانها تنبت في الارض التي بارك فيها للعالمين
وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم صلوات الله عليه زَيْتُونَةٍ عن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور
لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ اي منبتها الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في مضحى
ولا في مقناة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا خير في شجرة في مقناة ولا نبات في مقناة
ولا خير فيها في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها
بل تصيبها بالغداة والعشي جميعا فهي شرقية وغربية ثم وصف الزيت بالصفاء والبريق
وانه لتلألؤه يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ يعني غير نار نُورٌ عَلَى نُورٍ اي هذا
الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح
والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا ويمده باضاءة بقية وذلك ان
المصباح اذا كان في مكان متضايق لم ينتشر وكذلك الزيت وصفاؤه يَهْدِي اللَّهُ
لِنُورِهِ لهذا النور الثاقب مَنْ يَشَاءُ من عباده اي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين
عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم
يتدبر فهو كالاعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي
رضي الله عنه الله نور السموات والارض اي نشر فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره او
نور قلوب اهلها به وعن ابي بن كعب مثل نور من آمن به وقرئ زجاجة الزجاجة
بالفتح والكسر ودري منسوب الى الدر اي ابيض متلألئ ودريء بوزن سكيت يدرء
الظلام بضوءه ودرئ كمريق ودري كالسكينة عن ابي زيد وتوقد بمعنى تتوقد
والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد بالتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بحذف
التاء لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويمسسه بالياء لان التأنيث ليس بحقيقي

فاعل ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم في بيوت متعلق بما
قبله أي كمشكاة في بعض بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وهي
المساجد كأنه قيل مثل نوره كما ترى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت
أو بما بعده وهو يسبح أي يسبح له رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في
الدار جالس فيها أو بمحذوف كقوله آيات أي سبحوا في بيوت والمراد بالإذن الأمر وبرفعها
بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسواها وإذ يرفع إبراهيم القواعد وعن ابن عباس
هي المساجد أمر الله أن تبنى وتعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن ما أمر الله أن ترفع
بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه وقوله وهو عام في كل ذكر وعن ابن عباس
وأن يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند إلى أحد الظروف الثلاثة
أعني له فيها بالغدو والآصال ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له وقرئ تسبح
بالتاء وكسر الباء وعن أبي جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها أن يسند إلى أوقات الغدو
والآصال على زيادة الباء وتجعل الأوقات مسبحة والمراد ربها كصيد عليه يومان
والمراد وحشها والآصال جمع أصل وهو العشي والمعنى بأوقات الغدو أي بالغداة
وقرئ والإيصال وهو الدخول في الأصيل يقال آصل كأظهر وأعتم لا تلهيهم
تجارة التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فإما أن يراد لا
يشغلهم نوع من هذه الصناعة ولا بيع ثم خص البيع لأنه في الإلهاء أدخل
قيل إن التاجر إذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعة التجارة ما لا
يلهيه شرى يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني لأن هذا يقين وذلك مظنون ولما
أن يسمى الشرى تجارة إطلاقا لاسم الجنس على النوع كما يقال رزق فلان تجارة رابحة
إذا اتجه له بيع صالح أو شرى وقيل التجارة لأهل الجلب يقال تجر فلان كذا إذا جلبه وإقام
الصلاة وإيتاء الزكاة التاء في إقامة عوض من العين الساقطة للإعلال و
الأصل إقوام فلما أضيفت أقيمت الإضافة مقام التعويض فأسقطت ونحوه
وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا يخافون يوما تتقلب فيه القلوب و
الأبصار تقلب القلوب والأبصار إما أن تتقلب وتتغير في أنفسها وهو أن تضطرب
من الهول والفزع وتشخص كقوله وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وإما

وإما أن تتقلب أحوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها لا تفقه و
تبصر الأبصار بعد أن كانت عميا لا تبصر ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من
فضله على الثواب تفضلا وكذلك معنى الحسنى وزيادة عليها من التفضل وعطاء
الله عز وجل وكله إما تفضل وإما ثواب وإما عوض والله يرزق من يشاء
ما يتفضل به بغير حساب فأما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق
والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة السراب ما يرى في الفلاة من ضوء
الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الأرض كأنه ماء يجري والقيعة بمعنى القاع
أو جمع قاع وهو المنبسط المستوي من الأرض كجيرة في جار وقرئ بقيعات بتاء
مطوطة كديمات وقيمات في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعا [illegible] كرجل
شبه ما يعمله من لا يعتقد الإيمان ولا يتبع الحق من الأعمال الصالحة التي يحسبها
تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب في العاقبة أمله ويلقى خلاف ما قدر بسراب
يحسبه الظمآن ماء يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة فيحسبه
ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا فيأتيه فلا يجد ما رجاه ووجد الله عنده
فوفاه حسابه ويجد زبانية الله عنده يأخذونه فيعتلونه إلى جهنم فيسقونه
الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم عاملة ناصبة وهم يحسبون أنهم
يحسنون صنعا وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقيل نزلت في
عتبة بن ربيعة بن أمية قد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في الجاهلية
ثم كفر في الإسلام أو كظلمات في بحر لجي العميق الكثير الماء منسوب إلى اللج
وهو معظم ماء البحر يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات
بعضها فوق بعض إذا أخرج يده في إخراج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها
مبالغة في لم يرها أي لم يقرب أن يراها فضلا عن أن يراها ومثله قول ذي الرمة
إذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح أي لم يقرب من
البراح فما باله يبرح ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور شبه أعمالهم
في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا ولم
يكفه خيبة وكمدا أن لم يجده شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده الزبانية

أي أحسن جزاء أعمالهم كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا

معصله الى النار ولا يقال لظمآن بالماء وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها لكونها
باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ثم
قال ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا
الكلام مجراه مجرى الكنايات لان الالطاف انما تردف الايمان والعمل او كونهما
مترقبين الا ترى الى قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله
الظالمين وقرئ سحاب ظلمات على الاضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه
وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى الم تر ان الله يسبح له من في السموات
والارض والطير صافات يصففن باجنحتهن في الهوآء كل قد علم الضمير في
علم لكل او لله وكذلك في صلاته وتسبيحه والصلوة الدعاء ولا يبعد ان
يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد
العقلاء يهتدون اليها والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات و
الارض والى الله المصير الم تر ان الله يزجي يسوق سحابا ومنه البضاعة
المزجاة التي يزجيها كل احد لا يرضاها والسحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب
ثم يؤلف بينه ومعنى تاليف الواحد انه يكون قزعا فيضم بعضه الى بعض وجاز
بينه وهو واحد لان المعنى بين اجزائه كما قيل بين الدخول فحومل ثم يجعله
ركاما والركام المتراكم بعضه فوق بعض فترى الودق المطر يخرج
من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل كجبال في جبل وقرئ خلله وينزل من
السماء من جبال فيها من برد يكاد سنا برقه على الادغام وبرقه جمع برقة
وهي المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة
فعلات كظلمات وسناء برقه بالمد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو
والارتفاع من قولك سني للمرتفع ويذهب بالابصار على زيادة الباء كقوله ولا
تلقوا بايديكم عن ابي جعفر المدني وهذه يقلب الله الليل والنهار ان في ذلك
لعبرة لاولي الابصار وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور امره حيث
ذكر تسبيح من في السموات والارض وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم له
وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب التسخير الذي وصفه وما يحدث فيه من افعاله حتى

ينزل المطر منه وانه يقسم المطر رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها على ما تقتضيه
حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا ويحذروا
ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين
في غاية الوضوح على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر
وتبصر وتدبر — رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسبيح الطير وعلمه من جهة اخبار الله
وينزل المطر من جبال برد في السماء حتى قيل الحرس
اياه بذلك على طريق الوحي — ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة
في قوله من السماء من جبال فيها من برد — فيه معنيان احدهما ان يخلق الله في السماء
الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او الاوليان للابتداء و
الآخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من جبال فيها وعلى الاول مفعول ينزل من
جبال — ما معنى من جبال فيها من برد — فيه معنيان احدهما ان يخلق الله
في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر والثاني ان يريد الكثرة بذكر الجبال
كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب والله خلق كل دابة من ماء فمنهم
من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على
اربع وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب
فاعطى ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي في
الماشي على بطن والماشي على اربع قوائم — لم نكر الماء في قوله من ماء
لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة او خلقها من ماء
مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام ومنها بهائم
ونحوه قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي — قصد ثم معنى آخر وهو ان اجناس الحيوان
كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل وان تخللت بينه
وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء وذلك انه هو الاصل
وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار
خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه — لم جاءت الاجناس الثلثة على هذا
الترتيب — قدم ما هو اعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من ارجل او قوائم

ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع لم يسمي الزحف على البطن مشيا
على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان لا يتمشى له
امر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على طريق
المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشي يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء
قدير لقد انزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط
مستقيم ويقولون آمنا بالله وبالرسول واطعنا ثم يتولى فريق منهم
من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين آمنا واطعنا او الى الفريق
المتولي منهم فمعناه على الاول اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم الايمان لا الفريق
المتولي وحده وعلى الثاني اعلام بان الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم من الايمان ايمانا انما
كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لانه لو كان صادرا عن صحة معتقد وطمأنينة
نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة على انهم ليسوا بالمؤمنين
الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون في قوله تعالى انما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ثم لم يرتابوا واذا دعوا الى الله ورسوله الى رسول الله كقوله
اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله غلسته قبل القطا وفرطه اراد قبل فرط القطا
ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون روي انها نزلت في بشر المنافق وخصمه
اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروي ان المغيرة بن وائل
كان بينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء وارض فقال المغيرة اما محمد فلست
آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي وان يكن لهم الحق يأتوا
اليه مذعنين اليه صلة يأتوا لان اتى وجاء قد جاءا متعديين بالى او يتصل بمذعنين
لانه في معنى مسرعين في الطاعة وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص
افي قلوبهم مرض ام ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله والمعنى انهم لم يقفهم انه
ليس معك الا الحق المر والعدل البحت يردونه عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا
تنتزعه من احلاقهم بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم اسرعوا اليك
ولم يرضوا الا بحكومتك لتأخذ لهم ما ذاب لهم في ذمة الخصم ثم قسم الامر في صدودهم

عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان يكونوا مرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته
او خائفين الحيف في قضائه ثم ابطل خوفهم حيفه بقوله بل اولئك هم الظالمون
اي لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم ظالمون يريدون ان يظلموا من
له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ثم يأبون المحاكمة اليه انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى
الله ورسوله ليحكم بينهم وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب اقوى لان
اولى الاسمين بكونه اسما لكان اوغلهما في التعريف وان يقولوا سمعنا واطعنا
اوغل لانه لا سبيل اليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان
في قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد ما يكون لنا ان نتكلم بهذا وقرئ ليحكم
على البناء للمفعول الام اسند يحكم ولا بد له من فاعل
هو مسند الى المصدر لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله جمع بينهما والف
بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قرأ بينكم منصوبا اي وقع التقطع بينكم وهذه
القراءة مجاوبة لقوله دعوا واولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله
ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون قرئ ويتقه بكسر القاف والهاء
مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف
فخفف كقوله قالت سليمى اشتر لنا سويقا ولقد جمع الله سبحانه في هذه الآية اسباب
الفوز وعن ابن عباس في تفسيرها ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه
ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل وعن بعض الملوك انه سأل عن آية
كافية فتليت له هذه الآية واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن امرتهم ليخرجن
قل لا تقسموا جهد يمينه مستعار من جهد نفسه اذا بلغ في اليمين وبلغ غاية
شدتها ووكادتها وعن ابن مسعود من قال بالله فقد جهد يمينه واصل اقسم جهد
اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا
الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كانه قال جاهدين
ايمانهم طاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ له محذوف الخبر اي
الكائن منهم طاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ محذوف الخبر اي امركم

او الذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة الخلص من
المؤمنين الذين طابق باطن امره ظاهره لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم على
خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون الفعل او طاعة معروفة امثل
واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرأ اليزيدي طاعة معروفة بالنصب على معنى
اطيعوا طاعة إن الله خبير بما تعملون يعلم ما في ضمائركم ولا يخفى عليه شيء من سرائركم
وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول
صرف الكلام عن الغيبة الى الخطاب على طريق الالتفات ومبالغة في تبكيتهم فان
تولوا فانما عليه ما حمل يريد فان تتولوا فما ضررتموه وانما ضررتم انفسكم فان
الرسول ليس عليه الا ما حمله الله تعالى وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى فقد خرج
عن عهدة تكليفه وعليكم ما حملتم واما انتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول
والاذعان فان لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان تطيعوه
تهتدوا وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة الى الهدى فالنفع
والضرر عائدان اليكم وما على الرسول الا البلاغ وما الرسول الا ناصح وهاد
وما عليه الا ان يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ
كالاداء بمعنى التأدية ومعنى المبين كونه مقرونا بالآيات والمعجزات وعد الله
الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في آخر سورة الفتح ليستخلفنهم في الارض
وعدهم الله ان ينصر الاسلام على الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما
استخلف الذين من قبلهم كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد
اهلاك الجبابرة وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وان علي [illegible] دين المرتضى
وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا
وان يؤمن شرهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليهم وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم واصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة
يصبحون في السلاح ويمسون فيه حتى قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع
السلاح فقال عليه وآله الصلوة والسلم لا تغبرون الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في

الملأ العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله تعالى وعده واظهرهم على
جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا
خزائنهم واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك
الانعم وفسقوا وذلك قوله عليه الصلوة والسلم الخلافة بعدي ثلثون سنة
ثم يملك الله من يشاء فيصير ملكا ثم يصير بزيزي قطع سبل وسفك دماء
واخذ اموال بغير حقها وقرئ كما استخلف على البناء للمفعول وليبدلنهم بالتخفيف
جواب القسم الملتقي باللام والنون في ليستخلفنهم هو محذوف
تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله في تحققه منزلة
القسم فتلقى بما يتلقى به القسم كانه اقسم الله ليستخلفنهم صدق ما محل
لا يشركون بي ان جعلته حالا عن وعدهم اي وعدهم الله ذلك في
حال عبادتهم واخلاصهم لمحله النصب ومن كفر بعد ذلك يريد كفران النعمة
كقوله فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون اي هم الكاملون في فسقهم
حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على عظمها هل في هذه الاية
على امر الخلفاء الراشدين اوضح دليل وابينه لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا
الصالحات هم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا
الرسول وليس ببعيد ان يقع بين المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق
المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون كرر
طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها لا تحسبن وقرئ لا يحسبن الذين كفروا احدا
معاجزين بعجز الله في الارض حتى يطمعوهم في مثل ذلك وهذا معنى جيد وان تكون
فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله واطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم
الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك
ان الفاعل والمفعول لما كانا لشيء واحد اقتنع بذكر الاثنين عن ذكر الثالث وعطف
ومأواهم النار على لا يحسبن الذين كفروا معجزين كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون
الله ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم يا ايها الذين آمنوا
ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم امر بان يستأذن العبيد وقيل العبيد و

والاماء والذين لم يبلغوا الحلم منكم والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار
ثلث مرات في اليوم والليلة من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح
ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة
لانها وقت وضع الثياب للقائلة ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد عن
ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم ثلث عورات لكم وسمي كل واحدة من هذه الاحوال
عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس
واعور المكان والاعور المختل العين ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن
ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر في قوله طوافون
عليكم يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة
وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لادى الى
الحرج وروي ان مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وقت الظهر الى عمر ليدعوه فدخل عليه وهو نايم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر
لوددت ان الله عز وجل نهى آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات
الا باذن ثم انطلق معه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه
الآية وهي الآيات المنزلة بسبب عمر وقيل نزلت في اسماء بنت ابي مرثد قالت انا لندخل
على الرجل والمراة ولعلهما يكونان في لحاف واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت
كرهت دخوله فاتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا
يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو والحلم بالسكون وقرئ ثلث عورات
بالنصب بدلا عن ثلث مرات اي اوقات ثلث عورات وعن الاعمش عورات على لغة هذيل
ما محل ليس عليكم   اذا رفعت ثلث عورات كان ذلك في محل الرفع واذا
نصبت لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة
بما ارتفع بعضكم   بالابتداء وخبره على بعض على معنى طائف على بعض
وحذف لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بيطوف مضمرا لتلك الدلالة
واذا بلغ الاطفال منكم الحلم اي من الاحرار دون المماليك الذين من قبلهم
الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من قبلهم في قوله يا ايها

آمنوا

آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الآية والمعنى ان الاطفال
مأذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلث فاذا اعتاد الاطفال
ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولية بان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم
بالبلوغ وجب ان يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على ان يستأذنوا في جميع الاوقات
كالرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه
في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس رضي الله عنهما آية لا يؤمن بها
اكثر الناس آية الاذن واني لآمر جاريتي ان تستاذن علي وسأله عطاء استاذن
على اختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا هذه الآية وعنه ثلث آيات جحدهن
الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله فقال ناس اعظمكم بيتا وقوله
واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم ان تستاذنوا على آبائكم وامهاتكم واخواتكم
وعن الشعبي ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن
سعيد بن جبير يقولون هي منسوخة لا والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها
ما السن التي يحكم فيها بالبلوغ   قال ابو حنيفة ثماني عشرة سنة
في الغلام وسبع عشرة في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن علي رضي
الله عنه انه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله
ما زال مذ عقدت يداه ازاره وسما فادرك خمسة الاشبار واعتبر غيره الانبات
وعن عثمان انه سئل عن غلام فقال هل اخضر ازاره والقواعد من النساء العجائز
التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها اللاتي لا يرجون نكاحا لا يطمعن فيه فليس
عليهن جناح ان يضعن ثيابهن والمراد بالثياب الظاهرة كالملحفة و
الجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية
ارادها في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او غير قاصدات بالوضع التبرج
ولكن التخفف اذا احتجن اليه والاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز
عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله وان تعفوا
اقرب للتقوى وان تصدقوا خير لكم   ما حقيقة التبرج   تكلف
اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين

وأن يستعففن

يبدي بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه اختص بان يتكشف المرأة
للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها ريبا وبرزة بمعنى ظهر من اخوات تبرج و
تبلج كذلك **ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج
ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم او بيوت آبائكم او بيوت امهاتكم
او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت
عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم** كان المؤمنون يذهبون
بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم والى بيوت قراباتهم و
اصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك وخافوا ان
يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى ولا تاكلوا اموالكم
بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم وعلى من في مثل
حالكم من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت الانصار في انفسها قزازة فكانت
لا تاكل من هذه البيوت اذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس و
مواكلتهم لما عسى يؤدي الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى ربما سبقت يده
الى ما سبقت عين مواكله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه وياخذ اكثر
من موضعه فيضيق على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة او جرح يبض او انف يذن
ونحو ذلك وقيل كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم
المفاتيح وياذنون لهم ان ياكلوا من بيوتهم فكانوا يتحرجون وحكي عن الحرث بن عمرو انه
خرج غازيا وخلف مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع رآه مجهودا فقال له ما اصابك
قال لم يكن عندي شيء ولم يحل لي ان آكل من مالك فقيل ليس على هؤلاء الضعفاء حرج
فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تاكلوا من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك اذا فسر
بان هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو ولا عليكم ان تاكلوا من البيوت المذكورة لكون
لالتقاء الطائفتين في ان كلا منهما منفي عنها الحرج ومثاله ان يستفتيك مسافر
عن الافطار في رمضان وحاج مفرد على تقديم الحلق على النحر
هلا ذكر الاولاد ودخل ذكرهم تحت قوله من بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه
وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء من كسبه وان ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التي

فيها ازواجكم وعيالكم ولان الولد اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة
هو القرابة كان الذي هو اقرب منهم اولى **او ما ملكتم مفاتحه**
اموال الرجل اذا كان عليها قيما ووكيلا يحفظها له ان ياكل من ثمر بستانه ويشرب
من لبن ماشيته وملك المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لان مال
العبد لمولاه وقرئ مفتاحه **او صديقكم** معناه او
بيوت اصدقائكم والصديق يكون واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو
يحكى عن الحسن انه دخل داره واذا حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت
سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم مكبون عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا
وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل
منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسال جاريته كيسه فياخذ ما شاء فاذا حضر
مولاه فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد عليهما الرضوان من عظم
حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس
والاب والاخ والابن وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصديق اكبر من الوالدين لان الجهنميين
لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم وقالوا اذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما
سمج الاستيذان وثقل كمن قدم اليه طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه **ليس عليكم
جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا** اي مجتمعين او متفرقين نزلت في بني ليث بن عمرو من
كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى الليل فان
لم يجد من يواكله اكل ضرورة وقيل في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون الا
مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم
على بعض **فاذا دخلتم بيوتا** من هذه البيوت لتاكلوا **فسلموا على انفسكم** اي فابدأوا بالسلام
على اهلها الذين هم منكم دينا وقرابة **تحية من عند الله** اي ثابتة بامره مشروعة
من لدنه او لان التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله
مباركة طيبة وصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة
الخير وطيب الرزق وعن انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشر

سنين وروي تسع سنين فما قال لي لشيء فعلته لم فعلته ولا قال لي لشيء كسرته لم كسرته
وكنت واقفا على راسه اصب الماء على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلث خصال تنتفع
بها قلت بلى بابي وامي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي ... عليه يطل عمرك واذا
دخلت البيت فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار
الاوابين وقالوا ان لم يكن في البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وعن ابن عباس اذا دخلت
المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله وانتصب تحية
بسلموا لانها في معنى تسليما كقولك قعدت جلوسا انما المؤمنون الذين آمنوا
بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا اراد عز وجل
ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بغير اذنه اذا كانوا معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستأذنوه ثالث الايمان
بالله والايمان برسوله وجعلهما كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة
بانما وايقاع المؤمنين مبتدأ مخبرا عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين
ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده على اسلوب آخر وهو قوله ان
الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله وضمنه شيئا آخر
وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين وتسللهم
لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستأذنوه ويأذن لهم فاذا استأذنوك
لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم الادب كيف علق الامر بعد وجود استيذانهم
بمشيته واذنه لمن استصوب ان يأذن له والامر الجامع الذي يجمع له الناس فوصف
الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او تشاور في خطب مهم او تضام
لارهاب مخالف او تماسح في حلف وغير ذلك او الامر الذي يعم بضرره او بنفعه وقرئ
امر جميع وفي قوله اذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فيه من ذوي رأي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه
ويستضيء بآرائهم ومعارفهم وتجاربهم في كفايته فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال
مما يشق على قلبه ويشعث عليه رأيه فمن ثم غلظ عليهم وضيق عليهم الامر في الاستيذان

مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم وذلك
قوله لبعض شأنهم واستغفر لهم الله ان الله غفور رحيم وذكر الاستغفار
للمستأذنين دليل على ان الافضل ان لا يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستأذنوا
فيه وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم يتسللون بغير اذن وقالوا ولكن ينبغي
ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدميهم في الدين والعلم يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة
من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن مفوض الى الامام ان شاء اذن
وان شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رأيه لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا اذا احتاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى
اجتماعكم عنده لامر فدعاكم فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم
على دعاء بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي او لا تجعلوا تسميته ونداءه
كما يسمي بعضكم بعضا ويناديه باسمه الذي سماه به ابواه ولا تقولوا يا محمد ولكن
يا نبي الله ويا رسول الله مع التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا
تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة
فربما اجابه وربما رده فان دعوات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسموعة مستجابة
قد يعلم الله الذين يتسللون ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل
منكم لواذا واللواذ الملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا
يعني ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة واستتار بعضهم ببعض ولواذا
حال اي ملاوذين وقيل كان يلوذ بالرجل اذا استأذن فيأذن له فينطلق الذي
لم يؤذن له معه وقرئ لواذا بالفتح فليحذر الذين يخالفون يقال خالفه الى الامر
اذا صد عنه دونه ومعنى الذين يخالفون عن امره الذين يصدون عن امره دون
المؤمنين وهم المنافقون فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه والضمير في امره
لله سبحانه او للرسول عليه السلام والمعنى عن طاعته ودينه فتنة محنة في الدنيا
او يصيبهم عذاب اليم في الآخرة وعن ابن عباس فتنة قتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن
جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر الا ان لله ما في السموات والارض
قد يعلم ما انتم عليه ادخل قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة في الدين

والنفاق ومجيء قد لتأكيد العلم الى تأكيد الوعيد وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع
كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى التكثير في نحو قوله فان تمس مهجور الفناء
فربما اقام به بعد الوفود وفود ونحو قول زهير اخو ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه
قد يهلك المال نائله والمعنى ان جميع ما في السموات مختصة به خلقا وملكا وعلما
فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها عن العيون و
اخفائها ويوم يرجعون اليه فينبئهم بما عملوا وسينبئهم يوم القيمة بما
من سوء اعمالهم وسيجازيهم حسبها والخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما
انتم عليه ويوم يرجعون اليه يجوز ان يكونا جميعا للمنافقين على طريقة الالتفات و
يجوز ان يكون ما انتم عليه عاما ويرجعون للمنافقين والله اعلم والله بكل
شيء عليم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة النور
اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان
على عبده كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان تزايد خيره وتكاثر
او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله والفرقان مصدر فرق بين
الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل او لانه لم
ينزل جملة واحدة ولكن مفرقا مفصولا بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى الى
قوله وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه
قال ومشركي كافر بالفرق وعن ابن الزبير على عباده وهم رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وامته كما قال لقد انزلنا اليكم وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا والضمير
في ليكون للعالمين لعبده او للفرقان ويعضده رجوعه الى الفرقان قراءة
للعالمين للجن والانس نذيرا منذرا او انذارا كالنكير بمعنى الانكار ومنه
قوله فكيف كان نكير الذي له ملك السموات والارض رفع على الابدال من الذي

الذي نزل او رفع على المدح او نصب عليه ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في
الملك كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه صلته نزل وليكون تعليل
له فكان المبدل منه لم يتم الا به في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق
كل شيء فقدره تقديرا كانه قال وقدر كل شيء فقدره المعنى انه احدث
كل شيء احداثا مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره وهيأه لما يصلح له مثاله
انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه فقدره للتكاليف والمصالح
المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به على الجبلة المستوية
المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقا لما قدر له غير متجاف
عنه او سمي احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيئا لحكمته الا على وجه التقدير من
غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث من غير نظر الى وجه الاشتقاق
فكانه فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتا وقيل فجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره
للبقاء الى امد معلوم واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
الخلق بمعنى الافتعال كما في قوله انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا
والمعنى انهم آثروا على عبادة الله سبحانه عبادة آلهة لا عجز ابين من عجزهم لا
يقدرون على شيء من افعال الله تعالى ولا من افعال العباد حيث لا يفعلون شيئا
وهم يفتعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون اي لا
لانفسهم ضرا دفع ضر عنها ولا نفعا او جلب نفع ولا يملكون موتا ولا
حيوة ولا نشورا اذا عجزوا عن الافعال ودفع الضر وجلب النفع التي
عليها يقدر العباد كانوا عن الموت والحيوة والنشور التي لا يقدر عليها الا الله اعجز
وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتريه واعانه عليه قوم آخرون اي اليهود
وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وابو فكيهة
الرومي قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار فقد جاؤ ظلما جاء واتى يستعملان
في معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى ورد فكما تقول جئت المكان
ان يحذف الجار ويوصل الفعل ظلما وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي الرومي
كلاما عربيا اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب وزورا والزور ان بهتوه بنسبة

ما هو بريء اليه وقالوا أساطير الأولين ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم
واسفنديار جمع اسطار او اسطورة كأحدوثة اكتتبها كتبها لنفسه و
اخذها كما تقول استكب الماء واصطبه اذا سكبه وصبه لنفسه وهذه وقرئ
اكتتبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان اميا لا يكتب بيده وذلك
من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب
كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا
مستترا بعد ان كان بارزا منصوبا وبقي ضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها
كما ترى كيف قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال املیت عليه فهو يكتتبها
فيه وجهان احدهما اراد اكتتابها وطلبه فهي تملى عليه او كتبت له وهو
امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه يتحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة
الالقاء على الكاتب وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم وانما يستقيم ان لو
فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله
أفرح ان ارزأ الكرام وحق الخزن ان يتقف على الاولين بكرة واصيلا اي
دائما او في الخفية قبل ان ينتشر الناس وحين يأوون الى مساكنهم قل انزله
الذي يعلم السر اي يعلم كل سر خفي في السموات والارض ومن جملته ما تسرون
انتم من الكيد لرسوله مع علمكم ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن امر
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ومجازيه
على ما علم منكم وعلم منه كيف طابق قوله انه كان غفورا رحيما
هذا المعنى لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه بما يدل على القدرة عليه
لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة او هو تنبيه على انهم استوجبوا
بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف عنهم انه غفور رحيم
لا يعاجل وقالوا مال هذا الرسول وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا
خارجة عن اوضاع الخط العربي وخط المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة
وتصغير لشأنه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كانهم قالوا ما لهذا الزاعم انه
رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ان صح انه رسول الله

فما باله حاله مثل حالنا يأكل الطعام كما نأكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد
يعنون انه كان يجب ان يكون مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان
يكون ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا
ايضا فقالوا وان لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر
به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان يأكل منه
ويرتزق كما الدهاقين والمياسير او يأكلون هم من ذلك البستان فينتفعون به في
دنياهم ومعاشهم واراد بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر موضع المضمر
ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع او يكون له جنة بالياء ونأكل بالنون
ما وجها الرفع والنصب في فيكون النصب لانه جواب لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام
والرفع على انه معطوف على انزل ومحله الرفع الا ترى انك تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف
عليه يلقى ويكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم الواقع بعد لولا ولا يكون
الا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد
ومن ضامهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا سحر فغلب على عقله او ذا سحر وهو الرئة
عنوا انه بشر لا ملك انظر كيف ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك تلك الاقوال و
اخترعوا لك تلك الصفات والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك
والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فضلوا فبقوا متحيرين ضلالا لا يستطيعون
سبيلا لا يجدون قولا يستقرون عليه او ضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه تبارك
الذي ان شاء جعل وهب لك في الدنيا خيرا من ذلك مما قالوا وهو ان يعجل لك
مثل ما وعدك في الآخرة من الجنات والقصور وقرئ ويجعل لك بالرفع عطفا
على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل
يوم مسألة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز في ويجعل لك اذا ادغمت ان يكون اللام في تقدير
الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط بالواو بل كذبوا بالساعة
عطف على ما حكي عنهم يقول بل اتوا باعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم بالساعة و
ان يتصل بما يليه كانه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وكيف
يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة واعتدنا لمن

لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا
او يلقى اليه كنز
وقال الظالمون

كذبوا بالساعة سعيرا السعير النار الشديدة الاستعار وعن الحسن انه اسم من اسما
جهنم اذا رأتهم من مكان بعيد من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ومن
قوله عليه السلام لا تتراءى ناراهما كان بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى اذا كانت منهم بمرأى
الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز
ان يراد اذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام
منهم واذا القوا منها مكانا ضيقا الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة
ولذلك وصف الله الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان لكل مؤمن
من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على اهل النار انواع التضييق والارهاق
حيث القاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس في تفسيره
انه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح مقرنين وهم مع ذلك الضيق مسلسلون
مقرنون في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه
في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد والثبور الهلاك ودعاؤه ان يقال واثبوراه اي
تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا اي يقال لهم
ذلك او هم احقاء بان يقال لهم وان لم يكن ثمة قول ومعنى وادعوا ثبورا كثيرا
انكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب انواع والوان
كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته او لانهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها
فلا غاية لهلاكهم قل أذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون كانت
لهم جزاء ومصيرا لهم فيها ما يشاؤون الراجع الى الموصولين محذوف يعني
وعدها المتقون وما يشاؤونه وانما قيل كانت لان ما وعده الله وحده فهو
كانه قد كان او كان مكتوبا في اللوح قبل ان براهم بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم
ومصيرهم ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا كقوله نعم الثواب
وحسنت مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم
العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة
وان لا ينغص وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه
لاسباب الاجتواء والكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء الضمير في كان

كان على ربك وعدا مسؤولا لما يشاؤون والوعد الموعود اي كان ذلك موعودا واجبا
على ربك انجازه حقيقا ان يسأل ويطلب لانه جزاء واجر مستحق وقيل قد ساله
الناس والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك آتنا في الدنيا حسنة
وفي الآخرة حسنة ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ويوم يحشرهم وما
يعبدون من دون الله فيقول أأنتم يحشرهم فيقول كلاهما بالنون
والياء وقرئ نحشرهم بكسر الشين وما يعبدون يريد المعبودين من الملائكة
والمسيح وعزير وعن الكلبي الاصنام ينطقها الله ويجوز ان يكون عاما لهم جميعا
كيف صح استعمال ما في العقلا هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم
بدليل قولك اذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فاذا قيل لك انسان قلت حينئذ من هو
ويدلك قولهم من لما يعقل او اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم الا تراك
تقول اذا اردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني اطويل ام قصير أفقيه ام طبيب
ما فائدة انتم وهم وهلا قيل أأضللتم عبادي هؤلاء ام ضلوا السبيل
ليس السؤال عن الفعل ووجوده لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب
وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتى يعلم انه المسؤول
فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال
فائدته ان يجيبوا بما اجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيبهتوا
وينخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغتبط
المؤمنون ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة اولئك وليكون حكاية ذلك في
القرآن لطفا للمكلفين وفيه كسر بين لقول من يقول ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث
يقول للمعبودين من دونه أأنتم اضللتموهم ام هم ضلوا بانفسهم فيتبرؤون من
اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين ويقولون بل انت تفضلت من غير
سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها ان يكون سبب
الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برأت الملائكة
انفسهم من نسبة الاضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم
لربهم الغني العدل اشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل

أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل

ا النعمة والتمتع بها فاسندوا نسيان الذكر والتسبب به للبوار الى الكفرة فنبهوا
الاضلال المجازي الذي اسنده الله في قوله يضل من يشاء ولو كان هو المضل
لكان الجواب العتيد ان يقولوا بل انت اضللتهم والمعنى انتم اوقعتموهم في الضلال
عن طريق الحق ام ضلوا عنه بانفسهم وضل مطاوع اضله وكان القياس ضل عن
السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق
وقولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا اي ضايعا لما كان اكثر ذلك بتفريط من
صاحبه وقلة احتياطه في حفظه قيل اضله سواء كان منه فعل ام لم يكن قالوا
سبحانك تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملائكة وانبياء معصومون
فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه او نطقوا بسبحانك ليدلوا على
انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده
او قصدوا به تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا ثم قالوا
ما كان ينبغي لنا ما يصح لنا ولا يستقيم ونحن معصومون ان نتولى احدا دونك
فكان ما ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار
قال الله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان يريد الكفرة وقال الذين كفروا اولياؤهم
الطاغوت وقرأ ابو جعفر المدني نتخذ على البناء للمفعول وهذا الفعل اعني اتخذ
يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين كقولك اتخذ فلانا
وليا قال الله تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض وقال واتخذ الله
ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي الى مفعولين فالاول ما بني له الفعل والثاني
اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وتنكيرها اولياء من حيث انهم اولياء
مخصوصون وهم الجن والاصنام ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر
ذكر الله والايمان به والقرآن والشرائع وكانوا قوما بورا البور الهلاك
يوصف به الواحد يوصف به الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ فقد
كذبوكم بما تقولون هذه المفاجاة بالالزام حسنة رائعة وخاصة اذا انضم
اليها الالتفات وحذف القول ونحوها قوله عز وعلا يا اهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد

ان نتخذ من دونك

مفعول واحد وهي من اولياء الاصل ان ... من لا كيد ... النحو والثانية من المتعدي الى ص

فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول
وقرئ يقولون بالياء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة والمعنى على قراءة الياء فقد كذبوكم
يقولون بالياء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة ومعنى سبحانك ما كان ينبغي لنا ان
نتخذ من دونك من اولياء هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء اي
والله هو مع الباء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل
فقد كذبوا بما تقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ فما تستطيعون
بالياء والتاء ايضا يعني فما يستطيعون انتم يا كفار صرفا ولا نصرا صرف العذاب
عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي يحتال او فما يستطيع
آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او ان يحتالوا لكم الخطاب على العموم للمكلفين ومن
يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا العذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم
لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله ومن لم يتب فاولئك
هم الظالمون وقرئ يذقه بالياء وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق
الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين
الا آكلين وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين ونحوه قوله
وما منا الا له مقام معلوم على معنى وما منا احد وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي
تمشيهم حوائجهم او الناس ولو قرئ يمشون لكان اوجه لولا الرواية وقيل هو احتجاج
من قال ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة
اي محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ما قالوه واستبعدوه
من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعدما احتج عليهم بسائر الرسل يقول وجرت
عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين
بالمرسل اليهم وبمناصبتهم لهم العداوة وما يقولونه الخارجة عن حد الانصاف وانواع الاذى وطلب
الصبر الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى
كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور اتصبرون نعد ذلك العلة
موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله ليبلوكم ايكم احسن عملا وكان ربك بصيرا عالما

فقد جينا خراسانا

بالصواب فيما يبتلى به فلا يضيق صدرك ولا يستخفنك اقاويلهم فان في صبرك عليها
سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عما عيّروه به من الفقر حين قالوا او يلقى
اليه كنز او يكون له جنة وانه جعل الاغنياء فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها
حكمة ومشية يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب
كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا فانما بعثناك
فقيرا ليكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان ابو جهل
والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار
وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا علينا ادلالا بالسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض
وقال الذين لا يرجون اي لا يأملون لقاءنا بالخير لانهم كفروا بالبعث او لقاءنا
بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت
الصيرورة الى دار جزائه بمنزلة لقائه لو كان ملقيا اقترحوا من الآيات ان
ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم صادق حتى
يصدقوه او يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو اما ان يكونوا
عالمين بان الله لا يرسل الملائكة الى غير الانبياء وان الله لا يصح ان يرى وانما
علقوا ايمانهم بما لا يكون واما ان لا يكونوا عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح
آيات سوى الآيات التي نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين
قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ما معنى لقد استكبروا في انفسهم
معناه انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه
كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وتجاوزوا الحد في الظلم
يقال عتا علينا فلان عتوا كبيرا وقد وصف العتو بالكبير فبالغ في افراطه
انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا لانهم بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو
واللام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استئنافها غاية وفي اسلوبها
قول القائل وجارة جساس ابأنا بنابها كليبا غلت ناب كليب بواؤها وفي فحوى
هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ تعجب الا ترى ان المعنى ما اشد استكبارهم
وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب يوم يرون الملائكة منصوب باحد

لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا

شيئين اما بما دل عليه لا بشرى اي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى او يعدمون
و يومئذ للتكرير واما باضمار اذكر اي اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى
لا يبشر يومئذ للمجرمين اما ظاهر في موضع ضمير واما لانه عام فقد تناولهم
بعمومه ويقولون حجرا محجورا ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة المنصوبة
بافعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها
عند لقاء عدو موتور او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة
قال سيبويه ويقول الرجل للرجل اتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا
منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه فلا يلحقه فكان المعنى اسأل الله ان
يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل او فعل في قراءة الحسن تصرف فيه لاختصاصه
بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشدت لبعض الرجاز قالت وفيها حيدة وذعر
عوذ بربي منكم وحجر فان قلت ثبت انه من باب المصادر فما معنى وصفه
بمحجورا قلت جاءت هذه الصفة لتاكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذائل والذيل الهوان
وموت مائت والمعنى في الآية انهم يطلبون نزول الملائكة ويقترحونه وهم اذا رأوهم
عند الموت او يوم القيامة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون
وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه عند لقاء العدو الموتور وشدة النازلة
وقيل هو من قول الملائكة ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنة والبشرى
اي جعل الله ذلك حراما عليكم وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا ليس ههنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هؤلاء واعمالهم التي عملوها
في كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك
من مكارمهم ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم
الى اشيائهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها
اثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوة مع ضوء الشمس شبيه بالغبار وفي امثالهم
اقل من الهباء منثورا صفة للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده و
انه لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركت الريح رأيته
قد تناثر وذهب كل مذهب ونحوه قوله كعصف ماكول لم يكف ان شبههم بالعصف

حتى جعله مرفوقا بالاكال ولا ان يشبه علمهم بالهباء حتى جعله متفرقا متناثرا او مفعول ثالث
لجعلناه اي جعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله كونوا قردة خاسئين
اي جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واوه وبدليل الهبوة اصحاب الجنة يومئذ
خير مستقرا المستقر المكان الذي يكونون فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين متحادثين
واحسن مقيلا والمقيل المكان الذي ياوون اليه للاسترواح الى ازواجهم
والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك الترتيب
وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل
النار في النار وفي معناه قوله عز وعلا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم و
ازواجهم في ظلال على الارائك متكئون قيل وفي تغيير الشغل ايضا انقباض الايجاز
ولا نوم في الجنة وانما سمي مكان دعتهم واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق
التشبيه وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه وملاحة الصور
الى غير ذلك من التحاسين والزين ويوم تشقق السماء بالغمام ولما كان انشقاق
السماء بسبب طلوع الغمام جعل الغمام كانه الذي تشقق به السماء كما تقول شق السنام
بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السماء منفطر به اي وتقول انشقت
الارض بالنبات وانشقت عن النبات معنى انشقت به ان الله شقها بطلوعه
فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه والمعنى ان السماء
تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون وفي ايديهم صحائف الاعمال وروي
تنشق سماء سماء وتنزل الملائكة الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة
ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وفي معناه قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله
في ظلل من الغمام والملائكة وقرئ ونزل الملائكة وننزل الملائكة ونزلت الملائكة وانزل
الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من ننزل قراءة اهل مكة الملك يومئذ
الحق الثابت للرحمن لان كل ملك يومئذ يبطل ويزول ولا يبقى الا ملكه وكان
يوما على الكافرين عسيرا ويوم يعض الظالم على يديه عض اليدين والانامل
والسقوط في اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ
والحسرة لانها من روادفها فيذكر الرادفة ويدل بها على المردوف فيرتفع

ونرى يتقوا الامل تشقق تخذت بعضهم ... [illegible]

يتقض

الكلام به في طبقة الفصاحة ويجد السامع عنده في نفسه من الروعة والاستحسان
ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه وقيل نزلت في عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس
وكان يكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقدم من سفره فاتخذ ضيافة فدعا اليها
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فابى ان ياكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين
ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبأت يا عقبة قال لا ولكن ابى ان
ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في نفسي فقال
وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطأ قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه
فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا رضي الله عنه
بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت بن افلح الانصاري وقال يا محمد الى من الصبية قال
الى النار وطعن ابيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باحد فرجع الى مكة فمات
واللام في الظالم يجوز ان يكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان يكون للجنس
فيتناول عقبة وغيره يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا تمنى ان لو صحب الرسول و
سلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق الضلالة والهوى او
اراد اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول سبيلا
وقرئ يا ويلتي بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول
لها تعالي فهذا اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحاري ومداري فلان كناية عن
الاعلام كما ان الهن كناية عن الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا
خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم
علم لا محالة فجعله كناية عنه لقد اضلني عن الذكر عن ذكر الله او القرآن او موعظة الرسول
ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام بعد اذ جاءني وكان الشيطان
اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم
خذله ولم ينفعه في العاقبة او اراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل
ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم وان يكون كلام الله ولم يقرأ فيه
الا الادغام والاظهار وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن

يا ويلتي ليتني لم اتخذ

علام فلانا خليلا

محمد صلى الله عليه وآله وسلم

مهجورا وفيه قول النبي صلى الله عليه يشكو قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم لشانه
وتخويف لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجاوا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب
ولم ينظروا ثم اقبل عليه مسليا وموسيا وواعدا النصرة عليهم فقال وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا من المجرمين كان كل نبي في تلك يبتلي بعداوة قومه وكفا لك
هاديا الى طريق الحق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم مهجورا تركوه وصدوا
عنه وعن الايمان به وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تعلم القرآن
وعلقه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول
يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى
اي جعلوه مهجورا فيه بحذف الجار على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل
واساطير الاولين والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول
والمعنى اتخذوه هجرا والعدو يجوز ان يكون واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو
لي وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيمة وقال الذين كفروا لولا
نزل ههنا بمعنى انزل لا غير كخبر بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا من
اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم عن الحق وتجافيهم عن اتباعه
قالوا هلا انزل عليه القرآن جملة واحدة في وقت واحد كما انزلت الكتب
الثلثة وما له انزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من
القول ومماراة بما لا طائل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة وا
او مفرقا وقوله كذلك جواب لهم اي كذلك انزل مفرقا لنثبت به فؤادك والحكمة فيه
ان نقوي بتفريقه فؤادك حتى تعيه وتحفظه لان المتلقن انما يقوي قلبه على حفظ
العلم شيئا بعد شيء وجزءا عقيب جزء ولو القي عليه جملة واحدة لبعل به وتعيا بحفظه
والرسول صلى الله عليه وآله وسلم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان
اميا لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ
فانزل عليه منجما في ثلث وعشرين سنة وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات
السائلين ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى ذلك الا فيما انزل مفرقا

ذلك في كذلك يجب ان يكون اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدمه هو انزاله
جملة فكيف فسرته بكذلك انزلناه مفرقا قلت لان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه
لم انزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا عن ان ياتوا بنجم واحد
من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة عجزهم وسجلوا به
على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة
كانهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته ورتلناه ترتيلا معطوف على الفعل
الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله ان قدره آية
بعد آية ووقفة عقيب وقفة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القرآن
ترتيلا اي اقرأه بترسل وتثبت ومنه حديث عائشة يقال ثغر مرتل ورتل وشبه
بنور الاقحوان في تفليجه وقيل هو ان نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة
متباعدة وهي عشرون سنة ولم يفرقه في مدة متقاربة ولا ياتونك بمثل بسؤال
عجيب من سؤالاتهم الباطلة كانه مثل في البطلان الا جئناك بالحق
بالجواب الحق الذي لا تحيد عنه وبما هو احسن تفسيرا معنى ومؤدى من سؤالهم
ولما كان التفسير هو التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير الكلام
كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا ولا ياتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت
هذه صفتك وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او تكون
لك جنة او ينزل عليك القرآن جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في
حكمتنا ومشيئتنا ان نعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته
ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان ياتوا ببعض تلك التفاريق كلما نزل شيء منها ادخل
في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا بمثل هذا الكتاب في فصاحته
مع بعد ما بين طرفيه الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا
واضل سبيلا كانه قيل لهم ان حاملكم على هذه السؤالات انكم تضللون سبيله
وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين على وجوههم
الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وفي طريقته
قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية و

ان يراد بالمكان الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله اي الفريقين خير مقاما
واحسن نديا ووصف السبيل بالضلال من الاسناد المجازي للمبالغة وعن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم
وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه
هارون وزيرا يوازره ولا ينافي ذلك مشاركته في النبوة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء
ويؤمرون بان يوازر بعضهم بعضا فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا
بآياتنا والمعنى فذهبا اليهم فكذبوهما فدمرناهم تدميرا كقوله اضرب بعصاك
البحر فانفلق اي فضرب فانفلق اراد اختصار القصة فذكر حاشيتيها اولها واخرها
لانهما المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل واستحقاق
التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه فدمراهم وقرئ فدمرانهم
على التاكيد بالنون الثقيلة وقوم نوح لما كذبوا الرسل كانهم كذبوا نوحا ومن
قبله من الرسل صريحا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع او لم يروا بعثة الرسل
كالبراهمة اغرقناهم وجعلناهم للناس آية واعتدنا للظالمين عذابا
اليما وجعلنا اغراقهم او قصتهم للناس آية للظالمين اما ان يعني بهم قوم نوح واصله و
اعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر واما ان يتناولهم بعمومه وعادا وثمودا
عطف على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا الظالمين وقرئ
وثمود على تاويل القبيلة واما المنصرف فعلى تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر قيل
في واصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام اصحاب آبار ومواش فبعث الله
عليهم شعيبا فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبينا هم حول
الرس وهو البئر الغير المطوية عن ابي عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم
وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح او
هم اصحاب حنظلة بن صفوان كانوا مبتلين بالعنقاء وهي اعظم ما يكون من الطير
سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له دمخ او فتخ وهي تنقض على
صبيانهم فتخطفهم ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها الصاعقة
ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود

وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم ورسوه في بئر اي
دسوه فيها وقرونا بين ذلك كثيرا اي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر
اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت
وكيت على معنى فذلك المحسوب والمعدود وكلا ضربنا له الامثال بينا له القصص
العجيبة من قصص الاولين ووصفنا لهم ما اجروا اليه من تكذيب الانبياء وجرى
عليهم من عذاب الله وتدميره وكلا تبرنا تتبيرا والتتبير التفتيت والتكسير و
ومنه التبر لكسارة الذهب والفضة والزجاج وكلا الاول منصوب بما دل
عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا وحذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له و
لقد اتوا على القرية التي امطرت اراد بالقرية سدوم من قرى قوم لوط وكا
نت خمسا اهلك الله تعالى اربعا باهلها وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة يعني ان
قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة
من السماء افلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم فيتعظون ينظرون الى آثار عذاب الله و
يتذكرون بل كانوا قوما كفرة بالبعث لا يرجون نشورا لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة
فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يؤمن فمن ثم لم ينظروا
ولم يتذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يأمله المؤمنون
لطمعهم في الوصول الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية واذا رأوك ان
يتخذونك الا هزوا اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ان الاولى
نافية والثانية مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينهما واتخذه هزوا في معنى
استهزأ به والاصل اتخذه موضع هزو او مهزوا به اهذا محكي بعد القول المضمر
وهذا استصغار وبعث الله رسولا واخراجه في معرض التسليم والاقرار وهم على
غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزؤا لقالوا اهذا الذي زعم
او ادعى انه مبعوث من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا عن آلهتنا دليل على
فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دعوتهم وبذله قصارى الوسع والطاقة
في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم ان يتركوا دينهم الى دين
الاسلام لولا ان صبرنا عليها لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ولولا

في مثل هذا الكلام جار من حيث المعنى لا من حيث الصفة مجرى التقييد للحكم المطلق
وسوف يعلمون حين يرون العذاب وعيد ودلالة على انهم لا يفوتون وان طالت
مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التأخير وقوله من اضل سبيلا كا
جواب لقولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الضلال
من حيث لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه وروي انه من قول ابي جهل أرأيت
من اتخذ الهه هواه من كان في طاعة الهوى في دينه يتبعه في كل ما يأتي ويذر
لا يتبصر دليلا ولا يصغي الى برهان فهو عابد هواه وجاعله آلهه فيقول لرسوله هذا
الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى أفأنت تكون عليه
وكيلا أفتتوكل عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت ولا
اكراه في الدين وهذا كقوله وما انت عليهم بجبار لست عليهم بمسيطر ويروى ان الرجل منهم
كان يعبد الحجر فاذا رأى احسن منه رمى به واخذ آخر ومنهم الحرث بن قيس السهمي ام
هذه منقطعة معناه بل أتحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون كان هذه
المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهو كونهم مسلوبي
الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ان هم
الا كالانعام مشبهين بالانعام التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم ارجح
ضلالة منها بل هم اضل سبيلا لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهوى الها ما هو
الا تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت منطلقا زيدا لفرط عنايتك
بالمنطلق ما معنى ذكر الاكثر كان فيهم من لم يصده عن الاسلام
الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا كيف جعلوا اضل من
الانعام لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها وتعرف من
يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها
وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي
هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد
المضار والمهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي الم تر
الى ربك الم تنظر الى صنع ربك وقدرته ومعنى كيف مد الظل انه جعله يمتد وينبسط فينتفع

به الناس ولو شاء لجعله ساكنا اي لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجرة غير منبسط
فلم ينتفع به احد سمى انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون
الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس وباحوالها في مسيرها على احوال الظل
من كونه ثابتا في مكان وزائلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون حاجتهم الى الظل واستغنائهم
عنه على حسب ذلك ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا قبضناه اليه انه ينسخه بضح الشمس يسيرا
اي على مهل وفي هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع ما لا يعد ولا يحصى ولو
قبض دفعة واحدة لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا ثم في
هذين الموضعين كيف موقعها موقعها لبيان تفاضل الامور الثلاثة كان الثاني
اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد
ما بين الحوادث في الوقت ووجه آخر وهو انه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة
ودحا الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الارض فينانا ما في اديمه جوب لعدم النير
ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل
اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها
وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا غير عسير ويحتمل ان يريد
قبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه
باعدام اسبابه كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك
قوله يسيرا كما قال ذلك حشر علينا يسير وهو الذي جعل لكم الليل لباسا
شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والنوم سباتا السبات الموت والمسبوت
الميت لانه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل وجعل النهار
نشورا هلا فسر بالراحة النشور في مقابلته يأباه اباء العيوف
الورد وهو مرنق وهذه الآية مع دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه
لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من الناس من فوائد دينية ودنياوية والنوم
واليقظة وتشبيههما بالموت والحياة اي عبرة فيها لمن اعتبر وعن لقمان انه قال لابنه
يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح بشرا وقرئ
الريح والرياح نشرا احياء ونشرا جمع نشور بين يدي رحمته اي قدام المطر

بل هم اضل سبيلا

ثم جعلنا الشمس عليه دليلا

وانزلنا من السماء ماء

بليغا في طهارته وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول من التفعيل في شي والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضأ به ويوقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله عليه السلام لا صلاة الا بطهور اي بطهارة ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور تيقن مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن تغير اوصافه الثلاثة او لم يتغير او استعماله في البدن في اداء عبادة عند ابي حنيفة وعند مالك بن انس ما لم يتغير احد اوصافه فهو طهور فما تقول في قوله عليه السلام حين سئل عن بئر بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شيء الا ما غير لونه او طعمه او ريحه الواقدي كان بئر بضاعة طريقا للماء الى البساتين **لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا** لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت وانه غير جار على الفعل كمفعول ومفعال ومفعيل و**نسقيه** بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل له سقيا **مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا** الاناسي جمع انسي او انسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والاصل اناسين وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كقولك اناعم في اناعيم انزال الماء موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقي يوذن بان الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول حملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش لما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة واراده عليها ان يوثروها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وان يربأوا بانفسهم عن مخالطة القاذورات كلها كما رباهم ربهم لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان الشارب لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام لانها قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام بسقيهم فما معنى تنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة معنى ذلك ان عليه الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاودية

٦٦٠

والانهار ومنابع الماء ففيهم غنية عن سقي الماء واعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله تعالى من رحمته وسقيا سمائه وكذلك قوله لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هؤلاء المتبعدين عن مظان الماء لم قدم احياء الارض وسقي الانعام على سقي الاناسي لان حيوة الاناسي بحيوة ارضهم وحيوة انعامهم فقدم ما هو سبب حيوتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا لارضهم ومواشيهم لم يعدموا سقياهم **وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ** يريد ولقد صرفنا هذا القول بين الناس في القرآن وفي سائر الكتب والصحف التي انزلت على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر **لِيَذَّكَّرُوا** ليتفكروا ويعتبروا ويعرفوا حق النعمة فيه ويشكروا **فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ** فابى اكثرهم **إِلَّا كُفُورًا** كفران النعمة وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا المطر بينهم في البلدان المختلفة والاوقات المتغايرة وعلى الصفات المتفاوتة من وابل وطل وجود ورذاذ وديمة ورهام فابوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله ورحمته وعن ابن عباس ما من عام اقل مطرا من عام ولكن الله قسم ذلك بين عباده على ما شاء وتلا هذه الآية وروي ان الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من هاهنا جواب في تنكير البلدة والانعام والاناسي كانه قال لنحيي به بعض البلاد الميتة ونسقيه بعض الانعام والاناسي وذلك البعض كثير هل يكفر من ينسب المطر الى الانواء ان كان لا يراها الا من الانواء ويجحد ان تكون هي والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان يرى ان الله خالقها وقد نصب الانواء دلائل وامارات عليها لم يكفر **وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا** يقول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو شئنا لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى و**لبعثنا في كل قرية نذيرا** نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك وعظمناك به واجللناك وفضلناك على سائر الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر **فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ** فيما يريدونك عليه وانما اراد بهذا تهييجه وتهييج المؤمنين وتحريكهم **وَجَاهِدْهُمْ بِهِ** الضمير للقرآن او لترك الطاعة الذي يدل عليه ولا تطع والمراد ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين امرك **فقابلهم** من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما

تعليلهم به وبقلوبهم وجعله جهادا كبيرا لما يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز
ان يرجع الضمير فيه الى ما دل عليه ولو شئنا الى آخره من كونه نذير كافة القرى
لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم فقال
له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهدة وهو
الذي مرج البحرين سمى الماءين الكثيرين الواسعين بحرين هذا عذب فرات والفرات البليغ
العذوبة حتى يضرب الى الحلاوة وهذا ملح اجاج والاجاج نقيضه ومرجهما
خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج وهذا
من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران احدهما مع الآخر ممزوج وماء العذب منهما باجاج ممزوج
وجعل بينهما برزخا حائلا من قدرته كقوله عز وعلا بغير عمد ترونها يريد بغير عمد
مرئية وهو قدرته وقرئ ملح على فعل وقيل كانه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا
بردا يريد باردا وحجرا محجورا ما معناه هي الكلمة التي يقولها المتعوذ
وقد فسرناها وهي ههنا واقعة على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ
من صاحبه ويقول له حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على صاحبه
بالممازجة فانتفاء البغي ثمة كالتعوذ ههنا جعل كل واحد منهما في صورة الباغي
على صاحبه فهو يتعوذ منه وهي من احسن الاستعارات واشهدها على البلاغة
وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا اراد تقسيم البشر قسمين
ذوي نسب اي ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانة بنت فلان وذوات
صهر اي اناثا يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان
ربك قديرا حيث خلق من النطفة الواحدة بشرا نوعين ذكرا وانثى ويعبدون
من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيرا
الظهير والظاهر كالعوين والمعاون وفعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر
يظاهر الشيطان على ربه بالعداوة والشرك وروي انها نزلت في ابي جهل ويجوز ان يريد
بالظهير الجماعة كقوله والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر
الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء نور دين الله وقيل معناه وكان الذي يفعل هذا

الفعل وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر على ربه هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته
خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر
اليهم وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا
مثال الا من شاء والمراد الا فعل من شاء واستثناؤه عن الاجر قول ذي شفقة عليك قد
سعى لك في تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه
فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب ولكن صوره هو بصورة الثواب وسماه باسمه
فافاد فائدتين احديهما قلع شبهة الطمع في الثواب من اصله كانه يقول لك ان كان حفظك
لمالك ثوابا فاني اطلب الثواب والثانية اظهار الشفقة البالغة وانك ان حفظت مالك اعتد
بحفظك ثوابا ورضي به كما يرضى المثاب بالثواب ولعمري ان رسول الله صلى الله عليه وآله
كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه ان يتخذ الى ربه سبيلا ومعنى اتخاذهم الى الله
سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعة وقيل المراد التقرب بالصدقة و
النفقة في سبيل الله وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده امره بان يثق به و
يسند امره اليه في استكفاء شرورهم مع التمسك بقاعدة التوكل واساس الالتجاء وهو
طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه ان الحي الذي لا يموت حقيق بان يتوكل عليه
وحده ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون وعن بعض السلف انه قرأها
فقال لا يصح لذي عقل ان يثق بعدها بمخلوق وكفى به بذنوب عباده
خبيرا ثم اراه ان ليس اليه من امر عباده شيء آمنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم
كاف في جزاء اعمالهم الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام يعني في مدة ايام من ايام الآخرة وكل يوم الف سنة والظاهر انها من
ايام الدنيا وعن مجاهد اولها يوم الاحد وآخرها الجمعة ووجهه ان يسمي الله لملائكته
تلك الايام المقدرة بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها وترتب امر العالم على
ما هو عليه جرت التسمية على هذه الايام واما الداعي الى هذا العدد اعني الستة دون
سائر الاعداد فلا نشك انه داعي حكمة لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعي حكمة وان
كنا لا نطلع عليه ولا نهتدي الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكة الذين هم اصحاب
النار تسعة عشر وحملة العرش ثمانية والشهور اثني عشر والسموات سبعا والارض

كذلك والصلوات خمسا واعداد النصب في الحدود والكفارات وغير ذلك بالاوار
بدواعي الحكمة في جميع افعاله وبارزها قدر الله حق وصوابه والايمان وقد نص عليه في قوله
ما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين
اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب وليقول الذين في قلوبهم
مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو وهو حكيم
ايضا في ان لا يخلقها في لحظة وهو قادر على ذلك وعن سعيد بن جبير انما خلقها في ستة
وهو يقدر على ان يخلقها في لحظة تعليما لخلقه الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم
الجمعة فجعلها الله عيدا للمسلمين الذي خلق مبتداء والرحمن خبره او صفة للحي والرحمن خبر مبتدا
محذوف او بدل عن المستتر في استوى وقرئ الرحمن بالجر صفة للحي وقرئ فاسئل به الباء
في به صلة سل كقوله سال سائل بعذاب واقع كما تكون عن صلته في نحو قوله ثم لتسئلن يومئذ
عن النعيم فسال به كقوله اهتم به واعتنى به واشتغل به وسال عنه كقولك بحث عنه
وفتش عنه ونقر عنه او صلة خبيرا او تجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل عنه رجلا عارفا
يخبرك برحمته او فسل رجلا خبيرا به او تجعله حالا عن الهاء تريد فسل عنه عالما بكل شيء وقيل
الرحمن اسم من اسماء الله مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا
الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثمة كانوا يقولون ما
نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة واذا قيل لهم
اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن يجوز ان يكون سؤالا عن المسمى به لانهم ما كانوا
يعرفونه بهذا الاسم والسؤال عن المجهول بما ويجوز ان يكون سؤالا عن معناه لانه لم يكن
مستعملا في كلامهم كما استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم انكروا اطلاقه
على الله تعالى انسجد لما تأمرنا اي للذي تأمرناه بمعنى تأمرنا بالسجود له على قوله امرتك
الخير او لامرك لنا وقرئ بالياء كأن بعضهم قال لبعض انسجد لما يأمرنا محمد او يأمرنا
المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفي وزادهم نفورا ضمير اسجدوا للرحمن لانه هو المقول تبارك
الذي جعل في السماء بروجا البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل و
الثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي
والدلو والحوت سميت بالبروج التي هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل

لسكانها واشتقاق البرج من التبرج لظهوره والسراج الشمس لقوله وجعل
الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب الكبار معها وقمرا منيرا وقرأ الاعمش
والحسن وقمرا وهي جمع ليلة قمراء كانه قال وذا قمر منيرا لان الليالي تكون قمرا بالقمر فاضافه
اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه قول حسان
بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد والرشد
والعرب والعرب هو الذي جعل الليل والنهار خلفة الخلفة من خلف كالركبة من
ركب وهي الحالة التي يخلف عليها الليل والنهار كل واحد منهما الاخر والمعنى جعلهما
ذوي خلفة اي ذوي عقبة اي يعقب هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار
يعتقبان ومنه قوله واختلاف الليل والنهار ويقال بفلان خلفة واختلاف
اذا اختلف كثيرا الى متبرزه لمن اراد ان يذكر وقرئ يذكر ويذكر وعن ابي بن كعب
والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما
من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته او اراد شكورا او يشكر الناظر
على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وجل ومن رحمته جعل
لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون او ليكونا وقتين للمتذكرين
من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الاخر وعن الحسن من فاته عمله من التذكر
والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار مستعتب
وعباد الرحمن مبتدأ خبره في اخر السورة كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه
صفاتهم اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون على الارض
واضافهم الى الرحمن تخصيصا وتفضيلا وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشون هونا
حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة
والهون الرفق واللين ومنه احبب حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون
والمثل اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة ووقار
وتواضع ولا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا ولذلك كره بعض
العلماء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما

فاقيم السلم مقام التسليم وقيل قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد
بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة من قوله الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وعن ابي العالية نسختها آية القتال ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء
وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروة والشريعة واسلم للعرض والورع والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما البيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل
نمت او لم تنم وقالوا من قرأ شيئا من القرآن في الصلوة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقيل
هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائما
ويبيت قائما والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا بفتح الياء وكسر التاء مكي وبصري
وضمها كوفي ويقتروا بضم الياء وتشديد التاء والقتر والاقتار والتقتير التضييق
الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة الحد في النفقة ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو
والتقصير وبمثله امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق في المعاصي فاما
في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير
... وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام اعده لهذا
المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فسأله عن نفقته
واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الآية فقال
يا بني اهذا ايضا مما اعده وقيل اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم كانوا لا
يأكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا يأكلون
ما يسد جوعهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر عوراتهم ويكنهم
من الحر والقر وقال عمر كفى سرفا ان لا يشتهي شيئا الا اشتراه فاكله وكان بين
ذلك قواما القوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير
القوام من الاستقامة السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا
بمعنى ما يقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني بين ذلك قواما جائز
ان يكونا خبرين معا وان يجعل بين ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف خبرا
وقواما [illegible] منهما [illegible] الاعراب [illegible]

يقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة فليس في الخبر الذي هو معتمد
الفائدة فائدة والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي
حرم الله اي حرمها والمعنى حرم قتلها الا بالحق متعلق بهذا القتل المحذوف
او بلا يقتلون ونفي هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك الخلال العظيمة في الدين
للتعريض بما كان عليه اعداء المؤمنين من قريش وغيرهم كانه قيل والذين برأهم
الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الوأد وغيره ولا يزنون
عن ابن مسعود قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك
قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يأكل معك قلت ثم اي قال ان تزني
بحليلة جارك فانزل الله تعالى تصديقه ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقرئ يلقى
باثبات الالف وقد مر مثله والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال ومعناهما
قال جزى الله ابن عروة حيث امسى عقوقا والعقوق له اثام وقيل هو
ومعناه يلق جزاء اثام وقرأ ابن مسعود اياما اي شدائد يقال يوم ذو ايام
لليوم العصيب يضاعف بدل من يلق لانهما في معنى واحد كقوله متى تأتنا تلمم بنا في
ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا وقرئ يضعف ونضعف له العذاب
يوم القيامة بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على الاستئناف وعلى الحال وكذا
ويخلد فيه مهانا وقرئ ويخلد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا من الاخلاد
والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك
يبدل الله مثقل ومخفف وكذلك سيئاتهم حسنات معنى مضاعفة
وابدال الحسنات اذا ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى
المعاصي جميعا فضوعفت العقوبة لمضاعفة المعاقب عليه وابدال السيئات حسنات انه يمحوها
بالتوبة ويثبت مكانها الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا
وبقتل المسلمين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا ومن تاب وعمل صالحا يريد ومن ترك
المعاصي وندم عليها ودخل في العمل الصالح فانه يتوب بذلك تائب الى الله متابا
مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب او فانه تائب متابا الى الله الذي
يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون فالذي يحب التوابين ويحب المتطهرين

وفي كلام بعض العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد
والعقيم الوالد فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واي مرجع والذين
لا يشهدون الزور يحتمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين
فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما
يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل في النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة
هم شركاء فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا وسبب وجوده والزيادة
فيه لان الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي
مواعظ عيسى بن مريم صلوات الله عليه اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون
شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل
وعن ابن الحنفية اللهو والغنا وعن مجاهد اعياد المشركين واذا مروا باللغو
كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين به مروا كراما
معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله واذا سمعوا
اللغو اعرضوا عنه الى الجاهلين وعن الحسن لم تسفههم المعاصي وقيل اذا سمعوا من
الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا عنه والذين اذا
ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا ليس بنفي للخرور وانما هو
اثبات له ونفي للصمم والعمى كما تقول لا يلقاني زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى
انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها واقبلوا على المذكر بها وهم
في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية مبصرون بعيون راعية لا كالذين يذكرون
بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على استماعها
وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم
والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا قرئ ذريتنا وذرياتنا وقرة
اعين وقرات اعين سالوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا عمالا لله يسرون بمكانهم
وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته واولاده
مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد اذا راه يكتب الفقه وقيل سالوا ان يلحق الله
ازواجهم وذرياتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته

الجنس ولعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او اراد جمع آم كصائم وصيام او اراد
واجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الآية ما يدل على ان الرياسة
في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الآيات في العشرة المبشرين بالجنة
من في قوله من ازواجنا ما هي يحتمل ان يكون بيانية كانه قيل هب لنا
قرة اعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه ان يجعلهم
الله لهم قرة اعين وهو من قولهم رايت منك اسدا اي انت اسد وان يكون ابتدائية
على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح لم قال قرة
اعين فنكر وقلل اما التنكير فلاجل تنكير القرة لان المضاف لا سبيل الى
تنكيره الا بتنكير المضاف اليه كانه قال هب لنا منهم سرورا وفرحا وانما قيل اعين دون عيون
لان اعين المتقين وهي قليلة بالاضافة الى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي
الشكور ويجوز ان يقال في تنكير اعين انها اعين خاصة وهي اعين المتقين اولئك
يجزون الغرفة المراد يجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد اقتصارا على الواحد
الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون وقراءة من قرا في الغرفة
بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى اذى الكفار ومجاهدتهم وعلى
الفقر وغير ذلك واطلاقه لاجل الشياع في كل مصبور عليه ويلقون فيها تحية و
سلاما قرئ ويلقون كقوله ولقاهم نضرة وسرورا ويلقون كقوله يلق اثاما والتحية
دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعني ان الملائكة يحيونهم ويسلمون عليهم
او يحيي بعضهم بعضا ويسلم عليه او يعطون التبقية والتخليد مع السلامة من كل آفة
اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا من اهل رحمتك وارزقنا ما ترزقهم في دار رضوانك
قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم لما وصف عبادة العباد وعدد صالحاتهم
وحسناتهم واثنى عليهم من اجلها ووعدهم الرفع من درجاتهم في الجنة اتبع
ذلك بيان انه عبادة العباد انما اكترث لاولئك وعبأ بهم واعلى ذكرهم ووعدهم
ما وعدهم لاجل عبادتهم فامر رسوله ان يصرح للناس ويجزم لهم القول بان الاكتراث
لهم عند ربهم انما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة
ولم يعتد بهم ولم يكونوا عنده شيئا يبالي به والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام

وهي عبارة عن المصدر كانه قيل واي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني انكم لا تستاهلون شيئا من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي وما يهمني وقال الزجاج في تأويل ما يعبأ بكم اي وزن يكون لكم عنده ويجوز ان تكون ما نافية **فقد كذبتم** بقول اذا علمتم ان حكمي اني لا اعتد بعبادي الا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي **فسوف يكون لزاما** جزاء التكذيب يلزمكم حتى يكبكم في النار ونظيره في الكلام ان يقول الملك لمن استعصى عليه ان من عادتي ان احسن الى من يطيعني ويتبع امري فقد عصيت فسوف ترى ما احل بك بسبب عصيانك وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه اياكم الى الاسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة الى من يتوجه هذا الخطاب الى الناس على الاطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل يكون العذاب لزاما وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه ان ترك اسم كان غير منطوق به بعدما علم انه مما توعد به لاجل الابهام وتناوله ما لا يكتنهه الوصف والله اعلم بالصواب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله تعالى وهو مؤمن بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخل الجنة بغير نصب

بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الالف وامالتها واظهار النون وادغامها **تلك آيات الكتاب المبين** الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة او القرآن والمعنى آيات هذه المؤلفة من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين **لعلك باخع نفسك** قاتل نفسك اصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح ولعل للاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك **الا يكونوا مؤمنين** لئلا يؤمنوا او لامتناع ايمانهم او خيفة ان لا يؤمنوا وعن قتادة باخع نفسك على الآثار **ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية** دلالة ملجئة الى الايمان او بلية قاسرة عليه

يوم القيمة ص

اشفق على نفسك ص

فظلت معطوف على انزل الذي هو جزاء ولو قيل انزلنا لكان صحيحا ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقد قرئ ولو شئنا لانزلنا **فظلت اعناقهم لها خاضعين** منقادين اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقوله ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور ولما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله لي ساجدين وقيل اعناق الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم الرؤوس والنواصي والصدور قال في محفل من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت اعناقهم لها خاضعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت هذه الآية فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة **وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين** اي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو الاعراض بالتكذيب والاستهزاء اجيب بينها لاختلاف الاعراض كانه قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب ومن كان مصدقا به كان موقرا له فسيأتيهم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله يوم بدر او يوم القيمة ما الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو القرآن وسيأتيهم انباؤه واحواله التي كانت خافية عليهم **اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم** وهو الصنف من النبات والكريم صفة لكل ما يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه وفوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه اي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم المرضي فيما يتعلق به من المنافع **ان في ذلك** في انبات تلك الاصناف **لآية** على ان منبتها قادر على احياء الموتى **وما كان اكثرهم مؤمنين** وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم **وان ربك لهو العزيز** في انتقامه من الكفرة **الرحيم** لمن تاب

ضنين

فقد كذبوا فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزئون ص

وصف الزوج ص

وعمل صالحا ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم انبتنا فيها من زوج كريم
قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل وكم على ان هذا المحيط متكاثر
مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته فما معنى وصف الزوج
بالكريم يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما
انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم
جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على انه ما انبت شيئا الا
وفيه فايده لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون
ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون فحين ذكر الازواج ودل عليها بكلمتي الكثرة
والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك لآية وهلا قال
آيات فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه قال ان
في الانبات لآية اي آية وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية وقد سبق لهذا
الوجه نظاير واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين سجل عليهم بالظلم
بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان كان معنى القوم وترجمته قوم
فرعون وكانهما عبارتان يعتقبان على مؤدى واحد ان شاء ذاكرهم عبر عنهم
بالقوم الظالمين وان شاء عبر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين
من جهة ظلمهم انفسهم بالكفر وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم
لهم قرئ الا تتقون بكسر النون بمعنى الا تتقونني فحذف النون لاجتماع النونين
والياء للاكتفاء بالكسرة ثم تعلق قوله الا يتقون هو كلام مستانف
اتبعه ارساله اليهم للانذار والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم
التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم العواقب وقلة خوفهم وحذرهم
من ايام الله ويحتمل ان يكون الا يتقون حالا من الضمير في الظالمين اي يظلمون
غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرا الا تتقون
على الخطاب فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار
والغضب عليهم كما ترى من يشكو من ركب جناية الى بعض اخصائه والجاني حاضر
فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه قطع مباثة صاحبه واقبل على الجاني

يوبخه ويعنف به ويقول له الم تتق الله الم تستحي من الناس فما فايدة
هذا الالتفات والخطاب مع موسى عليه السلام في وقت المناجاة والملتفت اليهم
لا يسمعون اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه بحضرتهم والقائه
الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث على
زيادة التقوى وكم من آية انزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين
تدبرا لها واعتبارا بموردها وفي الا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو ان يكون
المعنى الا يا ناس اتقون كقوله الا يسجدوا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق
صدري ولا ينطلق لساني بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما على صلة ان
والفرق بينهما في المعنى ان الرفع يفيد ان فيه ثلاث علل خوف التكذيب وضيق الصدر
وامتناع انطلاق اللسان والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلاثة في النصب
تعليق الخوف بالامور الثلاثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هي
غم يلحق الانسان لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به قد علق
الخوف بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على
ما كان به على ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة
اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى اني خائف ضيق الصدر غير منطلق
اللسان يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير الذي
بقي به ويجوز ان لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة
الالسنة وبسطة المقال وهارون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه
قوله عز وجل واخي هارون ومعنى فارسل الى هارون ارسل اليه جبرئيل واجعله نبيا وآزرني
به واشدد به عضدي وهذا كلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في
الاختصار حيث قال فارسل الى هارون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة
والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا
اقتصر على ذكر طرفي القصة اولها وآخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على
ما هو الغرض من القصة الطويلة كلها وهو انهم قوم كذبوا بآيات الله فاراد الحجة
عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فاهلكهم [illegible]

ان يأمره الله تعالى بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم الله
من وراءه هو التقبل وتقبل ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونا
على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك
وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل فيه
وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل ولهم علي ذنب ارادوا بالذنب قتله
وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك القتل فاخاف
أن يقتلون به فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء سيئة سيئة
فان قلت قد ابيت ان تكون تلك الثلاث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر فيما التمسه
فما قولك في هذه الرابعة قلت هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من ان يقتل
قبل اداء الرسالة فكيف يكون تعللا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع و
الموعد بالكلاءة والدفع جمع الله له الاستجابتين في قوله قال كلا فاذهبا بآياتنا
لانه استدفعه بلاءهم فوعده الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة باخيه
فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب انت والذي طلبته وهو هارون
فان قلت علام عطف قوله فاذهبا قلت على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا
موسى عما تظن فاذهب انت وهارون وقوله انا معكم مستمعون من
مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر واستمع
ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز ان يكونا
خبرين لان او يكون مستمعون مستقرا ومعكما لغوا فان قلت لم جعلت مستمعون قرينة
معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بانه سميع وسامع
ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء و
الاستماع من السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن
فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه اي اصغى اليه
وادركه بحاسة السمع ومنه قوله عليه السلام من استمع الى حديث قوم وهم له
كارهون صب في اذنه اليوم فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين
فان قلت هلا ثني الرسول كما ثني في قوله انا رسولا ربك قلت الرسول يكون

المرسل اليه وبمعنى الرسالة فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعل ههنا بمعنى
الرسالة فجازت التسوية فيه اذا وصف به بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل في الصفة
بالمصادر نحو صوم وزور قال الكني اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر فجعله للجماعة
والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم
بسر ولا ارسلتهم برسول ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتساندهما واتفاقهما على شريعة
واحدة واتحادهما لاجل الاخوة كان حكما واحدا فكانهما رسول واحد او اريد ان كل واحد
منا ان ارسل معنا بني اسرائيل اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال وتقول
ارسلت اليك ان افعل كذا لما في الارسال من معنى القول كما في المناداة والكتابة ونحو
ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك ارسل البازي يريد خلهم يذهبوا
معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما سنة
حتى قال البواب ان ههنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ائذن له لعلنا
نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له الم نربك فينا وليدا
فاتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير
في التنزيل الوليد الصبي لقرب عهده من الولادة وفي رواية ولبثت فينا من عمرك
سنين وفي رواية عن ابي عمرو من عمرك سنين قيل مكث عندهم ثلاثين سنة وقيل وكز
القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثرها والله اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي
فعلتك بالكسر وهي قتله القبطي لانه قتله بالوكز وهو ضرب من القتل واما الفعلة
فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمه من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال ووبخه
بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك التي فعلت
وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت لذلك من الكافرين بنعمتي
او انت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه او جهل امره لانه كان يعايشهم
بالتقية فان الله عز وعلا عاصم من يريد ان يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغائر فما
بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بفرعون
والهيته او من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك
قوله تعالى ويذرك وآلهتك وقرئ الاهتك قال فعلتها اذا وانا من الضالين

وقراه ابن مسعود رض

فاجابه موسى صلوات الله عليه بان الفعلة انما فرطت منه وهو من الضالين اي
من الجاهلين مفسره قراءة المعنى من الفاعلين فعل اولي الجهل والسفه كما قال يوسف
لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون او المخطئين كمن يقتل خطأ
من غير تعمد او الذاهبين عن الصواب او الناسين من قوله ان تضل احديهما فتذكر
احديهما الاخرى وكذب فرعون ودفع الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بان
وضع الضالين موضع الكافرين ربا بمحل من رشح للنبوة عن تلك الصفة ففررت
منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما وجعلني من المرسلين وتلك
نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله
من اصله واستأصله من سنخه وابى ان يسمي نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه
عليه تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله
عنده وتربيته فكانه امتن عليه بتعبيد قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم
عبيدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته عبدا قال علام يعبدني قومي
وقد كثرت فيهم اباعر ما شاؤوا وعبدان اذا جزاء وجواب معا والكلام وقع
جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء قول فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك
جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت
جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده
في تمنها وعبدت الخوف والفرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين
بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك واما الامتنان فمنه وحده وكذا
التعبيد تلك اشارة الى ماذا وان عبدت ما محلها من الاعراب
تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا بتفسيرها ومحل ان عبدت
الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء
مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج ويجوز ان يكون ان في
موضع نصب المعنى انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل اي لو لم تفعل ذلك لكفلني
اهلي ولم يلقوني في اليم لما قال له بوابه ان ههنا من يزعم انه رسول رب العالمين قال
له عند دخوله وما رب العالمين يريد اي شيء رب العالمين وهذا السؤال لا يخلو اما ان

يريد به اي شيء هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت اجناسها فاجاب بما يستدل
عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف من الاجرام والاعراض
وانه شيء مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شيء واما ان يريد به اي شيء هو على الاطلاق
تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته
معرفة ثباته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك واما التفتيش عن حقيقته
الخاصة التي هي فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه والسائل عنه متعنت غير طالب
للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون سؤاله هذا انكارا لان يكون
للعالمين رب سواه لادعائه الالوهية فلما اجاب موسى بما اجاب عجب قومه من جوابه
حيث نسب الربوبية الى غيره قال لمن حوله الا تستمعون قال ربكم ورب اباءكم الاولين
قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى
قومه وطنز به حيث سماه رسولهم قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان
كنتم تعقلون فلما ثلث بتقرير اخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيري
لاجعلنك من المسجونين وهذا يدل على صحة هذا الوجه الاخير كيف قال
وما بينهما على التثنية والمرجوع اليه مجموع اريد وما بين الجنسين فعل المضمر ما
فعل بالظاهر من قال في الهيجاء جمالين ما معنى قوله ان كنتم موقنين وان كنتم تعقلون
معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه
النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب والا لم ينفع او ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى
ما توقنون به لظهوره وانارة دليله ومن كان حوله اشراف قومه
كانوا خمسمائة رجل عليهم الاسورة وكانت للملوك خاصة ذكر السموات
والارض وما بينهما قد استوعب الخلائق كلها فما معنى ذكرهم وذكر ابائهم بعد ذلك وذكر
المشرق والمغرب قد عمم اولا ثم خصص من العام للبيان انفسهم واباءهم لان اقرب
المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين من الدلائل على الصانع
والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته
ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الاخر
على تقدير مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره

الى الاحتجاج به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمرود بن كنعان فبهت
الذي كفر وقوى رب المشارق والمغارب الذي يحاسل الكليم بفتح الهمزة
كيف قال اولا ان كنتم موقنين وآخرا ان كنتم تعقلون لاين اولا فلما راى منهم
شدة الشكيمة في العناد وقلة الاصغا الى عرض الحجج خاشنهم وعارض ان رسولكم
لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون الم يكن لاسجننك اخصر من لاجعلنك من
المسجونين ومؤديا مؤداه اما اخصر فنعم واما مؤديا مؤداه فلا لان معناه
لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان يأخذ من يريد سجنه
فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك
اشد من القتل واشد الواو في قوله **أولو جئتك** واو الحال دخلت عليها همزة
الاستفهام معناه اتفعل بي ذلك ولو جئتك **بشيء مبين** اى جائيا بالمعجزة وفي
قوله **فأت به إن كنت من الصادقين** انه لا يأتي بالمعجزة الا الصادق
في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن
العجب ان مثل فرعون لم يخف عليه وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا
القبيح على الله حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره في دعواك اتيت
به فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان به يدل عليه **فألقى عصاه فإذا هي ثعبان
مبين** ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة
والسحر وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة
الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسألك بالذي
ارسلك الا اخذتها فعادت عصا **ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين** دليل
على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا
نوريا روي ان فرعون لما ابصر الآية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال له
ما هذه قال يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع يكاد يغشي الابصار
ويسد الافق **قال للملإ حوله** ما العامل في حوله هو منصوب نصبين
نصب على اللفظ ونصب على المحل وهو النصب على الحال قال ولقد تحير فرعون لما ابصر
الآيتين وبقي لا يدري اي طرفيه اطول حتى زل عنه ذكر دعوى الا

فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في الظرف والعامل في النصب المحلي

وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت
به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم ان طفق يؤامرهم ويعترف
لهم بما حذره منه وتوقعه واحس به من موسى وغلبته على ملكه وارضه وقوله **إن
هذا لساحر عليم** قد باهت اذا غلب وتمحل اذا الزم **يريد أن يخرجكم من أرضكم
بسحره فماذا تأمرون** من المؤامرة وهي المشاورة او من الامر الذي هو ضد
النهي جعل العبيد آمرين وربهم مأمورا لما استولى عليه من فرط الدهش والحيرة
وماذا منصوب اما لكونه في معنى المصدر واما لانه مفعول به من قوله امرتك الخير
قالوا أرجه وأخاه قرئ ارجه وارجئه بالهمزة والتخفيف وهما لغتان يقال
ارجاته وارجيته اذا اخرته ومنه المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق
ويقولون هم مرجون لامر الله والمعنى اخره ومناظرته لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه
وابعث في المدائن حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا لساحر عليم
بكل سحار فجاءوا بكلمة الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض
قلقه وقرأ الاعمش بكل ساحر **فجمع السحرة لميقات يوم معلوم** يوم الزينة وميقاته
وقت الضحى لانه الوقت الذي وقته لهم موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة
في قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات ما وقت به اي حدد
من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام **وقيل للناس هل أنتم مجتمعون** استبطاء
لهم في الاجتماع والمراد استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق
اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كانما يخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو
واقف ومنه قول تأبط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق
يريد ابعثه الينا سريعا ولا تبطئ به **لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين**
ان غلبوا موسى ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض
الكلي ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين
لموسى **فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين**
قال نعم قرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله ائن لنا لاجرا في معنى جزاء الشرط
لدلالته عليها وكان قوله **وإنكم إذا لمن المقربين** معطوفا عليه ومدخلا في حكمه

اي في دينهم

ط

دخلت اذن فاءه في مكانها الذي يقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم ان يجمع
لهم الى الثواب على سحرهم الذي قدروا انهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى
قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا
بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية وهكذا
كل حلف بغير الله تعالى ولا يصح في الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض اسمائه او
صفاته كقولك بالله والرحمن وربي ورب العزة وعزة الله وقدرة الله وجلال
الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم
ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون ولقد
استحدث الناس في هذا الباب في اسلامهم جاهلية نسيت لها الجاهلية الاولى وذلك
ان الواحد منهم لو اقسم باسماء الله تعالى كلها وصفاته على شيء لم يقبل منه ولم يعتد
بها حتى يقسم براس سلطانه فاذا اقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التي ليس وراءها حلف
لحالف فالقى موسى عصاه فاذا هي تلقف ما يافكون ما يقلبونه عن وجهه
وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه فيخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى
بالتمويه على الناظرين او افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة روي انهم قالوا ان
يك ما جاء به موسى سحرا فلن يغلب وان كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه
فتلقفت ما اتوا به علموا انه من الله فآمنوا وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء
فالقي السحرة ولما عبر عن الخرور بالالقاء لانه ذكر مع الالقاءات فسلك به طريق المشاكلة
وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين راوا ما راوا لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم
الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا فاعل الالقاء ما هو لو
صح هو الله عز وجل بما خولهم من التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من
المعجزة الباهرة ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا وسقطوا قالوا آمنا
برب العالمين رب موسى وهارون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون
كان يدعي الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته اليهما في ذلك المقام انه
الذي يدعو اليه هذان والذي اجرى على ايديهما ما اجرى قال آمنتم له
قبل ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف

تعلمون اي وبال ما فعلتم لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم
اجمعين قالوا لا ضير لا ضرر والضير والضر والضور واحد اي لا ضير علينا في ذلك
بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا
والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة او لا ضير علينا فيما توعدتنا من القتل انا الى ربنا
منقلبون لانه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل
اهون اسبابه وارجاها انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا او لا ضير علينا في
ذلك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع في مغفرته ويرجو رحمته ان
كنا اول المؤمنين لان رزقنا السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير لنا
في ذلك او علينا ان كنا معناه لان كنا وكانوا اول جماعة مؤمنين من اهل زمانهم
او من رعية فرعون او من اهل المشهد ومن بدع التفاسير ان كنا بالكسر وهو من الشرط الذي
يجيء به المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم المؤمنين ونظيره
قول العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفني حقي ومنه قوله عز وجل ان كنتم خرجتم
جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي مع علمه انهم لم يخرجوا الا لذلك واوحينا الى
موسى ان اسر بعبادي ليلا ان اسر بقطع الهمزة ووصلها وسر انكم متبعون
علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده آثارهم والمعنى اني بنيت تدبير امركم
وامرهم على ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق
البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم
ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه وروي ان الله اوحى الى موسى
ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا الجداء واضربوا بدمائها
على ابوابكم فاني سآمر الملائكة ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل ابكار القبط
واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فياتيك امري
فارسل فرعون في اثره الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف
خرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف كل رجل على حصان
وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون في الف الف حصان سوى
الاناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعين الفا و

في المدائن حاشرين

هم

شرذمة قليلون ان هؤلاء محكي بعد قول مضمر والشرذمة الطائفة القليلة
ومنها قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم
قليلا بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي
هو للقلة وقد يجمع القليل على اقلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا
يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم وانهم
لنا لغائظون ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا
التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى
حسم فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به ما يكسر من
قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون وحادرون بالدال غير المعجمة فالحذر
اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المؤدي في السلاح وانما يفعل ذلك
حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال احب الصبي السوء من اجل امه وابغضه من بغضها
وهو حادر اراد انا اقوياء اشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة
في اجسادهم فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم عن مجاهد
سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله والمقام المكان يريد المنازل الحسنة
والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك يحتمل ثلاثة اوجه
النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والجر على انه وصف لمقام
اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي
الامر كذلك واورثناها بني اسرائيل فاتبعوهم فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم
مشرقين داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت فلما تراءى
الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين سيهديني طريق
النجاة من ادراكهم واضرارهم وقرئ فلما تراءت الفئتان انا لمدركون بتشديد
الدال وكسر الراء من ادرك الشيء اذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى بل ادارك علمهم في
الاخرة قال الحسن جهلوا علم الاخرة وفي معناه بيت الحماسة ابعد بني امي الذين تتابعوا
ارجي الحيوة ام من الموت اجزع والمعنى انا لمتتابعون في الهلاك على ايديهم حتى
لا يبقى منا احد فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان

وانا لجميع حاذرون

٦٧١

كل فرق كالطود العظيم الفرق الجزء المتفرق منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد
والطود الجبل المنطاد في السماء وازلفنا ثم حيث انفلق البحر الاخرين قوم فرعون اي
قربناهم من بني اسرائيل او ادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى لا ينجو منهم احد او قدمناهم
الى البحر وقرئ وازلقنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين
ثم اغرقنا الاخرين والمعنى اذهبنا عزهم كقوله تداركتما عبسا وقد ثل عرشها
وذبيان اذ زلت باقدامها النعل ويحتمل ان يجعل الله طريقهم في البحر على خلاف ما جعله
لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه عن عطاء بن السائب ان جبريل كان بين بني اسرائيل
وبين ال فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق اخركم اولكم ويستقبل القبط فيقول
رويدكم يلحق اخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال له مؤمن ال فرعون وكان بين يدي
موسى اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك ال فرعون قال امرت بالبحر
لا يدري موسى ما يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه
اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وروي ان يوشع قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا
فرعون والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع الماء وضرب موسى بعصاه البحر
فدخلوا وروي ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل
شيء والكائن بعد كل شيء ويقال لهذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له اساف
ان في ذلك لاية اية اية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها فيهم
وما كان اكثرهم مؤمنين وما تنبه عليها اكثرهم ولا امن بالله
وان ربك لهو بنو اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سالوا
بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة العزيز المنتقم من اعدائه
الرحيم باوليائه واتل عليهم نبا ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون
كان ابراهيم صلوات الله عليه يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سالهم ليريهم
ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت
تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال وليس بمال قالوا نعبد اصناما
ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس ان يقولوا اصناما
كقوله ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا انزل

ربكم قالوا خيرا هؤلاء قد جاءوا بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخر
فاشتملت على جواب ابرهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج
والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على قولهم نعبد فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا
على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار ما تلبس في بلادك فيقول
البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها
بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم لا بد فيه من تقدير حذف المضاف ومعناه
هل يسمعون دعاءكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون وقرأ قتادة
ويسمعونكم اي هل يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك والمضارع
مع ايقاعه في حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التي
كنتم تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا وهذا ابلغ في التبكيت قالوا
بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون اجابوا بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم
افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون لم
تقليدكم هذا الى اقصى غاياته وهو عبادة الاقدمين الاولين من آبائكم فان
التقدم والاولية لا يكون برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم
فما عبادة من عبدهن الا الاصنام الا عبادة اعداء لهم ومعنى العداوة
كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان المغري على عبادتها اعدى اعداء
الانسان وهو الشيطان وانما قال فانهم عدو لي تصويرا للمسألة في نفسه على
معنى اني فكرت في امري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة
من الخير كله منه واراهم بذلك انها نصيحة نصح بها نفسه اولا ومن علم
بما اره لينظروا فيقولوا ما نصحنا ابرهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا
الا ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع منه ولو قال
فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض
للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل فيه فربما قاده التامل الى التقبل و
منه ما يحكى عن الشافعي ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى
الادب وسمع ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم والعدو والصديق

يجيئان في معنى الوحدة والجماعة قال وقوم علي ذوي مرة اراهم عدوا وكانوا صديقا
ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين
والصهيل الا رب العالمين استثناء منقطع كانه قال لكن رب العالمين الذي خلقني
فهو يهدين يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي
لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى ان يغتذي بالدم في البطن امتصاصا
ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية
الارتضاع الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد والذي هو يطعمني ويسقين و
اذا مرضت فهو يشفين وانما قال مرضت دون امرضني لان كثيرا من اسباب المرض
يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء
لو قيل لاكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم والذي يميتني ثم يحيين والذي اطمع
ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر لان
الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم
وقوله لسارة هي اختي وما هي الا معاريض كلام وتخييلات للكفرة وليست بخطايا
يطلب لها الاستغفار اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهي تقع مكفرة فما له
اثبت لنفسه خطيئة او خطايا وطمع ان يغفر له الجواب ما سبق لي ان استغفار الانبياء
تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة
وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة
مما يفرط منهم لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما تغفر في الدنيا
لان اثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم رب هب لي حكما الحكم الحكمة او الحكم
بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبي ذو حكمة وحكم بين عباد الله والحقني بالصالحين
اللحاق بالصالحين ان يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة
ولقد اجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق في
الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لابي انه كان من الضالين
ولا تخزني الاخزاء من الخزي وهو الهوان ومن الخزاية وهي الحياء وهذا ايضا
نحو استغفارهم مما علموا انه مغفور يوم يبعثون ضمير العباد لانه معلوم

ضمير الضالين وان يجعل من جملة الاستغفار لابيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون
وابي فيهم يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم الا حال من اتى الله بقلب
سليم وهو من قولهم تحية بينهم ضرب وجيع وما ثوابه الا السيف وبيانه ان
يقال لك هل لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه
واثبات سلامة القلب له بدلا من ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال
والبنين في معنى الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى
الرجل في دينه بسلامة قلبه كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء
منقطعا ولا بد لك مع ذلك من تقدير المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست
هي من جنس المال والبنين حتى يؤول المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع
سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع
لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث
ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من اتى الله بقلب سليم من فتنة المال والبنين
ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي ومما اكرم الله تعالى به خليله ونبه على
جلالة محله في الاخلاص ان حكى استثناءه هذا حكاية راض باصابته فيه ثم جعله صفة
له في قوله وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع التفاسير تفسير
بعضهم السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم وسلم واسلم وسالم
واستسلم وما احسن ما رتب ابرهيم عليه السلم كلامه مع المشركين حين سالهم اولا عما يعبدون
سؤال مقرر لا مستفهم ثم اقبل على آلهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر
ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون شبهة فضلا
ان يكون حجة ثم صور المسئلة في نفسه دونهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وعلا فعظم
شانه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم
اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاوابين ثم وصله بذكر يوم القيمة
وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الحسرة والندم على ما كانوا فيه
من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا وازلفت الجنة للمتقين الجنة تكون قريبة من موقف
السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين فتكون

تكون بمرأى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله
وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا يجمع
عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل النار بمرأى منهم فيهلكون غما في كل لحظة ووبخوا على
اشراكهم وقيل لهم اين ما كنتم تعبدون من دون الله فيقال لهم اين آلهتكم
هل ينصرونكم هل ينفعونكم بنصرتهم لكم او ينتصرون او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم
لانهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها هم اي الآلهة والغاوون
وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على
التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم
اجرنا منها يا خير مستجار وجنود ابليس اجمعون شياطينه او متبعوه من عصاة الانس
والجن قالوا وهم فيها يختصمون يجوز ان ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول
والتخاصم ويجوز ان يجري ذلك بين العصاة والشياطين والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم
وكبراؤهم كقوله ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا وعن السدي
الاولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن
القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين كما نرى المؤمنين لهم شفعاء من الملائكة والنبيين
ولا صديق كما نرى لهم اصدقاء لانه لا يتصادق في الآخرة الا المؤمنون واما اهل النار
فبينهم التعادي والتباغض قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين
او فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم
كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله وكان لهم الاصدقاء من
شياطين الانس والجن او ارادوا انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء والاصدقاء
لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم
المعدوم والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة
وهو الصديق الخاص   لم جمع الشافع ووحد الصديق   لكثرة الشفعاء
في العادة وقلة الصديق الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة
من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يسبق له باكثرهم معرفة واما الصديق
وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما يهمك فاعز من بيض الانوق وعن بعض الحكماء

تالله ان كنا لفي ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما اضلنا الا المجرمون

انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق الجمع فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين الكرة الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا كرة وذلك لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان يكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت وكيت ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ونظير قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام قولك فلان يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبرد اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون قيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة لا يسألون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا اني لكم رسول امين كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلى الله عليه وآله وسلم في قريش فاتقوا الله واطيعون في نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق وما اسألكم عليه من اجر على هذا الامر وعلى ما انا فيه يعني دعاءه ونصحه ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم قالوا انؤمن لك واتبعك وقرئ واتباعك جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال والواو للحال وحقها ان يضمر بعدها قد في واتبعك الارذلون جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الا الذين هم اراذلنا والرذالة الخسة والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما زالت اتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم واماراتهم الا ترى الى هرقل حين سأل ابا سفيان عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما قال ضعفاء الناس واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة قال وما علمي واي شيء علمي بما كانوا يعملون والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم لله واطلاعه على سر امرهم وباطنه وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم

تابع

وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما آمنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله الذين هم اراذلنا بادي الرأي ويجوز ان يتغابى لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلون بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيء فالله محاسبه ومجازيهم عليه وما انا الا منذر لا محاسب ولا مجازي لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم نسبا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما انا بطارد المؤمنين يريد ليس من شأني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المؤمنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم ان انا الا نذير مبين وما علي الا ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشأنكم قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين قال رب ان قومي كذبون ليس هذا اخبارا بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك عليهم لما غاظوني وآذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالاتك فافتح بيني وبينهم فتحا فاحكم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصومات ونجني ومن معي من المؤمنين فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لانهما اخوان في قولك العرب والعرب والرشد والرشد فقالوا اسد واسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا ثم اغرقنا بعد الباقين ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين وقرئ اتبنون بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس في الآل يرفعها ويخفضها ريع يلوح

كأنه يعبث ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها آية تعبثون والآية العلم
وكانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا فعبثوا بذلك
لانهم مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل ريع بروج الحمام وتتخذون
مصانع والمصانع مآخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون لعلكم تخلدون
ترجون الخلود في الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف ابي كأنكم وقرئ تخلدون
بضم التاء مخففا ومشددا واذا بطشتم بسوط او سيف بطشتم جبارين كان ظلما
علوا وقيل الجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب وعن الحسن يبادرون تعجيل العذاب
لا يتثبتون متفكرين في العواقب فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذي امدكم
بالغ في تنبيههم على نعم الله حيث اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه
ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال امدكم بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم
بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر على ان يتفضل عليكم بهذه النعمة فهو
قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى [illegible] الله نفسه والله رؤف
بالعباد   كيف قرن البنين بالانعام   هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام
عليها اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن
من الواعظين   لو قيل اوعظت ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد
ليس المعنى بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ
ام لم تكن اصلا من اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك
ام لم تعظ من قرأ ان هذا الا خلق الاولين بالفتح فمعناه ان ما جئت به اختلاق
الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا الا خلق القرون الخالية
نحيا كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرأ خلق بضمتين وبواحدة
فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم كانوا يدينونه و
يعتقدونه ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحيوة والموت الا عادة
لم يزل عليها الناس في قديم الدهر او ما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة
الاولين كانوا يلفقون مثله ويسطرونه وما نحن بمعذبين فكذبوه فاهلكناهم
ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز

الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني
لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على
رب العالمين أتتركون   يجوز ان يكون انكارا لان يتركوا مخلدين في نعيمهم
لا يزالون عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات
وغير ذلك مع الامن والدعة فيما ههنا في الذي استقر في هذا المكان من النعيم ثم فسره
بقوله في جنات وعيون وزروع   وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل   فان قلت لم قال ونخل
بعد قوله في جنات والجنة تتناول النخل اول شيء كما يتناول النعم الابل كذلك من بين
الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخل كما يذكرون النعم ولا يريدون
الا الابل قال زهير تسقي جنة سحقا   قلت فيه وجهان ان يخص النخل بافراده بعد دخوله
في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وان يريد بالجنات غيرها من الشجر
لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل طلعها هضيم الطلعة هي التي تطلع من النخلة
كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه
والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل
جفاء وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في ان وهب لهم اجود
النخل وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه ويجوز ان يريد ان
نخيلهم اصابت جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا
كثر الحمل هضم واذا قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كأنه قال ونخل قد ارطب ثمره
وتنحتون من الجبال بيوتا وقرأ الحسن تنحتون بفتح الحاء وقرئ فرهين وفارهين
والفراهة الكيس ومنه خيل فرهة فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر
المسرفين الذين يفسدون في الارض   استعير لامتثال الامر وارتسامه طاعة
الآمر المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك علي
امرة مطاعة وقوله تعالى اطيعوا امري   فما فائدة قوله ولا يصلحون
قلت فائدته ان فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما يكون حال بعض المفسدين
مخلوطة قالوا انما انت من المسحرين المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو
من السحر الرئة وانه بشر ما انت الا بشر مثلنا فأت بآية ان كنت من الصادقين

قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روي انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من
الصخرة فقام صالح يتفكر فقال له جبرئيل صل ركعتين وسل ربك الناقة فصلى وسأل
فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا مثلها في العظم وعن ابي موسى رأيت
مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم
شرب يوم لا تشرب فيه الماء ولا تمسوها بسوء بضرب او عقر او غير ذلك فيأخذكم عذاب
يوم عظيم عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت
اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد روي ان مسطعا الجأها الى مضيق في شعب فرماها
بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى ترضوا
اجمعين فكانوا يدخلون على المرأة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك صبيانهم
فعقروها فاصبحوا نادمين فاخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم لم اخذهم العذاب وقد ندموا
لان ندمهم ندم تائبين ولكن ندم الخائفين ان يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في
بعض الامور رأيا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي او ندموا ندم التائبين
ولكن في غير وقت التوبة وذلك عند معاينة العذاب وقال عز وجل وليست التوبة للذين
يعملون السيئات الآية وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب
اشارة الى عذاب يوم عظيم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا
على رب العالمين اتأتون الذكران من العالمين اراد بالعالمين الناس
اي اتطؤون من بين اولاد آدم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة اناثهم على ذكورهم
في الكثرة ذكورهم كأن الاناث قد اعوزتكم او اتأتون انتم من بين من عداكم من العالمين
الذكران يعني انكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على هذا
كل ما ينكح من الحيوان وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم يصلح ان يكون بيانا
لما خلق وان يكون للتبعيض واريد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود
ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم بل انتم قوم عادون العادي المتعدي في ظلمه

فيه الحد ومعناه اتركبون هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي
فهذا من جملة ذلك او بل انتم قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة
قالوا لئن لم تنته يا لوط عن نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من المخرجين من جملة من اخرجنا
من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا يخرجون من اخرجوه على اسوأ حال من
تعنيف به واحتباس لاملاكه وكما يكون حال الظلمة اذا اجلوا بعض من يغضبون عليه وكما
كان يفعل اهل مكة بمن يريد المهاجرة قال اني لعملكم من القالين ابلغ من ان يقول اني لعملكم
قال كما يقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدودا
في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز ان يكون بدعا من الكاملين في قلاكم
والقلى البغض الشديد كانه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية
والمراد القلي من حيث الدين والتقوى وقد تقوى همة الدين في دين الله حتى يقرب كما
للعاصي من الكراهة الجبلية رب نجني واهلي مما يعملون من عقوبة عملهم وهو ظاهر
ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا فما معنى قوله
معناه اعصمه واهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه
لكونها راضية ومعينة عليه ومحرضة والراضي بالمعصية في حكم العاصي
كان اهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم
معناه الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين
قيل انها هلكت مع من خرج من القرية بما امطر عليهم من الحجارة والمراد بتدميرهم
الائتفاك بهم وامطرنا عليهم مطرا اما الامطار فعن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة
من السماء فاهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالائتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة و
فاعل فساء مطر المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم
محذوف وهو مطرهم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين وقرئ اصحاب الايكة بالهمز
وتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرأ بالنصب وزعم ان ليكة بوزن
ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه السورة
وفي سورة ص بغير الف وفي المصحف اشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه

عليه وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب النحو لان ولو
في على هذه الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القرآن على الاصل والقصة
واحدة على ان ليكة اسم لا ينصرف وروي ان اصحاب الايكة اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم
الدوم إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله
وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين هلا قيل أخوهم شعيب
كما في سائر المواضع قالوا ان شعيبا لم يكن من اصحاب الايكة وفي الحديث ان شعيبا اخا
مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين
الكيل على ثلثة اضرب واف وطفيف وزائد فامر بالواجب الذي هو التطفيف و
لم يذكر الزائد وكان تركه عن الامر والنهي دليل على انه ان فعله فقد احسن وان لم يفعله
فلا عليه وزنوا بالقسطاس المستقيم قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان
وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس
والا فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل ولا تبخسوا الناس أشياءهم يقال بخسته حقه
اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وهو عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم
وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا
شرعيا ولا تعثوا في الأرض يقال عثا في الارض وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق
والغارة واهلاك الزروع مفسدين كانوا يفعلون مع توليهم انواع الفساد فنهوا
عن ذلك قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا
المعنى ما دخال الواو وههنا وتركها في قصة ثمود قلت اذا دخلت الواو فقد قصد معنيان
كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا و
لا يجوز ان يكون بشرا واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر
بكونه بشرا مثلهم وإن نظنك لمن الكاذبين ان المخففة من الثقيلة
ولامها كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه قلت اصلهما ان يتفرقا على المبتدأ و
الخبر كقولك ان زيدا لمنطلق فلما كان البابان اعني باب كان وباب ظننت من جنس باب المبتدأ
والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا فأسقط
علينا كسفا قرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر

الايفاء ونهى عن المحرم الذي هو التطفيف

واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولين

وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه من السماء إن
كنت من الصادقين السماء السحاب او المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم على الجحود
والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه
والمعنى ان كنت صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء قال ربي
أعلم بما تعملون يريد ان الله اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فان اراد
ان يعاقبكم باسقاط كسف من السماء فعل وان اراد عقابا آخر فاليه الحكم والمشيئة
فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم
فأخذهم الله بنحو ما اقترحوا من عذاب الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة
فقد خالف بهم عن مقترحهم يروى انه حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم الومد
فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم
سحابة وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا وروي
ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بصيحة جبريل
والايكة بعذاب يوم الظلة إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن
ربك لهو العزيز الرحيم كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة وآخرها ما كرر
كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة
منها حقيقة بان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها وان تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير تقريرا للمعاني
في الانفس وتثبيتا لها في الصدور الا ترى انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد حفظه
منها وكلما زاد ترديده كان امكن له في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من
النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الانصات للحق وقلوب غلف عن
تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا او يفتق
ذهنا او يصقل عقلا طال عهده بالصقل او يجلو فهما قد غطى عليه تراكم الصدا وإنه
هذا التنزيل لتنزيل رب العالمين والمراد بالتنزيل المنزل والباء في نزل به الروح الأمين
ونزل به على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح الامين جعله نازلا به على قلبك اي
حفظك وفهمك اياه واثبته على قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى لتكون
من المنذرين بلسان عربي مبين اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين

كسف

ظلتهم

أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب وإسمعيل ومحمد صلوات الله عليهم وأما
أن يتعلق بنزل فيكون المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لأنه لو نزله باللسان الأعجمي لتجافوا
عنه أصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه فيتعذر الإنذار به وفي هذا الوجه أن تنزيله
بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم
معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات فإذا كلم بلغته التي لقنها أولا و
نشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه إلا إلى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد يفطن للألفاظ
كيف جرت وإن كلم بغير تلك اللغة وإن كان ماهرا بمعرفتها كان نظره أولا في ألفاظها ثم في
معانيها فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وإنه وإن القرآن لفي زبر الأولين
يعني ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل إن معانيه فيها وبه يحتج لأبي حنيفة في جواز القراءة
بالفارسية في الصلوات على أن القرآن قرآن إذا ترجم بغير العربية حيث قيل وإنه لفي زبر
الأولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك في أن
يعلمه وليس بواضح وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على أنه خبره وأن يعلمه هو الاسم وقرئ
تكن بالتأنيث وجعلت آية اسما وأن يعلمه خبرا وليست كالأولى لوقوع النكرة اسما والمعرفة
خبرا وقد خرج لها وجه آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية أن يعلمه جملة
واقعة موقع الخبر ويجوز على هذا أن يكون لهم آية هي جملة الشأن وأن يعلمه بدلا عن آية
ويجوز مع نصب الآية تأنيث تكن لقوله ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا ومنه بيت لبيد
فمضى وقدمها وكانت عادة منه إذا هي عردت إقدامها وقرئ تعلمه بالتاء وعلماء بني إسرائيل
عبد الله بن سلام ونحوه قال الله تعالى وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق
من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين   كيف خط في المصحف علموا بواو قبل الألف
خط على لغة من يميل الألف إلى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلوة والزكوة كذلك
سلكناه أدخلناه ومكناه والمعنى أنا أنزلنا هذا القرآن على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا
به وفهموه وعرفوا فصاحته وأنه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم إلى ذلك اتفاق
علماء أهل الكتب المنزلة قبله على أن البشارة بإنزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم
وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح بذلك أنها من عند الله وليست بأساطير كما زعموا
فلم يؤمنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة وسحرا أخرى وقالوا هذا من تلقين محمد

أولم يكن لهم آية

وافتراء ثم قال ولو نزلناه على بعض الأعاجم الذي لا يحسن العربية فضلا أن يقدر على نظم مثله
فقرأه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا لجحودهم عذرا ولسموه سحرا
ثم قال كذلك سلكناه أي مثل هذا السلك سلكناه في قلوب المجرمين وهكذا مكناه
وقررناه فيها وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها فكيفما
فعل بهم وصنع وعلى أي وجه دبر أمرهم فلا سبيل إلى أن يتغيروا عما هم عليه من جحوده وإنكاره
كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس الآية   كيف أسند السلك بصفة التكذيب
إلى ذاته   أراد به الدلالة على تمكنه مكذبا في قلوبهم أشد التمكن وأثبته فجعله بمنزلة
أمر قد جبلوا عليه وفطروا ألا ترى إلى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لأن الأمور
الخلقية أثبت من العارضة والدليل عليه أنه أسند ترك الإيمان به إليهم على عقبه
وهو قوله لا يؤمنون به   ما موقع لا يؤمنون به من قوله سلكناه
موقعه منه موقع الموضح والملخص لأنه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فأتبع ما يقرر هذا
المعنى من أنهم لا يزالون على التكذيب به وجحوده حتى يروا العذاب الأليم حتى يعاينوا
الوعيد ويجوز أن يكون حالا أي سلكناه فيها غير مؤمن به وقرأ الحسن فتأتيهم بالتاء أي
الساعة وبغتة بالتحريك وفي حرف أبي ويروه بغتة   ما معنى التعقيب في قوله
فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون   ليس المعنى ترادف
رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظرة فيه في الوجود وإنما المعنى ترتبها في الشدة كأنه
قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى تكون رؤيتهم للعذاب فما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مفاجأة
فما هو أشد منه وهو سؤالهم النظرة ومثال ذلك أن تقول لمن تعظه إن أسأت مقتك الصالحون
فمقتك الله فإنك لا تقصد بهذا الترتيب أن مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين
وإنما قصدك إلى ترتيب شدة الأمر على المسيء وأنه يحصل له بسبب الإساءة مقت الصالحين
فما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله وترى ثم يقع في هذا الأسلوب فيحل موقعه أفبعذابنا
يستعجلون تبكيت لهم بإنكار وتهكم ومعناه كيف يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب
يسأل فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والإمهال طرفة عين فلا يجاب إليها
ويحتمل أن يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم ويستعجلون على هذا الوجه
حكاية حال ماضية ووجه آخر متصل بما بعده وذلك أن استعجالهم بالعذاب إنما كان

لاعتقادهم أنه غير كائن ولا لاحق بهم وأنهم ممتعون بأعمار طوال في سلامة وأمن
فقال عز وعلا أفبعذابنا يستعجلون أشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الأمل الطويل
أفرأيت إن متعناهم سنين ثم قال هب أن الأمر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم
جاءهم ما كانوا يوعدون فإذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما أغنى عنهم ما كانوا
يمتعون ما ينفعهم حينئذ ما مضى من طول أعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران
أنه لقي الحسن في الطواف وكان يتمنى لقاءه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الآية
فقال ميمون لقد وعظت فأبلغت وقرئ يمتعون بالتخفيف وما أهلكنا من قرية إلا لها
منذرون رسل ينذرونهم ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة إما لأن أنذر وذكر
متقاربان فكأنه قيل مذكرون تذكرة وإما لأنها حال من الضمير في منذرون أي
ينذرونهم ذوي تذكرة وإما لأنها مفعول له على معنى أنهم ينذرون لأجل الموعظة
والتذكرة أو مرفوعة على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية
أو صفة بمعنى منذرون ذوو ذكرى أو جعلوا ذكرى لإمعانهم في التذكرة وإطنابهم فيها
ووجه آخر وهو أن يكون ذكرى متعلقة بأهلكنا مفعولا له والمعنى وما أهلكنا من
أهل قرية ظالمين إلا بعدما ألزمناهم الحجة بإرسال المنذرين إليهم ليكون إهلاكهم
تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير
ظالمين وهذا الوجه عليه المعول كيف عزلت الواو عن الجملة بعد إلا ولم تعزل
عنها في قوله وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم الأصل عزل الواو لأن الجملة
صفة لقرية وإذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم
كلبهم وما تنزلت به الشياطين كانوا يقولون إن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم
كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة وما ينبغي لهم وما
يستطيعون فكذبوا بأن ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه إنهم
عن السمع لمعزولون عن استماع كلام أهل السماء وقرأ الحسن الشياطون ووجهه
أنه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين أن يجري الإعراب على النون وبين أن يجريه على
ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب بين أن يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين
وحقه أن تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط

الشيخ في قراءته الشياطون ظن أنها النون التي على هجائين فقال النضر بن شميل إن جاز
أن يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز أن يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد محمد بن السميفع
مع أنا نعلم أنهما لم يقرآ به إلا وقد سمعا فيه فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من
المعذبين قد علم أن ذلك لا يكون ولكنه أراد أن يحرك منه لازدياد الإخلاص والتقوى
وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الأقاويل فإن كنت في شك مما أنزلنا
إليك وأنذر عشيرتك الأقربين فيه وجهان أحدهما أن يؤمر بإنذار الأقرب فالأقرب من
قومه ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداءة ثم بمن يليه وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم
كما روي عنه عليه السلام أنه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين
وأول ما أضعه ربا العباس والثاني أن يؤمر بأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف
والرأفة ولا يحابيهم في الإنذار والتخويف وروي أنه لما نزلت فنادى الأقرب فالأقرب
فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة
رسول الله إني لا أملك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم وروي أنه جمع بني عبد المطلب
وهم يومئذ أربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب العس على رجل شاة وقعب
من لبن فأكلوا وشربوا حتى صدروا ثم أنذرهم فقال يا بني عبد المطلب لو أخبرتكم أن بسفح
هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقي قالوا نعم قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد وروي
أنه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا أنفسكم من النار فإني لا أغني
عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية
عمة محمد اشترين أنفسكن من النار فإني لا أغني عنكن شيئا واخفض جناحك الطائر
إذا أراد أن ينحط للوقوع كسر جناحه وخفضه وإذا أراد أن ينهض للطيران رفع
جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط مثلا في التواضع ولين الجانب ومنه قول
بعضهم وأنت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه أجدلا ينهاه عن التكبر بعد التواضع
المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فما معنى قوله
لمن اتبعك من المؤمنين فيه وجهان أن يسميهم قبل الدخول في الإيمان مؤمنين
لمشارفتهم ذلك وأن يريد بالمؤمنين المصدقين بألسنتهم وهم صنفان صنف صدق
واتبع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاء به وصنف ما وجد منه إلا التصديق

بحسبانهم اما ان يكونوا منافقين او فاسقين فالمنافق والفاسق لا تخفض لهما الجناح
والمعنى من المؤمنين من عشيرتك وغيرهم يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك
فاخفض لهم جناحك فان عصوك ولم يتبعوك فقل اني بريء مما تعملون فتبرأ
منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل على الله يكفيك شر من يعصيك
منهم ومن غيرهم والتوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه
وضره وقالوا المتوكل من ان دهمه امر لم يحاول دفعه عن نفسه بما هو معصية لله فعلى هذا
اذا وقع الانسان في محنة ثم سال غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول
دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله وفي مصاحف اهل المدينة والشام فتوكل وبه قرأ
نافع وابن عامر وله محلان في العطف ان يعطف على فقل او فلا تدع على العزيز الرحيم
على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته الذي يراك حين تقوم وتقلبك
في الساجدين ثم اتبع كونه رحيما على رسوله بما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر
ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه في تصفح احوال المتهجدين
من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سرائرهم وكيف يعبدون
الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة
ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير
الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع من دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد
بالساجدين المصلون وقيل معناه يراك حين تقوم للصلوة بالناس جماعة وتقلبه في
الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل
انه سئل ابا حنيفة هل تجد الصلوة في القرآن فقال لا يحضرني فتلا هذه الآية ويحتمل
ان لا يخفى عليه حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين انه هو
السميع العليم بما تنويه وتعمله وقيل هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله عليه السلام
اتموا الركوع فوالله اني لاراكم من خلف ظهري اذا ركعتم وسجدتم وقرئ وتقلبكم
هل انبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم هم الكهنة والمتنبئة
كالاسود وسطيح ومسيلمة وطليحة يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل ان حجبوا
بالرجم يسمعون الى الملأ الاعلى فيختطفون بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من

الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم السمع من اولئك واكثرهم كاذبون فيما يوحون به
اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع اي المسموع من
الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون
المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم
يوحوا اليهم وترى اكثر ما يحكمون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني
فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة والقر الصب كيف دخل حرف الجر
على من المتضمنة لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام الا ترى الى قولك اعلى زيد
مررت ولا تقول على ازيد مررت ليس معنى التضمن ان الاسم دل على معنيين معا
معنى الاسم ومعنى الحرف وانما معناه ان الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال
على حذفه كما حذف من هل والاصل اهل قال ا اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم فاذا
ادخلت حرف الجر على من فقدر الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كانك تقول اعلى من
تنزل الشياطين كقولك اعلى زيد مررت يلقون ما محله يجوز ان يكون في
محل النصب على الحال اي تنزل ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى
الجمع وان لا يكون له محل بان يستأنف كان قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل
يفعلون كيت وكيت كيف قيل واكثرهم كاذبون بعد ما قضى عليهم ان كل
واحد منهم افاك الافاكون هم الذين يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم
لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من يصدق منهم فيما
يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه وانه لتنزيل رب العالمين وما تنزلت به الشياطين
هل انبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن اخوات اريد التفريق
بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع الى المجيء بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة
فيدل بذلك على ان المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها
ومثاله ان يحدث لك بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وتجمل
يعيد ذكره ولا ينفك عن الرجوع اليه والشعراء يتبعهم الغاوون مبتدأ وخبره
ومعناه انه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم وفضول قولهم وما هم عليه من الهجاء وتمزيق
الاعراض والقدح في الانساب والنسيب بالحرم والغزل والابتهار ومدح من لا يستحق

المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون والسفهاء والشطار وقيل
الغاوون الراوون وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي
وابو عزة الجمحي ومن ثقيف امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد صلى الله عليه وآله
وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب من قومهم يستمعون اشعارهم وقرأ عيسى بن عمر
والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب
قرأ حمالة الحطب والسارق والسارقة وسورة انزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف
ويتبعهم بسكون العين تشبيها لتبعه بعضد الم تر انهم في كل واد يهيمون
ذكر الوادي والهيوم فيه تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة
مبالاتهم بالغلو في المنطق ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس على
عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البريء ويفسقوا التقي وعن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك
سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات وبت افض اغلاق الختام فقال يا امير المؤمنين قد درأ الله
عني الحد بقوله وانهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين
الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا
شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة
ومدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة وصلحاء الامة وما لا بأس به
من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم
على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم
وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ما هو جائز لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم وعن عمرو بن عبيد ان رجلا من العلوية قال له ان صدري
ليجيش بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه ان الشعر باب من الكلام فحسنه
كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام وقيل المستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان
كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من
النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة بآية ناطقة بما لا شيء اهيب منه

واهول ولا انكى لقلوب المتأملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله وسيعلم الذين
ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه
وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولان تخاف فتبلغ
الامن خير من ان تأمن فتبلغ الخوف وقرأ ابن عباس اي منقلب ينقلبون ومعناه ان الذين
ظلموا يطمعون ان ينقلبوا من عذاب الله وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانقلاب
وهو النجاة اللهم اجعلنا ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وعلم ان من عمل سيئة
فهو من الذين ظلموا والله اعلم واجل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة
الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب و
صالح وابرهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وآله وعليهم اجمعين

بسم الله الرحمن الرحيم طس قرئ بالتفخيم والامالة وتلك
آيات القرآن وكتاب مبين اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين اما
اللوح المحفوظ وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة
واما السورة واما القرآن فابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرائع
وان اعجازهما ظاهر مكشوف واضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل
التفخيم لها والتعظيم لان المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه لم نكر الكتاب
المبين ليبهم بالتنكير فيكون افخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر
ما وجه عطفه على القرآن كما يعطف احدى الصفتين على الاخرى في نحو قولك
هذا فعل السخي والجواد الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك المصدق لما بين يديه
فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكانه قيل تلك الآيات آيات المنزل المبارك
وآيات كتاب مبين وقرأ ابن ابي عبلة وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ما الفرق بين هذا وبين قوله الر تلك آيات
الكتاب وقرآن مبين لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف والمعطوف عليه من التقدم والتأخر

وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح جانب على جانب وضرب فيه يترجح فالأول
نحو قوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده والثاني نحو
شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم هدى وبشرى في محل النصب أو
الرفع فالنصب على الحال أي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الإشارة
والرفع على ثلاثة أوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى أن يكون خبرا بعد خبر
أي جمعت أنها آيات وأنها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين أنها زائدة في
هداهم قال الله تعالى فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله يحتمل أن يكون
من جملة صلة الموصول ويحتمل أن تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كأنه قيل
وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من إقامة الصلوة وإيتاء الزكوة هم
الموقنون بالآخرة وهو الوجه ويدل عليه أنه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي
هو هم حتى صار معناها وما يوقن بالآخرة حق الإيقان إلا هؤلاء الجامعون بين الإيمان
والعمل الصالح لأن خوف العاقبة يحملهم على تحمل المشاق إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا
لهم أعمالهم كيف أسند تزيين أعمالهم إلى ذاته وقد أسنده إلى الشيطان في قوله
وزين لهم الشيطان أعمالهم بين الإسنادين فرق وذلك أن إسناده إلى الشيطان
حقيقة وإسناده إلى الله تعالى مجاز وله طريقان في علم البيان أحدهما أن يكون من المجاز
الذي يسمى الاستعارة والثاني أن يكون من المجاز الحكمي فالطريق الأول أنه لما متعهم بطول
العمر وسعة الرزق وجعلوا إنعام الله بذلك عليهم وإحسانه إليهم ذريعة إلى اتباع
شهواتهم وبطرهم وإيثارهم الروح والترفه ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق
المتعبة فكأنه زين لهم بذلك أعمالهم وإليه إشارة الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم
ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني أن إمهاله الشيطان وتخليته
حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فأسند إليه لأن المجاز الحكمي يصححه بعض الملابسات
وقيل هي أعمال الخير التي وجب عليهم أن يعملوها زينها لهم الله فهم يعمهون فعمهوا
عنها وضلوا ويعزى إلى الحسن والعمه التحير والتردد كما يكون حال الضال عن
الطريق وعن بعض الأعراب أنه دخل السوق وما أبصرها قط فقال رأيت الناس عمهين

أراد مترددين في أعمالهم وأشغالهم أولئك الذين لهم سوء العذاب القتل والأسر
يوم بدر وهم في الآخرة هم الأخسرون أشد الناس خسرانا لأنهم لو آمنوا لكانوا
من الشهداء على جميع الأمم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله وإنك لتلقى
القرآن لتؤتاه وتلقنه من لدن حكيم عليم من عند أي حكيم وأي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرة
وهذه الآية بساط وتمهيد لما يريد أن يسوق بعدها من الأقاصيص وما في ذلك من
لطائف حكمته ودقائق علمه إذ قال موسى لأهله إذ منصوب بمضمر وهو اذكر كأنه قال
على أثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى عليه السلام ويجوز أن ينتصب بعليم
روي أنه لم يكن مع موسى غير امرأته وقد كنى الله تعالى عنها بالأهل فتبع ذلك ورود الخطاب
على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا إني آنست نارا سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب
قبس الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة وأضاف الشهاب إلى القبس لأنه يكون
قبسا وغير قبس ومن قرأ بالتنوين جعل القبس بدلا أو صفة لما فيه من معنى القبس
والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لأنه كان قد ضله سآتيكم منها بخبر و
لعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لأن أحدهما ترج والآخر تيقن قد يقول الراجي
إذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة كيف
جاء بسين التسويف عدة لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ أو كانت المسافة
بعيدة فلم جاء بأو دون الواو بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه
جميعا لم يعدم واحدة منهما إما هداية الطريق وإما اقتباس النار ثقة
بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما أدراه حين قال ذلك أنه
ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة فلما جاءها نودي
أن بورك أن هي المفسرة لأن النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك
هل يجوز أن المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بأنه بورك والضمير ضمير الشأن
لا لأنه لا بد من قد فعلى إضمارها لا يصح لأنها علامة لا
تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول
مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله
نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة وتدل عليه قراءة أبي تباركت الأرض ومن حولها

حولها وعنه بوركت النار والذي بوركت له البقعة وبورك من حولها حدوث امر
ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباؤه له واظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في
بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير ويبث آثاره في اباعدها فكيف بمثل ذلك
الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون
والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام
ولقد جعل الله ارض الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا
فيها للعالمين وحقت ان يكون كذلك فهي مبعث الانبياء صلوات الله عليهم ومهبط الوحي
وكفاتهم احياء وامواتا فما معنى ابتداء خطاب الله تعالى موسى عليه السلام بذلك عند مجيئه
هي بشارة له بانه قد قضي امر عظيم تنتشر منه في ارض الشام كلها البركة وسبحان الله
رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك وايذان بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين
تنبيها على ان الكائن من جلائل الامور وعظائم الشؤون يا موسى انه الهاء في انه
يجوز ان يكون ضمير الشان والشان انا الله مبتدا وخبر والعزيز الحكيم صفتان
للخبر وهذا تمهيد لما اراد ان يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر على ما
يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير
علام عطف قوله والق عصاك على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في
النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له
الق عصاك وكلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له الق عصاك
والدليل على ذلك قوله عز من قائل وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله
على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر
فلما رآها تهتز كانها جان ولى مدبرا قرا الحسن جأن على لغة من يجد في الهرب من
التقاء الساكنين فيقول شأبة ودأبة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضألين ولم يعقب
لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قال فما عقبوا اذ قيل هل من معقب
ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه يا موسى
لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون الا يعني لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل
كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرط

منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان و
اخوة يوسف ومن موسى عليه السلام بوكزه القبطي ويوشك ان يقصد بهذا التعريض
بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف ماخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب
اني ظلمت نفسي فاغفر لي ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم والحسن والسوء
حسن التوبة وقبح الذنب وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه عن ابي عمرو في رواية عصمة حسنا
وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء في تسع آيات كلام مستانف
وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات الى فرعون وقومه انهم
كانوا قوما فاسقين ونحوه فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما
ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك في تسع آيات اي في جملة تسع
آيات وعدادهن ولقائل ان يقول كانت الآيات احدى عشرة ثنتان منها اليد
والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة
والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا
هذا سحر مبين المبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها وهو في الحقيقة لمتأمليها
لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز ان يراد بحقيقة
الابصار كل ناظر فيها من كافة اولي العقل وان يراد ابصار فرعون وملائه لقوله
واستيقنتها انفسهم او جعلت كانها تبصر فتهدي لان العمي لا تقدر على الاهتداء
فضلا ان تهدي غيرها ومنه قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة
ترشد والسيئة تغوي ونحوه قوله تعالى لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات
والارض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالابصار وقرا علي بن الحسين وقتادة
مبصرة وهي نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة اي مكانا يكثر فيه التبصر وجحدوا بها
واستيقنتها الواو للحال وقد بعدها مضمرة ظلما وعلوا العلو الكبر والترفع عن
الايمان بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين
مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ عتيا وعتيا
ذكر الانفس انهم جحدوا بالسنتهم واستيقنوها في قلوبهم وضمائرهم والاستيقان
ابلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين واي ظلم افحش من ظلم من اعتقد

استيقنوا انها آيات بينة واضحة من جاءت ثم كابروها وسموها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة
فيه فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ولقد آتينا داود وسليمان علما طائفة
من العلم او علما سنيا عزيزا فان قلت اليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك اعطيته
فشكر ومنعته فصبر قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث
فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قال ولقد آتيناهما
علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة والفضيلة وقالا الحمد لله الذي فضلنا على
كثير والكثير المفضل عليه من لم يؤت علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما
فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفي الآية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم
حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على
كثير من عباده المؤمنين من عباد الله كما قال والذين اوتوا العلم درجات وما
سماهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة
لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها
ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم وفيها التذكير بالتواضع وان يعتقد
العالم انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر كل الناس افقه
من عمر وورث سليمان داود ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا
تسعة عشر وكان داود اكثر تعبدا وسليمان اقضى واشكر لنعمة الله وقال يا ايها الناس
علمنا منطق الطير واوتينا تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها ودعاء للناس
الى التصديق بذكر المعجزة التي هي علم منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من عظائم الامور
وتفويض امره الى الله المنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد
وقد ترجم يعقوب كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت
العرب نطقت الحمامة وكل صنف من الطير يتفاهم اصواته والذي علمه سليمان
هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل في شجرة يحرك
راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول قالوا الله ورسوله اعلم قال
يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت
ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول

استغفروا الله يا مذنبين وصاح طيطوى فقال يقول كل حي ميت وكل جديد بال
وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال يقول سبحان ربي
الاعلى وقال الحدأ يقول كل شيء هالك الا الله والقطاة يقول من سكت سلم و
الببغاء يقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلين والنسر يقول يا ابن آدم
عش ما شئت آخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان
ربي القدوس واراد بقوله من كل شيء كثرة ما اوتي كما يقول فلان يقصده كل احد
ويعلم كل شيء يريد كثرة قصاده ورجوعه الى غزارة في العلم واستكثار منه ومثله قوله
واوتيت من كل شيء ان هذا لهو الفوز العظيم قول وارد على سبيل الشكر والمحمدة كما قال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول شكرا
ولا اقوله فخرا فان قلت كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين قلت فيه وجهان احدهما ان
يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا فكلم اهل
طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق بتجمل الملك وتفخيمه
واظهار آيينه وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد او احتاج ان يرجح في عين عدو الا ترى كيف امر العباس
بان يحبس ابا سفيان حتى تمر عليه الكتائب وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس و
الطير روي انه كان مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس
خمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب
فيها ثلاثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا
في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي
من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم
الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس
وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله
ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في
ملكك لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي
آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى الى الحراث فقال انما

اليك ليلا بتمني ما لا يقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله خير مما اوتي آل داود
فهم يوزعون يحبس اولهم على آخرهم اي يوقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي
فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة حتى اذا اتوا على واد
النمل قيل هو واد بالشام كثير النمل وعدي اتوا بعلى [يتوجه على معنيين]
احدهما ان اتيانهم كان من فوق فاتى بحرف الاستعلا كما قال ابو الطيب ولشد ما قربت
لما كان قربا من فوق والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم اتى على
الشيء اذا انفده وبلغ آخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند منقطع الوادي لانهم ما دامت
الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم وقرئ قالت نملة يا ايها النمل بضم الميم وبضم النون
والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف عنه كقولهم
السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا ايها النمل الآية فسمع
سليمن من ثلثة اميال قيل كان اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف
عليه الناس فقال سلوني عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو غلام حدث فقال
سلوه عن نملة سليمن اذكرا ام انثى فسألوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من
اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة
في وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو
وهي ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمن وجنوده وهم لا يشعرون وقرئ مسكنكم
ولا يحطمنكم بتخفيف النون وقرئ ولا يحطمنكم بفتح الحاء وكسرها واصله يحتطمنكم ولما
جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في اولي العقل اجرى خطابهم مجرى خطابهم
لا يحطمنكم ما هو يحتمل ان يكون جوابا للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر
الذي جهته ان يكون بدلا لا جوابا انه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمكم على ارادتكم هنا لا اراد
لا يحطمنكم جنود سليمن فجاء بما هو ابلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن اشفاقها
فتبسم ضاحكا من قولها تبسم شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني انه قد تجاوز حد التبسم الى الضحك
وكذلك ضحك الانبياء واما ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضحك حتى بدت
نواجذه فالغرض المبالغة في وصف ما وجد منه من ضحك النبوة ولا زيادة والنواجذ
على الحقيقة انما يكون عند الاستغراب وقرئ ضحكا من قولها تعجبا من حذرها

تشبيه ان اعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم على
شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها وهم لا يشعرون يعني انهم لو شعروا
لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله تعالى ما لم يؤت احدا من ادراكه بسمعه ما همس به بعض
الحكل الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن احاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع
شكر ما انعم به عليه من ذلك وعلى استيفائه لزيادة العمل الصالح والتقوى وقال رب
اوزعني ان اشكر وحقيقة اوزعني اجعلني ازع شكر نعمتك التي انعمت علي عندي
واربطه لا ينفلت عني حتى لا انفك شاكرا لك وعلى والدي ادرج ذكر والديه
لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا
نفعهما بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن
والديك وروي ان النملة احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهواء فامر سليمن الريح
فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة يعني وادخلني برحمتك في
عبادك الصالحين واجعلني من اهل الجنة وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد
ام كان من الغائبين ام هي المنقطعة نظر الى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا اراه
على معنى انه لا يراه وهو حاضر لساتر ستره او غير ذلك ثم لاح له انه غائب كانه يسأل
عن صحة ما لاح له ونحوه قولهم انها لابل ام شاء وذكر من قصة الهدهد ان سليمن حين تم
له بناء بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول
مقامه خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم السير الى
اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى
ارضا حسناء اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجد الماء وكان الهدهد قنّاقنه
وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ
الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمن حلق الهدهد فرأى هدهدا
واقعا فانحط اليه فوصف له ملك سليمن وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك
وان تحت يدها اثني عشر الف قائد تحت كل قائد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا
بعد العصر وذكر انه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمن فنظر فاذا موضع الهدهد خال
فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به

وان اعمل صالحا ترضيه

لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه

فلما رجعت نظرت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك وأقدرك
عليّ إلا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت
بلى أو ليأتيني بسلطان مبين فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض
تواضعا له فلما دنا منه أخذ برأسه فمده إليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله
فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله تعذيبه أن يؤدب بما يحتمله ليعتبر به أبناء جنسه وقيل
كان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه وقيل أن يطلى بالقطران ويشمس وقيل أن يلقى
للنمل تأكله وقيل إيداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين إلفه وقيل لألزمنه
صحبة الأضداد وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الأضداد وقيل لألزمنه خدمة
أقرانه فإن قلت من أين حل له تعذيب الهدهد قلت يجوز أن يبيح الله له ذلك لما رأى فيه
من المصلحة والمنفعة كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع وإذا سخر
له الطير ولم يتم التسخير من أجله إلا بالتأديب والسياسة جاز أن يباح له ما يستصلح
به وقرئ ليأتيني وليأتينن والسلطان الحجة والعذر فإن قلت قد حلف على أحد ثلاثة أشياء
فحلفه على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف حلفه على فعل الهدهد ومن أين درى أنه يأتي بسلطان
حتى يقول أو ليأتيني بسلطان قلت لما نظم الثلاثة بأو في الحكم الذي هو الحلف آل كلامه
إلى قولك ليكونن أحد الأمور الثلاثة يعني إن كان الإتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وإن لم يكن كان
أحدهما وليس في هذا ادعاء دراية على أنه يجوز أن يتعقب حلفه بالفعلين وحي من الله بأنه
سيأتيه بسلطان مبين فثلث بقوله أو ليأتيني بسلطان مبين عن دراية وإيقان فمكث
قرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقوله عن قريب ووصف مكثه بقصر المدة
للدلالة على إسراعه خوفا من سليمان وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما أعطي من
المعجزة الدالة على نبوته وعلى قدرة الله تعالى فقال أحطت بما لم تحط به ألهم الله الهدهد
فكافح سليمان بهذا الكلام على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والإحاطة
بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما
بما لم يحط به لتتحاقر إليه نفسه ويتصاغر إليه علمه ويكون لطفا له في ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء وأعظم
بها فتنة والإحاطة بالشيء علما أن يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل
على بطلان قول الرافضة إن الإمام لا يخفى عليه شيء ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه

بالسلطان

بادغام الطاء في التاء باطباق وغير اطباق

وجئتك من سبإ قرئ بالصرف ومنعه وقد روي بسكون الباء وعن ابن كثير في رواية
سبا بالألف كقولهم ذهبوا أيدي سبا وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما
للقبيلة لم يصرف ومن جعله للحي أو للأب الأكبر صرف قال من سبإ الحاضرين مأرب إذ
يبنون من دون سيله العرما وقال الواردون وتيم في ذرى سبإ قد عض أعناقهم جلد الجواميس
ثم سميت مدينة مأرب بسبإ وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث كما سميت معافر بمعافر بن أد ويحتمل أن
يراد المدينة والقوم والنبأ الخبر الذي له شأن وقوله من سبإ بنبإ يقين من جنس الكلام
الذي سماه المحدثون البديع وهو من محاسن الكلام الذي يتعلق باللفظ بشرط أن يجيء مطبوعا
أو يصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى وسداده ولقد جاء ههنا زائدا على الصحة
فحسن وبدع لفظا ومعنى ألا ترى أنه لو وضع مكان بنبإ بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء أصح
لما في النبإ من الزيادة التي يطابقها وصف الحال إني وجدت امرأة المرأة بلقيس بنت
شراحيل وكان أبوها ملك أرض اليمن كلها وقد ولده أربعون ملكا ولم يكن له ولد غيرها
فغلبت على الملك وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير في تملكهم راجع
إلى سبإ فإن أريد به القوم فالأمر ظاهر وإن أريدت المدينة فمعناه تملك أهلها وقيل في وصف
عرشها كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلاثين وكان من ذهب
وفضة مكللا بأنواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودر وزمرد
وعليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق فإن قلت كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى
من ملك سليمان قلت يجوز أن يستصغر حالها إلى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش
ويجوز أن لا يكون مثله للملك الذي يملك أمرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف
على قوله ولها عرش ثم يبتدئ عظيم وجدتها يريد أمر عظيم أن وجدتها وقومها
يسجدون للشمس من دون الله فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع في عظيمة وهي
مسخ كتاب الله فإن قلت كيف قال وأوتيت من كل شيء مع قول سليمان وأوتينا من كل
شيء كأنه مسوى بينهما قلت بينهما فرق بين لأن سليمان عطف قوله على ما هو معجزة من الله
وهو تعليم منطق الطير فرجع أولا إلى ما أوتي من النبوة والحكمة وأسباب الدين ثم إلى الملك وأسباب الدنيا اللائقة
بحالها فبين الكلامين بون بعيد فإن قلت كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين
بلدها قريبة وهي مسيرة ثلاث بين صنعاء ومأرب قلت لعل الله عز وجل أخفى عنه ذلك لمصلحة

وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم

وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا

كما اخفي مكان يوسف على يعقوب عليهما السلم **وزين لهم الشيطان اعمالهم** من اين
الهدهد هذا التهدي الى معرفة الله ووجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان
وتزيينه لا يبعد ان يلهمه ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوانات المعارف
اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن اراد استقراء ذلك فليطالع
بكتاب الحيوان خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له **فصدهم**
عن السبيل فهم لا يهتدون الا يسجدوا من قرا بالتشديد اراد فصدهم عن السبيل لان لا
يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز ان يكون لا مزيدة ويكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا
ومن قرا بالتخفيف جعلها الا يا اسجدوا الا للتنبيه ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذف
من قال الا يا اسلمي يا دارمي على البلى وفي حرف عبد الله وهي قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب
الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على الخطاب وفي قراءة ابي
الا يسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون
وسمي المخبو بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خبأه عز وعلا من غيوبه وقرئ الخب
على تخفيف الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك
بن دينار ووجههما ان يخرج على لغة من يقول في الوقف هذا الخبو ورايت
الخبا ومررت بالخبي ثم اجري الوصل مجرى الوقف لا على لغة من يقول الكماه والحماه
لانها ضعيفة مسترذلة وقرئ يخفون ويعلنون بالياء والتاء وقيل من احطت الى العظيم
هو كلام الهدهد هدهد هندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبا
في السموات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد يخفى على ذي فراسة النظار
بنور الله مخايل كل مختص بصناعة او فن من العلم في روايه ومنطقه وشمائله
ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القى الله رداء عمله **الله لا اله الا هو رب العرش العظيم**
اسجدة التلاوة واجبة في القرائتين جميعا ام في احدهما هي واجبة فيهما
جميعا لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى
بها او ذم لمن تركها واحدى القرائتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك وقد اتفق ابو حنيفة
والشافعي على ان سجدات القرآن اربع عشرة وانما اختلفا في سجدة ص فهي عند ابي حنيفة
سجدة تلاوة وعند الشافعي سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج

الله الذي يخرج الخبأ في السموات والارض ويعلم ما يخفون وما يعلنون

وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه هل يفرق الواقف
بين القرائتين اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتداء الا يا اسجدوا وان
شاء وقف على الا يا ثم ابتداء اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم
كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم
بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها تعظيم له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها
من الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق من السموات
والارض وقرئ العظيم بالرفع **قال سننظر** من النظر الذي هو التأمل والتصفح واراد
اصدقت ام كذبت الا ان **كنت من الكاذبين** ابلغ لانه اذا كان معروفا
بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق
به **اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم** تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى
فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك ويرجعون من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول
فيقال دخل عليها من كوة فالقى الكتاب اليها وتوارى في الكوة وقال
فالقه اليهم على لفظ الجمع لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال
فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بامر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب
في الكتاب على لفظ الجمع لذلك **قالت يا ايها الملأ اني القي الي كتاب كريم** لحسن مضمونه
وما فيه او وصفه بالكرم لانه من عند ملك كريم او مختوم قال عليه السلم كرم الكتاب
ختمه وكان عليه السلم يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا عليه خاتم فاصطنع وعن
ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم
انه من سليمن وانه بسم الله الرحمن الرحيم استيناف وتبيين لما القي اليها كانها
قالت اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو فقالت انه من سليمن وانه بالفتح
على انه بدل من كتاب كانه قيل القي الي انه من سليمن او لانه من سليمن وانه
كانها عللت كرمه بكونه من سليمن وتصديره ببسم الله وقرئ ان من سليمن وان بسم الله
على ان المفسرة وان في الا تعلوا مفسرة ايضا الا تعلوا علي لا تتكبروا كما يفعل الملوك
وقرأ ابن عباس بالغين المعجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد روي ان نسخة الكتاب من
عبد الله سليمن بن داود الى بلقيس ملكة سبا السلام على من اتبع الهدى اما بعد

قف

كاذبا

حيم

ولك كيت وكيت وقرأ عبد الله وانه من سليمن

فلا تعلوا علي وأتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتم فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمأرب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل في كوة وطرح الكتاب علي نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حواليها فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقي الكتاب في حجرها وكانت كاتبة عربية من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما قالت مسلمين منقادين او مؤمنين يا ايها الملأ افتوني في امري الفتوى الجواب في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من الفتاء والمراد بالفتوى ههنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الراي والتدبير وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع ارائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم ليمالؤها ويقوموا معها ما كنت قاطعة امرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود قاضية حتى تشهدون اي لا ابت امرا الا بمحضركم وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلثة عشر رجلا كل واحد على عشرة الاف قالوا نحن اولو قوة واولو باس شديد ارادوا بالقوة قوة الاجساد وقوة الالات والعدد وبالباس النجدة والبلاء في الحرب والامر اليك اي هو موكول اليك ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا اليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراي والمشورة وانت ذات الراي والتدبير فانظري ماذا تامرين نتبع رايك قالت ان الملوك لما احست منهم الميل الى المحاربة رات من الراي الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن ورتبت الجواب فزيفت اولا ما ذكروه واراتهم الخطاء فيه بان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها اي خربوها ومن ثم قالوا للفساد الخربة وجعلوا اعزة اهلها اذلة اذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك وراته ثم ذكرت ذلك حديث الهدية وما رات من الراي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعي في الارض بهذه الاية ويجعلها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقران على وجه التحريف فقد

جمع بين كفرين واني مرسلة اليهم بهدية اي مرسلة رسلا بهدية اصانعه بها عن ملكي فناظرة بم يرجع المرسلون بما يكون منه حتى اعمل على حسب ذلك روي انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو واخر ذا راي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر سليمان فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا وراوا الدواب تروث على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل بما هو فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت كل قيل الوف فلما جاء سليمان قال اتمدونن بمال وفي قراءة ابن مسعود فلما جاؤا اتمدونني وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله اتحاجوني وتنكير المال للتحقير والهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي اهداها او اهديت اليه والمضاف اليه ههنا هو المهدى اليه والمعنى ان ما عندكم

خير مما عندكم وذلك أن الله آتاني الدين الذي فيه الحظ الأوفر والغنى الأوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بأن يمد بمال ويصانع به بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهرا من الحيوة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى إليكم لأن ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما أرضى منكم بشيء ولا أفرح به إلا بالإيمان وترك المجوسية

ما الفرق بين قولك أتمدونني بمال وأنا أغنى منك وبين أن تقوله بالفاء إذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار وهو مع ذلك يمدني بالمال وإذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فأنا أخبره الساعة بما لا أحتاج معه إلى إمداده كأني أقول له أنكر عليك ما فعلت فإني غني عنه وعليه ورد قوله فما آتاني الله

فما وجه الإضراب لما أنكر عليهم الإمداد وعلل إنكاره أضرب عن ذلك إلى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو أنهم لا يعرفون سبب رضا ولا فرح إلا أن يهدى إليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز أن تجعل الهدية مضافة إلى المهدي ويكون المعنى بل أنتم بهديتكم هذه التي أهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بأنكم قدرتم على إهداء مثلها ويحتمل أن يكون عبارة عن الرد كأنه قال بل أنتم من حقكم أن تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها **ارجع إليهم** خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر **فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها** لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة والمقابلة أي لا يقدرون أن يقابلوهم وقرأ ابن مسعود لا قبل لهم بهم والضمير في **ولنخرجنهم منها** لسبا أذلة والذل أن يذهب عنهم ما كانوا فيه من العز والملك **وهم صاغرون** والصغار أن يقعوا في أسر واستعباد ولا يقتصر بهم على أن يرجعوا سوقة بعد أن كانوا ملوكا **قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين** يروى أنها أمرت عند خروجها إلى سليمن عليه السلم فجعل عرشها في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الأبواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله أوحي إلى سليمان باستيثاقها من عرشها فأراد أن يغرب عليها ويريها بذلك بعض ما خصه الله به من إجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمن ويصدقها وعن قتادة أراد أن يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر أتثبته أم تنكره اختبارا لعقلها **قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك** وقرئ عفرية والعفر والعفرية والعفارية

من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر أقرانه ومن الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان **وإني عليه لقوي** على حمله **أمين** آتي به كما هو لا آخذ منه شيئا ولا أبدله **قال الذي عنده علم من الكتاب** رجل كان عنده اسم الله الأعظم وهو يا حي يا قيوم وقيل يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت وقيل يا ذا الجلال والإكرام وعن الحسن الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم وقيل جبرئيل عليه السلم وقيل هو ملك أيد الله تعالى به سليمن وقيل هو سليمن نفسه كأنه استبطأ العفريت فقال له أنا أريك ما هو أسرع مما تقول وعن ابن لهيعة أنه الخضر عليه السلم علم من الكتاب من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبرئيل و**أنا آتيك به** في الموضعين يجوز أن يكون فعلا واسم فاعل الطرف تحريكك أجفانك إذا نظرت فوضع موضع النظر ولما كان الناظر موصوفا بإرسال الطرف في نحو قولك وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد في قوله **قبل أن يرتد إليك طرفك** لأنك ترسل طرفك إلى شيء فقبل أن ترده أبصرت العرش بين يديك ويروى أن آصف قال لسليمن عليه السلم مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش في مكانه ثم نبع عند مجلس سليمن بالشام بقدرة الله تعالى قبل أن يرد طرفه ويجوز أن يكون هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل كذا في لحظة وفي ردة طرف والتفت ترني وما أشبه ذلك تريد السرعة **فلما رآه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه** لأنه يحط عنها عب‍ء الواجب ويصونها عن سمة الكفران وترتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة وفي كلام بعض المتقدمين إن كفران النعمة بوار وقلما أقلعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم أن سبوغ ستر الله متقلص عما قريب إذا أنت لم ترج لله وقارا **ومن كفر فإن ربي غني** عن الشكر **كريم** بالإنعام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمن عند رؤية النعمة القادمة حسن التفكر كما يشغل النعمة المودعة جميل الصبر **قال نكروا لها عرشها** اجعلوه متنكرا متغيرا عن هيئته وشكله كما

بأخذه قبل أن يسلم لعلمه أنها إذا أسلمت لم يحل له أخذ مالها وقيل

الى حال الناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره وأعلاه أسفله وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستيناف أتهتدي لمعرفته أو للجواب الصواب إذا سئلت عنه أو للدين والإيمان بنبوة سليمان إذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها وقد خلفته وأغلقت عليه الأبواب ونصبت عليه الحراس أم تكون من الذين لا يهتدون فلما جاءت قيل أهكذا عرشك هكذا ثلث كلمات حرف التنبيه وكاف التشبيه واسم الاشارة لم يقل أهذا عرشك ولكن أمثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا قالت كأنه هو ولم تقل أهو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل وأوتينا العلم من كلام سليمن وملائه علام عطف هذا الكلام وبم اتصل لما كان المقام الذي سئلت فيه عن عرشها عند قولها كأنه هو قد أصابت في جوابها وطبقت المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بالآيات التي تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من أمر عرشها عطفوا على ذلك قولهم وأوتينا نحن العلم بالله وبالاسلام من قبلها وكنا مسلمين وصدها عن التقدم الى الاسلام ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين وصدها عبادة الشمس ونشوؤها بين ظهراني الكفرة ويجوز أن يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو والمعنى وأوتينا العلم بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمن قبل هذه المعجزة أو قبل هذه الحالة تعني ما تبينت من الآيات عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها عن سواء السبيل وقيل وصدها الله أو سليمن عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرئ إنها بالفتح على أنه بدل من فاعل صد أو على أنها قيل لها ادخلي الصرح القصر وقيل صحن الدار فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها وقرأ ابن كثير سأقيها بالهمز ووجهه أنه سمع سؤقا فأجري عليه الواحد قال إنه صرح ممرد من قوارير المرد المملس وروي أن سليمن أمر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج أبيض وأجري من تحته الماء وألقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا أن الجن كرهوا أن يتزوجها فتفضي إليه بأسرارهم لأنها كانت بنت جنية وقيل خافوا أن يولد له ولد تجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون

من ملك سليمن الى ملك هو أشد وأفظع فقالوا له إن في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنها فإذا هي أحسن الناس ساقا وقدما إلا أنها شعراء ثم صرف بصره وناداها إنه صرح ممرد من قوارير وقيل هي السبب في اتخاذ النورة أمرها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمن وأحبها وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان يزورها في الشهر مرة فيقيم عندها ثلثة أيام وولدت له وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وأمر زوبعة أمير جن اليمن أن يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل أميرا حتى مات سليمن قالت رب إني ظلمت نفسي تريد بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت أن سليمن يغرقها في اللجة فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمن وأسلمت مع سليمن لله رب العالمين ولقد أرسلنا الى ثمود أخاهم صالحا أن اعبدوا الله وقرئ بضم النون على اتباع النون الباء فإذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق والاختصام فآمن فريق وكفر فريق وقيل الفريقان صالح وقومه قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة العقوبة فيقول كل فريق الحق معي قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة العقوبة قبل الحسنة التوبة ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وإنما يكون ذلك إذا كانتا متوقعتين إحديهما قبل الأخرى كانوا يقولون لجهلهم إن العقوبة التي يعدها صالح إن وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين أن التوبة مقبولة في ذلك الوقت وإن لم تقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم لولا تستغفرون الله قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطأ فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه قالوا اطيرنا بك وبمن معك كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فإن مر سانحا تيمن وإن مر بارحا تشاءم فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان سببهما من قدر الله تعالى وقسمته أو من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة والنقمة ومنه قالوا طائر الله لا طائرك أي قدر الله الغالب الذي ينسب إليه الخير والشر لا طائرك الذي تتشاءم به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم أي تشاءمنا وكانوا قد قحطوا قال طائركم عند الله أي سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله فمنه نزل ما نزل بكم وفتنة ومنه قوله طائركم معكم وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الأصل ومعنى تطير به تشاءم به وتطير منه نفر منه بل أنتم قوم تفتنون تختبرون

او تقدم لو لم يفتنكم الشيطان بوسوسته الحكم الطريق وكان في المدينة الحجر تسعة رهط
وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس والفرق بين
الرهط والنفر ان الرهط من الثلاثة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة واسماؤهم
عن وهب الهذيل بن عبد رب غنم بن غنم رياب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم
بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة
وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم يفسدون في الأرض ولا
يصلحون يعني ان شانهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض
المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح قالوا تقاسموا بالله يحتمل ان يكون امرا وخبرا
في محل الحال باضمار قد اي قالوا متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ لنبيتنه بالتاء
والنون فتقاسموا مع النون والتاء يصح فيه الا ان يكون خبرا والتقاسم والتقسم
كالتظاهر والتظهر لنباغتنه بالبيات مباغتة العدو ليلا وعن الاسكندر انه اشير
اليه بالبيات فقال انه ليس من آيين الملوك استراق الظفر وقرئ مهلك بفتح الميم
واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من اهلك ويحتمل المصدر والزمان والمكان وإنا
لصادقون كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر
على خلاف المخبر عنه لانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين
البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا
احدهما وفي هذا دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه
ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين
حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتفصون بها عن الكذب ومكروا مكرا ومكرنا مكرا
وهم لا يشعرون مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله
اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روي انه كان لصالح
مسجد في الحجر في شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه
ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم
فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم
اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجى صالحا ومن معه

وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ

وقيل جاؤوا بالليل شاهرين سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم
بالحجارة يرون الحجارة ولا يرون راميا فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم
أجمعين استئناف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر مبتدا محذوف تقديره
هي تدميرهم او نصبه لانا او على خبر كان اي كان عاقبة مكرهم الدمار فتلك بيوتهم
خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدا
المحذوف بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا
يتقون ولوطا واذكر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة ولقد ارسلنا عليه إذ قال لقومه
بدل على الاول وظرف على الثاني أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون من بصر القلب
اي تعلمون انها فاحشة لم تسبقوا اليها أئنكم لتأتون الرجال شهوة من
دون النساء وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الانثى للانثى فهي مضادة الله
في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة وفيه دليل على
ان القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه اعلم العالمين واحكم الحاكمين او تبصرونها بعضكم
من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يستتر بعضهم من بعض خلاعة
ومجانة وانهماكا في المعصية وكان ابو نواس بنى على مذهبهم قوله وبح باسم من تأتي ودعني
فلا خير في اللذات من دونها ستر او تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم
فسرت تبصرون بالعلم وبعده بل أنتم قوم تجهلون فكيف علما وجهلا
اراد تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد
بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها تجهلون صفة لقوم والموصوف
لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء دون التاء وكذلك بل انتم قوم
تفتنون اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا
من الغيبة فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم وقرئ
جواب قومه بالرفع والمشهور احسن إنهم أناس يتطهرون يتنزهون عن القاذورات
كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس هو استهزاء
فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها قدرنا كونها من الغابرين كقوله انها لمن الغابرين
فالتقدير واقع على الغبور في المعنى قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى

امر رسوله ان يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء
وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلم على انبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن و
توقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على
قبول ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها
المسمع ولقد توارثها العلماء والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا
على رسول الله امام كل مفاد وقبل كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون
فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شان وقيل
هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على الهالكين من كفار الامم والصلوة على الانبياء واشياعهم
الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلم ان يحمد الله على هلاك كفار قومه ويسلم على
من اصطفاه ونجاه من هلكهم وعصمه من ذنوبهم آلله خير اما يشركون الا
لا خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام
لهم وتبكيت وتهكم بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئا
على شيء الا لداع يدعوه الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا
خير فيما آثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط
والجهل المورط واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير
الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين مع علمه انه ليس
لموسى مثل انهاره التي كانت تجري تحته ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي هي
آثار رحمته وفضله كما عددها في موضع آخر ثم قال سبحانه هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم من شيء وقرئ يشركون بالتاء والياء وعن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم انه كان اذا قراها قال بل الله خير وابقى واجل واكرم والفرق بين ام وام في اما يشركون
امن خلق ان تلك متصلة لان المعنى ايهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال
الله تعالى آلله خير ام الآلهة قال بل امن خلق السموات والارض خير تقريرا لهم بان من
قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الاعمش امن بالتخفيف ووجهه ان
يجعل بدلا من الله كانه قال امن خلق السموات والارض خير ام ما يشركون
في نقل الاخبار عن الغيبة والتكلم عن ذاته في قوله وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به

حدائق ذات بهجة عدل به لتاكيد معنى اختصاص الفعل بذاته والايذان بان انبات
الحدائق المختلفة الاصناف والالوان والطعوم والروائح والاشكال مع حسنها وبهجتها
بماء واحد لا يقدر عليه الا هو وحده الا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله ما
كان لكم ان تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء اراد ان تاتي ذلك محال من
غيره ولذلك بل هم بعد الخطاب ابلغ في تخطئة رايهم والحديقة البستان عليه حائط
من الاحداق وهو الاحاطة وقيل ذات لان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال
النساء ذهبت والبهجة الحسن لان الناظر يبتهج به ءاله مع الله اغيره يقرن به
ويجعل شريكا له وقرئ ءالها مع الله بمعنى اتدعون او اتشركون ولك ان تحقق الهمزتين و
توسط بينهما مدة بل هم قوم يعدلون به غيره او يعدلون عن الحق
الذي هو التوحيد امن جعل الارض قرارا بدل من امن خلق وكان حكمها حكمه
دحاها وسواها للاستقرار عليها وجعل خلالها انهارا وجعل لها رواسي وجعل
بين البحرين حاجزا كقوله برزخ ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون امن يجيب
المضطر الضر من الحالة المحوجة الى اللجاء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره الى كذا
والفاعل والمفعول مضطر والمضطر من احوجه مرض او فقر او نازلة من نوازل الدهر الى
اللجاء والتضرع الى الله تعالى وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة
وقيل المذنب اذا استغفر فدعا المضطرين يعني له يجيب المضطر اذا دعاه وكم من
مضطر يدعوه فلا يجاب الاجابة موقوفة على ان يكون المدعو به مصلحة ولهذا
لا يحسن دعاء العبد الا شارطا فيه المصلحة واما المضطر فمتناول للجنس مطلقا يصلح
للكل وللبعض فلا طريق الى الجزم على احدهما الا بدليل وقد قام الدليل على البعض
وهو الذي اجابته مصلحة فبطل التناول على العموم ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء
الارض خلفاء الارض فيها وذلك توارثهم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن او اراد
بالخلافة الملك والتسلط وقرئ قليلا ما تذكرون بالياء مع الادغام وبالتاء مع
الادغام والحذف وما مزيدة اي تذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة
تستعمل في معنى النفي امن يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الارض اذا جن
الليل عليكم مسافرين في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته

أإله مع الله تعالى الله عما يشركون أمن يبدؤا الخلق ثم يعيده كيف قيل لهم وهم منكرون للاعادة قد ازيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والاقرار فلم يبق لهم عذر في الانكار ومن يرزقكم من السماء ومن الارض النبات أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين انهم الله الها آخر فاين دليلكم عليه قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله لم رفع اسم الله والله يتعالى ان يكون ممن في السموات والارض جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا الحمار كأن احدا لم يذكر ومنه قوله عشية ما تغني الرماح مكانها ولا النبل الا المشرفي المصمم وقولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما اعانه اخوانكم الا اخوانه ما الداعي الى اختيار المذهب التميمي على الحجازي دعت اليه نكتة سرية حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير بعد قوله ليس بها انيس ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب يعني ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت ان كانت اليعافير انيسا ففيها انيس بتا للقول بخلوها عن الانيس هلا زعمت ان الله ممن في السموات والارض كما يقول المتكلمون ان الله في كل مكان على معنى ان علمه في الاماكن كلها فكان ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم يأبى ذلك ان كونه في السموات والارض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وارادة المتكلم بعبارة واحدة حقيقة ومجازا غير صحيحة على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته الا ترى كيف قال عليه وآله الصلوة والسلام لمن قال ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يأمن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن وقت الساعة وما يشعرون ايان يبعثون بمعنى متى ولو سمي به لكان فعلان من آن يئين ولا نصرف وقرئ ايان بكسر الهمزة بل ادارك بل تدارك بل ادرك بل ادرك بهمزتين بل ادرك بالتخفيف والنقل بل ادرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام بلى ادرك بلى

أأدرك ام تدارك ام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادارك اصله تدارك فادغمت التاء في الدال وادرك افتعل ومعنى ادرك علمهم في الآخرة انتهى وتكامل وادارك تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيمة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته وهم شاكون جاهلون وهو قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم ان الآية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه وان وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم لا يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزؤ وذلك حيث شكوا وعموا عن اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادرك علمهم وادارك وجه آخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفنى من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك فما وجه قراءة من قرأ بل ادرك على الاستفهام هو استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرأ ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة فمن قرأ بلى ادرك لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون كان معناه بلى يشعرون ثم فسر الشعور بقوله ادرك علمهم في الآخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه قال شعورهم بوقت الآخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما من قرأ بلى أأدرك على الاستفهام فمعناه بلى يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الآخرة في شأن الآخرة ومعناها هذه الاضرابات الثلث ما معناها

الثانيه

بل هم في شك منها

قرئ بل ادرك

ماهي الا تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا
يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة الا
ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل اربابها بعضهم لبعض كان امره اهون ممن
سمع بها وهو جاثم لا يتشخص به طلب التمييز بين الحق والباطل ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى و
ان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر
في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدأ عماهم ومنشاه فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر
بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون وقال الذين
كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا العامل في اذا ما دل عليه أئنا لمخرجون وهو نخرج
لان عمل اسم الفاعل منه عتابا وهي همزة الاستفهام وان ولام الابتداء وواحدة
كافية فكيف اذا اجتمعن والمراد الاخراج من الارض او من حال الفناء الى الحيوة وتكرير
حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل
على كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير في انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم
قدم في هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفي آية اخرى نحن وآباؤنا على هذا
ليدل التقديم دليل على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله
ففي احدى الآيتين دل على ان اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الاخرى على ان اتخاذ المبعوث
بذلك الصدد قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين لم يلحق علامة
التانيث بفعل العاقبة لان تانيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان آخر امرهم واراد بالمجرمين
الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها
الا ترى الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطيئاتهم اغرقوا ولا تحزن عليهم
لانهم لم يتبعوك ولم يسلموا فيسلموا وهو كقوله فلعلك باخع نفسك على
آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ولا تكن في ضيق في حرج صدر مما يمكرون
من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق
الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق ايضا تخفيف الضيق قال
الله تعالى ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم
قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم

بدر وزيدت اللام للتاكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم او ضمن فعلا يتعدى باللام نحو دنا لكم
وازف لكم ومعناه تبعكم ولحقكم وقد عدي بمن قال فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا والمنية تعنق
يعني دنونا من عمير وقرأ الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح وعسى
ولعل وسوف في وعد الملوك ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وما لا مجال
للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم
بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة الى الاغراض كافية
من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده وان ربك لذو فضل على الناس
الفضل والفاضلة الافضال ولفلان فواضل في قومه وفضول ومعناه انه لمفضل
عليهم بتاخير العقوبة وانه لا يعاجلهم بها ولكن اكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا
يشكرونه ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش وان ربك ليعلم
ما تكن صدورهم وقرئ تكن يقال كننت الشيء واكننته اذا سترته واخفيته يعني
انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ومكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه وما من غائبة في السموات
والارض سمى الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية فكانت التاء فيهما بمنزلتها
في العاقبة والعافية ونظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة في انها اسماء غير صفات
ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء
كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله تعالى واحاط به
واثبته في اللوح المبين الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة ان هذا القرآن
يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون قد اختلفوا في المسيح فتحزبوا احزابا
ووقع بينهم التناكر في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان
ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به واسلموا وانه لهدى ورحمة للمؤمنين لمن
انصف منهم وآمن اي من بني اسرائيل او منهم ومن غيرهم ان ربك يقضي بينهم
بين من آمن بالقرآن ومن كفر به ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال زيد يضرب
بضربه ويمنع بمنعه معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمى
المحكوم بمن يقضي له وبمن يقضي عليه وهو العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل

بينهم وبين المخفين فتوكل على الله أمره بالتوكل وقلة المبالاة بأعداء الدين
إنك على الحق المبين وعلل التوكل بأنه على الحق الأبلج الذي لا يتعلق به الشك في
وفيه بيان أن صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وأن مثله لا يخذل
إنك لا تسمع الموتى يشبه أن يكون تعليلاً آخر للتوكل فما وجه ذلك
أن الأمر بالتوكل جعل مسبباً عما كان يغيظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جهة المشركين
وأهل الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والأذى فلازم ذلك أن يعلل
توكل متوكل مثله بأن اتباعهم أمر قد يئس منه فلم يبق إلا الاستنصار عليهم لعنادهم و
واستكفاء شرورهم وأذاهم وشبهوا بالموتى وهم أحياء صحاح الحواس لأنهم إذا سمعوا
ما يتلى عليهم من آيات الله فكانوا أقماع القول لا تعيه آذانهم وكان سماعهم كلا سماع
كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح السماع ولا تسمع
الصم الدعاء وكذلك تشبيههم بالصم الذي ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي
حيث يضلون الطريق ولا يقدر أن ينزع ذلك عنهم وأن يجعلهم هداة بصراء إلا الله
عز وجل ما معنى قوله إذا ولوا مدبرين هو تأكيد لحال الأصم لأنه إذا
تباعد عن الداعي بأن يولي عنه مدبراً كان أبعد عن إدراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم
وما أنت بهادي العمي على الأصل وتهدي العمي وعن ابن مسعود وما أن تهتدي العمي وهدى
عن الضلال الهدي كقولك سقاه عن العيمة أي أبعده عنها بالسقي وأبعده عن الضلال
بالهدي إن تسمع أي ما يجدي سماعك إلا من يؤمن بآياتنا إلا على الذين علم الله أنهم
بآياته أي يصدقون بها فهم مسلمون أي مخلصون من قوله بلى من أسلم وجهه لله
يعني جعله سالماً لله خالصاً له وإذا وقع القول عليهم سمي معنى القول ومؤداه
بالقول وهو ما وعدوا من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة
الساعة وظهور أشراطها وحين لا تنفع التوبة أخرجنا لهم دابة من الأرض ودابة
الأرض الجساسة جاء في الحديث أن طولها ستون ذراعاً لا يدركها طالب ولا يفوتها
هارب وروي لها أربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها
رأس ثور وعين خنزير وأذن فيل وقرن أيل وصدر أسد ولون نمر وخاصرة هر
وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام

وروي لا يخرج إلا رأسها ورأسها يبلغ أعنان السماء أو يبلغ السحاب وعن أبي هريرة
فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن لا يتم خروجها إلا بعد ثلاثة
أيام والناس ينظرون فلا يخرج إلا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه سئل من أين
تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة على الله يعني المسجد الحرام وروي أنها
تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن دهراً طويلاً فبينا الناس في أعظم المساجد
حرمة وأكرمها على الله فما يهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن
يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا
تكلمهم بالعربية بلسان ذلق فتقول أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون
يعني أن الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لأن خروجها من الآيات وتقول ألا لعنة الله
على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الأديان كلها سوى دين الإسلام وعن ابن عمر
تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل
ذلك وروي تخرج من أجياد وروي بينا عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ
تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من
الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده أو فيما بين عينيه
بعصا موسى فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه أو
وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفشو
النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر وروي فتجلو وجه المؤمن بالعصا
وتختم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار
وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم بالعصا والخاتم ويجوز أن يكون تكلمهم
أيضاً من الكلم على معنى التكثير يقال فلان مكلم أي مجرح ويجوز أن يستدل بالتخفيف
على أن المراد بالتكليم التجريح كما فسر لتحرقهم بقراءة علي رضي الله عنه تحرقهم وأبي
بقراءة أبي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بأن الناس على أنه من الكلام والقراءة
بأن الناس على أنه من الكلام مكسورة حكاية لقوله تعالى عند ذلك إذا
كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول بآياتنا قولها حكاية لقول الله تعالى أو
على معنى بآيات ربنا أو لاختصاصها بالله وأثرتها عنده وأنها من خواص خلقه

أضاف أيام الله إلى نفسها كما تقول هي خاصة الملك خيلنا وبلادنا وإنما هي خيله
وبلاده ومن قرأ بالفتح فعلى حذف الجار أي تكلمهم بأن ويوم نحشر من كل أمة فوجا
ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في
النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد أطرافه كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك
قوله فوجا فإن الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله يدخلون في دين الله أفواجا وعن
أبو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون بين يدي أهل مكة وكذلك
قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار أي فرق بين من الأولى والثانية
الأولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الأوثان حتى إذا جاؤوا قال أكذبتم بآياتي
ولم تحيطوا بها علما الواو للحال كأنه قال أكذبتم بها بادي الرأي بها بادي الرأي
من غير فكر ولا نظر يؤدي إلى إحاطة العلم بكنهها وأنها حقيقة بالتصديق أو بالتكذيب
أو للعطف أي أجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا أذهانكم لتحققها وتبصرها فإن المكتوب
إليه قد يجحد أن يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع مع ذلك أن يقرأه ويتفهم
مضامينه ويحيط بمعانيه أم ماذا كنتم تعملون بها للتبكيت لا غير وذلك أنهم
لم يعملوا إلا التكذيب فلا يقدرون أن يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس إلا التصديق
بها أو التكذيب ومثاله أن تقول لراعيك وقد علمت أنه راعي سوء أتأكل نعمي أم ماذا
تعمل بها فتجعل ما تبتدئ به وتجعله أصل كلامك وأساسه هو الذي صح
عندك من أكله وفساده وترمي بقولك أم ماذا تعمل بها مع علمك أنه لا يعمل بها
إلا الأكل لتبهته وتعلمه علمك بأنه لا يجيء منه إلا أكلها وأنه لا يقدر أن يدعي الحفظ
والإصلاح لما شهر من خلاف ذلك أو أراد أما كان لكم عمل في الدنيا إلا الكفر والتكذيب
بآيات الله أم ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني أنه لم يكن لهم عمل غيره كأنهم لم
يخلقوا إلا للكفر والمعصية وإنما خلقوا للإيمان والطاعة يخاطبون بهذا قبل كبهم في
النار ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم يريد أن العذاب الموعود يغشاهم
بما ظلموا بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله
هذا يوم لا ينطقون ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا إن
في ذلك لآيات لقوم يؤمنون جعل الإبصار للنهار وهو لأهله

ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان أحدهما علة والآخر حالا لأن
هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لأن معنى مبصرا ليبصروا
فيه طرق التقلب في المكاسب لم قيل ويوم ينفخ في الصور ففزع من في
السموات والأرض دون فيفزع لنكتة وهي الإشعار بتحقق الفزع وثبوته
وأنه كائن لا محالة واقع على أهل السموات والأرض لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل
وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الأولى حين يصعقون إلا من شاء الله
من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وقيل
الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى عليه السلام
لأنه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا
من شاء الله وقرئ وكل أتوه داخرين وأتاه ودخرين فالجمع على المعنى والتوحيد
على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الإتيان حضورهم الموقف بعد النفخة
الثانية ويجوز أن يراد رجوعهم إلى أمره وانقيادهم له وترى الجبال تحسبها
جامدة من جمد في مكانه إذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فإذا
نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد وهي تمر مر السحاب مرا حثيثا
كما يمر السحاب وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد إذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها
كما قال النابغة في صفة جيش بأرعن مثل الطود تحسب أنهم وقوف لحاج والركاب
صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله إلا أن مؤكده
محذوف وهو الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت أثاب
الله المحسنين وعاقب المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الإثابة والمعاقبة وجعل
هذا الصنع من جملة الأشياء التي أتقنها وأتى بها على الحكمة والصواب حيث
قال صنع الله الذي أتقن كل شيء يعني أن مقابلته الحسنة بالثواب والسيئة
بالعقاب من جملة إحكامه للأشياء وإتقانه لها وإجرائه لها على قضايا الحكمة أنه
خبير عالم بما تفعلون بما يفعل العباد وبما يستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك
ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة إلى آخر الآيتين فانظر إلى بلاغة هذا الكلام
وحسن نظمه وترتيبه ومكانة إضماره ورصانة تفسيره وأخذ بعضه بحجزة بعض

كانما فزع انواعا واحدا ولا رجا انجز الهوى واخير الشقاشق ونحو هذا المصدر اذا
جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادي على سداده وانه كان ينبغي ان يكون الا
كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله و صبغة الله و وعد الله بعدما وسمها باضافتها
بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي اتقن كل شيء ومن احسن من الله صبغة ان الله
لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله وقرئ يفعلون على الخطاب فله خير منها يريد الاضعاف
وان العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله
خير منها اي له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة
وهم من فزع يومئذ آمنون وقرئ يومئذ مفتوحا مع الاضافة لانه اضيف الى غير
متمكن ومنصوبا الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع ما الفرق بين الفزعين
الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من
رعب وهيبة وان كان المحسن يامن لحاق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب
وقلب وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة واحسان وتولية واما الثاني فالخوف
من العذاب فمن قرأ من فزع بالتنوين ما معناه يحتمل معنيين من فزع
واحد وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان من التهيب والرعب لما يرى من الاهوال
والعظائم فلا يخلون منه لان البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار والآثار ما يدل
عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار امن يعدى بالجار
وبنفسه كقوله تعالى افامنوا مكر الله ومن جاء بالسيئة قيل السيئة الاشراك
فكبت وجوههم في النار فكانه قيل فكبوا في النار كقوله فكبكبوا فيها ويجوز ان
يذكر الوجوه ايذانا بانهم يكبون على وجوههم فيها منكوسين هل تجزون الا
ما كنتم تعملون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار القول
انما امرت امر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بان يقول امرت ان اعبد رب هذه
البلدة ان اخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا كما فعلت قريش وامرت
ان اكون من المسلمين الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القرآن
من التلاوة او من التلو كقوله واتبع ما يوحى اليك والبلدة مكة حرسها الله
اختصها من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها احب بلاده اليه واكرمها

الذي حرمها وله كل شيء

عليه واعظمها عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج في
مهاجره فلما بلغ الحزورة آخرجوني ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب
دالا على انها موطن نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص
وصفها فاجزل بذلك قسمها في الشرف والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها
الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم لا يختلى خلاها
ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجئ اليها آمن وجعل كل شيء تحت ربوبيته
وملكوته كالتابع لدخولها تحتها وفي ذلك اشارة الى ان ملكا ملك مثل هذه البلدة
العظيمة الشان قد ملكها وملك اليها كل شيء اللهم بارك لنا في سكناها وآمنا فيها
شر كل ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك وقرئ التي حرمها
واتل عليهم هذا القرآن عن ابي وان اتل عن ابن مسعود فمن اهتدى باتباعه
اياي فيما انا بصدده من توحيد الله ونفي الانداد عنه والدخول في الملة الحنيفية و
اتباع ما انزل علي من الوحي فانما يهتدي لنفسه فمنفعة اهتدائه راجعة اليه
لا الي ومن ضل ولم يتبعني فقل فلا علي وانما انا من المنذرين وما انا الا
رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها
ثم امره ان يحمد الله على ما خوله من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وان يهدد اعداءه
بما سيريهم من آياته وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني في الآخرة عن الحسن وعن الكلبي
الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله
سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الآية وما ربك بغافل عما تعملون وكل
عمل تعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو لا يجوزان على عالم
الذات وهو من وراء جزاء العاملين وقرئ يعملون بالياء والتاء عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من
صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا اله الا الله

استقبلها بوجهه الكريم فقال اني اعلم انك احب بلاد الله الى الله ولولا ان اهلك

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات
الكتاب المبين نتلوا عليك من نبإ موسى وفرعون مفعول نتلوا اي نتلو عليك بعض
خبرهما بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا انه يؤمن لان التلاوة
انما ينفع هؤلاء دون غيرهم ان فرعون جملة مستانفة كالتفسير للمجمل كان قائلا قال
وكيف كان نباؤهما فقال ان فرعون علا في الارض يعني ارض مصر وتجبر فيها وجاوز الحد
في الظلم والعسف وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه على ما يريد ويطيعونه لا يملك احد منهم
ان يلوي عنقه قال الاعشى وبلدة يرهب الجواب دلجتها حتى تراه عليها يبتغي الشيعا
او يشيع بعضهم بعضا في طاعته او اصنافا في استخدامه يسخر صنفا في بناء وصنفا في
حرث ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة
وهم بنو اسرائيل والقبط يستضعف طائفة منهم والطائفة المستضعفة بنو اسرائيل وسبب
ذبح الابناء ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل
بين على ثخانة حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع بقتل الكل منه وان كذب فما وجه
القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل او صفة لشيعا او كلام مستانف يذبح
ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل من يستضعف وقوله انه كان من المفسدين
بيان ان القتل ما كان الا فعل المفسدين فحسب لانه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن او
كذب علام عطف ونريد ان نمن وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد
هي جملة معطوفة على قوله ان فرعون علا في الارض لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا
لنبا موسى وفرعون واقتصاصا له ونريد حكاية حال ماضية ويجوز ان يكون حالا من
يستضعف اي يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم كيف جمع بين استضعافهم
وارادة الله المنة عليهم واذا اراد الله شيئا كان ولم يتوقف لما كانت منة
الله قريبة الوقوع جعلت ارادة وقوعها كانها مقارنة لاستضعافهم ونجعلهم
ائمة مقتدين في الدين والدنيا يطا الناس اعقابهم وعن ابن عباس قادة يقتدى بهم
في الخير وعن مجاهد دعاة الى الخير وعن قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا ونجعلهم
الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم ونمكن لهم في الارض مكن
له اذا جعل له مكانا يقعد عليه او يرقد فوطاه ومهده ونظير ارض له ومعنى

التمكين لهم في الارض وهي ارض مصر والشام ان يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت
في ايام الجبابرة وينفذ امرهم ويطلق ايديهم ويسلطهم ونري فرعون وهامان
وجنودهما اي يرون منهم ما كانوا يحذرون ما خافوه من ذهاب ملكهم وهلاكهم
على يد مولود منهم واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه
في اليم البحر قيل هو نيل مصر ولا تخافي ما المراد بالخوفين حتى اوجب احدهما ونهى عن الآخر
اما الاول فالخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح خافت ان يسمع الجيران صوته
فينموا عليه واما الثاني فالخوف عليه من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون
المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف ولا تحزني ما الفرق بين
الخوف والحزن الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه
والاخطار به فنهيت عنهما جميعا واومنت بالوحي اليها ووعدت ما يسليها ويطامن
قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو قوله انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين
رده اليها وجعله من المرسلين وروي انه ذبح في طلب موسى تسعون الف وليد و
انها حين اقربت وضربها الطلق وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني اسرائيل
مصافية لها فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين
عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جئتك الا لاقبل مولودك
واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت جاء عيون فرعون
فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من عقلها فطلبوا
فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت اليه وقد جعل
الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله اليها فالقته في
اليم وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا اللام في ليكون هي لام كي التي معناها التعليل كقولك جئتك
لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون الحقيقة لانه
لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك
لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام
الذي هو نتيجة المجيء والتادب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتادب وتحريره ان هذه

حكمها حكم الأسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الأسد لمن يشبه الأسد
حيث المستحق وقرئ حزنا وهما لغتان كالعدم والعدم إن فرعون وهامان وجنودهما
كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطاؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم او كانوا مذنبين
مجرمين فعاقبهم الله بأن ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على أيديهم وقرئ خاطين
تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطأ روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا
فتحه فلم يقدروا عليه فعالجوا كسره فأعياهم فدنت آسية فرأت في جوف التابوت نورا
فعالجته ففتحته فاذا بصبي نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فأحبوه
وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرأ الا من قبل البحر يوجد
فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرأت وقيل لما
نظرت الى وجهه برأت فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم عليه
فقالت الغواة هو الصبي الذي نحذر منه فأذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية
قرت عين لي ولك فقال فرعون لك لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي
كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع
على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولأسلم كما أسلمت هذا ان صح الحديث والله
اعلم بصحته وروي انها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين
خبر مبتدأ محذوف ولا يقوى ان تجعله مبتدأ ولا تقتلوه خبرا ولو نصب كان
اقوى وفي قراءة ابن مسعود دليل على انه خبر قرأ لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم
لا تقتلوه عسى أن ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النفع لأهله وذلك لما
عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيماه النجابة
المؤذنة بكونه نفاعا أو نتخذه ولدا او نتبناه فانه اهل للتبني ولان يكون ولدا
لبعض الملوك وهم لا يشعرون حال وذو حالها آل
فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة
فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطأ عظيم في التقاطه ورجاء النفع وتبنيه وقوله
ان فرعون جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة لمعنى خطائهم وما
احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم وأصبح فؤاد أم موسى فارغا

صفرا من العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها
من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وأفئدتهم هواء اي جوف لا عقول فيها ومنه
ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مجوف نخب هواء وذلك ان القلوب مراكز العقول ألا ترى الى قوله
فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة من قرأ فرغا وقرئ قرعا اي خاليا من قولهم
اعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء وفرغا من قولهم دماؤهم بينهم فرغ اي هدر يعني
بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها ان كادت لتبدي به
لتصحر به والضمير لموسى والمراد بأمره وقصته وانه ولدها لولا ان ربطنا على قلبها
بإلهام الصبر كما يربط على الشيء المنفلت ليقر ويطمئن لتكون من المؤمنين من المصدقين
بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز وأصبح فؤاد أم موسى فارغا من الهم حين سمعت
ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي به بانه ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا
بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث به من شدة الفرح والابتهاج
لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه وقرئ مؤسى بالهمز جعلت
الضمة في جارة الواو وهي الميم كأنها فيها فهمزت كما همز واو وجوه وقالت لأخته
قصيه اتبعي أثره وتتبعي خبره فبصرت به وقرئ فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب
وعن جنابة بمعنى عن بعد وقرئ عن جانب وعن جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه
والى جانبه اي نظرت اليه مزورة متجانفة مخالسة وهم لا يشعرون انها اخته
وكان اسمها مريم وحرمنا التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشيء فقد منعه الا ترى
الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه ان يرضع ثديا فكان لا يقبل ثدي مرضع قط
حتى اهمهم ذلك عليه المراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع
الرضاع يعني الثدي او الرضاع من قبل من قبل قصها اثره روي انها لما قالت هل أدلكم
على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه وتعرف اهله فقالت
انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائبة الفساد فانطلقت الى امها
بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع فحين وجد ريحها
استأنس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك فقالت
اني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها

وذهبت به الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها ان سيكون
نبيا وذلك قوله {فرددناه الى امه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله
حق} يريد وليثبت علمها ويتمكن كيف حل لها ان تاخذ الاجر على رضاع ولدها
ما كانت تاخذه على انه اجر الرضاع ولكنه مال حربي كانت تاخذه على وجه الاباحة
وقوله {ولكن اكثرهم لا يعلمون} داخل تحت علمها اي لتعلم ان وعد الله حق ولكن
اكثر الناس لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها اذ فؤادها فارغا وروي
انها حين القت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى كرهت ان يقتل
فرعون موسى فيؤجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه قالت
وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه ان الرد
انما كان لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون بان هذا هو
الغرض الاصلي الذي ما سواه تبع من قرة العين وذهاب الحزن {ولما بلغ اشده واستوى}
واعتدل وتم استحكامه وبلغ مبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال القبط واستحمل الى
الله در كم شئتم من المؤمن لا فجا ولا ضرعا ورد لك اربعين سنة ويروى انه لم يبعث نبي
الا على راس اربعين سنة {آتيناه حكما وعلما} العلم التوراة والحكم السنة وحكمة الا
سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة وقيل معناه
سيد الحكماء العلماء وسمتهم قبل المبعث وكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه {ودخل المدينة}
مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر {على حين غفلة من اهلها} وحين غفلتهم ما
بين العشائين وقيل القائلة وقيل يوم عيد لهم هم مشتغلون بلهوهم وقيل لما شب
وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل قرية الا على تغفل وقرا
سيبويه فاستعانه {الذي من شيعته} ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل وقيل
هو السامري {على الذي من عدوه} من مخالفيه من القبط وهو فاتون كان يسخر الاسرائيلي
لحمل الحطب الى مطبخ فرعون {فوكزه موسى} والوكز الدفع باطراف الاصابع وقيل
بجمع الكف وقرا ابن مسعود فلكزه باللام {فقضى عليه} فقتله {قال هذا من عمل
الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه
هو الغفور الرحيم} لم يجعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه

فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه

واستغفر منه لانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل فكان ذنبا يستغفر منه وعن
ابن جريج ليس لنبي ان يقتل ما لم يؤمر {قال رب بما انعمت علي} يجوز ان يكون قسما جوابه
محذوف تقديره اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن {فلن اكون ظهيرا للمجرمين}
وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان
عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته
وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون
واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية الى
القتل الذي لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى يعني لم يقل فلن اكون
ان شاء الله وهذا نحو قوله {ولا تركنوا الى الذين ظلموا} وعن عطاء ان رجلا قال ان اخي يضرب
بقلمه ولا يعدو رزقه قال فمن الراس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال
فاين قول موسى وتلا هذه الآية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة واشباه
الظلمة واعوان الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد
فيرمى به في جهنم وقيل معناه بما انعمت علي من القوة فلن استعملها الا في مظاهرة اوليائك
اهل طاعتك والايمان بك ولا ادع قبطيا يغلب احدا من بني اسرائيل {فاصبح في المدينة
خائفا يترقب} المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه {فاذا الذي
استنصره بالامس يستصرخه قال له موسى انك لغوي مبين} وصف الاسرائيلي
بالغي لانه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر {فلما ان اراد ان يبطش} وقرئ يبطش
بالضم {بالذي هو عدو لهما} القبطي لانه ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني
اسرائيل {قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون
جبارا في الارض} والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم لا ينظر في العواقب
ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله {وما تريد ان تكون من
المصلحين} ولما قال هذا افشي على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقي الى فرعون وهموا بقتله
{وجاء رجل من اقصى المدينة} قيل الرجل مؤمن آل فرعون وكان ابن عم فرعون و{يسعى} يجوز
ارتفاعه وصفا لرجل وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص بان وصف بقوله من اقصى المدينة
واذا جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف {قال ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك} والائتمار

التشاور يقال الرجلان يتآمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير
بالمشورة يتشاورون بسببك فاخرج اني لك من الناصحين لك للبيان وليس بصلة الناصحين
فخرج منها خائفا يترقب التعرض له في الطريق او ان يلحق قال رب نجني من القوم الظالمين
ولما توجه تلقاء مدين قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلم سميت بمدين بن ابرهيم
ولم يكن في سلطان فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى عليه السلم لا يعرف اليها
الطريق قال ابن عباس خرج وليس له علم بالطريق التجر فما وصل حتى سقط خف قدميه
وقيل جاءه ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين ولما ورد ماء مدين بئرا كانوا
يستقون منه فكان بيرا فيما روي ووروده مجيئه والوصول اليه وجد عليه
فوق شفيرها ومستقاه مستسقاه امة جماعة كثيفة العدد من الناس من اناس
مختلفين يسقون ووجد من دونهم في مكان اسفل من مكانهم امرأتين
تذودان والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان لان على الماء من هو اقوى
منهما فلا تمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا تختلط
اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظرين لتسترهما قال
ما خطبكما ما شانكما وحقيقته ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا
كما سمي المشؤون شانا في قولك ما شانك يقال شانت شانه اي قصدت قصده قالتا
لا نسقي حتى يصدر الرعاء بضم النون والياء والراء والرعاء اسم جمع كالرجال والنساء
واما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام وابونا شيخ كبير كبير السن
فسقى لهما فسقى غنمهما لاجلهما وروي ان الرعاة كانوا يضعون على راس البير
حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده وروي
انه سالهم دلوا من ماء فاعطوهم دلوهم وقالوا استق بها وكانت لا ينزعها الا
اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما وروي
انه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بير اخرى عليها الصخرة وانما فعل هذا
رغبة في المعروف واغاثة الملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه
امة من اناس مختلفة متكاثفة العدد وراى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما منتظرتين
لفراغهم فما اخطأت همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط

الاحسن ظنه بربه قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل وسطه [illegible] وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر

قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء

خف القدم والجوع ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة
قلبه وساعده وما آتاه الله من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة
اقتصاص امره وما اوتي من البطش والقوة وما لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز
الفرصة الاحتساب ترغيب في الخير وانتهازها وبعث على الاقتداء في ذلك
والاخذ بسيرهم ومذاهبهم لم ترك المفعول غير مذكور في قوله يسقون
وتذودان ولا نسقي لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه انما رحمهما
لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك
قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي كيف طابق
جوابهما سؤاله سالهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امرأتان
ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تاخير السقي
الى ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام
به ابتغاء اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما كيف ساغ لنبي الله الذي هو
شعيب عليه السلم ان رضي لابنتيه بسقي الماشية الامر في نفسه ليس بمحظور والدين
لا يأباه واما المروة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب
فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه خلاف مذهب اهل الحضر
خصوصا اذا كانت الحالة حالة الضرورة ثم تولى الى الظل فقال رب اني لما
انزلت الي من خير فقير لاي شيء انزلت الي قليل او كثير غث او سمين لفقير وانما
عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سائل وطالب قيل ذكر ذلك وان خضرة البقل تتراءى في
بطنه من الهزال ما سال الله الا اكلة ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انا
الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ثروة قال ذلك
رضى بالبدل السني وشكرا له وكان الظل ظل سمرة فجاءته احداهما تمشي على
استحياء في موضع الحال اي مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها روي
انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا
وجدنا رجلا صالحا رحيما فسقى لنا فقال لاحديهما ادعيه لي قالت ان ابي يدعوك
ليجزيك اجر ما سقيت لنا فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفتها

لحين

ملك

اذهبي

فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما جاءه وقص عليه القصص قصته قال له
لا تخف نجوت من القوم الظالمين فلا سلطان لفرعون بارضنا كيف ساغ
لموسى عليه السلم ان يعمل بقول امرأة وان يمشي معها وهي اجنبية اما العمل بقول امرأة
فكما نعمل بقول الواحد حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة
عن ابيها بانه يدعوه ليجزيه واما مماشاته امرأة اجنبية فلا باس بها في نظائر تلك الحال
مع ذلك الاحتياط والتورع كيف صح له اخذ الاجر على البر والمعروف
يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله تعالى وعلى سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب
واحسانه لا على سبيل اخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف وقد
قص عليه قصته وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد ومثله حقيق بان يضيف ويكرم
خصوصا في دار نبي من انبياء الله وليس بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة
طلبا للاجر وقد روي ما يعضد كلا القولين روي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك
ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا
ولا ناخذ بالمعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن
السائب رفع صوته بدعائه ليسمعها فلذلك قيل ليجزيك اجر ما سقيت لنا اي جزاءه
والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قالت احديهما كبراهما يا ابت استأجره ان
كانت تسمى صفراء والصغرى صفيراء وصفراء هي التي ذهبت به وطلبت الى ابيها
ان يستأجره وهي التي تزوجها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان شعيبا احفظته الغيرة فقال
وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حين
بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه وقولها ان خير من استأجرت القوي
الامين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان الكفاية
والامانة في القائم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا
الكلام الذي ساقه سياق المثل والحكمة ان تقول استأجره لقوته وامانته
كيف جعل خير من استأجرت اسما لان والقوي الامين خبرا هو مثل قوله
الا ان خير الناس حيا وهالكا اسير ثقيف عندهم في السلاسل في ان العناية هي
سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود

يعقوب عليه السلم

الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون ما اعملت لسان
ممح وعن ابن مسعود افرس الناس ثلثة بنت شعيب وصاحب يوسف في قوله عسى ان
ينفعنا وابو بكر في عمر روي انه انكحه صفراء وقوله احدى ابنتي هاتين فيه دليل على
انه كانت له غيرهما على ان تأجرني من اجرته اذا كنت له اجيرا كقولك ابوته
اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرفه او من اجرته كذا اذا اثبته اياه ومنه تعزية
اجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به ومعناه رعية ثماني حجج كيف
صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة
ومواصفة امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال قد انكحتك ولم يقل اني اريد ان انكحك
كيف صح ان يمهرها اجارة نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال الا ترى كيف
منع ابو حنيفة ان يتزوج امرأة بان يخدمها سنة وجوز ان يتزوجها عبده سنة او
يسكنها داره سنة لانه في الاول مسلم نفسه وليس هو مسلم مالا وهو العبد والدار
الامر على مذهب ابي حنيفة على ما ذكرت ولكن الشافعي فقد جوز التزوج على الاجارة
لبعض الاعمال والخدمة اذا كان المستأجر له او المخدوم فيه امرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا
في تلك الشريعة ويجوز ان يكون المهر شيئا اخر وانما اراد ان يكون راعي غنمه هذه المدة
واراد ان ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الانكاح بالرعية على معنى اني افعل هذا
اذا فعلت ذلك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز ان يستأجره لرعية ثماني
سنين بمبلغ معلوم ويوفيه اياه ثم ينكحه ابنته به ويجعل قوله على ان تأجرني ثماني حجج
عبارة عما جرى بينهما فان اتممت عشرا عمل عشر حجج فمن عندك والمعنى فهو من عندك
لا من عندي يعني لا الزمكه ولا احتمه عليك ولكنك ان فعلته فهو منك تفضل وتبرع
والا فلا عليك وما اريد ان اشق عليك بالزام اتم الاجلين وايجابه
ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الامر حقيقته ان الامر اذا تعاظمك فكأنه
شق عليك ظنك باثنين تقول تارة اطيقه وتارة لا اطيقه او وعده المساهلة والمسامحة
من نفسه وانه لا يشق عليه فيما استأجره من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون
من المسترعين من المناقشة في مراعاة الاوقات والمداقة في استيفاء الاعمال
وتكليف الرعاة اشغالا خارجة من حد الشرط وهكذا كان الانبياء عليهم السلم اخذين

قال اني اريد ان انكحك

بالاسم في مطالات الناس ومنه الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
شريكي فكان خير شريك يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله **ستجدني إن شاء**
الله من الصالحين يدل على ذلك يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق ولين
الجانب ويجوز ان يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط
مشية الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا انه يستعمل
الصلاح ان شاء الله وان شاء استعمل خلافه **قال ذلك** مبتدأ **بيني وبينك**
خبره وهو اشارة الى ما عاهده عليه شعيب يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه
وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما
شرطتني على نفسك **ايما الاجلين قضيت** اي اي اجل قضيت من الاجلين اطولهما الذي
هو العشر او اقصرهما الذي هو الثماني **فلا عدوان علي** اي لا يعتدى علي في طلب الزيادة
عليه تصور العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو الاقصر وهو المطالبة
بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا معناه كما اني ان طولبت بالزيادة
على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثماني اراد بذلك
تقرير امر الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير
تفاوت بينهما في القضاء واما التتمة فموكولة الى رايي ان شئت اتيت بها والا لم اجبر عليها
وقيل معناه فلا اكون معتديا وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا اثم علي ولا تبعة علي
وفي قراءة ابن مسعود اي الاجلين ما قضيت وقرئ ايما بسكون الياء كقوله
تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره وعن ابن قطيب عدوان بالكسر
ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراءتين وقعت في المستفيضة مؤكدة
لابهام اي زايدة في شياعها وفي الشاذة للقضاء كانه قال اي الاجلين صممت وجردت
عزيمتي **والله على ما نقول وكيل** الوكيل الذي وكل اليه الامر ولما استعمل في موضع
الشهيد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك روي ان شعيبا كانت عنده عصي الانبياء فقال
لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها آدم
من الجنة ولم يزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها
فلم يقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل بعد موت آدم

فكانت معه حتى لقي موسى ليلا وقيل اخذها جبريل بعد موت آدم اودعها شعيبا لما لقيه
فيصون رجل فامرته ان ياتيه بعصا فاتته بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها
غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان يحكم بينهما
اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها
ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي
الشجرة التي منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب
اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها اكثر الا ان فيها
تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على
اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت
الى جنب موسى دامية فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى
شعيب مس الغنم فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال له اني وهبت
لك من نتاج هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى
الغنم ففعل ثم سقى فما اخطات الا ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه سئل رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اي الاجلين قضى قال اوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف
الرواية التي سبقت **فلما قضى موسى الاجل وسار باهله آنس من جانب**
الطور نارا قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر
او جذوة من النار لعلكم تصطلون الجذوة باللغات الثلاث وقرئ بهن جميعا
العود الغليظ كانت في راسه نار او لم تكن قال كثير باتت حواطب ليلى يلتمسن لها
جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال والقى على قبس من النار جذوة شديدا عليها حميها
فلما اتاها نودي من شاطئ الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة ان يا
موسى اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك فلما رآها تهتز كانها جان
ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين من الاولى والثانية
لابتداء الغاية اي اتاه النداء من شاطئ الوادي من قبل الشجرة ومن الشجرة
بدل من قوله شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ كقوله
لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالضم والفتح والرهب بفتحتين وضمتين وفتح

فذانك

وسكون وضم وسكون وهو الخوف ما معنى قوله **اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب** فيه معنيان أحدهما أن
موسى عليه السلم لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب فاتقاها بيده كما يفعل الخائف
من الشيء فقيل له إن اتقاءك بيدك فيه غضاضة عند الأعداء فإذا ألقيتها فكما تنقلب
حية فأدخل يدك تحت عضدك مكان اتقائك بها ثم أخرجها بيضاء ليحصل الأمران اجتناب
ما هو غضاضة عليك وإظهار معجزة أخرى والمراد بالجناح اليد لأن يدي الإنسان بمنزلة
جناحي الطائر وإذا أدخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى فقد ضم جناحه إليه والثاني
أن يراد بضم جناحه إليه تجلده وضبطه نفسه وتشدده عند انقلاب العصا حية حتى لا
يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطائر لأنه إذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما
وإلا فجناحاه مضمومان إليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن كاتبا له كان
يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الأرض فقال له عمر
خذ قلمك واضمم إليك جناحك وليفرخ روعك فإني ما سمعتها من أحد أكثر مما سمعتها
من نفسي ومعنى قوله من الرهب من أجل الرهب أي إذا أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم
إليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه إليه
ومعنى واضمم إليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على أحد التفسيرين واحد ولكن خولف بين
العبارتين وإنما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك أن الغرض في أحدهما خروج
اليد بيضاء وفي الثاني إخفاء الرهب فإن قلت قد جعل الجناح وهو اليد في أحد الموضعين مضموما وفي الآخر مضموما إليه وذلك قوله واضمم إليك جناحك
فما التوفيق بينهما المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم إليه اليد اليسرى
كل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير أن الرهب الكم بلغة حمير
وأنهم يقولون أعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الأثبات
الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية وكيف تطبيقه المفصل
كسائر كلمات التنزيل على أن موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة المناجاة إلا زرمانقة
من صوف لا كمي لها **فذانك** قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد
مثنى ذلك **برهانان** حجتان بينتان نيرتان لم سميت الحجة برهانا
لبياضها وإنارتها من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل

من ربك إلى فرعون وملائه إنهم كانوا قوما فاسقين

على زيادة النون وقولهم أبره الرجل إذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم إياها سلطانا
من السليط وهو الزيت لإنارتها **قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن
يقتلون وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا** يقال ردأته
أعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما أن الدفء اسم لما يدفأ به
قال سلامة بن جندل وردئي كل أبيض مشرفي شحيذ الحد عضب ذي فلول
وقرئ ردا بالتخفيف كما قرئ الخب ردا **يصدقني** بالرفع والجزم صفة وجواب
نحو وليا يرثني سواء تصديق أخيه ما الفائدة فيه ليس الغرض في
تصديقه أن يقول له صدقت أو يقول للناس صدق موسى وإنما هو أن يلخص بلسانه
الحق ويبسط القول بالبرهان ألا ترى إلى قوله وأخي هارون هو أفصح مني لسانا
فأرسله معي وفضل الفصاحة إنما يحتاج إليه لذلك لا لقوله صدقت فإن سحبان
وباقلا يستويان فيه أو يصل جناح كلامه بالبرهان حتى يصدقه الذي يخاف تكذيبه
فأسند التصديق إلى هارون لأنه السبب فيه إسنادا مجازيا ومعنى الإسناد
المجازي أن التصديق حقيقة في المصدق فإسناده إليه حقيقة وليس في السبب
التصديق ولكن استعير له الإسناد لأنه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل
بالمباشرة والدليل على هذا الوجه قوله **إني أخاف أن يكذبون** وقراءة من قرأ
ردءا يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بجزم يصدقني **قال سنشد عضدك
بأخيك** العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة أبني لبينى لستم بيد
إلا يدا ليست لها عضد ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله
في عضدك ومعنى سنشد عضدك بأخيك سنقويك به ونعينك فإما أن يكون
ذلك لأن اليد تشتد بشدة العضد والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الأمور
وإما لأن الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد العضد فجعل كأنه يد مشتدة بعضد
شديد **ونجعل لكما سلطانا** غلبة وتسلطا أو حجة واضحة **فلا يصلون
إليكما بآياتنا** يتعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيات أي اذهبا بآياتنا أو بنجعل لكما
سلطانا أي نسلطكما بآياتنا **أنتما ومن اتبعكما الغالبون** أو هو بيان
للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة على الموصول ولو تأخر لم يكن إلا صلة له

فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول

ويجوز ان يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه او من لغو القسم فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى سحر تعمله انت ثم تفتريه على الله او سحر ظاهر افتراؤه او موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله وما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين حال منصوبة عن هذا اي كائنا في زمانهم وايامهم يريد ما حدثنا بكونه فيهم ولا يخلو من ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه او يريدوا انهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته او ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل انهم حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات الا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها وقال موسى ربي اعلم منكم بمن جاء بحال من اهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسن العقبى يعني نفسه ولو كان كما تزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما اهله لذلك لانه غني حكيم لا يرسل الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة والدليل عليه قوله عز وعلا اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملئكة بالبشرى عند الموت العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان تسمى عاقبة الدار لان الدنيا اما ان يكون خاتمتها بخير او بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الى الآخرة واراد بعباده ان لا يعملوا فيها الا الخير وما خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها الله له فقد حرف فاذن عاقبتها الاصلية عاقبة الخير واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها من نتائج الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو على ما في مصاحف اهل مكة وهي قراءة حسنة لان الموضع موضع سؤال وبحث عما اجابهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول ويتبصر فساد احدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الاشياء وقرئ يكون بالتاء والياء انه لا يفلح الظالمون وقال فرعون يا ايها

من عنده

ومن تكون له

الملأ ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحا لعلي اطلع الى اله موسى روي انه لما امر ببنائه اي الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وامر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان احد من الخلق فكان الباني لا يقدر ان يقوم على راسه يبني فبعث الله تعالى جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد من عماله الا قد هلك ويروى في هذه القصة ان فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فاراد الله ان يفتنهم فردت اليه وهي ملطوخة بالدم فقال قد قتلت اله موسى فعندها بعث الله جبريل عليه السلام لهدمه والله اعلم بصحته وقصد بنفي علمه باله غيره نفي وجوده معناه ما لكم من اله غيري كما قال عز وجل قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض معناه بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده فعبر عن انتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره وان الها آخر غير معلوم عنده ولكنه مظنون بدليل قوله واني لاظنه من الكاذبين واذا ظن موسى كاذبا في اثباته الها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى لقول موسى له لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله موسى وان كان جاهلا مفرط الجهل به وبصفاته حيث حسب انه في مكان كما هو في مكان وانه يطلع اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد في علبته وانه ملك السماء كما انه ملك الارض ولا ترى بينة اثبت شهادة على افراط جهله وغباوته وجهل ملائه وغباوتهم من انهم راموا نيل اسباب السموات بصرح يبنونه وليت شعري اكان يلبس على اهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث صادفهم اغبى الناس واخلاهم من الفطن واشبههم بالبهائم بذلك ام كان يستهين بتلك الصفة وان صح ما حكي من رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في

غير موضع من كتاب الله سطرا به من الكفرة ويجوز ان يفسر الظن على القول الاول
باليقين كقوله فظنت لهم ظنوا بالفي مدجج ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه
من العلم واليقين وقد خفيت على قومه لغباوتهم وبلههم او لم تخف عليهم ولكن
كل يخاف على نفسه سوطه وسيفه وانما قال اوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي
الآجر فاتخذه لانه اول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة ولان هذه العبارة احسن
طباقا لفصاحة القرآن وعلو طبقته واشبه بكلام الجبابرة وامر هامان وهو
وزيره ورديفه بالايقاد على الطين منادى له باسمه بيا في وسط الكلام دليل على
التعظيم والتجبر وعن عمر رض انه حين سافر الى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال
ما علمت ان احدا بنى بالآجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع
الجبل واطلع بمعنى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق الاستكبار بالحق انما هو
لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة اي المتبالغ في كبرياء الشان قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني
واحدا منهما القيته في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق وظنوا انهم
الينا لا يرجعون بالضم والفتح فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم من
الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شانه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم
واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثر الكثير والجم الغفير بحصيات اخذهن آخذ
في كفه فطرحهن في البحر ونحو ذلك قوله وجعلنا فيها رواسي وحملت الارض
والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله حق قدره الى بيمينه وما هي الا تصويرات
وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته
ما معنى قوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار معناه
دعوناهم ائمة دعاة الى النار وقلنا انهم ائمة دعاة الى النار كما يدعى خلفاء
الحق ائمة دعاة الى الجنة وهو من قولك جعله بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال
انه بخيل وفاسق ويقول اهل اللغة في تفسير بخله وفسقه جعله بخيلا وفاسقا
ومنه قوله عز وجل وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم
الى النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيامة لا ينصرون

فانظر كيف كان عاقبة الظالمين

كما ينصر الائمة الدعاة الى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا ائمة الكفر ومعنى
الخذلان منع الالطاف وانما يمنعها من علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر
الذي لا تغني عنه الايات والنذر ومجراه مجرى الكناية لان منع الالطاف يردف
التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكأنه قيل صمموا على الكفر حتى كانوا ائمة فيه دعاة
اليه والى سوء عاقبته واي فائدة في ترك المردوف الى الرادفة
ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل الشاهد
بوجوده فيكون اقوى لاثباته من ذكره الا ترى انك تقول لولا انه مصمم على مقطوع
امره مسبوت حكمته لما منعت عليه الالطاف فبذكر منع الالطاف يحصل العلم بوجود
التصميم على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده وينصر هذا الوجه قوله ويوم القيامة
لا ينصرون كانه قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيامة مخذولون كما قال واتبعناهم
في هذه الدنيا اي طردا وابعادا عن الرحمة ويوم القيامة هم من المقبوحين اي
من المطرودين المبعدين ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا
القرون الاولى بصائر للناس نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذي يستبصر
كما ان البصر نور العين الذي تبصر به يريد آتيناه التورية انوارا للقلوب
لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وارشادا لانهم كانوا يخبطون
في ضلال ورحمة لانهم لو عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون
ارادة ان يتذكروا شبهت الارادة بالترجي فاستعير لها ويجوز ان يراد
به ترجي موسى لتذكرهم كقوله لعله يتذكر وما كنت بجانب الغربي المكان الواقع
في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى صلوات الله عليه من
الطور وكتب الله له في الالواح اذ قضينا الى موسى الامر والامر المقضي
الى موسى الوحي الذي اوحي اليه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
يقول وما كنت حاضر المكان الذي اوحينا فيه الى موسى ولا كنت من جملة الشاهدين
للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف من جهة
المشاهدة على ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبه التورية في الالواح وغير ذلك
كيف يتصل قوله ولكنا انشأنا قرونا بهذا الكلام ومن اي وجه يكون

استدراكا له   اتصاله به ولونه استدراكا له من حيث ان معناه ولكنا انشانا
بعد عهد الوحي الى عهدك قرونا كثيرة فتطاول على آخرهم وهو القرن الذي انت
فيهم العمر اي امد انقطاع الوحي واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك
وكسبناك العلم بقصص الانبياء وقصة موسى كانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما
جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سببه الوحي الذي هو اطالة الفترة ودل
على عادة الله في اختصاراته فاذن هذا الاستدراك شبيه الاستدراكين بعده
وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين وهم شعيب والمؤمنون به تتلو عليهم
آياتنا تقرؤها عليهم تعلما منهم يريد الآيات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا
كنا مرسلين لك فاخبرناك وعلمناكها وما كنت بجانب الطور اذ نادينا يريد مناداة
ليلة المناجاة وتكليمه ولكن علمناك ولكن رحمة من ربك وقرئ رحمة بالرفع
اي هي رحمة لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك في زمان الفترة بينك
وبين عيسى عليهما الصلوة وهي خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما انذر
اباؤهم ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم لولا الاولى امتناعية
وجوابه محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفائين للعطف والاخرى جواب
لولا لكونها في حكم الامر من قبل ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض
من باب واحد والمعنى ولولا انهم قائلون اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك هلا ارسلت
الينا رسولا محتجين علينا بذلك لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول
اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل ان يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا رسولا
فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين   كيف استقام هذا المعنى
وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع
عليها دونه   القول هو المقصود بان يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة
لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب
الارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجئ بالقول معطوفا عليها
بالفاء المعطية معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم

مصيبة لما ارسلنا ولكن اخترت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا
على كفرهم وقد عاينوا ما الجئوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا
وانما السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير لا التاسف على ما فاتهم من الايمان
بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما
لا يخفى كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت اكثر الاعمال تزاول بالايدي
جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي وتقديم الايدي وان كان من اعمال القلوب
وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب الاكثر على الاقل
فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع سائر المعجزات من عندنا
وقطعت معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى
من الكتاب المنزل جملة واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرها من الآيات
تعنتا بالاقتراحات المبنية على التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء
معه ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني ابناء جنسهم ومن مذهبهم
مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمان موسى بما اوتي موسى من قبل
وعن الحسن قد كان للعرب اصل في ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفر آباؤهم قالوا
في موسى وهارون ساحران تظاهرا اي تعاونا وقرئ اظاهرا على الادغام وسحران
بمعنى ذوا سحر او جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر او ارادوا نوعين من السحر
بكل واحد منهما   بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير   باولم يكفروا
ولي ان اعلقه باوتي فينقلب المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه المقالة وقالوا
انا بكل كافرون كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبالقرآن فقد كفروا
بموسى وبالتوراة وقالوا في موسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام ساحران تظاهرا او في
الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى رؤساء اليهود بالمدينة
يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم فاخبروهم انه نعته وصفته وانه
في كتابهم فرجع الرهط الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا
قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما مما انزل على موسى وما انزل
علي اتبعه ان كنتم صادقين هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر

المتحقق لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين امر معلوم متحقق لا مجال
فيه للشك ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم فان لم يستجيبوا لكم
فاعلم انما يتبعون اهواءهم   ما الفرق بين فعل الاستجابة في الآية وفي
قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب حيث عدي بغير اللام   هذا الفعل يتعدى
دعاءه او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يجب
دعاءه على حذف المضاف   فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء ههنا
قوله فأتوا بكتاب امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكأنه قال فان لم
يستجيبوا دعاءك الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم يبق لهم
الا اتباع الهوى ثم قال ومن اضل ممن اتبع هواه ممن لا يتبع في دينه الا
هواه بغير هدى من الله اي مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف ان الله
لا يهدي القوم الظالمين اي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين
عاتب وقوله بغير هدى في موضع الحال يعني مخذولا ومخلى بينه وبين هواه ولقد
وصلنا بالتخفيف والتشديد لهم القول والمعنى ان القرآن اتاهم متتابعا متواصلا
وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح لعلهم يتذكرون اراده
ان يتذكروا فيفلحوا او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في اثر بعض كقوله وما يأتيهم
من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين نزلت في مؤمني اهل الكتاب وعن
رفاعة بن قرظة نزلت في عشرة انا احدهم وقيل في اربعين من مسلمي اهل الانجيل
اثنان وثلاثون جاؤوا مع جعفر من ارض الحبشة وثمانية من الشام والضمير في
قبله للقرآن واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا
انا كنا   اي فرق بين الاستئنافين   الاول تعليل للايمان
به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به والثاني بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل ان
يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به متقادم لان آباءهم القدماء
قرؤوا في الكتب الاول ذكره وابناءهم من بعده من قبله من قبل وجوده ونزوله
مسلمين كائنين على دين الاسلام لان الاسلام صفة كل موحد مصدق للوحي
اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا بصبرهم على الايمان بالتوراة والايمان

وقرىء

بالقرآن او بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد نزوله او بصبرهم على
اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته ويدرءون بالحسنة
السيئة بالطاعة المعصية المتقدمة او بالحلم الاذى ومما رزقناهم ينفقون
واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم
سلام عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن كلمة حلم من المؤمنين لا نبتغي الجاهلين
لا نريد مخالطتهم وصحبتهم   من خاطبوا بقولهم ولكم اعمالكم
اللاعبين الذين عليهم ولما سمعوا اللغو انك لا تهدي لا تقدر ان تدخل في
الاسلام من احببت ان يدخل فيه من قومك ومن غيرهم لانك عبد لا تعلم المطبوع
على قلبه من غيره ولكن الله يدخل من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع
على قلبه وان الالطاف تنفع فيه فيقرن به الطافه حتى تدعوه الى القبول وهو
اعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون قال الزجاج اجمع المسلمون انها نزلت
في ابي طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه
تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم و
تدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم
من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت
انك لصادق ولكن اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني
ابيك غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولا قررت بها عينك عند الفراق لما ارى
من شدة وجدك ونصيحتك ولكن سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب
وهاشم وعبد مناف وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف قالت قريش وقيل ان القائل
الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك
وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة رأس اي قليلون ان يتخطفونا من ارضنا او
لم نمكن لهم حرما آمنا فالقمهم الله الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي امنه بحرمة
البيت وامن قطانه بحرمته وكانت العرب حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون
في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق
تجبى اليهم من كل اوب فاذا خولهم الله ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت

في الاسلام

ق

وحدها وهم كفرة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعرضهم للتخوف والتخطف
ويسلبهم الأمن إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة الإسلام وإسناد الأمن إلى أهل
الحرم حقيقة وإلى الحرم مجاز تجبى إليه تحمل إليه وتجمع بالتاء والياء وقرئ تجنى
وتعديته بإلى كقولك يجنى إلى فيه ويجنى إلى الخافة وثمرات بضمتين وضمة وسكون كل شيء
ومعنى الكلية الكثرة كقوله وأوتيت من كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم
لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا أي قليل منهم يقرون بأن ذلك رزق من عند الله وأكثرهم
جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو علموا أنه من عند الله لعلموا أن الخوف والأمن
من عنده ولما خافوا التخطف إذا آمنوا به وخلعوا أنداده
إن جعلته مصدرا جاز أن ينتصب بمعنى ما قبله لأن معنى تجبى إليه ثمرات كل شيء
ويرزق ثمرات كل شيء واحد وأن يكون مفعولا له وإن جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من
الثمرات لتخصصها بالإضافة كما ينتصب عن النكرة المتخصصة بالصفة وكم أهلكنا
من قرية بطرت معيشتها هذا تخويف لأهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم
من إنعام الله عليهم بالرقود في ظلال الأمن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها
بالأشر والبطر فدمرهم الله تعالى وخرب ديارهم وانتصب معيشتها [illegible]
الحجاج وأما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو أن لا
يحفظ حق الله فيه فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا
قال ابن عباس لم يسكنها إلا المسافر ومار الطريق يوما أو ساعة ويحتمل أن شؤم
المهلكين بقي أثره في ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها إلا قليلا
وكنا نحن الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها أي تركناها على حال لا يسكنها
أحد وخربناها وسويناها بالأرض قال الشاعر تتخلف أصحابها حسنا وبددها الفنا
وما كان ربك مهلك القرى وما كانت عادة ربك أن يهلك القرى في كل د
حتى يبعث في القرية التي هي أمها أي أصلها وقصبتها التي هي أعمالها وتوابعها
رسولا لإلزام الحجة وقطع المعذرة يتلو عليهم آياتنا مع علمه أنهم لا يؤمنون أو
وما كان في سابق علم الله وسابق قضائه أن يهلك القرى في الأرض حتى يبعث في أم
القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين وقرئ في

أما بحذف الجار وإيصال الفعل كقوله واختار موسى قومه وإما على الظرف بنفسها كقولك زيد ظني مقيم أو بتقدير حذف الزمان أصله بطرت أيام معيشتها

بضم الهمزة وكسرها لإتباع الجر وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون
هذا بيان لعدله وتقدسه عن الظلم حيث أخبر بأنه لا يهلكهم إلا إذا استحقوا الإهلاك
بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم ظالمين إلا بعد تأكيد الحجة والإلزام ببعثة الرسل
ولا يجعل علمه بأحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته أن يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما كان
ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون فنص قوله بظلم أنه لو أهلكهم وهم مصلحون لكان
ذلك ظلما منه وإن حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما
قال وما كان الله ليضيع إيمانكم وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها
وأي شيء أصبتموه من أسباب الدنيا فما هو إلا تمتع وزينة أياما قلائل وهي مدة
الحياة المنقضية وما عند الله وهو ثوابه خير في نفسه من ذلك وأبقى لأن بقاءه دائم
سرمد وقرئ أفلا يعقلون بالياء وهو أبلغ في الموعظة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله خلق
الدنيا وجعل أهلها ثلاثة أصناف المؤمن والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق
يتزين والكافر يتمتع أفمن وعدناه وعدا حسنا هذه الآية تقرير وإيضاح للتي قبلها
والوعد الحسن الثواب لأنه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق وأي شيء أحسن
منها ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى فهو لاقيه كمن متعناه متاع الحياة الدنيا الذي هو
نضرة وسرور وعكسه يلقون غيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين من الذين أحضروا
النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فإنهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وأبي جهل وقيل في علي وحمزة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد
بن المغيرة فسر الفائز وثمر وأخبر [illegible] عن مواقعها ذكر في الآية التي قبلها
متاع الحياة الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله أفمن وعدناه على معنى
أبعد هذا التفاوت الظاهر يسوى بين أبناء الآخرة وأبناء الدنيا فهذا معنى الفاء
الأولى وبيان موقعها وأما الثانية فللتراخي حال الإحضار عن حال التمتيع لا للتراخي
وقته عن وقته وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد تشبيها للمنفصل
بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو ولهو أحسن لأن الحرف الواحد لا ينطق به وحده
فهو كالمتصل ويوم يناديهم فيقول أين شركائي مبني على زعمهم وفيه تهكم
زعم يطلب مفعولين على زعمهم كقولهم ولم أزعمك عن ذاك [illegible]

الذين كنتم تزعمون

محذوفان تقديره الذين كنتم تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا
يصح الاقتصار على احدهما **قال الذين حق عليهم القول ربنا** الشياطين او ائمة
الكفر ورؤسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وثبت وهو قوله لاملأن
جهنم من الجنة والناس اجمعين **هؤلاء** مبتدأ **والذين اغوينا** صفته والراجع
الى الموصول محذوف و**اغويناهم** الخبر **كما غوينا** الكاف صفة مصدر محذوف تقديره
اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا الا ان فوقنا
مغوين اغوونا بتسويل منهم والجاء او دعونا الى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا
باختيارهم لان اغواءنا لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق
اذن بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته
دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل
وانزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر وناهيك
بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان
ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم والله عز وجل قدم هذا
المعنى اول شيء حيث قال لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك
من الغاوين **تبرأنا اليك** منهم ومما اختاروه من الكفر بانفسهم هوى منهم للباطل
ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم ولا سلطان **ما كانوا ايانا يعبدون**
انما كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم واخلاء الجملتين من العاطف لكونهما
مقررتين لمعنى الجملة الاولى **وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم**
ورأوا العذاب لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به
العذاب او لو انهم كانوا مهتدين اذا تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون
طريقا حكى اولا ما يوبخهم به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمتهم
عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة الآلهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين
استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة من استغاثتهم آلهتهم وخذلانهم
لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج بارسال الرسل وازاحة العلل

مؤمنين لما رأوه او تمنوا لو كانوا مهتدين صح

٧١٠

فعميت عليهم الانباء يومئذ فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا تهتدي اليهم
فهم لا يتساءلون فصارت الانباء كالعمى عليهم جميعا لا يسأل بعضهم بعضا كما يتساءل
الناس في المشكلات لانهم يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وفي
فعميت فالمراد بالنباء الخبر عما اجاب به المرسل اليه رسوله واذا كانت الانبياء
لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علمه
وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم الى علام الغيوب فما ظنك
بالضلال من اممهم **فاما من تاب** من المشركين من الشرك **وآمن وعمل صالحا**
وجمع بين الايمان والعمل الصالح **فعسى ان يكون من المفلحين** ان يفلح عند الله
وعسى من الكرام تحقيق ويجوز ان يراد ترجي التائب وطمعه كأنه قال فليطمع ان يفلح
وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة من التخير كالطيرة من
التطير تستعمل بمعنى المصدر وهو التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد صلى الله عليه وآله
خيرة الله من خلقه ما كان لهم الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما
يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة لله في افعاله وهو اعلم بوجوه
الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل السبب فيه قول الوليد بن المغيرة
لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم
وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة اي يختار للعباد ما هو خير لهم واصلح وهو اعلم بمصالحهم
من انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار فان الراجع من
الصلة الى الموصول اذا جعلت ما موصولة اصل الكلام ما كان لهم فيه الخيرة
فحذف فيه كما حذف منه في قوله ان ذلك من عزم الامور لانه مفهوم **سبحان الله**
وتعالى عما يشركون اي الله بريء من اشراكهم وعما يحملهم عليه من الجراءة على الله
واختيارهم ما لا يختاره **وربك يعلم ما تكن صدورهم** من عداوة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحقده **وما يعلنون** **وهو** المستأثر بالالوهية
المختص بها **لا اله الا هو** تقرير لذلك كقولك الكعبة القبلة لا قبلة الا هي **له**
الحمد في الاولى والآخرة الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي
صدقنا وعده وقيل الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة

تتعتع اي تتردد ودم

لحهم

من يطاعنهم فيه ويحاجهم هلا اختير عليه غيره في النبوة وصح الله

وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس وله الحكم القضاء بين عباده واليه ترجعون
قل ارايتم ورايتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي ومعناه اخبروني من يقدر
على ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة السرمد الدائم المتصل من السرد
وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر الحرم ثلثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة
ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص من اله غير الله يأتيكم بضياء
هلا قيل بنهار يتصرفون فيه كما قيل قل ارايتم ان جعل الله عليكم
النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه
ذكر الضيا وهو ضوء الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة
ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضيا
افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف فوائده
وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت
من السكون ونحوه ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار زاوج بين الليل والنهار
لاغراض ثلثة لتسكنوا فيه في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من فضله في الآخر وهو النهار ولعلكم تشكرون ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه
طريقة اللف ويوم يناديهم فيقول اين شركاءي الذين كنتم تزعمون
كرر التوبيخ لاتخاذ الشركاء ايذانا بان لا شيء اجلب لغضب الله تعالى من الاشراك به
كما لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده اللهم فكما ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في
الناجين من وعيدك ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم لان انبياء
الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا فقلنا للامة هاتوا برهانكم فيما كنتم
عليه من الشرك ومخالفة الرسول فعلموا حينئذ ان الحق لله ولرسوله لا لهم
ولشياطينهم وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون
من الباطل والكذب ان قارون اسم اعجمي مثل هارون ولم ينصرف للعجمة والتعريف
ولو كان فاعولا من قرن لانصرف كان من قوم موسى قيل معنى كونه من قومه
انه آمن به وقيل اسرائيليا ابن عم لموسى هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي
بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل موسى ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن

صورته وكان اقرأ بني اسرائيل للتورية ولكنه نافق كما نافق السامري وقال اذا
كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان الى هارون فما لي وروي انه لما جاوز بهم موسى
البحر وصارت الرسالة والحبورة لهارون يقرب القربان ويكون راسا فيهم وكان
القربان الى موسى فجعله الى اخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال
لموسى الامر لكما ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال
والله لا اصدقك حتى تأتي باية فامر رؤساء بني اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصاه
فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه وكانوا يحرسون عصيهم
بالليل فاصبحوا واذا بعصا هارون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر
اللوز فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم
قيل ملكه فرعون على بني اسرائيل فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ
تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم في الثياب شبرا وآتيناه من
الكنوز ما ان مفاتحه المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هي
الخزائن وقياس واحدها مفتح بالفتح لتنوء ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله
بالعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا اجتمعوا وقيل كانت
تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع وكانت
من جلود وقال ابو رزين يكفي الكوفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز
والمفاتح والنوء والعصبة اولي القوة وقرا بديل بن ميسرة لينوء بالياء
ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزائن ويعطيها حكم ما اضيفت اليه للملابسة
والاتصال كقولك ذهبت اهل اليمامة اذ قال له قومه ومحل اذ منصوب بتنوء
لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما آتاكم وقول القائل ولست بمفراح اذا الدهر سرني
وذلك ان الله لا يحب الفرحين وذلك انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها
واطمأن واما من قلبه الى الآخرة ويعلم انه مفارق ما فيه عن قريب فلم تحدث
نفسه بالفرح وما احسن ما قال القائل اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه
صاحبه انتقالا
وابتغ فيما آتاك الله من الغنى والثروة الدار الآخرة بان تفعل فيه افعال
الخير من اصناف الواجب والمندوب اليه وتجعله زادك الى الآخرة ولا تنس

نصيبك من الدنيا وهو ان تاخذ منه ما يكفيك ويصلحك واحسن الى عباد الله
كما احسن الله اليك او احسن بشكرك وطاعتك لله كما احسن اليك ولا تبغ الفساد
في الارض الفساد في الارض ما كان عليه من الظلم والبغي وقيل ان القائل موسى
صلوات الله عليه وقومه واتبع قال انما اوتيته على علم اى على استحقاق و
استيجاب لما فى من العلم الذى فضلت به الناس وذلك انه كان اعلم بنى اسرائيل بالتوراة
وقيل هو علم الكيميا فافاد موسى يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوفنا ثلثه وقارون ثلثه
فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان ياخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما ذهبا
وقيل علم الله موسى علم الكيميا فعلمه موسى اخته فعلمته اخته قارون وقيل بصره بانواع
التجارة والدهقنة وسائر المكاسب وقيل عندي معناه في ظني كما يقول الامر عندي كذا
كانه قال انما اوتيته على علم كقوله تعالى فاذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم
ثم زاد عندي اى هو في ظني وما يأتي هذا اولم يعلم ان الله يجوز ان يكون اثباتا لعلمه بان
الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا اقوى منه
واغنى لانه قد قراه في التوراة واخبره به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام
كانه قيل اولم يعلم في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز ان يكون
نفيا لعلمه بذلك لانه لما قال اوتيته على علم عندي فتنفج بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل
ذلك العلم الذي ادعاه وراى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع
حتى يقي نفسه مصارع الهالكين واكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا
ما وجه اتصال قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون بما قبله لما ذكر قارون
من اهلك من قبله من القرون الذين كانوا اقوى منه واغنى قال على سبيل التهديد له والله
مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم عنها واستعلامهم وهو قادر على ان يعاقبهم عليها
كقوله والله خبير بما تعملون والله بما تعملون عليم وما اشبه ذلك فخرج على قومه
في زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان
عليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه
ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم
المعصفرات وهو اول يوم روى فيه المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا كالك

ان الله لا يحب المفسدين

المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوه على سبيل الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة
البشر وعن قتادة تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى وينفقوه في سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفارا
الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه والحاسد هو الذي يتمنى
ان يكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
ومن الحسد قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاه الخبط انه لذو حظ عظيم الحظ
هو الجد والدولة وصفوه بانه رجل مجدود ومبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ
ومحظوظ وما الدنيا الا احاظ وجدود قال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير
لمن آمن وعمل صالحا ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع و
البعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا ابا لك واصله الدعاء على الرجل بالاقراف في الحث على
الفعل والراجع في ولا يلقيها للكلمة التي تكلم بها العلماء او للثواب لانه في معنى المثوبة
او الجنة او للسيرة والطريقة وهي الايمان والعمل الصالح الا الصابرون على الطاعات
عن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير فخسفنا به وبداره الارض كان
قارون يؤذي نبي الله موسى صلوات الله عليه كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما
حتى نزلت الزكوة فصالحه عن كل الف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به نفسه
فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى اراد كم على كل شيء وهو يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت
كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فرفضه بنو اسرائيل فجعل لها
الف دينار وقيل طستا من ذهب مملوءة ذهبا وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى
وقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه
وان احصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل
يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها موسى بالذي فلق البحر وانزل التوراة
ان تصدق فتداركها الله تعالى فقالت كذبوا بل جعل لي قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر
موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى اليه ان مر الارض
بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني
الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير

عن كل الف دينار على دينار

ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاعناق و
قارون واصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى لا يلتفت اليهم
لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم واوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا
بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو اياي دعوا مرة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنو اسرائيل
يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف
بداره واموال**ه** فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين
من المنتصرين من موسى او من الممتنعين من عذاب الله يقال نصره من عدوه فانتصر
اي منعه فامتنع **واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس** قد يذكر الامس ولا يراد
به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب على طريق الاستعارة مكانه منزلته
من الدنيا **يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** وي مفصولة
عن كأن وهي كلمة تنبه على الخطاء وتندم ومعناه ان القوم تنبهوا على خطائهم
في قولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون وتندموا ثم قالوا **ويكأنه لا يفلح الكافرون**
اي ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح وهو مذهب الخليل وسيبويه قال
ويكأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر وحكى الفراء ان اعرابية قالت لزوجها
اين ابنك فقال ويكأنه وراء البيت وعند الكوفيين ان ويك بمعنى ويلك وان المعنى الم
تعلم انه لا يفلح الكافرون ويجوز ان تكون الكاف كاف الخطاب مضمومة الى وي كقوله
ويك عنتر اقدم وانه بمعنى لانه واللام لبيان المقول له اي لانه لا يفلح الكافرون كان
ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدئ كأنه ومنهم
من يقف على ويك وقرأ الاعمش لولا من الله علينا وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير الله
ولا نخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا **تلك الدار الآخرة** تعظيم لها وتفخيم
لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها **نجعلها للذين لا يريدون علوا
في الارض ولا فسادا** لم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما
وميل القلوب اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن
علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه
فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت الاماني ههنا وعن عمر بن عبد العزيز انه

من عباده

لولا ان من الله علينا لخسف بنا

كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون متعلقا
بقوله ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض ويقول من لم يكن مثل فرعون
وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله **والعاقبة للمتقين** كما تدبره علي
والفضيل وعمر رضي الله عنهم **من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى**
معناه فلا يجزون فوضع **الذين عملوا السيئات** موضع الضمير لان في اسناد العمل
اليهم مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين **الا
ما كانوا يعملون** الا مثل ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع
ان لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة بعشر امثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله
فله خير منها **ان الذي فرض عليك القرآن** اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل بما فيه
يعني ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف ليثيبك عليها ثوابا لا يحيط به الوصف و
لرادك بعد الموت **الى معاد** اي معاد والى معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك
وقيل المراد به مكة ووجهه ان يراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في
ذلك اليوم معادا له شأن ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم عليها وقهره لاهلها ولظهور عز الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه و
السورة مكية فكأن الله وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر به
منها ويعيده اليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق
الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم فنزل جبريل عليه السلام فقال اتشتاق الى مكة قال
نعم فاوحاها اليه كيف اتصل قوله تعالى **قل ربي اعلم من جاء بالهدى**
بما قبله لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى
يعني نفسه وما يستحقه من الثواب في معاده **ومن هو في ضلال مبين** يعنيهم
وما يستحقونه من العقاب في معادهم قوله **وما كنت ترجو ان
يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك** ما وجه الاستثناء فيه هذا كلام محمول
على المعنى كأنه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز ان يكون الا بمعنى
لكن اي ولكن لرحمة من ربك القي عليك **فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك
عن آيات الله** وقرئ يصدنك من اصده بمعنى صده وهي لغة كلب وقال اناس اصدوا

اصدوا الناس ليسعفهم صدود السواقي عن انوف الحوائم ﴿بعد إذ أنزلت إليك﴾
بعد وقت انزاله واذ تضاف اليه اسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما
اشبه ذلك ﴿وادع إلى ربك فلا تكونن من المشركين﴾ النهي عن مظاهرة الكافرين
ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره ﴿ولا تدع مع الله إلها آخر لا إله إلا
هو كل شيء هالك إلا وجهه﴾ الا اياه والوجه يعبر به عن الذات قال رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق
بموسى عليه السلم وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة
انه كان صادقا ان كل شيء هالك الا وجهه ﴿له الحكم وإليه ترجعون﴾

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الم أحسب الناس﴾
الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين الجمل الا ترى انك لو قلت
حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا عالما وظننت الفرس
جوادا لان قولك زيد عالم او الفرس جواد كلام دال على مضمون فاردت الاخبار عن
ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته
عندك على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم
لك غرضك فان قلت فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية قلت
هو في قوله ﴿أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ وذلك
ان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه
من الترك الذي هو بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه الا ترى انك
قبل المجيء بالحسبان تقدر ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر
قبل اللام فان قلت ان يقولوا هو علة تركهم غير مفتونين فكيف يصح ان يقع خبر مبتدا
قلت كما تقول خروجه لمخافة الشر وضربه للتاديب وقد كان التاديب والمخافة في
قولك خرجت مخافة الشر وضربته للتاديب تعليلين فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدا وخبرا

والفتنة الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الاوطان ومجاهدة الاعداء وسائر
الطاعات الشاقة وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وانواع المصائب في الانفس
والاموال ومصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى احسب الذين اجروا
كلمة الشهادة على السنتهم واظهروا القول بالايمان انهم يتركون لذلك غير ممتحنين
بل يمحنهم الله بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقائدهم و
نصوع نياتهم ليتميز المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن
من العابد كما قال لتبلون في اموالكم الى من عزم الامور وروي انها نزلت في ناس من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار
بن ياسر وكان يعذب في الله وقيل في ناس اسلموا بمكة فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم
اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم
فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا وقيل في مهجع بن
عبد الله مولى عمر بن الخطاب وهو اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه
عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سيد الشهداء مهجع وهو
اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامراته ﴿ولقد فتنا
الذين من قبلهم﴾ موصول باحسب او بلا يفتنون كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن
من هو خير منه يعني ان اتباع الانبياء قبلهم قد اصابهم من الفتن والمحن نحو
ما اصابهم او ما هو اشد منه فصبروا كما قال وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير
الآية وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد كان من قبلكم يؤخذ فيوضع المنشار على
راسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون
عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ﴿فليعلمن الله﴾ بالامتحان ﴿الذين صدقوا﴾ في
الايمان ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ فيه فان قلت كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل
قلت لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد والمعنى وليتميزن الصادق منهم
من الكاذب ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال وليثيبن الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين
الكلام وقرا علي رضي الله عنه والزهري وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الله
الناس من هم او ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض الوجوه وسوادها و

فما وهنوا لما اصابهم
في سبيل الله وما ضعفوا
وما استكانوا والله يحب
الصابرين

قلت

وكحال العبيد ونزدقتها ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ان يفوتونا
يعني ان الجزاء يلحقهم لا محالة وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم
ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة واصرارهم على المعاصي في صورة من
يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما هم بمعجزين في الارض ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا
انهم لا يعجزون فان قلت اين مفعولا حسب قلت اشتمال صلة ان على مسند ومسند اليه
سد مسد المفعولين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ويجوز ان يضمن حسب معنى قدر
وام منقطعة ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان
ذاك يقدر انه لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون
بئس الذي يحكمونه حكمهم هذا او بئس حكما يحكمونه حكمهم فحذف المخصوص بالذم من
كان يرجو لقاء الله مثل الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب
والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه
على ما كان ياتي ويذر فاما ان يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من افعاله او بضد ذلك
لما سخطه منها فمعنى قوله من كان يرجو لقاء الله من كان يامل تلك الحال وان يلقى
فيها الكرامة من الله والبشرى فان اجل الله وهو الموت لآت لا محالة فليبادر
العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق امله ويكتسب به القربة عند الله والزلفى
وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقول عباده ومما يفعلونه فهو حقيق
بالتقوى والخشية وقيل يرجو يخاف في قول الهذلي في صفة عسال اذا لسعته الدبر لم يرج
فان اجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط قلت اذا علم ان لقاء الله عنيت به
تلك الحال الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب للموت
فكانه قال من كان يرجو لقاء الله فان لقاء الله لآت لان الاجل واقع فيه
اللقاء كما يقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب اذا علم انه يقعد
للناس يوم الجمعة ومن جاهد نفسه في منعها ما تامر به وحملها على ما تاباه فانما يجاهد
لنفسه لان منفعة ذلك راجعة اليها وانما امر الله ونهى رحمة لعباده ان الله
لغني عن العالمين وهو غني عنهم وعن طاعتهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات
اما ان يريد قوما مسلمين صالحين قد اساؤا في بعض اعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم

فهو يكفرها عنهم اي يسقط عقابها بثواب الحسنات ولنجزينهم احسن الذي
كانوا يعملون اي احسن جزاء اعمالهم واما قوما مشركين آمنوا وعملوا الصالحات
فالله عز وجل يكفر سيئاتهم بان يسقط عقاب ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم احسن جزاء
اعمالهم في الاسلام ووصينا وصى حكمه حكم امر في معناه وتصرفه يقال وصيت
زيدا بان يفعل ومنه بيت الاصلاح وذبيانية وصت بنيها بان كذب القراطف والقروف
كما لو قال امرتهم بان ينتهبوها ومنه قوله ووصى بها ابرهيم بنيه ويعقوب اي وصاهم
بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو معناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته
ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا وصيناه بايتاء
والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا
للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان تجعل حسنا من باب قولك زيدا
باضمار اضرب اذا رايته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما لان التوصية
بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما في
الشرك اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدئ حسنا
حسن الوقف وعلى التفسير الاول لا بد من اضمار القول وان جاهداك لتشرك
بي معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان ما ليس لك به علم اي لا علم لك بالهيته
والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون الها ولا
يستقيم وصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نهاه عن طاعتهما في
معصية الخالق ثم قال الي مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك فانبئكم
بما كنتم تعملون فاجازيكم حق جزائكم وفيه شيئان احدهما ان الجزاء
الي فلا تحدث نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما
برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما رزقي والثاني التحذير من متابعتهما
على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين بذكر المرجع والوعيد
روي ان سعد بن ابي وقاص الزهري حين اسلم قالت امه وهي حمنة بنت ابي سفيان
بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني انك صبيت فوالله لا يظلني سقف بيت من
الضح والريح وان الطعام والشراب علي حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وكان

قلنا

فلا تطعهما

ولدها اليها فابى سعد فبقيت ثلثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه
واله وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الاية والتي في لقمن والتي في الاحقاف فامره رسول
صلى الله عليه واله وسلم ان يداريها ويترضيها بالاحسان وروى انها نزلت في عياش
بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما مترافقين حتى
المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحارث بن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة
امراة من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلى
صلى الله عليه واله وسلم صلة الارحام وبر الوالدين وقد تركت امك لا تطعم
ولا تشرب ولا تاوي بيتا حتى تراك وهي اشد حبا لك منا فاخرج معنا وفتلا منه
في الذروة والغارب فاستشار عمر بن الخطاب فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم
مالي بيني وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما اذا عصيتني
فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا
الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك فنزل ليوطئ لنفسه
وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى
امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد صلى الله عليه واله وسلم فنزلت و
الذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين في جملتهم والصلاح
من ابلغ صفات المؤمنين وهو متمنى انبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمن عليه السلم
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابرهيم عليه الصلوة والسلم وانه في
الاخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله ومن يطع
الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية ومن الناس من
يقول آمنا بالله هم ناس كانوا يؤمنون بالسنتهم فاذا اوذي في الله جعل
فتنة الناس كعذاب الله فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس
كان ذلك صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف المؤمنين عن الكفر كما
يجب ان يكون عذاب الله صارفا ولئن جاء نصر من ربك ليقولن واذا نصر الله المؤمنين
وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اي مشايعين لكم في دينكم ثابتين
ثباتكم فما قدرنا احدا ان يفتننا فاعطونا نصيبنا من المغنم اوليس الله باعلم ثم

سبحانه انه اعلم بما في صدور العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك
ما تكن صدور هؤلاء من النفاق وهذا اطلاع منه على ما يبطنونه وليعلمن الله
الذين آمنوا وليعلمن المنافقين ثم وعد المؤمنين واوعد المنافقين
وقرئ ليقولن بفتح اللام وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا
سبيلنا امروهم باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم و
لنحمل خطاياكم امروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر على الامر وارادوا
ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم والمعنى تعليق الحمل
بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن ولا انتم
فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن باولئك
فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا واثمه في عنقي
وكم من مغرور يتقبل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى ان
ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال يا امير المؤمنين
بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيمة فقال له عمرو بن عبيد اياك
وهؤلاء فانهم قطاع الطريق في المامن وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء
انهم لكاذبون كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم انهم لا يقدرون على
الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين
لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه شبه الله حالهم
حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به وكان ضمانهم عنده لا على ما عليه
المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون
لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم
نية الخلف وليحملن اثقالهم اي اثقال انفسهم واثقالا مع اثقالهم يعني اثقالا
اخر غير الخطايا التي ضمنوا للمؤمنين حملها وهي اثقال الذين كانوا سببا في ضلالهم و
ليسألن يوم القيمة سؤال تقريع عما كانوا يفترون اي يختلقون من الاكاذيب
والاباطيل وقرئ من خطيئاتهم ولقد ارسلنا نوحا الى قومه كان عمر نوح عليه السلم
الفا وخمسين بعث على راس اربعين فلبث فيهم في قومه الف سنة الا خمسين عاما

تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة
سنة هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة ما اورده الله احكم لانه لو قيل
كما قلت لجاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على الكثير وهذا التوهم زائل مع مجيئه
كذلك وكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية للعدد الا ان ذلك اخصر و
اعذب لفظا واملاء بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما
ابتلي به نوح عليه السلم من امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى
الله وتثبيتا له فكان ذكر راس العدد الذي لا راس اكبر منه اوقع واوصل الى الغرض
من استطالة السامع مدة صبره فلم جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام
لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا
وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل او تنويه او نحو ذلك **فاخذهم
الطوفان وهم ظالمون** والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او
ظلام ليل ونحوهما قال العجاج وغم طوفان الظلام الاثبا **فانجيناه واصحاب
السفينة** كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث منهم اولاد
نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال
وخمسة نسوة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا ثمانية نوح عليه السلم
واهله وبنوه الثلاثة والضمير في **وجعلناها آية للعالمين** للسفينة او للحادثة
والقصة نصب **وابرهيم** باضمار اذكروا بدل عنه **اذ قال لقومه اعبدوا الله
واتقوه** اذ بدل الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او معطوف على نوحا وارد
لا ارسلنا يعني ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض
عليهم الحق ويامرهم بالعبادة والتقوى وقرا ابرهيم وابو حنيفة وابرهيم بالرفع على معنى
ومن المرسلين ابرهيم **ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون** يعني ان كان لكم
علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم او ان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون عين الجهل
العميا علمتم انه خير لكم **انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا** وقرئ
تخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق بمعنى تكذب وتخرص
وقرئ افكا وفيه وجهان ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك مخفف منه كالكذب

واللعب من اصلهما وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا اي ذا افك وباطل واختلاقهم
الافك تسميتهم الاوثان آلهة وشركاء لله او شفعاء اليه او سمى الاصنام افكا
وعملهم لها ونحتهم خلقا للافك **ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم
رزقا** لم نكر الرزق ثم عرفه لانه اراد لا يستطيعون ان يرزقوكم شيئا من
الرزق **فابتغوا عند الله الرزق** كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره
اعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وقرئ بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته
والشكر له على انعمه **وان تكذبوا** وان تكذبوني فلا تضروني بتكذيبكم **فقد كذب امم
من قبلكم** فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث
حل بهم ما حل بسبب تكذيب الرسل **وما على الرسول الا البلاغ** واما الرسول
فقد تم امره حين بلغ البلاغ **المبين** الذي زال معه الشك وهو اقترانه بآيات الله
ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء اسوة وسلوة حيث
كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الآية والآيات التي
بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابرهيم صلوات الله
عليه لقومه وان تكون آيات معترضة في شان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وشان قريش بين اول قصة ابرهيم وآخرها اذا كانت من قول ابرهيم فالمراد بالامم
قبله قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح امة في معنى امم
جمة مكذبة ولقد عاش ادريس الى ان رفع الى السماء وامن به الف انسان منهم على
عدد سنيه واعقابهم على التكذيب **اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده
ان ذلك على الله يسير قل سيروا في الارض** هي حكاية حالي على صفة
كلام الله حكاه ابرهيم عليه السلم لقومه كما يحكي رسولنا صلى الله عليه وآله وسلم
كلام الله على هذا المنهاج في اكثر القرآن فاذا كانت خطابا لقريش فما
وجه توسطها بين طرفي قصة ابرهيم والجملة او الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال
بما وقعت معترضة فيه الا تراك لا تقول مكة وزيد قائم خير بلاد الله
ايراد قصة ابرهيم ليس الا ارادة للتنفيس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وان يكون متسليا له ومتفرجا بان اباه ابرهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما مني به

شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر
قريش ان تكذبوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فقد كذب ابرهيم قومه وكل امة نبيها
لان قوله فقد كذب امم من قبلكم لا بد من تناوله لامة ابرهيم وهو كما ترى اعتراض
واقع متصل بما قبله والآيات الواقعة عقيبها من ذيولها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد
ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته
وبرهانه قرئ يروا بالتاء والياء ويبدئ ويبدأ وقوله ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ
لان الرؤية غير واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة بعد الموت كما وقع النظر في قوله
كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة على البدء دون الانشاء
ونحوه قولك ما زلت اوثر فلانا واستخلفه على من اخلفه هو معطوف بحرف العطف
فلا بد له من معطوف عليه فما هو وهو جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله
الخلق وكذلك واستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت اوثر فلانا والدليل يرجع الضمير
الى ما يرجع عليه هو في قوله وهو اهون عليه من معنى يعيد دل بقوله النشأة
الآخرة على انهما نشأتان وان كل واحدة انشاء اي ابتداء واختراع واخراج من
العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الآخرة انشاء بعد انشاء مثله والاولى ليست كذلك
وقرئ النشأة والنشاءة كالرأفة والرآفة ما معنى الافصاح باسمه مع ايقاعه
مبتدأ في قوله ثم الله ينشئ النشأة الآخرة الكلام معهم كان واقعا
في الاعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج
عليهم بان الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي
لم يعجزه الابداء فهو الذي وجب ان لا تعجزه الاعادة فكأنه قال ثم ذلك الذي انشأ
النشأة الاولى هو الذي ينشئ النشأة الآخرة فللدلالة والتنبيه على هذا المعنى ابرز
اسمه واوقعه مبتدأ يعذب من يشاء ويرحم من يشاء تعذيبه ورحمته متعلقتين
بالمشيئة مفسر مبين في مواضع من القرآن وهو من يستوجبهما من الكافر اذا لم
يتب ومن المعصوم والتائب واليه تقلبون تردون وترجعون وما انتم بمعجزين
ربكم اي لا تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة ولا في السماء التي
هي افسح وابسط لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات

والارض فانفذوا وقيل ولا من في السمآء كما قال حسان امن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سوآء ويحتمل ان يريد لا تعجزونه كيفما هبطتم في مهاوي الارض
واعماقها او علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السماء كقوله ولو كنتم في بروج
او لا تعجزون امره الجاري في السماء والارض ان يجري عليكم فيصيبكم ببلاء يظهر
من الارض او ينزل من السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
والذين كفروا بآيات الله بدلائله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقائه
اولئك يئسوا من رحمتي وعيد اي ييأسون يوم القيمة كقوله ويوم تقوم الساعة
يبلس المجرمون او هو وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون راجيا خائفا فاما
الكافر فلا يخطر بباله رجاء ولا خوف او شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من
ييأس من الرحمة وعن قتادة ان الله ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا من رحمتي
وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن ان لا ييأس من
روح الله ولا من رحمته وان لا يأمن عذابه وعقابه صفة المؤمن ان يكون راجيا
لله خائفا واولئك لهم عذاب اليم قرئ فما كان جواب قومه بالنصب والرفع
الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار ان في ذلك لآيات لقوم
يؤمنون قال بعضهم لبعض او قاله واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا
في حكم القائلين وروي انه لم ينتفع في ذلك اليوم بالنار يعني يوم القي ابرهيم في النار
لذهاب حرها وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحيوة
الدنيا قرئ على النصب بغير اضافة وباضافة وعلى الرفع كذلك والنصب على وجهين
على التعليل اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها واتفاقكم عليها
وائتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم وتصادقهم وان
يكون مفعولا ثانيا كقوله اتخذ الهه هواه اي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم
على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس من يتخذ
من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبرا لان
على ما موصولة وان يكون خبر مبتدا محذوف والمعنى ان الاوثان مودة بينكم
اي مودودة او سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم فتحه وهو فاعل

وقرأ ابن مسعود اوثانا انما مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي انما تتوادون عليها
او تودونها في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم
بعضا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين يقوم بينكم التلاعن والتباغض والتعادي
بتلاعن العبدة وتلاعن العبدة والاوثان كقوله عز وعلا ويكونون عليهم ضدا فآمن
له لوط كان لوط ابن اخت ابرهيم وهو اول من آمن له حين رأى النار لم تحرقه وقال يعني ابرهيم اني
مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثم قالوا
لكل نبي هجرة ولابرهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط وامرأته سارة وهاجر وهو
ابن خمس وسبعين سنة الى ربي الى حيث امرني ربي بالهجرة اليه انه هو العزيز الذي
يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يأمرني الا بما هو مصلحتي ووهبنا له
اسحق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه اجره
في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اجره الثناء الحسن والصلوة عليه آخر
آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه
ما بال اسمعيل لم يذكر وذكر اسحق وعقبه قد دل عليه في قوله وجعلنا في ذريته
النبوة والكتاب وكفى الدليل لشهرة امره وعلو قدره ما المراد بالكتاب
قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة
التي هي التوراة والزبور والانجيل والقرآن ولوطا عطف على ابرهيم او على ما عطف
عليه اذ قال لقومه انكم لتأتون الفاحشة الفعلة البالغة في القبح ما سبقكم
بها من احد من العالمين جملة مستأنفة مقررة لفحاشة تلك الفعلة كأن
قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها
في طباعهم لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا
لم ينز ذكر على ذكر قبل قوم لوط قط وقرئ انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني
قال ابو عبيدة وجدته في الامام بحرف واحد بغير ياء ورأيت الثاني بحرفين الياء
والنون وتقطعون السبيل عمل قطاع الطريق من قتل الانفس واخذ الاموال
وقيل باعتراضكم السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل باتيان ما ليس بحرث
وتأتون في ناديكم المنكر عن ابن عباس هو الحذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك

ائنكم لتأتون الرجال

والسواك بين الناس وحل الازار والسباب والفحش في المزاح وعن عائشة كانوا يتحابقون
وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها
اقبح من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحيا فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناد
الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا فما كان جواب قومه
الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فيما تعدناه
من نزول العذاب قال رب انصرني على القوم المفسدين كانوا يفسدون
الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم
ابتدعوا الفاحشة وسنوها فيمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فاراد لوط
ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك صفة المفسدين في دعائه ولما جاءت
رسلنا ابرهيم بالبشرى هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب
قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية واضافة مهلكوا اضافة تخفيف لان
المعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها اجور من قاضي سدوم ان اهلها
كانوا ظالمين معناه ان الظلم قد استمر منهم امتداده في الايام السالفة وهم
عليه مصرون وظلمهم كفرهم وانواع معاصيهم قال ان فيها لوطا ليس
لهم بكونه فيها وانما هو جدال في شأنه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلم
اعترض عليهم بان فيها من هو بريء من الظلم واراد بالجدال الشفقة عليه
ليجيب الملائكة من التحزن لاجله والتشمر في نصرته وحياطته والخوف من ان يمسه
اذى او يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن الا يحوط المؤمن الا ترى الى
جوابهم قالوا نحن اعلم منه بمن فيها يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال لوط
وحال قومه وامتيازه منهم الامتياز البين وانه لا يستاهل ما يستاهلونه
خفض على نفسك وهون عليك الخطب لننجينه واهله الا امرأته كانت
من الغابرين ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ان صلة اكدت وجود
الفعلين مترتبا احدهما على الآخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كأنهما
وجدا في جزء واحد من الزمان من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بهم

بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك

ذرعا وضاق بشانهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق
الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا
له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال ما لا يناله قصير الذراع فضرب
ذلك مثلا في القدرة وقالوا لا تخف ولا تحزن انا منجوك واهلك الا امرأتك
كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء بما
كانوا يفسقون الرجز والرجس العذاب من قولهم ارتجز وارتجس اذا اضطرب
لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب وقرئ منزلون مخففا ومشددا ولقد تركنا منها
من القرية آية بينة هي آثار ديارهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل الماء
الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم يعقلون يتعلق
ببينة والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا
اليوم الآخر وافعلوا ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب او امروا
بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات
على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض
مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة وعن
الضحاك صيحة جبريل عليه لان القلوب رجفت لها فاصبحوا في دارهم في بلدهم
وارضهم او في ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب
ميتين وعادا منصوب باهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه
في معنى الاهلاك وثمود وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصفه من اهلاكهم
من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل
مكة يمرون عليها في اسفارهم فيبصرونها وزين لهم الشيطان اعمالهم
فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر
والافتكار ولكنهم لم يفعلوا او كانوا متبينين ان العذاب نازل بهم لان الله
قد تبين لهم على السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا وقارون وفرعون و
هامان ولقد موسى بالبينات فاستكبروا وما كانوا سابقين فائتين
ادركهم امر الله تعالى فلم يفوتوه فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من

ارسلنا عليه حاصبا الحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء وقيل
كان ملك يرميهم ومنهم من اخذته الصيحة والصيحة لمدين وثمود ومنهم
من خسفنا به الارض والخسف لقارون ومنهم من اغرقنا والغرق لقوم
نوح وفرعون وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون
مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت
بيتا الغرض تشبيه ما اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله
بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة وهو نسج العنكبوت الاترى
الى مقطع التشبيه وهو قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
ما معنى قوله لو كانوا يعلمون وكل احد يعلم وهن بيت العنكبوت
لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن
ووجه آخر وهو انه اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد
صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا
يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج المجاز فكانه قال وان اوهن
ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان يقول
مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت
يتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر فكان اوهن
البيوت اذا استقريتها بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا
استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ان الله يعلم ما يدعون
من دونه من شيء قرئ تدعون بالتاء والياء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه
حيث لم يجعل ما يدعونه شيئا وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما
ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة اصلا وتركوا عبادة العالم
القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير وتلك الامثال
نضربها للناس كان الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد صلى الله
عليه وآله وسلم وتعالى شانه يضرب المثل بالذباب والعنكبوت ويضحكون من ذلك
فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها

الاهم لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار
حتى تبرزها وتكشف عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين
حال المشرك وحال الموحد وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه تلا هذه الآية
فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض
بالحق اي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو ان تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين
منهم ودلائل على عظم قدرته الا ترى الى قوله ان في ذلك لآية للمؤمنين ونحوه
قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا
اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء
والمنكر الصلوة تكون لطفا في ترك المعاصي فكانها ناهية عنها
كم من مصل يرتكب ولا تنهاه صلوته الصلوة التي هي الصلوة عند الله
المستحق بها الثواب ان يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل
الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كان رجلي
على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي واصلي
بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد ان يصليها فلا يحبطها فهي الصلوة التي تنهى
عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس رضي الله عنهما من لم تامره صلوته بالمعروف وتنهه عن
المنكر لم يزدد بصلوته الا بعدا وعن الحسن من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر
فليست صلوته بصلوة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلوة جره ذلك الى
ان ينتهي عن السيئات يوما ما فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلوته لتردعه وروي ان
فتى من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه
فوصف له فقال ان صلوته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وعلى كل حال فان المراعي
للصلوة لا بد ان يكون ابعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وايضا فكم من مصلين
تنهاهم الصلوة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي ان لا يخرج واحد من
المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك انه ينهى عن جميع
المناكير وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء

للعموم ولذكر الله اكبر يريد وللصلوة اكبر من غيرها من الطاعات
وسماها بذكر الله كما قال فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل
كانه قال وللصلوة اكبر لانها ذكر الله او ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر
نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر فكان اولى بان ينهى من اللطف الذي في الصلوة
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته
والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم احسن الثواب ولا تجادلوا
اهل الكتاب الا بالتي هي احسن بالخصلة التي هي احسن وهي مقابلة الخشونة
باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة كما قال ادفع بالتي هي احسن الا الذين
ظلموا منهم فافرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق
فاستعملوا معهم الغلظة وقيل الا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين للجزية الا بالتي هي احسن الا الذين
ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فان اولئك مجادلتهم بالسيف وعن قتادة
الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة
اشد من السيف وقوله وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا
والهكم واحد ونحن له مسلمون من جنس المجادلة بالتي هي احسن وعن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم ما حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم
وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوهم وان كان حقا
لم تكذبوهم وكذلك ومثل ذلك الانزال انزلنا اليك الكتاب اي انزلناه
مصدقا لسائر الكتب السماوية تحقيقا لقوله آمنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم
وقيل وكما انزلنا الكتب الى من قبلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب
يؤمنون به هم عبد الله بن سلام ومن آمن معه ومن هؤلاء من اهل مكة
من يؤمن به وقيل اراد بالذين اوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم من اهل الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهده منهم وما يجحد بآياتنا
مع ظهورها وزوال الشبهة عنها الا الكافرون المتوغلون في الكفر
المصممون عليه وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه وما كنت تتلو من قبله

من كتاب وانت امي ما عرفك احد قط بتلاوة كتاب ولا تخطه بيمينك ولا
خط اذا لو كان شيء من ذلك اي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون
من اهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا امي لا يكتب ولا يقرأ وليس به او
مشركوا مكة وقالوا لعله تعلمه او كتبه بيده لم سماهم مبطلين ولو لم
يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان اهل
مكة ايضا على حق في قولهم لعله تعلمه او كتبه فانه رجل قارئ كاتب
سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب فكانه قال هؤلاء المبطلون
في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فحين ليس بقارئ كاتب فلا
لارتيابهم وشيء آخر وهو ان سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم
وبما جاؤا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب انه قارئ كاتب فما لهم
لم يؤمنوا به من جهة الذي آمنوا منه بموسى وعيسى عليهما السلام على ان المنزلين ليسا
بمعجزين وهذا المنزل معجز فاذن هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو امي ومبطلون
لو لم يؤمنوا به وهو غير امي ما فائدة قوله بيمينك ذكر اليمين وهي
الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كاتبا الا ترى انك
اذا قلت في الاثبات رايت الامير يخط هذا الكتاب كان اشد لاثباتك انه تولى
كتبته فكذلك النفي بل هو القرآن آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم
في صدور العلماء وحفاظه وهما من خصائص القرآن كون آياته بينات الاعجاز
وكونه محفوظا في الصدور يتلوه اكثر الامة ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن
معجزات وما كانت محفوظا في الصدور تقرأ الا من المصاحف ومنه ما جاء في صفة
هذه الامة صدورهم اناجيلهم وما يجحد بآياتنا بآيات الله الواضحة الا
الظالمون المتوغلون في الظلم المكابرون قرئ آية وآيات وقالوا لولا
هلا انزل عليه آية من ربه مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك قل انما
الآيات عند الله ينزل ايتها شاء ولو شاء ان ينزل ما يقترحونه لفعل وانما
انا نذير مبين كلفت الانذار وابانته بما اعطيت من الآيات وليس لي ان اتخير
على الله آياته فاقول انزل علي آية كذا دون آية كذا مع علمي ان الغرض من الآية ثبوت الدلالة

والآيات كلها في حكم آية واحدة في ذلك ثم قال اولم يكفهم آية مغنية
عن سائر الآيات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين انا انزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم هذا القرآن الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان وزمان فلا يزال
معهم آية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها وتكون في مكان
دون مكان ان في ذلك في مثل هذه الآية الموجودة في كل مكان وزمان لرحمة
لنعمة عظيمة لا تشكر وذكرى وتذكرة لقوم يؤمنون وقيل اولم يكفهم يعني اليهود
انا انزلنا عليك الكتاب تتلى عليهم بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك
وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكتف قد كتب
بعض ما يقول اليهود فلما ان نظر اليها القاها وقال كفى بها حماقة قوم او ضلالة
قوم ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا
قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اني قد بلغتكم ما ارسلت به
اليكم وانذرتكم وانكم قابلتموني بالجحد والتكذيب يعلم ما في السموات والارض
فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين آمنوا بالباطل
منكم وهو ما تعبدون من دون الله وكفروا بالله وآياته اولئك هم
الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام
ورد مورد الانصاف كقوله وانا واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وهو كلام
حسان فشركما لخيركما الفداء وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد
من يشهد لك بانك رسول الله فنزلت ويستعجلونك بالعذاب كانوا يستعجلون
العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحارث هو الذي قال اللهم
امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء
ولولا اجل قد سماه الله تعالى وبينه في اللوح لعذابهم واوجبت الحكمة تأخيره
الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب عاجلا وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون
والمراد بالاجل الآخرة لما روي ان الله عز وجل وعد رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ان لا يعذب قومه ولا يستأصلهم وان يؤخر عذابهم الى يوم القيامة
وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم باجالهم يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة

الكافرين أي سيحيط بهم يوم يغشاهم العذاب أو هي محيطة بهم في الدنيا لان
المعاصي التي توجبها محيطة بهم أو لانها مآلهم ومرجعهم لا محالة فكانها الآن
محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا منصوب بمضمر أي يوم يغشاهم العذاب كان
كيت وكيت من فوقهم ومن تحت أرجلهم كقوله لهم من فوقهم ومن تحتهم
كقوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ونقول ذوقوا ما كنتم
تعملون أي جزاءه يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة معنى الآية أن
إذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له أمر دينه كما يحب فليهاجر عنه
إلى بلد يقدر أنه فيه أسلم قلبا وأصح دينا وأكثر عبادة وأحسن خشوعا ولعمري
إن البقاع تتفاوت في ذلك التفاوت الكثير ولقد جربنا وجرب أولونا فلم نجد
فيما درنا وداررنا أعون على قهر النفس وعصيان الشهوة وأجمع للقلب المتلفت وأضم
للهم المنتشر وأحث على القناعة وأطرد للشيطان وأبعد من كثير من الفتن
وأضبط للأمر الديني في الجملة من سكنى حرم الله وجوار بيت الله فلله الحمد على ما
سهل من ذلك من قرب ورزق من الشكر وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من فر بدينه من أرض إلى أرض استوجب الجنة وكان رفيق إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام
وقيل هي في المستضعفين بمكة الذين نزل فيهم ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها
وإنما كان ذلك لأن أمر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة فإياي
فاعبدون في المتكلم نحو إياي ضربته في الغائب وإياك عصيتك في المخاطب
والتقدير فإياي فاعبدون ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول
الفاء جواب شرط محذوف لأن المعنى إن أرضي واسعة فإن لم تخلصوا العبادة
لي في أرض فأخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول
مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص لما أمر عباده بالحرص على العبادة
وصدق الاهتمام بها حتى يطلبوا لها أوفق البلاد وإن شسعت أتبعه قوله كل
نفس ذائقة الموت أي واجدة مرارته وكربه كما يجد الذائق طعم المذوق
معناه إنكم ميتون فواصلون إلى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد من التزود
لها والاستعداد بجهده والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم لننزلنهم

بالياء والنون

من الجنة علالي وقرئ لنثوينهم من الثواء وهو النزول للإقامة يقال ثوى
في المنزل وأثوى وأثوى غيره وثوى غيره متعد فإذا تعدى بزيادة همزة النقل
لم يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب وأذهبته غرفا تجري من تحتها الأنهار
خالدين فيها والوجه في تعديته إلى ضمير المؤمنين وإلى الغرف إما إجراؤه مجرى لننزلنهم
لنبوئنهم أو حذف الجار وإيصال الفعل أو تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم نعم أجر العاملين
وقرئ فنعم بزيادة الفاء الذين صبروا على مفارقة الأوطان والهجرة
لأجل الدين وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي
وعلى ربهم يتوكلون ولم يتوكلوا في جميع ذلك إلا على الله تعالى وكأين
من دابة لما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة
فكان يقول الرجل كيف أقدم بلدة ليس لي فيها معيشة فنزلت والدابة كل نفس دبت
على وجه الأرض عقلت أو لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق أن تحمله لضعفها عن حمله
الله يرزقها وإياكم أي لا يرزق تلك الدواب الضعاف إلا الله تعالى ولا يرزقكم
أيضا أيها الأقوياء إلا هو وإن كنتم مطيقين لحمل أرزاقكم وكسبها لأنه لو لم يقدركم
ولم يقدر لكم أسباب الكسب لكنتم أعجز من الدواب التي لا تحمل وعن الحسن لا تحمل رزقها
لا تدخره إنما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ إلا الإنسان و
النملة والفأرة وعن بعضهم رأيت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابي
إلا أنه ينساها وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم
ولئن سألتهم الضمير لأهل مكة من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن
الله فأنى يؤفكون فكيف يصرفون عن توحيد الله وأن لا يشركوا به مع إقرارهم بأنه
خالق السموات والأرض الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر قدر الرزق وقتره
بمعنى إذا ضيقه الذي رجع إليه الضمير في قوله ويقدر له هو من يشاء
فكأن بسط الرزق وقدره جعلا لواحد يحتمل الوجهين جميعا أن يريد ويقدر
لمن يشاء فوضع الضمير موضع من يشاء لأنهم [?] غير معين وكان الضمير مبهما مثله
وأن يريد تعاقبهما على واحد على حسب المصلحة إن الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد
وما يفسدهم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن

الله

الله قل الحمد لله استحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على انه ممن اقر بنحو ما اقر
به ثم نفعه ذلك في توحيد الله ونفي الانداد والشركاء عنه اقرارا عاطلا كاقرارهم
وعلى انهم اقروا بما هو حجة عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة للصنم
ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك
وصحة التوحيد او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله ولا يفطنون لم حمدت الله عند
مقالتهم وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب فيها ازدراء للدنيا وتصغير لامرها
وكيف لا يصغرها وهي لسرعة زوالها وموتهم عنها الا كلعب الصبيان ساعة ثم
يتفرقون وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي لهي الحيوة مستمرة دائمة خالدة لا موت فيها فكانها
في ذاتها حيوة والحيوان مصدر حيي وقياسه حييان فقلبت الياء الثانية واوا كما
قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا
تشتر من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما في بناء فعلان
من معنى الحركة والاضطراب كالنزوان والنفضان واللهبان وما اشبه ذلك
والحيوة حركة كما ان الموت سكون فمجيئه على بنائه دال على معنى الحركة مبالغة في معنى
الحيوة ولذلك اختيرت على الحيوة في هذا الموضع المقتضي للمبالغة لو كانوا
يعلمون لم يؤثروا الحيوة الدنيا عليها بم اتصل قوله فاذا ركبوا
بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا به من الشرك
والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من
يخلص الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها
آخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب من التهكم فلما نجاهم الى البر اذا هم
يشركون عادوا الى حال الشرك واللام في ليكفروا بما آتيناهم محتملة
ان تكون لام كي وكذلك في وليتمتعوا فيمن قرأها بالكسر والمعنى انهم يعودون الى
شركهم ليكونوا بالعود الى شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ
لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين على الحقيقة اذا انجاهم الله
ان يشكروا نعمة الله في انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة لا
الى التمتع والتلذذ وان تكون لام الامر وقراءة من قرأ وليتمتعوا بالسكون تشهد له

ليس فيها

ونحوه قوله اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير كيف جاز ان يأمر الله تعالى
بالكفر وبان يعمل العصاة ما شاؤا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه هو مجاز
عن الخذلان والتخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية ومثاله ان ترى الرجل قد عزم
على امر وعندك ان ذلك الامر خطأ وانه يؤدي الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله
عن رأيه فاذا لم تر منه الا الاباء والتصميم حردت عليه وقلت انت وشانك فافعل
ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر وكيف والآمر بالشيء مريد له وانت شديد الكراهة متحسر
ولكنك كانك تقول له فاذ قد ابيت قبول النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت
وتبعث عليه ليتبين لك اذا فعلت صحة رأي الناصح وفساد رأيك اولم يروا انا
جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم
بعضا ويتغاورون ويتناهبون واهل مكة قارون آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم
مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم ووبخهم
بانهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة
وغيرها من النعم التي لا يقدر عليها الا الله وحده مكفورة عندهم ومن
اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم ان لله شريكا وكذب
بالحق وتكذيبهم بما جاءهم من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله لما
جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل
المراجيح العقول المتثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية والفكر
ويستأنون الى ان يصح لهم صدقه او كذبه أليس في جهنم تقرير لثوائهم في جهنم كقوله
ألستم خير من ركب المطايا قال بعضهم ولو كان استفهاما لما اعطاه الخليفة
مائة من الابل وحقيقته ان الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى
التقرير فيها وجهان احدهما الا يثوون في جهنم والا يستوجبون الثواء فيها
وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق مثل هذا التكذيب والثاني
الم يصح عندهم ان جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجرأة والذين
جاهدوا فينا اطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما تجب مجاهدته
من النفس الامارة بالسوء ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه

في جهنم مثوى

المرأة والشيطان واعداء الدين فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وعن ابي سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا بما لا نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم وان الله لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين تمت السورة

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين القراءة المشهورة غلبت بضم الغين وسيغلبون بفتح الياء والارض ارض العرب لان الارض المعهودة عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا في ادنى ارض العرب منهم وهي اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى العرب منهم وهي اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اي في ادنى ارضهم الى عدوهم قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس الاردن وفلسطين وقرئ في اداني الارض والبضع ما بين الثلث الى العشر عن الاصمعي وقيل احتربت الروم وفارس بين اذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكة فشق على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل كتاب وفرح المشركون وشمتوا وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رض لا يقرر الله اعينكم فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف كذبت يا ابا فصيل اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلث سنين فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابي من جرح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين وقيل كان النصر يوم بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي وجاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال تصدق به وهذه الآية البينة الشاهدة على صحة النبوة وان القرآن من عند الله لانها انباء عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله وقرئ غلبهم بسكون اللام والغلب مصدر كالجلب والحلب والجلب والجلبة وقرئ غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون في بضع سنين وعند انقضاء هذه المدة اخذ المسلمون في جهاد الروم واضافة المصدر الى المفعول وفي الثانية اضافته الى الفاعل ومعناهما محرم عليكم اخراجهم ولن يخلف الله وعده كيف صحت المناحبة وانما هي قمار عن قتادة انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب ابي حنيفة ومحمد ان العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده ابو بكر بينه وبين ابي بن خلف لله الأمر من قبل ومن بعد اي في اول الوقتين وفي آخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو كونهم مغلوبين وبعد كونهم مغلوبين وهو كونهم غالبين يعني ان كونهم مغلوبين اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله وقضائه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا وآخرا ويومئذ ويوم يغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه ينصر من يشاء من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم وقيل نصر الله انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى تفانوا وتناقصوا وفل هؤلاء شوكة هؤلاء وفي ذلك قوة الاسلام وعن ابي سعيد الخدري وافق ذلك اليوم يوم بدر

اضافة غلبهم تختلف باختلاف القرائتين في احديهما

هذا اليوم نصر المؤمنين وهو العزيز الرحيم ينصر عليكم تارة وينصركم اخرى وعد
الله مصدر مؤكد كقولك لك علي الف درهم عرفا لان معناه اعترف لك اعترافا ووعد
الله ذلك لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون لان ما سبق
في معنى وعد يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون
ذمهم الله عز وجل بانهم عقلاء في امور الدنيا بله في امر الدين وذلك انهم كانوا
اصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن انه بلغ من حذق احدهم انه ياخذ الدرهم فينقره
باصبعه فيعلم انه ردي هو ام جيد وقوله يعلمون بدل من قوله لا يعلمون وفي هذا
الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمك
انه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا وقوله
ظاهرا من الحيوة الدنيا يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما يعرفه الجهال
من التمتع بزخارفها والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الآخرة
يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال الصالحة وفي تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا
ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها وهم الثانية يحتمل ان يكون مبتدا وغافلون خبره
والجملة خبر هم الاولى وآية كانت فذكرها مناد على انهم معدن الغفلة عن
الآخرة ومقرها ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع اولم يتفكروا في انفسهم
يحتمل ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يحدثوا التفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة
من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين كقولك
اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون صلة للتفكر كقولك تفكر في الامر واجال
فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول
وقيل معناه فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه ما خلق الله السموات والارض
الا بالحق واجل مسمى اي ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح وحكمة بالغة ولا لتبقى
خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمى لا بد لها
من ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى
الى قوله افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين
اليه عبثا والباء في قوله الا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا

وان يكون تكريرا

وما بينهما

الفرس بسرجه ولجامه تريد اشتراه وهو ملتبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما
وكذلك المعنى ما خلقها وهي ملتبسة بالحق مقترنة به اذا جعلت في انفسهم
صلة للتفكر فما معناه معناه اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب اليهم من
غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فتدبروا
ما اودعها الله ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم الذي دبر امرها على الاحسان
احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها
جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم
الاجل المسمى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم تقرير لسيرهم في البلاد ونظرهم الى آثار المدمرين من عاد وثمود
وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم احوالهم وانهم كانوا اشد
منهم قوة واثاروا الارض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض
وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمي ثورا لاثارته الارض وبقرة لانها تبقرها اي
تشقها وعمروها يعني اولئك المدمرون اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة
واهل مكة اهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة ارض اصلا ولا عمارة لها رأسا
فما هو الا تهكم بهم وبضعف حالهم في دنياهم لان معظم ما يستظهر به اهل الدنيا ويتباهون
به امر الدهقنة وهم ايضا ضعاف القوى فقوله كانوا اشد منهم قوة [illegible]
هذا ابلغ لانه خالق القوى والقدر وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله
ليظلمهم فما كان تدميره اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكن كانوا
انفسهم يظلمون ولكنهم ظلموا انفسهم حيث عملوا ما اوجب تدميرهم ثم
كان عاقبة الذين اساؤا قرئ عاقبة بالنصب والرفع والسوأى تأنيث الاسوأ
وهو الاقبح كما ان الحسنى تأنيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار
كانت عاقبتهم السوأى الا انه وضع المظهر موضع المضمر اي العقوبة التي هي اسوأ
العقوبات في الآخرة ويجوز ان يكون ان بمعنى اي لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب
وكانوا بها يستهزؤن والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب وما
اشبه ذلك ووجه آخر ان يكون اساؤا السوأى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي

وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون

وهي جهنم التي اعدت للكافرين ان كذبوا بآيات الله بمعنى لان كذبوا [illegible]

اسوأ الخطايا وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما
ولو ارادة للابهام اللّه يبدؤ الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون اى الى ثوابه
وعقابه وقرئ بالياء والتاء ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون الابلاس
ان يبقى بائسا ساكتا متحيرا يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج ومنه الناقة
المبلاس التى لا ترغو وقرئ يبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته ولم يكن لهم
من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله شفعؤا وكانوا بشركائهم كافرين
اى يكفرون بالاهيتهم ويجحدونها او وكانوا فى الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعؤا
فى المصحف بواو قبل الالف كما كتب علمؤا بنى اسرائيل وكذلك كتبت السوأى بالالف
قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذى منه حركتها ويوم تقوم الساعة
يومئذ يتفرقون الضمير فى يتفرقون للمسلمين والكافرين لدلالة ما بعده عليه
وعن الحسن هو تفرق المسلمين والكافرين هؤلاء فى اعلى عليين وهؤلاء فى اسفل السافلين
وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم فى روضة فى بستان وهى الجنة والتنكير لابهام امرها وتفخيمه والروضة
عند العرب كل ارض ذات نبات وماء وفى امثالهم احسن من بيضة فى روضة
يريدون بيضة النعامة يحبرون يسرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه
وظهر فيه اثره ثم اختلفت فيه الاقاويل لاحتماله جميع وجوه المسار فعن مجاهد
يكرمون وعن قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابى بكر بن عياش التيجان على
رؤسهم وعن وكيع السماع فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه ذكر الجنة
وما فيها من النعيم وفى آخر القوم اعرابى فقال يا رسول الله هل فى الجنة من سماع قال
نعم يا اعرابى ان فى الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل خوصانية يتغنين باصوات
لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوى فسالت ابا الدرداء
بم يتغنين قال بالتسبيح وروى ان فى الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد
اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع فى تلك الاشجار فتحرك تلك
الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا واما الذين كفروا وكذبوا
بآياتنا ولقاء الآخرة فاولئك فى العذاب محضرون لا يغيبون عنه ولا يخفف عنهم

كقوله وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم فسبحان الله حين تمسون وحين ت
صبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون
لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه ذكر ما يوصل الى الوعد وينجى من الوعيد والمراد بالتسبيح
ظاهره الذى هو تنزيه الله تعالى من السوء والثناء عليه بالخير فى هذه الاوقات
لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلوة وقيل لابن عباس هل تجد الصلوات
فى القرآن قال نعم وتلا هذه الآية تمسون صلوتا المغرب والعشاء وتصبحون صلوة
الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون الظهر وقوله متصل بقوله حين تمسون وقوله وله
الحمد فى السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه ان المميزين كلهم من اهل السموات
والارض يحمدونه لم ذهب الحسن رحمه الله الى ان هذه الآية مدنية
انه فرضت الصلوة الخمس بالمدينة وكان الواجب بمكة ركعتين فى غير وقت معلوم
القول الاكثر ان الخمس انما فرضت بمكة وعن عائشة رضى الله عنها فرضت الصلوة ركعتين
فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة اقرت صلوة السفر وزيد فى الحضر
وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى فليقل
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته
فى يومه ومن قاله حين يمسى ادرك ما فاته فى ليلته وفى رواية عكرمة حينا تمسون
وحينا تظهرون والمعنى تمسون فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزى نفس عن نفس
شيئا يعنى فيه يخرج الحى من الميت البيضة من الطائر ويحيى الارض بعد موتها
واحياء الارض اخراج النبات منها وكذلك تخرجون مثل ذلك الاخراج
تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة متساويان فى قدرة
من هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحى واخراج الحى من الميت
الميت واما الحى وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء ومن آياته ان خلقكم
من تراب لانه خلق اصلهم منه ثم اذا انتم بشر تنتشرون واذا للمفاجاة تقديره
ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا منتشرين فى الارض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا
ونساء ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من
ضلع آدم والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من شكل انفسكم وجنسها

لا من جنس آخر لتسكنوا إليها وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف
والسكون وما بين الجنسين المختلفين من التنافر وجعل بينكم مودة ورحمة التوادد والتراحم
بعصمة الزواج بعد أن لم تكن بينكم سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف
من قرابة او رحم وعن الحسن المودة كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال ورحمة
منا وقال ذكر رحمة ربك عبده ويقال سكن اليه اذا مال اليه كقولهم انقطع اليه و
اطمأن اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول وقيل ان المودة و
الرحمة من قبل الله وان الفرك من الشيطان ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم الالسنة اللغات او
اجناس النطق واشكاله خالف عز وعلا بين هذه الاشياء حتى لا تسمع منطقين متفقين
في همس واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب
ولا غير ذلك من صفات النطق واحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان و
تنويعها ولاختلاف ذلك وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا
لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وربما رايت توأمين يشتبهان
في الحلية فيعروك الخطاء في التمييز بينهما وتعرف حكمة الله في المخالفة بين الحلى
ان في ذلك لآيات وفي ذلك لآية بينة حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل
فذ وهم على الكثرة التي لا يعلمها الا الله مختلفون وقرئ للعالمين بفتح اللام
وكسرها ويشهد للكسر قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون ومن آياته منامكم
بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله هذا من باب اللف وترتيبه ومن
آياته منامكم وابتغاؤكم من فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين
بالقرينين الاخرين لانهما زمانان والزمان والواقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف على
الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما والظاهر هو الاول
لتكرره في القرآن واسد المعاني ما دل عليه القرآن ان في ذلك لآيات
لقوم يسمعون يسمعونه بالآذان الواعية ومن آياته يريكم البرق
وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير
من ان تراه وقول القائل وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح آثر ذي اثير

خوفا من الصاعقة او من الاخلاف وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر
وهما منصوبان على المفعول له   من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل
المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك   فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون
في المعنى لانهم راؤون فكأنه قيل يجعلكم رائين البرق خوفا وطمعا والثاني ان
يكون على تقدير المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين وينزل من السماء ماء
فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون قرئ ينزل
بالتشديد ومن آياته ان تقوم السماء والارض قيام السماء والارض واستمساكهما
بغير عمد بأمره اي بقوله كونا قائمين والمراد باقامته لهما وارادته لكونهما
على صفة القيام دون الزوال وقوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة
موقع المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والارض ثم اذا دعاكم
دعوة من الارض اذا انتم تخرجون ثم خروج السموات والارض واستمساكهما
بغير عمد بأمره اي بقوله كونا قائمين والمراد لمقامته لهما وارادته لكونهما
على صفة القيام دون الزوال وقوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يريكم في ايقاع الجملة موقع
المفرد على المعنى كأنه قال ومن آياته قيام السموات والارض ثم خروج الموتى من
القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك
من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل دعوت كليبا
دعوة فكأنما دعوت به ابن الطود او هو اسرع يريد بابن الطود الصدى او الحجر اذا
تدهدى وانما عطف هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من
ذلك الامر واقتداره على مثله وهو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا يبقى نسمة من الاولين
والاخرين الا قامت تنظر كما قال عز وعلا ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون
وقوله من الارض كما يجوز ان يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من
اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي فطلع الي   يتعلق من الارض
بالفعل ام بالمصدر   هيهات اذا جاء نهر الله بطل نهر معقل
بين اذا واذا   الاولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء في جواب

السوط ولي يخرجون بضم التاء وفتحها **وله من في السموات والارض كل له**
قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه **هو الذي يبدؤا**
الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم ويقتضيه
عقولكم لان من اعاد منكم صنعة شيء كانت اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون
للصانع اذا خطي في بعض ما ينشئه بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر في صناعته
معاودا تعنون انه عاودها كرة بعد اخرى حتى مرن عليها وهانت عليه لم ذكر
في قوله وهو اهون والمراد به الاعادة معناه وان يعيده اهون
لم اخرت الصلة في قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين وان كان
مستصعبا عندكم ان يولد بين هم وعاقر واما ههنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني
على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء فلو قدمت الصلة لتغير المعنى
ما بال الاعادة استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم حتى كانها فضلت على قيام السموات
والارض بامره ثم هونت بعد ذلك الاعادة في نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس
الى الانشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه ان البعث اهون على الخلق من الانشاء
لان تكوينه في حد الاستحكام والتمام اهون عليه واقل تعبا وكدا من ان تنقل في
احوال وتتدرج فيها الى ان يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه تذكيره
وهو ان الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا يفعله
والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب
والافعال اما محال والمحال ممتنع اصلا خارج عن المقدور واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف
وهو القبيح وهو رديف المحال لان الصارف يمنع عن وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما
تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل ان يفعله وان لا يفعله واما واجب لا بد من فعله
ولا سبيل الى الاخلال به فكان الواجب ابعد الافعال عن الامتناع واقربها من الحصول
فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب كانت ابعد الافعال من الامتناع واذا كانت ابعدها من
الحصول اذا كانت ابعدها من الامتناع كانت ادخلها في التأتي والتسهل فكانت اهون
منها واذا كانت اهون منها كانت اهون من الانشاء **وله المثل الاعلى في السموات والارض** اي
الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله قد عرف به ووصف

هنالك قصد الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين

السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو انه القادر الحكيم الذي لا يعجز عن شيء من انشاء
واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله **وهو العزيز الحكيم** اي القاهر
لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل الاعلى
قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى في السموات والارض اي قوله هو اهون
عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول
من الاولى والثالثة في قوله من انفسكم **من ما ملكت ايمانكم من شركاء**
الاولى للابتداء كانه قيل اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهي انفسكم ولم يبعد
والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه
هل ترضون لانفسكم وعبيدكم امثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم
فيما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون انتم وهم فيه على السواء من غير
تفضلة بين حر وعبد **تخافونهم كخيفتكم انفسكم** تهابون ان تستبدوا بتصرف
دونهم وان تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا
بذلك لانفسكم فكيف ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان تجعلوا بعض
عبيده له شركا **كذلك** اي مثل هذا التفصيل نفصل الآيات اي نبينها لان التمثيل مما
يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير والتشكيل لها الا ترى كيف صور
الشرك بالصورة المشوهة **بل اتبع الذين ظلموا** اي اشركوا كقوله تعالى ان الشرك
لظلم عظيم **اهواءهم بغير علم** اي اتبعوا اهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه
ردعه علمه وكفه واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه **فمن يهدي من
اضل الله** من خذله ولم يلطف به لعلمه انه ممن لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله
وقوله **وما لهم من ناصرين** دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان **فاقم وجهك
للدين** فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا وشمالا وهو تمثيل لاقباله على
الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشيء عقد عليه
طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه و**حنيفا** حال من المامور
او من الدين **فطرة الله** الزموا فطرة الله او عليكم فطرة الله وانما اضمرته على خطاب
الجماعة لقوله **منيبين اليه** ومنيبين حال من الضمير في الزموا وقوله **واتقوه**

الذي هو الوصف ... ضرب لكم من انفسكم ... وله المثل الاعلى

التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون

وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة
الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام
غير نائين عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا
لما اختاروا عليه دينا آخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله
عليه السلام كل عبادي خلقت حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان
يشركوا بي غيري وقوله كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه
وينصرانه لا تبديل لخلق الله اي ما ينبغي ان تبدل تلك الفطرة او يبدل
لم وحد الخطاب اولا ثم جمع خوطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اولا
وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان
والتلخيص من الذين بدل من المشركين فرقوا دينهم دين الاسلام
وقرئ فارقوا دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا
شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها الذي اضلها كل حزب بما لديهم فرحون بمذهبه
مسرورون يحسب باطله حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا عما قبله ومعناه من
المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل
كقوله وكل خليل غير هاضم نفسه واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين
اليه الضر الشدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك ثم اذا اذاقهم منه رحمة
اذا فريق منهم بربهم يشركون ما لرحمة الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا
بما آتيناهم مجاز مثلها في ليكون لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم فسوف
تعلمون وبال تمتعكم وقرأ ابن مسعود وليتمتعوا ام انزلنا عليهم سلطانا
السلطان الحجة فهو يتكلم وتكلمه مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق
به القرآن ومعناه الدلالة والشهادة كأنه قال فهو يشهد بشركهم وبصحته
بما كانوا به يشركون فما مصدرية اي بكونهم بالله يشركون ويجوز ان تكون موصولة
ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون ويحتمل ان يكون المعنى
ام انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي
بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة من مطر وسعة

او صحة فرحوا بها وان تصبهم سيئة اي بلاء من جدب او ضيق او مرض
بما قدمت ايديهم والسبب فيها شؤم معاصيهم اذا هم يقنطون قنطوا
من الرحمة اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك
لآيات لقوم يؤمنون ثم انكر عليهم بانهم قد علموا انه الباسط القابض فما لهم
يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة
من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته فآت ذا القربى حقه كصلة الرحم
وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة
بهذه الآية في وجوب النفقة بالقرابة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب
وعند الشافعي لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات
على ابن العم لانه لا ولاد بينهم كيف تعلق قوله فآت ذا القربى بما قبله حتى
جيء بالفاء لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل
وما يجب ان يترك ذلك خير للذين يريدون وجه الله يحتمل ان يراد بوجهه ذاته
او جهته وجانبه اي يقصدون بمعروفهم اياه خالصا وحقه لقوله تعالى الا ابتغاء
وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان
ولكن الطريقة مختلفة واولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربو في اموال
الناس فلا يربو عند الله هذه الآية في معنى قوله عز وجل يمحق الله الربا ويربي
الصدقات سواء بسواء يريد وما اعطيتم اكلة الربا من ربا ليربو في اموالهم
ويزكوا في اموالهم فلا يزكوا عند الله ولا يبارك وما آتيتم من زكاة اي صدقة
تريدون بها وجه الله تبتغون به وجهه خالصا لا تطلبون به مكافأة ولا ريا
وسمعة فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من الحسنات ونظير المضعف المقوي
والموسر لذي القوة واليسار وقرئ بفتح العين وقيل نزلت في ثقيف وكانوا يربون
وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل او يهدي له ليعوضه اكثر مما وهب او اهدى وليست
تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربا ربوان
فالحرام كل قرض يؤخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذي ليس بحرام ان يستدعي
بهبته او هديته اكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وما اتيتم من

ربوا بمعنى وما غشيتم او رهقتموه من اعطاء ربوا وقرئ لتربوا اي لتزيدوا في
كقوله ويربي الصدقات اي يزيدها وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه
قال للملائكة وخواص خلقه فاولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون
فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير
يرجع الى ما ووجه آخر وهو ان يكون تقديره فمؤتوه فاولئك هم المضعفون والحذف
لما في الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل مأخذا والاول املأ بالفائدة الله
مبتدأ وخبره الذي خلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم اي الله هو فاعل هذه الافعال
الخاصة التي لا يقدر على شيء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين
اتخذتموهم اندادا له من الاصنام وغيرها من يفعل شيئا قط من تلك الافعال حتى
يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم ويجوز ان يكون الذي خلقكم
صفة للمبتدأ والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط الجملة بالمبتدأ
لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة
بتاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم ظهر الفساد في البر والبحر نحو الجدب و
القحط وقلة الريع في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس و
الدواب وكثرة الحرق والغرق واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيء
وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار وعن ابن عباس رضي الله عنهما اجدبت الارض وانقطعت
مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن
البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار وقرئ في البر و
البحور بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن آدم
اخاه وفي البحر بان جلندي كان ياخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجع راجعون من الضلال و
الظلم ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي بكسب الناس ذلك
ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون اما على التعليل الاول فظاهر وهو
ان الله قد افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم وبال بعض اعمالهم ارادة الرجوع

سبحانه وتعالى عما يشركون

فكانهم انما افسدوا وتسببوا لفشو المعاصي لغضب الله ونكاله حيث امرهم
بان يسيروا فينظروا الكيف في الدنيا قبل ان يذيقهم جميعها في الآخرة لعلهم يرجعون
عما هم عليه واما على الثاني فاللام مجاز على معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به
ان يذيقهم الله وبال اعمالهم ارادة الرجوع فكانهم انما افسدوا وتسببوا لفشو
المعاصي في الارض لاجل ذلك وقرئ لنذيقهم بالنون ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله
ونكاله حيث امرهم بان يسيروا فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء
العاقبة بمعاصيهم ودل بقوله كان اكثرهم مشركين على ان الشرك وحده لم يكن
سبب تدميرهم وان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك فاقم
وجهك للدين القيم البليغ الاستقامة التي لا يتأتى فيه عوج من قبل ان يأتي
يوم لا مرد له من الله اما ان يتعلق بيأتي فيكون المعنى من قبل ان يأتي من الله يوم
لا مرده له من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد احد كقوله فلا يستطيعون ردها
او بمرد على معنى لا يرده هو بعد ان يجيء به ولا رد له من جهته والمرد مصدر بمعنى
الرد يومئذ يصدعون يتصدعون اي يتفرقون كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون من كفر فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار
من ضار كفره فقد احاطت به كل مضرة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون
اي يسوون لانفسهم ما يسويه لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في
مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده من نتوء او قضض او بعض ما يؤذي الراقد
ويجوز ان يريد على انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق ام فرشت فانامت وتقديم
الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر لا يتعداه
ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المؤمن لا تتجاوزه ليجزي الذين آمنوا
وعملوا الصالحات متعلق بيمهدون تعليل له من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية
الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد
حصول الثواب الذي هو تبع له او اراد من عطائه وهو ثوابه لان الفضول والفواضل
هي الاعطية عند العرب وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح
لتقرير انه لا يفلح عنده الا المؤمن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير

قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل

على الطرد والعكس ومن آياته أن يرسل الرياح الجنوب والشمال والصبا وهي رياح
الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا
تجعلها ريحا وقد عدد الأغراض في إرسالها وأنه أرسلها للبشارة بالغيث ولإذاقة
الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه والروح الذي مع هبوب الريح
وزكاء الأرض قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا كثرت المؤتفكات زكت
الأرض وإزالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك
في البحر بأمره عند هبوبها وإنما زاد بأمره لأن الريح قد تهب ولا تكون مواتية فلا بد من إرساء
السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فأغرقتها ولتبتغوا من فضله يريد تجارة
البحر ولتشكروا نعمة الله فيها ... ثم تعلق ولنذيقكم فيه وجهان أن
يكون معطوفا على مبشرات على المعنى كأنه قيل ليبشركم ولنذيقكم وأن يتعلق
بمحذوف تقديره ولنذيقكم وليكون كذا وكذا ولقد أرسلنا من قبلك رسلا
إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا اختصر الطريق
إلى الغرض بأن أدرجت ذكر الانتصار والظفر ذكر الفريقين وما خلى الكلام
إذ لا عن ذكرها وقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين تعظيم للمؤمنين ورفع
من شأنهم وتأهيل لكرامة سنية وإظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين
على الله أن يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام منهم حقا
ثم يبتدي علينا نصر المؤمنين وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من امرئ مسلم
يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا
قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا
فيبسطه في السماء كيف يشاء متصلا تارة ويجعله كسفا أي قطعا
تارة فترى الودق يخرج من خلاله في التارتين جميعا فإذا أصاب به
من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون المراد بالسماء سمت السماء وشقها
كقوله وفرعها في السماء بإصابة بلادهم وأراضيهم وإن كانوا من قبل
أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله
تعالى وكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على

مبشرات ولنذيقكم من رحمته

ولعلكم تشكرون

أن عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم يأسهم وتمادى إبلاسهم وكان
الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك فانظر إلى آثار رحمة الله قرئ أثر وآثار على
الوحدة والجمع وقرأ أبو حيوة وغيره كيف تحيي أي الرحمة إن ذلك يعني إن
ذلك القادر الذي يحيي الأرض بعد موتها لمحيي الموتى هو الذي يحيي الناس بعد موتهم
وهو على كل شيء قدير من المقدورات قادر وهذا من جملة المقدورات بدليل الإنشاء
ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا فرأوا أثر رحمة الله لأن رحمة الله هي الغيث
وأثرها النبات واسم النبات على القليل والكثير لأنه مصدر سمي به ما ينبت
ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط ولظلوا جواب القسم
سد مسد الجوابين أعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله
عز وجل بأنه إذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا أذقانهم على صدورهم
مبلسين فإذا أصابهم برحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فإذا أرسل
ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا بنعمة الله فهم في جميع هذه الأحوال
على الصفة المذمومة كان عليهم أن يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا وأن يشكروا نعمته
ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وأن يصبروا على بلائه فكفروا
والريح التي اصفر لها النبات يجوز أن تكون حرورا وحرجفا فكلتاهما مما يصوح
النبات ويصيره هشيما وقال مصفرا لأن تلك صفرة حادثة وقيل فرأوا السحاب
مصفرا لأنه إذا كان كذلك لم يمطر فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء
إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا
من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون الله الذي خلقكم من ضعف قرئ بفتح
الضاد وضمها وهما لغتان والضم أقوى في القراءة لما روي ابن عمر قال قرأتها على
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ضعف فقرأ من ضعف وقوله خلقكم من ضعف كقوله
خلق الإنسان ضعيفا أي ابتدأناكم في أول الأمر ضعافا وذلك حال الطفولية
والنشو حتى يبلغ وقت الاحتلام ثم جعل من بعد ضعف قوة تلك حال القوة
إلى الاكتهال وبلوغ الأشد ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ثم ردكم
إلى أصل حالكم وهو الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف النطفة كقوله من

كيف يحيي الأرض بعد موتها

من بعده يكفرون

والشيبة

يخلق ما يشاء وهو العليم القدير وهذا الترديد في الاحوال المختلفة والتغيير
من هيئة الى هيئة وصفة الى صفة اظهر دليل واعدل شاهد على الصانع العليم القدير
ويوم تقوم الساعة القيمة سميت بذلك لانها تقوم في آخر ساعة من ساعات
الدنيا او لانها تقع بغتة وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم
للثريا والكوكب للزهرة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ارادوا لبثهم في الدنيا
او في القبور او فيما بين فناء الدنيا الى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا الى البعث اربعون
قالوا لا نعلم اربعون سنة ام اربعون الف سنة وذلك وقت يفنون فيه وينقطع
عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له او ينسون
او يكذبون او يخمنون كذلك كانوا يؤفكون اي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون
عن الصدق والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون امرهم على خلاف الحق او
مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون في الاغترار بما تبين لهم الآن انه ما كان الا
وقال الذين اوتوا العلم والايمان القائلون هم الانبياء والمؤمنون لقد
لبثتم في كتاب الله في اللوح او في علم الله وقضائه او فيما كتبه الى يوم
البعث اى اوجبه بحكمته ردوا على ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة
ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم
كنتم لا تعلمون انه حق لتفريطكم في طلب الحق فما هذه الفاء وما
حقيقتها هي التي في قوله فقد جئنا خراسانا وحقيقتها انها جواب شرط
يدل عليه الكلام كأنه قال ان صح ما قلتم من ان خراسان اقصى ما يراد بنا فقد جئنا
خراسان وآن لنا ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اي فقد تبين
بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك فيومئذ لا ينفع قرئ بالياء والتاء
الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون من قولك استعتبني فلان فاعتبته
اي استرضاني فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه
الا ترى الى قوله غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم كيف جعلهم غضابا
ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا
ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون

الملائكة وص

كيف جعلوا غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله فما هم
من المعتبين اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه
انهم غير راضين بما هم فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم وهم عاتبون على الجاني
غير راضين عنه فان يستعتبوا الله اي يسألوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى
ازالته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولقد وصفنا لهم كل صفة
كأنها مثل في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كصفة المبعوثين يوم
القيمة وقصتهم وما يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من
استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم ومج اسماعهم حديث الآخرة ولئن جئتهم واذا
جئتهم بآية من آيات القرآن ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون قالوا
جئتنا بزور وباطل ثم قال كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الذين
لا يعلمون على قلوب الذين لا يعلمون ومعنى طبع الله منع الالطاف التي تنشرح لها
الصدور حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم انها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع
المواعظ الموعظة من يتبين له ان الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية
عن قسوة قلوبهم وركوب الصدأ والرين اياها فكأنه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب
الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم اعرق خلق الله في تلك الصفة فاصبر
ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين كله حق لا بد من انجازه والوفاء
به ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم شاكون
ضالون لا يستبدع منهم مثل ذلك وقرئ بتخفيف النون وقرأ ابن ابي اسحق و
يعقوب فلا يستحقنك اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

على عداوتهم

ولا يستخفنك الذين لا يوقنون

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب
الحكيم ذي الحكمة او وصف بصفة الله عز وجل على الاسناد المجازي ويجوز
ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد
الجر استكن في الصفة المشبهة هدى ورحمة بالنصب على الحال عن الآيات والعامل
فيها ما في تلك من معنى الاشارة وبالرفع على انه خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف
للمحسنين للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها الذين يقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة
والايقان بالآخرة ونظيره قول اوس الالمعي الذي يظن بك الظن كان قد رأى وقد
سمعا حكي عن الاصمعي انه سئل عن الالمعي فانشده ولم يزد او للذين يعملون جميع ما يحسن
من الاعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الثلاث لفضل اعتداده بها
اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ومن الناس من يشتري لهو
الحديث اللهو كل باطل الهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير و
الاحاديث التي لا اصل لها والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي
من كان وكان ونحو الغناء وتعلم الموسيقار وما اشبه ذلك وقيل
نزلت في النضر بن الحارث وكان يتجر الى فارس فيشتري كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا
ويقول ان كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم
باحاديث رستم وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون
استماع القرآن وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق
به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد
صلى الله عليه وآله وسلم من الصلوة والصيام وان يقاتل بين يديه وفي حديث النبي
عليه الصلوة والسلام لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا اثمانهن
وعنه ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب و
الآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل
الغناء منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب ما معنى اضافة اللهو الى
الحديث معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف الشيء الى ما هو منه

كقولك صفة خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون
من الحديث ومن غيره فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث
الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من
التبعيضية كأنه قيل ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقوله
يشتري اما من الشراء على ما روي عن النضر من شراء كتب الاعاجم او من شراء القيان
واما من قوله اشتروا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة
اشتراؤه استحبابه يختار حديث الباطل على حديث الحق وقرئ ليضل بضم الياء وفتحها
عن سبيل الله دين الاسلام او القرآن القراءة بالضم بينة لان النضر كان
غرضه باشتراء اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام واستماع القرآن و
يضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح فيه معنيان احدهما ليثبت على ضلاله الذي
كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة في عداوة
الله وصد الناس عنه والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان ضالا
لا محالة فدل بالرديف على المردوف ما معنى قوله بغير علم لما جعله مشتريا
لهو الحديث بالقرآن قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث يستبدل الضلال
بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي وما
كانوا مهتدين للتجارة بصراء وقرئ ويتخذها هزوا بالنصب والرفع عطفا على يشتري
او ليضل والضمير للسبيل لانها مؤنثة كقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله ويبغونها
عوجا اولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا ذاما لا يعبأ بها ولا
يرفع بها رأسا تشبه حاله في ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كأن في اذنيه
وقرا اي ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال ما محل الجملتين المصدرتين
بكأن الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز ان
يكونا استينافين والاصل في كأن المخففة كأنه والضمير ضمير الشأن فبشره بعذاب
اليم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله
حقا مصدران مؤكدان الاول مؤكد لنفسه والثاني مؤكد لغيره لان قوله لهم جنات
النعيم في معنى وعدهم الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال

على معنى اثبات اكد به معنى الوعد وموكدهما جميعا قوله لهم جنات النعيم وهو العزيز
الذي لا يغلبه شيء ولا يعجزه يقدر على الشيء وضده فيعطي النعم من يشاء والبؤس
من يشاء وهو الحكيم لا يشاء الا ما يوجبه الحكمة والعدل خلق السموات
والارض بغير عمد ترونها الضمير فيه للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير
معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك انا بلا سيف ولا رمح تراني
ما محلها من الاعراب لا محل لها لانها مستانفة او هي في محل الجر صفة للعمد
اي بغير عمد مرئية يعني انه عمدها بعمد لا ترى وهي امساكها بقدرته والقى في الارض
رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وانزلنا من السماء ماء فانبتنا
فيها من كل زوج كريم هذا اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته خلق الله
والخلق بمعنى المخلوق فاروني ماذا خلق الذين من دونه آلهتهم بكتهم بان هذه الاشياء العظيمة
مما خلقه الله وانشأه فاروني ماذا خلقته آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العبادة
بل الظالمون ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط في ضلال مبين
لبين بعده ضلال ولقد آتينا لقمان الحكمة هو لقمان بن باعورا ابن اخت
ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر وعاش الف سنة وادرك داود
عليه السلام واخذ منه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى
فقيل له فقال الا اكتفي اذا كفيت وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل والاكثر على
انه كان حكيما ولم يكن نبيا وعن ابن عباس رضي الله عنهما لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا
ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله تعالى العتق ورضي قوله ووصيته فقص
امره في القرآن لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير
بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعن ابن المسيب كان اسود من سودان
مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين مشقق
القدمين وقيل كان نجارا وقيل راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة
وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما
كلام رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض وروي ان رجلا وقف عليه
في مجلسه فقال الست الذي ترعى معي في مكان كذا قال بلى فما بلغ بك ما ارى قال صدق

والصمت عما لا يعنيني وروي انه دخل على داود وهو يبيع الدرع وهو يسرد
الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يساله فادركته الحكمة فسكت
فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال
له داود بحق ما سميت حكيما وروي ان مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج
منها اطيب مضغتين فاخرج اللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال هما اطيب
ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه قال لاسود
لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان
ان اشكر لله ان هي المفسرة لان ايتاء الحكمة الاصلية والعلم الحقيقي هو العمل
وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر ومن يشكر فانما
يشكر لنفسه ومن كفر فان الله غني غير محتاج الى الشكر حميد حقيق بان
يحمد وان لم يحمده احد واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه قيل كان اسم ابنه انعم
وقال الكلبي اشكم وقيل كان ابنه وامرأته كافرين فما زال بهما حتى اسلما يا بني لا
تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم لان التسوية بين من لا نعمة الا هي منه
ومن لا نعمة منه البتة ولا يتصور منه ظلم لا يكتنه عظمه ووصينا الانسان
بوالديه حملته امه اي حملته تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا على بدء
يعني يعوده عودا على بدء وهو في موضع الحال والمعنى انها تضعف ضعفا فوق
ضعف اي يتزايد ضعفها ويتضاعف لان الحمل كلما ازداد وعظم ازداد ثقلا وضعفا وقرئ
وهنا على وهن بالتحريك من انهن يهن ويقال وهن تهن ووهن يهن وفصاله في عامين
ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وقرئ وفصله ان اشكر تفسير لوصينا
وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم اراد بنفي العلم به نفيه اي
لا تشرك بي ما ليس بشيء يريد الاصنام كقوله ما يدعون من دونه من شيء
ولا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا او مصاحبا معروفا
بخلق جميل وحلم واحتمال وبر وصلة وما يقتضيه الكرم والمروة واتبع
سبيل من اناب الي بعد واتبع سبيل المؤمنين في دينك ولا تتبع سبيلهما
فيه وان كنت مأمورا بحسن مصاحبتهما في الدنيا ثم الي مرجعكم

مرجعك ومرجعهما **فأنبئكم بما كنتم تعملون** فاجازيك على ايمانك واجازيهما على كفرهما علم بذلك حكم الدنيا وما يجب على الانسان في صحبتهما ومعاشرتهما من مراعاة حق الابوة وتعظيمها لهما من المواجب التي لا يسوغ الاخلال بها ثم بين حكمهما وحالهما في الآخرة وروي انها نزلت في سعد بن ابي وقاص رض وامه وفي القصة انها مكثت ثلاثا لا تطعم ولا تشرب حتى شجروا فاها بعود وروي انه قال لو كان لها سبعون نفسا فخرجت لما ارتددت الى الكفر هذا الكلام كيف وقع في اثناء وصية لقمان هو كلام اعترض به على سبيل الاستطراد تاكيدا لما في وصية لقمن من النهي عن الشرك فقوله حملته امه وهنا على وهن وفصاله في عامين كيف اعترض به بين المفسر والمفسر لما اوصى بالوالدين ذكر ما يكابده الام وتعانيه من المشاق والمتاعب في حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة ايجابا للتوصية بالوالدة خصوصا وتذكيرا بحقها العظيم مفردا ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن قال له بعد ذلك ثم اباك وعن بعض العرب انه حمل امه الى الحج على ظهره وهو يقول في حدائه بنفسه احمل امي وهي الحماله ترضعني الدرة والعلالة ولا يجازى والد فعاله ما معنى توقيت الفصال بعامين المعنى في توقيته بهذه المدة انها الغاية التي لا يتجاوز والامر فيما دون العامين موكول الى اجتهاد الام ان علمت انه يقوى على الطعام فلها ان تفطمه يدل عليه قوله عز وعلا والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وبه استشهد الشافعي رض على ان مدة الرضاع سنتان لا يثبت حرمة الرضاع بعد انقضائها وهو مذهب ابي يوسف ومحمد واما عند ابي حنيفة فمدة الرضاع ثلثون شهرا وعن ابي حنيفة ان فطمته قبل العامين فاستغنى بالطعام ثم ارضعته لم يكن رضاعا وان اكل اكلا ضعيفا لم يستغن به عن الرضاع ثم ارضعته فهو رضاع محرم **يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل** قرئ

مثقال حبة بالنصب والرفع فمن نصب كان الضمير للهنة من الاساءة او الاحسان اي ان كانت مثلا في الصغر والقماءة كحبة الخردل **فتكن في صخرة** فكانت مع صغرها في اخفى موضع واحرزه كجوف الصخرة **او في السموات او في الارض** او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي **يأت بها الله** يوم القيامة فيحاسب بها عاملها **ان الله لطيف** يتصل علمه الى كل خفي **خبير** عالم بكنهه وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير بمستقرها ومن قرأ بالرفع كان ضمير القصة وانما انث المثقال لاضافته الى الحبة كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم وروي ان ابن لقمن قال له ارأيت الحبة تكون في مقل البحر اي في مغاصه يعلمها الله فقال ان الله يعلم اصغر الاشياء في اخفى الامكنة لان الحبة في الصخرة اخفى منها في الماء وقيل الصخرة هي التي تحت الارض وهي السجين تكتب فيها اعمال الكفار وقرئ فتكن بكسر الكاف من وكن الطائر يكن اذا استقر في وكنته وهي مقره ليلا **يا بني اقم الصلوة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك** يجوز ان يكون عاما في كل ما يصيبه من المحن وان يكون خاصا بما يصيبه فيما امر به من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اذى من يبعثهم على الخير وينكر عليهم الشر ان ذلك مما عزمه الله من الامور اي قطعه قطع ايجاب والزام ومنه الحديث لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل اي لم يقطعه بالنية الا ترى الى قوله لمن لم يبيت الصيام ومنه ان الله يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب ان يؤخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات الله عزمات الملوك وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن للمعزوم عليه مندوحة من فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر واصله مصدرا في معنى الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وانها في الاديان كلها مامور بها في سائر الامم وان الصلوة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الاديان كلها **ولا تصعر خدك للناس** تصاعر وتصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه بمعنى والصعر والصيد

داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك تواضعا ولا
تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون ولا تمش مرحا اوقع
المصدر موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد ولا تمش لاجل المرح والاشر اي لا
يكون غرضك في المشي البطالة والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم
ديني او دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء
والمختال مقابل للماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده كبرا واقصد في مشيك واعدل
فيه حتى يكون مشيا بين مشيين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثيب الشطار
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن واما قول عائشة
في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت
وقرئ واقصد بقطع الهمزة اي سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه
نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من
فلان اذا قصر به ووضع منه ان انكر الاصوات اوحشها من قولك
شيء نكر اذا انكرته النفوس فاستوحشت منه ونفرت لصوت الحمير والحمار
مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا
وتفاديهم من اسمه انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل
الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد في مساوي الاداب ان يجري ذكر
الحمار في مجلس قوم من اولي المروة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا منه
الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق ثم اخلاء الكلام
من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا
مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب
عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان لم وحد صوت الحمير ولم يجمع
ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من احاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد
ان كل جنس من الحيوان الناطق له صوت وانكر الاصوات هذه الاجناس
صوت هذا الجنس فوجب توحيده الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات
الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار والمعادن

والدواب وما لا يحصى واسبغ عليكم قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين
اجتمع معه الخاء والغين والقاف تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ
صالغ نعمه ونعمة ونعمته ما النعمة كل نفع قصد به الاحسان
والله عز وجل خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان واما غير حيوان فما ليس
بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه لانه
لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو
نعمة لم كان خلق العالم مقصودا به الاحسان لانه لا يخلقه
الا لغرض والا كان عبثا والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع
اليه من نفع لانه غني غير محتاج الى المنافع فلم يبق الا ان يكون لغرض
يرجع الى الحيوان وهو نفعه ظاهرة وباطنة فما معنى الظاهرة و
الباطنة الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا
بدليل او لا يعلم اصلا فكم في بدن الانسان من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي
الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصرة
على الاعداء والباطنة الامداد من الملائكة وعن الحسن الظاهرة الاسلام
والباطنة الستر وعن الضحاك الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية
الاعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح
الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك ويروى في دعاء موسى
عليه السلام الهي دلني على اخفى نعمتك على عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس و
يروى ان ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس ومن الناس من
يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل
الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان الشيطان يدعوهم
الى عذاب السعير معناه ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم اي في حال دعاء
الشيطان آباءهم الى العذاب ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن قرأ علي
ابن ابي طالب رضي الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال اسلم امرك وسلم امرك الى الله
ماله عدي بالى وقد عدي باللام في قوله بلى من اسلم وجهه لله

معناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا له و
معناه مع الى انه سلم نفسه كما يسلم المتاع الى الرجل اذا دفع اليه والمراد التوكل
عليه والتفويض اليه فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل مثلت حال
المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق
عروة من حبل متين مامون انقطاعه والى الله عاقبة الامور اي هي صائرة اليه
ومن كفر فلا يحزنك كفره وقرئ يحزنك ويحزنك من حزنه واحزنه والذي عليه
الاستعمال المستفيض احزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من كفر وكيده
للاسلام فان الله عز وجل دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله ان الله
يعلم ما في صدور عباده فيفعل بهم على حسبه نمتعهم زمانا قليلا بدنياهم
ثم نضطرهم الى عذاب غليظ شبه الزامهم التعذيب وارهاقهم اياه باضطرار
المضطر الى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار من الاجرام
الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله قل الحمد لله الزام لهم على اقرارهم بان الذي خلق السموات
والارض هو الله وحده وانه يجب ان يكون له الحمد والشكر وان لا يعبد معه
غيره ثم قال بل اكثرهم لا يعلمون ان ذلك يلزمهم واذا نبهوا عليه لم يتنبهوا
لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني عن حمد الحامدين
الحميد المستحق للحمد وان لم يحمدوه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام و
البحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله وقرئ والبحر بالنصب
عطفا على اسم ان وبالرفع عطفا على محل ان ومعمولها على ولو ثبت كون
الاشجار اقلاما وثبت البحر ممدودا بسبعة ابحر او على الابتداء والواو للحال
على معنى ولو ان الاشجار اقلام في حال كون البحر ممدودا وفي قراءة ابن مسعود
وبحر يمده على التنكير ويجب ان يحمل هذا على الوجه الاول وقرئ يمده ويمده
بالتاء والياء كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان الشجر اقلام و
البحر مداد اغنى عن ذكر المداد قوله يمده لانه من قولك مد الدواة
وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر السبعة مملوءة مدادا فهي تصب

إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا

فيه مدادها ابدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود
بسبعة ابحر وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد كقوله عز وجل قل لو كان البحر مدادا
لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فان قلت زعمت ان قوله والبحر يمده حال
في احد وجهي الرفع وليس فيه ضمير راجع الى ذي الحال قلت هو كقوله وقد اغتدي
والطير في وكناتها وجئت والجيش مصطف وما اشبه ذلك من الاحوال التي حكمها
حكم الظروف ويجوز ان يكون المعنى وبحرها والضمير للارض فان قلت لم قيل من شجرة
على التوحيد دون اسم الجنس الذي هو شجر قلت اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة
شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا قد بريت اقلاما فان قلت
الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله قلت
معناه ان كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها نزلت
جوابا لليهود لما قالوا قد اوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل ان المشركين
قالوا ان هذا يعني الوحي كلام سينفد فاعلم الله تعالى ان كلامه لا ينفد
وهذه الاية عند بعضهم مدنية وانها نزلت بعد الهجرة وقيل هي مكية وانما امر اليهود
وفد قريش ان يقولوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألست تتلو فيما انزل
عليك انا قد اوتينا التوراة وفيها علم كل شيء ان الله عزيز لا يعجزه شيء
حكيم لا يخرج من علمه وحكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته وحكمه ما خلقكم
ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اي سواء في قدرته القليل
والكثير والواحد والجميع لا يتفاوت وذلك انه انما كانت تتفاوت النفس الواحدة
والنفوس الكثيرة العدد ان لو شغله شان عن شان وفعل عن فعل وقد تعالى عن
ذلك ان الله سميع بصير يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر في حالة واحدة لا
يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل واحد
من الشمس والقمر يجري في فلكه ويقطعه الى اجل مسمى الى وقت معلوم الشمس الى
آخر السنة والقمر الى آخر الشهر وعن الحسن الاجل المسمى يوم القيمة لا ينقطع
جريهما الا حينئذ دل ايضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصهما وجري

النيرين في فلكيهما كل ذلك على تقدير وحساب وباحاطته بجميع اعمال الخلق على
عظم قدرته وحكمته يجري لاجل مسمى ويجري الى اجل مسمى اهو من تعاقب
الحرفين كلا ولا يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق العطن و
لكن المعنيين اعني الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملايم لصحة الغرض
لان قولك يجري الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهي اليه وقولك يجري لاجل
مسمى تريد يجري لادراك اجل مسمى تجعل الجري مختصا بادراك اجل مسمى
وان الله بما تعملون خبير الا ترى ان جري الشمس مختص باخر السنة وجري
القمر باخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه وان الله بما تعملون خبير
ذلك الذي وصف من عجائب قدرته وحكمته التي يعجز عنها الاحياء القادرون
العالمون فكيف بالجماد الذي يدعونه من دون الله بان الله انما هو بسبب انه
هو الحق الثابت الالهية وان ما تدعون من دونه الباطل باطل الالهية
وان الله هو العلي الكبير الشان الكبير السلطان او ذلك الذي اوحي
اليك من هذه الآيات بسبب بيان ان الله هو الحق وان الها غيره باطل
وان الله هو العلي الكبير عن ان يشرك به الم تر ان الفلك قرئ
الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز في كل فعل فعل على
مذهب التعويض بنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الفتح
والكسر والسكون بنعمة الله باحسانه ورحمته ليريكم من
آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه
وهما صفتا المؤمن فكانه قال ان في ذلك لآيات لكل مؤمن واذا
غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين يرتفع الموج و
يتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما اظلك من جبل او سحاب او غيرهما
وقرئ كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد
متوسط في الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر بعض الانزجار او مقتصد
في الاخلاص الذي كان عليه في البحر يعني ان ذلك الاخلاص الحادث في البحر
عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على

ما عاهد عليه الله في البحر والختر اشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد
لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر قال وانك لو رايت ابا عمير
ملات يديك من غدر وختر وما يجحد بآياتنا الا كل ختار
كفور يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي
يقضي عنه شيئا ومنه قيل للمتقاضي المتجازي وفي الحديث في جذعة تجزي
عنك ولا تجزي عن احد بعدك وقرئ لا يجزئ لا يغني يقال اجزأت
عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزي فيه فحذف ولا مولود
هو جاز عن والده شيئا ان وعد الله حق فلا تغرنكم
الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور والغرور الشيطان وقيل
الدنيا وقيل تمنيكم في المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير الغرة بالله ان يتمادى
الرجل في المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيئاتك
غرة وقرئ الغرور بضم الغين وهو مصدر غره غرورا وجعل الغرور غارا كما قيل
جد جده او يراد زينة الدنيا لانها غرور قوله ولا مولود هو جاز
عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد لم يرد عليه ما هو معطوف عليه
الام كذلك لان الجملة الاسمية آكد من الجملة الفعلية وقد انضم الى ذلك قوله
هو وقوله مولود والسبب في مجيئه على هذا السنن ان الخطاب للمؤمنين
وعليتهم قبض آباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فاراد حسم
اطماعهم واطماع الناس فيهم ان ينفعوا آباءهم في الآخرة وان يشفعوا
لهم وان يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الآكد ومعنى
التوكيد في لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع للاب الادنى الذي ولد
منه لم تقبل شفاعته فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع
على الولد وولد الولد بخلاف المولود فانه لمن ولد منك ان الله عنده علم الساعة
روي ان رجلا من محارب وهو الحارث بن عمرو بن حارثة اتى رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن الساعة متى
قيامها واني قد القيت حباتي في الارض وقد ابطأت عنا السماء واخبرني عن امراتي

فقد تحملت ما في بطنها اذكر ام انثى والى علمت ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا
مولدي قد عرفته فاين اموت فنزلت وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مفاتح
الغيب خمس وتلا هذه الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما من ادعى علم هذه الخمسة فقد
كذب اياكم والكهانة فان الكهانة تدعو الى الشرك والشرك واهله في النار وعن المنصور
انه اهمه معرفة مدة عمره فرأى في منامه كان خيالا اخرج يده من البحر واشار
اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتاولوها بخمس سنين وبخمسة
اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة تاويلها ان مفاتح الغيب خمس لا يعلمها
الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه عنده علم الساعة اي
مرسيها وينزل الغيث في ابانه من غير تقديم ولا تاخير وفي بلد لا يجاوزه به
ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى اتام ام ناقص وكذلك ما سوى ذلك من
الاحوال وما تدري نفس برة وفاجرة ماذا تكسب غدا من خير او شر وربما
كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا وما تدري نفس
باي ارض تموت اين تموت وربما اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها
واقبر فيها فترمي بها مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها
وروي ان ملك الموت مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال
الرجل من هذا قال ملك الموت فقال كانه يريدني وسال سليمان ان يحمله على الريح ويلقيه
ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت لسليمان كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني امرت
ان اقبض روحه بالهند وهو عندك وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى
الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان اعملت حيلها ما يلصق بها ويختص ولا يتخطاها
ولا شيء اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن لها طريق الى معرفتهما كان من معرفة
ما عداهما ابعد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة لقمان كان له
لقمان رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

بسم الله الرحمن الرحيم الم على انها اسم
السورة مبتدأ خبره تنزيل الكتاب وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب
بانه خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره لا ريب فيه والوجه ان يرتفع بالابتداء
وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير في فيه راجع
الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين
ويشهد لوجاهته قوله ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفترى انكار
لان يكون من رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير
انه من الله وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت اولا ان تنزيله من رب العالمين
وان ذلك ما لا ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه
لان ام هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا
منه لظهور امره في عجز بلغائهم عن مثل ثلاث آيات منه ثم اضرب عن الانكار
الى اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان يعلل العالم في المسئلة بعلة صحيحة
جامعة قد احترز فيها انواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر اول الافعال
الواجبة على الاطلاق والتي لا يعرى من وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها
ببعض ما وقع احترازه منه فيرده بتلخيص انه احترز من ذلك ثم يعود
الى تقرير كلامه وتمشيته   كيف نفى ان يرتاب في انه من الله وقد
اثبت ما هو ابطل من الريب وهو قولهم افتراه   معنى لا ريب فيه
ان لا مدخل للريب في انه تنزيل الله لان نافي الريب وميطه معه لا ينفك عنه
وهو كونه معجزا للبشر ومثله ابعد شيء من الريب واما قولهم افتراه فاما
قول متعنت مع علمه انه من الله لظهور الاعجاز له او جاهل يقوله قبل
التأمل والنظر لانه سمع الناس يقولونه لتنذر قوما ما اتاهم من نذير
من قبلك كقوله ما انذر آباؤهم وذلك ان قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا
قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم   فاذا لم تاتهم نذير لم تقم عليهم حجة
اما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها الا بالرسل فلا واما قيامها
بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة العقل الموصلة الى ذلك معهم في كل زمان

لعلهم يهتدون فيه وجهان ان يكون على الترجي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كما كان لعله يتذكر على الترجي من موسى وهارون وان يستعار لفظ الترجي للارادة
ما معنى قوله الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة
ايام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع هو على معنيين
انكم اذا جاوزتم رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا
يشفع لكم والثاني ان الله وليكم الذي يتولى مصالحكم وشفيعكم اي ناصركم
على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم من دون
الله من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير افلا تتذكرون
يدبر الامر المامور به من الطاعات والاعمال الصالحة ينزله مدبرا من السماء
الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون ثم لا يعمل به
ولا يصعد اليه ذلك المامور به خالصا كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله
والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه
قوله على اثره قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا كلها من السماء الى الارض لكل يوم من ايام
الله وهو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ثم يعرج اليه اي
يصير اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت من اوقات هذه المدة
ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى ان تبلغ المدة اخرها ثم يدبر ايضا ليوم
آخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة وقيل يدبر امر الدنيا من السماء الى الارض الى ان
تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه في يوم كان مقداره
الف سنة وهو يوم القيمة وقرأ ابن ابي عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرئ يعدون
بالياء ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي احسن كل شيء حسنه
لانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة
وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله
قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن معرفته اي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه
على البدل اي احسن خلق كل شيء وخلقه على الوصف اي كل شيء خلقه فقد احسنه سميت الذرية نسلا
لانها تنسل منه اي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل ثم سواه قومه

كقوله في احسن تقويم ودل باضافة الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم
كنهه الا هو كقوله ويسئلونك عن الروح الاية كانه قال ونفخ فيه من الشيء الذي
اختص هو به وبمعرفته وقالوا أئذا ضللنا في الارض أئنا لفي خلق جديد
قيل القائل ابي بن خلف ولرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا وقرئ أئنا وانا على
الاستفهام وتركه وضللنا صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز
منه كما يضل الماء في اللبن او غبنا في الارض بالدفن فيها من قوله وآب مضلوه بعين جلية
وغودر في الجولان حزم ونائل وقرأ علي وابن عباس رضي الله عنهم ضللنا بكسر
اللام يقال ضل يضل وضل يضل وقرأ الحسن صللنا من صل اللحم واصل اذا
انتن وقيل صرنا من جنس الصلة وهي الارض بم انتصب الظرف في أئذا
ضللنا بما يدل عليه انا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا بل هم
بلقاء ربهم كافرون قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم
ثم الى ربكم ترجعون لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت
وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ في الكفر وهو انهم
كافرون بجميع ما يكون في العاقبة لا بالانشاء وحده الا ترى كيف خوطبوا بتوفي
ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى
لقاء الله هو على ما ذكرنا والتوفي استيفاء النفس وهي الروح قال الله تعالى الله
يتوفى الانفس وقال اخرجوا انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها شيء من قولهم
توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل
والاستفعال يلتقيان في مواضع منها تقصيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته
وعن مجاهد حويت لملك الموت وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء
وعن قتادة يتوفاهم ومعه اعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح
فتجيبه ثم يامر اعوانه بقبضها ولو ترى يجوز ان يكون خطابا لرسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وفيه وجهان ان يراد به التمني كانه قال وليتك ترى كقوله
عليه وآله الصلوة والسلم للمغيرة لو نظرت اليها والتمني لرسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم كما كان الترجي له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص

ومن عداوتهم وضرارهم لجعل الله لهم ان تمنى ان يراهم على تلك الصفة الفظيعة
من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وان تكون لو للامتناع وقد حذف جوابها وهو لرأيت
امرا فظيعا او لرأيت اسوأ حال ترى ويجوز ان يخاطب به كل واحد كما يقول فلان
لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا يريد به مخاطبا بعينه
فكانك قلت ان اكرم وان احسن اليه ولو واذ كلاهما للمضي وانما جاز ذلك لان
المترقب من الله بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كانه قيل
ولو يكون منك الرؤية اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم اذ ظرف له يقولون
يستغيثون بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يغادرون يعني ابصرنا صدق وعدك و
وعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك وكنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا
نعمل صالحا انا موقنون هي الرجعة الى الدنيا ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها على
الالجاء والقسر ولكن حق القول مني لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين ولكنا بنينا الامر على الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى
فحقت كلمة العذاب على اهل العمى دون البصراء الا ترى الى ما عقبه به من قوله
فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من نسيان العاقبة
وقلة الفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر يعني ان
الانهماك في الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم
نسيانها ثم قال انا نسيناكم على المقابلة اي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى
الترك اي تركتم الفكر في العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استئناف قوله انا نسيناكم
وبناء الفعل على ان واسمها تشديد في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي
ما انتم فيه من نكس الرءوس والخزي والغم بسبب نسيان اللقاء وذوقوا عذاب
الخلد في جهنم بما كنتم تعملون بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة
انما يؤمن بآياتنا الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا خروا له سجدا تواضعا
لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا بحمد ربهم ونزهوا الله
من نسبة القبائح اليه واثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل من يصر
مستكبرا كان لم يسمعها ومثله قوله ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم

للاذقان

للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا تتجافى ترتفع جنوبهم وتتنحى عن المضاجع
عن الفرش ومواضع النوم يدعون داعين ربهم خوفا وطمعا عابدين لاجل خوفهم
من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن انه التهجد وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت يسمع
الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى
جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا
يحمدون الله في البأساء والضراء وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب
سائر الناس وعن انس بن مالك كان اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يصلون من صلوة المغرب الى صلوة العشاء الآخرة فنزلت فيهم وقيل هم
الذين يصلون صلوة العتمة لا ينامون عنها ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم على البناء للمفعول ما اخفى لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وما
بمعنى الذي او بمعنى اي من قرة اعين والمعنى لا تعلم النفوس كلهن ولا نفس واحدة
منها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك واخفاه
من جميع خلائقه اي لا يعلم الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة
مطمع وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم اطماع المتمنين وعن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم يقول الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
ولا اذن سمعت افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا كان مؤمنا وكان فاسقا
محمولان على لفظ من لا يستوون محمول على المعنى بدليل قوله اما الذين آمنوا
وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون واما الذين
فسقوا ونحوه قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك وجنة
المأوى نوع من الجنان قال عز وجل ولقد رآه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى
عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس قال تأوي اليها ارواح
الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد نزلا عطاء بأعمالهم
والنزل عطاء النازل ثم صار عاما فمأواهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا

منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون
ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر عذاب الآخرة اي
نذيقهم عذاب الدنيا قبل ان يصلوا الى الآخرة لعلهم يرجعون اي يتوبون
عن الكفر او لعلهم يريدون الرجوع ويطلبونه بقولهم فارجعنا نعمل صالحا وتسمية
ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة
وتدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول من ابن صح تفسيرا الرجوع
بالتوبة ولعل من الله تعالى ارادة واذا اراد الله شيئا كان ولم يمتنع وتوبتهم مما
لا يكون الا ترى انها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب الاكبر ارادة
الله تعالى يتعلق بافعاله وافعال عباده فاذا اراد شيئا من افعاله كان ولم يمتنع للاقتدار
وخلوص الداعي واما افعال عباده فاما ان يريدها وهم مختارون لها او مضطرون
اليها بقسره والجائه وان ارادها وقد قسرهم فحكمها حكم افعاله وان ارادها
على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في
اقتدارك ارادتك ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق
بقدرتك واذا لم يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروي في نزولها انه
شجر بين علي بن ابي طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت
فانك صبي انا اشب منك شبابا واجلد منك جلدا واذرب منك لسانا واحد منك
سنانا واشجع منك واملأ منك حشوا في الكتيبة فقال له علي عليه السلم اسكت
اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين فتناولتهما وكل من في مثل
حالهما وعن الحسن بن علي عليهما السلم انه قال للوليد كيف تشتم عليا وقد سماه الله
مؤمنا في عشر آيات وسماك فاسقا ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه
ثم اعرض عنها انا من المجرمين منتقمون ثم في قوله ثم اعرض عنها للاستبعاد والمعنى
ان الاعراض عن مثل آيات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل
والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول
لصاحبك وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز
ومنه ثم في بيت الحماسة لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها

عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا من السنة سبع سنين وعن مجاهد عذاب القبر

استبعد ان يزور غمرات الموت بعد ان رآها واستيقنها واطلع على شدتها
هلا قيل انا منه منتقمون لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة
بالانتقام منهم وقد دل على اصابة الاظلم النصيب الاوفر من الانتقام ولو قال بالضمير
لم يفد هذه الفائدة ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه
وجعلناه هدى لبني اسرائيل الكتاب للجنس والضمير في لقائه له ومعناه انا آتينا
موسى الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تك في انك لقيت مثله ولقيت
نظيره كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من
قبلك ونحو قوله من لقائه وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم وقوله ونخرج له
يوم القيمة كتابا يلقيه منشورا وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس يدعونهم الى
ما في التورية من دين الله وشرائعه بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون
لصبرهم وايقانهم بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك هدى ونورا
ولنجعلن من امتك ائمة يهدون مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا
عليه من اليقين وقيل من لقاء موسى اي من تلقيه له بالرضا والقبول وقرئ لما صبروا
ولما صبروا اي لصبرهم وعن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله التورية
هدى لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبدنا بما فيها ولدا سمعيل ان ربك هو يفصل بينهم
يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيقضي فيميز المحق في دينه من المبطل الواو
في اولم يهد للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم
لاهل مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا قبلهم من
القرون لان كم لا تقع فاعله لا يقال جاءني كم رجل تقديره كم
اهلكنا القرون تقديره اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام
كما هو بمضمونه ومعناه كقولك يعصم لا اله الا الله الدماء والاموال ويجوز ان
يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون والقرون عاد وثمود وقوم لوط يمشون
في مساكنهم ان في ذلك لآيات افلا يسمعون يعني اهل مكة يمرون في
متاجرهم على ديارهم وبلادهم وقرئ يمشون بالتشديد اولم يروا انا نسوق
الماء الى الارض الجرز الارض التي جرز نباتها اي قطع اما بعدم الماء

واما لانه رعي واذنل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله
فنخرج به زرعا وعن ابن عباس رضي الله عنهما انها ارض اليمن وعن مجاهد هي ابين تأكل
منه من الزرع انعامهم عن عصفه وانفسهم من حبه وقرئ ياكل
بالياء افلا يبصرون ويقولون متى هذا الفتح اي في اي وقت يكون ان
كنتم صادقين في انه كائن ويوم الفتح يوم القيمة وهو يوم الفصل بين
المؤمنين وبين اعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد
والحسن يوم فتح مكة وقد سألوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام
جوابا على سؤالهم كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالا منهم على
وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا على حسب ما عرف من غرضهم في سؤالهم
فقيل لهم لا تستعجلوا ولا تستهزؤا فكاني بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم
فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب فلم تنظروا ومن فسره
بيوم الفتح او بيوم البدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع
الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم
ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق فاعرض عنهم
وانتظر النصر عليهم وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم
كقوله فتربصوا انا معكم متربصون وقرأ ابن السميفع منتظرون بفتح الظاء ومعناه
وانتظروا هلاكهم فانهم احقاء بان ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة
او وانتظر ذلك فان الملائكة في السماء ينتظرونه قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم من قرأ الم السجدة وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيا
ليلة القدر وقال من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان في بيته ثلثة ايام

الضر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين ويفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا متى هذا الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم عن زر قال ابي بن كعب كم تعدون
سورة الاحزاب قلت ثلثا وسبعين آية قال فوالذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت

لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرانا منها آية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا
فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي ان ذلك من جملة ما
نسخ من القرآن واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فاكلها
الداجن فمن تأليفات الملاحدة والروافض جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله
يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
وترك نداءه باسمه كما قال يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة له وتشريفا
وتنويها بفضله وان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه في
في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول ذلك لتعليم الناس بانه رسول الله
وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا
ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكره في النداء
لقد جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة والله ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم
ان الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي اتق الله واثبت
على ما انت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك ان التقوى باب
لا يبلغ آخره ولا تطع الكافرين والمنافقين لا تساعدهم على شيء ولا تقبل
لهم رأيا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم اعداء الله واعداء المؤمنين
الا المضادة والمضارة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما هاجر الى
المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد بايعه ناس منهم
على النفاق وكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنه
وكان يسمع منهم فنزلت وروي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن
ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة التي كانت بينه وبينهم وقام معهم
عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة
ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي
ان اهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى ان يرجع عن دينه ويعطوه

ابو الهيثم وان تزوج شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقو المدينة انهم يقتلونه
ان لم يرجع فنزلت **ان الله كان عليما** بالصواب من الخطاء والمصلحة من
المفسدة **حكيما** لا يفعل شيئا ولا يأمر به الا بداعي الحكمة **واتبع ما يوحى**
اليك في ترك طاعة الكافرين والمنافقين وغيره ذلك **ان الله** الذي يوحي اليك
خبير بما تعملون فموح اليك بما يصلح به اعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع
من الكفرة وقرئ يعملون بالياء اي بما يعمل المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم **وتوكل**
على الله واسند امرك الى الله وكله الى تدبيره **وكفى بالله وكيلا** حافظا موكولا
اليه كل امره **ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه** ما جمع الله قلبين في جوف
وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم
ابناءكم ما جمع الله قلبين في جوف ولا زوجية وامومة في امرأة ولا بنوة
ودعوة في رجل والمعنى ان الله سبحانه كما لم ير في حكمته ان يجعل للانسان قلبين لانه
لا يخلو اما ان يفعل باحدهما ما يفعل بالآخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة
غير محتاج اليها واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف
الجملة بكونه مريدا كارها عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير ايضا ان تكون
المرأة الواحدة اما لرجل زوجا له لان الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل و
الزوجة مستخدمة متصرف فيها بالافتراش وغيره كالمملوكة وهما حالتان
متنافيتان وان يكون الرجل دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب
وعراقة والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد
ان يكون اصيلا غير اصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب
سبي صغيرا وكانت العرب في الجاهلية يتغاورون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته
خديجة فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهبته له وطلبه ابوه وعمه
فخير فاختار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعتقه وكانوا يقولون
زيد بن محمد فانزل الله تعالى هذه الآية ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقيل كان
ابو معمر رجلا من احفظ العرب وارواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل بن
اسد الفهري وكان يقول ان لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد صلى الله

عليه وآله وسلم فروي انه انهزم يوم بدر فمر بابي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى
في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين مقتول وهارب فقال له ما بال
احدى نعليك في رجلك والاخرى في يدك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب
قوله ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا في
الظهار والتبني وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم
قلبان فاكذبهم الله تعالى وقيل سها في صلاته فقالت اليهود له قلبان قلب مع
اصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في ان الواحد يقول نفس تأمرني ونفس تنهاني
والتنكير في رجل وادخال من الاستغراقية على قلبين تأكيدان لما قصد من المعنى
كانه قال ما جعل الله لامة الرجال ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوف
اي فائدة في ذكر الجوف الفائدة فيه ان القلب الذي في الصدور وذلك ما
يصلح للسامع من زيادة التصور والتجلي للمدلول عليه لانه اذا سمع صور
لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار وقرئ اللائي بياء وهمزة
مكسورتين واللاي بياء ساكنة بعد الهمزة وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون
من اظاهر بمعنى تظاهر وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر
بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد وتظهرون بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من
امرأته قال لها انت علي كظهر امي ونحوه في العبارة عن اللفظ لبى المحرم اذا
قال لبيك وافف الرجل اذا قال اف واخوات لهن فما وجه تعديته
بمن كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية وكانوا يتجنبون
المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها
بجهة الظهار وتظهر منها تحرز منها وظاهر خلص منها ونظيره آلى من امرأته
لما ضمن معنى التباعد عدي بمن والا فآلى في اصله الذي هو بمعنى حلف واقسم
ليس هذا بحكمه ما معنى قولهم انت علي كظهر امي ارادوا ان يقولوا
انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره
يقارب ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه
حديث عمر يجيء به احدهم على عمود بطنه اراد على ظهره ووجه آخر وهو ان اتيان

المرأة وظهرها الى السماء كان محرماً محظوراً وكان اهل المدينة يقولون اذا
اتيت المرأة ووجهها الى الارض جاء الولد احول فلقصد المطلق منهم الى
التغليظ في تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله ظهر
امه فلم يترك   المدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعي ولداً وانه
جمع على افعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي واتقياء وشقي و
اشقياء ولا يكون ذلك في نحو رمي وسمي   الا شذوذاً عن الباب كشذوذ
قتلاء واسراء والطريق في ذلك التشبيه اللفظي ذلكم النسب هو قولكم
بافواهكم هذا ابني لا غير من غير ان يواطئه اعتقاد الصحة وكونه حقاً
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره
وباطنه ولا يهدي الا سبيل الحق ثم قال ما هو الحق وهدي الى ما هو سبيل
الحق وهو قوله ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله هو اقسط بين ذلك الامر
في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة
ما لا يخفى على عالم بطرق النظم وقراءة قتادة وهو الذي يهدي السبيل وقيل كان
الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه وجعل له مثل نصيب الذكر
من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان فان لم تعلموا
آباءهم فاخوانكم في الدين ومواليكم فان لم تعلموا لهم آباء
تنسبونهم اليهم فهم اخوانكم في الدين واولياؤكم فقولوا هذا اخي
وهذا مولاي ويا اخي ويا مولاي يريد الاخوة في الدين والولاية فيه وليس عليكم جناح
فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ما تعمدت في محل
الجر عطفاً على ما اخطأتم ويجوز ان يكون مرتفعاً على الابتداء والخبر محذوف
تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه
من ذلك مخطئين قبل ورود النهي ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي او لا اثم
عليكم اذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطأ وسبق اللسان ولكن اذا
قلتموه متعمدين ويجوز ان يراد العفو عن الخطأ دون العمد على طريق العموم كقوله
عليه وآله السلام ما اخشى عليكم الخطأ ولكن اخشى عليكم العمد وقوله وضع عن

امتي الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه ثم تناول لعمومه خطأ التبني وعمده
فاذا وجد التبني فما حكمه   اذا كان عبداً له عتق مع ثبوت النسب وان
كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند ابي حنيفة وعند صاحبيه
لا يعتق واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وان كان عبداً عتق وكان
الله غفوراً رحيماً لعفوه عن الخطأ وعن العمد اذا تاب العامد النبي
اولى بالمؤمنين في كل شيء من امور الدين والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق
ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من
حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من شفقتهم عليها
وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا اعضل خطب ووقاءه اذا لقحت حرب
وان لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما يصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم
اليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصرفهم عنه لان كل ما دعا اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة
وما صرفهم عنه فاخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة وعذاب
وهو اولى بهم على معنى انه اراف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله تعالى بالمؤمنين
رؤوف رحيم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما من مؤمن الا انا اولى به في الدنيا والآخرة
اقرؤوا ان شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن هلك وترك مالاً
فليرثه عصبته من كانوا وان ترك ديناً او ضياعاً فالي وفي قراءة ابن مسعود
النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وهو اب لهم وقال مجاهد كل نبي فهو ابو امته
ولذلك صار المؤمنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابوهم في الدين
وازواجه امهاتهم تشبيه لهن بالامهات في بعض الاحكام وهو وجوب تعظيمهن
واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابداً وهن فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا
امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم والدليل على ذلك ان هذا
التحريم لم يتعد الى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن سائر احكام الامهات واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض   كان المسلمون في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية
في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب قوم باسهام في الصدقات ثم نسخ

المتبنى مجهول النسب اصغر سناً من المتبني ثبت النسب منه وان كان

يعني انهن ما كن امهات

لما جاء الاسلام وعز اهله وجعل التوارث بحق القرابة وفي كتاب الله في
اللوح او فيما اوحى الله الى نبيه وهو هذه الآية او في آية المواريث او فيما فرض
الله كقوله كتاب الله عليكم من المؤمنين والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا
لاولي الارحام اي الاقرباء من هؤلاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب
ويجوز ان يكون لابتداء الغاية اي اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث
من المهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام اي الاقرباء من هؤلاء بعضهم
اولى بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز ان يكون لابتداء الغاية اي اولوا الارحام
بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق الولاية في الدين ومن المهاجرين بحق
الهجرة ثم استثنى الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا
من اعم العام في معنى النفع والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبي الا في
الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدى تفعلوا
بالى لانه في الدين كان ذلك اشارة الى ما ذكر في الآيتين جميعا في الكتاب
مسطورا وتفسير الكتاب ما مر آنفا والجملة مستانفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم جميعا بتبليغ الرسالة والدعاء الى الدين
القيم ومنك خصوصا ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا
منهم ميثاقا غليظا وانما فعلنا ذلك ليسأل الله تعالى يوم القيمة عند تواقف
الاشهاد المؤمنين الذين صدقوا عهدهم ووفوا به من جملة من اشهدهم على
انفسهم الست بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم فيشهد لهم
الانبياء بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مؤمنين او ليسأل المصدقين
للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله او
ليسأل الانبياء ما الذي اجابتهم به اممهم وتاويل مسألة الرسل تبكيت
الكافرين بهم كقوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
لم قدم رسول الله على نوح عليهما الصلوة والسلام فمن بعده
هذا العطف لبيان فضيلة الانبياء الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان
محمد صلى الله عليه وآله وسلم افضل هؤلاء المفضلين قدم عليهم لبيان انه افضلهم

ولولا ذلك لقدم من قدمه زمانه فان قلت فقد قدم عليه نوح في الآية التي
هي اخت هذه وهي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا
اليك ثم قدم على غيره قلت مورد هذه الآية على طريقة خلاف طريقة تلك
وذلك ان الله تعالى انما اوردها لوصف دين الاسلام بالاصالة والاستقامة
فكانه قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث نوح في العهد القديم وبعث عليه
محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم في العهد الحديث وبعث عليه بالميثاق الغليظ اراد
ذلك الميثاق بعينه معناه واخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظ استعارة
من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه في بابه وقيل الميثاق
الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا فان قلت علام عطف قوله واعد للكافرين
على اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله اكد على الانبياء الدعوة الى
دينه لاجل اثابة المؤمنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسأل الصادقين
كانه قال فاثاب المؤمنين واعد للكافرين يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم اذكروا ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق اذ
جاءتكم جنود وهم الاحزاب فارسلنا عليهم ريحا فارسل الله تعالى عليهم
ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا الفا بعث الله عليهم صبا
باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة
فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفأت النيران واكفأت القدور وماجت
الخيل بعضها في بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في
جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر النجاء
النجاء فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة اشار عليه بذلك سلمان الفارسي
ثم خرج في ثلثة آلاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين
القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الآطام واشتد الخوف وظن
المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد

صلى الله عليه وآله وسلم يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا نقدر ان نذهب الى
الغائط وكانت قريش قد اقبلت في عشرة آلاف من الاحابيش وبني كنانة
واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف ومن تابعهم
من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن طفيل في هوازن وضامتهم
اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم
الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله تعالى النصر وكان الله بما
تعملون بصيرا يعملون قرئ بالياء والتاء اذ جاؤوكم من فوقكم
من فوقكم اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من
اسفل الوادي من قبل المغرب قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى
نستأصل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم واذ زاغت الابصار مالت عن سننها
ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها
لشدة الروع وبلغت القلوب الحناجر الحنجرة رأس الغلصمة وهي منتهى الحلقوم
والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا انتفخت الرئة من شدة الفزع او
الغضب او الغم الشديد وارتفع القلب بارتفاعها الى رأس الحنجرة ومن ثم قيل
للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب ووجيبها
وان لم تبلغ الحناجر حقيقة وتظنون بالله الظنونا خطابا للذين آمنوا ومنهم
الثبت القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون
الذين لم يوجد منهم الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم فخافوا
الزلل وضعف الاحتمال واما الآخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن
ظنونا مختلفة ظن المنافقون ان المسلمين يستأصلون وظن المؤمنون انهم يبتلون
وقرئ الظنون بغير الف في الوصل والوقف وهو القياس وبزيادة الف في الوقف
زادوها في الفاصلة كما زادوها في القافية من قال اقلي اللوم عاذل والعتابا
وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ باثباتها في الوصل اجراء له مجرى الوقف قال
ابو عبيدة وهن كلهن في الامام بالف وعن ابي عمرو اشمام زاي زلزلوا وقرئ
زلزالا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج واذ يقول المنافقون

هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا

والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا قيل قائله معتب بن قشير
المنافق قاله حين رأى الاحزاب قال يعدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتح
فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت
طائفة منهم اوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه وعن السدي عبد الله بن ابي واصحابه
يثرب اسم المدينة وقيل ارض وقعت المدينة في ناحية منها لا مقام لكم قرئ بضم
الميم وفتحها اي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقيمون فيه او تقومون فارجعوا الى
المدينة امروهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل قالوا
لهم ارجعوا كفارا واسلموا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم والا فليست يثرب لكم
بمكان ويستأذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا عورة قرئ عورة
بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور المكان
عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف
عورة اعتذروا ان بيوتهم عورة معرضة للعدو وممكنة للسراق لانها غير محرزة
ولا محصنة فاستأذنوه ليحصنوها ثم يرجعوا اليه وما هي بعورة ان يريدون
الا فرارا فاكذبهم الله تعالى بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار
ولو دخلت عليهم المدينة وقيل من قولك دخلت على فلان داره من
اقطارها من جوانبها يريد ولو دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا
منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها واثار على اهاليهم ناهبين سابين ثم
سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفة الفتنة اي الردة والرجعة الى الكفر
ومقاتلة المسلمين لآتوها لجاؤوها وفعلوها وقرئ لاتوها لاعطوها وما تلبثوا
بها وما البثوا اعطاءها الا يسيرا ريثما يكون السؤال والجواب من غير توقف
او ما لبثوا بالمدينة بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون
باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
والمؤمنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملأوهم هولا ورعبا وهؤلاء الاحزاب
كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على
المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشيء وما ذلك الا لمقتهم الاسلام وشدة بغضهم

لاهله وحبهم الكفر وبنا لكهم على حزبه ولقد كانوا عاهدوا الله من
قبل لا يولون الادبار عن ابن عباس رضي عاهدوا رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ليلة العقبة ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن
بدر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحاق عاهدوا يوم احد
ان لا يفروا بعد ما نزل فيهم ما نزل وكان عهد الله مسئولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى
به قل لن ينفعكم الفرار مما لا بد لكم من نزوله بكم من موت حتف انف او قتل
ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا وان نفعكم الفرار
مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتع الا زمانا قليلا وعن بعض المروانية انه
مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الآية فقال ذلك القليل نطلب كيف
جعلت الرحمة قرينة السوء في العصمة ولا عصمة الا من السوء معناه او
يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجرى مجرى قوله متقلدا
سيفا ورمحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع قد يعلم الله
المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا المعوقين المثبطين عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم المنافقون كانوا يقولون لاخوانهم من
ساكني المدينة من انصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما محمد واصحابه
الا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهم ابو سفيان واصحابه فخلوهم وهلم الينا
اي قربوا انفسكم وهي لغة اهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة واما تميم فيقولون
هلم يا رجل وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب قال
هلم شهداءكم ولا يأتون البأس الا قليلا الا اتيانا قليلا يخرجون مع
المؤمنين يوهمونهم انهم معهم ولا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا
يخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم منهم ولا تراهم اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا
الا قليلا اشحة عليكم في وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل
الرجل بالذاب عنه المناضل دونه عند الخوف فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون
اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه
معالجة سكرات الموت حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت

مقتضاء

قل من ذا الذي يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا

الغنايم ووقعت القسمة فقالوا ذلك الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى
الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى واجترءوا عليكم سلقوكم
بالسنة حداد ضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم و
قاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب اشحة على الحال او على
الذم وقرئ اشحة بالرفع وصلقوكم بالصاد اولئك لم يؤمنوا فاحبط الله
اعمالهم هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط لا ولكنه
تعليم لمن عسى يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وان ما يعمل
المنافق من الاعمال يجدي عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد
منه باطل وفيه بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو الايمان الصحيح وتنبيه
على ان الاعمال الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس وانها مما يذهب
عند الله هباء منثورا ما معنى قوله وكان ذلك على الله يسيرا
وكل شيء عليه يسير معناه ان اعمالهم حقيقة بالاحباط تدعو اليه
الدواعي ولا يصرف عنه صارف يحسبون الاحزاب لم يذهبوا يحسبون ان
الاحزاب لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة راجعين لما
نزل بهم من الخوف الشديد ودخلهم من الجبن المفرط وان يأت الاحزاب
كرة ثانية يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا لخوفهم مما منوا به
هذه الكرة انهم خارجون الى البدو حاصلون بين الاعراب يسألون كل
قادم من المدينة عن انبائكم عن اخباركم وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم
ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لكم ما قاتلوا الا قليلا لم يقاتلوا الا علة رياء
وسمعة وقرئ بدى على فعل جمع باد كغاز وغزى وفي رواية صاحب الاقليد
بسيهم بدايا بوزن عدي ويساءلون اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا
سمعت ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما يقول رايت الهلال وتراءيناه لقد
كان لكم في رسول الله اسوة حسنة كان عليكم ان تواسوا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بانفسكم فتؤازروه وتثبتوا معه كما آساكم بنفسه في
الصبر على الجهاد والثبات في مرمى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم احد وشج وجهه

فما حقيقة قوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقرئ اسوة بالضم فيه وجهان احدهما ان في نفسه اسوة حسنة اي قدوة وهو المؤتسي به اي المقتدي به كما تقول في البيضة عشرون منا حديد اي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد والثاني ان فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجو الله بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم يرجو الله واليوم الآخر من قولك رجوت زيدا وفضله اي فضل زيد او يرجو ايام الله واليوم الآخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل والخوف وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة والمؤتسي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان كذلك وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما رأى المؤمنون الاحزاب فلما جاء الاحزاب وشخص بهم واضطربوا ورعبوا الرعب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما وايقنوا بالجنة والنصر وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا او عشرا اي في آخر تسع ليال او عشر فلما رأوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة الى الخطب والبلاء ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضاياه واقداره من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه نذر رجال من الصحابة انهم اذا لقوا حربا مع رسوله ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم فمنهم من قضى نحبه يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة وفي الحديث من احب ان ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة فان قلت ما قضاء النحب قلت وقع عبارة عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكأنه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى نحبه اي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه يقال صدقني

وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكره فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان يكون بمنزلة السن في طرح الجار واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان مكذوبا وما بدلوا العهد تبديلا ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين جعل المنافقين كأنهم ارادوا العاقبة السوء وقصدوها عند تبديلهم كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبهما والسعي لتحصيلها ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا الاحزاب لم ينالوا خيرا غير ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى او استئنافا وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وكان الله قويا عزيزا وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم من حصونهم والصيصة ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصة ولشوكة الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صبيحة الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة فانا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فاذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الآخرة لقول رسول الله صلى الله عليه وآله

فحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم
ان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق
المدينة خندقًا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمانمائة الى ستمائة وقيل كانوا
ستمائة مقاتل وقرئ بسكون العين وضمها وتاسرون بضم السين **وَأَوْرَثَكُمْ**
أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعل عقارهم
للمهاجرين دون الانصار فقال عمر اما تخمس كما خمست يوم بدر فقال لا انما جعلت
هذه لي طعمة دون الناس قالوا رضينا بما صنع الله ورسوله **وَأَرْضًا لَمْ تَطَؤُهَا**
عن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل هي خيبر
وعن عكرمة كل ارض يفتح الى يوم القيمة **وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا يَا أَيُّهَا**
النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ اردن
شيئًا من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فنزلت فبدا بعايشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القرآن
فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرئي الفرح في وجه رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم ثم اختارت جميعهن اختيارها فشكر لهن الله تعالى ذلك فانزل لا يحل
لك ولا ان تبدل بهن من ازواج وروي انها قال لعايشة اني ذاكر لك امرا فلا
عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستامري ابويك ثم قرا عليها القرآن فقالت افي
هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة وروي انها قالت
لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغًا ولم يبعثني متعنتًا
وما حكم التخيير في الطلاق اذا قال لها اختاري فقالت اخترت
نفسي او قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول
المخير او المخيرة وقعت طلقة باينة عند ابي حنيفة واصحابه واعتبروا ان يكون
ذلك في المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي
اختيارها على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن

فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم

الحسن وقتادة والزهري امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها
لم يقع شيء باجماع فقهاء الامصار وعن عايشة رضي خيرنا رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقًا وروي افكان طلاقًا وعن علي رضي الله عنه اذا اختارت
زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها فواحدة باينة وروي عنه ايضًا
ان اختارت زوجها فليس بشيء اصل تعال ان يقول من في المكان المرتفع لمن في المكان
المنخفض ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد
امرين والمراد نهوضهن اليه بانفسهن كما يقول اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام
يهددني **أُمَتِّعْكُنَّ** اعطكن متعة الطلاق المتعة في الطلاق واجبة ام لا
المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد متعتها واجبة عند ابي حنيفة
واصحابه واما ساير المطلقات فمتعتهن مستحبة وعن الزهري متعتان احدهما
يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية حق على المتقين
من طلق بعد ما يفرض ويدخل وخاصمت امرأة الى شريح في المتعة فقال
فقال متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن
الحسن لكل مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على
السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا ينقص
من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها
من وراء امتعكن **وَأُسَرِّحْكُنَّ** بالرفع ما وجه قراءة
وجهه الاستيناف **سَرَاحًا جَمِيلًا**
من غير ضرار طلاقًا بالسنة **وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ**
فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ للبيان لا للتبعيض **أَجْرًا عَظِيمًا يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ**
مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي
الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد كل ما اقترفن من الكباير وقيل هي عصيانهن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه او ما يضيق
به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنى والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في حديث الافك
وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من ساير النساء كان اقبح منهن واقبح لان زيادة
قبح المعصية يتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على العاصي من المعصي

يضاعف لها العذاب ضعفين

وليس لاحد من النساء مثل فضل نساء النبي ولا على احد منهن مثل ما لله عليهن من
النعمة والجزاء يتبع الفعل وكون الجزاء عقابا يتبع ذم العقلاء للعاصي العالم اشد
منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذلك فضل حد الاحرار على حد العبيد
حتى ان ابا حنيفة واصحابه لا يرون الرجم للكافر **وكان ذلك على الله يسيرا**
ايذان بان كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن غير صارف عنه
وقرئ يأت بالياء والتاء مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين يضاعف و نضعف
على البناء للمفعول ويضاعف بالياء والنون **ومن يقنت منكن لله ورسوله**
وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما قرئ يقنت بالياء والتاء
ونؤتها بالياء والنون والقنوت الطاعة وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضا
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة و
توفرهن على عبادة الله والتقوى **يا نساء النبي لستن كاحد من النساء** احد في الاصل
بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع للنفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما
وراءه ومعنى قوله لستن كاحد من النساء لستن كجماعة واحدة من النساء اي اذا
تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل
والسابقة ومثله قوله عز وجل والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم
يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين **ان اتقيتن**
ان اردتن التقوى وان كنتن متقيات **فلا تخضعن بالقول** فلا تجبن بقولكن
خاضعا اي لينا خنثا مثل كلام المريبات والمومسات **فيطمع الذي في قلبه**
مرض اي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهي على انهن نهين عن
الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كانه قيل لا تخضعن فلا يطمع
وعن ابن محيصن انه قرأ بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل الى
ضمير القول اي فيطمع القول المريب **وقلن قولا معروفا** بعيدا من طمع المريب
بجد وخشونة من غير تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا **وقرن** بكسر القاف
من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت الاولى من رائي اقررن ونقلت كسرتها
الى القاف كما تقول ظلن وقرئ بفتحها واصله اقررن فحذفت الراء والقيت

البتي

فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان وجها
آخر قال قار يقار اذا اجتمع عليه ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل
والديش اجتمعوا فكونوا قارة **ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى** هي
القديمة يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمان الذي ولد فيه ابرهيم كانت
المراة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال
وقيل ما بين آدم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل زمان داود وسليمان
والجاهلية الاخرى ما بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما ويجوز ان يكون الجاهلية
الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام
فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية في الاسلام يتشبهن بها باهل جاهلية الكفر
ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لابي الدرداء ان فيك
جاهلية قال جاهلية كفر ام جاهلية اسلام فقال بل جاهلية كفر **واقمن الصلوة**
وآتين الزكوة واطعن الله ورسوله امرهن امرا خاصا بالصلوة
والزكوة ثم جاء عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية
هما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه
انما نهاهن وامرهن ووعظهن لئلا يقارف اهل بيت رسول الله المآثم وليتصونوا
عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات
يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس واما المحسنات فالعرض معها نقي مصون
كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر اولي الالباب عما كرهه الله تعالى لعباده
ونهاهم عنه ويرغبهم فيما يرضيه لهم وامرهم به **واهل البيت** نصب على النداء او
على المدح **ويطهركم تطهيرا** وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي من اهل
بيته **واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله** ثم ذكرهن ان بيوتهن
مهابط الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو
آيات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجزة بنظمه **والحكمة** وهو حكمة وعلوم
وشرائع **ان الله كان لطيفا خبيرا** علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله
عليكم او علم من يصلح للنبوة ومن لا يصلح لان يكونوا اهل بيته او حيث جعل الكلام

حلية

انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
نوا

الواحد جامعا بين الغرضين روي ان ازواج النبي قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا يقبل منا طاعة وقيل السائلة ام سلمة رضي الله عنها وروي انه لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما نزل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شي فنزلت **ان المسلمين والمسلمات** المسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند او المفوض امره الى الله المتوكل عليه من اسلم وجهه الى الله **والمؤمنين والمؤمنات** المصدق بالله ورسوله وبما يجب ان يصدق به **والقانتين والقانتات** القانت القايم بالطاعة الدايم عليها **والصادقين والصادقات** الصادق الذي يصدق في نيته وقوله وعمله **والصابرين والصابرات** الصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي **والخاشعين والخاشعات** الخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله **والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات** المتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم فهو المتصدق ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصايمين **والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات** الذاكرين كثيرا من لا يكاد يخلو من ذكر الله بقلبه او لسانه او بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من استيقظ من نومه وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من استيقظ من نومه وايقظ امرأته فصليا جميعا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر يدل عليه اي فرق بين العطفين اعني عطف الاناث على الذكور وعطف الزوجين على الزوجين العطف الاول نحو قوله ثيبات وابكارا في انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع فكان معناه ان الجامعين والجامعات لهذه الطاعات **اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وما كان لمؤمن ولا مؤمنة** خطب زينب بنت جحش بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب لمولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنها اليها ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلثين صاعا من تمر وقيل

هي ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء ووهبت نفسها للنبي فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل ولا امرأة من المؤمنين **اذا قضى الله ورسوله** اي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او لان قضاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **امرا** من الامور **ان يكون لهم الخيرة** ان يختاروا **من امرهم** ما شاؤا بل من حقهم ان يجعلوا رأيهم تبعا لرأيه واختيارهم تلوا لاختياره كان من حق الضمير ان يوحد كما يقول ما جاءني من رجل ولا امرأة الا كان من شأنه كذا نعم ولكنهما وقعا تحت النفي فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرئ يكون بالتاء والياء والخيرة ما يتخير **ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا واذ تقول للذي انعم الله عليه** بالاسلام الذي هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه **وانعمت عليه** بما وفقك الله تعالى فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة **امسك عليك زوجك** يعني زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابصرها بعدما انكحها فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك لا تريدها ولو ارادتها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن والقى الله في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء قال لا والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني فقال له امسك عليك زوجك **واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه** ثم طلقها بعد **فلما قضى زيد منها وطرا** فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اجد احدا اوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت فاذا هي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت يا زينب ابشري ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطبك ففرحت وقالت

ما انا بصانعة شيئاً حتى اؤامر ربي فقامت الى مسجدها ونزلت القرآن **زوجناكها**
فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودخل بها وما اولم على امرأة من
نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار
ما ذا اراد بقوله واتق الله   اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد نهي تنزيه
لا نهي تحريم لان الاولى ان لا يطلق وقيل اراد واتق الله ولا تذمها بالنسبة الى
الكبر واذى الزوج   ما الذي اخفى في نفسه   تعلق قلبه بها وقيل مودة
مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله تعالى قد اعلمه
بذلك وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً مما اوحي اليه
لكتم هذه الآية   فماذا اراد الله منه ان يقول له حين قال زيد اريد مفارقتها
وكان من الهجنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها   كان الذي اراد منه ان
يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشأنك حتى لا يخالف سره في ذلك علانيته
لان الله يريد من الانبياء تساوي الظاهر والتصلب في الامور والتجاوب في الاحوال
والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء في حديث ارادة رسول الله صلى الله عليه وآله
قتل عبد الله بن ابي سرح واعتراض عثمان رض بشفاعته له ان عمر رض قال له لقد كان
عيني الى عينك هل تشير الي فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم
واحد   كيف عاتبه الله في ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبي
التصريح بشيء الا والشيء في نفسه مستهجن وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح
في العقول والعادات وما له لا غاية في نفس الامر ولم يأمره بقمع الشهوة
وكف النفس ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه عند تعلق الهجنة وما
يعرضه للقالة   كم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من اطلاع الناس
عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله
وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين
ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ منه لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم الا من اوتي فضلا
وعلما ودينا ونظرا في حقائق الامور ولبوبها دون قشورها الا ترى انهم كانوا اذا
طعموا في بيوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوا مرتكزين في مجالسهم لا يريمون

مستأنسين بالحديث وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤذونه بقعودهم
ويضيق صدره حديثهم والحياء يصده ان يأمرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم
يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق ولو ابرز رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا لشق عليهم ولكان بعض المقالة
فهذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته من امرأة او
غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لانه ليس بفعل الانسان
ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو
خطبة زينب ونكاحها من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو اول الناس
من زيد فيصبه ان يواسيه بمفارقتها مع قوة العلم بان نفس زيد من التعلق بها
في شيء بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متعلقة بها
ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل عن امرأته لصديقه ولا مستهجنا اذا
نزل عنها ان ينكحها الآخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة استهم الانصار بكل شيء
حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امرأتان نزل عن احديهما وانكحها المهاجر واذا
كان الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة
بزيد ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت عمة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم امنت الايمة والضيعة ونالت الشرف وعادت اما من
امهات المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة العامة في قوله **لكي لا يكون**
على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحري
ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله امسك عليك زوجك واتق
الله وان لا يرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى
يقتدي به المؤمنون فلا يستحيون من المكافحة بالحق وان كان مرا
الواو في وتخفي في نفسك وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ما هي   واو الحال اي تقول
لزيد امسك عليك زوجك مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفي خاشيا
قالة الناس وتخشى الناس حقيقا في ذلك بان تخشى الله او واو العطف كانه قيل
واذ تجمع بين قولك امسك واخفاء خلافه وخشية والله احق ان تخشاه

لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته من شي له فيه سمة قيل قضى منه وطره
والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت عنها نفسه
وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقراءة اهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر بن محمد
عليهما السلام اليس يقرأ على غير ذلك فقال لا والذي لا اله الا هو ما قرأتها على
ابي الا كذلك ولا قرأها الحسن بن علي عليهما السلام على ابيه الا كذلك ولا قرأها
علي بن ابي طالب رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا كذلك وكان
امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان امر الله الذي يريد ان يكونه
مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ومن نفي الحرج عن المؤمنين في اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في تحريمهن عليهم بعد
انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول
بكن وهو امر الله ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له
من قولهم فرض له في الديوان كذا ومنه فروض العسكر لارزاقهم سنة الله
اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله ما كان على النبي من
حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا يحرج عليهم
في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت
تحتهم المهائر والسراري وكانت لداود مائة امرأة وثلثمائة سرية ولسليمان ثلثمائة
وسبعمائة في الذين خلوا من قبل في الانبياء الذين مضوا وكان امر الله
قدرا مقدورا الذين يبلغون يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء و
الرفع والنصب على المدح على هم الذين يبلغون او على اعني الذين يبلغون رسالات
الله وقرئ رسالة الله قدرا مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ويخشونه
ولا يخشون احدا الا الله وصف الانبياء بانهم لا يخشون الا الله تعريض
بعد تصريح في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا
كافيا للمخاوف او محاسبا على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية
من مثله ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي لم يكن ابا رجل منكم على
الحقيقة صلى الله عليه وآله وسلم
حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده من حرمة الصهر والنكاح و

لكن كان رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير و
التعظيم له ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الاحكام الثابتة
بين الآباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة
فكان حكمه حكمكم والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير و
كان خاتم النبيين يعني انه لو كان له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن
هو خاتم الانبياء كما روي انه قال في ابرهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولم
يكن هو خاتم الانبياء أما كان ابا الطاهر والطيب والقاسم وابرهيم
فقد اخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم من وجهين احدهما ان
هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال والثاني انه قد اضاف الرجال اليهم وهؤلاء
رجاله لا رجالهم اما كان ابا للحسن والحسين
قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين
ح وهما ايضا من رجاله لا من رجالهم وشي آخر وهو انما قصد ولده خاصة
لا ولد ولده لقوله وخاتم النبيين الا ترى ان الحسن والحسين عليهما السلام
قد عاشا الى ان نيف احدهما على الاربعين والآخر على الخمسين ولكن
رسول الله بالنصب عطفا على ابا احد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد
على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه اي لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع وبكسرها
بمعنى الطابع وفاعل الختم ويقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين
كيف كان آخر الانبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان قلت معنى كونه آخر الانبياء انه
لا ينبأ احد بعده وعيسى عليه السلم ممن نبئ قبله وحين ينزل عاملا على شريعة محمد
صلى الله عليه وآله وسلم ومصليا الى قبلته كانه بعض امته وكان الله بكل
شي عليما يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله اثنوا عليه بضروب الثناء
من التقديس والتحميد والتهليل والتكبير وما هو اهله ذكرا كثيرا واكثروا ذلك
وسبحوه بكرة واصيلا اي في كافة الاوقات قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروي في قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وعن مجاهد
هذه كلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث اعني اذكروا الله وسبحوا موجها
الى البكرة والاصيل كقولك صم وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما خصه

رجاله لا رجالهم

بالنصب عطفا على ابا احد
وبالرفع على ولكن هو
رسول الله ولكن بالتشديد
على حذف الخبر تقديره
ولكن رسول الله من عرفتموه

من بين انواعه اختصاص جبريل وميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على
سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه من الصفات والافعال وتبرئته
من القبائح ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل وصف العبد بالنزاهة
من ادناس المعاصي والطهر من ارجاس المآثم على سائر اوصافه من كثرة الصلوة
والصيام والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار بالفضائل
ويجوز ان يريد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال على العبادات فان كل
طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلوة
في جميع اوقاتها لفضل الصلوة على غيرها او صلوة الفجر والعشائين لان اداءها
ومراعاتها اشد هو الذي يصلي عليكم لما كان من شان المصلي ان ينعطف في
ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في
انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف
قوله هو الذي يصلي عليكم ان فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله
وما معنى صلوتهم هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم
مستجابي الدعوة كانهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك الله اي
احياك وابقاك وحييتك اي دعوت لك بان يحييك الله لانك لاتكالك على
اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله
وسقيتك وعليه قوله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين
آمنوا صلوا عليه اي ادعوا الله بان يصلي عليه والمعنى هو الذي يترحم عليكم ويترأف حيث
يدعوكم الى الخير ويامركم باكثار الذكر والتوفر على الصلوة والطاعة ليخرجكم
من الظلمات ظلمات المعصية الى النور نور الطاعة وكان بالمؤمنين
رحيما دليل على ان المراد بالصلوة الرحمة ويروى انه لما نزل قوله ان الله وملائكته
يصلون على النبي قال ابو بكر ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه
فانزلت تحيتهم من اضافة المصدر الى المفعول يوم يلقونه سلام اي يحيون
يوم لقائه بسلام فيجوز ان يعظمهم الله عز وجل بسلامه عليهم كما يفعل بهم سائر
انواع التعظيم وان يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك الموت

والملائكة معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور
وقيل عند دخول الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب واجرا كريما الجنة
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم
اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل في الحكم
وكيف كان شاهدا وقت الارسال وانما يكون شاهدا عند تحمل الشهادة او عند ادائها
هي حال مقدرة كمسئلة الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا به
الصيد غدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله قد فهم من قوله
انا ارسلناك داعيا انه ماذون له في الدعاء فما فائدة قوله باذنه لم يرد
به حقيقة الاذن وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول في حق
المالك متعذر فاذا صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر
من ذلك وضع موضعه وذلك ان دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع
امر في غاية الصعوبة والتعذر فقيل باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتاتى ولا يستطاع
الا اذا سهله الله تعالى ويسره ومنه قولهم في الشحيح انه غير ماذون له في الانفاق
اي غير مسهل له الانفاق لكونه شاقا عليه داخلا في حكم التعذر وسراجا منيرا
جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير
ويهتدى به او امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور الابصار
ووصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي
كلام بعضهم ثلاثة تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء وسئل
بعضهم عن الموحشين فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل ذا سراج منير او تاليا
سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير ان يعطف على كاف ارسلناك وبشر المؤمنين
بان لهم من الله فضلا كبيرا الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب
واذا ذكر المتفضل به وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من
قولهم للعطايا فضول وفواضل وان يريد ان لهم فضلا كبيرا على سائر الامم وذلك الفضل
من جهة الله وانه آتاهم ما فضلهم به ولا تطع الكافرين والمنافقين معناه
الدوام والثبات على ما كان عليه او التهييج ودع اذاهم يحتمل اضافته الى الفاعل

والمفعول يعني ودع ان يؤذيهم بضرب او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم
على الله في باطنهم او ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس
هي منسوخة بآية السيف وتوكل على الله فانه يكفيكم وكفى بالله وكيلا
وكفى به مفوضا اليه ولقائل ان يقول وصفه الله بخمسة اوصاف وقابل كلا
منها بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المؤمنين لانه يكون شاهدا على
امته وهم يكونون شهداء على ساير الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن
الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض عنهم اقبل جميع اقباله على المؤمنين وهو مناسب
للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له
من عقاب عاجلا او آجلا كانوا منذرين به في المستقبل والداعي الى الله بتيسيره بقوله
وتوكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفاء به وكيلا لان من
اناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا بان يكتفى به عن جميع خلقه يا ايها
الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات النكاح الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته
له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها سبب في اقتراف الاثم
ونحوه في علم البيان قول الراجز اسنمة الآبال في سحابه سمى الماء
باسنمة الآبال لانه سبب سمن المال وارتفاع اسنمته ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله
الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن آداب القرآن الكناية
عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان لم خص المؤمنات
والحكم نطقت به الآية تستوي فيه المؤمنات والكتابيات في اختصاصهن
تنبيه على ان اصل امر المؤمن والاولى به ان يتخير لنطفته وان لا ينكح الا مؤمنة عفيفة
ويتنزه عن مزاوجة الفواسق فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد
عدوة الله ووليه فالتي في سورة المائدة تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات
من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم ما هو الاولى بالمؤمنين من نكاح المؤمنات
ما فائدة ثم في قوله ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فائدته
نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد و
ان يبعد عهدها بالنكاح ويتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها

اذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم مقام المساس نعم عند
ابي حنيفة واصحابه حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله فما لكم عليهن
من عدة تعتدونها دليل على ان العدة حق واجب على النساء للرجال تعتدونها
تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها كقولك كلته فاكتاله
ووزنته فاتزنه وقرئ تعتدونها مخففا اي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه
والمراد بالاعتداء ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا فمتعوهن وسرحوهن
ما هذا التمتيع اواجب ام مندوب اليه ان كانت غير مفروض لها
كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند ابي حنيفة الا لها وحدها دون ساير المطلقات
وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم
ابو حنيفة وبعض على الوجوب سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب يا ايها
النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن مهورهن لان المهر
اجر على البضع وايتاؤها اما اعطاؤها عاجلا واما فرضها وتسميتها في العقد
وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك و
بنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك لم قال اللاتي
آتيت اجورهن ومما افاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات
قد اختار الله لرسوله الافضل الاولى واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه
بغيرها من الخصائص وآثره بما سواها من الاثر وذلك ان تسمية المهر في العقد
اولى وافضل من ترك التسمية وان وقع العقد جائزا وله ان يماسها وعليه مهر
المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها وسوق المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه
ويؤجله وكان التعجيل ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت
سبية مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب احل واطيب مما
يشترى من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة
ما سبي من اهل الحرب واما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة ويدل عليه
قوله تعالى مما افاء الله عليك لان فيء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث
كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن

مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرابته غير المحارم أفضل من غير المهاجرات
معه وعن أم هانئ بنت أبي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاعتذرت
إليه فعذرني ثم أنزل الله فلم أحل له لأني لم أهاجر معه كنت من الطلقاء
وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي أحللنا لك من وقع لها أن تهب
لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات إن اتفق ذلك ولذلك نكرها
واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم بالهبة وقيل الواهبات أربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة أم
المساكين الأنصارية وأم شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ إن بالكسر
على الشرط وقرأ الحسن أن بالفتح على التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز أن يكون
مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس ما دام زيد جالسا بمعنى وقت
دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها وقرأ ابن مسعود بغير أن إن أراد النبي أن
يستنكحها فا . ما معنى الشرط الثاني مع الأول هو تقييد له شرط
في الإحلال هبتها نفسها وفي الهبة إرادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم كأنه قال أحللناها لك إن وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها
لأن إرادته هي قبول الهبة وما به تتم خالصة لك من دون المؤمنين
لم عدل عن الخطاب إلى الغيبة في قوله نفسها للنبي إن أراد النبي ثم رجع إلى الخطاب
للإيذان بأنه مما خص به وأوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على أن الاختصاص
تكرمة له لأجل النبوة وتكريره تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته
واستنكاحها طلب نكاحها والرغبة فيه وقد استشهد به أبو حنيفة على جواز
عقد النكاح بلفظ الهبة لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمته سواء في
الأحكام إلا ما خصه الدليل وقال الشافعي لا يصح وقد خص رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم بمعنى الهبة ولفظها جميعا لأن اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في
اللفظ يحتاج إلى دليل وقال أبو الحسن الكرخي إن عقد النكاح بلفظ الإجارة جائز
لقوله اللاتي آتيت أجورهن وقال أبو بكر الرازي لا يصح لأن الإجارة عقد مؤقت
وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان خالصة مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله

هذه الآية

أي خالصة لك إحلال ما أحللنا خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة في المصادر
غير عزيزين كالخارج والقاعد والعافية والكاذبة والدليل على أنها وردت في أثر
الإحلالات الأربع مخصوصة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سبيل
التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم
بعد قوله من دون المؤمنين وهي جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك
حرج متصل بخالصة لك من دون المؤمنين ومعنى هذه الجملة الاعتراضية أن
الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين في الأزواج والإماء وعلى أي حد وصفة
يجب أن يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة في اختصاص رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم بما اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لكيلا يكون عليك ضيق في
دينك حيث اختصصناك بالتنزيه واختيار ما هو أولى وأفضل وفي دنياك حيث أحللنا
لك أجناس المنكوحات وزدنا لك الواهبة نفسها وقرئ بالرفع أي خلوص لك وخصوص
من دون المؤمنين ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة خالصة
لك من دونهم وكان الله غفورا للواقع في الحرج إذا تاب رحيما بالتوسعة
على عباده وروي أن أمهات المؤمنين حين تغايرن وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم هجرهن شهرا ونزل التخيير فأشفقن أن يطلقهن فقلن يا رسول الله
افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروي أن عائشة قالت إني أرى ربك يسارع
في هواك ترجي بهمز وغير همز تؤخر وتؤوي تضم يعني تترك مضاجعة من تشاء
منهن وتضاجع من تشاء أو تطلق من تشاء أو لا تقسم لأيتهن شئت وتقسم لمن
شئت أو تترك تزوج من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت وعن الحسن كان
النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لأحد أن يخطبها حتى يدعها وهذه قسمة
جامعة لما هو الغرض لأنه إما أن يطلق وإما أن يمسك فإذا أمسك ضاجع أو
ترك وقسم أو لم يقسم وإذا طلق وعزل فإما أن يخلي المعزولة لا يبتغيها أو يبتغيها
وروي أنه أرجى منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم
لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب أرجى
خمسا وآوى أربعا وروي أنه كان يسوي بينهن مع ما أطلق له وخير إلا سودة فإنها و

ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك

يخطبها حتى

ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقني حتى احشر في زمرة نسائك ذلك التفويض الى
مشيتك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن
ادنى الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضائهن جميعا لانه سوى بينهن في
الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل ولم يكن لاحد منهن
مما تريد ومما لا تريد الا مثل ما للاخرى وعلمن ان هذا التفويض من عند الله
وبوحيه اطمأنت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت
العيون وسلت القلوب والله يعلم ما في قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض
منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى مشيئة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وبعث على تواطي قلوبهن والتصافي بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وما فيه طيب نفسه وقرئ تقر اعينهن بضم التاء ونصب الاعين ورفع
اعينهن على البناء للمفعول وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل
بالعقاب فهو حقيق بان يتقى ويحذر كلهن تاكيد لنون يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين
كلهن بما آتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تاكيدا لهن في آتيتهن لا يحل لك النساء
وقرئ بالتذكير لان تانيث الجمع غير حقيقي واذا جاز بغير فصل في قوله وقال نسوة
كان مع الفصل اجوز من بعد من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم من الازواج كما ان الاربع نصاب امته منهن فلا يحل له ان
يتجاوز النصاب ولا ان تبدل بهن ولا ان تستبدل بهؤلاء التسع ازواجا اخر
بكلهن او بعضهن اراد الله لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسوله
عليهن وهن التسع اللاتي مات عنهن عائشة وحفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابي
سفيان سودة بنت زمعة ام سلمة بنت ابي امية صفية بنت حيي الخيبرية ميمونة
بنت الحارث الهلالية زينب بنت جحش الاسدية جويرية بنت الحارث المصطلقية
من في من ازواج لتاكيد النفي وفائدته استغراق جنس الازواج بالتحريم وقيل
لا يحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الاجناس الاربعة من الاعرابيات
والغرائب او من الاماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل الذي كان في
الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك فينزل كل واحد منهما عن امرأته

لصاحبه ويحكى ان عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعنده عائشة
من غير استيذان فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا عيينة اين الاستيذان
قال يا رسول الله يا عيينة ما استاذنت على رجل قط من مضر منذ ادركت ثم
قال من هذه الجميلة الى جنبك قال هذه عائشة ام المؤمنين قال عيينة افلا
انزل لك عن احسن الخلق فقال ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة
من هذا يا رسول الله قال احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة
ما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى احل له النساء يعني ان الاية
قد نسخت ولا يخ ناسخها اما ان يكون بالسنة واما ان يكون بقوله انا احللنا لك
ازواجك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ولو اعجبك في موضع الحال من
الفاعل وهو الضمير في تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه موغل في التنكير
وتقديره مفروضا اعجابك بهن وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر
بن ابي طالب والمراد انها ممن اعجبه حسنهن الا ما ملكت يمينك استثنى
ممن حرم عليه الاماء وكان الله على كل شيء رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير
عن مجاوزة حدوده وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا
بيوت النبي الا ان يؤذن لكم في معنى الظرف تقديره وقت ان يؤذن لكم
الى طعام غير ناظرين اناه غير حال من لا تدخلوا وقع الاستثناء على الوقت
والحال معا كانه قيل لا تدخلوا بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا
غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينين
للطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا
لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى الطعام غير ناظرين اناه
والا فلو لم يكن هؤلاء خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل بيوت النبي الا ان يؤذن له
اذنا خاصا وهو الاذن الى الطعام فحسب وعن ابي عبلة انه قرأ غير ناظرين مجرورا
صفة لطعام لانه جرى على غير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين
اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي والى الطعام احدا كله يقال ابي كذلك

وليس بالوجه

فلاة قلى ومنه قوله من حميم آن بلغ أناه وقيل إناه وقته أي غير ناظرين وقت
الطعام وساعة أكله وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أولم على
زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا يدخل فوج
فيخرج ثم يدخل فوج إلى أن قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه
فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليخرجوا فانطلق إلى حجرة عائشة فقال
السلام عليكم أهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك
وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فإذا الثلاثة جلوس يتحدثون
وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شديد الحياء فتولى فلما رأوه متوليا
خرجوا فرجع ونزلت **وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا**
وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ نهوا
أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به
أو أن يستأنسوا حديث أهل البيت واستئناسه تسمعه وتوجسه وهو
مجرور معطوف على ناظرين وقيل هو منصوب على ولا تدخلوها مستأنسين
لا بد في قوله **فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ** من تقدير المضاف أي من إخراجكم بدليل قوله
وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ يعني أن إخراجكم حق ما ينبغي أن يستحيى منه
ولما كان الحياء مما يمنع الحيي عن بعض الأفعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى
لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا أدب أدب الله به الثقلاء وعن
عائشة رضي الله عنها حسبك في الثقلاء أن الله لم يحتملهم وقال فإذا طعمتم فانتشروا
وقرئ لا يستحي بياء واحدة الضمير في **وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ** لنساء النبي صلى الله
عليه وآله وسلم ولم يذكرن لأن الحال ناطقة بذكرهن **مَتَاعًا** حاجة
المتاع **مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** وقيل أن عمر
كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود أن
ينزل فيه وكان يقول لو أطاع فيكن ما رأتكن عين وقال يا رسول الله
يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروي

أنه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال لئن احتجبتن فإن لكن على النساء فضلا
كما أن لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب إنك لتغار علينا والوحي
ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى نزلت وقيل إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبي صلى الله
عليه وآله وسلم ذلك فنزلت آية الحجاب وذكر أن بعضهم قال أننهى أن نكلم بنات
عمنا إلا من وراء حجاب لئن مات محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأتزوجن فلانة فأعلم
الله عز وجل أن ذلك محرم **وَمَا كَانَ لَكُمْ** وما صح لكم **أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ** إيذاء
اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ولا نكاح أزواجه من بعده
إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا يعني نكاحهن بعده عظيما عنده وهو من
إعلام تعظيم الله تعالى لرسوله وإيجاب حرمته حيا وميتا وإعلامه بذلك مما
طيب به نفسه وسر قلبه واستغزر شكره فإن نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا
يخلي منه فكره ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا
تنكح من بعده وعن بعض الفتيان أنه كانت له جارية لا يرى الدنيا إلا بها شغفا
واستهتارا فنظر إليها ذات يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره
هذا المذهب فلم يزل به ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده و
حصولها تحت يد غيره وعن بعض الفقهاء أن الزوج الثاني في هدم الثلاث يجري مجرى
العقوبة فصين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عما يلاحظ ذلك **إِنْ تُبْدُوا**
شَيْئًا من نكاحهن على ألسنتكم **أَوْ تُخْفُوهُ** في صدوركم **فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ**
شَيْءٍ عَلِيمًا يعلم ذلك فيعاقبكم به وإنما جاء به على أثر ذلك عاما لكل باد وخاف
ليدخل تحته نكاحهن وغيره ولأنه على هذه الطريقة أهول وأجزل وروي أنه
لما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب يا رسول الله أو نحن أيضا نكلمهن
من وراء حجاب **لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ** أي لا إثم عليهن **فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ**
وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ
وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ في أن لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لأنهما
يجريان مجرى الوالدين وقد جاءت تسمية العم أبا قال الله تعالى وإله آبائك

ابرهيم واسمعيل واسحق واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لانهما
يصفانها لابنائهما وابناؤهما غير محارمهم ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب في
هذا النقل ما يدل على فضل التشديد فقيل واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب
وانزل فيه الوحي من الاستتار واحفظن فيه وفيما استثنى منه ما قدرتن
واحفظن حدودهما واسلكن طريقة التقوى في حفظهما وليكن عملكن في الحجب
احسن مما كان وانتن غير محتجبات لتفضلن على غيركن ان الله كان على كل شيء
من السر والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا يتفاوت في علمه الاحوال
ان الله وملائكته يصلون على النبي قرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل
ان واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين ان يحذف الخبر
لدلالة يصلون عليه يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما
اي قولوا الصلوة على الرسول والسلام ومعناه الدعا بان يرحم عليه الله تعالى
الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اهي واجبة ام مندوب اليها
بل هي واجبة كلما جرى ذكره في الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار
فابعده الله تعالى ويروى انه قيل يا رسول الله ارايت قول الله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي فقال هذا من العلم المكنون ولولا انكم سالتموني ما اخبرتكم به
ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي علي الا قال ذانك الملكان
غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين آمين ولا اذكر عند عبد
مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته
لذينك الملكين آمين ومنهم من قال تجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل
في آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله وآخره ومنهم من
اوجبها في مدة العمر مرة واحدة وكذلك قال في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه
الاحتياط الصلوة عليه عند كل ذكر لما ورد من الاخبار فالصلوة
عليه اهي شرط في جوازها ام لا ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله لا يرونها
شرطا وعن ابرهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة بالتشهد وهو
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته واما الشافعي فقد جعلها

وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها

شرطا فما تقول في الصلوة على غيره القياس جواز الصلوة على كل
مؤمن لقوله هو الذي يصلي عليكم وقوله وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم
وقوله عليه وآله الصلوة والسلام اللهم صل على آل ابي اوفى ولكن للعلماء
تفصيلا في ذلك وهو انها ان كانت على سبيل التبع كقوله صلى الله عليه وآله وسلم
فلا كلام فيها واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلوة كما يفرد هو فلان ذلك صار
شعارا لذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولانه يؤدي الى الاتهام بالرفض
وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف
التهم ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم
عذابا مهينا فيه وجهان احدهما ان يعبر بايذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا
يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من انواع المكروه على سبيل المجاز وانما جعله
مجازا فيهما جميعا وحقيقة الايذاء صحيحة في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لئلا اجعل العبارة الواحدة معطية معنى المجاز والحقيقة والثاني ان يراد يؤذون
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل في اذى الله هو قول اليهود والنصارى
والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله
والاصنام شركاؤه وقيل قول الذين يلحدون في اسمائه وصفاته وعن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فيما حكى عن ربه شتمني ابن آدم ولم ينبغ له ان يؤذيني فاما
شتمه اياي فقوله اني اتخذت ولدا واما اذاه فقوله ان الله لا يعيدني بعد ان
بداني وعن عكرمة فعل اصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله
وقيل في اذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون
وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم احد وقيل طعنهم عليه في نكاح صفية بنت
حيي والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا
بهتانا واثما مبينا واطلق ايذاء الله وقيد ايذاء المؤمنين والمؤمنات لانه ونبه
وسلم بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للاذى وقيل نزلت في ناس من المنافقين
يؤذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في الذين افكوا على عائشة رضي الله عنها وقيل في

زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك ان تؤذي كلبا او خنزيرا
بغير حق فكيف وكان ابن عون لا يكري الحوانيت الا من اهل الذمة لما فيه من
الروعة عند كر الحول يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين
يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ثوب واسع اوسع من الخمار و
دون الرداء تلويه المرأة على رأسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن
ابن عباس الرداء الذي يستتر به من كساء او غيره قال ابو زبيد مجلبب من سواد
ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين بها وجوههن واعطافهن
يقال اذا زل الثوب عن وجه المرأة ادني ثوبك على وجهك وذلك ان النساء كن
في اول الاسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المرأة في درع وخمار
لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان واهل الشطارة يتعرضون اذا خرجن
بالليل الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة
بعلة الامة يقولون حسبناها امة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء
بلبس الاردية والملاحف وستر الرؤوس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن
طامع وذلك قوله ذلك ادنى ان يعرفن اي اولى واجدر بان يعرفن فلا
يؤذين فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن ما معنى من في من جلابيبهن
هو للتبعيض الا ان معنى التبعيض محتمل وجهين احدهما ان يتجلببن ببعض
ما لهن من الجلابيب والمراد ان لا تكون المرأة في درع وخمار كالامة والماهنة
ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني ان ترخي المرأة بعض جلبابها وفضله على
وجهها تتقنع حتى تتميز من الامة وعن ابن سيرين سألت عبيدة السلماني عن
ذلك فقال ان تضع رداءها فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على انفها وعن
السدي ان تغطي احدى عينيها وجبهتها والشق الآخر الا العين وعن الكسائي
يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى الادناء وكان الله
غفورا لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل
رحيما لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض قوم كان فيهم
ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وقيل هم الزناة واهل الفجور من قوله تعالى فيطمع

الذي في قلبه مرض والمرجفون في المدينة باخبار السوء عن سرايا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب
المؤمنين ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من
الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة
عن فجورهم والمرجفون عما يؤلفون من اخبار السوء لنغرينك بهم لنأمرنك بان
تفعل بهم الافاعيل التي تسوءهم وتنوءهم ثم لا يجاورونك ثم بان يضطرهم الى طلب الجلاء
عن المدينة والى ان لا يساكنوك فيها الا زمانا قليلا ريثما يرتحلون ويلتقطون
انفسهم وعيالاتهم فسمي ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز ملعونين
اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا ملعونين نصب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك
الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على الظرف والحال معا كما مر في قوله الا ان يؤذن
لكم غير ناظرين ولا يصح ان ينتصب عن اخذوا لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما
قبلها وقيل منصوب على الحال ايضا ومعناه لا يجاورونك الا اقلاء اذلاء ملعونين
ما موقع لا يجاورونك لا يجاورونك عطف على لنغرينك لانه يجوز ان
يجاب به القسم الا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك اما كان من
حق لا يجاورونك ان يعطف بالفاء وان يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك
لو جعل الثاني مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا آخر للقسم معطوفا
على الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم واعظم من جميع ما اصيبوا
به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد
لسنة الله تبديلا سنة الله في موضع مصدر مؤكد اي سن الله في الذين ينافقون
الانبياء ان يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل اهل بدر واسروا يسألك الناس
عن الساعة كان المشركون يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن وقت
قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء واليهود يسألونه امتحانا لان الله عمى وقتها في التوراة
وفي كل كتاب قل انما علمها عند الله امر رسوله ان يجيبهم بانه علم قد استأثر الله به
لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ثم بين لرسوله
انها قريبة الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين قريبا شيئا قريبا او لان الساعة

في بعض اليوم او في زمان إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا السعير النار المسعورة الشديدة الايقاد يَوْمَ
تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ وقرئ تقلب على البناء للمفعول وتقلب بمعنى تتقلب
ونقلب اي نقلب نحن وتقلب على ان الفعل للسعير ومعنى تقليبها تصريفها في الجهات
كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلت فترامى بها الغليان من جهة الى جهة او
تغييرها عن احوالها وتحويلها عن هيآتها او طرحها في النار مقلوبين منكوسين
وخصت الوجوه بالذكر لان الوجه اكرم موضع على الانسان من جسده ويجوز
الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يَقُولُونَ او محذوف وهو اذكر واذا
نصب الجملة المحذوف فكان يقولون حالا يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا
وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا وقرئ ساداتنا وسادتنا وهم رؤساء
الكفرة الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا يقال ضل السبيل
واضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الآي كقوافي الشعر
وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستأنف رَبَّنَا
آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا وقرئ كثيرا تكثيرا لاعداد
اللاعنين وكبيرا ليدل على اشد اللعن واعظمه ضعفين ضعفا لضلاله وضعفا
لاضلاله يصرخون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا قيل نزلت في
وما سمع فيه من قالة بعض الناس في اذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التي
ارادها قارون على قذفه بنفسها وقيل اتهامهم اياه بقتل هارون وكان قد
خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا فابصروه
حتى عرفوا انه غير مقتول وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءة موسى عليه السلام
وقيل قذفوه بعيب في جسده من برص او ادرة فاطلعهم الله تعالى على انه بريء
منه وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ذا جاه ومنزلة عنده فلذلك كان يميط عنه التهم
ويدفع الاذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف بنقيصة كما يفعل الملك
بمن له عنده قربة ووجاهة وقرأ ابن مسعود والاعمش وابو حيوة فكان عبد الله

وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شنبوذ في شهر رمضان فسمعته يقرؤها
وقراءة العامة اوجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله عند ذي العرش
مكين وهذه ليست كذلك قوله مما قالوا معناه من قولهم او من مقولهم
لان ما مصدرية او موصولة وايهما كان فكيف تصح البراءة منه المراد
من القول او المقول مؤداه ومضمونه وهو الامر المعيب الا ترى انهم سموا
السبة بالقالة والقالة بمعنى القول يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا
قَوْلًا سَدِيدًا قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل
يقال سدد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد
والمراد نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث
على ان يسد قولهم في كل باب لان حفظ اللسان وسداد القول راس الخير كله
والمعنى راقبوا الله في حفظ ألسنتكم وتسديد قولكم يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ
وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ فان فعلتم ذلك اعطاكم الله ما هو غاية الطلبة
من تقبل حسناتكم والاثابة عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال
التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على
النهي عما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذه على الامر باتقاء الله في
حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد من
قصة موسى واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي
الى تركه لما قال وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا علق بالطاعة
الفوز العظيم اتبعه قوله إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ
وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها وفيه وجهان احدهما ان هذه
الاجرام العظام من السموات والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز وعلا
انقياد مثلها وهو ما يتأتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التي تصح منها
وتليق بها حيث لم تمتنع على مشيته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على
هيئات مختلفة واشكال متنوعة كما قال قالتا اتينا طائعين واما الانسان فلم
يكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد لاوامر الله ونواهيه

صالح ه

وهو حيوان عاقل للتكليف بتلك حال تلك الجمادات فيما يصح منها ويليق بها من
الانقياد لامر الله وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة
الوجود كما ان الامانة لازمة الاداء وعرضها على الجمادات وابائها
واشفاقها مجاز واما حمل الامانة فمن قولك فلان حامل للامانة ومحتمل لها
انه لا يوديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته ويخرج عن عهدتها لان الامانة
كانها راكبة للموتمن عليها وهو حاملها الا ترى يقولون ركبته الديون ولي عليه
حق فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه لا يملك مولى
لمولى نصيرا يريدون انه يبذل له النصرة ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها
الخاذل ومنه قول القايل اخوك الذي لا يملك الحس نفسه وترفض عند المحفظات الكتايف
اي لا يمسك الرقة والعطف امساك المالك الظنين ما في يده بل يبذل ذلك
ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق اخيك لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه ولم
يوده واذا ابغضه اخرجه واداه فمعنى فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا
وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ فابين الا ان يودينها وابى الانسان الا ان يكون محتملا
لها لا يوديها إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا
لاداء الامانة وبالجهل لاخطائه ما يسعده مع تمكنه منه وهو اداؤها
والثاني ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق
الله من الاجرام واقواه واشده ان يتحمله ويستقل به فابى حمله والاستقلال
به واشفق منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته انه كان ظلوما جاهلا
حيث حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام
كثير في لسان العرب وما جاء القرآن الا على طرقهم واساليبهم من ذلك قولهم
لو قلت للشحم اين تذهب لقال اسوي العوج وكم لهم من امثال على السنة البهايم و
الجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض ان السمن في الحيوان مما يحسن
قبيحه كما ان العجف مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا هو اوقع في نفس
السامع وهي به انس وله اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة
وصعوبة امرها وثقل محملها والوفاء بها فان قلت قد علم وجه التمثيل في قولهم

للذي لا يثبت على راي واحد اراك تقدم رجلا وتوخر اخرى لانه مثلت حاله
في تميله وترجحه بين الرايين وتركه المضي على احدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا
يجمع رجليه في وجهه وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة
والمعرفة وليس كذلك ما في الآية فان عرض الامانة على الجماد وابائه واشفاقه
محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء التمثيل على المحال وما مثال
هذا الا ان تشبه شيئا والمشبه به غير معقول قلت الممثل به في الآية وفي قولهم
لو قيل للشحم اين تذهب وفي نظايره مفروض والمفروضات تتخيل في الذهن كما
ان المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو
عرضت على السموات والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها واللام في لِيُعَذِّبَ
اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ لام التعليل على طريق
المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما ان التاديب في ضربته نتيجة الضرب وَيَتُوبَ
اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا وقراء الاعمش و
يتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدي ويتوب الله ومعنى قراءة
العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب
على الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله اعلم قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من
عذاب القبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ كله نعمة من الله فهو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه من اجله ولما
قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالانعام بجميع النعم الدنيوية كان معناه انه المحمود
على نعم الدنيا كما تقول احمد اخاك الذي كساك وحملك تريد احمده على كسوته
وحملانه ولما قال وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ علم انه المحمود على نعم الآخرة وهي الثواب
ما الفرق بين الحمدين قلت اما الحمد في الدنيا فواجب لانه على نعمه

تتفضل بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الآخرة وهي الثواب واما الحمد في
الآخرة فليس بواجب اليه على نعمة واجبة الايصال الى مستحقها انما هو تتمة
سرور المؤمنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به كما يلتذ من به العطش بالماء
البارد وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين ودبرها بحكمته الخبير
بكل كائن يكون يعلم ثم ذكر مما يحيط علما ما يلج في الارض من الغيث كقوله
فسلكه ينابيع في الارض ومن الكنوز والدفائن والاموات وجميع ما هي
له كفات وما يخرج منها من الشجر والنبات وماء العيون والفلز
والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج والبرد
والصواعق والارزاق والملائكة وانواع البركات والمقادير كما قال وفي
السماء رزقكم وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة واعمال العباد وهو
مع كثرة نعمته وسبوغ فضله الرحيم الغفور للمفرطين في اداء مواجب
شكرها وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه ننزل بالنون والتشديد و
قال الذين كفروا قولهم لا تأتينا الساعة نفي البعث وانكار لمجيء
الساعة واستبطاء لما وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقوله متى
هذا الوعد قل بلى اوجب ما بعد النفي ببلى على معنى ليس الامر الا اتيانها
وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
ثم اعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين
بالله عز وجل ثم امد التوكيد القسمي امدادا بما اتبع المقسم به من الوصف بقوة حال
المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته لانه بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان
المستشهد به اعلى كعبا وابين فضلا وارفع منزلة كانت الشهادة اقوى واكد والمستشهد
عليه اثبت وارسخ هل للوصف الذي وصف به المقسم به وجه اختصاص بهذا
المعنى نعم وذلك ان قيام الساعة من مشاهير الغيوب وادخلها في الخفية و
اولها مساقا له اذا قيل عالم الغيب حين اقسم باسمه على اثبات قيام الساعة وانه كائن
لا محالة ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب وانه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته
احاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا

الناس قد انكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب انه حلف لهم باغلظ الايمان واقسم جهد
القسم فيمين من هو مفتر على الله كذبا كيف يكون مصححا لما انكروه هذا لو اقتصر
على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهي قوله ليجزي الذين آمنوا
وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة ورزق كريم فقد وضع الله في العقول
وركب في الغرائز وجوب الجزاء وان المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من عقاب
وقوله ليجزي متصل بقوله لتأتينكم تعليلا له قرئ لياتينكم بالتاء والياء ووجه
من قرأ بالياء ان يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم او يسند الى عالم الغيب اي
ليأتينكم امره كما قال هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك او يأتي
امر ربك وقرئ عالم الغيب وعلام الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب وعالم الغيب
بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب
بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار اصغر نملة ذلك اشارة الى مثقال ذرة وقرئ
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالرفع على اصل الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك
لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والفتح وهو كلام منقطع عما قبله هل يصح عطف
المرفوع على مثقال ذرة واصغر واكبر وزيادة لا لتأكيد النفي وعطف المفتوح
على ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كأنه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة
ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر يأبى ذلك حرف الاستثناء الا اذا
جعلت الضمير في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان يكتب في اللوح لان ابانها
في اللوح لان اثباتها في اللوح من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن الغيب شيء
ولا يزل عنه الا مسطورا في اللوح والذين سعوا في آياتنا معاجزين اولئك
لهم عذاب من رجز اليم وقرئ معجزين واليم بالرفع وعن قتادة الرجز سوء العذاب
ويرى في موضع الرفع اي ويعلم اولوا العلم يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ومن يطأ اعقابهم من امته او علماء اهل الكتاب الذين اسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله
بن سلام الذي انزل اليك من ربك هو الحق وهما مفعولان ليرى وهو فصل
ومن قرا بالرفع جعله مبتدا والحق خبرا والجملة في موضع المفعول الثاني
وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي اي وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة

انه الحق علما لا يزداد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين كذبوا وبدلوا او
لجواز ان يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار بانه هو الحق فيزدادوا حسرة
وغما وقال الذين كفروا قريش بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل ينبئكم
اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد يعنون محمدا صلى الله عليه وآله
وسلم يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشأون خلقا جديدا بعد ان
تكونوا رفاتا وترابا ويمزق اجسادكم البلى كل ممزق اي يفرقكم ويبدد اجزاءكم
كل تبديد افترى على الله كذبا اهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك
ام به جنة جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه بل الذين لا يؤمنون بالآخرة
في العذاب والضلال البعيد ثم قال سبحانه ليس محمد صلى الله عليه وآله وسلم من
الافتراء في شيء وهو مبرء منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون بالبعث القائلون
الكافرون بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن
وهم غافلون عن ذلك وذلك اجن الجنون واشده اطباقا على عقولهم جعل
وقوعهم في العذاب رسيلا لوقوعهم في الضلال كانهما كائنان في وقت واحد
لان الضلال لما كان العقاب من لوازمه وموجباته جعلا كانهما في الحقيقة
مقترنان وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما ينبئكم قد جعلت الممزق مصدرا
كبيت الكتاب الم تعلم مسرحي القوافي فلا عيا بهن ولا اجتلابا فهل يجوز ان
يكون مكانا نعم ومعناه ما حصل من الاموات في بطون الطير والسباع
وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح فطرحته كل مطرح
ما العامل في اذا ما دل عليه انكم لفي خلق جديد وقد سبق نظيره
الجديد فعيل بمعنى فاعل ام مفعول هو عند البصريين بمعنى فاعل
تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى مفعول
من جده اذا قطعه وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع
ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهي عند البصريين كقوله ان رحمة الله
قريب ونحو ذلك لم اسقطت الهمزة في نحو قوله افترى دون قوله
السحر كلتاهما همزة وصل القياس الطرح ولكن امرا اضطرهم الى

اسقاطها في نحو السحر وهو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة
الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام ما معنى وصف الضلال بالبعيد
هو من الاسناد المجازي لان البعيد صفة الضال اذا بعد عن الجادة وكلما
ازداد عنها بعدا كان اضل كان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم مشهورا علما في قريش فكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قولهم
هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا الدلالة عليهم كما يدل
على مجهول في امر مجهول كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية
فاخرجوه مخرج التحكي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي
متجاهلين به وبامره أولم يروا اعموا فلم ينظروا الى ما بين ايديهم و
ما خلفهم من السماء والارض وانهما حيث ما كانوا وانما ساروا امامهم
وخلفهم محيطان بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارهما وان يخرجوا
عما هم فيه من ملكوت السموات ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط
عليهم كسفا من السماء ولم يخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم
كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون و
اصحاب الايكة ان في ذلك النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما تدلان عليه
من قدرة الله لآية ودلالة لكل عبد منيب راجع الى ربه مطيع له لان المنيب لا يخلو
من النظر في آيات الله على انه قادر على كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به
يشاء ويخسف ويسقط بالياء لقوله افترى على الله كذبا وبالنون لقوله و
لقد آتينا داود منا فضلا وكسفا بفتح السين وسكونه وقرأ الكسائي نخسف
بهم بالادغام وليست بقوية يا جبال اما ان يكون بدلا من فضلا واما من آتينا
بتقدير قولنا يا جبال او قلنا يا جبال وقرئ اوبي معه واوبي من التأويب والاوب
اي رجعي معه التسبيح او ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد
رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة
فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة لداود عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه
بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها

وقرئ والطيرُ رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوّزوا ان ينتصب مفعولا معه وان يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير   اي فرق بين هذا النظم وبين ان يقال وآتينا داود منا فضلا تاويب الجبال معه والطير
الا ترى الى ما فيه من الفخامة التي لا تخفى ومن الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية حيث جعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته والنا له الحديد وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف شاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد في يده لما اوتي من شدة القوة ان اعمل سابغات وقرئ صابغات وهي الدروع الواسعة الضافية وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج وهو ملك بني اسرائيل متنكرا فيسال الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون في داود فيثنون عليه فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فساله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فساله فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فسال عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغني به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع وقدّر لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتقصم الحلق في السرد نسج الدروع واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير الضمير لداود واهله ولسليمان الريح فيمن نصب ولسليمان الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرأ الرياح بالرفع غدوها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر ورواحها شهر وجريها بالعشي كذلك وقرئ غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه بكابل ويحكى ان بعضهم رأى مكتوبا في منزل بناحية دجلة كتبه بعض اصحاب سليمان نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى واسلنا له عين القطر النحاس المذاب من القطران
ماذا اراد بعين القطر   اراد بها معدن النحاس ولكنه اساله كما الان

الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال اني اراني اعصر خمرا وقيل كان يسيل في الشهر ثلاثة ايام ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل عن امرنا الذي امرناه به من طاعة سليمان وقرئ يُزغ من ازاغه نذقه من عذاب السعير عذاب الآخرة عن ابن عباس وعن السدي كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه الجني يعملون له ما يشاء من محاريب لانه يحامى عليها ويذب عنها وقيل هي المساجد وتماثيل والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم
كيف استجاز سليمان عليه السلم عمل الصور   هذا مما يجوز ان يختلف
فيه لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما ويجوز ان يكون غير صور الحيوان كصور الاشجار وغيرها لان التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان او بصور محذوفة الرأس وروي انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه واذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما وجفان كالجواب جمع جابية وهي الحياض الكبار قال تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق لان الماء يجبى فيها اي يجمع جعل الفعل لها مجازا وهي من الصفات الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وحذفت الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم يدع الداع وقدور راسيات ثابتات على الاثافي لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود حكاية ما قيل لآل داود وانتصب شكرا على انه مفعول له اي اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب ان تكون على وجه الشكر او على الحال اي شاكرين او على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له ويجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم شكرا على طريق المشاكلة وقليل من عبادي الشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا

وذكرها في الكشاف وقاله وعن ابن عباس رضهما من يشكر على احواله كلها وعن السدي
من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه جزا ساعات
الليل والنهار على اهله فلم يكن تاتي ساعه من الساعات الا وانسان من آل
داود قايم يصلي وعن عمر رضه انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل
فقال عمر وما هذا الدعا فقال الرجل اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي
الشكور فانا ادعو ان يجعلني من ذلك القليل فقال كل الناس اعلم من عمر فلما قضينا
عليه الموت وقرى فلما قضي عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض
الارضة وهي الدويبة التي يقال لها السرفة والارض فعلها فاضيفت اليه
يقال ارضت الخشبة ارضا اذا اكلتها الارضة وقرى بفتح الراء من ارضت
الخشبة ارضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك اكلت القوادح الاسنان اكلا
فاكلت اكلا تاكل منساته والمنساة العصا لانه ينسا بها اي يطرد و
وقرى بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن اخراج
الهمزة بين بين هو التخفيف القياسي ومنساته على مفعالة كما يقال في الميضاة
ميضاه ومن ساته اي من طرف عصاه تسميت بساة القوس على الاستعارة
وفيها لغتان كقوله لحه لحم وقرى تبينت الجن من الشيء اذا ظهر وتجلى
وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله و
الظهور له في المعنى اي ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا
في العذاب المهين او علم الجن علما بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفتهم
وتوهمهم ان كبارهم يصدقون في ادعائهم علم الغيب وعلم المدعو علم الغيب
منهم عجزهم وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم وانما اريد
التهكم بهم كما تتهكم بمدعي الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك هل
تبينت انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل كذلك بينا وقرى تبينت الجن على البنا
للمفعول وقرى بحث على ان المتبين في المعنى هو ان مع ما في صلتها لانه بدل
وفي قراءة ابي تبينت الانس وعن الضحاك تباينت الانس بمعنى تعارفت وتعالمت
والضمير في كانوا للجن في قوله فيما يوهمونهم من علم الغيب ما لبثوا وفي قراءة

عمر رضه

اكلت منساته فلما خر

ابن مسعود تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب وروي انه كان من
عادة سليمان عليه السلم ان يعتكف في بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا
اجله لم يصبح الا راى في محرابه شجرة نابتة قد انطقها الله لاي شي انت
فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم وراى الخروبة فسالها فقالت نبتت لخراب هذا
المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وخراب
بيت المقدس فنزعها وغرسها في حائط له وقال اللهم عم على الجن موتي
حتى تعلم الانس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون
على الانس انهم يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بي فاعلمني
فقال امرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا
من قوارير ليس له باب فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ
عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان ينظر اليه
في صلوته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا
سليمن قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا
وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت منها في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك
النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا
فايقن الناس انهم لو علموا الغيب ما لبثوا في العذاب سنة وروي ان داود اسس
بنا بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلم فمات قبل ان يتمه
فوصى به الى سليمان فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره سنة ويبطل
دعواهم علم الغيب وروي ان افريدون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب
الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعد ان يدنو منه وكان عمر
سليمن عليه السلم ثلثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة فبقي في
ملكه اربعين سنة وابتدا بنا بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه
لقد كان لسبا قري لسبا بالصرف ومنعه وقلب الهمزة الفا و
في مسكنهم آية بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو موضع
سكناهم بمعنى بلدهم وارضهم التي كانوا مقيمين فيها او مسكن كل واحد منهم

فيساله

سال ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه

وقرئ مساكنهم و **جنتان عن يمين وشمال** بدل من آية او خبر مبتدأ محذوف تقديره الآية جنتان وفي الرفع معنى المدح تدل عليه قراءة من قرأ جنتين بالنصب على المدح ما معنى كونهما آية لم يجعل الجنتين في انفسهما آية وانما جعل قصتهما وان اهلهما اعرضوا عن شكر الله فخربهما وابدلهم عنهما الخمط والاثل آية وعبرة لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز ان يجعلهما آية اي علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه ووجوب شكره كيف عظم الله تعالى جنتي اهل سبا وجعلهما آية اي علامة دالة على الله وعلى قدرته وبرية قرية من قرى العراق تحتف بها من الجانبين ناشئة لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما اراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل واحد من الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة كما يكون بلاد الشريف العامرة وبساتينها او اراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه وعن شماله كما قال لاحدهما جنتين من اعناب **كلوا من رزق ربكم** اما حكاية لما قال لهم انبياء الله المبعوثون اليهم او لما قال لهم لسان الحال او هم احقاء بان يقال لهم ذلك ولما قالوا كلوا من رزق ربكم **واشكروا له** اتبعه قوله **بلدة طيبة ورب غفور** يعني هذه البلدة التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت اخصب البلاد واطيبها تخرج المرأة وعلى راسها المكتل فتعمل بيدها وتسير بين تلك الشجر فيمتلئ المكتل مما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن فيها سبخة وقيل لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد **فاعرضوا فارسلنا عليهم سيل العرم** الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضربت لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم فلما طغوا وقيل بعث الله اليهم ثلثة عشر نبيا يدعونهم الى الله ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم

وقالوا ما نعرف لله نعمة سلط الله على سدهم الخلد فنقبه من اسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل الكدس من الطعام عرمة والمراد المسناة عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادي وقيل العرم المطر الشديد وقرئ العرم بسكون الراء وعن الضحاك كانوا في الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام وقرئ اكل بالضم والسكون وبالتنوين والاضافة والاكل الثمر والخمط شجر الاراك وعن ابي عبيدة كل شجر ذي شوك وقال الزجاج كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله والاثل شجر يشبه الطرفاء اعظم واجود عودا ووجه من نون ان اصله ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او وصف الاكل بالخمط كانه قيل ذواتي اكل بشع ومن اضاف وهو ابو عمرو وحده فلان اكل الخمط في معنى البرير كانه قيل ذواتي برير والاثل والسدر معطوفان على اكل لا على خمط لان الاثل لا اكل له وقرئ واثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن رحمه الله قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا **ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور** وقرئ وهل يجازى بالنون وهل يجازي والفاعل الله وحده وهل يجزى والمعنى ان مثل هذا الجزاء لا يستحقه الا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما يفعله من السوء ووجه آخر وهو ان الجزاء عام لكل مكافاة يستعمل تارة في معنى المعاقبة وفي معنى الاثابة ففي قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم بكفرهم وقيل وهل نجازي الا الكفور بمعنى وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل ان يقول لم قيل وهل نجازي الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر والمؤمن لانه لم يرد الجزاء العام وانما اراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكافر والمؤمن لم يصح ولم يسد كلاما فتبين ان ما يتخيل من السؤال مضمحل وان الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من

بين يديه ولا من خلفه وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها هي قرى
الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لأعين
الناظرين أو راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا
فيها السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية إلى أن
يبلغ الشام لا يخاف جوعا ولا عطشا ولا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء سيروا
فيها قلنا لهم سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسويت لهم أسبابه
فكأنهم أمروا بذلك وأذن لهم فيه ما معنى قوله ليالي وأياما
معناه سيروا فيها إن شئتم بالليل وإن شئتم بالنهار فإن الأمن فيها لا يختلف
باختلاف الأوقات أو سيروا فيها آمنين لا تخافون وإن تطاولت مدة سفركم
فيها وامتدت أياما وليالي أو سيروا لياليكم وأيامكم مدة أعماركم فإنكم
في كل حين وزمان لا تلقون فيها إلا الأمن قرئ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا
وبعد ويا ربنا على الدعاء بطروا وتبرموا من طيب العيش وملوا العافية فطلبوا
الكد والتعب كما طلب بنو إسرائيل البصل والثوم مكان المن والسلوى وقالوا
لو كان جنى جناننا أبعد لكان أجدر أن نشتهيه وتمنوا أن يجعل الله بينهم
وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل ويتزودوا الأزواد فعجل الله لهم الإجابة
وقرئ ربنا بعد بين أسفارنا على النداء وإسناد الفعل إلى بين ورفعه به
كما تقول سير فرسخان وبوعد بين أسفارنا وقرئ ربنا باعد بين أسفارنا
وبين سفرنا وبعد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الأول وهو استبعاد
مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم كأنهم يتشاجون إلى ربهم ويتحاجون
عليه وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث يتحدث الناس بهم ويتعجبون من أخبارهم
ومزقناهم كل ممزق وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون
ذهبوا أيادي سبا وتفرقوا أيادي سبا قال كثير: أيادي سبا يا عز ما كنت بعدكم
فلم يحل للعينين بعدك منظر. لحق غسان بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة
والأزد بعمان إن في ذلك لآيات لكل صبار عن المعاصي شكور
للنعم ولقد صدق عليهم إبليس ظنه قرئ صدق بالتشديد والتخفيف

ورفع إبليس ونصب الظن فمن شدد فعلى حقق عليهم إبليس ظنه أو وجده
صادقا ومن خفف فعلى صدق في ظنه أو صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك
وبنصب إبليس ورفع الظن فمن شدد فعلى وجده ظنه صادقا ومن خفف فعلى
قال له ظنه الصدق وحين خيله إغواءهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما
على صدق عليهم ظن إبليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة
في صدق كقول الشاعر: فدت نفسي وما ملكت يميني ... فوارس صدقت فيهم ظنوني
ومعناه أنه وجد آدم ضعيف العزم قد أصغى إلى وسوسته قال إن ذريته
أضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لأضلنهم ولأغوينهم وقيل
ظن ذلك عند إخبار الله الملائكة أنه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير في
عليهم واتبعوه لأهل سبأ أو لبني آدم وقلل المؤمنين بقوله فاتبعوه إلا
فريقا من المؤمنين لأنهم قليل بالإضافة إلى الكفار كما قال لأحتنكن ذريته إلا قليلا
ولا تجد أكثرهم شاكرين وما كان عليهم من سلطان من تسلط واستيلاء بالوسوسة
والاستغواء إلا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من
الشاك فيها إلا لنعلم وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم وقرئ ليعلم على
البناء للمفعول وربك على كل شيء حفيظ محافظ عليه فعيل ومفاعل متآخيان
قل لمشركي قومك ادعوا الذين زعمتم عبدتموه من دون الله من الأصنام
والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا إليهم فيما يعروكم كما تلتجئون
إليه وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم
ثم أجاب عنهم بقوله تعالى لا يملكون مثقال ذرة من خير وشر ونفع
وضر في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما في هذين الجنسين من شرك
شركة في الخلق ولا في الملك كقوله تعالى ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض
وما له منهم من ظهير عون يعينه على تدبير خلقه يريد أنهم على هذه الصفة
من العجز والبعد عن أحوال الربوبية فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا
كما يرجى أين مفعولا زعم أحدهما الضمير المحذوف الراجع منه
إلى الموصول وأما الثاني فلا يخلو أن يكون من دون الله أو لا يملكون أو محذوفا

إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك

فلا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثاني لانهم
ما كانوا يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا
ما هو حق وتوحيد فبقي ان يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون
الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا
لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه موصوف صفته من دون الله والموصوف
يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان مفهوما فاذن مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين
مختلفين تقول الشفاعة لزيد على معنى انه الشافع وعلى معنى انه المشفوع
كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله **ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن
له** ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة الا كائنة لمن اذن
له اي لشفيعه وهي اللام الثانية في قولك اذن لزيد لعمرو اي لاجله فكانه
قيل الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا
تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله بم اتصل قوله **حتى اذا
فزع عن قلوبهم** ولاي شيء وقعت حتى غاية بما فهم من هذا الكلام
من ان ثم انتظارا للاذن وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء
هل يؤذن لهم او لا يؤذن وانه لا يطلق الاذن الا بعد ملي من الزمن
وطول من التربص ومثل هذه الحال دل قوله عز وعلا رب السموات والارض
وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا
لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كانه قيل يتربصون ويتوقفون
مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين
والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في الاذن تباشروا بذلك و**قالوا** وسال بعضهم
بعضا **ماذا قال ربكم قالوا الحق** اي القول الحق وهو الاذن
بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
فاذا اذن لمن اذن ان يشفع فزعته الشفاعة وقرئ اذن له اي اذن له الله
واذن له على البناء للمفعول وقرأ الحسن فزع مخففا بمعنى فزع وقرئ
فزع على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وحده وفرغ اي نفى الوجل عنها

وافني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم ترك ذكر الوجل واسند
الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد تخفف و
اصله فرغ الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى
الجار والمجرور وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن ابي علقمة
انه هاج به المرار فالتف عليه الناس فلما افاق قال ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم
على ذي جنة افرنقعوا عني والكلمة مركبة من حروف المفارقة مع زيادة العين
كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زيادة الراء وقرئ الحق بالرفع اي مقولهم الحق
وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم
الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى امره بان يقررهم بقوله
قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله ثم امره بان يتولى
الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم
مقرون به بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذي تمكن في صدورهم
من العناد وحب الشرك قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم
ان تفوهوا بان الله رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم
وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق الا ترى قل من يرزقكم من السماء والارض ام
من يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال
فكانهم كانوا يقرون بالسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون عنادا وضرارا
وحذرا من الزام الحجة ونحوه قوله عز وعلا قل من رب السموات والارض قل
الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا و
امره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم
يتقاصر عنه **وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين** ومعناه
وان احد الفريقين من الذين يشركون به الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى
احد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذي كل من سمعه
من موال او مناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك وفي درجه بعد
تقدمه ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى

من الذين يوحدون الرازق من السموات والارض بالعبادة ومن

ومن هو في الضلال المبين ولكن التعريض والتورية اوصل بالمجادل الى الغرض و
اهجم به على الغلبة مع قلة شغب الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه
قد علم الله الصادق مني ومنك وان احدنا لكاذب ومنه بيت حسان
اتهجوه ولست له بكفؤ فشركما لخيركما الفداء كيف خولف بين حرفي الجر
الداخلين على الحق والضلال لان صاحب الحق كانه مستعل على فرس جواد
يركضه حيث شاء والضال كانه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري اين يتوجه
وفي قراءة ابي وانا او اياكم اما على هدى او في ضلال مبين قل لا تسئلون عما
اجرمنا ولا نسئل عما تعملون هذا ادخل في الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث
اسند الاجرام الى المخاطبين والعمل الى المخاطبين وان اراد بالاجرام الصغائر والزلات
التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام وفتح الله بينهم وهو حكمه و
فصله انه يدخل هؤلاء الجنة واولئك النار ما معنى قوله قل اروني الذين
الحقتم به شركاء وكان يراهم ويعرفهم اراد بذلك ان يريهم الخطأ
العظيم في الحاق الشركاء بالله وان يقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم
على احالة القياس اليه والاشراك به و كلا ردع لهم عن مذهبهم بعدما
كسره بابطال المقايسة كما قال ابرهيم اف لكم ولما تعبدون من دون الله بعد
ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله بل هو
الله العزيز الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات
وهو راجع الى الله وحده او هو ضمير الشان كما في قوله قل هو الله احد وما
ارسلناك الا كافة للناس الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها اذا
شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس
لا يعلمون وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعا للناس في الانذار والابلاغ
فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان يكون للمبالغة كتاء الراوية والعلامة
ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطأ لان تقدم حال المجرور عليه
في الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطأ ثم لا
يقنع به حتى يضم اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوي له الخطأ الاول الا بالخطا

المتكلم

قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم

الثاني فلا بد له من ارتكاب الخطائين ويقولون متى هذا الوعد ان
كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم قرئ ميعاد يوم وميعاد
يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان وهو ههنا الزمان والدليل
عليه قراءة من قرا ميعاد يوم فابدل منه اليوم فما اضافته الى يوم
او نصب يوما اما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول سحق ثوب وبعير سانية
واما نصب يوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد اعني يوما واريد
يوما من صفته كيت وكيت ويجوز ان يكون الرفع على هذا التعظيم لا يستاخرون
عنه ساعة ولا يستقدمون كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم
ما سالوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا استرشادا فجاء
الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الانكار والتعنت
وانهم مترصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تاخرا عنه ولا تقدما عليه
وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه
ما نزل قبل القرآن من كتب الله يروى ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب فاخبروهم
انهم يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كتبهم فاغضبهم ذلك
وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعا
وقيل الذي بين يديه يوم القيمة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القرآن من الله
وان يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة ثم اخبر عن عاقبة امرهم ومآلهم
في الآخرة فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او للمخاطب ولو ترى في
الآخرة اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض
القول موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة ويتراجعونها بينهم لرأيت
العجب فحذف الجواب يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم
لكنا مؤمنين المستضعفون هم الاتباع والمستكبرون الرؤوس والمقدمون
وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن
الهدى اولي الاسم اعني نحن حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادين
لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل

اختيارهم كأنهم قالوا أنحن اخترناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين **بعد إذ جاءكم** بعد أن صممتم على الدخول في الإيمان وصحت نيتكم في اختياره **بل كنتم** بل أنتم منعتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى وأطعتم أمر الشهوة دون أمر النهى فكنتم **مجرمين** كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا   إذ وإذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت إذ مضافا إليها   قد اتسع في الزمان ما لم يتسع في غيره فأضيف إليه الزمان كما أضيف إليها الحين في قولك جئتك بعد إذ جاء زيد وحينئذ ويومئذ وكان ذلك أوان الحجاج أمير وحين خرج زيد **وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا** لما أنكر المستكبرون بقولهم أنحن صددناكم أن يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين أن ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم **بل مكر الليل والنهار** فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم كأنهم قالوا ما كان الإجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا **إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا** حملكم إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد ومعنى بل مكركم في الليل والنهار فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به وإضافة المكر إليه أو جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الإسناد المجازي وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب أي تكرون الإغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه   ما وجه الرفع والنصب   هو مبتدأ وخبر على معنى بل سبب ذلك مكركم أو مكركم سبب ذلك والنصب على بل تكرون الإغواء مكر الليل والنهار   لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا   لأن الذين استضعفوا مر أولا كلامهم فجيء بالجواب محذوف العاطف على طريق الاستئناف ثم جيء بكلام آخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الأول   من صاحب الضمير في **وأسروا**   الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله إذ الظالمون موقوفون **الندامة لما رأوا العذاب** يندم المستكبرون على ضلالهم وإضلالهم

والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين **وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا** أي في أعناقهم فجاء بالصريح للتنويه بذمهم و قيل أسروا الندامة أظهروها وهو من الأضداد **وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا** هذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد والمفاخرة بالدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من أجله وقولهم أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المفروضة عندهم على أمور الدنيا واعتقدوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا **وما نحن بمعذبين** أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم نظرا إلى أحوالهم في الدنيا **قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر** قد أبطل الله حسبانهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** فلا يقاس عليه أمر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق وقدر الرزق تضييقه قال تعالى ومن قدر عليه رزقه وقرئ يقدر بالتشديد والتخفيف **وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى** ذلك أن الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التأنيث ويجوز أن يكون التي هي التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها أي ليست أموالكم بتلك الموضوعة للتقريب وقرأ الحسن باللاتي تقربكم لأنها جماعات وقرئ بالذي يقربكم أي بالشيء الذي يقربكم والزلفى والزلفة كالقربى والقربة ومحلها النصب أي تقربكم قربة كقوله أنبتكم من الأرض نباتا **إلا من آمن وعمل صالحا** استثناء من كم في تقربكم والمعنى أن الأموال لا تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله

هل يجزون إلا ما كانوا يعملون

ولا ولدا ولا يقرب احدا الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح
والطاعة **جزاء الضعف بما عملوا** جزاء الضعف من اضافة المصدر الى المفعول
اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف
ان تضاعف حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء الضعف على فاولئك لهم الضعف
جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوعان الضعف
بدل من جزاء **وهم في الغرفات آمنون** وقرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها
وفي الغرفة **والذين يسعون في آياتنا معاجزين اولئك في العذاب محضرون**
قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء
فهو يخلفه فهو يعوضه ولا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي
هي كنز لا ينفد واما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده
من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو
ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن
ما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه
وهو خير الرازقين واعلاهم رب العزة لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق
جنده او سيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله التي ينتفع بها المرزوق
بالرزق وعن بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته لا
يجد وواجد لا يشتهي **ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا**
يعبدون هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر اياك
اعني فاسمعي يا جارة ونحوه قوله عز وجل أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون
الله وقد علم سبحانه كون الملائكة منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال
والغرض ان يقول ويقولوا ويسال ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ
وخجلهم اعظم وهوانهم الزم ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا
لمن اقتص عليه **قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم** الموالاة خلاف المعاداة
ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب
كما ان المعاداة من العدو وهو البعد والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى

انت الذي نواليه من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة
الله ومعاداة الكفار براءتهم من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة
كانت حاله منافية لذلك **بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون**
يريدون الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين
صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في
اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها وقرئ نحشرهم ونقول بالنون والياء **فاليوم لا**
يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا الامر في ذلك اليوم وحده لا يملك فيه احد منفعة
ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب والمثيب والمعاقب هو الله فكانت حالها
خلاف حال الدنيا التي هي دار التكليف والناس فيها مخلى بينهم يتضادون ويتنافعون
والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر معاقبة الظالمين بقوله **ونقول**
للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون معطوفا على لا يملك
واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما
كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا
للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين الاشارة الاولى الى رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم والثانية الى القرآن والثالثة الى الحق والحق امر النبوة كله ودين
الاسلام كما هو وفي قوله وقال الذين كفروا وفي ان لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما
جاءهم وما في اللام من الاشارة بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار عظيم
وغضب شديد وتعجب من امرهم بليغ كانه قال وقال اولئك الكفرة المتمردون بجراءتهم
على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل ان يذوقوه ان هذا الا سحر مبين فبتوا
القضاء على انه سحر ثم بتوه على انه بين ظاهر كل عاقل تأمله سماه سحرا **وما آتيناهم**
من كتب يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك **وما ارسلنا اليهم**
قبلك من نذير نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال عز وجل ام انزلنا عليهم
سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون او وصفهم بانهم قوم اميون اهل جاهلية
لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال الكتاب ولا بعثة رسول كما قال ام آتيناهم كتابا من
قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول

اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتب وشرايع ومستندون الى رسل
من رسل الله ثم توعدهم بقوله وكذب الذين من قبلهم تقدموهم من الامم
والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغوا معشار ما آتيناهم وما بلغ هؤلاء بعض ما
آتيناهم اولئك من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال فكذبوا رسلي فحين
كذبوا رسلهم جاءهم انكاري بالتدمير والاستيصال ولم يغن عنهم استظهارهم
بما هم مستظهرون فما بال هؤلاء وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكثير الدرس
او من درس الكتاب ودرس الكتب ويدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من
الدرس الكتاب ودرس والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع
فكذبوا رسلي وهو مستغن عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم لما كان معنى قوله
كذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه جعل تكذيب
الرسل مسببا عنه ونظيره ان يقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله
عليه وآله وسلم ويجوز ان يعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل
عمرو فيتفضل عليه فكيف كان نكير نكيري للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله
قل انما اعظكم بواحدة بخصلة واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا
لله مثنى وفرادى على انه عطف بيان لها واراد بقيامهم اما القيام الذي هو خلاف الجلوس
عن مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتفرقهم عن مجتمعهم عنده
واما القيام الذي لا يراد به المثول على القدمين ولكن الانتصاب في الامر والنهوض
فيه بالهمة والمعنى انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهي
ان تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا ثم تتفكروا في امر
محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما
محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل بهما
اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة
الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير ان يكابرها ويعرض
فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري احوالهم
والذي اوجب تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر

ويمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الاعتساف
ويثور عجاج التعصب ولا يسمع الا نصرة المذهب واراهم بقوله ما بصاحبكم من جنة
ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد ان هذا الامر العظيم الذي تحته
ملك الدنيا والآخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله الا رجلان اما مجنون لا
يبالي بافتضاحه اذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب
واما عاقل راجح العقل مرشح للنبوة مختار من اهل الدنيا لا يدعيه الا بعد صحته عنده
بحجته وبرهانه والا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه وقد علمتم
ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ارجح قريش عقلا واوزنهم حلما واثقبهم ذهنا و
اصلبهم رايا واصدقهم قولا وانزههم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال
ويمدحون به فكان مظنة لان تظنوا به الخير وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب
واذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بان يأتيكم بآية فاذا اتى بها تبين
انه نذير مبين ما بصاحبكم بم يتعلق يجوز ان يكون كلاما مستأنفا
تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر في امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز
ان يكون المعنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم ان تكون ما
استفهامية بين يدي كقوله عليه السلام بعثت في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر
فهو لكم ان اجري الا على الله فهو لكم جزاء الشرط الذي دل عليه قوله ما سألتكم من اجر
تقديره اي شيء سألتكم من اجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك
لها وفيه معنيان احدهما نفي مسألة الاجر راسا كما يقول الرجل لصاحبه ان
اعطيتني شيئا فخذه وهو يعلم انه لم يعطه شيئا ولكنه يريد البت لتعليقه الاخذ
بما لم يكن والثاني ان يريد بالاجر ما اراد في قوله قل ما اسألكم عليه من اجر الا
من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة
في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم وكذلك المودة
في القربى لان القرابة قد انتظمته واياهم وهو على كل شيء شهيد
حفيظ مهيمن يعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه ولا اطمع
منكم في كل شيء قل ان ربي يقذف بالحق القذف والرمي دفع واعتماد

من حقيقتهما لمعنى الالقاء ومنه قوله تعالى وقذف في قلوبهم الرعب اذ اقذفيه
فيه في التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى انبيائه او يرمي به الباطل
ليدمغه ويزهقه **علام الغيوب** رفع محمول على محل ان واسمها او على المستكن في
يقذف او هو خبر مبتداء محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او على المدح وقرئ
الغيوب بالحركات الثلث فالغيوب كالبيوت والغيوب كالصبور وهو الامر
الذي غاب وخفي جدا **قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد** الحي اما ان يبدئ
فعلا او يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل قوله لا يبدئ ولا يعيد
مثلا في الهلاك ومنه قول عبيد اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد والمعنى
جاء الحق وهلك الباطل كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود
دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل
يطعنها بعود بيده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا
جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد والحق القرآن وقيل الاسلام وقيل السيف
وقيل الباطل ابليس اي ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله عز وجل
وعن الحسن لا يبدئ لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة
وقال الزجاج اي شيء ينشئ ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان
الباطل لانه صاحب الباطل ولانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك
قل ان ضللت فانما اضل على نفسي يقال ضللت اضل بفتح العين مع كسرها وضللت
اضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ضللت اضل وضللت اضل من قرئ اضل
بكسر الهمزة مع فتح العين **وان اهتديت فبما يوحي الي ربي**
اين التقابل بين قوله فانما اضل على نفسي وقوله فبما يوحي الي ربي وانما كان
يستقيم له ان يقال فانما اضل على نفسي وان اهتديت فانما اهتدي لها
كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن
ضل فانما يضل عليها او يقال فانما اضل بنفسي هما متقابلان من جهة
المعنى لان النفس كل ما عليها فهو بها اعني ان كل ما هو وبال عليها وضار
لها فهو بها وبسببها لانها امارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه

وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول
اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى به **انه سميع
قريب** يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شيء **ولو
ترى** جوابه محذوف بمعنى لرأيت امرا عظيما وحالا هائلة ولو واذ و
الافعال التي هي **اذ فزعوا فلا فوت واخذوا** وحيل بينهم كلها للمضي
والمراد بها الاستقبال لان ما الله فاعله في المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد
ووقت الفزع وقت البعث وقيل قيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم
بدر وعن ابن عباس نزلت في خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون
الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم **فلا فوت** فلا يفوتون الله
ولا يسبقونه وقرئ فلا فوت **واخذوا** والاخذ **من مكان قريب**
من الموقف الى النار اذا بعثوا او من الارض الى بطنها اذا ماتوا او من ظهر
بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم علام عطف واخذوا
فيه وجهان العطف على فزعوا اي فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او على
لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا وقرئ واخذ وهو معطوف
على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ **وقالوا آمنا به** بمحمد
صلى الله عليه وآله وسلم لمرور ذكره في قوله ما بصاحبكم من جنة **وانى
لهم التناوش** التناول والتناوش اخوان الا ان التناوش تناول سهل
لشيء قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا في الحرب
ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم في
ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا مثلت حالهم بحال
من يريد ان يتناول الشيء من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا
سهلا لا تعب فيه وقرئ التناؤش همزت الواو المضمومة كما همزت في اجوه
وادؤر وعن ابي عمرو التناؤش بالهمزة التناول من بعد من قولهم نأشت اذا
ابطأت وتأخرت ومنه البيت تمنى نئيشا ان يكون اطاعني اي اخيرا **وقد
كفروا به ويقذفون** معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعني

وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاعر ساحر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفي لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لان ابعد شيء مما جاء به الشعر والسحر وابعد شيء من عادته التي عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرئ ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول اي ياتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به في الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيئا من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشيء الغائب ويجوز ان يكون الضمير للعذاب الشديد في قوله بين يدي عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله من ان يعذبنا قايسين امر الآخرة على الدنيا فهذا كان قذفهم بالغيب وهو غيب ومقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تنقاس على دار التكليف وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم انهم كانوا في شك مريب اما من ارابه اذا اوقعه في الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا ان بينهما فرقا وهو ان المريب من الاول منقول من صاحب الشك الى الشك كما يقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصاحبا له

تمت سورة السبا والحمد لله تعالى

على انه مثلهم في طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان في الدنيا بقولهم آمنا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات مبتديها ومبتدعها وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي اعرابيان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها جاعل الملائكة وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملائكة وقرئ وجاعل بالرفع رسلا بضم السين وسكونه اولي اجنحة اصحاب اجنحة واولوا اسم جمع لذو كما ان اولا اسم جمع لذا ونظيرهما في المثلة المخاض والخلفة مثنى وثلث ورباع صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد وعن صيغها الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير واما الوصفية فلا يفترق الحال فيها بين المعدولة والمعدول عنها الا تراك تقول مررت بنسوة اربع وبرجال ثلثة فلا يعرج عليها والمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان وخلقا اجنحتهم ثلثة ثلثة وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شيء قدير اي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل جناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون عليه قياس الشفع من الاجنحة ان يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلثة لعل الثالث ان يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه راى جبريل وله ستمائة جناح وروي انه سال جبريل عليه السلم ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك قال اني احب ان تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم افاق وجبريل عليه السلم مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ادري ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلم فكيف

ليلة المعراج وله

لو رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح بالمشرق وجناح بالمغرب والعرش
على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور
الصغير وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله يزيد في الخلق
ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن
قتادة الملاحة في العينين والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة
واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة
في الرأي وجرأة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم
وحسن تأت في مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف ما يفتح
الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك استعير الفتح للاطلاق
والارسال الا ترى الى قوله فلا مرسل له مكان فلا فاتح له يعني اي شيء يطلق
الله من رحمته اي من نعمة رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك من صنوف
نعمائه التي لا يحيط بعددها وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كانه قال من اية
رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على اطلاقه لم انث الضمير
ثم ذكره وهو راجع في الحالين الى الاسم المتضمن معنى الشرط هما لغتان
الحمل على المعنى وعلى اللفظ والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على معنى الرحمة وذكر
على ان اللفظ المرجوع اليه لا تانيث فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير
التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير وقرئ فلا مرسل لها
لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره يحتمل ان يكون تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالة
عليه وان يكون مطلقا في كل ما يمسكه من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون
الثاني للدلالة على ان رحمته سبقت غضبه فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى
ابن عباس ان اراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي اراد ابن
عباس ان قاله فمقبول وان اراد انه ان شاء ان يتوب العاصي تاب وان لم يشأ لم يتب
فمردود لان الله تعالى يشاء التوبة ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاءها من بعده
كقوله فمن يهديه من بعد الله فباي حديث بعد الله اي من بعد هدايته وبعد امساكه
وهو العزيز الغالب القادر على الارسال والامساك الحكيم الذي يرسل

على امساكها وحبسها اي شيء يرسله الله فلا يقدر احد

رحمته سبقت

ما يقتضي الحكمة يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم ليس المراد
بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران و
الغمط وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن
انعم عليه اذكر ايادي عندك يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب
عام للجميع لانهم جميعهم مغمورون في نعمة الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد يا اهل مكة
اذكروا نعمة الله عليكم حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم والناس
يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية هل من خالق غير الله قرئ غير
بالحركات الثلاث فالجر والرفع على الوصف لفظا او محلا والنصب على الاستثناء
ما محل يرزقكم من السماء والارض يحتمل ان يكون له محل اذا اوقعته
صفة لخالق وان لا يكون له محل اذا رفعت محل يرزقكم باضمار يرزقكم او
يرزقكم تفسيرا له او جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق غير الله
هل فيه دليل على ان الخالق لا يطلق على غير الله عز وجل
نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلاثة
واما على الوجهين الآخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق
من السماء والارض وخرج من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه
والرزق من السماء المطر ومن الارض النبات لا اله الا هو جملة مفصولة
لا محل لها مثل يرزقكم في الوجه الثالث ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد
عليه المعنى لان قولك هل من خالق آخر سوى الله لا اله الا ذلك الخالق
غير مستقيم لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت تقول
ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات فانى تؤفكون فمن اي وجه تصرفون
عن التوحيد الى الشرك وان يكذبوك نعى به على قريش سوء تلقيهم
لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله بان له في الانبياء قبله اسوة حسنة
بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه ومجازاة المكذب والمكذب
بما يستحقانه والى الله ترجع الامور وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها
ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء ان يتعقب الشرط وهذا سابق له

فقد كذبت رسل من قبلك

معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل
من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعني بالتكذيب عن التأسي
ما معنى التنكير في رسل معناه فقد كذبت رسل اي رسل ذوو
عدد كثير واولو آيات ونذر واهل اعمار طوال واصحاب صبر وعزم وما اشبه
ذلك وهذا اسلى له واحث على المصابرة يا ايها الناس ان وعد الله
حق وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب فلا تغرنكم الحيوة الدنيا
فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة
ولا يغرنكم بالله الغرور ولا يقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله
غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور الشيطان لان ذلك
ديدنه وقرئ بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك او جمع غار كقاعد
وقعود ان الشيطان لكم عدو اخبرنا عز وجل ان الشيطان لنا عدو
مبين واقتص علينا قصته وما فعل بابينا آدم صلوات الله عليه وكيف
انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك نتولاه و
نطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بانه كما علمتم عدوكم
الذي لا عدو اعرف في العداوة منه وانتم تعاملونه معاملة من لا علم
له بحاله فاتخذوه عدوا في عقائدكم وافعالكم ولا يوجدن منكم ما يدل
على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم انما يدعوا حزبه ليكونوا من
اصحاب السعير ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء ليقطع الاطماع الفارغة
والاماني الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان والعمل وتركهما لما ذكر الفريقين
الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا
يعني افمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له فكان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال لا فقال فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ومعنى تزيين العمل والاضلال واحد وهو
ان يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان
الله وتخليته وشانه فعند ذلك يهيم في الضلال ويطلق امر النهي ويعتنق طاعة

ثم لخص سر امره وخطاء من اتبعه بان غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته هو ان يوردهم مورد الشقوة والهلاك وان يكونوا من اصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة واجر كبير

الهوى

الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كانما غلب على عقله وسلب تمييزه ويقعد
تحت قول ابي نواس اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح واذا خذل الله المصممين
على الكفر وخلاهم وشانهم فان على الرسول ان لا يهتم بامرهم ولا يلقي بالا الى ذكرهم
ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج
ان المعنى افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف الجواب
لدلالة فلا تذهب نفسك عليهم او افمن زين له سوء عمله كمن هداه فحذف لدلالة فان
الله يضل من يشاء عليهم حسرات مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم
صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه
ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز ان
يكون حالا كان كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير مشق الهواجر لحمهن مع السرى
حتى ذهبن كلاكلا وصدورا يريد رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكلها
وصدورها ومنه قوله فعلى اثرهم تساقط نفسي حسرات وذكرهم لي سقام وقرئ
فلا تذهب نفسك ان الله عليم بما يصنعون وعيد لهم بالعقاب على سوء صنيعهم
والله الذي ارسل الرياح وقرئ ارسل الريح لم جاء فتثير
على المضارعة دون ما قبله وما بعده ليحكي الحال التي تقع فيها اثارة الرياح
السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا
يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير
ذلك كما قال تابط شرا باني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان
فاضربها بلا دهش فخرت صريعا لليدين وللجران لانه قصد ان يصور لقومه الحالة
التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها
مشاهدة للتعجب من جراته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب
الى البلد الميت واحياء الارض بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلائل على القدرة
الباهرة قيل فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها
معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه
والكاف في كذلك النشور في محل الرفع اي مثل احياء الاموات نشور الاموات

روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف يحيي الله الموتى وما
آيته في خلقه ه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت العرش كمني الرجال تنبت
منه أجساد الخلق **من كان يريد العزة** كان الكافرون يتعززون بالأصنام
كما قال عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً والذين آمنوا بألسنتهم
من غير مواطأة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون
الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا
فبين أن لا عزة إلا لله ولأوليائه وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى
فليطلبها عند الله فوضع قوله **فلله العزة جميعا** موضعه استغناء به عنه
لدلالته عليه لأن الشيء لا يطلب إلا عند صاحبه ومالكه ونظيره قولك من
أراد النصيحة فهي عند الأبرار تريد فليطلبها عندهم إلا أنك أقمت ما يدل عليه
مقامه ومعنى فلله العزة جميعا أن العزة كلها مختصة بالله عز وجل عزة الدنيا
وعزة الآخرة ثم عرف ما تطلب به العزة هو الإيمان والعمل الصالح بقوله **إليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** الكلم الطيب لا إله إلا الله
وعن ابن عباس يعني أن هذه الكلم لا تقبل ولا تصعد إلى السماء فتكتب حيث تكتب
الأعمال المقبولة كما قال عز وجل إن كتاب الأبرار لفي عليين إلا إذا اقترن بها
العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها وأصعدها وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل
وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء و
استغفار وغير ذلك وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو قول الرجل سبحان
الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر إذا قالها العبد عرج بها الملك
إلى السماء فحيا بها وجه الرحمن وإذا لم يكن عمل صالح لم يقبل منه وفي الحديث
لا يقبل قولا وعملا ونية إلا بإصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد
بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ إليه يصعد الكلم الطيب على
الفاعل من أصعد والمصعد هو الرجل أي يصعد إلى الله عز وجل الكلم الطيب
وإليه يصعد الكلام الطيب والعمل الصالح يرفعه بنصب العمل والرافع الكلم أو
الله عز وعلا **والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد**

على البناء للمفعول يصعد الكلم الطيب

مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فتم بنصب السيئات هذه صفة
المصدر أو لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله أصله الذين مكروا
المكرات السيئات أو أصناف المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين
اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الرأي في إحدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم إما إثباته أو قتله أو إخراجه كما حكى الله سبحانه
عنهم وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك **ومكر
أولئك هو يبور** يعني ومكر أولئك الذين مكروا تلك المكرات الثلاث هو خاصة
يبور أي يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين أخرجهم وقتلهم وأثبتهم في
قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله و
الله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله **والله خلقكم
من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى
ولا تضع** أزواجا أصنافا أو ذكرانا وإناثا كقوله أو يزوجهم ذكرانا
وإناثا وعن قتادة زوج بعضكم بعضا **وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا
بعلمه** في موضع الحال أي إلا معلومة له ما معنى قوله **وما يعمر من معمر**
معناه وما يعمر من أحد وإنما سماه معمرا بما هو صائر إليه الإنسان
أما معمر أي طويل العمر أو منقوص من العمر أي قصيره فأما أن يتعاقب عليه التعمير وخلافه
فمحال فكيف يصح وما يعمر من معمر **ولا ينقص من عمره** هذا من الكلام المتسامح
فيه ثقة في تأويله بأفهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم
وأنه لا يلتبس عليهم إحالة الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس
المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه إلا بحق وما تنعمت بلدا ولا
اجتويته إلا قل فيه ثوائي وفيه تأويل آخر وهو أنه لا يطول عمر إنسان ولا يقصر
إلا في كتاب وصورته أن يكتب في اللوح إن حج فلان أو غزا فعمره أربعون
وإن حج وغزا فعمره ستون فإذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر وإذا أفرد
أحدهما فلم يتجاوز به الأربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون
وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله إن الصدقة والصلة

ثم ازالة الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب انه قال حين طعن عمر رضي الله عنه لو ان
عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب أليس قال الله تعالى اذا جاء اجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون قال فقد قال الله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره
وقد استفاض في الالسنة اطال الله بقاءك وفسح في مدتك وما اشبه
وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل
ذلك ذهب يوم وذهب يومان حتى ياتي على آخره وعن قتادة المعمر من بلغ
ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة في كتاب في اللوح عن ابن عباس
رضي الله عنهما ويجوز ان يراد بكتاب الله علم او صحيفة الانسان وقرئ ينقص على
تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف وما يستوي البحران هذا عذب فرات
سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن
والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته
وعطائه ومن كل اي ومن كل واحد منهما تأكلون لحما طريا وهو
السمك وتستخرجون حلية تلبسونها وهي اللؤلؤ والمرجان وترى
الفلك فيه في كل مواخر شقا للماء بجريها يقال مخرت السفينة الماء
ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب
من المخر لانها تسفن الماء كانها تقشره كما تمخره لتبتغوا من فضله من فضل
الله ولم يجر له ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه و
لعلكم تشكرون حرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى كيف
سلك به مسلك لام التعليل كانه قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات الذي يكسر
العطش والسائغ المريء السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ
بالتخفيف وملح على فعل والاجاج الذي يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد
وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب
في منافع من السمك واللؤلؤ وجري الفلك فيه والكافر خلو من النفع فهو في طريقه
قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة ثم قال
وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها

لما يهبط من خشية يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر
الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم مبتدأ الله ربكم له الملك
اخبار مترادفة او الله ربكم خبران وله الملك جملة مبتدأة واقعة في قران
قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ويجوز في حكم الا
ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبرا لولا ان المعنى يأباه
والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الدقيقة الملتفة عليها ان تدعوهم
ان تدعوا الاوثان لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل
الفرض والتمثيل ما استجابوا لكم لما استجابوا لكم لانهم لا يدعون ما تدعون
لهم من الالهية ويتبرءون منها وقيل ما نفعوكم ويوم القيمة يكفرون
بشرككم باشراككم لهم وعبادتكم اياه يقولون ما كنتم ايانا تعبدون
ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر هو مثل خبير عالم به يريد ان الخبير
بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به والمعنى ان هذا الذي
اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرئ تدعون بالياء
والتاء يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله لم عرف الفقراء
قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق
كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان
الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف في قوله
خلق الانسان ضعيفا وقال الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى
انتم بعض الفقراء والله هو الغني الحميد قد قوبل الفقر بالغني فما فائدة
الحميد لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعا بغناه الا اذا
كان الغني جوادا منعما واذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم واستحق بانعامه عليهم
الحمد ذكر الحميد ليدل على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه
عليهم ان يحمدوه على السنة مؤمنيهم ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد
وما ذلك على الله بعزيز بممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له اندادا وكفرهم
باياته ومعاصيهم كما قال وان تتولوا يستبدل قوما غيركم وعن عكرمة عن ابن عباس

يخلق بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيئا ولا تزر وازرة وزر اخرى الوزر
والوقر اخوان ووزر الشيء اذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى ان كل نفس يوم
القيمة لا تحمل الا وزرها الذي اقترفته لا تؤاخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ
جبابرة الدنيا الولي بالولي والجار بالجار   هلا قيل ولا تزر نفس وزر
اخرى ولم قيل وازرة   لان المعنى ان النفوس الوازرات لا ترى منهن
واحدة الا حاملة وزرها لا وزر غيرها   كيف توفق بين هذا وبين قوله
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم   تلك الاية في الضالين المضلين وانهم
يحملون اثقال اضلال الناس مع اثقال ضلالهم وذلك كله اوزارهم ما
فيها شيء من وزر غيرهم الا ترى كيف كذبهم الله في قولهم اتبعوا سبيلنا
ولنحمل خطاياكم بقوله وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء   ما الفرق
بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى ومعنى وان تدع مثقلة الى
حملها لا يحمل منه شيء   الاول في الدلالة على عدل الله في حكمه وانه
لا يؤاخذ نفسا بغير ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى ان
نفسا قد اثقلتها الاوزار وبهظتها لو دعت الى ان يخفف بعض وقرها لم تجب ولم
تغث وان كان المدعو بعض قرابتها من اب او ولد او اخ   الام اسند كان في ولو كان
ذا قربى   الى المدعو المفهوم الكائن من قوله وان تدع مثقلة
فلم ترك ذكر المدعو   ليعم ويشمل كل مدعو   كيف استقام اضمار
العام ولا يصح ان يكون العام ذا قربى للمثقلة   هو من العموم الكائن على طريق
البدل   ما تقول فيمن قرأ ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله وان
كان ذو عسرة   نظم الكلام احسن ملاءمة للناقصة لان المعنى على ان
المثقلة ان دعت احدا الى حملها لا يحمل منه شيء وان كان مدعوها ذا قربى وهو
معنى صحيح ملتئم ولو قلت ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه ونظامه
على ان ههنا ما ساغ ان يستتر له ضمير في الفعل خلاف ما اوردته انما
تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب حال من الفاعل او المفعول اي يخشون ربهم
غائبين عن عذابه او يخشون عذابه غائبا عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة

او ولد

الذين كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اصحابه كانت عادتهم
ان يخشوا الله وهم الذين اقاموا الصلوة وتركوها منارا منصوبا وعلما
مرفوعا يعني انما يقدر على انذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى تحصيل
منفعة الانذار فيهم دون متمردين واهل عنادهم ومن تزكى من تطهر
بفعل الطاعات وترك المعاصي ومن ذلك فانما يتزكى لنفسه وهو اعتراض
مؤكد لخشيتهم واقامتهم الصلوة لانهما من جملة التزكي والى الله
المصير وعد للمتزكين   كيف اتصل قوله انما تنذر بما قبله
لما غضب عليهم في قوله ان يشأ يذهبكم اتبعه الانذار بيوم القيمة وذكر
اهوالها ثم قال انما تنذر كأن رسول الله اسمعهم ذلك فلم ينفعهم فنزل
انما تنذر او اخبره الله تعالى بعلمه فيهم وما يستوي الاعمى والبصير
مثل للكافر والمؤمن كما ضرب البحرين مثلا لهما او للصنم ولله عز وجل
ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور مثلان للحق والباطل
وما يؤديان اليه من الثواب والعقاب وما يستوي الاحياء ولا الاموات
مثل للذين دخلوا في الاسلام والذين لم يدخلوا فاصروا على الكفر والحرور
السموم الا ان السموم يكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل
المقرونة بواوي العطف ما هي اذا وقعت الواو في النفي قرنت بها
لتأكيد معنى النفي   من فرق بين هذه الواوات   بعضها ضمت
شفعا الى شفع وبعضها وترا الى وتر ان الله يسمع من يشاء وما انت
بمسمع من في القبور يعني انه قد علم من يدخل في الاسلام ممن لا يدخل فيه
ويخذل من علم انها لا تنفع فيه واما انت فخفي عليك امرهم فلذلك
تحرص وتتهالك على اسلام قوم من المخذولين ومثلك في ذلك مثل من يريد
ان يسمع المقبورين وذلك مما لا سبيل اليه ثم قال ان انت الا نذير اي
ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان
كان من المصرين فلا عليك ويحتمل ان الله يسمع من يشاء انه قادر على ان يهدي
المطبوع على قلوبهم الذين هم بمنزلة الموتى انا ارسلناك بالحق حال من

احد الضميرين يعني محققا او محقين او صفة للمصدر اي ارسالا مصحوبا بالحق
او صلة بشيرا ونذيرا على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة الا خلا فيها نذير الامة الجماعة الكثيرة قال الله تعالى
وجد عليه امة من الناس ويقال لاهل كل عصر امته في حدود المتكلمين الامة
المصدقون بالرسول دون المبعوث وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد هنا اهل
العصر كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلم وآله ولم
فيها نذير اذا كان آثار النذارة باقية لم تخل من نذير الى ان يندرس
وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلم بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله
وسلم كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في آخر الآية بعد ذكرهما
لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لاسيما
وقد اشتملت الآية على ذكرهما وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم
جاءتهم رسلهم بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر
وبالصحف وبالكتاب المنير نحو التورية والانجيل والزبور لما كانت هذه الاشياء
في جنسهم اسند المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات
وبعضها في بعض وهي الزبور والكتاب وفيه سلاة لرسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير الم تر ان الله
انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها اجناسها من الرمان
والتفاح والتين والعنب وغيرها مما لا يحصى واصنافها من الحمرة والصفرة
والخضرة ونحوها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها الجدد الخطط
والطرق قال لبيد او مذهب جدد على الواحه ويقال جدة الحمار للخط السواد
على ظهره وبطنه وغرابيب سود معطوف على بيض او على جدد كانه قيل ومن
الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة وهي الجبال
الطوال السود الغربيب تأكيد السواد واغرب فيه ومنه الغراب من
حق التاكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع وابيض يقق وما اشبه ذلك
وجهه ان يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا لما اضمر كقول النابغة

٧٨٩

والمؤمن العائذات الطير وانما يفعل ذلك لزيادة التوكيد حيث يدل على المعنى
الواحد من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف
في قوله ومن الجبال جدد بمعنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود
حتى يؤول الى قولك ومن الجبال مختلف الوانه وقرئ الوانها وقرأ الزهري جدد
بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن
وسفائن وقد فسر بها قول ابي ذؤيب جون السراة له جدائد اربع
وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح المسفر وجعله موضع الطرق و
الخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقرئ والدواب مخففا ونظير
ذلك هنا التخفيف قراءة من قرأ ولا الضالين لان كل واحد منهما فر من التقاء
الساكنين فحرك ذاك اولهما وحذف هذا آخرهما وقوله كذلك اي كاختلاف
الثمرات والجبال انما يخشى الله من عباده العلماء المراد العلماء الذين علموه
بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه فعظموه وقدروه حق قدره و
خشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به
اقل كان آمن وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم خشية وكفى بالمرء جهلا ان
يعجب بعمله وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال العالم من خشي الله وقيل نزلت
في ابي بكر الصديق رض قد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت هل يختلف المعنى
اذا قدم المفعول في هذا الكلام او اخر لا بد من ذلك لانك اذا قدمت اسم الله
واخرت العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون
غيرهم واذا عملت على العكس انقلب الى انهم لا يخشون الا الله كقوله ولا
يخشون احدا الا الله وهما معنيان مختلفان ما وجه اتصال هذا الكلام
بما قبله لما قال الم تر بمعنى الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء وعدد آيات
الله واعلام قدرته وآثار صنعه وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما
يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك انما يخشى الله من عباده العلماء كانه
قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته وعلمه وعن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم انا ارجو ان اكون اتقاكم بالله واعلمكم به فما وجه

قراءة من قرأ إنما يخشى الله من عباده العلماء وهي عن عمر بن عبد العزيز ويحكى
عن ابي حنيفة الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم
كما يجل المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده إن الله عزيز غفور
تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل الطاعة
والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى إن الذين يتلون كتاب الله
يداومون على تلاوته وهي شانهم وديدنهم وعن مطرف هي آية القراء وعن
الكلبي ياخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي هم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن عطاء هم المؤمنون وأقاموا الصلوة
وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور يرجون
خبر ان والتجارة طلب الثواب بالطاعة وليوفيهم متعلق بلن تبور اي تجارة
ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده اجورهم وهي ما
استحقوه من الثواب ويزيدهم من فضله من التفضل على المستحق وان شئت
جعلت يرجون في موضع الحال على وانفقوا راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك
من التلاوة واقامة الصلوة والانفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر ان
قوله انه غفور شكور على معنى غفور لهم شكور لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة
والذي اوحينا اليك من الكتاب القرآن ومن للتبيين او الجنس
او من للتبعيض هو الحق مصدقا حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا
التصديق لما بين يديه لما تقدم من الكتب ان الله بعباده لخبير بصير يعني انه
خبرك وابصر احوالك فراك اهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي
هو عيار على سائر الكتب ما معنى قوله ثم اورثنا الكتاب
فيه وجهان احدهما انا اوحينا اليك القرآن ثم اورثناه من بعدك اي
حكمنا بتوريثه او قال اورثناه وهو يريد نورثه لما عليه اخبار الله
الذين اصطفينا من عبادنا وهم امته من الصحابة والتابعين وتابعيهم
ومن بعدهم الى يوم القيمة لان الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم
امة وسطا ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل

رسل الله وحمل الكتاب الذي هو افضل كتب الله فمنهم ظالم لنفسه
ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجا لامر الله ومنهم مقتصد
وهو الذي خلط عملا صالحا وآخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات باذن
الله وسابق من السابقين والوجه الثاني انه قدم ارساله في كل امة رسولا
وانهم كذبوا رسلهم وقد جاؤوهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال ان
الذين يتلون كتاب الله فاثنى على التالين لكتبه العالمين بشرائعه من بين المكذبين
بها من سائر الامم واعترض بقوله والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق
ثم قال ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا اي من بعد اولئك
المذكورين يريد بالمصطفين من عباده اهل الملة الحنيفية ذلك هو الفضل
الكبير فكيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق
بالخيرات المشار اليه بذلك لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة
كانه هو الثواب فابدلت عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم
بذكر ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد
وليهلك الظالم لنفسه حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله
ولا يغترا بما رواه عمر رض عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سابقنا سابق
ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط ذلك صحة التوبة لقوله عسى الله
ان يتوب عليهم وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد نطق القرآن بذلك
في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع
وقرئ سباق ومعنى باذن الله بتيسيره وتوفيقه لم قدم الظالم
ثم المقتصد ثم السابق للايذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وان
المقتصدين قليل بالاضافة اليهم والسابقون اقل من القليل وقرئ جنة عدن
على الافراد كانها جنة مخصوصة بالسابقين وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره
الظاهر اي يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها على البناء للمفعول يحلون
فيها من اساور من ذهب يحلون من حليت المرأة فهي حال ولؤلؤا معطوفا
على محل من اساور ومن داخلة للتبعيض اي يحلون بعض اساور من ذهب كانه بعض

لسانه الا بعاض كما سبق المسرورون به غيرهم وقيل ان ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ
واللولو بتخفيف الهمزة الاولى ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن وقرئ الحزن والمراد حزن المتقين وهو ما اهمهم من
خوف سوء العاقبة لقوله تعالى انا كنا قبل في اهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا
عذاب السموم وعن ابن عباس حزن الآفات والاعراض وعنه حزن الموت وعن
الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل هم زوال النعم وقد اكثروا
حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه انه يعم كل حزن من احزان الدين والدنيا حتى
هذا لا اله الا الله يخرجون من قبورهم ولا في محشرهم ولا في منشرهم وكان
باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم
ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور
ذكر الشكور دليل على ان القوم كثير والحسنات الذي احلنا دار المقامة
بمعنى الاقامة يقال اقمت اقامة ومقاما ومقامة من فضله من عطائه وافضاله
من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل
لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع لا يمسنا فيها نصب
ولا يمسنا فيها لغوب وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه اي لا نتكلف
عملا يلغبنا او مصدر كالقبول والولوع او صفة للمصدر كانه لغوب كقولك
موت مائت ما الفرق بين النصب واللغوب النصب التعب و
المشقة التي يصيب المنتصب للامر المزاول له واما اللغوب فما يلحقه من الفتور
بسبب النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه
من الكلال والفتور والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم
فيموتوا جواب النفي ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا
في حكم النفي اي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله فلا يؤذن لهم ولا
ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي وقرئ يجازى
ويجزي كل كفور بالنون وهم يصطرخون فيها يتصارخون يفتعلون من
الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة قال كصرخة حبلى اسلمتها قبيلها

وما يستعمل في الاستغاثة لجهد المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا
هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في قوله فارجعنا نعمل صالحا وما
زيادة غير الذي كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون صالحا آخر غير الصالح
الذي عملوه فايدة زيادته زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح
مع الاعتراف به واما الوهم فزايل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولانهم
كانوا يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل نحسبه
صالحا فنعمله اولم نعمركم توبيخ من الله تعالى يعني فنقول لهم ما
يتذكر فيه من تذكر وقرئ ما يذكر فيه من اذكر على الادغام
وهو متناول لكل عمر يتمكن فيه المكلف من اصلاح شانه وان قصر الا ان
التوبيخ في المتطاول اعظم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم العمر الذي اعذر
الله فيه لابن آدم ستون سنة وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل
ثماني عشرة وسبع عشرة وجاءكم النذير الرسول وقيل الشيب وقرئ
جاءتكم النذر علام عطف وجاءكم النذير على معنى اولم
نعمركم لان لفظه لفظ الاستخبار ومعناه معنى اخبار كانه قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير
فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والارض
انه عليم بذات الصدور كالتعليل لانه اذا علم ما في الصدور وهو اخفى
ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تانيث ذو في نحو قول
ابي بكر ذو بطن خارجة جارية وقوله اذا قال ودعني قال بالله حلفة
لتغني عني ذا انائك اجمعا المعنى ما في بطنها من الحبل وما في انائك من الشراب
لان الشراب والحبل يصحبان البطن والاناء الا ترى الى قولهم معها حبل
وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو موضوع لمعنى الصحبة هو
الذي جعلكم خلائف في الارض يقال للمستخلف خليفة وخليف
فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى انه جعلكم خلفاء في ارضه قد
ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها لتشكروه
بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم مثل هذه النعمة السنية فعليه كفره وبال

كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار ولا يزيد
الكافرين كفرهم إلا خسارا خسار الآخرة الذي ما بعده خسار والمقت
اشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امرأة ابيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب وهو خطاب
للناس وقيل هو خطاب للناس وقيل هو خطاب لمن بعث اليهم رسول الله صلى
الله اي جعلكم امة خلفت من قبلها ورأت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي ان
يعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله وخسار الآخرة
الذي شاهدتموه كما ان ذلك حكم من قبلكم قل أرأيتم شركاءكم الذين
تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أروني بدل من أرأيتم
لان معنى أرأيتم اخبروني كانه قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا
به الالهية والشركة أروني اي جزء من اجزاء الارض استبدوا بخلقه دون
الله أم لهم شرك في السموات ام لهم مع الله شركة في خلق السموات أم
آتيناهم كتابا فهم على بينة منه ام معهم كتاب من عند الله ينطق بانهم
شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب او يكون الضمير في آتيناهم كتابا
من قبله بل إن يعد الظالمون بعضهم وهم الرؤساء بعضا وهم الاتباع
إلا غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقرئ بينات إن الله يمسك
السموات والأرض أن تزولا كراهة ان تزولا او يمنعهما من ان تزولا
او يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع إنه كان حليما غفورا
غير معاجل بالعقوبة حيث يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم
كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وقرئ ولو
زالتا وان امسكهما جواب القسم في ولئن زالتا سد مسد الجوابين ومن
الاولى مزيدة لتاكيد النفي والثانية للابتداء من بعده من بعد امساكه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال
وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب
اما ترك يهوديته بعد ثم قرأ هذه الآية وأقسموا بالله جهد أيمانهم
لئن جاءهم بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اهل

ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده

الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم
والله لئن آتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم
نذير ما زادهم إلا نفورا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كذبوه من احدى الامم وجهان احدهما من بعض الامم ومن واحدة الامم من اليهود
والنصارى وغيرهم والثاني من الامة التي يقال فيها هي احدى الامم تفضيلا
لها على غيرها في الهدى والاستقامة ما زادهم مجازي لانه هو السبب في
ان زادوا انفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا
الى رجسهم استكبارا بدل من نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا ان
استكبروا وعلوا في الأرض او حال بمعنى مستكبرين وماكرين برسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ويجوز ان يكون ومكر السيء معطوفا
على نفورا ما وجه قوله ومكر السيء اصله وان مكروا السيء ثم
ومكروا السيء والدليل عليه قوله ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ومعنى
يحيق يحيط وينزل وقرئ ولا يحيق المكر السيء اي لا يحيق الله ولقد حاق
بهم يوم بدر وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا
فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا
يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم وعن كعب انه قال لابن عباس قرأت
في التورية من حفر مغواة وقع فيها وفي امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيها
منكبا وقرأ حمزة ومكر السيء باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركة
مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدأ
ولا يحيق وقرأ ابن مسعود ومكرا سيئا فهل ينظرون إلا سنة الأولين
انزال العذاب على الذين كذبوا رسلهم من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك
انتظارا له منهم فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله
تحويلا بين ان عادته التي هي الانتقام من مكذبي الرسل عادة لا يبدلها
ولا يحولها اي لا يغيرها وان ذلك مفعول لا محالة أولم يسيروا في الأرض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم

اسناده

اي المكر السيء

قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا واستشهد عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلتهم الى الشام والعراق واليمن من آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم ليعجزه ليسبقه ويفوته ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا بما اقترفوا من معاصيهم ما ترك على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة يدب عليها يريد بني آدم وقيل ما ترك بني آدم وغيرهم من سائر الدواب بشؤم ذنوبهم وعن ابن مسعود رضه كاد الجعل يعذب في جحره بذنب ابن آدم ثم تلا هذه الآية وعن انس ان الضب ليموت هزلا في جحره بذنب ابن آدم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى الى يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الملائكة دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت تمت سورة الملائكة

بسم الله الرحمن الرحيم يس قرئ يس بالفتح كاين وكيف او بالنصب على اتل يس وبالكسر على الاصل كجير وبالرفع على هذه يس او بالضم كحيث وفخمت الالف وأميلت وعن ابن عباس رضه معناه يا انسان في لغة طي والله اعلم بصحته وان صح فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم حتى اقتصروا على شطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله والقرآن الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل ناطق بالحكمة كالحي او كلام يوصف بصفة المتكلم به انك لمن المرسلين على صراط مستقيم خبر بعد خبر او صلة للمرسلين اي حاجة اليه خبرا كان او صلة وقد علم ان المرسلين لا يكونون الا على صراط مستقيم ليس الغرض بذكره ما ذهب اليه من تمييز من

ارسل على صراط مستقيم من غيره ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف ما جاء به من الشريعة فجمع بين الوصفين في نظام واحد كانه قال انك لمن المرسلين الثابتين على طريق ثابت وايضا فان التنكير فيه دال على انه ارسل من بين الصراط المستقيمة على صراط مستقيم لا يكتنه وصفه تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وبالنصب على اعني وبالجر على البدل من القرآن لتنذر قوما ما انذر آباؤهم قوما غير منذر آباؤهم على الوصف ونحوه لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقد فسر ما انذر آباؤهم من العذاب كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا اي فرق بين تعلقي قوله فهم غافلون على التفسيرين هو على الاول متعلق بالنفي اي لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم انذارهم هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك الى فلان لتنذره فانه غافل او فهو غافل فكيف يكونون منذرين وغير منذرين لمناقضة هذا ما في الآي الاخر لا مناقضة لان الآي في نفي انذارهم لا في نفي انذار آبائهم وآباؤهم الاولين القدماء من ولد اسمعيل فكانت النذارة فيهم نفى احد التفسيرين ان آباءهم لم ينذروا فما تصنع به اريد آباؤهم الادنون دون الاباعد لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون القول قوله لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطأطئون رؤسهم له وكالحاصلين بين سدين فاغشيناهم فهم لا يبصرون لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا تأمل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر في آيات الله ما معنى قوله فهي الى الاذقان معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان

يلزق ورمه اليها وتحلل لك ان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى
طرفيه تحت الذقن حلقة فيها راس العمود نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه
يطاطي راسه ويوطي قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح الذي يرفع راسه ويغض بصره
يقال قمح البعير فهو قامح اذا روي فرفع راسه ومنه شهرا قماح لان الابل
ترفع رؤسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق
فان قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد
والعنق وبذلك يسمي جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي
الوجه ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون الا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة
قوله فهي الى الاذقان ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا
يدعوه المعنى الى نفسه الى الباطل الذي يجفو عنه ترك للحق الى الباطل اللجلج
فان قلت فقد قرا ابن عباس رضي الله عنهما في ايديهم وابن مسعود رضي الله عنه في ايمانهم فهل
على هاتين القراءتين ان تجعل الضمير للايدي او للايمان قلت يابى ذلك وان
المقتسم ظهور كون الضمير للاغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت وقرئ
سدا بالفتح والضم للاغلال وسداد المعنى عليه كما ذكرت وقيل ما كان من
عمل الناس فبالفتح وما كان من خلق الله فبالضم فاغشيناهم فاغشينا ابصارهم
اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن ان تطمح الى مرئي وعن مجاهد فاغشيناهم
فالبسنا ابصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشاء وقيل نزلت في بني مخزوم
وذلك ان ابا جهل حلف لئن راي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم يصلي ليرضخن
راسه فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق
الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي آخر
انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله بصره وسواء عليهم أأنذرتهم ام
لم تنذرهم لا يؤمنون فقد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع
الانذار ثم قفاه بقوله انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن
بالغيب فبشره بمغفرة واجر كريم وانما كانت تقع هذه التقفية
لو كان الانذار منفيا هو كما قلت ولكن لما كان ذلك نفيا للايمان مع

الانذار وكان معناه ان البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي الايمان قيل
له انما تنذر على معناه انما تحصل البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم
المتبعون للذكر وهو القرآن او الوعظ الخاشعون لربهم انا نحن نحيي الموتى
نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم ان يخرجهم من الشرك الى الايمان
ونكتب ما قدموا ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها وما
هلكوا عنها من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس احبسوه
او بناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او سيئ كوظيفة
وظفها بعض الظلام على المسلمين وسكة احدثها فيها تخسيرهم وشي احدث فيه صد
عن ذكر الله من الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها ونحوه
قوله تعالى ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر اي قدم من اعماله واخر من
آثاره وقيل هي آثار المشائين الى المساجد وعن جابر ارادوا النقلة الى المسجد
والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاتانا
في ديارنا وقال يا بني سلمة بلغني انكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا نعم بعد
علينا المسجد والبقاع حوله خالية فقال عليكم دياركم فانما تكتب آثاركم
قال فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن
عمر بن عبد العزيز لو كان مغفلا شيئا لاغفل هذه الآثار التي تعفيها الرياح
وقرئ يكتب ما قدموا وآثارهم على البناء للمفعول وكل شيء بالرفع واضرب
لهم مثلا من قولهم عندي من هذا الضرب كذا على مثال واحد والمعنى واضرب
لهم مثلا مثل اصحاب القرية اي اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية
والقرية انطاكية والمثل الثاني بيان للاول اذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما
وانتصاب اذ بانه بدل من اصحاب القرية والقرية انطاكية والمرسلون الى
الطلق وكانوا عبدة اوثان ارسل اليهم اثنين فلما قربا الى المدينة رايا شيخا
يرعى غنيمات وهو حبيب النجار صاحب يس فسالهما فاخبراه قال امعكما آية
فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض سنتين فمسحاه
فقام فآمن حبيب وفشا الخبر فشفي على ايديهما خلق كثير ورقي حديثهما الى الملك

وكل شيء احصيناه في امام مبين

فقال لهما الينا آله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك وآلهتك فقال حتى انظر
في امركما فتبعهما الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون
فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى
الملك فانس به فقال له بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال
لا حال الغضب بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله
الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين
فدعوا الله حتى انشق له بصر واخذا بندقتين فوضعا في حدقتيه فكانتا مقلتين
ينظر بهما فقال له شمعون ارايت لو سألت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون
لك وله الشرف فقال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يبصر ولا يسمع ولا
ينفع ولا يضر وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون
انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات
من سبعة ايام فقام وقال اني ادخلت في سبعة اودية من النار واحذركم
ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرايت شابا حسن الوجه يشفع
لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك فلما
راى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قومه ومن لم يؤمن
فصاح عليهم جبريل فهلكوا **فعززنا بثالث** فقوينا يقال المطر يعزز
الارض اذا لبدها وشدها وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه
اذا غلبه اي فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون **فقالوا انا اليكم مرسلون**
لم يذكر المفعول به لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون وما لطف
به من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض
من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كانما سواه مرفوض ومطرح
ونظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قولك
بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم عليه **قالوا ما انتم الا بشر مثلنا**
وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون اي ما دفع بشر

المحكوم به وهو

وضيق فيه هنا بشر لان الا تنقض النفي فلا يبقى لما المشبهة بليس شبه
فلا يبقى له عمل **قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون**
انا اليكم مرسلون اولا وانا اليكم لمرسلون آخرا لان الاول ابتداء اخبار
والثاني جواب عن انكار وقوله ربنا يعلم جار مجرى القسم في التوكيد وكذلك قولهم
شهد الله وعلم الله وانما حسن هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع
قولهم **وما علينا الا البلاغ المبين** اي الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة
بصحته والا فلو قال المدعي والله اني لصادق ولم يحضر البينة كان قبيحا **قالوا**
انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم **لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم**
منا عذاب اليم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم وعادة الجهال
ان يتيمنوا بكل شيء مالوا اليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه
وكرهوا فان اصابهم نعمة او بلاء قالوا ببركة هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم
سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركي مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه
من عندك وقيل حبس عنهم المطر فقالوا ذلك وعن قتادة ان اصابنا شيء كان من
اجلكم **قالوا طائركم معكم** وقرئ طيركم اي سبب شؤمكم معكم وهو
كفركم او اسباب شؤمكم معكم وهي كفركم ومعاصيكم وقرأ الحسن اطيركم اي
وقرئ **ائن ذكرتم** بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآئن ذكرتم بالف بينهما
اتطيرون ان ذكرتم وقرئ ان بهمزة الاستفهام وان الناصبة بمعنى اتطيرتم
لان ذكرتم وقرئ ان بهمزة الاستفهام وان الناصبة بمعنى اتطير ذكرتم
اي شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شئتم المكان بذكركم كان لا يخلو لهم
فيه اشآم **بل انتم قوم مسرفون** في ضلالكم متمادون في غيكم حيث تشاءمون
بمن يجب التبرك به من رسل الله **وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى قال**
يا قوم اتبعوا المرسلين هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام وهو
ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن
تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبي احد الا بعد ظهوره وقيل
كان في غار يعبد الله فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقال الكفرة

فقالوا وانت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه وقيل توطؤه بارجلهم حتى
خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
وقبره في سوق انطاكية فلما قتل غضب الله عليهم فاهلكوا بصيحة جبرئيل
وعن [illegible] رسول الله صلى الله عليه واله وسلم سباق الامم ثلثة لم يكفروا
بالله طرفة عين علي بن ابي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون اتبعوا
من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة في الترغيب فيهم اي
لا تخسرون شيئا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة
ثم ابرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم
ولانه ادخل في امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد وضع قوله وما
لي لا اعبد الذي فطرني مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذي فطركم الا ترى الى قوله
واليه ترجعون ولولا انه قصد ذلك لقال الذي فطرني واليه ارجع وقد ساقه ذلك
المساق الى ان قال ءاتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا
ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين الى ان قال اني آمنت
بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولي واطيعوني فقد نبهتكم على الصحيح الذي لا معدل عنه
ان العبادة لا تصح الا لمن منه مبداكم واليه مرجعكم وما ادفع في العقول وانكر
لان تستحبوا على عبادته عبادة اشياء ان ارادكم هو بضر وشفع لكم هؤلاء لم
تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا من ان يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم
منه بوجه من الوجوه انكم في هذا الاستحباب لواقعون في ضلال بين لا يخفى على ذي
عقل وتمييز وقيل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل
فقال لهم اني آمنت بربكم فاسمعون اي اسمعوا ايماني تشهدوا لي وقرئ ان يردن
الرحمن بضر بمعنى ان يوردني ضرا اي يجعلني موردا للضر قيل ادخل الجنة قيل له
ادخل الجنة وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق واراد قوله تعالى
بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله وقيل معناه البشرى بدخول
الجنة وانه من اهلها كيف مخرج هذا القول في علم البيان مخرجه مخرج الاستئناف
لان هذا من مظان المسألة عن حاله عند لقاء ربه كان قائلا قال كيف كان لقاء ربه بعد

ذلك التصلب في نصرة الدين والتمني لو جيد بروحه فقيل قيل ادخل الجنة ولم
يقل له لانصباب الغرض الى المقول وعظمه لا الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك
قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من
قوله عند ذلك الفوز العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها
سببا لاكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والعمل
الصالح المفضيين باهلهما الى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه
تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهل والترؤف على من ادخل
نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه
والاشتغال بذلك عن الشماتة والدعاء عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين
له الغوائل وهم كفرة عبدة الاصنام ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا انهم كانوا
على خطاء عظيم في امره وانه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم لم
تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف
لذة وسرور والاول اوجه وجعلني من المكرمين وقرئ المكرمين
ما في قوله بما غفر لي اي الماءات هي المصدرية او الموصولة اي
بالذي غفر لي من الذنوب ويحتمل ان يكون استفهامية يعني باي شيء غفر لي
ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا ان قولك
بم غفر لي ربي بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما
هنا وبم صنعت وما انزلنا على قومه من جند من السماء المعنى ان الله
كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود السماء كما فعل
يوم بدر والخندق وما قوله وما كنا منزلين معناه وما
كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك
لان الله عز وجل اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض وما ذلك الا بناء
على ما اقتضته الحكمة واوجبته المصلحة الا ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا عليه
حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من
اغرقنا فلم انزل الجنود من السماء يوم بدر والخندق قال فارسلنا عليهم ريحا

وجنودا لم تروها بالف من الملائكة مردفين بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بخمسة
آلاف من الملائكة مسومين انما يكفي ملك ما جاء فقد اهلكت مدائن قوم لوط
بريشة من جناح جبريل عليه السلام وبلاد ثمود وهم قوم صالح بصيحة ولكن الله
فضل محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بكل شيء على كبار الانبياء واولي العزم من الرسل
فضلا على حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوله احدا فمن ذلك
انه انزل له جنودا من السماء وكانه اشار بقوله وما انزلنا وما كنا منزلين
الى ان انزال الجنود من عظائم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله
بغيرك ان كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة واحدة وقرأ ابو جعفر المدني بالرفع
على كان التامة اي ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل
لان المعنى ما وقع شيء الا صيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن فاصبحوا
لا يرى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع وقرأ
ابن مسعود الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقي اذا صاح ومنه المثل
اثقل من الزواقي فاذا هم خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا كما قال لبيد
وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد
نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالي يا حسرة فهذه من احوالك التي حقك ان
تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل والمعنى انهم احقاء بان يتحسر عليهم
المتحسرون من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز ان يكون من الله عز وجل
على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها به وفرط
انكاره له وتعجيبه منه وقراءة يا حسرة العباد على الاضافة اليهم لاختصاصها بهم
من حيث انها موجهة اليهم ويا حسرة على العباد على اجراء الوصل مجرى الوقف
الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون الم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لان كم لا
يعمل فيها عامل قبلها كانت للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان
معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه
انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا على اللفظ تقديره الم يروا كثرة
اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين وعن الحسن كسر ان على الاستئناف

وفي قراءة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا والبدل على القراءة بدل الاشتمال و
هذا مما يرد قول اهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون ان عليا
عليه السلام مبعوث قبل يوم القيمة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه
وان كل لما جميع لدينا محضرون قرئ لما بالتخفيف على ان ما صلة للتاكيد وان
مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في مسئلة
الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية والتنوين في كل هو الذي يقع عوضا
من المضاف اليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى ان كلهم مجموعون محضرون للحساب
يوم القيمة وقيل محضرون معذبون كيف اخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد
ليس بواحد لان كلا يفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجميع
معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم والجميع فعيل بمعنى مفعول يقال حي جميع وجاءوا جميعا
وآية لهم الارض الميتة القراءة بالميتة على الخفة اسبغ لسلسها على اللسان
واحييناها استيناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز ان يوصف
الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين لا ارض وليل باعيانهما
فعوملا معاملة النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه ولقد امر على اللئيم يسبني
وقوله فاخرجنا منها حبا فمنه ياكلون بتقديم الظرف للدلالة على ان الحب الشيء
هو الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق صلاح الانس واذا قل جاء القحط
ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء وجعلنا فيها جنات من نخيل
واعناب وفجرنا فيها من العيون وقرئ وفجرنا بالتثقيل والتخفيف والفجر
والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ليأكلوا من ثمره وقرئ ثمره بفتحتين وضمتين و
ضمة وسكون والضمير لله تعالى ليأكلوا مما خلقه الله تعالى من الثمر وما عملته
ايديهم من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه
وابان اكله افلا يشكرون يعني ان الثمر في نفسه فعل الله في خلقه وفيه آثار من
كد بني آدم واصله من ثمرنا كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة
على طريقة الالتفات ويجوز ان يرجع الى النخيل وتترك الاعناب غير مرجوع اليها
لانها علم انها في حكم النخيل فيما علق به من اكل ثمره ويجوز ان يراد من ثمر المذكور وهو

وهو الحيات كما قال رؤبة فيها خطوط من بياض وبلق كأنه في الجلد توليع البهق فقيل له اردت كان ذاك ولك ان تجعل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه وقرئ على الوجه الاول وما عملت من غير راجع وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام مع الضمير

سبحان الذي خلق الأزواج الاجناس والاصناف **كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** ومن ازواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد ان يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوانات والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم حاجة لاعلمهم بما لا يعلمون كما اعلمهم بوجود ما لم يعلموا وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يسمهم وفي الحديث ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه فاعلمنا بوجوده واعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الاعلام بكثرة ما خلق مما علموه ومما جهلوه ما دل على عظم قدرته واتساع ملكه **وآية لهم الليل نسلخ منه النهار** سلخ جلد الشاة اذا كشطه عنها وازاله **فاذا هم مظلمون** داخلون في الظلام يقال اظلمنا كما تقول اعتمنا وادجينا **والشمس تجري لمستقر لها** لحد لها مقدر مؤقت تنتهي اليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها تتقصاها مشرقا مشرقا ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه او لحد لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها اجلها الذي اقر الله تعالى عليه امرها في جريها فهو يوم القيمة وقرئ تجري الى مستقر لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر لها اي لا تزال تجري لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس **ذلك** الجري على ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي يكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه ما هو الا **تقدير العزيز** الغالب بقدرته على كل مقدور **العليم** المحيط علما بكل معلوم وقرئ **والقمر** رفعا على الابتداء او عطفا على الليل يريد ومن آياته القمر ونصبا بفعل يفسره **قدرناه**

ولا بد في **قدرناه** من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهي الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العواء السماك الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعايم البلدة سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس **حتى عاد كالعرجون القديم** وهو عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة قال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلاثة اوجه وقيل اقل مدة الموصوف بالقدم الحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر وكتب ذلك في وصيته عتق منه من مضى له حول او اكثر **لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار** قرئ سابق النهار على الاصل والمعنى ان الله تعالى قسم لكل واحد من الليل والنهار وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من النيرين سلطانا على حياله ان تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما الف فيجمع بين الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها … لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر غير سابق … لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر فكانت الشمس جديرة بان توصف بالادراك لتباطي سيرها عن سير القمر والقمر خليقا بان يوصف بالسبق لسرعة سيره **وكل في فلك يسبحون** التنوين فيه عوض من المضاف اليه

والمعنى وكلهم والضمير للشموس والاقمار على ما سبق ذكره وآية لهم انا حملنا
ذريتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع على النساء لانهن
مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء في الفلك المشحون
وخلقنا لهم من مثله ما يركبون من الابل وهي سفائن البر وقيل الفلك
المشحون سفينة نوح عليه الصلوة والسلام وحمل الله تعالى ذرياتهم انه حمل فيها اباءهم
الاقدمين وفي اصلابهم ذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه في الامتنان
عليهم وادخل في التعجب من قدرته في حمل اعقابهم الى يوم القيمة في سفينة نوح عليه السلام
ومن مثله مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق وان نشأ نغرقهم فلا
صريخ لهم فلا مغيث او لا اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون ولا ينجون
من الموت الغرق الا رحمة منا ومتاعا الى حين الى اجل يموتون فيه لا بد لهم
منه بعد النجاة من موت الغرق ولقد احسن من قال ولم اسلم لكي ابقى ولكن
سلمت من الحمام الى الحمام واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما
خلفكم كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض
وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقائع التي خلت يعني
من مثل الوقائع التي ابتليت به الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من امر الساعة
لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف دل
عليه بقوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها
معرضين كانه قال واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودابهم الاعراض عند كل آية
وموعظة واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين
آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤ
منين يعلقون افعال الله فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعزه ولو شاء
لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه
من تعليق الامور بمشيئة الله ومعناه انطعم للقول فيه هذا القول بينكم وذلك
انهم كانوا اذا فقير كان يطلبون العفو والغفر من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع
وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره

الله تعالى ونطعمه نحن وقيل كانوا يدعون ان الله تعالى كان قادرا على اطعامه
ولا يشاء اطعامه فنحن احق بذلك نزلت في مشركي مكة وقيل حين قال فقراء اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون
قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شاء الله
لاطعمكم ان انتم الا في ضلال مبين حيث قال الله تعالى لهم او قول المؤمنين لهم
او هو من جملة جوابهم للمؤمنين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين
ما ينظرون الا صيحة واحدة وهم يخصمون قرئ وهم يخصمون بادغام التاء
في الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء الخاء في الكسر ويخصمون على الاصل
ويخصمون من خصمه والمعنى انها تبغتهم وهم في امنهم وغفلتهم عنها لا يخطر
ببالهم مشتغلين بخصوماتهم ومتاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه
ويتناجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا وقيل تأخذهم وهم عند انفسهم
يخصمون في الحجة في انهم لا يبعثون فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم
توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم و
اهاليهم بل يموتون حيث تفجأهم الصيحة ونفخ في الصور يعني الصور بفتح الواو
وهو القرن او جمع صورة وحركها بعضهم فاذا هم من الاجداث القبور وقرئ
بالفاء الى ربهم ينسلون يعدون بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية قالوا
يا ويلنا وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وعن ابن مسعود من اهبنا من اهب
من نومه اذا انتبه واهبه غيره وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وعن بعضهم اراد
هبنا فحذف الجار واوصل الفعل وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر و
هذا مبتداء وما وعد خبره والجملة مقول القول او صفة للمرقد وما وعد الرحمن او مبتداء محذوف
الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق عليكم وعن مجاهد للكفار هجعة
يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا واما هذا ما وعد
الرحمن فكلام الملائكة عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام
الكافرين يتذكرون ما سمعوه من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا
اذا جعلت ما مصدرية كان المخبر هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود

والمصدوق فيه الوعد والصدق فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة
تقديره هذا الذي وعده الرحمن والذي صدقه المرسلون من قولهم صدقوهم
صدقوهم الحديث والقتال ومنه صدقني سن بكره من بعثنا من مرقدنا
سؤال عن الباعث فكيف طابقه ذلك جوابا معناه بعثكم الرحمن الذي وعد
البعث وانباكم به المرسلون الا انه جيء به على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت اليهم
احوالهم وذكروا كفرهم وتكذيبهم واخبروا بوقوع ما انذروا به وكانه قيل لهم
ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن
الباعث انما هذا هو البعث الاكبر ذو الاهوال والافزاع وهو الذي وعده الله تعالى
في كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين إن كانت إلا صيحة واحدة
الا كلتيهما منصوبة ومرفوعة فإذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا
تظلم نفس شيئا ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون إن أصحاب
الجنة اليوم في شغل حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية
زيادة تصوير للموعود وتمكين له في النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره
في شغل اي في اي شغل لا يوصف وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي
دار المتقين ووصل الى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع
في تلك الملاذ التي اعدها الله للمرتضين من عباده ثوابا لهم على اعمالهم مع كرامة
وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى
والخشية وتخطي الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط ومعاينة ما لقي
العصاة من العذاب وعن ابن عباس في افتضاض الابكار وعنه في ضرب الاوتار
وعن ابن كيسان في التزاور وقيل في ضيافة الله تعالى وعن الحسن شغلهم عما فيه
اهل النار التنعم بما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل عن اهاليهم من اهل النار
لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم وقرئ في شغل
بضمتين وضمة وسكون وفتحة وسكون فاكهون الفاكه والفكه المتنعم
المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك الفكاهة وهي المزاحة وقرئ فا
وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حديث وحدث ونطس ونطس وقرئ فاكهين

ونحوهم على انه حال والظرف مستقر هم وأزواجهم في ظلال وهم يحتمل ان
يكون مبتدأ وان يكون تاكيدا للضمير في شغل وفي فاكهون على ان ازواجهم يشاركونهم
في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الأرائك تحت الظلال والاريكة
السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها متكئون وقرأ ابن مسعود متكئين لهم
فيها فاكهة ولهم ما يدعون يفتعلون من الدعاء اي يدعون به لانفسهم
كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد فاشتوى ليلة ريح واجتمل
ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون من قولهم ادع
علي ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى قال الزجاج وهو من الدعاء
اي ما يدعونه اهل الجنة ياتيهم سلام قولا من رب رحيم سلام بدل مما يدعون
كانه قال لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة
الملائكة او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه
قال ابن عباس والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدأ
وخبره سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله
ولهم ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص
وهو من مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وعن ابن مسعود سلاما نصب
على الحال اي لهم مرادهم خالصا وامتازوا اليوم أيها المجرمون وانفردوا
عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر المؤمنون ويسار بهم الى الجنة ونحوه
قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا الآية يقال مازه فانماز وامتاز وعن
قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى
ولا يرى ومعناه ان بعضهم يمتاز من بعض ألم أعهد إليكم يا بني آدم العهد
الوصية وعهد اليه اذا اوصاه وعهد الله اليهم ما ركز فيهم من ادلة العقل
وانزل عليهم من دلائل السمع أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين
وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه وقرئ اعهد بكسر
الهمزة وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعه الكسر الا في الياء واعهد بكسر الهاء

وجوّزه الزجاج ان يكون من باب ضرب يضرب ونعم ينعم واحهد بالحاء واحد و
هي لغة بني تميم ومنه قولهم دحا محا اي دعها معها وان اعبدوني هذا صراط
مستقيم هذا اشارة الى ما عهد اليهم فيه من معصية الشيطان وطاعتي
اذ لا صراط اقوم منه ونحو التنكير فيه ما في قول كثير لئن كان يهدي برد انيابها العلى
لافقر مني انني لفقير اراد اني لفقير بليغ الفقر حقيق بان اوصف به الكامل
فيه والا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا صراط علي مستقيم يريد صراط بليغ
في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب ان يكون عليه ويجوز ان يراد هذا بعض
الطرق المستقيم توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى الناس
عن الطريق المعوج الذي يؤدي الى الضلالة والتهلكة كما قيل اقل احوال الطريق
الذي هو اقوم الطرق ان يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك كما
يقول الرجل لولده وقد نصحه البعض البالغ ليس بعيد هذا فيما اظن قولا نافعا غير ضار
توبيخا له على الاعراض عن نصائحه ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم
تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها
اليوم بما كنتم تكفرون وقرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين
وتشديد وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديد وهذه لغات في معنى
الخلق وقرئ جيلا جمع جيلة كفطر وخلق وفي قراءة علي رض واحد الاجيال اليوم
نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون
يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم وتتكلم
ايديهم وارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيمة اني لا اجيز على نفسي شاهدا
الا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام
فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقرئ يختم على افواههم وقرئ
وتكلمنا ايديهم وتشهد بلام كي والنصب على معنى ولذلك نختم على
افواههم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم على ان الله تعالى يأمر
الاعضاء بالكلام والشهادة ولو نشاء لطمسنا على اعينهم الطمس تعفية
شق العين حتى تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط فانى يبصرون

يكون على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط او يضمن معنى
او يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه او ينتصب على الظرف والمعنى انه لو شاء
لمسح اعينهم فلو راموا ان يستبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه الى مساكنهم
والى مقاصدهم المألوفة التي ترددوا اليها كثيرا كما كانوا يستبقون اليه ساعين في
متصرفاتهم موضعين في امور دنياهم لم يقدروا وتعايا عليهم ان يبصروا
ويعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره ولو شاء لاعماهم فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط
الذي اعتادوا المشي فيه عجزوا ولم يعرفوا طريقا يعني انهم لا يقدرون الا على
سلوك الطريق المعتاد دون ما وراءه من سائر الطرق والمسالك كما ترى العميان
يهتدون فيما الفوا وضروا به من المقاصد دون غيرها ولو نشاء لمسخناهم على
مكانتهم وقرئ مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام اي لمسخناهم
مسخا يجمدهم مكانهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون لا يقدرون ان
يرجعوا باقبال ولا ادبار ولا مضي ولا رجوع واختلف في المسخ فعن ابن عباس رض
لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على ارجلهم وازمناهم
وقرئ مضيا بالحركات الثلث فالمضي والمضي كالعتي والعتي والمضي كالصبي ومن نعمره ننكسه
في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه قبل وذلك انا خلقناه على ضعف في
جسد وخلو من عقل وعلم ثم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقي من
درجة الى درجة الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه
فاذا انتهى نكسناه في الخلق فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في
ضعف جسده وقلة عقله وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله
قال عز وجل ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ثم رددناه اسفل
سافلين وهذه دالة على ان من نقلهم من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن
رجاحة العقل الى الخرف وقلة التمييز ومن العلم الى الجهل بعد ما نقلهم خلاف
هذا النقل وعكسه قادر على ان يطمس على اعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما
يشاء واراد وقرئ ننكسه بكسر الكاف وننكسه وننكّسه من التنكيس والانكاس
افلا تعقلون بالياء والتاء كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم

شاعر وروي ان القائل عقبة بن ابي معيط فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وما علمناه الشعر اي وما علمناه بتعليم القرآن الشعر على معنى ان القرآن ليس بشعر
وما هو من الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن واين
التقفية واين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه واين نظم كلامهم عن نظمه
واساليبه فاذن لا مناسبة بينه وبين الشعراء اذا حققت اللهم الا ان هذا لفظه
عربي كما ان ذلك كذلك وما ينبغي له وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه اي جعلناه بحيث
لو اراد قرض الشعر لم يتأت له ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه
ليكون الحجة اثبت والشبهة ادحض وعن خليل كان الشعر احب الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له
قوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقوله هل انت الا اصبع دميت
وفي سبيل الله ما لقيت ما هذا الا كلام من جنس كلامه الذي كان يرمي
به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق من غير قصد الى
ذلك ولا التفات منه اليه ان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاءات
الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة ولا يسميها احد شعرا
ولا يخطر ببال المتكلم ولا السامع انه شعر واذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجد
الواقع في البحور غير عزيز على ان الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما
نفى ان يكون القرآن من جنس الشعر قال ان هو الا ذكر وقرآن مبين
يعني ما هو الا ذكر من الله تعالى يوعظ به الانس والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين
وما هو الا قرآن كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته
والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين
القرآن او الرسول وقرئ لتنذر بالتاء ولينذر بالياء من نذر به اذا علم من
كان حيا اي عاقلا متأملا لان الغافل كالميت او معلوما منه انه يؤمن فيحيا
بالايمان ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين لا يتأملون ولا يتوقع
منهم الايمان اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما مما تولينا نحن
احداثه ولم يقدر على احداثه غيرنا وانما قال ذلك لبدائع الفطرة والحكمة فيها التي لا

ان يقدر عليها الا هو وعمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي
فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم فملكناها اياهم فهم متصرفون
فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع بها لا يزاحمون او فهم لها ضابطون قاهرون
من قوله اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا اي لا اضبط
وذللناها لهم وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا
تذليله وتسخيره لها كما قال القائل يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير ولهذا الزم الله تعالى الراكب ان يشكر
هذه النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فمنها ركوبهم
ومنها يأكلون وقرئ ركوبهم وركوبتهم اي وقرئ ركوبهم اي فمنها
ركوبهم ولهم فيها منافع من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك ومشارب
من اللبن ذكرها مجملة وقد فصلها في قوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا
الآية والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب او الشراب افلا يشكرون
واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون اتخذوا الآلهة طمعا في ان
يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون
والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون محضرون يخدمونهم و
يذبون عنهم ويغضبون لهم والآلهة لا استطاعة لهم ولا قدرة على النصر او اتخذوهم
لينصروا عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيمة
جند معدون لهم محضرون لعذابهم لانهم يجعلون وقود النار فلا يحزنك
قولهم انا نعلم ما يسرون قرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه واحزنه والمعنى
فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم فانا عالمون بما يسرون من عداوتهم وما
يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر بنفسه
صورة حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن
ما تقول فيمن قرأ قارئ انا نعلم بالفتح انتقضت صلوته وان اعتقد ما يعطيه
من المعنى كفر فيه وجهان احدهما ان يكون على حذف لام التعليل وهو
معناه ومعنى الكسر وعليه تلبية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الحمد و

والنهي لذلك كسرا ابو حنيفة وفتح الشافعي وكلاهما تعليل والثاني ان يكون بدلا
من قولهم فانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما يعلنون وهذا المعنى قائم مع
اذا جعلتها مفعولا للقول فقد تبين ان تعلق الحزن وعدم تعلقه لا يدوران
على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفصل ان فتحت بان تقدر معنى
التعليل ولا تقدر البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل اذا كسرت ولا تقدر
معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا او فاتحا على ما عظم فيه الخطب ذلك القائل
فما فيه الا نهي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الحزن على كون الله تعالى
عالما بسرهم وعلانيتهم وليس للنهي عن ذلك ما يوجب شيئا الا ترى الى قوله تعالى
فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر **اولم
ير الانسان انا خلقناه من نطفة** قبح الله عز وجل انكارهم البعث تقبيحا لا ترى
اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر الانسان وافراطه في جحود النعم وعقوق الايادي
وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره بان عنصره الذي خلقه منه هو اخس
والمهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذي هو قناة النجاسة ثم
عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة اصله ودناءة اوله لمخاصمة الجبار وبروز
صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر على احياء الميت
بعد ما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له والصقه به وهو كونه منشأ
من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها وروي ان جماعة
من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل والوليد بن
المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي الا ترون الى ما يقول محمد صلى الله عليه وآله وسلم
ان الله يبعث الاموات ثم قال والله لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا
فجعل يفته بيده ويقول يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال عليه وآله الصلوة والسلام
نعم ويبعثك ويدخلك النار جهنم وقيل معنى قوله فاذا هو خصيم مبين فاذا
هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه
فصيح كما قال اومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين لم سمي قوله من
يحيي العظام وهي رميم مثلا لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة بالمثل وهي انكار

فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم

قدرة الله تعالى على احياء الموتى او لما فيه من التشبيه لان ما انكر من قبيل ما يوصف الله
بالقدرة عليه بدليل النشأة الاولى فاذا قيل من يحيي العظام على طريق الانكار لان يكون
ذلك مما يوصف الله بكونه قادرا عليه كان تعجيز الله تشبيها له بخلقه في انهم غير موصوفين
بالقدرة عليه والرميم اسم ما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات فلا يقال لم لم
يؤنث وقد وقع خبرا لمؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول ولقد استشهد بهذه
الآية من يثبت الحيوة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها
من قبل ان الحيوة تحلها واما اصحاب ابي حنيفة فهي عندهم طاهرة وكذلك الشعر والعصب
ويزعمون ان الحيوة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون المراد باحياء العظام
ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس **وهو بكل
خلق عليم** يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن اجناسها
وانواعها وجلائلها ودقائقها **الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا**
ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع مضادة النار الماء وانطفائها
به وهي الزناد التي توري بها الاعراب واكثرها من المرخ والعفار وفي امثالهم في
كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما
خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي انثى فينقدح النار
باذن الله تعالى وعن ابن عباس رضه ليس من الشجر الا وفيها النار الا العناب قالوا
ولذلك يتخذ منه كذينقات القصارين الاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى
ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم
اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم من استعظم
على خلق السموات والارض مع عظم شأنهما فهو على خلق الاناسي اقدر وفي معناه قوله
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله ان يخلق مثلهم
يحتمل معنيين ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض او
ان يعيدهم لان المعاد مثل للمبتدأ وليس به **بلى وهو الخلاق العليم** الكثير المخلوقات
الكثير المعلومات وقرئ الخالق **انما امره** انما شأنه **اذا اراد شيئا** اذا دعاه داعي
حكمته الى تكوينه ولا صارف **ان يقول له كن** ان يكونه من غير توقف **فيكون**

فيحدث اي فهو كائن موجود لا محالة ما حقيقة قوله ان يقول له كن
هو مجاز عن الكلام وتمثيل لانه لا يمتنع عليه شيء من المكونات وانه بمنزلة المامور
المطيع اذا ورد عليه امر الامر المطاع فاوجه القرائتين في فيكون
اما الرفع فلانها جملة من مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها
وهي امره ان يقول له كن واما النصب فللعطف على يقول والمعنى انه لا يجوز عليه
شيء مما يجوز على الاجسام اذا فعلت شيئا مما يقدر عليه من المباشرة لمحال القدر
واستعمال الالات وما يتبع ذلك من المشقة والتعب واللغوب انما امره وهو
القادر العالم لذاته ان يخلص داعيه الى الفعل فيكون فمثله كيف يعجز عن مقدور
حتى يعجز عن الاعادة فسبحان تنزيه له عما وصفه به المشركون وتعجيب من ان
يقولوا فيه ما قالوا الذي بيده ملكوت كل شيء هو مالك كل شيء
والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل
شيء وملك كل شيء والمعنى واحد واليه ترجعون بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس
كنت لا اعلم ما روي في فضايل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الاية
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القرآن يس من قرأ
يس يريد بها وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرأ القرآن اثنتي عشرة
مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها
عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون عليه ويشهدون دفنه وايما
مسلم قرأ يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان
خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض ملك الموت
روحه وهو ريان ولا يحتاج الى حوض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال عليه
الصلوة والسلام ان في القرآن سورة تشفع لقاريها وتستغفر لمستمعها الا وهي سورة
يس والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا
اقسم سبحانه بطوائف الملائكة او بنفوسهم الصافات اقدامها في الصلوة من
قوله وانا لنحن الصافون واجنحتها في الهواء واقفة مستطرة لامر الله فالزاجرات
زجرا سوقا فالتاليات ذكرا لكلام الله من الكتب المنزلة وغيرها وقيل
الصافات الطير من قوله والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصي الله
والتاليات كل من تلا كتاب الله ويجوز ان يقسم بنفوس العلماء العمال الصافات
اقدامها في التهجد وساير الصلوات النوافل وصفوف الجماعات فالزاجرات
بالمواعظ والنصايح فالتاليات آيات الله الدارسات شرايعه او بنفوس قواد
الغزاة في سبيل الله التي تصف الصفوف وتزجر الخيل للجهاد وتتلوا الذكر مع ذلك
لا يشغلها عنه تلك الشواغل كما يحكى عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه
وما حكم الفاء اذا جاءت عاطفة في الصفات اما ان تدل على ترتب معانيها
في الوجود لقوله يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب كانه قال
الذي صبح فغنم فآب واما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه
كقولك خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واعمل الاحسن فالاجمل
واما على ترتب موصوفاتها في ذلك كقوله رحم الله المحلقين فالمقصرين فعلى
القراءات الثلاث ان الفاء العاطفة في الصفات فعلى اي هذه القوانين
هي فيما انت بصدده ان وحدت الموصوف كانت للدلالة على ترتب الصفات
في التفاضل وان ثلثته فهي للدلالة على ترتب الموصوفات فيه بيان ذلك انك اذا اجريت
هذه الاوصاف على الملائكة وجعلتهم جامعين لها فعطفها بالفاء يفيد ترتبا لها
في الفضل اما ان يكون الفضل للصف ثم للزجر ثم للتلاوة واما على العكس وكذلك
ان اردت العلماء وقواد الغزاة وان اجريت الصفة الاولى على طوائف والثانية
والثالثة على اخر فقد افادت ترتب الموصوفات في الفضل اعني ان الطوائف الصافات
ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او على العكس وكذلك اذا
اردت بالصافات الطير وبالزاجرات كل ما يزجر عن معصية الله وبالتاليات
كل نفس تتلوا الذكر فان الموصوفات مختلفة وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاء

والذال **إن إلهكم لواحد رب السموات والأرض** خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ
محذوف **وما بينهما ورب المشارق** والمشارق ثلاثمائة وستون مشرقا وكذلك
المغارب تشرق الشمس كل يوم في مشرق منها وتغرب في مغرب فلا تطلع ولا تغرب في واحد يومين
فما ذا أراد بقوله رب المشرقين ورب المغربين أراد مشرقي الصيف والشتاء
ومغربيهما **إنا زينا السماء الدنيا** القربى منكم **بزينة الكواكب** والزينة مصدر
كالنسبة واسم لما يزان به الشيء كالليقة اسم لما يلاق به الدواة ويحتملهما قوله بزينة
الكواكب وإن أردت المصدر فعلى إضافته إلى المفعول أي بأن زان الله الكواكب وأصله
بزينة الكواكب وحسنها لأنها إنما زينت السماء بحسنها في أنفسها وأصله بزينة
الكواكب وهي قراءة أبي بكر والأعمش وابن وثاب وإن أردت الاسم فللإضافة
وجهان أن يقع الكواكب وغيرها مما يزان به وأن يراد ما زينت به الكواكب وعن
ابن عباس رضي الله عنهما بضوء الكواكب ويجوز أن يراد أشكالها المختلفة كشكل
الثريا وبنات النعش والجوزاء وغير ذلك ومطالعها ومساريها وقرئ على هذا
المعنى بزينة الكواكب بتنوين زينة وجر الكواكب على الإبدال ويجوز في نصب الكواكب
على الإبدال ويجوز في نصب الكواكب أن يكون بدلا من محل بزينة **وحفظا**
مما حمل على المعنى لأن المعنى إنا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين
كما قال ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما ويجوز أن يقدر الفعل المعلل
كأنه قيل وحفظا **من كل شيطان مارد** زيناها بالكواكب وقيل وحفظناها حفظا
والمارد الخارج من الطاعة المتمكن فيها والضمير في **لا يسمعون** لكل
لأنه في معنى الشياطين وقرئ بالتخفيف والتشديد وأصله يتسمعون والتسمع
تطلب السماع يقال تسمع فسمع أو فلم يسمع وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم يتسمعون ولا
يسمعون وبهذا ينصر التخفيف على التشديد لا يسمعون كيف اتصل بما قبله
لا يخلو من أن يتصل بما قبله على أن يكون صفة لكل شيطان أو استينافا فا
فلا يصح الصفة لأن الحفظ من شياطين لا يسمعون ولا يتسمعون لا معنى له وكذا
الاستيناف لأن سائلا لو سأل لم يحفظ من الشياطين وأجيب بأنهم لا يسمعون لم
يستقم فبقي أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ اقتصاصا لما عليه حال المسترقة للسمع

وأنهم لا يقدرون أن يسمعوا إلى كلام الملائكة أو يتسمعوا وهم مقذوفون بالشهب
مدحورون عن ذلك من أصله حتى خطف خطفة واسترق استراقة فعندها تعاجله
الهلكة باتباع الشهاب هل يصح قول من زعم أن أصله لئلا يسمعوا
فحذفت اللام كما حذفت في قولك جئتك أن تكرمني فبقي أن لا يسمعوا فحذفت أن
وأهدر عملها كما في قول القائل ألا أيها الزاجري أحضر الوغى قلت كل واحد من
هذين الحذفين غير مردود على انفراده فأما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب أن
يصان القرآن عن مثل هذا التعسف واجب أي فرق بين سمعت فلانا يتحدث وسمعت إليه
يتحدث وسمعت حديثه وإلى حديثه المعدى بنفسه يفيد الإدراك والمعدى
بإلى يفيد الإصغاء مع الإدراك **إلى الملأ الأعلى** الملائكة لأنهم يسكنون
السموات والإنس والجن هم الملأ الأسفل **ويقذفون من كل جانب** من جميع
جوانب السماء من أي جهة صعدوا للاستراق **دحورا** مفعول له أي ويقذفون للدحور
وهو الطرد أو مدحورين على الحال أو لأن القذف والطرد متقاربان في المعنى فكأنه
قيل يدحرون دحورا وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي بفتح الدال على قذفا دحورا طردا
وعلى أنه قد جاء مجيء القبول والولوع **ولهم عذاب واصب** والواصب الدائم
وصب الأمر وصوبا يعني أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب وقد أعد لهم في الآخرة
نوع من العذاب دائم غير منقطع **إلا من خطف الخطفة** من في محل الرفع بدل
من الواو في لا يسمعون أي لا يسمع الشياطين إلا الشيطان الذي خطف الخطفة
وقرئ خطف بكسر الخاء والطاء وتشديدها وخطف بفتح الخاء وكسر الطاء و
تشديدها وأصلهما اختطف **فأتبعه شهاب ثاقب** وقرئ فاتبعه
فاستفتهم أهم الهمزة وإن خرجت إلى صيغة التقرير فهي بمعنى الاستفهام في
أصلها فلذلك قيل فاستفتهم أهم **أشد خلقا** ولم يقل فقررهم والضمير لمشركي
مكة وقيل نزلت في أبي الأشد بن كلدة وكني بذلك لشدة بطشه وقوته **أم من
خلقنا** يريد ما ذكر من خلائقه من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والشهب
الثواقب والشياطين المردة وغلب أولي العقل على غيرهم فقال من خلقنا أم من
خلقنا والدليل عليه قوله بعد عده هذه الأشياء فاستفتهم أهم أشد خلقا

امن خلقنا بالفاء المعقبة وقوله امن خلقنا مطلقا من غير تقييد بالبيان
اكتفاء ببيان ما تقدمه كانه قال خلقنا كذا وكذا من عجايب الخلق وبدايعه فاستفتهم
اهم اشد خلقا ام الذي خلقناه من ذلك ويقطع به قراءة من قرا ام من عددنا
بالتخفيف والتشديد واشد خلقا يحتمل اقوى خلقا من قولهم شديد الخلق وفي
خلقه شدة واصعب خلقا واشقه على معنى الرد لانكارهم البعث والنشاة
وان من هان عليه خلق هذه الخلايق العظيمة ولم يصعب عليه اختراعها كان
خلق البشر عليه اهون **انا خلقناهم من طين لازب** وخلقهم من طين لازب
اما شهادة عليهم بالضعف والرخاوة لان ما يصنع من الطين غير موصوف
بالصلابة والقوة او احتجاج عليهم بان الطين اللازب الذي خلقوا منه ترابا
فمن اين استنكروا ان يخلقوا من تراب حيث قالوا ائذا كنا ترابا وهذا المعنى
يعضده ما يتلوه من ذكر انكارهم البعث وقيل من خلقنا من الامم الماضية وليس
هذا القول بملايم وقرئ لازم ولاتب والمعنى واحد والتاتب الشديد
بل عجبت من قدرة الله على هذه الخلايق العظيمة **وهم يسخرون** منك ومن تعجبك
ومما تريهم من آثار قدرة الله ومن انكارهم البعث وهم يسخرون من امر البعث
وقرئ بضم التاء اي بلغ من عظم آياتي وكثرة خلايقي اني عجبت منها فكيف بعبادي
وهولاء بجهلهم وعنادهم يسخرون من آياتي او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه
افعاله وهم يسخرون ممن يصف الله بالقدرة عليه كيف يجوز العجب على الله وانما
هو روعة تعتري الانسان عند استعظام الشيء والله عز وجل لا يجوز عليه الروعة
فيه وجهان احدهما ان يجرد العجب لمعنى الاستعظام والثاني ان يتخيل العجب
ويفرض وقد جاء في الحديث عجب ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم
وكان شريح يقرا بالفتح ويقول ان الله لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم فقال
ابرهيم النخعي ان شريحا كان يعجبه علمه وعبد الله اعلم يريد عبد الله ابن مسعود وكان
يقراء بالضم وقيل معناه قل يا محمد بل عجبت **واذا ذكروا** ودابهم انهم اذا
وعظوا بشيء **لا يذكرون** لا يتعظون به **واذا راوا اية** من آيات الله البينة
كانشقاق القمر ونحوه **يستسخرون** يبالغون في السخرية او يستدعي بعضهم بعضا

يسخر منها **وقالوا ان هذا الا سحر مبين ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما
ائنا لمبعوثون اوآباؤنا الاولون** او آباؤنا معطوف على محل ان واسمها او على
الضمير في مبعوثون والذي جوز العطف عليه الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى
ايبعث ايضا آباؤنا على زيادة الاستبعاد يعنون انهم اقدم فبعثهم ابعد وابطل وقرئ
او آباؤنا **قل نعم** وقرئ نعم بكسر العين وهو لغة فيه وقرئ قال نعم اي الله او الرسول
والمعنى نعم تبعثون **وانتم داخرون** صاغرون **فانما** جواب شرط مقدر تقديره اذا
كان كذلك **فانما هي زجرة واحدة** وهي لا ترجع الى شيء وانما هي مبهمة موضحها خبرها او
فانما البعثة زجرة واحدة وهي النفخة الثانية والزجرة الصيحة من زجر
الراعي الابل او الغنم اذا صاح عليها فريعت لصوته ومنه زجر ابي عروة السباع اذا
اشفقوا ان يختلط بالغنم يريد بصوته **فاذا هم ينظرون** فاذا هم احياء بصراء
ينظرون **وقالوا** يحتمل ان يكون **يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي
كنتم به تكذبون** من كلام الكفرة بعضهم مع بعض وان يكون من كلام الملايكة
لهم وان يكون يا ويلنا هذا يوم الدين كلام الكفرة وهذا يوم الفصل من كلام الملايكة
جوابا لهم ويوم الدين اليوم الذي يدان فيه اي يجازى باعمالنا ويوم الفصل يوم القضاء
والفرق بين فرق الهدى والضلالة **احشروا الذين ظلموا** خطاب الله تعالى للملايكة
او خطاب بعضهم مع بعض **وازواجهم** وضرباءهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
وهم نظراؤهم وهم واشباههم من العصاة اهل الزنا مع اهل الزنا واهل السرقة
مع اهل السرقة وقيل قرناؤهم من الشياطين وقيل نساؤهم اللاتي على دينهم
وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم فعرفوهم
طريق النار حتى يسلكوها **وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون**
هنا تهكم بهم وتوبيخ لهم بالعجز عن التناصر بعد ما كانوا على خلاف ذلك في الدنيا
متعاضدين متناصرين **بل هم اليوم مستسلمون** فقد اسلم بعضهم بعضا وخذله
عن عجز وكلهم مستسلم غير منتصر وقرئ لا تتناصرون ولا تناصرون بالادغام
واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اليمين
اشرف العضوين وامتنها وكانوا يتيمنون بها فبها يصافحون ويماسحون ويناولون

وتيمنا ولوناً ويرا ولون اكبنا الاسود وتيشأمون بالشمال ولذلك سمي الشومي كما
سموا اختها اليمنى وتيمنوا بالسانح وتطيروا من البارح وكان الاعسر معيبا
عندهم وعضدت الشريعة ذلك فامرت بمباشرة افاضل الامور باليمين واراذلها
بالشمال وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب التيامن في كل شيء وجعلت
اليمين لكاتب الحسنات ووعد المحسن ان يؤتى كتابه بيمينه والمسيء ان يؤتى كتابه
بشماله استعيرت لجانب الخير وجانبه فقيل اتاه عن اليمين اي من قبل الخير
وناحيته فصده وثبطه عنه واضله وجاء في بعض التفاسير من اتاه الشيطان
من جانب اليمين اتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق ومن اتاه من جهة الشمال
اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه من جهة الشمال اتاه من قبل الشهوات ومن اتاه
من بين يديه اتاه من قبل التكذيب بالقيمة وبالثواب وبالعقاب ومن اتاه من خلفه
خوفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف من بعده فلم يصل رحما ولم يؤد زكوة
قولهم اتاهم من جهة الخير وناحيته مجاز في نفسه فكيف جعلت اليمين
مجازا عن المجاز من المجاز ما غلب في الاستعمال حتى لحق بالحقائق وهذا من ذلك
ولك ان تجعلها مستعارة للقوة والقهر لان اليمين موصوفة بالقوة وبها يقع
البطش والمعنى انكم كنتم تاتوننا عن القوة والقهر وتقصدوننا عن السلطان
والغلبة حتى تحملونا على الضلال وتقسرونا عليه وهذا من باب خطاب الاتباع
لرؤسائهم والغواة لشياطينهم قالوا بل لم تكونوا مؤمنين بل ابيتم انتم الايمان
واعرضتم عنه مع تمكنكم منه مختارين له على الكفر غير ملجئين وما كان لنا
عليكم من سلطان من تسلط نسلبكم تمكنكم واختياركم بل كنتم
قوما طاغين مختارين الطغيان فحق علينا فلزمنا قول ربنا انا لذائقون يعني
وعيد الله بانا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة
ولو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم متكلمون
بذلك عن انفسهم ونحوه قول القائل لقد زعمت هوازن قل مالي ولو حكى
قولها لقال قل مالك ومنه قول المحلف للحالف احلف لاخرجن ولتخرجن الهمزة
لحكاية لفظ الحالف والتاء لاقبال المحلف على المحلف فاغويناكم فدعوناكم

والشمال لكاتب السيئات

الى الغي دعوة محصلة للبغية لقبولكم لها واستحبابكم الغي على الرشد انا
كنا غاوين واردنا اغواءكم ليكونوا امثالنا فان الاتباع والمتبوعين جميعا
يومئذ يوم القيمة في العذاب مشتركون مشتركون في العذاب كما كانوا
مشتركين في الغواية انا كذلك مثل ذلك الفعل نفعل بالمجرمين بكل مجرم
يعني ان سبب العقوبة هو الاجرام فمن ارتكبه استوجبه انهم كانوا اذا
قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اذا قيل سمعوا بكلمة التوحيد نفروا
واستكبروا عنها وابوا الا الشرك ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا
لشاعر مجنون يعني محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بل جاء بالحق رد على المشركين وصدق
المرسلين كقوله مصدقا لما بين يديه انكم لذائقوا العذاب الاليم
وقرئ لذائقوا العذاب الاليم بالنصب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا
بتقدير التنوين وقرئ على الاصل لذائقون العذاب وما تجزون الا ما كنتم
تعملون الا مثل ما عملتم جزاء سيئا بعمل سيء الا عباد الله المخلصين ولكن عباد الله
على الاستثناء المنقطع اولئك لهم رزق معلوم فواكه فسر الرزق المعلوم بالفواكه
وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني ان رزقهم كله فواكه لانهم مستغنون
عن حفظ الصحة بالاقوات فانهم اجسام محكمة مخلوقة للابد فكل ما ياكلونه ياكلونه
على سبيل التلذذ ويجوز ان رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب
طعم ورائحة ولذاذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها
بكرة وعشيا وعن قتادة الرزق المعلوم الجنة وقوله في جنات يأباه وقوله
اولئك لهم رزق وهم مكرمون هو الذي يقوله العلماء في حد الثواب على
سبيل المدح والتعظيم وهو من اعظم ما يجب ان ينفر عنه نفوسهم [illegible]
وصحابهم في جنات النعيم على سرر متقابلين التقابل اتم السرور وآنس وقيل
لا ينظر بعضهم الى قفاء بعض يطاف عليهم بكأس يقال للزجاجة فيها الخمر كأس
وتسمى الخمر نفسها كأسا قال وكأس شربت على لذة وعن الاخفش كل كأس في القرآن
فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما من معين من شراب معين او من نهر معين وهو
الجاري على وجه الارض الظاهر للعيون وصف بما وصف به الماء لانه يجري في الجنة

فانهم

في انهار كما يجري الماء، قال الله تعالى وانهار من خمر بيضاء صفة للكاس لذة
للشاربين اما ان توصف باللذة كانها نفس اللذة وعينها او هي تانيث اللذ
يقال للشي فهو لذة ولذيذ ووزنه فعل كقولك رجل طب قال ولذ كطعم الصرخدي
تركته بارض العدى من خشية الحدثان يريد النوم لا فيها غول الغول من غاله يغوله
اذا اهلكه وافسده ومنه الغول التي في تكاذيب العرب وفي امثالهم الغضب غول
القول ولا هم عنها ينزفون على البناء للمفعول من نزف الشارب اذا ذهب
عقله يقال للسكران نزيف ومنزوف ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه
كله ونزحت الركية حتى نزفتها اذا لم يترك فيها ماء وفي امثالهم اجبن من المنزوف
ضرطا وقرئ ينزفون من انزف الشارب اذا ذهب عقله او شرابه قال الحطيئة
لعمري لئن انزفتم او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا ومعناه صار ذا نزف ونظيره
اقشع السحاب وقشعته الريح واكب الرجل وكببته وحقيقتهما دخلا في القشع
والكب وفي قراءة طلحة بن مصرف ينزفون بضم الزاي من نزف ينزف كقرب يقرب
اذا سكر والمعنى لا فيها فساد قط من الانواع التي تكون في شرب الخمر من مغص
او صداع او خمار او عربدة او لغو او تاثيم او غير ذلك ولا هم يسكرون وهو
اعظم مفاسدها فافرده وافرده بالذكر وعندهم قاصرات الطرف عين
قصرت ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم كقوله عربا والعين
النجل العيون كانهن بيض مكنون شبههن ببيض النعام المكنون في الاداحي
وبها تشبه النساء وسميهن بيضات الخدور علام عطف فاقبل بعضهم
على بعض يتساءلون على يطاف عليهم والمعنى يشربون فيتحادثون على
الشرب كعادة الشرب قال وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام فيقبل
بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم في الدنيا الا انه جيء به ماضيا على عادة
الله تعالى في اخباره قال قائل منهم اني كان لي قرين يقول ائنك لمن
المصدقين لمن المصدقين من التصديق وقرئ من المصدقين بتشديد الصاد من التصدق
وقيل نزلت في رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج واستجدى بعض اخوانه
فقال اين مالك قال تصدقت به ليعوضني الله عز وجل في الآخرة خيرا منه فقال

ائنك لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين لطلب الثواب والله لا اعطيك
شيئا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون لمجزيون من الدين وهو
الجزاء او لمسوسون مربوبون يقال دانه ساسه ومنه الحديث العاقل من دان
نفسه قال يعني ذلك القائل هل انتم مطلعون الى النار لاريكم ذلك القرين
قيل ان في الجنة كوى ينظر اهلها منها الى اهل النار وقيل القائل الله عز وجل
وقيل بعض الملائكة يقول لاهل الجنة هل تحبون ان تطلعوا فتعلموا اين منزلتكم
من منزلة اهل النار وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع بالتشديد على لفظ
الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع علينا فلان واطلع بمعنى واحد والمعنى
هل انتم مطلعون الى القريب فاطلع هو بعد ذلك وان جعلت الاطلاع من اطلعه
غيره فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم وهو من آداب المجالسة الا
وقرئ مطلعون بكسر النون اراد مطلعون اياي فوضع المتصل موضع المنفصل
كقوله هم الفاعلون الخير والآمرونه او شبه اسم الفاعل في ذلك بالمضارع
لتآخ بينهما كانه قال تطلعون وهو ضعيف لا يقع الا في الشعر فرآه في سواء
الجحيم في وسطها يقال تعبت حتى انقطع سوائي وعن ابي عبيدة قال لي عيسى
بن عمر كنت اكتب يا ابا عبيدة حتى ينقطع سوائي قال تالله ان كدت
ان مخففة من الثقيلة وهي تدخل على كاد كما تدخل على كان ونحوه ان كاد ليضلنا
واللام هي الفارقة بينها وبين النافية ولتردين الارداء الاهلاك وفي قراءة عبد الله
لتغوين ولولا نعمة ربي هي العصمة والتوفيق في الاستمساك بعروة الاسلام
والبراءة من قرين السوء وانعام الله تعالى بالثواب وكونه من اهل الجنة
لكنت من المحضرين من الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك
افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى وما نحن بمعذبين الذي عطف عليه المعطوف
محذوف معناه انحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين وقرئ بمائتين
ان هذا حال المؤمنين وصفتهم وما قضى الله به لهم للعلم باعمالهم ان
لا يذوقوا الا الموتة الاولى بخلاف الكفار فانهم فيما يتمنون الموت كل ساعة
وقيل لبعض الحكماء ما شر من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت كل ساعة

يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله واغتباطا بحاله وبما تمتع من قرينه ليكون توبيخا
له يريد به تعذيبا او لحكاية الله تعالى فيكون لنا لطفا وزاجرا ويجوز ان يكون
قولهم جميعا وكذلك قوله ان هذا لهو الفوز العظيم اي ان هذا الامر الذي
نحن فيه وقيل هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا لقائله لهو الرزق
العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون وهو ما رزقوا من السعادة تمت قصة
المؤمن وقرينه ثم رجع الى الرزق المعلوم فقال اذلك الرزق العظيم خير
نزلا اي خير حاصلا ام شجرة الزقوم واصل النزل الفضل والريع في الطعام
طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة
والسرور وحاصل الزقوم الالم والغم وانتصاب نزلا على التمييز ولك ان تجعله
حالا كما تقول اثمر النخلة خير بلحا ام رطبا يعني ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة
واهل النار نزلهم شجرة الزقوم فايهما خير في كونه نزلا والنزل ما يقام
للنازل بالمكان من الرزق ومنه انزال الجند لازراقهم كما يقال لما يقام
لساكن الدار السكن ومعنى الاول ان الرزق المعلوم نزلا والشجرة الزقوم نزلا
فايهما خير نزلا ومعلوم انه لا خير في شجرة الزقوم قيل لهم ذلك توبيخا على
سوء اختيارهم انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الاخرة او ابتلاء
لهم في الدنيا انها شجرة تخرج في اصل الجحيم وذلك انهم قالوا كيف يكون
في النار شجر والنار تحرق الشجر فكذبوا وقرئ نابتة في اصل الجحيم قيل منبتها
في قعر جهنم واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها الطلع للنخلة فاستعير لما طلع
من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية او معنوية كانه رؤوس الشياطين
وشبه برؤوس الشياطين مكروه مستقبح في طباع الناس لاعتقادهم انه شر محض
لا يخالطه خير فيقولون في القبيح الصورة كانه وجه شيطان كانه راس شيطان
واذا صوره المصورون جاءوا بصورته على اقبح ما يقدروا هوله كما انهم
اعتقدوا في الملك انه خير محض لا شر فيه فشبهوا به الصورة الحسنة قال الله
تعالى ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم وهذا تشبيه تخييلي وقيل الشيطان حية
عرفا لها صورة قبيحة المنظر هائلة جدا وقيل ان شجرا يقال له الاستن خشنا منتنا

ولكن المومنين لما اختاروا ما ادى الى الرزق المعلوم واختار الكافرون ما ادى الى شجرة الزقوم

مرا منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين وما سمت العرب هذا الثمر برؤوس
الشياطين الا قصدا الى احد التشبيهين ولكنه بعد التسمية بذلك رجع اصلا
ثانيا يشبه به فانهم لاكلون منها من الشجرة اي من طلعها فمالئون
منها البطون فمالئون بطونهم لما يغلبهم من الجوع الشديد او يقسرون على
اكلها وان كرهوا ليكون بابا من العذاب ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم
فاذا شبعوا استولى عليهم العطش فيسقون شرابا من غساق او صديد مشوب
اي ممزوجة من حميم يشوي وجوههم ويقطع امعاءهم كما قال في صفة اهل الجنة
ومزاجه من تسنيم وقرئ لشوبا بالضم وهو اسم ما يشاب به والاول تسمية
بالمصدر ما معنى حرف التراخي في قوله ثم ان لهم عليها لشوبا وفي قوله
ثم ان مرجعهم لالى الجحيم في الاول وجهان احدهما انهم يملؤون
البطون من شجرة الزقوم وهو حار يحرق بطونهم ويعطشهم فلا يسقون
الا بعد ملي تعذيبا بذلك العطش ثم يسقون ما هو احر وهو الشراب المشوب بالحميم
والثاني انه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة ثم ذكر الشراب بما هو
اكره وابشع فجاء بثم للدلالة على تراخي حال الشراب عن حال الطعام وتباين
صفته لصفته في الزيادة عليه ومعنى الثاني انهم يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم
في الجحيم وهي الدركات التي اسكنوها الى شجرة الزقوم فياكلون الى ان يتملؤوا
ويسقون بعد ذلك ثم يرجعون الى دركاتهم ومعنى التراخي في ذلك بين
وقرئ ثم ان منقلبهم ثم ان مصيرهم ثم ان منقلبهم لالى الجحيم انهم الفوا
اباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون علل استحقاقهم للوقوع في تلك
الشدائد كلها بتقليد الاباء في الدين واتباعهم اباهم على الضلال او ترك
اتباع الدليل والاهراع الاسراع الشديد كانهم يحثون حثا وقيل الاهراع
فيه شبيه بالرعدة ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد ارسلنا فيهم
منذرين انبياء حذروهم العواقب المنذرين الذين انذروا وحذروا اي اهلكوا
جميعا الا عباد الله المخلصين الذين امنوا منهم واخلصوا دينهم لله او
اخلصهم الله لدينه على القراءتين ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون لما ذكر

لهم

قومك قريش

او ارسال المنذرين في الامم الخالية وسوء عاقبة المنذرين اتبع ذلك ذكر نوح
عليه السلم ودعائه اياه حين ايس من قومه فقال ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون
نحن والجمع دليل العظمة والكبرياء والمعنى انا اجبناه احسن الاجابة واو
الى مراده وبغيته من نصرته والانتقام منهم بابلغ ما يكون ونجيناه و
اهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين هم الذين بقوا وحدهم
وقد فني غيرهم لكونه او هم الذين بقوا روي انه مات كل من كان معه في السفينة
غير اولاده او هم الذين بقوا متناسلين الى يوم القيمة قال قتادة الناس
كلهم من ذرية نوح عليه السلم وكان لنوح ثلثة اولاد سام وحام ويافث
فسام ابو العرب وفارس والروم وحام ابو السودان من المشرق والمغرب
ويافث ابو الترك وياجوج وماجوج وتركنا عليه في الآخرين من الامم
هذه الكلمة وهي سلام على نوح يعني يسلمون تسليما ويدعون له وهو من
الكلام المحكي كقولك قرأت سورة انزلناها فما معنى قوله في العالمين
معناه الدعاء بثبوت هذه التحية فيهم جميعا وان لا يخلو احد منهم منها
كانه قيل ثبت الله التسليم على نوح عليه السلم وادامه في الملائكة والثقلين يسلمون عليه
عن آخرهم انا كذلك نجزي المحسنين علل مجازاة نوح عليه السلم بتلك
التكرمة السنية من تبقية ذكره وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر انه من
عبادنا المؤمنين ثم اغرقنا الآخرين ثم علل كونه محسنا بانه كان عبدا
مؤمنا ليريك جلالة محل الايمان وانه القصارى من صفات المدح والتعظيم
ويرغبك في تحصيله والازدياد منه وان من شيعته ممن شايعه على اصول
الدين وان اختلفت شريعتهما او شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة
المكذبين لابرهيم ويجوز ان يكون بين شريعتيهما اتفاق في اكثر الاشياء وعن
ابن عباس رضي الله عنهما من اهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابرهيم هود
وصالح وكان بين نوح وابرهيم الفان وستمائة واربعون سنة اذ جاء ربه
بقلب سليم بم تعلق الظرف بما في الشيعة من معنى المشايعة يعني
وان ممن شايعه على دينه وتقواه حين جاء ربه بقلب سليم لابرهيم او بمحذوف وهو

علل نعم جواب قسم محذوف والمخصوص بالمدح محذوف وتقديره فوالله صح

اذكر بقلب سليم من جميع آفات القلوب وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لانه
مطلق فليس بعض الآفات اولى من بعض فيتناولها كلها ما معنى المجئ
بقلبه ربه معناه انه اخلص لله تعالى قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجئ
مثلا لذلك اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون
الله تريدون افكا مفعول له تقديره اتريدون آلهة من دون الله افكا
وانما قدم المفعول على الفعل للعناية وقدم المفعول له على المفعول به لانه
كان الاهم عنده ان يكافحهم بانهم على افك وباطل في شركهم ويجوز ان
يكون افكا مفعولا به يعني اتريدون افكا ثم فسر الافك بقوله آلهة دون
الله تريدون على انها افك وباطل في انفسها ويجوز ان يكون حالا بمعنى
اتريدون آلهة من دون الله آفكين فما ظنكم برب العالمين بمن هو حقيق
بالعبادة لان من كان ربا للعالمين استحق عليهم ان يعبدوه حتى تركتم
عبادته الى عبادة الاصنام والمعنى انه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصد
عن عبادته او فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له
اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره فنظر
نظرة في النجوم في علم النجوم او في كتابها او في احكامها وعن بعض الملوك
انه سئل عن مشتهاه فقال حبيب انظر اليه ومحتاج انظر اليه وكتاب انظر فيه
كان القوم نجامين فاوهمهم انه استدل بامارة في علم النجوم على انه يسقم فقال
اني سقيم اي مشارف للسقم وكان اغلب الاسقام وكان يخاف العدوى فتولوا
عنه فهربوا منه الى عيدهم وتركوه في بيت الاصنام كيف جاز له ان
يكذب قلت قد جوزه بعض الناس في المكيدة في الحرب والتقية وارضاء
الزوج والصلح بين المتخاصمين والمتهاجرين والصحيح ان الكذب حرام الا اذا
عرض وورى والذي قاله ابرهيم عليه السلم معرض به ان من في عنقه
الموت سقيم ومنه المثل كفى بالسلامة داء وقول لبيد فدعوت ربي بالسلامة جاهدا
ليصحني فاذا السلامة داء وقد مات رجل فجأة فالتف عليه الناس وقالوا مات
وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه وقيل اراد سقيم النفس لكفرهم فراغ

وهو الطاعون صح

الى آلهتهم اي اصنامهم التي هي في زعمهم آلهة كقوله اين شركائي فقال
الا تأكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وبانحطاطها عن
حال عبدتها فراغ عليهم في معنى ضربهم او فراغ عليهم ضربا باليمين
ضربا شديدا قويا لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما او بالقوة
والمتانة وقيل بسبب الحلف وهو قوله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه
يزفون يسرعون من زفيف النعام ويزفون من ازف اذا دخل في الزفيف
او من ازفه اذا حمله على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع
ويزفون من زفاه اذا حداه كان بعضهم يزفو بعضا لتسارعهم اليه قال
اتعبدون ما تنحتون بين هذا وبين قوله تعالى قالوا من فعل هذا بآلهتنا
انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم كالتناقض حيث ذكر
ههنا انهم ادبروا عنه خيفة العدوى فلما ابصروهم بكسرهم اقبلوا اليه
ليكفوه ويوقعوا به وذكر ثم انهم سألوا عن الكاسر فيه وجهان احدهما
ان يكون الذين ابصروه وزفوا اليه نفرا منهم دون جمهورهم وكبرائهم فلما رجع
الجمهور والعامة من عيدهم الى بيت الاصنام ليأكلوا الطعام الذي وضعوه
ليتبرك عليه وراوها مكسورة اشمأزوا من ذلك وسألوا من فعل هذا ثم لم ينم عليه
اولئك النفر نميمة صريحة ولكن على سبيل التورية والتعريض بقولهم سمعنا فتى يذكرهم
لبعض الصوارف والثاني ان يكسرها ويذهب ولا يشعر بذلك احد ويكون اقبالهم
اليه يزفون بعد رجوعهم عن عيدهم وسؤالهم عن الكاسر قالوا فأتوا به على
اعين الناس والله خلقكم وما تعملون يعني خلقكم وخلق ما تعملونه من الاصنام
كقوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن اي فطر الاصنام
كيف يكون الشيء الواحد مخلوقا لله معمولا لهم حيث اوقع خلقه وعملهم عليها
جميعا هذا كما يقال عمل النجار الباب والكرسي وعمل الصائغ السوار والخلخال
والمراد عمل اشكال هذه الاشياء وصورها دون جواهرها والاصنام جواهر
واشكال فخالق جواهرها الله وعاملو اشكالها الذين يشكلونها بنحتهم وحذفهم
بعض اجزائها حتى يستوي التشكيل الذي يريدونه فما انكرت ان تكون

تالله ص

ما مصدرية لا موصولة ويكون المعنى وعملكم كما تقول المجبرة ما يبطله
هذا السؤال بعد بطلانه بحجج العقل والكتاب ان معنى الآية يأباه اباء جليا وينبو
عنه نبوا ظاهرا وذلك ان الله عز وجل قد احتج عليهم بان العابد والمعبود جميعا
خلق الله تعالى فكيف يعبد المخلوق المخلوق على ان العابد منهما هو الذي عمل
صورة المعبود وشكله ولولاه لما قدر ان يصور نفسه ويشكلها ولو قلت
والله خلقكم وخلق عملكم لم يكن محتجا عليهم ولا كان لكلامك طباق وشيء آخر
وهو ان قوله ما تعملون ترجمة عن قوله ما تنحتون وما في ما تنحتون موصولة لا مقال
فيه فلا يعدل بها عن اختها الا متعسف متعصب لمذهبه من غير نظر في علم البيان ولا
تبصر في نظم القرآن اجعلها موصولة حتى لا يلزمني ما الزمت واريد
وما تعملونه من اعمالكم بل الالزامان في عنقك لا يفكهما الا الاذعان للحق
وذلك انك وان جعلتها موصولة فانك في ارادتك بها العمل غير محتج على
المشركين كحالك وقد جعلتها مصدرية وايضا فانك قاطع بذلك الوصلة بين ما تعملون
وبين ما تنحتون حيث تخالف بين المرادين بهما فتريد بما تنحتون الاعيان وبما تعملون
المعاني التي هي الاعمال وفي ذلك فك النظم وتبتيره كما اذا جعلتها مصدرية قالوا
ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم النار الشديدة الوقود وقيل كل نار على
نار وجمر فوق جمر فهو جحيم فارادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين
والمعنى ان الله تعالى غلبه عليهم في المقامين جميعا واذلهم بين يديه ارادوا
ان يغلبوه بالحجة فلقنه الله تعالى والهمه ما القمهم به الحجر وقهرهم فمالوا الى المكر
فابطل الله مكرهم وجعلهم الاذلين الاسفلين لم يقدروا عليه وقال اني
ذاهب الى ربي سيهدين اراد بذهابه الى ربه مهاجرته الى حيث امره بالمهاجرة
اليه من ارض الشام كما قال اني مهاجر الى ربي سيهدين سيرشدني الى ما فيه
صلاحي في ديني ويعصمني ويوفقني كما قال موسى عليه السلام كلا ان معي ربي
سيهدين كأن الله وعده وقال له سأهديك فاجرى كلامه على سنن موعد
ربه او بناه على عادة الله تعالى معه في هدايته وارشاده او اظهر بذلك توكله وتفويض
امره الى الله ولو قصد الرجاء والطمع لقال كما قال موسى عليه السلم عسى ربي

التي هي الاصنام

يهديني سواء السبيل رب هب لي من الصالحين هب لي بعض الصالحين يريد الولد لان لفظ الهبة غلب في الولد وان كان قد جاء في الاخ في قوله ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا قال الله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب ووهبنا له يحيى وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه لابن عباس رضي الله عنهما حين هنأه بولد علي ابي الاملاك شكرت الواهب وبورك لك في الموهوب ولذلك وقعت التسمية بهبة الله وبوهب وموهب فبشرناه بغلام حليم وقد انطوت البشارة على ثلث على ان الولد غلام ذكر وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واي حلم اعظم من حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح فقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين ثم استسلم لذلك وقيل ما نعت الله الانبياء باقل مما نعتهم بالحلم وذلك لعزة وجوده ولقد نعت الله تعالى ابرهيم في قوله ان ابرهيم لاواه حليم ان ابرهيم لحليم اواه منيب لان الحادثة شهدت بحلمهما جميعا فلما بلغ معه السعي فلما بلغ ان يسعى مع ابيه في اشغاله وحوائجه ومعه متعلق بمحذوف دل عليه السعي لا بالسعي لان صلة المصدر لا تتقدم عليه ولا ببلغ فان بلوغهما لم يكن معا كانه لما قال فلما بلغ السعي اي الحد الذي يقدر فيه على السعي قيل مع من فقال مع ابيه والمعنى في اختصاص الاب انه ارفق الناس به واعطفهم عليه وغيره ربما عنف به في الاستسعاء فلا يحتمله لانه لم تستحكم قوته ولم يصلب عوده وكان اذ ذاك ابن ثلث عشرة سنة والمراد انه على غضاضة سنه وتقلبه في حد الطفولية كان فيه من رصانة العلم وفسحة الصدر ما جسره على احتمال تلك البلية العظيمة والاجابة بذلك الجواب الحكيم ارى في المنام فقيل له اذبح ابنك ورؤيا الانبياء وحي كالوحي في اليقظة فلهذا قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد راى انه راكب في سفينة رايت في المنام اني ناج من هذه المحنة وقيل راى ليلة كان قائلا يقول ان الله يامرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح امن الله ذلك الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي يوم التروية فلما امسى راى مثل ذلك فعرف انه من الله تعالى فمن ثم سمي يوم عرفة

ثم راى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله تعالى فلما ولد وبلغ حد السعي معه قيل اوف بنذرك اي ماذا تبصر من رايك وتدبيرك وماذا ترى على البناء للمفعول اي ماذا تريك نفسك من الراي قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت او امرك على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المامور به امرا وقرئ ما تؤمر لم يشاوره لم يشاوره ليرجع الى رايه في امر هو حتم من الله تعالى ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ويصبره ان جزع ويامن عليه الزلل ان صبر وسلم وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستانس به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله تعالى قبل نزوله ولان المناقصة بالذبح مما يستنبح وليكون سنة في المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة في اكله من الشجرة لما فرط منه ذلك لم كان ذلك في المنام دون اليقظة كما اري يوسف عليه السلام سجود ابويه واخوته له في المنام من غير وحي الى ابيه وكما وعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخول المسجد في المنام وما سوى ذلك من منامات الانبياء وذلك لتقوية الدلالة على كونهما صادقين مصدوقين لان الحال اما حال يقظة او حال منام فاذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك اقوى للدلالة من انفراد احدهما فلما اسلما يقال سلم لامر الله واسلم واستسلم بمعنى وقرئ بهن جميعا اذا انقاد له وخضع وحقيقة معناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله تعالى واسلم منقول لان منه بالهمزة وحقيقة معناها اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له خالصة ولذلك استسلم استخلص نفسه لله وعن قتادة في اسلما اسلم هذا ابنه وهذا نفسه وتله للجبين صرعه على شقه فوقع احد جنبيه على الارض تواضعا على مباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويخزيا الشيطان وروي ان ذلك المكان عند الصخرة التي بمنى وعن الحسن في موضع الذي على مسجدها وعن الضحاك في المنحر الذي ينحر فيه اليوم اين جواب لما هو محذوف تقديره فلما اسلما وتله للجبين وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا

فانظر ماذا ترى من الراي على وجه المشاورة وقري ماذا تري

كان ما كان ينطق به الحال ولا يحيط به الوصف من استبشارهما واغتباطهما وحمدهما
لله وشكرهما على ما انعم به عليهما من دفع البلاء العظيم بعد حلوله وما اكتسبا
في تضاعيفه بتوطين الانفس عليه من الثواب والاعواض ورضوان الله الذي ليس
وراءه مطلوب وقوله انا كذلك نجزي المحسنين تعليل لتخويل ما خولهما من الفرج
بعد الشدة والظفر بالبغية بعد اليأس ان هذا لهو البلاء المبين الاختبار البين الذي
يتميز فيه المخلصون من غيرهم او المحنة البينة الصعوبة التي لا محنة اصعب منها
وفديناه بذبح عظيم الذبح لما يذبح وعن ابن عباس هو الكبش الذي قربه هابيل
فتقبل منه كان يرعى في الجنة حتى فدي به اسمعيل وعن الحسن فدي بوعل اهبط عليه
من ثبير وعن ابن عباس لو تمت تلك الذبيحة لصارت سنة وذبح الناس ابناءهم
عظيم ضخم الجثة سمين وهي السنة في الاضاحي وقوله عليه الصلوة والسلام استفرهوا
ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقيل لانه وقع فداء عن ولد ابرهيم وروي
انه هرب من ابرهيم عليه الصلوة والسلام عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه
فبقيت سنة في الرمي وروي انه رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح
ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر فقال الذبيح لا اله الا الله و
الله اكبر فقال ابرهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة وحكي في قصة الذبيح انه حين
اراد ذبحه قال يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق بنا الى الشعب نحتطب فلما توسطا
شعب ثبير اخبره بما امر فقال له اشدد رباطي لا اضطرب واكفف عني ثيابك لا
ينتضح عليها شيء من دمي فينتقص اجري وتراه امي فتحزن واستحد شفرتك واسرع
امرارها على حلقي ليكون اهون فان الموت شديد واقرأ على امي سلامي وان
رأيت ان ترد قميصي على امي فافعل عسى ان يكون اسهل لها فقال ابرهيم نعم العون
انت يا بني على امر الله تعالى ثم اقبل عليه يقبله وقد ربطه وهما يبكيان ثم وضع
السكين على حلقه فلم تعمل لان الله ضرب صفيحة نحاس على حلقه فقال له كبني
لوجهي فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني وادركتك رقة تحول بينك وبين امر الله
ففعل ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا
فنظر فاذا جبرئيل معه كبش اقرن املح فكبر جبرئيل وابرهيم وابنه واتى المنحر

٨-٧

بمنى فذبحه وقيل لما وصل موضع السجود الى الارض جاء الفرج وقد استشهد
ابو حنيفة بهذه الآية فيمن نذر ذبح ولده انه يلزم ذبح شاة ومن كان
الذبيح من ولديه قد اختلف فيه فعن ابن عباس رضي الله عنهما انه اسمعيل والحجة
فيه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال انا ابن الذبيحين وقال له اعرابي
يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم
نذر لله لئن سهل الله له امرها ليذبحن احد ولده فخرج السهم على عبد الله
فمنعه اخواله وقالوا افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني
اسمعيل وعن محمد بن كعب القرظي قال كان مجتهد بني اسرائيل يقول اذا دعا
اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل فقال موسى يا رب ما لمجتهد بني اسرائيل
اذا دعا قال اللهم اله ابرهيم واسمعيل واسرائيل وانا بين اظهرهم قد اسمعتني
كلامك واصطفيتني برسالتك قال يا موسى لم يحبني احد حب ابرهيم قط ولا خير
بيني وبينه شيء قط الا اختارني واما اسمعيل فانه جاد بنفسه واما اسرائيل فانه
لم ييأس من رحمتي قط في شدة نزلت به قط ويدل عليه ان الله تعالى لما اتم
قصة الذبيح قال وبشرناه باسحق وعن محمد بن كعب انه قال لعمر بن عبد العزيز
هو اسمعيل فقال ان هذا شيء ما كنت انظر فيه واني لاراه كما قلت ثم ارسل الى يهودي
قد اسلم فسأله فقال ان اليهود لتعلم انه اسمعيل ولكنهم يحسدونكم معشر
العرب ويدل عليه ان قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة في ايدي بني اسمعيل
الى ان احترق البيت وعن الاصمعي قال سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال
يا اصمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل بمكة ومما
يدل عليه ان الله عز وجل وصفه بالصبر دون اسحق في قوله واسمعيل
واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح فوفى به ولان
الله بشره باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلو كان الذبيح اسحق لكان خلفا
للموعد في يعقوب وعن علي وابن مسعود والعباس وعطاء وعكرمة وجماعة من
التابعين رضي الله عنهم انه اسحق والحجة فيه ان الله تعالى اخبر عن خليله ابرهيم
حين هاجر الى الشام بانه استوهبه ولدا ثم اتبع ذلك البشارة بغلام حليم

ثم ذكر رؤياه بذبح ذلك الغلام المبشر به ويدل عليه كتاب يعقوب الى يوسف
من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله قد اوحى
الى ابرهيم عليه السلم في المنام بان يذبح ولده ولم يذبح وقيل له صدقت الرؤيا
وانما كان تصديقها لو صح منه الذبح ولم يصح قد بذل وسعه وفعل ما يفعل
الذابح من بطحه على شقه وامرار الشفرة على حلقه ولكن الله سبحانه جاء بما منع
الشفرة ان تمضي فيه وهذا لا يقدح في فعل ابرهيم الا ترى انه لا يسمى عاصيا ولا
مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الاوداج وانهرت
الدم وهذا من ورود النسخ على المامور به قبل الفعل او قبل اوان الفعل في شيء
كما يسبق الى بعض الاوهام الكلام فيه الله تعالى هو المفتدى منه لانه
الآمر بالذبح فكيف يكون فاديا حتى قال وفديناه الفادي هو ابرهيم عليه السلم
والله عز وجل وهب له الكبش ليفتدي به وانما قال وفديناه اسنادا للفعل الى
السبب هو الممكن من الفداء بهبته فاذا كان ما اتى به ابرهيم من البطح
وامرار الشفرة في حكم الذبح فما معنى الفداء والفداء انما هو التخليص من الذبح
ببدل قد علم بمنع الله ان حقيقة الذبح لم تحصل من فري الاوداج و
انهار الدم فوهب الله له الكبش ليقيم ذبحه مقام تلك الحقيقة حتى لا تحصل تلك
الحقيقة في نفس ابرهيم ولكن في نفس الكبش بدلا منه فاي فائدة
في تحصيل تلك الحقيقة وقد استغنى عنه بقيام ما وجد من ابرهيم عليه السلم
مقام الذبح من غير نقصان الفائدة في ذلك ان يوجد ما منع منه في بدله
حتى يكمل منه الوفاء بالمنذور وايجاد المامور به من كل وجه لم قال هاهنا
وتركنا عليه سلام على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين وفي غيرها
من القصص انا كذلك قد سبقه في هذه القصة انا كذلك فكانه استخف
بطرحه اكتفاء بذكره مرة عن ذكره ثانية انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه
باسحق نبيا حال مقدرة كقوله تعالى ادخلوها خالدين فرق بين هذا
وبين قوله فادخلوها خالدين وذلك ان المدخول موجود مع وجود الدخول والخلود
غير موجود معهما فقدرت مقدرين الخلود فكان مستقيما وليس كذلك المبشر

فانه معدوم وقت وجود البشارة وعدم المبشر به اوجب عدم حاله لا محالة
لان الحال حلية والحلية لا تقوم الا بالمحلى وهذا المبشر به الذي هو اسحق حين
وجد لم توجد النبوة ايضا بوجوده بل تراخت عنه مدة متطاولة فكيف يجعل نبيا
حالا مقدرة والحال صفة للفاعل او المفعول عند وجود الفعل منه او به فالخلود
وان لم يكن صفتهم عند دخول الجنة فتقديرها صفتهم لان المعنى مقدرين الخلود
اي الداخلين او الساكنين في قوله ادخلوها اي هم المقدرون الخلود وليس كذلك
النبوة فانه لا سبيل الى ان تكون موجودة او مقدرة وقت وجود البشارة
باسحق لعدم اسحق هذا سؤال دقيق السلك ضيق المسلك والذي يحل
الاشكال انه لا بد من تقدير مضاف محذوف وذلك قولك وبشرناه بوجود اسحق
نبيا اي بان يوجد مقدرة نبوته فالعامل في الحال الوجود لا فعل البشارة وبذلك
يرجع نظير قوله تعالى فادخلوها خالدين من الصالحين حال ثانية وورودها
على سبيل الثناء والتقريظ لان كل نبي لا بد وان يكون من الصالحين وعن
قتادة بشره الله بنبوته بعدما امتحنه بذبحه وهذا جواب من يقول الذبيح اسحق
لصاحبه عن تعلقه بقوله وبشرناه باسحق قالوا ولا يجوز ان يبشره الله
بمولده ونبوته معا لان الامتحان بذبحه لا يصح مع علمه انه سيكون نبيا
وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وقرئ وبركنا
اي افضنا عليهما بركات الدين والدنيا كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة
لمن الصالحين وقيل وباركنا على ابرهيم في اولاده وعلى اسحق بان اخرجنا انبياء
بني اسرائيل من صلبه وقوله وظالم لنفسه نظيره قوله ومن ذريتي قال لا
ينال عهدي الظالمين وفيه تنبيه على ان الخبث والطيب لا يجري امرهما على العرق
والعنصر فقد يلد البر الفاجر وهذا مما يهدم امر الطبائع على العناصر وعلى ان الظلم
في اعقابهما لم يعد عليهما بعيب ولا نقيصة فان المرء انما يعاب بسوء فعله ويعاقب
على ما اجترحت يداه لا على ما وجد من اصله او فرعه ولقد مننا على موسى
وهارون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم من الغرق او من سلطان
فرعون وقومه وغشمهم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين الضمير لهما ولقومهما

في قوله ونجيناهما وقومهما وآتيناهما الكتاب المستبين [?]
قومهما البليغ بيانه وهو التوريه كما قال انا انزلنا التورية فيها هدى ونور
وقال من جوز ان تكون التورية عربية ان تشتق من ورى الزند فوعلة منه على
التاء مبدلة من واو وهديناهما الصراط المستقيم صراط اهل الاسلام
وهو صراط الذين انعم الله تعالى عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين وتركنا
عليهما في الآخرين سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين
انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين قرئ الياس بكسر
الهمزة والياس على لفظ الوصل وقيل هو ادريس النبي وقراء ابن مسعود وان
ادريس في موضع الياس وقرئ ادراس وقيل هو الياس بن ياسين من
ولد هارون اخي موسى اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين
اتعبدون بعلا وهو علم لصنم كان لهم كمناة وهبل وقيل كان من ذهب كان
طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة
سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة
الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام
وبه سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل الرب بلغة اليمن يقال من بعل هذه
الدار اي من ربها والمعنى اتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة الله تعالى الله
ربكم ورب آبائكم الاولين قرئ بالرفع على الابتداء وبالنصب على
البدل وكان حمزة اذا وصل نصب واذا وقف رفع فكذبوه فانهم لمحضرون
الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه في الآخرين سلام على الياسين
انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين وقرئ على الياسين و
ادريسين وادراسين وادرسين على انها لغات في الياس وادريس ولعل
لزيادة الياء والنون في السريانية معنى وقرئ على الياسين بالوصل على انه جمع يراد به
الياس وقومه كقولهم الخبيبون والمهلبون فعلى هذا
الياسين على القطع واخواته لو كان جمعا لعرف بالالف واللام واما من
قراء على آل ياسين فلان المراد بياسين اسم ابي الياس اضيف اليه الآل وان لوطا

لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا
الآخرين وانكم لتمرون عليهم مصبحين داخلين في الصباح وبالليل ومساء
تمرون على منازلهم في متاجركم الى الشام ليلا ونهارا افلا تعقلون فما لكم عقول تعتبرون بها
فيه وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون وسمي هربه من قومه بغير اذن
ربه اباقا على طريقة المجاز فساهم فكان من المدحضين المساهمة المقارعة يقال
استهم القوم اذا اقترعوا والمدحض المغلوب المقروع وحقيقته المزلق عن مقام الظفر
والغلبة روي انه لما ركب السفينة وقفت فقالوا هاهنا عبد ابق من سيده وفيما يزعم البحارون
ان السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فخرجت القرعة على يونس فقال انا الآبق وزج
بنفسه في الماء فالتقمه الحوت وهو مليم داخل في الملامة يقال [?] مليم اي
غيره وهو احق منه باللوم وقرئ مليم بفتح الميم كانه [?] مشوب مبنيا على ليب
نحو مدعي بنا على دعي فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح
والتقديس هو قوله في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل
من المصلين وعن ابن عباس رضي الله عنهما كل تسبيح في القرآن فهو صلوة وعن قتادة كان كثير الصلوة
في الرخا قال وكان يقال ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ
وهذا ترغيب من الله عز وعلا في اكثار المؤمن من ذكره بما هو اهله واقباله على عبادته
وجمع همه لتقييد نعمته بالشكر في وقت المهلة والفسحة لينفعه ذلك عنده في المضايق
والشدائد للبث في بطنه الظاهر لبثه فيه حيا الى يوم يبعثون الى يوم البعث وقيل لمات و
كان بطن الحوت له قبرا الى يوم القيمة وروي انه حين ابتلعه اوحى الله الى الحوت اني
جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما واختلف في مقدار لبثه فعن الكلبي
اربعون يوما وعن الضحاك عشرون يوما وعن عطاء سبعة ايام وعن بعضهم ثلثة
وعن الحسن لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه وروي
ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس عليه السلم ويسبح ولم يفارقهم
حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروي ان الحوت قذفه
بساحل قرية من الموصل فنبذناه بالعراء المحل الخالي لا شجر فيه ولا شيء يظله
وهو سقيم اعتل مما حل به وروي انه عاد بدنه كبدن الصبي حين يولد وانبتنا

عليه شجرة من يقطين كل ما ينسدح على وجه الارض ولا يقوم على ساق كشجر
البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به وقيل هو الدباء وفائدة
الدباء ان الذباب لا يجتمع عليه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انك لتحب القرع
فقال اجل انه شجرة اخي يونس عليه السلم وقيل هي التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل
باغصانها وافطر على ثمارها وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه
فيشرب من لبنها وروي انه مر زمان فيبست فبكى فاوحى الله تعالى اليه تبكي على
شجرة ولا تبكي على مائة الف في يد الكافر فان قلت ما معنى وانبتنا عليه شجرة
قلت انبتناها فوقه مظلة له كما يطنب البيت على الانسان وارسلناه الى مائة الف المراد
به ما سبق من ارساله الى قومه وهم اهل نينوى وقيل هو ارسال ثان بعد ما جرى
عليه الى الاولين او الى غيرهم وقيل اسلموا فسألوه ان يرجع اليهم فابى لان النبي
اذا هاجر عن قومه لم يرجع اليهم مقيما فيهم فقال لهم ان الله باعث اليكم نبيا او
يزيدون في مرأى الناظر اي اذا رآها الرائي قال هي مائة الف او اكثر والغرض الوصف
بالكثرة فآمنوا فمتعناهم الى حين الى اجل مسمى وقرئ ويزيدون بالواو وحتى
حين فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون معطوف على مثله في اول السورة
وان تباعدت بينهما المسافة امر رسوله باستفتاء قريش عن وجه انكار البعث اولا
ثم ساق الكلام موصولا بعضه ببعض ثم امره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى
التي قسموها حيث جعلوا لله الاناث ولانفسهم الذكور في قولهم الملائكة بنات الله
مع كراهتهم الشديدة لهن ووأدهم واستنكافهم من ذكرهن ولقد ارتكبوا في
ذلك ثلاثة انواع من الكفر احدها التجسيم لان الولادة مختصة بالاجسام والثاني
تفضيل انفسهم على ربهم حين اختاروا اوضع الجنسين له وارفعهما لهم كما قال
واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم او من ينشأ
في الحلية وهو في الخصام غير مبين والثالث انهم استهانوا باكرم خلق الله تعالى
عليه واقربهم اليه حيث انثوهم ولو قيل لاقلهم وادناهم فيك انوثة او
شكل النساء للبس لقائله جلد النمر ولانقلبت حماليقه وذلك في اهاجيهم بين
مكشوف فكرر الله سبحانه الانواع كلها في كتابه مرات ودل على فظاعتها في آيات

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بديع السموات والارض انى يكون له ولد الا انهم
من افكهم ليقولون ولد الله وجعلوا له من عباده جزءا ويجعلون لله البنات سبحانه
ولهم ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم
ما يشتهون ام له البنات ولكم البنون ويجعلون لله ما يكرهون اصطفى البنات
على البنين ام اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
الرحمن اناثا ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون لم قيل
وهم شاهدون وخص علم المشاهدة ما هو الا استهزاء بهم وتجهيل و
كذلك قوله اشهدوا خلقهم ونحوه ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا
خلق انفسهم وذلك انهم كما لم يعلموا بطريق خلق الله علمه في قلوبهم ولا باخبار
صادق ولا بطريق استدلال ونظر ويجوز ان يكون المعنى انهم يقولون ذلك
كالقائل قولا عن ثلج صدر وطمانينة نفس لافراط جهلهم كانهم شاهدوا الا
انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون والموث
معول هنه ولدي وهو لا بولدي اصطفى البنات على البنين بفتح الهمزة
استفهام على طريق الانكار والاستبعاد وكيف صحت قراءة ابي جعفر بكسر الهمزة على
الاثبات جعله من كلام الكفرة بدلا عن قولهم ولد الله وقد قرأ بها حمزة و
الاعمش وهذه القراءة وان كان هذا محملها فهي ضعيفة والذي اضعفها
ان الانكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله وانهم لكاذبون ما
لكم كيف تحكمون فمن جعلها للاثبات فقد اوقعها دخيلة بين نسيبين افلا
تذكرون وقرئ تذكرون من ذكر ام لكم سلطان مبين اي حجة نزلت عليكم
من السماء وخبر بان الملائكة بنات الله فأتوا بكتابكم الذي انزل عليكم في
ذلك ان كنتم صادقين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم
بما كانوا به يشركون وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وانكار فظيع
واستبعاد لاقاويلهم شديد وما الاساليب التي وردت عليها الا ناطقة بتسفيه
احلام قريش وتجهيل نفوسها واستركاك عقولها مع استهزاء وتهكم وتعجيب من
ان يخطر مثله على بال ويحدث به نفسا فضلا ان يجعله معتقدا ويتظاهر

نسبا وجعلوا بينه بين الله تعالى وبين الجنة وأراد الملائكة نسبا وهو زعمهم
انهم بناته والمعنى وجعلوا بما قالوا نسبة بين الملائكة الله وبينهم واثبتوا له بذلك
جنسية جامعة له وللملائكة لم سمى الملائكة جنة قالوا الجنس
واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر
منهم ونسك وكان خيرا كله فهو ملك فذكرهم في هذا الموضع باسم جنسهم
وانما ذكرهم بهذا الاسم وضعا منهم وتقصيرا بهم وان كانوا معظمين
في انفسهم ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم وفيه اشارة الى ان
من صفته الاجتنان والاستتار وهو من صفات الاجرام لا يصح ان يناسب من لا يجوز
عليه ذلك ومثاله ان تسوي بين الملك وبين بعض خواصه ومقربيه فيقول لك
اتسوي بيني وبين عبدي واذا ذكره في غير هذا المقام وقره وكناه والضمير في
ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون للكفرة والمعنى انهم يقولون ما يقولون في الملائكة
وقد علم الملائكة انهم في ذلك كاذبون مفترون وانهم محضرون النار معذبون
بما يقولون والمراد المبالغة في التكذيب حيث اضيف الى علم الذين ادعوا لهم تلك
النسبة وقيل قالوا ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل قالوا ان الله والشيطان
اخوان وعن الحسن اشركوا الجن في طاعة الله ويجوز اذا فسر الجنة بالشياطين
ان يكون الضمير في انهم لمحضرون لهم والمعنى ان الشياطين عالمون بان الله يحضرهم
النار ويعذبهم ولو كانوا مناسبين له او شركاء في وجوب الطاعة لما عذبهم سبحان
الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين معناه
ولكن المخلصين ناجون وسبحان الله اعتراض بين الاستثناء وبين ما وقع منه
ويجوز ان يقع الاستثناء من الواو في يصفون اي يصفونه بذلك ولكن
المخلصين براء من ان يصفوه به فانكم وما تعبدون ما انتم عليه
الضمير في عليه لله عز وجل ومعناه فانكم ومعبوديكم ما انتم وهم
جميعا بفاتنين على الله تعالى الا من هو صال الجحيم الا اصحاب النار الذين سبق
في علمه انهم لسوء اعمالهم يستوجبون ان يصلوها كيف يفتنونهم على
الله يفسدونهم عليه باغوائهم واستهوائهم من قولك فتن فلان على

فلان امرأته كما تقول افسدها وخببها عليه ويجوز ان يكون الواو في وما
تعبدون بمعنى مع مثلها في قولهم كل رجل وضيعته جاز ان يسكت على قوله فانكم
وما تعبدون لان قوله وما تعبدون ساد مسد الخبر لان معناه فانكم مع ما تعبدون والمعنى فانكم مع آلهتكم اي فانكم قرناؤهم واصحابهم لا تبرحون
تعبدونها ثم قال ما انتم عليه اي على ما تعبدون بفاتنين بباعثين او
حاملين على طريق الفتنة والاضلال الا من هو صال مثلكم او يكون في اسلوب
قوله فانك والكتاب الى علي كدابغة وقد حلم الاديم وقرأ الحسن صال
الجحيم بضم اللام وفيه ثلثة اوجه احدها ان يكون جمعا وسقوط واوه
لالتقاء الساكنين هي ولام التعريف كيف استقام الجمع مع قوله
من هو من موحد اللفظ مجموع المعنى فحمل هو على اللفظ والصالون على المعنى
كما حمل في مواضع من التنزيل على لفظ من ومعناه في آية واحدة والثاني ان
يكون اصله صائل على القلب ثم يقال صال في صائل كقولهم شاك في شائك
والثالث ان تحذف لام صال تخفيفا ويجري الاعراب على عينه كما حذف في
قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية من بالى كعافية من عافى ونظيره قراءة
من قرأ وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت باجراء الاعراب على
العين وما منا احد الا له مقام معلوم فحذف الموصوف واقيمت الصفة
مقامه كقوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا بكفي كان من ارمى البشر مقام معلوم
في العبادة والانتهاء الى امر الله مقصور عليه لا يتجاوزه كما روي فمنهم راكع
لا يقيم صلبه وساجد لا يرفع راسه وانا لنحن الصافون نصف اقدامنا في
الصلوة او اجنحتنا في الهواء منتظرين ما نؤمر وقيل نصف اجنحتنا حول
العرش داعين للمؤمنين وقيل ان المسلمين انما اصطفوا في الصلوة منذ نزلت هذه
الآية وليس يصطف احد من اهل الملل في صلوتهم غير المسلمين وانا لنحن
المسبحون المنزهون او المصلون والوجه ان يكون هذا وما قبله من قوله
سبحان الله عما يصفون من كلام الملائكة حتى يتصل بذكرهم في قوله ولقد
علمت الجنة كانه قيل ولقد علم الملائكة وشهدوا ان المشركين مفترون عليهم
في مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله ونزهوه عن ذلك واستثنوا المخلصين

الله احدا واستثنوا عباده المخلصين وبرأوهم منه وقالوا للكفرة فاذا
صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون ان تفتنوا على الله احدا من خلقه وتضلوه
الا من كان مثلكم ممن علم الله لكفرهم لا لتقديره وارادته تعالى الله
عما يقول الظالمون علوا كبيرا انهم من اهل النار وكيف يكون مناسبا
لرب العزة وتجمعنا واياه جنسية واحدة وما نحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل
منا مقام من الطاعة لا نستطيع ان نزل عنه ظفرا خشوعا لعظمته وتواضعا
لجلاله ونحن الصافون اقدامنا لعبادته او اجنحتنا مذعنين خاضعين
مسبحين ممجدين كما يجب على العباد لربهم وقيل هو من قول رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم يعني وما من المسلمين احد الا له مقام معلوم يوم القيمة
على قدر عمله من قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ثم ذكر اعمالهم
وانهم الذين يصطفون في الصلوة ويسبحون الله وينزهونه عما يضيف اليه
من لا يعرفه مما لا يجوز عليه وان كانوا ليقولون هم مشركوا قريش يقولون
لو ان عندنا ذكرا اي كتابا من كتب الاولين الذين نزل عليهم التورية
والانجيل لكنا عباد الله المخلصين لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما كذبنا
كما كذبوا ولا خالفنا كما خالفوا فجاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار و
الكتاب المعجز من بين الكتب فكفروا به ونحوه فلما جاءهم نذير ما زادهم
الا نفورا فسوف يعلمون مغبة تكذيبهم وما يحل بهم من الانتقام وان هي
من الثقيلة واللام هي الفارقة وفي ذلك انهم كانوا يقولونه مؤكدين للقول
جادين فيه فكم بين اول امرهم وآخره ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين الكلمة هي قوله انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون
وانما سماها كلمة وهي كلمات عدة لانها لما انتظمت في معنى واحد كانت في حكم
كلمة مفردة وقرئ كلماتنا والمراد الموعد بعلوهم على عدوهم في مقام الحجاج
وملاحم القتال في الدنيا وعلوهم عليهم في الآخرة كما قال تعالى والذين اتقوا فوقهم
يوم القيمة ولا يلزم انهزامهم في بعض المشاهد وما جرى عليهم من القتل فان الغلبة
كانت لهم ولمن بعدهم في العاقبة وكفى بمشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

والخلفاء الراشدين مثلا لحديث عليها وعبرا يعتبرون وعن الحسن ما غلب نبي في
حرب ولا قتل فيها ولان قاعدة امرهم واساسه والغالب منه الظفر والنصرة
وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة فالحكم للغالب وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وفي قراءة ابن مسعود
على عبادنا على تضمين سبقت معنى حقت فتول عنهم فاعرض عنهم واغمض على اذاهم حتى
حين الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وعن السدي الى يوم بدر وقيل
الى الموت وقيل الى يوم القيمة وابصرهم وابصر ما ينقضي عليهم من الاسر و
القتل والعذاب في الآخرة فسوف يبصرون ما قضينا لك من النصرة
والتأييد والثواب في العاقبة والمراد بالامر بابصارهم على الحال المنتظرة الموعودة
الدلالة على انها كائنة لا محالة وان كينونتها قريبة كأنها قدام ناظريك وفي
ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتنفيس عنه وقوله فسوف
يبصرون للوعيد كما سلف لا للتبعيد افبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم
فساء صباح المنذرين مثل العذاب النازل بهم بعدما انذروه فانكروه بجيش
انذر بهجومه قومه بعض نصاحهم فلم يلتفتوا الى انذاره ولا اخذوا اهبتهم ولا دبروا
امرهم تدبيرا ينجيهم حتى اناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة صباحا
فسميت الغارة صباحا وان وقعت في وقت آخر وما فصحت هذه الآية ولا كانت
لها الروعة التي تحس بها ويروقك موردها على نفسك وطبعك الا لمجيئها على
طريقة التمثيل وقرأ ابن مسعود فبئس صباح ونزل بساحتهم على اسناده الى
الجار والمجرور كقولك ذهب بزيد ونزل على زيد ونزل العذاب والمعنى فساء صباح
المنذرين صباحهم واللام في المنذرين مبهم في جنس من انذروا لان ساء
وبئس يقتضيان ذلك وقيل هو نزول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم
الفتح بمكة وعن انس رض لما اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
خيبر فكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا
الى حصنهم فقال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين وابصر فسوف يبصرون ليكون تسلية على تسلية وتأكيدا لوقوع الميعاد

حتى حين

وابصارهم وتولى عنهم حتى حين

الى التاكيد وفيه فائدة زائدة وهي اطلاق الفعلين معا عن التقييد بالمفعول وانه
يبصر وهم ما لا يحيط به المسرة وانواع المساءة وقيل اريد باحدهما عذاب الدنيا
وبالآخرة **سبحان ربك رب العزة عما يصفون** اضيف الرب الى العزة لاختصاصه بها
بالصدق ويجوز ان يراد ما من عزة لاحد من الملوك وغيرهم الا هو ربها ومالكها
كقوله تعز من تشاء وتذل من تشاء **وسلام على المرسلين والحمد لله رب
العالمين** اشتملت السورة على ذكر ما قاله المشركون في الله ونسبوا اليه مما هو منزه
عنه وما عاناه المرسلون من جهتهم وما خولوه في العاقبة من النصرة عليهم
فختمها بجوامع الكلم ذلك من تنزيه ذاته عما وصفه المشركون والتسليم على المرسلين
والحمد لرب العالمين على ما قيض لهم من حسن العواقب والغرض تعليم المؤمنين
ان يقولوا ذلك ولا يخلوا به ولا يغفلوا عن مضمنات كتابه الكريم ومودعات قرآنه
المجيد وعن علي رضي الله عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم
القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني و
شيطان وتباعدت عنه مردة الجن والشياطين وبرئ من الشرك وشهد
له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين تمت ربع الثالث
من الكشاف في يوم الاحد السادس من شهر
جمادى الاولى لسنة ثمان واربعين و
تسعمايه والحمد لله على ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم

ص على الوقف وهي اكثر القراءة وقرئ بالكسر
والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان ينتصب بحذف
حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لافعلن
بالنصب او باضمار حرف القسم والفتح في موضع
الجر كقوله الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف
للتعريف والتانيث لانها بمعنى السورة وقد
صرفها من قرا صاد بالجر والتنوين على تاويل
له والتنزيل وقيل من كسر هو من المصاداة في
المعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض للصوت
في الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة و

معناه عارض للقرآن فاعمل باوامره وانته
عن نواهيه والقرآن قوله ص والقرآن ذي
الذكر بل الذين كفروا في عزة و
شقاق كلام ظاهره متنافرة غير منتظم
فما وجه انتظامه قلت فيه وجهان احدهما
ان يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف
المعجم كما مر في اول الكتاب ثم اتبعه القسم محذوف
الجواب لدلالة التحدي عليه كانه قال هذه ص
يعني هذه السورة التي اعجزت العرب والقرآن
ذي الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد
هذا هو المشهور بالسخا وكذلك اذا اقسم بها

كأنه قال أقسمت بصاد والقرآن ذي الذكر إنه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا
في عزة استكبار عن الإذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله وإذا جعلتها
مقسماً بها وعطفت عليها والقرآن ذي الذكر جاز لك أن تريد بالقرآن التنزيل كله وأن
تريد السورة بعينها ومعناه أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذي الذكر كما تقول مررت بالرجل
الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر للشرف والشهرة من
قولك فلان مذكور وإنه لذكر لك ولقومك أو الذكرى والموعظة أو ذكر ما يحتاج
إليه في الدين من الشرائع وغيرها كأقاصيص الأنبياء والوعد والوعيد والتنكير
في عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ في غرة وشقاق أي في غفلة
عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق كم أهلكنا قبلهم من قرن وعيد لذوي
العزة والشقاق فنادوا فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا بالتوبة ولات
هي لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير
بذلك حكمها حيث لم تدخل إلا على الأحيان ولم يبرز إلا أحد مقتضيها إما الاسم أو
الخبر وامتنع بروزهما جميعاً وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الأخفش أنها لا النافية
للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الأحيان وحين مناص منصوب بها كأنك قلت
ولا حين مناص لهم وعنه أن ما ينتصب بعده بفعل مضمر أي ولا أرى حين مناص حاصلاً
لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول أبي زبيد الطائي طلبوا صلحنا ولات أوان
وأنت إذ صحيح في أنه زمان قطع منه المضاف إليه وعوض التنوين لأن الأصل ولات أوان
صلح فما تقول في حين مناص والمضاف إليه قائم نزل قطع المضاف
إليه من مناص لأن أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف إليه
وجعل تنوينه عوضاً من الضمير المحذوف ثم بني الحين لكونه مضافاً إلى غير متمكن وقرئ
ولات بكسر التاء على البناء كجير كيف على لات لو وقف عليها بالتاء كما
يقف على الفعل الذي يتصل به تاء التأنيث وأما الكسائي فيقف عليها بالهاء كما
على الأسماء المؤنثة وأما قول أبي عبيد إن التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده
بأن التاء ملتزقة بحين في الإمام لا متشبث به فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة
عن قياس الخط والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه إذا فاته واستناص

طلب المناص قال حارثة بن بدر يصف فرساً له غمر الجراء إذا قصرت عنانه بيدي
استناص ورام جري المسحل وعجبوا أن جاءهم منذر منهم رسول من
أنفسهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ولم يقل وقالوا إظهاراً للغضب
عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه إلا الكافرون المتوغلون في
الكفر المنهمكون في الغي الذين قال فيهم أولئك هم الكافرون حقاً وهل ترى
كفراً أعظم وجهلاً أبلغ من أن يسموا من صدقه الله بوحيه كاذباً ويتعجبوا
من التوحيد وهو الحق الذي لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل
الذي لا وجه لصحته أن إسلام عمر رضي الله عنه فرح به المؤمنون فرحاً شديداً
وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفساً من صناديدهم
ومشوا إلى أبي طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء
يريدون الذين دخلوا في الإسلام وجئناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر
أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال يا ابن أخي هؤلاء
قومك فقال ماذا يسألونني قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهك
فقال عليه وآله الصلاة والسلام أرأيتم إن أعطيتكم ما سألتم أمعطيّ أنتم كلمة واحدة
تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشراً أي نعطيكها وعشر كلمات
معها فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن
هذا لشيء عجاب أي بليغ في العجب وقرئ عجّاب بالتشديد كقوله مكراً كبّاراً وهو
أبلغ من المخفف ونظيره كريم وكرّام وقوله أجعل الآلهة إلهاً واحداً مثل قوله وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً في أن معنى الجعل التصيير في القول على سبيل
الدعوى والزعم كأنه قال أجعل الجماعة واحداً في قوله لأن ذلك في الفعل محال و
انطلق الملأ منهم أشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس أبي طالب بعدما بكتهم
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض أن امشوا
واصبروا على آلهتكم فلا حيلة لكم في دفع أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم
إن هذا لشيء يراد أي يريده الله تعالى ويحكم بإمضائه وما أراد الله كونه
فلا مرد له ولا ينفع فيه إلا الصبر وإن هذا الأمر لا ينفع فيه إلا الصبر أو إن هذا

لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه او ان دينكم لشيء يراد
يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وان بمعنى اي لان المنطلقين عن مجلس التقاول
لا بد لهم من ان يتكلموا ويتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول
ويجوز ان يراد بالانطلاق الاندفاع في القول وانهم قالوا امشوا الذين
واجتمعوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كأن
لها الناشية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضموا مواشيكم
واصبروا على آلهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها و
وانطلق الملأ منهم امشوا بغير ان على اضمار القول وعن ابن مسعود وانطلق
الملأ منهم يمشون ان اصبروا ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة هي ملة عيسى التي هي
آخر الملل لان النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة او ملة قريش التي
ادركنا عليها آباءنا او ما سمعنا بهذا كائنا في الملة الآخرة على ان تجعل في الملة
حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما في الوجهين والمعنى انا لا نسمع من اهل الكتاب
ولا الكهان انه يحدث في الملة الآخرة توحيد الله ان هذا ما هذا الا اختلاق
اي افتراء وكذب ءانزل عليه الذكر من بيننا انكروا ان يختص بالشرف من
بين اشرافهم وينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل
من القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت تغلي به صدورهم من الحسد على
ما اوتي من شرف النبوة من بينهم بل هم في شك من ذكري من القرآن يقولون
في انفسهم اما واما وقولهم ان هذا الا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه
يقولونه على سبيل الحسد بل لما يذوقوا عذاب بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم
من الشك والحسد يعني انهم لا يصدقون به الا ان يمسهم العذاب مضطرين
الى تصديقه ام عندهم خزائن رحمة ربك يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة
حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم
ويترفعوا بها عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم وانما الذي يملك الرحمة وخزائنها
العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذي
يقسمها على ما اقتضته حكمته وعدله كما قال اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا ثم رشح

هذا المعنى فقال ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما حتى يتكلموا في الامور الربانية
والتدابير الالهية التي يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم
فقال فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف في قسمة الرحمة وكانت عندهم
الحكمة التي يميزون بها بين من هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا يحق له فليرتقوا
في الاسباب فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا
عليه ويدبروا امر العالم وملكوت الله وينزلوا الوحي الى من يختارون ويستصوبون
ثم خسأهم خساءة عن ذلك بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب
يريد ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب
فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام
كما في قول وحديث ما على ما قصره الا انه على سبيل الهزؤ وهنالك اشارة الى حيث
وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب
لامر ليس من اهله لست هنالك كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو
الاوتاد اصله من ثبات البيت المطنب باوتاده قال والبيت لا يبتني الا على عمد
ولا عماد اذا لم ترس اوتاد فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الامر
كما قال الاسود في ظل ملك ثابت الاوتاد وقيل كان يشبح المعذب بين اربع سوار
كل طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه حتى يموت
وقيل كان يمده بين اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات
وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها بين يديه اولئك الاحزاب قصد بهذه
الاشارة الاعلام بان الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وانهم الذين
وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم اولا في الجملة الخبرية على وجه الابهام
ثم جاء بالجملة الاستثنائية فاوضحه فيها بان كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم
اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفي تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه
والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية اولا وبالاستثنائية ثانيا وما في الاستثنائية
من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص انواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق
اشد العقاب وابلغه ثم قال فحق عقاب اي فوجب لذلك ان اعاقبهم حق عقابهم

وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة

هؤلاء اهل مكة ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر
او لانهم كالحضور عند الله وبصيحة النفخة ما لها من فواق وقرئ بالضم
ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع يعني
اذا جاء وقتها لم يستأخر هذا القدر من الزمان كقوله فاذا جاء اجلهم لا
يستأخرون ساعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما لها من رجوع وترداد من افاق المريض
اي رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة يرجع الدر الى ضرعها يريد انها نفخة
واحدة فحسب لا تثنى ولا ترد والقط القسط من الشيء لانه قطعة منه من
قطه اذا قطعه ويقال لصحيفة الجايزة قط لانها قطعة وقد فسر بهما قوله تعالى
قالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اي نصيبنا من العذاب الذي
وعدته كقوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا
منها او عجل لنا صحيفة اعمالنا ننظر فيها كيف تطابق قوله اصبر
على ما يقولون وقوله واذكر عبدنا داود حتى عطف احدهما على صاحبه
كانه قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم اصبر على ما يقولون وعظم امر معصية
الله في اعينهم بذكر قصة داود عليه السلم وهو انه نبي من انبياء الله تعالى
قد اولاه ما اولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث
اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر
واناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته في بطن
كفه حتى لا يزال مجددا الندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم او قال
له عليه وآله الصلوة والسلم اصبر على ما يقولون وصن نفسك وحافظ عليها ان تزل
فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذاهم واذكر اخاك داود وكرامته على الله كيف
زل تلك الزلة اليسيرة فلقي من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغي ما لقي
ذا الايد ذا القوة في الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه باعباء
النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو اشد الصوم ويقوم نصف الليل
يقال فلان ايد وذو ايد وذو آد وايادُ كل شيء ما يتقوى به انه اواب تواب رجاع

الى مرضات الله فما ذلك على ان الايد القوة في الدين قوله
انه اواب لانه تعليل لذي الايد انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي و
الاشراق ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو
شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق
وعن ام هانئ رضي الله عنها دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم
صلى صلوة الضحى وقال يا ام هانئ هذه صلوة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس
قال هل تجدون صلوة الضحى في القرآن قالوا لا فقرأ هذه انا سخرنا الجبال معه
يسبحن بالعشي والاشراق وقال كانت صلوة يصليها داود عليه السلم وعنه ما عرفت
صلوة الضحى الا بهذه الآية وعنه لم يزل في نفسي من صلوة الضحى شيء حتى طلبتها
فوجدتها في هذه الآية يسبحن بالعشي والاشراق وكان لا يصلي صلوة الضحى ثم صلاها
بعد وعن كعب انه قال لابن عباس اني لا اجد في كتاب الله صلوة بعد طلوع
الشمس فقال انا اوجدك ذلك في كتاب الله يعني هذه الآية ويحتمل ان يكون من اشرق
القوم في الشروق فاخذتهم الصيحة مشرقين وقول اهل الجاهلية اشرق ثبير كيما
نغير وتراد وقت صلوة الفجر لانتهائه بالشروق ويسبحن في معنى مسبحات على الحال
هل من فرق بين يسبحن ومسبحات نعم وما اختير يسبحن على مسبحات
الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيئا بعد شيء وحالا بعد حال
وكان السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى الى ضوء نار في يفاع تحرق
ولو قال محرقة لم يكن شيئا وقوله والطير محشورة في مقابلة يسبحن الا انه لما لم
يكن في الحشر ما كان في التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيئا بعد شيء جيء
به اسما لا فعلا وذلك انه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على ان الحشر يوجد من
حاشرها شيئا بعد شيء والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة
ادل على القدرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت
اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع كل له اواب
كل واحد من الجبال والطير لاجل داود اي لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه
ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع

لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع
الى الله وطلب مرضاته من عادته ان يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل
الضمير لله اي كل من داود والجبال والطير لله اواب اي مسبح مرجع للتسبيح
وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ قال سنشد عضدك باخيك وقرئ شددنا على المبالغة
قيل كان يبيت حول محرابه اربعون الف مستلئم يحرسونه وقيل الذي شد الله به ملكه
وقذف في قلوب قومه الهيبة ان رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة
فاوحي اليه في المنام ان اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فاعيد الوحي في اليقظة
فاعلم الرجل فقال ان الله لم ياخذني بهذا الذنب ولكن باني قتلت اباه هذا غيلة
فقتله فقال الناس ان اذنب احد ذنبا اظهره الله عليه فقتله فهابوه **وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ**
الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة
وَفَصْلَ الْخِطَابِ الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير
لانهم قالوا كلام ملتبس وفي كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل في نقيضه فصل
اي مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من
يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه ان لا يخطي صاحبه مظان
الفصل والوصل فلا يقف في كلمة الشهادة على المستثنى منه
ولا يتلو قوله فويل للمصلين الا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وانتم حتى يصله
بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والاضمار والاظهار
والحذف والتكرار وان شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور واردت
بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذي يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل
والصواب والخطا وهو كلامه في القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه هو قوله البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه
وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله اما بعد لانه يفتتح
اذا تكلم في الامر الذي له شان بذكر الله وتحميده فاذا اراد ان يخرج الى الغرض المسوق
اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله اما بعد ويجوز ان يراد الخطاب القصد الذي
ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء في صفة كلام رسول الله صلى الله

٨١٨

عليه وآله وسلم الادب ترك المجاهرة الا ترى الى الحكماء كيف اوصوا في سياسة الولد اذا وجد
منه هيئة منكرة بان يعرض له بانكار ما عليه ولا يصرح وان يحكى له حكاية ملاحظة
بحاله اذا تاملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك ازجر له
لانه ينصب ذلك مثلا لحاله ومقيسا لشانه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة
مع انه اصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة **فان قلت** فلم كانت ذلك على
وجه التحاكم اليه **قلت** ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى
يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه **وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا**
الْمِحْرَابَ ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على انه من الانباء العجيبة التي حقها
ان تشيع ولا تخفى على احد والتشويق الى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع
على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين
لانه مصدر في اصله تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا **إِذْ دَخَلُوا عَلَى**
دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ
فان قلت هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك **قلت** معنى خصمان
فريقان والدليل عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى
هذان خصمان اختصموا **فان قلت** فما تصنع بقوله ان هذا اخي وهو دليل على اثنين **قلت**
هذا قول البعض والمراد بقوله بعضنا على بعض **فان قلت** فقد جاء في الرواية انه
بعث اليهم ملكان **قلت** معناه ان التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك ان يصحبهما
آخرون **فان قلت** فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما في قوله نبأ
الخصم وخصمان **قلت** لما صحب كل واحد من المتحاكمين في صورة الخصم صحبت السعاية
به **فان قلت** بم انتصب اذ **قلت** لا يخلو اما ان ينتصب باتاك او بالنبأ او بمحذوف فلا يسوغ
انتصابه باتاك لان اتيان النبأ الواقع في عهد داود لا يصح اتيانه رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وان اردت بالنبأ القصة في نفسها لم يكن ناصبا فبقي ان
ينتصب بمحذوف وتقديره وهل اتاك نبأ تحاكم الخصم ويجوز ان ينتصب بالخصم لما فيه
من معنى الفعل واما اذا الثانية عن الاولى تسوروا المحراب تصعدوا سوره ونزلوا
اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره في الابنية تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا

على ذروته روي ان الله تعالى بعث اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا ان يدخلا
عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما
بين يديه جالسان ففزع منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ان داود عليه السلام جزا زمانه اربعة اجزاء
يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص اموره ويوما يجمع بني اسرائيل
فيعظهم ويبكيهم فجاؤا في غير يوم القضاء ففزع منهم ولانهم نزلوا من فوق وفي يوم
الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من يدخل عليه خصمان خبر مبتدا محذوف اي
خصمان خبر مبتدا محذوف اي نحن خصمان فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط و
لا تجر وقرئ ولا تشطط اي ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها
من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق واهدنا الى سواء الصراط وسطه ومحجته ضربه مثلا
لعين الحق ومحضه ان هذا اخي بدل من هذا او خبر لان والمراد اخوة الدين او
الصداقة والالفة او اخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء و
كل واحدة من هذه الاخوات تدلي بحق مانع من الاعتداء والظلم له تسع وتسعون
نعجة ولي نعجة واحدة وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا
من اختلاف اللغات ونحوه نطع ونطع ولقوه ولقوة فقال اكفلنيها ملكنيها
وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل ما تحت يدي وعزني وغلبني يقال عزه يعزه قا
عزها شرك فباتت تجاذبه وقد علق الجناح يريد جاءني بحجاج لم اقدر ان اورده به
في الخطاب اراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل او اراد خطبت المراة وخطبها
هو فخاطبني خطابا اي غالبني في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني
من المعازة وهي المغالبة وقرا ابو حيوة وعزني بتخفيف الزاء طلبا للخفة وهو
غريب فكانه قاسه على نحو ظلت ومست فان قلت ما معنى ذكر النعاج قلت كان
تحاكمهم في نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لان التمثيل ابلغ في التوبيخ والتنبيه على
امر يستحيي من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الافصاح به وللستر على داود
عليه السلام والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصة اورياء مع داود بقصة
رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فاراد صاحبه تتمة المائة فطمع في نعجة
خليطه واراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراد

والدليل عليه قوله وان كثيرا من الخلطاء وانما خص هذه القصة لما فيها من الرمز
الى الغرض بذكر النعجة فان قلت انما يستقيم طريقة التمثيل اذا فسرت الخطاب بالجدال
فان فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم قلت الوجه مع هذا التفسير ان اجعل
النعجة استعارة عن المراة كما استعاروا لها الشاة في نحو قوله يا شاة ما قنص
رميت غفلة عينه عن شاته وشبهها بالنعجة من قال كنعاج الملا تعسفن رملا
لولا ان يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم فان قلت الملائكة
منهم ان يخبروا عن انفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا هو من شانهم قلت
هو تصوير للمسألة وفرض لها فصوروها في انفسهم وكانوا في صورة الاناسي
كما يقول في تصوير المسائل لزيد له اربعون شاة ولعمرو له اربعون وانت تسميهما
خلطاهما وحال عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول ايضا
في تصويرها الي اربعون شاة ولك اربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين اربعة
ولا ربعها فان قلت ما وجه قراءة ابن مسعود ولي نعجة انثى قلت يقال امراة
انثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة في لين الانوثة وفتورها وذلك املح لها
وازيد في تكسرها وتثنيها الا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فتور
القيام قطيع الكلام وقوله عبي بلا بكاد تنغرف قال لقد ظلمك جواب قسم محذوف
وفي ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه بسؤال نعجتك السؤال مصدر مضاف
الى المفعول كقوله من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدي تعديتها كانه
قال باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه السؤال والطلب فان قلت كيف سارع الى تصديق
احد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه قلت ما قال ذلك الا بعد اعتراف
صاحبه ولكنه لم يحك في القرآن لانه معلوم ويروى انه قال انا اريد ان آخذها منه
واكمل نعاجي مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هنا وهنا واشار الى طرف
الانف والجبهة فقال يا داود انت احق ان يضرب منك هنا وهنا وانت فعلت
وليت ثم نظر داود فلم ير احدا فعرف ما وقع فيه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي
بعضهم على بعض الخلطاء الشركاء الذين خلطوا اموالهم الواحد خليط وهي الخلطة وقد غلبت
في الماشية والشافعي يعتبرها فاذا كان الرجلان خليطين في ماشية بينهما غير مقسومة او كل

واحد منهما ماشية على حدة الا ان مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعي والكلب
واحد والفحول مختلطة فهما يزكيان زكوة الواحد فان كانت لهما اربعون شاة فعليهما شاة
وان كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد اربعون فعليهم شاة واحدة كما لو كانت لواحد
وعند ابي حنيفة لا يعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد وفي اربعين بين خليطين
لا شيء عنده وفي مائة وعشرين بين ثلثة ثلث شياه فان قلت فهذه الخلطة ما يقول فيها
عليها شاة واحدة فيجب على ذي النعجة اداء جزء من جزء من الشاة عند الشافعي
وعند ابي حنيفة لا شيء قلت ماذا اراد بذكر حال الخلطاء في ذلك المقام قلت
قصد به الموعظة الحسنة والترغيب في ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة
وان يكره اليهم الظلم والاعتداء الذي عليه اكثرهم مع التاسف على حالهم وان يسلي
المظلوم عما جرى عليه من خليطه وان له في اكثر الخلطاء اسوة وقرئ ليبغي بفتح الياء على
تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله اضرب عنك الهموم طارقها وهو جواب قسم محذوف
وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما في **الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات**
وقليل ما هم للابهام وفيه تعجب من قلتهم وان اردت ان تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها
من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقي له معنى قط **وظن داود**
لما كان الظن الغالب يداني العلم استعير له ومعناه وعلم داود وايقن **انما فتناه** انما
ابتليناه لا محالة بامراة اوريا هل يثبت ام يزل وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة
وافتناه من قوله لئن فتنتني لهي بالامس افتنت وفتناه وفتنا على ان الالف ضمير
الملكين **وخر راكعا** عبر بالراكع عن الساجد لانه ينحني ويخضع كالساجد وبه استشهد
ابو حنيفة في سجدة التلاوة على ان الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لانه لا يكون
ساجدا حتى يركع ويجوز ان يكون قد استغفر الله لذنبه واحرم بركعتي الاستغفار والانابة
فيكون المعنى وخر راكعا اي مصليا لان الركوع يجعل عبارة عن الصلوة **واناب** ورجع
الى الله بالتوبة والنصل وروي انه بقي ساجدا اربعين يوما وليلة لا يرفع راسه
الا لصلوة مكتوبة او ما لا بد منه ولا يرقا دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى راسه
ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله في العفو عنه حتى كاد
يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له اسمه ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع

اليه الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروي انه نقش خطيئته في كفه
حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين من الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما
اما كانا خليطين في الغنم واما كان احدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهائر
والسراري والثاني معسرا ما له الا امراة واحدة فاستنزله عنها وانما فزع لدخولهما
عليه في غير وقت الحكومة ان يكونا مغتالين وما كان ذنب داود الا انه صدق
احدهما على الآخر وظلمه قبل مسئلته **يا داود انا جعلناك خليفة في الارض**
اي استخلفناك على الملك كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها
ومنه قولهم خليفة الله في ارضه او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء
القائمين بالحق وفيه دليل على ان حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه **فاحكم
بين الناس بالحق** اي بحكم الله اذ كنت خليفته **ولا تتبع الهوى** هوى النفس في
قضائك وغيره مما يتصرف فيه من اسباب الدين والدنيا **فيضلك** الهوى فيكون سببا
لضلالك **عن سبيل الله** عن دلائله التي نصبها في العقول ومن شرائعه التي
شرعها واوحى بها **ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد
بما نسوا يوم الحساب** متعلق بنسوا اي بنسيانهم يوم الحساب او بقوله لهم
اي لهم عذاب يوم القيمة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم وعن بعض خلفاء بني مروان
انه قال لعمر بن عبد العزيز او للزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا ان
الخليفة لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية فقال يا امير المؤمنين الخلفاء افضل ام الانبياء
ثم تلا هذه الآية **وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا** خلقا
باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة او مبطلين عابثين كقوله وما خلقنا السموات
والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وتقديره ذوي باطل او عبثا
فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيئا موضع المصدر وهو صفة اي ما خلقناهما
الا للحق وتقديره ذوي بطل وما بينهما للعبث واللعب لكن للحق المبين وهو انا
خلقنا نفوسا اودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وازحنا عللها ثم عرضناها
للمنافع العظيمة بالتكليف واعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب اعمالهم و**ذلك** اشارة
الى خلقها باطلا **ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار** والظن

بمعنى المظنون اي خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا
فان قلت اذا كانوا مقرين بالله خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن
سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم صاروا ظانين انه خلقها
للعبث لا للحكمة قلت لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا
الى ان خلقها عبث وباطل جعلوا كانهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء
هو الذي سيقت اليه الحكمة في خلق العالم حتى داهما فمن جحده فقد جحد
الحكمة من اصلها ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك انه
لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار
**ام نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل
المتقين كالفجار** ام منقطعة ومعنى الاستفهام الانكار والمراد انه لو بطل
الجزاء كما يقول الكفار لاستوت عند الله احوال من اصلح ومن افسد ومن
اتقى ومن فجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما **كتاب انزلناه اليك
مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب** وقرئ ليتدبروا
ولتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر
فيها والتأمل الذي يؤدي الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة
والمعاني الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله
كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن قد قرأ
هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده
حتى ان احدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما اسقطت منه حرفا وقد والله
اسقطه كله ما يرى للقرآن عليه اثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة
حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا كثر الله في الناس مثل هؤلاء اللهم
اجعلنا من العلماء المتدبرين واعذنا من القراء المتكبرين **ووهبنا لداود سليمان
نعم العبد** وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف **انه اواب** وعلل
كونه ممدوحا بكونه اوابا رجاعا اليه بالتوبة او مسبحا مؤولا للتسبيح مرجعا له لان
كل مؤوب اواب **اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد** الصافن الذي

في الصفون فما زال كانه مما يقوم على الملك كسيرا وقيل الذي يقوم على
طرف سنبك يد او رجل هو المتخيم واما الصافن فالذي يجمع بين يديه وعن النبي صلى
الله عليه وآله وسلم من سره ان يقوم له الناس صفونا فليتبوأ مقعده من النار
اي واقفين كما خدم الجبابرة فان قلت ما معنى وصفها بالصفون
قلت الصفون لا يكاد يكون في الهجن وانما هو في العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون
والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعني اذا وقفت كانت
ساكنة مطمئنة في مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وروي ان سليمان
غزى اهل دمشق ونصيبين فاصاب الف فرس وقيل ورثها من ابيه واصابها
ابوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها اجنحة فقعد يوما
بعد ما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس
وغفل عن العصر او عن ورد من الذكر كان له وقت العشي وهابوه فلم يعلموه فاغتم لما
فاته فاستردها وعقرها تقربا لله وبقي مائة فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها
وقيل لما عقرها ابدله الله خيرا منها وهي الريح تجري بامره فان قلت ما معنى قوله
اني احببت حب الخير عن ذكر ربي قلت احببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن
كانه قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي او جعلت حب الخير مجزيا او مغنيا عن
ذكر ربي وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان ان احببت بمعنى لزمت
من قوله مثل بعير السوء اذا احبا وليس بذاك والخير المال لقوله ان ترك خيرا
وقوله وانه لحب الخير لشديد والمال الخيل التي شغلته او سمى الخيل خيرا كانها
نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخيل معقود
في نواصيها الخير الى يوم القيمة وقال في زيد الخيل حين وفد اليه واسلم ما وصف لي رجل
فرأيته الا كان دون ما بلغني الا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسأل رجل بلالا
عن قوم يستبقون من السابق قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال
له اردت الخيل فقال وانا اردت الخير **حتى توارت بالحجاب** والتواري بالحجاب
مجاز في غروب الشمس بمثل عن توارى الملك والمخبأة بحجابهما والذي دل على ان الضمير
للشمس مرور ذكر العشي ولا بد للمضمر من جري ذكر او دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات

اي حتى توارت بحجاب الليل يعني الظلام ومن بدع التفاسير ان الحجاب جبل دون
قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه **ردوها علي فطفق مسحا بالسوق**
والاعناق فجعل يمسح مسحا اي يمسح السيف بسوقها واعناقها يعني يقطعها تقول
مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع اطرافه بسيفه وعن الحسن
كسف عراقيبها وضرب اعناقها اراد بالكسف القطع ومنه الكسف في القاب الزحاف
في العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا بها واعجابا
لها فان قلت بم اتصل قوله ردوها علي قلت بمحذوف تقديره قال ردوها
فاضمر واضمر ما هو جواب له كان قائلا قال فماذا قال سليمن لانه موضع مقتضي
للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبي من الانبياء بامر الدنيا حتى تفوته الصلوة
عن وقتها وقرئ بالسؤوق بهمزة الواو لضمتها كما في ادؤر ونظيره الغؤور في مصدر
غارت الشمس واما من قراه بالسؤق فقد جعل الضمة في السين كانها في الواو للتلاصق
كما قيل موسى ونظير ساق وسوق اسد واسد اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس
ولقد فتنا سليمن قيل فتن سليمن بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين
سنة وكان من فتنته انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا
ان نقتله او نخبله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحابة فما راعه الا ان القي على كرسيه ميتا
فتنبه على خطائه في ان لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب اليه وروي عن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم قال سليمن لاطوفن الليلة على سبعين امراة كل واحدة
تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمن وهذا
ونحوه مما لا باس به واما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن في بيت
سليمن والله اعلم بصحته حكوا ان سليمن بلغه خبر صيدون وهي مدينة في بعض الجزائر
وان بها ملكا عظيم الشان لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى اناخ
بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واصاب بنتا له اسمها جرادة من احسن الناس
وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكانت لا يرقا دمعها حزنا على ابيها
فامر الشياطين فمثلوا لها صورة ابيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح
مع ولائدها يسجدن له كعادتهن في ملكه فاخبر آصف سليمن بذلك وكسر الصورة وعاقبت

المرأة ثم خرج الى [illegible] وحده الى ملاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله وكان
له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة وضع خاتمه عندها
وكان ملكه في خاتمه فوضع عندها يوما واتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذي
دل سليمن على الماس حين امر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمن فقال يا امينة
خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمن وعكف عليه الطير والجن والانس وغير سليمن
عن هيئته فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته
فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمن حثوا عليه التراب
وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك
اربعين صباحا عدد ما عبد الوثن في بيته فانكر وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان
وسال آصف نساء سليمن فقلن ما يدع امراة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة
وقيل بل نفذ حكمه في كل شيء الا فيهن فطار الشيطان وقذف الخاتم في البحر
فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمن فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع
ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه باخرى ثم اوثقها
بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا
يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون بذنبك والخاتم لا يقر في يدك فتب الى الله
ولقد ابى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من اباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون
في مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقعوا في تغيير الاحكام
وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهن قبيح واما اتخاذ التماثيل فيجوز ان تختلف فيه
الشرائع الا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل واما السجود للصورة فلا يظن
بنبي الله ان ياذن فيه واذا كان بغير علمه فلا عليه **والقينا على كرسيه**
جسدا ثم اناب [illegible] الشيطان [illegible] ظاهرا قدم
الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين في تقديمهم امر
دينهم على امور دنياهم **لا ينبغي لاحد** لا يتسهل ولا يكون ومعنى **من بعدي**
دوني **فان قلت** اما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة ان يستعطي الله
ما لا يعطيه غيره **قلت** كان سليمن عليه السلم ناشئا في بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فا

آصف

قال رب اغفر لي وهب لي ملكا

ان يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة
بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم وان يكون معجزة
حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب
وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى مثله ولا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت
الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك وقيل ملكا لا اسلبه
ولا يقوم غيري فيه مقامي كما سلبته مرة واقيم مقامي غيري ويجوز ان يقال علم
الله تعالى فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح في الدين وعلم انه لا يضطلع
باعبائه غيره واوجبت الحكمة استيهابه فامره ان يستوهبه اياه فاستوهبه
بامر من الله على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه عليها الا هو وحده دون غيره
او اراد ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لاحد من بعدي ولم يقصد بذلك الا عظم
الملك وسعته كما يقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس امثال
ذلك ولكنه يريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج انه قيل له انك حسود فقال احسد
مني من قال هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا من جراءته على الله وشيطنته كما
حكي عنه طاعتنا اوجب من طاعة الله لانه شرط في طاعته فقال فاتقوا الله ما
استطعتم واطلق طاعتنا فقال واولي الامر منكم فسخرنا له الريح وقرئ الريح
والرياح تجري بامره رخاء لينة طيبة لا تزعزع حيث اصاب حيث قصد
واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب فاخطأ الجواب وعن رؤبة ان رجلين
من اهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال اين تصيبان
فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال اصاب الله بك خيرا والشياطين عطف
على الريح كل بناء وغواص بدل من الشياطين وآخرين عطف على كل
داخل في حكم البدل وهو بدل الكل من الكل كانوا يبنون له ما يشاء من الابنية
ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو اول من استخرج الدر من البحر مقرنين
في الاصفاد وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل
للتأديب والكف عن الفساد وكان يجمع ايديهم الى اعناقهم مغللين في الجوامع والصفد
القيد وسمي به العطاء لانه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه من برك

وعن السدي

فقد اسرك ومن جفاك فقد اطلقك وقول القائل غل يدا مطلقها وارق رقبة
وقال حبيب ان العطاء اسار وتبعه من قال ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا و
فرقوا بين الفعلين فقالوا صفده قيده واصفده اعطاه كوعده واوعده اي
هذا الذي اعطيناك من الملك والمال والبسطة عطاؤنا بغير حساب يعني جما
كثيرا لا يكاد يقدر على حسبه وحصره فامنن من المنة وهي العطاء اي فاعط منه
ما شئت او امسك مفوضا اليك التصرف فيه وفي قراءة ابن مسعود هذا عطاؤنا
فامنن او امسك عطاء بغير حساب او هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت
من الشياطين بالاطلاق وامسك من شئت منهم في الوثاق بغير حساب اي لا حساب عليك
في ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب واذكر عبدنا ايوب عطف
بيان اذ نادى ربه بدل اشتمال منه اني مسني باني مسني حكاية لكلامه
الذي ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بانه مسه لانه غائب الشيطان بنصب
وعذاب قرئ بنصب بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وفتحهما وضمهما فالنصب
والنصب كالرشد والرشد على اصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد
وهو التعب والمشقة والعذاب الالم ويريد مرضه وما كان يقاسي
فيه من انواع الوصب وقيل الضر في البدن والعذاب في ذهاب الاهل والمال
لم ينسبه الى الشيطان ولا يجوز ان يسلطه الله على الانبياء ليقضي من
اتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع صالحا الا وقد نكبه واهلكه وقد
تكرر في القرآن انه لا سلطان له الا الوسوسة فحسب لما كانت وسوسته اليه
وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى
الادب في ذلك حيث لم ينسبه الى الله في دعائه مع انه فاعله ولا يقدر عليه
الا هو وقيل اراد ما كان يوسوس به اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء
ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء
او بالتوفيق في دفعه ورده بالصبر الجميل وروي انه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين
فارتد احدهم فسأل عنه فقال ألقى اليه الشيطان ان الله لا يبتلي الانبياء
والصالحين وذكر في سبب بلائه ان رجلا استغاثه فلم يغثه وقيل كان

هذا عطاؤنا

حاشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل لاعجابه بكثرة ماله اركض
برجلك حكاية قال لحسب له ايوب اي اضرب برجلك الارض وعن قتادة هي
ارض الجابية فضربها فنبعت عين فقيل هذا مغتسل بارد وشراب اي هذا
تشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وتنقلب ما بك قلبه وقيل نبعت له عينان
فاغتسل من احديهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن الله
تعالى وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت
عين باردة فشرب منها ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى
لاولي الالباب مفعول لهما والمعنى ان الهبة كانت للرحمة له لتذكير اولي
الالباب لانهم اذا سمعوا بما انعمنا به عليه لصبره رغبهم في الصبر على البلاء وعاقبة
الصابرين وما يفعل الله بهم وخذ معطوف على اركض بيدك ضغثا والضغث الحزمة
الصغيرة من حشيش او ريحان او غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر
فاضرب به ولا تحنث كان حلف في مرضه ليضربن امراته مائة اذا برأ فحلل
الله تعالى يمينه باهون شيء عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهذه الرخصة
باقية وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه اتي بمخدج قد خبث بامة فقال خذوا
عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب ان يصيب المضروب كل
واحد من المائة اما باطرافها مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب
في يمينه انها ابطأت عليه ذاهبة في حاجة فحرج صدره وقيل باعت ذوائبها
برغيفين وكانتا متعلق ايوب اذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدي لي
سجدة فارد عليكم مالكم واولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت
ذلك له فحلف وقيل اوهمها الشيطان ان ايوب اذا شرب الخمر برأ فعرضت
له بذلك وقيل سألته ان يقرب للشيطان رغيفا انا وجدناه صابرا
صابرا نعم العبد انه اواب قلت كيف وجده صابرا وقد شكا الى الله ما به
واسترحمه قلت الشكوى الى الله عز وجل لا تسمى جزعا ولقد قال يعقوب
عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب
وذلك ان اصبر الناس على البلاء لا يخلو من تمني العافية وطلبها فاذا صح

ان يسمى صابرا مع تمني العافية وطلب الشفاء فليسم صابرا مع اللجأ الى الله
والدعاء بكشف ما به ومع التعالج ومشاورة الاطباء على ان ايوب كان يطلب الشفاء خيفة
على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم كما كان يوسوس اليه انه
لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وان ارادة القوة على الطاعة فقد بلغ امره الى ان لم يبق منه
الا القلب واللسان ويروى انه قال في مناجاته الهي قد علمت انه لم يخالف لساني قلبي
ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعانا
ولا كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله تعالى عنه واذكر عبادنا ابراهيم واسمعيل
واسحق ويعقوب عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف
بيان له ثم عطف ذريته على عبدنا وهي اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس واله ابيك
ابراهيم واسمعيل واسحق لما كانت لكثرة الاعمال تباشر بالايدي غلبت فقيل في كل عمل
هذا مما عملت ايديهم وان كان عملا لا يتأتى فيه المباشرة بالايدي او كان العمال جذما
لا ايدي لهم وعلى ذلك قوله عز وجل اولي الايدي والابصار يريد اولي الاعمال
والفكر كان الذين لا يعملون اعمال الآخرة ولا يجاهدون في الله ولا يفكرون افكار
ذوي الديانات ولا يستبصرون في حكم الزمنى الذين لا يقدرون على اعمال الجوارح
والمسلوبي العقول الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله و
من المستبصرين في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين
منها وقرئ اولي الايد على طرح الياء والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن انا اخلصناهم
جعلناهم لنا خالصين بخالصة بخصلة خالصة لا شوب فيها ذكرى الدار
فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء الكدورة عنها وقرئ
على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار بهم آخر انما همهم ذكرى الدار
لا غير ومعنى ذكرهم للدار ذكراهم الآخرة دائما ونسيانهم اليها ذكر الدنيا وتذكيرهم
الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شأن الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى
الدار الثناء الجميل ولسان الصدق الذي ليس لغيرهم ما معنى اخلصناهم بخالصة
معناه اخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبانهم من اهلها او اخلصناهم بتوفيقهم

لها واللطف بهم في اختيارها وتعضد الاولى قراءة من قرأ بخالصتهم **وانهم عندنا**
لمن المصطفين المختارين من بين ابناء جنسهم **والاخيار** جمع خير او خير على التخفيف
كاموات جمع ميت او ميت **واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل** كان حرف التعريف
دخل على يسع وقرئ والليسع كان حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع
والتنوين في **وكل** عوض من المضاف اليه ومعناه وكلهم **من الاخيار هذا ذكر**
اي هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما اجرى ذكر الانبياء واتمه وهو باب من ابواب
التنزيل ونوع من انواعه واراد ان يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة واراد ان
يذكر اهل النار وقال هذا وان للطاغين وقيل معناه وهذا شرف وذكر جميل يذكرون
ابدا وعن ابن عباس رضهما هذا ذكر من مضى من الانبياء **جنات عدن** معرفة لقوله جنات
عدن التي وعد الرحمن وانتصابها على انها عطف بيان لحسن مآب **ومفتحة لهم** حال والعامل
فيها ما في للمتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات **والابواب** بدل من الضمير تقديره
مفتحة هي الابواب كقولك ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن
مفتحة بالرفع على ان جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره او كلاهما خبر مبتدأ محذوف
اي هو جنات عدن هي مفتحة لهم **متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة**
كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف اتراب كان اللدات سمين اترابا لان
التراب مسهن في وقت واحد وانما جعلن على سن واحدة لان التحاب بين الاقران ثابت
وقيل هي اتراب لازواجهن اسنانهن كاسنانهم وقرئ **هذا ما توعدون** بالتاء و
الياء **ليوم الحساب** لاجل يوم الحساب اي ليوم تجزى كل نفس ما عملت **هذا** اي الامر
هذا او هذا كما ذكر **وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد**
كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذي
يفترشه النائم **هذا** اي هذا حميم **فليذوقوه** او العذاب هذا فليذوقوه
ثم ابتدأ فقال هو **حميم وغساق** او هذا فليذوقوه بمنزلة فاياي فارهبون
اي ليذوقوا هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد
اهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق
يحرق ببرده وقيل لو قطرت قطرة في المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت قطرة

مالها قال هذا ذكر ما له وان للطاغين كما نقل الجاحظ في كتبه واراد التنوع في الكلام هنا وقد كانت ركبت والدليل على انه لما اتم ذكر اهل الجنة

في المغرب لنتنت اهل المشرق وعن الحسن الغساق عذاب لا يعلمه الا الله
ان الناس اخفوا لله طاعة فاخفى الله تعالى لهم ثوابا واخفوا معصية فاخفى
لهم عقوبة **وآخر** ومذوقات اخر **من شكله** من مثل هذا المذوق ومن مثله
في الشدة والفظاعة **ازواج** اجناس وقرئ واخرى اي ومذوقات اخر او ومذوق
آخر وازواج صفة لآخر لانه يجوز ان يكون ضروبا او صفة للثلاثة وهي
حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهي لغة واما الغنج فبالكسر
لا غير **هذا فوج مقتحم معكم** هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار اي
دخل النار في صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها
والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض اي يقولون
هذا والمراد بالفوج اتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم
العذاب **لا مرحبا بهم** دعاء منهم على اتباعهم يقول لمن تدعو له مرحبا
اي اتيت رحبا من البلاد لا ضيقا او رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا في
دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم **انهم صالوا النار** تعليل لاستيجابهم الدعاء
عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت امة لعنت اختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم
كلام الخزنة لرؤساء الكفرة في اتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام
الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة **قالوا** اي الاتباع **بل انتم لا مرحبا بكم** يريدون
الدعاء الذي دعوتم به علينا انتم احق به وعللوا ذلك بقولهم **انتم قدمتموه**
لنا والضمير للعذاب او لصليهم ما معنى تقديمهم العذاب لهم
المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم
ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل انتم قدمتموه
لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين
هم المقدمون في الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه فالذي
جعل فيه لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل انتم لا مرحبا بكم والخطاب
اعني رؤساءهم لم يتكلموا بما يكون هذا جوابا له كانه قيل هذا الذي دعوتم به علينا انتم
يا رؤساء احق به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب لهم وهذا صحيح

كما لو زين قوم لقوم بعض المساوي فارتكبوه فقيل للمزينين اخزى الله هؤلاء ما اسوء فعلهم
فقال المزين اخزى الله هؤلاء ما اسوء فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل انتم اولى بالخزي
منا فلولا انتم لم نرتكب ذلك قالوا هم الاتباع ايضا من قدم لنا هذا فزده
عذابا ضعفا في النار اي مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء
اضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو ان يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله
ربنا آتهم هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا بالضعف وهو ان يزيد على عذابه ضعفين من
العذاب وجاء في التفسير عذابا ضعفا حيات وافاعي وقالوا الضمير للطاغين ما لنا
لا نرى رجالا يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم كنا نعدهم من
الاشرار من الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف دينهم
فكانوا عندهم اشرارا اتخذناهم سخريا قرئ بلفظ الاخبار على انه صفة لرجالا
مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام على انه انكار على انفسهم
وتانيب لها في الاستسخار منهم وقوله ام زاغت عنهم الابصار له وجهان
من الاتصال احدهما ان يتصل بقوله ما لنا اي ما لنا لا نراهم في النار كانهم ليسوا
فيها بل ازاغت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا امرهم بين ان يكونوا
من اهل الجنة وبين ان يكونوا من اهل النار الا انه خفي عليهم مكانهم والوجه
ان يتصل باتخذناهم سخريا اما ان تكون ام متصلة على معنى اي الفعلين فعلنا بهم
الاستسخار منهم ام ازدراؤهم وتحقيرهم وان ابصارنا تعلو عنهم وتقتحمهم
على معنى انكار الامرين جميعا على انفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم
سخريا وزاغت عنهم ابصارهم محقرة لهم واما ان تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم
على الخبر والاستفهام كقولك انها لابل ام شاء وازيد عندك ام اخبر على القطع
ثم شككت فيه فقال اهي شاء عندك عمرو ولك ان تقدر همزة الاستفهام محذوفة
فيمن قرأ بغير همزة لان ام تدل عليها ولا يفترق القراءتان اثبات همزة الاستفهام
وحذفها وقيل الضمير في قالوا لصناديد قريش كابي جهل والوليد واضرابهما
والرجال عمار وصهيب وبلال واشباههم وقرئ سخريا بالضم ان ذلك الذي
حكينا عنهم لحق لا بد ان يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو تخاصم اهل النار وقرئ

بالنصب على انه صفة لذلك لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس
لم سمي ذلك تخاصما شبه تقاولهم وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين
المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل انتم لا مرحبا بكم
من باب الخصومة فسمي التقاول كله تخاصما لاجل اشتماله على ذلك قل يا محمد لمشركي مكة ما
انا الا رسول منذر انذركم عذاب الله للمشركين واقول لكم ان دين الحق توحيد
الله وان يعتقد ان لا اله الا الله الواحد بلا ند ولا شريك القهار لكل شيء رب
السموات والارض وما بينهما وان الملك والربوبية له في العالم كله وهو العزيز
الذي لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك الغفار لذنوب من التجأ اليه او قل لهم ما
انا الا منذر لكم ما اعلم وانما انذركم عقوبة من هذه صفته فان مثله حقيق بان يخاف
عقابه كما هو حقيق بان يرجى ثوابه قل هو نبأ عظيم اي هذا الذي انبأتكم به من كوني رسولا
منذرا وان الله واحد لا شريك له نبأ عظيم انتم عنه معرضون ولا يعرض عن مثله
الا غافل شديد الغفلة ما كان لي من علم بالملإ الاعلى اذ يختصمون ثم احتج
لصحة نبوته بان ما ينبئ به عن الملإ الاعلى واختصامهم امر ما كان له به من علم قط ثم علمه
ولم يسلك الطريق الذي يسلكه الناس في علم ما لم يعلموا وهو الاخذ من اهل العلم و
قراءة الكتب فعلم ان ذلك لم يحصل له الا بالوحي من الله ان يوحى الي الا انما انا
نذير مبين اي لانما انا نذير ومعناه ما يوحى الي الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه
ويجوز ان يرتفع على معنى ما يوحى الي الا هذا وهو ان انذر وابلغ وهو ان انذر وابلغ
ولا افرط في ذلك اي ما امرت الا بهذا الامر وحده وليس الي غير ذلك وقرئ انما بالكسر
على الحكاية اي الا هذا القول وهو ان اقول لكم انما انا نذير مبين ولا ادعي شيئا آخر
وقيل النبأ العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من احد وعن ابن عباس رضي الله عنهما القرآن
وعن الحسن يوم القيمة بم يتعلق اذ يختصمون بمحذوف لان المعنى ما كان لي
من علم بكلام الملإ الاعلى وقت اختصامهم واذ قال بدل من اذ يختصمون بمحذوف لان
ما كان لي من علم ما المراد بالملإ الاعلى اصحاب القصة الملائكة وآدم
لانهم كانوا في السماء وكان التقاول بينهم ما كان التقاول بينهم انما كان بين الله
وبينهم فكيف جعله لان الله سبحانه هو الذي قال لهم وقالوا له فانت بين امرين اما ان

وما من اله الا الله

الملأ الأعلى بين هؤلاء وكان التقاول بينهم فلم يكن بينهم وإنما كان يقول التقاول كان
بين الله وبينهم فقد جعلته من الملأ الأعلى كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة
ملك وكان المقاول في الحقيقة هو الملك المتوسط فصح أن التقاول كان بين الملائكة
وآدم وإبليس وهم الملأ الأعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق إذ قال
ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين كيف صح أن يقول لهم إني خالق
بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل وجهه أن يكون قد قال لهم إني خالق
خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم فإذا سويته فإذا
أتممت خلقه ونفخت فيه من روحي وأحييته وجعلته حساسا متنفسا فقعوا فخروا
له ساجدين فسجد الملائكة كلهم كل للإحاطة وأجمعون للاجتماع فأفادا
معا أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقي منهم ملك إلا سجد وأنهم سجدوا جميعا في وقت
واحد غير متفرقين في أوقات كيف ساغ السجود لغير الله الذي لا يسوغ
هو السجود لغير الله على وجه العبادة فأما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل
إلا أن يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه إلا إبليس استكبر كيف استثني
إبليس من الملائكة وهو من الجن قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله
فسجد الملائكة ثم استثني كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا وكان من الكافرين
أريد وجود كفره ذلك الوقت وإن لم يكن قبله كافرا لأن كان مطلق في جنس الأوقات
الماضية فهو صالح لأيها شئت ويجوز أن يراد وكان من الكافرين في علم الله
قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت
من العالين ما وجه قوله خلقت بيدي قد سبق لنا أن ذا اليدين
يباشر أكثر أعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التي تباشر بغيرهما حتى
قيل في عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لا يدي له يداك أوكتا وفوك نفخ وحتى لم
يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله مما عملت أيدينا ولما خلقت
بيدي والوجه الذي استنكر له إبليس السجود لآدم واستنكف منه أنه سجود لمخلوق
فذهب بنفسه وتكبر أن يكون سجوده لغير الخالق وانضم إلى ذلك أن آدم مخلوق من طين
وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم أن يسجد لمخلوق مع فضله عليه

في المنصب وزل عنه أن الله سبحانه حين أمر به أعز عباده عليه وأقربهم منه زلفى
وهم الملائكة وهم أحق بأن يذهبوا بأنفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا
من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا أمر الله وجعلوه قدام أعينهم ولم
يلتفتوا إلى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لأمر ربهم وإجلالا لخطابه
كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حريا بأن يقتدي بهم ويقتفي أثرهم ويعلم أنهم في
السجود لمن هو دونهم بأمر الله أوغل في عبادته منهم في السجود له لما فيه من طرح
الكبرياء وخفض الجناح فقيل له ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي ما منعك
عن السجود لشيء هو كما تقول مخلوق خلقته بيدي لا شك في كونه مخلوقا امتثالا لأمري
وإعظاما لخطابي كما فعلت الملائكة فذكر له ما تركه من السجود لمن هو دونهم بأمري
أوغل في عبادته منهم من السجود مع ذكر العلة التي تشبث بها في تركه وقيل له لم تركته
مع وجود العلة وقد أمرك الله به يعني كان عليك أن تعتبر أمري ولا تعتبر هذه العلة
ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول
له ما منعك أن تتواضع لمن لا يخفى علي سقوطه يريد هلا اعتبرت أمري وخطابي وتركت
اعتبار سقوطه وفيه أني خلقته بيدي فأنا أعلم بحاله ومع ذلك أمرت الملائكة بأن
يسجدوا له لداعي حكمة دعاني إليه من إنعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء
للملائكة فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له ما لم يصرفني عن الأمر بالسجود له وقيل لما
خلقت بيدي لما خلقت بغير واسطة وقرئ بيدي كما قرئ بمصرخي وبيدي على
التوحيد أم كنت من العالين ممن علوت وفقت فأجاب بأنه من العالين حيث قال
أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقيل أستكبرت الآن أم
لم تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف
الاستفهام لأن أم تدل عليه أو بمعنى الإخبار هذا على سبيل الأولى أي لو كان
مخلوقا من نار لما سجدت له لأنه مخلوق مثلي فكيف أسجد لمن هو دوني لأنه من طين
والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الأولى وهي خلقتني من
نار مجرى المعطوف عليه للبيان من المعطوف عليه في البيان والإيضاح قال فاخرج
منها من الجنة وقيل من السماوات وقيل من الخلقة التي أنت فيها لأنه كان يفتخر

بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له الملعون لان من طرد رمي بالحجارة على اثره والرجم الرمي بالحجارة او لان الشياطين يرجمون بالشهب قوله وان عليك لعنتي الى يوم الدين كان لعنة غايتها يوم الدين ثم تنقطع كيف تنقطع وقد قال الله تعالى فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن لهم باللعنة ما ينسى عنده اللعنة فكانها انقطعت اللعنة قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ثم الوقت المعلوم الذي اضيف اليه اليوم الوقت الذي يقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذي وقت النفخة جزء من اجزائه ومعنى المعلوم انه معلوم عند الله معين لا يستقدم ولا يستاخر قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين اقسام بعزة الله تعالى وهي سلطانه وقهره وقري قال فالحق والحق اقول بنصبهما على ان الاول مقسم به كالله في ان عليك الله انها تعالى وجوابه لاملان والحق اقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولا اقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه الذي في قوله ان الله هو الحق المبين او الحق الذي هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه ومن فرعه على ان الاول مبتدا محذوف الخبر كقوله لعمرك اي فالحق قسمي لاملان والحق اقول لقوله كما انه تقدم ومجروره على ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقولك الله لافعلن والحق اقول اي لا اقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز في المنصوب والمرفوع ايضا وهو وجه دقيق حسن وقري برفع الاول وجره مع نصب الثاني وتخريجه على ذكرنا منك من جنسك وهم الشياطين وممن تبعك منهم من ذرية آدم اجمعين تاكيد لماذا الا انه يؤكد به الضمير في منهم او الكاف في منك مع من تبعك ومعناه لاملان جهنم من المتبوعين والتابعين اجمعين لا اترك منهم احدا ولاملانها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لا تفاوت في ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من اولاد الانبياء

وغيرهم قل ما اسئلكم عليه من اجر الضمير للقرآن او الوحي وما انا من المتكلفين من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من اهله وما عرفتموني قط متصنعا ولا مدعيا ما ليس عندي حتى انتحل النبوة واتقول القرآن ان هو الا ذكر من الله للعالمين للثقلين اوحي الي فانا ابلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلث علامات للمتكلف ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم ولتعلمن نباه بعد حين اي لتعلمن عند الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وانه الحق والصدق وفيه تهديد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة ص كان له من الاجر بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عليه السلم عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب صغير او كبير تمت السورة

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب قري بالرفع على انه مبتدا اخبر عنه بالظرف او خبر مبتدا محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله او غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان او على هذا خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف اي هذا تنزيل الكتاب هذا من الله او حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة وبالنصب على اضمار فعل نحو اقرا والزم والمراد بالكتاب على الوجه الاول انه القرآن وعلى الثاني انه السورة مخلصا له الدين ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وقري الدين بالرفع وحق من رفعه ان يقرا مخلصا بفتح اللام لقوله تعالى واخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله الا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا ان يصف الدين بصاحبه على الاسناد المجازي كقولهم شعر شاعر واما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدا وخبرا فقد

باعراب رجع به الكلام الى قوله لله الدين ألا لله الدين الخالص اى هو الذى
وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب
والاسرار ولانه الحقيق بذلك لخلوص نعمته من استجرار المنفعة بها وعن قتادة
الدين الخالص شهادة ان لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام والذين
اتخذوا يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة واللات والعزى
عن ابن عباس فالضمير في اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى الثاني الى المشركين
ولم يذكرهم لكونه مفهوما والراجع الى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذوا
المشركون اولياء والذين اتخذوا في موضع الرفع على الابتداء وخبره فالخبر
ما هو هو على الاول اما ان الله يحكم بينهم او ما اضمر من القول قبل
قوله ما نعبدهم وعلى الثاني ان الله يحكم بينهم فاذا كان ان الله
يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر يجوز ان يكون في موضع الحال اى
قائلين ذلك ويجوز ان يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما ان المبدل منه
كذلك وقراءة ابن مسعود باظهار القول قالوا ما نعبدهم وفي قراءة ابي ما نعبدكم
الا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم وقرئ نُعبُدهم اتباعا للعين
كما يتبعها الهمزة في الامر والتنوين في عذاب اركض والضمير في بينهم لهم ولاوليائهم
والمعنى ان الله يحكم بينهم بان يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم النار مع الحجارة
التي نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم واختلافهم
ان الذين يعبدونهم موحدون وهم مشركون واولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم
يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله زلفى وعنه كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات
والارض اقروا وقالوا الله فاذا قالوا فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا
ليقربونا الى الله زلفى فالضمير في بينهم عائد اليهم والى المسلمين والمعنى ان الله يحكم
يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين فيما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي
من هو كاذب كفار المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بانه لا
لطف لهم وانهم في علم الله من الهالكين وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم
في ما اتخذوا من دون الله اولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله لو اراد

[هامش: من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى]

الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء يعني لو اراد اتخاذ الولد
لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت الا ان يصطفي من خلقه بعضهم
ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وزعمتم
اختصاصه اياهم فزعمتم انهم اولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق
الاجسام والاعراض كانه قال لو اراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفا
ما يشاء من خلقه وهم الملائكة الا انكم جهلتم به فحسبتم اصطفاءهم اتخاذهم
اولادا ثم تماديتم في جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كاذبين كفارين مبالغين
في الافتراء على الله وملائكته غالين في الكفر ثم قال سبحانه تنزيها لذاته عن ان
يكون له احد ما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء هو الله الواحد القهار
ودل على ذلك بما ينافيه وهو انه واحد فلا يجوز ان يكون له صاحبة لانه
لو كانت له من جنسه ولا جنس له واذا لم يتأت ان يكون له ولد وهو
معنى قوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وقهار وغلاب لكل الاشياء ومن
الاشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له اولياء وشركاء خلق السموات
والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل
وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ثم دل بخلق
السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما
لاجل مسمى خلقكم وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة
وخلق الانعام على انه واحد لا يشاركه فيها ولا يغالب والتكوير اللف واللي
يقال كار العمامة على رأسه وكورها وفيه اوجه منها ان الليل والنهار خلفة
يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشي مكانه فكانما البسه ولف عليه كما يلف اللباس
على اللابس ومنه قول ذي الرمة في وصف السراب تلوي بأحقيها حواشيه
لي الملاء بالتفاريج ومنها ان كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه
في تغييبه اياه بشيء ظاهر لف عليه ما غيبه من مطامح الابصار ومنها ان هذا
يكور على هذا تتابعا فشبه ذلك بتتابع اكوار العمامة بعضها على اثر بعض الا هو
العزيز الغفار الغالب القادر على عقاب المصرين الغفار لذنوب التائبين او

او الغالب الذي يقدر على ان يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم و يؤخرهم الى
اجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة ما وجه قوله ثم جعل منها
زوجها وما يعطيه من معنى التراخي هما آيتان من جملة الآيات التي
عددها على وحدانيته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق
حوا من قصيراء رجل فكانت ادخل في كونها آية واجلب لعجب السامع
فعطفها بثم على الاولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها
عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخي في الحال والمنزلة لا
من التراخي في الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كانه قيل خلقكم
من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل اخرج ذرية آدم من ظهره
كالذر ثم خلق بعد ذلك حوا وانزل لكم وقضى لكم وقسم لان قضاياه
وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب في اللوح كل كائن
وقيل لا تعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد انزل الماء فكأنه
انزلها وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى
من الابل والبقر والضان والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد
فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى يخلقكم
في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق حيوانا سويا من بعد
عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف في ظلمات ثلث والظلمات
الثلث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن ذلكم الذي
هذه افعاله هو الله ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون
فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره ان تكفروا فان الله
غني عنكم عن ايمانكم وانكم محتاجون اليه لاستضراركم بالكفر
واستنفاعكم بالايمان ولا يرضى لعباده الكفر رحمة لهم لانه يوقعهم
في الهلكة وان تشكروا يرضه لكم اي يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم
وفلاحكم فاذا ما كره كفركم ولا رضي شكركم الا لكم ولصلاحكم
لا لان منفعتكم ترجع اليه لانه الغني الذي لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل

الغواة ليثبتوا لله ما نفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقالوا هذا
من العام الذي اريد به الخاص وما ارادوا الا عباده الذين عناهم في قوله ان
عبادي ليس لك عليهم سلطان يريدون المعصومين كقوله عينا يشرب بها عباد
الله تعالى عما يقول الظالمون وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل
وبسكونها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما
كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور واذا مس الانسان
ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه اعطاه قال ابو النجم
اعطى فلم يبخل ولم يبخل كوم الذرى من خول المخول وفي حقيقته وجهان احدهما
جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن
القيام به ومنه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يتخول
اصحابه والثاني جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب
ان الغني طويل الذيل مياس نسي ما كان يدعو اليه من قبل اي نسي الضر الذي
كان يدعو الله الى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما
من كقوله وما خلق الذكر والانثى وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها بمعنى ان نتيجة
جعله لله اندادا ضلاله عن سبيل الله او اضلاله والنتيجة قد تكون
غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله قل تمتع بكفرك قليلا انك
من اصحاب النار من باب الخذلان والتخلية كانه قيل له اذ قد ابيت قبول
ما امرت به من الايمان والطاعة فمن حقك ان لا تومر به بعد ذلك وتؤمر
بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشانه لانه لا مبالغة في الخذلان اشد من
ان يبعث على عكس ما امر به ونظيره في المعنى قوله قل متاع الدنيا قليل ثم
مأواهم جهنم قرئ امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر
الآخرة ويرجو رحمة ربه بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من
وبالتشديد على ادخال ام عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره امن هو قانت
كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جري ذكر الكافر قبله وقوله بعده
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه امن هو كافر

بعني
وجعل لله اندادا ليضل عن

ءأهذا أفضل أم من هو قانت على الاستفهام المفصل والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة
ومنه قوله عليه وآله الصلوة والسلام أفضل الصلوة طول القنوت وهو القيام فيها
ومنه القنوت في الوتر لأنه دعاء المصلي قائما ساجدا وقائما حال وقرئ ساجد وقائم
على أنه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين وقرئ ويحذر عذاب الآخرة
وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم
وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون ويفتنون فيها ثم يفتنون
بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه
أي كما لا يستوي العالمون والجاهلون كذلك لا يستوي القانتون والعاصون
وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي وعن الحسن أنه سئل عن
رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال هذا تمني وإنما الرجاء قوله وتلا هذه الآية
إنما يتذكر أولوا الألباب وقرئ إنما يذكر بالادغام قل يا عباد الذين
آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا متعلق بأحسنوا
لا بحسنة معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول
الجنة أي حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدي بحسنة ففسر الحسنة
بالصحة والعافية   إذا علق الظرف بأحسنوا فإعرابه ظاهر فما معنى تعليقه
بحسنة ولا يصح أن يقع صفة لها لتقدمه   هو صفة لها إذا تأخر فإذا
تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وإن لم يكن التعلق وصفا ومعنى
وأرض الله واسعة أن لا عذر للمفرطين في الإحسان البتة حتى إن اعتلوا
بأوطانهم وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الإحسان وصرف هممهم
إليه قيل لهم فإن أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا
إلى بلاد أخر واقتدوا بالأنبياء والصالحين في مهاجرتهم إلى غير بلادهم ليزدادوا
إحسانا إلى إحسانهم وطاعة إلى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين
فأمروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل
أرض الجنة إنما يوفى الصابرون الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائرهم
وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير

أجرهم بغير حساب لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال له وغير ميزان يغرف
لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس لا يهتدي إليه حساب الحساب ولا يعرف
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينصب الله الموازين يوم القيمة فيؤتى بأهل
الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين
ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم
ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبا قال الله تعالى إنما يوفى
الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم
تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل قل إني أمرت أن أعبد
الله مخلصا له الدين بإخلاص الدين وأمرت بذلك لأن لأجل أن أكون
أول المسلمين أي مقدمهم وسابقهم والمعنى أن الإخلاص له السبقة في الدين فمن
أخلص كان سابقا   كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد
ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك أن الأمر بالإخلاص له السبقة في الـ
وتكليفه شيء والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شيء وإذا اختلف
وجها الشيء وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام
مزيدة مثلها في أردت لأن أفعل ولا تزاد إلا مع أن خاصة دون الاسم الصريح
كأنها زيدت عوضا من ترك الأصل إلى ما يقوم مقامه كما عوض السين في اسطاع
عوضا من ترك الأصل الذي هو أطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه
بغير لام في قوله وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنين
وأمرت أن أكون أول من أسلم وفي معناه أوجه أن أكون أول من أسلم
في زماني ومن قومي لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الأصنام وأن أكون أول الذين
دعوتهم إلى الإسلام إسلاما وأن أكون أول من دعا نفسه إلى ما دعا إليه غيره
لأكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعا ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون
وأن أفعل ما استحق به الأولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب
قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم معنى أن الله أمرني أن
أخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليلي العقل والوحي فإن عصيت

ذلك بمخالفة الدليلين استوجب عذابه فلا اعصيه ولا ابالي امركم وذلك
حين دعوه الى دين آبايه ما معنى التكرير في قوله قل اني امرت ان
اعبد الله مخلصا له الدين وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني
ليس بتكرير لان الاول للاخبار بانه مامور من جهة الله باحداث العبادة
والاخلاص والثاني اخبار بانه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا
له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة واخره في الاول
فالكلام في الاول واقع في الفعل نفسه والحال وثانيا فيمن يفعل الفعل
لاجله ولذلك رتب عليه قوله فاعبدوا ما شئتم من دونه والمراد
بهذا الامر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان على ما حققت فيه
القول مرتين قل ان الخاسرين الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه
اسبابه هم الذين خسروا انفسهم لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها
وخسروا اهليهم يوم القيمة لانهم ان كانوا من اهل النار فقد خسروهم
كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع
بعده اليهم وقيل وخسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم اهل
في الجنة يعني وخسروا اهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم
بغاية الفظاعة في قوله الا ذلك هو الخسران المبين حيث استأنف الجملة
وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران
ونعته بالمبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم اطباق من
النار هي ظلل لآخرين ذلك العذاب هو الذي يخوف الله به عباده
ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي
وهذه عظة من الله ونصيحة بالغة وقرئ يا عبادي والذين اجتنبوا الطاغوت
فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا ان فيها قلبا بتقديم اللام على العين
اطلقت على الشيطان او الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر
كأن عين الشيطان طغيان وان البناء بناء مبالغة فان الرحموت للرحمة الواسعة
والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا يطلق على غير الشيطان

بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت ان يعبدوها بدل من الطاغوت بدل الاشتمال
وانابوا الى الله لهم البشرى هي البشارة بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى
في الحيوة الدنيا وفي الآخرة الله عز وجل يبشرهم بذلك في وحيه على السنة
رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال
الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
بشريكم اليوم جنات فبشر عباد واراد بعباده الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه الذين اجتنبوا وانابوا لا غيرهم وانما اراد بهم ان يكونوا
مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير اراد ان
يكونوا نقادا في الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا
اعترضهم امران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حرصا
على ما هو اقرب عند الله واكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار اثبتها
على السبك واقواها عند السبر وابينها دليلا وامارة وان لا تكون في مذهبك
كما قال القايل ولا تكن مثل عير قيد فانقادا يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن و
غيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون اوامر الله فيتبعون احسنها نحو القصاص
والعفو والانتصار والاغضاء والابداء والاخفاء لقوله وان تعفوا اقرب للتقوى
وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس هو الرجل يجلس مع
القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساوي فيحدث باحسن ما سمع ويكف عما سواه
ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادي ويبتدي الذين يستمعون القول فخبره
على الابتداء اولئك الذين هديهم الله واولئك هم اولوا الالباب
افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من في النار اصل الكلام
افمن حق عليه كلمة العذاب فانت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار
والفاء فاء الجزاء ثم احلت الفاء التي في اولها للعطف على محذوف يدل عليه
الخطاب تقديره أانت مالك امرهم فمن حق عليه العذاب فانت تنقذه والهمزة
الثانية هي الاولى كررت لتأكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من في النار
موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر وهو ان يكون الآية

جملتين افمن حق عليه العذاب فانت تخلصه افانت تنقذ من في النار دعا ما جاز
حذف فانت تخلصه لان افانت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم
في الدنيا منزلة دخولهم في النار حتى نزل اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وآله
وكده نفسه في دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار وقوله افانت تنقذ
يفيد ان الله تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك
احد غيره فكما لا تقدر انت ان تنقذ الداخل في النار لا تقدر ان تخلصه مما هو فيه
من استحقاق العذاب بتحصيل الايمان فيه لكن الذين اتقوا ربهم لهم
غرف من فوقها غرف علالي بعضها فوق بعض ما معنى قوله مبنية
معناه والله اعلم انها بنيت بناء المنازل التي على الارض وسويت تسوية
تجري من تحتها الانهار كما تجري من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل
وعد الله مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف في معنى وعدهم الله ذلك لا يخلف
الله الميعاد الم تر ان الله انزل من السماء ماء هو المطر وقيل كل ماء في
الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه فسلكه فادخله ينابيع
في الارض عيونا ومسالك ومجاري كالعروق في الاجساد ثم يخرج به زرعا
مختلفا الوانه هيئاته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك او
اصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها ثم يهيج فتراه مصفرا يتم جفافه
عن الاصمعي لانه اذا تم جفافه حان له ان يثور عن منابته ويذهب ثم يجعله
حطاما فتاتا ودريسا ان في ذلك لذكرى وتنبيها لاولي الالباب على
انه لا بد من صانع حكيم وان ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال
ويجوز ان يكون مثلا للدنيا كقوله انما مثل الحيوة الدنيا وقرئ مصفارا افمن
شرح الله صدره للاسلام من عرف الله انه من اهل اللطف فلطف
به حتى انشرح صدره للاسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج
قاسي القلب فهو على نور من ربه ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم هذه الآية فقيل يا رسول الله فكيف انشراح الصدر
قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله فما علامة ذلك

قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت
قبل نزول الموت وهو نظير قوله امن هو قانت في حذف الخبر فويل للقاسية
قلوبهم من ذكر الله من اجل ذكره اي اذا ذكر الله عندهم او آياته
اشمازوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم
وقرئ عن ذكر الله ما الفرق بين من وعن في هذا
اذا قلت قسي قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من ان القسوة من
اجل الذكر وبسببه واذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ
عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة اي من اجل عطشه و
سقاه عن العيمة اذا رواه حتى ابعده عن العطش عن ابن مسعود رضي ان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت اولئك
في ضلال مبين الله نزل احسن الحديث وايقاع اسم الله مبتدأ
وبناء نزل عليه فيه تفخيم لاحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتاكيد
لاستناده الى الله وانه من عنده وان مثله لا يجوز ان يصدر الا عنه وتنبيه
على انه وحي معجز مباين لسائر الاحاديث وكتابا بدل من احسن الحديث و
يحتمل ان يكون حالا منه متشابها مطلق في مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا
لتشابه معانيه في الصحة والاحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة
الخلق وتناسب الفاظه وتناصفها في التخير والاصابة وتجاوب نظمه
وتاليفه في الاعجاز والتبكيت ويجوز ان يكون مثاني بيانا لكونه متشابها لان
القصص المكررة لا تكون الا متشابهة والمثاني جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر
لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده و
مواعظه وقيل لانه يثنى في التلاوة فلا يمل كما جاء في وصفه لا يتفه ولا يتشان
ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز ان يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير
والاعادة كما كان قوله ثم ارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك
وسعديك وحنانيك كيف وصف الواحد بالجمع انما صح ذلك لان
الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشيء هي جملته لا غير الا تراك تقول القرآن

اسباع واخماس وسور وآيات فكذلك تقول اقاصيص واحكام ومواعظ مكررة
ونظيره قولك الانسان عظام وعروق واعصاب الا انك تركت الموصوف الى
الصفة واصله كتابا متشابها فصولا مثاني ويجوز ان يكون كقولك برمة اعشار وثوب اخلاق
ويجوز ان لا يكون مثاني صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت
رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه   ما فائدة التثنية والتكرير
النفوس انفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ
فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يكرر عليهم
ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا
شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف
رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من
الخوف وقف شعره وهو مثل في شدة الخوف ويجوز ان يريد به الله سبحانه التمثيل
تصويرا لافراط خشيتهم وان يريد التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا بالقرآن
وبآيات وعيده اصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم تلين جلودهم و
قلوبهم الى ذكر الله ثم اذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت
جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة
ما وجه تعديته لان بالى   ضمن معنى فعل متعد بالى كأنه قيل سكنت او اطمأنت
الى ذكر الله لينة غير متقبضة راجية غير خاشية   لم اقتصر على ذكر الله
من غير ذكر الرحمة   لان اصل امره الرحمة والرأفة هي سابقة غضبه ولاصالة
رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شيء من صفاته الا كونه رؤفا رحيما
لم ذكرت الجلود وحدها اولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا
اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم
من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في اول وهلة فاذا ذكروا الله ومبنى امره
على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا
في جلودهم ذلك اشارة الى الكتاب وهو هدى الله يهدي به من يشاء يوفقه به

يعني عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال
هدى للمتقين ومن يضلل الله ومن يخذله من الفساق والفجرة فما له من هاد
او ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله وهو لطفه فسماه هدى
لانه حاصل بالهدى يهدي به بهذه الاثر من يشاء من عباده يعني صحب
اولئك وتراهم خاشين راجين فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم
وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله من لم يؤثر فيه الطافه لقسوة قلبه
واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر بشيء قط افمن يتقي يقال اتقاه
بدرقته واستقبله بها فوقى بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره افمن يتقي
بوجهه سوء العذاب يوم القيمة كمن امن العذاب فحذف الخبر كما حذف في
نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه ان الانسان اذا لقي مخوفا من المخاوف
استقبله بيده وطلب ان يقي بها وجهه لانه اعز اعضائه والذي يلقى في النار
يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له ان يتقي النار الا بوجهه الذي كان
يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل
نزلت في ابي جهل وقيل للظالمين تقول لهم خزنة النار ذوقوا وبال ما كنتم تكسبون
كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة
التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم ان الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون رافهون
اذ فوجئوا من مأمنهم فأذاقهم الله الخزي في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر
لو كانوا يعلمون والخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل و
الجلاء وما اشبه ذلك من نكال الله ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا حال مؤكدة كقولك جاءني
زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا ويجوز ان ينتصب على المدح غير ذي عوج مستقيما بريئا
من التناقض والاختلاف لعلهم يتقون   فهلا قيل مستقيما او غير معوج
فيه فائدتان احديهما نفي ان يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا
والثاني ان لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك
واللبس وانشد وقد اتاك يقين غير ذي عوج من الاله وقول غير مكذوب

المدح

ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل
واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء
بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي انه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه
في مهن شتى ومشادة واذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير في امره سادر
قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت افكاره لا يدري ايهم يرضي بخدمته وعلى
ايهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه
من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع اي هذين العبدين
احسن حالا واحمد شانا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على
مذهبه من ان يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا
كما قال ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضايعا لا يدري ايهم يعبد وعلى ربوبية
ايهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه اوزاع وحال من لم
يثبت الا الها واحدا فهو قايم بما كلفه عارف بما ارضاه وما اسخطه متفضل عليه في
عاجله مؤمل للثواب في آجله وفيه صلة شركاء كما يقول اشتركوا فيه والتشاكس
والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست احواله وتشاخست اسنانه سالما لرجل
خالصا له وقرئ سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين
وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل اي ذا خلوص له من الشركة من قوله
سلمت له الضيعة وقرئ بالرفع على الابتداء اي وهناك رجل سالم لرجل وانما جعله
رجلا ليكون افطن لما شقي به او سعد فان المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك
هل يستويان مثلا صفة على التمييز والمعنى هل تستوي صفتاهما وحالاهما
وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله واكثر
شبها [illegible] منهم فرقا ويجوز فيمن قرأ مثلين ان يكون الضمير في
يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية
كما تقول كفى بهما رجلين الحمد لله الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود
سواه اي يجب ان يكون الحمد متوجها اليه وحده والعبادة فقد ثبت انه
لا اله الا هو بل اكثرهم لا يعلمون فيشركون به غيره انك ميت

وانهم ميتون كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم موته
واخبر ان الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة نعى
الى نبيه نفسه ونعى اليكم انفسكم وقرئ مائت ومائتون والفرق بين الميت
والمائت ان الميت صفة لازمة كالسيد واما المائت فصفة حادثة تقول زيد
مائت غدا كما تقول سائد غدا اي سيموت وسيسود واذا قلت زيد ميت فكما تقول
حي في نقيضه فيما يرجع الى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله انك ميت
وانهم ميتون انك واياهم وان كنتم احياء فانتم في عداد الموتى لان ما
هو كائن فكأن قد كان ثم انكم ثم انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغياب
يوم القيامة عند ربكم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغت فكذبوا واجتهدت
في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الاتباع اطعنا
سادتنا وكبراءنا وتقول السادات اغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون
وقد حمل على اختصام الجميع وان الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا
تختصموا لدي والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج واهل القبلة يكون بينهم الخصام
قال عبد الله بن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى ان هذه الآية انزلت فينا
وفي اهل الكتابين قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رايت بعضنا
يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت انها نزلت فينا وقال ابو سعيد الخدري كنا نقول
ربنا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا
على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم النخعي قالت
الصحابة ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن
ابي العالية نزلت في اهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما
قدمت اولا الا ترى الى قوله فمن اظلم ممن كذب على الله وقوله والذي
جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة كذب
على الله افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه وكذب بالصدق بالامر
الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم اذ جاءه فاجاه
بالتكذيب حين سمع به من غير وقفة لاعمال روية واهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل

اهل الصفة فيما يسمعون أليس في جهنم مثوى للكافرين اي لهؤلاء
الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في للكافرين اشارة اليهم
والذي جاء بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه واله وسلم جاء
بالحق وآمن به واراد به اياه ومن تبعه كما اراد بموسى اياه وقومه في قوله
ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال اولئك هم المتقون
الا ان هذه في الصفة وذاك في الاسم ويجوز ان يريد والفوج او الفريق الذي
جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق
وصدقوا به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة
ابن مسعود والذين جاوا بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف اي صدق
به الناس ولم يكذبهم به يعني اداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار
صادقا به اي بسببه لان القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا
يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز ان يصدق الا الصادق فيصير لذلك
صادقا بالمعجزة وقرئ وصدق به لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين
ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا
يعملون ما معنى اضافة الاسوأ والاحسن الى الذين عملوا وما معنى التفضيل
فيهما اما الاضافة فما هي من اضافة افعل الى الجملة التي يفضل عليها ولكن
هو احسن الرجال فانك تثبت الحسن لكلهم تفضله عليهم ولكن من اضافة الشيء الى ما
هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج اعدل بني مروان واما التفضيل فايذان
بان الشيء الذي يفرط منهم من الصغائر المكفرة هو عندهم الاسوأ لاستعظامهم المعصية
والحسن الذي يعملونه هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم
بالاسوأ وحسنهم بالاحسن وقرئ اسواء الذي عملوا جمع سوء أليس الله بكاف
عبده ادخلت همزة الانكار على كلمة النفي فافيد معنى اثبات الكفاية و
تقريرها وقرئ بكاف عباده وهو رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وكاف عباده
وهم الانبياء عليهم السلام وذلك ان قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم
انا نخاف ان تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك معرتها لعيبك اياها ويروى انه بعث

وقرئ

ويخوفونك

الى العزى ليكسرها فقال له سادنها احذركها يا خالد ان لها لشدة لا يقوم
لها شيء فعمد اليها فهشم انفها فقال الله عز وجل أليس الله بكاف عبده ان يعصمه
من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف وفي هذا تهكم بهم لانهم خوفوه
ما لا يقدر على نفع ولا ضر او أليس الله بكاف انبيائه ولقد قالت اممهم نحو
ذلك فكفاهم الله تعالى وذلك قول هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا
بسوء ويجوز ان يريد العبد والعباد على الاطلاق لانه كافيهم في الشدائد وكافل
مصالحهم وقرئ بكافي عباده على الاضافة وكافي عباده ويكافي ويحتمل ان يكون
غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي في يجزي وهو ابلغ من كفى لبنائه
على لفظ المغالبة والمباراة وان يكون مهموزا من المكافاة وهي المجازاة لما تقدم
من قوله ويجزيهم اجرهم بالذين من دونه اراد الاوثان التي اتخذوها آلهة
من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل
أليس الله بعزيز بغالب منيع ذي انتقام ينتقم من اعدائه وفيه وعيد لقريش
ووعد للمؤمنين بانه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان
ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة هل هن
ممسكات رحمته وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل وبالاضافة
للتخفيف لم فرض المسألة في نفسه دونهم لانهم خوفوه معرة الاوثان
وتخبيلها فامر بان يقررهم اولا بان خالق العالم هو الله وحده ثم بعد التقرير فان
ارادني خالق العالم الذي اقررتم به بضر من مرض او فقر او غير ذلك من النوازل
او برحمة من صحة او غنى ونحوها هل هؤلاء اللاتي خوفتموني اياهن كاشفات
عني ضره او ممسكات رحمته حتى اذا القمهم وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال
حسبي الله كافيا لمعرة اوثانكم عليه يتوكل المتوكلون وفيه تهكم ويروى
ان النبي صلى الله عليه واله وسلم سالهم فسكتوا فنزل قل حسبي الله لم قيل
كاشفات وممسكات على التانيث بعد قوله ويخوفونك بالذين من دونه
انثهن وكن اناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى أفرأيتم اللات والعزى

الى قوله الانثى لضعفها وعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر
وامساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين والرخاوة كما ان الذكورة من باب الشدة
والصلابة كانه قال الاناث اللاتي هن اللات والعزى ومناة اضعف مما تدعون لهن من
العجز وفيه تهكم ايضا قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالكم التي انتم عليها وجهتكم
من العداوة التي تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما
يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان اني عامل حق الكلام فاني عامل
على مكانتي فحذف للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بان حاله
لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين
كله الا ترى الى قوله فسوف تعلمون كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم في الدنيا
والآخرة من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم لانهم اذا اتاهم الخزي
والعذاب فذلك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من اوليائه وبذل
ذليل من اعدائه يخزيه مثل مقيم في وقوعه صفة للعذاب اي عذاب مخزي له وهو
يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار وقرئ مكاناتكم انا انزلنا عليك الكتاب
للناس لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى
الطاعة على المعصية ولا حاجة الى ذلك فانا الغني فمن اهتدى فانما يهتدي
لنفسه فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن ضل فانما يضل عليها ومن اختار
الضلالة فقد ضرها وما انت عليهم بوكيل وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى
فان التكليف مبني على الاختيار دون الاجبار الله يتوفى الانفس حين
موتها ويتوفيها اماتتها وهو ان يسلب ما هي به حية حساسة دراكة من صحة اجزائها
وسلامتها لانها عند سلب الصحة كان ذاتها قد سلبت والتي لم تمت في منامها
اي يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم
بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما ان الموتى كذلك فيمسك التي قضى عليها
الموت الحقيقي اي لا يردها في وقتها حية ويرسل الاخرى النائمة الى اجل مسمى
الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهي الانفس التي
يكون معها الحيوة والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت في منامها وهي انفس التمييز قالوا

فالتي تتوفى في النوم هي نفس التمييز لا نفس الحيوة لان نفس الحيوة اذا زالت
زال معها النفس والنائم يتنفس وورد عن ابن عباس رضي الله عنهما في ابن آدم نفس
وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس
والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت
اولا لان الله تعالى علق التوفي والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا
بنفس الحيوة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم وانما
الجملة هي التي تموت وهي التي تنام ان في ذلك الذي من توفي الانفس مائتة ونائمة
وامساكها وارسالها الى اجل لآيات على قدرة الله
وعلمه لقوم يتفكرون يجيلون فيه افكارهم ويعتبرون وقرئ قضي عليها
الموت على البناء للمفعول ام اتخذوا بل اتخذ قريش والهمزة للانكار من
دون الله من دون اذنه شفعاء حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله
ولا يشفع عنده احد الا باذنه الا ترى الى قوله قل اولو كانوا لا يملكون
شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا اي هو مالكها فلا يستطيع احد
شفاعة الا بشرطين ان يكون المشفوع له مرتضى وان يكون الشفيع مأذونا
له وههنا الشرطان مفقودان جميعا اولو كانوا معناه ايشفعون ولو كانوا لا
يملكون شيئا ولا يعقلون اي ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيئا
قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم له ملك السموات والارض تقرير لقوله
لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا
لها ثم يتصل قوله ثم اليه ترجعون بما يليه معناه له ملك السموات
والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيمة فلا يكون الملك الا له فله ملك
الدنيا والاخرة مدار المعنى على واذا ذكر الله وحده اي اذا افرد الله
بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة
اشمأزوا اي نفروا وانقبضوا واذا ذكر الذين من دونه وهم آلهتهم
ذكر الله معهم او لم يذكر اذا هم يستبشرون استبشروا لافتتانهم ونسيانهم
حق الله الى هواهم فيها وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له

نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم وقيل اراد استبشارهم بما سبق اليهم لسان رسول
صلى الله عليه وآله وسلم من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا
معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية في
بابه لان الاستبشار ان يمتلئ قلبه سرورا حتى ينبسط له بشرة وجهه ويتهلل
والاشمئزاز ان يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض في اديم وجهه
ما العامل في اذا ذكر العامل في اذا المفاجاة تقديره وقت ذكر الذين
من دونه فاجؤا وقت الاستبشار بعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهم وبشدة
شكيمتهم في الكفر والعناد قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون فقيل
له ادع الله باسمائه العظمى وقل انت وحدك تقدر على الحكم بيني وبينهم
ولا حيلة لغيرك فيهم ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وفيه وصف لحالهم واعذار لرسول
صلى الله عليه وآله وسلم وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع بن خثيم وكان
قليل الكلام انه اخبر بقتل الحسين عليه السلام وسخط على قاتله وقالوا الآن
يتكلم فما زاد على ان قال آه او قد فعلوا وقرأ هذه الآية وروي انه قال على
اثره قتل من كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجلسه في حجره
ويضع فاه على فيه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
وعيد لكنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله في الوعد فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم
يكن قط في حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا اعمالا حسبوها
حسنات فاذا هي سيئات وعن سفيان الثوري انه قرأها فقال ويل لاهل
الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال آية
من كتاب الله فتلاها فانا اخشى ان يبدو لي من الله تعالى ما لم احتسبه و
بدا لهم سيئات ما كسبوا اي سيئات اعمالهم التي كسبوها او سيئات
كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله احصاه الله ونسوه

ارادة السيئات انواع العذاب التي يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيئات
كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون
ونزل بهم واحاط جزاء هزئهم فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم
اذا خولناه نعمة التخويل مختص بالتفضل يقال خولني اذا اعطاك على غير جزاء
قال انما اوتيته على علم اي على علم مني اني ساعطاه لما في من فضل و
استحقاق او على علم من الله بي وباستحقاقي او على علم مني بوجوه الكسب كما
قال قارون على علم عندي لم ذكر الضمير في اوتيته وهو للنعمة
ذهابا به الى المعنى لان قوله نعمة منا شيئا من النعمة وقسما منها ويحتمل ان
يكون ما في انما موصولة لا كافة فيرجع اليه الضمير على معنى ان الذي اوتيته على
علم ان الذي اوتيته على علم بل هي فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون انكار
لقوله كانه قال ما خولناك من النعمة لما تقول بل هي فتنة اي ابتلاء وامتحان
لك اتشكر ام تكفر كيف ذكر الضمير ثم انثه حملا على المعنى اولا
وعلى اللفظ آخرا ولان الخبر لما كان مؤنثا اعني فتنة ساغ تانيث المبتدا لاجله
لانه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق انما اوتيته
ما السبب في عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها في اول السورة بالواو
السبب في ذلك ان هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده
اشمأزت على معنى انهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا
مس احدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما
اعتراض حق الاعتراض ان يؤكد المعترض بينه وبينه ما في الاعتراض
من دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه بامر منه وقوله انت تحكم بينهم
ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تاكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم
الى الله في الشدائد دون آلهتهم كانه قيل قل يا رب لا يحكم بيني وبين هؤلاء الذين
يجترؤن عليك مثل هذه الجراءة ويرتكبون مثل هذا المنكر الا انت وقوله ولو ان للذين
ظلموا ما في الارض متناول لهم او لكل ظالم ان جعل مطلقا او اياهم خاصة ان
عنيتهم به كانه قيل ولو ان لهؤلاء الظالمين ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا

به حين الحكم عليهم بالسوء العذاب وهذا الاشراف والنكت لا يبرزه الا علم
ولا بقيت محتجبة في اكمامها واما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هي الا
جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو
من اي وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتضي لالتجائهم اليه بل
هو مقتضي لصدوفهم عنه في هذا التسبيب لطف وبيانه انك تقول زيد مؤمن
بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا سبب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله
فاذا مسه ضر التجأ اليه المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان ويجريه مجراه
في جعله سببا في الالتجاء فانت تحكي ما عكس فيه الكافر الا ترى انك تقصد
بهذا الكلام الانكار والتعجب من فعله الضمير في قد قالها راجع الى قوله انما اوتيته
على علم عندي وهو من ربه لانها كلمة او جملة من القول وقرئ قد قاله على معنى القول
والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على
علم عندي وقومه راضون بها فكانهم قالوها ويجوز ان يكون في الامم الخالية آخرون
قائلون مثلها فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا ويجمعون منه
فاصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء من مشركي قومك سيصيبهم
سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين فقد اصابهم ببدر وحبس عنهم الرزق
فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم اولم يعلموا ان الله
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه لا قابض ولا باسط الا الله ان في ذلك لآيات
لقوم يؤمنون قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
قرئ بفتح النون وكسرها وضمها ان الله يغفر الذنوب جميعا يعني بشرط التوبة وقد
تكرر ذكر هذا الشرط في القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر
فيه لان القرآن في حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفي قراءة ابن مسعود
وابن عباس يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لان مشيئة الله تابعة
لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل في قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة
عليها السلام يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي ونظير نفي المبالاة نفي الخوف في قوله ولا يخاف عقباها
وقيل قال اهل مكة يزعم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم

ش ما اصاب اولئك

الله عز وجل لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التي حرم الله فنزلت
وروي انه اسلم عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا
فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا ابدا فنزلت فكتب بها عمر رضي الله عنه اليهم فاسلموا
وهاجروا وقيل نزلت في وحشي قاتل حمزة عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ما احب ان لي الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ما احب ان لي الدنيا وما
فيها بهذه الآية ومن اشرك فسكت ساعة ثم قال الا ومن اشرك ثلاث مرات وانيبوا
الى ربكم وتوبوا اليه واسلموا له واخلصوا له العمل من قبل ان يأتيكم
العذاب ثم لا تنصرون وانما ذكر الانابة على اثر المغفرة لئلا يطمع طامع في حصولها
بغير توبة وللدلالة على انها شرط فيها لازم بدونه واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم
مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه من قبل ان يأتيكم العذاب
بغتة وانتم لا تشعرون اي يفجأكم وانتم غافلون كانكم لا تخشون شيئا لفرط غفلتكم
وسهوكم ان تقول نفس كراهة ان تقول لم نكرت لان المراد
بعض الانفس وهي نفس الكافر ويجوز ان يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج
في الكفر شديد او بعذاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى
ورب بقيع لو هتفت بجوه اتاني كريم ينفض الرأس مغضبا وهو يريد افواجا من الكرام
لا كريما واحدا ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا
يقصد الا التكثير يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وقرئ يا حسرتي على
الاصل ويا حسرتاي على الجمع بين العوض والمعوض منه والجنب الجانب يقال انا في جنب
فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط في جنبه وفي جانبه
يريدون في حقه قال سابق البربري اما تتقين الله في جنب وامق له كبد حرى عليك تقطع
وهذا من باب الكناية لانك اذا اثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد اثبته فيه الا ترى
الى قوله ان السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج ومنه قول الناس
لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفي الحديث من الشرك الخفي ان يصلي الرجل لمكان
الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن ثم لم يبق فرق فيما يرجع الى اداء الغرض بين ذكر
المكان وتركه قيل فرطت في جنب الله على معنى فرطت في ذات الله
فرجع كلامك الى ذكر

الجنب كلا ذكر سوى ما يعطي من حسن الكناية وبلاغتها فكأنه قيل فرطت في الله فما
معنى فرطت في الله لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب او لم يذكر والمعنى
فرطت في طاعة الله وعبادة الله وما اشبه ذلك وفي قراءة عبد الله وحفصة في
ذكر الله وما في ما فرطت مصدرية مثلها في بما رحبت وان كنت لمن الساخرين
قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل وان كنت النصب على
الحال كانه قال فرطت وانا ساخر اي فرطت في حال سخريتي وروي انه كان في بني اسرائيل
عالم ترك علمه وفسق اتاه ابليس فقال له تمتع من الدنيا ثم تب فاطاعه فكان له مال
فانفقه في الفجور فاتاه ملك الموت في الذ ما كان فقال يا حسرتا على ما فرطت في
جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان واسخطت ربي فندم حين لم ينفعه الندم فانزل
الله تعالى خبره في القرآن او تقول لو ان الله هداني لا يخلو اما ان يريد به الهداية
بالالجاء او بالالطاف او بالوحي فالالجاء خارج من الحكمة ولم يكن من اهل الالطاف
فيلطف به واما الوحي فقد كان ولكنه اعرض ولم يتبعه حتى يهتدي وانما يقول هذا
تحيرا في امره وتعللا بما لا يجدي عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين
ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله بلى قد جاءتك آياتي رد من الله
عليه معناه بلى قد هديت بالوحي فكذبت به واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر
على الايمان والضلالة على الهدى وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس
هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو لو ان الله هداني ولم يفصل بينهما باية
لانه لا يخلو اما ان يقدم على اخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن واما ان تؤخر القرينة
الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرينتين واما الثاني
فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية
ثم تمني الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو انه حكى اقوال النفس على ترتيبها
ونظمها ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمني الرجعة فكان الصواب بما جاء عليه وهو انه
اجاب من بينها عما اقتضى الجواب كيف صح ان يقع بلى جوابا لغير منفي
لو ان الله هداني فيه معنى ما هديت ويوم القيمة ترى الذين كذبوا
على الله وصفوه بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه فاضافوا اليه الولد والشريك

لكنت من المتقين

او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين

وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله امرنا
بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح ويجوزون ان يخلق خلقا لا لغرض
ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا
بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا مستترين بالبلكفة ويجعلون له اندادا
باثباتهم معه قدماء وجوههم مسودة جملة في موضع الحال ان كان ترى من رؤية
البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب اليس في جهنم مثوى للمتكبرين
وينجي الله الذين اتقوا وقرئ ينجي وينجي بمفازتهم بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا افلح
به وظفر بمراده وتفسير المفازة قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون كانه قيل
وما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء اي ينجيهم بنفي السوء والحزن عنهم او بسبب منجاتهم
من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب اي بمنجاة منه لان النجاة من اعظم
الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما المفازة بالاعمال
ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز ان
يسمى العمل الصالح في نفسه مفازة لانه سببها وقرئ بمفازاتهم على ان لكل متق
مفازة لا يمسهم ما محله من الاعراب على التفسيرين اما على التفسير
الاول فلا محل له لانه كلام مستانف واما على الثاني فمحله النصب على الحال الله خالق
كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والارض اي هو
مالك امرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو
الذي يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان القيت اليه مقاليد الملك وهي المفاتيح ولا واحد
لها من لفظها وقيل مقليد ويقال اقليد واقاليد والكلمة اصلها فارسية
ما للكتاب العربي المبين والفارسية التعريب احالها عربية كما اخرج الاستعمال
المهمل من كونه مهملا بم اتصل قوله والذين كفروا بآيات الله
بقوله وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم والذين كفروا اولئك هم الخاسرون واعترض
بينهما بانه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شيء من اعمال المكلفين
فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على ان كل شيء في السموات
والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا ان يكون الامر كذلك اولئك هم الخاسرون

وقيل سأل عثمان رضي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله له مقاليد السموات
والارض فقال يا عثمان ما سألني عنها احد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر
وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر
والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير وتأويله على هذا ان لله هذه
الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين
اصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده اولئك هم الخاسرون
قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون أفغير الله منصوب بأعبد وتأمروني
اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض
آلهتنا ونؤمن بإلهك او ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمروني اعبد لانه في معنى تعبدونني
ويقولون لي اعبد والاصل تأمرونني ان اعبد لانه في معنى تعبدونني ويقولون
لي اعبد فحذف ان ورفع الفعل كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى
الا ترى انك تقول أفغير الله تأمروني اعبده وأفغير الله تأمروني ان اعبده
على صحة هذا الوجه قراءة وتأمروني على الادغام النون او حذفها ولقد اوحي
اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك قرئ ليحبطن
عملك وليحبطن على البناء للمفعول وليحبطن بالنون والياء اي ليحبطن الله او الشرك
الموحى اليهم جماعة فكيف قال لئن اشركت على التوحيد
اوحي اليك لئن اشركت ليحبطن والى الذين من قبلك مثله او اوحي اليك والى
كل واحد منهم لئن اشركت كما تقول كسانا حلة اي كل واحد منا
بين اللامين اللام الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا
الجواب ساد مسد الجوابين اعني جوابي القسم والشرط كيف صح هذا
الكلام مع علم الله تعالى ان رسله لا يشركون ولا يحبط اعمالهم هو على
سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لاغراض فكيف بما ليس بمحال الا ترى الى قوله
ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا يعني على سبيل الالجاء وان يكون
ذلك لامتناع الداعي اليه ووجود الصارف عنه ما معنى قوله ولتكونن
من الخاسرين يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن

في الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا انفسهم ان مت على الردة ويجوز
ان يكون غضب الله على الرسول اشد فلا يمهله بعد الردة الا ترى الى قوله اذا لاذقناك
ضعف الحيوة وضعف الممات بل الله فاعبد رد لما امروه به من استلام بعض
آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما امروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط
وجعل تقديم المفعول عوضا عنه وكن من الشاكرين على ما انعم به عليك
من ان جعلك سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه
تقديره بل الله اعبد فاعبد لما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق
معرفته وقدره في نفسه حق قدره عظمه حق تعظيمه قيل وما قدروا الله
حق قدره وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه حق تعظيمه ثم نبههم على عظمته
وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه والغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه
تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين
الى جهة حقيقة او جهة مجاز وكذلك حكم ما روي ان يهوديا قال يا ابا القاسم
ان الله يمسك السموات يوم القيمة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على
اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول
انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعجبا مما قال ثم قرأ تصديقا له
وما قدروا الله الآية وانما ضحك افصح العرب وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه
علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شيء من ذلك ولكن
فهمه وقع اول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة
الباهرة وان الافعال العظام التي تتحير فيها الاذهان ولا تكتنهها الاوهام هينة
عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة في مثل هذه
الطريقة من التخييل ولا ترى في علم البيان ادق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع
على تعاطي تأويل المتشابهات من كلام الله في القرآن وسائر الكتب السماوية
وكلام الانبياء فان اكثره وعليته تخييلات قد زلت فيها الاقدام قديما وما اتي
الزالون الا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا ان في عداد العلوم الدقيقة علما لو

قدروه حق قدره لما خفي عليهم ان العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذ لا
يحل عقدها الموربة ولا يفك قيودها المكربة الا هو وكم آية من آيات التنزيل
وحديث من احاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات
الغثة والوجوه الرثة لان من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير ولا يعرف
قبيلا منه من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا
وقوله والسموات ولان الموضع موضع تفخيم وتعظيم فهو مقتض للمبالغة ومع
القصد الى الجمع وتأكيده بالجميع اتبع الجميع مؤكده قبل مجيء الخبر ليعلم اول الامر
ان الخبر الذي يرد لا يقع عن ارض واحدة ولكن عن الاراضي كلهن والقبضة
المرة من القبض فقبضت قبضة من اثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف
ويقال ايضا اعطني قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روي
انه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته
اي ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعني ان الارضين مع عظمهن وبسطتهن
لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته كانه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور
اكلة لقمان والقلة جرعته اي ذات اكلة وذات جرعة تريد انهما لا يفيان الا
باكلة فذة من اكلاته وجرعة فردة من جرعاته واذا اريد معنى القبضة فظاهر
لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار ما يقبضه بكف واحدة
قرأه من قرأه بالنصب جعلها ظرفا مشبها للمؤقت بالمبهم مطويات من الطي
الذي هو ضد النشر كما قال الله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل وعادة طاوي
السجل ان يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته
وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه اقسم ان يفنيها ومن اشتم رائحة
من علمنا فليعرض عليه هذا التاويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكي حمية لكلام
الله المعجز بفصاحته وما مني به من امثاله واثقل منه على الروح واصدع للكبد تدوين
العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به
من السامعين وقرئ مطويات بيمينه على نظم السموات في حكم الارض ودخولها تحت
القبضة ونصب مطويات على الحال سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد من

قدرته وعظمته وما اعلاه عما يضاف اليه من الشركاء اخرى
ما محلها من الاعراب يحتمل الرفع والنصب اما الرفع فعلى قوله فنفخ في
الصور نفخة واحدة واما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى ونفخ في الصور
واحدة ثم نفخ فيه اخرى وانما حذفت لدلالة اخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها
في غير مكان وقرئ قياما ينظرون يقلبون ابصارهم في الجهات نظر المبهوت اذا
فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز ان يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود
في مكانهم لتحيرهم واشرقت الارض بنور ربها قد استعار الله عز وجل النور للحق والقرآن
والبرهان في مواضع من التنزيل وهذا من ذاك ووضع الكتاب وجيء بالنبيين
والشهداء وقضي بينهم بالحق والمعنى واشرقت الارض بما يقيمه فيها من الحق
والعدل ويبسطه من القسط في الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادي عليه بانه مستعار
اضافه الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث
ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين اهلها ولا ترى ازين
للبقاع من العدل ولا اعمر لها منه وفي هذه الاضافة ان ربها وخالقها هو الذي
يعدل فيها وانما يجور فيها غير ربها ثم ما عطف على اشراق الارض من وضع الكتاب والمجيء بالنبيين
والشهداء والقضاء بالحق هو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل
اشرقت الآفاق بعدلك واضاءت الدنيا بقسطك كما تقول اظلمت البلاد بجور فلان وقال
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وهم لا يظلمون كما ختم الآية
باثبات العدل ختمها بنفي الظلم وقرئ واشرقت على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق
اذا امتلأت به واغتصت واشرقها الله كما تقول ملأ الارض عدلا وطبقها عدلا
والكتاب صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ والشهداء الذين
يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار وقيل المستشهدون في سبيل الله ووفيت
كل نفس ما عملت وهو اعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا
الزمر الافواج المتفرقة بعضها في اثر بعض وقد تزمروا قال حتى احزأل الزمر بعد الزمر
وقيل في زمر الذين اتقوا هي الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم
حتى اذا جاءوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها الم يأتكم رسل منكم

يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا وقرئ نذر منكم لم اضيف اليهم اليوم اراد اليوم والايام مستفيضا واوقات الشدة قالوا بلى اتونا وتلوا علينا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وجبت علينا كلمة الله لاملان لسوء اعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا اعمالهم الموجبة لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين اللام في المتكبرين للجنس مثوى جهنم وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى هي التي يحكى بعدها الجمل والجملة الحكية بعدها هي الشرطية الا ان جزاءها محذوف وانما حذف لانه في صفة ثواب اهل الجنة فدل بحذفه على انه شيء لا يحيط به الوصف وحق موقعه ما بعدها لدين وقيل حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها اي مع فتح ابوابها وقيل ابواب جهنم لا يفتح الا عند دخول اهلها فيها واما ابواب الجنة فيتقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جيء بالواو كانه قيل حتى اذا جاؤوها وقد فتحت ابوابها لبعد عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق المراد بسوق اهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى الحبس او القتل والمراد بسوق اهل الجنة سوق مراكبهم لانه لا يذهب بهم الا راكبين وحثها اسراعا بهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين طبتم من دنس المعاصي وطهرتم من خبث الخطايا فادخلوها جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فانها دار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلا يدخلها الا مناسب لها موصوف بصفتها فما ابعد احوالنا من المناسبة وما اضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الا ان يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقي انفسنا من درن الذنوب وتميط وضر القلوب خالدين مقدرين الخلود وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض عبارة عن المكان الذي اقاموا فيه والمحذوف مقرا ومتبوأ وقد اورثوها اي ملكوها وجعلوا ملوكها واطلق تصرفهم فيها كما يتناول تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه

وذهابه في انقا قد طولا وعرضا ما يتمنونه حيث نشاء وهل يتبوأ مكان غيره يكون لكل واحد منهم لا يتصف سعة وزيادة عن الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى جنة غيره وترى الملائكة حافين محدقين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم يقولون سبحان الله والحمد لله تلذذا لا تعبدا الا لم يرجع الضمير في قوله وقضي بينهم يحتمل ان يرجع الى العباد كلهم وادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وان يرجع الى الملائكة على ان ثوابهم وان كانوا معصومين جميعا لا يكون على سنن واحد ولكن تفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم في اعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق قوله وقيل الحمد لله رب العالمين من القائل ذلك المقضي بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كانه قيل وقضي بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التي هي حقه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة واعطاه ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر تمت

بسم الله الرحمن الرحيم حم قرئ بامالة الالف وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار اخف الحركات نحو اين وكيف او النصب باضمار اقرأ ومنع الصرف للتانيث والتعريف او للتعريف وانها على زنة اعجمي نحو قابيل وهابيل تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب التوب والاوب اخوات في معنى الرجوع ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير الطول الفضل والزيادة يقال لهلال علي

فلان ذو طول وافضال يقال طال عليه وتطول اذا تفضل كيف اختلفت
هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضي ان يكون مثله معارف
اما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وانه يغفر الذنب
ويقبل التوب الآن او غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية
وانما اريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب العرش واما شديد
العقاب فمشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج
بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه ان يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف
هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بان كلها ابدال غير اوصاف ومثال ذلك قصيدة تفاعيلها
كلها على مستفعلن فهي محكوم عليها بانها من الرجز فان وقع فيها
جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل ان يقول هي صفات وانما حذف
الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ما قبله وما بعده فقد غيروا كثيرا من
كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه
فثنوا ما هو وتر لاجل ما هو شفع على ان الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك
ان يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك ان يفعل انه على نية الالف واللام كما كان
الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام ومما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة
الموصوف ويجوز ان يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى
ما لا شيء ادهى منه وامر لزيادة الانذار ويجوز ان يقال هذه النكتة هي الداعية
الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال ما بال الواو في وقابل التوب
فيها نكتة جليلة وهي افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين ان يقبل توبته
فيكتبها له طاعة من الطاعات وان يجعلها محاءة للذنوب كان لم يذنب كانه قال جامع المغفرة
والقبول وروي ان عمر رضي الله عنه افتقد رجلا ذا باس شديد من اهل الشام فقيل له
تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وانا احمد
اليك الله الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله اليه المصير
وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء
له بالتوبة فلما اتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه

ثم لم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ
عمر امره قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم اخاكم قد زل زلة فسددوه ووفقوه
وادعوا الله ان يتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشياطين عليه ما يجادل في
آيات الله الا الذين كفروا سجل على المجادلين في آيات الله
بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفاء
نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاما الجدال
فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم في استنباط معانيها
ورد اهل الزيغ بها وعنها فاعظم جهاد في سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم
ان جدالا في القرآن كفر وايراده منكرا وان لم يقل ان الجدال تمييز منه بين جدال
وجدال من اين تسبب لقوله فلا يغررك ما قبله من حيث انهم لما
كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا احد اشقى منه عند الله وجب
على من تحقق ذلك ان لا يرجح احوالهم في عينه ولا يغره اقبالهم في دنياهم وتقلبهم
في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في
بلاد الشام واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويتربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى
الزوال ووراءه شقاوة الابد كذبت قبلهم قوم نوح ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم
للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك
من الامم وما اخذهم به من عقابه واحله بساحتهم من انتقامه وقرئ لا يغرك
والاحزاب من بعدهم الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون و
غيرهم وهمت كل امة من هذه الامم التي هي قوم نوح والاحزاب برسولهم
وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته بما ارادوا من
تعذيب او قتل ويقال للاسير اخيذ فاخذتهم يعني انهم قصدوا اخذه فجعلت جزاءهم
على ارادة اخذه ان اخذتهم فكيف كان عقاب فانكم تمرون على بلادهم وتعاينون
اثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب وكذلك حقت كلمة ربك على
الذين كفروا انهم اصحاب النار في محل الرفع بدل من كلمة ربك اي مثل ذلك
الوجوب وجب على الكفرة كونهم من اصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا

بالعذاب المستاصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة او في محل النصب بحذف
لام التعليل وايصال الفعل والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا
الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم انهم من اصحاب النار
وقرئ كلمات الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم روي ان
حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع
لا يرفعون طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم
ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل
زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد
مرق رأسه وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفي الحديث ان
الله تعالى امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا
لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين
من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين الف عام وقيل حول العرش سبعون
الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف
قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر
وقرأ ابن عباس العرش بضم العين ما فائدة قوله ويؤمنون به
ولا يخفى على احد ان حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون
قلت فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير
موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب اعمال الخير بقوله ثم كان من الذين آمنوا
فابان بذلك فضل الايمان وفائدة اخرى وهي التنبيه على ان الامر لو كان كما يقول المجسمة لكان
حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان
الغائب فلما وصفوا بالايمان على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في الارض وكل
غائب عن ذلك المقام سواء في ان ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق
الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد روعي التناسب في قوله ويؤمنون به
ويستغفرون للذين آمنوا كانه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في الارض
مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب ان يكون ادعى شيء

الى النصيحة وابعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن
فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوي وارضي قط ثم لما جاء جامع الايمان
جاء معه التجانس الكلي والتناسب الحقيقي حتى استغفر من حول العرش لمن فوق
الارض قال الله تعالى ويستغفرون لمن في الارض يقولون ربنا وهذا المضمر يحتمل ان
يكون بيانا ليستغفرون مرفوع المحل مثله وان يكون حالا تعالى الله عن
المكان فكيف صح ان يقال ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما الرحمة والعلم هما
اللذان وسعا كل شيء في المعنى والاصل وسع كل شيء رحمتك وعلمك ولكن ازيل الكلام عن
اصله بان اسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم واخرجا منصوبين على التمييز للاغراق
في وصفه بالرحمة والعلم كان ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء فاغفر للذين تابوا وا
اتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم
ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم قد ذكر الرحمة والعلم فوجب ان يكون
ما بعد الفاء مشتملا على حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده معناه
للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل الله سبيل الحق التي نهجها لعباده
ودعا العباد اليها انك انت العزيز الحكيم اي الملك الذي لا يغلب وانت مع ملكك
وعزتك لا تفعل شيئا الا بداعي الحكمة وموجب حكمتك ان تفي بوعدك وقهم السيئات
اي العقوبات او جزاء السيئات فحذف المضاف على ان السيئات هي الصغائر او الكبائر
المتوب عنها والوقاية منها التكفير وقبول التوبة ومن تق السيئات يومئذ فقد
رحمته وذلك هو الفوز العظيم ما الفائدة في استغفارهم لهم وهم تائبون
صالحون موعودون المغفرة والله لا يخلف الميعاد هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته
زيادة الكرامة والثواب وقرئ جنة عدن وصلح بضم اللام والفتح افصح يقال صلح فهو صالح و
صلح وذريتهم ان الذين كفروا ينادون اي ينادون يوم القيامة فيقال لهم
لمقت الله اكبر والتقدير لمقت الله انفسكم اكبر من مقتكم انفسكم
فاستغنى بذكرها مرة واذ تدعون منصوب بالمقت الاول والمعنى انه يقال لهم يوم القيامة
كان الله يمقت انفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء يدعونكم الى الايمان
فتابون قبوله وتختارون عليه الكفر اشد مما تمقتونهن اليوم وانتم في النار اذ اوقعتكم

آبائهم و

فتكفرون

لكان

فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما رأوا اعمالهم الخبيثة مقتوا انفسهم فنودوا
لمقت الله وقيل معناه لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون تعليل والمقت اشد البغض فوضع
في موضع ابلغ الانكار واشده **قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين**
اماتتين واحياءتين او موتتين وحيوتين واراد بالاماتتين خلقهم امواتا اولا واماتتهم
عند انقضاء آجالهم وبالاحياءتين الاحياءة الاولى واحياءة البعث وناهيك تفسيرا
لذلك قوله تعالى وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن ابن عباس
كيف صح ان يسمي خلقهم امواتا اماتة كما صح ان يقول سبحان من صغر
جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع اسفلها
وليس ثم نقل من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من
سعة الى ضيق وانما اردت الانشاء على تلك الصفات والسبب في صحته ان الصغر
والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك الضيق والسعة
فاذا اختار الصانع احد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع
عن الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الاماتتين التي بعد حيوة الدنيا
والتي بعد حيوة القبر لزمه اثبات ثلث احياءات وهو خلاف ما في القرآن الا ان
يتمحل فيجعل احديهما غير معتد بها او يزعم ان الله يحييهم في القبور وتستمر بهم تلك
الحيوة فلا يموتون بعدها ويعدهم من المستثنين في قوله الا من شاء الله
كيف تسبب هذا لقوله **فاعترفنا بذنوبنا** قد انكروا البعث فكفروا واتبع
ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق في المعاصي فلما رأوا الاماتة
والاحياء قد تكررا عليهم علموا بان الله قادر على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا
بذنوبهم التي اقترفوها من انكار البعث وما تبعه من معاصيهم **فهل الى خروج**
اي الى نوع من الخروج سريع او بطيء **من سبيل** قط ام اليأس واقع دون ذلك
فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك
تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله **ذلكم** اي ذلكم الذي
انتم فيه وان لا سبيل لكم الى خروج قط **بانه اذا دعي الله وحده كفرتم** وان

وان يشرك به تؤمنوا بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به **فالحكم لله** حيث
حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله **العلي الكبير** دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى
ان عقاب مثله لا يكون الا كذلك وهو الذي يطابق كبرياءه ويناسب جبروته وقيل
كان الحرورية اخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا **هو الذي يريكم آياته**
من الريح والسحاب والرعد والبرق والصواعق ونحوها **وينزل لكم من السماء**
رزقا والرزق المطر لانه سببه **وما يتذكر الا من ينيب** وما يتعظ وما يعتبر
بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره
واتعاظه ثم قال للمنيبين **فادعوا الله** اي اعبدوه **مخلصين له الدين** من الشرك **ولو**
كره الكافرون وان غاظ ذلك اعداءكم ممن ليس على دينكم **رفيع الدرجات**
ذو العرش يلقي الروح ثلثة اخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذي يريكم او اخبار
مبتداء محذوف وهي مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح
ورفيع الدرجات كقوله ذي المعارج وهي مصاعد الملائكة الى ان تبلغ العرش وهي
دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز ان يكون
عبارة عن رفعة شانه وعلو سلطانه كما ان ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هي
درجات ثوابه التي ينزلها اولياءه في الجنة الروح **من امره** الذي هو سبب الحيوة
على من يشاء من امره يريد الوحي الذي هو امره بالخير وبعث عليه فاستعار له
الروح كما قال اومن كان ميتا **لينذر** الله او الملقى عليه وهو الرسول او الروح وقرئ
لتنذر اي لتنذر الروح لانها تنطق على خطاب الرسول وقرئ لينذر **يوم**
التلاق على البناء للمفعول ويوم التلاق يوم القيمة لان الخلائق تلتقي فيه وقيل
يلتقي فيه اهل السماء واهل الارض وقيل المعبود والعابد **يوم هم بارزون**
ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لان الارض بارزة قاع صفصف
ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء في الحديث يحشرون عراة حفاة
غرلا **لا يخفى على الله منهم شيء** اي من اعمالهم واحوالهم وعن ابن مسعود لا يخفى عليه
منهم شيء قوله لا يخفى على الله منهم شيء بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا
يخفى عليه منهم شيء برزوا او لم يبرزوا فما معناه معناه انهم كانوا يتوهمون

فاحييناه

في الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب ان لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم فهم اليوم
صايرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمون
ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون
من الله وذلك لعلمهم ان الناس يبصرونهم وظنهم ان الله تعالى لا يبصرهم
وهو معنى وبرزوا لله الواحد القهار لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
حكاية لما يسأل عنه في ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه انه ينادي مناد من
الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيمة
في صعيد واحد بارض بيضاء كانها سبيكة فضة لم يعص الله فيها قط فاول ما
تكلم ان ينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس
فهنا يقتضي ان يكون المنادي هو المجيب لما قرر ان الملك لله وحده في ذلك اليوم
عدد نتايج ذلك وهو ان كل نفس تجزى بما كسبت وان الظلم مامون لان الله
ليس بظلام للعبيد وان الحساب لا يبطي لان الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب
الخلق كله في وقت واحد وهو اسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا اخذ في
حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار الا فيها وانذرهم يوم الازفة
سميت لازوفها اي لقربها ويجوز ان يريد بيوم الازفة وقت الخطة الازفة وهي
دخول النار اذ القلوب لدى الحناجر تعند ذلك ترتفع عن مقارها فتلتصق بحناجرهم
فلا هي تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة
كالشجا كما قال فلما راوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا كاظمين نصب
انتصب هو حال عن اصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم
كاظمين عليها ويجوز ان يكون حالا عن القلوب وان القلوب كاظمة على غم وكرب
فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم
الذي هو من افعال العقلاء كما قال رايتهم لي ساجدين وقال فظلت اعناقهم لها
خاضعين ويعضده قراة من قرأ كاظمون ويجوز ان يكون حالا عن قوله وانذرهم
اي وانذرهم مقدرين او مشارفين الكظم كقوله فادخلوها خالدين ما للظالمين
من حميم الحميم المحب المشفق ولا شفيع يطاع المطاع مجاز في المشفع لان

الطاعة تجوز حقيقة الامر في انها لا تكون الا لمن فوقك ما معنى قوله
ولا شفيع يطاع يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا وان يتناول
الطاعة دون الشفاعة كما يقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده
وان عندك كتابا الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا وان لا كتاب عندك ولا كونه
مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره فعلى اي
الاحتمالين يجب حمله على نفي الامرين جميعا من قبل ان الشفعاء هم اولياء
الله واولياء الله لا يحبون ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان الله
لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال
الله تعالى وما للظالمين من انصار وقال لا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة
لا تكون الا في زيادة التفضل واهل التفضل وزيادته انما هم اهل الثواب بدليل
قوله ويزيدهم من فضله وعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع البتة
الغرض حاصل بذكر التشفيع ونفيه فما الفايدة في ذكر هذه الصفة ونفيها
في ذكرها فايدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد
على انتفاء الصفة لان الصفة لا تتاتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة
لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت
ما لي فرس اركبه ولا سلاح احارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح
علة مانعة عن الركوب والمحاربة كانك تقول كيف يتاتى مني الركوب والمحاربة
ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتاتى التشفيع
ولا شفيع وكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تاتيه بعدم الشفيع وضعا
لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه
يعلم خائنة الاعين الخائنة صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى
المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب ولا يحسن ان يراد
الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفي الصدور لا يساعد عليه بم اتصل
يعلم خائنة هو خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح
لكن يلقي الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق

الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته والله يقضي بالحق لان الذي
هذه صفاته واحواله لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم والذين
يدعون من دونه والهتكم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان الجماد لا يوصف
بالقضاء لا يقال فيه يقضي فيه او لا يقضي ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله
يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر
ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله انها لا تسمع ولا تبصر
وقرئ تدعون بالياء والتاء اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة فصل من حق
الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وهو اشد منهم
قد ضارع المعرفة في انه لا يدخله الالف واللام فاجري مجراه وقرئ منكم وهي في
مصاحف اهل الشام وآثارا في الارض فاخذهم الله بذنوبهم وما كان
لهم من الله من واق يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف
بالشدة من آثارهم او ارادوا اكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا
ارسلنا ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فكفروا
فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب ولقد ارسلنا موسى بآياتنا
وسلطان مبين وسلطان حجة ظاهرة وهي المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب
فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا فلما جاءهم بالحق بالنبوة قالوا اقتلوا
ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم اي اعيدوا عليهم ما كان من قتل الابناء و
استحياء النساء من قبل خيفة ان يولد المولود الذي انذرته به الكهنة بظهوره
وزوال ملكه على يده فكانت ذلك القتل وهذا قتل آخر وعن ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله قالوا اقتلوا اعيدوا عليهم القتل كالذي كان اولا يريد ان هذا
غير القتل الاول وما كيد الكافرين الا في ضلال في ضياع وذهاب باطلا لا
يجدي عليهم يعني انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله تعالى باظهار
من خافوه فما يغني عنهم هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى
احس بانه قد وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته

الى فرعون وهامان وقارون

كفنش

موسى وما علم ان كيده ضائع في الكرتين جميعا وقال فرعون ذروني اقتل
موسى كانوا اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس الذي تخافه بل هو اقل من ذلك واضعف وما هو الا
بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحرا مثله ويقولون اذا قتلته ادخلت الشبهة
على الناس واعتقدوا انك عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر ان فرعون كان قد استيقن
انه نبي وان ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالا
سفاكا للدماء في اهون شيء فكيف لا يقتل من احس منه بانه هو الذي يثل عرشه
ويهدم ملكه ولكن كان يخاف ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وقوله وليدع
ربه شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذروني
اقتل موسى تمويها على قومه وايهاما انهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا
ما في نفسه من هول الفزع ان يبدل دينكم ان يغير ما انتم عليه وكانوا
يعبدونه ويعبدون الاصنام بدليل قوله ويذرك وآلهتك او ان يظهر في
الارض الفساد والفساد في الارض التفاتن والتهارج الذي يذهب معه
الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا
كانه قال اني اخاف ان يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه او يفسد عليكم
دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفي مصاحف اهل الحجاز وان يظهر
بالواو ومعناه اني اخاف فساد دينكم ودنياكم وقرئ يظهر من اظهر و
الفساد منصوب اي يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من
تظهر بمعنى تظاهر اي تتابع وتعاون وقال موسى لما سمع موسى عليه السلم
بما اجراه فرعون لقومه اني عذت بربي وربكم بالله الذي هو ربي وربكم وقوله
وربكم فيه بعث لهم على ان يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه
اعتصامه وقال من كل متكبر ليشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة
وليكون على طريقة التعريض فيكون ابلغ واراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان
للحق وهو اقبح استكبار وادله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه
وعسفه وقال لا يؤمن بيوم الحساب لانه اذا اجتمع في الرجل التكبر والتكذيب بالجزاء
وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل اسباب القسوة والجراة على الله وعباده

اني اخاف

ولم يترك عظيمة الا ارتكبها ولدت اخوان وقرئ عنت بلاد غنام وقال رجل
مؤمن وقرئ رجل بسكون الجيم كما عضد في عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون
آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا ومن آل فرعون صفة لرجل او صلة ليكتم اي
يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان او حبيب وقيل حزبيل او حزبيل
والظاهر انه كان من آل فرعون فان المؤمنين من بني اسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا
والدليل عليه قول فرعون ابناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس
الله ان جاءنا دليل ظاهر على انه يتنصح لقومه اتقتلون رجلا ان يقول
يقول وهذا انكار منه وتبكيت شديد كانه قال اترتكبون الفعلة الشنعاء
التي هي قتل النفس محرمة وما لكم علة قط في ارتكابها الا كلمة الحق التي نطق
بها وهي قوله ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم مع انه لم يحضر لتصحيح
بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه
وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين به جماحهم ويكسر من
سورتهم ولك ان تقدر مضافا اي وقت ان يقول والمعنى اتقتلونه ساعة
سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر في امره وقوله بالبينات يريد
البينات العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها ثم اخذهم بالاحتجاج على طريق
التقسيم فقال لا يخلو من ان يكون كاذبا او صادقا وان يك كاذبا فعليه كذبه
اي يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره وان يك صادقا يصبكم بعض
الذي يعدكم ان تعرضتم له فان قلت لم قال بعض الذي يعدكم وهو نبي صادق
لا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله لا بعضه قلت لانه احتاج في مقاولة خصوم
موسى ومناكريه الى ان يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق الانصاف
في القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم انه اقرب الى تسليمهم لقوله
وادخل في تصديقهم له وقبولهم منه فقال يصبكم بعض الذي يعدكم وهو كلام
المنصف في مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك انه حين
فرضه صادقا فقد اثبت انه صادق في جميع ما يعد ولكنه اردفه يصبكم
بعض الذي يعدكم ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام

من اعطاه حقه وافيا فضلا ان يتعصب له او يرمي بالحصى من ورائه
وتقديم الكاذب على الصادق ايضا من هذا القبيل وكذلك قوله ان الله لا يهدي
من هو مسرف كذاب وعن ابي عبيدة البعض بالكل وانشد للبيد
تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها ان صحت الرواية
عنه فقد حق فيه قول المازني في مسألة العلقى كان اجفى من ان يفقه ما اقول له
ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يحتمل انه ان كان مسرفا كذابا خذله الله
واهلكه ولم يستقم له امر فتتخلصون منه وانه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة
ولما عضده بالبينات وقيل ما تولى ابو بكر رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كان اشد من ذلك طاف بالبيت فلقوه حين فرغ فاخذوا بمجامع ردائه فقالوا له انت
الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال انا ذلك فقام ابو بكر رضي الله عنه فالتزمه من ورائه
فقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك
وعيناه تسفحان حتى ارسلوه وعن جعفر الصادق رضي الله عنه ان مؤمن آل فرعون قاله
سرا وابو بكر قاله ظاهرا يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض في ارض مصر
عالين فيها على بني اسرائيل يعني ان لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا
تفسدوا امركم على انفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به
ان جاءكم ولا يمنعكم منه احد وقال فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا
لانه منهم في القرابة وليعلمهم بان الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه قال
فرعون ما اريكم الا ما ارى اي ما اشير عليكم برأي الا بما ارى من
قتله يعني لا استصوب الا قتله وهذا الذي تقولونه غير صواب وما
اهديكم بهذا الرأي الا سبيل الرشاد يريد سبيل الصواب والصلاح
او ما اعلمكم الا ما اعلم من الصواب ولا ادخر منه شيئا ولا اسر عنكم خلاف
ما اظهر يعني ان لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان
مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره
لم يستشر احدا ولم يقف الامر على الاشارة وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر
كعلام او من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من ارشد كجبار من اجبر وليس بذاك

لان فعالا من افعل لم يجئ الا في عدة احرف نحو دراك وسار وقصار وجبار
ولا يصح القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبه الى الرشد كعواج وبتات غير
منظور فيه الى فعل وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم
الاحزاب مثل ايامهم لانه لما اضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد و
وثمود ولم يلبس ان كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من
الجمع لان المضاف اليه اغنى عن ذلك كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا وقال
الزجاج مثل يوم حزب حزب ودأب هؤلاء دأبهم في عملهم من الكفر والتكذيب
وسائر المعاصي وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف
مضاف يريد مثل جزاء دأبهم بم انتصب مثل الثاني بانه عطف بيان
لمثل الاول لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت اهلك الله الاحزاب
قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى اعلام فسرى
ذلك الحكم الى اول ما تناولته الاضافة وما الله يريد ظلما للعباد يعني ان
كان عدلا وقسطا لانهم استوجبوه باعمالهم وهو ابلغ من قوله وما ربك بظلام
للعبيد حيث جعل المنفي ارادة الظلم لان من كان عن ارادة الظلم ابعد وحيث
نكر الظلم كانه نفى ان يريد ظلما لعباده ويجوز ان يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى
لعباده الكفر اي لا يريد لهم ان يظلموا يعني انه دمرهم لانهم كانوا ظالمين ويا قوم
اني اخاف عليكم يوم التناد التنادي ما حكى الله في سورة الاعراف من قوله
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ويجوز ان
يكون تصايحهم بالويل والثبور وقرئ بالتشديد وهو ان يند بعضهم من بعض كقوله
يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون
قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبينا هم يموج بعضهم في بعض اذا
سمعوا مناديا اقبلوا الى الحساب يوم تولون مدبرين ما لكم من الله
من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد عن قتادة منصرفين عن موقف
الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين ولقد جاءكم يوسف
من قبل بالبينات هو يوسف بن يعقوب عليهما السلم وقيل هو يوسف بن ابراهيم

مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم

بن يوسف بن يعقوب عليهم السلم اقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى
هو فرعون يوسف عمر الى زمانه وقيل هو فرعون آخر فما زلتم في شك مما جاءكم
به وبخهم بان يوسف اتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين
حتى اذا هلك قبض قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا حكما من عند انفسكم
من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول جحدتم
كفرتم بناء على حكمكم الباطل الذي اسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده
رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب لرسالة
من بعده مضموم الى تكذيب رسالته وقرئ الن يبعث الله على ادخال همزة الاستفهام
على حرف النفي كان بعضهم يقرر بعضا بنفي البعث ثم قال كذلك يضل الله اي مثل هذا
الخذلان المبين يخذل الله من هو مسرف كل مسرف في عصيانه مرتاب في دينه
الذين يجادلون في آيات الله بدل من من هو مسرف كيف جاز ابداله منه وهو
جمع وذاك موحد لانه لا يريد مسرفا واحدا وكانه قال كل مسرف كبر مقتا
عند الله وعند الذين آمنوا ما فاعل كبر ضمير من هو مسرف
اما قلت هو جمع ولهذا قال ابدلت منه الذين يجادلون بلى هو جمع في
المعنى واما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه وليس
ببدع ان يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى وله نظائر ويجوز ان يرفع الذين
يجادلون على الابتداء ولا بد في هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير
في كبر تقديره جدال الذين يجادلون في آيات كبر مقتا ويحتمل ان يكون الذين
يجادلون مبتدأ وبغير سلطان اتاهم خبرا وفاعل كبر قوله كذلك اي كبر مقتا
مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم
فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي كبر مقتا ضرب من التعجب و
الاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد اشكاله من الكبائر وقرئ
سلطان بضم اللام وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما
ومنبعهما كما يقول رأت العين وسمعت الاذن ونحوه قوله عز وجل فانه آثم
قلبه وان كان الآثم هو الجملة ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي على كل ذي قلب

بغير سلطان اتاهم

على كل قلب متكبر جبار

يحتمل الصبية لفصاحة القلب يا هامان ابن لي صرحا لعلي
أبلغ الأسباب قيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بعد اشتقوه
من صرح الشيء إذا ظهر أسباب السموات طرقها وأبوابها وما يؤدي إليها وكل
ما أداك إلى شيء فهو سبب إليه كالرشاء ونحوه ما فائدة هذا التكرير ولو
أبلغ أسباب السموات إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيما لشأنه فلما أراد
تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السموات أبهمها ثم أوضحها ولأنه لما كان بلوغها
أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوقة إليه ليعطيه السامع حقه من التعجب
فأبهمه ليشوف إليه نفس هامان ثم أوضحه وقرئ فأطلع بالنصب على جواب الترجي
تشبيها للترجي بالتمني وكذلك ومثل ذلك التزيين وذلك الصد زين لفرعون
سوء عمله وصد عن السبيل والمزين إما الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم
الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى على وجه التسبيب لأنه مكن
الشيطان وأمهله ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون وقرئ وزين له سوء
عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه إلى إله موسى وصد بفتح الصاد
وضمها وكسرها وعلى نقل حركة العين إلى الفاء كما قيل قيل وما كيد فرعون إلا
في تباب التباب الخسران والهلاك وصد مصدر معطوف على سوء عمله وصدوا هم
دونه وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد فأجمل
لهم يا قوم إنما هذه الحيوة الدنيا متاع ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير
شأنها لأن الإخلاد إليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدي إلى
سخط الله ويجلب الشقاوة في العاقبة وإن الآخرة هي دار القرار ثنى بتعظيم الآخرة
والاطلاع على حقيقتها وأنها هي الوطن والمستقر وذكر الأعمال سيئها و
حسنها وعاقبة كل منها ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف من عمل سيئة ثم
وازن بين الدعوتين دعوته إلى دين الله الذي ثمرته النجاة ودعوتهم إلى اتخاذ
الأنداد الذي عاقبته النار وحذر وأنذر واجتهد في ذلك واحتشد لا جرم
أن الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة وعبرة للمعتبرين وهو قوله فوقاه
الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفي هذا أيضا دليل على

من عمل سيئة الآية

أن الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض شبيه بالتصريح
أن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي فلا يجزى إلا مثلها لأن الزيادة
على مقدار جزاء الحسنة حسنة لأنها فضل ومن عمل صالحا من ذكر أو
أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة قرئ يدخلون ويدخلون يرزقون
فيها بغير حساب واقع في مقابلة إلا مثلها يعني أن جزاء السيئة له حساب وتقدير
لئلا يزيد على الاستحقاق فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت
من الزيادة على الحق والكثرة والسعة ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجوة
وتدعونني إلى النار لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث
دون الثاني أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة
وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه
واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك أن لا يتهموه فإن سرورهم
سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر إبراهيم عليه الصلوة والسلام في نصيحة
أبيه يا أبت وأما المجيء بالواو العاطفة فلأن الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل و
تفسير له فأعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو وأما الثالث فداخل
على كلام ليس بتلك المثابة يقال دعاه إلى كذا ودعاه له كما يقال هداه إلى
وهداه له تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم أي بربوبيته والمراد
بنفي العلم نفي المعلوم كأنه قال وأشرك به ما ليس بإله وما ليس بإله كيف يصح أن يعلم
وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار لا جرم سياقه على مذهب البصريين أن
يجعل لا ردا لما دعاه إليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما في حيزه فاعله أي حق
ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قوله ولا يجرمنكم أي كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوته على أنه ما
من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته ويجوز أن يقال إن لا جرم نظير لا بد فعل من
الجرم وهو القطع كما أن بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما أن معنى لا بد أنك
تفعل كذا بمعنى لا بد لك من فعله فكذلك لا جرم أن لهم النار أي لا قطع لذلك بمعنى أنهم
أبدا يستحقون النار لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الأصنام أي
لا تزال باطلة لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروي عن العرب لا جرم أنه يفعل بضم

الجيم وسكون الراء من جرم يجرم وفعل وفعال كالرشد والرشاد والعدم والعدام لا جرم انما
تدعونني اليه ليس له دعوة معناه ان ما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه
قط اي من حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها
اظهارا لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا
يدعي الربوبية ... ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله في
الدنيا ولا في الآخرة يعني انه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء غيره وفي
الآخرة اذا انشاه الله حيوانا تبرا من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له
استجابة دعاء ينفع في الدنيا وفي الآخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا
استجابة لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل
المجازى عليه باسم الجزاء في قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين
يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء وان المسرفين هم اصحاب النار المسرفين
عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب
شرهم خيرهم هم المسرفون فستذكرون ما اقول لكم اي سيذكر
بعضكم بعضا وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد لانهم توعدوه
فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق
انواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى عليه السلام وحاق بآل فرعون سوء
العذاب ما هموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم النار بدل من سوء العذاب
او خبر مبتدا محذوف كأن قائلا قال ما سوء العذاب فقيل هو النار او مبتدا
خبره يعرضون عليها وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم
عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم به وقرئ
بالنصب وهي تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز
ان ينتصب على الاختصاص غدوا وعشيا في هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما
بين ذلك الله اعلم بحالهم فاما ان يعذبوا بجنس آخر من العذاب او ينفس عنهم ويجوز
ان يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا ما دامت الدنيا فاذا ويوم تقوم
الساعة فاذا قامت الساعة قيل لهم ادخلوا آل فرعون اشد العذاب عذاب جهنم

وقرئ

وقرئ ادخلوا آل فرعون اي يقال لخزنة جهنم ادخلوهم قوله وحاق بآل
فرعون سوء العذاب معناه انه رجع عليهم ما هموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب
من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم
راجعا عليهم لانهم لا يعذبون بجهنم قيل يجوز ان يهم الانسان بان يغرق قوما
فيحرق بالنار ويسمى ذلك تحيقا لانه هم بسوء فاصابه ما يقع اسم السوء ولا
يشترط في الحيق ان يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز ان يهم فرعون لما
سمع انذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وان المسرفين هم اصحاب النار فيفعل نحو ما
فعل نمرود ويعذبهم بالنار فحاق بهم مثل ما اضمره وهم بفعله ويستدل بهذه
الآية على اثبات عذاب القبر واذ يتحاجون في النار واذكر وقت يتحاجون
فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا تباعا
كخدم جمع خادم او ذوي تبع اي اتباع او وصفا بالمصدر قال الذين استكبروا
انا كل فيها وقرئ كلا على التاكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من
المضاف اليه يريد انا كلنا او كلنا فيها هل يجوز ان يكون كلا حالا قد
عمل فيها فيها لا لان الظرف لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف متقدما تقول
كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد ان الله قد حكم بين العباد قضى
بينهم وفصل بان ادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وقال الذين في
النار لخزنة جهنم للقوام بتعذيب اهلها هلا قيل الذين في النار لخزنتها
لان في ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل ان جهنم هي ابعد النار قعرا من
قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم في النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم انه
يلقي الشعر على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور في علمه بالشعر كما قال ابو نواس في
خلف الاحمر قليذم من العياليم الخسف وفيها اعتى الكفار واطغاهم فلعل الملائكة
الموكلين بعذاب اولئك اجوب دعوة لزيادة قربهم من الله فلهذا تعمدهم اهل
النار بطلب الدعوة منهم قالوا اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
قالوا بلى الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم اوقات الدعاء و
التضرع وعطلوا الاسباب التي يستجيب الله لها الدعوات قالوا فادعوا

ربكم يخفف عنا يوما من العذاب

استكبروا فانا لا نجتري على ذلك ولا نشفع الا بشرط كون المشفوع له غير ظالم و
الاذن في الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس
قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة وما دعاء الكافرين الا في
ضلال فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه فكيف دعاء الكافرين انا لننصر رسلنا
والذين آمنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدنيا والآخرة
يعني انهم يغلبهم في الدنيا والآخرة جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا في الدنيا
في بعض الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من اعدائهم ولو
بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب واصحاب يريد الحفظة من الملائكة والمؤمنين من
امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليكونوا شهداء على الناس يوم لا ينفع الظالمين
معذرتهم اليوم الثاني بدل من الاول ويحتمل انهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لا تنفع
لانها باطلة وانهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون
ولهم اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار اي سوء دار الآخرة وهو عذا[ب]
وقرئ يقوم ولا ينفع بالياء والتاء ولقد آتينا موسى الهدى يريد بالهدى جميع ما آتاه
في باب الدين من المعجزات والتورية والشرايع واورثنا وتركنا على بني اسرائيل الكتاب
اي التورية هدى وذكرى لاولي الالباب ارشادا وتذكرة وانتصابهما
على المفعول له او الحال واولوا الالباب المؤمنون به العاملون بما فيه فاصبر ان وعد
الله حق يعني ان نصرة الرسل في ضمان الله تعالى وضمان الله لا يخلف واستشهد بموسى
وما آتاه من اسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وابقاء آثار هداه في بني
اسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك امتك
مشارق الارض ومغاربها فاصبر على ما يجرعك قومك من الغصص فان العاقبة لك
وما سبق به وعدي من نصرتك واعلاء كلمتك حق واستغفر لذنبك واقبل على
التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار وسبح بحمد ربك ودم على عبادة ربك
والثناء عليه بالعشي والابكار وقيل هما صلوة العصر والفجر ان الذين يجادلون
في آيات الله بغير سلطان اتيهم ان في صدورهم الا كبر الا تكبر وتعظم
وهو ارادة التقدم والرياسة وهو ان لا يكون احد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا

آياتك خيفة ان يتقدمهم ويكونوا تحت يدك وامرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك
ورياسة او ارادة ان يكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله لو كان خيرا ما
سبقونا اليه او ارادة دفع الآيات بالجدال ما هم ببالغيه اي ببالغي موجب الكبر
ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة او دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود
وكانوا يقولون يخرج صاحبنا ابن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر
ويسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم
ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله فالتجئ اليه من كيد من يحسدك
ويبغي عليك انه هو السميع لما تقول ويقولون البصير بما تعمل ويعملون فهو ناصرك
عليهم وعاصمك من شرهم كيف اتصل قوله لخلق السموات والارض اكبر
من خلق الناس بما قبله ان مجادلتهم في آيات الله مشتملة على انكار البعث وهو
اصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بان الله
خالقها فانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس شيء قليل مهين فمن قدر على
خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته اقدر وهو ابلغ من الاستشهاد
بخلق مثله ولكن اكثر الناس لا يعلمون لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة
الغفلة عليهم واتباعهم اهواءهم وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا
وعملوا الصالحات ولا المسيء ضرب الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسيء قليلا ما
تتذكرون وقرئ يتذكرون بالياء والتاء والياء اعم ان الساعة لآتية لا
ريب فيها لا بد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لانه لا بد من جزاء ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها وقال ربكم ادعوني اعبدوني و
الدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن ويدل عليه قوله ان الذين يستكبرون عن
عبادتي والاستجابة الاثابة وفي تفسير مجاهد اعبدوني اثبكم وعن الحسن وقد
سئل عنها اعملوا وابشروا فانه حق على الله ان يستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات
ويزيدهم من فضله وعن الثوري انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو
الدعاء وفي الحديث اذا شغل عبدي طاعتي عن الدعاء اعطيته افضل ما اعطي السائلين
وروى النعمان بن بشير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء هو العبادة وقرئ

هذه الآية ولعل المراد بالدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتي دعائي
لان الدعاء باب من العبادة ومن افضل ابوابها يصدقه قول ابن عباس افضل
العبادة الدعاء وعن كعب اعطى الله عز وجل هذه الامة ثلث خلال لم يعطهن الا
نبيا مرسلا كان يقول لكل نبي انت شاهدي على خلقي وقال لهذه الامة لتكونوا
شهداء على الناس وكان يقول ما عليك وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من
حرج وكان يقول ادعني استجب لك وعن ابن عباس وحدوني اغفر لكم وهذا
للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد سيدخلون جهنم داخرين صاغرين
الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا من الاسناد المجازي
لان الابصار في الحقيقة لاهل النهار وقرن الليل بالمفعول له والنهار
بالحال وهلا كانا حالين او مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة هما متقابلان
من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدي مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا
فيه فاتت الفصاحة التي في الاسناد المجازي ولو قيل ساكنا والليل يجوز ان
يوصف بالسكون على الحقيقة الا ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لا ريح فيه لم
تتميز الحقيقة من المجاز ان الله لذو فضل على الناس فهلا قيل لمفضل
او لمتفضل لان الغرض تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك
انما يستوي بالاضافة ولكن اكثر الناس لا يشكرون
فلو قيل اكثرهم فلا يشكرون ذكر الناس في هذا التكرير تخصيص لكفران
النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان
لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار ذلكم المتميز بالافعال الخاصة التي لا يشاركه
فيها احد هو الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة
اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية وخلق كل شيء وانشائه لا يمتنع
عليه شيء والوحدانية لا ثاني له فانى تؤفكون فكيف ومن اي وجه تصرفون
عن عبادته الى عبادة الاوثان كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله
يجحدون اي ذكر ان كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة طلب
الحق وخشية العاقبة افك كما افكوا وقرئ خالق كل شيء نصبا على الاختصاص

من حرج

فيه

وتشكرون بالتاء والياء الله الذي جعل لكم الارض قرارا هذه ايضا
دلالة اخرى على تميزه بافعال خاصة وهي انه جعل الارض مستقرا والسماء بناء
اي قبة ومنه ابنية العرب لمضاربهم لان السماء في منظر العين كقبة مضروبة على
الارض وصوركم فاحسن صوركم وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق
حيوانا احسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله في احسن
تقويم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله
رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه فاعبدوه مخلصين له الدين
اي الطاعة من الشرك والرياء قائلين الحمد لله رب العالمين وعن ابن عباس
من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان
اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربي
اما نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عبادة الاوثان بادلة العقل ومؤكدة
لها حتى جاءته البينات من ربي بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لادلة العقل
ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما
تعملون واشباه ذلك من التنبيه على ادلة العقل وحدها كافية والسمع جميعا
وانما ذكر ما يدل على الامرين لانه ذكر نصا من الادلة ادلة العقل هو الذي خلقكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم
لتبلغوا اشدكم متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذا
ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل واما ولتبلغوا اجلا
مسمى معناه ويفعل ذلك لتبلغوا اجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيمة
وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا بالتوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم او
على الواحد لان الغرض بيان الجنس من قبل من قبل الشيخوخة او من قبل هذه الاحوال اذا
خرج سقطا ولعلكم تعقلون ما في ذلك من العبر والحجج هو الذي يحيي ويميت
فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون فانما يكونه من غير كلفة ولا معاناة
جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من افعاله الدالة
ان مقدوراته لا يمتنع عليه كانه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى امرا كان اهون شيء

وامرت ان اسلم لرب العالمين

الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب القرآن وبما ارسلنا به رسلنا من الكتب وعد قوله فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم الا مثل قولك سوف اصوم امس
المعنى على اذا الا ان الامور المستقبلة كانت في اخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها
عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال وعن ابن عباس والسلاسل
يسحبون بالضم وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية وعنه و
السلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه انه لو قيل اذ اعناقهم في الاغلال
مكان قوله اذ الاغلال في اعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانت عبارتين مستقيمتين
حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره مشاهير ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناعب كانه قيل بمصلحين وقرئ وبالسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون من سجر
التنور اذا ملاه بالوقود ومنه السجير كانه سجر بالحب اي معناه انهم في النار فهي محيطة
بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها اجوافهم ومنه قوله نار الله الموقدة التي تطلع
على الافئدة اللهم اجرنا من نارك انا عائذون بجوارك ثم قيل لهم اين ما كنتم
تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع
بهم اما ذكرت في تفسير قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم يجوز ان يضلوا عنهم
اذا وبخوا وقيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم
وان يكونوا معهم في جميع اوقاتهم الا انهم لما لم ينفعوهم فكانوا ضالين عنهم
بل لم نكن ندعو من قبل شيئا اي تبين لنا انهم لم يكونوا شيئا وما كنا نعبد بعبادتهم
شيئا كما يقول حسبت ان فلانا شيء واذا هو ليس بشيء اذا خبرته فلم تر عنده خيرا
كذلك يضل الله الكافرين مثل ضلال آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة او طلبتهم الآلهة
لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون
بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح بغير الحق وهو الشرك وعبادة الاوثان ادخلوا
ابواب جهنم السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم
جزء مقسوم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين عن الحق المخصوص

يعني الذي يعدهم

سلك

حنفا

ومنها كان يسل

كلوا

فنى

فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك اصله فان نرك وما مزيدة
لتاكيد معنى الشرط ولذلك الحقت النون بالفعل الا ترى انك لا تقول ان تكرمني اكرمك
ولكن اما تكرمني اكرمك بعض الذي نعدهم او نتوفينك على نرينك وثانيهما
في جزاء واحد وهو قوله فالينا يرجعون فقولك فاما نرينك بعض الذي نعدهم
فالينا يرجعون مختصا بالمعطوف الذي هو نتوفينك بعض المعطوف عليه بغير جزاء
فالينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك
بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل يوم بدر فذاك او ان نتوفينك قبل
يوم فالينا يرجعون يوم القيمة فننتقم منهم اشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما
نذهبن بك فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك
قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي اربعة آلاف من بني اسرائيل واربعة آلاف من سائر
الناس وعن علي رضي الله عنه ان الله تعالى بعث نبيا اسود فهو ممن لم نقصص عليه
وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عنادا يعني انا
قد ارسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم ان يأتي بآية الا باذن الله فمن لي
بان آتي بآية مما تقترحونه الا ان يشاء الله ويأذن في الاتيان بها فاذا جاء امر الله
قضي بالحق وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وامر الله القيامة وخسر هنالك المبطلون
المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد اتتهم الآيات فانكروها وسموها سحرا
الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها الابل خاصة لم قال لتركبوا
منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم ولم يقل لتا
كلوا منها ولتصلوا الى منافع او هلا قال منها تركبون ومنها تاكلون وتبلغون
عليها حاجة في صدوركم في الركوب الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ
الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين او طلب علم وهذه اغراض دينية اما
واجبة واما مندوب اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم واما الاكل واصابة المنافع

في جنس المباح الذي لا يتعلق به ارادته ومعنى وعليها وعلى الفلك تحملون وعلى
الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر هلا قيل
وفي الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين معنى الايعاء و
معنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة لمن يستعليها
فلما صح المعنيان صحت العبارتان وايضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه ويريكم
آياته فاي آيات الله تنكرون جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فاية آيات الله
قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة
غريب وهي في اي اغرب لابهامه أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا قصورهم ومصانعهم
وقيل مشيهم بارجلهم لعظم اجرامهم فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون
ما نافية او مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة
او مصدرية ومحلها الرفع يعني اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما
جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم فيه وجوه منها
ان يراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله بل ادارك علمهم في الآخرة وعلمهم في
الآخرة انهم يقولون لا نبعث ولا نعذب وما اظن الساعة قائمة ولئن رجعت
الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ومنها ان يريد علم
الفلاسفة والدهريين من بني يونان وكانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه
وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط انه سمع بموسى عليه السلام وقيل
له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهديون فلا حاجة بنا الى من يهدينا
ومنها ان يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع
قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي
فرحهم بالوحي الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم
من العلم ومنها ان يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه و
استهزاء به كانه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين
مرحين ويدل عليه قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ومنها

ان يجعل الفرح للرسل ومعناه ان الرسل لما راوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم
فرحوا بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم
واستهزائهم فرحوا بما اوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء
جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز ان يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بامور الدنيا
ومعرفتهم بتدبيرها كما قال يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة
هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي
ابعد شيء من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم
يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا انه لا علم انفع واجلب للفوائد
علمهم ففرحوا به البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس
اي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم
هو من كان في نحو قوله ما كان لله ان يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم ان ينفعهم
ايمانهم كيف ترادفت هذه الفاءات اما قوله فما اغنى عنهم
كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما
رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كانه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا
وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله سنت الله
التي قد خلت في عباده بمنزلة وعد الله وما اشبهه من المصادر المؤكدة
وخسر هنالك الكافرون هنالك مكان مستعار للزمان اي وخسروا وقت
رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء امر الله
قضي بينهم بالحق اي وخسروا وقت مجيء امر الله او وقت القضاء بالحق عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك وسلم من قرا سورة المؤمن لم
يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلت اسما للسورة
كانت في موضع المبتدأ و تنزيل من الرحمن الرحيم خبره وان جعلتها تعديدا
للحروف كان تنزيل خبر مبتدأ محذوف و كتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر
او خبر مبتدأ محذوف وجوز الزجاج ان يكون تنزيل مبتدأ و كتاب خبره و
وجهه ان تنزيل لا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ فصلت آياته ميزت
وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير
ذلك وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف
معانيها من قولك فصل من البلد قرآنا عربيا نصب على الاختصاص والمدح
اي اريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال
اي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا لقوم يعلمون اي لقوم عرب يعلمون ما
نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء
منه لقوم يعلمون يجوز ان يتعلق بتنزيل او بفصلت اي تنزيل
من الله لاجلهم او فصلت آياته لهم والاجود ان يكون صفة مثل ما قبله وما بعده
اي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلات والصفات بشيرا ونذيرا
دون غيرهم وبشير ونذير صفة للكتاب او خبر مبتدأ فاعرض اكثرهم فهم لا
يسمعون ولا يعقلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولي
ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكانه لم يسمعه وقالوا قلوبنا
في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر الاكنة جمع كنان وهو الغطاء
والوقر بالفتح الثقل ومن بيننا وبينك حجاب هذه تمثيلات لنبو قلوبهم
عن تقبل الحق واعتقاده كانها في غلف واغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله وقالوا
قلوبنا غلف ومج اسماعهم له كان بها صمما عنه والحجاب لنا عد المذهبين والدين
كان بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما هو عليه حجابا
ساترا وحاجزا منيعا من جبل او نحوه فلا تلاقي ولا ترامي فاعمل على دينك انا
عاملون على ديننا او فاعمل في ابطال امرنا انا عاملون في ابطال امرك وقرئ
انا عاملون في ابطال امرك وقرئ هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك

حجاب فائدة نعم لانه لو قيل بيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا
حاصل وسط الجهتين واما بزيادة من فالمعنى ان الحجاب ابتداء منا وابتداء
منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها
هلا قيل على قلوبنا اكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد
هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في اكنة وعلى قلوبنا اكنة
والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم اكنة ولم يختلف المعنى وترى المطابيع
لا يراعون الطباق والملاحظة الا في المعاني من اين كان قوله قل انما انا
بشر مثلكم يوحى الي جوابا لقولهم قلوبنا في اكنة من حيث انه قال لهم اني
لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي وانا بشر نبوتي واذا
صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا
اليه فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا وشمالا ولا
ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء وتوبوا اليه مما
سبق لكم من الشرك واستغفروه وقرئ قال انما بشر وويل للمشركين الذين
لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون لم خص من بين
اوصاف المشركين منع الزكوة مقرونا بالكفر بالآخرة لان احب الشيء الى الانسان ماله وهو
شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته واستقامته و
صدق نيته ونصوع طويته الا ترى الى قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون اموالهم
ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم اي يثبتون انفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق
الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم
واهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكوة فنصبت
لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على اداء الزكوة وتخويف شديد من منعها
حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قريش يطعمون الحاج
ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل لا يفعلون ما يكونون به
ازكياء وهو الايمان ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون
الممنون المقطوع وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فاما الاجر فحق اداؤه وقيل

بل لمعنى الرضى والمحبة اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كما صح بما كانوا يعملون
قُلْ أَئِنَّكُمْ هبهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بالف بين همزتين لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي
خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ الذي قدر على خلق
الارض في مدة يومين هو رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ جبالا ثوابت
ما معنى قوله مِنْ فَوْقِهَا وهلا اقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله وجعل فيها
رواسي شامخات وجعلنا في الارض رواسي وجعل لها رواسي لو كان تحتها
كالاساطين لها استقرت عليها او مركوزة كالمسامير لمنعت من الميدان وانما اختار
ارساها فوق الارض لتكون المنافع معرضة لطالبيها حاصلة لمحصليها وليبصر ان
الارض والجبال اثقال على اثقال كلها مفتقرة الى ممسك لا بد لها منه وهو عز وعلا
ممسكها بقدرته وَبَارَكَ فِيهَا واكثر خيرها وانماه وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ارزاق
اهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفي قراءة ابن مسعود وقسم فيها اقواتها فِي أَرْبَعَةِ
أَيَّامٍ سَوَاءً فذلكة لمدة خلق الله الارض وما فيها كانه قال كل ذلك في اربعة
ايام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قيل خلق الارض في يوم الاحد ويوم الاثنين
وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وقال الزجاج في اربعة ايام في تتمة اربعة اي استواء بتتمة
اليومين وقرئ سواءٍ بالحركات الثلث الجر على الوصف والنصب على استوت
سواء والرفع على هي سواء بم تعلق قوله لِلسَّائِلِينَ بمحذوف كانه
قيل هذا الحصر لاجل من سال في كم خلقت الارض وما فيها او بقدر اي قدر
فيها الاقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير
لا يستقيم الا على تفسير الزجاج هلا قيل في يومين واي فائدة في هذه الفذلكة
اذا قال في اربعة ايام وقد ذكر ان الارض خلقت في يومين فعلم ان ما فيها خلق في يومين
بل ان يقول في يومين وان يقول في اربعة ايام سواء فكانت في اربعة ايام سواء فعلم
انها ليست في يومين وهي الدلالة على انها كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال في يومين
وقد يطلق اليومان على اكثرهما لكان يجوز ان يريد باليومين الاولين والاخيرين اكثرهما
ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه
اليه توجها لا يلوي على شيء وهو من الاستواء الذي هو ضد الاعوجاج ونحوه

يوم الثلاثاء

ثم لهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه
داعي الحكمة الى خلق السموات بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك
قيل كان عرشه قبل خلق السموات والارض على الماء فاخرج من الماء دخانا فارتفع
فوق الماء وعلا عليه فايبس الماء فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين
ثم خلق السماء من الدخان المرتفع فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا
ومعنى امر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما انه اراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه
ووجدتا كما ارادهما وكانتا في ذلك كالمامور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع
وهو من المجاز الذي يسمى التمثيل ويجوز ان يكون تخييلا ويبنى الامر على ان الله تعالى
كلم السماء والارض فقال لهما ائتيا شئتما ذلك او كرهتما فَقَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ على
الطوع لا على الكره والغرض تصوير اثر قدرته في المقدورات لا غير من غير ان يحقق
شيء من الخطاب والجواب ونحوه قول القائل قال الجدار للوتد لم تشقني قال
الوتد اسال من يدقني فلم يتركني وراي الحجر الذي ورائي لم ذكر الارض
مع السماء وانتظمها في الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين
قد خلق جرم الارض اولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض
بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغي ان تاتيا عليه من الشكل والوصف
ائتي يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان
الحصول والوقوع كما يقول اتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز ان يكون المعنى لتات
كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذي اريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من
كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وتنصره قراءة من
قرا آتيا من المواتاة وهي الموافقة اي لتوافق كل واحدة اختها ولتوافقها
قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا امري ومشيئتي ولا تمتنعا
ما معنى طوعا او كرها هو مثل للزوم تاثير قدرته فيهما وان امتناعهما من
تاثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت او ابيت ولتفعلنه
طوعا او كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين او مكرهتين هلا قيل
طائعتين على اللفظ او طائعات على المعنى لانها سموات وارضون لما جعلن

مخاطبات ومجيبات ووصفهن بالطوع والكره قيل طائعين في موضع طائعات
نحو ساجدين **فقضاهن سبع سموات** يجوز أن يرجع الضمير فيه إلى السماء على
المعنى كما قال طائعين ونحوه أعجاز نخل خاوية ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا
بسبع سموات والفرق بين النصبين أن أحدهما على الحال والثاني على التمييز
قيل خلق السموات وما فيها **في يومين** في يوم الجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة
فخلق فيها آدم وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة وفي هذا دليل على ما ذكرنا
من أنه لو قال في يومين في موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما كاملان أم ناقصان
فلو قيل خلق الأرض في يومين وقدر فيها أقواتها في يومين أو قيل بعد
ذكر اليومين تلك أربعة سواء فالذي أورده سبحانه أخصر وأفصح وأحسن طباقا
لما عليه التنزيل من مغاصات القرائح ومصاك الركب ليتميز الفاضل من الناقص
المتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب **وأوحى في كل سماء
أمرها** ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك أو شأنها
وما يصلحها **وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم**
وحفظناها حفظا يعني من المسترقة بالثواقب ويجوز أن يكون مفعولا له على المعنى
كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا **فإن أعرضوا** بعد ما تتلو عليهم
من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته فحذرهم أن تصيبهم **صاعقة** أي عذابا
شديد الوقع كأنه صاعقة وقرئ صعقة **مثل صعقة عاد وثمود** وهي
المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا
من باب فعلته ففعل **إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا
تعبدوا إلا الله** أي أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وأعملوا فيهم كل حيلة
فلم يروا منهم إلا العتو والإعراض كما حكى **قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة**
الله عن الشيطان لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم يعني لآتينهم من كل جهة
ولأعملن فيهم كل حيلة ويقول استدبرت فلانا من كل جانب فلم يكن لي
فيه حيلة وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الأمم وعذاب
الآخرة لأنهم إذا حذروهم ذلك فقد جاءوهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي

وما جرى عليهم فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجري عليهم وقيل معناه
إذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاءوهم وكيف
يخاطبونهم بقولهم **فإنا بما أرسلتم به كافرون** قد جاءهم هود
وصالح داعيين إلى الإيمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أي من
قبلهم وممن يجيء من خلفهم أي من بعدهم فكأن الرسل جميعا قد جاءوهم وقولهم
إنا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الأنبياء الذين دعوا
إلى الإيمان بهم أن في أن لا تعبدوا بمعنى أي أو مخففة من الثقيلة أصله بأنه لا
أي بأن الشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا ومفعول شاء محذوف أي لو شاء ربنا
إرسال الرسل لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون معناه فإذا أنتم بشر ولستم
بملائكة فإنا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم أرسلتم به ليس بإقرار بالإرسال وإنما هو
على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون روي
أن أبا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم
فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره
فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما
وما يخفى علي فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير
أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا
وإن كنت بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن أي بنات قريش شئت وإن
كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ساكت
فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك
عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس
عنهم قالوا ما نرى عتبة إلا قد صبأ فانطلقوا إليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا
إلا أنك قد صبأت فغضب وأقسم لا يكلم محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أبدا ثم قال والله لقد
كلمته فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود
أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم إذا
قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب **فأما عاد فاستكبروا في الأرض**

أي تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظيم وهو القوة وعظم الأجرام
أو استعلوا في الأرض واستولوا على أهلها بغير الحق بغير استحقاق للولاية
قالوا من أشد منا قوة كانوا ذوي أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم
أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده القوة هي الشدة
والصلابة في البنية وهي نقيضة الضعف وأما القدرة فما لأجله يصح الفعل من الفاعل
من تمييز ذات أو بصحة بنية وهي نقيضة العجز والله سبحانه لا يوصف بالقوة
إلا على معنى القدرة فكيف صح قوله أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد
منهم قوة وإنما يصح إذا أريد بالقوة في الموضعين شيء واحد القدرة
في الإنسان هي صحة البنية والاعتدال والقوة الشدة والصلابة في البنية وحقيقتها
زيادة القدرة فكما صح أن يقال الله أقدر منهم جاز أن يقال أقوى منهم على
أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم وكانوا بآياتنا يجحدون كانوا يعرفون
أنها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا
أي كانوا كفرة فسقة فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا الصرصر العاصفة التي
تصرصر أي تصوت في هبوبها وقيل الباردة التي تحرق بشدة بردها تكرير
لبناء الصر وهو البرد الذي يصر أي يجمع ويقبض في أيام نحسات بكسر الحاء وسكونها
ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس وأما نحس فإما مخفف نحس أو صفة على فعل
أو وصف والاستكانة على أنه وصف العذاب كأنه قال عذاب خز كما تقول فعل
السوء الفعل السيء والدليل عليه قوله ولعذاب الآخرة أخزى وهو من الإسناد
المجازي ووصف العذاب بالخزي أبلغ من وصفهم به ألا ترى إلى البون بين قوليك
هو شاعر وله شعر شاعر وهم لا ينصرون وقرئ وأما ثمود بالرفع والنصب منونا
وغير منون والرفع أفصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء فهديناهم
فدللناهم على طريقي الضلالة والرشد كقوله وهديناه النجدين فاستحبوا
العمى على الهدى فاختاروا الضلالة على الدخول في الرشد كيف جاز
هديته فحصلت فيه الهدى الدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية
وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة

كانوا بآياتنا

للدلالة على أنه مكنهم وأزاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكأنه
حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها صاعقة العذاب داهية العذاب
وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة بما كانوا
يكسبون أو أبدله منه ولو لم يكن في القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه
الأمة بشهادة نبيها صلى الله عليه وآله وسلم وكفى به شاهدا إلا هذه لكفى بها حجة
ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر قرئ يحشر على
البناء للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل أي
يحشر الله عز وجل أعداء الله الكفار من الأولين والآخرين إلى النار فهم يوزعون
يحبس أولهم على آخرهم أي يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهي
عبارة عن كثرة أهل النار نسأل الله أن يجيرنا بسعة رحمته ما في قوله
حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما
كانوا يعملون ما هي مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم
النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لأن يخلوا منها ومثله
قوله أثم إذا ما وقع آمنتم أي لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت إيمانهم
شهادة الجلود بالملامسة الحرام وما أشبه ذلك مما يفضي إليها من المحرمات
كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق الله عز وجل ينطقها
كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هي كناية
عن الفروج وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله
الذي أنطق كل شيء أراد بكل شيء كل شيء من الحيوان كما أراد به في قوله
والله على كل شيء قدير كل شيء من المقدورات وهو خلقكم أول مرة
وإليه ترجعون والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذي قدر على إنطاق
كل حيوان وعلى خلقكم وإنشائكم أول مرة وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه و
إنما قالوا لهم لم شهدتم علينا لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح
على ألسنة جوارحهم وما كنتم تستترون المعنى أنكم كنتم تستترون بالحيطان
والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم

فأخذتهم

جوارحكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم لانكم كنتم غير عالمين
بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا ولكن ظننتم
لكنكم انما استترتم لظنكم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وهو
الخفيات وذلك الظن هو الذي اهلككم وفي هذا تنبيه على ان من حق المؤمن
ان لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه ان عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا
حتى يكون في اوقات خلواته من ربه اهيب واحسن احتشاما واوفر تحفظا
وتصونا منه مع الملاء ولا ينبسط في سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين
وذلكم رفع بالابتداء وظنكم الذي ظننتم وارداكم
خبران ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذلكم وارداكم الخبر فاصبحتم من الخاسرين
فان يصبروا لم ينفعهم الصبر فالنار مثوى لهم ولم ينفكوا به من الثواء
في النار وان يستعتبوا وان يسألوا العتبى وهي الرجوع الى ما يحبون جزعا
مما هم فيه فما هم من المعتبين لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها ونحوه
قوله عز وعلا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من
المعتبين اي ان سئلوا ان يرضوا ربهم فما هم فاعلون اي لا سبيل لهم الى ذلك وقيضنا
وقيضنا لهم وقدرنا لهم يعني لمشركي مكة يقال ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين
والمقايضة المعاوضة قرناء اخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله ومن يعش
عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين — كيف جاز ان يقيض لهم القرناء
من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم — معناه انه خذلهم ومنعهم
التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه
ومن يعش نقيض فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم ما تقدم من اعمالهم
وما هم عازمون عليها او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما
خلفهم من امر العاقبة وان لا بعث ولا حساب وحق عليهم القول يعني كلمة العذاب
في امم في جملة امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس ومثل في هذه ... في
قوله ان تك عن احسن الصنيعة مأفوكا ففي آخرين قد افكوا يريد فانت في جملة آخرين
او فانت في عداد آخرين لست في ذلك باوحد — في امم ما محله — محله النصب

على الحال من الضمير في عليهم اي حق عليهم القول كائنين في جملة امم انهم كانوا
خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم وقال الذين
كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون قرئ والغوا
فيه بفتح الغين وضمها يقال لغي يلغي ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام
الذي لا طائل تحته قال من اللغا ورفث التكلم والمعنى لا تسمعوا له اذا
قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والرجل وما اشبه
ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته كانت قريش
يوصي بذلك بعضهم بعضا فلنذيقن الذين كفروا يجوز ان يريد بالذين
كفروا هؤلاء اللاغين والآخرين لهم للعموم خاصة وان يذكر الذين كفروا عامة
تحت ذكرهم وقد ذكرنا اضافة اسوء اعني عن عادته وعن ابن عباس رضي الله عنهما عذابا
شديدا يوم بدر واسوء الذي كانوا يعملون في الآخرة ذلك اشارة
الى الاسوء ويجب ان يكون اسوء جزاء الذين كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة
جزاء اعداء الله النار عطف بيان للجزاء او خبر مبتدأ محذوف
ما معنى قوله لهم فيها دار الخلد — معناه ان النار في نفسها دار
الخلد كقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والمعنى ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ونقول لك في هذه الدار دار السرور وانت تعني الدار بعينها
جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون اي جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذي
هو سبب اللغو وقال الذين كفروا ربنا ارنا الذين اضلانا اي الشيطانين
اللذين اضلانا من الجن والانس لان الشيطان على ضربين جني وانسي قال الله تعالى
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن وقال الذي يوسوس في صدور
الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل لانهما سنا الكفر والقتل
وقرئ ارنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا في فخذ فخذ وقيل معناه اعطنا اللذين
اضلانا وحكوا عن الخليل انك اذا قلت ارني ثوبك فالمعنى بصرنيه واذا قلته
بالسكون فهو استعطاء معناه اعطني ثوبك ونظيره اشتهار الايتاء في
الاعطاء واصله الاحضار ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا

ثم لتراخي الاستقامة عن الاقرار في المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة لها
الشان كله ونحوه قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن ابي بكر الصديق رض
استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه انه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا
لم يذنبوا قال حملتم الامر على اشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة
الاوثان وعن عمر رض استقاموا على الطريقة لم يروغوا
روغان الثعالب وعن عثمان رض اخلصوا وعن علي رض ادوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله فاخذ رسول
صلى الله عليه وآله وسلم بلسان نفسه فقال هذا تتنزل عليهم الملائكة عند الموت
بالبشرى وقيل البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر واذا قاموا من قبورهم ان
لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ان بمعنى اي
او مخففة من الثقيلة واصله بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان وفي قراءة ابن مسعود
لا تخافوا اي يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه والحزن غم يلحق
من فوات نافع او حصول ضار نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الآخرة كما ان الشياطين قرناء
العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة اولياء المتقين واحباؤهم ولكم فيها
ما تدعون تتمنون نزلا من غفور رحيم النزل رزق النزيل وهو الضيف
وانتصابه على الحال ومن احسن قولا ممن دعا الى الله عن ابن عباس
هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا الى الاسلام وعمل صالحا
فيما بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة له وعنه انهم اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وعن عائشة رضها ما كنا نشك ان هذه الآية نزلت في المؤذنين
وهي عامة في كل من جمع بين هذه الثلث ان يكون موحدا معتقدا لدين الاسلام
عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين العاملين من اهل العدل
والتوحيد الدعاة الى دين الله وقوله وقال انني من المسلمين ليس الغرض
انه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما تقول
هذا قول ابي حنيفة يريد مذهبه ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع
بالتي هي احسن يعني ان الحسنة والسيئة متفاوتتان في انفسهما فخذ بالحسنة

وفي القبر

الدنيا

التي هي احسن من اختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التي ترد
عليك من بعض اعدائك ومثال ذلك رجل اساء اليك اساءة فالحسنة
ان تعفو عنه والتي هي احسن ان تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل ان يذمك
فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدي ولده فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه
ولي حميم فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة
لك ثم قال وما يلقاها وما يلقى هذه الخليقة والسجية التي هي مقابلة الاساءة
بالاحسان الا الذين صبروا الا اهل الصبر وما يلقاها الا ذو حظ
عظيم الا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير فهلا قيل فادفع بالتي
هي احسن هو على تقدير قائل قال كيف اصنع فقيل ادفع بالتي هي احسن
لا مزيدة والمعنى ولا تستوي الحسنة والسيئة فكان القياس على هذا التفسير
ان يقال ادفع بالتي هي حسنة اجل ولكن وضع التي هي احسن موضع الحسنة
ليكون ابلغ في الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها وعن
ابن عباس رضهما بالتي هي احسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة
وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت في ابي سفيان
وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصار وليا مصافيا
واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس
والشيطان كانه ينخس الانسان يبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده
او اريد واما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر او لتسويله والمعنى وان
صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله
من شره وامض على شانك ولا تطعه ومن آياته الليل والنهار والشمس
والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن
ان كنتم اياه تعبدون الضمير في خلقهن لليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة ما لا
يعقل حكم الانثى والاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن او لما قال ومن آياته
كن في معنى الآيات فقيل خلقهن ان موضع السجدة عند الشافعي
تعبدون وهي رواية مسروق عن عبد الله لذكر لفظ السجدة قبلها وعند ابي حنيفة

انه هو السميع العليم

علة لا يسامون لانها تمام المعنى وهي عند ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب لعل
ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون
انهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وامروا ان
يقصدوا بسجودهم وجه الله خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير
مشركين فان استكبروا ولم يمتثلوا ما امروا به وابوا الا الواسطة فدعهم
وشانهم فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسامون فان لله
عز سلطانه لا يعدم عابدا ولا ساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين
ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وقوله عند ربك عبارة عن الزلفى والمكانة
والكرامة وقرئ لا يسامون بكسر الياء ومن آياته انك ترى الارض
خاشعة الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة
لا نبات فيها كما وصفها بالهمود في قوله وترى الارض هامدة وهو خلاف
وصفها بالاهتزاز فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت الربو الانتفاخ
اي انتفخت وتزخرفت بالنبات كانها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك
كالكاسف البال في الاطمار الرثة وقرئ وربأت اي ارتفعت لان النبت اذا هم
ان يظهر ارتفعت له الارض ان الذي احياها لمحيي
الموتى انه على كل شيء قدير ان الذين يلحدون في آياتنا يقال
الحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة فحفر في شق فاستعير للانحراف في تأويل
القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يلحدون ويلحدون على اللغتين وقوله
لا يخفون علينا وعيد لهم على التحريف افمن يلقى في النار خير ام من يأتي
آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير
ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم هو بدل من قوله
ان الذين يلحدون في آياتنا لانهم لكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا تأويله وانه
لكتاب عزيز اي منيع محمي بحماية الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه تنزيل من حكيم حميد مثل كأن الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا
من جميع الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به اما طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون

ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به بان قيض قوما عارضوهم
بابطال تأويلهم وافساد اقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول مبطل الا
مضمحلا ونحوه قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ما يقال لك اي ما يقول
لك كفار قومك الا ما قد قيل الا مثل ما قال للرسل من قبلك كفار قومهم
والمطاعن في الكتب المنزلة ان ربك لذو مغفرة ورحمة لانبيائه وذو عقاب اليم لاعدائهم
ويجوز ان يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو قوله
ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم فمن حقه ان يرجوه اهل طاعته ويخافه اهل معصيته والغرض تخويف
العصاة ولو جعلناه قرآنا اعجميا كانوا لتعنتهم يقولون هلا انزل القرآن بلسان
العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعنت لقالوا لولا فصلت
آياته أأعجمي وعربي اي بينت وفصلت بلسان نفقهه أأعجمي وعربي الهمزة همزة
الانكار يعني لانكروا وقالوا أقرآن اعجمي ورسول عربي او ومرسل اليه عربي
وقرئ أعجمي والاعجمي الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من اي جنس كان والعجمي منسوب
الى امة العجم وفي قراءة الحسن اعجمي بغير همزة الاستفهام على الاخبار بان القرآن
اعجمي والمرسل او والمرسل اليه عربي والمعنى ان آيات الله على اي طريقة جاءتهم
وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون اهواءهم ويجوز
في قراءة الحسن هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا
للعرب كيف يصح ان يراد بالعربي المرسل اليهم وهم امة العرب
هو على الحسب ان يقع في انكار المنكر لو راى كتابا عجميا كتب الى قوم من العرب
يقول اكتاب عجمي ومكتوب اليه عربي وذلك لان مبنى الانكار على تنافي حالتي الكتاب
والمكتوب اليه لا على ان المكتوب اليه واحد او جماعة فوجب ان يجرد لما سيق له من الغرض
ولا يوصل به ما يخيل غرضا آخر الا ترى انك تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة
قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو
لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس وانوثته انما وقع في غرض
وراءهما قل هو اي القرآن للذين آمنوا هدى وشفاء ارشادا الى الحق
وشفاء لما في الصدور من الظن والشك والذين لا يؤمنون

في آذانهم وقر منقطع عن ذكر القرآن فيما وجه اتصاله به
لانه اما ان يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله للذين آمنوا
على معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم
وقر الا ان فيه عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه واما ان يكون مرفوعا
على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدا او في آذانهم منه
وقر وهو عليهم عمى وقرئ عم كقوله فعميت عليكم اولئك ينادون من
مكان بعيد يعني انهم لا يقبلونه ولا يرعونه اسماعهم فمثلهم في ذلك مثل
من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها الصوت ولا يسمع النداء ولقد آتينا
موسى الكتاب فاختلف فيه فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل
ولولا كلمة سبقت من ربك الكلمة السابقة هي العدة بالقيمة وان
الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى
بل الساعة موعدهم ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى وانهم لفي شك منه مريب
من عمل صالحا فلنفسه فنفسه نفع ومن اساء فعليها فنفسه ضر
وما ربك بظلام للعبيد فيعذب بغير المسيء اليه يرد علم الساعة
اي اذا سئل عنها قيل الله اعلم او لا يعلمها الا الله وما تخرج من ثمرة وقرئ
من ثمرات من اكمامها جمع كم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة
وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اي وما يحدث شيء من خروج ثمرة
ولا حمل حامل ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد ايام الحمل وساعاته و
احواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك ويوم
يناديهم اين شركائي اضافهم اليه على زعمهم وبيانه في قوله اين شركائي الذين
وفيه تهكم وتقريع قالوا آذناك اعلمناك ما منا من شهيد اي ما منا احد اليوم
وقد ابصرنا وسمعنا يشهد بانهم شركاؤك اي وما منا الا من هو موحد لك او ما منا
من احد يشاهدهم وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل لانهم ضلوا عنهم وضلت عنهم
آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء اي ما منا من شهيد
يشهد بما اضافوا الينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير انهم لا ينفعونهم

فكانهم ضلوا عنهم وظنوا وايقنوا ما لهم من محيص مهرب والمحيص المهرب آذناك
اخبار بايذان كان منهم فاذا قد آذنوا فلم سئلوا قلت يجوز ان يعاد عليهم اين شركائي
اعادة للتوبيخ واعادته في القرآن على سبيل الحكاية دليل على حكاية المحكي ويجوز ان يكون
المعنى انك علمت من قلوبنا وعقائدنا اليوم انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه
اذا علمه من نفوسهم فكانهم اعلموه ويجوز ان يكون انشاء للايذان ولا يكون اخبارا بايذان
قد كان كما يقول العالم الملك انه كان من الامر كيت وكيت لا يسأم الانسان من دعاء الخير
من طلب المال والصحة والنعمة وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير وان مسه الشر اي الضيق و
الفقر فيؤس قنوط بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق التكرير والقنوط
ان يظهر عليه اثر اليأس فيتضاءل وينكسر اي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه
صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته واذا فرجنا عنه بصحة بعد مرض
او سعة بعد ضيق ليقولن هذا لي اي هذا حقي وصل الي لاني استوجبته بما
عندي من خير وفضل واعمال بر او هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فاذا جاءتهم
الحسنة قالوا لنا هذه ونحوه قوله وما اظن الساعة قائمة اي ما اظنها تكون
وما انا بمتيقن لذلك وما اظنها تكون فان كانت على طريقة التوهم ان لي
عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا امر الآخرة على امر الدنيا
وعن بعضهم للكافر امنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى
ويقول في الآخرة يا ليتني كنت ترابا وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة فلننبئن الذين كفروا بحقيقة
ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس ما اعتقدوا فيها انهم يستوجبون
عليها الكرامة والقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
وذلك انهم كانوا ينفقون اموالهم رئاء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير
وكانوا يحسبون ان ما هم عليه سبب الغنى والصحة وانهم محقوقون بذلك
واذا انعمنا على الانسان هذا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا اصابه
الله بنعمة ابطرته النعمة وكانه لم يلق بؤسا قط فنسي المنعم واعرض عن شكره ونأى
بجانبه اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم واذا مسه الشر الضر والفقر فذو دعاء

دعاء عريض اقبل على دوام الدعاء واخذ في الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام ويستعار له الطول ايضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ وناي بجانبه بامالة الالف وكسر النون للاتباع وناء على القلب كما قالوا راء في راى ونأى بجانبه فيه وجهان ان يوضع نفسه كما ذكرنا في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله ان مكان الشيء وجهته ينزل منزلة الشيء نفسه ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكانه قال ونأى بنفسه كقولهم في المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء والثاني ان يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه قل ارأيتم اخبروني ان كان القرآن من عند الله يعني ان ما انتم عليه من انكار القرآن وتكذيبه ليس بامر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وانما هو قبل النظر واتباع الدليل امر محتمل يجوز ان يكون من عند الله وان لا يكون من عنده وانتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما انكرتم ان يكون حقا وقد كفرتم به فاخبروني من اضل منكم وانتم ابعدتم الشوط في مشاقته ومناصبته ولعله حق فاهلكتم انفسكم وقوله من هو في شقاق بعيد موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم يعني ما يسر الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وانصار دينه في آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفي باحة العرب خصوصا من الفتوح التي لم يتيسر امثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعفائهم على اقويائهم واجرائه على ايديهم امورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام في اقطار المعمورة وبسط دولته في اقاصيها والاستقراء يطلعك في التواريخ والكتب المدونة في مشاهد اهله وايامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم الا علما من اعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الايمان

حتى يتبين لهم انه الحق ان دين الاسلام هو دين الحق الذي لا محيد عنه لامكان حسه بما لطف نفسه وما الثبات والاستقامة الا صفة الحق والصدق كما ان الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والتمويه وان للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل اولم يكف بربك في موضع الرفع على انه فاعل كفى وانه على كل شيء شهيد بدل منه تقديره اولم يكفهم ان ربك على كل شيء شهيد ومعناه ان هذا الموعود من اظهار آيات الله في الآفاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك ان القرآن تنزيل عالم الغيب الذي هو على كل شيء شهيد اي مطلع مهيمن يستوي عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة الا انهم في مرية من لقاء ربهم الا انه بكل شيء محيط وقرئ في مرية بالضم وهي الشك عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم في لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قرأ سورة السجدة اعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم وقرأ ابن عباس وابن مسعود حم سق حم عسق كذلك يوحي اليك اي مثل ذلك الوحي يوحي الله اليك والى الذين من قبلك الله والى الرسل من قبلك يعني ان ما تضمنته هذه السورة من المعاني قد اوحي اليك مثله في غيرها من السور واوحي الى من قبلك في كتبهم السماوية لما فيها من التنبيه البليغ والاطلاع العظيم من الاولين ولم يقل اوحى اليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على ان ايحاء مثله عادته وقرئ يوحى اليك على البناء للمفعول فاذا فاعل مسند اليه على هذه القراءة ما دل عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحي فقيل الله كقراءة السلمي وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركاؤهم كأنه قيل من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم واما فاعله فيمن قرأ نوحي بالنون

او مثل ذلك الكتاب

الابتداء والعزيز وما بعده اخبار او العزيز الحكيم صفتان والظرف خبر له ما
في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن وقرئ تكاد
ينفطرن وينفطرن روى يونس عن ابي عمرو وقراءة غريبة تتفطرن بالتاء مع
النون ونظيرها حرف نادر روي في نوادر ابن الاعرابي الابل تشممن ومعناه
يتفطرن من علو شان الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد قوله العلي العظيم وقيل من دعائهم
له ولدا كقوله تكاد السموات يتفطرن منه لم قال من
فوقهن لان اعظم الآيات وادلها على الجلال والعظمة فوق السموات
وهي العرش والكرسي والملائكة يسبحون بحمد ربهم وصفوف الملائكة
بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله من آثار ملكوته العظمى
فلذلك قال يتفطرن من فوقهن اي يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية او لان
كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس ان يقال ينفطرن من تحتهن
من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة في جهة الفوق
كانه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن
ونظيره في المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم
فجعل الحميم مؤثرا في اجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارضين ويستغفرون
لمن في الارض الا ان الله هو الغفور الرحيم كيف صح ان يستغفروا لمن
في الارض وفيهم الكفار اعداء الله وقد قال الله تعالى اولئك عليهم لعنة الله والملائكة
فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم لمن في الارض يدل على جنس اهل الارض
وهذه الجنسية قائمة في كلهم وفي بعضهم فيجوز ان يراد به هذا وهذا وقد
دل الدليل على ان الملائكة لا يستغفرون الا لاولياء الله وهم المؤمنون فما اراد الله الا اياهم
الا ترى قوله في سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا
المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا
في استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في
قوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا وقوله ان
ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وان لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما

وقد عرفت قوله تكاد السموات يتفطرن تفظيعا ... في الجملة وما بعدها
اما على احدهما فكانه قيل تكاد السموات ينفطرن هيبة من جلاله واحتشاما
من كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا
بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن
في الارض خوفا عليهم من سطواته واما على الثاني فكانه قيل يكدن ينفطرن
من اقدام اهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله و
ينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التي يضيفها اليه الجاهلون به حامدين
له على ما اولاهم من الطافه التي علم انهم عندها يستعصمون مختارين غير
ملجئين ويستغفرون لمؤمني اهل الارض الذين تبرؤوا من تلك الكلمة ومن اهلها
او يطلبون من ربهم ان يحلم عن اهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود
ذلك فيهم لما عرفوا في ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا في توبة
الكفار والفساق منهم والذين اتخذوا من دونه اولياء جعلوا له شركاء
وانداد الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم لا يفوته منها شيء وهو محاسبهم
عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده وما انت يا محمد عليهم بوكيل بموكل بهم ولا
مفوض اليك امرهم ولا قسرهم على الايمان انما انت منذر فحسب وكذلك ومثل
ذلك اوحينا اليك وذلك اشارة الى معنى الآية قبلها من ان الله هو الرقيب
عليهم وما انت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان هذا المعنى كرره الله تعالى في كتابه
في مواضع جمة والكاف مفعول به لاوحينا قرآنا عربيا حال من المفعول به اي
اوحيناه اليك وهو قرآن عربي بين لا لبس فيه عليك لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد
الانذار ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى مصدر اوحينا اي ومثل ذلك الايحاء
البين المفهم اوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك لتنذر يقال انذرته كذا وانذرته
بكذا وقد عدي الاول اعني لتنذر ام القرى الى المفعول الاول والثاني وهو
وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني ام القرى اهل ام القرى كقوله واسأل القرية
ومن حولها من العرب وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن يوم الجمع يوم القيامة لان
الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الارواح والا

وتنكير فريق بين كل عامل وعمله ولا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة
وفريق في السعير بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير
للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم اي متفرقين في حالة
واحدة كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون كيف يكون مجموعين
متفرقين في حالة واحدة هم مجموعون في ذلك مع افتراقهم في داري البوس والنعيم
كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين وان اريد بالجمع جمعهم في الموقف فالتفرق
على معنى مشارفتهم للتفرق ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة اي مؤمنين
كلهم على القسر والاكراه كقوله ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله ولو
شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا والدليل على ان المعنى هو الالجاء الى
الايمان قوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله افانت تكره بادخال
همزة الانكار على المكره دون فعله دليل على ان الله وحده هو القادر على
هذا الاكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على
الايمان ولكن يدخل لكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى امرهم على ما
يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بمن يشاء الا ترى الى وضعهم
في مقابلة الظالمين والظالمون ما لهم من ولي اي ويترك الظالمين بغير
ولي ولا نصير في عذابه ام اتخذوا من دونه اولياء الانكار فالله هو
الولي هو الذي يجب ان يتولى وحده ويعتقد انه الولي والسيد والفاء في قوله
فالله هو الولي جواب شرط مقدر كانه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان ارادوا
وليا بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه وهو يحيي اي ومن شأن هذا
الولي انه يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا
دون من لا يقدر على شيء وما اختلفتم فيه من شيء حكاية قول رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم للمؤمنين اي ما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين
فاختلفتم انتم وهم فيه من امر من امور الدين فحكمه اي حكم ذلك المختلف فيه
مفوض الى الله وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين ذلكم
الحاكم بينكم هو الله ربي عليه توكلت في رد كيد اعداء الدين واليه انيب

من يشاء

معنى همزة الاستفهام في ...

ارجع في كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم وتنازعتم من شيء من الخصومات
فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة
غيره كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه
من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي
لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى
ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي هل يجوز حمله على اختلاف
المجتهدين في احكام الشريعة لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول فاطر
السموات قرئ بالرفع والجر فالرفع على انه احد اخبار ذلكم او خبر مبتدأ محذوف
والجر على فحكمه الى الله فاطر السموات وذلكم الى انيب اعتراض بين الصفة والموصوف
جعل لكم من انفسكم من جنسكم من الناس ازواجا ومن
الانعام ازواجا اي وخلق من الانعام ازواجا ومعناه اي وخلق للانعام يذرؤكم
يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرء والذرو اخوات فيه
في هذا التدبير وهو ان جعل للانس والانعام ازواجا حتى كان بين ذكورهم
واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا
فيه المخاطبون العقلاء على ما لا يعقل وهي من الاحكام ذات العلتين
ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به جعل هذا التدبير
كالمنبع والمعدن للبث والتكثير الا تراك تقول للحيوان في خلق الازواج تكثير كما
قال تعالى ولكم في القصاص حياة قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون
نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن
يسد مسده وعمن هو على اخص اوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب
لا تخفر الذمم ومنه قولهم قد ايفعت لداته وبلغت اترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفي
حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب الا وفيهم الطيب الطاهر لداته
والقصد الى طهارته وطيبه فاذا علم انه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله
شيء وبين قوله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير الا ما تعطيه الكناية من فائدتها

وكانهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل
بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت
عبارة عن الجود لا يقصدون شيئا اخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل
هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك ان تزعم ان كلمة التشبيه كررت للتاكيد كما كررها
من قال وصاليات ككما يؤثفين ومن قال فاصبحوا مثل كعصف مأكول **له مقاليد**
السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر فاذا علم ان الغنى خير للعبد اغناه
والا افقره **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا**
اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى اي شرع لكم دين نوح ومحمد ومن
بينهما من الانبياء عليهم الصلوة والسلم ثم فسر المشروع الذي هو القدر المشترك بين هؤلاء الاعلام من رسله
فيه بقوله **ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه** والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو
توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل
باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة
متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل ان اقيموا الدين
اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على الاستيناف كانه قيل
وما ذاك المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة
كبر على المشركين عظم عليهم وشق عليهم **ما تدعوهم اليه** من اقامة دين الله
والتوحيد **الله يجتبي اليه** يجتلب اليه والضمير للدين بالتوفيق والتسديد **من يشاء**
من ينفع فيهم توفيقه ويجري عليهم لطفه **وما تفرقوا** يعني اهل الكتاب بعد انبيائهم **الا من**
بعد ان علموا ان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد عليه على السنة الانبياء **ولولا كلمة**
سبقت من ربك وهي عدة التاخير الى يوم القيمة **لقضي بينهم** حين افترقوا لعظم ما
اقترفوا **وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم** وهم اهل الكتاب الذين كانوا
في عهد رسول الله صلى الله عليه واله وسلم **لفي شك منه** من كتابهم **مريب** لا يؤمنون به
حق الايمان وقيل كان الناس امة واحدة مؤمنين بعد ان اهلك الله اهل الارض اجمعين
بالطوفان فلما مات الاباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله النبيين
مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم ببعث رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كقوله

[margin:] وهو بكل شيء عليم

وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فان الذين اورثوا
الكتاب من بعدهم هم المشركون اورثوا القرآن من بعد ما اورث اهل الكتاب
التورية والانجيل وقرئ ورثوا وورثوا **فلذلك** فلاجل ذلك التفرق ولما
حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا **فادع** الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية
القديمة **واستقم** عليها وعلى الدعوة اليها **كما امرت** كما امرك الله **ولا تتبع**
اهواءهم المختلفة الباطلة **وقل آمنت بما انزل الله من كتاب** باي كتاب صح ان
الله انزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا
ببعض كقوله نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله اولئك هم الكافرون حقا
وامرت لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي **لا حجة بيننا وبينكم**
اي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه
لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته **الله يجمع بيننا**
يوم القيمة **واليه المصير** فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة
بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام كيف حوربوا وقد فعل بهم بعد
ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء المراد محاجزة
في مواقف المقاولة لا المقاتلة **والذين يحاجون في الله من بعد ما**
استجيب له للناس ودخلوا في الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله
ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى
يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى
بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر واظهر دين الاسلام
حجتهم داحضة عند ربهم باطلة زالة **وعليهم غضب ولهم عذاب**
شديد الله الذي انزل الكتاب اي جنس الكتاب والميزان والعدل والتسوية
ومعنى انزال العدل انه انزله في كتبه المنزلة وقيل الذي يوزن به **بالحق**
ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل مقترنا بالغرض الصحيح كما اقتضته
الحكمة او بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك **وما يدريك لعل الساعة**
في تاويل البعث ولذلك قيل **قريب** او لعل مجيء الساعة قريب كيف توفق

[margin:] الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم

[margin:] والميزان

ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان لان الساعة يوم الحساب ووضع
الموازين القسط فكانه قيل امركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل ان يفاجئكم
اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن اعمالكم ويوفي لمن اوفى ويطفف لمن طفف يستعجل
بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون انها
الحق الا ان الذين يمارون في الساعة المماراة المحاجة لان كل واحد منهما
يمري ما عند صاحبه لفي ضلال بعيد من الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من
قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز على انها آتية لا ريب فيها ولشهادة العقول على انه لا بد
من دار الجزاء الله لطيف بعباده بر بليغ البر بهم قد توصل بره الى جميعهم
وتوصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم احد من كلياته وجزئياته
فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره الى جميعهم كلهم
مبرورون لا يخلو احد من بره الا ان البر اصناف وله اوصاف والقسمة بين العباد
تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر
لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظ له وصف لم يصب ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له
منهم ما لم يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذي اراد بقوله يرزق من يشاء كما يرزق احد
الاخوين ولدا دون الآخر على انه اصابه بنعمة اخرى لم يرزقها صاحب الولد وهو القوي
الباهر القدرة الغالب على كل شيء العزيز الذي لا يغلب من كان يريد حرث
الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له
في الآخرة من نصيب سمى ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة والزكاء حرثا على
المجاز وفرق بين عملي العاملين بان من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته
ومن كان عمله للدنيا اعطي شيئا منها لا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له
وفرغ منه وما له نصيب قط في الآخرة ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا
نصيب قط على ان رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك
الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب ام لهم شركاء شرعوا لهم
من الدين ما لم يأذن به الله معنى الهمزة في ام التقرير والتقريع وشركاؤهم
شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها

وهو الدين الذي شرع لهم الشياطين وتعالى الله عن الاذن فيه والامر به وقيل
شركاؤهم اوثانهم وانما اضيفت اليهم لانهم متخذوها شركاء لله فتارة تضاف اليهم
بهذه الملابسة وتارة الى الله ولما كانت سببا لضلالهم وافتتانهم جعلت شارعة
لدين الكفر كما قال ابراهيم صلوات الله عليه انهن اضللن كثيرا من الناس ولولا كلمة
الفصل اي القضاء السابق بتاجيل الجزاء او ولولا العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي
بينهم اي بين الكافرين والمؤمنين او بين المشركين وشركائهم وقرأ مسلم بن جندب وان
الظالمين بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين
في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا ترى الظالمين في الآخرة مشفقين خائفين خوفا شديدا
ارق قلوبهم مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم يريد وباله واقع بهم وواصل
اليهم لا بد لهم منه اشفقوا او لم يشفقوا والذين آمنوا وعملوا الصالحات في
روضات الجنات كان روضة الجنة المؤمنين اطيب بقعة فيها وانزهها لهم ما يشاءون
عند ربهم منصوب بالظرف لا بيشاءون ذلك الذي يبشر الله عباده وقرئ يبشر
من بشره ويبشر من ابشره ويبشر من بشره والاصل ذلك الثواب الذي يبشر الله
به عباده فحذف الجار كقوله واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله
اهذا الذي بعث الله رسولا او ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده قل لا اسألكم
عليه اجرا روي انه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض اترون محمدا يسأل
على ما يتعاطاه اجرا فنزلت الآية الا المودة في القربى يجوز ان يكون استثناء
متصلا اي لا اسألكم اجرا الا هذا وهو ان تودوا اهل قرابتي ولم يكن هذا اجرا في
الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المودة ويجوز ان يكون
منقطعا اي لا اسألكم اجرا قط ولكني اسألكم ان تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم
فلا تؤذوهم هلا قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى وما معنى
قوله الا المودة في القربى جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في
آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد احبهم وهم مكان حبي
ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة
بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى

وان الظالمين لهم عذاب اليم

ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في أهل القربى
وروي أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم
قال علي وفاطمة وابناهما ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت إلى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم حسد الناس لي فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول
من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا
وذريتنا خلف أزواجنا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حرمت الجنة على من
ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب
ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غدا إذا لقيني يوم القيامة وروي الأنصار ألم تكونوا
أذلة فأعزكم الله قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي
قالوا بلى يا رسول الله قال فلا تجيبوني قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا
تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أولم يكذبوك فصدقناك أولم يخذلوك فنصرناك
قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله
فنزلت الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مات على حب آل محمد
مات على حب آل محمد مات مغفورا له ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا ألا
ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الإيمان ألا ومن مات على حب آل محمد
بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة
كما يزف العروس إلى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى
الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله تعالى قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات
على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب
بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا ألا ومن
مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وبينهم قرابة فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت والمعنى إلا أن
تودوني في القربى أي في حق القربى ومن أجلها كما يقول الحب في الله والبغض في الله
بمعنى في حقه ومن أجله يعني أنكم قومي وأحق من أجابني وأطاعني فإذ قد أبيتم
ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي وقيل أتت الأنصار رسول الله

شهيدا ألا ومن مات

صلى الله عليه وآله وسلم بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وأنت
ابن أختنا وتعروك نوائب وحقوق وما لك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت
ورده وقيل القربى التقرب إلى الله أي إلا أن تحبوا الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة
وقرئ إلا مودة في قربى ومن يقترف حسنة عن السدي أنها المودة في آل رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم والظاهر العموم
أي حسنة كانت إلا أنها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى دل على أنها تناولت
المودة تناولا أوليا كأن سائر الحسنات لها توابع نزد له فيها حسنا وقرئ
يزد أي يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا وقرئ حسنى وهي مصدر
كالبشرى إن الله غفور شكور الشكور في صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة
وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب أم يقولون افترى على الله كذبا
أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قال أيتمالكون أن ينسبوا مثله
إلى الافتراء ثم إلى الافتراء على الله الذي هو أعظم الفرى وأفحشها فإن يشأ
الله يختم على قلبك فإن يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفتري عليه
الكذب فإنه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله إلا من كان في مثل حالهم وهذا
الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله وأنه في البعد مثل الشرك بالله والدخول
الدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا أن يخون بعض الأمناء فيقول لعل
الله خذلني لعل الله أعمى قلبي وهو لا يريد إثبات الخذلان وعمى القلب وإنما يريد استبعاد
أن يخون مثله والتنبيه على أنه ركب من تخوينه أمر عظيم ويمح الله الباطل ثم قال
ومن عادة الله أن يمحو الباطل ويثبت الحق بكلماته بوحيه أو بقضائه
كقوله بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعني لو كان مفتريا كما يزعمون لكشف الله
افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه ويجوز أن يكون عدة لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بأنه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت
الحق الذي أنت عليه بالقرآن وبقضائه الذي لا مرد له من نصرتك عليهم إن الله
عليم بذات الصدور بما في صدرك وصدورهم فيجري الأمر على حسب ذلك وعن قتادة

يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم قوله ويمح
الله الباطل كلام مبتداء غير معطوف على يختم فيما بال الواو ساقطة في الخط
سقطت في قوله ويدع الانسان بالشر وقوله سندع الزبانية على انها
مثبتة في بعض المصاحف **وهو الذي يقبل التوبة عن عباده** يقال قبلت
منه الشيء وقبلته عنه فمعنى قبلته منه اخذته منه وجعلته مبداء قبولي
ومنشاءه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وابنته عنه والتوبة ان يرجع عن
القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على ان لا يعاود لان رجوعه
عنه قبيح واخلال بالواجب فان كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التقصي على
طريقه وروى جابر ان اعرابيا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وقال اللهم اني استغفرك واتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلوته قال له علي
رضي الله عنه يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج
الى التوبة فقال يا امير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي
من الذنوب الندامة ولتضييع الفرايض الاعادة ورد المظالم واذابة النفس في الطاعة كما ربيتها
في المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعصية
والبكاء بدل كل ضحك ضحكته **ويعفو عن السيئات** عن الكبائر اذا تيب عنها
وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر **ويعلم ما تفعلون** قرئ بالتاء والياء اي
يعلم فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته **ويستجيب الذين آمنوا وعملوا
الصالحات** ويستجيب لهم فحذف اللام كما حذف في واذا كالوهم اي يثيبهم على طاعتهم
ويزيدهم على الثواب **من فضله** تفضلا واذا دعوه استجاب دعاءهم واعطاهم
ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم وقيل الاستجابة فعلهم اي يستجيبون له بالطاعة
اذا دعاهم اليها ويزيدهم هو من فضله على ثوابهم وعن سعيد بن جبير هذا من
فعلهم يجيبونه اذا دعاهم وعن ابرهيم بن ادهم انه قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب
قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعوا الى دار السلم ويستجيب الذين آمنوا
ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض من البغي اي لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا
وذلك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه قوله عليه السلام

اخوف ما اخاف على امتي زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب وقد جعل الوسمي
ينبت بيننا وبين بني رومان نبعا وشوحطا يعني انهم احيوا فحدثوا انفسهم بالبغي و
التفانن او من البغي وهو البذخ والكبر اي لتكبروا في الارض وفعلوا ما يتبع الكبر
من العلو فيها والفساد وقيل نزلت في قوم من اهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال
خباب بن الارت فينا نزلت وذلك انا نظرنا الى اموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع
فتمنيناها **ولكن ينزل بقدر ما يشاء** بتقدير يقال قدره قدرا وقدرا
انه بعباده خبير بصير يعرف ما يؤل اليه احوالهم فيقدر لهم ما هو اصلح لهم
واقرب الى جمع شملهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة
الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا فان قلت قد نرى الناس
يبغي بعضهم على بعض ومنهم مبسوط ومنهم مقبوض عنهم فان كان المبسوط لهم
يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغي بدون البسط
فلم شرط قلت لا شبهة في ان البغي مع الفقر اقل ومع البسط اكثر واغلب وكلاهما
سبب ظاهر للاقدام على البغي والاحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغي حتى ينقلب الامر
الى عكس ما عليه الآن **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا** بفتح النون و
كسرها **وينشر رحمته** اي بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر
انه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذن اراد هذه الآية ويجوز ان
يريد رحمته في كل شيء كانه قال ينزل الرحمة التي هي الغيث وينشر غيرها من رحمته
الواسعة **وهو الولي** الذي يتولى عباده باحسانه **الحميد** المحمود على ذلك يحمده اهل
طاعته **ومن آياته خلق السموات والارض وما بث** يجوز ان يكون مرفوعا ومجرورا
حملا على المضاف اليه فان قلت لم جاز **فيهما من دابة** والدواب في الارض وحدها
قلت يجوز ان ينسب الى جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم
شاعر مجيد او شجاع بطل وانما هو في فخذ منهم من افخاذهم او فصيلة من فصائلهم
وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
وانما يخرج من الملح ويجوز ان يكون للملائكة مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب
كما يوصف به الاناسي ولا يبعد ان يخلق في السموات حيوانا يمشون فيها مشي الاناسي على

الارض سبحان الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم من اصناف الخلق «وهو على جمعهم اذا يشاء قدير» اذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضي قال الله تعالى «والليل اذا يغشى» ومنه اذا يشاء، وقال الشاعر: واذا ما اشاء ابعث منها آخر الليل ناشطا مذعورا «وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم» في مصاحف اهل العراق فبما باثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفي مصاحف اهل المدينة بما كسبت بغير فاء على ان ما مبتدأة وبما كسبت خبرها من غير تضمين «ويعفوا عن كثير» ... مخصوصة بالمجرمين ولا يمتنع ان يستوفي الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض فاما من لا اجرام له كالانبياء والاطفال والمجانين فهؤلاء اذا اصابهم شيء من الم او غيره فللعوض الموفى والمصلحة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما من اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه اكثر وعن بعضهم من لم يعلم ان ما وصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وان ما عفا عنه مولاه اكثر كان قليل النظر في احسان ربه اليه وعن آخر العبد ملازم للجنايات في كل اوان وجناياته في طاعته اكثر من جناياته في معصيته لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بانواع من المصائب ليخفف عنه اثقاله في القيمة ولولا عفوه ورحمته لهلك في اول خطوة وعن علي رضي الله عنه وقد رفعه من عفي عنه في الدنيا عفي عنه في الآخرة ومن عوقب في الدنيا لم تثن عليه العقوبة في الآخرة وعنه رضي الله عنه هذه ارجى آية للمؤمنين في القرآن «وما انتم بمعجزين في الارض» فائتين ما قضى عليكم من المصائب «وما لكم من دون الله من ولي» متول بالرحمة «ومن آياته الجوار في البحر» الجواري السفن وقرئ الجوار «كالاعلام» كالجبال قالت الخنساء: كانه علم في راسه نار «ان يشأ يسكن الريح» وقرئ الرياح «فيظللن» بفتح اللام وكسرها من ظل يظل ويظل نحو ضل يضل ويضل «رواكد» ثوابت لا تجري «على ظهره» على ظهر البحر «ان في ذلك لآيات لكل صبار» على بلاء الله «شكور» لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذي وكل همته بالنظر في آيات الله فهو يستملي منها العبر «او يوبقهن» يهلكهن «بما كسبوا» والمعنى انه ان يشأ يسكن الريح فيركد الجواري

يبتلي المسافرين في البحر باحدى بليتين اما ان ص

على متن البحر ويمنعهن من الجري واما ان يرسل الريح عاصفة فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب «ويعف عن كثير» منها فان قلت علام عطف يوبقهن قلت على يسكن لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يعصفها فيغرقن بعصفها فان قلت ما معنى ادخال العفو في حكم الايباق حيث جزم جزمه قلت معناه او ان يشأ يهلك ناسا وينج ناسا على طريق العفو عنهم فان قلت فمن قرأ ويعفو قلت قد استأنف الكلام فان قلت ما وجه القراءات الثلث في «ويعلم» قلت اما الجزم فعلى ظاهر العطف واما الرفع فعلى الاستئناف واما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم ويعلم «الذين يجادلون في آياتنا» ونحوه في العطف على التعليل المحذوف غير عزيز في القرآن منه قوله تعالى «ولنجعله آية للناس» وقوله «وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت» واما قول الزجاج النصب على اضمار ان لان قبلها جزاء كما تقول ما تصنع اصنع مثله واكرمك وان شئت واكرمك على وانا اكرمك وان شئت واكرمك جزما ففيه نظر لما اورده سيبويه في كتابه قال واعلم ان النصب بالفاء والواو في قوله ان تأتني آتك واعطيك ضعيف وهو نحو من قوله: والحق بالحجاز فاستريحا فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا انه في الجزاء اقوى قليلا لانه ليس بواجب انه يفعل الا ان يكون من الاول فعل فلما ضارع الذي لا يوجبه كالاستفهام ونحوه اجازوا فيه هذا على ضعفه ولا يجوز ان تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما اخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة فان قلت فكيف يصح المعنى على جزم ويعلم قلت كانه قال او ان يشأ يجمع بين ثلثة امور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين «ما لهم من محيص» من محيد عن عقابه «فما اوتيتم من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون» ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء في جوابها بخلاف الثانية عن علي رضي الله عنه اجتمع لابي بكر رضي الله عنه مال فتصدق به كله في سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت «والذين يجتنبون» عطف على الذين آمنوا وكذلك ما بعده و

كبائر الاثم الكبائر من هذا الجنس وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس كبير الاثم
الشرك والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون اي هم الاخصاء بالغفران
في حال الغضب لا يغول الغضب احلامهم كما يغول حلوم الناس والمجيء بهم وايقاعه مبتدأ
واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون والذين استجابوا لربهم
نزلت في الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بان امنوا
به واطاعوه واقاموا الصلوة الخمس وامرهم شورى كانوا قبل الاسلام
وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة اجتمعوا وتشاوروا فاثنى
الله عليهم اي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا
لارشد امرهم والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى وامرهم شورى
بينهم اي ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وآله
وعمر بن الخطاب رض الخلافة شورى وهو ان يقتصروا في الانتصار على ما جعله الله لهم
وعن النخعي انه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق
اهم محمودون على الانتصار ثم لا ان من اخذ حقه غير متعد حد الله
وما امر به فلم يسرف في القتل ان كان ولي دم او رد على سفيه محاماة على عرضه
ردعا له فهو مطيع وكل مطيع محمود وجزاء سيئة سيئة مثلها كلتا الفعلتين
الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وان تصبهم سيئة
يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوؤهم من المصائب والبلايا والمعنى انه يجب اذا
قوبلت الاساءة ان يقابل مثلها من غير زيادة فاذا قال اخزاك الله قال اخزاك الله فمن عفا
واصلح بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء كما قال فاذا الذي بينك وبينه
عداوة كانه ولي حميم فاجره على الله عدة مبهمة لا يقاس امرها في العظم
انه لا يحب الظالمين دلالة على ان الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة
خصوصا في حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازي من الظالمين وهو لا
يشعر وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان
له على الله اجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن
الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا باذن الله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه

من اضافة المصدر الى المفعول وتفسره قراءة من قرأ بعد ما ظلم فاولئك اشارة
الى معنى من دون لفظه ما عليهم من سبيل للمعاقب ولا للعاتب والعائب انما السبيل
على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالظلم ويبغون في الارض بغير الحق يتكبرون
فيها ويعلون ويفسدون اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر على الظلم والاذى
وغفر ولم ينتصر وفوض امره الى الله ان ذلك منه لمن عزم الامور وحذف
الراجع لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى ان رجلا سب رجلا
في مجلس الحسن فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الاية فقال الحسن
عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب اليه ثم قد يعكس
في بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه [illegible] وذلك اذا
احتيج الى كف زيادة البغي وقطع مادة الاذى وعن النبي صلى الله عليه وآله
ما يدل عليه وهو ان زينب اسمعت عائشة وكان ينهاها فلا تنتهي فقال لعائشة
دونك فانتصري ومن يضلل الله ومن يخذل الله فما له من ولي من بعده
فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه وترى الظالمين لما راوا العذاب
يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين
متضائلين متقاصرين مما يلحقهم من الذل وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف
على خاشعين من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم من تحريك لاجفانهم ضعيف خفي
بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر ان
يفتح اجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل في نظره الى المحاب وقيل يحشرون عميا
فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفي وفيه تعسف وقال الذين امنوا
ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة اما ان يتعلق بخسروا
ويكون قول المؤمنين واقعا في الدنيا واما ان يتعلق بقال اي يقولون يوم القيمة اذا
رأوهم على تلك الصفة الا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء
ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا
لربكم من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله من صلة لا مرد اي لا يرده
الله بعد ما حكم به او من صلة يأتي اي من قبل ان يأتي من الله يوم لا يقدر احد على رده

ما لكم من ملجإ يومئذ وما لكم من نكير النكير الانكار اي ما لكم
من مخلص من العذاب ولا تقدرون ان تنكروا شيئا مما اقترفتموه ودون في صحائف
اعمالكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ
وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها اراد بالانسان الجمع لا الواحد
لقوله وان تصبهم سيئة ولم يرد الا المجرمين لان اصابة السيئة بما قدمت
ايديهم انما تستقيم فيهم والرحمة النعمة من الصحة والغنى والامن والسيئة البلاء
من المرض والفقر والمخاوف فان الانسان كفور والكفور البليغ الكفران
ولم يقل فانه كفور ليسجل على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان
لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود والمعنى انه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها
لما ذكر لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا
ويهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء
عقيما انه عليم قدير لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها
اتبع ذلك ان له الملك وانه يقسم النعمة والبلاء كيف اراد ويهب لعباده من
الاولاد ما تقتضيه مشيته فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين
جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط لم قدم الاناث اولا على
الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعد ما نكر الاناث
لانه ذكر البلاء في آخر الآية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة
السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث
لان سياق الكلام انه فاعل ما يشاء لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي
من جملة ما لا يشاؤه الانسان اهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي
كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء واخر الذكور فلما اخرهم لذلك تدارك تأخيرهم
وهم احقاء بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير كانه قال ويهب
لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم اعطى بعد ذلك كلا
الجنسين حقه من التقديم والتاخير وعرف ان تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر
فقال ذكرانا واناثا كما قال انا خلقناكم من ذكر وانثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى

اذاقه

وقيل نزلت في الانبياء صلوات الله عليهم حيث وهب لشعيب ولوط اناثا
ولابرهيم عليه الصلوة والسلم ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ذكورا
واناثا وجعل يحيى وعيسى عليهما السلم عقيمين انه عليم بمصالح العباد قدير على
تكوين ما يصلحهم وما كان لبشر وما صح لاحد من البشر ان يكلمه الله الا
وحيا الا على ثلثة اوجه اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف في القلب
او المنام كما اوحى الى ام موسى والى ابرهيم عليه السلم في ذبح ولده وعن مجاهد
اوحى الله تعالى الزبور الى داود عليه السلم في صدره قال عبيد بن الابرص واوحى الي
الله ان قد تامروا بابل ابي اوفى فقمت على رجلي اي الهمني وقذف في قلبي واما
على ان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير ان يبصر السامع من
يكلمه لانه في ذاته غير مرئي وقوله او من وراء حجاب مثل اي كما يكلم المحتجب
بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم
ويكلم الملائكة واما على ان يرسل اليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم
الانبياء غير موسى وقيل وحيا كما اوحى الى الرسل بواسطة الملئكة فيوحي
او يرسل رسولا اي نبيا كما كلم امم الانبياء على السنتهم ووحيا وان يرسل مصدران
واقعان موقع الحال لان ان يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع
موقع الحال ايضا كقوله وعلى جنوبهم والتقدير وما صح ان يكلم احدا الا موحيا
او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا ويجوز ان يكون وحيا موضوعا موضع كلاما
لان الوحي كلام خفي في سرعة كما يقول لا اكلمه الا جهرا والا خفاتا لان
الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان
الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة يقول قلت لفلان كذا وانما قاله وكيلك
او رسولك وقوله او من وراء حجاب معناه او استماعا من وراء حجاب ومن
جعل وحيا في معنى ان يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر
ان يكلمه الله الا بان يوحي او بان يرسل فعليه ان يقدر قوله او من وراء
حجاب تقديرا يطابقهما عليه نحو او ان يسمع من وراء حجاب وقرئ او يرسل
رسولا فيوحي بالرفع على او هو يرسل او بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا

عليهما السلم

او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشا

وروي ان اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان
كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم
ينظر موسى ونظر الى الله فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم ان محمدا راى
ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قال او لم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية
انه علي عن صفات المخلوقين حكيم يجري افعاله على موجب الحكمة فيكلم
تارة بواسطة واخرى بغير واسطة اما الهاما واما خطابا وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا يريد ما اوحي اليه لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيى الجسد
بالروح ما كنت تدري ما الكتاب قد علم ان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما قوله ولا الايمان والانبياء
لا يجوز عليهم اذا عقلوا وتمكنوا من النظر والاستدلال ان يخطئهم الايمان بالله وتوحيده
ويجب ان يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث
وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر الايمان اسم يتناول اشياء بعضها الطريق اليه
العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعني به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذاك ما كان
له فيه علم حتى كسبه بالوحي الا ترى انه قد فسر الايمان في قوله تعالى وما كان الله
ليضيع ايمانكم بالصلوة لانها بعض ما يتناوله الايمان ولكن جعلناه نورا
نهدي به من نشاء من عبادنا من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي عليه
وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله وقرئ لتهدي اي يهديك
الله وقرئ لتدعو الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرا حمعسق كان ممن يصلي عليه
الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له تمت

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين اقسم بالكتاب
المبين وهو القرآن وجعل قوله انا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان

الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول
ابي تمام وثناياك انها اغريض المبين البين للذين انزل عليهم لانه بلغتهم واساليبهم
وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي ابان طرق الهدى من طرق الضلالة وابان
ما يحتاج اليه الامة في ابواب الديانة جعلناه بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين
او بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله وجعل الظلمات والنور وقرآنا عربيا حال
لعلكم تعقلون ولعل مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي
اي خلقناه عربيا غير عجمي ارادة ان تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته
وانه في ام الكتاب لدينا وقرئ ام الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله بل هو قرآن مجيد
في لوح محفوظ سمي بام الكتاب لانه الاصل الذي اثبتت فيه الكتب منه تنقل
وتستنسخ لعلي رفيع الشان في الكتب المنزلة لكونه معجزا من بينها حكيم ذو
حكمة بالغة اي منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت في ام
الكتاب هكذا افنضرب عنكم الذكر صفحا بمعنى افننحي عنكم وتذوده
عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولاضربنكم
ضرب غرائب الابل وقال طرفة اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس
والفاء للعطف على محذوف تقديره انهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون
الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا
بموجبه وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا اعرض منتصب على انه
مفعول له على معنى افنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعنى
الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه على معنى افننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف
كما يقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرا صفحا بالضم وفي هذه
القراءة من قرا صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه آخر وهو ان يكون تخفيف صفح جمع
صفوح وينتصب على الحال اي صافحين معرضين ان كنتم قوما مسرفين
لان كنتم وقرئ ان كنتم واذ كنتم كيف استقام معنى ان الشرطية وقد كانوا
مسرفين على البت هو من الشرط الذي ذكرت انه يصدر عن المدل بصحة الامر
المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفني حقي وهو عالم بذلك ولكنه

ليهم

حي

في كلامه ان تفريطك في الخروج عن الحق فعل من له شك في الاستحقاق مع
استحقها لا له وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ حكاية حال ماضية مستمرة اي كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عن استهزاء قومه الضمير في فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا
للقوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخبره عنهم
وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ اي سلف في القرآن في غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم
العجيبة التي حقها ان يسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ووعيد لهم وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وقوله
لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ وما سرد من الاوصاف عقيبه الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً بِقَدَرٍ ان كان من قولهم فما تصنع بقوله فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ
تُخْرَجُونَ وان كان من قول الله فما وجهه هو من قول الله لا من قولهم
ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي من صفته كيت وكيت لينسبن
خلقها الى الذي هذه اوصافه وليسندنه اليه بعد ما عددا من نعمه
البلاد والعباد ولم يكن طوفانا وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم
مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ اي تركبونه يقال ركبوا الانعام
وركبوا في الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه قلت غلب المتعدي بنفسه
فقيل تركبونه لقوته على المتعدي بواسطة لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ فان قلت
لقوته على المتعدي على ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام ثُمَّ تَذْكُرُوا
نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا ومعنى ذكر نعمة الله عليه ان يذكروها
في قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بالسنتهم وهو ما روي
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله
فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا
وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا
اذا ركب في السفينة قال بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم

والازواج الاصناف

وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما انه راى رجلا ركب دابة فقال سبحان
الذي سخر لنا هذا فقال بهذا امرتم فقال وبم امرنا قال ان تذكروا نعمة ربكم
كان قد اغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على دقيقها و
جليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما احسن بالعاقل النظر
في لطائف الصناعات فكيف بالنظر في لطائف الديانات مقرنين مطيقين يقال
اقرن الشيء اذا اطاقه قال ابن هرمة واقرنت ما حملتني ولقلما يطاق احتمال الصد
وحقيقة اقرنه وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف
لا يقرن به الا مثله وقرئ مقرنين والمعنى واحد كيف اتصل بذلك قوله
وانا الى ربنا لمنقلبون كم من راكب دابة عثرت به او شمست او تقحمت او
طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب
امرا مخطرا وايضا لا يتسبب من اسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب
من الاسباب ان لا ينسى عند اتصاله به يومه وانه هالك لا محالة فمنقلب الى
الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا
للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من ان يكون ركوبه ذلك من اسباب
موته في علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه
تعالوا نتنزه على الخيل او في بعض الزوارق فيركبون حاملين مع انفسهم اواني الخمر
والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب او في بطون
السفن وهي تجري بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا اوامره وقد بلغني
ان بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح
الا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا احس به فكم بين فعله وفعل اولئك
الراكبين وبين ما امر الله به في هذه الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة
وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا متصل بقوله ولئن سألتهم عن خالق السموات
والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزءا له
ان قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزءا له وبعضا منه كما يكون الولد
بعضا من والده وجزءا له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء

من حسن مراعاتهم

ان الجزء في لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث
منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه اجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا
ان اجزأت حرة يوما فلا عجب قد تجزئ الحرة المذكار احيانا زوجتها من بنات الاوس
وقرئ جزؤا بضمتين **ان الانسان لكفور مبين** لجحود للنعمة ظاهر جحوده
لان نسبة الولد اليه كفر والكفر اصل الكفران كله **ام اتخذ مما يخلق بنات و**
اصفيكم بالبنين بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم
حيث لم يرضوا بان جعلوا لله من عباده جزءا حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزئين
وهو الاناث دون الذكور على انهم انفر خلق الله عن الاناث وامقتهم لهن
ولقد بلغ بهم المقت الى ان وأدوهن كانه قيل هبوا ان اضافة اتخاذ الولد اليه
جائزة فرضا وتمثيلا اما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم انه آثر
على نفسه بخير الجزئين واعلاهما وترك له شر الجزئين وادناهما وتنكير بنات
وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم كما ذكرت في قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب
لمن يشاء الذكور **واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا** بالجنس الذي جعله
له مثلا اي شبها لانه اذا جعل الملائكة جزءا وبعضا منه فقد جعله من
جنسه ومماثلا له لان الولد لا يكون الا من جنس الوالد يعني انهم نسبوا اليه
هذا الجنس ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه
غيظا وتأسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب ان امرأته وضعت انثى فهجر
البيت الذي فيه المرأة فقالت المرأة ما لابي حمزة لا يأتينا يظل في البيت الذي يلينا
غضبان ان لا نلد البنينا ليس من امرنا ما شينا وانما نأخذ ما اعطينا والظلول بمعنى
الصيرورة كما يستعمل اكثر افعال الناقصة بمعناها وقرئ **مسودا** ومسواد على ان
في ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر **وهو كظيم او من**
ينشؤ في الحلية ثم قال او يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة المذمومة
صفته وهو انه ينشأ في الحلية اي يتربى في الزينة والنعمة **وهو في الخصام**
وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم ومجاراة الرجال كان **غير مبين** ليس
عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء ونقصانهن

ضل وجهه

عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فارادت ان تتكلم بحجتها الا
تكلمت بالحجة عليها وفيه انه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام
وانه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل ان يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ
بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضي الله عنه اخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا
وان اراد ان يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشأ و
ينشأ ويناشأ ونظير المناشأة بمعنى الانشاء المغالاة بمعنى الاغلاء **وجعلوا**
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا قد جمعوا في كفرة ثلث كفرات وذلك
انهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا اليه اخس النوعين وجعلوه من الملائكة
الذين هم اكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم وقرئ عباد
الرحمن وعبيد الرحمن وعند الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم واناثا
واناثا جمع الجمع ومعنى جعلوا سموا وقالوا انهم اناث وقرئ **اشهدوا** وا
أشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بالف بينهما وهذا تهكم بهم بمعنى انهم
يقولون ذلك من غير ان يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك
ولا تطرقوا اليه باستدلال ولا احاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق الا ان يشاهدوا
خلقهم فاخبروا عن المشاهدة **ستكتب شهادتهم** التي شهدوا بها على الملائكة
من انوثتهم **ويسئلون** وهذا وعيد وقرئ سيكتب وسنكتب بالياء والنون
وشهادتهم وشهاداتهم ويساءلون على يفاعلون **وقالوا لو شاء الرحمن ما**
عبدناهم هما كفرتان مضمومتان الى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من
دون الله وزعمهم ان عبادتهم بمشية الله كما يقول اخوانهم المجبرة
على من يقول كانوا قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه لكانوا مؤمنين
لا دليل على انهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على ان الله تعالى
قد حكى عنهم على سبيل الذم والشهادة بالكفر انهم جعلوا له من عباده جزءا وانه
اتخذ بنات واصفاهم بالبنين وانهم جعلوا الملائكة المكرمين اناثا وانهم عبدوهم
وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين بها على طريق الهزء لكان النطق
بالمحكيات قبل هذا المحكي الذي هو ايمان عنده لو جدوا في النطق به مدحا لهم

انها كلمات كفر فان قالوا نجعل هذا الاحتجاج وحده مقولا على وجه الجد دون
ما قبله فما بهم الا تحريف كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا
من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها هزؤا
لم يكن لقوله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون معنى لان من
قال لا اله الا الله على طريق الهزء كان الواجب ان ينكر عليه استهزاؤه
ولا يكذب لانه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان او هازئا
ما قولك فيمن يفسر ما لهم بذلك يعني لهم ان الملائكة بنات الله من علم ان هم الا
يخرصون في ذلك القول لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله قلت تمحل مبطل
وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا
ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم الضمير في من قبله للقرآن
او الرسول والمعنى انهم الصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قولا قالوه غير مستند
الى علم ثم قال ام آتيناهم كتابا من قبله قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر و
القبائح الينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحي فاستمسكوا بذلك الكتاب واحتجوا
به بل لا حجة لهم يستمسكون بها الا قولهم انا وجدنا آباءنا على امة على دين
على امة بالكسر وكلتاهما من الام وهو القصد فالامة الطريقة التي تؤم اي تقصد
كالرحلة للمرحول اليه والامة الحالة التي يكون عليها الآم وهو القاصد وقيل على
نعمة وحالة حسنة وانا على آثارهم مهتدون خبر ان والظرف صلة لمهتدون
وكذلك ما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا
على امة وانا على آثارهم مقتدون مترفوها الذين اترفتهم النعمة اي ابطرتهم فلا
يحبون الا الشهوات والملاهي ويعافون مشاق الدين وتكاليفه قرئ قل وقال اولو جئتكم
وجئناكم يعني اتتبعون آباءكم ولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم على
اهدى من دين آبائكم قالوا انا بما ارسلتم به كافرون انا ثابتون على دين آبائنا
لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو اهدى واهدى فانتقمنا منهم فانظر كيف
كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون
قرئ براء بفتح الباء وضمها وبريء فبريء وبراء نحو كريم وكرام وبراء مصدر كظماء ولذلك

بل قالوا

يستوي فيه الواحد والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء
منك الا الذي فطرني فيه غير وجه ان يكون منصوبا على انه استثناء منقطع كأنه قال
لكن الذي فطرني فانه سيهدين وان يكون مجرورا بدلا من المجرور بمن كأنه قال
انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فان قلت كيف تجعله بدلا وليس من جنس ما يعبدون
من وجهين احدهما ان ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون
والثاني ان الله تعالى غير معبود بينهم والاوثان معبودة قلت قالوا كانوا يعبدون الله
مع اوثانهم وان يكون الا صفة بمعنى غير على ان ما في ما تعبدون موصوفة تقديره
انني براء من آلهة تعبدونها غير الذي فطرني فهو نظير قوله لو كان فيهما آلهة الا
الله لفسدتا فان قلت ما معنى قوله سيهدين على التسويف قلت قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين
فاجمع بينهما وقدر كأنه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان على استمرار الهداية في الحال
والاستقبال وجعلها وجعل ابراهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي
قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني كلمة باقية في عقبه في ذريته
فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو الى توحيده لعلهم يرجعون لعل من اشرك
منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها ابراهيم بنيه وقيل وجعلها الله وقرئ
كلمة على التخفيف وفي عقبه كذلك وفي عاقبه اي فيمن عقبه اي خلفه بل متعت هؤلاء
وآباءهم يعني اهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد في العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة
وشغلوا بالتنعم واتباع الشهوات وشغلوا بالنعم عن كلمة التوحيد حتى جاءهم الحق
وهو القرآن ورسول مبين مبين الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة فكذبوا به
وسموه سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه ابراهيم وقرئ بل متعنا فما وجه قراءة
من قرأ متعت بفتح التاء كأن الله تعالى اعترض على ذاته في قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه
لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر والسعة في الرزق حتى
شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد واراد بذلك الاطناب في تعييرهم لانه اذا متعهم
بزيادة النعم وجب عليهم ان يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد و
الايمان لا ان يشركوا به ويجعلوا له اندادا فمثاله ان يشكو الرجل اساءة من احسن اليه ثم
يقبل على نفسه فيقول انت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ

المسيء لا يقبح فعله   قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم اردفه قوله ولما
جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون فما طريقة هذا النظم ومؤداه
المراد بالتمتيع ما هو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال
عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية
انهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال
ولما جاءهم جاؤا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وقالوا وهو ان ضموا الى شركهم
معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والاصرار
على افعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد صلى الله عليه وآله وسلم
من اهل زمانه بقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
في تعديه امرهم وقرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين من احدى القريتين كقوله
القريتين فهما الوليد بن المغيرة وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس وعن مجاهد
وعتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي
وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد صلى الله عليه وآله وسلم لنزل هذا القرآن علي او
على ابي مسعود الثقفي وابو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون ان يبعث الله
بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج ان الرسل لم يكونوا الا رجالا من اهل القرى جاؤا
بالانكار من وجه آخر وهو تحكمهم ان يكون احد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على
وجه الاستهانة واراد وا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن عقولهم
ان العظيم من كان عند الله عظيما اهم يقسمون رحمة ربك هذه الهمزة للانكار
المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة
والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها الا هو بباهر قدرته
وبالغ حكمته ثم ضرب لهم مثلا فاعلم انهم عاجزون عن تدبير خويصة امرهم وما يصلحهم في
دنياهم وان الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر احوالهم تدبير العالم
بها فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم في اسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم اقوياء وضعفاء
واغنياء ومحاويج وموالي وخدما ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويسخروهم
في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم

نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا صح
ليتخذ بعضهم بعضا سخريا

الى انفسهم وولاهم تدبير امرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كانوا في تدبير امر
المعيشة الدنية في الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير امر الدين الذي
هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى
حلول دار السلام ثم قال ورحمة ربك يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه
من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا   معيشتهم ما
يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله الحرام كما قسم الحلال
الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحه من المنافع
واذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه ان يسلك في تناولها الطريق التي شرعها
فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله وان
واذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له ان يسميها رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش
والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم وهو عدولهم
فيه عما شرع الله الى ما لم يشرعه ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا
لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم   بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز ان يكونا
بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرئ سقفا بفتح السين وسكون
القاف وبضمها وسكون القاف وبضمها جمع سقف كرهن ورهن ورهن وعن
الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كانه لغة في سقف وسقوفا ومعارج و
معاريج والمعارج جمع معرج او اسم جمع لمراج وهي المصاعد الى العلالي
عليها يظهرون اي على المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما استطاعوا
ان يظهروه ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون وسررا بفتح الراء
لاستثقال الضمتين مع حرفي التضعيف وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحيوة
الدنيا   اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام اي للذي هو متاع الحيوة
كقوله مثلا ما بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ الا وما وعن
كل ذلك الا لما قال الخير مما يجمعون فقلل امر الدنيا وصغرها اردفه ما يقرره
الدنيا عنده من قوله ولولا ان يكون الناس امة واحدة اي ولولا كراهة ان
يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة الدنيا عندنا للكفار سقفا

الحلال ومنهم من يعيش

من فضة صح

المخففة وصح

ومصاعد وابوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا اي زينة من كل شيء والزخرف
الذهب والزينة ويجوز ان يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة
وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفي معناه قول رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو وزنت عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء
فان قلت لما بسط على الكافرين لفتنة التي كان يؤدي اليها التوسعة عليهم من اطباق
الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع ليطبق الناس على الاسلام
قلت التوسعة عليهم مفسدة ايضا لما يؤدي اليه من الدخول في الاسلام لاجل
الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل في الفريقين اغنياء وفقراء
وغلب الفقر على الغنى والآخرة عند ربك للمتقين وقرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها
والفرق بينهما انه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي واذا نظر نظر العشي ولا آفة
به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية
العرجان من غير عرج قال الحطيئة متى تأته تعشو الى ضوء ناره اي تنظر اليها
نظر العشي لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين في قول حاتم
اعشو اذا ما جارتي برزت حتى يواري جارتي الخدر وقرئ يعشو على ان من موصولة
غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ ان يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح
ومن يعم عن ذكر الرحمن وهو القرآن كقوله صم بكم عمي واما القراءة بالضم
ومن يتعام عن ذكره اي يعرف انه الحق وهو يتجاهل ويتعامى كقوله وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم نقيض له شيطانا نخذله ونخل بينه وبين الشياطين
كقوله وقيضنا لهم قرناء الم تر انا ارسلنا الشياطين وقرئ يقيض اي يقيض له
الرحمن ويقيض له شيطان لم جمع ضمير من وضمير الشيطان في قوله وانهم
ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون لان من مبهم في جنس العاشي
وقد قيض له شيطان مبهم في جنسه فلما جاز ان يتناولا لابهامهما غير واحدين
جاز ان يرجع الضمير اليهما مجموعا حتى اذا جاءنا العاشي وقرئ جاءانا على
العاشي وشيطانه قال لشيطانه يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس
القرين يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران فما بعد المشرقين

تباعدهما والاصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب
جمع المفترقين بالتثنية اضاف البعد اليهما ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم
انكم انكم في محل الرفع على الفاعلية يعني ولن ينفعكم كونكم
مشتركين في العذاب كما ينفع الواقعين في الامر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم في تحمل اعبائه
وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك ان كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته
ولك ان تجعل الفعل للتمني في قوله يا ليت بيني وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم
ما انتم فيه من تمني مباعدة القرين وقوله انكم في العذاب مشتركون تعليل
وهو الكفر ويقويه قراءة من قرأ انكم بالكسر وقيل اذا رأى الممنو بشدة من مني
بمثلها هون ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسي الذي ذكرته الخنساء اعني
اعزي النفس عنه بالتأسي فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم
ما هم فيه ما معنى قوله اذ ظلمتم معناه اذ صح ظلمكم وتبين
لكم ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة في انكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيمة واذ بدل من
اليوم ونظيره اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة اي تبين اني ولد كريمة كان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجد ويجتهد ويكد روحه في دعاء قومه وهم
لا يزيدون على دعائه الا تصميما على الكفر وتماديا في الغي فانكر عليه بقوله
افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين انكار تعجب
من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم واراد انه لا يقدر على ذلك منهم الا
هو وحده على سبيل الالجاء والقسر كقوله ان الله يسمع من يشاء وما انت
بمسمع من في القبور ما في فاما نذهبن بك بمنزلة لام القسم في انها اذا
دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فان قبضناك قبل ان ننصرك عليهم ونشفي
صدور المؤمنين منهم فانا منهم منتقمون اشد الانتقام في الآخرة او
ان اردنا ان نؤخرك حتى نتوفيك فالينا مرجعون او نرينك الذي وعدناهم وان اردنا ان
نريك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فانا عليهم
مقتدرون فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة
في الكفر والضلال ثم اتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة وقرئ

بالنون الخفيفة وقرئ فاستمسك بالذي أوحي إليك على البناء للفاعل
وهو الله عز وجل إنك على صراط مستقيم والمعنى وسواء عجلنا لك الظفر
والغلبة أو أخرناه إلى اليوم الآخر فكن متمسكا بما أوحينا إليك وبالعمل به فإنه
الصراط المستقيم الذي لا يحيد عنه إلا ضال شقي وزد كل يوم صلابة في
المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بأمرهم إلى شيء من اللين والرخاوة في
أمرك ولكن كما يفعل الثابت الذي لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخيره وإنه
وإن الذي أوحي إليك لذكر لك لشرف لك ولقومك وسوف تسألون
عنه يوم القيمة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على أن رزقكم
وخصصتم به من بين العالمين واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أ
جعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ليس المراد بسؤال
الرسل حقيقة السؤال لإحالته ولكنه مجاز عن النظر حيث لا يصح السؤال على
الحقيقة في أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الأوثان قط في
ملة من ملل الأنبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره في كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه
وإخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه
الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث
لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مسألة الشعراء الديار والرسوم والأطلال
وقول من قال سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فإنها
إن لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا وقيل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جمع
له الأنبياء ليلة في بيت المقدس فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل
معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين التوراة والإنجيل وعن الفراء هم
إنما يخبرونه عن كتب الرسل فإذا سألهم فكأنه سأل الأنبياء ولقد أرسلنا
موسى بآياتنا إلى فرعون وملائه فقال ما أجابوه به عند قوله إني رسول
رب العالمين محذوف دل عليه قوله فلما جاءهم بآياتنا وهو مطالبتهم
إياه بإحضار البينة على دعواه وإبراز الآية إذا هم منها يضحكون
أي يسخرون بها ويهزؤون بها ويسمونها سحرا وإذا للمفاجأة
كيف جاز

أن يجاب لما بإذا المفاجأة لأن فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل
النصب في محلها كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجأوا وقت ضحكهم وما نريهم من آية إلا
هي أكبر من أختها إذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما
أختها التي فضلت عليها في الكبر من بقية الآيات أختها التي هي آية مثلها
وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل
التفصيل والاستقراء واحدة واحدة كما يقول هو أفضل رجل رأيته تريد تفضيله على أمة
الرجال الذين رأيتهم إذا قروتهم رجلا رجلا هو كلام متناقض لأن
معناه ما من آية من التسع إلا وهي أكبر من كل واحدة منها فيكون كل واحدة
فاضلة ومفضولة في حالة واحدة الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات
بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة في الأشياء التي تتلاقى في الفضل
وتتقارب منازلها فيه التقارب اليسير أن تختلف آراء الناس في تفضيلها فيفضل
بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم
أفضل من بعض وربما اختلف آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذلك
ومنه بيت الحماسة من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري
وقد فاضلت الأنمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما أبصرت مراتبهم متدانية
قليلة التفاوت ثكلتهم إن كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى
أين طرفاه وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون إرادة أن يرجعوا عن الكفر
إلى الإيمان لو أراد رجوعهم لكان إرادته فعل غيره ليس إلا
أن يأمره به ويطلب منه إيجاده فإن كان ذلك على سبيل القسر وجد وإلا دار بين أن
يوجد وبين أن لا يوجد على حسب اختيار المكلف وإنما لم يكن الرجوع لأن الإرادة
لم يكن قسرا ولم يختاروه والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك
وقالوا يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك قرئ يا أيه الساحر بضم الهاء
وقد سبق وجهه كيف سموه بالساحر مع قولهم إننا لمهتدون
قولهم إننا لمهتدون وعد منوي إخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط أن
يدعو لهم ويكشف عنهم العذاب ألا ترى إلى قوله فلما كشفنا عنهم العذاب إذا

يَنْكُثُونَ فما كانت تسميتهم اياه بالساحر لاستعظامهم علم السحر بما عهد عندك
وهو النبوة او بما عهد عندك فوفيت به وهو الايمان والطاعة او بما عهد عندك
فوفيت به وهو الايمان والطاعة من كشف العذاب عمن اهتدى وَنَادَى فِرْعَوْنُ
فِي قَوْمِهِ جعلهم محلا للنداء وموقعا له والمعنى انه امر بالنداء في مجامعهم واماكنهم
من نادى فيها بذلك فاسند النداء اليه كقولك قطع الامير اللص اذا امر بقطعه و
يجوز ان يكون عنده عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه في جموع
القبط فكانه نودي به بينهم قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ يعني انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون
ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه
وقيل بين يدي في جناني وبساتيني ويجوز ان تكون الواو عاطفة للانهار على
الملك
مصر وعجب الناس من مدى عظمته وامر فنودي في اسواق مصر وازقتها لئلا
تكلف الابهة والجلالة على صغير ولا كبير حتى يتربع في صدور الدهماء مقدار
عزته وملكوته وعن الرشيد انه لما قراها قال لاوليتها اخس عبيدي فولاها
الخصيب وكان على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر انه وليها فخرج اليها فلما شارفها
ووقع عليها بصره قال اهي القرية التي افتخر بها فرعون حتى قال اليس لي ملك
مصر والله لهي اقل عندي من ان ادخلها فثنى عنانه أَمْ أَنَا خَيْرٌ ام هذه
متصلة لان المعنى افلا تبصرون ام تبصرون الا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون
لانهم اذا قالوا له انت خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب
ويجوز ان يكون منقطعة على بل انا خير والهمزة للتقرير وذلك انه قدم تعديد اسباب
الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجري الانهار تحته ونادى بذلك وملاء بها
مسامعهم
ثم قال انا خير كانه يقول اثبت عندكم واستقر اني انا خير وهذه حالي مِنْ هَذَا
الَّذِي هُوَ مَهِينٌ اي ضعيف حقير وترى اما انا خير وَلَا يَكَادُ يُبِينُ الكلام لما به
من الرتة يريد انه ليس معه من العدد والات الملك السياسة ما يعتضد به وهو
محل لما ينعت به الرجال من اللسن والفصاحة وكانت الانبياء كلهم ابيناء بلغاء
فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ واراد بالقاء الاسورة عليه مقاليد الملك

لانهم كانوا اذا سودوا الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب أَوْ جَاءَ
مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ اما مقترنين من قولك قرنته فاقترن واما من اقترنوا
بمعنى تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى صلوات
الله عليه ووصفه بالضعف وقلة الاعضاد اعترض فقال اسورة واساورة على
الشاء للفاعل وهو الله عز وجل فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فاستفزهم فَأَطَاعُوهُ وحقيقته
حملهم على ان يخفوا له ولما اراد منهم وكذلك استفزه من قولهم للخفيف فز إِنَّهُمْ
كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ فَلَمَّا آسَفُونَا منقول من اسف اسفا اذا اشتد غضبه
ومنه الحديث في موت الفجاءة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر ومعناه انهم افرطوا
في المعاصي وعدوا طورهم فاستوجبوا ان نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وان لا
نحلم عنهم وقرئ سلفا جمع سليف كخادم وخدم وسلفا بضمتين جمع
سليف اي فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة اي ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم
قدوة للاخرين من الكفار يقتدون بهم في استحقاق مثل عقابهم ونزوله بهم
لاتيانهم بمثل افعالهم وحديثا عجيب الشان سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال
لهم مثلكم مثل قوم فرعون وَلَمَّا ضُرِبَ لما قرا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا من ذلك امتعاضا
شديدا فقال عبد الله بن الزبعرى يا محمد اخاصة لنا ولالهتنا ام لجميع الامم فقال عليه السلام
هو لكم ولالهتكم ولجميع الامم فقال عليه وآله الصلوة والسلم هو لكم ولالهتكم ولجميع
الامم فقال خصمتك ورب الكعبة الست تزعم ان عيسى بن مريم نبي وتثني عليه خيرا
وعلى امه وقد علمت ان النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان
هؤلاء في النار فقد رضينا ان نكون نحن معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبي صلى الله
عليه وآله وسلم فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت هذه الاية والمعنى
ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا وجادل رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعبادة النصارى اياه إِذَا قَوْمُكَ قريش مِنْهُ من هذا المثل يَصِدُّونَ
ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجدلا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم بجدله كما يرتفع لغط القوم ولجبهم اذا تعبوا بحجة ثم فتحت عليهم

وامّا من قرأ يصدّون بالضم فمن الصدود اي من اجل هذا المثل يصدّون عن الحق و
يعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وانهما لغتان نحو يعكف ويعكف ونظائر لهما و
قالوا ءالهتنا خير ام هو يعنون ان آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى واذا كان
عيسى من حصب النار كان امر آلهتنا هيّنا ما ضربوه اي ما ضربوا هذا المثل
لك الا جدلا الا لاجل الجدل والغلبة في القول لا لطلب المميز بين الحق و
الباطل بل هم قوم خصمون لُدّ شداد الخصومة دأبهم اللجاج كقوله قوما لُدّا
وذلك ان قوله انكم وما تعبدون ما اريد به الا الاصنام وكذلك قوله عليه الصلوة
والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم انما قصد به الاصنام ومحال ان يقصد الانبياء والملئكة
الا ان ابن الزبعرى لخبّه وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملا لفظه
وجه العموم مع علمه بان المراد اصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه الى الشمول
والاحاطة بكل معبود غير الله على طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة
وتوقّح في ذلك فتوقّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى اجابه ربه ان الذين سبقت
لهم منّا الحسنى فدل به على ان الآية خاصة في الاصنام على ان ظاهر قوله وما تعبدون
لغير ذوي [illegible] وقيل لما سمعوا قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن اهدى من
النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقالوا ءالهتنا خير
ام هو [illegible] على القول تفضيل لآلهتهم على عيسى لان المراد بهم [illegible] وما ضربوه لك الا
معناه وما قالوا هذا القول يعني ءالهتنا خير ام هو الا للجدل وقرئ ءالهتنا خير باثبات
همزة الاستفهام وباسقاطها لدلالة ام العديلة عليها وفي حرف ابن مسعود خير ام
هذا ويجوز ان يكون جدلا حالا اي جدلين وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله قالوا
ما يريد بهذا الا ان نعبده وانه يستأهل ان يعبد كما عبدت النصارى المسيح وهو [illegible]
ومعنى يصدّون يضجّون ويضجّون والضمير في ام هو لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم
وغرضهم الموازنة بينه وبين آلهتهم السخرية به والاستهزاء ويجوز ان يقولوا لما انكر عليهم
قولهم الملئكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فان النصارى
جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن اشف منهم قولا وفعلا فانا نسبنا اليه الملائكة
وهم نسبوا اليه الاناسي فقيل مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم مثله

وقرئ ورثتموها لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون من للتبعيض
اي لا تأكلون الا بعضها واعقابها باقية في شجرها فهي مزينة بالثمار ابدا موقرة
بها لا ترى شجرة عريانة من ثمرها كما في الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها ان المجرمين في عذاب
جهنم خالدون لا يفتّر عنهم لا يخفف ولا ينقص من قولهم فترت عنه
الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص عنه حرها وهم فيه مبلسون المبلس اليائس الساكت
سكوت يائس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم في تابوت من نار ثم يردم
عليه فيبقى فيه خالدا لا يرى ولا يُرى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين
هم فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ وهم فيها اي في النار
ونادوا يا مالك وقرأ علي وابن مسعود رضي الله عنهما يا مال بحذف الكاف للترخيم كقول
القائل والحق يا مال غير ما تصف وقيل لابن عباس رضي الله عنهما ان ابن مسعود قرأ ونادوا
يا مال فقال ما اشغل اهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم انهم يقتطعون
بعض الاسم لضعفهم وعظم ما هم فيه وقرأ ابو السرار الغنوي يا مال بالرفع كما
يقال يا حار ليقض علينا ربك من قضى عليه اذا اماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى
سل ربك ان يقضي علينا فان قلت كيف قال ونادوا يا مالك بعد ما وصفهم بالابلاس
قلت تلك ازمنة متطاولة واحقاب ممتدة فتختلف بهم الاحوال فيسكتون
اوقاتا لغلبة اليأس عليهم وعلمهم انه لا فرج ويغوثون اوقاتا لشدة ما بهم
قال انكم ماكثون لابثون فيه وفيه استهزاء والمراد خالدون وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انما يجيبهم بعد الف سنة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلقى على اهل النار
الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يا مالك
ليقض علينا ربك لقد جئناكم بالحق كلام الله تعالى بدليل قراءة من
قرأ لقد جئتكم بالحق ويجب ان يكون في قال ضمير الله لما سألوا مالكا ان يسأل
الله القضاء اجابهم الله بذلك ولكن اكثركم للحق كارهون
لا يقبلونه وينفرون منه ويشمئزون منه لان مع الباطل الدعة ومع الحق التعب
ام ابرموا امرا مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فانا مبرمون كيدنا كما ابرموا كيدهم كقوله ام يريدون كيدا فالذين كفروا
هم المكيدون ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجويهم وكانوا يتناجون
في امر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما المراد بالسر والنجوى
المراد بالسر ما حدث به نفسه او غيره في مكان خال والنجوى ما تكلموا فيما بينهم
بلى نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا يريد الحفظة لديهم عندهم يكتبون ذلك وعن
يحيى بن معاذ الرازي من ستر من الناس ذنوبه وابداها للذي لا يخفى عليه شيء في
السموات والارض فقد جعله اهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق قل ان
كان للرحمن ولد وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه فانا اول العابدين
اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد
الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة
في نفي الولد والاطناب فيه وان لا يترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة
عن نفسه بثبات التوحيد وذلك انه علق العبادة بكينونة الولد وهي محال في نفسها
فكان المعلق بها محالا مثلها فهو في صورة اثبات الكينونة والعبادة وفي معنى نفيهما
على ابلغ الوجوه واقواها ونظيره ان يقول العدلي للمجبر ان كان الله خالقا للكفر
في القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فانا اول من يقول هو شيطان وليس باله فمعنى
هذا الكلام وما وضع له اسلوبه ونظمه نفي ان يكون الله خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك
وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذي ذكرنا مع الدلالة على سماجة
المذهب وضلالة الذاهب اليه والشهادة القاطعة باحالته والافصاح عن نفسه بالبراءة
منه وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه وقد تمحل الناس بما اخرجوه به من هذا الاسلوب
الشريف المليء بالنكت والفوائد المستقل باثبات التوحيد على ابلغ وجوهه فقيل ان كان
للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان
كان للرحمن ولد فانا اول الآنفين من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه فهو عبد وعابد
وقرا بعضهم عبدين وقيل هي ان النافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك
وعبده ووحده وروي ان النضر بن كلدة من بني عبد الدار بن قصي قال ان الملائكة بنات
الله فنزلت فقال النضر الا ترون انه قد صدقني فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك

ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير للحجاج حين قال له اما والله لابدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت ان ذلك اليك ما عبدت الها غيرك ص

ولكن قال انما كان للرحمن ولد فانا اول الموحدين من اهل مكة ان لا ولد له وقرئ ولد
بضم الواو سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون نزه
ذاته الموصوفة بربوبية السموات والارض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على انه من صفة
الاجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير امره فذرهم يخوضوا
في باطلهم ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهذا دليل على ان ما يقولونه
من باب الجهل والخوض واللعب واعلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انهم من المطبوع
على قلوبهم الذين لا يرجعون البتة وان ركبت في دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان لهم
وتخلية كقوله اعملوا ما شئتم وايعاد بالشقاء في العاقبة وهو الذي في السموات اله وفي
الارض اله وهو الحكيم العليم ضمن اسمه عز وجل معنى وصف فلذلك علق به الظرف
في قوله في السماء وفي الارض كما تقول هو حاتم في طيء حاتم في تغلب على تضمين معنى الجواد
الذي شهر به كانك قلت هو جواد في طيء جواد في تغلب وقرئ وهو الذي في السماء الله
ومثله قوله وهو الله في السموات وفي الارض كانه ضمن معنى المعبود او المالك او نحو ذلك
والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما انا بالذي قائل لك شيئا وزاده طولا
ان المعطوف داخل في حيز الصلة ويحتمل ان يكون في السماء صلة واله خبر مبتدا محذوف
على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السماء على سبيل الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار
وفيه نفي الالهة التي كانت تعبد في الارض وتبارك الذي له ملك السموات و
الارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون قرئ بضم التاء وفتحها
ويرجعون بياء مضمومة وقرئ يحشرون بالياء ولا يملك الهتهم الذين يدعون
من دونه من دون الله الشفاعة كما زعموا انهم شفعاؤهم عند الله الا ولكن
من شهد بالحق وهو توحيد الله وهم يعلمون وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة و
ايقان واخلاص هو الذي يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز ان يكون متصلا
لان في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة وقرئ تدعون بالتاء ويدعون بالياء
وتشديد الدال ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون وقيله قرئ
بالحركات الثلاث وذكر في النصب عن الاخفش انه حمله على ام يحسبون انا لا نسمع سرهم
ونجويهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب

رب العرش

زيد عمروا او حمل الجر علي لفظ الساعة والرفع علي الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه علي علم الساعة وعلم قيله والذي قالوه ليس بقوي في المعني مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم واقوي من ذلك واوجه ان يكون الجر والنصب علي اضمار حرف القسم وحذفه والرفع علي قولهم ايمن الله وامانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جواب القسم كانه قال واقسم بقيله يا رب او بقيله يا رب قسمي ان هؤلاء قوم لا يعلمون فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم ايسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم وقل لهم سلام اي تسلم منكم ومتاركة فسوف تعلمون وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله والضمير في وقيله لرسول الله عليه وآله الصلوة والسلم واقسام بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه عن النبي صلي الله عليه وآله وسلم من قرا سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم حم العاد في والكتاب المبين واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف او اسما للسورة مرفوعا علي خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كان حم مقسما بها وقوله انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين جواب القسم والكتاب المبين القرآن والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر اربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصك ان البندار اذا استوفي الخراج من اهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة في هذه الليلة قيل وهي مختصة بخمس خصال تفريق كل امر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم من صلي هذه الليلة ماية ركعة ارسل الله ماية ملك ثلثون يبشرونه بالجنة وثلثون يؤمنونه من عذاب النار وثلثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال عليه وآله الصلوة والسلم ان الله

ارحم امتي في هذه الليلة بعدد شعر اغنام بني كلب وحصول المغفرة قال صلي الله عليه وعلي آله وسلم ان الله تعالي يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا لكاهن او ساحر او مشاحن او مدمن خمر او عاق للوالدين او مصر علي الزنا وما اعطي فيها رسول الله صلي الله عليه وعلي آله وسلم من تمام الشفاعة وذلك انه سال الليلة الثالث عشر من شعبان في امته فاعطي الثلث ثم سال ليلة الرابع عشر فاعطي الثلثين ثم سال ليلة الخامس عشر فاعطي الجميع الا من شرد علي الله شراد البعير ومن عادة الله في هذه الليلة ان يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الاكثر ان المراد بالليلة ليلة القدر لقوله تعالي انا انزلناه في ليلة القدر ولمطابقة قوله فيها يفرق كل امر حكيم لقوله تنزل الملئكة والروح فيها باذن ربهم من كل امر وقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هو ليلة القدر في اكثر الاقاويل في شهر رمضان ومعني انزال القرآن في هذه الليلة قالوا انزل جملة واحدة من السماء السابعة الي السماء الدنيا وامر السفرة الكرام بانتساخه في ليلة القدر وكان جبرئيل عليه السلم ينزله علي رسول الله صلي الله عليه وآله وسلم نجوما نجوما انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك هما الجملتان مستانفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله انا انزلناه في ليلة مباركة كانه قيل انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا اياه في هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل امر حكيم والمباركة الكثير الخير لما يتيح الله تعالي فيها من الامور التي تتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفي به بركة ومعني يفرق يفصل ويكتب كل امر حكيم من ارزاق العباد وآجالهم وجميع امورهم منها الي الاخري وقيل يبدا في استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الي ميكائيل ونسخة الحروب الي جبرئيل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الي اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الي ملك الموت وعن بعضهم يعطي كل عامل بركات اعماله فيلقي علي السنة الخلق مدحه وعلي قلوبهم هيبته وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق كل علي بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله

وقرا زيد بن علي رضي نفرق بالنون كل امر حكيم كل شان ذي حكمة اي مفعول على ما تقتضيه
الحكمة وهو من الاسناد المجازي لان الحكيم صفة صاحب الامر ووصف الامر به مجازا
امرا من عندنا نصب على الاختصاص جعل كل امر جزلا فخما بان وصفه بالحكيم ثم زاده
جزالة وكسبه فخامة بان قال اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا
وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز ان يراد به الامر الذي هو ضد النهي ثم اما ان
يوضع موضع فرقانا الذي هو تفرق لان معنى الامر والفرقان واحد من حيث انه اذا حكم
وكتبه فقد امر به واوجبه او يكون حالا من احد الضميرين في انزلناه اما من ضمير
الفاعل اي انزلناه امرين امرا او من ضمير المفعول اي انزلناه في حال كونه امرا من عندنا
بما يجب ان يفعل **انا كنا مرسلين رحمة من ربك**
يجوز ان يكون بدلا من قوله انا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى انا انزلنا
القرآن لان من شاننا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لاجل الرحمة عليهم وان يكون تعليلا
ليفرق او لقوله امرا من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به
في قوله وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي يفصل في هذه الليلة كل امر او تصدر الاوامر من
عندنا لان من عادتنا ان نرسل رحمتنا وفصل كل امر من قسمة الارزاق وغيرها من باب الرحمة
فكذلك الاوامر الصادرة من جهته عز وجل لان الغرض في تكليف العباد تعريضهم للمنافع
والاصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بان الربوبية تقتضي الرحمة
على المربوبين وفي قراءة زيد بن علي رضي امر من عندنا على هو امر وهي تنصر انتصابه على
الاختصاص وقرا الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة وهي تنصر انتصابها بانه مفعول له
انه هو السميع العليم وما بعده تحقيق لربوبيته وانها لا تحق الا لمن هذه اوصافه **رب
السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم
ورب آبائكم الاولين** وقرئ رب السموات وربكم ورب آبائكم بالجر بدلا من ربك
ما معنى الشرط الذي هو قوله ان كنتم موقنين كانوا يقرون بان للسموات و
الارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل
ان الرب هو السميع العليم الذي انتم مقرون به ومعترفون بانه رب السموات والارض
وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذي تسامع الناس

بكرمه واشتهر واستفاض سخاؤه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد ان يكونوا موقنين
بقوله **بل هم في شك يلعبون** وان اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد
وحقيقة بل قول مخلوط بهزء ولعب **فارتقب يوم تاتي السماء** مفعول به من رقبته يقال
رقبته وارتقبته نحو نظرته وانتظرته **بدخان** واختلف في الدخان فعن علي رضي الله عنه وبه
اخذ الحسن انه دخان ياتي من قبل السماء قبل يوم القيمة فيدخل في اسماع الكفرة حتى يكون
راس واحد كالراس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت
اوقد فيه ليس فيه خصاص عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اول الآيات الدخان ونزول عيسى
عليه السلم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما
الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب
يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو كالسكران يخرج
من منخريه واذنيه ودبره وعن ابن مسعود خمس قد مضت الروم والدخان والقمر
والبطشة واللزام ويروى انه قيل لابن مسعود ان قاصا عند باب ابواب كندة يقول
انه دخان ياتي يوم القيمة فياخذ بانفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن
لم يعلم فليقل الله اعلم فان من علم الرجل ان يقول لشيء لا يعلمه الله اعلم ثم قال الا
احدثكم ان قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد
وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فاصابهم الجهد حتى اكلوا الجيف
والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه
ولا يرى شخصه من الدخان فمشى اليه ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه
ان دعا لهم وكشف الله عنهم ان يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم **بدخان
مبين** ظاهر حاله لا يشك احد في انه دخان **يغشى الناس** يشملهم ويلبسهم وهو في محل
صفة للدخان و**هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون** منصوب المحل
بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال اي قائلين ذلك انا مؤمنون موعدة بالايمان
ان كشف عنهم العذاب **انى لهم الذكرى** كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه
من الايمان عند كشف العذاب **وقد جاءهم رسول مبين** وقد جاءهم ما هو اعظم وادخل في
وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على يد رسول الله صلى الله عليه

من الآيات البينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يتذكروا ثم تولوا عنه
وقالوا معلم مجنون بان عداسا غلاما اعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون
ثم قال انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون اي ريثما يكشف عنكم تعودون
الى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما انتم عليه من التضرع والابتهال كيف
يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيمة قوله انا كاشفوا العذاب قليلا
اذا اتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا
وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد
اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون ثم قال يوم نبطش البطشة الكبرى
يريد يوم القيمة كقوله فاذا جاءت الطامة الكبرى انا منتقمون اي ننتقم منهم في ذلك
اليوم ويوم منتصب بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم ولا
يصح ان ينتصب بمنتقمون لان ان تحجب عن ذلك وقرئ نبطش بضم الطاء وقرئ
نبطش بضم النون كانه يحمل الملائكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى او يجعل البطشة
الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وقرئ
ولقد فتنا بالتشديد للتأكيد او لكثرة القوم ومعنى الفتنة انه امهلهم ووسع
عليهم في الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي او فتناهم الآثام وابتلاهم بارسال
موسى عليه السلام اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان او سلبهم ملكهم واغرقهم وجاءهم رسول
كريم على الله وعلى عباده المؤمنين او كريم في نفسه لان الله لم يبعث رسولا
الا من سراة قومهم وكرامهم ان ادوا الي عباد الله هي ان المفسرة لان مجيء الرسول
من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لانه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله او المخففة
المثقلة ومعناه وجاءهم رسول بان الشان والحديث ادوا الي عباد الله مفعول
وهم بنو اسرائيل يقول ادوهم الي وارسلوهم معي كقوله ارسل معنا بني اسرائيل
ولا تعذبهم ويجوز ان يكون نداء لهم على ادوا الي يا عباد الله ما هو واجب عليكم
من الايمان وقبول دعوتي واتباع سبيلي اني لكم رسول امين وعلل ذلك بانه رسول امين
قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته وان لا تعلوا ان هذه مثل الاولى في وجهيها
اي لا تتكبروا على الله بالاستهانة برسوله ووحيه او لا تتكبروا على نبي الله

مجنون

وجاءهم رسول

اني آتيكم بسلطان مبين بحجة واضحة واني عذت بربي وربكم
ان ترجمون وقرئ عت بالادغام ومعناه انه عائذ بربه متكل عليه على انه يعصمه
منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه من الرجم والقتل وان لم
تؤمنوا لي فاعتزلون يريد ان لم تؤمنوا لي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا عني
واقطعوا اسباب الوصلة عني او فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا الي بشركم
واذاكم فليس جزاء ذلك فدعا ربه ان هؤلاء بان هؤلاء قوم مجرمون اي دعا ربه
بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا
تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك
وهو كونهم مجرمين وقرئ ان هؤلاء بالكسر على اضمار القول اي فدعا ربه فقال ان هؤلاء
فاسر بقطع الهمزة من اسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان اضمار القول بعد
الفاء فقال اسر بعبادي ليلا انكم متبعون وان يكون جواب شرط محذوف كانه قيل قال ان
كان الامر كما تقول فاسر بعبادي يعني فاسر ببني اسرائيل فقد دبر الله ان تتقدموا
ويتبعكم فرعون وجنوده فتنجي المتقدمين ويغرق التابعين واترك البحر رهوا
فيه وجهان احدهما انه الساكن قال الاعشى يصف الابل يمشين رهوا فلا الاعجاز
خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل اي اتركه ساكنا على هيئته اراد موسى لما جاوز
البحر ان يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فامر ان يتركه ساكنا على هيئته قارا على
حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصا ولا يغير منه شيئا ليدخله
القبط فاذا حصلوا فيه اطبقه الله تعالى عليهم والثاني ان الرهو الفجوة الواسعة
وعن بعض العرب انه راى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين اي اتركه مفتوحا على
حاله منفرجا انهم جند مغرقون وقرئ بالفتح بمعنى لانهم كم تركوا من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم المقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة
وقيل المنابر ونعمة كانوا فيها النعمة بالفتح من التنعم وكان لهم من المجالس بالكسر
وقرئ فاكهين وفكهين كذلك الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج اخرجناهم
منها واورثناها او في موضع الرفع على الامر كذلك واورثناها قوما آخرين ليسوا منهم في شيء
من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا مستعبدين في ايديهم فاهلكهم

من دعاكم الى ما فيه فلاحكم

على ايديهم واورثهم ملكهم وديارهم فما بكت عليهم السماء والارض اذا مات
رجل خطير قالت العرب في تعظيم هلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح و(اظلمت له)
الشمس ما من مؤمن مات في غربة غابت فيه بواكيه الا بكت عليه السماء والارض و(قال)
جرير تبكي عليك نجوم الليل والقمرا وقالت الخارجية ايا شجر الخابور ما لك مورقا (كا)
(نك) لم تجزع على ابن طريف وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكا(ء)
عليه وكذلك ما روي عن ابن عباس من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الارض ومصا(عد)
عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل ونفي ذلك عنهم في قوله فما بكت عليهم السماء والارض
تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض
وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما
بكى عليهم اهل السماء واهل الارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا
الى وقت آخر ولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا ولقد نجينا بني اسرائيل
من العذاب المهين من فرعون بدل من العذاب المهين كأنه في نفسه كان عذابا
مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم ويجوز ان يكون المعنى من العذاب المهين (واقعا)
واقعا من جهة فرعون وقرئ من عذاب المهين من فرعون وفي قراءة ابن عباس (من فرعون)
لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على هل تعرفونه من هو
في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله انه كان عاليا من المسرفين
اي كبيرا رفيع الطبقة من بينهم فائقا لهم بليغا في اسرافه او عاليا متكبرا كقوله
ان فرعون علا في الارض ومن المسرفين خبر ثان كأنه قيل انه كان متكبرا (مسرفا)
مسرفا الضمير في ولقد اخترناهم لبني اسرائيل على علم في موضع الحال اي عالمين
الخيرة وبانهم احقاء بان يختاروا ويجوز ان يكون المعنى مع علم منا بانهم يزيغون (ويفرط)
منهم الفرطات في بعض الاحوال على العالمين على عالمي زمانهم وقيل على الناس جميعا (لكثرة)
الانبياء منهم وآتيناهم من الآيات من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير
(ذلك) من الآيات العظام التي لم يظهر الله في غيرهم مثلها ما فيه بلاء مبين نعمة ظاهرة لان
الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة او اختبار ظاهر لننظر كيف تعملون كقوله (وفي)
ذلكم بلاء من ربكم عظيم ان هؤلاء اشارة الى كفار (قريش) ليقولون ان هي الا موتتنا

وآتيناهم

٨٨٨

الاولى وما معنى ذكر الاولى كأنهم وعدوا موتة اخرى حتى نفوها وجحدوها
واثبتوا الاولى معناه والله الموفق للصواب انه قيل لهم انكم تموتون موتة
يعقبها حيوة كما تقدمتكم وذلك قوله عز وجل وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم
ثم يحييكم فقالوا ان هي الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التي من شأنها ان يعقبها حيوة الا
الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب
الحيوة لها الا الموتة الاولى خاصة فلا فرق اذا بين هذا وبين قوله ان هي الا حياتنا الدنيا
في المعنى يقال انشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم فأتوا بآبائنا خطاب للذين
كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين ان
كنتم صادقين اي ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا
بسؤالكم ربكم حتى يكون دليلا على ان ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق
وقيل كانوا يطلبون اليهم ان يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه فانه
كان كبيرهم ومشاورهم في النوازل ومعاظم الشؤون اهم خير ام قوم تبع
والذين من قبلهم اهلكناهم انهم كانوا مجرمين هو تبع الحميري كان مؤمنا
وقومه كافرين ولذلك ذم الله تعالى قومه ولم يذمه وهو الذي سار بالجيوش وحير
الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان اذا كتب قال بسم الله الذي ملك برا وبحرا
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد اسلم وعنه عليه الصلوة
والسلام ما ادري اكان تبع نبيا ام غير نبي وعن ابن عباس كان نبيا وقيل نظر الى قبرين
بناحية حمير هذا قبر رضوى وقبر حبى بنتي تبع لا تشركان بالله شيئا وقيل هو الذي
كسا البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الاقيال لانهم يتقيلون
وسمي الظل تبعا لانه يتبع الشمس ما معنى اهم خير ولا خير في الفريقين
معناه اهم خير في القوة والمنعة كقوله اكفاركم خير من اولئكم
بعد ذكر آل فرعون وفي تفسير ابن عباس اهم اشد ام قوم تبع وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما وما بين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن
لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن اكثرهم لا يعلمون ان يوم
الفصل ميقاتهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها

اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم في يوم الفصل يوم لا يغني مولى عن مولى اي مولى كان من
قرابة او غيرها عن اي مولى كان شيئا يجوز ان يكون منصوبا على المصدر ويجوز ان يكون
مفعولا به من قولهم اغن عني وجهك والمعنى انه لا يبعد عنه شيئا او من اغنا اي قليلا
منه ولا هم ينصرون الضمير للموالي لانهم في المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام
والشياع كل مولى الا من رحم الله في محل الرفع على البدل من الواو في ينصرون اي
لا يمنع العذاب الا من رحمه الله ويجوز ان ينتصب على الاستثناء انه هو العزيز الغالب على الانتقام
منه من عصاه الرحيم لمن اطاعه قرئ ان شجرة الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات
شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء وروي انه لما نزل اذلك خير نزلا ام شجرة
الزقوم قال ابن الزبعرى ان اهل اليمن يدعون اكل الزبد والتمر التزقم فدعا ابو جهل
بالتمر والزبد فقال تزقموا فان هذا الذي يخوفكم به محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنزل ان
شجرة الزقوم طعام الاثيم وهو الفاجر الكثير الآثام وعن ابي الدرداء انه كان يقرئ رجلا
فكان يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على ان ابدال الكلمة مكان
كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه اجاز الامام ابو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة
وهي ان يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير ان يخرم منها شيئا قالوا وهذه الشريطة
تشهد انها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القرآن الذي هو معجز
بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطائف المعاني والاغراض ما لا يستقل باداءه
لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقيق
وتبصر وروى علي بن الجعد عن ابي يوسف عن الامام الاعظم ابو حنيفة مثل قول صاحبيه
في انكار القراءة كالمهل قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردي الزيت ويكون السماء كالمهل
مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر
بعد خبر وكذلك تغلي في البطون وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام كغلي الحميم الماء
الحار الذي انتهى غليانه يقال للزبانية خذوه فاعتلوه فقودوه بعنف وغلظة
وهو ان يأخذ بتلبيب الرجل فيجره الى حبس او قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافي وقرئ
بكسر التاء وضمها الى سواء الجحيم الى وسطها ومعظمها ثم صبوا فوق رأسه
من عذاب الحميم . هلا قيل صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله يصب من فوق

ويدل عليه قوله تعالى

رؤسهم الحميم لان الحميم هو المصبوب لا عذابه اذا صب عليه الحميم فقد
صب عليه عذابه وشدته الا ان صب طريقة الاستعارة كقوله صبت عليه صروف الدهر
وكقوله افرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون اهول واهيب
يقال ذق انك انت العزيز الكريم على سبيل الهزؤ والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم
على قومه وروي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بين جبليها
اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ انك
بمعنى لانك وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما انه قرأ به على المنبر ان هذا العذاب
او ان هذا الامر هو ما كنتم به تمترون اي تشكون او تتمارون وتتلاحون
قرئ ان المتقين في مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذي
وقع مستعملا في العموم وبالضم وهو موضع الاقامة امين والامين من قولك امن
الرجل امانة فهو امين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف
كانما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره في جنات وعيون يلبسون من سندس
واستبرق متقابلين قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه
وهو تعريب استبره كيف ساغ ان يقع في القرآن العربي المبين لفظ عجمي
اذا عرب خرج من ان يكون عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن
منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب كذلك الكاف مرفوعة على الامر كذلك او
منصوب على مثل ذلك اثبناهم وزوجناهم وقرأ عكرمة بحور عين على الاضافة
والمعنى بالحور من العين لان العين اما ان يكون حورا او غير حور فهؤلاء من حور العين
لا من شلحهن مثلا وفي قراءة عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة لا
يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت
وقرأ عبد الله فيها طعم الموت كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول
الجنة من الموت المنفي ذوقه فيها اريد ان يقال لا يذوقون فيها الموتة البتة
فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل
فهو من باب التعليق بالمحال كانه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم
يذوقونها ووقاهم عذاب الجحيم وقرئ ووقاهم بالتشديد فضلا من ربك عطاء

من ربك وثوابا يعني كل ما اعطي المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار وقرئ فضل
من ربك اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك فذلكة
للسورة ومعناه ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه اي سهلناه حيث انزلناه
بلسانك بلغتك لعلهم يتذكرون ارادة ان يفهمه قومك فيتذكروا فارتقب
فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من قرا حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف
ملك وعنه عليه وآله الصلوة والسلام من قرا حم الدخان في ليلة جمعة اصبح مغفورا له

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلتها اسما للسورة
مبتدا مخبر عنه تنزيل الكتاب لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم
تنزيل الكتاب ومن الله العزيز الحكيم صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف
كان تنزيل الكتاب مبتدا والظرف خبرا ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين
يجوز ان يكون على ظاهره وان يكون المعنى ان في خلق السموات لقوله وفي خلقكم
علام عطف وما يبث اعلى الخلق المضاف ام على الضمير المضاف اليه بل
على المضاف لان المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا ان يقال مررت
بك وزيد وهذا ابوك وعمرو وكذلك ان اكدوه كرهوا ان يقولوا مررت بك انت وزيد
قرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا في الدار وعمرا في السوق
او وعمرو في السوق واما قوله واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السماء من رزق
فاحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون فمن
العطف على عاملين سواء نصبت او رفعت فالعاملان ان وفي عملت النصب في آيات والجر في
واختلاف وقرا ابن مسعود وفي اختلاف الليل والنهار والعطف على عاملين
على مذهب الاخفش سديد لا مقال فيه وقد اباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده
فيه وجهان احدهما ان يكون على اضمار في والذي حسنه تقدم ذكره في الآيتين

قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود والثاني ان ينتصب آيات على الاختصاص بعد
انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله او على التكرير ورفعها على اضمار هي وقرئ
وقرئ واختلاف الليل والنهار بالجر وقرئ آية وكذلك وما يبث من دابة آية
وقرئ وتصريف الريح والمعنى ان المنصفين من العباد اذا نظروا في السموات والارض
النظر الصحيح علموا انها مصنوعة وانه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله واقروا
فاذا نظروا في خلق انفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفي خلق
ما على ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وايقنوا وانتفى عنهم اللبس
فاذا نظروا في سائر الحوادث التي تتجدد في كل وقت كاختلاف الليل والنهار و
الامطار وحياة الارض بها بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا
عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمي المطر رزقا لانه سبب الرزق تلك اشارة
الى الآيات المتقدمة اي تلك الآيات آيات الله ونتلوها محل الحال اي متلوة
عليك بالحق والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه هذا بعلي شيخا وقرئ
يتلوها بالياء فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون اي بعد آيات الله نحو اعجبني
زيد وكرمه يريدون اعجبني كرم زيد ويجوز ان يراد بعد حديث الله وهو كتابه
وآياته كقوله الله نزل احسن الحديث وقرئ يؤمنون بالياء والتاء ويل لكل
افاك اثيم الافاك الكذاب والاثيم المتتابع في اقتراف الآثام يسمع آيات الله تتلى
عليه ثم يصر يقبل على كفره ويقيم عليه واصله من اصرار الحمار على العانة وهو
ان ينحي عليها صارا اذنيه مستكبرا عن الايمان بالآيات والاذعان لما تنطق به من الحق
مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت في النضر بن الحارث وما كان يشتري من احاديث
الاعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن والآية عامة في كل من كان مضارا لدين الله
ما معنى ثم في قوله يصر مستكبرا كمعناه في قول القائل يرى غمرات الموت ثم يزورها
وذلك ان غمرات الموت حقيقة بان ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار منها واما
زيارتها والاقدام على ورودها فامر مستبعد فمعنى ثم الايذان بان فعل المقدم عليها
بعدما رآها وعاينها شيء يستبعد في العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة
القاطعة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا في العقول اصراره على الضلالة

العانة القطيع من حمر الوحش

ثم يزورها ولا يكشف الغماء الا ابن حرة

عندها واستكباره عن الايمان بها كأن لم يسمعها فبشره بعذاب اليم كأن مخففة
والاصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن كما في قوله كأن ظبية تعطو الى ناظر السلم
ومحل الجملة النصب على الحال اي يصر مثل غير السامع وإذا علم من آياتنا شيئا
وإذا بلغه شيء من آياتنا وعلم انه منها اتخذها اي اتخذ الآيات هزوا ولم يقل اتخذه
للاشعار بانه اذا احس بشيء من الكلام انه من جملة الآيات التي انزلها الله
على محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاض في الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء
بما بلغه ويحتمل وإذا علم من آياتنا شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجعله محملا
يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو افتراص ابن الزبعرى
في قوله تعالى انكم وما تعبدون الآية ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وآله
وقوله خصمتك ويجوز ان يرجع الضمير الى شيء لانه في معنى الآية كقول ابي العتاهية
نفسي بشيء من الدنيا معلقة الله والقائم المهدي يكفيها حيث اراد عتبة وقرئ علم
اولئك اشارة الى كل افاك اثيم لشموله الافاكين لهم عذاب مهين من ورائهم
الجهة التي يواريها الشخص من خلف او قدام قال أليس ورائي ان تراخت منيتي
ادب مع الولدان ازحف كالنسر ومنه قوله تعالى من ورائهم جهنم اي من قدامهم
ولا يغني عنهم ما كسبوا من الاموال في رحلهم ومتاجرهم شيئا ولا ما
اتخذوا من دون الله من الاوثان اولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى
اشارة الى القرآن يدل عليه قوله والذين كفروا بآيات ربهم لان آيات
ربهم هي القرآن اي هذا القرآن كامل في الهداية كما تقول زيد رجل كامل في الرجولية
وايما رجل لهم عذاب من رجز اليم والرجز اشد العذاب وقرئ بجر اليم ورفعه
الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا من فضله بالتجارة
او بالغوص في البحر على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطري وغير ذلك من منافع
البحر ولعلكم تشكرون ما معنى منه في قوله وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه وما موقعها من الاعراب هي واقعة موقع
الحال والمعنى انه سخر هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة من عنده يعني انه مكونها
وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف

تقديره هي جميعا منه وان يكون وسخر لكم تأكيدا لقوله سخر لكم ثم ابتدئ قوله ما في
السموات وما في الارض جميعا منه وان يكون وما في السموات وما في الارض مبتدأ
ومنه خبره وقرأ ابن عباس رضي الله عنه منة وقرأ سلمة بن محارب منه على ان يكون منه
فاعل سخر على الاسناد المجازي وعلى انه خبر مبتدأ محذوف اي ذلك هو منه ان في
ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا حذف المقول لان الجواب دال
والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله لا يتوقعون وقائع الله
باعدائه من قولهم لوقائع العرب ايام العرب وقيل لا يأملون الاوقات التي وقتها
الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل
نزلت في عمر رضي الله عنه وقد شتمه رجل من غفار فهم ان يبطش به وعن سعيد بن المسيب كنا بين
يدي عمر بن الخطاب فقرأ قارئ هذه الآية ليجزي عمر بما صنع ليجزي تعليل الامر
بالمغفرة اي انما امروا بان يغفروا لما اراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم
يوم القيامة قوله قوما ما وجه تنكيره وانما اراد الذين آمنوا وهم
معارف هو مدح لهم وثناء عليهم كأنه قيل ليجزي ايما قوم وقوما مخصوصين
لصبرهم واغضائهم على اذى اعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يجرعونهم من الغصص
بما كانوا يكسبون من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول
عمر ليجزي عمر بما صنع ليجزي بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عند نزول الآية والذي بعثك بالحق لا ترى الغضب في وجهي وقرئ ليجزى قوما
اي الله تعالى وليجزى قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما من عمل صالحا
فلنفسه ومن اساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ولقد آتينا
بني اسرائيل الكتاب التوراة والحكم الحكمة والفقه او فصل الخصومات
بين الناس لان الملك كان فيهم والنبوة ورزقناهم من الطيبات مما احل
الله لهم واطاب من الارزاق وفضلناهم على العالمين حيث لم نؤت احدا
مثل ما آتيناهم وآتيناهم بينات آيات ومعجزات من الامر من امر الدين فما
اختلفوا فما وقع بينهم الخلاف في الدين الا من بعد ما جاءهم ما هو موجب لزوال
الخلاف وهو العلم بغيا بينهم وانما اختلفوا لبغي حدث بينهم اي لعداوة وحسد ان ربك

يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة
على طريقة ومنهاج من الامر من امر الدين فاتبعها فاتبع شريعتك الثابتة بالدلا
والحجج ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون مالا حجة عليه من اراء الجهال ودينهم المبني
على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش قالوا ارجع الى دين ابائك انهم لن يغنوا
عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم اولياء بعض ولا توالهم انما يوالي
الظالمين من هو ظالم مثلهم والله ولي المتقين واما المتقون فوليهم الله وهم موا
وما ابين الفصل بين الولايتين هذا القرآن بصائر للناس جعل ما فيه من معالم الدين
والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كما جعل روحا وحيوة وهو هدى من الضلا
ورحمة من العذاب لقوم يوقنون لمن امن وايقن وقرئ هذه بصائر اي هذه الايات
ام حسب ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان الذين اجترحوا السيئات
الاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة اهله اي كاسبهم ان
نجعلهم ان نصيرهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات وهو من جعل المتعدي
الى مفعولين فاولهما الضمير والثاني الكاف والجملة التي هي سواء محياهم
ومماتهم بدل من الكاف لان الجملة يقع مفعولا ثانيا فكانت في حكم المفرد الا ترى
لو قلت ان نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما يقول ظننت زيدا ابوه منطلق
ومن قرا سواء بالنصب اجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية
وكان مفردا غير جملة ومن قرا ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم
الحاج وخفوق النجم اي سواء في محياهم وفي مماتهم والمعنى انكار ان يستوي المسيئون
والمحسنون محيا وان يستووا مماتا لافتراق احوالهم احياء حيث عاش هؤلاء على القيام
بالطاعات واولئك على ركوب المعاصي ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والو
الى ثواب الله ورضوانه واولئك على الياس من رحمة الله والوصول الى هول ما اعد لهم
لهم وقيل معناه انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحيوة لان المسيئين والمحسنين
مستو محياهم في الصحة وانما يفترقون في الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستانف
على معنى ان محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على
حسب ما عاش عليه وعن تميم الداري رض انه يصلي ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الاية

فجعل يبكي ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون وعن الفضيل انه بلغها فجعل
يرددها ويبكي ويقول يا فضيل ليت شعري من اي الفريقين انت وخلق الله السموات
والارض بالحق ولتجزى معطوف على بالحق لان فيه التعليل او على معلل محذوف
تقديره وخلق السموات والارض ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس بما كسبت
وهم لا يظلمون افرايت من اتخذ الهه هواه اي هو مطواع لهوى النفس يتبع
ما يدعوا اليه فكانه يعبده كما يعبد الرجل الهه وقرئ الهة هواه لانه كان يستحسن
الحجر فيعبده فاذا راى ما هو احسن رفضه اليه فكانه اتخذ الهة شتى يعبد كل وقت
منها واضله الله على علم وتركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بان
ذلك لا يجدي عليه وانه ممن لا لطف له او مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بانواع
الالطاف المحصلة والمقربة وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة
فمن يهديه من بعد اضلال الله وقرئ غشاوة بالحركات الثلث وغشوة بالفتح
افلا تذكرون وقرئ تتذكرون وقالوا ما هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى
نموت نحن ونحيى او لا دنا او يموت بعض ويحيى بعض او يكون مواتا نطفا في الاصلاب
ونحيى بعد ذلك او يصيبنا الامران الموت والحيوة يريدون الحيوة في الدنيا والموت
بعدها وليس وراء ذلك حيوة وقرئ نحيى بضم النون وما يهلكنا الا الدهر
وقرئ الا دهر يمر وما لهم بذلك من علم وما يقولون ذلك عن علم ان هم الا
يظنون ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون ان مرور الايام والليالي هو المؤثر في هلاك
الانفس وينكرون ملك الموت وقبضه للارواح بامر الله تعالى وكانوا يضيفون كل
حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى اشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله
عليه وعلى اله الصلوة والسلم لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي فان الله هو الاتي بالحوادث
لا الدهر واذا تتلى عليهم اياتنا بينات ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا
باباءنا ان كنتم صادقين وقرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر
كان وتاخيره لم سمي قولهم حجة وليس بحجة لانهم ادلوا به كما يدلي
المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه في حسابهم حجة
وتقديرهم حجة او لانه في اسلوب قولهم تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان

حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان تكون لهم حجة البتة كيف وقع قوله
قل الله يحييكم ثم يميتكم جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين
لما انكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم
مقرون به من ان الله هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى ذلك الزام ما هو واجب الاقرار
به ان انصفوا واصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم الى يوم القيامة ومن كان قادرا على ذلك
كان قادرا على الاتيان بآبائهم وهو كان اهون شيء عليه ولله ملك السموات والارض
ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون عامل النصب في يوم يخسر ويومئذ
بدل من يوم وترى كل امة جاثية باركة مستوفزة على الركب
وقرئ جاذية والجذو اشد استيفازا من الجثو لان الجاذي هو الذي يجلس على اطراف اصابعه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهي الجماعة وجمعها جثى
وفي الحديث من جثى جهنم وقرئ كل امة على الابتداء وكل امة على الابدال من كل امة
تدعى الى كتابها الى صحائف اعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله ووضع الكتاب فترى
المجرمين مشفقين مما فيه اليوم تجزون ما كنتم تعملون محمول على القول هذا كتابنا
كيف اضيف الكتاب اليهم والى الله تعالى الاضافة تكون للملابسة
وقد لابسهم ولابسه اما ملابسته اياهم فلان اعمالهم مثبتة فيه واما ملابسته
فلانه مالكه والآمر ملائكته ان يكتبوا فيه اعمال عباده ينطق عليكم يشهد عليكم
بالحق من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ الملائكة ما كنتم تعملون
اي نكتبهم اعمالكم فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في
رحمته في جنته وجواب اما محذوف تقديره واما الذين كفروا فيقال لهم
افلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين والمعنى
الم يأتكم رسلي فلم تكن آياتي تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه واذا قيل ان وعد الله حق
والساعة لا ريب فيها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع على محل ان واسمها
قلتم ما ندري ما الساعة اي شيء الساعة ما معنى ان نظن الا ظنا
اصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فادخل حرف النفي والاستثناء ليفيد اثبات الظن
مع نفي ما سواه وزيد نفي ما سوى الظن توكيدا لقوله وما نحن بمستيقنين وبدا

ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون

لهم سيئات ما عملوا اي قبائح اعمالهم او عقوبات اعمالهم السيئات لقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون وقيل اليوم ننساكم
نترككم في العذاب كما نسيتم كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا وهي الطاعة
او نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي غير المبالى به كما لم تبالوا انتم بلقاء يومكم ولم تخطروه
ببال كالشيء الذي يطرح نسيا منسيا ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم
معنى اضافة المكر في قوله بل مكر الليل والنهار اي نسيتم لقاء الله في يومكم
هذا ولقاء جزائه ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله
هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها وقرئ لا يخرجون بفتح
الياء ولا هم يستعتبون ولا يطلب منهم ان يعتبوا ربهم اي يرضوه فلله الحمد
رب السموات ورب الارض فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب كل شيء من السموات
والارض ورب العالمين فان مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على كل
مربوب وله الكبرياء وكبروه فقد ظهر آثار كبريائه في السموات والارض
وحق مثله ان يكبر ويعظم وهو العزيز الحكيم عن رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من
الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق الا خلقا
ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح وبتقدير اجل مسمى ينتهي اليه وهو يوم القيامة
والذين كفروا عما انذروا من هول اليوم الذي لا بد لكل خلق من انتهائه
اليه معرضون لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز ان تكون ما مصدرية
اي عن انذارهم ذلك قل ارأيتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا
خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا
اي من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعني ان هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال

الشرك وما من كتاب انزل من قبله من كتاب الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب
واحد منزل من قبله من كتب الله تعالى الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب
منزل من قبله شاهد بصحة ما انتم عليه من عبادة غير الله تعالى أو أثارة من علم
او بقية من علوم الاولين من قولهم سمنت الناقة على اثارة من شحم كانت بقية
وقرئ على اثرة اي من شئ أوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة به لغيركم وقرئ
اثرة بالحركات الثلث في الهمزة مع سكون الثاء فالاثرة بالكسر بمعنى الاثرة واما
الاثرة فانها المرة من مصدر اثر الحديث اذا رواه واما الاثرة بالضم فاسم ما يؤثر
به كالخطبة اسم ما يخطب به ان كنتم صادقين ومن اضل معنى الاستفهام
انكار ان يكون في الضلال كلهم ابلغ ضلالا من عبدة الاوثان حيث يتركون
دعاء السميع المجيب القادر على كل بغية ومرام ويدعون من دونه من لا يستجيب له
الى يوم القيمة جماد الا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة احد منهم ما دامت
الدنيا والى ان يقوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون واذا قامت القيمة
الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وكانوا عليهم ضدا
فليسوا في الدارين الا على مضرة ولا يتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة
يعادونهم ويجحدون عبادتهم وانما قيل من وهم مما لا يعقل لانه اسند اليهم ما
يسند الى اولي العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا
وغباوة ويجوز ان يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب غير
الاوثان عليها وقرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بتلك
الغفلة طريقة التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو
سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم واذا تتلى عليهم آياتنا
بينات جمع بينة وهي الحجة والشاهد او واضحات مبينات قال الذين كفروا
للحق واللام في للحق مثلها في قوله للذين امنوا لو كان خيرا اي لاجل الحق ولاجل
الذين امنوا والمراد بالحق الايات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهر
موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق لما جاءهم بادهوه بالجحود
ساعة اتاهم واول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر هذا سحر مبين

ومن عنادهم وظلمهم انهم سموه سحرا مبينا ظاهرا امره في البطلان لا شبهة
فيه ام يقولون افتريه اضراب عن ذكر تسميتهم الايات سحرا الى ذكر قولهم
ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم افتراه ومعنى الهمزة في ام الانكار والتعجب
قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه العجب وذلك ان محمدا صلى الله عليه
وآله وسلم كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه معجزة لخرقها
العادة فاذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون
والضمير للحق والمراد به الايات قل ان افتريته على سبيل الفرض عاجلني الله لا محالة
بعقوبة الافتراء عليه فلا تملكون لي من الله شيئا فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي
ولا تطيقون على دفع شئ من عقابه عني فكيف افتريه واتعرض لعقابه يقال فلان
لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان
يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ثم قال هو اعلم
بما تفيضون فيه اي تندفعون فيه من القدح في وحي الله والطعن في آياته وتسميته
سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بيني وبينكم يشهد لي بالصدق والبلاغ
ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم وهو الغفور الرحيم
موعده بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا واشعار بحلم الله عنهم مع
عظم ما ارتكبوا فاسمعوا اسناد الفعل اليهم في قوله فلا تملكون
كان فيما اتاهم به النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير
بهم فكانه قال لهم ان افتريته واردت بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الالهة الى
عبادة الله فما تغنون انتم ايها المنصوحون ان اخذني الله بعقوبة الافتراء عليه قل ما كنت
بدعا من الرسل البدع البديع كالخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال اي ذا
بدع ويجوز ان يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم وهو انفق كانوا يقترحون
عليه الايات ويسألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب فقيل له قل ما كنت بدعا من الرسل
فاتيكم بكل ما تقترحونه واخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات فان الرسل لم يكونوا يأتون
الا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون الا بما اوحي اليهم ولقد ما يسرعون فما بال
الاولى يقول علمها عند ربي لانه لا علم لي بالغيب وما ادري ما يفعل بي ما يفعل الله

بي ولا بكم فيما لا يستقبل من الزمان من افعاله ويقدر لي ولكم من قضاياه
ان اتبع الا ما يوحى الي وعن الحسن وما ادري ما يصير اليه امري وامركم في
الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبي قال له اصحابه وقد ضجروا من اذى المشركين
حتى متى نكون على هذا فقال ما ادري ما يفعل بي ولا بكم ءاترك بمكة ام اومر بالخروج
الى ارض قد رفعت لي ورايتها يعني في منامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ما يفعل بي اي يفعل الله ان يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل
بي وبكم في الاخرة وقال منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
ويجوز ان يكون نفيا للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء اي يفعل الله
ان يفعل مثبت غير منفي فكان وجه الكلام ما يفعل بي وبكم اجله ولكن النفي
ما المودي لما كان مشتملا عليه لتناوله ما وما في حيزه صح ذلك وحسن ويجوز ان تكون
موصولة منصوبة وان يكون استفهامية مرفوعة وقرئ يوحي اي الله قل ارايتم
ان كان وجواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به
الستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله ان الله لا يهدي القوم الظالمين
وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله الشاهد من بني اسرائيل عبد الله بن سلام
لما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب
وتامله فتحقق انه هو النبي المنتظر وقال له اني سائلك عن ثلث لا يعلمهن الا نبي ما اول
اشراط الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة والولد ينزع الى ابيه او الى امه فقال
عليه وعلى آله الصلوة والسلم اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب
واما اول طعام ياكله اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فاذا سبق ماء
الرجل نزعه وان سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا ثم قال
ان اليهود قوم بهت وانهم ان علموا باسلامي قبل ان تسالهم بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال
لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم اي رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا
وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا فقال ارايتم ان اسلم عبد الله فقالوا اعاذه الله من
ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا
شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد

وما بال ه

ابن ابي وقاص ما سمعت لاحد يمشي على وجه الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه
نزل وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله الضمير للقرآن اي على مثله في المعنى وهو ما في
التورية من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد ويدل عليه
قوله تعالى وانه لفي زبر الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى كذلك يوحي اليك والى الذين من
قبلك ويجوز ان يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعني كونه
من عند الله الخبر في عن نظم هذا الكلام لا يتقطعه واعلم معناه من جهة النظم
الواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم في قوله ان كان
من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو الاخيرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد
واما الواو في وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله
كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان احسنت اليك واسات واقبلت
عليك واعرضت لم تستوف انك اخذت ضميمتين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل اخبروني
ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة اعلم بني اسرائيل على
مثله فايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به الستم اضل الناس واظلمهم وقد جعل
الايمان في قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما علم ان مثله انزل على موسى
من جنس الوحي وليس من كلام البشر وانصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة
ذلك ان الله لا يهدي القوم الظالمين وقال الذين كفروا للذين
آمنوا لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء
عمار وصهيب وابن مسعود لو كان خيرا ما سبقونا اليه هؤلاء وقيل لما اسلمت
جهينة ومزينة واسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان واسد واشجع لو كان
خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم وقيل ان امة لعمر اسلمت فكان عمر يضربها حتى
يفتر ثم يقول لولا اني فترت لزدتك ضربا فكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد
حقا ما سبقتنا اليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام
واصحابه لا بد من عامل في الظرف في قوله واذ لم يهتدوا به ومن متعلق لفعله
فسيقولون وغير مستقيم ان يكون فسيقولون هو العامل في الظرف لتدافع دلالتي المضي
والاستقبال فما وجه هذا الكلام العامل في اذ محذوف لدلالة الكلام عليه

من قوله فلما ذهبوا وقولهم حينئذ الآن يعني كان ذلك ح واسم الآن وتقديره اذ
لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا إفك قديم فهذا المضمر الذي صح به الكلام
حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون هذا إفك قديم مسببا عنه
كما صح بإضمار أن قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم
إفك قديم كقوله أساطير الأولين ومن قبله كتاب موسى كتاب مبتدأ ومن
قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب إماما على الحال كقولك في الدار زيد
قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذين قبله التوراة ومعنى إماما قدوة
يؤتم به في دين الله وشرائعه كما يؤتم بالإمام ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه
وهذا القرآن كتاب مصدق لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب
وقرئ مصدق لما بين يديه لسانا عربيا حال من ضمير الكتاب في مصدق والعامل
فيه مصدق ويجوز أن ينتصب على كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الإشارة ويجوز
أن يكون مفعولا لمصدق أي يصدق ذا لسان عربي وهو الرسول عليه السلام وقرئ لينذر
الذين ظلموا بالتاء والياء ولينذر من نذر ينذر إذا حذر وبشرى للمحسنين
في محل الرفع إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا
هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون
ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وقرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين
وبضمهما وبفتحهما وإحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها بالضم
والفتح وهما لغتان في معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال أي ذات كره
أو على أنه صفة للمصدر أي حملا ذا كره وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وهذا دليل
على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لأن مدة الرضاع إذا كانت حولين لقوله حولين
كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة أشهر وقرئ وفصله والفصل
والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى ... المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال
قلت لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لأنه ينتهي به ويتم يسمى فصالا كما يسمى المدة
بالأمد من قال كل حي مستكمل عدة العمر ومود إذا انتهى أمده وفيه فائدة أخرى وهي الدلالة
على الرضاع التام المنتهي بالفصال ووقته حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة

وقرئ حتى إذا استوى وبلغ أشده وبلوغ الأشد أن يكتهل ويستوفي السن
التي تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك إذا أناف على الثلاثين وناطح الأربعين
وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الأشد وغايته
الأربعين وقيل لم يبعث نبي قط إلا بعد أربعين سنة والمراد بالنعمة التي استوزع
الشكر عليها نعمة التوحيد والإسلام وجمع بين شكري النعمة عليه وعلى والديه لأن
النعمة عليهما نعمة عليه وأن أعمل صالحا ترضاه قيل في العمل المرضي هو الصلوات
الخمس ما معنى في في قوله وأصلح لي في ذريتي معناه أن يجعل ذريته موقعا
ومظنة له كأنه قال هب لي الصلاح في ذريتي وأوقعه فيهم ونحوه يجرح في عراقيبها نصلي
إني تبت إليك وإني من المسلمين من المخلصين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما
عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل
وقرئا بالنون ما معنى في قوله في أصحاب الجنة هو نحو قولك أكرمني الأمير
في ناس من أصحابه يريد أكرمني في جملة من أكرم منهم ونظمني في عدادهم ومحله النصب
على الحال على معنى كائنين في أصحاب الجنة ومعدودين فيهم وعد الصدق الذي كانوا
يوعدون مصدر مؤكد لأن قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز
وقيل نزلت في أبي بكر رضي الله عنه وفي أبيه أبي قحافة وأمه أم الخير وفي أولاده واستجابة دعائه
فيهم وقيل لم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والأنصار أسلم هو ووالداه
وبنوه وبناته غير أبي بكر والذي قال لوالديه مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم
القول والمراد بالذي قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن
الحسن هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء
عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه وقد دعاه
أبوه أبو بكر وأمه أم رومان إلى الإسلام فأفف بهما وقال ابعثوا لي جدعان بن
عمرو وعثمان بن عمرو وهما من أجداده حتى أسألهما عما يقول محمد صلى الله عليه وآله وسلم
ويشهد لبطلانه أن المراد بالذي قال جنس القائلين ذلك وأن قوله الذين حق عليهم
القول هم أصحاب النار وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة
رضي الله عنها إنكار نزولها فيه حين كتب معاوية إلى مروان بأن يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن

قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي

أف لكما

لقد جئتم هرقلية اتبايعون لاولادكم فقال يا ايها الناس هو الذي قال الله فيه والذي
قال لوالديه اف لكما فسمعت عايشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت ان اسميه
لسميته ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه فانت فضض من لعنة الله وقرئ اف
بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان
علم انه متضجر كما اذا قال حس علم انه متوجع واللام للبيان معناه هذا التافيف لكما
خاصة ولاجلكما دون غيركما وقرئ اتعدانني بنونين واتعداني باحدهما وبادغامها في الاخرى
وقد قرا بعضهم اتعدانني بفتح النون كانه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح
الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من ادغم ومن طرح احدهما ان اخرج ان ابعث
واخرج من الارض وقرئ اخرج وقد خلت القرون من قبلي يعني ولم يبعث منهم
احد وهما يستغيثان الله يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام
لقوله ويلك آمن دعاء عليه بالثبور والهلاك والمراد الحث والتحريض على الايمان
لا حقيقة الهلاك في امم نحو قوله في اصحاب الجنة ان وقرئ ان بالفتح على معنى آمن
بان وعد الله حق فيقول ما هذا الا اساطير الاولين اولئك الذين حق
عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا
خاسرين ولكل من الجنسين المذكورين درجات مما عملوا اي منازل ومراتب
من جزاء ما عملوا من الخير والشر او من اجل ما عملوا منهما كيف قيل درجات
وقد جاء الجنة درجات والنار دركات يجوز ان يقال ذلك على وجه التغليب
لاشتمال كل على الفريقين وليوفيهم وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام
عليه كانه قيل وليوفيهم اعمالهم وهم لا يظلمون ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاؤهم على
مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم يعرض الذين كفروا
على النار ناصب الظرف هو القول المضمر قبل اذهبتم وعرضهم على النار تعذيبهم
بها من قولهم عرض بنو فلان على السيف اذا قتلوا به ومنه قوله النار يعرضون عليها
ويجوز ان يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض
الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها اذهبتم
طيباتكم اي ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد اصبتموه في دنياكم وقد ذهبتم

واخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شيء منها وعن عمر لو شئت لدعوت
بصلائق وصناب وكراكر واسنمة ولكني رايت الله نعى على قوم طيباتهم فقال
اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وعنه لو شئت لكنت اطيبكم
طعاما واحسنكم لباسا ولكني استبقي طيباتي وعن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم انه دخل على اهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها
رقاعا فقال انتم اليوم خير ام يوم يغدو احدكم في حلة ويروح في اخرى
ويراح عليه باخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل انتم اليوم
وقرئ اأذهبتم بهمزتين على الاستفهام وآذهبتم بالف بينهما فاليوم تجزون
عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون
الهون الهوان وقرئ عذاب الهوان وقرئ يفسقون بضم السين وكسرها بالاحقاف جمع
حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء اذا اعوج وكانوا
اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد اليمن
وقيل بين عمان ومهرة وقد خلت النذر جمع نذير بمعنى المنذر او الانذار من بين
يديه ومن قبله ومن خلفه ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى ان
ان هودا عليه السلم قد انذرهم وقال لهم الا تعبدوا الا الله اني اخاف
عليكم عذاب يوم عظيم واعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين يبعثون
في زمانه ومعنى من خلفه على هذا التفسير من بعد انذاره هذا ان علقت وقوله
النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا بين انذر قومه وبين الا تعبدوا ويكون
المعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه
من الرسل ومن تاخر عنه مثل ذلك فاذكرهم قالوا اجئتنا لتافكنا لتصرفنا الافك
عن آلهتنا فلم تجر به من آلهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا من معاجلة العذاب
على الشرك ان كنت من الصادقين في وعدك ان كنت صادقا في وعدك
قوله قال انما العلم عند الله جوابا لقولهم فاتنا بما تعدنا من حيث انه
مستلزم استعجالهم بالعذاب الابدي الحقي بقوله بل هو ما استعجلتم به اي لا علم
لي بالوقت الذي يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا انما علم ذلك عند الله فكيف ادعوه

وتعدي عليه بجفنة

واذكر اخا عاد اذ انذر قومه

بان يأتيكم بعذابه في وقت عاجل تعيّنه انتم ومعنى وابلغكم ما ارسلت به من الانذار
والتخويف وقرئ بالتخفيف الذي شاني وشرطي ان ابلغكم ما ارسلت به من الانذار
والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله تعالى بجهدي ولكني اراكم قوما
تجهلون ولكنكم جاهلون لا تعلمون ان الرسل لم يبعثوا الا منذرين لا مقترحين
ولا سائلين غير ما اذن لهم فيه فلما رأوه في الضمير وجهان ان يرجع الى ما تعدنا
وان يكون مبهما قد وضح امره بقوله عارضا مستقبل اوديتهم اما تمييزا او
حالا وهذا الوجه اعرب وافصح قالوا هذا عارض ممطرنا والعارض السحاب
الذي يعرض في افق من السماء ومثله الحبي والعنان من حبا وعنّ اذا عرض واضافة
مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى المعرفتين وصفا
للنكرة بل هو القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ
قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم اي قال الله
قل تدمر كل شيء بامر ربها تهلك من نفوس عاد واموالهم الجم الكثير
فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك فاصبحوا
لا ترى الخطاب للرائي من كان وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء
والقراءة بالتاء وهي عن الحسن لا يرى بقايا ولا اشياء الا مساكنهم ومنه
ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع ونحيت بالقوة وقرئ لا ترى الا
مساكنهم ولا يرى الا مساكنهم وروي ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة
فترفعها في الجو حتى ترى كانها جرادة وقيل اول من ابصر العذاب امرأة منهم
قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروي اول ما عرفوا به انهم رأوا ما كان في الصحراء
من رحالهم ومواشيهم تطير بهم الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا
ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وامال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها
سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم وطرحتهم
في البحر وروي ان هودا لما احس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى
جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضي الله عنهما اعتزل هود ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح
الا ما تلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض

وتدمرهم بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا رأى الريح فزع وقال
اللهم اني اسألك خيرها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما
ارسلت به واذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له
يا رسول الله ما تخاف فيقول اني اخاف ان يكون مثل قوم عاد حيث قالوا
هذا عارض ممطرنا ما فائدة اضافة الرب الى الريح الدلالة على ان الريح
وتصريف اعنتها مما يشهد لعظم قدرته لانها من اعاجيب خلقه واكابر جنوده وفي
ذكر الامر وكونها مأمورة من جهته عز وعلا يعضد ذلك ويقويه كذلك نجزي
المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ان نافية اي فيما ما مكناكم
فيه الا ان ان احسن في اللفظ لما في مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله
متجنب الا ترى ان الاصل في مهما ماما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء
ولقد اغث ابو الطيب في قوله لعمرك ما ما بان منك لضارب وما ضره لو اقتدى بعذوبة
لفظ التنزيل فقال لعمرك ما ان بان منك لضارب وقد جعلت ان صلة مثلها فيما
انشده الاخفش يرجي المرء ما ان لا يراه وتعرض دون ادناه الخطوب وتؤول
بانا مكناهم في مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول ولقد جاء عليه غير
آية في القرآن هم احسن اثاثا ورئيا كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا
وهو ابلغ في التوبيخ وادخل في الحث على الاعتبار وجعلنا لهم سمعا وابصارا
وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء اي من شيء من الاغناء وهو
القليل منه بم انتصب اذ كانوا يجحدون بآيات الله بقوله فما اغنى
عنهم لم جرى مجرى التعليل لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته
لاساءته وضربته اذ اساء لانك اذا ضربته في وقت اساءته لانك انما ضربته
فانما ضربته فيه لوجود الاساءة فيه الا ان اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك
ما حولكم يا اهل مكة من القرى من نحو حجر ثمود وقرى سدوم وغيرها والمراد اهل
القرى ولذلك قال وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا
من دون الله قربانا آلهة القربان ما تقرب به الى الله تعالى اي اتخذوهم شفعاء متقربا
بهم الى الله تعالى حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله واحد مفعولي اتخذ الراجع الى الذين

المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا
لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم بل ضلوا
عنهم اي غابوا عن نصرتهم وذلك اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم
افكهم اي وذلك اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم و
افترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء وقرئ أفكهم والأفك والافك كالحِذر
والحَذر وقرئ وذلك أفكهم اي وذلك الاتخاذ الذي هذا اثره وثمرته صرفهم عن الحق
وقرئ أفّكهم على التشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين فافكهم اي قولهم الافك ذو
الافك كما تقول قول كاذب وذلك افك مما كانوا يفترون اي بعض ما كانوا
يفترون من الافك وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن املناهم واقبلنا بهم نحوك وقرئ
صرّفنا بالتشديد لانهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع انفارا وفي حديث ابي ذر لو كان
ههنا احد من انفارنا فلما حضروه والضمير للقرآن اي فلما كان يسمع منهم او للرسول
صلى الله عليه وآله وسلم ومصداقه قراءة من قرأ فلما قضي اي اتم قراءته وفرغ منها قالوا
قال بعضهم لبعض انصتوا اسكتوا مستمعين يقال انصت لكذا واستنصت له روي ان الجن
كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث
فنهض سبعة او تسعة من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى
بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
قائما في جوف الليل يصلي او في صلوة الفجر فاستمعوا القراءة وذلك عند منصرفه من الطائف
حين خرج اليهم يستنصرهم فلم يجيبوه الى طلبته واغروا به سفهاءهم ثقيف وعن سعيد
بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا رآهم وانما كانوا يتلون في صلوته
به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فانبأه الله باستماعهم وقيل بل امر الله تعالى رسوله
وعلى آله الصلوة والسلم ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال
اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود قال لم يحضره
ليلة الجن احد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطا وقال لا تخرج
منه حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم انقطعوا

كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل رأيت شيئا قلت نعم رجالا
سودا مستثفري ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي
قرأها عليهم اقرأ باسم ربك فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا
انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى
طريق مستقيم … كيف قالوا من بعد موسى … عن عطاء انهم كانوا على اليهودية
وعن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عليه السلام فلذلك قالوا من بعد موسى يا قومنا
اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم لم بعض في قوله من ذنوبكم
لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله تعالى ان اعبدوا
الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم هل للجن ثواب كما للانس اختلف
فيه فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار لقوله ويجركم من عذاب اليم واليه كان
يذهب ابو حنيفة والصحيح انهم في حكم بني آدم لانهم مكلفون مثلهم ومن لا يجب
داعي الله فليس بمعجز في الارض اي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه
قوله وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا وليس له من دونه اولياء
اولئك في ضلال مبين اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم
يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير بقادر محله الرفع
لانه خبر ان يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في اول الاية
على ان وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت ان زيدا بقائم جاز كانه قال اليس الله
بقادر بلى انه تعالى وقع بلى مقررة للقدرة على كل شيء من البعث وغيره لا لرؤيتهم وقرئ
يقدر ويقال عييت بالامر اذا لم يعرف وجهه ومنه افعيينا بالخلق الاول ويوم يعرض
الذين كفروا على النار اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا اليس هذا بالحق محكي
بقول مضمر هو ناصب الظرف وهذا اشارة الى العذاب بدليل قوله تعالى قال فذوقوا
العذاب بما كنتم تكفرون والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله
وقولهم وما نحن بمعذبين فاصبر كما صبر اولوا العزم اولوا الجد والثبات والصبر
من الرسل فيجوز ان تكون من للتبعيض ويراد باولي العزم بعض الانبياء قيل هم نوح عليه السلم
صبر على اذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم عليه السلم على النار وذبح

ولده واسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب و
السجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين
وداود بكى على خطيئته اربعين سنة وعيسى عليه السلم لم يضع لبنة على لبنة وقال انها
وقال الله تعالى في آدم عليه السلم ولم نجد له عزما وفي يونس عليه السلم ولم نجد له عزما
وفي يونس عليه السلم ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز ان يكون للبيان فيكون اولو العزم صفة
للرسل كلهم ولا تستعجل لهم لكفار قريش بالعذاب كانهم يوم يرون ما يوعدون
اي لا يدع عليهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر لم يلبثوا الا ساعة في
يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا يحسبونها ساعة من نهار بلاغ هذا بلاغ اي
هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة وهذا تبليغ من الرسول فهل يهلك الا القوم
الفاسقون الا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه ويدل على معنى التبليغ قراءة
من قرأ ابلغ فهل يهلك وقرئ بالادغام وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من
هلك ويهلك ونهلك بالنون الا القوم الفاسقين عن رسول الله صلى الله عليه
من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله اعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام او صدوا غيرهم عنه
قال ابن عباس رضي الله عنهما هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من اهل
الشرك يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل هم اهل الكتاب الذين
كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من
كفر وصد اضل اعمالهم ابطلها واحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضايعة ليس
من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي هي بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني
ضالة في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى
وقرى الاضياف وحفظ الجوار وقيل ابطلوا من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم

والصد عن سبيل الله بان نصره عليهم واظهر دينه على الدين كله والذين
آمنوا وعملوا الصالحات هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا
اهل الكتاب وقيل هو عام وقوله وآمنوا بما نزل على محمد اختصاص للايمان بالمنزل
على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من بين ما يجب الايمان به تعظيما لشانه وتعليما
لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا به وآكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله وهو
الحق من ربهم وقيل معناها ان دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ
لغيره وقرئ نزل وأنزل على البناء للمفعول ونزل على البناء للمفعول ونزل على البناء
للفاعل ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم
من الكفر والمعاصي لرجوعهم وتوبتهم واصلح بالهم احوالهم وشأنهم بالتوفيق في امور
الدين وبالتسليط على الدنيا بما اعطاهم من النصرة والتأييد ذلك مبتدأ وما بعده بان
الله هو الحق وان ما يدعون من دونه الباطل خبره اي ذلك الامر وهو اضلال
اعمال الكافرين وتكفير سيئات المؤمنين كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز ان
يكون ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون الجار والمجرور منصوبا
على هذا ومرفوعا على الاول والباطل ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام
تسميه علماء البيان التفسير كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم
راجع الى او الى المذكورين من الفريقين على معنى انه يضرب امثالهم لاجل الناس ليعتبروا
اين ضرب الامثال في ان جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق
لعمل المؤمنين او في ان جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين
فاذا لقيتم الذين كفروا من اللقاء وهو الحرب فضرب الرقاب اصله فاضربوا
الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع
اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة
عن القتل لان الواجب ان تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء وذلك
انهم يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه
اذا قتله وذلك ان قتل الانسان اكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل
وان ضرب بغير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله بما كسبت ايديكم على ان في هذه العبارة

من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز
العنق واطارة العضو الذي هو راس البدن وعلوه واوجه اعضائه ولقد زاد في
هذه الغلظة في قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان حتى
اذا اثخنتموهم اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ
او اثقلتموهم بالقتل والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق
فاسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به فاما منا بعد واما فداء
منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين اي فاما تمنون منا واما تفدون فداء
والمعنى التخيير بعد الاسر بين ان يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين ان يفادوهم
كيف كان حكم اسارى المشركين   اما عند ابي حنيفة واصحابه
فاحد امرين اما قتلهم واما استرقاقهم ايهما راى الامام ويقولون في المن
والفداء المذكورين في الاية نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا
فداء انما هو الاسلام او ضرب العنق ويجوز ان يكون المراد بالمن ان يمن عليهم بترك
القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من اهل الذمة
وبالفداء ان يفادى باساراهم اسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن
ابي حنيفة والمشهور انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة ان يعودوا
حربا للمسلمين واما الشافعي فيقول للامام ان يختار احد اربعة على حسب ما اقتضاه
نظره للمسلمين وهو القتل والاسترقاق والفداء باسارى المسلمين والمن ويحتج
بان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من على ابي عزة الجمحي وعلى ثمامة بن
اثال الحنفي وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند اصحاب
الراي وقرئ فدًا بالقصر مع فتح الفاء حتى تضع الحرب اوزارها اوزار
الحرب آلاتها واثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشى
واعددت للحرب اوزارها   رماحا طوالا وخيلا ذكورا وسميت اوزارها لانه لما لم يكن
لها بد من جرها فكانها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكانها وضعتها وقيل اوزارها
آثامها يعني حتى يترك اهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بان يسلموا
حتى بم تعلقت   لا تخلو من ان تتعلق بالضرب والشد او بالمن والفداء

فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون حرب
مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى عليه السلام وعند ابي حنيفة
اذا علق بالضرب والشد فالمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب
الاوزار وذلك حين لا يبقى للمشركين وان علق بالمن والفداء فالمعنى انه يمن
عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر اوزارها الا ان يتاول المن والفداء بما ذكرنا
من التاويل ذلك اي الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم
لانتقم منهم ببعض اسباب الهلكة من خسف او رجفة او حاصب او غرق او
موت جارف ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض المؤمنين
بالكافرين بان يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين
بان يعاجلهم على ايديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب والذين قتلوا في
سبيل الله وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا وقرئ فلن يضل
اعمالهم وتضل ويضل من ضل وعن قتادة انها نزلت في يوم احد عرفها لهم اعلمها لهم
وبينها بما يعلم به كل احد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي اهل الجنة الى
مساكنهم منها لا يخطئون كانهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها
وعن مقاتل ان الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء
اعطاه الله تعالى او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفي كلام بعضهم عزف كنوح
القماري وعرف كفوح القماري او حددها لهم فجنة كل احد محدودة مفرزة عن غيرها من عرف
الدار وارفها والعرف والارف الحدود يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله
ينصركم على عدوكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب او على محجة الاسلام
والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه قال
اتعس الذين كفروا   علام عطف قوله واضل اعمالهم   على الفعل
الذي نصب تعسا لان المعنى فقال تعسا لهم او فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض
لعا له قال الاعشى فالتعس اولى لها من ان اقول لعا يريد فالعثور والانحطاط
اولى لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة
التردي في النار ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله من القرآن وما انزل فيه من التكاليف

ولا احكام لانهم قد الغوا الاهمال والطلاق والعنان في الشهوات والملاذ ونسق عليهم ذلك وتماظهم **افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم** دمره اهلكه ودمر عليه هلك عليه ما اختص به والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واولادهم واموالهم وكل ما كان ذلك لهم **وللكافرين امثالها** الضمير للعاقبة المذكورة او للهلكة لان التدمير يدل عليها او للسنة لقوله تعالى سنة الله في الذين خلوا **ذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم** وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في الشعب يوم احد وقد فشت فيهم الجراحات وفيه نادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال ان لنا عزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم قولوا الله مولينا ولا مولى لكم ان القتلى مختلفة اما قتلانا فاحياء يرزقون واما قتلاكم ففي النار يعذبون وقوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق منافض لهذه الآية لا تناقض بينهما لان الله تعالى مولى عباده جميعا على معنى انه ربهم ومالك امرهم واما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة **ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار والذين كفروا يتمتعون** ينتفعون بمتاع الحيوة الدنيا اياما قلائل **ويأكلون** غافلين غير متفكرين في العاقبة **كما تأكل الانعام** في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح **والنار مثوى لهم** منزل ومقام **وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك** وارادة اهلها كاين على وزن كاعن وارادة القرية اهلها ولذلك قال **اهلكناهم** ومعنى اخرجوك كانوا سبب خروجك **فلا ناصر لهم** كيف قال فلا ناصر لهم وانما هو امر قد مضى مجراه مجرى الحال المحكية كقولك اهلكناهم فهم لا ينصرون **افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله** من زين لهم هم اهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن كان على بينة من ربه اي حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ امن كان على بينة وقال سوء عمله **واتبعوا اهواءهم**

ولهم وناصر لهم
وفي قراءة ابن مسعود
ولي الذين آمنوا

للحمل على اللفظ والمعنى ما معنى قوله **مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار** هو كلام في صورة الاثبات ومعنى النفي والانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله في حيزه وانخراطه في سلكه وهو قوله افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكانه قيل امثل الجنة كمن هو خالد في النار اي كمثل جزاء من هو خالد في النار فلم عري من حرف الانكار وما فائدة التعرية تعريته من حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وانه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التي تجري فيها تلك الانهار وبين النار التي يسقى اهلها الحميم ونظيره قول القايل افرح ان ازرا الكرام وان اورث ودا اشلحيا ضبابا بلا هذا كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريته من حرف الانكار لانطوائه تحت حكم قول من قال اتفرح بموت اخيك وبوراثة ابله والذي طرح لاجله حرف الانكار ارادة ان يصور قبح ما ازن به فكانه قال نعم مثلي يفرح بمرزية الكرام وبان يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذي تحته كل انكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشان وهو مبتداء وخبره كمن هو خالد وقوله فيها انهار داخل في حكم الصلة كالتكرير لها الا ترى الى صحة قولك التي فيها انهار ويجوز ان يكون خبر مبتداء محذوف هي فيها انهار وكان قائلا قال وما مثلها فقيل فيها انهار وان يكون في موضع الحال اي مستقرة فيها انهار وفي قراءة علي عليه السلم امثال الجنة اي ما صفاتها كصفات النار وقرئ اسن يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه وانشد ليزيد بن معاوية

لقد سقتني رضابا غير ذي اسن كالمسك فت على ماء العناقيد

لم يتغير طعمه كما تتغير البان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حاذرا ولا ما يكره من الطعوم لذة تانيث لذ وهو اللذيذ او وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلث فالجر صفة للخمر والرفع على صفة الانهار والنصب على العلة اي لاجل

الصلة

لذة للشاربين والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار
ولا آفة الخمر مصفا لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره وسقوا
ماء حميما اذا دنى منهم شوى وجوههم واذا دخل فروة رؤوسهم فاذا
شربوه قطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك فاذا خرجوا من عندك
قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا هم المنافقون كانوا يحضرون
مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيسمعون كلامه ولا يعرفونه ولا يلقون
له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا منه قالوا لاولي العلم من الصحابة ماذا قال الساعة
على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء
وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس رضي الله عنهما انا منهم وقد سميت فيمن سئل آنفا
الانف اسم للساعة التي قبل ساعتك التي انت فيها مشتق من الانف لتقدمه على
الحاضر كانه بمعنى المتقدم ومنه انف الصلوة وقرئ انفا على فعل لتشبيه على الظرف
وقال الزجاج هو من استانفت الشي اذا ابتدأته والمعنى ماذا قال في اول وقت يقرب منا
اراد بالاول الجزء الذي انت فيه من اجزاء الوقت الذي يقرب منك لا الجزء الاول
في المعنى والذين اهتدوا زادهم الله هدى بالتوفيق وآتاهم تقواهم اعانهم عليها
وآتاهم جزاء تقواهم وعن السدي بين لهم ما يتقون وقرئ واعطاهم وقيل
الضمير في زادهم لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم او لاستهزاء المنافقين فهل
ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة وقرئ ان تأتهم على انها
من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ ان تأتهم بالوقف على الساعة
واستئناف الشرط وهو في مصاحف اهل مكة كذلك [illegible] جزاء الشرط
فانى لهم ومعناه ان تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم اي تذكرهم واتعاظهم
اذا جاءتهم الساعة يعني لا ينفعهم الذكرى حينئذ كقوله يومئذ يتذكر الانسان
وانى له الذكرى فقد جاء اشراطها [illegible] باتيان
الساعة اتصال العلة بالمعلول كقوله ان تكرم زيدا فانا حقيق بالاكرام اكرمه
والاشراط العلامات قال ابو الاسود فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا
فقد جعلت اشراط اوله تبدو وقيل مبعث محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وآله و

فقطع امعاءهم

اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهواءهم

اذا جاءتهم ذكراهم

منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبي كثرة المال والتجارة وشهادة
الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقرئ بغتة بوزن جربة
وهي غريبة لم ترد في المصادر اختها وهي مروية عن ابي عمرو وما اخوفني ان
يكون غلطة من الراوي على ابي عمرو وان يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير
تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك
وللمؤمنين والمؤمنات لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال اذا
علمت ان الامر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما
انت عليه من العلم بوحدانية الله تعالى وعلى التواضع وهضم النفس
باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك والله يعلم متقلبكم ومثواكم
يعلم احوالكم متصرفاتكم ومتقلبكم في معايشكم ومتاجركم ويعلم حيث تستقرون
من منازلكم او متقلبكم في حيوتكم ومثواكم في القبور او متقلبكم في اعمالكم ومثواكم
من الجنة والنار ومثله حقيق بان يتقى ويخشى وان يستغفر ويسترحم وعن سفيان
بن عيينة انه سئل عن فضل العلم فقال الم تسمع حين بدا به فقال فاعلم انه لا اله الا الله
واستغفر لذنبك فامر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الى قوله
سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال اعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال
واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ثم امر بالعمل بعد ويقول الذين آمنوا
كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بالسنتهم ويقولون لولا نزلت سورة
في معنى الجهاد فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال واهي بما فيها
وحرصوا كما عرفوا شق عليهم وسقطوا في ايديهم كقوله فلما كتب عليهم القتال اذا فريق
منهم يخشون الناس محكمة مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن
فيها ذكر القتال فهي محكمة وهي اشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ
لا يرد عليها من قبل ان القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ
الى يوم القيامة وقيل هي المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ
بعد ذلك او تبقى غير منسوخة وفي قراءة عبد الله سورة محدثة وقرئ فاذا انزلت
سورة محكمة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال رأيت الذين في

قتادة كل سورة ذكر فيها

قلوبهم

مرضٌ الذين كانوا على حرف غير ثابتي الأقدام ينظرون إليك نظر المغشي عليه
من الموت أي تشخص أبصارهم جبناً وهلعاً كما ينظر من أصابته الغشية عند
الموت فأولى لهم وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولي وهو القرب ومعناه
الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه طاعة وقول معروف كلام مستأنف أي طاعة وقول معروف
خير لهم وقيل هي حكاية قولهم أي قالوا طاعة وقول معروف بمعنى أمرنا طاعة وقول
معروف فإذا عزم الأمر أي جد والعزم لصاحب الأمر وإنما يسند إلى الأمر إسناداً
مجازياً ومنه قوله لمن عزم الأمور فلو صدقوا الله فيما زعموا من الحرص
على الجهاد لكان خيراً لهم أي فلو صدقوا في إيمانهم وواطأت قلوبهم
في ألسنتهم فهل عسيتم عسيتم وعسيتم لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون
عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو
غريب وقد نقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ
في التوبيخ فهل عسيتم أن تفسدوا في الأرض
معناه أنه لما عهد منكم أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم
ورخاوة عقدكم في الإيمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم إن توليتم أمور
الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل أن تفسدوا في الأرض
وتقطعوا أرحامكم تناحراً على الملك وتهالكاً على الدنيا وقيل إن أعرضتم
وتوليتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسنته أن ترجعوا إلى ما
كنتم عليه في الجاهلية من الإفساد في الأرض بالتغاور والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة
بعض الأقارب بعضاً ووأد البنات وقرئ وُليتم وفي قراءة علي بن أبي طالب رضي الله عنه
تُوليتم أي إن تولاكم ولاة غشمة خرجتم معهم وشمرتم تحت لوائهم وأفسدتم بإفسادهم
وقرئ وتَقطعوا وتُقطعوا من التقطيع والتقطع أولئك إشارة إلى المذكورين
الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم لإفسادهم وقطعهم الأرحام
بمنعهم ألطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن إبصار طريق
الهدى ويجوز أن يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين وأنهم يتشوقون
إلى الوحي إذا أبطأ عليهم فإذا أنزلت سورة في معنى الجهاد رأيت المنافقين فيها

إن توليتم

يضجرون منها أفلا يتدبرون القرآن فيتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر
ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصي ثم قال أم على قلوب أقفالها وأم بمعنى
بل وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل إليها ذكر وعن
قتادة إذن والله يجدوا في القرآن زاجراً عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم أخذوا
بالمتشابه فهلكوا لم نكرت القلوب وأضيفت الأقفال إليها
أما التنكير ففيه وجهان أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها في ذلك أو يراد
على بعض القلوب وهي قلوب المنافقين وأما إضافة الأقفال فلأنه يريد الأقفال
المختصة بها وهي أقفال الكفر التي استغلقت عليها فلا تنفتح وقرئ إقفالها
على المصدر إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى
الشيطان سول لهم جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبراً لإن كقولك إن زيداً
عمرو مر به سول لهم سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء
وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعاً وأملى لهم
ومد لهم في الآمال والأماني وقرئ وأُملي لهم يعني أن الشيطان يغويهم وأنا
أنظرهم كقوله إنما نملي لهم وقرئ وأُملي لهم على البناء للمفعول أي أمهلوا ومد
في عمرهم وقرئ سُوِّل لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف
من ذلك اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم من بعد ما
تبين لهم الهدى وهو نعته في التوراة وقيل هم المنافقون ذلك بأنهم قالوا للذين
كرهوا الذين قالوا القائلون رهط اليهود والذين كرهوا ما نزل الله المنافقون
وقيل عكسه وأنه قول المنافقين لقريظة والنضير لئن أخرجتم لنخرجن معكم
وقيل سنطيعكم في بعض الأمر في التكذيب برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و
بلا إله إلا الله أو في ترك القتال معه وقيل هو قول أحد الفريقين للمشركين سنطيعكم
في التظاهر على عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقعود عن الجهاد
معه ومعنى في بعض الأمر في بعض ما تأمرون به أو في بعض الأمر الذي يهمكم والله
يعلم إسرارهم وقرئ أسرارهم على المصدر قالوا ذلك سراً فيما بينهم فأفشاه الله
عليهم فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم

وقرئ توفاهم ويحتمل ان يكون ماضيا ومضارعا قد حذفت احدى تائيه كقوله
ان الذين توفاهم الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى احد على معصية الا
يضرب من الملائكة في وجهه ودبره ذلك اشارة الى التوفي الموصوف بانهم
اتبعوا ما اسخط الله من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وكرهوا رضوانه الايمان برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاحبط
اعمالهم ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم
احقادهم واخراجها ابرازها لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولو نشاء
لاريناكهم لعرفناكهم ودللناك عليهم فلعرفتهم حتى تعرفهم باعيانهم
لا يخفون عليك بسيماهم بعلاماتهم وهو ان يسمهم الله تعالى بعلامة يعلمون
بها وعن انس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذه الآية
شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة
من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة واصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم
مكتوب هذا منافق اي فرق بين اللامين فلعرفتهم ولتعرفنهم
الاولى هي الداخلة في جواب لو كالتي في لاريناكهم كررت في المعطوف واما اللام
في ولتعرفنهم فواقعة مع النون في جواب قسم محذوف في لحن القول في نحوه
واسلوبه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو قولهم ما لنا ان اطعنا من الثواب ولا يقولون
ما علينا من العقاب وقيل اللحن ان تلحن بكلامك اي تميله الى نحو من الانحاء ليفطن
له صاحبك كالتعريض والتورية قال شعر ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا
واللحن يعرفه ذوو الالباب وقيل للمخطئ لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب
والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلو اخباركم ما يحكى عنكم وما يخبر به عن اعمالكم ليعلم حسنها من
قبيحها لان الخبر على حسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح وقرئ
ونبلو بسكون الواو على معنى ونحن نبلو اخباركم وقرئ وليبلونكم حتى يعلم
ويبلو بالياء وعن الفضيل انه كان اذا قرأها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا
وهتكت استارنا وعذبتنا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا

الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا وسيحبط
اعمالهم التي عملوها في دينهم يرجون بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم باطلة وهم قريظة والنضير او سيحبط اعمالهم التي عملوها
والمكائد التي نصبوها في مشاقة الرسول اي سيبطلها فلا يصلون منها الى اغراضهم
بل يستضرون بها ولا تثمر لهم الا القتل والجلاء عن اوطانهم وقيل هم رؤساء
قريش والمطعمون يوم بدر يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
ولا تبطلوا اعمالكم اي ولا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله ولا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى ان قال ان تحبط اعمالكم وعن
ابي العالية كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرون انه لا يضر مع
الايمان معصية كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا فكانوا يخافون
الكبائر على اعمالهم وعن حذيفة فخافوا ان تحبط الكبائر اعمالهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما
كنا نرى انه لا شيء من حسناتنا الا مقبول حتى نزل ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا
ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن ذلك القول وخفنا
على من اصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحم الله عبدا لم يحبط عمله
الصالح بعمله السيء وقيل لا تبطلوها بمعصيتها وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا تبطلوها
بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق وقيل بالعجب فان العجب يأكل الحسنات
كما تأكل النار الحطب وقيل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ثم ماتوا وهم كفار
وقيل هم اصحاب القليب والظاهر العموم فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا فلا تضعفوا
ولا تذلوا للعدو وتدعوا الى السلم وقرئ السلم وهما المسالمة وانتم الاعلون
اي الاغلبون الاقهرون والله معكم اي ناصركم وعن قتادة لا تكونوا
اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة ولا تداعوا الى الهوان وتداعوا
اذا دعوا الى قولك ادعوا الصلح وتدعوا مجزوم لدخوله في حكم النهي
او منصوب لاضمار ان نحو قوله وانتم الاعلون قوله انك انت الاعلى ولن يتركم
اعمالكم من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم او حربته

ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله

وحقيقته افردته من قريبه او ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة العمل العا[مل]
وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه قوله عليه السلام من فاتته صلوة
العصر فكانما وتر اهله وماله اي افرد عنهما قتلا ونهبا انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم ثواب ايمانكم وتقواكم
ولا يسئلكم اموالكم اي ولا يسئلكم جميعها انما يقتصر منكم على ربع العشر
قال ان يسئلكموها فيحفكم اي يجهدكم بطلبه كله والاحفاء المبالغة
وبلوغ الغاية في كل شيء يقال احفاه في المسألة اذا لم يترك شيئا من الالحاح
واحفى شاربه استاصله تبخلوا ويخرج اضغانكم اي يضطغنون على رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ويضيق صدوركم لذلك واظهرتم كراهتكم ومقتكم
للدين يذهب باموالكم والضمير في يخرج لله تعالى اي يضغنكم بطلب اموالكم او
للبخل لانه سبب الاضغان وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والتاء مع فتحهما ورفع
اضغانكم ها انتم هؤلاء تدعون اي انتم الذين تدعون او انتم يا مخاطبون
هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كانهم قالوا وما وصفنا فقيل تدعون
لتنفقوا في سبيل الله قيل هي النفقة في الغزو وقيل الزكوة كانه قيل الدليل على
انه لو احفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم انكم تدعون الى اداء ربع العشر
فمنكم من يبخل فمنكم ناس يبخلون به ثم قال ومن يبخل بالصدقة واداء الفرض
فلا يتعداه ضرر بخله فانما يبخل عن نفسه يقال بخلت عليه وعنه ولذلك
عليه وعنه والله الغني وانتم الفقراء ثم اخبر انه لا يأمر بذلك ولا يدعو
اليه لحاجته اليه فهو الغني الذي يستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم
الى الثواب وان تتولوا عطف على وان تؤمنوا وتتقوا يستبدل قوما غيركم ثم لا
يكونوا امثالكم يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى
غير متولين عنهما كقوله ويأت بخلق جديد وقيل هم الملائكة وقيل هم الانصار وعن [ابن عباس]
كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله
عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه وعن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة

هؤلاء

والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا
مبينا هو فتح مكة وقيل لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة
سبحانه في اخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي
ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر ما لا يخفى كيف جعل فتح
مكة علة للمغفرة لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة
وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا
لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين واغراض العاجل
والآجل ويجوز ان يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو
سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة او صلحا بحرب او بغير حرب
لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية
ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس
رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا
الصلح كيف يكون فتحا وقد احصروا فنحروا بالحديبية كان ذلك قبل
الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة اقبل رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من اصحابه ما هذا بفتح لقد
صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال بئس الكلام
هذا بل هو اعظم الفتوح قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح و
يسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الامان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن
الشعبي نزلت بالحديبية واصاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تلك
الغزوة ما لم يصب في غزوة اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من
ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدي محله واطعم اهل خيبر وكان

ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا

في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك انه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول
الله ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فتح الله له بالاسلام
والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح ابين منه واعظم وهو راس الفتوح كلها اذ
لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا
على اهل مكة ان تدخلها انت واصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة
وكذا عن قتادة ما تقدم من ذنبك وما تاخر يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم
في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تاخر من امراة زيد
نصرا عزيزا فيه عز ومنعة او وصف بصفة المنصور اسنادا مجازيا او عزيزا صاحبه هو
الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين السكينة للسكون كالبهيتة للبهتان اي انزل
في قلوبهم السكون والطمانينة بسبب الصلح والامن ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن بعد الخوف والهدنة عن القتال فيزدادوا يقينا
الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من الشرائع
ليزدادوا ايمانا بالشرائع مقرونا بايمانهم وهو التوحيد وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان اول ما اتاهم به النبي عليه السلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده انزل
الصلوة والزكوة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايمانا الى ايمانهم او انزل فيهم الوقار
والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم ولله جنود
السموات والارض وكان الله عليما حكيما يسلط بعضها على بعض
كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته ان سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعد
ان يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا
الثواب فيثيبهم ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
يغيظ الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه وقع السوء عبارة
عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل في المرضي
الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها فعل سوء ومنه الظانين
بالله ظن السوء ظنهم ان الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة
ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا عليهم دائرة السوء اي ما يظنونه ويتربصونه

فأثر الماء حتى استلأت ولم ينفد بما وهابعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل

وعلى آله الصلوة و

بالمؤمنين فهو حائق بهم والسوء الهلاك وقرئ دائرة السوء بالفتح اي الدائرة التي
يذمونها ويسخطونها فهي عندهم دائرة السوء وعند المؤمنين دائرة صدق
هل من فرق بين السوء والسوء هما كالكره والكره والضعف والضعف
من ساء الا ان المفتوح غلب في ان يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء واما السوء
فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال اراد به السوء واراد به الخير ولذلك
اضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها ان لا تضاف
اليه الا على التاويل الذي ذكرنا واما دائرة السوء بالضم فلان الذي اصابهم مكروه
وشدة فصح ان يقع عليه اسم السوء كقوله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة انا
شهيدا على امتك كقوله ويكون الرسول عليكم شهيدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا
بالله الخطاب للناس ورسوله وتعزروه وتقووه بالنصر وتوقروه وتعظموه
وتسبحوه من التسبيح او من السبحة والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير الله تعزير
دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد ابعد وقرئ لتؤمنوا وتعزروه بالتاء
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولامته وقرئ وتعزروه بضم الزاي
وكسرها وتعزروه بضم التاء والتخفيف وتعززوه بالزائين وتوقروه من اوقره
وتسبحوا الله بكرة واصيلا عن ابن عباس صلوة الفجر وصلوة الظهر والعصر
قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل فقال يد الله فوق ايديهم
يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي تعلو ايدي المبايعين هي يد الله والله تعالى
منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وتقريره ان عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله
من غير تفاوت بينهما كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله والمراد بيعة الرضوان فمن
نكث فانما ينكث على نفسه فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله
بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت الشجرة على الموت وعلى ان لا نفر فما نكث
احد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع
القوم وقرئ انما يبايعون لله اي لاجل الله ولوجهه وقرئ ينكث بضم الكاف و
كسرها وبما عاهد وعهد فسيؤتيه اجرا عظيما بالنون والياء يقال وفيت بالعهد
واوفيت به وهي لغة تهامة ومنها اوفوا بالعقود والموفون بعهدهم سيقول

ارسلناك شاهدا

وانما الغنيمة

المخلفون من الاعراب الذين خلفوا عن الحديبية وهم اعراب غفار ومزينة و
جهينة واشجع واسلم والديل وذلك انه صلى الله عليه وآله وسلم حين اراد المسير الى مكة
عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي ليخرجوا معه
حذرا من قريش ان يتعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم هو صلى الله عليه
وآله وسلم وساق معه الهدي ليعلم انه لا يريد حربا فتثاقل من الاعراب وقالوا يذهب الى
قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم فظنوا انه يهلك فلا
ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل باهاليهم واموالهم وانه ليس لهم وقرئ شغّلتنا
بالتشديد فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم تكذيب لهم في الاعتذار
وان الذي خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق وطلبهم الاستغفار ايضا
ليس بصادق عن حقيقة قل فمن يملك لكم من الله شيئا فمن يمنعكم من مشية
الله وقضائه ان اراد بكم ضرا ما يضركم من قتل او هزيمة او اراد بكم
نفعا من ظفر او غنيمة وقرئ ضرا بالفتح والضم بل كان الله بما تعملون خبيرا
بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين ذلك
في قلوبكم الاهلون جمع اهل يقال اهلات على تقدير تاء التانيث كارض وارضات
وقد جاء اهل واما اهال فاسم جمع كليال وقرئ الى اهلهم وزين على البناء للفاعل
وهو الشيطان او الله تعالى وكلاهما جاء في القرآن وزين لهم الشيطان اعمالهم
وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا والبور من باد كالهلك من هلك بناء ومعنى
ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز ان يكون جمع بائر كعوذ
عائذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم او هالكين
عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه للكافرين سعيرا اقام لهم للايذان بان من لم يجمع بين
الايمان بالله ورسوله فهو كافر ونكر سعيرا لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى
ولله ملك السموات والارض يدبره تدبير قادر حكيم يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء يغفر ويعذب بمشيته ومشيته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب و
تعذيب العاصي وكان الله غفورا رحيما رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيآت
باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة سيقول المخلفون الذين تخلفوا عن الحديبية

شغلتنا اموالنا واهلونا

ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا

اذا انطلقتم الى مغانم يعني الى غنائم خيبر لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون
ان يبدلوا كلام الله وقرئ كلم الله ان يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك
انه وعدهم ان يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون شيئا
قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل من قبل تهيئهم للخروج الى خيبر
فسيقولون بل تحسدوننا ان نشارككم في الغنائم وقرئ بضم السين وكسرها بل كانوا
لا يفقهون لا يفهمون الا قليلا الا فهما قليلا وهو فطنتهم لامور الدنيا دون امور الدين
كقوله يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا والفرق بين حرفي الاضراب
الاول اضراب بمعنى رد ان يكون حكم الله ان لا يتبعوهم واثبات الحسد والثاني
اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو اطم منه وهو الجهل وقلة
الفقه قل للمخلفين من الاعراب هم الذين تخلفوا عن الحديبية ستدعون الى قوم
اولي بأس شديد تقاتلونهم يعني بني حنيفة قوم مسيلمة واهل الردة الذين حاربهم
ابو بكر الصديق رض لانه حسن في الحرب والمرتدين هم العرب لا يقبل منهم الا الاسلام
او السيف عند ابي حنيفة ومن عداهم من مشركي العجم واهل الكتاب والمجوس يقبل منهم
الجزية وعند الشافعي لا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب والمجوس دون مشركي العرب و
العجم وهذا دليل على امامة ابي بكر الصديق رض فانهم لم يدعوا الى حرب في ايام رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا وقيل هم فارس والروم
ومعنى او يسلمون ينقادون لان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم اعطاء الجزية
عن قتادة انه ثقيف وهوازن وكان ذلك في ايام رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فان صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من
مرض القلوب والاضطراب في الدين او على قول مجاهد كان الموعد انهم لا يتبعون رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم كما توليتم من قبل يعني في غزوة
الحديبية او يسلمون معطوف على تقاتلونهم اي يكون احد الامرين اما المقاتلة واما الاسلام
لا ثالث لهما وفي قراءة ابي او يسلموا يعني الى ان يسلموا فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا
حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا اليما ليس على الاعمى

حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج نفى الحرج عن هؤلاء من ذوي
العاهات في التخلف عن الغزو ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما وقرئ ندخله ونعذبه بالنون
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة هي بيعة الرضوان سميت
بهذه الآية وقصتها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين نزل الحديبية بعث خراش
بن امية الخزاعي رسولا الى مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر ليبعثه
فقال اني اخافهم على نفسي لما عرف من عداوتي اياهم وما بمكة من عدوي يمنعني ولكني
ادلك على رجل هو اعز بها مني واحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم انه لم يأت
لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت
فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و
احتبس فارجف بانهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا نبرح حتى نناجز
القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله
لو كنت ابصر لاريتكم مكانها وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالسا
في اصل الشجرة وعلى ظهره غصن من اغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما
على راسه وبيدي غصن من الشجرة اذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على
الموت دونه وعلى ان لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالسا في اصل
الشجرة انتم اليوم خير اهل الارض وكان عدد المبايعين الفا وخمسمائة وخمسة
وعشرين وقيل الفا واربعمائة وقيل الفا وثلاثمائة فعلم ما في قلوبهم من الاخلاص
وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه فانزل السكينة عليهم اي الطمأنينة والامن بسبب
الصلح على قلوبهم واثابهم فتحا قريبا وقرئ وآتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم
من مكة وعن الحسن فتح هجر وهو اجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا ومغانم كثيرة
ياخذونها وكان الله عزيزا حكيما هي مغانم خيبر وكانت ارضا ذات عقار
واموال فقسمها عليهم ثم اتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد ان نحر بالحديبية وحلق
وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها وهي ما يفيء على المؤمنين الى يوم القيامة
فعجل لكم هذه المغانم يعني مغانم خيبر وكف ايدي الناس عنكم يعني

اهل مكة

اهل خيبر وحلفاءهم من غطفان حين جاؤوا لنصرتهم فقذف الله الرعب في قلوبهم
فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون هذه الكفة آية للمؤمنين و
عبرة يعرفون بها انهم من الله بمكان وانه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل رأى
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتح مكة في منامه ورؤيا الانبياء وحي
فتأخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة ويهديكم
صراطا مستقيما ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله واخرى معطوفة
على هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن
في غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة قد احاط الله
بها اي قدر عليها فاستولى واظهركم عليها وغنمكموها ويجوز في اخرى النصب بفعل
مضمر يفسره قد احاط الله بها تقديره وقضى الله اخرى قد احاط الله بها واما
لم تقدروا عليها فصفة لاخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة ولم تقدروا
واحاط الله خبر المبتدأ والجر باضمار رب قوله ولتكون آية للمؤمنين كيف
موقعه هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك و
ان يكون المعنى وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الاعداء لينفعكم بها ولتكون
آية للمؤمنين اذا وجدوا وعد الله صادقا لان صدق الاخبار عن الغيوب معجزة و
ويزيدكم بذلك هداية وايقانا ولو قاتلكم الذين كفروا من اهل مكة
ولم يصالحوا وقيل من حلفاء اهل خيبر لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا
لغلبوا وانهزموا سنة الله في موضع المصدر المؤكد اي سن الله غلبة انبيائه
سنة وهو قوله لاغلبن انا ورسلي التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله
تبديلا وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم اي قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة
ببطن مكة من بعد ان اظفركم عليهم بعد ما خولكم الظفر عليهم
والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة
لا صلحا وقيل كان ذلك في غزوة الحديبية لما روي ان عكرمة بن ابي جهل خرج
في خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هزمه وادخله حيطان
مكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما اظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى ادخلوهم البيوت

ايديهم عنكم وايديكم عنهم
اهل مكة وهم

وكان الله بما تعملون بصيرا قرئ يعملون بالياء والتاء هم الذين كفروا
وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي قرئ الهدي والهدي بتخفيف الياء
وتشديدها وهو ما يهدى إلى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم
أي صدوكم وصدوا الهدي وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدي
معكوفا أن يبلغ محله محبوسا عن أن يبلغ وبالرفع على وصد الهدي ومحله مكانه
الذي يحل فيه نحره أي يجب وهذا دليل لأبي حنيفة على أن المحصر محله هدي الحرم
فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه وإنما نحر هديهم حيث
بعض الحديبية من الحرم وروي أن مضارب رسول الله صلى الله عليه وآله
كانت في الحل ومصلاه في الحرم فإذن قد نحر في الحرم فلم قيل معكوفا أن يبلغ
محله الملك والمحل المعهود وهو منى لم تعلموهم صفة للرجال والنساء جميعا
أن تطؤوهم بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب في تعلموهم فتصيبكم منهم معرة
والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه إذا دعاه ما يكرهه ويشق بغير علم متعلق
بأن تطؤوهم يعني أن تطأوهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الإيقاع
والإبادة قال ووطئتنا وطأ على حنق وطء المقيد نابت الهرم وقال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وإن آخر وطأة وطئها الله بوج والمعنى أنه كان بمكة قوم
من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفي الأماكن ولولا كراهة
أن تهلكوا أناسا مؤمنين بين ظهراني المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم بإهلاكهم
مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه وفيه
دلالة على شدة غضب الله يعني أنه لولا حق المؤمنين لعجل بهم ما لا يدخل تحت
ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنين لمرجعهما إلى معنى واحد ويكون
لعذبنا هو الجواب أي معرة تصيبهم فاقتلوهم وهم لا يعلمون بضمهم
الدية والكفارة وسوء مقالة المشركين أنهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من
غير والإثم إذا جرى منهم بعض التقصير قوله ليدخل الله في رحمته من يشاء
تعليل لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الأيدي عن أهل مكة والمنع
من قتلهم صونا لمن بين أظهرهم من المسلمين كأن قال الكف ومنع التعذيب ليدخل

في رحمته أي في توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم أو ليدخل في الإسلام من
رغب فيه من مشركيهم لو تزيلوا لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ
لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما إذ جعل الذين كفروا
إذ يجوز أن يعمل فيه ما قبله أي لعذبناهم أو صدوهم عن المسجد في ذلك الوقت
وبمضمر وهو اذكر في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته
على رسوله وعلى المؤمنين والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الأنفة
والسكينة والوقار ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل بالحديبية
بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الأحنف على أن
يعرضوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلي له
قريش مكة في العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه السلام
لعلي رضي الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا
ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله صلى الله عليه لما قاتلناك ولا صددناك
عن البيت ولكن اكتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه السلام اكتب ما
تريدون فأنا أشهد أني رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون أن يأبوا ذلك
ويشمئزوا منه فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا وألزمهم كلمة
التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليما وكلمة التقوى
بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه صلى الله عليه
وآله وسلم والذين معه أهل الخير ومستحقيه ومن هم أولى بالهداية من غيرهم وقيل
كلمة الشهادة وعن الحسن كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد ومعنى إضافتها إلى التقوى
أنها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى وفي مصحف الحارث بن سويد صاحب
عبد الله وكانوا أهلها وأحق بها وهو الذي دفن مصحفه أيام الحجاج لقد صدق الله
رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم
ومقصرين لا تخافون رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل خروجه إلى الحديبية
كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه

ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل
ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنا صدق الله
رسوله الرؤيا صدقه في رؤياه ولم يكذبه تعالى عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا
فحذف الجار واوصل الفعل كقوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه
بالحق اي صدقه فيما رأى وفي كونه ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح
والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من في قلبه
مرض ويجوز ان يتعلق بالرؤيا حالا منها اي صدقه الرؤيا ملتبسة بالحق على معنى
انها لم تكن من اضغاث الاحلام ويجوز ان يكون بالحق قسما اما بالحق الذي هو نقيض
الباطل او بالحق الذي هو من اسمائه ولتدخلن جوابه وعلى الاول هو قسم محذوف
ما وجه دخول ان شاء الله في اخبار الله تعالى فيه وجوه ان يعلق
عدته بالمشيئة تعليما لعباده ان يقولوا في عداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله
ومقتدين بسنته وان يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم احد او كان ذلك
على لسان ملك فادخل الملك ان شاء الله او هي حكاية ما قال رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمنين فعلم ما لم
تعلموا من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة الى العام القابل فجعل من دون ذلك
من دون فتح مكة فتحا قريبا وهو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى ان يتيسر
الفتح الموعود هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق بدين الاسلام
ليظهره على الدين كله على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة من اديان
المشركين والجاحدين واهل الكتاب لقد حقق الله ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا
قط الا وللاسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى عليه السلام حين لا يبقى
كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات وفي هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين
لنفوس المؤمنين على ان الله سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم
ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن عن الحسن شهد
على نفسه انه سيظهر دينك محمد اما خبر مبتدأ اي هو محمد لتقدم قوله هو

الذي ارسل رسوله واما مبتدأ ورسول الله عطف بيان وعن ابن عامر انه قرأ
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالنصب على المدح والذين معه اصحابه اشداء
على الكفار رحماء بينهم جمع شديد ورحيم ونحوه اذلة على المؤمنين اعزة على
الكافرين واغلظ عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم وعن الحسن بلغ من تشددهم على الكفار
انهم كانوا يتحرزون من ثيابهم ان تلزق بثيابهم ومن ابدانهم ان تمس ابدانهم وبلغ
من ترحمهم فيما بينهم انه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة
لم تختلف فيها الفقهاء واما المعانقة فقد كرهها ابو حنيفة وكذلك التقبيل قال لا احب
ان يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيئا من جسده وقد رخص ابو يوسف المعانقة
ومن حق المسلمين في كل زمان ان يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على
من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوتهم في الاسلام متعطفين بالبر
والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال والاخلاق السجيحة ووجه من قرأ اشداء
رحماء بالنصب ان ينصبهما على المدح او الحال بالمقدر في معه ويجعل تراهم الخبر سيماهم
علامتهم في وجوههم وقرئ سيمياؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيماء
والمراد بها السمة التي تحدث في جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله من اثر السجود
يفسرها اي من التأثير الذي يؤثره السجود وكان كل من العليين علي بن الحسين زين العابدين
وعلي بن عبد الله بن العباس ابي الاملاك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما
احدث في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير وقرئ من اثار السجود وعن سعيد بن جبير هي
السمة في الوجه فان قلت فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تعلبوا صوركم
وعن ابن عمر انه رأى رجلا قد اثر في وجهه السجود فقال ان صورة وجهك انفك
فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك قلت ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث
فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث في جبهة
السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله وعن بعض المتقدمين كنا نصلي فلا يرى
بين اعيننا شيء ونرى احدنا الآن يصلي فترى بين عينيه ركبة البعير فما ندري
اثقلت الارؤس ام خشنت الارض وانما اراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة
الوجه من خشية الله تعالى وعن الضحاك ليس بالندب في الوجه ولكن صفرة وعن سعيد بن

الجبين يدني الظهور من تراب الارض وعن عطاء استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل لقوله من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ذلك الوصف مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل اي وصفهم العجيب الشان في الكتابين جميعا ثم ابتدا فقال كزرع يريد هم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله مثلهم في التوراة ثم ابتدا ومثلهم في الانجيل كزرع ويجوز ان يكون ذلك اشارة مبهمة اوضحت بقوله كزرع اخرج شطاه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وقرئ الانجيل بفتح الهمزة شطاه يقال اشطا الزرع اذا فرخ وقرئ شطاه بفتح الطاء وشطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فآزره من الموازرة وهي المعاونة وعن الاخفش انه افعل وقرئ فازره بالتخفيف والتشديد اي فشد ازره وقواه ومن جعل آزر افعل فهو في معنى القراءتين فاستغلظ فصار من الدقة الى الغلظ فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة اخرج شطاه بابي بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلي رضي الله عنهم وهذا مثل ضربه الله تعالى لبدء امر الاسلام وترقيه في الزيادة الى ان قوي واستحكم لان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع قوله ليغيظ بهم الكفار تعليل لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة ويجوز ان يعلل به وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما لان الكفار اذا سمعوا بما اعد لهم في الآخرة مع ما يعزهم به في الدنيا غاظهم ذلك ومعنى منهم البيان عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع محمد صلى الله عليه وآله وبارك وسلم فتح مكة

الدقة الى

لقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قدمه واقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه في قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه واسلفه وفي قوله لا تقدموا من غير ذكر مفعول وجهان ان يحذف ليتناول كل ما يقع في النفس مما تقدم والثاني ان لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهي الى نفس التقدمة كانه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم ببال كقوله هو الذي يحيي ويميت ويجوز ان يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهي الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة من قرا لا تقدموا بحذف احدى تاءي تتقدموا الا ان الاول املا بالحسن واوجه واشد ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له اقبل وقرئ لا تقدموا من القدوم اي لا تقدموا الى امر من امور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما وحقيقة قولهم جلست بين يدي فلان ان تجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشيء باسم غيره اذا جاوره وداناه في غير موضع وقد جرت هذه العبارة ههنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذي يسميه اهل البيان تمثيلا ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست في الكلام العريان وهي تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على امر من الامور دون الاحتذاء على امثلة الكتاب والسنة والمعنى ان لا تقطعوا امرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا اما عاملين بالوحي المنزل واما مقتدين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه يدور تفسير ابن عباس رضي الله عنهما وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يقصه على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز ان يجري مجرى قولك سرني زيد وحسن حاله واعجبني عمرو وكرمه اي سرني حسن حال زيد واعجبني كرم عمرو ثم يعود من لهم خصال محمودة وكلمات مخصوصا كرمه فلذلك ههنا الاصل بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكن للمبالغة ذكر اسم الله تعالى اذ لا فائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الله بالمكان الذي لا يخفى سلك به ذلك المسلك وفي هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوه من رفع اصواتهم فوق صوته لان من احظاه الله بهذه الاثرة واختصه بهذا الاختصاص القوي كان ادنى ما

له من التهيب والاجلال ان يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل
بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا عليهم
المنذر بن عمرو الساعدي فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل الا ثلاثة نفر نجوا
فلقوا رجلين من بني سليم فقتلوهما وسلبوهما ثم اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقال بئسما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فنزلت اي لا تعملوا شيئا من ذات انفسكم حتى تستأمروا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وعن مسروق دخلت على عائشة رضها في اليوم الذي يشك
فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت اني صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا
اليوم وفيه نزلت وعن الحسن ان ناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلوة فنزلت فامرهم
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يعيدوا ذبحا آخر وهذا مذهب ابي حنيفة الى
ان يزول الشمس وعند الشافعي يجوز الذبح اذا مضى من الوقت مقدار الصلوة وعن
الحسن ايضا لما استقر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة اتته الوفود من
الآفاق فاكثروا عليه بالمسائل فنهوا ان يبتدؤه بالمسائل حتى يكون هو المبتدي وعن
قتادة ذكر لنا ان ناسا يقولون لو انزل في كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وانزلها
وقيل هي عامة في كل قول وفعل ويدخل فيها انه اذا جرت مسئلة في مجلس رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لم يسبقوه بالجواب وان لا يمشي بين يديه الا لحاجة وان
يستأني في الافتتاح بالطعام واتقوا الله فانكم ان اتقيتموه عاقكم التقوى عن التقدمة المنهي
عنها وعن جميع ما يقتضي مراقبة الله فان التقي حذر لا يشافه امرا الا عن ارتقاب وتطلع الى
والخلاء السابك في ان لا تبعة عليه فيه وهذا كما يقول المرء يتقارف بعض المرذايل
هنا واحفظ مما يلصق بك العار منها او لا عن عين ما قارفته ثم تشيع ذلك
بما لو اشتمل عنه امرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب في طريقها ويتعلق بسببها ان
الله سميع بما يقولون عليم بما يعملون وحق مثله ان يتقى ويراقب يا ايها الذين آمنوا
اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية
الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما اخذوا به
عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الادب الذي المحافظة عليه

وقرب المدينة فاعتزيا لهم الى بني عامر لانهم اعز من بني سليم

عليهم لتعظيم الجدوى في دينهم وذلك ان في اعظام ما ورد به ومستعظم الحق
لا يدعه استعظامه ان يالوا عملا بما يحدوه عليه وان يتماعا عما يصدع عنه و
انتهاء الى كل خير والمراد بقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي انه اذا
نطق ونطقتم فعليكم ان لا تبلغوا باصواتكم وراء الحد الذي يبلغه بصوته وان
تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته
عليكم لايحة وسابقته واضحة وامتيازه من جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا
ان تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم وبقوله ولا تجهروا له
بالقول انكم اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عما نهيتم عنه من رفع الصوت
بل عليكم ان لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وان تتعمدوا في مخاطبته القول اللين
المقرب من الهمس الذي يضاد الجهر كما يكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله
عز اسمه وتعزروه وتوقروه وقيل معنى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم
لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس لما نزلت هذه
الآية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار او اخا السرار حتى القى الله
وعن عمر رضه انه كان يكلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كاخي السرار لا يسمعه حتى
يستفهمه وكان ابو بكر رضه اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفد ارسل
اليهم من يعلمهم كيف يسلمون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويامرهم بالسكينة
والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما
يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وانما الغرض
صوت هو في نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فتكلف الغض
منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير ولم يتناول
النهي ايضا رفع الصوت الذي لا يتأذى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو
ما كان منهم في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو وما اشبه ذلك وفي الحديث
انه قال عليه الصلوة والسلم للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ
بالناس وكان العباس اجهر الناس صوتا يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس
يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة

زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان يختلطن بالغنم زعمت الرواة انه كان
يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه وفي قراءة ابن مسعود لا ترفعوا
باصواتكم والباء مزيدة محذوها بها والتشديد في قول الاعلم الهذلي رفعت عيني
بالحجاز الى اناس بالمناقب وليس المعنى في هذه القراءة انهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا
ان يكون ما دون الشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة
واستجفائهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في ثابت بن قيس بن
شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت فكان اذا كلم رفع صوته وربما كان
يكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيتاذى بصوته وعن انس ان هذه الآية
لما نزلت فقد ثابت فتفقده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاخبر بشانه فدعاه
فساله فقال يا رسول الله لقد انزلت اليك هذه الآية واني رجل جهير الصوت
فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لست
هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن
كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فمحمله
الخطاب للمؤمنين على ان ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهي ليكون الامر
اغلظ عليهم واشق وقيل كان المنافقون يرفعون اصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم
به فيقتدي بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه في محل النصب اي لا تجهروا له جهرا
مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا انهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا
ان يكلموه بالهمس والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة اعني الجهر
المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منهم فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة ابهة النبوة
وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها **ان تحبط اعمالكم**
منصوب الموضع على انه مفعول له وفي متعلقه وجهان احدهما ان يتعلق بمعنى النهي
فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط اعمالكم اي لخشية حبوطها على تقدير حذف
المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا والثاني ان يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى
انهم نهوا عن الفعل الذي فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء الى
الحبوط جعل كانه فعل لاجله وكانه العلة والسبب في ايجاده على سبيل التمثيل كقوله تعالى

اناس

ليكون لهم عدوا وحزنا فان قلت لخص الفرق بين الوجهين قلت تلخيصه ان يقدر
الفعل في الثاني مضموما اليه المفعول له كانهما شيء واحد ثم يصب النهي عليهما جميعا
صبا وفي الاول يقدر النهي موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه
فان قلت باي النهيين تعلق المفعول له قلت بالثاني عند البصريين مقدرا اضماره عند الاول
كقوله آتوني افرغ عليه قطرا وبالعكس عند الكوفيين وايهما كان فمرجع المعنى الى ان
الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه الى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود فتحبط
اعمالكم اظهر نصا بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا عما قبله فيتنزل الحبوط من
الجهر منزلة الحلول من الطغيان في قوله فيحل عليكم غضبي والحبوط من حبطت الابل
اذا اكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت منه ومنه قوله عليه السلام وان مما ينبت
الربيع لما يقتل حبطا او يلم ومن اخواته حبجت الابل اذا اكلت العرفج فاصابها
ذلك واحبص عمله مثل احبطه وحبط الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه
وتراميه الى الفساد جعل العمل السيئ في اضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض
لمن يصاب به اعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية
على امرين هائلين احدهما ان فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله والثاني
ان في آثامه ما لا يدري انه محبط ولعله عند الله كذلك فعلى المؤمن ان يكون
في تقواه كالماشي في طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ **وانتم لا تشعرون**
ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى من قولهم امتحن فلان لامر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير
وان عنه والمعنى انهم صبر على التقوى اقوياء على احتمال مشاقها او وضع الامتحان
موضع المعرفة لان تحقق الشيء باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكانه قيل عرف
الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هي التي في قولك انت
لهذا الامر اي كائن له ومختص به قال انت لها احمد من بين البشر اعداء من لليعملات على الوجى
وهي مع معمولها منصوبة على الحال او ضرب الله قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الصعبة
لاجل التقوى اي لتثبت وتظهر تقواها ويعلم انهم متقون لان حقيقة التقوى
لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل اخلصها للتقوى من

ول

الذين

ن

حي

قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا اذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضي الله عنه
اذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ او بلاء جهيد
قال ابو عمرو كل شيء جهدته فقد محنته وانشد اتت رذايا باديا كلالها
قد محنت واضطربت اطالها قيل انزلت في الشيخين رضي الله عنهما لما كان فيهما من غض الصوت
والبلوغ به اخا السرار وهذه الآية بنظمها التي رتبت عليه من ايقاع الغاضين
اصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدا وخبر معرفتين معا
والمبتدا اسم الاشارة واستيناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم
وايراد الجزاء نكرة مبهما امره ناظرة في الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء
لما فعل الذين وقروا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خفض اصواتهم وفي الاعلام
بمبلغ عزة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقدر شرف منزلته وفيها تعريض
بعظيم ما ارتكب الرافعون اصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء لهم
مغفرة واجر عظيم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات والوراء الجهة التي يواريها
عنك الشخص بظله من خلف او قدام ومن لابتداء الغاية وان المناداة
نشأت من ذلك المكان فان قلت افرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه وما تسقط عنه
قلت الفرق بينهما ان المنادي والمنادى في احدهما يجوز ان يجمعهما الوراء وفي
الاخرى لا يجوز لان الوراء يصير بدخول من مبتدا الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة
ان يكون مبتدا ومنتهى لفعل واحد والذي يقول ناداني فلان من وراء الدار لا يريد
وجه الدار ولا دبرها ولكن اي قطر من اقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين
واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل ان النداء وقع منهم في ادبار الحجرات او
في وجوهها وانما انكر عليهم انهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم
لبعض من غير قصد الى جهة دون جهة والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط
يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهي فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة
وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا و
المراد حجرات نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكانت لكل واحدة منهن حجرة ومناداتهم
من ورائها يحتمل انهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء

هذه وبعض من وراء تلك وانهم قد اتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها
وانهم نادوه من وراء الحجرة التي كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ولمكان حرمته والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز ان
يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكانهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم ان الذي
ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس اكثرهم لا يعقلون الاخبار عن اكثرهم
بانهم لا يعقلون يحتمل ان يكون فيهم من قصد استثناؤه ويحتمل ان يكون الحكم بقلة
العقلاء فيهم قصدا الى نفي ان يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفي في كلامهم
روي ان وفد بني تميم اتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقت الظهيرة وهو راقد
فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ فخرج فنزلت وسئل رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فقال هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور الدجال
لدعوت الله عليهم ان يهلكهم فورود الآية على النمط الذي وردت عليه فيه
ما لا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما اقدموا عليه
ومنها لفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها
ان شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز في المخاطبات
تهوينا للخطب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتسلية له واماطة لما تداخله
من ايحاش تعجرفهم وسوء ادبهم وهلم جرا من اول السورة الى آخر هذه الآية
فتأمل كيف ابتدأ بايجاب ان تكون الامور التي تنتمي الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها
من غير حصر ولا تقييد ثم اردف ذلك النهي عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت
والجهر كأن الاول بساط للثاني ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا
ذلك فغضوا اصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله ثم جيء على عقب ذلك بما هو
اطم وهجنته اتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حال خلوته ببعض
حرماته كما يصاح باهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما جسروا عليه
لان من رفع الله قدره عن ان يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والانصار
باخي السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذي بلغ من التفاحش مبلغا ومن هذا واشباهه

يقتطف ثمر الالباب ويقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن ابي عبيد ومكانه من العلم
والزهد وثقة الرواية ما لا يخفى انه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج في وقت
خروجه ولو انهم صبروا في موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم
والصبر حبس النفس عن ان تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع
الذين يدعون ربهم وقوله صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس
فيه شدة ومشقة على المحبوس فلهذا قيل للحبس على اليمين او القتل صبر وفي كلام
بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر هل من فرق بين حتى تخرج اليهم وبين الى ان تخرج
اليهم ان حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول اكلت السمكة حتى رأسها ولو
قلت حتى نصفها او صدرها لم يجز والى عامة في كل غاية فقد افادت حتى بوضعها
ان خروج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم
ان يقطعوا امرا دون الانتهاء اليها فاي فائدة في قوله اليهم قلت فيه
انه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم ان يصبروا الى ان يعلموا ان
خروجه اليهم لكان خيرا لهم في كان اما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو واما
ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له والله غفور رحيم بليغ الغفران
والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وانابوا يا ايها
الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا بعث رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه وهو الذي ولاه عثمان لاجله وهو
الذي ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن ابي وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة
الفجر اربعا ثم قال هل ازيدكم فعزله عثمان عنهم مصدقا الى بني المصطلق وكانت بينه
وبينهم احنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكوة فوردوا وقالوا معاذ الله
ونعوذ بالله من غضب الله وغضب رسول الله فاتهمهم وقال لتنتهن او لابعثن اليكم
رجلا هو عندي كنفسي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف
علي رضي الله عنه وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلوة متهجدين
فسلموا اليه الصدقات فرجع وفي تنكير الفاسق والنبأ شياع في الفساق والانباء كأنه

قال اي فاسق جاءكم باي نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة
ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذي هو نوع
منه والفسوق الخروج من الشيء والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها و
من مقلوبه فقحت البيضة اذا كسرتها واخرجت ما فيها ومن مقلوبه ايضا فقست الشيء
اذا اخرجته من يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل في الخروج عن القصد والانبساط
عن الحق قال رؤبة فواسقا عن قصدها جوائرا وقرأ ابن مسعود فتثبتوا والتثبت
والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم والذين معه بالمنزلة التي لا يجسر احد ان يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط
من الوليد الا في الندرة قيل ان جاءكم فاسق بحرف الشك وفيه ان على المؤمنين
ان يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق في مخاطبتهم بكلمة زور ان تصيبوا مفعول له
اي كراهة اصابتكم قوما بجهالة حال كقوله ورد الله الذين كفروا بغيظهم
يعني جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين الاصباح بمعنى
الصيرورة والندم ضرب من الغم وهو ان تغتم على ما وقع منك تتمنى انه لم يقع وهو غم
يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من التذكر
وهو لزام الشريد ودوام صحبته ومن مقلوباته ادمن الامر ادامه ومدن بالمكان
اقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا
وموصوفا بانه لا يفارق صاحبه واعلموا ان فيكم رسول الله لو يطيعكم
في كثير من الامر الجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستأنفا لادائه
الى تنافر النظم ولكن متصلا بما قبله حالا من احد الضميرين في فيكم المستتر
المرفوع او البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله
وانتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهي انكم تحاولون منه ان يعمل في الحوادث على
مقتضى ما يعن لكم من رأي واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتسمه يحتذيه
على امثلته ولو فعل ذلك لعنتم اي لوقعتم في الجهد والهلاك يقال فلان
يتعنت فلانا اي يطلب ما يؤديه الى الهلاك وقد اعنت العظم اذا هيض بعد
الجبر وهذا يدل على ان بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الايقاع

بني المصطلق وتصديق الوليد وان نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط
منهم وان بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم في التقوى عن الجسارة على ذلك
وهم الذين استثناهم بقوله **ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في**
قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان اي الى بعضكم
ولكنه اغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات
القرآن ولمحاته اللطيفة التي لا يفطن لها الا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله **اولئك هم الراشدون** الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم اي اولئك المستثنون هم الراشدون يصدق ما قلته
ما فائدة تقديم خبر ان على اسمها   القصد الى توبيخ بعض المؤمنين على
ما استهجن الله منهم من استتباع رأي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لآرائهم
فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه   فلم قيل يطيعكم دون اطاعكم
للدلالة على انه كان في ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبون وانه كلما عن لهم رأي في
امر كان معمولا عليه بدليل قوله في كثير من الامر كقولك فلان يقري الضيف ويحمي الحريم تريد
انه مما اعتاده ووجد منه مستمرا   كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة
ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا   هي مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث
المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن
في الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق وسبيله
الكناية كما سبق وكل ذي لب وراجع الى بصيرة وذهن لا يغبى عليه ان الرجل لا
يمدح بغير فعله وحمل الآية على ظاهرها يؤدي الى ان يثنى عليهم بفعل الله وقد نعى الله
هذا على الذين انزل فيهم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا   العرب تمدح
بالجمال وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود
الذي سوغ ذلك انهم رأوا حسن الرواء ووسامة المنظر في الغالب يسفر
عن مخبر مرضي واخلاق محمودة ومن ثم قالوا احسن ما في الدميم وجهه فلم
يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على ان من محققة الثقات
وعلماء المعاني من دفع صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر المدح على النعت بامهات

الخير وهي الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل
الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان
فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول والكفر تغطية نعم الله بالجحود والفسوق الخروج
عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر والعصيان ترك الانقياد والمضي لما امر به
الشارع والعرق العاصي العاند واعتصت النواة اشتدت والرشد الاستقامة
على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة قال ابو الوازع كل صخرة رشادة
وانشد وغير مقلد وموشمات صلين الضوء من صم الرشاد **فضلا** مفعول له او مصدر
من غير فعله   من اين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل
الله والشرط ان يتحد الفاعل   لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين
والتكريه مسندة الى اسمه تقدست اسماؤه صار الرشد كانه فعله فجاز ان
ينتصب عنه او لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند الى اسم الله والجملة التي
هي اولئك هم الراشدون اعتراض او عن فعل مقدر كانه قال جرى ذلك او كان ذلك
فضلا **من الله** واما كونه مصدرا من غير فعله بان يوضع موضع رشدا لان رشدهم
فضل من الله لكونهم موفقين فيه **ونعمة** والفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام
والله عليم باحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل **حكيم** حين يفضل
وينعم بالتوفيق على افاضلهم **وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما**
عن ابن عباس رضي الله عنهما وقف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مجلس بعض الانصار
وهو على حمار فبال الحمار فامسك عبد الله بن ابي بانفه وقال خل سبيل حمارك فقد
آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك وروي
حماره افضل منك ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطال الخوض حتى استبا
وتجالدا وجاء قوماهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصي وقيل بالايدي والنعال والسعف
فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قرأها
عليهم فاصطلحوا والبغي الاستطالة والظلم واباء الصلح **فان بغت احداهما على الاخرى**
فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله الفيء الرجوع وقد سمي به الظل والغنيمة لان
الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من اموال الكفار الى المسلمين وحكم الفئة

حتى تفي بغير همز ووجهه ان ابا عمرو خفف الهمزة من اللقيتين فلطفت على الراوي
تلك الخلسة فظنه قد طرحها ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما قرا ابن
ابي عبلة او اقتتلا كما قراء عبيد بن عمير على تاويل الرهطين او النفرين هو مما حمل على
المعنى دون اللفظ لان الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبيد الله حتى يفيئوا
الى امر الله فان فاؤا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما
قاتلت وعن ابن عمر ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدته من امر هذه الاية ان
اقاتل يعني بان لم اقاتل هذه الفئة الباغية كما امرني الله قاله بعد ان اعتزل فاذا كفت
وقبضت عن الحرب ايديها تركت واذا تولت عمل بما روي عن النبي صلى الله عليه واله وسلم
قال يا ابن ام عبد هل تدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم
قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيئها ولا تخلو الفئتان
من المسلمين في اقتتالهما اما ان يقتتلا على البغي منهما جميعا فالواجب في ذلك ان يمشي
بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة وان لم تتحاجزا ولم تصطلحا واقامتا على
البغي صير الى مقاتلتهما واما ان يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند
انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما
على مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم يعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به
من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين واما ان يكون احديهما
الباغية على الاخرى فالواجب ان تقاتل فئة البغي الى ان تكف فان فعلت اصلح بينهما بالقسط والعدل
وفي ذلك تفاصيل ان كانت الباغيه من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة
ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن فانه كان
يفتي بان الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل التجمع والتجند او حين تتفرق عند وضع الحرب
اوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فمحمل الاصلاح بالعدل في قوله فاصلحوا بينهما
بالعدل على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه ان يحمل على كون
الفئة قليلة العدد والذي ذكروا ان الغرض اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون
ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمامور به من اعمال العدل ومراعاة القسط
فلم قرن بالاصلاح الثاني العدل دون الاول لان المراد بالاقتتال في اول الاية

فاصلحوا بينهما بالعدل

٩١٨

ان يقتتلا باغيتين او راكبتي شبهة وايتهما كانت فالواجب على المسلمين ان
ياخذوا به في شانهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء باراءة الحق والمواعظ
الشافية ونفي الشبهة الا اذا اصرتا فحينئذ تجب المقاتلة واما الضمان فلا يتجه وليس
كذلك اذا بغت احديهما فان الضمان يتجه على الوجهين المذكورين واقسطوا ان
الله يحب المقسطين امر باستعمال القسط على طريق العموم بعدما امر به في اصلاح
ذات البين والقول فيه مثله في الامر باتقاء الله على عقب النهي عن التقديم بين يديه
والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج في الرجلين وعود قاسط يابس و
اقسطته الرياح واما القسط بمعنى العدل فالفعل منه اقسط وهمزته للسلب اي
ازال القسط وهو الجور انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم هذا تقرير لما
الزمه من تولي الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان ان الاخاء
قد عقد بين اهله من السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة ولم
يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها ثم قد جرت عادة الناس على انه
اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السائر ان يتناهضوا في رفعه
وازاحته ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى ان
يصادف ما وهى من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله
فالاخوة في الدين احق بذلك وبما شد منه وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم
المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه
الريح الا باذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل
فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع لان اقل من يقع بينهم الشقاق اثنان
فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر الزم لان الفساد في شقاق الجمع
اكثر منه في شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين اخوتكم
واخوانكم والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وانهم خلص لذلك متمحضون قد انزاحت عنهم
شبهات الاجنبية وابى لطف حالهم في التمازج والاتحاد ان يقدموا على ما يتولد
منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من ذلك ان وقع واحسموه واتقوا الله لعلكم
ترحمون فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والائتلاف والمسارعة الى

الماطة ما يفرط منه وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله واشتمال رأفته عليكم
حقيقا بأن تعتقدوا به رجاءكم يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى
أن يكونوا خيرا منهم القوم الرجال خاصة لأنهم القوام بأمور النساء
قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وهو على وضع الأمادح عنه والذابون عنهم
الرجال وهو في الأصل جمع قائم كصوم وزور في جمع صائم وزائر وتسمية بالمصدر
عن بعض العرب إذا أكلت طعاما أحببت قوما وأبغضت قوما أي قياما واختصاص
القوم بالرجال صريح في الآية وفي قول زهير أقوم آل حصن أم نساء وأما قولهم في
قوم فرعون وقوم عاد هم الذكور والإناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن
قصد ذكر الذكور وترك ذكر الإناث لأنهن توابع لرجالهن ولا نساء من نساء
عسى أن يكن خيرا منهن تنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر
بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض وأن يقصد إفادة الشياع وأن تصير كل
جماعة منهم منهية عن السخرية وإنما لم يقل رجل من رجل ولا امرأة من امرأة على التوحيد
إعلاما بإقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية و
استفظاعا للشأن الذي كانوا عليه ولأن مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى
ويستضحك على قوله ولا يأتي ما عليه من النهي والإنكار فيكون شريك الساخر
وتلوه في تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه فيستطيبه ويضحك به فيؤدي
ذلك وإن أوجده واحد إلى تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما وقوله
عسى أن يكونوا خيرا منهم كلام مستأنف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة
لما جاء النهي عنه وإلا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد
كل أحد أن المسخور منه ربما يكون عند الله خيرا من الساخر لأن الناس لا يطلعون
إلا على ظواهر الأحوال ولا علم لهم بالخفيات وإنما الذي يزن عند الله خلوص
الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغي أن لا يجترئ أحد على
الاستهزاء بمن تقتحمه عينه إذا رآه رث الحال أو ذا عاهة في بدنه أو غير لبيق
في محادثته فلعله أخلص ضميرا وأنقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير
من وقره الله تعالى والاستهانة من عظمه الله ولقد بلغ بالسلف إفراط توقيهم

وتصونهم من ذلك أن قال شرحبيل لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت
أن أصنع مثل الذي صنعه وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت
من كلب لخشيت أن أحول كلبا وفي قراءة ابن مسعود رض عسوا أن يكونوا وعسين
أن يكن وعسى على هذه القراءة هي ذات الخبر كالتي في قوله فهل عسيتم وعلى الأولى
التي لا خبر لها لقوله وعسى أن تكرهوا شيئا ولا تلمزوا أنفسكم اللمز
الطعن والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا أيها المؤمنون
أنفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها ولا عليكم أن تعيبوا غيركم ممن لا يدين
بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس وعن الحسن في ذكر الحجاج أخرج إلي بنانا
قصيرة قلما عرقت فيها الأعنة في سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول
يا أبا سعيد وقال لما مات اللهم أنت أمته فاقطع سنته فإنه أتانا أخيفش
أعيمش يخطر في مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلاة لا من الله يتقي ولا من
الخلق يستحيي فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون لا يقول له قائل الصلاة
أيها الرجل الصلاة أيها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل
معناه لا يعب بعضكم بعضا لأن المؤمنين كنفس واحدة فمتى عاب المؤمن المؤمن
فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لأن من فعل ما استحق به اللمز
فقد لمز نفسه حقيقة ولا تنابزوا بالألقاب التنابز بالألقاب التداعي بها تفاعل
من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنابزون والنبز لقب السوء والتلقيب
المنهي عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له وشينا فأما
ما يحبه مما يزينه وينوه به فلا بأس به روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحب أسمائه إليه ولهذا كانت التكنية من
السنة والأدب الحسن قال عمر رض أشيعوا الكنى فإنها منبهة ولقد لقب أبو بكر
رض بالصديق وعمر رض بالفاروق وحمزة بأسد الله وخالد بسيف الله وقل
من المشاهير في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الألقاب
والأمم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير

روي عن الضحاك ان قوما من بني تميم استهزؤا ببلال وخباب وعمار وصهيب وابي
ذر وسالم مولى حذيفة رضي الله عنهم فنزلت وعن عايشة رضي الله عنها انها تسخر من زينب بنت خزيمة الهلالية
وكانت قصيرة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان ام سلمة رضي الله عنها ربطت حقويها بسبيبة
وسدلت طرفيها خلفها وكانت تجره فقالت عايشة لحفصة انظري الى ما تجر خلفها
كانه لسان كلب وعن انس رضي الله عنه عيرت نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ام سلمة
بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حيي اتت النبي صلى الله عليه
وآله وسلم فقالت ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال
هلا قلت ان ابي هارون وعمي موسى وزوجي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وروي انها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر وكانوا يوسعون له في مجلس
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى
انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا
فقال انا فلان فقال بل انت ابن فلانة يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فخجل
الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر على احد في الحسب بعدها ابدا **بئس الاسم
الفسوق** الاسم هاهنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرم او باللوم
كما يقال طار ثناؤه وصيته وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس الا ترى
الى قولهم اشاد بذكره كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب هذه الجرائر
ان يذكروا بالفسق وفي قوله **بعد الايمان** ثلثة اوجه احدها استقباح الجمع
بين الايمان وبين الفسق الذي يأباه الايمان ويحظره كما يقال بئس الشان بعد
الكبرة الصبوة والثاني انه كان في شتائمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودي يا فاسق
فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل باليهودية بعد ايمانه والجملة على
هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز والثالث ان يجعل من فسق غير مؤمن
كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة **ومن
لم يتب فاولئك هم الظالمون يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا
من الظن** يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله منه في جانب فيعدى
الى مفعولين قال الله تعالى واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ثم يقال في مطاوعه

بالفسق صح

اجتنب الشر فينقص المطاوعة مفعولا والمامور باجتنابه هو بعض الظن
وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله **ان بعض الظن اثم**
بين الفصل بين كثير حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة مجيئه نكرة
يفيد معنى البعضية وان في الظنون ما يجب ان يجتنب من غير تبيين لذلك ولا
تعيين لئلا يجترئ احد على ظن الا بعد نظر وتامل وتمييز بين حقه وباطله بامارة
بينة مع استشعار للتقوى والحذر ولو عرف لكان اجتناب الظن منوطا بما
يكثر منه دون ما يقل ووجب ان يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف
منه بالقلة مرخصا في تظننه والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها
ان كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك
اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وانست منه الامانة في
الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب و
المجاهرة بالخبائث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله حرم من المسلم دمه
وعرضه وان يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمان الظن بالناس حرام
وانت اليوم في زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة
لفاجر وعنه ان الفاسق اذا اظهر فسقه وهتك ستره هتكه الله واذا استتر
لم يظهر الله عليه لعله ان يتوب وقد روي من القى جلباب الحياء فلا غيبة
له والاثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الاثام فعال
منه كالنكال والعذاب والوبال قال لقد فعلت هذا النوى بي فعلة اصاب هذا النوى
قبل الممات اثامها والهمزة فيه عن الواو وكانه يثم الاعمال اي يكسرها باحباطه
ولا تجسسوا وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان يقال تجسس الامر
اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما ان التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما في اللمس من
الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وانا لمسنا السماء فوجدناها والتحسس التعرف
من الحس ولتقاربهما قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهي عن تتبع
عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر
ودعوا ما ستره الله وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه خطب فرفع صوته

حتى اسمع العواتق في خدورهن قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الى قلبه لا
تتبعوا عورات المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو
في جوف بيته وعن زيد بن وهب قلت لابن مسعود هل لك في الوليد بن عقبة بن ابي
معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس فان ظهر لنا شيء
اخذنا به ولا يغتب بعضكم بعضا غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة
من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهي ذكر السوء في الغيبة وسئل رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم عن الغيبة فقال الغيبة ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه
فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيبة ادام كلاب
الناس ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه تمثيل وتصوير لما ينال المغتاب من
عرض المغتاب على افظع وجه وافحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام الذي
معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد
الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر
على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها ان لم يقتصر على
اكل لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة مدودة ان
تاكل منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حي وانتصب ميتا على الحال من اللحم
ويجوز ان ينتصب عن الاخ وقرئ ميتا ولما قررهم عز وجل بان احدا منهم لا يحب
اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله فكرهتموه اي فتحققت بوجوب الاقرار
عليكم وبانكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية ان تجحده كرهتموه
ولا تقدرون منه فليتحقق ايضا ان تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في اعراض
المسلمين وقرئ فكرهتموه اي جبلتم على كراهته هلا عدي بالى كما عدي في
وكره اليكم الكفر والفسوق وايهما القياس القياس تعديته بنفسه لانه
ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت الشيء فاذا ثقل استدعى زيادة مفعول
واما تعديته بالى فتاول واجراء الكره مجرى بغض لانه منقول من بغض الشيء
اليه كقولك حبب اليه الشيء فهو حبيب اليه والمبالغة في التواب للدلالة على كثرة
من يتوب عليه من عباده او لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا عنه بالتوبة

او لانه بليغ في قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى
واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم
تقبل الله منكم توبتكم وانعم عليكم بثواب المتقين التائبين وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان
سلمان رض كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فنام عن شانه يوما فبعثه
الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبغي لهما اداما وكان اسامة على طعام رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما عندي شيء فاخبرهما فقال لهما رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما
ونزلت يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى من آدم و
حواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من اب وام فما منكم احد الا وهو يدلي بمثل ما
يدلي به الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب وجعلناكم
شعوبا الشعب الطبقة الاولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب
وقبائل والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب يجمع القبائل والقبيلة
تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل خزيمة
شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة و
سميت الشعوب لان القبائل تتشعب منها لتعارفوا وقرئ لتعارفوا ولتعارفوا
بالادغام ولتعرفوا اي لتعلموا كيف تتناسبون ولتتعرفوا والمعنى ان الحكمة التي من
اجلها رتبكم على شعوب وقبائل هي ان يعرف بعضكم نسب بعض فلا يعتزي الى غير ابائه
لا ان تتفاخروا بالاباء والاجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل في الانساب ثم بين الخصلة
التي بها يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله فقال ان اكرمكم
عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير وقرئ ان بالفتح كانه قيل لم لا
يتفاخر بالانساب فقال لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم وعن النبي صلى الله عليه
وآله انه طاف يوم فتح مكة فحمد الله واثنى عليه ثم قال الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية
الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله وفاجر
شقي هين على الله ثم قرأ الآية وعنه عليه وآله الصلاة والسلام من سره ان
يكون اكرم الناس فليتق الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى

الله سلمان رضي الله عنه ففعل ذلك فقالا لو بعثناه الى بير سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى

وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سوق المدينة فرأى
غلاما اسود يقول من اشتراني فعلى شرط ان لا يمنعني عن الصلوات خلف رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وهو في دمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين
والانصار امر عظيم فنزلت قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن
قولوا اسلمنا الايمان هو التصديق مع الثقة وطمأنينة النفس والاسلام
الدخول في السلم والخروج من ان يكون حربا للمسلمين باظهار الشهادتين
الا ترى الى قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم فاعلم ان ما يكون
من الاقرار باللسان من غير مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب
اللسان فهو ايمان ما وجه قوله قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا
والذي يقتضيه نظم الكلام ان يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا اسلمنا
او قل لم تؤمنوا ولكن اسلمتم افاد هذا النظم تكذيب دعواهم اولا ودفع
ما انتحلوه فقيل قل لم تؤمنوا وروعي في هذا النظم من التكذيب ادب حسن
حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذي هو نفي ما ادعوا اثباته
موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم في قوله في صفة المخلصين اولئك
هم الصادقون تعريضا بان هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح
واستغني بالجملة التي هي لم تؤمنوا عن ان يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان
ان يخاطبوا بلفظ مؤداه النهي عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة
المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن اسلمتم ليكون خارجا
مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن اسلمتم لكان
خروجه في معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به
قوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم بعد قوله قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال
بفائدة متجددة ليس كذلك فان فائدة قوله لم تؤمنوا تكذيب دعواهم
وقوله ولما يدخل الايمان في قلوبكم توقيت لما امروا به ان يقولوه كأنه قيل لهم ولكن
قولوا اسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لألسنتكم لانه كلام واقع موقع
الحال من الضمير في قولوا وما في لما من معنى التوقع دال على ان هؤلاء قد آمنوا فيما

[?] لا يلتكم لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال ألته السلطان حقه أشد الألت وهي
لغة غطفان ولغة أسد وأهل الحجاز لاته ليتا وحكى الأصمعي عن أم هشام السلولية أنها
قالت الحمد لله الذي لا يفات ولا يلات ولا تصمه الأصوات وقرئ باللغتين
لا يلتكم ولا يألتكم ونحوه في المعنى فلا تظلم نفس شيئا ومعنى طاعة الله ورسوله
ان يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضياته
ان الله غفور رحيم فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته
وانعم عليهم بجزيل الثواب وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نفرا من بني اسد قدموا المدينة
في سنة جدبة فاظهروا الشهادة وافسدوا طرق المدينة بالعذرات واغلوا
اسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و
يقولون اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والذراري
يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت انما المؤمنون الذين آمنوا
بالله ورسوله ثم لم يرتابوا ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة
والمعنى آمنوا ثم لم يقع في نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه و
اعترفوا بان الحق معه ما معنى ثم ههنا وهي للتراخي وعدم الارتياب
يجب ان يكون مقارنا للايمان لانه وصف فيه لما تقدم من افادة الايمان
معنى الثقة والطمأنينة التي حقيقتها التيقن وانتفاء الريب الجواب
على طريقين احدهما ان من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان او بعض
المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف في قلبه ما يثلم يقينه او نظر هو نظرا
غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له
مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا
والثاني ان الايقان وزوال الريب لما كان ملاك الايمان افرد بالذكر
بعد تقدم الايمان بكلمة التراخي اشعارا باستقراره في الازمنة المتراخية
المتطاولة غضا جديدا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله
يجوز ان يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب او الشيطان او الهوى و
ان يكون جاهد مبالغة في جهد ويجوز ان يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو و

بسم الله الرحمن الرحيم

كلما ان آدم تبلى الا عجب الذنب وعن السدي وما تنقص الارض منهم ما يموت ويدفن
في الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ محفوظ من الشياطين ومن التغيير
وهو اللوح المحفوظ او حافظ لما اودعه وكتب فيه بل كذبوا بالحق لما جاءهم
اضراب ثان للاضراب الاول للدلالة على انهم جاؤوا بما هو افظع من تعجبهم وهو
التكذيب بالحق الذي هو النبوة الثابتة بالمعجزات في اول وهلة من غير تدبر ولا
تفكر فهم في امر مريج مضطرب من مرج الخاتم في اصبعه وخرج فيقولون تارة
شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شيء واحد وقرئ لما جاءهم
بكسر اللام وما المصدرية واللام هي التي في قولهم لخمس خلون اي عند مجيئه اياهم
وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث افلم ينظروا حين كفروا بالبعث الى
آثار قدرة الله في خلق العالم الى السماء فوقهم كيف بنيناها رفعناها بغير
عمد وما لها من فروج من فتوق يعني انها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها
ولا صدع ولا خلل كقوله هل ترى من فطور والارض مددناها دحوناها
والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت لولاها لتكفأت وانبتنا فيها من كل
زوج من كل صنف بهيج تبهج به لحسنه تبصرة وذكرى لتبصر به ونذكر
لكل عبد منيب راجع الى ربه متفكر في بدائع خلقه وقيل تبصرة وذكرى
اي خلقها تبصرة ونزلنا من السماء ماء مباركا كثير المنافع فانبتنا به جنات
وحب الحصيد وحب الزرع الذي من شأنه ان يحصد من نحو ما يقتات به
من نحو الحنطة والشعير وغيرهما والنخل باسقات طوالا او حوامل وقرئ
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باصقات بابدال السين صادا لاجل القاف
لها طلع نضيد منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او
كثرة ما فيه من الثمر رزقا للعباد علة لانبتنا او مصدر فان الانبات
من غير لفظه لان الانبات في معنى الرزق او على انه مفعول له
واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج كما احيينا هذه البلدة الميتة
احياكم بعد موتكم الكاف في محل الرفع على الابتداء كذبت قبلهم قوم
نوح واصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب

الايكة وقوم تبع اراد بفرعون قومه كقوله من فرعون وملائهم لان
المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات كل كذب الرسل اي
ان كل واحد منهم او جميعهم وانما وحد الضمير الراجع اليه على اللفظ
دون المعنى فحق وعيد فوجب وحل وعيدي وهو كلمة العذاب وفيه تسلية
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول
عيي بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا
عن الخلق الاول حتى نعجز عن الثاني ثم قال لهم لا ينكرون قدرتنا على الخلق
الاول واعترافهم بذلك في طيه الاعتراف بالقدرة على الاعادة بل هم في
لبس من خلق جديد اي خلط قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول
علي رضي الله عنه يا حار انه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف اهله ولبس
الشيطان عليهم تسويله اليهم ان احياء الموتى امر خارج عن العادة
فتركوا لذلك القياس ان من قدر على الانشاء كان على الاعادة اقدر
لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف الخلق الاول قصد في تنكيره
الى خلق جديد له وحال شديدة حق من سمع به ان يهتم به ويخاف
ويبحث عنه ولا يقعد على لبس في مثله ولقد خلقنا الانسان ونعلم
ما توسوس به نفسه الوسوسة الصوت الخفي ومنها وسواس الحلي
النفس ما يخطر ببال الانسان وتهجس في ضميره من حديث النفس والباء
في قولك بكذا همس به ويجوز ان يكون للتعدية والضمير للانسان اي ما
يجعله موسوسا وما مصدرية لانهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون
حدثته به نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال واكذب النفس اذا حدثتها
ونحن اقرب اليه مجاز والمراد قرب علمه وانه يتعلق بمعلومه ومن احواله لا يخفى
عليه شيء من خفياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله في مكان وتعالى عن
الامكنة من حبل الوريد مثل في فرط القرب كقولهم هو مني مقعد القابلة ومعقد
الازار قال ذو الرمة والموت ادنى لي من الوريد والحبل العرق واضافته للبيان
الاثر الى قوله كان وريدته رشاء اخلب والوريد عرقان يكتنفان صفحتي

العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان
الروح ترده ما وجه اضافة الحبل الى الوريد والشي لا يضاف الى نفسه
فيه وجهان احدهما ان يكون الاضافة للبيان كقولهم بعير سانيه
والثاني ان يراد حبل العاتق فيضاف الى الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما
في عضو واحد كما قيل حبل العلبا مثلا **اذ يتلقى المتلقيان** اذ منصوب باقرب
وساغ ذلك لان المعنى يعمل في الظرف متقدما ومتاخرا والمعنى انه لطيف
يتوصل علمه الى خطرات النفس ولا شي اخفى منه وهو اقرب من الانسان
من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بان استحفاظ الملكين امر
هو غني عنه وكيف لا يستغني عنه وهو مطلع على اخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة
اقتضت ذلك وهي ما في كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحايف الاعمال يوم
يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله بعلمه من زيادة لطف
له في الانتها عن السيات والرغبة في الحسنات وعن النبي صلى الله عليه
واله وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما
وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله ولا منهما ويجوز ان يكون تلقي الملكين
بيانا للقرب يعني ونحن قريبون منه مطلعون على احواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا
وكتبتنا موكلون به والتلقي التلقن بالحفظ والكتابة **عن اليمين وعن
الشمال قعيد** والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن
الشمال قعيد من المتلقيين فترك احدهما لدلالة الثاني عليه كقوله كنت
منه ووالدي بريا **ما يلفظ من قول الا لديه رقيب** ملك يرقب عليه **عتيد** حاضر
واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شي حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان
الا ما يوجر عليه او يوزر به ويدل عليه قوله عليه واله الصلوة والسلام كاتب الحسنات
على يمين الرجل وكاتب السيات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امير على كاتب
السيات فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سية قال صاحب اليمين
لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وقيل ان الملائكة يجتنبون
الانسان عند غايطه وعند جماعه وقري ما يلفظ على البناء للمفعول لما ذكر

انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه اعلمهم ان ما انكروه وجحدوه
جحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب
ذلك بان عبر عنه بلفظ الماضي وهو قوله **وجاءت سكرة الموت بالحق**
ونفخ في الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء في بالحق للتعدية
يعني واحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذي انطق الله به كتبه وبعث به رسله
او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة المرء وشقاوته وقيل الحق الذي
خلق له الانسان من ان كل نفس ذائقة الموت ويجوز ان يكون الباء مثلها
في قوله تنبت بالدهن اي وجاءت ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة
والغرض الصحيح كقوله خلق السموات والارض بالحق وقرا ابو بكر وابن مسعود رضي الله عنهما
وجاءت سكرة الحق بالموت على اضافة السكرة الى الحق والدلالة على انها السكرة
التي كتبت على الانسان واوجبت وانها حكمة والباء للتعدية لانها سبب زهوق
الروح لشدتها او لان الموت يعقبها فكانها جاءت به ويجوز ان يكون المعنى
جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله اضيفت اليه تفظيعا لشانها
وتهويلا وقري سكرات الموت **ذلك** اشارة الى الموت والخطاب للانسان في
قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات **ما كنت منه تحيد** تنفر
وتهرب وعن بعضهم انه سال زيد بن اسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله صلى
الله عليه واله وسلم فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا لسان فصيح
ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبيد الله بن عباس فقال
اخالفهما جميعا هو للبر والفاجر **ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد**
على تقدير حذف المضاف اي وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ
وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ملكان احدهما يسوقه الى المحشر
والاخر يشهد عليه بعمله او ملك واحد جامع بين الامرين كانه قيل معها ملك يسوقه
ويشهد عليه ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو
في حكم المعرفة **لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك
اليوم حديد** وقري لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك

بالكسر على خطاب النفس اي يقال لها لقد كنت جعلت الغفلة كانها غطاء غطي به
جسدك كله او غشاوة غطي بها عينيه فهو لا يبصر شيئا فاذا كان يوم القيمة
تيقظ وزال عنه الغفلة وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره ونرجع بصره الكليل عن
الابصار لغفلته حديدا لتيقظه وقال قرينه هو الشيطان الذي قيض له في
قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله قال قرينه ربنا ما اطغيته هذا
ما لدي عتيد هذا شيء لدي وفي ملكتي عتيد لجهنم والمعنى ان ملكا يسوقه
وآخر يشهد وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهيأته لها باغوائي
واضلالي كيف اعراب هذا الكلام ان جعلت ما موصوفة فعتيد
صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل او خبر بعد خبر او خبر مبتدأ محذوف
ألقيا خطاب من الله للملكين السائق والشهيد ويجوز ان يكون خطابا
للواحد على وجهين احدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية
الفعل لاتحادهما كانه قيل ألق ألق للتأكيد والثاني ان العرب اكثر ما
يرافق الرجل منهم اثنان فكثر على السنتهم خليلي وصاحبي وقفا واسعدا حتى خاطبوا
الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج انه كان يقول يا حرسي اضربا عنقه وقرأ الحسن
ألقين بالنون الخفيفة ويجوز ان يكون الالف في ألقيا بدلا من النون اجراء للوصل
مجرى الوقف في جهنم كل كفار عنيد معاند مجانب للحق معاد لاهله
مناع للخير كثير المنع للمال عن حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيئا
قط او مناع لجنس الخير ان يصل الى اهله يحول بينه وبينهم وقيل نزلت في الوليد
بن المغيرة كان يمنع بني اخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم في الاسلام
لم انفعه بخير ما عشت معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه
الذي جعل مع الله الها آخر مبتدأ متضمن معنى الشرط ولذلك اجيب
بالفاء ويجوز ان يكون الذي جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون
فألقياه في العذاب الشديد تكريرا للتوكيد لم اخليت هذه الجملة
عن الواو وادخلت في الاول لانها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة في
حكاية التقاول كما رأيت في حكاية المقاولة بين موسى وفرعون

فان التقاول ههنا لما قال قرينه هذا ما لدي عتيد وتبعه قوله
قال قرينه ربنا ما اطغيته وتلاه لا تختصموا لدي علم ان ههنا مقاولة
من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كانه قال رب هو اطغاني فقال قرينه ربنا ما اطغيته
واما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى
ما قبلها في الحصول اعني مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له ما اطغيته
ما جعلته طاغيا ولكن كان في ضلال بعيد ولكنه طغى واختار الضلالة
على الهدى كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال لا
تختصموا لدي استئناف مثل قوله قال قرينه كان قائلا قال فماذا قال الله فقيل
قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا في دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة في اختصامكم
ولا طائل تحته وقد اوعدتكم بعذابي على الطغيان في كتبي وعلى السنة رسلي فما تركت
لكم حجة ثم قال ما يبدل القول لدي لا تطمعوا ان ابدل قولي ووعيدي فاعفيكم
عما اوعدتكم به وقال وما انا بظلام للعبيد والباء في بالوعيد مثلها
في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم او معدية على ان قدم مطاوع بمعنى تقدم ويجوز
ان يقع الفعل على جملة قوله ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد
ويكون بالوعيد حالا اي قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد ومقترنا به او قدمت
اليكم هذا ملتبسا بالوعيد ومقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم به
ان قوله وقد قدمت واقع موقع الحال من الضمير في لا تختصموا والتقديم
بالوعيد في الدنيا والخصومة في الآخرة واجتماعهما في زمان واحد واجب
معناه لا تختصموا وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد وصحة عندهم في الآخرة
كيف قال بظلام على لفظ المبالغة فيه وجهان احدهما ان يكون من
قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده وان يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب
لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول
هل من مزيد قرئ نقول بالنون والياء وعن ابن مسعود والحسن يقال وانتصاب اليوم بظلام او بمضمر نحو اذكر
وانذر ويجوز ان ينتصب بنفخ كانه قيل ونفخ في الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا

مكم
قل قدمت عليكم بالوعيد

ويمكن ان يقال صفات الله تعالى ينبغي ان تكون على وجه الكمال فلو كان ذرة [illegible] لكان ظالما بالغا في غاية المبالغة فنفى ذلك [illegible] في النقص والله اعلم

بِنار ذلك الى يوم يقول لا يعيد حذف مضاف وسوال جهنم وجوابها من باب التخييل الذي يقصد به تصوير المعنى في القلب وتبيينه وفيه معنيان احدهما انها مع اتساعها وتباعد اطرافها حتى لا يسعها شيء ولا يزاد على امتلائها كقوله لاملأن جهنم والثاني انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز ان يكون **ونقول هل من مزيد** استكثارا للداخلين فيها واستبعادا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم او طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد واما اسم مفعول كالمبيع **وازلفت الجنة** للمتقين **غير بعيد** نصب على الظرف اي مكانا غير بعيد او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوي في الوصف بها المذكر والمؤنث او على حذف الموصوف اي شيئا غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل وقرئ **هذا ما توعدون** بالتاء والياء وهي جملة اعتراضية **لكل اواب حفيظ** بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وهذا اشارة الى الثواب او الى مصدر ازلفت الاواب الرجاع الى ذكر الله والحفيظ الحافظ لحدوده **من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب** بدل بعد بدل او بدل من موصوف حفيظ ولا يجوز ان يكون في حكم اواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذي وحده ويجوز ان يكون مبتدأ خبره يقال لهم **ادخلوها بسلام** لان من في معنى الجمع ويجوز ان يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا احسن الي وحذف حرف النداء للتقريب بالغيب حال من المفعول اي خشيه وهو غايب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال او صفة لمصدر خشي اي خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشي عقابه وهو غايب او خشية بسبب الغيب الذي اوعده به من عذابه وقيل في الخلوة حيث لا يراه احد كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة للثناء البليغ على الخاشي وهو خشيته مع علمه انه الواسع الرحمة كما اثنى عليه بانه الخاشي مع ان المخشي عليه غايب ونحوه والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات ووصف القلب بالانابة وهي الرجوع الى الله

لان الاعتبار بما ثبت منها في القلب يقال لهم ادخلوها سالمين من العذاب وزوال النعم او مسلما عليكم يسلم الله وملائكته **ذلك يوم الخلود** اي يوم تقدير الخلود كقوله ادخلوها خالدين اي مقدرين الخلود **لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد** هو ما لم يخطر ببالهم ولم يبلغه اما بيهم حتى يشاؤه وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فيقولون نحن المزيد الذي قال الله تعالى ولدينا مزيد **وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم اشد منهم بطشا فنقبوا** وقرئ بالتخفيف فخرقوا في البلاد ودخلوها والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب قال الحارث بن حلزة نقبوا في البلاد من حذر الموت وجالوا في الارض كل مجال ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله اشد منهم بطشا اي شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب وقويتهم عليه ويجوز ان يراد فنقب اهل مكة في اسفارهم ومسايرهم في بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرا فنقبوا على الامر كقوله فسيحوا في الارض وقرئ بكسر القاف محففة من النقب وهو ان ينتقب خف البعير قال ما مسها من نقب ولا دبر والمعنى فنقبت اخفاف ابلهم او حفيت اقدامهم ونقبت كما تنقب اخفاف الابل لكثرة طوفهم في البلاد **هل من محيص** من الله او من الموت **ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب** اي قلب واع لان من لا يعي قلبه فكانه لا قلب له **او القى السمع** والقى السمع اي اصغى **وهو شهيد** اي حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غايب وقد ملح الامام عبد القاهر في قوله لبعض من ياخذ عنه ما شئت من زهزهة والفتى بصقلاباد لسقي الزروع او وهو مؤمن شاهد على صحته وانه وحي من الله او وهو بعض الشهداء في قوله لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من اهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرا السدي وجماعة القي السمع بنيه **ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب** من اعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع قيل نزلت في اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق السموات والارض في ستة ايام اولها الاحد واستراح يوم السبت واستلقى على العرش

وقالوا ان الذي وقع من التشبيه في هذه انما اقتبس من اليهود ومنهم اخذ فاصبر على ما يقولون على ما يقول اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على ما يقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هي منسوخة باية السيف وقيل الصبر مأمور به في كل حال وسبح بحمد ربك حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره وعلى الصلوة والصلوة قبل طلوع الشمس الفجر وقبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل العشاآن وقيل التهجد فسبحه وادبار السجود التسبيح في آثار الصلوات والركوع والسجود يعبر بهما عن الصلوة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن علي رضي الله عنه الركعتان بعد المغرب قبل ان يتكلم كتبت صلوته في عليين وعن ابن عباس رضي الله عنهما الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وقرئ وادبار من ادبرت الصلوة اذا انقضت وتمت ومعناه ووقت انقضاء السجود كقولهم اتيتك خفوق النجم واستمع لما اخبرك به من حال يوم القيمة وفي ذلك تهويل وتعظيم لشان المخبر به والمحدث عنه كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال سبعة ايام لمعاذ بن جبل يا معاذ استمع لما اقول لك ثم حدثه بعد ذلك يوم يناد المناد من مكان قريب ثم انتصب اليوم بما دل عليه ذلك يوم الخروج اي يوم يناد المناد يخرجون من القبور يوم يسمعون بدل من يوم ينادي والمنادي اسرافيل عليه السلم ينفخ في الصور وينادي ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله تعالى يأمركن ان تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرئيل ينادي بالحشر من مكان قريب من صخرة بيت المقدس وهي اقرب الارض الى السماء باثني عشر ميلا وهي وسط الارض وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ايتها العظام البالية والصيحة النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء وقرئ تشقق وتشقق بادغام التاء في الشين وتشقق على البناء للمفعول سراعا حال من المجرور ذلك حشر علينا يسير تقديم الظرف يدل على الاختصاص فان مثل ذلك الامر العظيم لا يتيسر الا على القادر الذات الذي لا يشغله شأن عن شأن كما قال ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة نحن اعلم بما يقولون تهديد لهم

وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما انت عليهم بجبار بمسيطر تقسرهم على الايمان انما انت داع وباعث وقيل اراد الحلم عنهم وترك الغلظة عليهم ويجوز ان يكون من جبره على الامر بمعنى اجبره اي ما انت بوال عليهم تجبرهم على الايمان وعلى بمنزلته في قوله هو عليهم اذا كان واليهم وما لك امرهم فذكر بالقرآن من يخاف وعيد كقوله انما انت منذر من يخشاها لانه لا ينتفع الا به دون المصر على الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا الرياح لانها تذرو التراب وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح وقرئ بادغام التاء في الذال فالحاملات وقرا السحاب لانها تحمل المطر وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المفعول بالمصدر او على ايقاعه موقع حملا فالجاريات يسرا الفلك تجري في البحر جريا ذا يسر اي ذا سهولة فالمقسمات امرا الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او تفعل التقسيم مأمورة بذلك وعن مجاهد تتولى تقسيم امر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن علي رضي الله عنه انه قال وهو على المنبر سلوني قبل ان لا تسألوني ولن تسألوا بعدي مثلي فقام ابن الكوا فقال ما الذاريات فقال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات امرا قال الملائكة وعن ابن عباس كذلك وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله بها ارزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز ان يراد الرياح لا غير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه في الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب ما معنى الفاء على التفسيرين اما على الاول فمعنى التعقيب فيها انه اقسم بالرياح والسحاب التي تسوقه فبالفلك التي تجريها بهبوبها فبالملائكة التي تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعه واما على الثاني فلانها تبتدي في الهبوب فتذرو التراب

الحصا فيقل السحاب فتجري في الجو باسطة له فيقسم المطر إنما توعدون لصادق
جواب القسم وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث ووعد صادق كعيشة راضية
وإن الدين لواقع والدين الجزاء والواقع الحاصل والسماء ذات الحبك الطرائق
مثل حبك الرمل والماء إذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره
قال زهير مكلل بأصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك والدرع محبوكة
لأن حلقها مطرق طرائق ويقال إن خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها
والمعنى أنها تزينها كما يزين الموشى طرائق الوشي وقيل حبكها صفاقها وإحكامها
من قولهم فرس محبوك المعاقم أي محكمها وإذا أجاد الحائك الحياكة قالوا
ما أحسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل أو حبيكة كطريقة وطرق وقرئ
الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق
والحبك بوزن النعم والحباك بوزن الإبل إنكم لفي قول مختلف قولهم
في الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفي القرآن سحر وشعر وأساطير الأولين وعن
الضحاك قول الكفرة لا يكون مستويا إنما هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم مصدق
ومكذب ومقر ومنكر يؤفك عنه من أفك الضمير للقرآن أو للرسول أي يصرف
عنه من صرف الصرف الذي لا صرف أشد منه وأعظم كقوله لا يهلك على
الله إلا هالك وقيل يصرف عنه من صرف في علم الله أي علم فيما لم يزل أنه مأفوك
عن الحق لا يرعوي ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين أقسم بالذاريات
على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على أنهم في قول مختلف في وقوعه فمنهم
شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الإقرار بأمر القيامة من هو المأفوك ووجه
آخر وهو أن يرجع الضمير إلى قول مختلف وعن مثله في قوله ينهون عن أكل وعن
شرب أي يصدر تناهيهم في السمن بسبب الأكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم في
السمن عنهما وكذلك يصدر إفكهم عن القول المختلف وقرأ سعيد بن جبير يؤفك
عنه من أفك على البناء للفاعل أي من أفك الناس عنه وهم قريش وذلك أن
الحي كانوا يبعثون الرجل ذا العقل ليسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقولون له احذره فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن علي يأفك عنه من أفك أي يصرف الناس عنه

من هو مأفوك في نفسه وعنه أيضا يأفك عنه من أفك أي يصرف الناس عنه
من هو أفاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من أفن أي يحرمه من حرم من أفن الضرع
إذا نهكه حلبا قتل الخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم أصحاب
القول المختلف واللام إشارة إليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين
أي قتل الله الذين هم في غمرة في جهل يغمرهم ساهون غافلون عما أمروا به
يسألون فيقولون أيان يوم الدين أي متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهي
لغة كيف وقع أيان ظرفا لليوم وإنما يقع الأحيان ظروفا للحدثان
معناه أيان وقوع يوم الدين يوم انتصب اليوم الواقع في الجواب
بفعل مضمر دل عليه السؤال أي يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز أن يكون مفتوحا
لإضافته إلى غير متمكن وهو الجملة فمحله
نصب بالمضمر الذي هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون
[illegible] يحرقون ويعذبون ومنه الفتين وهي
الحرة لأن حجارتها كأنها محرقة ذوقوا فتنتكم في محل الحال أي مقولا لهم هذا
القول هذا مبتدأ والذي خبره أي هذا العذاب هو الذي كنتم به
تستعجلون ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم أي ذوقوا هذا العذاب إن
المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم قابلين لكل ما
أعطاهم راضين به يعني أنه ليس فيما آتاهم إلا ما هو متلقى بالقبول مرضي
غير مسخوط لأن جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات أي يقبلها
ويرضاها إنهم كانوا قبل ذلك محسنين قد أحسنوا أعمالهم وتفسير إحسانهم
ما بعده كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ما مزيدة والمعنى كانوا
يهجعون في طائفة قليلة من الليل أو جعلت قليلا ظرفا ولك أن تجعله صفة
للمصدر أي كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز أن تكون ما مصدرية أو موصولة على
كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية
وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الغرار من النوم قال قد حصت البيضة رأسي
فما أطعم نوما غير تهجاع وقوله قليلا ومن الليل لأن الليل وقت السبات والراحة

دعاء عليهم كقوله قتل الإنسان ما أكفره وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون

وزيادة ما المولدة لذلك وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين فإذا أسحروا
أخذوا في الاستغفار كأنهم أسلفوا في ليلهم الجرائم وقوله وبالأسحار هم
يستغفرون فيه أنهم هم المستغفرون الأحقاء بالاستغفار دون المصرين
كأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطنابهم فيه صلح أن يكون ما
نافية كما قال بعضهم ولكن لكون المعنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا ولحق له
لا لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم أضرب ولا
تقول زيدا ما ضربت وفي أموالهم حق للسائل الذي يستجدي والمحروم
يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس المسكين
الذي ترده الأكلة والأكلتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذي
لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذي لا ينمو له مال وقيل المحارف الذي لا يكاد
يكسب وفي الأرض آيات تدل على الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هي
مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذي جعل لكم الأرض مهادا وفيها المسالك
والفجاج للمتقلبين فيها والماشين في مناكبها وهي مجزأة فمن سهل ومن جبل
وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهي كالطروقة تلقح بألوان
النبات وأنواع الأشجار بالثمار المختلفة الألوان والطعوم والروائح تسقى بماء
واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافع
وصلاحهم في صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن
والدواب المنبثة في برها وبحرها المختلفة الصور والأشكال والأفعال من الوحشي
والإنسي والهوام وغير ذلك للموقنين للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني
الموصل إلى معرفته فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه
تأملها فازدادوا إيمانا مع إيمانهم وإيقانا إلى إيقانهم وفي أنفسكم في
حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر
الخلق ما تتحير فيه الأذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به
أصناف المعاني وبالألسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبها ولطائفها
من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر أفلا تبصرون دع الأسماع

والأبصار والأطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى في الأعضاء من
المفاصل للانعطاف والتثني فإنه إذا جسا شيء منها جاء العجز وإذا استرخى أناخ الذل
فتبارك الله أحسن الخالقين وفي السماء رزقكم هو المطر لأنه سبب الأقوات
وعن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن أنه كان إذا رأى السحاب
يقول لأصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وما توعدون الجنة هي
على ظهر سماء السابعة تحت العرش أو أراد أن ما ترجونه وما تخافونه في العقبى كله مقدر مكتوب في السماء
فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون وقرئ مثل بالرفع صفة للحق
أي حق مثل ما أنكم ههنا وهذا الضمير إشارة إلى ما ذكر من أمر الآيات والرزق
وأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو إلى ما توعدون وعن الأصمعي أقبلت من جامع
البصرة فطلع أعرابي على قعود فقال ممن الرجل قلت من بني أصمع قال من أين أقبلت قلت
من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال اتل علي فتلوت عليه والذاريات ذروا فلما بلغت
قوله وفي السماء رزقكم وما توعدون قال حسبك فقام إلى ناقته فنحرها ووزعها
على من أقبل وأدبر وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت
أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق فالتفت فإذا أنا بالأعرابي قد نحل واصفر فسلم علي
واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا
فقرأت فورب السماء والأرض إنه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذي أغضب الجليل حتى
حلف لم يصدقوه بقوله حتى ألجأوه إلى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها روحه هل
أتاك تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما
عرفه بالوحي حديث ضيف إبراهيم المكرمين الضيف للواحد والجماعة كالزور
والصوم لأنه في الأصل مصدر ضافه وكانوا اثني عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم
جبرئيل وقيل ثلاثة جبرئيل وملك معهما وجعلهم ضيفا لأنهم في صورة الضيف حيث
أضافهم إبراهيم عليه السلام ولأنه كانوا في حسبانه كذلك وإكرامهم أن إبراهيم عليه السلام
خدمهم وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى أو أنهم في أنفسهم مكرمون قال الله
بل عباد مكرمون إذ دخلوا عليه ظرف للمكرمين إن فسر بإكرام إبراهيم لهم وإلا فبما
في ضيف من معنى الفعل أو بإضمار اذكر فقالوا سلاما مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به

قال سلم

عنه واصله يسلم عليكم سلاما فاما سلامٌ فمعدول به الى الرفع على الابتداء وخبره
محذوف معناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلم كانه قصد ان يحييهم باحسن
مما حيوه به اخذا بادب الله وهذا ايضا باكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما
قال سلم والسلم السلم وقرئ سلاما قال سلام قوم منكرون انكرهم للسلام
الذي هو علم الاسلام او اراد انهم ليسوا من معارفه او من جنس الناس الذين
عهدهم كما لو ابصر العرب قوما من الخزر او رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس
وشكلهم او كان هذا سؤالا لهم كانه قال انتم قوم منكرون فعرفوني من انتم فراغ
الى اهله فذهب اليهم في خفية من ضيوفه ومن ادب المضيف ان يخفي امره وان
يبادره بالقرى من غير ان يشعر به الضيف حذرا من ان يكفه ويعذره قال قتادة
كان عامة مال نبي الله ابرهيم عليه السلم البقر فجاء بعجل سمين فقربه اليهم والهمزة
في فقال الا تأكلون للانكار انكر عليهم ترك الاكل او حثهم عليه فاوجس
منهم خيفة فاضمر منهم خوفا لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن انهم يريدون به سوءا وعن ابن عباس
وقع في نفسه انهم ملائكة ارسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل عليه السلم
العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه وبشروه بغلام عليم اي يبلغ ويعلم وعن الحسن عليم نبي
والمبشر به اسحق عليه السلم وهو اكثر الاقاويل واصحها لان الصفة صفة سارة
لا هاجر وهي امرأة ابرهيم وهو بعلها وعن مجاهد هو اسمعيل فاقبلت امرأته في صرة
في صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب ومحله النصب على الحال اي فجاءت صارة
قال الحسن اقبلت الى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم فصكت وجهها لانها
وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل فاخذت في صرة كما يقول
اقبل يشتمني وقيل صرتها قولها اوه وقيل يا ويلتي وعن عكرمة رنتها فصكت فلطمت
ببسط يديها وقيل فضربت باطراف اصابعها جبهتها فعل المتعجب وقالت عجوز عقيم
انا عجوز فكيف الد قالوا كذلك مثل ذلك الذي قلنا واخبرنا به قال ربك
انه هو الحكيم العليم اي انما نخبرك عن الله تعالى والله قادر على ما تستبعد
وروي ان جبريل عليه السلم قال لها انظري الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه
مورقة مثمرة فلما علم انهم ملائكة وانهم لا ينزلون الا بامر الله تعالى رسلا في بعض الامور

قالوا لا تخف وبشروه

قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم وما طلبكم قالوا انا ارسلنا الى
قوم مجرمين الى قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين يريد السجيل وهي
طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار في صلابة الحجارة مسومة عند ربك معلمة
من السومة وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل اعلم
بانها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا
للمسرفين سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم في عملهم حيث لم
يقتنعوا بما ابيح لهم فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا
فيها غير بيت من المسلمين الضمير في فيها للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة
وفيه دليل على ان الايمان والاسلام واحد وانهما صفتا مدح قيل هم لوط وابنتاه
وقيل كان لوط واهل بيته الذين نجوا ثلثة عشر وعن قتادة لو كان فيها اكثر من ذلك
لانجاهم ليعلموا ان الايمان محفوظ لا ضيعة على اهله عند الله وتركنا فيها
آية علامة للذين يخافون العذاب الاليم يعتبر بها الخائفون دون القاسية
قلوبهم قال ابن جريج هي صخرة منضودة فيها وقيل ماء اسود منتن وفي موسى
اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين معطوف على وفي الارض آيات او على
قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا في موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا
فتولى بركنه فازور واعرض كقوله ونأى بجانبه وقيل فتولى بما كان يتقوى به
من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر اي هو ساحر او مجنون
فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم آت بما يلام عليه من كفره وعناده
والجملة مع الواو حال من الضمير في فاخذناه كيف وصف نبي الله يونس عليه السلام
بما وصف به فرعون في قوله فالتقمه الحوت وهو مليم موجبات اللوم تختلف على
حسب اختلاف مقادير اللوم فراكب الكبائر ملوم على مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة
الا ترى الى قوله وعصوا رسله وعصى آدم ربه لان الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان
كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم التي
لا خير فيها من انشاء مطر او القاح شجر وهي ريح الهلاك واختلف فيها فعن علي رضي الله عنه النكباء
وعن ابن عباس رضي الله عنهما الدبور وعن ابن المسيب الجنوب ما تذر من شيء اتت عليه

كالرميم والرميم كل ما رمّ اي بلي وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك وفي ثمود
اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين تفسيره قوله تمتعوا في داركم ثلثة ايام فعتوا عن
امر ربهم فاستكبروا عن امتثاله فاخذتهم الصاعقة وقرئ الصعقة و
هي المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها وهم ينظرون
كانت نهارا يعاينونها وروي ان العمالقة كانوا معهم في الوادي ينظرون اليهم
ما ضرهم فما استطاعوا من قيام كقوله فاصبحوا في دارهم جاثمين وقيل هو من
قولهم ما يقوم به اذا عجز عن دفعه وما كانوا منتصرين ممتنعين من العذاب
وقوم نوح قرئ بالكسر على معنى وفي قوم نوح ويقويه قراءة عبد الله وفي قوم نوح
وبالنصب على معنى واهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه او واذكر قوم
نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين والسماء بنيناها بايد بقوة
والايد والآد القوة وقد آد يئيد وهو ايد وانا لموسعون لقادرون من
الوسع وهو الطاقة والموسع القوي على الانفاق وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر
وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن
كل شيء اي من كل شيء من الحيوان خلقنا زوجين ذكرا وانثى وقيل السماء والارض
والليل والنهار والبر والبحر والموت والحيوة فعدد اشياء وقال كل اثنين منها
زوج والله تعالى فرد لا مثل له لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله من
السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة ان تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه
ففروا الى الله الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه اني لكم منه نذير مبين
ولا تجعلوا مع الله الها آخر ووحدوه ولا تشركوا به وكرر قوله اني لكم منه
نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم ان الايمان لا ينفع الا مع العمل
كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما الا ترى
الى قوله لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا والمعنى
قل يا محمد ففروا الى الله كذلك الامر مثل ذلك وذلك اشارة الى تكذيبهم
الرسول وتسميتهم له ساحرا او مجنونا ثم فسر ما اجمل بقوله ما اتى الذين من قبلهم من
رسول ولا يصح ان تكون منصوبة باتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها وقال

لم يأت من قبلهم رسول الا قالوا ساحر او مجنون اتواصوا به الضمير للقول
يعني اتواصى الاولون والآخرون حتى قالوه جميعا متفقين عليه بل هم قوم طاغون
اي لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة
وهي الطغيان والطغيان هو الحامل عليه فتول عنهم فاعرض عن الذين كررت
عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك في اعراضك
بعد ما بلغت الرسالة وبذلت مجهودك في البلاغ والدعوة وذكر ولا تدع
التذكير والموعظة بايام الله فان الذكرى تنفع المؤمنين اي تؤثر في الذين
عرف الله منهم انهم يدخلون في الايمان او يزيد الداخلين فيه وروي انه لما نزل
فتول عنهم حزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واشتد ذلك على اصحابه
ورأوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر فانزل الله تعالى وذكر وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي وما خلقت الجن والانس الا لاجل العبادة ولم ارد
من جميعهم الا اياها لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا
انما اراد منهم ان يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين
فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها ولو ارادها على القسر والالجاء لوجدت
من جميعهم ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون يريد ان شأني مع عبادي
ليس كشأن السادة مع عبيدهم فان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم في
تحصيل معايشهم وارزاقهم فاما مجهز في تجارة ليبغي ربحا او مرتب في فلاحة
ليغل ارضا او مسلم في حرفة لينتفع باجرته او محتطب او محتش او مستق او طابخ او
خابز وما اشبه ذلك من الاعمال والمهن التي هي تصرف في اسباب المعيشة وابواب
الرزق فاما مالك ملك العبيد فقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم في انفسكم ولا اريد
ان اصرفكم في تحصيل رزقي ولا رزقكم وانا غني عنكم وعن مرافقكم ان الله
هو الرزاق ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندي فما هو الا
انا وحدي ذو القوة المتين الشديد القوة وقرئ بالرفع صفة لذو وبالجر
صفة للقوة على تأويل الاقتدار والمعنى وصفه بالقوة والمتانة اي القادر
البليغ الاقتدار على كل شيء وقرئ الرازق وفي قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

اني انا الرزاق فان للذين كفروا ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم فلا يستعجلون
الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل اصله في السقاء يقتسمون الماء فيكون لهذا
ذنوب ولهذا ذنوب قال لنا ذنوب ولكم ذنوب فان ابيتم فلنا القليب وقال
قال عمرو بن شاس وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نداك ذنوب
الملك نعم واذنبه والمعنى فان للذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من اهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب اصحابهم ونظرائهم من القرون
وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل اصحابهم فويل للذين كفروا من
يومهم الذي يوعدون من يوم القيمة وقيل من يوم بدر عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله تعالى
عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم والطور الجبل
الذي كلم الله تعالى موسى عليه السلم وهو بمدين وكتاب مسطور في رق
منشور الرق الصحيفة وقيل الجلد الذي يكتب فيه الاعمال قال الله تعالى ونخرج
له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو ما كتبه الله تعالى لموسى عليه السلم وهو يسمع
صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ونكره لانه كتاب مخصوص من بين
جنس الكتب لعوله ونفر وما سواها والبيت المعمور الضراح في السماء
وعمرانه كثرة غاشيته من الملئكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار و
المجاورين والسقف المرفوع والبحر المسجور المملو وقيل الموقد من قوله
واذا البحار سجرت وروي ان الله تعالى يجعل يوم القيمة البحار كلها نارا تسجر بها
نار جهنم وعن علي رضي الله عنه انه سأل يهوديا اين موضع النار في كتابكم قال
في البحر قال علي رضي الله عنه ما اراه الا صادقا لقوله تعالى والبحر المسجور ان عذاب
ربك لواقع لنازل قال جبير بن مطعم اتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

اكلمه في الاسارى فالفيته في صلوة الفجر يقرأ سورة والطور فلما بلغ ان عذاب
ربك لواقع اسلمت خوفا من ان ينزل العذاب ما له من دافع يوم تمور تضطرب
وتجيء وتذهب السماء مورا وقيل المور تحرك في تموج وهو التردد في عرض كالداغصة
في الركية وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون
غلب الخوض في الاندفاع في الباطل والكذب ومنه قوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين
وخضتم كالذي خاضوا يوم يدعون الى نار جهنم دعا الدع الدفع العنيف وذلك ان
خزنة النار يغلون ايديهم الى اعناقهم دفعا على وجوههم وزجا في اقفيتهم وقرأ زيد
بن علي رضي الله عنهما يدعون من الدعاء اي يقال لهم هلموا الى النار وادخلوا النار دعا مدعوعين
فقال لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون افسحر هذا يعني كنتم تقولون للوحي
سحر افسحر هذا يريد اهذا المصداق ايضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى ام انتم لا تبصرون
كما كنتم لا تبصرون في الدنيا يعني ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع
وتهكم اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سواء مبتدأ خبره محذوف اي سواء
عليكم الامران الصبر وعدمه
لم علل استواء الصبر وعدمه
انما تجزون ما كنتم تعملون لان الصبر انما يكون له مزية على الجزع لنفعه في
العاقبة بان يجازى عليه الصابر جزاء الخير فاما الصبر على العذاب الذي هو الجزاء ولا
عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع ان المتقين في جنات ونعيم في اية جنات
واي نعيم بمعنى الكمال في الصفة او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم ودري
فاكهين وقرئ فكهين وفاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا
جعل الظرف لغوا اي متلذذين بما اتاهم ربهم
ووقيهم ربهم علام عطف ووقيهم
على قوله في جنات او على اتاهم ربهم على ان تجعل ما مصدرية
والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز ان يكون الواو للحال وقد
بعدها مضمرة يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا
هنيئا وهو الذي لا تنغيص فيه ويجوز ان يكون مثله في قوله هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا
اعني صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحل كما يرتفع
بالفعل كانه قال هنأ عزة المستحل من اعراضنا وكذلك معنى هنيئا ههنا هنأكم الاكل و

والشرب او هنا كم بما كنتم تعملون اي جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما في
كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب متكئين على
سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين قرى بعيس عين والذين آمنوا معطوف
على حور عين اي قرناهم بالحور وبالذين آمنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم كقوله اخوانا على
سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة اخوان المؤمنين واتبعناهم ذرياتهم
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا
دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فيجمع الله لهم انواع السرور بسعادتهم في انفسهم
وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم ثم قال بايمان
الحقنا بهم ذرياتهم اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء الحقنا بدرجتهم
ذرياتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا عليهم وعلى ابائهم لنتم سرورهم ونكمل نعيمهم
ما معنى تنكير الايمان معناه الدلالة على انه ايمان خاص عظيم المنزلة
ويجوز ان يراد ايمان الذرية الداني المحل كانه قال بشيء من الايمان لا يؤهلهم لدرجة
الآباء الحقناهم بهم وقرى واتبعتهم ذريتهم وذرياتهم وذرياتهم بكسر الذال
آخر وهو ان يكون والذين مبتدا وخبره بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض
وما التناهم وما نقصناهم يعني وفرنا عليهم جميع ما ذكرناه من الثواب والتفضل وما نقصنا
من ثوابهم من عملهم من شيء وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيئا نعطيه الابناء حتى
يلحقوا بهم انما الحقناهم بهم على سبيل التفضل وقرى التناهم وهو من الت يالت
الا يليت كاما ت يميت والتناهم من آلت يولت كامن يومن ولتناهم من لات يليت
ولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد كل امرئ بما كسب رهين اي مرهون كان
نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين
فان عمل صالحا فكها وخلصها والا اوبقها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون
وزدناهم في وقت دون وقت يتنازعون فيها يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم
من اقربائهم واخوانهم كاسا خمرا لا لغو فيها في شربها ولا تاثيم اي لا يتكلمون في
اثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين في الدنيا على الشرب
في سفههم وعربدتهم ولا يفعلون ما يؤثم به اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف

من الكذب والشتم والفواحش وانما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين
بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء وقرى لا لغو فيها ولا تاثيم
ويطوف عليهم غلمان لهم اي مملوكون لهم مخصوصون بهم كانهم لؤلؤ مكنون
في الصدف لانه رطبا احسن واصفى او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي
القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر
الكواكب وعنه عليه الصلوة والسلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من
خدامه فيجيبه الف ببابه لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
يتحادثون يسال بعضهم بعضا عن احواله واعماله وما استوجب به نيل ما عند الله
قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين ارقاء القلوب من خشية الله فمن الله
علينا ووقانا وقرى ووقانا بالتشديد عذاب السموم عذاب النار ووهجها و
لفحها والسموم الريح الحارة التي تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه
الصفة انا كنا من قبل من قبل لقاء الله والمصير اليه يعنون في الدنيا ندعوه
نعبده ونساله الوقاية انه هو البر المحسن الرحيم العظيم الرحمة الذي
اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرى انه بالفتح بمعنى لانه فذكر فاثبت على
تذكير الناس وموعظتهم فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ولا تبال
بقولهم كاهن او مجنون ولا يبال به فانه قول باطل متناقض لان الكاهن يحتاج في
كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما انت بحمد الله وانعامه عليك
بالنبوة ورجاحة العقل احد هذين ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون
وقرى يتربص به ريب المنون على البناء للمفعول وريب المنون ما يقلق النفوس
ويشخص بها من حوادث الدهر قال ام من المنون وريبه تتوجع وقيل المنون
الموت وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت
شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة
قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص هلاككم كما تتربصون هلاكي
ام تامرهم احلامهم عقولهم والبابهم ومنه قولهم احلام عاد والمعنى

المخدوم ٥

عقله ٥

كي

اتأمرهم احلامهم بهذا التناقض في القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم
مجنون وكانت قريش يدعون اهل الاحلام والنهى ام هم قوم طاغون مجاوزون
الحد في العناد مع ظهور الحق لهم ماسبق كونه الاحلام امر
هو مجاز لادائها الى ذلك لقوله اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا وقرئ
بل هم ام يقولون تقوله اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم
يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وانه ليس بمتقول لعجز العرب عنه
وما محمد الا واحد من العرب فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين في
بحديث مثله على الاضافة والضمير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعناه
ان مثل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في فصاحته لعدم تمرنه في العرب فان قدر
صلى الله عليه وآله وسلم على نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك
المثل ام خلقوا ام احدثوا وقدروا التقدير الذي عليه فطرتهم من غير شيء
من غير مقدر ام هم الخالقون الذين خلقوا انفسهم حيث لا يعبدون الخالق
بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله
شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل خلقوا من اجل لا شيء من جزاء ولا حساب
وقيل اخلقوا من غير اب وام ام عندهم خزائن ربك الرزق والنبوة حتى يخصوا
من شاؤوا او اعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختاره حكمته وعلمه
ام هم المسيطرون الاربات الغالبون حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور
على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد ام لهم سلم منصوب الى السماء
يستمعون فيه صاعدين الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى
يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم في العاقبة دونه كما
يزعمون فليأت مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه
ام له البنات ولكم البنون ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون
ان يلتزم الايمان بما ليس عليه اي الزمهم مغرم فثقل عليهم فزهدهم ذلك في
اتباعك ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا
الابعث وان بعثنا لم نعذب ام يريدون كيدا وهو كيدهم في دار الندوة

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالمؤمنين فالذين كفروا
اشارة اليهم او اريد بهم كل من كفر بالله هم المكيدون هم الذين يعود
عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك انهم قتلوا يوم بدر او المغلوبون
في الكيد من كايدته فكدته ام لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون
عن اشراكهم وان يروا كسفا من السماء ساقطا الكسف القطعة وهو جواب قولهم
او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يعني انهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو اسقطناه
عليهم يقولوا لعنادهم سحاب مركوم تراكم بعضه فوق بعض ولم يصدقوا انه كسف
ساقط للعذاب فذرهم حتى يلاقوا وقرئ حتى يلقوا ويلقوا يومهم الذي
فيه يصعقون يموتون وقرئ يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة
الاولى نفخة الصعق يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون وان
للذين ظلموا لهؤلاء الظلمة عذابا دون ذلك دون يوم القيامة وهو القتل
ببدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر وفي مصحف عبد الله دون ذلك قريبا ولكن
اكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك بامهالهم وبما يلحقك
فيه من المشقة والكلفة فانك باعيننا مثل اي بحيث نراك ونكلأك وجمع
العين لان الضمير بلفظ ضمير الجماعة الا ترى الى قوله ولتصنع على عيني وقرئ باعينا
بالادغام وسبح بحمد ربك حين تقوم من اي مكان قمت وقيل من منامك
ومن الليل فسبحه وادبار النجوم واذا ادبرت النجوم من آخر الليل وقرئ
وادبار بالفتح بمعنى اعقاب النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الامر بقول
سبحان الله وبحمده في هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلوة اذا قام من نومه
ومن الليل صلوة العشائين وادبار النجوم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من قرأ سورة الطور كان حقا على الله تعالى ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته

صلوة الفجر

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم الثريا وهو اسم
غالب لها قال اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي كساء او جنس النجوم قال
فباتت تعد النجم في مستحيرة اذا هوى اذا غرب او انتثر يوم القيمة او النجم الذي
يرجم به اذا هوى اذا انقض او النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما في عشرين سنة
اذا هوى اذا سقط على الارض وعن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي لهب وكان تحته
بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا
فلأوذينه فاتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل
في وجهه ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان حاضرا فوجم لها فقال ما كان اغناك يا ابن
اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى ابيه فاخبره ثم خرجوا فنزلوا منزلا فاشرف
عليهم راهب من الدير وقال لهم ان هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه
اغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف على ابني دعوة محمد صلى الله عليه وآله
فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى
ضرب عتبة فقتله وقال حسان من يرجع العام الى اهله فما اكيل السبع بالراجع
ما ضل صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وآله وسلم والخطاب لقريش وهو
جواب القسم والضلال نقيض الهدى وما غوى الغي نقيض الرشد اي هو مهتد راشد
وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغي وما اتاكم به من القرآن
ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه انما هو وحي من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه
الآية من لا يرى الاجتهاد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ويجاب بان الله تعالى
اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى
علمه شديد القوى ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة
الى فاعلها وهو جبريل عليه السلم ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء
الاسود وحملها على جناحه ورفعها ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين
وكان هبوطه الى الانبياء وصعوده في اوحى من رجعة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى عليه السلم
على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فالقاه باقصى جبل بالهند

ذو مرة ذو حصافة في عقله ورأيه ومتانة في دينه فاستوى فاستقام على صورة
نفسه الحقيقية دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي وكان ينزل
في صورة دحية وهو بالافق الاعلى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم احب ان يراه في صورته التي جبل عليها فاستوى له في الافق الاعلى
وهو افق الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه احد من الانبياء في صورته الحقيقية
غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم مرتين مرة في الارض ومرة في الافق ثم دنا
من رسول الله صلى الله عليه وآله فتدلى فتعلق عليه في الهواء ومنه تدلت الثمرة و
دلى رجليه من السرير والدوالي الثمر المعلق وقال تدلى علينا بين سب وخيطة
ويقال هو مثل القرلي ان رأى خيرا تدلى وان لم يره تولى فكان قاب قوسين
او ادنى اي على تقديركم كقوله او يزيدون فاوحى الى عبده الى عبد الله وان
لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لانه لا يلبس كقوله على ظهرها ما اوحى تفخيم للوحي
الذي اوحي اليه قيل اوحي اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم
حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد ما رأى فؤاد محمد ما رآه ببصره من صورة جبريل
عليه السلم اي ما قال فؤاده لما رآه لم اعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه
يعني انه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك في ان ما رآه حق وقرئ ما كذب
اي صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته افتمارونه من المراء وهو الملاحاة
والمجادلة واشتقاقه من مري الناقة كان كل واحد من المتجادلين يمري ما عند
صاحبه وقرئ افتمرونه افتغلبونه في المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى
الغلبة عدي بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه وانشدوا
لئن هجوت اخا صدق ومكرمة لقد مريت اخا ما كان يمريكا وقالوا يقال مريته حقه
اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين ولقد رآه نزلة اخرى
مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذي هو مرة لان الفعلة اسم
للمرة من الفعل فكانت في حكمها اي نزل عليه جبريل عليه السلم نزلة اخرى في صورة نفسه
فرآه عليها وذلك ليلة المعراج عند سدرة المنتهى هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال

ابو طالب صح

وما ينطق عن الهوى

على ما يرى

عند سدرة المنتهى

هجر من ورقها كآذان الفيول يسير من اصلها الانهار التي ذكرها الله في كتابه يسير
الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء او الانتهاء
كانها في منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها احد واليها ينتهي علم الملائكة وغيرهم
ولم يدر احد ما وراءها وقيل ينتهي اليها ارواح الشهداء **عندها جنة المأوى**
الجنة التي يصير اليها المتقون عن الحسن وقيل يأوي اليها ارواح الشهداء و
قرأ علي وابن الزبير وجماعة جنه المأوى اي ستره بظلاله ودخل فيه عن عائشة
رضي الله عنها انها انكرته وقالت من قرأ به فأجنه الله تعالى **اذ يغشى السدرة ما**
يغشى تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة ان ما يغشاها من الخلائق
الدالة على عظمة الله تعالى وجلاله اشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف
وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها وعن ابن مسعود
وغيره يغشاها فراش من ذهب **ما زاغ البصر** بصر رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم **وما طغى** اي اثبت ما رآه اثباتا مستيقنا صحيحا من غير ان يزيغ بصره
عنه او يتجاوزه او ما عدل عن رؤية العجائب التي امر برؤيتها ومكن منها
وما طغى وما جاوزها امر برؤيته **لقد رأى** والله لقد رأى **من آيات ربه الكبرى**
الآيات التي هي كبراها وعظماها يعني حين رقي به الى السماء فأري عجائب الملكوت
أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى اصنام كانت لهم وهي
مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش
فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة او يلتوون عليها
يطوفون وقرئ اللاتّ بالتشديد وزعموا انه سمي برجل كان يلت عنده السمن
بالزيت ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا
يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى كانت لغطفان وهي سمرة واصلها تأنيث
الاعز فبعث اليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها
شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فجعل يضربها
بالسيف وهو يقول يا عز كفرانك لا سبحانك اني رأيت الله قد اهانك ورجع
فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا

ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة كانوا يستمطرون الانواء عندها تبركا بها **والاخرى**
ذم وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله وقالت اخراهم لاولاهم اي وضعاؤهم
لرؤسائهم واشرافهم ويجوز ان يكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى
كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله تعالى وكانوا يعبدونهم
ويزعمون انهم شفعاؤهم عند الله مع وأدهم البنات فقيل لهم **ألكم الذكر**
وله الانثى ويجوز ان يراد ان اللات والعزى ومناة اناث وقد جعلتموهن لله
شركاء ومن شأنكم ان تحتقروا الاناث وتستنكفوا من ان يولدن لكم وينسبن
اليكم فكيف تجعلون هؤلاء الاناث اندادا لله وتسمونهن آلهة **تلك اذا**
قسمة ضيزى جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه والاصل ضوزى ففعل بها
ما فعل ببيض لتسلم الياء وقرئ ضئزى من ضأزه بالهمز وضيزى بفتح الضاد
ان هي ضمير الاصنام اي ما هي **الا اسماء سميتموها** ليس تحتها في الحقيقة مسميات
لانكم تدعون الالهية لما هو ابعد شيء منها واشده منافاة لها ونحوه قوله تعالى ما
تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها او ضمير الاسماء وهي قولهم اللات والعزى
ومناة وهم يقصدون بها اسماء الآلهة يعني ما هذه الاسماء الا اسماء سميتموها
بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى
سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد **ان يتبعون** وقرئ بالتاء
الا الظن الا توهم ان ما هم عليه حق وما تشتهيه انفسهم ويتركون ما جاءهم
من الهدى والدليل على ان دينهم باطل **أم للانسان ما تمنى** هي ام المنقطعة ومعنى
الهمزة فيها الانكار اي ليس للانسان ما تمنى والمراد طمعهم في شفاعة الآلهة
وهو تمن على الله في غاية البعد وقيل هو قولهم ولئن رجعت الى ربي ان لي
عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لاوتين مالا وولدا وقيل هو
تمني بعضهم ان يكون هو النبي **فلله الآخرة والاولى** اي هو مالكهما فهو
يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد ان يتحكم عليه في شيء منهما
وكم من ملك في السموات لا تغني يعني ان امر الشفاعة ضيق وذلك
ان الملائكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا

أنتم وآباؤكم
ما انزل الله بها من سلطان
ولقد جاءهم من ربهم الهدى

باجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيئا قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد
ان ياذن الله لهم في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضى ويرضاه
ويراه اهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام لعبدتهم ان الذين لا
يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى لانهم قالوا الملائكة
بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهي تسمية الانثى وما لهم به
من علم اي بذلك وبما يقولون وفي قراءة ابي بها اي بالملائكة او بالتسمية
ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا انما يدرك
الحق الذي هو حقيقة الشيء وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم
فاعرض عن من تولى عن ذكرنا عمن رايته معرضا عن ذكر الله وعن الآخرة
ولم يرد الا الحيوة الدنيا ولا يتهالك على اسلامه ثم قال ذلك مبلغهم
من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى
اي انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وانت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتعبها فانك
لا تهدي من احببت وما عليك الا البلاغ وقوله ذلك مبلغهم من العلم اعتراض
او فاعرض عنه ولا تقابله ان ربك هو اعلم بالضال والمهتدي وهو مجازيهما بما يستحقان
ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين اساءوا بما عملوا ويجزي الذين
احسنوا بالحسنى وقرئ لنجزي ونجزي بالياء والنون فيهما ومعناه ان الله عز وجل
انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت لهذا الغرض وهو ان يجازي المحسن من المكلفين والمسيء منهم
ويجوز ان يتعلق بقوله هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى لان نتيجة
العلم بالضال والمهتدي جزاؤهما بما عملوا بعقاب ما عملوا من السوء وبالحسنى بالمثوبة
الحسنى وهي الجنة او بسبب ما عملوا وبسبب الاعمال الحسنى الذين يجتنبون كبائر
الاثم الكبائر من الاثم لان الكبائر جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب
التي لا يسقط عقابها الا بالتوبة وقيل التي يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها
والفواحش ما فحش من الكبائر كانه قال والفواحش منها خاصة وقرئ كبير الاثم
اي النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله الا اللمم واللمم ما قل وصغر ومنه
اللمم المس من الجنون واللوثة منه والم بالمكان اذا قل فيه لبثه والم بالطعام

قل منه اكله ومنه لقاء اخلاء الصفاء لمام والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله
الا اللمم من ان يكون استثناء منقطعا او صفة كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله
كانه قيل كبائر الاثم غير اللمم وآلهة غير الله عن ابي سعيد الخدري اللمم هي النظرة
والغمزة والقبلة وعن السدي الخطرة من الذنب وعن السدي كل ذنب لم يذكر الله
عليه حدا ولا عقابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين ان ربك واسع المغفرة
حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة هو اعلم بكم اذ انشاكم
من الارض واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فلا تزكوا انفسكم فلا تنسبوها
الى زكاء العمل وزيادة الخير والطاعات او الى الزكاء والطهارة من المعاصي
ولا تثنوا عليها واهضموها هو اعلم بمن اتقى فقد علم الله الزكي منكم والتقي اولا
وآخرا قبل ان يخرجكم من صلب آدم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم وقيل كان ناس
يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلوتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل
الاعجاب والرياء واما من اعتقد ان ما عمله من العمل الصالح من الله تعالى وبتوفيقه
وتاييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين انفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة
وذكرها شكر افرايت الذي تولى واعطى قليلا واكدى قطع عطيته وامسك
واصله اكداء الحافر وهي ان تلقاه كدية وهي صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر
اجبل الحافر ثم استعير فقيل اجبل الشاعر اذا افحم وروي ان عثمان رضي الله عنه كان يعطي ماله
في الخير فقال له عبد الله بن سعد بن ابي السرح وهو اخوه من الرضاعة يوشك
ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع رضاء الله
وارجو عفوه فقال عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل ذنوبك كلها فاعطاه
واشهد عليه وامسك عن العطاء فنزلت ومعنى تولى ترك المركز يوم احد فعاد
عثمان رضي الله عنه الى احسن من ذلك واجمل اعنده علم الغيب فهو يرى فهو يعلم ان
ما قال له اخوه من احتمال اوزاره حق ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم
الذي وفى قرئ وفى مخففا ومشددا والتشديد مبالغة في الوفاء او بمعنى وفر
واتم كقوله فاتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة
واستقلاله باعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمرود وقيامه باضيافه

اي كل واحد منهم

كم

وخدمته اياهم بنفسه وانه كان يخرج كل يوم فيمشي فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه
اكرمه والا نوى الصوم وعن الحسن ما امره الله تعالى بشيء الا وفى به وعن الهذيل بن
شرحبيل كان بين نوح وابرهيم عليهما الصلوة والسلم يوخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل الرجل
بابيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامراته والعبد بسيده فاول من خالفهم ابرهيم
وعن عطاء بن السائب عهد ابرهيم عليه السلم ان لا يسال مخلوقا فلما قذف في النار
قال له جبرئيل وميكائيل عليهما السلم الك حاجة فقال اما اليكما فلا وعن النبي صلى
الله عليه واله وسلم وفى عمله في كل يوم باربع ركعات في صدر النهار وهي صلوة
الضحى وروي الا اخبركم لم سمى الله خليله الذي وفى كان يقول اذا اصبح وامسى
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وحين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهي ثلثون
اية عشرة في سورة التوبة التائبون وعشرة في الاحزاب ان المسلمين وعشرة في
قد افلح المومنون وقرئ في صحف بالتخفيف **ان لا تزر وازرة وزر اخرى**
ان مخففة من الثقيلة والمعنى انه لا تزر والضمير ضمير الشان ومحل ان وما بعدها الجر
بدلا مما في صحف موسى او الرفع على هو ان لا تزر كان قائلا قال وما في صحف موسى
وابرهيم قال الا تزر **وان ليس للانسان الا ما سعى** الا سعيه اما صح
في الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله الاضعاف فيه جوابان احدهما
ان سعي غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعي نفسه وهو ان يكون مومنا صالحا
وكذلك الاضعاف كان سعي غيره كانه سعي نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه
والثاني ان سعي غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع
كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه **وان سعيه سوف يرى ثم يجزيه**
يجزي العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال
الفعل ويجوز ان يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله **الجزاء الاوفى** او ابدله
عنه كقوله واسروا النجوى الذين ظلموا **وان الى ربك المنتهى** قرئ بالفتح
على معنى ان هذا كله في الصحف وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى
مصدر بمعنى الانتهاء اي ينتهي اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله والى الله المصير **وانه
هو اضحك وابكى** خلق قوتي الضحك والبكاء **وانه هو امات واحيى وانه**

خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى اذا تدفق في الرحم يقال
منى وامنى وعن الاخفش تخلق من منى المانى اي قدر المقدر **وان عليه النشاة
الاخرى** وقرئ النشاءة بالمد وقال عليه لانها واجبة عليه في الحكمة ليجازي
على الاحسان والاساءة **وانه هو اغنى واقنى** واعطى القنية وهي المال الذي تاثلته
وعزمت ان لا تخرجه من يدك **وانه هو رب الشعرى** مرزم الجوزاء وهي التي
تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور واراد العبور وكانت
خزاعة تعبدها سن لهم ذلك ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول
لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم ابن ابي كبشة تشبيها له به لمخالفته اياهم في دينهم يريد
انه رب معبودهم هذا **وانه اهلك عادا الاولى** قوم هود وعاد الاخرى ارم
وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد قوم نوح او المتقدمون في الدنيا
الاشراف وقرئ عادا لولى وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وطرح همزة اولى
ونقل ضمتها الى لام التعريف **وثمود فما ابقى** وقرئ وثمودا **وقوم نوح من
قبل انهم كانوا هم اظلم واطغى** لانهم كانوا يوذونه ويضربونه حتى
لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا
منه وما اثر فيهم دعاؤه قريبا من الف سنة **والموتفكة** والقرى التي ائتفكت
باهلها اي انقلبت وهم قوم لوط يقال افكه فائتفك وقرئ والموتفكات **اهوى**
رفعها الى السماء على جناح جبرئيل ثم اهواها الى الارض اي اسقطها **فغشيها
ما غشى** تهويل وتعظيم لما صب عليهم من العذاب وامطر عليها من الصخر المنضود
فباي الاء ربك تتمارى اي تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه واله
وسلم او للانسان على الاطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها الاء من قبل
ما في نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين **هذا** القران **نذير من النذر الاولى**
اي انذار من جنس الانذارات الاولى التي انذر من قبلكم او هذا الرسول منذر
من المنذرين الاولين وقال الاولى على تاويل الجماعة **ازفت الازفة** قربت الموصوفة
بالقرب في قوله اقتربت الساعة **ليس لها من دون الله كاشفة** اي
مبينة متى تقوم كقوله لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها نفس كاشفة اي قادرة

على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها او ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية وعن طلحة ليس لها مما تدعون من دون الله كاشفة وهي على الظالمين ساءت الغاشية **أفمن هذا الحديث** أي القرآن **تعجبون** انكارا **وتضحكون** استهزاء **ولا تبكون** والبكاء والخشوع حق عليكم روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه لم ير ضاحكا بعد نزولها وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو **وانتم سامدون** شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون وقال بعضهم لجارية اسمدي لنا اي غني لنا **فاسجدوا لله واعبدوا** ولا تعبدوا الآلهة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة والنجم اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وجحد به

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر انشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعجزاته النيرة عن انس ان الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتي القمر وعن بعض الناس ان معناه ينشق يوم القيامة **وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** يرده ويأباه ... وقد انشق القمر اي اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها ان القمر قد انشق كما تقول اقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه وعن حذيفة انه خطب بالمدائن ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم مستمر دائم مطرد وكل شيء قد انقادت حاله قيل فيه قد استمر لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات سحر مستمر وقيل مستمر قوي محكم من قولهم استمر مريره وقيل هو من استمر الشيء اذا اشتدت مرارته اي مستبشع عندنا مر على لهواتنا لا نقدر ان نسيغه كما لا يساغ

المر المفقود وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وقرئ وان يروا **وكذبوا واتبعوا اهواءهم** وما زين لهم الشيطان من رد الحق بعد ظهوره **وكل امر مستقر** اي كل امر لا بد ان يصير الى غاية يستقر عليها وان امر محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى غاية يتبين عندها انه حق او باطل وسيظهر لهم عاقبته او وكل امر من امرهم وامره مستقر اي سيثبت ويستقر على حالة خذلان او نصرة في الدنيا وشقاوة او سعادة في الآخرة وقرئ بفتح القاف كل امر مستقر اي ذو استقرار او ذو موضع استقرار او زمان استقرار وعن ابي جعفر مستقر بكسر القاف والجر عطفا على الساعة اي اقتربت الساعة واقترب كل امر مستقر يستقر ويتبين حاله **ولقد جاءهم من الانباء** من القرآن المودع انباء القرون الخالية او انباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار **ما فيه مزدجر** ازدجار او موضع ازدجار والمعنى انه في نفسه موضع الازدجار ومظنة له كقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اي هو اسوة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغام الزاي فيها **حكمة بالغة** بدل من ما او خبر لمحذوف وقرئ بالنصب حالا من ما ان كانت ما موصولة يسوغ لك ان تنصب حكمة فكيف بحال الله كانت موصوفة وهو الظاهر ... تخصيصها بالصفة فيحسن نصب الحال منها **فما تغن النذر** نفي او انكار او ما منصوبة اي فاي غنى تغني النذر **فتول عنهم** لعلمك ان الانذار لا يغني فيهم **يوم يدع الداع** نصب بيخرجون او باضمار اذكر وقرئ باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها والداعي اسرافيل او جبرئيل كقوله يوم ينادي المنادي **الى شيء نكر** فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد مثله وهو هول يوم القيمة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى انكر **خشعا ابصارهم** حال من الخارجين فعل للابصار وذكر كما يقول يخشع ابصارهم وقرئ خاشعة على يخشع ابصارهم وخشعا على يخشعن ابصارهم وهي لغة من يقول اكلوني البراغيث وهم طي ويجوز ان يكون في خشعا ضميرهم ويقع ابصارهم بدلا عنه وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله وجدته حاضراه الجود والكرم وخشوع الابصار كناية عن الذلة والانخزال لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما وقرئ

يخرجون من الاجداث من القبور كأنهم جراد منتشر الجراد مثل في الكثرة
والتموج يقال في الجيش الكثير المائج بعضه في بعض جاؤوا كالجراد والدبا منتشر
في كل مكان لكثرته مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر
مادي اعناقهم اليه وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بابصارهم قال
وعن ابن سعد ... مطيع ومهطع كذبت قبلهم قبل اهل مكة قوم نوح فكذبوا
عبدنا يعني نوحا وما معنى قوله فكذبوا بعد قوله فكذبت
كذبوا فكذبوا تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن
مكذب او كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل
جاحدين للنبوة رأسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل وقالوا مجنون هو مجنون
وازدجر وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم في قولهم لتكونن من المرجومين
وقيل هو من جملة قيلهم اي قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت
بلبه وطارت بقلبه فدعا ربه اني مغلوب قرئ اني بفتح ... بمعنى باني مغلوب واني
على ارادة القول ودعى فقال اني مغلوب غلبني قومي فلم يسمعوا مني واحكم
الياس اجابتهم فانتصر فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك
بعدما طم عليه الامر وبلغ السيل الزبى فقد روي ان الواحد من امته كان يلقاه
فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون
ففتحنا ابواب السماء مخففا ومشددا وكذلك وفجرنا بماء منهمر منصب في
كثرة وتتابع لم ينقطع لم يتبين بينها وفجرنا الارض عيونا وجعلنا الارض كلها
كأنها عيون تتفجر وهو ابلغ من قولك وفجرنا عيون الارض ونظيره في النظم
واشتعل الرأس شيبا فالتقى الماء يعني مياه السماء والارض وقرئ الماءان اي
النوعان من الماء السماوي والارضي ونحوه قولك عندي تمران تريد ...
برني ومعقلي قال لنا ابلان بينهما ما علمت وقرأ الحسن الماوان بقلب الهمزة واوا
... على امر قد قدر على حال قدرها الله كيف شاء وقيل على حال
جاءت مقدرة مستوية وهي ان قدر ما انزل من السماء كقدر ما اخرج من الارض
سواء بسواء وقيل على امر قد قدر في اللوح انه يكون وهو هلاك قوم نوح

بالطوفان وحملناه على ذات الواح ودسر اراد السفينة وهي من الصفات
التي تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدي مؤداها بحيث لا يفصل
بينها وبينه ونحوه ولكن قميصي مسرودة من حديد اراد ولكن قميصي درع
ولو في عيون النازيات باكرع اراد ولو في عيون الجراد الا ترى انك لو جمعت
بين السفينة وبين هذه الصفات وبين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح
وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من
دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه تجري باعيننا بمرأى منا جزاء مفعول له
لما تقدم من ابواب السماء وما بعده اي فعلنا ذلك جزاء لمن كان كفر
وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبي رحمة من الله ونعمة قال
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن
هذا المعنى ما يحكى ان رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال ما معنى هذا الكلام
فقال انت نعمة حمدت الله عليها ويجوز ان يكون على تقدير حذف الجار وايصال
الفعل وقرأ قتادة كفر اي جزاء للكافرين وعن الحسن جزاء اي مجازاة الصبر
في ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة اي جعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة
ابقاها بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا حتى نظر اليها اوائل هذه
الامة فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر والنذر جمع نذير وهو
الانذار ولقد يسرنا القرآن للذكر سهلناه للادكار والاتعاظ بان
شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعيد فهل من مدكر متعظ
ولقد سهلناه للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه
ويجوز ان يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسر ناقته للسفر اذا رحلها ويسره
للفرس اذا اسرجه والجمه قال وقمت اليه باللجام ميسرا هنالك يجزيني الذي
ويروى ان كتب اهل الاديان نحو التوراة والانجيل لا يتلوها اهلها الا نظرا
ولا يحفظونها ظاهرا كما يحفظ القرآن كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر
وانذاري لهم بالعقاب قبل نزوله او لمن بعدهم في تعذيبهم انا ارسلنا
عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر في يوم شؤم في يوم نحس كقوله في ايام

نحسات فقد استمر عليهم ودام حتى اهلكهم واستمر عليهم جميعا على كبيرهم وصغيرهم
حتى لم يبق منهم نسمة وكان في اربعاء آخر الشهر لا تدور وقد يجوز ان يريد المستمر الشديد
المرارة والبشاعة تنزع الناس تقلعهم عن اماكنهم وكانوا يصطفون آخذين بعضهم
بايدي بعض ويتدخلون في الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم
على وجوههم كأنهم أعجاز نخل منقعر يعني انهم كانوا يتساقطون على الارض
امواتا وهم جثث طوال عظام كأنهم اعجاز نخل وهي اصولها بلا فروع منقلع
عن مغارسه وقيل شبهوا باعجاز لان الريح كانت تقطع رؤوسهم فيبقى اجساد
بلا رؤوس وذكر صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لانث كما قال اعجاز نخل خاوية
فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر
كذبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحدا نصب بفعل يفسره نتبعه وقرئ
أبشر منا واحد على الابتداء ونتبعه خبره والاول اوجه للاستفهام كأنه يقول
ان لم تتبعوني كنتم في ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا
ان اتبعناك انا اذا لفي ضلال وسعر كما تقول وقيل الضلال الخطأ
والبعد عن الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال كأن بها سعرا اذا العيس هزها
ذميل وارخاء من السير متعب كيف انكروا ان يتبعوا احدا منهم وا
أبشرا انكار لان يتبعوا امثالهم في الجنسية وطلبوا ان يكون من
جنس اشرف وهم الملائكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة
اقوى وقالوا واحدا انكارا لان يتبع الامة رجلا واحدا او ارادوا واحدا من افنائهم
ليس باشرفهم وافضلهم ويدل عليه قولهم أألقي الذكر عليه من بيننا
اي أأنزل عليه الوحي من بيننا من هو اشرف منه واحق بالاختيار للنبوة
بل هو كذاب أشر بطر متكبر حمله بطره وبطالته وطلبه التعظم علينا
على ادعاء ذلك سيعلمون غدا عند نزول العذاب بهم او يوم القيامة من
الكذاب الأشر أصالح أم من كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية ما
قال لهم صالح مجيبا لهم او هو كلام الله على سبيل الالتفات وقرئ الاشر
بضم الشين كقولهم حذث وحدث وحذر وحذر واخوات لها وقرئ الأشر

وهو الابلغ في الشرارة والاخير والاشر هو اصل قولهم هو خير منه وشر
منه وهو اصل مرفوض وقد حكى ابن الانباري قول العرب هو اخير واشر وما اخيره
وما اشره إنا مرسلوا الناقة باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا
فتنة لهم امتحانا لهم وابتلاء فارتقبهم فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون واصطبر على
اذاهم ولا تعجل حتى يأتيك امري ونبئهم أن الماء قسمة بينهم مقسوم
بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وانما قال بينهم تغليبا للعقلاء كل
شرب محتضر يحضره لهم او للناقة وقيل يحضرهم الماء في نوبتهم واللبن في
نوبتها فنادوا صاحبهم قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فاجترأ على تعاطي الامر العظيم
غير مكترث له فاحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها او فتعاطى
السيف إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة صيحة جبرئيل عليه السلام فكانوا
كهشيم المحتظر الهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر والمحتظر الذي يعمل الحظيرة
وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطأه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرئ
المحتظر بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار اي الحظيرة ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر
إنا أرسلنا عليهم حاصبا ريحا تحصبهم بالحجارة اي ترميهم إلا آل
لوط نجيناهم بسحر بقطع من الليل وهو السدس الاخير وقيل هما سحران فالسحر الاعلى
قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه [illegible] وصرف
لانه نكرة ويقال لقيته سحر اذا لقيته في سحر يومه نعمة انعاما مختصا له من عندنا
كذلك نجزي من شكر نعمة الله بايمانه وطاعته ولقد أنذرهم لوط بطشتنا
اخذتنا بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه
فطمسنا أعينهم فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روي انهم لما دخلوا باب
لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك
فصفقهم جبرئيل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب
حتى اخرجهم لوط عليه السلام فذوقوا عذابي ونذر فقلت لهم ذوقوا على ألسنة
الملائكة ولقد صبحهم بكرة اول النهار وباكرة لقوله مصبحين مشرقين عذاب

وقرأ زيد بن علي بكرة غير مصروف يقول اتيته بكرة وغدوة بالتنوين اذا اردت
التنكير وبكرة وغدوة اذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته عذاب مستقر
ثابت قد استقر عليهم الى ان يفضي بهم الى عذاب الآخرة
قوله فذوقوا عذابي ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من
مدكر فائدته ان يجددوا ان يجددوا استماع كل نباء من انباء الاولين
ادكارا واتعاظا وان يستانفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك و
الحث عليه وان يقرع لهم العصا مرات وتقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو
ولا تستولي الغفلة وهكذا حكم التكرير لقوله فباي آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة
عدها في سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية اوردها في سورة
والمرسلات وكذلك تكرير الانباء والقصص في انفسها ليكون تلك العبرة حاضرة
للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية في كل اوان ولقد جاء آل فرعون
النذر موسى وهارون وغيرهما من الانبياء لانهما عرضا عليهم ما انذر به المرسلون
او جمع نذير وهو الانذار كذبوا بآياتنا كلها بالآيات السبع فأخذناهم
اخذ عزيز مقتدر لا يغالب لا يعجزه شيء اكفاركم خير من اولئكم
الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون اي اهم خير قوة و
مكانة في الدنيا او اقل كفرا وعنادا يعني كفاركم مثل اولئك بل شر منهم ام لكم
ام انزلت عليكم يا اهل مكة براءة في الزبر في الكتب المتقدمة ان من كفر منكم و
الرسل كان آمنا من عذاب الله فانتم بتلك البراءة ام يقولون نحن جميع جماعة
امرنا مجتمع منتصر ممتنع لا نرام ولا نضام وعن ابي جهل انه ضرب فرسه يوم بدر
فتقدم في الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه
سيهزم الجمع عن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر رض اي جمع يهزم فلما راى النبي
صلى الله عليه وآله وسلم يثب في الدرع ويقول سيهزم الجمع عرفنا تأويلها ويولون
الدبر اي الادبار كما قالوا كلوا في بعض بطنكم وقرئ الادبار بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى واشد ما يفظع والداهية الامر المنكر الذي لا يهتدى لدوائه
وامر من الهزيمة والقتل والاسر وقرئ سيهزم الجمع ان المجرمين في ضلال

عليهم نسخه

يا اهل مكة نسخه

وسعر في هلاك ونيران او في ضلال عن الحق في الدنيا ونيران في الآخرة يوم
يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر كقولك وجد مس الحمى و
ذاق طعم الضرب لان النار اذا اصابتهم بحرها ولحقتهم بايلامها فكانها تمسهم
بذلك كما تمس الحيوان وما يباشر بما يؤذي ويولم وقوا على ارادة القول وسقر
علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها
بافنان مربوع الصريمة مقبل وعدم صرفها للتعريف والتانيث انا كل شيء
منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شيء بالرفع خلقناه بقدر
والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما اي خلقنا كل شيء مقدرا محكما مرتبا على
ما اقتضته الحكمة او مقدرا مكتوبا في اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله
وزمانه وما امرنا الا واحدة الا كلمة واحدة سريعة التكوين كلمح بالبصر
اراد قوله كن يعني اذا اردنا تكوين شيء لم يلبث كونه ولقد اهلكنا اشياعكم
اشباهكم في الكفر من الامم فهل من مدكر وكل شيء فعلوه في الزبر
في دواوين الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال ومن كل ما هو كائن
مستطر مسطور في اللوح المحفوظ ان المتقين في جنات ونهر وانهار
اكتفى باسم الجنس او قيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء و
نهر جمع نهر كاسد واسد في مقعد صدق في مكان مرضي عند مليك مقتدر
مقربين عند مليك مبهم امره في الملك والاقتدار ولا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته
فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

و وجهه نسخه

بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن عدد الله عز وجل
آلاءه فاراد ان يقدم اول كل شيء ما هو اسبق قدما من ضروب الآلاء واصناف
نعمائه وهي نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ما هو في اعلى مراتبها واقصى مراقيها

وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه اعظم وحي الله رتبة واعلاه منزلة واحسنه
في ابواب الدين اثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها **خلق**
الانسان واخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم اتبعه اياه ليعلم انما خلقه للدين
وليحيط علما بوحيه وكتبه وما خلق الانسان من اجله وكان الغرض في انشائه كان
مقدما عليه **علمه البيان** ثم ذكر ما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو المنطق
الفصيح المعرب عما في الضمير والرحمن مبتدا وهذه الافعال مع ضمائرها اخبار
مترادفة واخلاؤها عن العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد اغناك
بعد فقر اعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك ما لم يفعل احد باحد فما تنكر من احسانه
الشمس والقمر بحسبان بحساب معلوم وتقدير سوي يجريان في بروجهما ومنازلهما
وفي ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب **والنجم** النبات الذي ينجم
من الارض لا ساق له كالبقول **والشجر** الذي له ساق **يسجدان** وسجودهما
انقيادهما لله تعالى فيما خلقا له وانهما لا يمتنعان تشبيها بالساجدين من المكلفين
في انقياده فان قلت كيف اتصلت هاتان الجملتان بالاول استغني فيهما عن
الوصل اللفظي بالوصل المعنوي لما علم ان الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كانه
قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له كيف اخل بالعاطف في الجمل
الاول ثم جيء به بعد بكت بتلك الجمل على سبيل التعديد للكفر بالنعم والاز
والآلاء كما تبكت ايادي المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه في المثال الذي قدمته
ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت في وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف
اي تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف ان الشمس والقمر
سماويان والنجم والشجر ارضيان فبين القبيلتين تناسب من حيث التقابل وان السماء
والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جري الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد
لامر الله تعالى فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية وعن
ابن عباس الانسان آدم عليه السلام وعنه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعن مجاهد النجم
نجوم السماء **والسماء رفعها** خلقها مرفوعة سمو له حيث جعلها منشا احكامه
ومصدر قضاياه ومنزل اوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحي

على انبيائه عليهم السلام ونبه بذلك على كبرياء شانه وملكه وسلطانه **ووضع**
الميزان وفي قراءة عبد الله وخفض الميزان واراد به كل ما توزن به الاشياء وتعرف
مقاديرها من ميزان ومكيال ومقياس اي خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق
به احكام عبادة وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم
الا تطغوا في الميزان لان لا تطغوا او هي ان المفسرة وفي قراءة عبد الله لا
تطغوا بغير ان على ارادة القول **واقيموا الوزن بالقسط** وقوموا وزنكم بالعدل
ولا تخسروا الميزان ولا تنقصوه امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء
وزيادة وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا
للتوصية وتقوية للامر باستعماله والحث عليه وقرئ والسماء بالرفع ولا تخسروا
بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره واما الفتح
فعلى ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار واوصل الفعل **والارض وضعها** خفضها مدحوة
على الماء **للانام** للخلق وهو كل ما على الظهر من دابة وعن الحسن الانس والجن فهي
كالمهاد لهم يتصرفون فوقها **فيها فاكهة** ضروب مما يتفكه به **والنخل ذات الاكمام**
كل ما يكم اي يغطي من ليفه وسعفه وكفراه وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من
ثمره وجماره وجذوعه وقيل الاكمام اوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف
والحب ذو العصف ورق الزرع وقيل التبن **والريحان** الرزق وهو اللب اراد فيها ما
يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما يتغذى به
وهو الحب وقرئ والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف والريحان الذي هو علف
الانعام والريحان الذي هو مطعم الناس بالضم على وذو الريحان فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذي يشم وفي مصاحف اهل
الشام والحب ذا العصف والريحان اي وخلق الحب والريحان او واخص الحب
والريحان ويجوز ان يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه و
الخطاب في **فباي آلاء ربكما تكذبان** للثقلين بدلالة الانام عليهما
وقوله **سنفرغ لكم ايها الثقلان** **خلق الانسان من صلصال**
الصلصال الطين اليابس له صلصلة **كالفخار** والفخار الطين المطبوخ بالنار

وهو الخزف … فلا اختلاف في المعنى بل في هذا وذلك قوله تعالى من حمإ مسنون
من طين لازب من تراب … فهو متفق في المعنى ومفيد انه خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا
ثم صلصالا وخلق الجان … ابو الجن وقيل هو ابليس من مارج والمارج اللهب الصافي
الذي لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشيء اذا اضطرب
واختلط ما معنى قوله من نار … هو بيان لمارج كانه قيل
صاف من نار او مختلط من نار او اراد من نار مخصوصة كقوله فانذرتكم
نارا تلظى فباي آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب
المغربين فباي آلاء ربكما تكذبان قرئ رب المشرقين ورب المغربين
بالجر بدلا من ربكما واراد مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما مرج البحرين
يلتقيان ارسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين
في رأي العين بينهما برزخ حاجز من قدرة الله تعالى لا يبغيان لا يتجاوزان
احدهما على الآخر بالممازجة فباي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما
قرئ يخرج ويخرج من اخرج اي الله عز وجل اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج
بالنون واللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر
والمرجان صغاره … لم قال منهما وانما يخرجان من الملح … لما التقيا وصارا
كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع
البحر ولكن من بعضه ويقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل
من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب فباي آلاء ربكما
تكذبان وله الجوار السفن وقرئ الجوار بحذف الياء ورفع الراء ونحوه
هاتنا يا اربع حسان واربع وكلها … المنشآت المرفوعات الشرع وقرئ
… الشين اي هي الرافعات الشرع او اللاتي تنشئن الامواج بجريهن في البحر
كالاعلام فباي آلاء ربكما تكذبان الاعلام جمع علم وهو الجبل الطويل
كل من عليها فان على الارض ويبقى وجه ربك ذاته والوجه يعبر به عن الجملة
والذات ومساكين مكة يقولون اين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان ذو
الجلال والاكرام صفة الوجه وقرأ عبد الله ذي على صفة ربك ومعناه الذي

ومخرج

يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن افعالهم او الذي يقال له ما اجلك واكرمك
او من عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله
ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام وعنه
عليه الصلوة والسلام انه مر برجل يصلي وهو يقول يا ذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك
فباي آلاء ربكما تكذبان … النعمة في ذلك … عظم النعمة في
… يسأله من في السموات والارض كل من اهل السموات
والارض مفتقرون اليه فيسأله اهل السموات ما يتعلق بدينهم واهل الارض
ما يتعلق بدينهم ودنياهم كل يوم هو في شان اي كل وقت وحين يحدث امورا ويجدد
احوالا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه تلاها فقيل له وما
ذلك الشان فقال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين
وعن ابن عيينة الدهر عند الله تعالى يومان احدهما اليوم الذي هو مدة الدنيا
فشانه فيه الامر والنهي والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم القيمة
فشانه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت في اليهود قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت
شيئا وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال
له غلام اسود يا مولاي اخبرني ما اصابك لعل الله يسهل لك على يدي فاخبره
فقال انا افسرها للملك فاعلمه فقال ايها الملك شان الله ان يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم
سليما ويبتلي معافا ويعافي مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا
فقال الملك احسنت وامر الوزير ان يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يا مولاي هذا من شان
الله وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اشكلت علي ثلاث آيات
دعوتك لتكشفها لي قوله فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم
هو في شان وقد صح ان القلم قد جف بما هو كائن الى يوم القيمة وقوله وان ليس
للانسان الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة
ويكون توبة في هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم يشاركهم فيها
الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى

مك

قضاؤه الله لا يليق كالسيحة لا وان الجزية بواحدة الفاضلة لا وما قوله كل يوم
هو في شأن فإنها شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فقام عبد الله فقبل رأسه
وسوغ خراجه فبأي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم مستعار من قول
الرجل لمن يتوعده سأفرغ لك يريد سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه حتى لا
يكون لي شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد
ستنتهي الدنيا ويبلغ آخرها وتنتهي عند ذلك شؤون الخلق التي أرادها بقوله كل
يوم هو في شأن فلا يبقى إلا شأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق
المثل وقرئ سيفرغ لكم أي الله وسأفرغ لكم وسنفرغ لكم بالنون مفتوحا
ومكسورا وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء وفي قراءة أبي
سنفرغ إليكم بمعنى سنقصد إليكم أيها الثقلان الإنس والجن سميا بذلك
لأنهما ثقلا الأرض فبأي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن
والإنس كالترجمة لقوله أيها الثقلان إن استطعتم أن تنفذوا من
أقطار السماوات والأرض أن تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن
أرضي وسمائي فانفذوا فافعلوا ثم قال لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ إلا
بسلطان يعني بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك ونحوه وما أنتم بمعجزين في
الأرض ولا في السماء وروي أن الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فإذا رآهم الجن
والإنس هربوا فلا يأتون وجها إلا وجدوا الملائكة أحاطت بهم شواظ
ونحاس بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان وقيل
يضيء كالصفر المذاب ... لم يجعل الله فيه خاسا وقيل الصفر المذاب
على رؤوسهم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما إذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ
إلى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على شواظ ومجرورا عطفا على نار ونحس جمع نحاس الدخان
... وقرئ ونحس أي ونقتل بالعذاب وقرئ نرسل عليكما شواظا
من نار ونحاسا فلا تنتصران فبأي آلاء ربكما تكذبان فإذا انشقت
السماء فكانت وردة حمراء كالدهان كدهن الزيت كما قال كالمهل وهي
دردي الزيت وهو جمع الدهن أو اسم ما يدهن به كالحزام والإدام قال كأنهما مزادتا

... بمعنى ... وقيل الأديم الأحمر وقرأ عبيد بن عمير وردة بالرفع بمعنى
فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد كقوله فلئن بقيت لأرحلن
بغزوة تحوي الغنائم أو يموت كريم فبأي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لا يسأل
عن ذنبه إنس أي بعض من الإنس ولا جان أريد ولا جن أي ولا بعض من الجن
فوضع الجان الذي هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وإنما وحد
ضمير الإنس في قوله عن ذنبه لكونه في معنى البعض فبأي آلاء ربكما تكذبان
يعرف المجرمون بسيماهم والمعنى لا يسألون لأنهم يعرفون بسيماهم وهي
سواد الوجوه وزرقة العيون فإن قلت هذا خلاف قوله فوربك لنسألنهم
أجمعين وقوله وقفوهم إنهم مسؤولون قلت ذلك يوم طويل وفيه مواطن
يسألون في موطن ولا يسألون في آخر قال قتادة قد كانت مسألة ثم
ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل لا يسأل
عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسأل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن
عبيد ولا جأن فرارا من التقاء الساكنين وإن كان على حده فيؤخذ بالنواصي
والأقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان عن الضحاك يجمع بين ناصيته
وقدميه في سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصي
وتارة تأخذ بالأقدام هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون
بينها وبين حميم آن ماء حار قد انتهى حره ونضجه أي يعاقب عليهم بين
التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل إذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم
وقيل إن واديا من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق
بهم في الأغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منها وقد أحدث
الله لهم خلقا جديدا وقرئ يطوفون من التطويف ويطوفون أي يتطوفون وفي
قراءة عبد الله هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان تصليانها لا تموتان فيها
ولا تحييان يطوفون بينها فبأي آلاء ربكما تكذبان ونعمة الله تعالى فيما ذكره
من هول النار نجاة الناجي منه برحمته وفضله وما في الإنذار به من اللطف
ولمن خاف مقام ربه موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة

يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه لمن خاف مقامي ويجوز ان يراد
به ان الله قائم عليه اي حافظ مهيمن من قوله افمن هو قائم على كل
نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته وقيل هو مقحم
كما يقول اخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وانشد ونفيت عنه مقام الذئب
يريد ونفيت عنه الذئب **جنتان** ثم قال جنتان لان الخطاب للثقلين
فكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الجني وجنة للخائف الانسي
ويجوز ان يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصي لان التكليف دائر
عليهما وان يقال جنة يثاب بها واخرى تضم اليها على وجه التفضيل لقوله
وزيادة **فبأي آلاء ربكما تكذبان ذواتا افنان فبأي آلاء ربكما تكذبان**
خص الافنان بالذكر وهي الغصنة التي تتشعب من فروع الاشجار لانها هي
التي تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الافنان الوان النعم
ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قال ومن كل افنان اللذاذة والصبي لهوت به والعيش اخضر ناضر
فيهما عينان تجريان حيث شاءتا في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل
مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل
زوجان صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب **فبأي آلاء ربكما تكذبان**
متكئين على فرش نصب على المدح للخائفين او حال منهم لان من خاف في معنى الجمع **على فرش**
بطائنها من استبرق من ديباج ثخين واذا كانت البطائن من استبرق فما
ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور **وجنى الجنتين دان**
قريب يناله القائم والقاعد والنائم **فبأي آلاء ربكما**
تكذبان فيهن في هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة
الانسيات منهن احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن وهذا دليل على ان
الجن يطمثون كما يطمث الانس وقرئ لم يطمثهن بضم الميم قيل هن في صفاء
الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر انصع بياضا قيل ان الحوراء تلبس سبعين
حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء
هل جزاء الاحسان في العمل **الا الاحسان** في الثواب وعن محمد بن الحنفية

المسجلة للبر والفاجر اي مرسلة يعني ان كل من احسن اليه وكل من اساء
اسيء اليه **فبأي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما** ومن دون تينك
الجنتين الموعودتين للمقربين **جنتان** لمن دونهم من اصحاب اليمين **فبأي**
آلاء ربكما تكذبان مدهامتان قد ادهامتا من شدة الخضرة
فبأي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان بالماء
والنضخ اكثر من النضح لان النضح غير معجمة مثل الرش **فبأي آلاء ربكما**
تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأي آلاء ربكما تكذبان لم عطف النخل
والرمان على الفاكهة وهما منهما اختصاصا لهما لفضلهما كانهما
لما لهما جنسان آخران لقوله وجبريل وميكال او لان النخل ثمرة فاكهة
وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ولهذا قال ابو حنيفة
اذا حلف لا يأكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه
فيهن خيرات حسان خيرات فخففت حسان الخلق **فبأي آلاء ربكما تكذبان**
حور مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة
ومقصورة مخدرة وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة **فبأي آلاء ربكما تكذبان**
متكئين نصب على الاختصاص **على رفرف خضر** والرفرف ضرب من البسط
وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف
البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه **وعبقري حسان**
منسوب الى عبقر تزعم العرب انه بلد الجن فينسبون اليه كل شيء عجيب
رفارف خضر بضمتين وعباقري كمدائني نسبة الى عباقر في اسم البلد وروي ابو
حاتم عباقري بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته
تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاوليين حتى قيل ومن دونهما فنضاختان
دون تجريان ومدهامتان دون ذواتا افنان وفاكهة
دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ **فبأي آلاء ربكما تكذبان**
تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام ذي العظمة والجلال والاكرام
صفة للاسم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الرحمن ادى

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة
كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيمة وصفت بالوقوع لانها
تقع لا محالة فكانه قيل اذا وقعت التي لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله
يقال وقع ما كنت اتوقعه اي نزل ما كنت اترقب نزوله ليس لوقعتها
بم انتصب اذا بليس كقولك يوم الجمعة ليس لي شغل او بمحذوف يعني
اذا كان كيت وكيت او باضمار اذكر كاذبة نفس كاذبة اي لا يكون حين تقع نفس
تكذب على الله وتكذب في تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة
واكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله فلما راوا باسنا قالوا آمنا
بالله لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى
تاتيهم الساعة واللام مثلها في قوله يا ليتني قدمت لحياتي او ليس لها نفس تكذبها
وتقول لها لم تكوني كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكوني او هي
من قولهم كذبت فلانا نفسه في الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت
له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى انها وقعة لا تطاق شدة
وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين له احتمالها
لانهم يومئذ اضعف من ذلك واذل الا ترى الى قوله كالفراش المبثوث
والفراش مثل في الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعاقبة بمعنى التكذيب من قولك
حمل على قرنه فما كذب اي فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما
خافضة رافعة على هي خافضة رافعة ترفع اقواما وتضع آخرين اما وصفا
لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع
ناس واما لان الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات
واما انها تزلزل الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث
تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر في الجو مر السحاب

وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال اذا رجت الارض رجا حركت تحريكا شديدا
حتى تنهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء وبست الجبال بسا وفتتت حتى
تعود كالسويق او سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال فكانت
هباء منبثا متفرقا وقرئ رجت وبست اي ارتجت وذهبت وفي كلام بنت
الخس عينها هاج وصلاها راج وهي تمشي وتفاج بم انتصب اذا رجت
هو بدل من اذا وقعت ويجوز ان ينتصب بخافضة رافعة اي تخفض وترفع
وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو
منخفض وكنتم ازواجا اصنافا ثلاثة فقال للاصناف التي بعضها مع بعض ازواج
او يذكر بعضها مع بعض فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة الذين يؤتون صحائفهم
بايمانهم واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة الذين يؤتونها بشمائلهم
او اصحاب المنزلة السنية واصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان مني باليمين
وفلان مني بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن
وتشاؤمهم بالشمائل ولتفاؤلهم بالسانح وتشاؤمهم بالبارح ولذلك اشتقوا لليمين الاسم
من اليمن وسموا الشمال الشؤمى وقيل اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة اصحاب
اليمن والشؤم لان السعداء ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم
عليها بمعصيتهم وقيل يؤخذ باهل الجنة ذات اليمين وباهل النار ذات الشمال
والسابقون المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله تعالى اليه وشقوا الغبار
في طلب مرضاة الله تعالى وقيل الناس ثلثة فرجل ابتكر الخير في حداثة سنه
ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب و
طول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه
ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال ما اصحاب الميمنة وما اصحاب
المشأمة تعجيب من حال الفريقين في السعادة والشقاوة والمعنى اي شيء هم والسابقون
السابقون يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقولك وعبد الله
عبد الله وقول ابي النجم وشعري شعري كانه قال وشعري ما انتهى اليك
بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تاكيدا اولئك المقربون والخبر

وليس بذلك ووقف بعضهم على والسابقون وابتداء السابقون اولئك المقربون
والصواب ان يوقف على الثاني لانه تمام الجملة وهو في مقابلة ما اصحاب الميمنة
وما اصحاب المشأمة المقربون في جنات النعيم الذين قربت درجاتهم في الجنة من العرش
واعليت مراتبهم وقرئ في جنة النعيم ثلة من الاولين الثلة الامة من الناس
الكثيرة قال وجاءت اليهم ثلة خندفية بجيش كتيار من السيل مزبد
وقوله وقليل من الآخرين كفى به دليلا على الكثرة وهي من الثل وهو
الكسر كما ان الامة من الأم وهو الشج كانها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم
والمعنى ان السابقين كثير من الاولين وهم الامم من لدن آدم الى محمد صلى الله عليه
وقليل من الآخرين وهم امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل من الاولين
وهم من متقدمي هذه الامة ومن الآخرين متاخريها وعن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم الثلتان من امتي كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال
وثلة من الآخرين هذا من السابقين وذاك من اصحاب اليمين وانهم يتكاثرون
من الاولين والآخرين جميعا فقد روي انه لما نزلت شق ذلك على المسلمين
فما زال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يراجع ربه حتى نزلت ثلة من الاولين
وثلة من الآخرين هذا لا يصح لامرين احدهما ان هذه الآية واردة في
السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية في اصحاب اليمين الا ترى انه كيف عطف
اصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثاني ان النسخ في الاخبار غير
جائز وعن الحسن سابقوا الامم اكثر من سابقي امتنا وتابعوا الامم مثل تابعي
هذه الامة وثلة خبر مبتدأ محذوف اي هم ثلة على سرر موضونة مرمولة
بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل بعضها في بعض كحلق الدرع قال
الاعشى ومن نسج داود موضونة وقيل متواصلة ادني بعضها من بعض
متكئين حال من الضمير في على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عنه وقيل
مقرطون والخلدة القرط وقيل هم اولاد اهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها
ولا سيئات فيعاقبوا عليها وروي ذلك عن علي والحسن وفي الحديث اولاد الكفار
خدام اهل الجنة باكواب واباريق وكأس من معين الاكواب اوان بلا

وخراطيم والاباريق ذوات الخراطيم لا يصدعون عنها اي بسببها و
حقيقته لا يصدر صداعهم عنها او لا يفرقون عنها وقرأ مجاهد لا يصدعون بمعنى
لا يتصدعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون ويصدعون اي لا يصدع
بعضهم بعضا لا يفرقونهم وفاكهة مما يتخيرون ياخذون
خيره وافضله ولحم طير مما يشتهون يتمنون وقرئ ولحوم طير وقرئ
وحور عين بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب الا رواكد جمرهن هباء
او للعطف على ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم كانه قال هم في جنات
فاكهة ولحم وحور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب
ينعمون باكواب وبالنصب على ويؤتون حورا كامثال اللؤلؤ المكنون
جزاء بما كانوا يعملون مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء باعمالهم
لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما اما بدل من قيلا
بدليل قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او مفعول به لقيلا والمعنى
انهم لا يسمعون فيها الا ان يقولوا سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام
بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرئ سلام سلام على الحكاية واصحاب اليمين
ما اصحاب اليمين في سدر مخضود السدر شجر النبق والمخضود الذي لا شوك
له كانما خضد شوكه وعن مجاهد الموقر الذي تنثني اغصانه كثرة حمله من خضد
الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح الطلح شجر الموز وقيل شجر ام غيلان وله نور كثير
طيب الرائحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل و
قرأ وطلع وما شان الطلح وقرأ لها طلع نضيد فقيل او نحولها قال اي القرآن
لا يهاج اليوم ولا يحول وعن ابن عباس نحوه والمنضود الذي نضد بالحمل
من اسفله الى اعلاه فليست له ساق بارزة وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص
كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب يسكب لهم اين
شاؤوا وكيف شاؤوا لا يتعنون فيها وقيل دائم الجرية لا ينقطع وقيل مصبوب يجري
على الارض في غير اخدود وفاكهة كثيرة لا مقطوعة دائمة لا تنقطع في
بعض الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة لا تمنع عن متناولها بوجه و

يخطر عليها كما يخطر على بساتين الدنيا وروي فاكهة لتبين بالبقم على وهناك ما
كنت لقوله وحور رعين وفرش جمع فراش وقرئ وفرش بالتخفيف مرفوعة نضدت
حتى ارتفعت او مرفوعة على الاسرة وقيل هي النساء لان المراة يكنى عنها بالفراش
مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك
متكئون ويدل عليه قوله انا انشأناهن انشاء وعلى التفسير الاول
اضمر لهن لان ذكر الفراش دل عليهن انشأناهن انشاء اي ابتدانا خلقهن
ابتداء جديدا من غير ولادة فاما ان يراد اللاتي ابتدئ انشاؤهن او اللاتي
اعيد انشاؤهن وعن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ان ام سلمة رضي
سألته عن قول الله تعالى انا انشاناهن فقال يا ام سلمة هن اللواتي قبضن
في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر اترابا على ميلاد
واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عائشة
من رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول ذلك قالت وا وجعاه فقال لها ليس
هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله صلى الله عليه واله وسلم ادع الله تعالى ان
يدخلني الجنة فقال ان الجنة لا يدخلها العجائز فولت وهي تبكي فقال اخبروها
انها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الاية عربا اترابا وقرئ عربا بالتخفيف
جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل اترابا مستويات في السن
بنات ثلث وثلثين وازواجهن ايضا كذلك عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم
يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين ابناء ثلث وثلثين
اللام في لاصحاب اليمين من صلة انشأنا وجعلنا واصحاب الشمال
ما اصحاب الشمال في سموم في حر نار ينفذ في المسام وحميم وماء
حار متناه في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد ولا
كريم نفى لصفتي الظل عنه يريد انه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا
ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه من ياوي اليه من اذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما في
من الاستراح اليه والمعنى انه ظل حار ضار الا ان للنفي في نحو هذا
شانا ليس للاثبات وفيه تهكم باصحاب المشأمة وانهم لا يستاهلون الظل

فجعلناهن ابكارا

الظل البارد وانما الكريم الذي فيه لانداد هم في الجنة وقرئ لا بارد ولا كريم
بالرفع اي لا هو كذلك انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون
على الحنث العظيم الحنث الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث
اي الحلم ووقت المؤاخذة بالمأثم ومنه حنث في يمينه ويقال تحنث اذا تاثم
وتحرج وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
او اباؤنا الاولون دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف
فان قلت كيف حسن العطف على المضمر في لمبعوثون من غير تاكيد بنحن قلت حسن للفاصل
الذي هو الهمزة كما حسن في قوله ما اشركنا ولا اباؤنا لفصل المؤكدة للنفي
وقرئ او اباؤنا قل ان الاولين والاخرين لمجموعون وقرئ لمجمعون الى
ميقات يوم معلوم الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة
بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشيء اي حد ومنه مواقيت الاحرام
وهي الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما ثم انكم
ايها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث وهم اهل مكة ومن في مثل
حالهم لآكلون من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية
والثانية لبيان الشجر وتفسيره وانث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ في
فمالئون منها البطون فشاربون عليه ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة
وانما ذكر الثاني على تأويل الزقوم لانه تفسيرها وهي في معناه فشاربون
عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم قرئ بالحركات الثلث فالفتح والضم مصدران
وعن جعفر الصادق عليه السلام ايام اكل وشرب بفتح الشين واما المكسور فبمعنى
المشروب اي ما يشربه الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء تشرب منه الابل فلا تروى
جمع اهيم وهيماء قال ذو الرمة فاصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها ولا يقضي عليها هيامها
وقيل الهيم الرمال ووجهه ان يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا
يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع ابيض والمعنى
انه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو كالمهل فاذا ملئوا منه
البطون سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي يقطع امعاءهم

ويشربون شرب الهيم كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات
متفقة وصفتان متفقتان وكان عطفا للشيء على نفسه ليسا متفقتين
من حيث ان كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهي الحرارة وقطع الامعاء
امر عجيب ايضا فكانتا صفتين مختلفتين هذا نزلهم يوم الدين النزل الرزق
الذي يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما في قوله فبشرهم بعذاب اليم وقول
ابي الشعر الضبي وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا
وقرئ نزلهم بالتخفيف نحن خلقناكم فلولا تصدقون تحضيض على
التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا انهم لما كان مذهبهم
خلاف ما يقتضيه التصديق فكانهم مكذبون به واما بالبعث لان من
اولا لم يمتنع عليه ان يخلق ثانيا افرأيتم ما تمنون ما تمنونه اي تقذفونه
في الارحام من النطف وقرأ ابو السمال بفتح التاء يقال امنى النطفة ومناها
قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى ءانتم تخلقونه تقدرونه وتصورونه
ام نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت تقديرا وقسمنا عليكم
الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيتنا فاختلفت اعماركم من قصير
وطويل ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف وما نحن بمسبوقين من سبقته على
الشيء اذا اعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه فمعنى قوله
على ان نبدل امثالكم انا قادرون على ذلك لا تغلبوننا عليه وامثالكم
جمع مثل اي على ان نبدل منكم ومكانكم اشباهكم من الخلق وعلى ان ننشئكم
فيما لا تعلمون في خلق لا تعلمونها وما عهدتم مثلها يعني انا نقدر على الامرين
جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز ان يكون امثالكم
جمع مثل اي على ان نبدل ونغير صفاتكم التي انتم عليها في خلقكم واخلاقكم وننشئكم
في صفات لا تعلمونها ولقد علمتم النشاة الاولى فلولا تذكرون وقرئ
النشاة والنشاءة وفي هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك القياس
النشاة الاخرى على الاولى افرأيتم ما تحرثون من الطعام اي تبذرون حبه
وتعملون في ارضه ءانتم تزرعونه تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمي الى ان يبلغ

الغاية ام نحن الزارعون وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا
يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت قال ابو هريرة ارأيتم الى قوله افرأيتم الآية
لو نشاء لجعلناه حطاما الحطام من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ
وهو ما صار هشيما وتحطم فظلتم وقرئ بالكسر وفظللتم على الاصل تفكهون
تعجبون وعن الحسن تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه او على ما اقترفتم
من المعاصي التي اصبتم بذلك من اجلها وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل
العالم كمثل الحمة ياتيها البعداء ويتركها القرباء فبيناهم اذ غار ماؤها وهلك
ها قوم يتفكنون اي يتندمون انا لمغرمون لملزمون غرامة ما انفقنا او
مهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك بل نحن محرومون محارفون محدودون
لا حظ لنا ولا بخت ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا وقرئ أئنا افرأيتم
الماء الذي تشربون يريد العذب الصالح للشرب ءانتم انزلتموه من المزن
ام نحن المنزلون المزن السحاب الواحدة مزنة وقيل هو السحاب الابيض خاصة
وهو اعذب ماء لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا زعاقا لا يقدر على شربه
فلولا تشكرون لم ادخلت اللام على جواب لو في لجعلناه حطاما ونزعت
منه ههنا ان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى
تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى
فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها في مضموني جملتيها ان الثاني امتنع لامتناع الاول
افتقرت في جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت فيه هذه اللام لتكون
علما على ذلك فاذا حذفت بعدما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشيء اذا
علم وشهر موقعه وصار مألوفا ومأنوسا به لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء
بمعرفة السامع الا ترى الى ما يحكى عن رؤبة انه كان يقول خير لمن قال له كيف اصبحت
فيحذف الجار لعلم كل احد بمكانه وتساوي حالي حذفه واثباته لشهرة امره وناهيك
بقول اوس حتى اذا الكلاب قال لها كاليوم مطلوبا ولا طلبا وحذفه لم ار
فحذفها اختصار لفظي وهي ثابتة في المعنى فاستوى الموضعان بلا فرق بينهما على ان
تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز ان يقال ان هذه اللام

مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت في آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة
على ان امر المطعوم مقدم على امر المشروب وان الوعيد بفقده اشد واصعب
من قبل ان المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم الا ترى انك انما تسقي ضيفك
بعد ان تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول ابي العلاء اذا سقيت ضيوف الناس محضا
سقوا اضيافهم شبما زلالا وسقي بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة
ولهذا قدم آية المطعوم على آية المشروب **أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ**
تقدحونها وتستخرجونها من الزناد **تذكرة** تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب
المعايش كلها وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة ينظرون اليها ما
اوعدوا به او جعلناها تذكرة وانموذجا من جهنم لما روي عن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم انه قال ناركم هذه التي توقد بنو آدم جزء من سبعين جزءا من
حر جهنم **ومتاعا للمقوين** للذين ينزلون القوى وهي القفراء والذين خلت
بطونهم او مزاودهم من الطعام يقال اقويت من ايام اي لم آكل شيئا **فسبح
باسم ربك** فاحدث التسبيح باسم ربك او اراد بالاسم الذكر اي بذكر ربك
العظيم صفة للمضاف او للمضاف اليه والمعنى انه لما ذكر ما دل على قدرته
وانعامه على عباده قال فاحدث التسبيح وهو ان يقول سبحان الله اما تنزيها
له عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا
من امرهم في غمط آلائه واياديه الظاهرة واما شكرا لله على النعم التي عدها
ونبه عليها **فلا اقسم** معناه فاقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها في قوله لئلا
يعلم اهل الكتاب وقرأ الحسن فلأقسم ومعناه فلأنا اقسم اللام لام الابتداء
دخلت على جملة من مبتدأ وخبر وهي انا اقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف
المبتدأ ولا يصح ان يكون اللام لام القسم لامرين احدهما ان حقها ان يقرن
بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثاني ان لأفعلن في جواب القسم
للاستقبال وفعل القسم يجب ان يكون للحال **بمواقع النجوم** بمساقطها ومغاربها
ولعل لله تعالى في آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب افعالا عظيمة ولله
عبادات موصوفة او لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين

ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك اقسم بمواقعها **وانه لقسم لو تعلمون
عظيم** اعتراض في اعتراض لانه اعترض به بين المقسم والمقسم عليه وهو قوله انه
لقرآن كريم واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل بمواقع النجوم اوقات
وقوع نجوم القرآن اي اوقات نزولها **كريم** حسن مرضي في جنسه من الكتب او نفاع
جم المنافع او كريم على الله **في كتاب مكنون** مصون من غير المقربين من الملائكة
لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس ادناس الذنوب
وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلتها صفة للقرآن
فالمعنى لا ينبغي ان يمسه الا من هو على الطهارة من الناس يعني مس المكتوب من
الناس من حمله على القراءة ايضا وعن ابن عمر احب الي ان لا يقرأه الا وهو طاهر وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم المسلم اخو المسلم لا يظلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه وقرئ المتطهرون والمطهرون
بالادغام والمطهرون من اطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون انفسهم
او غيرهم بالاستغفار لهم والوحي الذي ينزلونه **تنزيل** صفة رابعة للقرآن اي منزل
من رب العالمين او وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله تعالى
فكانه في نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض اسمائه فقيل جاء في التنزيل ونطق
او هو تنزيل على حذف المبتدأ وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا **أفبهذا الحديث**
يعني القرآن **انتم مدهنون** اي متهاونون كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه
ولا يتصلب فيه تهاونا به **وتجعلون رزقكم انكم تكذبون** على حذف
المضاف يعني وتجعلون شكر رزقكم التكذيب اي وضعتم التكذيب موضع الشكر
وقرأ علي رضي الله عنه شكركم انكم تكذبون وقيل هي قراءة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به
وقيل نزلت في الانواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر يعني وتجعلون شكر
ما رزقكم الله تعالى من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله تعالى حيث ينسبونه الى النجوم
وقرئ تكذبون وهو قولهم في القرآن شعر وسحر وافتراء وفي المطر هو من الانواء
ولان كل مكذب بالحق كاذب **فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون**

لا يمسه الا المطهرون

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ
غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان
كنتم غير مدينين فلولا الثانية مكررة للتاكيد والضمير في ترجعونها للنفس
وهي الروح ونحن اقرب اليه للمحتضر غير مدينين غير مربوبين من دان السلطان
الرعية اذا ساسهم ونحن اقرب اليه منكم يا اهل الميت بقدرتنا وعلمنا او
بملئكة الموت والمعنى انكم في جحودكم افعال الله تعالى وآياته في كل شيء ان
انزل كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان ارسل اليكم رسولا صادقا قلتم ساحر
كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم قلتم صدق نوء كذا على مذهب الى الاهمال
التعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم إن لم يكن
قابض وكُنْتُمْ صَادِقِينَ في تعطيلكم وكفركم بالمحيي المميت المبدي المعيد فَأَمَّا
إِنْ كَانَ المتوفى مِنَ الْمُقَرَّبِينَ من السابقين من الازواج الثلثة المذكورة في اول
السورة فَرَوْحٌ فله استراحة وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ وروت عائشة رضي الله عنها عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فروح بالضم وقرأ به الحسن وقال الروح
الرحمة لانها كالحيوة للمرحوم وقيل البقاء اي فهذان له معا وهو الخلود مع الروح
والنعيم والريحان الرزق وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ
أَصْحَابِ الْيَمِينِ اي فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك اي يسلمون عليك
كقوله الا قيلا سلاما سلاما وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ
فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ كقوله هذا نزلهم يوم الدين وفي بالتخفيف وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ
قرئت بالرفع والجر عطفا على نزل وحميم إِنَّ هَذَا الذي انزل في هذه السورة
لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ اي الحق الثابت من اليقين عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم من قرأ سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ جاء في بعض الفواتح سَبَّحَ
لِلَّهِ على لفظ الماضي وفي بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما ان من شأن
ما اسند اليه التسبيح ان يسبحه وذلك هجيراه ديدنه وقد عدي هذا الفعل
باللام تارة وبنفسه اخرى في قوله ويسبحوه واصله التعدي بنفسه لان معنى
سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد واللام لا تخ اما ان
يكون مثل اللام في نصحته ونصحت له واما ان يراد يسبح الله اي احدث التسبيح
لاجل الله ولوجهه خالصا مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ما يتأتى منه التسبيح
ويصح وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ما محل يحيي يجوز ان لا يكون له محل و
يكون جملة برأسها كقوله له ملك السموات وان يكون مرفوعا على هو يحيي و
منصوبا حالا من المجرور في له والجار عاملا فيها ومعناه يحيي النطف والبيض
الموتى يوم القيمة ويميت الاحياء هُوَ الْأَوَّلُ هو القديم وَالْآخِرُ الذي يبقى بعد
هلاك كل شيء وَالظَّاهِرُ بالادلة الدالة عليه وَالْبَاطِنُ لكونه غير مدرك بالحواس
وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فما معنى الواو الاولى معناها الدلالة على انه
الجامع بين الصفتين الاولية والآخرية والثالثة على انه الجامع بين الظهور والخفاء
واما الوسطى فعلى انه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الاخريين فهو المستمر
في جميع الاوقات الماضية والآتية وهو في جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور
بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفي هذا حجة على من جوز ادراكه في الآخرة
بالحاسة وقيل الظاهر العالي على كل شيء الغالب من ظهر عليه اذا علاه وغلبه
الباطن الذي بطن كل شيء اي علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم
هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ
يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا
وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ
الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ
بِذَاتِ الصُّدُورِ آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ

الحديد

يعني ان الاموال التي في ايديكم انما هي اموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم
اياها وخولكم للاستمتاع بها وجعلكم خلفاء في التصرف فيها فليست هي باموالكم في
الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب فانفقوا منها في حقوق الله
وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له
فيها او جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما في ايديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا
بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا
بالانفاق منها انفسكم فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير وما
لكم لا تؤمنون بالله حال من معنى الفعل في ما لكم كما يقول ما لك قائما
اي وما لكم كافرين بالله والواو والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم
واو الحال فهما حالان متداخلان وقرئ وما لكم لا تؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم
واي عذر لكم في ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم
الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقبل ذلك قد اخذ الله ميثاقكم بالايمان
حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر وازاح عللكم فاذا
لم تبق لكم علة بعد ادلة العقول وتنبيه الرسول فما لكم لا تؤمنون ان كنتم
مؤمنين لموجب ما فان هذا الموجب لا مزيد عليه وقرئ وقد اخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله
هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم الله باياته من الظلمات
الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان او ليخرجكم الرسول بدعوته وان الله بكم لرؤوف
رحيم وقرئ لرؤف وما لكم الا تنفقوا في ان لا تنفقوا في سبيل الله و
لله ميراث السموات والارض يرث كل شيء فيهما لا يبقى منه باق ولا لاحد من مال
غيره يعني واي غرض لكم في ترك الانفاق في سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم
فوارث اموالكم وهو من ابلغ البعث على الانفاق في سبيل الله ثم بين التفاوت
بين المنفقين منهم فقال لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح فتح مكة وقاتل قبل
عز الاسلام وقوة اهله ودخول الناس في دين الله افواجا وقلة الحاجة الى القتال
والنفقة فيه ومن انفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة اولئك الذين انفقوا قبل
الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه

وما لكم لا تؤمنون

لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اعظم درجة من الذين
انفقوا من بعد وقاتلوا وقرئ قبل الفتح وكلا وكلا من الفريقين وعد الله
الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده الله
وقيل نزلت في ابي بكر رضي الله عنه لانه اول من اسلم واول من انفق في سبيل الله من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا المقرض الحسن الانفاق في سبيل الله
شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا اعطى ماله لوجهه فكانه اقرضه
فيضاعفه له اي يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا اضعافا من فضله وله
اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم في نفسه وقرئ
فيضعفه وقرئا منصوبين على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض او على
فهو يضاعفه يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ظرف لقوله وله اجر كريم
او مفعول باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم وانما قال يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم لان السعداء يؤتون صحائف اعمالهم من هاتين الجهتين كما ان الاشقياء
يؤتون من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فيجعل النور في الجهتين شعارا لهم وآية لانهم
هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض افلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على
الصراط يسعون بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما ويقول لهم الذين
يتلقونهم من الملائكة بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك هو الفوز العظيم وقرئ ذلك الفوز يوم يقول المنافقون والمنافقات
بدل من يوم ترى للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم لانه يسرع بهم
الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا
لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم فالنور بين ايديهم فيستضيئون به
وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى ان يلحقوا بهم
انظارا لهم نقتبس من نوركم نصب منه وذلك ان يلحقوا بهم فيستنيروا به
قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا طرد لهم وتهكم بهم او ارجعوا الى الموقف
الى حيث اعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس او ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا
نورا آخر بتحصيل سببه وهو الايمان او ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر

انظرونا

فلا لكم الى هذا النور سبيل وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما هو تخييب لهم فضرب بينهم بسور بين المؤمنين والمنافقين بحائط بين شق الجنة وشق النار
وقيل هو الاعراف لذلك السور باب لاهل الجنة يدخلون منه باطنه فيه الرحمة
وهو الشق الذي يلي الجنة وظاهره ما يظهر لاهل النار من قبله من عنده ومن جهته
العذاب وهو الظلمة والنار وقرأ زيد بن علي رض فضرب بينهم على
للفاعل ينادونهم الم نكن معكم يريدون موافقتهم في الظاهر قالوا بلى
ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم
بالمؤمنين وارتبتم وغركم بالله الغرور وغركم الشيطان بان
الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم
فدية ما تفتدون به ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم
قيل هي اولى بكم وانشد قول لبيد فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها
وحقيقته من ليكم ماواكم ومقركم اي مكانكم الذي يقال فيه هو اولى
بكم كما قيل هو مئنة للكرم اي مكان لقول القائل انه لكريم ويجوز ان يراد
هي ناصركم اي لا ناصر لكم غيرها والمراد نفي الناصر على البتات ونحوه قولهم
اصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل
يتولاكم كما توليتم في اعمال اهل النار وبئس المصير النار الم يأن للذين
امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله من انى الامر اذا جاء اناه اي وقته
وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى يأني والم يان قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا
اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رض ما
كان بين اسلامنا وبين ان عوتبنا بهذه الاية الا اربع سنين وعن ابن عباس رض
ان الله تعالى استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلث عشرة سنة من نزول
القرآن وعن الحسن اما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤون القرآن اقل مما تقرؤون
فانظروا في طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن ابي بكر رض ان هذه الاية
قرئت بين يديه وعنده قوم من اهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال
هكذا كنا حتى قست القلوب وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين

باطن السور الباب

يناد ونهم

وما نزل من الحق

اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات ويجوز ان يكون
نهيا لهم عن مماثلة اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان
بني اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل
خشعوا لله ورقت قلوبهم فطال عليهم الامد فلما طال عليهم الزمان
قست قلوبهم غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا واحدثوا ما احدثوا
من التحريف وغيره ما نزل لذكر الله وما نزل من الحق يجوز ان
يراد بالذكر وبما نزل من الحق القرآن لانه جامع للامرين للذكر والموعظة
وانه حق نازل من السماء والنهي عن الخشوع عنها اذا ذكر الله واذا تلي القرآن
لقوله اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا ثم
اراد بالامد الاجل لقوله اذا انتهى امده وقرئ الامد اي الوقت الاطول
وكثير منهم فاسقون خارجون عن دينهم رافضون لما في الكتابين
اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم
تعقلون قيل هذا تمثيل لاثر الذكر في القلوب وانه يحييها كما تحيي الامطار
ان المصدقين والمصدقات للمتصدقين والمتصدقات وقرئ على الاصل والمصدقين من
صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعني المؤمنين واقرضوا الله عطف
على معنى الفعل في المصدقين لان اللام بمعنى الذين واسم
الفاعل بمعنى اصدقوا كانه قيل ان الذين اصدقوا واقرضوا قرضا حسنا
والقرض الحسن ان تصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق
للصدقة يضاعف لهم وقرئ يضعف ويضاعف بكسر العين اي يضاعف
الله ولهم اجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم
الصديقون والشهداء عند ربهم يريد ان المؤمنين بالله ورسله هم عند الله
بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا
في سبيل الله لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجر الصديقين والشهداء
ومثل نورهم كيف يستوي بينهم في الاجر ولا بد من التفاوت
المعنى ان الله تعالى يعطي المؤمنين اجرهم ويضاعفه لهم بفضله

بالتاء

الوعيد

حتى يساوي اجرهم اجرهم او كيف ويجوز ان يكون والشهداء مبتدأ ولهم
اجرهم خبره والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم اعلموا
انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد
ان الدنيا ليست الا محقرات من الامور وهي اللعب واللهو والزينة والتفاخر
والتكاثر واما الآخرة فما هي الا امور عظام وهي العذاب الشديد والمغفرة
ورضوان الله كمثل غيث اعجب الكفار نباته شبه حال الدنيا وسرعة
تقضيها مع قلة جدواها بنبات انبته الغيث فاستوى واكتهل واعجب
به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث
عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل
باصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع وقرئ مصفارا
وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور سابقوا سارعوا مسارعة السابقين لاقرانهم في المضمار
الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض اعدت
للذين آمنوا بالله ورسله قال السدي كعرض سبع السموات وسبع
الارضين وذكر العرض دون الطول لان كل ما له عرض وطول فان عرضه
اقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف ان طوله ابسط كقوله فذو دعاء عريض
وصغر امرها وعظم امر الآخرة بعث عباده على نيل ما وعد من ذلك
وهي المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة ذلك
من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه من يشاء وهم المؤمنون والله
ذو الفضل العظيم ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم
في الارض نحو الجدب وآفات الزروع والثمار وفي الانفس نحو الادواء والموت
الا في كتاب في اللوح من قبل ان نبرأها يعني الانفس او المصائب ان ذلك
ان تقدير ذلك واثباته في كتاب على الله يسير وان كان عسيرا على العباد
علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا
تفرحوا بما آتاكم يعني انكم اذا علمتم ان كل شيء مقدر مكتوب عند الله

قل اساؤكم على الفائت وفرحكم على الآتي لان من علم ان ما عنده مفقود لم يتفاقم
جزعه عند فقده لانه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم ان بعض الخير واصل اليه
وان وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله والله لا يحب كل مختال فخور
لان من فرح بحظ من الدنيا وعظم في نفسه اختال وافتخر وتكبر على الناس قيل
آتاكم الله من الابناء والاموال وفي قراءة ابن مسعود بما اوتيتم
فلا احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح
المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله تعالى ورجاء
ثواب الصابرين والفرح المفرط الملهي عن الشكر واما الحزن الذي لا يكاد الانسان
يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله تعالى والاعتداد بها مع الشكر فلا
باس الذين يبخلون بدل من قوله كل مختال فخور كانه قال لا يحب الذين يبخلون
يريد الذين يفرحون الفرح المطغي اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له
وعزته عندهم وعظمه في عيونهم يزوونه عن حقوق الله تعالى ويبخلون به
ويأمرون الناس بالبخل ولا يكفيهم انهم بخلوا حتى حملوا الناس على البخل ورغبوهم
في الامساك وزينوه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته ومن
يتول عن اوامر الله تعالى ونواهيه ولم ينته عما نهي عنه من الاسى على الفائت
والفرح بالآتي فان الله هو الغني الحميد فان الله غني عنه وعن انفاقه وقرأ نافع
وابن عامر فان الله الغني وهو في مصاحف اهل المدينة والشام كذلك لقد ارسلنا رسلنا
يعني الملائكة الى الانبياء بالبينات بالحجج والمعجزات وانزلنا معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط اي بالوحي روي ان جبريل عليه السلم نزل بالميزان فدفعه
الى نوح عليه السلم وقال مر قومك يزنوا به وانزلنا الحديد قيل نزل آدم من الجنة
ومعه خمسة اشياء من الحديد السندان والكلبتان والمطرقة والمنقعة والابرة
ويروى ومعه المر والمسحاة وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان الله انزل اربع
بركات من السماء الى الارض انزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن انزلنا
الحديد خلقناه كقوله وانزل لكم من الانعام وذلك ان اوامره تنزل من السماء
وقضاياه واحكامه فيه بأس شديد وهو القتال به ومنافع للناس في مصالحهم

معايشهم وصنايعهم فما من صناعة إلا والحديد آلة أو ما يعمل بالحديد وليعلم الله
من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح في مجاهدة أعداء
الدين بالغيب غائباً عنهم قال ابن عباس ينصرونه ولا يبصرونه إن الله قوي عزيز
غني بقدرته وعزته في إهلاك من يريد هلاكه عنهم وإنما كلفهم الجهاد لينتفعوا
به ويصلوا بامتثال الأمر فيه إلى الثواب ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم
وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب والوحي وعن ابن عباس رضي الله عنه الخط
بالقلم يقال كتابه فمنهم مهتد من الذرية أو من المرسل إليهم وقد دل عليهم ذكر
الإرسال والمرسلين وكثير منهم فاسقون وهذا تفصيل لحالهم أي
فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق وقرأ الحسن الأنجيل بفتح الهمزة
وأمره أهون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم
وآتيناه الإنجيل وقراءة الحسن الأنجيل بفتح الهمزة وأمره أهون من أمر البرطيل
والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء لأن الكلمة أعجمية لا يلزم فيها أبنية العرب
وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها وقرئ
رآفة على فعالة أي وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه في صفة أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رحماء بينهم والرهبانية ترهبهم في الجبال فارين
من الفتنة في الدين مخلصين أنفسهم للعبادة وذلك أن الجبابرة ظهروا على المؤمنين
بعد موت عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم إلا القليل فخافوا
أن يفتنوا في دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان
وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشي وقرئ ورهبانية بالضم ابتدعوها
صفة أي أحدثوها من عند أنفسهم ونذروها ما كتبناها عليهم لم نفرضها نحن عليهم
إلا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع أي ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان
الله فما رعوها حق رعايتها كما يجب على الناذر رعاية نذره لأنه عهد مع الله
لا يحل نكثه فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم يريد أهل الرأفة والرحمة الذين اتبعوا
عيسى عليه السلام وكثير منهم فاسقون الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز أن
تكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوها صفة لها في محل النصب أي وجعلنا

كتبت كناية

في قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم
ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله ليبتغوا
بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على أنه كتبها عليهم وألزمها إياهم ليتخلصوا
من الفتن ويبتغوا بذلك رضوان الله وثوابه فما رعوها جميعاً حق رعايتها فآتينا
المراعين منهم للرهبانية أجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها
يا أيها الذين آمنوا يجوز أن يكون خطاباً للمؤمنين من أهل الكتاب والذين آمنوا
من غيرهم فإن كان خطاباً لمؤمني أهل الكتاب فالمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى
وعيسى اتقوا الله وآمنوا برسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم يؤتكم الله
كفلين من رحمته أي نصيبين من رحمته لإيمانكم بمحمد وإيمانكم بمن قبله
ويجعل لكم يوم القيامة نوراً تمشون به وهو النور المذكور في قوله يسعى نورهم
ويغفر لكم ما أسلفتم من الكفر والمعاصي لئلا يعلم ليعلم أهل الكتاب
الذين لم يسلموا ولا مزيدة ألا يقدرون أن مخففة من المثقلة أنه لا يقدرون
يعني أن الشأن لا يقدرون على شيء من فضل الله أي لا ينالون شيئاً مما ذكر من
فضله من الكفلين والنور والمغفرة لأنهم لم يؤمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فلم ينفعهم إيمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلاً قط وإن كان خطاباً لغيرهم
فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا نفرق
بين أحد من رسله ... في الإيمانين يؤتكم ما وعد من آمن من أهل الكتاب
الكفلين في قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل أجرهم لأنكم
مثلهم في الإيمانين لا تفرقون بين أحد من رسله روي أن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم بعث جعفراً رضي الله عنه في ركب إلى النجاشي يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه
فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من أهل مملكته وهم أربعون ائذن لنا في الوفادة
إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ
لوقعة أحد فلما رأوا بالمسلمين من خصاصة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
ورجعوا فقدموا بأموال لهم فآسوا بها المسلمين فأنزل الله الذين آتيناهم الكتاب
إلى قوله مما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله يؤتون

والله غفور رحيم

اجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا اما من آمن بكتابكم وكتابنا فله اجره
مرتين واما من لم يؤمن بكتابكم فله اجر كاجركم فما فضلكم فنزلت وروي
ان مؤمني اهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم
مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ لكي يعلم ولكي لا يعلم وليعلم و
ليعلم بادغام النون في الياء وليتعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون في الياء
وعن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه قطرب بكسرها وقيل في
وجهها حذفت همزة ان وادغمت نونها في لام لا فصار للا ثم ابدلت من
اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى ان اصل لام الجر
الفتح كما انشد اريد لانسى ذكرها وقرئ ان لا يقدروا وان الفضل بيد الله
في ملكه وتصرفه واليد مجاز عنه يؤتيه من يشاء ولا يشاء الا ايتاء من يستحقه والله ذو الفضل العظيم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ
سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله اللهم اجعلنا منهم

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله قالت عائشة
الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله صلى الله عليه
وآله وبارك وسلم في جانب البيت وانا عنده لا اسمع وقد سمع لها وعن عمر رضي الله عنه انه
كان اذا دخلت عليه اكرمها وقال قد سمع الله لها والله يسمع تحاوركما
ان الله سميع بصير وقرئ تحاورك اي تراجعك الكلام وتحاولك اي تسائلك
وهي خولة بنت ثعلبة امرأة اوس بن الصامت اخي عبادة رآها وهي تصلي وكانت حسنة
الجسم فلما سلمت راودها عن نفسها فابت فغضب وكان به خفة ولمم فظاهر
منها فاتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالت ان اوسا تزوجني وانا شابة
مرغوب في فلما خلا سني ونثرت بطني جعلني عليه كامه وروي انها قالت
ان لي صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا فقال

ما عندي في امرك شيء وروي انه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله
ما ذكر طلاقا وانما هو ابو ولدي واحب الناس الي فقال حرمت عليه فقالت
الى الله اشكو فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرمت عليه
هتفت وشكت الى الله فنزلت في زوجها في شأنه ومعناه ان الله سميع بصير
يصح ان يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر فان قلت ما معنى قد في قوله قد سمع الله قول
التي تجادلك قلت معناه التوقع لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و
المجادلة كانا يتوقعان ان يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل في ذلك ما يفرج عنها
الذين يظاهرون منكم من نسائهم في منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم
في الظهار لانه كان من ايمان اهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم ما هن
امهاتهم وقرئ امهاتهم بالرفع على اللغة الحجازية والتميمية وفي قراءة ابن مسعود
ما هن بامهاتهم وزيادة الباء في لغة من ينصب والمعنى ان من يقول
لامرأته انت علي كظهر امي ملحق في كلامه هذا للزوج بالام وجاعلها مثلها
وهما متباينا الحالين ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم يريد ان الامهات على
الحقيقة انما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن فالمرضعات
امهات لانهن لما ارضعن دخلن بالرضاع في حكم الامهات وكذلك ازواج رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم امهات المؤمنين لان الله تعالى حرم نكاحهن على الامة
فدخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة لانهن لسن
امهات على الحقيقة ولا بداخلات في حكم الامهات وانهم ليقولون منكرا من
القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية وزورا
وكذبا باطلا منحرفا عن الحق وان الله لعفو غفور لما سلف منهم اذا
تيب عنه ولم يعد اليه ثم قال والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا يعني والذين كانت عادتهم ان يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه
بالاسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا فكفارة من عاد ان يحرر
رقبة ثم يماس المظاهر منها لا تحل له مماستها الا بعد تقديم الكفارة ووجه
آخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركونه لان المتدارك للامر عائد اليه ومنه

المثل على عيب على ما افسد اي تداركه بالاصلاح والمعنى ان تدارك هذا القول
وتلافيه بان يكفر حتى يرجع حالهما كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث وهو
ان يراد بما قالوا ما حرموه على انفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه
نحو ما ذكرنا في قوله ونرثه ما يقول ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس
والمماسة الاستمتاع بها من جماع او لمس بشهوة او نظر الى فرجها لشهوة
ذلكم الحكم توعظون به لان الحكم بالكفارة دليل
على ارتكاب الجناية فيجب ان تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا
عقاب الله تعالى عليه هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ نعم اذا وضع
موضع انت عضوا منها يعبر به عن الجملة كالراس والوجه والرقبة والفرج او مكان
الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الام كالبطن والفخذ او مكان الام ذات رحم
محرم منه من نسب او رضاع او صهر او جماع نحو ان يقول انت علي كظهر اختي من الرضاع
او عمتي من النسب او امراة ابني او ابي او ام امراتي او ابنتها فهو مظاهر وهو مذهب ابي
حنيفة واصحابه وعن الحسن والنخعي والاوزاعي والثوري وغيرهم نحوه و
قال الشافعي لا يكون الظهار الا بالام وحدها وهو قول قتادة وعن الشعبي
لم ينس الله ان يذكر البنات والاخوات والعمات والخالات اذ اخبر عن
الظهار انما ذكر الامهات الوالدات دون المرضعات وعن بعضهم لا بد من
الظهر حتى يكون ظهارا اذا امتنع المظاهر من الكفارة هل للمراة ان
ترافعه لها ذلك وعلى القاضي ان يجبره على ان يكفر وان يحبسه ولا شيء من الكفارات
يجبر عليه ويحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع
من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها فان قلت فان مس قبل ان يكفر
عليه ان يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روي ان سلمة بن صخر البياضي قال لرسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم ظاهرت من امراتي ثم ابصرت خلخالها في ليلة
قمراء فواقعتها فقال عليه وآله الصلاة والسلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر
اي رقبة تجزئ في كفارة الظهار المسلمة والكافرة جميعا لانها
في الاية مطلقة وعند الشافعي لا تجزئ الا المؤمنة لقوله تعالى في كفارة القتل

فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزئ ام الولد والمدبر والمكاتب الذي ادى شيئا فان
لم يؤد جاز وعند الشافعي لا يجزئ فمن لم يستطع فصيام شهرين متتابعين
من قبل ان يتماسا فان اعتق بعض الرقبة او صام بعض الصيام
ثم مس عليه ان يستانف نهارا مس او ليلا ناسيا او عامدا وعند
وعند ابي يوسف ومحمد عتق بعض الرقبة كلها فيجزيه فمن لم يستطع فاطعام
ستين مسكينا كم يعطي المساكين في الاطعام نصف صاع من بر
او صاعا من غيره عند ابي حنيفة وعند الشافعي مدا من طعام بلده الذي يقتات فيه
ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالاطعام كما ذكر عند الكفارتين
اختلف في ذلك فعند ابي حنيفة انه لا فرق بين الكفارات الثلث في وجوب
تقديمها على المسيس وانما ترك ذكره عند الاطعام دلالة على انه اذا وجد في خلال
الاطعام لم يستانف كما يستانف الصوم اذا وقع في خلاله وعند غيره لم يذكر
للدلالة على ان التكفير قبله وبعده سواء
الى ما دل عليه الكلام من الظاهر والمظاهر ذلك البيان والتعليم للاحكام
والتنبيه عليها لتؤمنوا لتصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار
وغيره وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم وتلك حدود الله التي لا يجوز تعديها
وللكافرين الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها عذاب اليم ان الذين يحادون
الله ورسوله يعادون ويشاقون كبتوا اخزوا واهلكوا كما كبت الذين
من قبلهم من اعداء الرسل قيل اريد كبتهم يوم الخندق وقد انزلنا آيات
بينات تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به وللكافرين بهذه الآيات عذاب
مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بلهم او بمهين او باضمار
اذكر تعظيما لليوم جميعا كلهم لا يترك منهم احد غير مبعوث او مجتمعين في حال
واحد كما تقول حي جميع فينبئهم بما عملوا تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم
يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤوس الاشهاد
احصاه الله احاط به عددا لم يفته منه شيء ونسوه لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه
لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي وانما تحفظ معظمات الامور والله على كل شيء شهيد

شهيد ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم كان المنافقون قرئ بالتاء
والتاء والياء على أن النجوى تأنيثها غير حقيقي ومن فاصلة أو على أن المعنى ما يكون شيء
من النجوى والنجوى التناجي فلا تخلو إما أن تكون مضافة إلى ثلثة أي من نجوى ثلثة
نفر أو موصوفة بها أي من أهل نجوى ثلثة فحذف الأهل أو جعلوا نجوى في
أنفسهم مبالغة كقوله خلصوا نجيا وقرأ ابن أبي عبلة ثلثة وخمسة بالنصب
على الحال بإضمار يتناجون لأن نجوى تدل عليه أو على تأويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه
فإن قلت ما الداعي إلى تخصيص الثلثة والخمسة قلت فيه
وجهان أحدهما أن قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذا
العدد ثلثة وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلثة ولا خمسة كما تراهم يتناجون
كذلك ولا أدنى من ذلك عددهم ولا أكثر إلا والله معهم يسمع ما يقولون
فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن
أمية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم أترى أن الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم
بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث إن كان يعلم بعضا علم كله وصدق لأن من علم
بعض الأشياء بغير سبب فقد علمها كلها لأن كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل
معلوم والثاني أنه قصد أن يذكر ما جرت عليه العادة من أعداد أهل النجوى
والمتخالين للشورى والمندوبون لذلك ليسوا بكل أحد وإنما هم طائفة مجتباة
من أولي النهى والأحلام ورهط من أهل الرأي والتجارب وأول عددهم
الاثنان فصاعدا إلى خمسة إلى ستة إلى ما اقتضته الحال وحكم به الاستصواب
ألا ترى إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف ترك الأمر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها
إلى سابع فذكر الله تعالى الثلثة والخمسة وقال ولا أدنى من ذلك فدل
على الاثنين والأربعة وقال ولا أكثر فدل على ما يلي هذا العدد ويقاربه وفي
مصحف عبد الله إلا الله رابعهم ولا أربعة إلا الله خامسهم ولا خمسة إلا الله سادسهم
ولا أقل من ذلك ولا أكثر إلا الله معهم إذا انتجوا وقرئ ولا أدنى من ذلك ولا
أكثر بالنصب على أن لا لنفي الجنس ويجوز أن يكون ولا أكثر بالرفع معطوفا على

لا مع أدنى كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز
أن يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة إلا بالله وأن يكون ارتفاعهما
عطفا على محل من نجوى كأنه قيل ما يكون أدنى ولا أكثر إلا هو معهم وقرئ ولا أكبر
بالباء ومعنى كونه معهم أنه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكأنه
مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة ثم ينبئهم بما عملوا
يوم القيمة إن الله بكل شيء عليم وقرئ ثم ينبئهم بالتخفيف ألم تر إلى
الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه كانت اليهود والمنافقون
يتناجون بينهم ويتغامزون بأعينهم إذا رأوا المؤمنين يريدون أن يغيظوهم
فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فعادوا لمثل فعلهم ويتناجون بالإثم
والعدوان ومعصية الرسول وكان تناجيهم بما هو إثم وعدوان للمؤمنين
وتواص بمعصية الرسول ومخالفته وقرئ ويتنجون بالإثم والعدوان بكسر العين
ومعصيات الرسول وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله يعني أنهم يقولون
في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده
الذين اصطفى ويا أيها الرسول ويا أيها النبي ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول كانوا يقولون ما له إن كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا الله
بما نقول فقال الله تعالى حسبهم جهنم عذابا يصلونها فبئس المصير يا
أيها الذين آمنوا خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ويجوز أن يكون للمؤمنين
إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول أي إذا تناجيتم
فلا تتشبهوا بأولئك في تناجيهم بالشر وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا
الله الذي إليه تحشرون وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كنتم ثلثة فلا يتناج
اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه وروي دون الثالث وقرئ دون الثالث
وقرئ فلا تنتجوا وعن ابن مسعود إذا انتجيتم فلا تنتجوا إنما النجوى من الشيطان
اللام إشارة إلى النجوى بالإثم والعدوان بدليل قوله ليحزن الذين آمنوا
والمعنى أن الشيطان يزينها لهم فكأنها منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم وليس الشيطان
أو الحزن بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون

كيف لا يضركم الشيطان وهو ان يقضي الموت على اقاربهم او الغلبة في
الغزاة وقرئ ليحزن وليحزن يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس
توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عني اي تنح ولا تتضاموا
وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانوا يتضامون
فيه تنافسا على القرب وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال
وهي مراكز الغزاة كقوله مقاعد للقتال وقرئ في المجالس قيل كان الرجل يأتي الصف
فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ في المجلس بفتح اللام وهو الجلوس
اي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح الله لكم مطلق في
كل ما يبتغي الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك واذا
قيل انشزوا انهضوا للتوسعة على المقبلين او انهضوا عن مجلس رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم اذا امرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم بالارتكاز فيه او انهضوا الى الصلوة والجهاد واعمال الخير اذا استنهضتم و
لا تثبطوا ولا تفرطوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم يرفع الله المؤمنين
بامتثال اوامره واوامر رسوله والذين اوتوا العلم والعالمين منهم خاصة درجات
والله بما تعملون خبير قرئ بالياء والتاء وعن عبد الله بن مسعود انه كان اذا قرأها
قال يا ايها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم وعن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين
سنة وعنه عليه وآله الصلوة والسلام فضل العالم على العابد كفضل ليلة القدر على
ساير الكواكب وعنه عليه وآله الصلوة والسلام يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء
ثم الشهداء فاعظم بمرتبة هي واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن عباس خير سليمن بين العلم والمال والملك فاختار
العلم فاعطي المال والملك معه وقال عليه وآله الصلوة والسلام اوحى الله تعالى الى
ابرهيم عليه الصلوة والسلم يا ابرهيم اني عليم احب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعري
اي شيء ادرك من فاته العلم واي شيء فات من ادرك العلم وعن الاحنف كاد العلماء
يكونوا اربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير وعن الزهري العلم ذكر لا يحبه

الحضر بالضم العدو

ذكر فلا يحبه الا ذكور من الرجال يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول
فقدموا بين يدي نجواكم صدقة استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم كقول
عمر رض من افضل ما اوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل امام حاجته فيستمطر
الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته ذلك خير لكم في دينكم واطهر
لان الصدقة طهرة روي ان الناس اكثروا مناجاة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم بما يريدون حتى املوه وابرموه فاريد ان يكفوا عن ذلك فامروا بان من
اراد ان يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة قال علي رضي الله عنه لما نزلت دعاني رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما تقول في دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة او شعيرة
قال انك لزهيد فلما راوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا اما الفقير فلعسرته
واما الغني فلشحه وقيل كان ذلك ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار وعن
علي رضي الله عنه ان في كتاب الله تعالى لآية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي
كان لي دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبي تصدق به في عشر
كلمات سألهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابن عمر رضي الله عنهما كان لعلي ثلث لو
كانت لي واحدة منهن كانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية
يوم خيبر وآية النجوى قال ابن مسعود وهي منسوخة بالآية التي بعدها وقيل هي
منسوخة بالزكوة فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ءاشفقتم ان
تقدموا بين يدي نجواكم صدقات اخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق
الذي تكرهونه وان الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء فاذ لم تفعلوا
ما امرتم به وتاب الله عليكم وعذركم ورخص لكم في ان لا
تفعلوه فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واطيعوا الله ورسوله فلا تفرطوا
في الصلوة والزكوة وسائر الطاعات والله خبير بما تعملون [illegible]
الم تر الى الذين تولوا قوما كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب
الله عليهم في قوله من لعنه الله وغضب عليه ويناصحونهم وينقلون اليهم اسرار
المؤمنين ما هم منكم يا مسلمون ولا منهم ولا من اليهود كقوله مذبذبين
بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ويحلفون على الكذب اي يقولون والله

انا المسلمون فيحلفون على الكذب الذي هو ادعاء الاسلام وهم يعلمون ان المحلوف عليه كذب بحت فما فائدة قوله وهم يعلمون الكذب ان يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر او لم يعلم قلنا لمعنى انهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون به وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس وقيل كان عبد الله بن نبيل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجرة من حجراته اذ قال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل ابن نبيل وكان ازرق فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فتمرنوا في الزمان الماضي المتطاول على سوء العمل مصرين عليه او هي حكاية ما يقال لهم في الآخرة اتخذوا ايمانهم وقرئ ايمانهم اي الكفر اي اتخذوا ايمانهم الذي اظهروه جنة اي سترة ليستروا بها دماءهم من المؤمنين من قتلهم فصدوا الناس في خلال امنهم وسلامتهم عن سبيل الله فكانوا يثبطون من لقوا في الدخول عن الاسلام ويضعفون امر المسلمين عندهم فلهم عذاب مهين وعدهم العذاب المهين المخزي لكفرهم وصدهم كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله من عذاب الله شيئا قليلا من الاغناء روي ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيمة بانفسنا واولادنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له على انهم مسلمون في الآخرة كما يحلفون لكم في الدنيا على ذلك ويحسبون انهم على شيء من النفع يعني انه ليس العجب من حلفهم لكم فانكم بشر يخفى عليكم السرائر وان لهم نفعا في ذلك دفعا عن ارواحهم واستجرار فوائد دنيوية وانهم يفعلونه في دار لا يضطرون فيها الى علم ما يوعدون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع

والاضطرار الى علم ما انذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل في نفاقهم ومرودهم عليه وان ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد اختلف العلماء في كذبهم في الآخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما يرى في الآية وفي قوله والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ويحسبون انهم على شيء من النفع اذا حلفوا استنطاقا لهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم كحسبانهم ان الايمان الكاذبة مما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم على افواههم الا انهم هم الكاذبون يعني انهم الغاية التي لا مطمح وراءها في قول الكذب حيث استوت حالهم فيه في الدنيا والآخرة استحوذ عليهم استولى عليهم من حاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها غالبا لها عليها ومنه كان احوذيا نسيج وحده وهو احد ما جاء على الاصل نحو استصوب واستنوق اي ملكهم الشيطان لطاعتهم له في كل ما يريد منهم حتى جعلهم حزبه ورعيته فانساهم ذكر الله ان يذكروا الله تعالى اصلا لا بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون قال ابو عبيدة حزب الشيطان جنده ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين في جملة من هو اذل خلق الله لا ترى احدا اذل منهم كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي بالحجة والسيف او باحدهما ان الله قوي عزيز لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله من باب التخييل خيل ان من الممتنع المحال ان تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض انه لا ينبغي ان يكون ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة في النهي عنه والزجر عن ملابسته والوصية بالتصلب في مجانبة اعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تاكيدا وتشديدا بقوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم وفي قوله اولئك كتب في قلوبهم الايمان وبمقابلة قوله اولئك حزب الشيطان بقوله اولئك حزب الله فلا تجد شيئا ادخل في الاخلاص من موالاة اولياء الله ومعاداة اعدائه بل هو الاخلاص بعينه كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها بما

وتفقههم فيه وشرح له صدورهم **وأيدهم بروح منه** بلطف من عنده
حييت به قلوبهم ويجوز ان يكون الضمير للايمان اي بروح من الايمان على
انه في نفسه روح لحيوة القلوب به **ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه اولئك حزب
الله الا ان حزب الله هم المفلحون** وعن الثوري انه قال كانوا يرون
انها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن ابي رواد انه لقيه المنصور في
الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان
يقول اللهم لفاجر ولا لفاسق عندي نعمه فاني وجدت فيما اوحيت لي **لا تجد
قوما** وروي انها نزلت في ابي بكر رض وذلك ان ابا قحافة سب رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او فعلته
قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف مني قريبا لقتلته وقيل في ابي عبيدة
بن الجراح يوم قتل اباه عبد الله بن الجراح يوم احد وفي ابي بكر يوم دعا ابنه
الى البراز وقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعني اكن في الرعلة الاولى
قال متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة سمعي وبصري وفي مصعب
بن عمير يوم احد وفي عمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفي علي وحمزة وعبيدة
بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة المجادلة كتب من حزب الله تعالى يوم القيمة

**بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في
السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو
الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم** صالح
بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر يوم
بدر قالوا هو النبي الذي نعته في التورية لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا

ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند
الكعبة فامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا
غيلة وكان اخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال
لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل
استمهلوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس
عبد الله بن ابي المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم
لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم احدى
وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا
الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على بعير ما شاؤا من متاعهم
فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي
بن اخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة واللام في **لاول الحشر**
تتعلق باخرج وهي اللام في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وفي قولك جئت لوقت كذا
والمعنى اخرج الذين كفروا عند اول الحشر ومعنى اول الحشر ان هذا اول حشرهم
الى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط او هم اول من اخرج من اهل
الكتاب من جزيرة العرب الى الشام او هذا اول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر
من خيبر الى الشام وقيل آخر حشرهم يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام
وعن عكرمة من شك ان المحشر ههنا يعني الشام فليقرا هذه الآية وقيل معناه
اخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه اول قتال قاتلهم رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم **ما ظننتم ان يخرجوا** لشدة باسهم ومنعتهم ووثاقة
حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم **وظنوا** ان حصونهم تمنعهم من باس الله
فاتاهم الله فاتاهم امر الله **من حيث لم يحتسبوا** من حيث لم يظنوا
ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف غرة على يد اخيه وذلك
مما اضعف قوتهم وفل من شوكتهم **وقذف في قلوبهم الرعب** وسلب قلوبهم
الامن والطمانينة بما قذف فيها من الرعب **يخربون بيوتهم بايديهم وايدي
المؤمنين** والهمهم ان يوافقوا المؤمنين في تخريب بيوتهم ويعينوا على انفسهم

على انفسهم وبين المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله
لم يكن في حسابهم ومنه اتاهم الهلاك اي فرق بين قولك وظنوا ان
حصونهم تمنعهم او مانعتهم وبين النظم الذي جاء عليه في تقديم الخبر
المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفي تصيير ضميرهم اسما
لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم في انفسهم انهم في عزة ومنعة لا يبالى
معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم وليس ذلك في قولك وظنوا ان حصونهم
تمنعهم وقرئ فآتاهم الله اي فآتاهم الهلاك والرعب الخوف الذي يرعب
الصدر اي يملأه وقذفه اثباته فيه وركزه ومنه قالوا في صفة الاسد مقذف
كانما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل اجزائه وقرئ يخربون ويخربون
مخففا ومشددا والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد كانوا
يخربون ظواهرها لما اراد الله من استئصال شافتهم وان لا يبقى لهم بالمدينة
دار ولا منهم ديار والذي دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة
ليسدوا بها افواه الازقة وان لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين
وان ينقلوا معهم ما كان في ابنيتهم من جيد الخشب والساج المليح واما المؤمنون
فداعيهم ازالة متحصنهم ومتمنعهم وان يتسع لهم مجال الحرب
ما معنى يخربونها بايدي المؤمنين قلت لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب
فكانهم امروهم به وكلفوهم اياه فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بما دبر الله
تعالى ويسر من امر اخراجهم وتسليط المؤمنين عليهم من غير قتال وقيل
وعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين ان يورثهم الله ارضهم
واموالهم بغير قتال فكان كما قال يعني ان الله قد عزم على تطهير ارض
المدينة منهم واباحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم اموالهم
ولولا ان كتب الله فلولا انه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه الى
لاشتد عليهم الموت لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل باخوانهم من بني قريظة
ولهم في الآخرة عذاب النار يعني ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة ذلك
بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب

ما قطعتم من لينة بيان لما قطعتم ومحل ما نصب كانه قال اي شيء قطعتم
وانث الضمير الراجع الى ما في قوله او تركتموها لانه في معنى اللينة
والنخلة من الالوان وهي ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما اجود النخل
وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة كانهم
اشتقوها من اللين قال ذو الرمة كان قتودي فوقها عش طائر على لينة سوقاء
وجمعها لين قائمة على اصولها وقرئ قوما على اصلها وفيه وجهان انه جمع
اصل كرهن ورهن واكتفى فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على اصوله ذهابا الى
لفظ ما فباذن الله فقطعها باذن الله وامره وليخزي الفاسقين وليذل اليهود
ويغيظهم اذن في قطعها وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين امر
بقطع نخلهم وحرقه قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الارض فما بال قطع النخل
وتحريقها فكان في انفس المؤمنين من ذلك شيء فنزلت يعني ان الله اذن لهم
في قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم الحسرة اذا رأيتموها يتحكمون في اموالكم كيف
احبوا ويتصرفون فيها ما شاؤوا واتفق العلماء على ان حصون الكفرة وديارهم
لا بأس بان تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك اشجارهم لا بأس
بقطعها مثمرة كانت او غير مثمرة وعن ابن مسعود رض قطعوا منها ما كان
موضعا للقتال لم خصت اللينة بالقطع ان كانت من الالوان
فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ
اليهود اشد وروي ان رجلين كانا يقطعان احدهما العجوة والآخر
اللون فسألهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال هذا تركتها
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال هذا قطعتها غيظا وقد استدل به
على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك
واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب وما افاء الله على رسوله جعله فيئا
له خاصة فما اوجفتم عليه الايجاف من الوجيف وهو السير السريع و
قوله عليه السلام في الافاضة من عرفات ليس البر بايجاف الخيل ولا ايضاع
الابل على هينتكم ومعنى فما اوجفتم عليه من خيل فما اوجفتم على تحصيله

خيلا ولا ركابا ولا تعبتم في القتال عليه وانما مشيتم اليه على ارجلكم
والمعنى ان ما خول الله ورسوله من اموال بني النضير شيء لم تحصلوه بالقتال والغلبة
ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما في ايديهم كما كان يسلط رسله
على من يشاء فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء والله على كل شيء
قدير يعني انه لا يقسم قسمة الغنائم التي قوتل عليها واخذت عنوة وقهرا
وذلك انهم طلبوا القسمة فنزلت ما افاء الله على رسوله من اهل القرى
ولم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهي منها غير اجنبية عنها
فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل بين للرسول
ما يصنع مما افاء الله تعالى عليه وامره ان يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم
مقسوما على الاقسام الخمسة والدولة والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما ما
يدول على الانسان اي يدور من الجد يقال دالت له الدولة واديل لفلان ومعنى
قوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم كيلا يكون الفيء الذي حقه ان
يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنيا يتكاثرون به او كيلا
يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية ان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون
بالغنيمة لانهم اهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عز بز والمعنى
كيلا يكون اخذه غلبة واثرة جاهلية ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال
الله دولا يريد من غلب منهم اخذه واستاثر به وقيل الدولة اسم ما يتداول
اسم ما يعتورونه يعني كيلا يكون شيئا يتداوله الاغنياء بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة
بالرفع على كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة يعني كيلا يقع دولة جاهلية
ولينقطع اثرها او كيلا يكون شيء متداول بينهم غير مخرج الى الفقراء وما آتاكم
الرسول من قسمة غنيمة او فيء فخذوه وما نهاكم عنه عن اخذه منها
فانتهوا عنه ولا تتبعه انفسكم واتقوا الله ان تخالفوه وتتهاونوا باوامره ونواهيه
ان الله شديد العقاب لمن خالف رسوله والاجود ان يكون عاما في كل ما اتى رسول
الله ونهى عنه وامر الفيء داخل في عمومه وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه لقي رجلا محرما
وعليه ثيابه فقال له انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ علي في هذا آية من كتاب الله

اعدائهم ص
لعله

ويتعاورونه فلا يصيب
الفقراء والدولة بالفتح
بمعنى التداول اي كيلا
يكون ذا تداول بينهم
او كيلا يكون امساكه
تداولا بينهم

فترا ما عليه للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم
يبتغون فضلا من الله ورضوانا للفقراء بدل من قوله لذي القربى والمعطوف
عليه والذي منع الابدال من لله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان المعنى
لرسول الله ان الله تعالى اخرج رسوله من الفقراء في قوله وينصرون الله
ورسوله وانه يترفع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن التسمية بالفقير
وان الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب في تعظيم الله تعالى اولئك هم
الصادقون في ايمانهم وجهادهم والذين تبوءوا الدار معطوف على المهاجرين
وهم الانصار ما معنى عطف والايمان على الدار ولا يقال تبوءوا الايمان
معناه تبوءوا الدار واخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا او جعلوا
الايمان مستقرا وتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة
كذلك او اراد دار الهجرة ودار الايمان فاقام لام التعريف في الدار مقام المضاف
اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه او سمي المدينة لانها
دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان من قبلهم من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم
في تبوء دار الهجرة وقيل من قبل هجرتهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون
ولا يعلمون في انفسهم حاجة مما اوتوا اي طلب محتاج اليه مما اوتي
المهاجرون من الفيء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك واعطاه
من ماله حاجته يعني ان نفوسهم لم تتبع ما اعطوا ولم يطمح الى شيء منه يحتاج اليه
ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة اي خلة واصلها خصاص
البيت وهي فروجه والجملة في موضع الحال اي مفروضة خصاصتهم وكان رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم قسم اموال بني النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار
الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة
وقال ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة
وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة
فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم
فيها فنزلت واحضرت الانفس الشح الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللؤم

وان يكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال يمارس نفسا بين جنبيه كزة
اذا هم بالمعروف قالت له مهلا وقد اضيف الى النفس لانه غريزة فيها واما البخل
فهو المنع نفسه ومنه قوله تعالى ومن يوق شح نفسه ومن غلب ما امرته به
نفسه وخالف هواها بمعونة الله وتوفيقه فاولئك هم المفلحون الظافرون
بما ارادوا وقرئ ومن يوق والذين جاؤا من بعدهم عطف ايضا على
المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا
للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم وقرئ غمرا وهما الحقد الم تر الى
الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب الذين
بينهم وبينهم اخوة الكفر ولانهم كانوا يوالونهم ويواخونهم وكانوا معهم
على المؤمنين في الباطن لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم في قتالكم
احدا ابدا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ان حملنا عليه او في
خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصرة وان قوتلتم لننصرنكم والله
يشهد انهم لكاذبون اي في مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة
لانه اخبار بالغيب لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
ولئن نصروهم ليولن الادبار كيف قيل ولئن نصروهم بعد الاخبار
بانهم لا ينصرونهم معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله
لئن اشركت ليحبطن عملك كما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون
والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمن المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك
اي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او لينهزمن اليهود ثم لا تنفعهم نصرة
المنافقين لانتم اشد رهبة مصدر رهب المبني للمفعول كانه قيل هي اشد مرهوبية
وقوله في صدورهم دلالة على نفاقهم يعني انهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله
وانتم اهيب في صدورهم من الله لانهم كانوا يرهبون من الله
حتى يكون رهبتهم منهم اشد معناه ان رهبتهم في السر منكم اشد
من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله

ان يريد ان اليهود يخافونكم في صدورهم اشد من خوفهم من الله لانهم قوما
اولي باس ونجدة وكانوا يتشجعون لهم مع اضمار الخيفة في صدورهم ذلك
بانهم قوم لا يفقهون لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته لا يقاتلونكم
لا يقدرون على مقاتلتكم جميعا مجتمعين متفقين يعني اليهود والمنافقين الا
كائنين في قرى محصنة بالخنادق والدروب او من وراء جدر دون ان يصحروا
لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب في قلوبهم وتأييد الله تعالى ونصرته
معكم وقرئ جدر بالتخفيف وجدار وجدر وهما الجدار باسهم بينهم
شديد يعني ان الباس الشديد الذي يوصفون به فانما هو بينهم اذا اقتتلوا
ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك الباس والشدة لان الشجاع يجبن والعزيز يذل
عند محاربة الله ورسوله تحسبهم جميعا مجتمعين ذوي الفة وقلوبهم شتى
متفرقة لا الفة بينها يعني ان بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق
التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم
على قتالهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون اي تشتت القلوب مما يوهن قواهم
ويعين على ادبارهم كمثل الذين من قبلهم اي مثلهم كمثل اهل بدر
في زمان قريب بم انتصب قريبا بمثل على كوجود مثل اهل بدر قريبا
ذاقوا وبال امرهم سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم كالادبار ووخيم سيئ العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا
ولهم في الآخرة عذاب اليم عذاب النار مثل المنافقين في اغرائهم اليهود
على القتال ووعدهم اياهم النصرة ثم متاركتهم لهم واخلافهم كمثل
الشيطان اذ قال للانسان اكفر اذا استغوى الانسان بكيده فلما
كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين تبرأ منه في
العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم واني
جار لكم الى قوله اني بريء منكم فكان عاقبتهما انهما في النار خالدين
فيها وذلك جزاء الظالمين وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه خالدان فيها على انه خبر
ان وفي النار لغو وعلى القراءة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال وقرئ بالرفع

وعاقبتهما بالرفع يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد
كرر الامر بالتقوى تاكيدا واتقوا الله في اداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل
واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن بما يجري مجرى الوعيد والغد يوم القيمة سماه
الذي يلي يومك تقريبا له عن الحسن لم يزل تقربه حتى جعله كالغد ونحوه كان
لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن الآخرة بالغد كان الدنيا
والآخرة نهاران يوم وغد ما معنى تنكير النفس والغد
النفس فاستقلال للانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كانه قال ولتنظر نفس
واحدة في ذلك واما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام امره كانه قيل لغد لا يعرف
كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا
ما قدمنا خسرنا ما خلفنا ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه
فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون فجعلهم ناسين حق انفسهم
بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده او فاراهم يوم القيمة من
الاهوال ما نسوا فيه انفسهم كقوله لا يرتد اليهم طرفهم لا يستوي
اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون هذا تنبيه للناس وايذان
بانهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة
واتباع الشهوات كانهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم
بين اصحابهما وان الفوز مع اصحاب الجنة فمن حقهم ان يعلموا ذلك وينبهوا
عليه كما يقول لمن يعق اباه هو ابوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه
بذلك على حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل اصحاب الشافعي
بهذه الآية على ان المسلم لا يقتل بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين
بالقهر لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا
من خشية الله هذا تمثيل وتخييل كما مر في قوله انا عرضنا الامانة على السموات
والارض ودل عليه قوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون
والغرض توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر
قوارعه وزواجره وقرئ مصدعا على الادغام وتلك الامثال اشارة الى

المثل والى امثاله في مواضع من التنزيل هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب
المعدوم والشهادة الموجود المدرك كانه مشاهد وقيل ما غاب عن العباد
وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة هو الرحمن الرحيم
هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس بالضم والفتح وقرئ بهما البليغ في
النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس
رب الملائكة والروح السلام بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم
وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص او في اعطائه السلامة
المؤمن واهب الامن وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول في قوم موسى
من قوله واختار موسى قومه المختارون بلفظ صفة السبعين المهيمن الرقيب
على كل شيء الحافظ له مفيعل من الامن الا ان همزته قلبت هاء العزيز
الجبار القاهر الذي جبر خلقه على ما اراد اي اجبره المتكبر
البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم عباده سبحان الله عما يشركون
هو الله الخالق المقدر لما يوجده البارئ المميز بعضه من بعض بالاشكال
المختلفة المصور الممثل وعن حاطب بن ابي بلتعة انه قرأ البارئ المصور بفتح
الواو ونصب الراء اي الذي يبرأ المصور اي يميز ما يصوره بتفاوت الهيئات
له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز
الحكيم وقرأ ابن مسعود درهم وما في الارض عن ابي هريرة رضي الله عنه سألت خليلي
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك باخر الحشر
فاكثر قراءته فاعدت عليه فاعاد علي فاعدت عليه فاعاد علي وعن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا
لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء روي ان مولاة لابي عمرو بن صيفي

بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة وهو
يتجهز للفتح فقال لها أمسلمة جئت قالت لا قال أفمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك
قالت كنتم الأهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي يعني قتلوا يوم بدر فاحتجت
حاجة شديدة فحث عليها بنو عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فأتاها
حاطب بن أبي بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا إلى
مكة نسخته من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة اعلموا أن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبرئيل عليه السلام
بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير
والمقداد وأبا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ
فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة فخذوه منها
وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فأدركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع
فقال علي رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم وسل سيفه وقال أخرجي الكتاب أو تضعي رأسك فأخرجته من عقاص
شعرها وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم يوم الفتح إلا أربعة هي أحدهم فاستحضر رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت
ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش
وروي عريرا فيهم أي غريبا ولم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين
لهم قرابات بمكة يحمون بها أهاليهم وأموالهم غيري فخشيت على أهلي
فأردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت أن الله تعالى ينزل عليهم بأسه وأن
كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه وقبل عذره وقال عمر دعني أضرب عنق
هذا المنافق فقال وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا
فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله تعالى ورسوله أعلم فنزلت عدى
الاتخاذ إلى مفعوليه وهما عدوي وأولياء والعدو فعول من عدا كعفو
من عفا ولكونه على زنة المصدر أوقع على الجميع إيقاعه على الواحد

غريبا

تلقون يجوز أن يتعلق بلا تتخذوا أي لا تتخذوهم ملقين حالا
من ضميره وبأولياء أي لا تجعلوهم أولياء مخصوصين بالموالاة صفة ويجوز أن يكون
استئنافا فإن [قلت] إذا جعلته صفة لأولياء وقد جرى على غير من هو له فأين الضمير
البارز وهو قولك تلقون إليهم أنتم بالمودة قلت ذلك إنما اشترطوه في
الأسماء دون الأفعال لو قيل أولياء ملقين إليهم بالمودة على الوصف لما كان
بد من الضمير البارز والإلقاء عبارة عن إيصال المودة والإفضاء بها إليهم يقال
ألقى إليه خراشي صدره وأفضى إليه بشقوره والباء في المودة إما زائدة مؤكدة للتعدي
مثلها في ولا تلقوا بأيديكم وإما ثابتة على أن مفعول تلقون محذوف معناه تلقون
إليهم أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذلك
قوله تسرون إليهم بالمودة أي تفضون إليهم بمودتكم سرا أو تسرون إليهم أسرار
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبب المودة وقد كفروا
حال من لا تتخذوا وإما من تلقون أي لا تتولوهم
أو توادوهم وهذه حالهم ويخرجون الرسول وإياكم استئناف كالتفسير
لكفرهم وعتوهم أو حال من كفروا أن تؤمنوا بالله ربكم تعليل ليخرجون
أي يخرجونكم لإيمانكم وإن كنتم خرجتم متعلق بلا تتخذوا يعني لا تتولوا أعدائي
إن كنتم أوليائي وقول النحويين في مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله
عليه تسرون إليهم استئناف ومعناه أي طائل لكم في إسراركم وقد علمتم أن
الإخفاء والإعلان سيان في علمي لا تفاوت بينهما وأنا مطلع رسولي على ما تسرون
ومن يفعله منكم ومن يفعل هذا الإسرار فقد ضل سواء السبيل فقد أخطأ
طريق الحق والصواب وقرأ الجحدري لما جاءكم أي كفروا لأجل ما جاءكم بمعنى أن
ما كان يجب أن يكون سبب إيمانهم جعلوه سببا لكفرهم إن يثقفوكم إن
يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم أعداء خالصي العداوة ولا يكونوا لكم
أولياء كما أنتم ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء بالقتل
والشتم وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فإذن موادة أمثالهم ومناصحتهم خطأ
عظيم منكم ومغالطة لأنفسكم ونحوه قوله تعالى لا يألونكم خبالا

جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي

كيف اورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال ودوا لو تكفرون بلفظ
الماضي المماضي وان كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الاعراب
فان فيه نكتة كانه قيل ودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم يعني انهم يريدون
ان يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم
كفارا اسبق المضار عندهم واولها لعلمهم ان الدين اعز عليكم من ارواحكم لانكم
بذالون لها دونه والعدو اهم شيء عنده ان يقصد اعز شيء عند صاحبه لن
تنفعكم ارحامكم اي اقرباؤكم ولا اولادكم الذين توالون الكفار
من اجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم ثم قال يوم القيمة يفصل بينكم
وبين اقاربكم واولادكم يوم يفر المرء من اخيه الآية فما لكم ترفضون حق الله مراعاة
لحق من يفر منكم غدا خطأ رايهم في الموالاة مع الكفار بما يرجع الى حال من والوه اولا
بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا ليريهم ان ما اقدموا عليه من اي جهة
نظرت فيه وجدته باطلا يفصل ويفصل على البناء للمفعول ويفصل ويفصل
على البناء للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون والله بما تعملون
بصير قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم والذين معه اذ قالوا
لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا
بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله
وحده قرئ اسوة واسوة وهو اسم للمؤتسى به اي كان فيهم مذهب حسن
مرضي بان يؤتسى به ويتبع اثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم
بالعداوة وقشروا لهم العصا واظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بان سبب عداوتهم
وبغضائهم ليس الا كفرهم بالله وما دام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة
الى ان ازالوه وآمنوا بالله وحده فانقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت
مقة فافصحوا عن محض الاخلاص ومعنى كفرنا بكم وبما تعبدون من دون الله انا
لا نعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم وما انتم عندنا على شيء ثم استثنى قوله
الا قول ابرهيم استثناء من قوله اسوة حسنة لانه اراد بالاسوة الحسنة
قولهم الذي حق عليهم ان يأتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها

فان كان لاستغفرن لك صادرا منه فليس من القول الذي هو اسوة حسنة فما
بال قوله وما املك لك من الله من شيء وهو غير حقيق بالاستثناء الا ترى الى
قوله قل فمن يملك لكم من الله شيئا قلت اراد استثناء جملة قوله لابيه والقصد
الى موعد الاستغفار له وما بعده مبني عليه وتابع له كانه قال انا استغفر
لك وما في طاقتي الا الاستغفار ثم يتصل قوله ربنا عليك
توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا
واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم بما قبل الاستثناء
وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز ان يكون المعنى قولوا امر من الله
للمؤمنين بان يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق
بينهم وبين الكفار والايتساء بابرهيم وقومه في البراءة منهم وتنبيها على
الانابة الى الله تعالى والاستعاذة به من اهل الكفر والاستغفار مما فرط
منهم وقرئ براء كشركاء وبراء كظراف وبراء على ابدال الضم من الكسر
كرخال ورباب وبراء على الوصف بالمصدر والبراء والبراءة كالظماء والظماءة
لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة ثم كرر الحث على الايتساء بابرهيم
وقومه تقريرا وتاكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية
في التاكيد وابدل عن قوله لكم قوله لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر
وعقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فلم يترك نوعا من التاكيد
الا جاء به عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة
ولما نزلت هذه الآيات تشدد المؤمنون في عداوة آبائهم وابنائهم وجميع اقربائهم
من المشركين ومقاطعتهم فلما رأى الله تعالى الجد منهم والصبر على الوجد الشديد
وطول التمني للسبب الذي يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير
ما تمنوه فلما يسر فتح مكة اظفرهم الله تعالى بامنيتهم فاسلم قومهم وتم
بينهم من التحاب والتصافي ما تم وقيل تزوج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ام حبيبة فلانت عند ذلك عريكة ابي سفيان واسترخت شكيمته في العداوة
كانت ام حبيبة قد اسلمت وهاجرت مع زوجها عبد الله الى الحبشة فتنصر

وراودوها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى النجاشي الى الحبشة فخطبها وساق عنه
اليها اربعمائة دينار وبلغ ذلك اباها فقال ذلك الفحل لا يقدع انفه وعسى
من الله تعالى على عادات الملوك حيث يقولون في بعض الحوائج عسى او لعل
فلا يبقى شبهة للمحتاج في تمام ذلك او قصد به اطماع المؤمنين والله قدير
على تقليب الامور وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور
رحيم لمن اسلم من المشركين لا ينهاكم الله عن الذين لم
يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم
وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن
الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا
على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون
ان تبروهم بدل من الذين لم يقاتلوكم وكذلك ان تولوهم من الذين قاتلوكم
والمعنى لا ينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولي هؤلاء وهذا ايضا
لتشددهم وجدهم في العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم
رخص لهم في صلة من لم يجاهرهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم
وقيل اراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على
ان لا يقاتلوا ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا
وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على اسماء بنت ابي بكر امها قتيلة
بنت عبد العزى وهي مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت
فامرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن
اليها وعن قتادة نسختها آية القتال وتقسطوا اليهم وتقضوا اليهم بالقسط
ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين ان يستعملوا القسط مع المشركين
ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم اخيه المسلم يا ايها الذين
آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات سماهن مؤمنات لتصديقهن
بالسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ما ينافي ذلك لانهن

مشارفات للثبات اما نعرف ولا يتحقق الا فامتحنوهن فابتلوهن بالحلف و
النظر في الامارات ليغلب على ظنكم صدق ايمانهن وكان يقول رسول
الله صلى الله عليه وآله وسلم للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من
بغض زوج في الامارات ليغلب على ظنكم صدق ايمانهن وكان يقول رسول الله
للممتحنة بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت رغبة
من ارض الى ارض بالله ما خرجت التماس دنيا بالله ما خرجت الا حبا لله ولرسوله
الله اعلم بايمانهن منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان
استحلفتموهن ورزتم احوالهن وعند الله حقيقة العلم به فان علمتموهن مؤمنات
العلم الذي يبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات
فلا ترجعوهن الى الكفار فلا تردوهن الى ازواجهن المشركين
لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن اذ لا حل بين المؤمنة والمشرك وآتوهم ما انفقوا
واعطوا ازواجهن ما دفعوا اليهن من المهور وذلك لان صلح الحديبية
كان على ان من اتاكم من اهل مكة رد اليهم ومن اتى مكة منكم لم يرد اليكم
وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية مسلمة و
النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي
بن الراهب فقال يا محمد اردد علي امرأتي فانك قد شرطت لنا ان ترد علينا من
اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما كان في
الرجال دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
وبين المشركين عهد ان لا تأتيك امرأة ليست على دينك الا رددتها الينا فان
دخلت في دينك ولها زوج ان ترد على زوجها الذي انفق عليها وللنبي صلى
الله عليه وآله وسلم من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا
العهد براءة فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحلفت فاعطى زوجها
ما انفق وتزوجها عمر كيف سمي الظن علما في قوله فان علمتموهن
ايذانا بان الظن الغالب وما يفضي اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى
العلم وان صاحبه غير داخل في قوله ولا تقف ما ليس لك به علم

قوله الله اعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فائدة صح

فائدة بيان ان لا سبيل لكم الى ما تطمئن به النفوس ويثلج الصدر من
الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استأثر به علام الغيوب وان ما
يؤدي اليه الامتحان من العلم كاف في ذلك وان تكليفكم لا يعدوه ولا جناح
عليكم ان تنكحوهن ثم نفى عنهم الجناح في تزوج هؤلاء المهاجرات
اذا آتيتموهن اجورهن اي مهورهن لان المهر اجر البضع ولا يخلو اما ان يراد
بها ما يدفع اليهن ليدفعنه الى ازواجهن فيشترط في اباحة تزوجهن تقديم
ادائه واما ان يراد ان ذلك اذا دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجن
على ذلك لم يكن به باس واما ان يبين لهم ان ما اعطي ازواجهن لا يقوم
مقام المهر وانه لا بد من اصداق وبه احتج ابو حنيفة على ان احد الزوجين
اذا خرج من دار الحرب مسلما او بذمة وبقي الآخر حربيا وقعت الفرقة
ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا ان تكون حاملا ولا
تمسكوا بعصم الكوافر والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعني
اياكم واياهن ولا يكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال من كانت امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع
عصمتها منه وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات
مع الكفار ومفارقتهن واسألوا ما انفقتم من مهور نسائكم اللاحقات
بالكفار وليسألوا ما انفقوا من مهور نسائهم المهاجرات وقرئ ولا تمسكوا
بالتخفيف ولا تمسكوا بالتثقيل ولا تمسكوا اي ولا تتمسكوا ذلكم حكم الله
يعني جميع ما ذكر في هذه الآية يحكم بينكم والله عليم حكيم
كلام مستأنف او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه او جعل الحكم
حاكما على المبالغة روي انه لما نزلت ادى المؤمنون ما امروا به من مهور المهاجرات
الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن
المسلمين فنزل قوله وان فاتكم وان سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم
احد منهن الى الكفار وهو في قراءة ابن مسعود احد هل لايقاع
في هذا الموقع فائدة الفائدة ان لا يغادر شيء من هذا الجنس وان قل

ازواجهم

بفتح القاف وكسرها فمعنى اعقبتم دخلتم في العقبة وعقبتم من عقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يعقب صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف صح

وان قل غير معوض منه تغليظا في هذا الحكم وتشديدا فيه فعاقبتم من العقبة
وهي النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء مهور
نساء اولئك تارة واولئك مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون
فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من اداء المهر
فآتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا فآتوا من فاتته زوجته الى الكفار مثل
مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وكذلك عن الزهري
يعطى من صداق من لحق بهم وقرئ فعقبتم فاعقبتم بالتخفيف يقال عقبه
يعقبه واعقبتم نحو تبعتم قال الزجاج فعاقبتم فاصبتموهم في القتال بعقوبة
حتى غنمتم والذي ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها
من القراءات فكانت العقبى لكم اي كانت الغلبة لكم حتى غنمتم وقيل
جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين راجعة عن الاسلام ست نسوة
ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي
امية كانت تحت عمر بن الخطاب وهي اخت ام سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس
بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبد ود وهند بنت
ابي جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر واعطاهم
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الغنيمة يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات
يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين
ولا يقتلن اولادهن وقرئ يقتلن بالتشديد يريد وأد البنات ولا
يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن كانت المرأة تلتقط
المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها و
رجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذي تحمله فيه بين
اليدين وفرجها الذي بين الرجلين ولا يعصينك في معروف فيما تأمرهن به
من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات وقيل كل ما وافق طاعة الله
فهو معروف لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لا يأمر الا بمعروف نبه بذلك على ان طاعة

تحته

ت

معروف
مهن

الجلي وفي موعظة الحال وتحديره بمبالغة التوقي والاجتناب فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال اخذ في بيعة النساء وهو على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه يبايعهن بامره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة ابي سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان يعرفها فقال ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند راسها فقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقال عليه وآله ولا يسرقن فقالت ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فما ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبي الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت او تزني الحرة وفي رواية ما زنت منهن امرأة قط فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا ياتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لامر قبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولا يعصينك في معروف فقالت ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء وقيل في كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده وغمس ايديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطري وقيل كان عمر يصافحهن عنه روي ان بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم مغضوبا عليهم قد يئسوا من الآخرة من ان يكون لهم حظ في الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم يعلمون انه الرسول المبعوث في التورية كما يئس الكفار من اصحاب القبور من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا احياء وقيل من اصحاب القبور بيان للكفار اي كما يئس الكفار الذين قبروا من

الآخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون لم هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت او الاسكان ومن اسكن فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلثه اربعه بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعد وروي ان المؤمنين قالوا لو نعلم احب الاعمال الى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه انفسنا واموالنا فدلهم الله تعالى على الجهاد في سبيله فولوا يوم احد فعيرهم الله وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل قد اذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب اخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم انك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا ابا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل وعن الحسن نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وبايمانهم هذا من افصح كلام وابلغه في معناه قصد في كبر التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره واشكاله واسند الى ان تقولوا

وينصب مقتا على التمييز دلالة على أن قولهم ما لا تفعلون مقت خالص
لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لأنه أشد البغض
وأبلغه ومنه قيل نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على أن جعل البغض
كبيرا حتى جعل أشده وأفحشه وعند الله تعالى أبلغ من ذلك لأنه إذا ثبت
كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك وعن بعض
السلف أنه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال تأمروني أن أقول
ما لا أفعل وأستعجل مقت الله تعالى في قوله إن الله يحب الذين يقاتلون في
سبيله عقيب ذكر المقت المخلف دليل على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا
الثبات في قتال الكفار فلم يفوا وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما يقاتلون بفتح التاء
صفا صافين أنفسهم أو مصفوفين كأنهم في تراصهم من غير
فرجة وخلل بنيان مرصوص رص بعضه إلى بعض ورصف وقيل يجوز أن يريد
استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن
بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لأن الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة
وقوله صفا كأنهم بنيان حالان متداخلان وإذ قال موسى لقومه أي
واذكر إذ قال أو وحين قال لهم كذا وكذا يا قوم لم تؤذونني كانوا يؤذونه
بأنواع الأذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما
تعود إليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب
الذي هو تضييع حق الله تعالى وحقه وقد تعلمون في موضع الحال أي تؤذونني
عالمين علما يقينا أني رسول الله إليكم وقضية علمكم بذلك وموجبه
تعظيمي وتوقيري لا أن تؤذوني وتستهينوا بي لأن من عرف الله تعالى وعظمته
عظم رسوله علما بأن تعظيمه في تعظيم رسوله ولأن من آذاه كان وعيد الله لاحقا
به فلما زاغوا عن الحق أزاغ الله قلوبهم بأن منع ألطافه والله لا يهدي
القوم الفاسقين لا يلطف بهم لأنهم ليسوا من أهل اللطف فإن قلت ما معنى قد
في قوله وقد تعلمون قلت معناه التوكيد كأنه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة
لكم فيه وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله

إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي
من بعدي اسمه أحمد قيل إنما قال يا بني إسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى
لأنه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى أرسلت إليكم في حال تصديقي ما تقدمني
من التوراة وفي حال تبشيري برسول يأتي من بعدي يعني أن ديني التصديق بكتب
الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدي بسكون الياء وفتحها و
الخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب أن الحواريين قالوا يا روح الله هل بعدنا
من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون
من الله باليسير من الرزق ويرضى الله عنهم باليسير من العمل
مصدقا ومبشرا حالان والعامل فيهما ما في الرسول من معنى الإرسال لا إليكم
لأن إليكم صلة للرسول فلا يجوز أن يعمل شيئا لأن حروف الجر لا تعمل بأنفسها
ولكن بما فيها من معنى الفعل فإذا وقعت صلات لم تتضمن معنى الفعل فلم تعمل
فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين وقرئ هذا ساحر ومن
أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا
يهدي القوم الظالمين وأي الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه
إلى الإسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب
على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر لأن السحر كذب وتمويه
وقرأ طلحة وهو يدعى وهو يدعي بمعنى دعاه وادعاه نحو لمسه والتمسه
يدعى بمعنى يدعو وهو كقوله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم
أصله يريدون أن يطفئوا كما جاء في براءة وكأن هذه اللام زيدت مع فعل
الإرادة تأكيدا له لما فيها من معنى الإرادة في قولك جئتك لإكرامك كما زيدت
اللام في لا أبا لك تأكيدا لمعنى الإضافة في لا أباك وإطفاء نور الله بأفواههم تهكم بهم في إرادتهم إبطال
الإسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس
بفيه ليطفئه والله متم نوره ولو كره الكافرون أي متم الحق
ومبلغه غايته وقرئ بالإضافة هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين
الحق الملة الحنيفية ليظهره على الدين كله ليعليه على جميع الأديان

المخالفة له ولو كره المشركون ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الاديان
الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى عليه السلام
لم يكن في الارض الا دين الاسلام يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم
على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تجاهدون في سبيل الله خفافا وثقالا تؤمنون
بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم
استئناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في معنى الامر ولهذا اجيب
بقوله يغفر لكم ويدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا
لم جيء على لفظ الخبر للايذان بوجوب الامتثال فكانه امتثل
فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله
لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كانها كانت ووجدت هل
لقول الفراء انه جواب هل ادلكم وجه وجهه ان متعلق الدلالة هو
التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد فكانه قيل هل تتجرون بالايمان
يغفر لكم فما وجه قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما تؤمنوا وتجاهدوا
وجهها ان يكون على اضمار لام الامر كقوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت
وعن ابن عباس رضي الله عنهم قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله لعملنا فنزلت هذه
الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ما هي فدلهم الله تعالى عليها بقوله تؤمنون
بالله ورسوله وهذا دليل على ان تؤمنون كلام مستانف وعلى ان الامر الوارد
على النفوس بعد تشوف وتطلع منها اليه اوقع فيها واقرب من قبولها له مما
فوجئت به ذلكم يعني ما ذكر من الايمان والجهاد خير لكم من اموالكم
وانفسكم ما معنى قوله ان كنتم تعلمون معناه ان كنتم
تعلمون انه خير لكم كان خيرا لكم لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه
احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم فتخلصون وتفلحون
يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار
ذلك الفوز العظيم واخرى تحبونها ولكم الى هذه النعمة المذكورة
من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة اخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله

نصر من الله وفتح قريب اي عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن فتح فارس والروم
وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل علام عطف قوله و
بشر المؤمنين على تؤمنون في معنى الامر كانه قيل آمنوا وجاهدوا
يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك لم نصب من
قرا نصرا من الله وفتحا قريبا يجوز ان ينتصب على الاختصاص او على تنصرون
نصرا ويفتح لكم فتحا او على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم اخرى نصرا و
فتحا قرئ يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله وانصارا لله و
قرا ابن مسعود كونوا انتم انصار الله وفيه زيادة حث للنصرة عليهم
كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصاري الى الله قال الحواريون
ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم انصارا بقول عيسى
عليه السلام من انصاري الى الله التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد
انصار الله كما كان الحواريون انصار عيسى حين قال لهم من انصاري الى الله
ما معنى قوله من انصاري الى الله يجب ان يكون معناه مطابقا
لجواب الحواريين نحن انصار الله والذي يطابقه ان يكون المعنى من جندي
متوجها الى نصرة الله واضافة انصاري خلاف اضافة انصار الله فان
معنى نحن انصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من انصاري من الانصار
الذين يختصون لي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح ان يكون معناه من ينصرني
مع الله لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من قرا من انصار الله والحواريون
اصفياؤه وهم اول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل
صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص والحواري الدرمك ومنه
قوله عليه الصلاة والسلام الزبير ابن عمتي وحواريي من امتي وقيل كانوا قصارين يحورون
الثياب يبيضونها ونظير الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيل فآمنت طائفة
من بني اسرائيل بعيسى عليه السلام وكفرت طائفة فايدنا الذين آمنوا
على عدوهم مؤمنيهم على كفارهم فاصبحوا ظاهرين فظهروا عليهم وعن زيد
بن علي كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو رفيقه يوم القيامة

من قرا سورة الصف
كان عيسى عليه السلام
مصليا عليه مستغفرا
له ما دام في الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات
وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم قرئت صفات الله تعالى بالرفع على المدح
كأنه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمد
لله أهل الحمد هو الذي بعث في الأميين الأمي منسوب إلى أمة العرب لأنهم
كانوا لا يكتبون ولا يقرؤون من بين الأمم وقيل بدأت الكتابة بالطائف أخذوها
من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الأنبار ومعنى بعث في الأميين رسولا
منهم بعث رجلا أميا في أميين كما جاء في حديث شعيا إني أبعث أعمى في عميان
وأميا في أميين وقيل منهم كقوله من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله وقرئ
في الأمين بحذف ياء النسب يتلو عليهم آياته يقرؤها عليهم مع كونه أميا
مثلهم لم يعلم منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة أمي بغير تعلم آية بينة ويزكيهم
ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن
وإن في وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين هي المخففة من الثقيلة و
اللام دليل عليها أي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه وآخرين
منهم لما يلحقوا بهم مجرور عطف على الأميين يعني الذين جاؤوا بعد
بعثه في الأميين الذين على عهده ومن آخرين من الأميين لم يلحقوا بهم بعد
وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضوان الله عليهم وقيل لما نزلت
قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الإيمان عند
الثريا لتناوله رجال من هؤلاء وقيل هم الذين يأتون من بعدهم إلى
يوم القيامة ويجوز أن ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم أي ويعلمهم ويعلم
آخرين لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مستندا إلى أوله
فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه وهو العزيز الحكيم
في تمكينه رجلا أميا من ذلك الأمر العظيم وتأييده عليه واختياره إياه

من بعده كافة البشر ذلك الفضل الذي أعطاه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم
وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغوابر هو فضل الله يؤتيه
من يشاء إعطاءه وتقتضيه حكمته والله ذو الفضل العظيم مثل الذين
حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا شبه اليهود
في أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم إنهم غير عاملين بها ولا
منتفعين بآياتها وذلك أن فيها بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار يحمل أسفارا أي كتبا كبارا من كتب العلم
فهو يمشي بها ولا يدري منها إلا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل
من علم ولم يعمل به فهذا مثله وبئس المثل مثلا مثل القوم الذين كذبوا
بآيات الله وهم الذين كذبوا وهم اليهود والذين كذبوا بآيات الله
الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعنى حملوا التوراة كلفوا
علمها والعمل بها ثم لم يعملوا بها وكأنهم لم يحملوها وقرئ حملوا التوراة أي
حملوها ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل وقرئ يحمل الأسفار ويحمل
ما محله النصب على الحال أو الجر على الوصف لأن الحمار كاللئيم في قوله
ولقد أمر على اللئيم يسبني والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا أيها
الذين هادوا هاد يهود إذا تهود إن زعمتم أنكم أولياء لله من
دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين كانوا يقولون نحن أبناء
الله وأحباؤه أي إن كان قولكم وكنتم على ثقة فتمنوا على الله أن يميتكم وينقلكم إلى
دار كرامته التي أعدها لأوليائه ثم قال ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم
بسبب ما قدموا من الكفر وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والذي
نفسي بيده لا يقولها أحد منكم إلا غص بريقه فلولا أنهم موقنون بصدق
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتمنوه ولكنهم علموا أنهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم
ولحقهم الوعيد فما تمالك أحد منهم أن يتمنى وهي إحدى المعجزات وقرئ فتمنوا الموت
بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا ولا فرق بين لا ولن في أن كل واحد منهما نفي للمستقبل
إلا أن في لن تأكيدا وتشديدا ليس في لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة

بسبب الظلم ولا يتمنونه قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ ثم قيل لهم ان الموت الَّذِي تَفِرُّونَ
مِنْهُ ولا تجسرون ان تتمنوه خيفة ان تؤخذوا بوبال كفركم فَإِنَّهُ لا تفوتونه
وهو مُلاقِيكُمْ لا محالة ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ثم تردون الى الله فيجازيكم بما انتم اهله
من العقاب وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما انه ملاقيكم وفي قراءة ابن مسعود
تفرون منه ملاقيكم وهي ظاهرة واما التي بالفاء فلتضمن الذي معنى الشرط وقد
جعل ان الموت الذي تفرون منه كلاما برأسه في قراءة زيد بن علي رضي الله عنهما اي
ان الموت هو الشيء الذي تفرون منه ثم استؤنف انه ملاقيكم يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة
للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم اي يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة
ولعبة ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عسرة في عسرة وقرئ بهن جميعا
من في قوله من يوم الجمعة بيان لاذا وتفسير له والنداء
الاذان قالوا المراد به الاذان عند قعود الامام على المنبر وقد كان لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر اذن على باب المسجد
فاذا نزل اقام للصلوة ثم كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما على ذلك حتى اذا كان عثمان
وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فامر بالتأذين الاول على داره
التي تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر اذن المؤذن الثاني فاذا نزل اقام للصلوة
فلم يعب ذلك عليه وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لؤي وكان يقال لها
العروبة وقيل ان الانصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى
مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى فيه ونصلي
فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا
الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم
فيه فانزل الله تعالى آية الجمعة فهي اول جمعة في الاسلام واما اول جمعة جمعها
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على
بني عمرو بن عوف فاقام بها يوم الاثنين والثلثا والاربعا والخميس واسس

مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلوة الجمعة في بني سالم
بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة وعن بعضهم قد ابطل الله تعالى قول
اليهود في ثلث افتخروا بانهم اولياء الله واحباؤه وكذبهم في قوله ان كنتم
صادقين وبانهم اهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل
وبالسبت وانه ليس للمسلمين مثله فشرع الله تعالى لهم الجمعة وعن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم خير طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة
وفيه اهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وعنه عليه
الصلوة والسلم اتاني جبرئيل عليه السلم وفي كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة
يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام
عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد وعنه ان لله في كل جمعة ستمائة
الف عتيق من النار وعن كعب ان الله تعالى فضل من البلدان مكة ومن
الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال عليه وآله الصلوة والسلم من مات يوم الجمعة
فله اجر شهيد ووقي فتنة القبر وفي الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت
الملائكة على ابواب المساجد بايديهم صحف من فضة واقلام من ذهب يكتبون
الاول فالاول على مراتبهم وكانت الطرقات في ايام السلف وقت السحر
بعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل اول بدعة احدث
في الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه بكر فراى ثلثة
نفر سبقوه فاغتم واخذ يعاتب نفسه يقول اراك رابع اربعة وما رابع
اربعة ببعيد ولا تقام الجمعة عند ابي حنيفة الا في مصر جامع لقوله صلى الله
عليه وآله وسلم لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا اضحى الا في مصر جامع والمصر
الجامع ما اقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها الامام او
من يقوم مقامه لقوله عليه وآله الصلوة والسلم فمن تركها وله امام عادل او
جائر الحديث وقوله اربع الى الولاة الفيء والصدقات والحدود والجمعات
وان ام رجل بغير اذن الامام او من ولاه من قاض او صاحب شرطة لم
يجز وان لم يمكن الاستيذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهي تنعقد بثلثة
سوى الامام وعند الشافعي باربعين ولا جمعة على المسافرين والعبد و

والقسآء والرضوء ولا على الاعمى عند ابي حنيفة ولا على الشيخ الذي لا يمشي الا
بقائد فاسعوا وقرأة عمر وابن مسعود وعنهم فامضوا وعن عمر انه سمع
رجلا يقرأ فاسعوا فقال من اقرأك هذا فقال ابي بن كعب فقال لا يزال
يقرأ المنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وقيل المراد بالسعي
القصد دون العدو والسعي التصرف في كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه
السعي وان ليس للانسان الا ما سعى وعن الحسن ليس السعي على الاقدام ولكنه على
النيات والقلوب وذكر محمد بن الحسن في موطاه ان ابن عمر سمع الاقامة وهو بالبقيع
فاسرع المشي قال محمد وهذا لا باس به ما لم يجهد نفسه الى ذكر الله الى
الخطبة والصلوة ولتسمية الله الخطبة ذكرا له قال ابو حنيفة ان اقتصر الخطيب
على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان انه صعد
المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام
مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب
ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر عليه احد وعند صاحبيه لا بد من
كلام يسمى خطبة   كيف يفسر ذكر الله تعالى بالخطبة وفيها ذكر غير الله
ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والثناء عليه وعلى خلفائه
الراشدين واتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير في حكم ذكر الله تعالى واما ما عدا
ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم احقاء بعكس ذلك فمن ذكر
الشيطان وهو من ذكر الله تعالى على مراحل واذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه
فقد لغا افلا يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام
ونكد الايام وذروا البيع اراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا
وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم
وينصبون الى المصر من كل اوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق
بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر
البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضي
الى المسجد قيل بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذي لا شيء
انفع منه واربح وذروا البيع الذي نفعه يسير وربحه متفاوت   فاذا كان

البيع في هذا الوقت مأمورا بتركه محرما فهل هو فاسد   عامة العلماء على ان
ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لان البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول
عن الواجب فهو كالصلوة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء
مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون
فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله و
اذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ثم اطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلوة
من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وان لا يلهيهم شيء
من تجارة ولا غيرها عنه وان تكون هممهم في جميع احوالهم واوقاتهم موكلة
به لا ينفضون عنه لان فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لم تؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ
في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع وعن بعض السلف
انه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشيء من امور الدنيا نظرا في هذه الآية واذا رأوا
تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير
من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين   روي ان اهل المدينة اصابهم جوع
وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبي صلى الله عليه و
اله وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا ان يسبقوا اليه فما بقي معه الا يسير قيل
ثمانية واحد عشر واثنا عشر واربعون فقال عليه الصلوة والسلام والذي نفس محمد
بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها
بالطبل والتصفيق فهو المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك ثلث مرات في كل مقدم
عير   ان اتفق تفرق الناس عن الامام في صلوة الجمعة كيف يصنع
ان بقي وحده او مع اقل من ثلثة فعند ابي حنيفة يستأنف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع
وعند صاحبيه اذا كبر وهم معه مضى فيها وعند زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت
كيف قال اليها وقد ذكر شيئين   تقديره انفضوا اليه وقرأ من قرأ
لهوا او تجارة انفضوا اليها وقرئ اليهما عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرأ سورة
الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم يأتها في امصار المسلمين

اذا رأوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف احدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرأ

بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد إنك لرسول الله أرادوا بقولهم شهادة واطأت فيها
قلوبهم ألسنتهم فقال الله تعالى قالوا كذلك كذبا والله يعلم إنك لرسوله
يعلم أن الأمر كما يدل عليه قولهم إنك لرسول الله والله يشهد إن المنافقين
لكاذبون في قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطأة وأنهم لكاذبون فيه
لأنه إذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة في الحقيقة فهم كاذبون في تسميته
شهادة أو والله يشهد أنهم لكاذبون عند أنفسهم لأنهم كانوا يعتقدون
أن قولهم إنك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه
أي فائدة في قوله والله يعلم إنك لرسوله لو قال قالوا نشهد إنك
لرسول الله والله يشهد إنهم لكاذبون لكان يوهم أن قولهم هذا كذب
فوسط بينهما قوله والله يعلم إنك لرسوله ليميط هذا الإيهام اتخذوا أيمانهم
جنة يجوز أن يريد أن قولهم نشهد إنك لرسول الله يمين من أيمانهم الكاذبة
لأن الشهادة تجري مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل
أشهد بالله وأعزم وأعتزم بالله في موضع أقسم وأولي وبه استشهد
أبو حنيفة على أن أشهد يمين ويجوز أن يكون وصفا للمنافقين في استجنانهم
بالأيمان قوله جنة أي أيمانهم أي ما أظهروه من ألسنتهم وتقصده قوله
ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا
يعملون من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفي ساء معنى التعجب الذي هو
تعظيم أمرهم عند السامعين ذلك إشارة إلى قوله ساء ما كانوا يعملون أي ذلك كله
بسبب أنهم بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون
جسروا على كل عظيمة المنافقون لم يكونوا إلا على الكفر الثابت الدائم فما
معنى قوله آمنوا ثم كفروا فيه ثلاثة أوجه أحدها آمنوا أي نطقوا
بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل في الإسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم

بعد ذلك وتبين بما اطلع عليه من قولهم إن كان ما يقول محمد حقا فنحن حمير
وقولهم في غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل أن يفتح له قصور كسرى وقيصر
هيهات ونحوه قوله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا
بعد إسلامهم أي وظهر كفرهم بعد أن أسلموا ونحوه لا تعتذروا قد كفرتم بعد
إيمانكم والثاني آمنوا أي نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند
شياطينهم استهزاء بالإسلام كقوله وإذا لقوا الذين آمنوا إلى قوله إنما نحن
والثالث أن يراد أهل الردة منهم وقرئ فطبع على قلوبهم وقرأ زيد بن علي
فطبع الله وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم
كان عبد الله رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين
في مثل صفته وهم رؤساء المدينة فكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الألسن فكان
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون لكلامهم
معنى قوله كأنهم خشب مسندة شبهوا في استنادهم وما
هم إلا أجرام خالية عن الإيمان والخير بالخشب المسندة إلى الحائط ولأن الخشب إذا
انتفع به كان في سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا
غير منتفع به أسند إلى الحائط فشبهوا به في عدم الانتفاع ويجوز أن يراد بالخشب
المسندة إلى الحيطان شبهوا بها في حسن صورهم وقلة جدواهم والخطاب
في وإذا رأيتهم تعجبك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لكل من يخاطب وقرئ يسمع
على البناء للمفعول وموضع كأنهم خشب رفع على هم كأنهم خشب أو هو كلام مستأنف
لا محل له وقرئ خشب جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر وخشب كمدرة
ومدر وهي في قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وعن اليزيدي أنه في خشب جمع خشباء وهي
الخشبة التي دعر جوفها شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم يحسبون كل
صيحة عليهم هم العدو عليهم [illegible] يحسبون كل صيحة
عليهم واقعة عليهم لجبنهم واتهامهم بما في قلوبهم من الرعب إذا نادى مناد في
العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه إيقاعا بهم وقيل كانوا على وجل

من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم وفيه اعلام
الا خطر ما زلت تحسب كل شيء بعدهم خيلا تكر عليهم ورجالا او وقعت على عليهم
العدو فاحذرهم اي هم الكاملون في العداوة لان اعلى الاعداء العدو المداجي
الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي ولا تغترن بظاهرهم ويجوز
ان يكون هم العدو المفعول الثاني كما لو طرحت الضمير
هي العدو فاحذرهم منظور فيه الى الخبر كما ذكر في هذا ربي وانا بعيد من ضلالهم
على تحسبون كل اصل صيحة قاتلهم الله دعا عليهم وطلب من ذاته ان يلعنهم و
يخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك انى يؤفكون كيف يعدلون عن
الحق تعجبا من جهلهم وضلالهم واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول
الله لووا رءوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون عطفوها
واما لوها اعراضا عن ذلك واستكبارا وقرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير سواء
عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر
الله لهم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين هم الذين يقولون لا تنفقوا
على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن
روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين لقي بني المصطلق على المريسيع و
هو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد اجير لعمر
يقود فرسه وسنان الجهني حليف لعبد الله بن ابي فاقتتلا فصرخ جهجاه
بن سعيد يا للمهاجرين وسنان يا للانصار فاعان جهجاها من فقراء المهاجرين
ولطم سنانا فقال عبد الله لابن ابي هنالك وما صحبنا محمدا الا لنلطم والله
ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم
وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام
لم يركبوا رقابكم ولا وشكوا ان يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول
محمد صلى الله عليه وآله وسلم فسمع بذلك زيد بن ارقم وهو حدث فقال انت والله

الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم في عز من الرحمن و
قوة من المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وقال عمر دعني اضرب عنق هذا المنافق يا رسول الله قال اذن ترعد
انف كثيرة بيثرب قال فان كرهت ان يقتله مهاجري فأمر به انصاريا فقال
اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وقال لعبد الله انت صاحب هذا الكلام
الذي بلغني قال والله الذي انزل عليك الكتاب ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا
لكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا ايمانهم جنة فقال الحاضرون يا رسول الله
شيخنا وكبيرنا لا تصدق عليه كلام غلام عسى ان يكون قد وهم وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله
سفه عليك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم زيدا من خلفه فعرك اذنه وقال وفت اذنك يا غلام ان الله قد صدقك
وكذب المنافقين ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولما اراد عبد الله ان يدخل المدينة
اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم اسمه وقال ان حبابا اسم الشيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله لا
تدخلها حتى تقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاعز وانا الاذل فلم يزل
حبيسا في يده حتى امره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتخليته وروي انه قال
له لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لاضربن عنقك قال ويحك افاعل انت قال
نعم فلما رأى الجد منه قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال ر
جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزل
فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يستغفر لك فلوى
رأسه ثم قال امرتموني ان اومن فآمنت وامرتموني ان ازكي مالي فزكيت فما
بقي الا ان اسجد لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت واذا قيل لهم ولم يلبث الا
اياما قلائل حتى اشتكى ومات سواء عليهم الاستغفار وعدمه لانهم لا يلتفتون اليه و
لا يعتدون به لكفرهم او لان الله تعالى لا يغفر لهم وقرئ استغفرت على حذف
حرف الاستفهام لان ام المعادلة تدل عليه وقرأ ابو جعفر آستغفرت اشباعا

لهمزة الاستفهام للاطراد والبيان لا قلبا لهمزة الوصل الفا كما في آلسحر
وآلله ينفضوا يتفرقوا وقرئ ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم
وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم ولله خزائن السموات والارض
وبيده الارزاق والقسم فهو رازقهم منها وان ابى اهل المدينة ان ينفقوا
عليهم ولكن المنافقين عبد الله بن ابي واضرابه جاهلون لا يفقهون
فيهذون بما يزين لهم الشيطان وقرئ ليخرجن الاعز منها الاذل وليخرجن على
البناء للمفعول وقرأ الحسن وابن ابي عبلة لنخرجن بالنون ونصب الاعز و
الاذل ومعناه خروج الاذل او اخراج الاذل او مثل الاذل ولله العزة و
الغلبة والقوة لمن اعزه الله وايده من رسوله ومن المؤمنين وهم الاخصاء
بذلك كما ان المذلة والهوان للشيطان وذريته من الكافرين والمنافقين وعن
الحسن بن علي رضي الله عنهما ان رجلا قال له ان الناس يزعمون ان فيك تيها قال
ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم لا يشغلكم
اموالكم والتصرف فيها والسعي في تدبير امرها والتهالك على طلب النماء فيها
بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها ولا
اولادكم وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية
ما يصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الاموال والاولاد
وانه اهون شيء وادونه في جنب ما عند الله عن ذكر الله وايثاره عليها
ومن يفعل ذلك يريد الشغل بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون
في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن
الحسن جميع الفرائض كانه قال عن طاعة الله وقيل القرآن وعن الكلبي الجهاد مع
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من في وانفقوا مما رزقناكم للتبعيض
والمراد الانفاق الواجب من قبل ان ياتي احدكم الموت من قبل ان يرى
دلائل الموت ويعاين ما ييأس معه من الامهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الانفاق
ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض انامله على فقد ما كان متمكنا منه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما تصدقوا قبل ان ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا

ينفع عمل وعنه ما يمنع احدكم اذا كان له مال ان يزكي واذا اطاق الحج ان يحج
من قبل ان يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها وعنه انها نزلت في مانعي
الزكاة والله لو رأى خيرا لما سأل الرجعة وعن عكرمة نزلت في اهل القبلة لولا
اخرتني وقرئ اخرتن يريد هلا اخرت موتي الى اجل قريب الى زمان قليل
فاصدق وقرأ ابي فاتصدق على الاصل واكن من الصالحين وقرئ فاكون
عطفا على محل فاصدق كانه قيل ان اخرتني اصدق واكن ومن قرأ واكون
على النصب فعلى اللفظ وقرأ عبيد بن عمير واكون عدة منه بالصلاح ولن
يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها نفي للتاخير على وجه التاكيد الذي معناه
منافاة المنفي الحكمة والمعنى انكم اذا علمتم ان تأخير الموت عن وقته مما لا سبيل
اليه وانه هاجم لا محالة والله خبير بما تعملون وان الله عليم باعمالكم فمجاز
عليها عن منع واجب غير لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة
الواجبات والاستعداد للقاء الله تعالى وقرئ يعملون بالياء وعن
رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير
قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله تعالى
وذلك لان الملك على الحقيقة له وملك غيره جرت على يده هو الذي خلقكم
فمنكم كافر آت بالكفر ومنكم مؤمن آت بالايمان وفاعل
له كقوله وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون
والدليل عليه قوله والله بما تعملون بصير اي عالم بكفركم وايمانكم اللذين
هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق و
الايجاد عن العدم وكان يجب ان تنظروا النظر الصحيح وتكونوا باجمعكم عبادا شا

كرين

فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم امما فمنكم كافر ومنكم مؤمن
وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر
بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به نعم ان العباد هم الفاعلون
للكفر ولكن قد سبق في علم الحكيم انه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم
يختاروا غيره فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح
وخلق فاعل القبيح الا واحد وهل مثله الا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع الطريق
وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا اما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق
في فروته كما يذمون القاتل بل انحاؤهم باللوائم على الواهب اشد
علمنا ان الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا ان افعاله كلها
وخلق فاعل القبيح فعله فوجب ان يكون حسنا وان يكون له وجه حسن وخفاء
وجه الحسن علينا لا يقدح في حسنه كما لا يقدح في حسن اكثر مخلوقاته جهلنا
بداعي الحكمة الى خلقها **خلق السموات والارض بالحق** بالغرض الصحيح والحكمة
البالغة وهو ان جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم **وصوركم فاحسن**
صوركم وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا **واليه المصير** واليه مصيركم
فيجازيكم على الشكر والتفريط فيه كيف احسن صورهم جعلهم
احسن الحيوان كله وابهاه بدليل ان الانسان لا يتمنى ان يكون صورته على
خلاف ما يرى من سائر الصور ومن حسن خلقته انه خلق منتصبا غير منكب
كما قال في احسن تقويم فكم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة تقتحمه
العيون لا سماجة ثم ولكن الحسن كغيره من المعاني على طبقات ومراتب
فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا واضافتها الى الموفي
عليها لا تستملح والا فهي داخلة في حيز الحسن غير خارجة من حده الا ترى
انك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى في الدنيا ابهى منها ثم ترى اعلى واملح
من مراتب الحسن فينبو عن الاولى طرفك وتستثقل النظر اليها بعد افتتانك
بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان **يعلم ما في**
السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور

نبه بعلمه ما في السموات والارض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه
ذوات الصدور ان شيئا من الكليات والجزويات غير خاف عليه ولا عازب عنه
فحقه ان يتقى ويحذر ولا يجترأ على شيء مما يخالف رضاه وتكرير العلم في معنى
تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى في معنى
الوعيد على الكفر وانكار ان يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما اجهل من يمزج الكفر
بالخلق ويجعله من جملته والخلق اعظم نعمة من الله تعالى على عباده والكفر
اعظم معصية من العباد لربهم **الم ياتكم نبؤا الذين كفروا من قبل**
فذاقوا وبال امرهم ولهم عذاب اليم الخطاب لكفار مكة **ذلك** اشارة
الى ما ذكر من الوبال الذي ذاقوه في الدنيا وما اعد لهم من العذاب في الآخرة
بانه بان الشان والحديث **كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر**
يهدوننا انكروا ان يكون الرسل بشرا ولم ينكروا ان يكون الله حجرا **واستغنى الله**
والله غني حميد اطلق ليتناول كل شيء ومن جملته ايمانهم وطاعتهم
قوله وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولي والاستغناء معا والله
لم يزل غنيا معناه ظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم
يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك **زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا** الزعم
ادعاء العلم ومنه قوله عليه الصلوة والسلم زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل
شيء كنية وكنية الكذب زعموا ويتعدى الى مفعولين تعدي العلم قال
ولم ازعمك عن ذاك معزلا وان مع ما في حيزه قائم مقامهما والذين كفروا اهل
مكة **قل بلى وربي لتبعثن** بلى اثبات لما بعد لن وهو البعث **ثم لتنبؤن بما**
عملتم وذلك على الله يسير اي لا يصرفه عنه صارف **فآمنوا بالله ورسوله**
والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير عنى برسوله والنور
محمدا صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن وقرئ **يوم يجمعكم** ونجمعكم بالياء و
النون بم انتصب الظرف بقوله لتنبؤن او بخبير لما فيه من معنى الوعيد
كانه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم او باضمار اذكر **ليوم الجمع** ليوم يجمع فيه
الاولون والآخرون **ذلك يوم التغابن** مستعار من تغابن الناس في التجارة

وهو ان يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التي كانوا ينزلون
لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التي كانوا ينزلونها لو كانوا
اشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن وفي حديث رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا اري مقعده من النار لو اساء
ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا اري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد
حسرة ومعنى ذلك يوم التغابن وقد يتغابن الناس في غير ذلك اليوم استعظام
له وان تغابنه هو التغابن في الحقيقة لا التغابن في امور الدنيا وان جلت وعظمت
ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجري من
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم صالحا صفة للمصدر اي عملا
صالحا والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين
فيها وبئس المصير ما اصاب من مصيبة الا باذن الله الا بتقديره و
مشيئته كانه اذن للمصيبة ان يصيبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه يلطف به
ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة وعن
الضحاك يهد قلبه حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن
ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلي صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر وقرئ يهد قلبه
على البناء للمفعول والقلب مرفوع او منصوب ووجه النصب ان يكون مثل سفه
نفسه اي يهد في قلبه ويجوز ان يكون المعنى ان الكافر ضال عن قلبه بعيد منه
والمومن واجد له مهتد اليه كقوله لمن كان له قلب وقرئ نهد قلبه بالنون
وقلبه بمعنى يهتد ويهدا قلبه بمعنى تطمئن ويهدوا ويهدا على التخفيف والله
بكل شيء عليم يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه
ويمنعه واطيعوا الله واطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ
المبين فلا عليه اذا توليتم لانه لم يكتب عليه طاعتكم انما كتب عليه ان يبلغ
ويبين فحسب الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون بعث
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على التوكل عليه والتقوي به في امره حتى ينصره
على من كذبه وتولى عنه يا ايها الذين آمنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم

ان من الازواج ازواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن الاولاد
من الاولاد اولادا يعادون اباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص و
الاذى فاحذروهم الضمير للعدو او للازواج والاولاد جميعا اي لما
علمتم ان هولاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تامنوا غوائلهم وشرهم
وان تعفوا عنهم وتصفحوا وتغفروا اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم
بمثلها فان الله غفور رحيم يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل ان ناسا ارادوا
الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا
فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك وراوا الذين سبقوهم قد فقهوا
في الدين ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا
لهم اين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم واموالكم فغضبوا عليهم وقالوا
لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا
ان يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك الاشجعي
ذا اهل وولد فاذا اراد ان يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكانه
هم باذاهم فنزلت انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة لانهم يوقعون
في الاثم والعقوبة ولا بلاء اعظم منها الا ترى الى قوله والله عنده
اجر عظيم وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيامة فيقال اكل عياله حسناته
وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم انه كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران يعثران
ويقومان فنزل اليهما واخذهما ووضعهما في حجره على المنبر فقال صدق الله انما اموالكم
واولادكم فتنة رايت هذين الصبيين فلم اصبر عنهما ثم اخذ في خطبته
وقيل اذا امكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد
عنهما فاتقوا الله ما استطعتم جهدكم ووسعكم اي ابذلوا فيها استطاعتكم
واسمعوا ما توعظون به واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه وانفقوا
في الوجوه التي وجبت عليكم النفقة فيها خيرا لانفسكم نصب بمحذوف تقديره
ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع وهذا تاكيد للحث على امتثال هذه

الاولاد كان هذه الاشياء رخص لانفسكم من الاموال والاولاد وما انتم عاكفون
عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا **ومن يوق شح نفسه فاولئك**
هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا ذكر القرض تلطف في الاستدعاء
يضاعفه لكم يكتب لكم بالواحدة عشرا او سبعمائة الى ما شاء من
الزيادة وقرئ يضعفه **ويغفر لكم والله شكور** مجاز اي يفعل
بكم ما يفعل المبالغ في الشكر من عظيم الثواب وكذلك **حليم** يفعل بكم
ما يفعل من يحلم عن المسيء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم **عالم الغيب والشهادة**
العزيز الحكيم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك وسلم من
قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجاءة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي خص النبي
صلى الله عليه وآله وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبي عليه وآله الصلوة والسلام
امام امته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت
اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وانه مدره قومه ولسانهم والذي يصدرون
عن رأيه ولا يستبدون بامر دونه فكان هو وحده في حكم كلهم وسادا مسد جميعهم
ومعنى **اذا طلقتم النساء** اذا اردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر
المشرف عليه منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشي
الى الصلوة والمنتظر لها في حكم المصلي **فطلقوهن لعدتهن** فطلقوهن مستقبلات لعدتهن
كقولك اتيته لليلة بقيت من المحرم اي مستقبلا لها وفي قراءة رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم في قبل عدتهن والمراد ان يطلقن في طهر لم يجامعهن فيه ثم يخلين حتى تنقضي
عدتهن وهذا احسن الطلاق وادخله في السنة وابعده من الندم ويدل عليه ما روي
عن ابرهيم النخعي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يستحبون ان
لا يطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك

حتى تنقضي العدة وكان احسن عندهم من ان يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة اطهار وقال
مالك بن انس لا اعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلث مجموعة كانت او
متفرقة واما ابو حنيفة واصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فاما
مفرقا في الاطهار فلا لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لابن عمر
حين طلق امراته وهي حائض ما هكذا امرك الله انما السنة ان تستقبل الطهر
استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وروي انه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم
ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التي امر الله تعالى
ان يطلق لها النساء وعند الشافعي لا باس بارسال الثلث وقال لا اعرف في عدد الطلاق
سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت و
ابو حنيفة يراعي التفريق والوقت والشافعي يراعي الوقت وحده   هل يقع
الطلاق المخالف للسنة   نعم وهو آثم لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ان رجلا طلق ثلثا بين يديه فقال اتلعبون بكتاب الله تعالى وانا بين اظهركم
وفي حديث ابن عمر قلت يا رسول الله ارأيت لو طلقتها ثلثا قال له اذن عصيت وبانت
منك امرأتك وعن عمر رضي الله عنه انه كان لا يؤتى برجل طلق امراته ثلثا الا اوجعه ضربا
واجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين ان من خالف السنة
في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة
فخالف   كيف يطلق للسنة التي لا تحيض من صغر او كبر او حمل وغير المدخول
بها   الآيسة والصغيرة والحامل كلهن عند ابي حنيفة وابي يوسف يفرق
عليهن الثلث في الاشهر وخالفهما محمد وزفر في الحامل فقالا لا يطلق للسنة
الا واحدة واما غير المدخول فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعى الوقت
هل يكره ان يطلق المدخول بها واحدة بائنة   اختلفت الرواية فيه عن اصحابنا
والظاهر الكراهية   قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن
وغير المدخول بهن من المعتدات بالحيض ذوات الاقراء والآيسات والصغائر
والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن   لا عموم ثمة
لا خصوص ولكن النساء اسم الجنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم

في كلهن وفي بعضهن فجاز ان يراد بالنساء هنا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن
علم انه اطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض واحصوا العدة
واضبطوها بالحفظ واكملوها ثلثة اقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن
واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن حتى ينقضي عدتهن من بيوتهن من مساكنهن
التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج واضيفت اليهن لاختصاصها بهن
من حيث السكنى ولا يخرجن ما معنى الجمع بين اخراجهم وخروجهن بمعنى
الاخراج ان لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن او لحاجة لهم
الى المساكن وان لا ياذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بان اذنهم لا اثر
له في رفع الحظر ولا يخرجن بانفسهن ان اردن ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة
قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هي الزنا يعني الا ان يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن
وقيل الا ان يطلقن على النشوز والنشوز يسقط حقها في السكنى وقيل الا ان يبذون
فيحل اخراجهن لبذائهن ويؤكده قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل خروجها قبل
انقضاء العدة فاحشة في نفسه وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد
ظلم نفسه لعل الله يحدث بعد ذلك امرا الامر الذي يحدثه الله ان يقلب
قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق
الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة لعلكم ترغبون
وتندمون فتراجعون فاذا بلغن اجلهن وهو آخر العدة وشارفنه فامسكوهن
بمعروف او فارقوهن بمعروف فانتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك
بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار بان
يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها واشهدوا
عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة كقوله
واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب في الفرقة
فائدة الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم في امساكها ولئلا يموت
احدهما ثبوت الزوجية ليرث ذوي عدل منكم قال الحسن من المسلمين
وعن قتاده من احراركم واقيموا الشهادة لله لوجهه خالصا وذلك ان

يقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة
الحق ودفع الظلم كقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم
ذلكم اي الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط
توعظون به ومن يتق الله يجوز ان يكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق
من اجراء الطلاق على السنة وطريقه الاحسن والابعد من الندم
ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها
واحتاط فاشهد يجعل الله له مخرجا مما في شان الازواج من الغموم والوقوع
في المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطيه الخلاص ويرزقه من حيث لا يحتسب
من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ان اوفى المهر وادى الحقوق والنفقات
وقل ماله وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه سئل عمن طلق ثلثا او الفا هل
له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس انه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل الله لك
مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قراها
فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيمة وقال
عليه السلم اني لاعلم آية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقراها ويعيدها
وروي ان مالك بن عوف الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فقال اسر ابني وشكا اليه الفاقة فقال ما امسى عند آل
محمد الا مد فاتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينا هو
في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنه العدو فاستاقها فنزلت
هذه الآية ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ امره اي يبلغ ما يريد
ولا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ امره بالرفع اي نافذ امره
وقرا المفضل بالغا امره على ان قوله قد جعل الله خبر ان وبالغا حال لكل شيء
قدرا تقديرا وتوقيتا او مقدارا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه
لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا
التسليم للقدر والتوكل روي ان ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة
اللاتي لم يحضن فنزلت تعني ان ارتبتم ان اشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف

واللائي يئسن من المحيض من نسائكم

يستدون فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه
بستين سنة وبخمس وخمسين اهو دم حيض او استحاضة فعدتهن ثلثة
اشهر واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها اولى بذلك واللائي لم
يحضن هن الصغائر والمعنى فعدتهن ثلثة اشهر فحذف لدلالة المذكور عليه وأولات
الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن اللفظ مطلق في اولات الاحمال فاشتمل
على المطلقات والمتوفى عنهن وكان ابن مسعود وابي وابو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن
علي وابن عباس رضي الله عنهم عدة الحامل المتوفى عنها ابعد الاجلين وعن عبد الله من شاء
لاعنته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في البقرة يعني ان هذا اللفظ
مطلق في الحوامل وروت ام سلمة رضي الله عنها ان سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها
بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها قد حللت
فانكحي يجعل له من امره يسرا ييسر له من امره ويحلله من عقده بسبب التقوى
ذلك امر الله انزله اليكم يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات ومن
يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا والمعنى ومن يتق الله في
العمل بما انزل الله تعالى من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه
مما ذكر من الاسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وايتاء اجر المرضعات
وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والاجر العظيم وما بعده بيان لما
شرط من التقوى في قوله ومن يتق الله كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات
فقيل اسكنوهن من حيث سكنتم من حيث سكنتم ما هي
هي من التبعيضية مبعضها محذوف معناه اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم
اي بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من ابصارهم اي بعض ابصارهم قال
قتادة ان لم يكن الا بيت واحد فاسكنها في بعض جوانبه فقوله من وجدكم
هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كانه قال اسكنوهن مكانا
من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلث والنفقة
والسكنى واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعي ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة
لها وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس ان زوجها

ابت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا نفقة لك
ولا سكنى وعن عمر رضي الله عنه لا ندع كتاب ربنا ولا سنة نبينا لقول امرأة لعلها
نسيت او شبه لها سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول لها النفقة
والسكنى ولا تضاروهن ولا تستعملوا معهن الضرار لتضيقوا عليهن
في المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن او يشغل مكانهن او غير ذلك
حتى تضطروهن الى الخروج وقيل هو ان يراجعها اذا بقي من عدتها يومان
ليضيق عليها وقيل هو ان يلجئها الى ان تفتدي فاذا كانت كل مطلقة
عندكم تجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله وان كن اولات حمل
فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فائدته ان مدة الحمل ربما طالت
فظن ظان ان النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم
فما تقول في الحامل المتوفى عنها زوجها مختلف فيها فاكثرهم على
انه لا نفقة لها لوقوع الاجماع على ان من اجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة او ولد
صغير لا يجب ان ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل وعن علي وعبد الله
وجماعة انهم اوجبوا نفقتها فان ارضعن لكم يعني هؤلاء المطلقات
ان ارضعن لكم ولدا من غيرهن او منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية فآتوهن
اجورهن حكمهن في ذلك حكم الاظآر ولا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه الاستئجار
اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعي وأتمروا الائتمار بمعنى التآمر
كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا امر بعضهم بعضا
والمعنى وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والامهات بمعروف بجميل وهي
المسامحة وان لا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه
وفي وجوب الاشفاق عليه وان تعاسرتم فسترضع له اخرى فستوجد ولا تعوز
مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاتبة الام على المعاسرة كما تقول لمن
تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد لن تبقى غير مقضية وانت
ملوم وقوله له اي للاب اي سيجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته
امه لينفق ذو سعة من سعته لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه

وسعه بيديه ما امر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن
على الموسع قدره وقرئ لينفق بالنصب اي شرعنا لينفق ومن قدر عليه رزقه
فلينفق مما آتاه الله وقدر ان لي قدر سيجعل الله بعد عسر يسرا
سيجعل الله موعد الفقراء ذلك يفتح ابواب الرزق عليهم او لفقراء الازواج ان
انفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله
اعرضت عنه على وجه العتو والعناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء
والمناقشة وعذبناها عذابا نكرا وقرئ نكرا منكرا عظيما فذاقت
وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون
فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجيء به على لفظ الماضي كقوله ونادى اصحاب
الجنة ونادى اصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في
الحقيقة وما هو كائن فكان وقوله اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان
لكونه مترقبا كانه قال اعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك فاتقوا الله
يا اولي الالباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه ويجوز ان يراد احصاء
السيئات واستقصاؤها عليهم في الدنيا واثباتها في صحائف الحفظة وما اصيبوا
من العذاب في العاجل وان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله
لهم جوابا لكأين الذين آمنوا قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا
يتلو عليكم آيات الله مبينات هو جبرئيل عليه الصلوة والسلم ابدل من ذكرا
وصفه بتلاوة آيات الله فكان انزاله في معنى انزال الذكر فصح ابداله منه او رسول
بالذكر لما الشرف من قوله وانه لذكر لك ولقومك فابدل منه كانه في نفسه شرف
اما لانه شرف للمنزل واما لانه ذو مجد وشرف عند الله كقوله عند ذي العرش مكين
او جعل لكثرة ذكره الله وعبادته كانه ذكر او اريد ذا ذكر اي ملكا مذكورا في السموات
وفي الامم كلها او دل قوله انزل الله اليكم ذكرا على ارسل فكانه قيل ارسل رسولا
او اعمل ذكرا في رسولا اعمال المصدر في المفاعيل اي انزل الله ان ذكر رسولا وقرئ
رسول على هو رسول ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات بعد انزاله من
الظلمات الى النور اي ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح

عتت

لانهم كانوا وقت انزاله غير مؤمنين فانما آمنوا بعد الانزال والتبليغ او ليخرج
الذين عرف منهم انهم يؤمنون ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وقرئ ندخله بالنون قد
احسن الله له رزقا فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمنين من الثواب
الله الذي خلق سبع سموات مبتداء وخبر ومن الارض مثلهن وقرئ
مثلهن بالنصب عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من الارض
قيل ما في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع الا هذه وقيل بين كل سماوين
مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات يتنزل
الامر بينهن اي يجري امر الله وحكمته بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة
في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل
هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان
نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة
او جن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل
شيء علما قرئ بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم
من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي
روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلا بمارية في يوم عائشة وعلمت
بذلك حفصة فقال لها اكتمي علي وقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر
وعمر يملكان من بعدي امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم
حفصة فارضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا
وعشرين ليلة في بيت مارية وروي ان عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك
فنزل جبريل عليه السلم وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة

وروي انه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة
فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان يكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
التفل فحرم العسل فمعناه لم تحرم ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل
تبتغي مرضات ازواجك اما تفسير لتحرم او حال او استئناف وكان هذا
زلة منه لانه ليس لاحد ان يحرم ما احل الله لان الله تعالى انما احل ما احل لحكمة ومصلحة
عرفها في احلاله فاذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة والله غفور قد
غفر لك ما زللت فيه رحيم قد رحمك فلا يؤاخذك به قد فرض الله لكم
تحلة ايمانكم فيه معنيان احدهما قد شرع الله لكم الاستثناء في ايمانكم
من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها ومنه حلا ابيت اللعن بمعنى
استثن في يمينك اذا اطلقتها وذلك ان يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا تحنث
والثاني قد شرع الله تحليلها بالكفارة ومنها قوله عليه الصلوة والسلام ثلثة اولاد
فتمسه النار الا تحلة القسم وقول ذي الرمة قليلا كتحليل الآلي

ماحكم تحريم الحلال قد اختلف فيه فابو حنيفة يراه يمينا في كل شيء ويعتبر
الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله او امة فعلى
وطيها او زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم يكن له نية فان نوى الظهار فظهار
وان نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك ان نوى ثنتين وان نوى ثلثا فكما نوى وان قال
نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين في القضاء بابطال الايلاء وان
قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا
يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن وان نوى الطلاق
فهو رجعي عنده وعن ابي بكر وعمر وابن مسعود ان الحرام يمين وعن عمر اذا
نوى الطلاق فرجعي وعن علي رضي الله عنه ثلث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان
ظهار وكان مسروق لا يراه شيئا ويقول ما ابالي احرمتها ام قصعة من ثريد
وكذلك عن الشعبي قال ليس بشيء محتجا بقوله ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب
هذا حلال وهذا حرام وقوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وما لم يحرمه الله فليس
لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه

انه قال لما احله الله هو حرام وقوله لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وما لم
يحرمه فليس لاحد ان يحرمه ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عنه وانما امتنع
من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما
احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم على ما حلفت عليه وكفر
يمينك ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل اي منعناه منها وظاهر قوله
قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم انه كانت منه يمين هل كفر رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لذلك عن الحسن انه لم يكفر لانه كان
مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل ان
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية والله مولاكم
سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم
فلا يأمركم ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة وقيل مولاكم اولى بكم من انفسكم
فكانت نصيحته انفع لكم من نصائحكم لانفسكم واذ اسر النبي الى بعض
ازواجه حفصة حديثا والحديث الذي اسر اليها حديث مارية وامامة
الشيخين فلما نبأت به افشته الى عائشة وقرئ انبأت به واظهره الله
واطلع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه على الحديث اي على افشائه على لسان
جبرئيل عليه السلام وقيل اظهر الله الحديث على النبي من الظهور عرف بعضه
اعلم ببعض الحديث تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وعرف
بعضه اي جازي عليه من قولك للمسيء لاعرفن لك ذلك وقد عرفت ما
صنعت ومنه اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القرآن
وكان جزاؤه تطليقه اياها وقيل المعرف حديث الامامة الا يرى انه لما كان المقصود
في فلما نبأها به قالت من انبأك هذا ذكر المنبأ كيف اتى بضميره قال نبأني
العليم الخبير ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات
ليكون ابلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم ازل حريصا حتى اسأل عمر عنهما
حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء
على يده فتوضأ فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس كانه كره ما سألته عنه ثم قال

هما حفصة وعائشة فقد صغت قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وعن ابن مسعود فقد زاغت وإن تظاهرا عليه وإن تعاونا عليه بما يسوءه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره وكيف يعدم المظاهر من الله فإن الله هو مولاه أي وليه وناصره وزيادة هو إيذان بأن نصرته عزيمة من عزائمه وأنه يتولى ذلك بذاته وجبريل رأس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا له من الملائكة تعظيما له وإظهارا لمكانته عنده وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين يعني كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم صالح المؤمنين واحد أم جمع هو واحد أريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت في السامر والحاضر ويجوز أن يكون أصله صالحو المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لأن لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت أشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء جموعهم بعد ذلك بعد نصرة الله وناموسه وصالحي المؤمنين ظهير فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله أعظم وأعظم نصرة الملائكة من جملة نصرة الله فكأنه فضل نصرته بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا أن يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات سائحات صائمات وقرئ سيحات وهي أبلغ وقيل للصائم سائح لأن السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا إلى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في إمساكه إلى أن يجيء وقت إفطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد بن أسلم لم تكن في هذه الأمة سياحة إلا الهجرة

السموات من

خلقه

ثيبات وأبكارا كيف يكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين إذا طلقهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعصيانهن له وإيذائهن إياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الصفات مع الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والنزول عند هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله قانتات لأن القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله لم أخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والأبكار لأنهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات فلم يكن بد من الواو يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعة وأهليكم بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معه في الجنة وقيل إن أشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل أهله وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل أليس التقدير قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده فكأنه قيل قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب نارا وقودها الناس والحجارة نوعا من النار لا يتقد إلا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس هي حجارة الكبريت وهي أشد الأشياء حرا إذا أوقد عليها وقرئ وقودها بالضم أي ذو وقودها عليها يلي أمرها وتعذيب أهلها ملائكة يعني الزبانية التسعة عشر وأعوانهم غلاظ شداد في أجرامهم غلظة وشدة أي جفاء وقوة أو في أفعالهم جفاء وخشونة لا تأخذهم رأفة في تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام من أعدائه لا يعصون الله ما أمرهم في محل النصب على البدل أي لا يعصون ما أمر الله أي أمره كقوله أفعصيت أمري أو لا يعصونه فيما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون أليست الجملتان في معنى واحد لا فإن معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره

ويلتزموها ولا يأتونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية انهم يؤدون ما يؤمرون به
لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه فان قلت قد خاطب الله المشركين المكذبين
بالوحي بهذا بعينه في قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة وقال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته
به المؤمنين قلت الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مع
الكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا انفسكم باجتناب الفسوق مساكنة
الذين اعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز ان يأمرهم بالتوقي من الارتداد
والندم على الدخول في الاسلام وان يكون خطابا للذين آمنوا بالسنتهم وهم
المنافقون ويعضد ذلك قوله على اثره يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا
اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك عند دخولهم النار
لا تعتذروا لانه لا عذر لكم او لانه لا ينفعكم الاعتذار يا ايها الذين آمنوا
توبوا الى الله توبة نصوحا وصفت التوبة بالنصح على الاسناد المجازي والنصح
صفة التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فيأتوا بها على طريقها متداركة
للفرطات وذلك ان يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد
الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من القبائح الى ان يعود
اللبن في الضرع موطنين انفسهم على ذلك وعن علي رضي الله عنه انه سمع اعرابيا
يقول اللهم اني استغفرك واتوب اليك فقال يا هذا سرعة اللسان بالتوبة
توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة اشياء على الماضي من الذنوب الندامة
وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان يعزم على ان لا يعود
وان تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعات
كما اذقتها حلاوة المعاصي وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب عن الذنب
ثم يعود فيه وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وعن
ابن السماك ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه الحياء من الله امام عينك وتستعد
لمنتظرك وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدي لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس والمؤمنين
لان من صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة

ترفو خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص
من الشمع ويجوز ان يراد توبة تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور
اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل على مقتضياتها وقرأ زيد
بن علي توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح والنصح والنصوح كالشكر
والشكور والكفر والكفور اي ذات نصوح او تنصح نصوحا او توبوا لنصح
انفسكم على انه مفعول له عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار اطماع من الله لعباده
وفيه وجهان ان يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل
ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت والثاني ان يجيء به تعليما للعباد وجوب
لعباده وفيه وجهان ان يكون على ما جرت به عادة الجبابرة الترجح بين الخوف
والرجاء والذي يدل على المعنى الاول وانه في معنى البت قراءة ابن ابي عبلة ويدخلكم
بالجزم عطفا على محل عسى ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب تكفير سيئاتكم ويدخلكم
يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نصب بيدخلكم ولا يخزي تعريض
بمن اخزاهم الله من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم
من مثل حالهم نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم على الصراط يقولون
ربنا اتمم لنا نورنا قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا
وعن الحسن الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله واغفر لنا انك على
كل شيء قدير كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله ادناهم منزلة
لانهم يعطون من النور مقدار ما يبصرون مواضع اقدامهم لان النور على
قدر الاعمال فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق
على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فاولئك الذين يقولون
ربنا اتمم لنا نورنا فان قلت كيف يشفقون والمؤمنون آمنون امن يأتي آمنا يوم القيمة
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون او كيف يتقربون والدار دار الثواب لا دار التقرب قلت اما
الاشفاق فيجوز ان يكون على عادة البشرية وان كانوا معتقدين للامن واما التقرب
فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا

يا أيها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالاحتجاج واغلظ عليهم واستعمل
الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة ومأواهم
جهنم وبئس المصير وعن مجاهدة المنافقين بإقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد
وقيل بإفشاء أسرارهم ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة
لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما مثل الله حال الكفار في
أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير إبقاء ولا
محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب أو وصلة
صهر لأن عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل
وجعلهم أبعد من الأجانب وأبعد وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبيا
من أنبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين فلم يغنيا
فلم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة النكاح إغناء ما
من عذاب الله شيئا وقيل لهما عند موتهما أو يوم القيامة ادخلا النار مع
الداخلين الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء أو مع داخليها من إخوانكما من
قوم نوح وقوم لوط وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون وشبه
حال المؤمنين في أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيئا من ثوابهم وزلفاهم
عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله مع كونها زوجة أعدى أعداء الله
الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء
على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفارا وفي طي هذين التمثيلين تعريض بأمي المؤمنين
المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده لما في التمثيل من ذكر الكفر ونحوه
في التغليظ قوله ومن كفر فإن الله غني عن العالمين وإشارة إلى أن من حقهما أن تكونا
في الإخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فإن ذلك الفضل لا ينفعهما إلا مع كونهما مخلصتين والتعريض
بحفصة أرجح لأن امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فإن ذلك الفضل لا ينفعهما إلا مع كونهما مخلصتين وأسرار التنزيل

قتادة

ودموع في كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل
عن تبصره فما فائدة قوله من عبادنا لما كان مبنى التمثيل على وجود
الصلاح في الإنسان كائنا من كان وأنه وحده هو الذي يبلغ به الفوز وينال
ما عند الله قال كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فذكر النبيين المذكورين
العليين بأنهما عبدان لا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم إلا بالصلاح
وحده إظهارا وإبانة لأن عبدا من العباد لا يرجح عنده إلا بالصلاح لا غير وأن
ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده ما كانت خيانتهما
نفاقهما وإبطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامرأة نوح قالت لقومه
إنه مجنون وامرأة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لأنه سمج في الطباع نقيصة عند كل أحد
بخلاف الكفر فإن الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ما بغت امرأة نبي قط وامرأة فرعون آسية بنت مزاحم وقيل هي عمة موسى عليه السلام
آمنت حين سمعت بتلقف عصا موسى الإفك فعذبها فرعون عن أبي هريرة
أن فرعون وتد امرأته بأربعة أوتاد واستقبل بها الشمس وأضجعها على ظهرها
ووضع رحى على صدرها وقيل أمر بأن تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله تعالى فرقي
بروحها فألقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله تعالى أكرم
نجاة فرفعها فهي تأكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا
في الجنة أريت بيتها في الجنة وقيل إنه من درة وقيل كانت تعذب في الشمس فتظلها
الملائكة ما معنى الجمع بين عندك وفي الجنة طلبت القرب من رحمة
من الله والبعد من عذاب أعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها في الجنة أو أرادت
ارتفاع درجتها في الجنة وأن يكون بيتها من الجنان التي هي أقرب إلى العرش وهي
جنات المأوى فعبرت عن القرب من العرش بقولها عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله
من عمل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا
من عمله وهو الكفر وعبادة الأصنام والظلم والتعذيب بغير جرم ونجني من
القوم الظالمين من القبط كلهم وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء إليه
ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الأنبياء و

سلس

فافتح بيننا وبينهم فتحا ونجني ومن معي من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظا
لمين ونجنا **ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا** في الفرج
وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ في سورة الانبياء والضمير للجملة وقد
مر لي في هذا الطرف كلام ومن بدع التفاسير ان الفرج هو جيب الدرع
ومعنى احصنت منعته جبرئيل عليه السلم وانه جمع في التمثيل بين التي لها
زوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لنفوسهن **وصدقت بكلمات
ربها وكتبه** قرئ بالتشديد والتخفيف على انها جعلت الكلمات والكتب
صادقة يعني وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه بكلمات
الله وكتبه يجوز ان يراد بكلماته صحفه التي انزلها على ادريس وغيره
سماها كلمات لقصرها وبكتبه كتب الاربعة وان يراد جميع ما كلم الله
به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه في اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه
اي بعيسى وبالكتاب والمنزل عليه وهو الانجيل **وكانت من
القانتين** على لان القنوت صفة يشتمل من قنت من القبيلين فغلب
ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز ان يكون لابتداء الغاية على انها ولدت
من القانتين لانها من اعقاب هارون اخي موسى عليه السلم وعن النبي
صلى الله عليه واله وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت
مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد
صلى الله عليه واله وسلم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر
الطعام واما ما روي ان عائشة رضي سالت رسول الله صلى الله عليه واله
وسلم كيف سمى الله المسلمة بمريم ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت فما اسمها
قال اسم امرأة نوح عليه السلم واعلة واسم امرأة لوط فحدث اهل الصنعة
ظاهرين ولقد سمى الله تعالى جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت
التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن بينها وبين مريم في التمثيل للمؤمنين
وابى الله الا ان يجعل للمصنوع امارة تنم عليه وكلام رسول الله صلى الله عليه
وسلم احكم واسلم من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرأ سورة التحريم

كل من الرجال كثير

الذي خلق الموت والحيوة

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك تعالى بالذات
عن صفات المخلوقين **الذي بيده الملك** على كل موجود **وهو على كل شيء** ما لم
يوجد مما يدخل تحت القدرة **قدير** وذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء
الحيوة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق الموت والحيوة ما يصح بوجوده
الاحساس وقيل ما يوجب كون الشيء حيوة وهو الذي يصح منه ان يعلم ويقدر و
الموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحيوة ايجاد ذلك المصحح واعدامه
والمعنى خلق موتكم وحيوتكم ايها المكلفون **ليبلوكم** وسمي علم الواقع منهم
باختيارهم بلوى وهي الخبرة استعارة من فعل المختبر ومن أي
تعلق قوله **ايكم احسن عملا** بفعل البلوى من حيث انه تضمن معنى
العلم فكانه قيل ليعلم ايكم احسن عملا واذا قلت علمته أزيد احسن عملا ام هو
كانت هذه الجملة واقعة موقع الثاني من مفعوليه كما تقول علمته هو احسن عملا
اسمي هذا تعليقا مع علمه لفظا لا انما التعليق ان يوقع بعده
ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت ايهما زيد وعلمت ازيد منطلق الا
ترى انه لا فرق بين احد المفعولين بين ان يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام
وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا في قولك علمت ازيد
منطلق وعلمت زيدا منطلقا **احسن عملا** قيل اصوبه واخلصه لانه اذا كان خالصا
غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص فالخالص ان يكون لوجه
الله تعالى والصواب ان يكون على السنة وعن النبي صلى الله عليه واله وسلم انه
تلاها فلما بلغ قوله ايكم احسن عملا قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله
واسرع في طاعة الله يعني ايكم اتم عقلا عن الله تعالى وفهما لاغراضه والمراد
انه اعطاكم الحيوة التي تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم
الموت الذي هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء

الذي لا بد منه وقدم الموت على الحيوة لان اقوى الناس داعيا الى العمل من
نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الآية اهم وهو
العزيز الغالب الذي لا يعجزه من اساء العمل الغفور لمن تاب من اهل الاساءة
الذي خلق سبع سموات طباقا مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل
اذا خصفها على طبق وهذا وصف بالمصدر او على ذات طباق او على طوبقت طباقا
من تفاوت وقرئ من تفوت ومعنى البنائين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم
وتظهروا من نسائهم وتعاهدته وتعهدته اي من اختلاف واضطراب في الخلقة
ولا تناقض انما هي مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن
بعض الشيء يفوت بعضا فلا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفي نقيضه متناصف
كيف موقع هذه الجملة مما قبلها   هي صفة مشايعة لقوله طباقا و
اصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما
لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو انه خلق الرحمن وانه
بباهر قدرته هو الذي يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب في ما ترى للرسول
او لكل مخاطب وقوله فارجع البصر متعلق به على معنى التسبيب اخبره بانه
لا تفاوت في خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما اخبرت به بالمعاينة
ولا يبقى معك شبهة فيه هل ترى من فطور من صدوع وشقوق جمع فطر
وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه
شق اللحم فطلع ثم ارجع البصر كرتين امره بتكرير البصر فيهن متصفحا
ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا ينقلب اليك اي ان رجعت البصر
وكررت النظر لم يرجع اليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك
بل يرجع اليك بالخسوء والحسور اي بالبعد عن اصابة الملتمس كأنه يطرد عن ذلك
طردا بالصغار والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد
كيف ينقلب البصر خاسئا وهو حسير برجعه كرتين اثنتين   معنى
التثنية التكرير بكثرة كقولهم لبيك وسعديك تريد اجابات كثيرة بعضها في
اثر بعض وكقولهم في المثل دهدرين سعد القين من ذلك اي باطلا بعد باطل

ما معنى ثم ارجع   امره برجع البصر ثم امره بان لا يقتنع بالرجعة
الاولى وبالنظرة الحمقاء وان يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاود ويعاود الى
ان يحسر بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر على شيء من فطور ولقد زينا السماء
الدنيا القربى لانها اقرب السموات الى الناس ومعناها السماء الدنيا منكم
بمصابيح والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم
ودورهم بايقاد المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها
بمصابيح اي باي مصابيح لا توازيها مصابيحكم وجعلناها رجوما للشياطين
لاعدائكم الشياطين الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها
في ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما
للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له
به وعن محمد بن كعب والله ما لاحد من اهل الارض في السماء ولكنهم يتخذون
الكهانة سببا ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم
به ومعنى كونها مراجم للشياطين ان الشهب التي تنقض لرمي المسترقة منهم
منفصلة من نار الكواكب لا انهم يرجمون بالكواكب انفسها لانها قارة في الفلك
على حالها وما هذا الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من
الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها
ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم النجامون واعتدنا لهم عذاب
السعير في الآخرة بعد الاحراق بالشهب في الدنيا وللذين كفروا بربهم اي
ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وبئس المصير
ليس الشياطين المرجومين مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا
على عذاب السعير اذا القوا فيها اي طرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة
ويرمى به ومثله قوله حصب جهنم سمعوا لها شهيقا اما لاهلها ممن تقدم
طرحهم او من انفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها
المنكر الفظيع بالشهيق وهي تفور تغلي بهم غليان المرجل بما فيه تكاد
تميز من الغيظ وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان

متميز غيظا يتقصف غضبا وتغضب فطارت منه شقة في الارض وشقة في السماء
اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز ان يراد غيظ الزبانية كلما ألقي فيها فوج
سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة
الى حسرتهم وخزنتها مالك واعوانه من الزبانية قالوا بلى قد جاءنا نذير
فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء اعتراف منهم بعدل الله واقرار
بان الله تعالى ازاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وانهم لم
يؤتوا من قدرة كما يزعم المجبرة وانما اتوا من قبل انفسهم واختيارهم خلاف
ما اختار الله فامر به واوعد على ضده إن أنتم إلا في ضلال
كبير ان المخاطبون به هو من جملة قول الكفار وخطابهم للنذر
على ان النذير بمعنى الانذار والمعنى الا قلتم اهل نذير او وصف منه
لغلوهم في الانذار كأنهم ليسوا الا انذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله
انا رسول رب العالمين اي حاملا رسالته ويجوز ان يكون من كلام الخزنة للكفار
على ارادة القول ارادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم في الدنيا او ارادوا
بالضلال الهلاك او سموا عقاب الضلال باسمه او من كلام الرسل لهم حكوه
للخزنة اي قالوا لنا هذا فلم نقبله وقالوا لو كنا نسمع الانذار سماع طالب
الحق او نعقل نعقله عقل متأمل ما كنا في اصحاب السعير وقيل انما جمع
السمع والعقل لان مدار التكليف على ادلة السمع والعقل ومن بدع التفاسير
ان المراد لو كنا على مذهب اصحاب الحديث او على مذهب اصحاب الراي كان هذه
الآية نزلت بعد ظهور المذهبين وكان سائر اصحاب المذاهب المجتهدين قد انزل الله
تعالى وعيدهم وكان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين
من الصحابة عشرة لم يضم اليهم حادي عشر كان من يجوز على الصراط اكثرهم
لم يسمعوا باسم هذين الفريقين فاعترفوا بذنبهم بكفرهم في تكذيبهم الرسل
فسحقا لاصحاب السعير وبالتخفيف والتثقيل اي فبعدا لهم اعترفوا او جحدوا
فان ذلك لا ينفعهم ظاهره الامر بالجد لا مرين الاسرار والاجهار ومعناه
ليستوي عندكم اسراركم واجهاركم في علم الله بهما إن الذين يخشون ربهم بالغيب

لهم مغفرة وأجر كبير وأسروا قولكم او اجهروا به انه
عليم بذات الصدور اي بضمائرها قبل ان تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم
ما تكلم به ثم انكر ان لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر من خلق الاشياء
وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز
ان يكون من منصوبا بمعنى ألا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروي ان المشركين
كانوا يتكلمون فيما بينهم باشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون اسروا قولكم
لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله تعالى على جهلهم وقدرت في ألا يعلم
المذكور مما اضمر في القلب واظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل هو يعطي
ويمنع وهلا كان المعنى الا يكون عالما من هو خالق لان الخلق لا يصح الا مع العلم
انت ذلك الحال التي هي قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت الا يكون
عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن لان ألا يعلم معتمد على الحال والشيء
لا يوقت بنفسه فلا يقال الا يعلم وهو عالم بكل شيء هو الذي جعل لكم
الارض ذلولا فامشوا في مناكبها المشي في مناكبها مثل في الذل ومجاوزة
الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب ارق شيء من البعير وانباه عن
ان يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها في الذل بحيث يمشي في
مناكبها لم يترك وقيل مناكبها جبالها وقال الزجاج معناه سهل لكم السلوك
فيها واذا مكنكم السلوك في جبالها فهو ابلغ التذليل وقيل جوانبها وكلوا
من رزقه واليه النشور والمعنى واليه نشوركم فهو سائلكم عن شكر ما انعم
به عليكم ءأمنتم من في السماء فيه وجهان احدهما من ملكوته في السماء لانها
مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه
وكتبه واوامره ونواهيه والثاني انهم كانوا يعتقدون التشبيه وانه في السماء
وان الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم
أأمنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان ان يخسف بكم الارض
فاذا هي تمور ام أمنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا
ان يعذبكم بخسف او بحاصب كما تقول لبعض المشبهة اما تخاف من فوق العرش

نعم علمه بانه
الا يعلم
الا يعلم مفعولا على معنى
ربه
ك
هم

ان تعاقبك بما تفعل اذا رأيته يرتكب بعض المعاصي فستعلمون قرئ بالياء
والتاء كيف نذير اي اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذاري حين لا ينفعكم العلم
ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير اولم يروا
الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها
لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا ويقبضن ويضممنها اذا ضربن بها
جنوبهن لم قيل ويقبضن ولم يقل قابضات لان اصل
الطيران هو صف الاجنحة لان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والاصل
في السباحة مد الاطراف وبسطها واما القبض فطارئ على البسط للاستظهار
به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير اصل بلفظ الفعل على معنى انهن صافات
ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح ما يمسكهن
الا الرحمن بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافي وبنى الاجسام على
شكل وخصائص قد تأتى منها الجري في الجو انه بكل شيء بصير
يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب امن يشار اليه من الجمع ويقال
هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان ارسل عذابه
يشار اليه ويقال امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه
وهذا التقدير ويجوز ان يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم انهم
يحفظون بها من النوائب الهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق ونحوه
ام لهم الهة تمنعهم من دوننا بل لجوا في عتو ونفور بل تمادوا في عناد وشراد
عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه يجعل اكب مطاوع كبه ويقال كببته فاكب
من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فاقشع وما هو كذلك
ولا شيء من بناء افعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الا حملة كتاب سيبويه وانما
اكب من باب انفض والام ومعناه دخل في الكب وصار ذا كب وكذلك
اقشع السحاب دخل في القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع
ما معنى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى وكيف قابل امن
يمشي سويا على صراط مستقيم معناه يمشي معتسفا في مكان متعاد

ان الكافرون الا في غرور

غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا فحاله
نقيض حال من يمشي سويا اي قائما سالما من العثور والخرور او مستوي
الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذي ينحرف على وجهه منكبا فحاله
نقيض حال من يمشي سويا اي قائما سالما من العثور والخرور هكذا وهكذا
على طريق غير مستو ويجوز ان يريد الاعمى لا يهتدي الى الطريق فيعتسف
فلا يزال منكبا على وجهه وانه ليس كالرجل السوي الصحيح البصير الماشي في
الطريق المهتدي له وهو مثل للمؤمن والكافر وعن قتادة الكافر اكب على معاصي
الله فحشره الله يوم القيمة على وجهه وعن الكلبي عني به ابا جهل بن هشام و
بالسوي رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقيل حمزة بن عبد الله فلما رأوه
الضمير للوعد قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع والابصار و
الافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه
تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما
العلم عند الله وانما انا نذير مبين فلما رأوه زلفة الزلفة القرب و
انتصابها على الحال او على الظرف اي رأوه ذا زلفة او مكانا ذا زلفة سيئت
وجوه الذين كفروا اي ساءت رؤية الوعد وجوههم بان علتها
الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا كما يكون وجه من يقاد الى القتل او
يعرض على بعض العذاب وقيل القائلون الزبانية هذا الذي كنتم به
تدعون يفتعلون من الدعاء اي يطلبون ويستعجلون به وقيل هو من الدعوى
اي انكم تدعون بسببه انكم لا تبعثون وقرئ تدعون وعن بعضهم انه قرأها
في اول الليل في صلوته فبقي يكررها وهو يبكي الى ان نودي لصلوة الفجر
ولعمري انها لوقاذة لمن تصور تلك الحالة وتاملها قل أرأيتم ان اهلكني
الله ومن معي او رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب اليم كان كفار
مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك
فامر بان يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما ان نهلك
كما تتمنون فننقلب الى الجنة او يرحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجوا فانتم

ما تضعون من نجيكم وانتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه يعني انكم
تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة وانتم في امر هو
الهلاك الذي لا هلاك بعده وانتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه او ان
اهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم والآخذين بحجزكم من
النار وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول
على ايدينا هالك وان اهلكنا الله تعالى في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون
فمن يجير الكافرين وهم اولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان
فمن يجير من لا ايمان له قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون
من هو في ضلال مبين لتاخير مفعول آمنا وتقديم مفعول توكلنا
لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين ورده عقيب ذكرهم كانه قيل آمنا
ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما انتم متكلون عليه
من رجالكم واموالكم قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا ذاهبا
في الارض فمن ياتيكم بماء معين وعن الكلبي لا ينالها الدلاء وهو وصف
بالمصدر كعدل ورضي وعن بعض المتطاولين انه تليت عليه هذه الآية فقال
يجي به الفؤوس والمعاول فذهب ماء عينه نعوذ بالله من الجراة على الله
وعلى آياته عن رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك من قرا سورة الملك
فكانما احيى ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم بالبيان
والادغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما في ص والمراد هنا الحرف
من حروف المعجم واما قولهم هو الدواة فما ادري اهو وضع لغوي او شرعي
ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من ان يكون جنسا او علما فان كان جنسا فاين
الاعراب والتنوين وان كان علما فاين الاعراب وايهما كان فلا بد من موقع في تأليف

الكلام هو مقسم به وجب ان يكون جنسا ان يجره وينونه
ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كانه قيل ودواة والقلم وان كان علما
ان يصرفه ويجره او لا يصرفه ويفتحه للعلمية والتانيث وكذلك التفسير بالحوت
اما ان يراد نون من النينان او يجعل علما للبهموت الذي يزعمون والتفسير باللوح
من نور او ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك واقسم بالقلم تعظيما له لما في خلقه
وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التي لا يحيط
بها الوصف وما يسطرون وما يكتبون من كتب وقيل يسطره الحفظة وما موصولة
او مصدرية ويجوز ان يراد بالقلم اصحابه فيكون الضمير في يسطرون لهم كانه
قيل واصحاب القلم ومسطوراتهم او وسطرهم ويراد كل من يسطر او الحفظة
بم يتعلق الباء في ما انت بنعمة ربك
يتعلق بمجنون منفيا
كما يتعلق بعاقل مثبتا في قولك انت بنعمة الله عاقل مستويا في ذلك الاثبات
والنفي استواءهما في قولك ضرب زيد عمروا وما ضرب زيد عمروا واعمل الفعل
مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت بمجنون
منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء ان يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتاكيد
النفي والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار اهل مكة عداوة وحسدا وانه
من انعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التي يقتضيها التاهيل للنبوة بمعزل
وان لك على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه لاجرا لثوابا
غير ممنون غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك لانه
ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الاجور على الاعمال
وانك لعلى خلق عظيم استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن
مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذي امره الله تعالى به في قوله خذ العفو
وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وعن عائشة رضي الله عنها ان سعيد بن هشام سالها
عن خلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت كان خلقه القرآن الست تقرا
القرآن قد افلح المؤمنون فستبصر ويبصرون بايكم المفتون المجنون لانه
بلي بالجنون فتن اي محن ولان العرب يزعمون انه من تخبيل الجن وهم الفتان

للفتاك منهم والباء مزيدة او المفتون مصدر كالمعقول والمجلود اي بايكم
الجنون او باي الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين
اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة
واضرابهما وهذا كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الاشر إن ربك هو أعلم
بمن ضل بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله وهو أعلم
بالمهتدين بالعقلاء وهم المهتدون او يكون وعيدا ووعدا فانه اعلم
بجزاء الفريقين فلا تطع المكذبين تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم
ودوا لو تدهن فيدهنون لو ترخص فيدهنون ولم ينتصب باضمار ان
وهو جواب التمني لانه عدل به الى طريق آخر وهو ان جعل خبر مبتدأ محذوف
اي فهم يدهنون كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا على معنى ودوا
لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم
في ادهانك وزعم هارون انها في بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا ولا
تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف
ومثله ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم مهين من المهانة وهي القلة والحقارة يريد
القلة في الرأي والتمييز او اراد الكذب لانه حقير عند الناس هماز عياب
طعان وعن الحسن يلوي شدقيه في اقفية الناس مشاء بنميم نقال
للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة
السعاية وانشد في بعض العرب تشبب بالنميمة تمشي بها زهرا الى تميمة
مناع للخير يبخل بالخير المال او مناع اهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع
منه دون الممنوع كانه قيل مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومي كان
موسرا وكان له عشرة من الولد فكان يقول لهم وللحمته من اسلم منكم
منعته رفدي عن ابن عباس انه ابو جهل وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث
وعن السدي الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده في زهرة ولذلك قيل
زنيم معتد متجاوز في الظلم حده أثيم كثير الآثام عتل غليظ جاف من عتله اذا
عنف وغلظه بعد ذلك بعد ما عد له من المثالب النقائص زنيم دعي ملحق

بن ثابت وانت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد
وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده
وقيل بغت امه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية جعل جفاءه ودعوته اشد معايبه
لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسى قلبه واجترأ على كل معصية ولان الغالب ان
النطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم في قوله
ثم كان من الذين آمنوا وقرأ الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما
يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة
في حلقها لانه زيادة معلقة بغير اهله ان كان ذا مال وبنين متعلق
بلا تطع يعني ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال اي ليساره وحظه
من الدنيا ويجوز ان يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين
اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين كذب آياتنا ولا يعمل فيه قال الذي
هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن ما دلت عليه الجملة من معنى
التكذيب وقرئ أأن كان على الاستفهام على ألأن كان ذا مال كذب او أتطيعه
لان كان ذا مال وروى الزبيري عن نافع إن كان بالكسر والشرط للمخاطب اي
لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا اطاع الكافر لغناه فكانه اشترط في الطاعة
الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجي اليه في قوله لعله يتذكر
سنسمه على الخرطوم الوجه اكرم موضع في الجسد والانف اكرم موضع في
الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة و
قالوا الانف في الانف وحمي انفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع انفه
فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين
واذالة فكيف بها على اشرف موضع منه ولقد وسم العباس اباعره في وجوهها
فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها
وفي لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة
مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله صلى الله عليه وآله

صدا وقع بانفها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه
وقيل سنشهره بهذه السمة في الدارين جميعا فلا يخفى كما لا يخفى السمة على
الخرطوم وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر اي سنحده على شربها وهو تعسف
وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهي ما سلف من عصير العنب او لانها
يطير في الخياشيم انا بلوناهم اهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عليهم كما بلونا اصحاب الجنة اذ اقسموا وهم قوم
من اهل صنعاء كانت لابيهم هذه الجنة التي دون صنعاء بفرسخين وكان
ياخذ منهم قوت سنتهم ويتصدق بالباقي وكان يترك للمساكين ما اخطأه المنجل
وما في اسفل الاكداس وما اخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط
الذي يبسط تحت النخلة اذا صرمت وكان يجتمع لهم شيء كثير فلما مات قال
بنوه ان فعلنا ما كان يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن اولوا عيال فحلفوا ليصرمنها
مصبحين في السدف خيفة عن المساكين ولم يستثنوا في يمينهم فاحرق الله
تعالى جنتهم وقيل كانوا من بني اسرائيل مصبحين داخلين في الصباح مبكرين
ولا يستثنون ولا يقولون ان شاء الله لم سمي استثناء وانما هو
شرط لانه يودي مودى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن
ان شاء الله واحد فطاف عليها بلاء او هلاك طائف من ربك وهم
نائمون كقوله واحيط بثمره وقرئ طيف فاصبحت كالصريم كالمصروم
لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل اي احترقت فاسودت وقيل النهار
اي يبست فذهبت خضرتها ولم يبق فيها شيء من قولهم بيض الاناء اذا فرغ
وقيل الصريم الرمال فتنادوا مصبحين ان اغدوا على حرثكم ان كنتم
صارمين قاصدين هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على
لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما يقول غدا عليهم
العدو ويجوز ان يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى عليهم بالجفنة ويراح
اي فاقبلوا على حرثكم باكرين فانطلقوا وهم يتخافتون يتشاورون فيما
بينهم وخفي وخفيت وخفت ثلاثتها في معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش

ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ان مفسرة وقرأ ابن مسعود
بطرحها باضمار القول اي يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهي عن الدخول
للمسكين نهي لهم عن تمكينه منه اي لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك
لا ارينك ههنا وغدوا على حرد قادرين الحرد من حاردت السنة
اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين
على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني انهم عزموا ان يتنكدوا على المساكين
ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون
فيها الا على النكد والحرمان وذلك انهم لما طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا
الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل
كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اي غدوا حاصلين على الحرمان مكان
الانتفاع او لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله تعالى
بان حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث انما غدوا على حرد
وقادرين من عكس الكلام للتهكم اي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام
وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ
على حرد اي لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله يتلاومون
وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال اقبل سيل جاء من امر
الله يحرد حرد الجنة المغلة ونظام اد سراع يعني وغدوا قاصدين الى
جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند انفسهم او مقدرين ان يتم لهم مرادهم
من الصرام والحرمان فلما راوها قالوا في بديهة وصولهم انا لضالون
اي ضللنا جنتنا وما هي بها لما راوا من هلاكها فلما تاملوها وعرفوا
انها هي قالوا بل نحن محرومون حرمنا خيرها لجنايتنا على انفسنا قال
اوسطهم اعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه واعطني من
سطات مالك ومنه قوله امة وسطا الم اقل لكم لولا تسبحون
لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم
حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة

الجنينة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيروهم
والدليل عليه قوله قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم
الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح
الاستثناء لالتقائهما في معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح
تنزيه له وكل من التنزيه والتفويض تعظيم وعن الحسن هو الصلوة كانهم كانوا لا يصلون
اي حافظوا عليها فالا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا في ان يستثنوا
ولا تحرموا سبحان ربنا سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم
في منع المعروف وترك الاستثناء فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون يلوم
بعضهم بعضا لان منهم من زين ومنهم من قبل ومنهم من امر بالكف وعذر
ومنهم من عصى الامر ومنهم من سكت وهو راض قالوا يا ويلنا انا كنا
طاغين عسى ربنا ان يبدلنا بالتشديد والتخفيف خيرا منها انا الى ربنا
راغبون طالبون منه الخير راجون لعفوه كذلك العذاب مثل ذلك العذاب
الذي بلونا به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر
اشد واعظم وسئل قتادة عن اصحاب الجنة اهم من اهل الجنة ام من اهل
النار فقال لقد كلفتني تعبا وعن مجاهد تابوا فابدلوا خيرا منها وعن ابن مسعود
بلغني انهم اخلصوا وعرف الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان
فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا ان للمتقين عند ربهم اي في الآخرة جنات
النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات
الدنيا افنجعل المسلمين كالمجرمين كان صناديد قريش يرون وفور حظهم
من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله
للمسلمين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه لم يكن
حالهم وحالنا الا مثل ما هي في الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى
امرهم ان يساوونا فقيل الحيف في الحكم فنجعل المسلمين كالكفار ثم قيل لهم على
طريقة الالتفات ما لكم كيف تحكمون هذا الحكم الاعوج كان امر
الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم ام لكم كتاب من السماء

فيه تدرسون تدرسون في ذلك الكتاب ان ما تختارونه وتشتهونه لكم
كقوله ام لكم سلطان مبين فاتوا بكتابكم والاصل تدرسون ان لكم
لما تخيرون بفتح ان لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز ان يكون
حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين
وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا اخذ منخوله ام
لكم ايمان علينا بالغة لفلان على يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت
له على الوفاء يعني ام ضمنا منكم واقسمنا لكم بايمان مغلظة متناهية في التوكيد
الى يوم القيمة يتعلق
بالمقدر في الظرف اي هي ثابتة لكم
علينا الى يوم القيمة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمنا واعطيناكم ما تحكمون
ويجوز ان يتعلق ببالغة على انها تبلغ ذلك اليوم وتنتهي اليه وافرة لم تبطل
منها يمين الى ان يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرأ الحسن بالغة بالنصب على
الحال من الضمير في الظرف ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى
ام لكم علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك الحكم زعيم اي قائم به
وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بامورهم ام لهم
شركاء اي ناس يشاركونهم في هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون
مذهبهم فيه فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين في دعواهم يعني ان
احدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما انه لا كتاب لهم ينطق به ولا
عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به يوم يكشف عن ساق ويدعون
الى السجود فلا يستطيعون الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل في
شدة الامر وصعوبة الخطب واصله في الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن
سوقهن في الهرب وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها
وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقال ابن الرقيات تذهل الشيخ عن بنيه و
تبدي عن خدام العقيلة العذراء فمعنى يوم يكشف عن ساق في معنى يوم يشتد
الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة و
لا يد ثم ولا غل وانما هو مثل في البخل فاما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره في

الخدام الساق لانه موضع الخدام وهو الخلخال جمع ... وقيل عن ساق اي عن اصل الامر فان الساق اصل الشيء الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان ... فلان واسع العطن ورحب الذراع اذا كان ...

علم البيان والذي غره منه حديث ابن مسعود يكشف الرحمن عن ساقه فاما المؤمنون
فيخرون سجدا واما المنافقون فيكون ظهورهم طبقا طبقا كان فيها السفافيد و
معناه يشتد امر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيمة ثم كان من
حق الساق ان يعرف على ما ذهب اليه المشبهة لانها ساق مخصوصة معهودة
عنده وهو ساق الرحمن فلم جاءت منكرة في التمثيل للدلالة على
انه امر مبهم في الشدة منكر خارج عن المألوف لقوله يوم يدع الداع الى شيء
نكر كانه قيل يوم امر فظيع هائل وحكي هذا التشبيه عن مقاتل وعن ابي
خرج من خراسان رجلان احدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان والآخر نفى
حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن احس بعظم مضار فقد هذا العلم علم
مقدار عظم منافعه وقرئ نكشف بالنون ويكشف بالياء على البناء للفاعل والمفعول
جميعا والفعل للساعة او للحال اي يوم يشتد الحال او الساعة كما يقال كشفت
الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف
اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا
وناصب الظرف فليأتوا او اضمار اذكر او يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت
فحذف للتهويل البليغ وان ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه عن ابن مسعود تعقم
تعقم اصلابهم اي ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض وفي الحديث
ويبقى اصلابهم طبقا واحدا اي فقارة واحدة خاشعة ابصارهم ترهقهم
ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون لم يدعون
الى السجود ولا تكليف لا يدعون اليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا
على تركهم السجود في الدنيا مع اعقام اصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة
تحسيرا لهم وتنديما على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالمو الاصلاب
والمفاصل ممكنون مزاحو العلل فيما تعبدوا به فذرني ومن يكذب بهذا
الحديث يقال ذرني واياه يريدون كله الي فاني اكفيكه كانه قيل حسبك
ايقاعا به ان تكل امره الي وتخلي بيني وبينه فاني عالم بما يجب ان يفعل به مطيق
والمراد حسبي مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل علي في

شبه ص

الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتهديدا للمكذبين
سنستدرجهم استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى
يورطه فيه واستدراج الله العصاة ان يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق
الله ذريعة ومتسلقا الى ازدياد الكفر والمعاصي من حيث لا يعلمون اي من الجهة
التي لا يشعرون انه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم
وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم واملي لهم وامهلهم كقوله انما
نملي لهم ليزدادوا اثما والصحة والرزق والمد في العمر احسان من الله تعالى وافضال
يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا في الكفر باختيارهم فلما تدرجوا
به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج وقيل كم من مستدرج بالاحسان اليه
وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر ان كيدي متين وسمى
احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه في صورة الكيد حيث كان سببا
للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة اثر احسانه في التسبب للهلاك ام
تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون المغرم الغرامة اي لم تطلب منهم
على الهداية والتعليم اجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك
عن الايمان ام عندهم الغيب اي اللوح فهم يكتبون منه ما يحكمون به
فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير نصرتك عليهم ولا تكن
كصاحب الحوت يعني يونس عليه السلام اذ نادى في بطن الحوت وهو
مكظوم اي مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه والمعنى لا يوجد منك
من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه لولا ان تداركه حسن تذكير الفعل لفصل
الضمير في تداركه وقرأ ابن مسعود وابن عباس تداركته وقرئ تداركه اي
يتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه كما يقال كان زيد
سيقوم فمنعه فلان اي كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا منه القيام
نعمة من ربه اي انعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه لنبذ بالعراء وقد اعتمد
في جواب لولا على الحال اعني قوله وهو مذموم يعني ان حاله كانت على خلاف
الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم روي انها نزلت باحد

حين حل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما حل به فاراد ان يدعو على الذين
انهزموا وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف وقرئ رحمة من ربه **فاجتباه ربه**
فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
فجعله من الصالحين اي من الانبياء وعن ابن عباس رحمه الله تعالى رد الله اليه الوحي
شفعه في نفسه وقومه **وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم**
وان مخففة من الثقيلة واللام علمها وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها وزلقه
وازلقه بمعنى ويقال زلق الراس وازلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت
نفسه وازهقها يعني انهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون
العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك او يهلكونك من قولهم نظر الي
نظرا يكاد يصرعني ويكاد ياكلني اي لو امكنه بنظره الصرع او الاكل لفعله قال
يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزل مواطئ الاقدام وقيل كانت العين
في بني اسد وكان الرجل منهم يتجوع ثلثة ايام فلا يمر به شيء فيقول فيه لم ار كاليوم
مثله الا عانه فاريد بعض العيانين على ان يقول في رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم مثل ذلك فقال لم ار كاليوم رجلا فعصمه الله تعالى وعن الحسن دواء الاصابة
بالعين ان يقرا هذه الآية **لما سمعوا الذكر** اي القرآن لم يملكوا انفسهم حسدا
على ما اوتيت من النبوة **ويقولون انه لمجنون** حيرة في امره وسعيا عنه والا
فقد علموا انه اعقلهم والمعنى انهم جننوه لاجل القرآن **وما هو الا ذكر**
وموعظة **للعالمين** فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه
وعلى آله وسلم من قرا سورة القلم اعطاه الله تعالى ثواب الذين حسن الله تعالى اخلاقهم

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة الساعة الواجبة
الوقوع الثابتة المجيء التي هي آتية لا ريب فيها او التي فيها حواق الامور من
الحساب والثواب والعقاب او التي تحقق فيها الامور اي تعرف على الحقيقة من
قولك لا احق هذا الامر اي لا اعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها
على الابتداء وخبرها **ما الحاقة** والاصل الحاقة ما هي اي اي شيء هي تفخيما لشانها
وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه اهول لها **وما ادراك** واي شيء
اعلمك **ما الحاقة** يعني انك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على انه من العظم
والشدة بحيث لا يبلغه دراية احد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي اعظم
من ذلك وما في موضع الرفع على الابتداء وادراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام
كذبت ثمود وعاد بالقارعة التي تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء
بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار
ووضعت موضع الضمير ليدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها
ولما ذكرها وفخمها اتبع ذكر ذلك من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا
لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم **فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية**
بالواقعة المجاوزة للحد واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الصاعقة
وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فاهمدتهم وقيل الطاغية مصدر كالعافية
اي بطغيانهم وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله **واما عاد فاهلكوا**
بريح صرصر والصرصر الشديدة لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كانها
التي كرر فيها البرد وكثر فهي تحرق بشدة بردها **عاتية** شديدة العصف
والعتو استعارة او عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء
او لياذ بجبل او اختفاء في حفرة لانها كانت تنزعهم من مكانهم وتهلكهم وقيل
عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم ما ارسل الله سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال
الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم
قرا انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم
يكن لهم عليها سبيل ثم قرا بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط
فيها **سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما** الحسوم لا تخلو من ان تكون
جمع حاسم كشهود وقعود او مصدرا كالشكور والكفور فان كانت جمعا فمعنى قوله حسوما

نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة أو متتابعة هبوب الرياح ما خفتت
ساعة حتى أتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على
الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وإن كان مصدرا فإما أن ينتصب بفعله مضمرا
أي تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا أو تكون صفة كقولك ذات حسوم
أو يكون مفعولا له أي سخرها عليهم مستأصلة وقيل هي أيام العجوز وذلك
أن عجوزا من عاد توارت في سرب فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هي أيام
العجز وهي آخر الشتاء وأسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر
والمعلل ومطفئ الجمر وقيل مكفئ الظعن ومعنى سخرها عليهم سلطها عليهم كما
شاء **فترى القوم فيها** في مهابها أو في الليالي والأيام **صرعى** وقرئ **أعجاز**
نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية من بقية أو من نفس باقية أو من بقاء
كالطاغية بمعنى الطغيان **وجاء فرعون ومن قبله** أي ومن تقدمه وتعضده
قراءة عبد الله وأبي ومن معه وقراءة أبي موسى ومن تلقاه **والمؤتفكات** قرى
قوم لوط **بالخاطئة** بالخطأ أو بالفعلة أو الأفعال ذات الخطاء العظيم **فعصوا**
رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية شديدة زائدة في الشدة كما زادت قبائحهم
في القبح يقال الشيء يربو إذا زاد ليربوا في أموال **إنا لما طغى الماء حملناكم**
حملنا آباءكم **في الجارية** في سفينة نوح عليه السلام لأنهم إذا كانوا من نسل المحمولين
كان حمل آبائهم منة عليهم وكأنهم هم المحمولون لأن نجاتهم سبب ولادتهم
لنجعلها الضمير للفعلة وهي نجاة المؤمنين وإغراق الكافرين **لكم تذكرة**
موعظة وعبرة **وتعيها أذن واعية** من شأنها أن تعي وتحفظ ما سمعت
ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته في نفسك فقد وعيته وكل ما حفظته في
غير نفسك فقد أوعيته كقولك أوعيت الشيء في الظرف وعن
النبي عليه السلام أنه قال لعلي رضي الله عنه عند نزول هذه الآية سألت الله
أن يجعلها أذنك يا علي قال علي رضي الله عنه فما نسيت بعد وما كان لي أن أنسى
لم قيل أذن واعية على التوحيد والتنكير للإيذان بأن الوعاة
فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا

للاستئصال ... قال عبد العزيز بن زرارة الكلابي ... تتابع فيه أعوام حسوم ... وقرأ السدي حسوما بالفتح حالا من الريح أي سخرها عليهم

وغفلت عن الله تعالى فهي السواد الأعظم عند الله تعالى وإن ما سواها لا
يبالي بهم بالة وإن ملأوا ما بين الخافقين فهي وتبعها تكون التي يتحسف
شبه ... **فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة** أسند الفعل إلى المصدر
وحسن تذكيره للفصل وقرأ أبو السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا
للفعل إلى الجار والمجرور ... هما نفختان فلم قيل واحدة ... معناه
أنها لا تثنى في وقتها ... فأي النفختين هي ... الأولى لأن عندها فساد
العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد روي عنه أنها الثانية
أما قال بعد يومئذ يعرضون والعرض إنما هو عند الثانية ... جعل اليوم اسما
للحين الواسع الذي تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب
فلذلك قيل يومئذ يعرضون كما تقول جئته عام كذا وإنما كان مجيئك في وقت
واحد من أوقاته **وحملت الأرض والجبال** أو بخلق من الملائكة أو بقدرة الله
تعالى من غير سبب وقرئ وحملت بحذف المحمل وهو أحد الثلاثة ...
فدكتا دكة واحدة فدكت الجملتان جملة الأرض وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى
تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك أبلغ من الدق وقيل فبسطتا
بسطة واحدة فصارتا أرضا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا من قولك اندك
السنام إذا انفرش وبعير أدك وناقة دكاء ومنه الدكان **فيومئذ وقعت الواقعة**
نزلت النازلة وهي القيامة **وانشقت السماء فهي يومئذ واهية** مسترخية ساقطة
القوة جدا بعد ما كانت محكمة مستمسكة **والملك على أرجائها** يريد والخلق
الذي يقال له الملك ورده إليه الضمير مجموعا في قوله **ويحمل عرش ربك**
فوقهم على المعنى ... ما الفرق بين قولك والملك وبين أن يقال والملائكة
الملك أعم من الملائكة ألا ترى أن قولك ما من ملك إلا وهو شاهد أعم
من قولك ما من ملائكة على أرجائها على جوانبها الواحد رجا مقصور يعني أنها
تنشق وهي مسكن الملائكة فينضوون إلى أطرافها وما حولها من حافاتها **يومئذ**
ثمانية أي ثمانية وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هم اليوم أربعة
فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروي ثمانية أملاك أرجلهم

وردت من جهاتها ريح بلغت من قوة عصفها أنها تحمله

مسترخية

في تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل
بعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الثور
وبعضهم على صورة النسر وروي ثمانية املاك في خلق الاوعال ما بين
اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك واربعة
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم
كم هم اثمانية ام ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله
ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من الملائكة فهو القادر على كل خلق سبحان
الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون يومئذ
تعرضون العرض عبارة عن المحاسبة والمسائلة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر
ليعرف احواله وروي ان في يوم القيمة ثلث عرضات فاما عرضتان فاعتذار
واحتجاج وتوبيخ وفيها تنتشر الكتب فياخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه
بشماله لا تخفى منكم خافية سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم فاما
تفصيل للعرض فاما من اوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا
هاؤم صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما اشبه ذلك و كتابيه
منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه اقرب العاملين واصله
هاؤم كتابي اقرؤا كتابي فحذف الاول لدلالة الثاني عليه ونظيره اتوني افرغ عليه قطرا
قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقرؤه وافرغه والهاء للسكتة في كتابيه وكذلك
حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاآت ان تثبت في الوقف وتسقط
في الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها في المصحف وقيل لا باس بالوصل
والاسقاط وقرأ ابن محيصن باسكان الياء بغير هاء وقرأ جماعة باثباتها
في الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف اني ظننت علمت اني ملاق حسابيه
وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم في العبادات
والاحكام ويقال اظن ظنا كاليقين ان الامر كيت وكيت فهو في عيشة راضية
منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة

بالصيغة او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها في جنة عالية مرتفعة المكان
في السماء او رفيعة الدرجات او رفيعة المباني والقصور والاشجار قطوفها
دانية يتناولها القاعد والنائم يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا اكلا وشربا
هنيئا او هنئتم هنيئا على المصدر بما اسلفتم بما قدمتم من الاعمال الصالحة في
الايام الخالية الماضية من ايام الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام اي كلوا واشربوا
بدل ما امسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله تعالى وروي يقول الله تعالى يا
اوليائي طالما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت
اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم
في الايام الخالية واما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم اوت
كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها الضمير للموتة يقول يا ليت الموتة التي
متها كانت القاضية اي القاطعة لامري فلم ابعث ولم الق ما القى او للحالة اي
ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي لانه راى تلك الحالة ابشع وامر
مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها ما اغنى نفي او استفهام على
وجه الانكار اي اي شيء اغنى عني ماليه ما كان لي من اليسار هلك عني
سلطانيه ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس انها نزلت
في الاسود بن عبد الاسد وعن فناخسرو الملقب بعضد انه قال واين ذكرها ملك
الاملاك غلاب القدر لم يفلح بعده فكان لا ينطلق لسانه الا بهذه الاية وقال
ابن عباس ضلت عني حجتي ومعناه بطلت عني حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا
خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم لا تصلوه الا الجحيم وهي النار العظمى لانه
كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلى النار وصلاه النار ثم في سلسلة
ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه سلكه في السلسلة ان يلوى على جسده
حتى يلتف عليه اثناؤها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة و
جعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة
يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق اشد والمعنى في تقديم السلسلة
على السلك مثله في تقديم الجحيم على التصلية اي لا تسلكوه الا في هذه السلسلة كانها

افضع من سائر مواضع الارهاق في الجحيم ومعنى ثم الدلالة على التفاوت لما
بين العذابين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك في السلسلة لا على تراخي
المدة انه تعليل على طريق الاستيناف وهو ابلغ كانه قيل ما له يعذب هذا العذاب
الشديد فاجيب بذلك وفي قوله انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض
على طعام المسكين دليلان قويان على عظم الجرم في حرمان المسكين احدهما
عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثاني ذكر الحض دون الفعل ليعلم ان تارك
الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما احسن قول القائل اذا نزل الا
كان عذورا على الحي حتى تستقل مراجله يريد حضهم على القرى واستعجلهم و
تشاكس عليهم وعن ابي الدرداء انه كان يحض امرأته على تكثير المرق لاجل المساكين
وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع نصفها وقيل هو منع
الكفار بقولهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين فليس
له اليوم ههنا حميم قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون
منه كقوله ولا يسأل حميم حميما والغسلين غسالة اهل النار وما يسيل من
ابدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل لا يأكله الا الخاطئون
الآثمون اصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن
عباس رضي الله عنهما وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وعن
ابن عباس رضي الله عنهما ما الخاطون كلنا نخطو وروى عنه ابو الاسود الدؤلي ما
الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون انما هو الصابئون ويجوز ان يراد
الذين يتخطون الحق بالباطل ويتعدون حدود الله فلا اقسم بما تبصرون و
ما لا تبصرون هو اقسام بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من
قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن
والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة انه ان هذا القرآن لقول رسول
كريم اي يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله وما هو بقول
شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن كما تدعون قليلا ما تذكرون
والقلة في معنى العدم اي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما اكفركم وما اغفلكم

ولا طعام الا من غسلين

تنزيل هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه من رب العالمين وقرأ ابو السمال
تنزيلا اي نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبريل عليه السلام وقوله وما هو بقول
شاعر دليل على انه محمد صلى الله عليه وآله وسلم لان المعنى على اثبات انه رسول لا شاعر
ولا كاهن ولو تقول علينا بعض الاقاويل التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل
وسمي الاقوال المتقولة اقاويل تصغيرا وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كانها
جمع افعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك
بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون اهول
وهو ان يؤخذ بيده وتضرب عنقه وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا اراد
ان يوقع الضرب في قفاه اخذ بيساره واذا اراد ان يوقع الضرب في جيده وان
يكفحه بسيفه وهو اشد على المصبور لنظره الى السيف اخذ بيمينه ومعنى لاخذنا
منه باليمين لاخذنا بيمينه كما ان قوله ثم لقطعنا منه الوتين لقطعنا وتينه وهذا
بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه وقرئ ولو تقول
على البناء للمفعول فما منكم من احد عنه حاجزين وقيل حاجزين في وصف
احد لانه في معنى الجماعة وهو اسم يقع في النفي العام مستويا فيه الواحد والجمع
والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله لستن كاحد من النساء
والضمير في عنه للقتل اي لا يقدر منكم احد ان يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه
او لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي لا تقدرون ان تحجزوا عنه لك و
يدفعه عنه او لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم القاتل وتحولوا بينه وبينه
والخطاب للناس وكذلك في قوله وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم ان
منكم مكذبين وهو ايعاد على التكذيب وقيل هنا الخطاب للمسلمين والمعنى ان منهم
ناسا سيكفرون بالقرآن وانه الضمير للقرآن لحسرة على الكافرين به المكذبين له
اذا رأوا ثواب المصدقين به او للتكذيب وانه لحق اليقين وان القرآن لليقين حق
اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين فسبح
باسم ربك العظيم فسبح الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده وشكرا
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

على ما اهلك له من
ايحائه اليك

بسم الله الرحمن الرحيم ضمن سأل سائل معنى
دعى فعدي تعديته كانه قيل دعى داع بعذاب واقع من قولك دعا بكذا اذا
استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها وعن ابن عباس انه النضر بن الحارث
قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استعجل بعذاب الكافرين وقرئ
سال سايل وهو على وجهين اما ان يكون من السوال وهي لغة قريش يقولون
سلت تسال وهما يتسايلان واما ان يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنهما
سال سيل والسيل مصدر في معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع
عليهم وادي عذاب فذهب بهم واهلكهم وعن قتادة سأل سائل عن عذاب
الله على من ينزل وبمن يقع فنزلت وسال على هذا الوجه مضمن معنى عني واهتم
بم يتصل قوله للكافرين هو على القول الاول متصل بعذاب
صفة له اي بعذاب واقع كاين للكافرين او بالفعل اي دعا للكافرين بعذاب واقع
او بعذاب نازل لاجلهم وعلى الثاني هو كلام مبتدا جواب للسائل اي هو
للكافرين ليس له دافع فقوله من الله بم يتصل يتصل بواقع
اي واقع من عنده او بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته
واوجبت الحكمة وقوعه ذي المعارج ذي المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد
وبعد مداها في العلو والارتفاع فقال تعرج الملائكة والروح اليه اي
الى عرشه وحيث تهبط منه اوامره في يوم كان مقداره كمقدار مدة
خمسين الف سنة مما يعد الناس والروح جبرئيل عليه السلم افرده
لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة
على الناس بم يتعلق قوله فاصبر صبرا جميلا يتعلق بسال سائل لان
الاستعجال بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى

عليه وآله وسلم والتكذيب بالوحي وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فامر بالصبر عليه وكذلك من سال عن العذاب لمن هو فانما سال على طريق التعنت
وكان من كفار مكة ومن قرا سال سايل او سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر
فقد شارفت الانتقام وقد جعل في يوم من صلة واقع اي يقع في يوم طويل مقداره
خمسون الف سنة وهو يوم القيمة اما ان يكون استطالة له لشدته على الكفار
واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة وما قدر
ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر الضمير في انهم يرونه بعيدا للعذاب
الواقع او ليوم القيمة فيمن علق في يوم بواقع اي يستبعدونه على جهة الاحالة
ونحن نراه قريبا هينا في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر والمراد بالبعيد البعيد
من الامكان وبالقريب القريب منه يوم تكون تقريبا اي يمكن ولا يتعذر
في ذلك اليوم او باضمار يقع لدلالة واقع عليه او يكون السماء كالمهل كا
كيت وكيت او هو بدل عن في يوم فيمن علقه بواقع كالمهل كدردي الزيت عن
ابن مسعود رضي كالفضة المذابة في تلونها وتكون الجبال كالعهن كالصوف
المصبوغ الوانا لان الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود فاذا
بست وطيرت في الجو اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسال حميم
حميما اي لا يساله كيف حالك ولا يكلمه لان لكل احد ما يشغله عن المسألة يبصرونهم
اي يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم من المسالة ان بعضهم لا يبصر
بعضا وانما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسال على البناء للمفعول اي
لا يقال لحميم اين حميمك ولا يطلب منهم لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال
ما موقع يبصرونهم هو كلام مستانف كانه لما قال ولا يسال حميم
حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم
لم جمع الضمير في يبصرونهم وهما للحميمين المعنى على العموم لكل حميم
لا لحميمين اثنين ويجوز ان يكون يبصرونهم صفة اي حميما مبصرين معرفين اياهم
وقرئ يومئذ بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ
بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب يود المجرم

لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وفصيلته التي عشيرته الادنون
الذين فصل عنهم تؤويه بضمه انتماء اليها او لياذا بها في النوائب ثم ينجيه عطف
على يفتدي اي لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء ومن في الارض وثم لاستبعاد
الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم في فداء نفسه
ثم ينجيه ذلك وهيهات ان ينجيه كلا ردع للمجرم عن الوداد وتنبيه
على انه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال انها والضمير للنار
او الضمير للنار ولم يجر لها ذكر لان ذكر العذاب دل عليها ويجوز ان يكون ضميرا مبهما
ترجم عنه الخبر او ضمير القصة ولظى علم للنار منقولا من اللظى بمعنى اللهب
ويجوز ان يراد اللهب نزاعة للشوى خبر بعد خبر لان او خبر للظى ان
كانت الهاء ضمير القصة او صفته له ان اردت اللهب والتأنيث لانه في معنى
ذو دفع على التهويل اي نزاعة وقرئ نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة او على
نزاعة او على الاختصاص للتهويل والشوى الاطراف او جمع شواة وهي جلدة الرأس
ينزعها نزعا فيتركها ثم يعاد تدعو مجاز عن احضارهم كانها تدعوهم فتحضرهم
ونحوه قول ذي الرمة تدعو انفه الريب وقوله اللهو يطنبوا تابعه وقيل
ان النجم يقول للنبات اذا عشبت انزل وقيل تقول لهم الي الي يا كافر يا منافق
يدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب ويجوز ان يخلق
الله تعالى فيها كلاما كما يخلقه في جلودهم وايديهم وارجلهم وكما خلقه في الشجرة
ويجوز ان يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله
اي اهلكك قال دعاك الله من رجل بافعى من ادبر عن الحق وتولى عنه
وجمع المال فاوعى فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد الزكوة والحقوق الواجبة
فيه وتشاغل به عن الدين وزهي باقتنائه وتكبر ان الانسان خلق هلوعا
اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا اريد بالانسان الجنس ولذلك
استثنى منه الا المصلين والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة
المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير وعن احمد بن يحيى
قال لي محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله تعالى ولا يكون تفسير

ابين من تفسيره وهو الذي اذا ناله شر اظهر شدة الجزع واذا ناله خير
بخل به ومنعه الناس والخير المال والغنى والشر الفقر او الصحة والمرض اذا
صح الغني منع المعروف وشح بماله واذا مرض جزع واخذ يوصي والمعنى
ان الانسان لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كانه
مجبول عليهما وكانه امر خلقي وضروري غير اختياري كقوله خلق الانسان
من عجل والدليل عليه حين كان في المهد لم يكن له هلع ولانه ذم والله
يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا انفسهم وحملوها
على المكاره وطلقوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شر ما اعطي ابن آدم شح هالع وجبن
خالع كيف قال الذين هم على صلاتهم دائمون ثم قال على صلواتهم
يحافظون يعني دوامهم عليها ان يواظبوا على ادائها لا يخلون بها ولا
يشتغلون عنها بشيء كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم افضل العمل
ادومه وان قل وقول عائشة رضي الله عنها كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها بان يراعوا
اسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وآدابها
ويحفظونها من الاحباط باقتراف المأثم والدوام يرجع الى انفس الصلوة
والمحافظة الى احوالها والذين في اموالهم حق معلوم هو الزكوة لانها
مقدرة معلومة او صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها في اوقات معلومة
للسائل الذي يسأل والمحروم الذي يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم
والذين يصدقون بيوم الدين تصديقا باعمالهم واستعدادهم له والذين هم
من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم واعترض بقوله
ان عذاب ربهم غير مأمون اي لا ينبغي لاحد ان يأمن ولو بالغ في الطاعة والاجتهاد
ان يأمنه وينبغي ان يكون بين جانبي الخوف والرجاء والذين هم لفروجهم
حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون اولئك في جنات

مُكْرَمُونَ قرئ بشهادتهم وبشهاداتهم والشهادة من جملة الامانات وخصها من بينها ابانة لفضلها لان في اقامتها احياء الحقوق وتصحيحها وفي كتمتها تضييعها وابطالها فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ كان المشركون يحفون حول النبي حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزؤون بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلندخلنها قبلهم فنزلت مُهْطِعِينَ مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ فرقا شتى واصلها عزوة كان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى فهم متفرقون قال الكميت ونحن وجندل باغ تركنا كتائب جندل شتى عزينا وقيل كان المستهزؤون خمسة ارهط كَلَّا ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ الى آخر السورة وهو كلام دال على انكارهم البعث فكانه قال كلا انهم منكرون البعث والجزاء فمن اين يطمعون في دخول الجنة من اي وجه دل الكلام على انكار البعث من حيث انه احتجاج عليهم بالنشأة الاولى كما احتج بها عليهم في مواضع من التنزيل وذلك قوله خلقناهم مما يعلمون اي من النطف الذل الذي لا منصب اوضع منه ولذلك ابهم واخفى اشعارا بانه منصب يستحيى من ذكره فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ قيل معناه انا خلقناهم من نطفة كما خلقنا بني آدم كلهم ومن حكمنا ان لا يدخل احد منهم الجنة الا بالايمان والعمل الصالح فلم يطمع ان يدخلها من ليس له وقرئ برب المشرق والمغرب يَخْرُجُونَ ويُخرجون مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا بالاظهار والادغام كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ ونُصْب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله يُوفِضُونَ يسرعون الى الداعي مستبقين كما يستبقون الى انصابهم خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون

فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نهلكهم و نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ وانه ليس بمسبوق على ما يريد لكونه لا يعجزه شيء والغرض ان من قدر على ذلك لم يعجزه الاعادة ويجوز ان يراد انا خلقناهم مما يعلمون اي من النطفة صح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ اصله بان انذر فحذف الجار واوصل الفعل وهي ان الناصبة للفعل والمعنى ارسلناه بان قلنا له انذر اي ارسلناه بالامر بالانذار ويجوز ان تكون مفسرة لان الارسال فيه معنى القول وقرأ ابن مسعود رضي انذر بغير ان على ارادة القول واخي ان انذر في الوجهين كيف قال وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى مع اخباره بامتناع تاخير الاجل وهل هذا الا تناقض قضى الله مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اي الى وقت سماه الله تعالى وضربه امدا ينتهون اليه لا يتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف ثم اخبر انه إِذَا جَاءَ ذلك الاجل الامد لَا يُؤَخَّرُ كما يؤخر هذا الوقت ولم يكن لكم حيلة فبادروا في اوقات الامهال والتاخير لَيْلًا وَنَهَارًا دائبا من غير فتور مستغرقا به الاوقات كلها فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على انهم ازدادوا عنده فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ ليتوبوا عن كفرهم فذكر المسبب الذي هو حظهم خالصا ليكون اقبح لاعراضهم جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وتغطوا بها كانهم طلبوا ان تغشاهم ثيابهم او تغشيهم لئلا يبصروا كراهة النظر الى وجه من ينصحهم وقيل لئلا يعرفهم لقوله الا انهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الا حين يستغشون ثيابهم يعلم وَأَصَرُّوا الاصرار من اصر الحمار على العانة اذا صر اذنيه واقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للاقبال على المعاصي والاكباب عليها وَاسْتَكْبَرُوا واخذتهم العزة من اتباع نوح وطاعته اسْتِكْبَارًا وذكر المصدر تاكيد

تأكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم ثم إني دعوتهم جهاراً
ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً ذكر أنه دعاهم
ليلاً ونهاراً ثم دعاهم جهاراً ثم دعاهم في السر والعلن فيجب أن تكون
ثلث دعوات مختلفة لتصح العطف قد فعل عليه [illegible] السلم
في الابتداء بالأهون والترقي بالأشد فالأشد فافتتح في المناصحة بالسر فلما لم
يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم يؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان ومعنى ثم
الدلالة على تباعد الأحوال لأن الجهار أغلظ من الإسرار والجمع بين الأمرين أغلظ
من إفراد أحدهما وجهاراً منصوب بدعوتهم نصب المصدر لأن الدعاء أحد نوعيه
الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها أحد أنواع القعود أو أراد بدعوتهم جاهرتهم
ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهاراً أي مجاهراً به أو مصدراً في موضع
الحال أي مجاهراً فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً أمرهم بالاستغفار
الذي هو التوبة عن الكفر والمعاصي يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم
بأموال وبنين قدم إليهم الموعد بما هو أوقع في نفوسهم وأحب إليهم من المنافع
الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيباً في الإيمان وبركاته والطاعة ونتائجها من خير
الدارين كما قال وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب ولو أن أهل القرى آمنوا لفتحنا
عليهم بركات من السماء والأرض ولو أنهم أقاموا التورية وما أنزل إليهم من
ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم
ماء غدقاً وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم
أربعين سنة وروي سبعين فوعدهم أنهم إن آمنوا رزقهم الخصب ودفع عنهم ما كانوا فيه
وعن عمر رضه أنه خرج يستسقي فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقيت
فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها القطر شبه الاستغفار
بالأنواء الصادقة التي لا تخطي وعن الحسن أنه شكى إليه الجدب فقال استغفروا الله
وشكى إليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمر كلهم بالاستغفار
فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبواباً ويسألون أنواعاً فأمرتهم
كلهم بالاستغفار فتلى له الآية والسماء المظلة لأن المطر منها ينزل إلى السحاب

ويجوز أن يراد السحاب المطر من قوله إذا نزل السماء بأرض قوم والمدرار
الكثير الدرور ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل أو امرأة
معطار ومتفال ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم أنهاراً ما لكم
لا ترجون لله وقاراً لا تأملون له توقيراً أي تعظيماً والمعنى ما لكم لا تكونون
على حال تأملون فيها تعظيم الله إياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر
ولو تأخر لكان صفة للوقار وقوله وقد خلقكم أطواراً في موضع الحال
كأنه قال ما لكم لا تؤمنون بالله والحال هذه وهي حال موجبة للإيمان
لأنه خلقكم أطواراً أي تارات خلقكم أولاً تراباً ثم خلقكم نطفاً ثم خلقكم علقاً ثم خلقكم
مضغاً ثم خلقكم عظاماً ولحماً ثم أنشأكم خلقاً آخر أو لا تخافون لله حلماً وترك
معاجلة بالعقاب فتؤمنوا وقيل ما لكم لا تخافون عظمة وعن ابن عباس
لا تخافون لله عاقبة لأن العاقبة حال استقرار الأمور وثبات الثواب
والعقاب من وقر إذا ثبت واستقر ألم تروا كيف خلق الله سبع
سموات طباقاً نبههم على النظر في أنفسهم أولاً لأنها أقرب منظور فيه
منهم ثم على النظر في العالم وما سوى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع
الباهرة قدرته وعلمه من السموات والأرض والشمس والقمر وجعل القمر
فيهن في السموات نوراً وهو في السماء الدنيا لأن بين السموات ملابسة
من حيث أنها طباق فجاز أن يقال فيهن كذا وإن لم يكن في جميعهن كما يقال في
المدينة كذا وهو في بعض نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضهم أن الشمس والقمر
وجوههما مما يلي السماء وظهورهما مما يلي الأرض وجعل الشمس سراجاً يبصر
أهل الدنيا في ضوئها كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره
والقمر ليس كذلك إنما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله تعالى هو الذي
جعل الشمس ضياء والقمر نوراً والضياء أقوى من النور والله أنبتكم من الأرض
نباتاً استعير الإنبات للإنشاء كما يقال زرعك الله للخير وكانت هذه
الاستعارة أدل على الحدوث لأنهم إذا كانوا نباتاً كانوا محدثين لا محالة حدوث
النبات ومنه قيل للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم في الإسلام

من عينا وانبته لهم فيه ونسبه قولهم نجم فلان لبعض المارقة والمعنى انشأكم فنبتم نباتا او نصب بانبتكم لتضمنه معنى نبتم ثم يعيدكم فيها مقبورين ويخرجكم اخراجا يوم القيمة واكده بالمصدر كانه قال يخرجكم حقا ولا محالة والله جعل لكم الارض بساطا مبسوطة لتسلكوا منها يتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه سبلا فجاجا واسعة قال نوح رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده المقدمين اصحاب الاموال والاولاد وارتسموا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام وجعل اموالهم واولادهم التي لم يزدهم الا وجاهة ومنفعة في الدنيا زائدة خسارا في الاخرة واجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم يعرفون بها تحقيقا له وتبيينا وابطالا لما سواه وقرئ وولده وولده بضم الواو وكسرها ومكروا مكرا كبارا معطوف على لم يزده وجمع الضمير وهو راجع الى من لانه في معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح عليه السلام وتحريش الناس على اذاه وصدهم عن الميل اليه والاستماع وقالوا لهم لا تذرن آلهتكم اعلى نوح جليلا عظيما كبارا قرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار اكبر من الكبير والكبار اكبر من الكبار ونحوه طوال وطوال ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا كان هذه المسماة اكبر اصنامهم واعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم لا تذرن آلهتكم وقد انتقلت هذه الاصنام من قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سميت العرب بعبد ود وعبد يغوث وهي اسماء رجال صالحين وقيل من اولاد آدم ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليه ففعلوا فلما مات اولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو وقرأ الاعمش ولا يغوثا ويعوقا وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين او عجميين ففيهما سببا منع الصرف

اما التعريف ووزن الفعل او التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته اخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بالامالة لوقوعها مع الممالات للازدواج وقد اضلوا الضمير للرؤساء وقيل للاصنام كثيرا خلقا كثيرا من الناس ان تمسكوا بعبادة الاصنام وليسوا ما ولئن اضلوهم وقد اضلوا باضلالهم كثيرا يعني انهم لا الضلين فيهم لكونه ويجوز ان يكون للاصنام كقوله انهن اضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين عطف على قوله رب انهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه رب انهم عصوني ولا تزد الظالمين الا ضلالا اي قال هذين القولين وهما في محل النصب لانهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودي للصلوة وصل في المسجد تحكي قوليه معطوفا احدهما على صاحبه كيف جاز ان يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته المراد بالضلال ان يخذلوا ويمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع الياس عن ايمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز ان يريد بالضلال الضياع والهلاك لقوله ولا تزد الظالمين الا تبارا تقديم مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا لبيان ان لم يكن اغراقهم بالطوفان وادخالهم النار الا من اجل خطيئاتهم واكد هذا المعنى بزيادة ما وفي قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما كفى عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن في استيجاب العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطي على اسلامه ويعلم ان معه ما يستوجب به وان خلا عن الخطيئة الكبرى وقرئ خطيئاتهم بالهمزة وخطياتهم بقلبها ياء وادغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس ويجوز ان يراد الكفر فادخلوا نارا جعل دخولهم النار في الاخرة كانه متعقب لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن لا محالة فكانه قد كان او اريد عذاب القبر ومن مات في ماء او نار او اكلته السباع والطير اصابه ما يصيب المقبور من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب وتنكير النار اما لتعظيمها او لان الله اعدهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا

تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله بانها غير قادرة على نصرهم وتهكم
كأنه قال فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب
الله كقوله ام لهم آلهة من دون الله وانها غير قادرة على نصرهم وتهكم
بهم كأنه قال فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم ويمنعونهم من ع
الله كقوله ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا **وقال نوح رب لا تذر على الارض**
من الكافرين ديارا اى احدا وهو من الاسماء المستعملة فى النفى العام يقال ما بها
ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور او من الدار اصله ديوار
ففعل به ما فعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا **انك ان**
تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا
لم علم ان اولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة
فيهم الف سنة الا خمسين عاما فداخلهم واكلهم وعرف طباعهم واحوالهم
وكان الرجل منهم ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابى حذرنيه
فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك وقد اخبره الله تعالى عن ذلك انه
لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ومعنى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا الا
الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله عليه وآله الصلوة والسلام
من قتل قتيلا فله سلبه **رب اغفر لي ولوالدي** ابوه لمك بن متوشلخ
وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحوا وقرأ الحسين
بن علي رضي الله عنهما ولولدي يريد ساما وحاما **ولمن دخل بيتي** منزلي
وقيل مسجدي وقيل سفينتي **مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات** خص اولا
من يتصل به لانهم اولى واحق بدعائه ثم عم المؤمنين والمؤمنات
ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا ما فعل صبيانهم حتى اغرقوا
معهم لا وجه العقاب عليهم لكن كما يموتون بالانواع من اسباب الهلاك وكم
منهم من يموت بالغرق فاغرقوا وكان ذلك زيادة في عذاب الآباء والامهات
اذا ابصروا اطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه وآله الصلوة يهلكون مهلكا واحدا
ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن انه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم

فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله ارحام نسائهم وايبس اصلاب آبائهم قبل
الطوفان اربعين وسبعين سنة فلم يكن معهم صبي حين اغرقوا عن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين يدركهم دعوة نوح عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم **قل اوحي الي** وقرئ احي واصله وحي يقال اوحى
اليه ووحى اليه فقلبت الواو همزة كما يقال اعد وازن واذا الرسل اقتت وهو
من القلب المطلق جوازه في واو مضمومة وقد اطلقه المازني في المكسورة ايضا
كاشاح واساده واعاء اخيه وقرأ ابن ابي عبلة وحى على الاصل **انه استمع**
بالفتح لانه فاعل اوحي **نفر من الجن فقالوا انا سمعنا** بالكسر لانه مبتدأ محكي بعد
القول ثم تحمل البواقي فما كان من الوحي فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهن
من قولهم الا الثنتين الاخيرتين وان المساجد لله وانه لما قام عبد الله ومن فتح
عطفا على محل الجار والمجرور في آمنا به كأنه قيل صدقناه وصدقنا انه كان
يقول سفيهنا وكذلك البواقي نفر من الجن جماعة منهم ما بين الثلاثة الى العشرة
وقيل كانوا من الشيصبان وهم اكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم
قالوا انا سمعنا اي قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم كقوله فلما قضي ولوا الى قومهم
منذرين قالوا انا سمعنا **قرآنا عجبا** بديعا مباينا لسائر الكتب في حسن نظمه وصحة
معانيه قائمة فيه دلائل الاعجاز وعجب مصدر يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة
وهو ما خرج عن حد اشكاله ونظائره **يهدي الى الرشد** يدعو الى الصواب وقيل
الى التوحيد والايمان **فآمنا به** بالقرآن ولما كان الايمان به ايمانا بالله و
بوحدانيته وبراءة من الشرك قالوا **ولن نشرك بربنا احدا** اي ولن نعود الى ما كنا
عليه من الاشراك به في طاعة الشيطان ويجوز ان يكون الضمير لله عز وجل لان قوله
بربنا يفسره **وانه تعالى جد ربنا** عظمته من قولك جد فلان في عيني اي عظم
في حديث عمر رض كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا وروي اعما

او ملكه وسلطانه او غناه استعارة من الجد الذي هو الدولة والبخت لان
الملوك هم المجدودون والمعنى وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته
او لسلطانه وملكوته او لغناه وقوله ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرئ
جدا ربنا على التمييز او جد ربنا بالكسر اي صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ
الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا
على الخطاء فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه واتخاذه الولد
انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطاء فاستعظموه
ونزهوه عنه وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا سفيههم ابليس لعنه
الله وغيره من مردة الجن والشطط مجاوزة الحد في الظلم وغيره ومنه
اشط في السوم اذا ابعد فيه اي يقول قولا هو في نفسه شطط لفرط ما اشط
وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن
على الله كذبا وكان في ظننا ان احدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفتري
عليه ما ليس بحق فكنا نصدقهم فيما اضافوا اليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن
كذبهم وافتراؤهم كذبا قولا كذبا اي مكذوبا فيه ولن يفتري عليه ما ليس بحق
فكنا نصدقهم فيما اضافوه اليه او نصب المصدر لان الكذب نوع من القول و
من قرأ ان لن تقول وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة لان التقول لا يكون الا
كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا
الرهق غشيان المحارم والمعنى ان الانس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا وكفرا
وذلك ان الرجل من العرب كان اذا امسى في واد قفر في مسايره وخاف على نفسه
قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا ذلك
وقالوا سدنا الجن والانس فذلك رهقهم او فزاد الجن الانس وهذا باغوائهم
واضلالهم لاستعاذتهم بهم وانهم وان الانس ظنوا كما ظننتم ان لن
يبعث الله احدا وهو من كلام الجن يقول بعضهم لبعض وقيل الايتان من
جملة الوحي والضمير في ظنوا للجن والخطاب في ظننتم لكفار قريش وانا لمسنا السماء
اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف قال مسنا من الآباء شيئا

وكلنا الى حسب في قومه غير واضع يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه
وتطلبه ونحوه الجس وقولهم جسوه باعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ
السماء واستماع كلام اهلها فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا والحرس
اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب
الى معناه لقيل شدادا ونحوه اخشى رجيلا او ركيبا غاديا لان الرجيل
والركيب مفردان في معنى الرجال والركاب وانا كنا نقعد منها مقاعد
للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا الرصد مثل الحرس اسم للراصد
على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم
بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز ان يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد
على معنى او كقوله ومعى جياعا يعني يجد شهابا راصدا له ولاجله
كان الرجم لم يكن في الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا
بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين في خلق الكواكب التزيين
ورجم الشياطين قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وهو احدى آياته والصحيح انه كان قبل المبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم
وقد جاء ذكره في شعر اهل الجاهلية قال بشر بن ابي حازم والعير يرهقها الغبار وجحشها
ينقض خلفهما انقضاض الكوكب وقال اوس بن حجر وانقض كالدري يتبعه نقع
يثور تخاله طنبا وقال عوف بن الخرع يصف فرسا يرد علينا العير من دون الفه
او الثور كالدري يتبعه الدم ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الاحوال
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثر الرجم وزاد زيادة عظيمة
كثيرة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق اصلا وعن معمر قلت
للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت ارأيت قوله وانا كنا
نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد امرها حين بعث رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وروى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس
رضي الله عنهم بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في نفر من
الانصار اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية

فقالوا لئنا نقول بموت عظيم او بلد نفي ملئت دليل على ان الحادث هو الملأ والكثرة وكذلك قوله نقعد منها مقاعد للسمع اي كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية عن الحرس والشهب والآن ملئت كلها وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا وهذا ذكر ما حملهم على الضرب في البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستمعوا قراءته يقولون لما حدث الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض ولا يخلو اما ان يكون شرا او رشدا اي خيرا من عذاب او رحمة او من خذلان او توفيق وانا منا الصالحون الابرار المتقون ومنا دون ذلك ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون في الصلاح غير الكاملين فيه او اراد والصالحين كنا طرائق قددا بيان للقسمة المذكورة اي كنا ذوي مذاهب متفرقة مختلفة او كنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق المختلفة او كنا في طرائق مختلفة كقوله كما عسل الطريق الثعلب او كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذي هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه والقدد من قد كالقطعة من قطع ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التفرق والتقطع وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا في الارض وهربا حالان اي لن نعجزه كائنين في الارض اينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وقيل لن نعجزه في الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا والظن بمعنى اليقين وهذه صفة احوال الجن وما هم عليه من احوالهم وعقائدهم منهم الخيار والاشرار والمقتصدون وانهم يعتقدون ان الله عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجي عنه مهرب وانا لما سمعنا الهدى آمنا به هو سماعهم القرآن وايمانهم به فمن يؤمن بربه فلا يخاف فهو لا يخاف اي فهو غير خائف ولان الكلام في تقدير مبتدأ وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف اي فائدة في رفع الفعل وتقدير مبتدأ قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف الفائدة انه اذا فعل ذلك فكانه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق

ان المؤمن ناج لا محالة وانه هو المختص بذلك دون غيره وقراءة الاعمش فلا يخف على النهي بخسا ولا رهقا اي جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس احدا حقا ولا رهق ظلم احد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من آمن بالله ان يجتنب المظالم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن من امنه الناس على انفسهم واموالهم ويجوز ان يراد فلا يخاف ان يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى ولا ان يرهقه ذلة من قوله تعالى وترهقهم ذلة وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير ان الحجاج قال له لما اراد قتله ما تقول في قال قاسط عادل فقال القوم ما احسن ما قال حسبوا انه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سماني ظالما مشركا وتلا قوله واما القاسطون وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا ان الله اوعد قاسطيهم وما وعد مؤمنيهم وكفى به وعدا ان قال فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله اعدل من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وان لو استقاموا ان مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى واوحي الي ان الشان لو استقام الجن على الطريقة المثلى اي لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا لوسعنا عليهم الرزق وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لانه اصل المعاش والسعة لعزته بين العرب لنفتنهم فيه لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه ويجوز ان يكون معناه وان لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التي كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لنوقعهم في الفتنة ونعذبهم في كفرانه ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او وحيه يسلكه وقرئ بالنون مفتوحة ومضمومة اي يدخله عذابا صعدا والاصل نسلكه في عذاب كقوله ما سلككم في سقر فعدي الى

مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما بتضمينه
معنى ندخله يقال سلكه واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتائدة و
الصعد مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد
المعذب اي يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضي الله عنه ما تصعدني شيء ما تصعدتني
خطبة النكاح يريد ما شق علي ولا غلبني وان المساجد من جملة الموحى
وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا على ان اللام متعلقة بلا تدعوا اي
فلا تدعوا مع الله احدا في المساجد لانها لله خاصة ولعبادته وعن الحسن يعني
الارض كلها لانها جعلت للنبي صلى الله عليه وآله مسجدا وقيل المراد بها المسجد الحرام
لانها قبلة المساجد ومنه قوله تعالى ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان
يذكر فيها اسمه وعن قتادة ان اليهود والنصارى كانوا اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم
اشركوا بالله فامرنا ان نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد وقيل المساجد
اعضاء السجود السبعة امرت ان اسجد على سبعة آراب وهي الجبهة والانف
واليدان والركبتان والقدمان وقيل هو جمع مسجد وهو السجود وانه لما قام
عبد الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم هلا قيل رسول الله او النبي
لان تقديره واوحي الي انه لما قام عبد الله فلما كان واقعا في كلام رسول الله
عن نفسه جيء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل او لان المعنى ان عبادة عبد
الله لله ليست بامر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا ومعنى
قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين اتاه الجن فاستمعوا
لقراءته كادوا يكونون عليه لبدا اي يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما راوا
من عبادته واقتداء اصحابه به قائما وراكعا وساجدا واعجابا بما تلا من القرآن
لانهم راوا ما لم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسول الله
يعبد الله وحده مخالفا للمشركين في عبادتهم الآلهة من دونه كاد المشركون
لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكمين ولبدا جمع لبدة
وهي ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا واللبدة في معنى
اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان ينصره
ويظهره على من ناواه ومن قرأ وانه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه لقومهم
حين رجعوا اليهم حاكين ما راوا من صلاته وازدحام اصحابه عليه في ائتمامهم
قل اي قال للمتظاهرين عليه انما ادعو ربي يريد ما اتيتكم بامر منكر انما اعبد ربي وحده
ولا اشرك به احدا وليس ذلك مما يوجب اطباقكم على مقتي وعداوتي او قال
للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ما ترون من عبادتي لله ورفضي الاشراك
به بامر يتعجب منه وانما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا او قال الجن
لقومهم حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قل اني لا املك لكم
ضرا ولا رشدا ولا نفعا ولا رشدا واراد بالضر الغي ويدل عليه قراءة ابي غيا
ولا رشدا والمعنى لا استطيع ان اضركم ولا ان انفعكم وانما الضار والنافع
الله او لا استطيع ان اقسركم على الغي والرشد انما القادر على ذلك
الله تعالى والا بلاغا استثناء منه اي لا املك الا بلاغا
من الله وقل اني لن يجيرني من الله احد جملة معترضة اعترض بها لتأكيد
نفي الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى ان الله ان اراد به سوءا من مرض
او موت او غيرهما لم يصح ان يجيره منه احد ولن اجد من دونه ملتحدا
ويجد من دونه ملاذا يأوي اليه والملتحد الملتجأ واصله المدخل في اللحد
وقيل محيصا ومعدلا وقرئ قال لا املك اي قال عبد الله للمشركين او للجن ويجوز ان
يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحدا اي لن اجد من دونه
منجى الا بلاغا من الله الا ان ابلغ ما ارسلني به يعني الا ان ابلغ ومعناه
لا انجي الا بلاغا كقولك ان لا قياما فقعودا ورسالاته عطف على بلاغا
كانه قيل لا املك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا ان ابلغ عن
الله فاقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وان ابلغ رسالته التي ارسلني بها من غير
زيادة ولا نقصان فان قلت الابلاغ لا بد له من عن ومنه قوله عليه وآله الصلوة والسلام
بلغوا عني قلت من ليست بصلة للتبليغ انما هي بمنزلة من في قوله براءة
من الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم وقرئ فان له

من في ٥

على فجزاؤه ان له نار جهنم كقوله فان لله خمسه اي فحكمه ان لله خمسه وقال
خالدين فيها ابدا حملا على معنى الجمع في معنى الجمع
ما بعده غاية له بقوله يكونون عليه لبدا على انهم يتظاهرون عليه
بالعداوة ويستضعفون انصاره ويستقلون عدده حتى اذا رأوا ما
يوعدون من يوم بدر واظهار الله له عليهم او من يوم القيمة فسيعلمون
من اضعف ناصرا واقل عددا يجوز ان يتعلق بمحذوف دلت
عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كانه قال لا
يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون قال المشركون متى يكون
هذا الموعود انكارا له فقيل قل ان ادري اقريب ما توعدون قل انه
كائن لا محالة لا ريب فيه ولا ينكر وقوعه فان الله وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد
واما وقته فما ادري متى يكون لان الله تعالى لم يبينه لما رأى في اخفاء وقته
من المصلحة ما معنى قوله ام يجعل له ربي امدا والامد يكون
قريبا وبعيدا الا ترى الى قوله تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا كان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يستقرب الموعد فكانه قال ما ادري اهو حال متوقع في كل ساعة
ام مؤجل ضربت له غاية عالم الغيب اي هو عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا
فلا يطلع الا من ارتضى من رسول يبين لمن ارتضى اي انه لا يطلع على
الغيب الا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفي ابطال الكرامات
لان الذين يضاف اليهم وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل
من بين المرتضين بالاطلاع وابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد شيء
من الارتضاء وادخله في السخط فانه يسلك من بين يديه يدي الرسول
للرسالة ومن خلفه رصدا حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين ان
يتشبهوا بصورة الملك ليعلم الله ان قد ابلغوا رسالات ربهم
وحدا اولا على اللفظ في من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فان له
نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هي محروسة من الزيادة والنقص
وذكر العلم كذكره في قوله حتى نعلم المجاهدين منكم وقرئ ليعلم على البناء

واحاط بما لديهم بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شيء و
لا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ واحصى كل شيء عددا من القطر
والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه
وكلامه وعددا حال اي وضبط كل شيء معدودا محصورا او مصدر في معنى
احصى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الجن كان
له بعدد كل جني صدق محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وكذب به عتق رقبة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل المتزمل وهو
الذي تزمل في ثيابه اي تلفف بها بادغام التاء في الزاء ونحوه المدثر
في المتدثر وقرئ المتزمل على الاصل والمزمل بتخفيف الزاي والميم وكسرها
على انه اسم فاعل او مفعول من زمله وهو الذي زمله غيره او زمل نفسه
وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نائما بالليل متزملا في قطيفة فنبه
ونودي بما يهجن اليه الحالة التي كان عليها من التزمل في قطيفة واستعداده
للاستثقال في النوم كما يفعل من لا يهمه امر ولا يعنيه شأن الا ترى الى قول ذي
وكاين تخطت ناقتي من مفازة ومن نائم عن ليلها متزمل يريد الكسلان المتقاعس
الذي لا ينهض في معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق ومثله
ونحوه سهدا اذا ما نام ليل الهوجل وفي امثالهم سعد وسعد مشتمل
ما هكذا تورد يا سعد الابل فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد و
الكيس وامر بان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة
والمجاهدة في الله لا جرم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد تشمر لذلك
حق التشمر واقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا
فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيماء في وجوههم
وتراقى امرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط

لعائشة يصلي فيه فهو على هذا ليس تهجينا بل هو ثناء عليه وتحسين لحالته التي كان
عليها وامر بان يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عائشة رضي الله عنها انها سئلت
ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه علي وانا نائمة
ونصفه عليه وهو يصلي فسئلت ما كان فقالت والله ما كان خزا
ولا قزا ولا مرعزي ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل
دخل على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه جبريل عليه السلام وبوادره ترعد
وقال زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبريل عليه السلام
يا ايها المزمل وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما اي حمله والزمل
الحمل وازدمله احتمله **قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او
زد عليه** وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة
التبليغ بها هربا من التقاء الساكنين فباي الحركات تحرك فقد وقع الغرض نصفه
بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف كانه قال قم اقل من نصف الليل
والضمير في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من
نصف الليل على البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف
والزيادة عليه وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلث
بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف
النصف بالقلة بالنسبة الى الكل وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا
قليلا نصفه اذا ابدلت النصف من الليل قم اقل من نصف الليل او قم انقص
من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث
ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل قليلا الثاني بمعنى نصف
النصف وهو الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا
القليل اعني الربع نصف الربع او زد عليه نصفه ويجوز ان تجعل الزيادة
لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع
اكان القيام فرضا ام نفلا عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان الله تعالى جعله
تطوعا بعد ان كان فريضة وقيل كان واجبا وانما وقع التخيير في المقدار ثم نسخ

بعد عشر سنين وعن الكلبي كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ
بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير في المقدار
ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك **ورتل القرآن ترتيلا**
ترتيل القرآن قراءته على ترتيل وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات
حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان
وان لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضي الله عنه شر السير الحقحقة وشر
القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الالص وسئلت عائشة رضي الله عنها
عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو اراد
السامع ان يعد حروفه لعدها وترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه لا بد منه
للقارئ **انا سنلقي عليك قولا ثقيلا** هذه الآية اعتراض ويعني بالقول
الثقيل القرآن وما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة
على المكلفين خاصة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانه يتحملها بنفسه
ويحملها امته فهي اثقل عليه وابهظ له ولو اراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام
الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن لان الليل وقت
السبات والراحة والهدوء فلا بد لمن احياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان اذا نزل عليه الوحي ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة
رايته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا
وعن الحسن ثقيل في الميزان وقيل ثقيل على المنافقين وقيل كلام له وزن ورجحان
ليس بالسفساف **ان ناشئة الليل** النفس الناشئة بالليل التي تنشأ من مضجعها
الى العبادة اي تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت ونشأ من مكانه
ونشز اذا نهض قال نشأنا الى خوص برى نيها السرى والصق منها مشرفات القماحد
او قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعاقبة
ويدل عليه ما روي عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رجل قام من اول الليل اتقولين
له قام ناشئة قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت الناشئة بالقيام
عن المضجع او العبادة التي تنشأ بالليل اي تحدث وترتفع وقيل هي ساعات الليل

كلها لانها تحدث واحدة بعد اخرى وقيل الساعات الاول منه وعن الحسين
رضي الله عنهما انه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول اما سمعتم قول الله تعالى
ان ناشئة الليل هذه ناشئة الليل هي اشد وطأ هي خاصة دون ناشئة
النهار واشد مواطاة يواطئ قلبها لسانها ان اردت النفس او يواطئ
فيها قلب القائم لسانه ان اردت القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة
لما يراد من الخشوع والاخلاص وعن الحسن اشد موافقة بين السر والعلانية
لانقطاع رؤية وقرئ اشد وطاء بالفتح والكسر والمعنى اشد ثبات قدم و
ابعد من الزلل او اثقل واغلظ على المصلي من صلوة النهار من قوله عليه وآله
الصلوة والسلم اللهم اشدد وطأتك على مضر واقوم قيلا واسد مقالا و
اثبت قراءة لهدو الاصوات وعن الحسن انه قرأ واصوب قيلا فقيل له يا
ابا حمزة انما هي واقوم فقال ان اقوم واصوب واهيا واحد ان لك
في النهار سبحا طويلا تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك ولا يفرغ الا
بالليل فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل واما
القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه لانتشار
الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه بقيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه
به منه وهو ان الليل اعون على المواطاة واشد للقراءة لهدو الرجل
وخفوت الصوت لهمولغ واضم لنشر الهم من النهار لانه وقت تفرق الهموم
وتوزع الخواطر والتقلب في حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك
وتصرفك في حوائجك وقيل ان فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على
تداركه واذكر اسم ربك بكرة واصيلا ودم على ذكره في ليلك ونهارك
واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل و
تكبير وتمجيد وتوحيد وصلوة وتلاوة قرآن ودراسة علم مما كان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره وتبتل اليه و
انقطع اليه كيف قيل تبتيلا مكان تبتلا لان معنى تبتل بتل
بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل رب المشرق والمغرب قرئ

مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك وعن ابن عباس رضي الله عنهما على القسم باضمار
حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه لا اله الا هو كما تقول والله لا احد
في الدار الا زيد وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما رب المشارق والمغارب فاتخذه وكيلا
مسبب عن التهليلة لانه هو الذي يجب لتوحده بالربوبية ان توكل اليه الامور
وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والاظهار واصبر على ما يقولون
واهجرهم هجرا جميلا الهجر الجميل ان يجانبهم بقلبه وهواه
ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والاغضاء وترك المكافأة
وعن ابي الدرداء رضي الله عنه انا لنكشر في وجوه قوم ونضحك اليهم وان قلوبنا
لتقليهم وقيل هو منسوخ باية السيف اذا عرف الرجل من صاحبه انه
مستهتر بخطب يريد ان يكفاه او بعدو يشتهي ان ينتقم له منه وهو مضطلع
بذلك مقتدر عليه قال ذرني والمكذبين واياه اي لا تحتاج الى الظفر
بمرادك ومشتهاك الا ان تخلي بيني وبينه بان تكل امره الي وتستكفينيه
فان فيّ ما يفرغ بالك ويجلي همك وليس ثم منع حتى يطلب اليه ان تخليه
واياه الا ترك الاستكفاء والتفويض كانه اذا لم يكل اليه امره فكانه
منعه فاذا وكله اليه فقد ازال المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق
بانه يتمكن من الوفاء باقصى ما يدور في نفس المخاطب وبما يزيد عليه
اولي النعمة النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين
وهم صناديد قريش وكانوا اهل تنعم وترفه ومهلهم قليلا ان لدينا
انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما ان لدينا ما يضاد
تنعمهم من انكال وهي القيود الثقال وعن الشعبي اذا ارتفعوا استفلت بهم
نكل ونكل ومن جحيم وهي النار الشديدة الحر والاتقاد ومن طعام ذا غصة
وهو الذي ينشب في الحلوق فلا يساغ يعني الضريع وشجر الزقوم ومن عذاب
اليم من سائر العذاب فلا ترى موكولا اليه امرهم موذونا بينه وبينهم
ينتقم منهم بمثل ذلك الانتقام وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم
قرأها فصعق وعن الحسن انه امسى صائما فاتي بطعام فعرضت له هذه الاية

هو وحده

وذرني والمكذبين

ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فاخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق **يوم ترجف الارض والجبال** منصوب بما في لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة **وكانت الجبال كثيبا مهيلا** الكثيب الرمل المجتمع من كثب الشيء اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول في اصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة اجز جفالا واحلب كثبا عجالا اي كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا اي نثر واسيل **انا ارسلنا اليكم** يا اهل مكة **رسولا شاهدا عليكم** يشهد عليكم يوم القيمة بكفركم وتكذيبكم **كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول** لم ينكر الرسول ثم عرفه لانه اراد ارسلنا الى فرعون بعض الرسل فلما اعاده وهو معهود بالذكر ادخل لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه **فاخذناه اخذا وبيلا** ثقيلا غليظا من قولهم كلأ وبيل وخيم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم **فكيف تتقون ان كفرتم يوما** مفعول به اي فكيف تتقون انفسكم يوم القيمة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا ويجوز ان يكون ظرفا اي فكيف لكم بالتقوى في يوم القيمة ان كفرتم في الدنيا ويجوز ان ينتصب بكفرتم على تاويل جحدتم اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيمة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه **يجعل الولدان شيبا** مثل في الشدة يقال في اليوم الشديد يوم تشيب نواصي الاطفال والاصل فيه ان الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان اسرع فيه الشيب قال ابو الطيب

والهم يخترم الجسيم نحافة ... ويشيب ناصية الصبي ويهرم

وقد مر بي في بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب واصبح وهو ابيض الراس واللحية كالثغامة فقال اريت القيمة والجنة والنار في المنام ورايت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون ويجوز ان يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب **السماء منفطر به** وصف لليوم بالشدة ايضا وان السماء على عظمها واحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق وقرئ منفطر ومتفطر والمعنى ذات انفطار او على تاويل السماء بالسقف او السماء شيء منفطر والباء في به مثلها في قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني انها تنفطر لشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به ويجوز ان يراد السماء مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت في السماوات والارض **كان وعده مفعولا** من اضافة المصدر الى المفعول والضمير لليوم ويجوز ان يكون مضافا الى الفاعل وهو الله تعالى ولم يجر له ذكر لكونه معلوما **ان هذه** الآيات الناطقة بالوعيد الشديد **تذكرة** موعظة **فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا** اي فمن شاء اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل اليه التقرب والتوسل بالطاعة **ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل** اقل منهما وانما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك وقرئ **ونصفه وثلثه** بالنصب على انك تقوم اقل من الثلثين وقرئ ونصفه وثلثه بالجر اي تقوم اقل من الثلثين واقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو ادنى من الثلثين والثلث وهو ادنى من النصف والربع وهو ادنى من الثلث وهو الوجه الاخير **وطائفة من الذين معك** ويقوم ذلك جماعة من اصحابك **والله يقدر الليل والنهار** لا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى انكم لا تقدرون عليه والضمير في **ان لن تحصوه** لمصدر يقدر اي علم انه لا يصح منكم ضبط الاوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية الا ان تأخذوا بالاوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم **فتاب عليكم** عبارة عن الترخيص في ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم والمعنى انه رفع التبعة في تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب **فاقرؤا ما تيسر من القرآن** فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وعبر عن الصلوة بالقراءة لانها بعض اركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود

الخطاب لاهل مكة

ان كفرتم

وصفا لليوم بالشدة ايضا وان السماء على عظمها واحكامها منفطر فيه

من صلوة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هي قراءة
القرآن بعينها قيل يقراء مائة آية ومن قراء مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن
وقيل من قراء مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية **علم ان سيكون منكم
مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون
يقاتلون في سبيل الله** وقد بين الحكمة في النسخ وهي تعذر القيام على المرضى
والضاربين في الارض للتجارة والمجاهدين في سبيل الله وقيل سوى الله تعالى بين
المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال وعن عبد الله بن مسعود ايما رجل جلب
شيا الى مدينة من مداين المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند
الله من الشهدا وعن ابن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل
الله احب الي من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغي من فضل الله
وعلم استيناف على تقدير السوال على وجه النسخ **واقيموا الصلوة** يعني المفروضة
وآتوا الزكوة الواجبة وقيل زكوة الفطر لانه لم يكن بمكة زكوة وانما وجبت
بعد ذلك ومن فسرها بالزكوة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا **واقرضوا الله
قرضا حسنا** يجوز ان يريد سائر الصدقات وان يريد اداء الزكوة على احسن وجه
من اخراج اطيب المال واعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه
الله والصرف الى المستحق وان يريد كل شيء يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال
**وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا
واستغفروا الله ان الله غفور رحيم** خيرا ثاني مفعولي وجد وهو فصل وجاز
وان لم يقع بين معرفتين لان افعل من اشبه في امتناعه من حرف التعريف المعرفة
وقراء ابو السماك هو خير واعظم اجرا بالرفع على الابتداء والخبر عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة المزمل دفع الله تعالى عنه العسر في الدنيا والآخرة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر لابس الدثار
وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذي يلي الجسد ومنه قوله عليه
الصلوة والسلم الانصار شعار والناس دثار وقيل هي اول سورة نزلت روى جابر
بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كنت على جبل حرا فنوديت يا محمد
انك رسول الله فنظرت عن يميني ويساري فلم ار شيا ونظرت فوقي فرايت
وفي رواية عائشة فنظرت فوقي فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعني الملك
الذي ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثروني فنزل جبرئيل عليه السلم
وقال يا ايها المدثر وعن الزهري اول ما نزل اقرا باسم ربك الذي خلق الى قوله
علم الانسان ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعل يعلو شواهق
الجبال فاتاه جبرئيل عليه السلم وقال انك نبي الله فرجع الى خديجة فقال دثروني
وصبوا علي ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى
بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فامر بان لا يدع انذارهم وان سمعوه واذوه وعن
عكرمة انه قراء على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب
بك كما قال في المزمل **قم** من مضجعك او قم قيام عزم وتصميم **فانذر** فحذر
قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا والصحيح ان المعنى فافعل الانذار من غير
تخصيص باحد **وربك فكبر** واختص ربك بالتكبير وهو الوصف
بالكبريا وان يقال الله اكبر ويروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحي وقد
يحمل على تكبير الصلوة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كانه قيل وما كان فلا تدع
تكبيره **وثيابك فطهر** امر بان يكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة
الثياب شرط في الصلوة لا تصح الا بها وهي الاولى والاحب في غير الصلوة
وقبيح بالمؤمن الطيب ان يحمل خبثا وقيل هو امر بتقصيرها ومخالفة العرب في
تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة
وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال
فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء

من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب
يلابس الانسان ويشتمل عليه فكني عنه به الا ترى الى قولهم اعجبني زيد ثوبه كما
يقال اعجبني زيد عقله وخلقه ويقولون المجد في ثوبه والكرم تحت حلته
ولان الغالب ان من طهر باطنه ونقاه عني بتطهير الظاهر وتنقيته وابى الا
اجتناب الخبث وايثار الطهر في كل شيء والرجز قرئ بالكسر والضم وهو العذاب
فاهجر ومعناه اهجر ما يؤدي اليه من عبادة الاوثان وغيرها من المآثم والمعنى
الثبات على هجره لانه كان بريا منه ولا تمنن قراءة الحسن ولا تمن و تستكثر
مرفوع منصوب المحل على الحال اي ولا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا او
طالبا للتكثير نهي عن الاستغزار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب
له اكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه
وجهان احدهما ان يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لان الله
تعالى اختار له اشرف الاداب واحسن الاخلاق والثاني ان يكون نهي تنزيه لا
تحريم له ولامته وقرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلثة اوجه الابدال من تمنن
كانه قيل ولا تمنن لا تستكثر على انه من المن في قوله تعالى ثم لا يتبعون ما انفقوا
منا ولا اذى لان من شان المنان بما يعطي ان يستكثره اي يراه كثيرا ويعتد به وان
تشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا وان يعتبر حال الوقف وقرأ الاعمش بالنصب
باضمار ان كقوله الا ايها ذا الزاجري احضر الوغى ويؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن
ان تستكثر ويجوز في الرفع ان يحذف ويبطل عملها كما روي احضر الوغى ولربك
فاصبر ولوجه الله فاستعمل الصبر وقيل على اذى المشركين وقيل على اداء
الفرائض وعن النخعي على عطيتك كانه وصله بما قبله وجعله صبرا على العطاء
من غير استكثار والوجه ان يكون امرا بنفس الفعل وان يتناول على العموم كل
مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على اذى الكفار لانه احد ما يتناوله
العام والفاء في قوله فاذا نقر في الناقور للتسبيب كانه قال اصبر على اذاهم
فذلك يومئذ فبين ايديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة اذاهم وتلقى عاقبة
صبرك عليه والفاء في فذلك للجزاء ثم انتصب اذا وكيف صح ان يقع

يومئذ ظرفا ليوم عسير انتصب اذا بما دل عليه الجزاء لان المعنى
فاذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين والذي اجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير
ثم انتصب اذا بما دل عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر في الناقور عسر
الامر على الكافرين والذي اجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير ان المعنى فذلك
وقت النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيمة ياتي ويقع حين ينقر في الناقور
واختلف في انها النفخة الاولى ام الثانية ويجوز ان يكون يومئذ مبنيا مرفوع
المحل بدلا من ذلك ويوم عسير خبر كانه قيل فيوم النقر يوم عسير
فما فائدة قوله على الكافرين غير يسير وعسير مغن عنه لما كان على
الكافرين نقص العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بانه لا يكون عليهم كما يكون
على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين
وتسليتهم ويجوز ان يراد انه عسير لا يرجى ان يرجع يسيرا كما يرجى تيسير العسير
من امور الدنيا ذرني ومن خلقت وحيدا حال من الله تعالى على معنيين
احدهما ذرني وحدي معه فانا اجزيك في الانتقام منه عن كل منتقم والثاني
خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد وحال من المخلوق على معنى خلقته وهو
وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول
مرة وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد ولعله
لقب بذلك بعد نزول الاية فان كان ملقبا به قبل فهو تهكم به وبلقبه وتغيير له
عن الغرض الذي كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بانه وحيد قومه لرياسته
ويساره وتقدمه في الدنيا الى وجه الذم والعيب وهو انه خلق وحيدا لا
مال له ولا ولد فاتاه الله ذلك فكفر بنعمته واشرك به واستهزأ بدينه
وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدودا بالنماء من مد النهر و
مده نهر آخر قيل كان له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان
له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بستان بالطائف
لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل كان له [illegible] الف مثقال او [illegible]
اربعة الاف وقيل تسعة الاف وعن ابن جريج غلة شهر بشهر وبنين شهودا

حضورا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل وتجارة لانهم مكفيون
لوفور نعمة ابيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بانفسهم فهو مستانس
بهم لا يشغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا تحزن لفراقهم و
الاشتياق اليهم ويجوز ان يكون معناه انهم رجال يشهدون معه المجامع
والمحافل ويسمع شهادتهم فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين
وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة
وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلثة خالد وهشام وعمارة
ومهدت له تمهيدا وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه فاتممت
عليه نعمتي في الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند اهل الدنيا ومنه
قول الناس ادام الله تاييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان
الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش
ثم يطمع ان ازيد استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعني انه لا مزيد على ما
اوتي سعة وكثرة وقيل انه كان يقول ان كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم صادقا
فما خلقت الجنة الا لي كلا ردع له وقطع لرجائه وطمعه انه كان
لآياتنا عنيدا تعليل للردع على وجه الاستيناف كان قائلا قال لم لا يزاد فقيل
انه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد ويروى انه ما
زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك سارهقه صعودا
ساغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي
لا يطاق وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكلف ان يصعد عقبة في النار كلما
وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت فاذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها
عادت وعنه عليه وآله الصلوة والسلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا
ثم يهوي فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد كان الله تعالى عاجله
بالفقر والذل بعد الغنى والعز في الدنيا لعناده ويعاقبه في الآخرة باشد العذاب
لفظاعته لبلوغه بالعناد غايته واقصاه في تفكره وتسميته القرآن سحرا ويجوز
ان يكون كلمة الردع متبوعة بقوله سارهقه صعودا ردا لزعمه ان الجنة لم تخلق

الا له واخبارا بانه من اشد اهل النار عذابا ويعلل ذلك بعناده ويكون قوله
انه فكر بدلا من قوله انه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر فيما
يقول في القرآن وقدر في نفسه ما يقوله وهياه فقتل كيف قدر تعجيب
من تقديره واصابته فيه المحز ورمية الغرض الذي كان ينتحيه قريش او
ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به وهو حكاية لما كرروه من قولهم ثم قتل
كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القائل
قتله الله ما اشجعه واخزاه الله ما اشعره الاشعار بانه قد بلغ المبلغ الذي هو
حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روي ان الوليد قال لبني مخزوم
والله لقد سمعت من محمد صلى الله عليه وآله وسلم آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من
كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق
وانه يعلو ولا يعلى فقالت قريش صبا والله الوليد والله لتصبان قريش كلهم
فقال ابو جهل انا اكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون
ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم مجنون فهل رايتموه يخنق وتقولون انه كاهن
فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى الشعر قط وتزعمون
انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قط فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا
فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده
ومواليه وما الذي يقوله الا سحر ياثره عن مسيلمة وعن اهل بابل فارتج
النادي فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه ثم نظر في وجوه الناس
ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة
الشنعاء وهم ان يرمي بها وصف اشكاله حتى استنبط ما استنبط استهزاء
به وقيل قدر ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس وبسر لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر
ما يقول وقيل قطب في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ادبر عن
الحق واستكبر عنه فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر
فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما
الدلالة على ان الكرة ما بعني ثم الداخلة في تكرير الدعاء

الثانية ابلغ من الاولى ونحوه الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي
فما معنى المتوسطة بين الافعال التي بعدها ... الدلالة على انه قد تأنى
في التأمل وتمهل فكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد
فلم قيل فقال ان ههنا بالفاء بعد عطف ما قبله بثم لان الكلمة لما خطرت
بباله بعد التطلب لم يتمالك ان نطق بها من غير تلبث فلم لم يوسط
حرف العطف بين الجملتين لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التوكيد
من المؤكد سأصليه سقر بدل من سأرهقه صعودا وما ادريك ما سقر
لا تبقي شيئا يلقى فيها الا اهلكته ... اذا هلك لا تذر لم تدعه
حتى يعاد ولا يبقى على شيء ولا يدعه بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة
للبشر من لوح الهجير قال تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمي لاحني الهواجر
وقيل يلفح الجلد لفحة فيدعه اشد سوادا من الليل والبشر اعلى الجلد وعن الحسن
تلوح للناس كقوله ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص
للتهويل عليها تسعة عشر اي يلي امرها ويتسلط على اهلها تسعة عشر ملكا
وقيل صنفا من الملائكة وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالي الحركات فيما هو
في حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشير مثل يمين وايمن وجعلهم
لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا تأخذهم ما يأخذ المجانس
من الرأفة والرقة ولا يستروحون اليهم ولانهم اقوم خلق الله بحق الله
وبالغضب فيؤمن هوادتهم ولانهم اشد الخلق بأسا واقواهم بطشا
عن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة اكثر من ربيعة ومضر
وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كأن اعينهم البرق وكأن افواههم الصياصي
يجرون اشعارهم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق احدهم وعلى رقبته
جبل فيرمي بهم في النار ويرمي بالجبل عليهم وروي انه لما نزلت عليها تسعة عشر
قال ابو جهل ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة
عشر وانتم الدهم افيعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاشد
بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني

من الهلاك

وقيل بتمامه

انتم من بقي فانزل الله تعالى وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة
اي وما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون وما جعلنا عدتهم الا
فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين
آمنوا ايمانا قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان
اهل الكتاب وزيادة ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين فما وجه صحة ذلك
ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لاستيقان اهل الكتاب ... لذلك و
العدة نفسها هي التي جعلت سببا وذلك ان المراد بقوله وما جعلنا عدتهم
الا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لان حال
لان هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين ان يفتتن بها من
لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن وان
خفي عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها ان يفتتن
بها لأجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان اهل الكتاب
لان عدتهم تسعة عشر في الكتابين فاذا سمعوا بمثلها في القرآن ايقنوا انه منزل
من عند الله وازدياد المؤمنين ايمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا بسائر
ما انزل ولما رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك
ثم قال ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون والاستيقان وازدياد
الايمان دالا على انتفاء الارتياب لانه اذا جمع لهم اثبات اليقين و
نفي الشك كان ابلغ واكد لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولان
فيه تعريضا بحال من عداهم كأنه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين
من اهل النفاق والكفر كيف ذكر وليقول الذين في قلوبهم
مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة
معناه وليقول المنافقون الذين يحدثون في مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة
والكافرون بمكة ماذا اراد الله بهذا مثلا وليس في ذلك الا اخبار
بما سيكون كسائر الاخبار بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية
ويجوز ان يراد بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم

الا فتنة للذين كفروا
وما جعلنا عدتهم

قاطعين بالكذب قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء
الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب ان الاستيقان وانتفاء
الارتياب يصح ان يكونا غرضين فكيف صح ان يكون قول المنافقين والكافرين
غرضا افادت معنى العلة والسبب ولا يجب في العلة ان يكون غرضا الا
ترى الى قولك خرجت من البلد لمخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك
وما هي بغرضك مثلا تمييز لهذا او حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم
لسموه مثلا هو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام
وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له والمعنى اي شيء اراد الله
بهذا المثل العجيب واي غرض قصد في ان جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين
سواء ومرادهم انكاره من اصله وانه ليس من عند الله وانه لو كان
من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص الكاف في كذلك نصب
ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى اي مثل ذلك المذكور
من الاضلال والهدى يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء يضل الكافرين
ويهدي المؤمنين بمعنى يفعل فعلا حسنا مبنيا على الصواب فيراه المؤمنون
حكمة ويذعنون له لاعتقادهم ان افعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم
ايمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرا وضلالا وما يعلم جنود
ربك وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل و
بعضها على عدد ناقص وما في اختصاص كل جند بعدده من الحكمة الا هو
لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة في اعداد السموات والارضين
وايام السنة والشهور والبروج والكواكب واعداد النصب والحدود
والكفارات والصلوات في الشريعة او وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها
الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له في هذا الخاص حكمة لا يعلمها
وهو يعلمها وقيل هو جواب لقول ابي جهل اما لرب محمد صلى الله عليه واله وسلم
اعوان الا تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الى قوله الا هو اعتراض وقوله
وما هي الا ذكرى للبشر متصل بوصف سقر وهي ضميرها اي وما سقر

والصبح اذا اسفر

وما سقر وصفها الا تذكرة للبشر او ضمير الايات التي ذكرت فيها
كلا انكار بعد ان جعلها ذكرى ان يكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون او ردع
لمن ينكر ان يكون احدى الكبر نذيرا والقمر والليل اذ دبر بمعنى ادبر
كقبل بمعنى اقبل ومنه صاروا كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار
اذا خلفه وقرئ اذا ادبر انها لاحدى الكبر جواب القسم او تعليل
لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التانيث
كتائها فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافي
في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصعاء كانه جمع فاعلة اي لانها
لاحدى البلايا او الدواهي ومعنى كونها احداهن انها من بينهن واحدة
في العظم لا نظيرة لها كما تقول هو احد الرجال وهي احدى النساء نذيرا
للبشر تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهي انذارا كما تقول
هي احدى النساء عفافا وقيل هو حال وقيل هو متصل باول السورة
يعني قم نذيرا وهو من بدع التفاسير وفي قراءة ابي نذير بالرفع خبر بعد
خبر لان او بحذف المبتدا ان تقدم في موضع الرفع بالابتداء و
لمن شاء منكم خبر مقدم عليه كقولك لمن توضأ ان يصلي ومعناه مطلق
لمن شاء التقدم او التاخر ان يتقدم او يتاخر والمراد بالتقدم والتاخر
السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
ويجوز ان يكون لمن شاء بدلا من البشر على انها منذرة للمكلفين الممكنين
الذين ان شاؤوا تقدموا ففازوا وان شاؤوا تاخروا فهلكوا كل
نفس بما كسبت رهينة ليست بتانيث رهين في قوله تعالى
كل امرئ بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل
رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث وانما هي اسم بمعنى
الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت
الحماسة ابعد الذي بالنعف نعف كويكب رهينة رمس ذي تراب وجندل

كأنه قال رهن رهن والمعنى كل نفس بكسبها عند الله غير مفكوك الا اصحاب
اليمين فانهم فكوا عنه رقابهم بما اطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه
باداء الحق وعن علي رضي الله عنه انه فسر اصحاب اليمين بالاطفال لانه لا اعمال
لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الملئكة في جنات اي هم في جنات لا
يكتنه وصفها يتساءلون عن المجرمين يسأل بعضهم بعضا عنهم او يتساءلون
غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه كيف طابق قوله ما سلككم
وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان
يطابق ذلك ان لو قيل يتساءلون المجرمين ما سلككم ما سلككم
ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المجرمين عنهم لان المسئولين يلقون
الى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون قلنا لهم ما سلككم في سقر
قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين الا ان الكلام جيء به
على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل في غرابة نظمه وكنا نخوض مع
الخائضين الخوض الشروع في الباطل وما لا ينبغي لم يسألونهم وهم
عالمون بذلك توبيخا وتخجيلا وليكون حكاية الله تعالى ذلك في كتابه
تذكرة للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير اصحاب اليمين بالاطفال انما سألوهم لانهم
ولدان لا يعرفون موجب دخول النار أتريدون ان كل واحد منهم
بمجموع هذه الاربع دخل النار ام دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه
يحتمل الامرين جميعا وكنا نكذب بيوم الدين لم أخر التكذيب
وهو اعظمها ارادوا انهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين
تعظيما للتكذيب كقوله ثم كان من الذين آمنوا حتى أتانا اليقين الموت
ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين اي لو شفع لهم الشافعون جميعا
من الملئكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه
الله وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على ان الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد
في درجات المرتضين فما لهم عن التذكرة عن التذكير وهو العظة يريد القرآن

او غيره من المواعظ ومعرضين نصب على الحال كقولك ما لك قائما
او غيره من المواعظ ومعرضين نصب على الحال كقولك ما لك قائما
كأنهم حمر مستنفرة شديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها
في جمعها وحملها عليه وقرئ بالفتح وهي المنفرة المحمولة على النفار فرت من
قسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الاسد يقال ليوث قساورة
وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وفي وزنه الحيدرة من اسماء
الاسد وعن ابن عباس رضي الله عنه ركز الناس واصواتهم وعن عكرمة ظلمة
الليل شبههم في اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم
عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة
وتهجين لحالهم بين كما في قوله كمثل الحمار يحمل اسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة
العقل ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو اذا رابها رائب
ولذلك كان اكثر تشبيهات العرب في وصف الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها
اذا وردت ماء فاحست عليه بقانص بل يريد كل امرئ منهم ان
يؤتى صحفا منشرة قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها
او كتبا كتبت في السماء ونزلت بها الملئكة ساعة كتبت منشرة على ايديها
غضة رطبة لم تطو بعد وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان
بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه
وقال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم الآية وقيل قالوا ان كان
محمد صلى الله عليه وآله وسلم صادقا فليصبح عند رأس كل واحد منا صحيفة فيها
براءته وامنه من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح
مكتوبا عند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل
الا ان يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير
صحفا منشرة بتخفيفهما على ان انشر الصحف ونشرها واحد كأنزله ونزله ردعهم
بقوله كلا عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم قال بل لا

يخافون الآخرة فلذلك اعرضوا لا لامتناع ايتاء الصحف كلا ردعهم
عن اعراضهم التذكرة وقال انه تذكرة بليغة كافية مبهم امرها في
الكفاية فمن شاء ان يذكره ولا ينساه ذكره فعل ذلك فالنفع راجع اليه
والضمير في انه راجع للتذكرة في قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر
لانها في معنى الذكر او القرآن وما يذكرون الا ان يشاء الله الا
يقسرهم على الذكر ويلجئهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم انهم
لا يؤمنون اختيارا هو اهل التقوى واهل المغفرة هو حقيق بان يتقيه
عباده ويخافوا فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بان يغفر لهم اذا آمنوا واطاعوا
وروي انس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو اهل ان يتقى واهل
ان يغفر لمن اتقاه وقرئ بالتاء والياء مخففا ومشددا عن النبي صلى الله عليه وآله
انه قال من قرأ سورة المدثر اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد و

وبجمله نصب عبيه

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة
ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس
لا وابيك ابنة العامري لا يدعي القوم اني افر وقال غوية بن سلمى الا نادت امامة
باحتمال ليحزنني فلا بك ما ابالي وفائدتها توكيد القسم وقالوا انها صلة مثلها في لئلا يعلم
اهل الكتاب وفي قوله في بئر لا حور سرى وما شعر واعترضوا عليه بانها انما تزاد في
وسط الكلام لا في اوله واجابوا بان القرآن في حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض و
الاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا في وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد
الا ترى الى امرئ القيس كيف زادها في مستهل قصيدته والوجه ان يقال هي
للنفي والمعنى في ذلك انه لا يقسم بالشيء الا اعظاما له بدلك عليه قوله تعالى
فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكأنه بادخال حرف النفي يقال
اعظامي له باقسامي به كلا اعظام يعني انه يستأهل فوق ذلك وقيل ان لا نفي لكلام

١٠٤٣

قبل القسم كأنهم انكروا البعث فقيل لا اي ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل اقسم بيوم القيمة
قوله تعالى فلا وربك والابيات التي انشدتها المقسم عليه فيها منفي
فهلا زعمت ان لا التي قبل القسم زيدت موطئة للنفي بعده ومؤكدة له وقدرت المنفي
عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا اتتركون سدى لو قصروا الامر على
النفي دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر الا ترى انه كيف نفي
لا اقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان في كبد وكذلك فلا اقسم بمواقع النجوم
بقوله انه لقرآن كريم وقرئ لاقسم على ان اللام للابتداء واقسم خبر مبتدأ
محذوف اي لانا اقسم قالوا ويعضده انه في الامام بغير الف ولا اقسم بالنفس اللوامة اي
بالنفس المتقية التي تلوم النفوس فيه اي في يوم القيمة على تقصيرهن في التقوى
او بالتي لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت في الاحسان وعن الحسن ان المؤمن
لا تراه الا لائما نفسه وان الكافر يمضي قدما لا يعاتب نفسه وقيل هي التي تتلوم
يومئذ على ترك الازدياد ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة
وقيل هي نفس آدم عليه السلم لم تزل تتلوم على فعلها الذي خرجت به من الجنة
وجواب القسم ما دل عليه قوله ايحسب الانسان الن نجمع عظامه وهي البعث وقرئ
قتادة ان لن يجمع عظامه على البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها
رميما ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اباعد الارض
وقيل ان عدي بن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء فقال يا محمد
حدثني يوم القيمة متى يكون وكيف يكون امره فاخبره رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك فنزلت بلى اوجبت ما بعد
النفي وهو الجمع فكأنه قيل بلى نجمعها وقادرين حال من الضمير في نجمع اي نجمع العظام
قادرين على تأليف جمعها واعادتها الى التركيب الاول على ان نسوي بنانه
اي اصابعه التي هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه او على ان نسوي بنانه ونضم
سلاماته على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت اولا من غير نقصان
ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل معناه بل نجمعها ونحن قادرون على ان نسوي

ولا اقسم

قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

اصابع بدنه ورجليه اي نجعلها مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا
يفرق بينهما فلا يمكن ان يعمل شيئا مما يعمل باصابعه المفرقة ذات المفاصل والانامل
من فنون الاعمال والقبض والبسط والتاني لما يريد من الحوائج وقرئ قادرون
اي نحن قادرون بل يريد الانسان عطف على ايحسب فيجوز ان يكون مثله استفهاما
وان يكون ايجابا على ان يضرب عن مستفهم الى موجب ليفجر امامه ليدوم على فجوره
فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير
يقدم الذنب ويؤخر التوبة ويقول سوف اتوب سوف اتوب حتى ياتيه الموت
على شر احواله واسوء اعماله يسئل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة في
قوله ايان يوم القيمة ونحوه ويقولون متى هذا الوعد فاذا برق البصر
تحير فزعا واصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ برق من
البريق اي لمع من شدة شخوصه وقرأ ابو السماك بلق اذا انفتح وانفرج يقال
بلق الباب وابلقته وبلقته فتحته وخسف القمر وذهب ضوؤه او ذهب بنفسه وخسف
على البناء وجمع الشمس والقمر حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا في ذهاب
الضوء وقيل يجمعان اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران في النار وقيل يجمعان
ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى يقول الانسان يومئذ اين المفر الفرار
المصدر وبالكسر المكان ويجوز ان يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما كلا ردع
عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ وكل ما التجأت اليه من جبل او غيره وتخلصت به فهو
وزرك الى ربك خاصة يومئذ المستقر مستقر العباد اي استقرارهم يعني انهم
لا يقدرون ان يستقروا الى غيره وينصبوا اليه او الى حكمه ترجع امور العباد لا
يحكم فيها غيره لمن الملك اليوم او الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من
جنة او نار اي مفوض ذلك الى مشيئته من شاء ادخله الجنة ومن شاء ادخله
النار ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم من عمل عمله وبما اخر منه لم يعمله
بما قدم من ماله فتصدق به وبما اخره فخلفه او بما قدم من عمل الخير والشر وبما
اخر من سنة حسنة فعمل بها بعده وعن مجاهد باول عمله واخره ونحوه فينبئهم بما
عملوا احصاه الله ونسوه بل الانسان على نفسه بصيرة حجة بينة وصفت

بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالابصار في قوله فلما جاءتهم اياتنا
مبصرة او عين بصيرة والمعنى انه ينبا باعماله وان لم ينبا ففيه ما يجزئ عن الانباء
لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم ايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون ولو القى معاذيره ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها
عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك ولو ارخى ستوره والمعاذير الستور واحدها
معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب
وليس قياس المعذرة ان تجمع معاذير لا معاذر المعاذير ليس جمع معذرة
وانما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير في المنكر الضمير في لا تحرك به للقرآن لسانك
لتعجل به وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة
ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من ان ينفلت فامر بان يستنصت
ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى اليه وحيه ثم يعقبه بالدراسة الى ان يرسخ
فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحي ما دام جبريل عليه السلم يقرأ لتعجل به لتأخذه
على عجلة ولئلا ينفلت منك ثم علل النهي عن العجلة بقوله ان علينا جمعه في صدرك
وقرآنه واثبات قراءته في لسانك فاذا قرأناه بلسان جبريل قراءته والقرآن
القرآن القراءة فاتبع قرآنه قراءته ولا يكن قراءتك مقارنة له فلا تراسله وطامن
نفسك انه لا يبقى غير محفوظ فنحن في ضمان تحفيظه ثم ان علينا بيانه بيان ما اذا
اشكل شيء من معانيه كانه كان يعجل في الحفظ والسؤال جميعا كما يرى بعض الحراص
على العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه كلا ردع
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة
والتؤدة وقد بالغ في ذلك باتباعه قوله بل تحبون العاجلة كانه قال بل انتم
بني آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون في كل شيء ومن ثم تحبون العاجلة
وتذرون الآخرة وقرئ بالياء وهو ابلغ [illegible] كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك
الخ بذكر القيمة انما اتصل به من جهة هذا التخلص منه الى التوبيخ بحب العاجلة
وترك الاهتمام بالآخرة وجوه يومئذ ناضرة الوجه عبارة عن الجملة ناضرة بهية متهللة من النضرة
من نضرة النعيم الى ربها ناظرة تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا

معنى تقديم المفعول الا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ المساق
الى الله تصير الامور واليه ترجعون والى الله المصير عليه توكلت واليه انيب
كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم انهم ينظرون الى اشياء
لا يحيط بها الحصر ولا يدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المؤمنين
نظارة ذلك اليوم لانهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه
بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذي يصح
معه ان يكون من قول الناس انا الى فلان ناظر ما يصنع بي تريد معنى التوقع والرجاء
ومنه قول القائل واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتني نعما وسمعت سروية
مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس ابوابهم ويأوون الى مقائلهم تقول عيينتي
نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم
كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه ووجوه يومئذ باسرة الباسر
الشديد العبوس والباسل اشد منه ولكنه غلب في الشجاع اذا اشتد كلوحه تظن
تتوقع ان يفعل بها فعل هو في شدته وفظاعته فاقرة داهية تقصم فقار الظهر
كما توقعت الوجوه الناضرة ان يفعل بها كل خير كلا ردع عن ايثار الدنيا على
الآخرة كأنه قال ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين ايديكم من الموت الذي
تنقطع العاجلة عليكم وتنتقلون الى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين والضمير في
حتى اذا بلغت للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها
كما قال حاتم اماوي ما يغني الثراء اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر وتقول العرب
ارسلت يريدون جاء المطر لا يكادون يذكرون السماء التراقي العظام المكتنفة لثغرة
النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت التي هي اول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح
التراقي ودنى زهوقها وقال حاضروا صاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض وقيل من
راق ايكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملك الموت ايكم ترقى بروحه ملائكة
ام ملائكة العذاب وظن المحتضر انه الفراق ان هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا
المحبوبة والتفت الساق بالساق والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند علز
وعن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا

بشدة اقبال الآخرة على ان الساق مثل في الشدة وعن سعيد بن المسيب هما
ساقاه حين تلفان في اكفانه الى ربك يومئذ المساق اي يساق الى الله والى
حكمه فلا صدق ولا صلى يعني الانسان في قوله ايحسب الانسان ان لن نجمع
عظامه الا ترى الى قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى وهو معطوف على قوله
يسأل ايان يوم القيمة اي لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا
صلى ويجوز ان يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكوة وقيل في ابي جهل ولكن
كذب وتولى ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر واصله يتمطط اي يتمدد
لان المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه وفي الحديث
اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم
كذب برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتولى عنه واعرض ثم ذهب الى قومه
يتبختر افتخارا بذلك اولى لك بمعنى ويل لك فاولى ثم اولى لك فاولى وهو دعاء
بان يليه ما يكره ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني
يمنى ثم كان علقة فخلق فقدر فسوى فعدل فجعل منه من الانسان الزوجين
الصنفين الذكر والانثى اليس ذلك الذي انشأ هذا الانشاء بقادر على
ان يحيي الموتى على الاعادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
كان اذا قرأها قال سبحانك بلى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ
سورة القيمة شهدت انا وجبريل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم هل بمعنى قد في الاستفهام
خاصة والاصل أهل بدليل قوله أهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم والمعنى
اقد اتى على التقرير والتقريب جميعا اي اتى على الانسان قبل زمان قريب
من نطفة حين من الدهر لم يكن فيه شيئا مذكورا اي كان شيئا منسيا غير مذكور
نطفة في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني آدم بدليل قوله انا خلقنا

من نطفة حين من الدهر طائفة من الزمان الطويل الممتد ما محل
لم يكن شيئا مذكورا محله النصب على الحال من الانسان كانه قيل هل اتى
عليه حين من الدهر غير مذكور او الرفع على الوصف لحين كقوله يوما لا يجزي
والد عن ولده وعن بعضهم انها تليت عنده فقال ليتها تمت اراد ليت تلك
تمت وهي كونه شيئا غير مذكور لم يخلق ولم يكلف نطفة امشاج كبرمة
اعشار وبرد اكياش وهي الفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات
للافراد فقال ايضا نطفة مشج قال الشماخ طوت احشاء مرتجة لوقت
على مشج سلالته مهين ولا يصح امشاج ان يكون تكسيرا له بل هما مثلان
في الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج
فيها الماآن وعن ابن مسعود رضي هي عروق النطفة وعن قتادة امشاج الوان
واطوار يريد انها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة نبتليه في موضع الحال
اي خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائدا
به غدا يريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز ان يراد ناقلين له من حال الى حال
فسمي ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن ابن عباس رضي نصرفه في بطن امه
نطفة ثم علقة وقيل هو في تقدير التاخير فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من
التعسف انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا شاكرا وكفورا
حالان من الهاء في هديناه اي مكناه واقدرناه في حالتيه جميعا او دعوناه الى
الاسلام بادلة العقل والسمع كان معلوما منه انه يؤمن او يكفر لالزام الحجة و
يجوز ان يكونا حالين من السبيل اي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا
كفورا كقوله وهديناه النجدين فوصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرا ابو
السمال بفتح الهمزة اما وهي قراءة حسنة والمعنى اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا
فبسوء اختياره ولما ذكر الفريقين اتبعهما الوعد والوعيد انا اعتدنا للكافرين
سلاسل واغلالا وسعيرا قرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان
ان يكون هذا النون بدلا من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني ان يكون صاحب
القراءة به ممن ضري برعاية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف ان الابرار

جمع بر او بار كرب وارباب واشهاد وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر
يشربون من كاس والكاس الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها
كاسا كان مزاجها ماء يمزج به كافورا ماء كافور وهو اسم عين في الجنة
ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده وعينا يشرب بها عباد الله
بدل منه وعن قتادة تمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها
رائحة الكافور وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور وعينا على هذين
القولين بدل من محل من كاس على تقدير حذف مضاف كانه قيل يشربون
خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص لم وصل فعل الشرب بحرف
الابتداء اولا وبحرف الالصاق آخرا لان الكاس مبدأ شربهم و
اول غايته واما العين فبها يمزجون شرابهم فكان المعنى يشرب عباد الله بها
الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل يفجرونها يجرونها حيث شاؤا من منازلهم
تفجيرا سهلا لا يمتنع عليهم يوفون جواب من عسى يقول ما لهم يرزقون ذلك
والوفاء بالنذر مبالغة في وصفهم بالتوفر على اداء الواجبات لان من وفى بما
اوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما اوجبه الله اوفى ويخافون يوما كان شره
مستطيرا فاشيا مستطيرا بالغا اقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار
الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه الضمير للطعام
اي مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه وآتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون وعن الفضيل بن عياض على حب الله مسكينا ويتيما واسيرا عن الحسن
كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول
احسن اليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء
يجوز الاحسان الى الكفار في دار الاسلام ولا تصرف اليهم الواجبات وعن قتادة
كان اسيرهم يومئذ المشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء
هو الاسير من اهل القبلة الى الكفار في حال الاسلام ولا تصرف اليهم الواجبات
وعن قتادة عن ابي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك انما نطعمكم

بالنذر

على ارادة القول ويجوز ان يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله او بالشكر
لان احسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافاة الخلق وان يكون لهم لطفا و
تفقيها على ما ينبغي ان يكون عليه من اخلص لله وعن عائشة رضي الله عنها انها كانت تبعث
بالصدقة الى اهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله
ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله ويجوز ان يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم
وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيئا وعن مجاهد اما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله
منهم فاثنى عليهم لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا الشكور والكفور مصدر
كالشكر والكفر إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يحتمل ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك
اليوم لا لارادة مكافاتكم وانا لا نريد منكم المكافاة لخوف عقاب الله على طلب
المكافاة بالصدقة يَوْمًا عَبُوسًا ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين ان يوصف
بصفة اهله من الاشقياء كقولك نهارك صائم روي ان الكافر يعبس يومئذ
حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وان يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس
او بالشجاع الباسل قَمْطَرِيرًا والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال
الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها ورمت بانفها فاشتقه
من القطر وجعل الميم مزيدة قال اسد بن ناعصة واصطليت الحروب في كل يوم
باسل الشر قمطرير الصباح فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا
اي اعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وهذا
يدل على ان اليوم موصوف بعبوس اهله وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا بصبرهم على الايثار
جَنَّةً وَحَرِيرًا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ناس معه فقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولدك
فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما ان يصوموا ثلثة ايام
فشفيا وما معهم شيء فاستقرض علي رضي الله عنه من شمعون الخيبري ثلثة اصوع
من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها
بين ايديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد صلى الله عليه
وآله وسلم مسكين من مساكين المسلمين اطعموني اطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه

وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما فلما امسوا ووضعوا الطعام بين ايديهم
وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم اسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا
اخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله عنهم واقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه و
آله وسلم فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما اشد ما يسوءنا ما
ارى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة عليها السلام في محرابها قد التصق ظهرها
ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبرئيل عليه السلام وقال خذها يا محمد
هناك الله تعالى في اهل بيتك فاقرأه السورة ما معنى ذكر الحرير مع الجنة
المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدي اليه من الجوع والعري بستانا
فيه مأكل هني وحريرا فيه ملبس بهي مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا
شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا يعني ان هواءها معتدل لا حر شمس يحمي ولا شدة برد يؤذي
وفي الحديث هواء الجنة سجسج لا حر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب انه في لغة
طي وانشد وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير ما زهر والمعنى ان الجنة
ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس ولا قمر وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا على حال
عطفت على الجملة التي قبلها لانها في موضع الحال من المجزيين وهذه
حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم في عليهم الا انها اسم مفرد وتلك جملة في
حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها
ودخلت الواو للدلالة على ان الامرين مجتمعان لهم كانه قيل وجزاهم جنة
جامعين فيها بين البعد عن الحر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع على
ان ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة في موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
والحال ان ظلالها دانية عليهم والحال ان ظلالها دانية عليهم ويجوز ان تجعل
متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز ان يكون ودانية معطوفة على
جنة اي وجنة اخرى دانية عليهم على انهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه
جنتان لانهم وصفوا بالخوف انا نخاف من ربنا فعلام عطف وَذُلِّلَتْ
قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا هي اذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية
واذا نصبتها على الحال فهي حال من دانية اي تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل

قطوفها وإذا نصبت ودانية على الوصف فهي صفة مثلها ألا ترى أنك لو قلت
جنة ذللت قطوفها كان صحيحا وتذليل القطوف أن تجعل ذللا لا
يمتنع على قطافها كيف شاؤوا أو يجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة من قولهم
حائط ذليل إذا كان قصيرا ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب
كانت قواريرا قواريرا قرئا بغير تنوين وبتنوين الأول وبتنوينهما و
هذا التنوين بدل من ألف الإطلاق لأنه فاصلة وفي الثاني لاتباعه الأول
ومعنى قوارير من فضة أنها مخلوقة من فضة وهي مع بياض الفضة وحسنها
في صفاء القوارير وشفيفها ما معنى كانت هو من يكون في
قوله كن فيكون أي تكونت قوارير بتكوين الله تعالى تفخيما لتلك الخلقة العجيبة
الشأن الجامعة بين صفتي الجوهرين المتباينين ومنه كانت في قوله كان مزاجها
كافورا وقرئ قوارير بالرفع على هي قوارير قدروها تقديرا صفة لقوارير
من فضة ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها في أنفسهم أن يكون على مقادير
وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروها وقيل الضمير للطائفين بها دل عليه قوله
تعالى ويطاف عليهم على أنهم قدروا أشرابها على قدر الري هو ألذ للشارب لكونه
على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا يفيض ولا يغيض وقرئ
قدروها على البناء للمفعول ووجهه أن يكون منقولا من قدر يقول قدرت الشيء
وقدرنيه فلان إذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤوا وأطلق
لهم أن يقدروا على حسب ما اشتهوه ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا
سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب يستلذه ويستطيبه قال الأعشى
كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وأريا مشورا وقال المسيب بن علس وكأن طعم الزنجبيل
وسلافة الخمر سلسبيلا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها يعني
أنها في طعم الزنجبيل وليس فيه لذعة ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب
سلسل وسلسال وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية و
دلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل في اللغة صفة لما كان في غاية السلاسة
وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتأنيث وقد عزي إلى علي

ابن أبي طالب رضي الله عنه أن معناه سل سبيلا إليها وهذا غير مستقيم على ظاهره
إلا أن يراد أن جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تأبط
شرا وذرى حبا وسميت بذلك لأنه لا يشرب منها إلا من سأل إليها سبيلا
بالعمل الصالح وهو مع استقامته في العربية تكلف وابتداع وعزوه إلى مثل علي
بن أبي طالب رضي الله عنه أبدع وفي شعر بعض المحدثين سل سبيلا فيها إلى راحة
النفس براح كأنها سلسبيل وعينا بدل من زنجبيلا وقيل يمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه
أو يخلق الله طعمه فيها وعينا على هذا القول مبدلة من كأسا كأنه قيل ويسقون
فيها كأسا كأس عين أو منصوبة على الاختصاص ويطوف عليهم ولدان مخلدون
إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم
وانبثاثهم في مجالسهم باللؤلؤ المنثور وعن المأمون أنه ليلة زفت إليه بوران
بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة
اللؤلؤ فنظر إليه فاستحسن المنظر قال لله در أبي نواس كأنه أبصر هذا حيث يقول
كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب وقيل شبهوا باللؤلؤ
الرطب إذا نثر من صدفه لأنه أحسن وأكثر ماء وإذا رأيت ثم رأيت نعيما
وملكا كبيرا رأيت ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كأنه قيل
وإذا وجدت الرؤية ثم ومعناه أن بصر الرائي حيث ما وقع لم يتعلق إدراكه
إلا بنعيم كثير وملك كبير وثم في موضع النصب على الظرف يعني في الجنة ومن قال
معناه ما ثم فقد أخطأ لأن ثم صلة لما ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة
واسعا وهنيئا يروى أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى
أدناه وقيل لا زوال له وقيل إذا أرادوا شيئا كان وقيل تسلم عليهم الملائكة و
يستأذنون عليهم عاليهم قرئ عاليهم بالسكون على أنه مبتدأ خبره ثياب سندس
أي ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس أو حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب
ويجوز أن يراد رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب
على ذلك وعليهم وخضر وإستبرق بالرفع حملا على الثياب وبالجر وقرئ وإستبرق
نصبا في موضع الجر على منع الصرف لأنه أعجمي وهو غلط لأنه نكرة يدخله حرف

التعريف بقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب
من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من البريق
وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره وحلوا اساور من
فضة عطف على ويطوف عليهم ذكر ههنا ان اساورهم من فضة وفي موضع
آخر انها من ذهب هب انه قيل وحلوا اساور من ذهب ومن فضة و
هذا صحيح لا اشكال فيه على انهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على
الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين انواع الحلي وتجمع بينها وما احسن بالمعصم ان
يكون سواران سوار من ذهب وسوار من فضة وسقاهم ربهم شرابا
طهورا ليس من جنس خمر الدنيا لانه كونها رجسا بالشرع لا بالعقل وليست
الدار دار التكليف او لانه لم يعصر فتمسه الايدي ان هذا وهذا اشارة الى ما
تقدم من عطاء الله كان لكم جزاء ما جوزيتم به على اعمالكم وكان
سعيكم مشكورا انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا مكررا
سعيكم والشكر مجاز تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تاكيد على تاكيد لمعنى اختصاص
الله تعالى بالتنزيل ليتقرر في نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه اذا كان
هو المنزل لم يكن تنزيله على اي وجه نزل الا حكمة وصوابا كانه قيل ما نزل عليك
القرآن تنزيلا منجما الا انا غيري وقد عرفتني حكيما فاعلا لكل ما افعله بدواعي الحكمة
ولقد دعتني حكمة بالغة الى ان ازل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسانزل عليك
الامر بالقتال والانتقام بعد حين فاصبر لحكم ربك الصادر عن الحكمة وتعليقه
للامور بالمصالح وتاخير نصرتك على اعدائك من اهل مكة ولا تطع منهم احدا
قلة صبر منك على اذاهم وضجرا من تاخير الظفر فانهم مع افراطهم في العداوة
والايذاء له ولمن معه يدعونه الى ان يرجع عن امره ويبذلون له اموالهم و
اكرم بناتهم ان اجابهم كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة في قوله آثما
او كفورا معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم او فاعلا لما هو كفر
واعيا لك اليه لانهم اما ان يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم او كفر او غير
اثم ولا كفر فنهي ان يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل الاثم عتبة والكفور الوليد

لهم

مفرقا

١٠٢٩

ركابا للمآثم متعاطيا لانواع الفسوق وكان الوليد غاليا في الكفر شديد الشكيمة
في العتو ما معنى او ولا تطع احدهما وهلا جيء بالواو ليكون نهيا عن طا(عتهما)
جميعا لو قيل ولا تطعهما لجاز ان يطيع احدهما واذا قيل لا تطع احدهما
علم ان الناهي عن طاعتهما جميعا انهى كما اذا نهي ان يقول لابويه اف علم انه منهي عن
ضربهما على طريق الاولى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وداوم على صلوة
الفجر والعصر ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له يعني صلوة المغرب
والعشاء وادخل من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول في قوله يغفر لكم من
ذنوبكم وسبحه ليلا طويلا وتهجد له هزيعا طويلا من الليل ثلثيه او نصفه او
ثلثه ان هؤلاء الكفرة يحبون العاجلة يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون
الحيوة الدنيا ويذرون وراءهم امامهم او خلف ظهورهم لا يعبؤون به يوما
ثقيلا استعير الثقل لشدته وهوله من الشيء الثقيل الباهظ لحامله ونحوه
ثقلت في السموات والارض نحن خلقناهم وشددنا اسرهم الاسر الربط والتوثيق
ومنه اسر الرجل اذا اوثق بالقيد وهو الاسار وفرس ماسور الخلق وترس
ماسور بالعقب والمعنى شدة الاسر وبعثنا في النشاة الاخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم
ممن يطيع وحقه ان يجيء بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم
ان يشا يذهبكم ان هذه تذكرة اشارة الى السورة او الى الآيات القريبة
فمن شاء اختار لنفسه حسن العاقبة اتخذ الى ربه سبيلا والاتخاذ السبيل
الى الله تعالى عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة وما تشاؤون الطاعة
الا ان يشاء الله تيسيرها عليها ان الله كان عليما باحوالهم وما يكون منهم حكيما
حيث خلقهم مع علمه بهم وقرئ وما يشاؤون بالياء ما محل ان يشاء الله
النصب على الظرف واصله الا وقت مشية الله وكذلك قراءة ابن مسعود
الا ما يشاء الله لان ما مع الفعل كان معه يدخل من يشاء في رحمته هم المؤمنون
والظالمين اعد لهم عذابا اليما نصب الظالمين بفعل يفسره اعد لهم نحو
اوعد وكافا وقرا ابن مسعود وللظالمين على واعد للظالمين وقرا ابن الزبير
الظالمون على الابتداء وغيرها اولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف

عتهما

كما اذا نهي

فيها مع مخالفتهما للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك
وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله تعالى جنة وحريرا

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا أقسم
سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فالعاصفات عصفا فعصفن
في مضيهن كما تعصف الرياح تخففا في امتثال أوامره وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن
في الجو عند انحطاطهن بالوحي أو نشرن الشرائع في الأرض أو نشرن النفوس الموتى
بالكفر والجهل بما أوحين فالفارقات فرقا ففرقن بين الحق والباطل فالملقيات
ذكرا فألقين ذكرا إلى الأنبياء عذرا للمحقين أو نذرا للمبطلين أو أقسم برياح عذاب
أرسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله
كسفا أو بسحاب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر لله وبين من يكفر كقوله لأسقيناهم
ماء غدقا لنفتنهم فيه فألقين ذكرا إما عذرا للذين يعتذرون إلى الله تعالى بتوبتهم
واستغفارهم إذا رأوا نعمة الله في الغيث ويشكروا وإما إنذارا للذين يغفلون
الشكر لله وينسبون ذلك إلى الأنواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا في حصوله
إذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت ومعنى عرفا متتابعة كشعر العرف
يقال جاؤوا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع إذا تألبوا عليه ويكون بمعنى العرف
الذي هو نقيض النكر وانتصابه على أنه مفعول له أي أرسلن للإحسان والمعروف و
الأول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر في نكر وقد فسر المرسلات
بملائكة العذاب فيكون إرسالهم معروفا إن لم يكن معروفا للكفار
فإنه معروف للأنبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم والعذر
والنذر هما مصدران من عذر إذا محى الإساءة ومن أنذر إذا
خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز أن يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير
بمعنى الإنذار أو بمعنى العاذر والمنذر وأما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على

فالناشرات نشرا

الوجهين الأولين أو على المفعول له وأما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين
أو منذرين وقرئا مخففين ومثقلين إنما توعدون لواقع أي إن الذي توعدونه
من مجيء يوم القيمة لكائن نازل لا ريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم أن المعنى
ورب المرسلات فإذا النجوم طمست محيت ومحقت وقيل ذهبت بنورها و
ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز أن يمحق نورها ثم ينتثر ممحوق
النور وإذا السماء فرجت فتحت وكانت أبوابا قال الفارجي باب الأمير المبهم وإذا
الجبال نسفت كالحب إذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال
كثيبا مهيلا وقيل أخذت بسرعة من أماكنها من انتسفت الشيء إذا اختطفته و
طمست ونسفت وفرجت مشددة وإذا الرسل أقتت عين لها وقتها بالتشديد
والتخفيف فيهما جميعا والأصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذي يحضرون
فيه للشهادة على أممهم والتأجيل من الأجل كالتوقيت من الوقت لأي يوم أجلت
تعظيم لليوم وتعجيب من هوله ليوم الفصل بيان ليوم التأجيل وما أدريك
ما يوم الفصل وهو اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق والوجه أن يكون معنى وقتت
بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيمة وأجلت أخرت
كيف وقع النكرة مبتدأ في قوله ويل يومئذ للمكذبين هو في أصله
مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به إلى الرفع للدلالة على معنى ثبات
الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكن لم يقرأ
به يقال ويلا له وويلا كيلا ألم نهلك الأولين وقرئ نهلك بفتح النون من
هلكه بمعنى أهلكه قال العجاج ومهمه هالك من تعرجا ثم نتبعهم الآخرين بالرفع
على الاستيناف وهو وعيد لأهل مكة يريد ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل ما فعلنا
بالأولين ونسلك بهم سبيلهم لأنهم كذبوا مثل تكذيبهم ويقويه قراءة ابن مسعود
ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه أنه أهلك الأولين من
قوم نوح وعاد وثمود ثم أتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى كذلك
نفعل بالمجرمين بكل من أجرم إنذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء أثره إلى
قدر معلوم إلى مقدار من الوقت معلوم قد علم الله تعالى وحكم به وهو تسعة

ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين

الاشهر او ما دونها او ما فوقها فقدرنا ذلك تقديرا فنعم القادرون

او فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول اولى لقراءة من قرا

بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره ويل يومئذ للمكذبين ألم

نجعل الارض كفاتا الكفات من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه وهو اسم ما

يكفت كقولك الضمام والجماع لما يضم ويجمع ويقال هذا الباب جماع الابواب

احياء وامواتا كانه قيل كافتة احياء واموات او بفعل مضمر يدل عليه وهو

والمعنى تكفت احياء على ظهرها وامواتا في بطنها وقد استدل بعض اصحاب

الشافعي على قطع النباش بان الله جعل الارض كفاتا للاموات فكان بطنها حرزا

لهم للناس ... لم قيل احياء وامواتا على التنكير وهي كفات

الاموات جميعا هو تنكير التفخيم كانه قيل تكفت احياء لا يعدون وامواتا

على ان احياء الجن والانس وامواتهم ليسوا بجميع الاحياء والاموات ويجوز ان يكون

نكفتكم احياء وامواتا فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم انه كفات الانس

فالتنكير في رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتا

يحتمل افادة التبعيض لان في السماء جبالا قال الله تعالى من جبال فيها من برد

وفيها ماء فرات ايضا بل هي معدنه ومصبه وان يكون للتفخيم اي يقال لهم

انطلقوا الى ما كنتم به من العذاب تكذبون انطلقوا الثاني تكرير وقرئ انطلقوا

على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لانهم مضطرون اليه

لا يستطيعون امتناعا منه الى ظل يعني دخان جهنم كقوله وظل من يحموم ذي

ثلاث شعب يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب

وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث

شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش لا ظليل تهكم بهم

وتعريض بان ظلهم غير ظل المؤمنين ولا يغني في محل الجر اي وغير مغن عنهم من حر

اللهب شيئا انها ترمي بشرر وقرئ بشرار كالقصر من القصور في عظمها وقيل هو

الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر في جمع قصرة كحاجة

وحوج كانه جمالات جمع جمال او جمالة جمع جمل شبهت بالقصر ثم بالجمال

لبيان التشبيه الا تراهم يشبهون الابل بالافدان والمجادل وقرئ جمالات

بالضم وهي قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة

بمعنى جمال وجمالة وهي القلس وقيل صفر لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب الى

الصفرة وفي شعر عمران بن حطان الخارجي يصف نار جهنم وعنهم اياها على صوتها

مثل الجمال الصفر نزاعة الشوى وقال ابو العلاء حمراء ساطعة الذوائب في الدجى

ترمي بكل شرارة كطراف فشبهها بالطراف وهو بيت الادم في العظم والحمرة وكانه

قصد بخبثه ان يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء

في صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها

ولقد عمي جمع الله له عمى الدارين عن قوله تعالى كانه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله

كبيت احمر وعلى ان في التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم

ومن جهة الطول وفي الصفرة فابعد الله اغراقه في طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه ويل يومئذ

للمكذبين هذا يوم لا ينطقون قرئ بنصب اليوم ونصبه الاعمش اي هذا الذي

قص عليكم واقع يومئذ ويوم القيامة يوم طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون في

وقت ولا ينطقون في وقت ولذلك ورد الامران او جعل نطقهم كلا نطق لانه

لا ينفع ولا يسمع ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على يؤذن منخرط في سلك

النفي والمعنى ولا يكون اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا

عن الاذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم

الفصل جمعناكم والاولين كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لانه اذا

كان يوم الفصل بين السعداء والاشقياء وبين الانبياء واممهم فلا بد من جمع الاولين

والآخرين حتى يقع الفصل بينهم فان كان لكم كيد فكيدون

تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة

ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما

يشتهون كلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو

ظلال اي هم مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك هنيئا بما كنتم تعملون

إنا كذلك نجزي المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا حال من المكذبين اي الويل ثابت لهم في حال ما يقال لهم ذلك في الآخرة ايذانا بانهم كانوا في الدنيا احقاء بان يقال لهم وكانوا من اهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفي طريقته قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا وبلى والله قد بعدوا يريد كنتم احقاء في حياتكم بان يدعى لكم بذلك إنكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين تعليل ذلك بالاجرام دلالة على ان كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع اياما قلائل ثم البقاء في الهلاك ابدا ويجوز ان يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستأنفا خطابا للمكذبين في الدنيا وإذا قيل لهم اركعوا اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب اشد من الركوع والسجود وقيل نزلت في ثقيف حين امرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالصلوة فقالوا لا نحني ظهورنا فانها مسبة علينا فقال لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود ويل يومئذ للمكذبين فبأي حديث بعده بعد القرآن يعني ان القرآن من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فبأي كتاب بعده يؤمنون وقرئ تؤمنون بالتاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وبارك وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له انه ليس من المشركين

بسم الله الرحمن الرحيم عم اصله عما على انه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو في قراءة عكرمة وعيسى بن عمر وقال حسان على ما قام يشتمني لئيم كخنزير تمرغ في رماد والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل [illegible] ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشان كانه قال عن اي شيء يتساءلون ونحوه

ما في قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كانه شيء خفي عليك جنسه فانت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد اي شيء من الاشياء هو. هذا اصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع في كلام من لا يخفى عليه خافية يتساءلون يسأل بعضهم بعضا او يتساءلون غيرهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء عن النبإ العظيم بيان للشان المفخم وعن ابن كثير انه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو اما ان يجري الوصل مجرى الوقف واما ان يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبإ العظيم على ان يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره كشيء يبهم ثم يفسر قد زعمت ان الضمير في يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله الذي هم فيه مختلفون كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا يسألون عنه اما المسلم فليزداد خشية واستعدادا واما الكافر فليزداد استهزاء وقيل المتساءل عنه القرآن وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ يساءلون بالادغام وستعلمون بالتاء كلا ردع للمتسائلين هزؤا وسيعلمون وعيد لهم بانهم سوف يعلمون ان ما يتساءلون عنه ويتضاحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه ثم كلا سيعلمون تكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك ومعنى ثم الاشعار بان الوعيد الثاني ابلغ من الاول واشد كيف اتصل به قوله ألم نجعل الأرض مهادا لما انكروا البعث قيل لهم الم يخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات او قيل لهم الم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد الى انه عابث في كل ما فعل مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها لهم كالمهد للصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير او وصفت بالمصدر او بمعنى ذات مهد اي ارسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد وجعلنا نومكم

سباتا موتا وجعلنا الليل لباسا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه
مقطوع عن الحركة والنوم احد التوفيين وهو على الاداء ولما جعل النوم موتا جعل
اليقظة معاشا اي حياة في قوله وجعلنا النهار معاشا اي معاشا تستيقظون
فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم وقيل الراحة لباسا يستركم عن العيون
اذا اردتم هربا من عدو او بياتا لهم او اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور
وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر ان المانوية تكذب وبنينا فوقكم
سبعا سبع سموات شدادا جمع شديد يعني محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها
مر الازمان وجعلنا سراجا وهاجا متلألئا وقادا يعني الشمس والتوهج
النار اذا تلمظت فتوهجت بضوئها وحرها وانزلنا من المعصرات السحاب اذا
اعصرت اي شارفت ان يعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا حان له
ان يجز ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض وقرأ عكرمة بالمعصرات وفيه
وجهان احدهما ان يراد الرياح التي حان لها ان تعصر السحاب لانه اذا كان الانزال
منها فهو بها كما تقول اعطى من يده واعطى بيده وعن مجاهد المعصرات
الرياح ذوات الاعاصير وعن الحسن وقتادة هي السماوات وتاويله ان الماء
ينزل من السماء الى السحاب فكان السموات يعصرن اي يحملن على العصر ويمكن منه
فما وجه من قرأ من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير و
المطر لا ينزل من الرياح — الرياح هي التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصح
ان تجعل مبدأ للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى
السحاب فان صح ذلك فالانزال الظاهر — ذكر ابن كيسان انه جعل المعصرات بمعنى
المغيثات وهو العاصر هو المغيث يقال عصره فاعتصر — وجهه ان يريد اللاتي
اعصرن اي كان لهن ان يعصرن اي يغثن ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه
وفي الحديث افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي
وكان ابن عباس رضي الله عنهما مثجا يسيل غربا يعني يثج الكلام ثجا في خطبته وقرأ الاعرج
ثجاجا ومثاجج الماء مصابه والماء ينثج في الوادي لنخرج به حبا ونباتا يريد ما
يتقوت به من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف به من التبن والحشيش كما قال كلوا

وارعوا انعامكم والحب ذو العصف والريحان وجنات الفافا ملتفة ولا واحد
له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف فقال صاحب الاقليد انشدني الحسن
بن علي الطوسي جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض زهر وزعم ابن قتيبة انه
لفاء ولف ثم الفاف وما اظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر واخضار وحمر
واحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها ان
يوم الفصل كان ميقاتا كان في تقدير الله وحكمه حدا توقت به الدنيا
وتنتهي عنده او حدا للخلائق ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور بدل من يوم
الفصل او عطف بيان فتأتون افواجا من القبور الى الموقف امما كل امة مع
امامهم وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ رضي الله عنه انه سأل عنه رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم فقال يا معاذ سألت عن امر عظيم من الامور ثم ارسل عينيه
وقال يحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير
وبعضهم منكسون ارجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم
صما بكما وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم
يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على
جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من
قطران لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين
على صورة الخنازير فاهل السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربا و
اما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون باعمالهم واما الذين
يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم اعمالهم واما الذين
قطعت ايديهم وارجلهم فهم الذين يؤذون الجيران واما المصلبون على
جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما الذين هم اشد من الجيف فالذين
يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله في اموالهم واما الذين يلبسون
الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء وفتحت السماء فكانت ابوابا قرئ
بالتخفيف والتشديد والمعنى كثرت ابوابها المفتحة لنزول الملائكة كانها
ليست الا ابوابا مفتحة والتشديد كقوله وفجرنا الارض عيونا كان كلها عيون

ينفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك اي تكشط فتنفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها
شيء وسيرت الجبال فكانت سرابا كقوله فكانت هباء منبثا اي
انها تصير شيئا كلا شيء لتفرق اجزائها وانبثاث جواهرها ان جهنم كانت
مرصادا المرصاد الحد الذي فيه الرصد والمعنى ان جهنم هي حد الطاغين
الذين يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم او هي مرصاد لاهل الجنة يرصدهم
الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين
مآبا مآب للطاغين وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا لاهل الجنة
وقرأ ابن يعمر أن جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بان جهنم كانت مرصادا
للطاغين كانه قيل كان ذلك لاقامة الجزاء قرئ لابثين ولبثين واللبث
اقوى لان اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الا لمن شانه اللبث كالذي
يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منها فيها احقابا حقبا بعد حقب كلما مضى حقب تبعه
آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الا حيث يراد تتابع الازمنة
وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك الا ترى الى حقيبة الراكب والحقب الذي
وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز ان يراد لابثين فيها احقابا
غير ذائقين فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب
غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب وفيه وجه آخر وهو ان يكون
من حقب عامنا اذا قل خيره وحقب فلان اذا اخطاءه الرزق فهو حقب و
جمعه احقاب فينتصب حالا بمعنى لابثين فيها حقبين جحدين وقوله لا يذوقون
فيها بردا ولا شرابا تفسير له والاستثناء منقطع يعني لا يذوقون فيها بردا
وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا تسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها
حميما وغساقا وقيل البرد النوم وانشد فلو شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم
اطعم نقاخا ولا بردا وعن بعض العرب منع البرد البرد وقرئ غساقا بالتشديد
والتخفيف وهو ما يغسق اي يسيل من صديدهم جزاء وفاقا وصف بالمصدر
او ذا وفاق وقرأ ابو حيوة وفاقا فعال من وفقه انهم كانوا لا يرجون
حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا تكذيبا وفعال في باب فعل كله فاش في كلام فصحاء

من العرب لا يقولون غيره وسمعني بعضهم افسر آية فقال لقد فسرتها فسارا
ما سمع بمثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل فصدقتها وكذبتها و
المرء ينفعه كذابه وهو مثل قوله انبتكم من الارض نباتا فكذبوا كذابا او
تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته
وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة او كذبوا
بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة
او لانهم يتكلمون بما هو افراط في الكذب فعل من يغالب في امر فيبلغ فيه اقصى
جهده وقرئ كذابا وهو جمع كاذب اي كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب
بمعنى الواحد البليغ في الكذب فيقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل
صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وقرأ ابو السمال وكل شيء
احصيناه بالرفع على الابتداء كتابا مصدر في موضع احصاء او احصيناه
في موضع كتبنا لالتقاء الاحصاء والكتبة في معنى الضبط والتحصيل او يكون
حالا في معنى مكتوبا في اللوح وفي صحف الحفظة والمعنى احصينا معاصيهم كقوله احصاه
الله ونسوه وهو اعتراض وقوله فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم
بالحساب وتكذيبهم بالآيات وهي آية في غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته
على ان ترك الزيادة كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات
شاهدا على ان الغضب قد تبالغ وعن النبي عليه الصلوة والسلام هذه الآية اشد
ما في القرآن على اهل النار ان للمتقين مفازا فوزا وظفرا بالبغية او موضع فوز
وقيل نجاة مما فيه اولئك او موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده حدائق و
الحدائق البساتين فيها انواع الشجر المثمر واعنابا والاعناب الكروم وكواعب
والكواعب اللاتي فلكت ثديهن وهن النواهد اترابا والاتراب اللدات
وكاسا دهاقا والدهاق المترعة وادهق الحوض ملاه حتى قال قطني
وقرئ لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا بالتشديد والتخفيف اي لا يكذب
بعضهم بعضا ولا يكذبه او لا يكاذبه وعن علي رضي الله عنه انه قرأ بتخفيف
الاول جزاء من ربك مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا

كأنه قال جازى المتقين بمفاز و عطاءً نصب بجزاءً نصب المفعول به أي جزاهم عطاءً
وحساباً صفة بمعنى كافياً من أحسبه الشيء إذا كفاه حتى قال حسبي أو
على حسب أعمالهم وقرأ ابن قطيب حساباً بالتشديد على أن الحساب بمعنى المحسب
كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن وقرئ
رب السموات والرحمن بالرفع على وهو رب السموات الرحمن أي رب السموات
مبتدأ والرحمن صفة ولا يملكون خبره أو هما خبران وبالجر على البدل من
ربك وبجر الأول ورفع الثاني على أنه مبتدأ خبره أو هو الرحمن لا يملكون
والضمير في لا يملكون لأهل السموات والأرض منه خطاباً أي ليس في أيديهم مما
يخاطب به الله ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف
الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه أو لا يملكون أن يخاطبوه بشيء من نقص
العذاب أو زيادة في الثواب إلا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم ويوم يقوم
متعلق بلا يملكون أو بلا يتكلمون والمعنى أن الذين هم أفضل الخلائق وأشرفهم
وأكثرهم طاعة وأقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين
يديه فما ظنك بمن عداهم من أهل السموات والأرض الروح والملائكة صفاً
الروح أعظم خلقاً من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك
كريم عظيم ما خلق الله بعد العرش أعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون
وقيل جبرئيل لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً هما شرطان أن
يكون المتكلم منهم مأذوناً له في الكلام وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير
مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ذلك اليوم الحق الثابت
إنا أنذرناكم عذاباً قريباً يوم ينظر المرء هو الكافر لقوله إنا أنذرناكم
عذاباً قريباً والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم وينظر ما قدمت يداه
يحتمل من الشر كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم والله عليم
بالظالمين ويجوز أن يكون ما استفهامية منصوبة بقدمت أي ينظر أي شيء قدمت
يداه أو موصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت إليه والراجع من الصلة
محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن ويقول الكافر

الرحمن

يا ليتني كنت تراباً في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أو ليتني كنت تراباً
هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من
القرناء ثم يرده تراباً فيود الكافر حاله وقيل الكافر إبليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى
أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله يوم القيامة

تعالى برد الشراب

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقاً أقسم
بطوائف الملائكة التي تنزع الأرواح من الأجساد والناشطات نشطاً
وبالطوائف التي تنشطها أي تخرجها من نشط الدلو من البئر إذا أخرجها والسابحات سبحاً
فالسابقات سبقاً فالمدبرات أمراً وبالطوائف التي تسبح في مضيها أي تسرع
فتسبق إلى ما أمروا به فتدبر أمراً من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو
دنياهم كما رسم لهم غرقاً إغراقاً في النزع أي تنزعها من أقاصي الأجساد من
أناملها وأظفارها أو أقسم بخيل الغزاة التي تنزع في أعنتها نزعاً تغرق فيه
الأعنة لطول أعناقها لأنها عراب والتي تخرج من دار الإسلام إلى دار
الحرب من قولك ثور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق
إلى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر وإسناد التدبير إليها لأنها من أسبابه
أو أقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق إلى المغرب وإغراقها في النزع أن تقطع الفلك
كله حتى تنحط في أقصى الغرب والتي تخرج من برج إلى برج والتي تسبح في
الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمراً من علم الحساب وقيل النازعات أيدي
الغزاة أو أنفسهم تنزع في القسي بإغراق السهام والتي تنشط الأوهاق
والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة ويوم
ترجف منصوب به والمضمر والراجفة الواقعة التي ترجف عندها الأرض
والجبال وهي النفخة الأولى وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها الرادفة أي

الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال من قوله تعالى يوم ترجف وهي
النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها تتبعها الرادفة اي الواقعة التي
ترجف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز ان يكون الرادفة من عسى ان يكون
ردف لكم من قوله تعالى عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي القيمة
التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة
الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب
لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك ما محل تتبعها الحال اي ترجف
تابعتها الرادفة كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا
يبعثون عند النفخة الاولى المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان
وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو النفخة الاخرى ودل على ذلك
ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة ويجوز ان ينتصب بما دل عليه قلوب
يومئذ واجفة اي الواقعة التي ترجف الاولى وهي النفخة الثانية فيجوز ان
يكون يوم ترجف وجفت القلوب واجفة شديدة الاضطراب والوجيب و
الوجيف اخوان ابصارها خاشعة ذليلة كيف جاز الابتداء بالنكرة
قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وابصارها خاشعة خبرها
فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك كيف صح اضافة الابصار
الى القلوب معناه ابصار اصحابها بدليل قوله يقولون ائنا لمردودون
في الحافرة في الحالة يعنون الحيوة بعد الموت ما حقيقة هذه الكلمة
يقال فلان رجع في حافرته اي في طريقته التي جاء فيها فحفرها اي اثر
فيها بمشيه فيها جعل اثر قدميه حفرا كما قيل حفرت اسنانه حفرا اذا اثر
الاكال في اسناخها والخط المحفور في الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية
اي منسوبة الى الحفر والرضاء وكقولك نهارك صايم ثم قيل لمن كان في امر
فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته اي طريقته وحالته الاولى قال
احافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار يريد رجوعا الى حافرة وقيل
النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهي الصفقة وقرا ابو حيوة في الحفرة

والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت اسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة وهذه القراءة
دليل على ان الحافرة في اصل الكلمة بمعنى المحفورة ائذا كنا عظاما نخرة يقال
نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل ابلغ من فاعل وقد قرئ
بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير واذا منصوب
بمحذوف تقديره ائذا كنا عظاما نرد ونبعث قالوا تلك اذا كرة خاسرة
منسوبة الى الخسران او خاسر اصحابها والمعنى انها ان صحت فنحن اذا
خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم بم تعلق قوله فانما هي زجرة
واحدة بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا
تلك الكرة صعبة على الله تعالى فانما هي سهلة هينة في قدرته ما هي الا صيحة واحدة
يريد النفخة الثانية فاذا هم بالساهرة احياء على وجه الارض بعدما كانوا امواتا
في جوفها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة قال الاشعث بن قيس
وساهرة يضحي السراب مجللا لاقطارها قد جبتها متلثما او لان سالكها لا ينام خوف
الهلكة وعن قتادة فاذا هم في جهنم هل اتيك حديث موسى اذ ناديه
ربه بالواد المقدس طوى اذهب على ارادة القول وفي قراءة عبد الله ان اذهب
لان في النداء معنى القول الى فرعون انه طغى فقل هل لك هل لك في كذا وهل
لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه الى ان تزكى الى ان تتطهر
من الشرك وقرا اهل المدينة تزكى بالادغام واهديك الى ربك وارشدك
الى معرفة الله بذكر صفاته فتعرفه فتخشى لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله
انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامر
من خشي الله اتى منه كل خير ومن امن اجترا على كل شر ومنه قوله عليه الصلوة
والسلم من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل بدا مخاطبته بالاستفهام الذي معناه
العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك ان تنزل بنا واردفه الكلام الرقيق ليستدعيه
بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما امر بذلك في قوله فقولا له
قولا لينا فاريه الاية الكبرى قلب العصا حية لانها كانت المقدمة والاصل
والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له ادخل يدك في جيبك او اراد

من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها

جميعاً الا انهما جعلتا واحدة لان الثانية كانها من جملة الاولى لكونها تابعة
لها فكذب بموسى والآية الكبرى وسماها ساحراً وسحراً وعصى الله تعالى بعد
ما علم صحة الامر وان الطاعة قد وجبت عليه ثم ادبر يسعى اي لما راى الثعبان
ادبر مرعوباً يسرع في مشيته قال الحسن كان رجلاً طياشاً خفيفاً او تولى
عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته او اريد ثم اقبل يسعى كما يقول اقبل فلان
يفعل كذا بمعنى انشأ يفعل فوضع ادبر موضع اقبل لئلا يوصف بالاقبال فحشر
فجمع السحرة كقوله فارسل فرعون في المدائن حاشرين فنادى في المقام الذي
اجتمعوا فيه معه او امر منادياً فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيباً
فقال تلك الكلمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري
والآخرة فقال انا ربكم الاعلى فهو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه
قيل نكل الله به فاخذه الله نكال الآخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل
كالسلام بمعنى التسليم يعني الاغراق في الدنيا والاحراق في الآخرة وعن ابن عباس
نكال كلمتيه الآخرة وهي انا ربكم الاعلى والاولى وهي قوله ما علمت لكم من
اله غيري وقيل كان بين الكلمتين اربعون سنة وقيل عشرون ان في ذلك لعبرة
لمن يخشى الخطاب لمنكري البعث يعني اانتم اصعب خلقاً وانشاء ام السماء ثم بين
كيف خلقها فقال بناها ثم بين البناء فقال رفع سمكها اي جعل مقدار ذهابها
في سمت العلو مديداً رفيعاً مسيرة خمسمائة عام فسواها فعدلها مستوية
بلا تفاوت ولا فطور او فتممها بما علم انها تتم به واصلحها من
قولك سوى فلان امر فلان واغطش ليلها يقال غطش الليل واغطشه الله كقولك
ظلم واظلمه ويقال ايضاً اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحاها وابرز
ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى والشمس وضحاها يريد وضوءها وفي قولهم
وقت الضحى للوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها واضيف الليل
والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس هي السراج المثقب في جوها
والارض بعد ذلك دحاها اخرج منها ماءها بان فجر منها عيونها المنفجرة بالماء و
مرعاها ورعيها وهو في الاصل موضع الرعي ونصب الارض والجبال باضمار

اانتم اشد خلقاً

والجبال ارساها

دحى وارسى وهو الاضمار على شريطة التفسير وقرأهما الحسن مرفوعين
على الابتداء فان قلت هلا ادخل حرف العطف على اخرج قلت فيه وجهان
احدهما ان يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد
بما لا بد منه في تأتي سكناها من تسوية امر المأكل والمشرب وامكان
القرار عليها والسكون باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها اوتاداً
لها حتى تستقر ويستقر عليها والثاني ان يكون اخرج حالاً باضمار قد كقوله
او جاؤكم حصرت صدورهم واراد بمرعاها ما يأكل الناس والانعام واستعير
الرعي للانسان كما استعير الرتع في قوله نرتع ونلعب من الرعي ولهذا قيل دل
الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض
حتى الملح لانه من الماء متاعاً لكم فعل ذلك تمتيعاً لكم ولانعامكم
لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى انعامهم الطامة الكبرى
الداهية التي تطم على الدواهي اي تعلو وتغلب وفي امثالهم جرى الوادي
فطم على القرى وهي القيامة لطمومها على كل هائلة وقيل هي النفخة الثانية وقيل
الساعة التي يساق فيها اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار يوم يتذكر
الانسان بدل من اذا جاءت يعني اذا رأى اعماله مدونة في كتابه تذكرها وكان
قد نسيها كقوله احصاه الله ونسوه وما في ما سعى موصولة او مصدرية و
برزت الجحيم واظهرت وقرأ ابو نهيك وبرزت لمن يرى للرائين جميعاً
اي لكل احد يعني انها تظهر اظهاراً بيناً مكشوفاً فيراها اهل الساهرة كلهم كقولهم
قد بين الصبح لذي عينين يريدون لكل من له بصر وهو مثل في الامر المنكشف
الذي لا يخفى على احد لمن يرى وقرأ ابن مسعود لمن رأى وقرأ عكرمة لمن
ترى والضمير للجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد فاما
جواب فاذا اي فاذا جاءت الطامة الكبرى فان الامر كذلك فاما من طغى
وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى والمعنى فان الجحيم مأواه كما يقول للرجل
غض الطرف يريد طرفك وليس الالف واللام بدلاً من الاضافة ولكن لما علم
ان الطاغي هو صاحب المأوى وانه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول

فاذا جاءت

حرف التعريف في المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان وهي فصل او مبتدا **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ** الامارة بالسوء **عَنِ الْهَوَى** المردي وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطن على ايثار الخير **فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى** وقيل الآيتان نزلتا في ابي عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص في جوفه **يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا** متى ارساؤها اي اقامتها اراد ومتى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها ومستقرها كما ان مرسى السفينة مستقرها حتى تنتهي اليه **فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا** في اي شيء انت من ان تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعني ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء وعن عائشة رضي الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كأنه قيل في اي شغل واهتمام انت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى انهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال **إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا** اي منتهى علمها لم يؤت الله علمها احدا من خلقه وقيل **فِيمَ** انكار لسؤالهم اي فيم هذا السؤال ثم قيل انت من ذكراها اي ارسالك وانت خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث في نسم الساعة ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم لك عنها **إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا** اي لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة فائدة لهم وانما بعثت لتنذر من اهوالها من يكون انذارك لطفا له في الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا اريد الماضي فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد امس اي كانهم لم يلبثوا في الدنيا وقيل في القبور **إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**

كيف صحت اضافة الضحى الى العشية — لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما في نهار واحد — هلا قيل الا عشية او ضحى وما فائدة الاضافة

الدلالة على ان مدة لبثهم كانها لم تبلغ مدة يوم كامل ولكن ساعة منه عشية

حتي نزلت

كانهم يوم يرونها لم يلبثوا

او ضحيها فلما ترك اليوم اضافة الى عشيته وهو كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيمة حتى يدخل الجنة قدر صلوة مكتوبة

بسم الله الرحمن الرحيم عَبَسَ وَتَوَلَّى

اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن ام مكتوم وام مكتوم ام ابيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال انس رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبّس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح في كلح **أَنْ جَاءَهُ** منصوب بتولى او بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه **الْأَعْمَى** واعرض لذلك وقرئ أَأَن جاءه بهمزتين وبالف بينهما وقف على عبس وتولى ثم ابتدأ على معنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك انكارا عليه وروي انه ما عبس بعدها في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وفي الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجاني اذا حمي في الشكاية مواجها بالتوبيخ والزام الحجة وفي ذكر الاعمى نحو من ذلك كانه يقول قد استحق عنده العبوس والاعراض لانه اعمى وكان يجب ان يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب الناس في هذا بادب الله تعالى ادبا حسنا فقد روي عن

سفيان الثوري ان الفقراء كانوا في مجلسه امراء وما يدريك واي شيء
يجعلك داريا بحال هذا الاعمى لعله يزكى يتطهر بما يتلقن من الشرايع من بعض
اوضار الاثم او يذكر او يتعظ فتنفعه الذكرى ذكراك اي
موعظتك ويكون له لطفا في بعض الطاعات والمعنى انك لا تدري ما هو مترقب
منه من تزك او تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير في لعله
للكافر يعني انك طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الى قبول
الحق وما يدريك ان ما طمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على تذكر
وبالنصب جوابا للعل كقوله فاطلع الى اله موسى يتعرض بالاقبال عليه والمصا
المعارضة وقرئ تصدى بالتشديد بادغام التاء في الصاد وقرأ ابو جعفر
تصدى بالمعلوم بضم التاء اي يعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدي له من
الحرص والتهالك على اسلامه وليس عليك في ان يتزكى بالاسلام ان عليك
الا البلاغ يسعى يسرع في طلب الخير وهو يخشى الله او يخشى الكفار واذاهم
في اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة تلهى تتشاغل من لهى عنه
والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ ابو جعفر تلهى اي يلهيك
شان الصناديد فانت له تصدى قوله وانت تلهى كان فيه اختصاصا
نم ومعناه انكار التصدي والتلهي عليه اي مثلك خصوصا لا ينبغي ان يتصدى
للغني ويتلهى عن الفقير كلا ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله انها
تذكرة اي موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها فمن شاء ذكره اي كان
حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ في صحف
صفة لتذكرة يعني انها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح مكرمة عند الله
مرفوعة في السماء او مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن ايدي الشياطين لا
يمسها الا ايدي الملائكة مطهرين بايدي سفرة ينتسخون الكتب من اللوح كرام بررة
اتقياء وقيل هي صحف الانبياء كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى وقيل السفرة
القراء وقيل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قتل الانسان دعاء عليه
وهي من اشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدايد الدنيا وفظايعها و ما

تصدّى

ما اكفره تعجب من افراطه في كفران نعمة الله تعالى ولا ترى اسلوبا اغلظ
منه ولا اخشن مسا ولا ادل على سخط ولا ابعد شوطا في المذمة مع اجمع للائمة
على متنه ثم اخذ في وصف حاله من ابتداء حدوثه الى ان انتهى وما هو
مغمور فيه من اصول النعم وفروعها وما هو غارز فيه راسه من الكفران
والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب عليه من القيام بالشكر
من اي شيء خلقه من اي شيء حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشيء بقوله
من نطفة خلقه فقدره فهيأه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل
شيء فقدره تقديرا نصب السبيل باضمار يسره وفسره بيسره والمعنى
كل سهل سبيله وهو مخرجه من بطن امه او السبيل الذي يختار سلوكه من
طريقي الخير والشر باقداره وتمكينه كقوله انا هديناه السبيل وعن ابن عباس
بين له سبيل الخير والشر ثم اماته فاقبره اي جعله ذا قبر يواري فيه جيفته
له ولم يجعله مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان
يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره الميت اذا امره ان يقبره ومكن فيه ومنه
قول من قال للحجاج اقبرنا صالحا ثم اذا شاء انشره انشاه النشاة الاخرى
وقرئ نشره كلا ردع للانسان عما هو عليه لما يقض لم يقض بعد مع تطاول
الزمان وامتداده من لدن آدم الى هذه الغاية ما امره الله حتى يخرج
عن جميع اوامره يعني ان انسانا لم يخل من تقصير قط ولما عدد النعم في نفسه
اتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال فلينظر الانسان الى طعامه الى مطعمه
الذي يعيش به كيف دبرنا امره انا صببنا الماء صبا يعني الغيث وقرئ بالكسر
على الاستيناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ الحسين بن علي رضي الله عنهما
اني صببنا بالامالة على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الماء ثم شققنا
الارض شقا من شق الارض بالنبات ويجوز ان يكون من شقها بالكراب على
البقر فاسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب فانبتنا فيها حبا
وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا الحب كل ما حصد من الحنطة والشعير وغيرهما
والقضب الرطبة والمقضاب ارضه سمي بمصدر قضبه اذا قطعه لانه يقضب

ة بعد مرة **وحدائق غلبا** يحتمل ان يجعل كل حديقة غلبا فيريد تكاثفها و
كثرة اشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وان يجعل شجرها غلبا اي
غلاظا عظاما والاصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معديكرب
يمشي بها غلب الرقاب كانهم بزل كسين من الكحيل جلالا **وفاكهة وابا** والاب
هو المرعى لانه يؤب اي يؤم وينتجع والاب والام اخوان قال جذمنا قيس ونجد
دارنا ولنا الاب به والمكرع وعن ابي بكر رضي الله عنه انه سئل عن الاب فقال اي سماء
تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به وعن عمر رضي الله عنه انه
قرا هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده
وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر ان لا تدري ما الاب
ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه
فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته لم يذهب
الى ذلك ولكن القوم كانت اكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء
من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فاراد ان الآية مسوقة في الامتنان على الانسان
بمطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية ان الاب بعض ما انبته الله للانسان
متاعا له او لانعامه فعليك بما هو اهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين
لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات
الخاص الذي هو اسم له واكتف بالمعرفة الجملية الى ان يتبين لك في غير
هذا الوقت ثم وصى الناس بان يجروا على هذا السنن فيما اشبه ذلك من
مشكلات القرآن **فاذا جاءت الصاخة** يقال صخ لحديثه مثل اصاخ له فوصفت
النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها **يوم يفر المرء** منهم لاشتغاله
بما هو مدفوع اليه ولعلمه انهم لا يغنون عنه شيئا وبدا بالاخ ثم بالابوين لانهما
اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم اقرب واحب كانه قيل يفر من اخيه بل
من ابويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول
الاخ لم يواسني بمالك والابوان قصرت في برنا والصاحبة اطعمتني الحرام وفعلت
وصنعت والبنون لم ترشدنا وقيل اول من يفر من اخيه هابيل ومن ابويه ابرهيم

متاعا لكم ولانعامكم

من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه

لم يعلمنا و

ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح عليهم السلام **لكل امرئ منهم**
يومئذ شأن يغنيه يكفيه من الاهتمام وقرئ يعنيه اي يهمه **وجوه**
يومئذ مسفرة مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس
من قيام الليل لما روي في الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه
بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله
ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة غبار **ترهقها**
يعلوها **قترة** سواد كالدخان ولا ترى اوحش من اجتماع الغبرة
والسواد في الوجه كما ترى في وجوه الزنوج اذا اغبرت **اولئك**
هم الكفرة الفجرة وكان الله تعالى يجمع الى سواد وجوههم الغبرة كما
جمعوا الفجور الى الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرا
سورة عبس وتولى جاء يوم القيمة ووجهه ضاحك مستبشر

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت
في التكوير وجهان ان يكون من كورت العمامة اذا لففتها اي يلف ضوؤها
لفا فيذهب انبساطه وانتشاره وهو عبارة عن ازالتها والذهاب بها لانها
ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف او يكون لفها عبارة
عن رفعها وسترها لان الثوب اذا اريد رفعه لف وطوي ونحوه قوله يوم
نطوي وان يكون من طعنه فكوره اذا القاه اي تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم
بالانكدار ارتفاع الشمس على الابتداء او على الفاعلية
بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل
لما فيه من معنى الشرط **واذا النجوم انكدرت** انقضت قال
ابصر خربان فضاء فانكدر ويروى في الشمس والنجوم انها تطرح في جهنم ليراها
من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم

وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ اي عن وجه الارض وابعدت او سيرت في الجو تسيير
السحاب كقوله تعالى وهي تمر مر السحاب **وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ** العشار
جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء وهي التي اتى على حملها عشرة اشهر الى
ان تضع لتمام السنة وهي انفس ما يكون عند اهلها واعزها عليهم **عُطِّلَتْ**
مسيبة مهملة وقيل عطلها اهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بانفسهم وقرئ
عطلت بالتخفيف **وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ** جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر
كل شي حتى الذباب للقصاص واذا قضي بينها ردت ترابا ولا يبقى الا ما فيه
سرور لبني آدم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما حشرها
موتها يقال اذا اجحفت السنة بالناس واموالهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت
بالتشديد **وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ** قرئ بالتخفيف والتشديد من سجر التنور اذا
ملاه بالحطب اي فجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا
بالاحجار وقيل بكتبها واعمالها وعن الحسن يذهب ماؤها فلا يبقى فيها قطرة
وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الارواح بالاجساد
وقيل بكتبها واعمالها وعن الحسن هو كقوله تعالى وكنتم ازواجا ثلثة وقيل نفس
الكافرين بالشياطين **وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ** وآد مقلوب من آد يؤد
اذا اثقل قال الله تعالى ولا يؤده حفظهما لانه اثقال بالتراب كان الرجل
اذا ولدت له بنت فاراد ان يستحييها البسها جبة من صوف او شعر ترعى له
الابل والغنم في البادية وان اراد قتلها تركها حتى اذا بلغت سداسية فيقول
لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر لها بيرا في الصحراء فيبلغ بها
البير فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي
البير بالارض وقيل كانت الحامل اذا اقربت حفرت حفرة وتمخضت على راس الحفرة
فاذا ولدت بنتا رمت في الحفرة واذا ولدت ابنا حبسته
ما حملهم على
واد البنات الخوف من لحوق العار بهم من اجلهن او الخوف من الاملاق
كما قال تعالى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملئكة
بنات الله فالحقوا به فانه احق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الوأد

بأيِّ ذنبٍ قُتلت

افتخر الفرزدق ومنا الذي منع الوائدات فاحيى الوئيد ولم يؤد
فما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذي قتلت وهلا سئل الوائد عن موجب قتلها
سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى عليه السلام
أأنت قلت للناس الى قوله سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق
وقرئ سألت اي خاصمت عن نفسها وسالت الله تعالى او قاتلها وانما قيل
قتلت بناء على ان الكلام اخبار عنها ولو حكي ما خوطبت به حين سئلت لقيل
قتلت او كلامها حين سئلت لقيل قتلت وقرا ابن عباس رضي الله عنهما قتلت على الحكاية
وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على ان اطفال المشركين لا يعذبون
وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بالذنب واذا بكت الله الكافر ببراءة الموؤدة
من الذنب فما اقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرة ان يكر عليها بعد هذا
التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد وعن
ابن عباس رضي الله عنهما انه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية **وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ**
قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند
موته ثم تنشر اذا حوسب عن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك
ثم تنشر يوم القيمة فلينظر رجل ما يملي في صحيفته وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا
قراها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه
قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت ام سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس
يا ام سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل
ويجوز ان يراد نشرت بين اصحابها اي فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة اذا
كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده
في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم اي مكتوب
فيها ذلك وهي صحف غير صحف الاعمال **وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ** كشفت و
ازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء وقرا ابن مسعود
قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور
وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ اوقدت ايقادا شديدا وقرئ بالتشديد للمبالغة فيه

سعرها غضب الله تعالى وحطايا بني آدم وإذا الجنة أزلفت ادنيت للمتقين
كقوله وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها
في الدنيا وست في الآخرة وعلمت نفس هو عامل النصب في اذا الشمس كورت
وفيما عطف عليه   كل نفس تعلم ما احضرت كقوله يوم تجد كل
نفس ما عملت من خير محضرا لا نفس فما قوله علمت نفس   هو من عكس كلامهم
الذي يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله تعالى ربما يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وابلغ منه ومنه قول القائل
قد اترك القرن مصفرا انامله ويقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان
فيقول رب فارس عندي او لا تعدم عندي فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك
التمادي في تكثير فرسانه ولكنه اراد اظهار براءته من التزيد وانه ممن يقلل
كثير ما عنده فضلا ان يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة
واليقين وعن ابن مسعود رض ان قارئا قراها عنده فلما بلغ علمت نفس ما احضرت
قال وانقطاع ظهراه فلا اقسم بالخنس الرواجع بينا ترى النجم في اخر البرج
اذ كر راجعا الى اوله والجوار السيارة والكنس الغيب من كنس الوحش
اذا دخل كناسه قيل هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة
والمشتري تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها
رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هي جميع الكواكب
تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اي تطلع في اماكنها كالوحش في كنسها
والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس عسعس الليل وسعسع اذا ادبر قال العجاج
حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل عسعس اذا اقبل ظلامه
ما معنى تنفس الصبح   اذا اقبل الصبح اقبل باقباله روح ونسيم
فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح انه الضمير للقرآن لقول رسول
كريم هو جبرئيل عليه السلم ذي قوة كقوله شديد القوى ذي مرة لما كانت
حال المكانة على حسب حال الممكن قال عند ذي العرش مكين ليدل على عظم منزلته
ومكانته مطاع ثم امين ثم اشارة الى الظرف المذكور اعني عند ذي العرش

على انه عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عنه ويرجعون الى رايه
وقوي ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها افضل صفاته المعدودة وما صاحبكم
بمجنون يعني محمدا صلى الله عليه وآله وسلم مجنون كما بهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا
على جلالة مكان جبرئيل عليه السلم وفضله على الملائكة ومباينة لمنزلة افضل
الانس محمد صلى الله عليه وآله وسلم اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست
بين قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين
وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه ولقد راى رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم جبرئيل عليه السلم بالافق المبين بمطلع الشمس الاعلى وما هو
وما محمد صلى الله عليه وآله وسلم على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبرئيل والوحي
اليه وغير ذلك بضنين بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرئ بضنين من الضنة
وهو البخل اي لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغه او يسال تعليمه فلا يعلمه
هو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف ابي بالضاد وكان رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم يقرا بهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما
مما لا بد منه فان اكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما
بون بعيد فان مخرج الضاد من اصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين
اللسان او يساره وكان عمر رض اضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من
جانبي لسانه وهي احدى الاحرف الشجرية اخت الجيم والشين واما الظاء فمخرجها
من طرف اللسان واصول الثنايا العليا وهي احد الاحرف الذولقية اخت الذال
والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف
بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب
فان وضع المصلي احد الحرفين مكان صاحبه   هو كواضع الدال مكان
الجيم والثاء مكان الشين لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين اخواتها
وما هو وما القرآن بقول شيطان رجيم اي بقول بعض المسترقة للسمع و
بوحيهم الى اوليائهم من الكهنة فاين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين
استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا او ذهابا في بنيات الطريق

يقراه

بهما

اين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل لمن
شاء منكم ان يستقيم بدل من العالمين وانما ابدلوا منهم لان الذين
شاؤا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكانه لم يوعظ
به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا وما تشاؤن الاستقامة يا من يشاؤ
الا ان يشاء الله رب العالمين الا بتوفيق الله ولطفه او وما تشاؤنها انتم
يا من لا يشاؤها الا بقسر الله والجائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من قرا سورة اذا الشمس كورت اعاذه الله ان يفضحه حين تنشر صحيفته

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت
انشقت (واذا الكواكب انتثرت واذا البحار) فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالمالح وزال البرزخ
الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا روي ان الارض تنشف الماء بعد
امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف
وقرا مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف والمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا
الى قوله لا يبغيان لان البغي والفجور اخوان واذا القبور بعثرت علمت
نفس ما قدمت واخرت بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث و
البحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى بحثت واخرجت موتاها وقيل
لبراءة المبعثرة لانها بعثرت اسرار المنافقين ما معنى قوله يا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم وكيف طابق الوصف بالكريم انكار
الاغترار به وانما يغتر بالكريم كما يروى عن علي رضي الله عنه انه صاح بغلام
له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال لم لم تجبني فقال لثقتي بحلمك و
امني من عقوبتك فاستحسن جوابه فاعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء
ادب غلمانه معناه ان حق الانسان ان لا يغتر بتكرم الله عليه حيث
خلقه حيا لينفعه وبتفضل عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصى و

كفر النعمة المتفضل بها ان يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول
فانه منكر خارج عن حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما تلاها
غره جهله وقال عمر رضي الله عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث اي
زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به
اولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان اقامك الله
يوم القيمة وقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول قال غرتني ستورك المرخاة وهذا
على سبيل الاعتراف بالخطاء في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع
ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن ائمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر
صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرا سعيد بن جبير ما اغرك
اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بينهم
العدو وهم غارون واغره غيره اذا جعله غارا الذي خلقك فسويك فجعلك
سالم الاعضاء فعدلك فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم
تجعل احدى اليدين اطول ولا احدى العينين اوسع ولا بعض الاعضاء ابيض وبعضها
اسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه اشقر او جعلك معتدل الخلق تمشي قائما
فيه فلم تجعل تمشي قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان احدهما
ان يكون بمعنى المشدد اي عدل بعض اعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني
فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك
خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق او فعدلك الى بعض الاشكال والهيئات ما
في اي صورة ما شاء مزيدة اي ركبك في اي صورة اقتضتها مشيئته
وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة
والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه هلا عطفت هذه الجملة كما
عطف ما قبلها لانها بيان لعدلك بم يتعلق الجار
ان يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف اي ركبك
حاصلا في بعض الصور ويكون في اي في محل النصب على الحال اي فعدلك في صورة عجيبة ثم
قال ما شاء ركبك اي ركبك ما شاء من التراكيب يعني تركيبا حسنا كلا

ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله تعالى والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى
عكسهما الذي هو الكفر والمعصية ثم قال **بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ** اصلا وهو
الجزاء او دين الاسلام فلا يصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر
وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ تحقيق لما تكذبون به من الجزاء يعني انكم تكذبون بالجزاء
والكاتبون يكتبون عليكم لتجازوا بها وفي تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء
وانه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه
ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشنيع للعصاة
ولطف للمؤمنين وعن الفضيل انه كان اذا قرأها قال ما اشدها من آية على الغافلين
وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ كقوله وما هم بخارجين منها ويجوز ان يراد يصلون النار يوم
الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعني في قبورهم وقيل اخبر الله في هذه السورة ان
لابن آدم ثلث حالات حال الحيوة التي يجازى فيها وحال البرزخ وهو ما هم عنها
قبل ذلك بغائبين يعني ان امر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه في الهول
والشدة وكيف ما تصورته فهو فوق ذلك وعلى اضعافه **ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ**
والتكرير لزيادة التهويل ثم اجمل القول في وصفه فقال **يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ
لِنَفْسٍ شَيْئًا** اي لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا امر الا لله وحده
من رفع فعلى البدل من يوم الدين او على هو يوم لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون او
لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر ويجوز ان يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو
في محل الرفع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة انفطرت
كتب الله بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

بسم الله الرحمن الرحيم وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ
الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ التطفيف البخس في الكيل والوزن
لان ما يبخس شيء طفيف حقير روي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قدم

كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفي نعيم

وما ادريك ما يوم الدين

المدينة وكانوا من اخبث الناس كيلا فنزلت فاحسنوا وقيل قدمها وبها
رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان
اهل المدينة تجارا يطففون وكانت بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة
فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقرأها عليهم وقال خمس بخمس
قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم
وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما فشت فيهم الفاحشة
الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا
منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر وعن علي رضي الله عنه انه مر برجل يزن الزعفران
وقد ارجح فقال اقم الوزن بالقسط ثم ارجح بعد ذلك ما شئت كأنه امره بالتسوية
اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل وعن ابن عباس انكم معشر الاعاجم وليتم
امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم يجمعون
الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة يزنون واهل المدينة
يكيلون وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله اوف الكيل فان المطففين
يوقفون يوم القيمة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة اشهد ان
كل كيال ووزان في النار فقيل ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار
وعن ابي رضي لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤس المكاييل والسن الموازين لما
كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم ابدل على مكان من
الدلالة على ذلك ويجوز ان يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة
الخصوصية اي يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وقال
الفراء من وعلى يعتقبان في هذا الموضع لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكانه
اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت منك والضمير في
وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه
وجهان ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل كما قال
ولقد جنيتك اكموءا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر والحريص يصيدك لا الجواد
بمعنى جنيت لك ويصيد لك وان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه

والمضاف هو المكيل والموزون ولا يصح ان يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام
يخرج به الى نظم فاسد وذلك ان المعنى اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا اعطوهم
اخسروا وان جعلت الضمير للمطففين انقلب الى قولك اذا اخذوا من الناس استوفوا
واذا تولوا الكيل والوزن هم على الخصوص اخسروا وان جعلت الضمير للمطففين
الى قولك اذا اخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا وهو كلام متنافر لان الحديث
واقع في الفعل لا في المباشر والتعلق في ابطاله بخط المصحف فان الالف التي تكتب
بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف لم يراع في كثير منه حد المصطلح عليه في علم
الخط على اني رايت في الكتب المخطوطة بايدي الائمة المتقنين هذه الالف مرفوضة
لكونها غير ثابتة في اللفظ والمعنى جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما
كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها في نحو قولك هم لم يدعوا وهو يدعو
فمن لم يثبتها قال المعنى كاف في التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة انهما كانا
يرتكبان ذلك اي يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة
يبينان بها ما ارادا   هلا قيل او اتزنوا كما قيل او وزنوهم
كان المطففين كانوا لا ياخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون الموازين لتمكنهم
بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون في الملء واذا اعطوا
كالوا او وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعا
يخسرون ينقصون يقال خسر الميزان واخسره
الا يظن اولئك انكار وتعجيب عظيم من حالهم في الاجتراء على التطفيف كانهم
لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون ومحاسبون على مقدار الذرة
والخردلة وعن قتادة اوف يا ابن آدم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل
لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيمة وعن عبد الملك بن مروان
ان اعرابيا قال له لقد سمعت ما قال الله تعالى في المطففين اراد بذلك ان المطفف
قد توجه عليه الوعيد العظيم الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين
بلا كيل ولا وزن وفي هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام
الناس فيه لله تعالى خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب و

ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين

الاثم في التطفيف وفيما كان في مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعدل
والعمل على السوية في كل اخذ واعطاء بل في كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين
والوجه ما ذكر ونصب يوم يقوم بمبعوثون وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم وعن
ابن عمر رضي الله عنهما انه قرا هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين بكى نحيبا
وامتنع من قراءة ما بعده كلا ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن
ذكر البعث والحساب ونبههم انه مما يجب ان يتاب عنه ويندم عليه ان كتاب الفجار
لفي سجين ثم اتبعه وعيد الفجار على العموم وكتاب الفجار ما يكتب من اعمالهم
فان قلت قد اخبر الله تعالى عن كتاب الفجار بانه في سجين وما ادراك ما سجين كتاب
مرقوم فما معناه   سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه اعمال الشياطين
واعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة
او معلم يعلم من رآه انه لا خير فيه والمعنى ان ما كتب من اعمال الفجار مثبت في ذلك
الديوان وسمي سجينا فعيلا من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق
في جهنم او لانه مطروح كما روي تحت الارض السابعة في مكان وحش مظلم وهو مسكن
ابليس وذريته استهانة به واذالة وليشهده الشياطين المدحورون كما يشهد
ديوان الخير الملائكة المقربون   فما سجين اصفة هو ام اسم   بل هو اسم علم
منقول من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف ويل
يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين مما وصف للذم لا للبيان
كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث وما يكذب به الا كل معتد اثيم اذا
تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين كلا ردع للمعتدي الاثيم عن قوله
بل ران على قلوبهم ركبها كما يركب الصدا السيف والمرآة وهو ان يصر على
الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل الخير ولا يميل اليه وعن الحسن
الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا
والغين الغيم الرقيق ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت به
وقرئ باظهار اللام وادغامها والادغام اجود واميلت الالف وفخمت كلا ردع عن الكسب
الرائن على قلوبهم انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم

بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم
الا الادنياء المهانون عندهم قال اذا اعتروا باب عتبة رحبوا والناس صنفان
مرحوب ومحجوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته
وعن ابن كيسان عن كرامته **ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي**
كنتم به تكذبون كلا ردع عن التكذيب **ان كتاب الابرار**
ما كتب من اعمالهم **لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم**
يشهده المقربون وعليون علم لديوان الخير الذي دون فيه ما عمله الملائكة
وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو كسجين من السجن سمي بذلك
اما لانه سبب الارتفاع الى اعالي الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء
السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروي ان الملائكة لتصعد بعمل العبد
ويستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة
على عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه اخلص في عمله فاجعلوه في عليين فقد
غفرت له وانه لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا الى ما شاء الله اوحى اليهم
انتم الحفظة على عبدي وانا الرقيب على قلبه فاجعلوه في سجين **ان الابرار**
لفي نعيم على الارائك الاسرة في الحجال **ينظرون** الى ما شاؤا مد اعينهم اليه
من مناظر الجنة والى ما اولاهم الله تعالى من النعمة والكرامة والى اعدائهم
يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك **تعرف في وجوههم**
نضرة النعيم بهجة التنعم وبهاءه ورونقه كما ترى في وجوه الاغنياء واهل الترفه
وقرئ تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع **يسقون من رحيق**
الشراب الخالص الذي لا غش فيه **مختوم** تختم اوانيه من الاكواب بمسك مكان
مكان الطينة وقيل **ختامه مسك** مقطعه رائحة مسك اذا شرب وقيل يمزج
بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به و
يقطع **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون** فليرغب الراغبون **ومزاجه من**
تسنيم علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه اذا رفعه اما
لانها ارفع شراب في الجنة واما لانها تاتيهم من فوق على ما روي انها تجري في الهواء

١٠٤٦

متسنمة فتنصب في اوانيهم **عينا** نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال
يشرب بها المقربون قيل هي للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة
ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون هم مشركو مكة
ابو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واشياعهم كانوا يضحكون من عمار
وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزؤن بهم وقيل جاء
علي رضي الله عنه في نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا
ثم رجعوا الى اصحابهم فقالوا راينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل ان يصل
علي رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **واذا مروا بهم يتغامزون**
يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم **واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا**
فكهين ملتذين بذكرهم والسخرية منهم **واذا راوهم قالوا ان هؤلاء**
لضالون اي ينسبون المسلمين الى الضلالة **وما ارسلوا عليهم** على المسلمين حا
فظين موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم و
ضلالهم وهذا تهكم بهم او هو من جملة قول الكفار وانهم اذا راوا المسلمين قالوا
هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك
ودعائهم الى الاسلام وجدهم في ذلك **فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون**
على الارائك ينظرون حال من يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى
ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن الوان العذاب بعد التنعم
والترفه وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم
اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل ذلك مرارا فيضحك المؤمنون
منهم **هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون** ثوبه واثابه بمعنى اذا جازاه
قال اوس سأجزيك او يجزيك عني مثوبا وحسبك ان يثنى عليك وتحمدي وقرئ بادغام اللام
في الثاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انشقت حذف
جوابه ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم في مثلها من سورتي التكوير
والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه أي إذا السماء انشقت لاقى الإنسان
كدحه ومعناه إذا انشقت بالغمام كقوله ويوم تشقق السماء بالغمام وعن علي رضي الله عنه
تنشق من المجرة وأذنت لربها أذنت له استمعت له ومنه قوله عليه السلام ما أذن الله
لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم أذنت لكم لما سمعت هريركم
والمعنى أنها فعلت في انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع إذا ورد
عليه الأمر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله أتينا طائعين
وحقت من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع
ومعناه الإيذان بأن القادر الذات يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك
وإذا الأرض مدت من مد الشيء فامتد وهو أن تزال جبالها وآكامها وكل أمت
فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوي ظهرها كما قال قاعا صفصفا لا ترى فيها
عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس رضي الله عنهما مدت مد الأديم العكاظي لأن الأديم إذا
مد زال كل انثناء فيه وامتت واستوى أو من مده بمعنى أمده أي زيدت سعة
وبسطة وألقت ما فيها ورمت بما في جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز
وتخلت وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شيء في باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها
في الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة
وتكلفا فوق ما في طبعهما وأذنت لربها في الإلقاء في بطنها وحقت يا أيها الإنسان
إنك كادح إلى ربك كدحا الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه حتى يؤثر
فيها من كدح جلده إذا خدشه ومعنى كادح إلى ربك جاهد إلى لقاء ربك وهو
الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء فملاقيه فملاق له لا محالة لا مفر لك
منه وقيل الضمير في ملاقيه للكدح فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف
يحاسب حسابا يسيرا سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوؤه ويشق عليه كما
يناقش أصحاب الشمال وعن عائشة رضي الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا

يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش في الحساب عذب وينقلب إلى أهله مسرورا
إلى عشيرته إن كانوا مؤمنين أو إلى فريق من المؤمنين أو إلى أهله في الجنة من الحور العين
وأما من أوتي كتابه وراء ظهره قيل تغل يمناه إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره
فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره فسوف
يدعو ثبورا يقول واثبوراه والثبور الهلاك ويصلى سعيرا وقرئ ويصلى سعيرا
كقوله وتصلية جحيم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله ونصليه جهنم إنه كان في أهله
مسرورا فيما بين ظهرانيهم أو معهم على أنهم جميعا كانوا مسرورين يعني أنه
كان بطرا مترفا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يتفكرون
في العواقب ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم
إنا كنا في أهلنا مشفقين إنه ظن أن لن يحور لن يرجع إلى الله تكذيبا بالمعاد
لا يحور ولا يحول أي لا يرجع ولا يتغير قال لبيد يحور رمادا بعد إذ هو ساطع
وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنيتها
حوري أي ارجعي بلى إيجاب لما بعد النفي في لن يحور أي بلى ليحورن فلا أقسم
بالشفق الشفق الحمرة ترى في المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب
ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء وروي عن أبي حنيفة في إحدى الروايتين أنه البياض
وروي أسد بن عمرو أنه رجع عنه سمي به لرقته ومنه الشفقة على الإنسان رقة القلب
عليه والليل وما وسق وما جمعه وستره وآوى إليه من الدواب وغيرها
وما جمع وضم فقال وسقه فاتسق واستوسق قال مستوسقات لو يجدن سائقا
ونظيره في وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه
وستره وآوى إليه من الدواب وغيرها والقمر إذا اتسق اجتمع وتم
ليلة أربع عشرة لتركبن على الخطاب للإنسان باعتبار اللفظ لأن
ولتركبن على خطاب الجنس لأن النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس
ليركبن على ليركبن الإنسان والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا أي
لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق وأطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة
لغيرها طبق ومنه قوله تعالى طبقا عن طبق أي حالا بعد حال كل واحدة مطابقة
لأختها في الشدة والهول ويجوز أن يكون جمع طبقة وهي المرتبة من قولهم هو

طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن احوالا
بعد احوال هي طبقات في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده
من مواطن القيمة واهوالها ما محل عن طبق النصب على انه
صفة لطبقا اي طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن طبقا مجاوزين
لطبق او مجاوزا وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا عليه **فما لهم
لا يؤمنون واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون** لا يستكينون ولا يخضعون
وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن
معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج ابو حنيفة
على وجوب السجدة وعن ابن عباس ليس في المفصل سجدة وعن ابي هريرة انه سجد
فيها وقال ما سجدت فيها الا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسجد فيها
وعن انس رض صليت خلف ابي بكر وعمر وعثمان رضهم وعن الحسن هي غير واجبة **بل
الذين كفروا يكذبون** اشارة الى المذكورين **والله اعلم بما يوعون**
بما يجمعون في صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون
في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع العذاب **الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون** استثناء منقطع عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج
يعني البروج الاثني عشر وهي قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التي
هي منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل ابواب السماء **و
اليوم الموعود** يوم القيمة **وشاهد ومشهود** وشاهد في ذلك اليوم ومشهود
فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود ما في ذلك اليوم
من عجائبه وطريق تنكيرهما اما ما ذكرته في قوله علمت نفس ما احضرت كانه قيل

وما افرطت كثرته من شاهد ومشهود واما الابهام في الوصف كانه قيل و
شاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت اقاويل المفسرين فيهما فقيل
الشاهد والمشهود محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويوم القيمة وقيل عيسى عليه السلم
وامته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل
الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنوا آدم وعن الحسن ما من يوم الا
ينادي اني يوم جديد واني على ما يعمل فيّ شهيد فاغتنمني فلو غابت شمسي لم تدركني
الى يوم القيمة وقيل الحفظة وبنوا آدم وقيل الانبياء ومحمد عليه وعليهم الصلوة
والسلم ان جواب القسم محذوف يدل عليه قوله **قتل اصحاب الاخدود**
كانه اقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعني كفار قريش كما لعن اصحاب الاخدود
وذلك ان السورة وردت في تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على اذى اهل مكة
وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان والحاق انواع الاذى
وصبرهم وثباتهم حتى يأتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا
ان كفارهم عند الله بمنزلة اولئك المعذبين المحرقين بالنار ملعونون احقاء بان
يقال فيهم قتلت قريش كما قتل اصحاب الاخدود وقيل دعا عليهم كقوله قتل الانسان
ما اكفره وقيل قتلا بالتشديد والاخدود والخد في الارض وهو الشق ونحوهما
بناء ومعنى الخق والاخقوق ومنه فساخت قوائمه في اخاقيق جرذان روي عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما
ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع منه الايمان فرأى في طريقه ذات يوم
دابة قد حبست الناس فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب احب اليك من
الساحر فاقتلها فقتلها وكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي
من الادواء وعمي جليس الملك فابرأه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك
فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب
عن دينه فقد بالمنشار وابى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا
فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت

بهم السفينة فغرقوا ونجى فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل له نزل بك ما كنت تحذر فأمر بأخاديد في أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبي يا أماه اصبري فإنك على الحق فاقتحمت وقيل لها قعي ولا تنافقي وقيل ما هي إلا غميصة فصبرت وعن علي رضي الله عنه أنهم اختلفوا في أحكام المجوس قال هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخته فلما صحى ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب الناس فتقول يا أيها الناس إن الله أحل لكم نكاح الأخوات ثم تخطبهم بعد ذلك أن الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقال ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فأمرته بالأخاديد وإيقاد النيران وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله تعالى بقوله قتل أصحاب الأخدود وقيل وقع إلى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسار إليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثني عشر ألفا في الأخاديد وقيل سبعين ألفا وذكر أن طول الأخدود أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وعن النبي عليه الصلوة والسلام أنه كان إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوذ من جهد البلاء **النار** بدل الاشتمال من الأخدود **ذات الوقود** وصف لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس وقرئ الوقود بالضم على المصدر **إذ** ظرف لقتل أي لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى **هم عليها قعود** على ما يدنو منها من حافات الأخدود كقوله وبات على النار الندى والمحلق وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا بمكان يدنو منه **وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود** ومعنى شهادتهم على إحراق المؤمنين أنهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحدا منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض إليه من التعذيب ويجوز أن يراد أنهم شهود على

ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيمة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون **وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** وما عابوا منهم وما أنكروا إلا الإيمان كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم قال ابن الرقيات ما نقموا من بني أمية إلا أنهم يحلمون إذ غضبوا وقرأ أبو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وذكر الأوصاف التي يستحق بها أن يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمه ويرجى ثوابه **الذي له ملك السموات والأرض** وما فيهما وكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لأن ما نقموا هو الحق الذي لا ينقمه إلا مبطل منهمك في الغي وأن الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب **والله على كل شيء شهيد** وعيد لهم يعني أنه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه ويحتمل أن يريد **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا** أصحاب الأخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين في الأخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم في النار وأحرقوهم **فلهم** في الآخرة **عذاب جهنم** بكفرهم **ولهم عذاب الحريق** وهي نار أخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق أو جزاء فتنتهم المؤمنين أو لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا لما روي أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات أي بلوهم بالأذى على العموم والمؤمنين المفتونين وأن للفاتنين عذابين في الآخرة لكفرهم ولفتنتهم **إن بطش ربك لشديد** البطش الأخذ بالعنف فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة المفتونين وأخذهم بالعذاب والانتقام **إنه هو يبدئ ويعيد** أي يبدئ البطش ويعيد يبطش بهم في الدنيا وفي الآخرة أو دل باقتداره على الإبداء والإعادة على شدة بطشه أو أوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبدأهم ليبطش بهم إذ لم يشكروا نعمة الإبداء وكذبوا بالإعادة وقرئ يبدأ **وهو الغفور الودود** لمن تاب الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود من أعطاهم ما أرادوا **ذو العرش المجيد** وقرئ ذي العرش صفة لربك وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمته **فعال لما يريد** خبر مبتدأ محذوف وإنما قيل فعال لأن ما يريد يفعل في غاية

الكثرة هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود بدل من الجنود واراد بفرعون
اياه وآله كما في قوله من فرعون وملائهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل
وما نزل لتكذيبهم بل الذين كفروا من قومك في تكذيب اي تكذيب واستيجاب للعذاب
والله عالم باحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه والاحاطة بهم من ورائهم
مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشي محيط به ومعنى الاضراب ان امرهم
اعجب من امر اولئك لانهم سمعوا بقصصهم وما جرى عليهم وراوا آثار هلاكهم
فلم يعتبروا فكذبوا اشد من تكذيبهم بل هو قرآن مجيد شريف عالي الطبقة في
الكتب وفي نظمه واعجازه وقرئ قرآن مجيد بالاضافة اي قرآن رب مجيد في لوح
وقرأ يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهوا يعني اللوح فوق السماء السابعة الذي
فيه اللوح محفوظ من وصول الشياطين وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله تعالى بعدد كل يوم جمعة

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق
وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب المضي كانه يثقب الظلام بضوئه
فينفذ فيه كما قيل درى لانه تدراه اي يدفعه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما
يقال للآتي ليلا طارق او لانه يطرق الجني اي يصكه والمراد جنس النجوم او جنس
الشهب التي يرجم بها ما نسبة قوله وما ادريك ما الطارق لقوله
النجم الثاقب الا ترجمة كلمة باخرى فبين لي اي فايدة تحته اراد الله
عز وجل ان يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة
وان ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال
وما ادريك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهار الفخامة شانه
كما قال فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم وروي ان ابا طالب
كان عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فانحط نجم فامتلأ ما ثم نورا ففزع

ابو طالب وقال اي شي هذا فقال عليه السلام هذا نجم رمي به وهو آية من آيات
الله تعالى فعجب ابو طالب فنزلت ما جواب القسم ان كل نفس
لما عليها حافظ لان ان لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى الا ان تكون نافية وفيمن
قرأها مخففة على ان ما صلة ان تكون مخففة من الثقيلة وايتهما كانت فهي مما
يتلقى به القسم حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله تعالى وكان الله على كل شي
رقيبا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر وروي عن
النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه
كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته
الشياطين ما وجه اتصال قوله فلينظر الانسان مم خلق بما قبله
وجه اتصاله به انه لما ذكر ان على كل نفس حافظا اتبعه بوصية الانسان
النظر في اول امره ونشاته الاولى حتى يعلم ان من انشأه قادر على اعادته وجزائه
فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبته مم خلق
استفهام جوابه خلق من ماء دافق والدفق صب فيه دفع ومعنى دافق
النسبة الى الدفق الذي هو مصدر دفق كاللابن والتامر او الاسناد المجازي
والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم واتحادهما
حين ابتدئ في خلقه يخرج من بين الصلب والترائب من بين صلب الرجل وترائب
المرأة وهي عظام الصدر حيث تكون القلادة وقرئ الصلب بضمتين والصلب
وفيه اربع لغات صلب وصلب وصلب وصالب قال العجاج في صلب مثل العنان المؤدم
وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة انه الضمير للخالق لدلالة
خلق عليه ومعناه ان ذلك الذي خلق الانسان ابتداء من نطفة على رجعه على
اعادته خصوصا لقادر لبين القدرة لا يلتاث عليه ولا يعجز عنه كقوله
لا فقير مثلي لفقير يوم تبلى السرائر منصوب برجعه ومن جعل الضمير في
رجعه للماء فسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب او الاحليل او الى الحالة
الاولى نصب الظرف بمضمر السرائر ما اسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها
وما اخفى من الاعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث

ای بل هذا الذي كذبوا به

وعن الحسن رحمه الله أنه سمع رجلا ينشد سيبقى لها في مضمر القلب والحشا سريرة ود يوم تبلى السرائر
فقال ما أغفله عما في والسماء والطارق **فما له** فما للإنسان **من قوة** من منعة في نفسه يمتنع بها **ولا ناصر** ولا مانع يمنعه سمي المطر رجعا
كما سمي أوبا قال ربا شمالا تأوي لقلتها إلا السحاب وإلا الأوب والسبل **والسماء ذات الرجع** تسمية بمصدر رجع وآب وذلك أن العرب كانوا يزعمون
أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض أو أرادوا التفاؤل فسموه رجعا وأوبا ليرجع ويؤوب وقيل لأن الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا قالت
الخنساء كالرجع في المدجنة السارية **والأرض ذات الصدع** ما تتصدع عنه الأرض من النبات **إنه** الضمير للقرآن **لقول فصل** فاصل بين الحق والباطل كما قيل
له فرقان **وما هو بالهزل** يعني أنه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه أن يلم
بهزل أو يتفكه بمزاح وأن يلقي ذهنه إلى أن جبار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه ويعده ويوعده حتى إن لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فأدنى أمره
أن يكون جادا غير هازل فقد نعى الله ذلك على المشركين في قوله وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون والغواية **إنهم** يعني أهل مكة **يكيدون كيدا** يعملون المكايد
في إبطال أمر الله وإطفاء نور الحق **وأكيد كيدا** وأنا أقابلهم بكيدي من استدراجي لهم وانتظاري بهم الميقات الذي وقته للانتصار منهم **فمهل الكافرين** يعني لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به **أمهلهم رويدا** إمهالا
يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة والطارق أعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الأعلى تسبيح اسمه عز وجل تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي إلحاد في أسمائه كالجبر والتشبيه

ونحو ذلك مثل أن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة وأن يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم ويجوز أن يكون الأعلى صفة للرب والاسم وقرأ علي رضي الله عنه سبحان ربي الأعلى الذي وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت **الذي خلق فسوى** أي خلق كل شيء فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على إحكام واتساق ودلالة على أنه صادر عن عالم حكيم **والذي قدر فهدى** قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى أن الأفعى إذا أتت عليها ألف سنة عميت وقد ألهمها الله تعالى أن مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد إليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوي تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة بإذن الله تعالى وهدايات الله للإنسان إلى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من أغذيته وأدويته وفي أبواب دنياه ودينه وإلهامات البهائم والطيور وهوام الأرض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربي الأعلى وقرئ قدر بالتخفيف **والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى** صفة لغثاء أي أخرج المرعى فجعله بعد خضرته ورفيفه غثاء أحوى دريناً ويجوز أن يكون أحوى حالا من المرعى أي أخرجه أحوى أسود من شدة الخضرة والري فجعله غثاء بعد حوته **سنقرئك فلا تنسى** بشره الله تعالى بإعطاء آية بينة وهي أن يقرأ عليه جبريل عليه السلام ما يقرأ من الوحي وهو أمي لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه **إلا ما شاء الله** فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله أو ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة إذا لقنه جبريل عليه السلام فقيل لا تعجل فإن جبريل مأمور بأن يقرأه عليك قراءة مكررة إلى أن تحفظه ثم لا تنساه إلا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان أو قال إلا ما شاء يعني القلة والندرة كما روي أنه أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أبي أنها نسخت فسأله عنها فقال أنسيتها أو قال إلا ما شاء الله والغرض نفي النسيان

اساً كما يقول الرجل لصاحبه انت سهيمي فيما املك الا ما شاء الله ولا يقصد استثناء شيء وهو من استعمال القلة في معنى النفي وقيل نهي والالف للفاصلة كقوله السبيلا يعني فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه اي تنساه الا ما شاء الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة **انه يعلم الجهر وما يخفى** يعني انك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل عليه السلم مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما في نفسك مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل فانا نكفيك ما تخافه او يعلم ما اسررتم وما اعلنتم من اقوالكم وافعالكم وما ظهر وبطن من احوالكم وما هو مصلحة لكم في دينكم ومفسدة فيه فينسي من الوحي ما يشاء ويترك محفوظاً ما يشاء **ونيسرك لليسرى** معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه نوفقك للطريقة التي هي ايسر واسهل ما كنت تحسب يعني حفظ الوحي وقيل للشريعة السمحة التي هي ايسر الشرائع واسهلها مأخذاً وقيل نوفقك لعمل الجنة كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مأموراً بالذكرى نفعت او لم تنفع فما وجه الاشتراط هو على وجهين احدهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتلظى حسرة وتلهفاً ويزداد جداً في تذكيرهم وحرصاً فقيل له وما انت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد واعرض عنهم وقل سلام وذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة وتكرير التذكير والثاني ان يكون ظاهره شرطاً ومعناه ذماً للمذكرين واخباراً عن حالهم واستبعاداً لتأثير الذكرى فيهم وتسجيلاً عليهم بالطبع على قلوبهم كما يقول الواعظ عظ المكاسير ان سمعوا منك قاصداً بهذا الشرط استبعاد ذلك وانه لن يكون **سيذكر** سيقبل التذكرة وينتفع بها **من يخشى** الله وسوء العاقبة فينظر ويتفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فاما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تأمل لهم ان يقبلوا امانك **ويتجنبها** ويتجنب الذكرى ويتحاماها **الاشقى** الكافر لانه اشقى من الفاسق او الذي هو اشقى الكفرة لتوغله في عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة **الذي يصلى النار الكبرى** السفلى من اطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا قيل **ثم لا**

فذكر ان نفعت الذكرى

قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتواً وطغياناً وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم

الترجح بين الحيوة والموت افظع من الصلي فهو متراخ عنه في مراتب الشدة والمعنى **لا يموت فيها** فيستريح **ولا يحيى** حيوة ينفعه **قد افلح من تزكى** من الشرك اي اعطى زكوة الفطر فتوجه الى المصلى صلوة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها ليست من الصلوة معطوفة عليها وعلى ان الافتتاح جائز بكل اسم من اسماء الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما ذكر معاده وموقفه بين يدي ربه فصلى له وعن الضحاك **وذكر اسم ربه** في طريق المصلى **فصلى** صلوة العيد **بل تؤثرون الحيوة الدنيا** فلا تفعلون ما تفلحون به وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الاولى قراءة ابن مسعود رض **والآخرة خير وابقى** افضل في نفسها وانعم وادوم وعن عمر رضي الله عنه ما الدنيا في الآخرة الا كنفجة ارنب **ان هذا** اشارة الى قوله قد افلح الى ابقى يعني ان معنى الكلام وارد في تلك الصحف وقيل الى ما في السورة كلها وروي عن ابي ذر رض انه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كم انزل الله تعالى من كتاب فقال مائة واربعة كتب على آدم عليه الصلوة والسلم عشر صحف وعلى شيث عليه السلم خمسون وعلى اخنوخ وهو ادريس عليه السلم ثلثون صحيفة وعلى ابرهيم عليه الصلوة والسلم عشر صحائف والتورية والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان في صحف ابرهيم عليه السلم ينبغي للعاقل ان يكون حافظاً للسانه عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الاعلى اعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله تعالى على ابرهيم وموسى ومحمد صلى الله عليه وآله وعليهما وسلم وكان اذا قرأها قال سبحان ربي الاعلى وكان علي وابن عباس رضي الله عنهما يقولون ذلك وكان يقول وقال اول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل عليه الصلوة والسلم

لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك حديث الغاشية الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم اهوالها يعني القيمة من قوله يوم

تغشيهم العذاب وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش
وجوه يومئذ يوم اذ غشيت خاشعة ذليلة عاملة ناصبة تعمل في النار عملا
تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها في النار كما تخوض الابل في الوحل
وارتقاؤها دائبة في صعود من نار وهبوطها في حدور منها وقيل عملت ونصبت
في اعمال لا تجدي عليها في الآخرة من قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين حبطت اعمالهم وقيل
هم اصحاب الصوامع ومعناه انها خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم
الدائب والتهجد الواصب فهي عاملة ناصبة على الشتم تصلى نارا حامية
بفتح التاء وتصلى بضمها وتصلى بالتشديد وقيل هم اصحاب الصوامع ومعناها
خشعت لله وعملت ونصبت في اعمالها من الصوم الدائب المصلي عند العرب ان
تحفروا حفيرا فيجمع فيه جمرا كثيرا ثم تعمدوا الى شاة فيدسوها في وسطه فاما ما يشوى
فوق الجمر او على المقلى او في التنور فلا يسمى مصليا تسقى من عين آنية متناهية
في الحر كقوله وبين حميم آن ليس لهم طعام الا من ضريع يبيس الشبرق وهو جنس
من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال ابو ذؤيب
رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى وعاد ضريعا بان عنه النحائص وقال وحبسن في هزم
الضريع فكلها حدباء دامية اليدين حرود كيف قيل ليس لهم طعام الا من ضريع وفي
الحاقة ولا طعام الا من غسلين العذاب الوان والمعذبون طبقات فمنهم اكلة
الضريع ولكل باب منهم جزء مقسوم لا يسمن ولا يغني من جوع مرفوع المحل
او مجرور على وصف طعام او ضريع يعني ان طعامهم من شيء ليس من مطاعم الانس
وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا النوع منه ينفر عنه
فلا يقربه ومنفعتا الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن في
البدن او اريد ان لا طعام لهم اصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس
لان الطعام ما اشبع او اسمن وهو منهما بمعزل كما قيل ليس لفلان ظل الا الشمس
تريد نفي الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش ان الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت
لا يسمن فلا يخلو اما ان يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفي السمن والشبع واما

يصدقوا فيكون المعنى ان طعامكم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع
غير مسمن ولا مغن من جوع وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعرف
في وجوههم نضرة النعيم او متنعمة لسعيها راضية رضيت بعملها لما رأت
ما اداهم اليه من الكرامة والثواب عالية من علو المكان والمقدار لا تسمع فيها
يا مخاطب او الوجوه لاغية لغوا او كلمة ذات لغو او نفسا تلغو فان كلام اهل الجنة الا
بالحكمة وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول
بالتاء والياء فيها عين جارية يريد عيونا في غاية الكثرة كقوله علمت نفس فيها
سرر مرفوعة رفيعة المقدار او السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله
ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشيء اذا خبأه واكواب موضوعة
كلما ارادوها وجدوها موضوعة بين ايديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى ان
يدعوا بها او موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويجوز ان يراد موضوعة
عن حد الكبار اوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا ونمارق مصفوفة
بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح اينما اراد ان يجلس جلس على مسورة
واستند الى اخرى وزرابي وبسط عراض فاخرة وقيل هي الطنافس التي لها
رقيق جمع زربية مبثوثة مبسوطة او مفرقة في المجالس افلا ينظرون نظر
اعتبار الى الابل كيف خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهد بتدبيره
من حيث خلقها للنهوض بالاثقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها
تبرك حتى تحمل عن قرب وتنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها
بازمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبراها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار
وعن بعض الحكماء انه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ في بلاد لا ابل
بها ففكر ثم قال يوشك ان تكون طوال الاعناق وحين اراد بها ان تكون سفائن البر صبرها
على احتمال العطش حتى ان اظماءها ليرتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل
شيء نابت في البراري والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير
قال لقيت شريحا القاضي فقلت اين تريد قال اريد الكناسة قلت وما تصنع
بها قال انظر الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف حسن ذكر الابل

في جنة

مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة فقد انتظم هذه الاشياء نظر العرب
في اوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم
ان الابل السحاب الى قوله طلب المناسبة ولعله لم يرد ان الابل من اسماء السحاب كالغمام
والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما رأى السحاب مشبها بالابل كثيرا
في اشعارهم فجوز ان يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز كيف رفعت
رفعا بعيد المدى بلا امساك وبغير عمد والى الجبال كيف نصبت نصبا ثابتا فهي
راسخة لا تميل ولا تزول والى الارض كيف سطحت سطحا بتمهيد وتوطية
فهي مهاد للتقلب عليها وقرأ علي رضي الله عنه خلقتُ ورفعتُ ونصبتُ وسطحتُ
على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول وعن هارون الرشيد
انه قرأ سطّحت بالتشديد والمعنى افلا ينظرون الى هذه المخلوقات المشاهدة على
قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول ويؤمنوا
به ويستعدوا للقائه فذكر اي لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك
انهم لا ينظرون ولا يذكرون انما انت مذكر ان عليك الا البلاغ لست عليهم
بمصيطر بمسلط كقوله وما انت عليهم بجبار وقيل في لغة تميم مفتوح الطاء على
ان سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه الا من تولى استثناء منقطع اي
لست بمستول عليهم ولكن من تولى منهم وكفر فان لله الولاية والقهر عليه فيعذبه
الله فهو يعذبهم العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من
قوله فذكر الا من انقطع طمعك عن ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما
اعتراض وقرئ الا من تولى على التنبيه وفي قراءة ابن مسعود فانه يعذبه ان الينا
ايابهم وقرأ ابو جعفر المدني ايّابهم بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالا مصدر
ايّب فيعل من الاياب وان يكون اصله اوّابا فعّالا من اوب ثم قيل ايوابا
المقتدر على الانتقام ثم ان علينا حسابهم وان حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو
الذي يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب في الحكمة عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وبارك وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر اقسم بالفجر كما اقسم
بالصبح في قوله والصبح اذا اسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلوة الفجر وليال
عشر اراد بالليالي العشر عشر ذي الحجة فان قلت فما بالها منكرة من بين ما اقسم
به قلت لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالي العشر بعض منها او مخصوصة
بفضيلة ليست لغيرها فان قلت فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة
قلت لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذي في التنكير ولان الاحسن ان
تكون اللامات متجانسة ليكون ابعد من الالغاز والتعمية والشفع والوتر
اما الاشياء كلها شفعها ووترها واما شفع هذه الليالي ووترها ويجوز ان يكون
شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع ايامها وذاك عاشرها وقد روي
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه فسرها بذلك وقد اكثروا في الشفع والوتر
حتى كادوا يستوعبون اجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهي
عنه والليل وبعد ما اقسم بالليالي المخصوصة اقسم بالليل على العموم اذا يسر
اذا يمضي كقوله والليل اذا ادبر والليل اذا عسعس وقرئ والوتر بفتح الواو وهما
لغتان كالحبر والحبر في العدد وفي الترة الكسر وحده وقرئ والوتر بفتح الواو
وكسر التاء رواها يونس عن ابي عمرو وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين
وهو التنوين الذي يقع بدلا من حرف الاطلاق وعن ابن عباس رضي الله عنهما وليال عشر
بالاضافة يريد وليال ايام عشر وياء يسري تحذف في الدرج اكتفاء عنها بالكسرة
واما في الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسري يسرى فيه هل في ذلك اي
فيما اقسمت به من هذه الاشياء قسم اي مقسم به لذي حجر يريد هل يحق عنده
ان تعظم بالاقسام بها او هل في اقسامي بها اقسام لذي حجر اي هل هو قسم عظيم
يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا
ونهية لانه يعقل وينهى وحجى من الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء
يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو
ليعذبن يدل عليه قوله الم تر كيف فعل ربك بعاد الى قوله فصب عليهم ربك سوط
عذاب قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم

والشفع والوتر

معلومة ص

هاشم

هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم
عاد الاخيرة قال ابن الرقيات مجدا تليدا بناه اوله ادرك عادا وقبلها ارما
فارم في قوله تعالى بعاد ارم عطف بيان لعاد وايذان بانهم عاد الاولى القديمة
وقيل ارم بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم
على الاضافة وتقديره بعاد اهل ارم كقوله واسئل القرية ولم تنصرف قبيلة
كانت او ارضا للتعريف والتانيث وقراء الحسن بعاد ارم مفتوحين وقرى بعاد
ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرى بورقكم وقرى بعاد ارم ذات العماد
باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم يعني بعاد اهل اعلام ذات العماد
وذات العماد اسم المدينة وقرى بعاد ارم ذات العماد اي جعل الله ذات العماد
رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى انها ذات اساطين
وروى انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص
الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني
فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهي
مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت
وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته
فلما كان منها مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله
بن ابي قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما ثمة وبلغ خبره الى معاوية
فاستحضره فقص عليه قصته فبعث الى كعب الاحبار فقال هي ارم ذات العماد
وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال يخرج في طلب
ابل له ثم التفت فابصر ابن ابي قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق
مثلها مثل عاد في البلاد عظم اجرام وقوة كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع
وكان ياتي الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل
مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا وقرا ابن الزبير لم يخلق مثلها اي لم يخلق الله
وثمود الذين جابوا الصخر بالواد قطعوا صخر الجبال واتخذوها بيوتا كقوله
وتنحتون من الجبال بيوتا قيل اول من نحت الجبال والصخر والرخام ثمود وبنوا الفا

وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وفرعون ذي الاوتاد لكثرة جنوده
ومضاربهم التي كانوا يضربونها اذا نزلوا او لتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة
بنته وباسية الذين طغوا في البلاد احسن الوجوه فيه ان يكون في محل النصب
على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف المذكورين
عاد وثمود وفرعون فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب
فقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى ان ما احله بهم
في الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما اعد لهم في الاخرة كالسوط اذا قيس
الى سائر ما يعذب به وعن عمرو بن عبيد قال كان الحسن اذا اتى على هذه الاية
قال ان عند الله تعالى اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها ان ربك لبالمرصاد
المرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته
وهذا تمثيل لارصاده العصاة بالعقاب وانهم لا يفوتونه وعن بعض العرب انه
قيل له اين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد انه قرا هذه السورة عند المنصور
حتى بلغ هذه الاية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر عرض له في هذا
النداء بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره اي اسد فراس كان بين
ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقطع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه
ثم اتصل قوله فاما الانسان بقوله ان ربك لبالمرصاد كانه قيل ان الله لا
يريد من الانسان الا الطاعة والسعي للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصي فاما
الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه وما ينعمه فيها
فكيف توازن قوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه
فيقول ربي اكرمن وقوله واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول
ربي اهانن وحق التوازن ان يتقابل الواقعان بعد اما واما يقول واما الانسان
فكفور واما الملك فشكور واما اذا احسنت الى زيد فهو محسن اليك واما اذا اسات
اليه فهو مسيء اليك هما متوازنان من حيث ان التقدير واما هو اذا ما ابتلاه
ربه وذلك ان قوله فيقول ربي اكرمن خبر المبتدا الذي هو الانسان ودخول
الفاء لما في اما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر في تقدير التاخير

كأنه قيل فأما الإنسان فقائل ربي أكرمني وقت الابتلاء فوجب أن يكون فيقول
الثاني خبر المبتدأ واجب تقديره كيف سمى كلا الأمرين من بسط عليه
الرزق وتقديره ابتلاء لأن كل واحد منهما اختبار للعبد فإذا بسط له فقد اختبر
حاله أيشكر أم يكفر وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة
ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة هلا قال وأهانه وقدر عليه
رزقه كما قال فأكرمه ونعمه لأن البسط إكرام من الله تعالى لعبده بإنعامه عليه
متفضلا من غير سابقة وأما التقدير فليس بإهانة له لأن الإخلال له بالتفضل لا يكون
إهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا وغير مكرم ولا مهين
وإذا أهدى لك زيد هدية قلت أكرمني بالهدية ولا تقول أهانني ولا أكرمني إذا لم
يهد لك فقد قال فأكرمه فصحح إكرامه وأثبته ثم أنكر قوله ربي أكرمن
وذمه عليه كما أنكر قوله أهانن وذمه عليه فيه جوابان أحدهما أنه إنما أنكر
قوله ربي أكرمن وذمه عليه لأنه قاله على قصد خلاف ما صححه الله تعالى وأثبته
وهو قصده إلى أن الله أعطاه ما أعطاه إكراما له مستحقا مستوجبا على عادة
افتخارهم وجلالة أقدارهم عندهم كقوله إنما أوتيته على علم عندي وإنما أعطاه
الله تعالى على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد الله إلا به
وهو التقوى دون الأنساب والأحساب التي كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق
الكرامة من أجلها والثاني أن ينساق الإنكار والذم إلى قوله ربي أهانن يعني
أنه إذا تفضل عليه بالخير وأكرم به اعترف بتفضل الله وإكرامه وإذا لم يتفضل
عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الإكرام في قوله
فأكرمه وقرئ فقدر بالتشديد والتخفيف وأكرمن وأهانن بسكون النون في الوقف
فيمن ترك الياء في الدرج مكتفيا منها بالكسرة كلا ردع للإنسان عن قوله ثم
قال بل هناك شر من هذا القول وهو أن الله تعالى يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون
ما يلزمهم فيه من إكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض أهله على طعام المسكين ويأكلونه
أكل الأنعام ويحبونه فيشحون به وقرئ يكرمون وما بعده بالياء والتاء وقرئ و
تحاضون أي يحض بعضكم بعضا وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة

بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون

أكلا لما ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة إذا كان لما يتبع الذم ربه
فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا يعني أنهم يجمعون في أكلهم بين نصيبهم من الميراث
ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع
تراثهم وقيل يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في الأكل بين حلاله
وحرامه ويجوز أن يذم الوارث الذي ظفر بالمال سهلا مهلا من غير أن يعرق
فيه جبينه فيسرف في إنفاقه ويأكله أكلا واسعا جامعا بين ألوان المشتهيات
من الأطعمة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون ويحبون المال حبا جما كثيرا
شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق كلا ردع لهم عن ذلك وإنكار لفعلهم
ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا ينفع الحسرة ويومئذ بدل
من إذا دكت الأرض وعامل النصب فيهما يتذكر دكا دكا أي دكا بعد دك
كقولك حسبته بابا بابا أي كرر عليه الدك حتى عادت هباء منبثا وجاء ربك
أي يكرر عليه الدك حتى عادت ما معنى إسناد المجيء إلى الله والحركة و
الانتقال إنما يجوزان على من كان في جهة هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبيين
آثار قهره وسلطانه مثلت حاله في ذلك بحال الملك إذا أتى بنفسه ظهر بحضوره
من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه
عن بكرة أبيهم والملك صفا صفا ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد
صف محدقين بالجن والإنس وجيء يومئذ بجهنم كقوله وبرزت الجحيم وروي
أنها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرف في وجهه حتى
اشتد على أصحابه فأخبروا عليا رضي الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه وقبل بين عاتقيه
ثم قال يا نبي الله بأبي أنت وأمي ما الذي حدث اليوم وما الذي غيرك فتلا عليه
الآية فقال له علي رضي الله عنه كيف يجاء بها قال يجيء بها سبعون ألف ملك يقودونها
بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع يومئذ يتذكر
الإنسان أي يتذكر ما فرط فيه أو يتعظ وأنى له الذكرى ومن أين له منفعة
الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف وإلا فبين يومئذ يتذكر وبين وأنى له الذكرى تناف
وتناف يقول يا ليتني قدمت لحياتي هذه وهي حياة الآخرة أو وقت حياتي

في الدنيا كقوله جئته لعشر ليال خلون من رجب وهذا ابين ودليل على ان الاحبار كان في ايديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصي كمذهب اهل الاهواء والبدع والانا ميني التحسر **فيومئذ لا يعذب عذابه احد** وقرئ بالفتح يعذب ويوثق وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابي عمرو انه رجع اليها في آخر عمره والضمير للانسان الموصوف وقيل ابي بن خلف اي لا يعذب احد مثل عذابه **ولا يوثق** بالسلاسل والاغلال **وثاقه** مثل وثاقه **احد** لتناهيه في آخر عمره والضمير للانسان في كفره وعناده او لا يحمل عذاب الانسان كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى اي لا يتولى عذاب احد لان الامر لله وحده في ذلك اليوم او للانسان اي لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه **يا ايتها النفس** على ارادة القول اي يقول الله للمومن يا ايتها النفس اما ان يكلمه اكراما له كما كلم موسى عليه السلام او على لسان ملك **المطمئنة** الامنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن وهي النفس المومنة او المطمئنة الى الحق التي سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة ابي يا ايتها النفس الامنة المطمئنة متى يقال لها ذلك اما عند الموت واما عند البعث واما عند دخول الجنة على معنى **ارجعي الى ربك راضية** بما اوتيت **مرضية** عند الله **فادخلي في عبادي** في جملة عبادي الصالحين وانتظمي في سلكهم **وادخلي جنتي** معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلي في اجساد عبادي وقراءة ابن عباس رضي الله عنهما في عبدي وقراءة ابن مسعود رحمه الله في جسد عبدي وقراءة ابي ارجعي الى ربك راضية مرضية ادخلي عبدي وقيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وقيل في خبيب بن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لي عندك خير فحول وجهي نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع احد ان يحولها والله العليم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرا سورة والفجر في الليالي العشر غفر له ومن قراها في سائر الايام كانت له نورا الى يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على ان الانسان خلق مغمورا في مكابدة المشاق والشدايد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله **وانت حل بهذا البلد** يعني ومن المكابدة ان مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرم كما يستحل الصيد في غير الحرم عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد من اهل مكة وتعجيب من حالهم في عداوته او سلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقسم ببلده على ان الانسان لا يخلو من مقاساة الشدايد واعترض بان وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وانت حل بهذا يعني وانت حل به في المستقبل تصنع فيه ما تريد من الاسر والقتل وذلك ان الله فتح مكة وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل ما شاء وحرم ما شاء وقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابي سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلي ولن تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال عليه السلام الا الاذخر فان قلت اين نظير قوله وانت حل في معنى المستقبل قلت قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام والحباء انت مكرم محبو وهو في كلام الله اوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة والمشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة بالاتفاق مكية وان الهجرة عن وقت نزولها فما بال الفتح ما المراد بقوله **ووالد وما ولد** رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ولده اقسم ببلده الذي هو مسقط راسه وحرم ابيه ابرهيم ومنشا ابيه اسمعيل وبمن ولده وبه فان قلت لم نكر للابهام المستقبل بالمدح والتعجب هلا قيل ومن ولد قلت فيه ما في قوله والله اعلم بما وضعت اي باي شيء وضعت اي موضوع

عجيب الثاني وقيل هما آدم وولده وقيل كل والد وولد لقد خلقنا الانسان
في كبد الكبد اصله كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت فاتسع فيه حتى استعمل
في كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى اهلكه واصله كبت اذا اصاب
كبده قال لبيد يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد اي في شدة الامر
وصعوبة الخطب والضمير في ايحسب لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم يكابد منهم ما يكابده والمعنى ايظن هذا الصنديد القوي في قومه المتضعف للمؤمنين
ان لن تقوم قيامة وان لن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافاته بما هو عليه ثم ذكر ما يقوله
ذلك اليوم وانه يقول اهلكت مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية
يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق
ما ينفق رئاء الناس وافتخارا بينهم يعني ان الله كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز
ان يكون الضمير للانسان على ان يكون المعنى اقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه
انك حل به مما يقترف فيه اهله من المآثم متحرج بريء فهو حقيق بان اعظمه بقسمي
لقد خلقنا الانسان في كبد اي في مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد
الذين علم الله منهم حين خلقهم انهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات وقيل
الذي يحسب ان لن يقدر عليه احد هو ابو الاشد بن اسيد بن كلدة الجمحي وكان قويا
يبسط له الاديم العكاظي فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فلا ينزع
الا قطعا ويبقى موضعه وقيل الوليد بن المغيرة لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لبدة
ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ لبدا بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد جمع لابد
الم نجعل له عينين يبصر بهما المرئيات ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين
يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك الم
نجعل له عينين وهديناه النجدين اي طريقي الخير والشر وقيل الثديين فلا
اقتحم العقبة وما ادريك ما العقبة فك رقبة او اطعام في يوم
ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة يعني فلم يشكر تلك الايادي
والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان
الذي هو اصل كل طاعة واساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالنعم والمعنى ان الانفاق

على هذا الوجه هو الانفاق المرضي النافع عند الله تعالى لا ان يهلك مالا لبدا في
الربا والفخار ويكون مثله كمثل ريح اصابت حرث قوم الآية قال لا يقتحم
لا الداخلة على الماضي الا مكررة ونحو قوله فلا صدق ولا صلى لا تكاد تقع
الا مكررة في الكلام الافصح هي متكررة في المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة
فلا فك رقبة ولا اطعم مسكينا الا ترى انه فسر اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج
قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن والاقتحام
الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها
اقتحاما لها لما في ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة الله شديدة
مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان وفك الرقبة وتخليصها من رق
او غيره وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دلني على عمل
يدخلني الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال اوليسا سواء قال لا اعتاقها
ان تنفرد بعتقها وفكها ان تعين في تخليصها من قود او غرم والعتق والصدقة
افاضل الاعمال وعن ابي حنيفة ان العتق افضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة
افضل والآية ادل على قول ابي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبي في رجل عنده
فضل نفقة ايضعه في ذي قرابة او يعتق رقبة قال الرقبة افضل لان النبي صلى الله عليه
وآله وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار وقرئ فك رقبة او
اطعام على هي فك رقبة او اطعام وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم العقبة
وقوله وما ادريك ما العقبة اعتراض ومعناه انك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه
ثوابها عند الله والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب
يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب واما اترب
فاستغنى اي صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل اثرى وعن النبي صلى الله
عليه وآله وسلم في قوله ذا متربة الذي مأواه المزابل ووصف اليوم بذي مسغبة
نحو ما يقول النحويون في قولهم هم ناصب في نصب وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه
باطعام ومعناه او اطعام في يوم من الايام ذا مسغبة ثم كان من الذين آمنوا
جاء بثم لتراخي الايمان وتباعده في الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا في الوقت لان

الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الا به وتواصوا بالصبر
وتواصوا بالمرحمة الرحمة اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه
او بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمحن التي يبتلى بها المؤمن وبان يكونوا
متراحمين متعاطفين او بما يؤدي الى رحمة الله تعالى اولئك اصحاب الميمنة والذين
كفروا باياتنا هم اصحاب المشأمة الميمنة والمشأمة اليمين والشمال او اليمن والشوم
اي الميامين على انفسهم والمشائيم عليهن عليهم نار مؤصدة قرئ موصدة بالواو
والهمزة من اوصدت الباب وآصدته اذا اطبقته واغلقته وعن ابي بكر بن عياش
لنا امام يهمز مؤصدة فاشتهي ان اسد اذني اذا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم من قرأ لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها
ضوؤها اذا اشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكان وجهه شمس الضحى
وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار
وقرب ان ينتصف والقمر اذا تلاها طالعا عند غروبها اخذا من نورها وذلك في النصف
الاول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها في الضياء والنور والنهار اذا جلاها
عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء
وقيل الضمير للظلمة او للدنيا او للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم اصبحت باردة
يريدون الغداة وارسلت يريدون السماء والليل اذا يغشاها فتغيب وتظلم
الآفاق الامر في نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما ان تجعل الواوات عاطفة
فتنصب بها وتجر فتقع في العطف على عاملين وفي نحو قولك مررت امس بزيد واليوم
عمرو واما ان تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه
الجواب فيه ان واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شان ليس
لغيرها الفعل واضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا

والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحقهن ان يكن عوامل على الفعل والجار
جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي
هو عاملهما جعلت ما مصدرية في قوله والسماء وما بناها والارض وما
طحاها ونفس وما سواها وليس بالوجه لقوله فالهمها فجورها وما يؤدي
اليه من فساد النظم والوجه ان يكون موصولة وانما اوثرت على من لارادة معنى الوصفية
والقادر العظيم الذي بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها وفي كلامهم
سبحان ما سخركن لنا لم نكرت النفس فيه وجهان احدهما ان يريد
نفسا خاصة من بين النفوس وهي نفس آدم كانه قال وواحدة من النفوس والثاني
ان يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة في قوله علمت نفس ومعنى الهام
الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان احدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار
ما شاء منهما وقد خاب من دساها بدليل قوله قد افلح من زكاها وقد خاب
من دساها فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليها والتزكية الانماء والاعلاء
بالتقوى والتدسية النقص والاخفاء بالفجور واصل دسى دسس كما قيل في تقضض
تقضى وسئل ابن عباس رضي الله عنهما فقال اتقرأ قد افلح من تزكى وقد خاب من حملها ظلما
واما قول من زعم ان الضمير في زكى ودسى لله تعالى وان تأنيث الراجع الى من
لانه في معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله قدرا هو بريء منه ومتعال عنه
ويحيون لياليهم في تمحل فاحشة ينسبونها اليه فان قلت فاين جواب القسم
هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد افلح من زكيها فكلام
تابع لقوله فالهمها فجورها وتقويها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في شيء
الباء في كذبت ثمود بطغويها مثلها في كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا
بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بان قلبوا الياء واوا في الاسم وتركوا القلب
في الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعني فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمني بجراءته على
الله وقيل كذبت بما اوعدت به من عذابها ذي الطغوى كقوله فاهلكوا بالطاغية
وقرأ الحسن بطغويها بضم الطاء كالحسنى والرجعى في المصادر اذ انبعث منصوب بكذبت

مقام
وتقويها
صفيه

والقمر

او بالطغوى و **اشقيها** قدار بن سالف ويجوز ان يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك في افعل التفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث فكان يجوز ان يقال اشقوها كما يقول افاضلهم والضمير في **فقال لهم رسول الله** يجوز ان يكون للاشقين والتفضيل اذا اضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث فكان يجوز ان يقال اشقوها في الشقاوة لان من تولى العقر وباشره كانت شقاوته اظهر وابلغ **ناقة الله** نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي ذرني واو احذروا عقرها **وسقياها** فلا تزودها عنه ولا تستأثروا بها عنه **فكذبوه** فيما حذرهم منه من حلول العذاب ان فعلوا **فعقروها فدمدم عليهم ربهم** فاطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم **بذنبهم** بسبب ذنبهم انذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب ان يعتبر ويحذر **فسويها** الضمير للدمدمة اي فسويها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم **ولا يخاف عقبيها** اي عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقي بعض الابقاء ويجوز ان يكون الضمير لثمود على معنى فسويها بالارض اي في الهلاك ولا يخاف عقبيها عقبى هلاكها وفي مصاحف اهل المدينة والشام فلا يخاف وفي قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة والشمس فكانما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى المغشي اما الشمس من قوله والليل اذا يغشيها **والنهار** واما النهار من قوله يغشي الليل النهار واما كل شيء يواريه بظلامه من قوله اذا وقب **اذا تجلى** ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع الشمس **وما خلق الذكر والانثى** من ماء واحد هما آدم وحواء وفي قراءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذكر والانثى وقراءة ابن مسعود والذي خلق الذكر والانثى وعن الكسائي وما خلق الذكر والانثى بالجر على انه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه الله اي ومخلوق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم الله لانه معلوم لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوي الارواح ليس بذكر ولا انثى والخنثى وان اشكل امره عندنا فهو عند الله غير مشكل بل هو معلوم بالذكورة او الانوثة لانه في الحقيقة اما ذكر واما انثى وان كان مشكلا عندنا **ان سعيكم لشتى** جمع شتيت يعني ان مساعيكم مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على اثره **فاما من اعطى** يعني حق ماله **واتقى** الله فلم يعصه **وصدق بالحسنى** بالخصلة الحسنى وهي الايمان او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة **فسنيسره لليسرى** فسنهيئه لها من يسر الفرس للركوب اذا اسرجها والجمها ومنه قوله عليه السلام كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة ايسر الامور عليه اهونها من قوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام **واما من بخل** بماله **واستغنى** وزهد فيما عند الله كانه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة لانه في مقابلة واتقى **وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة اعسر شيء واشده عليه من قوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء او سمي طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر العسرى لان عاقبتها العسر او اراد بهما طريقي الجنة والنار اي فسنهديهما في الآخرة للطريقين وقيل نزلتا في ابي بكر رضي الله عنه وفي ابي سفيان بن حرب **وما يغني عنه ماله** استفهام في معنى الانكار او نفي **اذا تردى** تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت او تردى في الحفرة اذا قبر او تردى في قعر جهنم **ان علينا للهدى** ان علينا الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل او بيان الشرائع **وان لنا للآخرة والاولى** اي ثواب الدارين للمهتدي كقوله وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين **فانذرتكم نارا تلظى** وقرأ ابو الزبير تتلظى **لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الاتقى** وقد علم ان كل شقي يصلاها وكل تقي يجنبها لا يختص بالصلي اشقى الاشقياء ولا بالنجاة اتقى الاتقياء وان زعمت انه نكر النار فاراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد علم ان افسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة

لا الاتقى الاتقياء منهم خاصة   الآية واردة في الموازنة بين حالتي
عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين
فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلي كان النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل
مختصا بالنجاة كان الجنة لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل وامية بن خلف وابو بكر
الذي يؤتي ماله يتزكى اي يطلب ان يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة
او يتفعل من الزكوة   ما محل يتزكى   هو على وجهين ان جعلته
بدلا من يؤتي فلا محل له لانه داخل في حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته
حالا من الضمير في يؤتي فمحله النصب وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا
ابتغاء وجه ربه الاعلى مستثنى من غير جنسه وهو النعمة اي ما لاحد عنده نعمة
الا ابتغاء وجه ربه كقولك ما في الدار احد الا حمارا وقرا يحيى بن وثاب الا ابتغاء وجه
ربه بالرفع على لغة من يقول ما في الدار احد الا حمار وانشد في
اللغتين قول بشر بن ابي حازم اضحت خلاء قفارا لا انيس بها الا الجاذر والظلمان تختلف
ومنه قول القائل وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس ويجوز ان يكون
ابتغاء وجه مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتي ماله الا ابتغاء وجه ربه
لا لمكافاة نعمة ولسوف يرضى موعد بالثواب الذي يرضيه ويقر عينه عن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم من قراه سورة والليل اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى المراد بالضحى وقت الضحى
وهو صدر النهار حين ترتفع الشمس ويلقى شعاعها وقيل انما خص وقت الضحى
بالقسم لانها الساعة التي كلم فيها موسى والقي فيها السحرة سجدا لقوله
وان يحشر الناس ضحى وقيل اراد بالضحى النهار بيانه ان ياتيهم باسنا ضحى في مقابلة قوله
بياتا والليل اذا سجى سكن وركد ظلامه وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه
سكون الناس والاصوات فيه وسجى البحر سكنت امواجه وطرف ساج ساكن فاتر ما

ودعك ربك وما قلى جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع المودع وقرى بالتخفيف
يعني ما تركك قال وثم ودعنا آل عمرو وعامر فرايس اطراف المثقفة السمر والتوديع
مبالغة في الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك روي ان الوحي قد تاخر
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اياما فقال المشركون ان محمدا صلى الله عليه وآله
وسلم ودعه ربه وقلاه وقيل ان ام جميل امراة ابي لهب قالت له ما ارى شيطانك الا
قد تركك فنزلت حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات في قوله تعالى والذاكرين الله
كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى فاغنى وهو اختصار لفظي
لظهور المحذوف   كيف اتصل قوله وللآخرة خير لك من الاولى
بما قبله   لما كان في ضمن نفي التوديع والقلى ان الله مواصلك بالوحي اليك و
انك حبيب الله ولا ترى كرامة اعظم من ذلك ولا نعمة اجل منه اخبره ان حاله في
الآخرة اعظم من ذلك واجل وهو السبق والتقدم على جميع انبياء الله ورسله
عليهم الصلوة والسلم وشهادة امته على ساير الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم
بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية ولسوف يعطيك ربك فترضى
موعد شامل لما اعطاه في الدنيا من الفلج والظفر باعدايه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول
الناس في الدين افواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلايهم وبث عساكره وسراياه
في بلاد العرب وما فتح على خلفايه الراشدين في اقطار الارض من المداين وهدم بايديهم من
ممالك الجبابرة وانهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف في قلوب اهل الشرق والغرب
من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء المؤمنين ولما ادخر له
من الثواب الذي لا يعلم كنهه الا الله قال ابن عباس رضي الله عنهما له في الجنة الف قصر من
لولو ابيض ترابه المسك   ما هذه اللام الداخلة على سوف   هي لام
الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة والمبتدا محذوف تقديره ولانت سوف يعطيك كما
ذكرنا في لا اقسم ان المعنى لانا اقسم وذلك انها لا تخلو من ان تكون لام قسم او ابتداء
فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التاكيد فبقي ان تكون لام الابتداء ولام الابتداء
لا تدخل الا على الجملة من المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وان يكون اصله
ولانت سوف يعطيك   ما معنى الجمع بين حرفي التاكيد والتاخير   معناه

ان العطاء كائن لا محالة وان اخر لما في التاخير من المصلحة ﴿الم يجدك يتيما فآوى﴾
عدد عليه نعمه واياديه وانه لم يخله منها من اول تربيته ترشيحا لما اراد به ليقيس المترقب
من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا
يضيق صدره ولا يقل صبره والم يجدك من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوب
مفعولا وجد والمعنى الم تكن يتيما وذلك ان اباه مات وهو جنين قد اتت عليه ستة
اشهر وماتت امه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله عليه
فاحسن تربيته ومن بدع التفاسير انه من قولهم درة يتيمة والمعنى الم يجدك واحدا في
قريش عديم النظير فآواك وقرئ فاوى فهو على معنيين احدهما اما من آواه بمعنى
آواه تسمع بعض الرعاة يقول اين آوي هذه الموقتة واما من اوى له اذا رحمه
﴿ووجدك ضالا﴾ معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الايمان وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده ابو جهل
الى عبد المطلب وقيل اضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده
على عبد المطلب وقيل خرج به ابو طالب ﴿فهدى﴾ فهداك فعرفك القرآن والشرائع او
فازال ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد
انه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وان اراد انه كان على دينهم وكفرهم
فمعاذ الله والانبياء يجب ان يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر
الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وكفى
بالنبي نقيصة عند الكفار ان يسبق له كفر ﴿ووجدك عائلا﴾ فقيرا وقرئ عيلا
كما قرئ سيحات وعديما ﴿فاغنى﴾ فاغناك بمال خديجة او بما افاء عليك من الغنائم
قال عليه وآله الصلوة والسلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك واغنى قلبك
﴿فاما اليتيم فلا تقهر﴾ فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه وفي قراءة ابن مسعود رضي
فلا تكهر وهو ان يعبس في وجهه وفلان ذو كهرورة عابس الوجه ومنه الحديث
فبابي وامي هو ما كهرني ﴿واما السائل فلا تنهر﴾ فلا تزجر والنهر الزجر وعن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم اذا رد السائل ثلثا فلم يرجع فلا عليك ان تزبره
وقيل اما انه ليس بالسائل المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره ﴿واما بنعمة

ربك فحدث﴾ فان التحديث بنعمة الله شكرها واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايواء
والهداية والاغناء وما عدا ذلك وعن مجاهد بالقرآن فحدث اقرأه وبلغ ما
ارسلت به وعن عبد الله بن غالب انه كان اذا اصبح يقول رزقني الله البارحة
خيرا قرأت كذا وصليت كذا فاذا قيل له يا ابا فراس امثلك يقول مثل هذا قال
يقول الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وانتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وانما يجوز
مثل هذا اذا قصد به اللطف وان يقتدي به غيره وامن على نفسه الفتنة والستر
افضل ولو لم يكن فيه الا التشبه باهل الرياء والسمعة لكفى به وفي قراءة علي رضي الله عنه
فخبر والمعنى انك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك وهداك واغناك فمهما يكن
من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلث واقتد بالله فتعطف
على اليتيم وآدم فقد ذقت اليتم وهوانه ورايت كيف فعل الله بك وترحم على
السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فاغناك بعد الفقر
وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن
متقديا بالله في ان هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
من قرأ سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم
ان يشفع له وله عشر حسنات يكتبها الله تعالى له بعدد كل يتيم وسائل

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الم نشرح﴾ استفهم عن
انتفاء الشرح على وجه الانكار فافاد اثبات الشرح وايجابه فكانه قيل شرحنا لك صدرك
ولذلك عطف عليه ﴿ووضعنا﴾ اعتبارا للمعنى ومعنا شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع
هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعا او حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها
كفار قومك وغيرهم او فسحناه بما اودعناه من العلوم والحكم وازلنا عنه
الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وعن ابي
جعفر المنصور انه قرأ الم نشرح بفتح الحاء وقالوا لعله بين الحاء واشبعها في مخرجها

نظن السامع انه فتحها عنك وزرك الذي انقض ظهرك والوزر الذي انقض ظهره اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من جهله بالاحكام والشرايع او من تهالكه على اسلام اولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه ان غفر له او علم الشرايع او مهد عذره بعد ما بلغ وبالغ وقرأ انس وحللنا وحططنا وقرأ ابن عباس وحللنا عنك وقرك ورفع ذكره ان قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن والله ورسوله احق ان ترضوه ومن يطع الله ورسوله واطيعوا الله واطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الاولين والاخذ على الانبياء واممهم ان يؤمنوا به اي فايدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه فيها لك ما في طريقة الابهام والايضاح كانه قيل الم نشرح لك ففهم ان ثم مشرحا قيل صدرك فاوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك

كيف تعلق قوله فان مع العسر يسرا بما قبله كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه انهم رغبوا عن الاسلام لافتقار اهله واحتقارهم فذكره ما انعم به عليهم من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر يسرا كانه قيل خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فان مع العسر الذي انتم فيه يسرا ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر اراد الله تعالى ان يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا انه خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وان موعد الله لا يحمل الا على اوفى ما يحتمله اللفظ وابلغه والقول فيه انه يحتمل ان تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاءني زيد زيد وان تكون

الاولى عدة بان العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بان العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بان العسر مردوف بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وانما كان العسر واحدا لانه لا يخلو اما ان يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لان حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما ان يكون للجنس الذي يعلمه كل احد فهو هو ايضا واما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثاني مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض بلا اشكال فالحمل على هذا الاحتمال اولى من احتمال التكرير لانه حمل على الاحتمالين فما المراد باليسرين يجوز ان يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في ايام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما تيسر لهم في ايام الخلفاء وان يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله تعالى هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسن الظفر وحسن الثواب فما معنى هذا التنكير التفخيم كانه قيل ان مع العسر يسرا عظيما واي يسر وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة فاذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه لن يغلب عسر يسرين كانه قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة فكيف تعلق قوله فاذا فرغت فانصب بما قبله لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على ان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها باخرى وعن ابن عباس رضي الله عنهما فاذا فرغت من صلوتك فاجتهد في الدعاء وعن الحسن فاذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب في صلوتك وعن الشعبي انه رأى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا امر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل او اشتغاله بما لا يعنيه في دينه او دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضي الله عنه اني لاكره ان ارى احدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة وقرأ ابو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة انه قرأ فانصب بكسر الصاد فانصب عليا رضي الله عنه للامامة فلو صح هذا للرافضي

ورفعنا لك ذكرك

ان مع العسر يسرا

١٠٦٢

نصح للناصبي ان يقرأ هكذا ويجعله امرا بالنصب الذي هو بغض علي رضي الله عنه و
عداوته **والى ربك فارغب** واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه
وقرئ فرغب اي رغب الناس الى طلب ما عنده عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ الم نشرح
فكأنما جاءني وانا مغتم ففرج عني

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون
اقسم بهما لانهما عجيبتان من بين اصناف الاشجار المثمرة روي انه اهدي لرسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت
من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع
من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب
بالحفرة وسمعته يقول هي سواكي وسواك الانبياء من قبلي وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو
تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الارض المقدسة طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا
التين والزيتون وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما
منبتاهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون واضيف الطور وهو الجبل الى سينين

وطور سينين

ونحو سينين يبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك
النون بحركات الاعراب **وهذا البلد** مكة حماها الله تعالى **الامين** من امن الرجل
امانة فهو امين وقيل امان كما قيل كرام في كريم وامانته انه يحفظ من دخله كما
يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه لانه مأمون
الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذي امن ومعنى القسم بهذه
الاماكن الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين
فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشأه عليهما السلام والطور المكان
الذي نودي فيه موسى ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ومبعثه **لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم** في احسن تعديل

لشكله وتصويره وتسوية لاعضائه **ثم** كان عاقبة امره حين لم يشكر نعمة تلك
الخلقة الحسنة القويمة السوية ان **رددناه اسفل سافلين** من سفل خلقا
وتركيبا يعني اقبح من قبح صورة واشوهه خلقة وهم اصحاب النار او اسفل
من سفل من اهل الدركات او ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين اسفل من سفل في
حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره
بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شيء
منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وقرأ عبد الله
اسفل السافلين **الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** فلكم
الاستثناء على المذهبين هو على الاول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني
منقطع يعني ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى **فلهم اجر** ثواب دائم **غير
ممنون** غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم
وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم
فما يكذبك بعد بالدين هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات من المخاطبة
اي فما يجعلك كاذبا بسبب تكذيبك بالجزاء بعد هذا الدليل يعني انك تكذب اذا
كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فاي شيء يضطرك الى ان تكون كاذبا
بسبب تكذيب الجزاء والباء مثلها في قوله تعالى الذين يتولونه والذين هم به مشركون
والمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب
الزيادة الى ان يكمل ويستوي ثم تنكيسه الى ان يبلغ ارذل العمر لا ترى دليلا اوضح
منه على قدرة الخالق وان من قدر من الانسان على هذا كله لم يعجز عن اعادته
فما سبب تكذيبك ايها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم **أليس الله بأحكم الحاكمين**
وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما هم اهله وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
انه كان اذا قرأها قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين وعن رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة التين اعطاه الله تعالى خصلتين العافية واليقين
في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة

بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ عن ابن عباس ومجاهد هي اول
سورة نزلت واكثر المفسرين على ان الفاتحة اول ما نزل ثم سورة القلم محل باسم ربك
نصب على الحال اي اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرأ
الذي خلق فلم يذكر له مفعولا ثم قال خلق الانسان كيف قال
لا يقدر له مفعول وان يراد انه الذي حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه هو على وجهين اما
ان يقدر ويراد خلق كل شيء فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات
اولى بتقديره من بعض وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله
الخلق لان التنزيل اليه وهو اشرف ما على الارض ويجوز ان يراد الذي خلق الانسان
كما قال علم الرحمن خلق الانسان فقيل خلق الانسان مبهما ثم فسره بقوله خلق تفخيما
لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته ثم قال من علق على الجمع وانما خلق
من علقة واحدة كقوله من علقة لان الانسان في معنى الجمع كقوله ان الانسان
لفي خسر اقرأ وربك الاكرم الذي له الكمال في الكرم على كل كريم ينعم على عباده
النعم التي لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم
المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه
غاية ولا امد وكانه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الاكرم
الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فدل على كمال كرمه بانه علم عباده ما لم يعلموا
ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة
التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الاولين
ومقالاتهم ولا كتب الله الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت امور الدين والدنيا
ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا امر القلم والخط لكفى به ولبعضهم
في صفة القلم ورواقم رقش كمثل اراقم قطف الخطى نيالة اقصى المدى سود القوائم ما
الا لعبت بها يبيض المدى وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم كلا ان الانسان ليطغى

ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه ان
رآه ان رأى نفسه يقال في افعال القلوب رأيتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها ومعنى
الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في الجمع بين الضميرين واستغنى هو
المفعول الثاني ان الى ربك الرجعى واقع على طريقة الالتفات الى الانسان
تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع قيل
نزلت في ابي جهل وكذلك ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى وروي انه قال
لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ازعمت ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة
وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلم وقال
ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وعنه روي انه قال هل يعفر محمد صلى الله
عليه وآله وسلم وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فوالذي يحلف به لئن رأيته لوطأت عنقه
ثم نكص على عقبيه فقالوا له ما لك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه لخندقا من نار
وهولا واجنحة فنزلت ارايت الذي ينهى ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد
الله عن صلوته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله
وكان آمرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقد وكذلك ان كان
على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما نقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع
على احواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد
ما متعلق ارايت الذي ينهى مع الجملة الشرطية وهما في موضع المفعولين
فاين جواب الشرط هو محذوف تقديره ان كان على الهدى او امر بالتقوى
الم يعلم بان الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره في جواب الشرط الثاني
فكيف صح ان يكون الم يعلم جوابا للشرط كما صح في قولك ان اكرمتك اتكرمني
وان احسن اليك زيد هل تحسن اليه فما ارايت الثانية وتوسطها بين مفعولي
ارايت هي زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن ان امية بن خلف كان
ينهى سلمان عن الصلوة كلا ردع لابي جهل وخسء له عن نهيه عن عبادة الله
وامره بعبادة اللات ثم قال لئن لم ينته عما هو فيه لنسفعا بالناصية

فجاءه

عبدا اذا صلى ارايت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارايت ان كذب وتولى

لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة
قال عمرو بن معديكرب قوم اذا نقع الصريخ رايتهم من بين ملجم مهره او سافع وقرى لنسفعن بالنون
المشددة وقراء ابن مسعود رض لاسفعن وكتبها في المصحف بالالف على حكم الوقف ولما
علم انها ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الاضافة ناصية بدل من الناصية و
بدلها عن المعرفة وهي نكرة لانها وصف فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هي ناصية
وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم كاذبة ووصفها بالكذب والخطاء على الاسناد
المجازي وهما في الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ما ليس في قولك ناصية
كاذب خاطئ فليدع ناديه النادي هو المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي يجتمعون
والمراد اهل النادي كما قال جرير لهم مجلس صهب السبال اذلة وقال زهير
وفيهم مقامات حسان وجوههم والمقامة المجلس روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم فقال اتهددني وانا اكثر الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية وقراء ابن ابي عبلة
سيدعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية في كلام العرب الشرط الواحد زبنية
كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكانه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم
امسي واصله زباني فقيل زبانية على التعويض فالمراد ملائكة العذاب وعن النبي
صلى الله عليه وآله وسلم لو دعا ناديه لاخذته الزبانية عيانا كلا ردع لابي
جهل لا تطعه اي اثبت على ما انت عليه من عصيانه كقوله ولا تطع المكذبين
واسجد ودم على سجودك يريد الصلوة واقترب وتقرب الى ربك وفي الحديث
اقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم من قرا سورة العلق اعطي من الاجر كانما قرا المفصل كله

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه عظم القرآن
من ثلثة اوجه احدها انه اسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثاني

انه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه
عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذي انزل فيه وروي انه انزل جملة
واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبرئيل
عليه السلم على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نجوما في ثلث
وعشرين سنة وعن الشعبي المعنى انا ابتدانا انزاله في ليلة القدر واختلفوا في وقتها
فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتارها واكثر القول انها
السابعة منها ولعل الداعي الى اخفائها ان يحيي من يريدها الليالي الكثيرة طلبا
لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وان لا يتكل الناس عند اظهارها على
الفضل فيها فيفرطوا في غيرها ومعنى ليلة تقدير الامور وقضائها من قوله فيها يفرق
كل امر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالي وما ادريك ما
ليلة القدر يعني ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها ليلة
القدر ثم بين له ذلك بانها خير من الف شهر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية
ما يوخذ فيها من المصالح الدينية التي ذكرها من تنزل الملئكة والروح وفصل كل
امر حكيم وذكر في تخصيص هذه المدة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكر
رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح الف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم
اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان
يقال عابدا حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق
بان يسموا عابدين من اولئك العباد تنزل الملئكة الى السماء الدنيا وقيل الى
الارض والروح جبرئيل عليه السلم وقيل خلق من الملئكة لا تراهم الملئكة الا تلك الليلة
فيها باذن ربهم من كل امر اي تنزل من اجل كل امر قضاه الله لتلك السنة
الى قابل وقرئ من كل امرئ من اجل كل انسان قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا
سلموا عليه في تلك الليلة سلام هي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله تعالى فيها الا
السلامة والخير ويقضي في غيرها بلاء وسلامة او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون
على المؤمنين حتى مطلع الفجر وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها عن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم من قرا سورة القدر اعطي من الاجر لمن صام رمضان واحيي ليلة القدر

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة كان الكفار من
الفريقين اهل الكتاب وعبدة الاصنام يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وآله و
لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في
التورية والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم فحكى الله ما كانوا يقولونه ثم قال وما
تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق
اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا اقرهم على الكفر الا مجي الرسول ونظيره في
الكلام ان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله
الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم يكن منفكا عن الفسق حتى توسر
وما غمست في الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما وانفكاك الشي
من الشي ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك من مفصله والمعنى انهم متشبثون
بدينهم لا يتركونه الا عند مجي البينة والبينة الحجة الواضحة ورسول من الله
بدل من البينة وفي قراءة عبد الله رسولا حالا من البينة يتلو صحفا قراطيس
من الباطل فيها كتب مكتوبات قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والعدل والمراد
بتفرقهم تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من انكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند
لم جمع بين اهل الكتاب والمشركين اولا ثم افرد اهل الكتاب في قوله وما تفرق الذين اوتوا
الكتاب لانهم كانوا على علم به لوجوده في كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من
لا كتاب له ادخل في هذا الوصف وما امروا يعني في التورية والانجيل الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة الا بالدين الحنيفي ولكنهم
حرفوا وبدلوا وذلك دين القيمة اي دين الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تأويل
الدين بالملة ما وجه قوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له
معناه وما امروا بما في الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة وقرأ ابن مسعود
الا ان يعبدوا بمعنى بان يعبدوا ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
في نار جهنم اولئك هم شر البرية قرأ نافع البريئة بالهمز والقراء على التخفيف
والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل ان الذين آمنوا و
عملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك
لمن خشي ربه وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب في جيد وطيب عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها وقرئ
بكسر الزاء وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في
المضاعف ما معنى زلزالها بالاضافة معناه زلزالها الذي تستوجبه
في الحكمة ومشية الله تعالى وهو الزلزال الشديد الذي ليس بعده ونحوه قولك
اكرم التقي اكرامه واهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة
او زلزالها كله جميع ما هو ممكن منه واخرجت الارض اثقالها الاثقال جمع ثقل
وهو متاع البيت كقوله وتحمل اثقالكم جعل ما في جوفها من الدفائن اثقالا لها وقال
الانسان ما لها زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها وذلك
عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ موتاها احياء فيقولون ذلك
لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول
الكافر لانه لا يؤمن بالبعث فاما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها ما معنى تحديث
الارض والايحاء لها هو مجاز عن احداث الله فيها من الاحوال ما يقوم
مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول ما لها الى تلك الاحوال فيعلم لم
زلزلت ولم لفظت الاموات وان هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه

منه وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عليها من خير وشر وروي عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها
اذا او يومئذ يحدث ما ناصبهما يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث
ويجوز ان ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث اي مفعولا تحدث
قد حذف اولهما والثاني اخبارها واصله تحدث الخلق اخبارها
بم تعلقت الباء في قوله بان ربك بتحدث معناه تحدث اخبارها بسبب
ايحاء ربك لها وامره اياها بالتحديث ويجوز ان يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث
ان ربك اوحى لها اخبارها على ان تحديثها بان ربك اوحى لها تحديث باخبارها
كما يقول نصحتني كل نصيحة بان نصحتني في الدين ويجوز ان يكون بان ربك بدلا من
اخبارها كانه قيل يومئذ تحدث باخبارها بان ربك اوحى لها لانك تقول حدثته
بكذا وحدثته كذا واوحى لها بمعنى اوحى اليها وهو مجاز كقوله ان نقول له كن فيكون
قال اوحى لها القرار فاستقرت وقرأ ابن مسعود تنبي اخبارها وسعيد بن جبير
تنبئ بالتخفيف يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف يومئذ يصدر
الناس اشتاتا بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين او يصدرون عن الموقف
اشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار ليروا جزاء اعمالهم وفي قراءة النبي صلى
الله عليه وآله وسلم ليروا بالفتح وقرأ ابن عباس وزيد بن علي رضي الله عنهم بالضم
ويحكى ان اعرابيا اخر خيرا يره فقيل له قدمت واخرت فقال خذا بطن هرشى او قفاها
فانه كلا جانبي هرشى لهن طريق فمن يعمل مثقال ذرة والذرة النملة الصغيرة
وقيل الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء حسنات الكافر محبطة بالكفر
وسيئات المؤمن مغفورة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بما قبل الذرة من الخير والشر
المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء يره ومن يعمل مثقال
ذرة شرا من فريق الاشقياء يره لانه جاء بعد قوله يصدر الناس اشتاتا عن
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ اذا زلزلت اربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل
الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت انفاسها اذا عدون وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه
حكى اح اح قال عنترة والخيل تكدح حين تضبح في حياض الموت ضبحا
وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا او بالعاديات فانه قيل والضابحات لان
الضبح يكون مع العدو او على الحال اي ضابحات فالموريات قدحا تورى
النار الحباحب وهي ما ينقدح من حوافرها قادحات صاكات بحوافرها الحجارة
والقدح الصك والايراء اخراج النار يقول قدح فاورى وقدح فاصلد
وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا فالمغيرات صبحا في وقت الصبح فاثرن به
نقعا فهيجن بذلك الوقت غبارا فوسطن به بذلك الوقت او بالنقع او وسطن
النقع الجمع او فوسطن ملتبسات به جمعا من جموع الاعداء ووسطه بمعنى
توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو الذي دل عليه والعاديات ويجوز
ان يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد
فمتى ينقع صراخ صادق اي فهيجن في المغار عليهم صياحا وجلبة وقرأ ابو عمرو
فاثرن بالتشديد بمعنى فاظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار او قلب
ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء
مزيدة للتأكيد كقوله واتوا به او هي مبالغة في وسطن وعن ابن عباس رضي الله عنهما كنت
جالسا في الحجر فسألني عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى علي رضي الله عنه
وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت فقال له ادعه لي فلما وقفت على
راسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لاول غزاة في الاسلام بدر
وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الابل من
عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما
استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر والثغر للثورة وما اشبه ذلك
وقيل الضبح لا يكون الا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبعت
الابل وضبعت اذا مدت اضباعها في السير وجمعا هو المزدلفة
عطف فاثرن على الفعل الذي هو وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى

تغير على العدو

واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن ان الانسان لربه لكنود الكنود
الكفود وكندا لنعمة كنودا ومنه سمي كندة لانه كند اباه ففارقه وعن الكلبي
الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور
يعني انه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لان تفريطه في شكر نعمة غير الله تعالى
قريب لمقاربة النعمة لان اجل ما انعم به على الانسان من مثله نعمة والديه ثم ان عظمها
في جنب ادنى نعمة الله قليلة ضئيلة وانه وان الانسان على ذلك على كنوده لشهيد
يشهد على نفسه ولا يقدر ان يجحده لظهور امره وقيل وان الله على كنوده
لشاهد على سبيل الوعيد وانه لحب الخير المال من قوله تعالى ان ترك
خيرا لشديد والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة
ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد يعني وانه
لاجل حب المال وان انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك او اراد بالشديد القوي
وانه لحب المال وايثار الدنيا قوي مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف
متقاعس يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له اذا كان مطيقا له وضابطا
او اراد انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض افلا يعلم
اذا بعثر بعث ما في القبور وقرئ بحثر وبحث وبحثر وحصل ما في الصدور محصلا
على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف ومعنى وحصل جمع في المصحف اي اظهر
مجموعا وقيل ميز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل ومعنى علمه بهم يوم القيمة
مجازاته لهم على مقادير اعمالهم لان ذلك اثر خبره بهم ان ربهم بهم
يومئذ لخبير وقرا ابو السمال ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم من قرا سورة والعاديات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة
وشهد جمعا

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة ما القارعة و
ما ادراك ما القارعة الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة اي تقرع يوم

يكون الناس كالفراش المبثوث شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار
والضعف والذلة والتطاير الى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش الى
النار قال جرير ان الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي
وفي امثالهم اضعف من فراشة واذل واجهل وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره
وتكون الجبال كالعهن المنفوش شبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ
الوانا لانها الوان وبالمنفوش منه لتفرق اجزائها وقرا ابن مسعود كالصوف
فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية الموازين جمع موزون وهو
العمل الذي له وزن وخطر عند الله او جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه حديث
ابي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه في وصيته له وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيمة
باتباعهم الحق وثقله في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحسنات ان يثقل
وانما خفت موازين من خفت موازينه الا باتباعهم الباطل وخفته في الدنيا
وحق لميزان لا يوضع فيه الا السيئات ان يخف واما من خفت موازينه فامه
هاوية من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت امه لانه اذا هوى اي
سقط وهلك فقد هوت امه ثكلا وحزنا قال هوت امه ما يبعث الصبح غاديا و
ماذا يؤدي الليل حين يؤوب وكانه قيل واما من خفت موازينه فقد هلك وقيل الهاوية
من اسماء النار كانها النار العميقة لهوي اهل النار فيها مهوى بعيدا كما روي
يهوي فيها سبعين خريفا اي فمأواه النار وقيل للمأوى ام على التشبيه لان الام
مأوى الولد ومفزعه وعن قتادة فامه هاوية فام راسه هاوية في قعر جهنم
لانه يطرح فيها منكوسا وما ادراك ما هيه نار حامية ضمير الداهية التي
دل عليها قوله فامه هاوية في التفسير الاول او ضمير هاوية والهاء للسكت فاذا
وصل القارئ حذفها وقيل حقه ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة
في المصحف وقد اجيز اثباتها مع الوصل عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من
قرا سورة القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم الهكم الهى عن كذا والهاه اذا شغله
التكاثر التبارى في الكثرة والتباهي بها وان يقول هؤلاء نحن اكثر وهؤلاء
نحن اكثر حتى زرتم المقابر روى ان بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا
ايهم اكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغي اهلكنا في
الجاهلية فعادونا بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم
بالاموات وعبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون
المقابر ويقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى الهكم
ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من
امر الدين الذي هو اهم واعلى من كل مهم او اراد الهكم التكاثر بالاموال
والاولاد الى ان متم وقبرتم منفقين اعماركم في طلب الدنيا والاستباق اليها
والتهالك عليها الى ان اتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو اولى بكم
من السعي لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبر عبارة عن الموت قال
لن يخلص العام خليل عشرا ذاق الضماد او يزور القبرا وقال جرير
زار القبور ابو مالك فاصبح الام زوارها وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما أألهاكم
على الاستفهام الذي معناه التقرير كلا ردع وتنبيه على انه لا ينبغي
للناظر لنفسه ان تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه سوف تعلمون انذار
ليخافوا فيتنبهوا عن غفلتهم ثم كلا سوف تعلمون والتكرير تاكيد للردع
والانذار عليهم وثم دلالة على ان الانذار الثاني ابلغ من الاول واشد
كما يقول للمنصوح اقول لك ثم اقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطا
فيما انتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وان هذا التنبيه
نصيحة لكم ورحمة عليكم ثم كرر التنبيه ايضا وقال كلا لو تعلمون محذوف
الجواب يعني لو تعلمون ما بين ايديكم علم الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه
من الامور التي وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم
ضلال جهلة ثم قال لترون الجحيم فبين لهم ما انذرهم منه واوعدهم
وقد مر ما في ايضاح الشيء بعد ابهامه من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم

والاموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى انكم تكاثرتم بالاحياء

محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وان ما وعدوا به ما لا مدخل فيه للريب
ثم لترونها عين اليقين وكرره معطوفا بثم تغليظا في التهديد وزيادة
في التهويل وقرئ لترؤن بالهمز وهي مستكرهة لم استكرهت
والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد ذلك في الواو التي ضمتها
لازمة وهي عارضة لالتقاء الساكنين وقرئ لترون ولترونها على البناء
للمفعول عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته ويجوز ان يراد
بالعلم والابصار ثم لتسألن يومئذ عن النعيم عن اللهو والتنعم الذي شغلكم
الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه ما النعيم الذي يسال عنه الانسان
ويعاتب عليه فما من احد الا وله نعيم هو نعيم من عكف همته على
استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع اوقاته
باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة
الله وارزاقه التي لم يخلقها الا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام
بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل واليه اشار رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم فيما يروى انه اكل هو واصحابه تمرا وشربوا عليه ماء
فقال الحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين عن رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم من قرأ سورة الهيكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي
انعم به عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف آية

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر اقسم بصلوة العصر
لفضلها بدليل قوله والصلوة الوسطى صلوة العصر في مصحف حفصة وقوله عليه السلام
من فاته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله ولان التكليف في ادائها
اشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم
بمعايشهم واقسم بالعشي كما اقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة

صلوة العصر

او اقسم بالزمان لما في مروره من اصناف إن الإنسان لفي خسر
والانسان للجنس والخسر الخسران كما قيل الكفر في الكفران والمعنى ان
الناس في خسران من تجارتهم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات
الا الصالحين وحدهم لانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا
ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا في الخسارة والشقاوة
وتواصوا بالحق بالامر الثابت الذي لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من
توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد في الدنيا والرغبة
في الآخرة وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله
عباده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة والعصر غفر
الله وكان ممن تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل همزة الهمز
الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه ولهزه طعنه والمراد الكسر من اعراض الناس
والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعله يدل على ان ذلك منه عادة
قد ضري بها ونحوهما اللعنة والضحكة قال وان اغيب فانت الهامز اللمزة
وقرئ ويل للهمزة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي يأتي
بالاضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت في الاخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة و
الوقيعة وقيل في امية بن خلف وقيل في الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم وغضه منه ويجوز ان يكون السبب خاصا والوعيد عاما
ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فان
ذلك ازجر له وانكى فيه الذي جمع مالا وعدده بدل من كل او نصب على
الذم وقرئ جمع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث
الدهر وقرئ وعدده اي جمع المال وضبط عدده واحصاه او جمع ماله

وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له
عدد وافر من الانصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعدده على فك
الادغام نحو ضننوا يحسب أن ماله أخلده اخلده وخلده بمعنى اي طول
المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال
تركه خالدا في الدنيا لا يموت او يعمل من تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس
الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن ان ماله ابقاه حيا او هو تعريض بالعمل الصالح
وانه هو الذي اخلد صاحبه في النعيم فاما المال فما اخلد احدا فيه روي انه
كان للاخنس بن شريق اربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف وعن الحسن انه
عاد موسرا فقال له ما تقول في الوف لم افد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال
ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال
اذن تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك كلا ردع له عن حسبانه
لينبذن وقرئ لينبذان اي هو وماله ولينبذن بالضم اي هو وانصاره
لينبذنه في الحطمة في النار التي من شانها ان تحطم كل ما يلقى فيها ويقال للرجل
الاكول انه لحطمة وقرئ الحاطمة يعني انها تدخل في اجوافهم حتى تصل الى صدورهم
وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة على افئدتهم
هي اوساط القلوب ولا شيء في بدن الانسان الطف من الفؤاد ولا اشد تألما
منه باذنى اذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز
ان يخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة
ومعنى اطلاع النار عليها انها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها او تطلع على سبيل
المجاز معادن موجبها إنها عليهم مؤصدة مطبقة [illegible]
ومن دونه ابواب يسمعها موصدة وقرئ في عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد
بفتحتين ممددة والمعنى انه يؤكد يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الابد فتوثق
عليهم الابواب وتمدد على الابواب استيثاقا في استيثاق ويجوز ان يكون المعنى
انها عليهم موصدة موثقين في عمد ممددة مثل المقاطرة التي تقطر فيها اللصوص
اللهم اجرنا من النار يا خير مستجار عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزا بمحمد
صلى الله عليه وعلى آله وسلم واصحابه وازواجه وعترته وارضاهم

بسم الله الرحمن الرحيم ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل روي ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل اصحمة
النجاشي بنى كنيسة بصنعا وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج
فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت من العرب نارا
فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل اسمه
محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل معه الف فيل
وقيل كان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث اموال تهامة
ليرجع فابى وعبى جيشه وقدم الفيل وكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح
واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات هرول فارسل الله تعالى اليه طيرا
سوداء وقيل خضراء وقيل بيضاء مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه
اكبر من العدسة واصغر من الحمصة وعن ابن عباس انه راى منها عند ام هانئ
نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفاري وكان الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره
وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا في كل طريق ومنهل ودوي ابرهة
فتساقطت انامله وارابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت
وزيره ابو يكسوم وطائره يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي وقص عليه القصة فلما
اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي كان
في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم باربعين سنة وقيل بثلث وعشرين سنة وعن
عايشة رضي الله عنها رايت قايد الفيل وسايسه اعميين مقعدين يستطعمان وفيه ان ابرهة
اخذ لعبد المطلب مائتي بعير فخرج اليه فيها فعظم في عينه وكان رجلا جسيما وسيما وقيل
هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في

رؤوس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني جئت لاهدم البيت الذي
هو دينك ودين ابائك وعصمتكم وشرفكم في قديم الدهر فالهاك عنه ذود
اخذ لك فقال انا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع واتى باب البيت فاخذ بحلقته
وهو يقول لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا
محالك ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك يا رب لا ارجو لهم سواك يا رب
فامنع منهم حماك فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله
انها لطير غريبة وما هي بنجدية ولا تهامية وفيه ان اهل مكة قد احتووا على اموالهم
وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يساره وعن
ابي سعيد الخدري انه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم
صبحتهم وعن عكرمة من اصابته جدرته وهو اول جدري ظهر في الارض والخطاب للرسول
الرائي المحدث في الهاء اثار الحجارة والمعنى انك رايت آثار فعل الله بالحبشة وسمعت
الاخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة كيف في موضع نصب بفعل ربك لا
بالم تر لما في كيف من معنى الاستفهام **الم يجعل كيدهم في تضليل** في
تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضايعا ونحوه قوله وما كيد الكافرين
الا في ضلال وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك ابيه اي ضيعه يعني انهم
كادوا البيت اولا ببناء القليس وارادوا ان ينسخوا امره بصرف وجوه الحاج
اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوا ثانيا بارادة هدمه **فارسل
عليهم طيرا ابابيل** فضلل بارسال الطير عليهم ابابيل الواحدة ابالة وفي امثالهم
ضغث على ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير في تضامها بالا
وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لهما وقرا ابو حنيفة **ترميهم**
اي الله او الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى **بحجارة من سجيل** سجيل
كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم لديوان اعمالهم
كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو
الارسال لان العذاب موصوف بذلك وارسل عليهم طيرا فارسلنا عليهم الطوفان
وعن ابن عباس رضي الله عنهما من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل هو معرب من سنك كل

وقيل من شديد عذابه وروداً ابن مقبل ضرباً تواصت به الأبطال سجيلا
وإنما هو سجيناً والقصيدة نونية مشهورة في ديوانه **فجعلهم كعصف مأكول**
شبههم بورق الزرع إذا أكل أي وقع فيه الآكال وهو أن يأكله الدود أو تبن
أكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن كقوله كانا يأكلان الطعام
أو أريد أكل حبه فبقي صفراً منه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ
سورة الفيل أعفاه الله تعالى أيام حياته من الخسف والمسخ

بسم الله الرحمن الرحيم لإيلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا
أمرهم أن يعبدوه لأجل **إيلافهم** الرحلتين فلم دخلت الفاء
لما في الكلام من معنى الشرط لأن المعنى إما لا فليعبدوه لإيلافهم على معنى أن
نعم الله تعالى عليهم لا تحصى فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة
التي هي نعمة ظاهرة وقيل المعنى اعجبوا لإيلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله أي
فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين في الشعر وهو أن يتعلق
معنى البيت بالذي قبله تعلقاً لا يصح إلا به وهما في مصحف أبي سورة واحدة بلا
فصل وعن عمر رضه أنه قرأهما في الثانية من صلاة المغرب وقرأ في الأولى والتين والمعنى
أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب
ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الأمن في رحلتهم فلا يجترئ أحد عليهم
وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيمتارون
ويتجرون وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم
والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والإيلاف من قولك آلفت المكان أولفه
إيلافاً إذا ألفته فأنا مؤلف قال من المؤلفات الرهو غير الأوارك وقرئ لإلاف
قريش أي لمؤالفة قريش وقيل يقال ألفته إلفاً وإلافاً وقرأ أبو جعفر لإلف قريش
وقد جمعهما من قال زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف وقرأ عكرمة

ليألف قريش إلفهم رحلة الشتاء والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة كأنهم سموا بتصغير
القرش وهو دابة عظيمة تعبث بالسفن ولا تطاق إلا بالنار وعن معاوية أنه سأل
ابن عباس رضهما لم سميت قريش قريشاً قال بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى
وأنشد وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشاً والتصغير للتعظيم وقيل من القرش
وهو الكسب لأنهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد أطلق الإيلاف
ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين أطعمهم من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف
الجذام فلا يصيبهم عظيم بهم خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم
ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة
وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء إبراهيم عليه
الصلاة والسلام ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف أن تكون الخلافة في غيرهم
وقرئ من خوف بإخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة
لإيلاف قريش أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

**بسم الله الرحمن الرحيم أرأيت الذي يكذب
بالدين** قرئ ريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لأن حذفها مختص بالمضارع و
لم يصح عن العرب ريت ولكن الذي سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام في أول
الكلام ونحوه صاح هل ريت أو سمعت براع رد في الضرع ما قرى في العلاب وقرأ
ابن مسعود أرأيتك بزيادة الخطاب كقوله أرأيتك هذا الذي كرمت علي **فذلك
الذي يدع اليتيم** والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو إن لم تعرفه
فذلك الذي يكذب بالجزاء هو **الذي يدع اليتيم** أي يدفعه دفعاً عنيفاً بجفوة
وأذى ويرده رداً قبيحاً بزجر وخشونة وقرئ يدع اليتيم أي يترك ويجفو **ولا
يحض** ولا يبعث أهله **على طعام المسكين** جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف
والإقدام على إيذاء الضعيف يعني لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشي الله وعقابه

عطف على الإيلاف [illegible] رحلة الشتاء [illegible] ... الرحلة [illegible] والصيف [illegible] ... حلي [illegible] ... ثم [illegible]

ولم يقدم على ذلك فحين اقدم عليه علم انه مكذب فما اشده من كلام وما اخوفه
من مقام وما ابلغه في التحذير من المعصية وانها جديرة بان يستدل بها على ضعف
الايمان ورخاوة عقد اليقين ثم وصل به قوله فويل للمصلين كانه قال واذا
كان الامر كذلك فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين يسهون
عن الصلوة قلة مبالاة بها حتى يفوتهم او يخرج وقتها او لا يصلونها كما صلاها
رسول الله صلى الله عليه واله وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير
خشوع واخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب
والالتفات لا يدري الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرا من السور الذين هم
يراؤن ويمنعون الماعون كما ترى صلوة من ترى الذين عادتهم الرياء باعمالهم
ومنع حقوق اموالهم والمعنى ان هؤلاء احق بان يكون سهوهم عن الصلوة التي
هي عماد الدين والفارق بين الكفر والايمان والرياء الذي هو شعبة من الشرك ومنعهم
الزكوة التي هي عماد الدين والفارق شقيقة الصلوة وقنطرة الاسلام علما على
انهم يكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من هو على
هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة اخرى وهو ان يكون فذلك عطفا على الذي
اما عطف ذات على ذات او صفة على صفة ويكون جواب ارايت محذوفا لدلالة
ما بعده عليه كانه قيل اخبرني وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذي اليتيم
ولا يطعم المسكين انعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين اي اذا علم انه مسيء فويل
للمصلين على معنى فويل لهم الا انه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع
التكذيب وما اضيف اليهم ساهين مرائين غير مزكين اموالهم كيف جعلت
المصلين قائما مقام ضمير الذي يكذب وهو واحد معناه الجمع لان المراد
به الجنس اي فرق بين قوله عن صلوتهم وبين قوله في صلوتهم
معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وذلك فعل المنافقين او الفسقة
الشطار من المسلمين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة الشيطان او
حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه واله
يقع له السهو في الصلوة فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقهاء باب سجود السهو

في كتبهم وعن انس رض الحمد لله على ان لم يقل في صلوتهم وقرا ابن مسعود
الذين هم لاهون ما معنى المراآة هي مفاعلة من الاراءة لان المرائي
يري الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا
باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها
لقوله ولا غمة في فرائض الله لانها اعلام الاسلام وشعائر الدين ولان
تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا
فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتداء
به كان جميلا وانما الرياء ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فيثنى عليه بالصلاح
وعن بعضهم انه راى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر واطالها فقال
ما احسن هذا لو كان في البيت وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على ان
اجتناب الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى
الله عليه واله وسلم الرياء اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح
الاسود الماعون الزكوة قال الراعي قوم على الاسلام لما يمنعوا ماعونهم و
يضيعوا التهليلا وعن ابن مسعود رض ما يتعاورون في العادة من الفاس والقدر والدلو
والمقدحة ونحوها وعن عائشة رض الماء والملح والنار وقد يكون منع هذه
الاشياء محظورا في الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا في المروة في غير
حال الضرورات عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرا سورة ارايت
غفر الله له ان كان للزكوة مؤديا

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر في قراءة
النبي صلى الله عليه واله وسلم انا انطيناك بالنون وفي حديثه واليد المنطية
الكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة وقيل لاعرابية رجع ابنها من
السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر وانت كثير يا ابن مروان طيب
وكان ابوك ابن العقائل كوثرا وقيل الكوثر نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه واله

انه قراها حين انزلت فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي
فيه خير كثير وروي في صفته احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد
من الثلج والين من الزبد وحافتاه الزبرجد واوانيه من فضة
عدد نجوم السماء وروي لا يظما من شرب منه ابدا اول وارده فقراء المهاجرين
الدنس الثياب الشعث الرؤس الذين لا ينكحون المنعمات ولا يفتح لهم ابواب
السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو اقسم على الله لابره
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان
ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير فصل لربك وانحر
والنحر نحر البدن وعن عطية صلوة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل هي صلوة العيد
والتضحية وقيل هي جنس الصلوة والنحر وضع اليمين على الشمال والمعنى اعطيناك
ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذي لم يعطه احد غيرك ومعطي ذلك كله
انا اله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة اشرف عطاء واوفره
من اكرم معط واعظم منعم فاعبد ربك الذي اعزك باعطائه وشرفك وصانك
من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجهه وباسمه اذا
نحرت مخالفا لهم في النحر للاوثان ان شانئك من قومك بمخالفتك لهم هو الابتر
لا انت لان كل من يولد الى يوم القيمة من المؤمنين فهم اولادك واعقابك
وذكرك مرفوع على المنابر والمنائر وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ
بذكر الله ويثنى بذكرك ولك في الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال
له ابتر انما الابتر هو شانئك المنسي في الدنيا والآخرة وان ذكر ذكر باللعن وكانوا
يقولون ان محمدا صنبور اذا مات مات ذكره وقيل نزلت في العاص بن وائل
وقد سماه الابتر والابتر الذي لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذي لا ذنب له
عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر
في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر او يقربونه

ان شانئك

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون المخاطبون
كفرة مخصوصون قد علم الله منهم انهم لا يؤمنون روي ان رهطا
من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة
ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره فقالوا فاستلم
بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ
من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فايسوا لا اعبد ما تعبدون
اريدت به العبادة فيما يستقبل لان لا لا يدخل الا على مضارع في معنى
الاستقبال كما ان ما لا يدخل الا على مضارع في معنى الحال الا يرى ان
لن تاكيد فيما تنفيه لا قال الخليل في لن ان اصله لا ان والمعنى لا افعل في المستقبل
ما تطلبونه من عبادة آلهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انتم فاعلون
فيه ما اطلب منكم من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت
قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعني لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية
فكيف يرجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم
في وقت ما انا على عبادته فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم
لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله
تعالى في ذلك الوقت فلم جاء على ما دون من لان المراد
الصفة كانه قال لا اعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان
ما مصدرية اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي لكم دينكم
ولي دين لكم شرككم ولي توحيدي والمعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم
الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني كفافا ولا تدعوني
الى الشرك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الكافرون
فكانما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك
ويعافى من الفزع الاكبر

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله
اذا منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من اعلام
النبوة وروي انها نزلت في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع
ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه النصر الاعانة و
الاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض اغاثها والفتح فتح البلاد والمعنى
نصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على العرب او على قريش وفتح
مكة وقيل نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر
مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب واقام بها خمس عشرة
ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله
الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده
ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم قال لا اله الا
الله لا شريك له اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وآله
وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا فلذلك سمي
اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام التي لا دين له يرضاه غيرها
ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ورأيت الناس يدخلون
في دين الله افواجا جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة باسرها بعد ما
كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه
بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول دخل الناس
في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا وقيل اراد بالناس اهل اليمن قال ابو هريرة لما نزلت
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الله اكبر جاء نصر الله والفتح وجاء اهل
اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال
اجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
مكة اقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا اما اذ ظفر باهل الحرم فليس به يدان
وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل وعن كل من ارادهم وكانوا يدخلون

في الاسلام افواجا من غير قتال وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فتح الله والنصر
وقرئ يدخلون على البناء للمفعول ما محل يدخلون
النصب اما على الحال على ان رأيت بمعنى ابصرت او عرفت او هو
مفعول ثان على انه علمت فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب
لتيسير الله ما لم يخطر ببالك وبال احد من ان يغلب احد على اهل الحرم واحمده
على صنعه او فاذكره مسبحا حامدا زيادة في عبادته والثناء عليه لزيادة
انعامه عليك وفضله لديه روت ام هانئ انه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة
الضحى ثماني ركعات وعن عائشة رضي الله عنها انه كان يكثر قبل موته ان يقول
سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك واستغفره الامر
بالاستغفار مع التسبيح تكميل الامر بما هو قوام امر الدين من الجمع بين الطاعة
والاحتراس من المعصية وليكون امره بذلك مع عصمته لطفا لامته ولان الاستغفار
من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة في نفسه وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قرأها رسول الله صلى
الله عليه وآله وسلم على اصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه وآله الصلاة
والسلام ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين
لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال له رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم لقد اوتي هذا الغلام علما كثيرا وروي انها لما نزلت
خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا
وبين لقائه فاختار لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضي الله عنه ذلك فقال فديناك بانفسنا
واموالنا وآبائنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان عمر رضي الله عنه كان يدنيه ويأذن له
مع اهل بدر فقال عبد الرحمن اتأذن لهذا الفتى معنا وفي ابنائنا من هو
مثله فقال انه ممن قد علمتم فاذن لهم ذات يوم واذن له معهم فسألهم
عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ولا اراه سألهم الا من اجلي
فقال بعضهم امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره ويتوب
اليه فقلت ليس كذلك ولكنه نعيت اليه نفسه فقال عمر رضي الله عنه ما اعلم منها

الاسئلة ما تعلم ثم قال كيف تلومونني عليه بعد ما ترون وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه دعى فاطمة رضي الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع **انه كان توابا** اي كان في الازمنة الماضية منذ خلق الله المكلفين توابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر ان يتوقع مثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة اذا جاء نصر الله اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتح مكة

بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب التباب الهلاك ومنه قولهم اشابة ام تابة اي هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى اخذ حجرا ليرمي به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتب وهلك كله او جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله جزاني جزاه الله شر جزاء الكلاب العاويات وقد فعل ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وروي انه لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين رقي الصفا وقال يا صباحاه فاجتمع اليه الناس من كل اوب فقال يا بني عبد المطلب يا بني فهر ان اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي الساعة فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا فنزلت لم كناه والتكنية تكرمة فيه ثلثة اوجه احدها ان يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا باحدهما ولذلك تجري الكنية على الاسم او الاسم على الكنية عطف بيان فلما اريد تشهيره بدعوة السوء وان تبقى سمة له ذكر الاشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا ابو لهب كما قيل علي بن ابو طالب رضي الله عنه ومعوية بن ابو سفيان لئلا يغير منه شيء فيشكل على السامع ولفليتة بن قاسم امير مكة ابنان احدهما عبد الله

شرح ابانه

الجر والآخر عبد الله بالنصب والثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى كنيته والثالث انه لما كان من اهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بان يذكر بها ويقال ابو لهب كما يقال ابو الشر للشرير وابو الخير للخير وكما كنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابا المهلب ابا صفرة لصفرة في وجهه وقيل كني بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما فيجوز ان يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك وقرئ ابي لهب بالسكون وهو من تغيير الاعلام كقولك شمس بن مالك بالضم **ما اغنى عنه ماله** استفهام في معنى الانكار ومحله النصب او نفي **وما كسب** مرفوع وما مصدرية او موصولة والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعني رأس المال والارباح وماشيته من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء او ماله الذي ورثه من ابيه والذي كسبه بنفسه او ماله التالد والطارف وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وحكي ان بني ابي لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فغضب من فعل فقال اخرجوا عني الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام ان اطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعني كيده في عداوة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعن قتادة عمله الذي ظن انه منه على شيء كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وروي انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افتدي منه نفسي بمالي وولدي **سيصلى نارا ذات لهب** بفتح الياء وضمها مخففا ومشددا والسين للوعيد اي هو كائن لا محالة وان تراخى وقته **وامرأته** هي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس **حمالة الحطب** يحمل الحطب بينهم اي يوقد بينهم النائرة ويورث الشر قال من السفر لم يصطد على ظهره لانه ولم يمش بين الحي بالحطب الرطب جعله رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر ورفعت عطفا على الضمير في سيصلى هو وامرأته و في

موصولة او م

ابن اخي

جيدها في موضع الحال او على الابتداء وفي جيدها الخبر وقرئ حماله الحطب بالنصب على الشتم وانا استحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من احب شتم ام جميل وقرئ حمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ ومريته على التصغير **حبل من مسد** المسد الذي فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان او جلد او غيرهما قال ومسد امرّ من ايانق والمعنى في جيدها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب بحمالة الحطب فقال

ماذا اردت الى شتمي ومنقصتي ... ام ما تعير من حمالة الحطب
غراء شادخة في المجد غرتها ... كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

ويحتمل ان يكون المعنى ان حالها تكون في نار جهنم على الصورة التي كانت عليها حين كانت تحمل حزمة الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم او من الضريع وفي جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله في جرمه عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من قرأ سورة تبت رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

بسم الله الرحمن الرحيم **قل هو** ضمير الشان و**الله احد** هو الشان كقولك هو زيد منطلق كانه قيل الشان هذا وهو ان الله واحد لا ثاني له فان قلت ما محل هو قلت الرفع على الابتداء والخبر الجملة فان قلت فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدا فاين الراجع قلت حكم هذه الجملة حكم المفرد في قولك زيد غلامك في انه هو المبتدا

في المعنى وذلك ان قوله الله احد هو الشان الذي هو عبارة عنه وليس كذلك زيد ابوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس رضي الله عنهما قالت قريش صف لنا يا محمد ربك الذي تدعونا اليه فنزلت يعني الذي سالتموني وصفه هو الله واحد بدل من قوله الله او على هو احد وهو بمعنى واحد واصله وحد وقرأ عبد الله وابي هو الله احد بغير قل وفي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم الله احد بغير قل هو وقال من قرأ الله احد كان بعدل القران وقرأ الاعمش قل هو الله الواحد وقرئ احد الله بغير تنوين اسقط لملاقاة لام التعريف ونحوه ولا ذاكر الله الا قليلا والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين **الله الصمد** فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه في الحوائج والمعنى هو الله الذي تعرفونه وتقرون بانه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذي يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغني عنهم **لم يلد** لانه لا يجانس حتى يكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة **ولم يولد** لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا اول لوجوده ليس بجسم ولم يكافئه احد اي لم يماثله ولم يشاكله ويجوز ان يكون من الكفاءة في النكاح نفيا للصاحبة سالوه ان يصفه لهم فاوحى اليه ما يحتوي على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الى من هو خالق الاشياء وفاطرها وفي طي ذلك وصفه بانه قادر عالم لان الخلق يستدعي القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفي ذلك وصفه حي سميع بصير وقوله احد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء وقوله الصمد وصف بانه ليس الا محتاجا اليه فهو غني وفي كونه غنيا مع كونه عالما انه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبائح وعلمه بغناه عنه وقوله لم يلد نفي للشبه والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا احد تقرير لذلك وبت للحكم به **ولم يكن له كفوا احد** فان قلت الكلام العربي الفصيح ان يوخر الظرف الذي هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك في كتابه فما باله مقدما في افصح كلام واعربه قلت هذا الكلام انما سيق لنفي المكافاة عن ذات الباري سبحانه وهذا المعنى

مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك اهم شيء واعناه واحقه بالتقدم
واحراه وقرئ كفوا بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء
لم كانت هذه السورة عدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها
لامر ما يسود من يسود وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله تعالى و
عدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم فيها ان علم التوحيد من الله بمكان وكيف لا يكون كذلك
والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله
وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله و
انافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف علمه
بمعلومه وقلة تعظيمه وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا
في زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من
وعيدك وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على اصول الدين وروى ابي وانس
عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اسست السموات السبع والارضون السبع
على قل هو الله احد يعني ما خلقت الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته
التي نطقت بها هذه السورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه سمع
رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل يا رسول الله وما وجبت فقال وجبت له
الجنة

اوله
عزمت على اقامة ذي صباح

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق
الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال في المثل
ابين من فلق الصبح وفرق الصبح ~~لان الليل يفلق عنه ويفرق~~ ومنه قولهم سطع
الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال
عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب
والنوى وغير ذلك وقيل هو واد في جهنم او جب فيها من قولهم لما اطمأن

من الارض فلق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة انه قدم الشام فرأى دور اهل
الذمة وما فيها من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا ابالي اليس
من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت في جهنم اذا فتح صاح جميع اهل النار من
شدة حره من شر ما خلق من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من
المعاصي والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغي وضرب وقتل وشتم
وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منهم من الاكل والنهش واللدغ والعض
كالسباع والحشرات وما وضعه الله في الموات من انواع الضرر كالاحراق في
النار والقتل في السم ومن شر غاسق والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله
الى غسق الليل ومنه غسقت العين اذا امتلأت دمعا وغسقت الجراحة اذا امتلأت
دما اذا وقب ووقوبه دخول ظلامه في كل شيء ويقال وقبت الشمس اذا غابت وفي
الحديث لما رأى الشمس قال هذا حين حلها يعني صلاة المغرب وقيل هو القمر
اذا امتلأ وعن عائشة اخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيدي فاشار
الى القمر فقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله
في الكسوف واسوداده ويجوز ان يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه
ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثاث الشر فيه
اكثر والتحرز منه اصعب ومنه قولهم الليل اخفى للويل وقولهم اغدر الليل
لانه اذا اظلم كثر فيه الغدر واسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه
فيه ومن شر النفاثات في العقد النساء او النفوس او الجماعات السواحر
اللواتي يعقدن عقدا في خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع
ريق ولا تأثير لذلك اللهم الا اذا كان ثم اطعام شيء ضار او
سقيه او اشمامه او مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل
قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على
الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع اليهن والى
نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا يعبأون به
فما معنى الاستعاذة من شرهن فيها ثلاثة اوجه احدها

ان يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن اثمهن في ذلك والثاني
ان يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن والثالث
ان يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز ان يراد بهن
النساء الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر و
النفث في العقد او اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن انفسهن
ومحاسنهن بسحرهن بذلك **ومن شر حاسد اذا حسد** اي اذا اظهر
حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر اثر ما
ابضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه
بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من حاسد
ويجوز ان يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله في وقت حسده واظهاره
من قوله من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه فما
فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد
قد خص هؤلاء من كل شر لخفاء امره وانه يلحق الانسان من حيث لا يعلم
كانما يغتال به وقالوا العداه المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر
فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه عرف النفاثات
لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون
في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات
ومنه قوله عليه الصلوة والسلام لا حسد الا في اثنين وقال ابو تمام
وما حاسد في المكرمات بحاسد وقال ان العلى حسن في مثلها الحسد عن رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم من قرا المعوذتين فكانما قرا الكتب التي انزلها الله كلها

بسم الله الرحمن الرحيم قرئ **قل اعوذ** بحذف
الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة لم قيل

برب الناس مضافا اليهم خاصة لان الاستعاذة وقعت من
شر الموسوس في صدور الناس فكانه قيل اعوذ من شر الموسوس الى
الناس بربهم الذي يملك عليهم امورهم وهو الههم ومعبودهم كما
يستغيث بعض الموالي اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالي امرهم
ملك الناس اله الناس ما هما من رب الناس
عطف بيان كقولك سيرة ابي حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد
بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس واما اله الناس
فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان هلا اكتفي باظهار المضاف
الذي هو الناس مرة واحدة لان عطف البيان للبيان فكان مظنة
للاظهار دون الاضمار **من شر الوسواس** اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال
بمعنى الزلزلة واما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان
سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه لانها صنعته وشغله الذي هو عاكف
عليه او اريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفي ومنه وسواس الحلي
الخناس الذي عادته ان يخنس منسوب الى الخنوس وهو التاخر كالعواج
والبتات لما روي عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان
وولى واذا غفل وسوس اليه **الذي يوسوس في صدور الناس** يجوز في
محله الحركات الثلث فالجر على الصفة والنصب والرفع على الشتم ويحسن ان
يقف القاري على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس على احد هذين الوجهين
من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على ان الشيطان ضربان جني و
انسي كما قال شياطين الانس والجن وعن ابي ذر هل تعوذت بالله من شياطين
ويجوز ان يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية اي يوسوس
في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الانس وقيل من الجنة والناس بيان
وان اسم الناس منطلق على الجنة واستشهد لو انفر ورجال في سورة الجن
وما احقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من الايناس

وهو الابصار كما سُمُّوا بشرا ولو كان يقع الناس على الثقلين وصح ذلك
وبيت لم يكن مناسبا لفصاحة القران وبعده من التصنع واجود منه ان
يراد بالناس الناسي كقوله يوم يدع الداعي وكما قرئ من حيث افاض
الناسي ثم بيّن بالجنة والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان
بنسيان حق الله تعالى عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لقد
انزلت على سورتان مثلهما وانك لن تقرا سورتين احب ولا ارضى
عند الله منهما ويقال للمعوذتين المقشقشتان والحمد لله على الاء

قال جار الله وانا اعوذ بهما وبجميع كلمات الله التامة والوذ
بكنف رحمته الشاملة العامة من كل ما يكلم الدين ويثلم اليقين
ويعود اليقين او يعود في العاقبة او يقدح في الايمان المسوط باللحم
والدم واساله بخضوع العنق وخشوع البصر ووضع الخد لجلال الله
الاكبر مستشفعا اليه بنوره الذي هو التنبيه في الاسلام
متوسلا بالتوبة الممحصة للاثام وبما عنيت به من مهاجرتي اليه
ومجاورتي ومرابطتي بمكة ومصابرتي على تناكر من الخطى ثم اساله
بحق صراطه المستقيم وقرانه الكريم وبما لقيت من كدح اليمين و
عرق الجبين في عمل الكشاف عن حقايقه المخلص عن مضايقه المطلع
على غوامضه المثبت في مداحضه الملخص في نكته ولطايف نظمه المنقر
عن فقره وجواهر علمه المكتنز بالفوايد التي لا توجد الا فيه المحيط بما
لا يكتنه من بدع الفاظه ومعانيه مع الايجاز الحاذف للفضول
وتجنب المستكره المملول ولو لم يكن في مضمونه الا ايراد كل شيء على
قانونه لكفى به ضالة ينشدها محققة الاحبار وجوهرة يتمنى
العثور عليها غاصة البحار وبما شرفني به ومجدني واختصني بكرامته
وتوجدني بكرامته وتوجدني من ارتفاعه على يدي في مهبط ا...

بالندم

وندكه ومتنزل اياته وسوره من البلد الامين بين ظهراني الحرم
وبين يدي بيت المحرم حتى وقع التاويل حيث وجد التنزيل ان
يهب لي خاتمة الخير ويقيني مصارع السوء وينجيا وزعن فرطاني يوم
التناد ولا يفضحني بها على رؤس الاشهاد ويحلني دار المقامة من
فضله بواسع طوله وسابغ نوله انه الجواد
الكريم الرؤف الرحيم
والحمد لله رب العالمين
والصلوة والسلم
على محمد واله
اجمعين

وقد اتمه الله تعالى بمحض عنايته وتوفيقه على يد اضعف عباد الله
واقل خلايقه المحتاج الى ربه الغني فتح الله بن هبة الله بن عطاء الله
بن لطف الله بن روح الله بن سلام الله بن روح الله بن شرفشاه بن
محمد بن علي بن محمد بن شرفشاه بن عربشاه بن حسن بن زيد بن حسن
بن احمد بن عبيد الله بن ابي محمد بن علي بن عبيد الله بن احمد الشعراني بن
علي العريضي بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام
علي زين العابدين بن الامام سيد الشهدا حسين الشهيد بكربلا ابن
امير المومنين سيد الاوصياء وسند الاوليا علي المرتضى وايضا
الامام الباقر ابن زينب بنت السبط الاكبر حسن بن علي وهما ابنا
ابنا سيدة النساء وبضعة سيد الانبياء فاطمة الزهرا
بنت سيد المرسلين ومحبوب رب العالمين
محمد المصطفى عليه وعلى اله صلوات
الله الاصفى المنتهي بالكلا
م الشاهي

ابي جعفر محمد
المشهور بابابي
يزد من بلاد
عراق

وكان ذلك التوفيق التام من فضل الله الملك العلام وبركة

ادولح سيد الاولياء وسند الاصفياء والاتقيا

عليهما صلوات الله الاوفى الاعلى

في رابع عشر محرم الحرام سنه

خمسين وتسعمايه النبوية

عليه وآله افضل

الصلوة والسلم

والتحية